المجلد الأول

من تفسير التبيان

تأليف

الشيخ محمد بن الحسن الطوسي

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله الذي نزل على عبده الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى وبشرى للمسلمين
والصلوة والسلام على رسوله الذي انزل عليه القرآن بيانا للناس وهدى و
موعظة للمتقين وعلى عترته الهداة ثاني الثقلين شفع الكتاب المبين ولعنة الله على اعدائهم
اجمعين الى يوم الدين اما بعد لما كان كتاب التبيان الجامع لعلوم القرآن من تصانيف شيخ الطائفة المحقة
رئيس الملة الحقة مفخر الشيعة ومسند الشريعة اس العلوم الاسلامية مركز الفقه اصل الاصول مبين
التفسير برهان الكلام ينبوع الحكمة رحلة الرجال منبع الادب فحل الاخبار محيي مراسم الدين وماحي آثار المبتدعين شمس
سماء الفضائل والمفاخر بدر افق المكارم والماثر المشتهر في الآفاق بالشيخ على الاطلاق شيخنا ابي جعفر محمد بن الحسن بن علي
الطوسي البغدادي الغروي قدس الله سره كتابا جليلا عديم النظير وصفه هو ره في فهرسه عند ذكر تصانيفه بقوله وله
كتاب تفسير القرآن لم يعمل مثله وهو وان لم يصرح باسمه ولكن هو النجاشي بالتصريح باسمه قال وكتاب التبيان في
تفسير القرآن وقال المفسر العلم العالم الفريد امين الاسلام ابو علي الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسي رحمه الله تعالى
في مقدمة تفسيره مجمع البيان قد خاض العلماء قديما وحديثا في علم تفسير القرآن واجتهدوا في ابراز مكنونه و
اظهار مصونه والفوا فيه كتبا جمة غاصوا في كثير منها الى اعماق لججه وشققوا الشعر في ايضاح حججه وحققوا
في تفتيح ابوابه وتغلغل شعابه الا ان اصحابنا رضي الله عنهم لم يدونوا في ذلك غير مختصرات نقلوا فيها ما
وصل اليهم في ذلك عن الاخبار ولم يعنوا ببسط المعاني وكشف الاسرار الا ما جمعه الشيخ الاجل السعيد ابو
جعفر محمد بن الحسن الطوسي قدس الله روحه من كتاب التبيان فانه الكتاب الذي يقتبس منه ضياء الحق ويلوح عليه
رواء الصدق قد تضمن من المعاني الاسرار البديعة واحتضن من الالفاظ اللغة الوسيعة ولم يقنع بتدوينها دون
تبيينها ولا بتنميقها دون تحقيقها وهو القدوة استضيء بانواره واطأ مواقع آثاره انتهى قوله رحمه الله
مع كونه قدوة في التفسير يستضاء بانواره واما ما فيه يوطئ مواقع آثاره فقد صرح بكون التبيان قدوة لمجمعه
واماما لتفسيره ولهذا قال آية الله السيد الاجل بحر العلوم اعلى الله درجاته في فوائده الرجالية على ما حكي عنه
ان كتاب التبيان الجامع لعلوم القرآن كتاب جليل عديم النظير في التفاسير وشيخنا الطبرسي امام التفسير في كتبه اليه
يزدلف ومن بحره يغترف وقال الحبر المتتبع الجليل الشيخ محسن الطهراني نزيل سامرا دامت بركاته في كتابه المسمى
بالذريعة الى تصانيف الشيعة بعد ما نقل عن بحر العلوم ما مر قال نعم هو اول تفسير جمع فيه انواع علوم
القرآن وقد اشار الى فهرس مطوياته في ديباجته الى ان قال هذا التفسير عزيز الوجود في الغاية وقد كان عند
العلامة المجلسي ره وذكره من ماخذ كتاب البحار في اوله لكني لم اطلع بوجود تمام مجلداته جمعا في مكتبة واحدة
في عصرنا هذا نعم يظهر من فهرس كتب الازهر بمصر ومكتبة السلطان محمد الفاتح ومكتبة السلطان عبد الحميد خان
وغيرها ان في كل منها نسخ منه اقول وحيث انه من عزة الوجود لتشتت اجزائه المجتمعة في البلاد المتفرقة و
تفرق ابعاضه المتقاربة في الاماكن المتباعدة والمجتمع منه في الثريا والآخر في العيوق ولم يصل اليها ايادي النفوس
المشتاقة مع ان جل علماء الاسلام بل كلهم كانوا يشتاقون اليه اشتياق الظمآن الى الماء فقد نهض سيدنا الاجل
العلم العلام حجة الاسلام آية الله الملك العلام زعيم الفرقة المحقة الآقا السيد محمد الحجة الكوه كمري التبريزي
دام ظله فشمر ذيل السعي والطلب وجمع اجزائه المتفرقة من البلاد المتباعدة وقام بنسخه وطبعه وساعده
في ذلك الخطب الجليل خدمة للعلم وطلبا للمثوبة جناب العالم الفاضل الورع التقي ثقة
الاسلام الحاج الميرزا علي آقا الشيرازي دامت توفيقاته حيث سعى في كل شؤونه من
الجمع والترتيب والنسخ والطبع وقام بنفقة طبعه السيد الجليل المحترم سليل
الاعاظم الانجاب الحاج السيد عبد الرسول الروغني المعروف برحيم زاده
دامت توفيقاته فصار كنزا مستخرجا بعد ما كان مدخورا فهذا
هو مجده وكرم الشاكرين كتبه العبد الاثم ابو القاسم خوشنويس
٢٨ شهر ذيقعدة سنة ١٣٦٤

الجزء الاول من التبيان في تفسير القرآن تصنيف الشيخ السعيد العالم ابي جعفر الطوسي رضي الله عنه

بسم الله الرحمن الرحيم وبه ثقتي

الحمد لله اعترافا بتوحيده واخلاصا لربوبيته واقرارا بجزيل نعمه واذعانا لعظيم منته وشكرا على جميع مواهبه وكريم فواضله وصلى الله على خيرته من خلقه محمد صلى الله عليه وآله والطاهرين من عترته والطيبين من ارومته وسلم تسليما **اما بعد** فان الذي حملني على الشروع في عمل هذا الكتاب اني لم اجد احدا من اصحابنا قديما وحديثا من عمل كتابا يحتوي على تفسير جميع القرآن ويشتمل على فنون معانيه وانما سلك جماعة منهم في جميع ما رواه ونقله وانتهى اليه في الكتب المروية في الحديث ولم يتعرض احد منهم لاستيفاء ذلك وتفسير ما يحتاج اليه فوجدت من شرع في تفسير القرآن من علماء الامة بين مطيل في جمع معانيه واستيعاب ما قيل فيه من فنونه كالطبري وغيره وبين مقصر اقتصر على ذكر غريبه ومعانيه وسلك الباقون المتوسطون في ذلك مسلك ما قويت فيه منتهم وتركوا ما لا معرفة لهم به فان الزجاج والفراء ومن اشبههما من النحويين افرغوا وسعهم فيما يتعلق بالاعراب والتصريف ومفضل بن سلمة وغيره استكثروا من علم اللغة واشتقاق الالفاظ والمتكلمين كابي علي الجبائي وغيره صرفوا همتهم الى ما يتعلق بالمعاني الكلامية ومنهم من اضاف الى ذلك الكلام في فنون علمه فادخل فيه ما لا يليق به من بسط فروع الفقه واختلاف الفقهاء كالبلخي وغيره واصلح من سلك في ذلك مسلكا جميلا مقتصدا محمد بن بحر ابو مسلم الاصفهاني وعلي بن عيسى الرماني فان كتابيهما اصلح ما صنف في هذا المعنى غير انهما اطالا الخطب فيه واوردا فيه كثيرا مما لا يحتاج اليه وسمعت جماعة من اصحابنا قديما وحديثا يرغبون في كتاب مقتصد يجتمع على جميع فنون علم القرآن من القراءة والمعاني والاعراب والكلام على المتشابه والجواب عن مطاعن الملحدين فيه وانواع المبطلين كالمجبرة والمشبهة والمجسمة وغيرهم وذكر ما يختص اصحابنا به من الاستدلال بمواضع كثيرة منه على صحة مذاهبهم في اصول الديانات وفروعها وانا ان شاء الله تعالى اشرع في ذلك على وجه الايجاز والاختصار لكل فن من فنونه ولا اطيل فيمله الناظر فيه ولا اختصر اختصارا يقصر فهمه عن معانيه واقدم امام ذلك فصلا يشتمل على ذكر جمل لا بد من معرفتها دون استيفائها فان لاستيفاء الكلام فيها مواضع هي اليق به ومن الله استمد المعونة واستهديه الى طريق الرشاد بمنه وقدرته ان شاء الله تعالى

فصل في ذكر جمل لا بد من معرفتها قبل الشروع في تفسير القرآن

اعلم ان القرآن معجزة عظيمة على صدق النبي عليه السلام بل هو اكبر المعجزات واشهرها غير ان الكلام في اعجازه وجهة اعجازه واختلاف الناس فيه لا يليق بهذا الكتاب لانه يتعلق بالكلام في الاصول وقد ذكره علماء اهل التوحيد واطنبوا فيه واستوفوه غاية الاستيفاء وقد ذكرنا منه طرفا صالحا في شرح الجمل لا يليق بهذا الموضع لان استيفاءه يخرج به عن الغرض واختصاره لا ياتي على المطلوب فالاحالة عليه اولى والمقصود من هذا الكتاب علم معانيه وفنون اغراضه **واما** الكلام في زيادته ونقصانه فمما لا يليق به ايضا لان الزيادة فيه مجمع على بطلانه والنقصان منه فالظاهر ايضا من مذهب المسلمين خلافه وهو الاليق بالصحيح من مذهبنا وهو الذي نصره المرتضى رحمة الله عليه وهو الظاهر في الروايات غير انه رويت روايات كثيرة من جهة الخاصة والعامة بنقصان كثير من آي

القرآن ونقل شيء منه من موضع الى موضع طريقها الآحاد التي لا توجب علما ولا عملا والاولى الاعراض عنها وترك التشاغل بها لانه يمكن تاويلها ولو صحت لما كان ذلك طعنا على ما هو موجود بين الدفتين فان ذلك معلوم صحته لا يعترضه احد من الامة ولا يدفعه ورواياتنا متناصرة بالحث على قراءته والتمسك بما فيه ورد ما يرد من اختلاف الاخبار في الفروع اليه وعرضها عليه فما وافقه عمل عليه وما خالفه تجنب ولم يلتفت اليه **و** قد روي عن النبي صلى الله عليه وآله رواية لا يدفعها احد انه قال اني مخلف فيكم الثقلين ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا كتاب الله وعترتي اهل بيتي وانهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض وهذا يدل على انه موجود في كل عصر لانه لا يجوز ان يامرنا بالتمسك بما لا نقدر على التمسك به كما ان اهل البيت عليهم السلام ومن يجب اتباع قوله حاصل في كل وقت واذا كان الموجود بيننا مجمعا على صحته فينبغي ان نتشاغل بتفسيره وبيان معانيه ونترك ما سواه **واعلم** ان الرواية ظاهرة في اخبار اصحابنا بان تفسير القرآن لا يجوز الا بالاثر الصحيح عن النبي صلى الله عليه وآله وعن الائمة عليهم السلام الذين قولهم حجة كقول النبي صلى الله عليه وآله وان القول فيه بالرأي لا يجوز وروى العامة ذلك عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال من فسر القرآن برأيه واصاب الحق فقد اخطأ وكره جماعة من التابعين وفقهاء المدينة القول في القرآن بالرأي كسعيد بن المسيب وعبيدة السلماني ونافع ومحمد بن القاسم وسالم بن عبد الله وغيرهم وروي عن عائشة انها قالت لم يكن النبي صلى الله عليه وآله يفسر القرآن الا بعد ان ياتي به جبرئيل عليه السلام والذي نقول في ذلك انه لا يجوز ان يكون في كلام الله تعالى وكلام نبيه تناقض وتضاد وقد قال الله تعالى انا جعلناه قرآنا عربيا وقال بلسان عربي مبين وقال وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه وقال فيه تبيان كل شيء وقال ما فرطنا في الكتاب من شيء فكيف يجوز ان يصفه بانه عربي مبين وانه بلسان قومه وانه بيان للناس ولا يفهم بظاهره شيء وهل ذلك الا وصف له باللغز والمعمى الذي لا يفهم المراد به الا بعد تفسيره وبيانه وذلك منزه عن القرآن وقد مدح الله تعالى اقواما على استخراج معاني القرآن فقال لعلمه الذين يستنبطونه منهم وقال في قوم يذمهم حيث لم يتدبروا القرآن ولم يتفكروا في معانيه افلا يتدبرون القرآن ام على قلوب اقفالها وقال النبي صلى الله عليه وآله اني مخلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي اهل بيتي فبين ان الكتاب حجة كما ان العترة حجة وكيف يكون حجة ما لا يفهم به شيء **و** روي عنه عليه السلام انه قال اذا جاءكم عني حديث فاعرضوه على كتاب الله فما وافق كتاب الله فاقبلوه وما خالفه فاضربوا به عرض الحائط وروي مثل ذلك عن ائمتنا عليهم السلام وكيف يمكن العرض على كتاب الله وهو لا يفهم به شيء وكل ذلك يدل على ان ظاهر هذه الاخبار متروك والذي نقول ان معاني القرآن على اربعة اقسام احدها ما اختص الله تعالى بالعلم به فلا يجوز لاحد تكلف القول فيه ولا تعاطي معرفته وذلك مثل قوله تعالى يسئلونك عن الساعة ايان مرسيها قل انما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها الا هو ومثل قوله تعالى ان الله عنده علم الساعة الى آخرها فتعاطي معرفة ما اختص الله تعالى به خطأ وثانيها ما كان ظاهره مطابقا لمعناه فكل من عرف اللغة التي خوطب بها عرف معناها مثل قوله تعالى ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ومثل قوله تعالى قل هو الله احد وغير ذلك وثالثها ما هو مجمل لا ينبئ ظاهره عن المراد به مفصلا مثل قوله تعالى اقيموا الصلوة وآتوا الزكوة ومثل قوله ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا وقوله وآتوا حقه يوم حصاده وقوله وفي اموالهم حق معلوم وما اشبه ذلك فان تفصيل اعداد الصلوة وعدد ركعاتها وتفصيل مناسك الحج وشروطه ومقادير النصاب في الزكوة لا يمكن استخراجه الا ببيان النبي صلى الله عليه وآله ووحي من جهة الله تعالى فتكلف القول في ذلك خطأ ممنوع منه يمكن ان يكون الاخبار متناولة له ورابعها ما كان اللفظ مشتركا بين معنيين فما زاد عليهما ويمكن ان يكون كل واحد منهما مرادا فانه لا ينبغي ان يقدم احد به فيقول ان مراد الله منه بعض ما يحتمل الا بقول نبي او امام معصوم بل ينبغي ان يقول ان الظاهر يحتمل لامور وكل واحد يجوز ان يكون مرادا على التفصيل والله اعلم بما اراد ومتى كان اللفظ مشتركا بين شيئين او ما زاد عليهما ودل الدليل على انه لا يجوز ان يريد الا وجها واحدا جاز ان يقال انه هو المراد ومتى قسمنا هذه الاقسام نكون قد قبلنا هذه الاخبار ولم نردها على وجه يوحش نقلتها والمتمسكين بها ولا منعنا بذلك من الكلام في تاويل الآي جملة ولا ينبغي لاحد ان ينظر في تفسير آية لا ينبئ ظاهرها عن المراد مفصلا او يقلد احدا من المفسرين الا ان يكون التاويل مجمعا عليه فيجب اتباعه لمكان الاجماع لان من المفسرين من حمدت

طرائقه ومدحت مذاهبه كابن عباس والحسن وقتادة ومجاهد وغيرهم ومنهم من ذمّت مذاهبه كابي صالح والسّدي
والكلبي وغيرهم هذا في الطّبقة الاولى واما المتأخرون فكل واحد منهم نصر مذهبه وتأوّل على ما يطابق اصله ولا
يجوز لاحد ان يقلّد احدا منهم بل ينبغي ان يرجع الى الادلّة الصّحيحة اما العقليّة او الشّرعيّة من اجماع عليه او نقل متواتر
به عمّن يجب اتباع قوله ولا يقبل في ذلك خبر واحد خاصّة اذا كان مما طريقه العلم ومتى ما كان التاويل يحتاج الى
شاهد من اللغة فلا يقبل من الشاهد الا ما كان معلوما بين اهل اللغة سائغا بينهم واما ما طريقه الاحاد من الآيات
الشاردة او الالفاظ النادرة فانه لا يقطع بذلك ولا يجعل شاهدا على كتاب الله وينبغي ان يتوقف فيه ويذكر
ما يحتمله ولا يقطع على المراد منه بعينه فانه متى قطع بالمراد كان مخطيا وان اصاب الحق كما روي عن النبي صلعم لانه
قال ذلك تخمينا وحدسا ولم يصدر ذلك عن حجة قاطعة وذلك باطل بالاتفاق واعلموا ان المعروف من مذهب
اصحابنا والشايع من اخبارهم ورواياتهم ان القران نزل بحرف واحد على نبي واحد غير انهم اجمعوا على جواز القراءة
بما يتداوله القراء وان الانسان مخيّر بايّ قراءة شاء قرأ وكرهوا تجريد قراءة بعينها بل اجازوا القراءة بالمجاز
الذي يجوز بين القراء ولم يبلغوا بذلك حد التحريم والحظر وروى المخالفون لنا عن النبي صلعم انه قال نزل القرآن
على سبعة احرف كلها شاف كاف وفي بعضها على سبعة ابواب وكثرت في ذلك رواياتهم ولا معنى للتشاغل بايرادها
واختلفوا في تاويل الخبر فاختار قوم ان معناه على سبعة معان امر ونهي ووعد ووعيد وجدل وقصص وامثال
وروى ابن مسعود عن النبي صلعم انه قال نزل القرآن على سبعة احرف زجر وامر وحلال وحرام ومحكم ومتشابه و
امثال وروى ابو قلابة عن النبي صلعم انه قال نزل القرآن على سبعة احرف امر وزجر وترغيب وترهيب وجدل وقصص
وامثال وقال آخرون نزل القرآن على سبعة احرف اي سبع لغات مختلفة مما لا يغيّر حكما في تحليل وتحريم مثل هلمّ وتعال
من لغات مختلفة ومعانيها مؤتلفة وكانوا مخيّرين في اول الاسلام في ان يقرؤا بما شاؤا منها ثم اجمعوا على حدها
فصار ما اجمعوا عليه مانعا مما اعرضوا عنه وقال آخرون نزل على سبع لغات من اللغات الفصيحة لان القبائل
بعضها افصح من بعض وهو الذي اختاره الطبري وقال بعضهم هي على سبعة اوجه من اللغات متفرقة في القرآن
لانه لا يوجد حرف قرئ على سبعة اوجه وقال بعضهم هي على وجه الاختلاف في القراءات سبعة اولها اختلاف اعراب
الكلمة او حركة بنائها فلا يزيلها عن صورتها في الكتاب ولا يغيّر معناها نحو قوله هؤلاء بناتي هنّ اطهر لكم بالرفع و
النصب وهل نجازي الا الكفور بالنصب والنون وهل يجازى الا الكفور بالياء والرفع وبالبخل والبخل برفع
الباء ونصبها وميسرة وميسرة بنصب السين ورفعها والثاني الاختلاف في اعراب الكلمة وحركات بنائها مما يغيّر
معناها ولا يزيلها عن صورتها في الكتاب مثل قوله ربّنا باعد بين اسفارنا على الخبر وربّنا باعد على الدعاء واذ
تلقّونه بالسنتكم بالتشديد وتلقونه بكسر اللام والتخفيف والوجه الثالث الاختلاف في حروف الكلمة دون
اعرابها مما يغيّر معناها ولا يزيل صورتها نحو قوله ثم كيف ننشزها بالزاء المعجمة وبالراء الغير المعجمة والرابع الاختلاف
في الكلمة مما يغيّر صورتها ولا يغيّر معناها نحو قوله ان كانت الا صيحة واحدة والا زقية وكالصوف المنفوش وكالعهن
المنفوش والخامس الاختلاف في الكلمة مما يزيل صورتها ومعناها نحو وطلح منضود وطلع السادس الاختلاف
بالتقديم والتاخير نحو قوله وجائت سكرة الموت بالحق وجائت سكرة الحق بالموت السابع الاختلاف بالزيادة و
النقصان نحو قوله وما عملت ايديهم وما عملته باسقاط الهاء واثباتها ونحو قوله فان الله هو الغني الحميد و
ان الله الغني الحميد في سورة الحديد وهذا الخبر عندنا وان كان خبرا واحدا لا يجب العمل به فالوجه الاخير اصلح
الوجوه على ما روي عنهم عليهم السلام من جواز القراءة بما اختلف القراء فيه واما القول الاول فهو على ما تضمنه
لان تاويل القرآن لا يخرج عن احد الاقسام السبعة اما امر او نهي او وعد او وعيد او خبر او قصص او مثل وهو الذي
ذكره اصحابنا في اقسام تفسير القرآن فاما ما روي عن النبي صلعم انه قال ما نزل من القرآن من آية الا ولها ظهر وبطن وقد
رواه ايضا اصحابنا عن الائمة عم فانه يحتمل ذلك وجوها احدها ما روي في اخبارنا عن الصادقين عليهما السلام وحكي
ذلك عن ابي عبيدة ان المراد بذلك القصص باخبار هلاك الاولين وباطنها عظة للآخرين والثاني ما حكي عن ابن مسعود
انه قال ما من آية الا وقد عمل بها قوم ولها قوم يعملون بها والثالث معناها ان ظاهرها لفظها وباطنها تاويلها

خ ل: من الروايات

اصلح: ان الاحرف فيه محمول على المعاني والاحكام التي تضمنها القرآن دون الالفاظ وكلماته التي اختلفت القراءات فيها

ذكره

ذكره الطبري واختاره البلخي والرابع ما قاله الحسن البصري انك اذا فتّشت عن باطنها وقسته على ظاهرها وقفت
على معناها وجميع اقسام القرآن لا يخلو من ستة محكم ومتشابه وناسخ ومنسوخ وخاص وعام فالمحكم ما انبأ
لفظه عن معناه من غير اعتبار امر ينضم اليه سواء كان اللفظ لغويا او عرفيا ولا يحتاج الى ضروب من التاويل
وذلك نحو قوله لا يكلّف الله نفسا الا وسعها وقوله ولا تقتلوا النفس التي حرّم الله وقوله قل هو الله احد و
قوله لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد وقوله وما ربك بظلام للعبيد وقوله وما خلقت الجن والانس الا
ليعبدون ونظاير ذلك والمتشابه ما كان المراد به لا يعرف بظاهره بل يحتاج الى دليل وذلك ما كان محتملا لامور
كثيرة او امرين ولا يجوز ان يكون الجميع مرادا فانه من باب المتشابه وانما سمي متشابها لاشتباه المراد منه بما ليس
بمراد وذلك نحو قوله يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله وقوله والسماء مطويات بيمينه وقوله تجري باعيننا
وقوله يضل من يشاء وقوله فاصمّهم واعمى ابصارهم وطبع على قلوبهم ونظاير ذلك من الآي التي المراد منها
غير ظاهرها فان قيل هلا كان القرآن كله محكما يستغنى بظاهره عن تكلف ما يدل على المراد منه حتى دخل على كثير
من المخالفين للحق شبهة فيه وتمسكوا بظاهره على ما يعتقدونه من الباطل اتقولون ان ذلك لم يكن مقدورا
له تعالى فهذا هو القول بتعجيزه او تقولون هو مقدور له ولم يفعل ذلك فلم لم يفعله قيل الجواب عن ذلك من
وجهين احدهما ان خطاب الله تع مع ما فيه من الفوايد المصلحة معتبرة في الفاظه فلا يمتنع ان تكون المصلحة التي
تعلّقت بان يستعمل الالفاظ المحتملة ويجعل الطريق الى معرفة المراد به ضربا من الاستدلال ولهذه العلة طال
في موضع واسهب واختصر في آخر واوجز واقتصر في ذكر قصة في موضع واعادها في موضع آخر واختلف ايضا
مقادير الفصاحة فيه وتفاضلت مواضع منه بعضه على بعض والجواب الثاني ان الله تع انما خلق عباده تعريضا
لثوابه وكلفهم لينالوا اعلى المراتب واشرفها ولو كان القرآن كله محكما لا يحتمل التاويل ولا يمكن فيه الاختلاف لسقطت
المحنة وبطل التفاضل وتساوت المنازل ولم يتبين منزلة العلماء من غيرهم وانزل الله القرآن بعضه متشابها ليعمل
اهل العقل افكارهم ويتوصلوا بتكلف المشاق والنظر والاستدلال الى فهم المراد فيستحقوا به عظيم المنزلة
وعالي الرتبة فان قيل كيف تقولون ان القرآن فيه محكم ومتشابه وقد وصفه الله تع بانه اجمع محكم ووصفه في
مواضع اخر بانه متشابه وذكر في موضع آخر ان بعضه محكم وبعضه متشابه كما زعمتم وذلك نحو قوله الر كتاب
احكمت آياته وقال في موضع آخر الله نزّل احسن الحديث كتابا متشابها وقال في موضع آخر وهو الذي انزل عليك
الكتاب منه آيات محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات وهل هذا الا ظاهر التناقض قلنا لا تناقض في ذلك لانه
وصفه بانه محكم كله المراد به انه بحيث لا يتطرق عليه الفساد والتناقض والاختلاف والتباين والتعارض بل كل شيء
منه الا وهو في غاية الاحكام اما بظاهره او بدليله على وجه لا مجال للطاعنين عليه ووصفه بانه متشابه انه
يشبه بعضه بعضا في باب الاحكام الذي اشرنا اليه وانه لا خلل فيه ولا تباين ولا تضاد ولا تناقض ووصفه بان
بعضه محكم وبعضه متشابه ما اشرنا اليه من ان بعضه ما يفهم المراد بظاهره فيسمّى محكما ومنه ما يشتبه المراد
منه بغيره وان كان على المراد والحق منه دليل فلا تناقض في ذلك بحال واما الناسخ فهو كل دليل شرعي يدل
على زوال مثل الحكم الثابت بالنص الاول في المستقبل على وجه لولاه لكان ثابتا بالنص الاول مع تراخيه عنه اعتبرنا
دليل الشرع لان دليل العقل اذا دل على زوال مثل الحكم الثابت بالنص الاول لا يسمى نسخا الا ترى ان المكلف للعبادات
اذا عجز او زال عقله زالت عنه العبادة بحكم العقل ولا يسمى ذلك الدليل ناسخا واعتبرنا مثل زوال الحكم ولم نعتبر
الحكم نفسه لانه لا يجوز ان ينسخ نفس ما امر به لان ذلك يؤدي الى البداء وانما اعتبرنا ان يكون الحكم ثابتا بنص
شرعي لان ما ثبت بالعقل اذا ازاله الشرع لا يسمى بانه نسخ حكم العقل الا ترى ان الصلوة والطواف لولا الشرع
لكان قبيحا فعله في العقل واذا ورد الشرع بهما لا يقال نسخ حكم العقل واعتبرنا مع تراخيه عنه لان ما يقترن به لا يسمى
نسخا وربما يكون تخصيصا ان كان اللفظ عاما او مقيدا ان كان اللفظ خاصا الا ترى انه لو قال اقتلوا المشركين
الا اليهود لم يكن قوله الا اليهود نسخا لقوله اقتلوا المشركين وكذا لو قال فسيحوا في الارض اربعة اشهر فهذه
الغاية لا يقال لما بعدها نسخ وكذا لما قال في آية الزنا فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة لا يقال لما زاد عليه منسوخ

والسّموات

موضع آخر

لانه

لانّه مقيّد فى اللفظ والنسخ يصحّ دخوله فى الامر والنهى بلا خلاف والخبران تناول ما يصحّ تغييره عن صفته جاز دخول النسخ فيه لانّه فى معنى الامر الا ترى انّ قوله ولله على الناس حجّ البيت خبر وقوله والمطلّقات يتربّصن بانفسهنّ ايضا خبر وكذلك قوله ومن دخله كان امنا خبر ومع ذلك يصحّ دخول النسخ فيه فامّا ما لا يصحّ تغييره عن صفته فلا يصحّ دخول النسخ فيه نحو الاخبار عن صفات الله تع وصفات الاجناس لمّا لم يصحّ عليه التغيير لم يصحّ فيه النسخ غير انّ العبارة بالاخبار عنه بانّه قادر عالم سميع بصير يصحّ دخول النسخ فيه لانّه يمتنع دخول النسخ فى الاخبار وان كان المخبر به لا يصحّ تغييره فى نفسه ولا يخلو النسخ فى القران من اقسام ثلاثة احدها نسخ حكمه دون لفظه كاية العدّة فى المتوفّى عنها زوجها المتضمّنة للسنة فانّ الحكم منسوخ والتلاوة باقية وكاية النجوى واية وجوب ثبات الواحد للعشرة فانّ الحكم مرتفع والتلاوة باقية وهذا يبطل قول من منع جواز النسخ فى القران لانّ الموجود بخلافه والثانى ما نسخ لفظه دون حكمه كاية الرجم فانّ وجوب الرجم على المحصنة لا خلاف فيه والاية التى كانت متضمّنة له منسوخة بلا خلاف وهى قوله والشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتّة فانّهما قضيا الشهوة جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم الثالث ما نسخ لفظه وحكمه وذلك نحو ما رواه المخالفون عن عائشة انّه كان فيما انزل الله انّ عشر رضعات يحرّمن ونسخ ذلك بخمس عشرة فنسخت التلاوة والحكم وامّا الكلام فى شرائط النسخ وما يصحّ منها وما لا يصحّ وما يصحّ ان ينسخ به القران وما لا يصحّ ان ينسخ به فقد ذكرناه فى كتاب العدّة فى اصول الفقه لا يليق ذلك بهذا المكان وحكى البلخى فى كتاب التفسير فقال قال قوم ليسوا ممّن يعتبرون ولكنّهم من الامّة على حال انّ الائمّة المنصوص عليهم بزعمهم مفوّض اليهم نسخ القران وتبديله وتجاوز بعضهم حتّى خرج من الدين بقوله انّ النسخ قد يجوز على وجه البداء وهو ان يامر الله عزّ وجلّ عندهم بالشئ ولا يبدو له ثمّ يبدو له فيغيّره ولا يريد فى وقت امره به ان يغيّره هو ويبدّله وينسخه لانّه عندهم لا يعلم الشئ حتّى يكون الّا ما يقدّره فيعلمه علم تقدير وتخرّقوا فزعموا انّ ما نزل بالمدينة ناسخ لما نزل بمكّة واظنّ انّه عنى بهذا اصحابنا الاماميّة لانّه ليس فى الامّة من يقول بالنصّ على الائمّة ع سواهم فان كان عناهم فجميع ما حكاه عنهم باطل وكذب عليهم لانّهم لا يجيزون النسخ على احد من الائمّة ع ولا احد منهم يقول بحدوث العلم وانّما يحكى عن بعض من تقدّم من شيوخ المعتزلة كالنظّام والجاحظ وغيرهما وذلك باطل وكذلك لا يقولون انّ المتاخّر ينسخ المتقدّم الّا بالشرط الذى يقوله جميع من اجاز النسخ وهو ان يكون بينهما تضادّ وتناف لا يمكن الجمع بينهما وامّا على خلاف ذلك فلا يقوله محصّل منهم والوجه فى تكرير القصّة بعد القصّة فى القران انّ رسول الله صلعم كان يبعث الى القبائل المتفرّقة بالسور المختلفة فلو لم تكن الانباء والقصص مكرّرة لوقعت قصّة موسى الى قوم وقصّة عيسى الى قوم وقصّة نوح الى قوم اخرين فاراد الله بلطفه ورحمته ان يشهر هذه القصص فى اطراف الارض ويلقيها فى كلّ سمع ويثبتها فى كلّ قلب ويزيد الحاضرين فى الافهام وتكرار الكلام من جنس واحد وبعضه يجرى على بعض كتكراره فى قل يا ايّها الكافرون وسورة المرسلات والرحمن فالوجه فيه انّ القران نزل بلسان القوم ومذهبهم فى التكرار ارادة للتوكيد وزيادة فى الافهام معروف كما انّ من مذهبهم الايجاز والاختصار ارادة للتخفيف وذلك لانّ افتنان المتكلّم والخطيب فى الفنون وخروجه من شئ الى شئ احسن من اقتصاره فى المقام على فنّ واحد وقد يقول القائل والله لا افعله ثمّ والله لا افعله اذا اراد التوكيد كما يقول افعله بحذف لا اذا اراد الايجاز قال الله تع كلّا سوف تعلمون ثمّ كلّا سوف تعلمون وقال فانّ مع العسر يسرا انّ مع العسر يسرا وقال الله تعالى اولى لك فاولى ثمّ اولى لك فاولى وقال وما ادراك ما يوم الدين ثمّ ما ادراك ما يوم الدين كلّ هذا يراد به التوكيد وقد يقول القائل لغيره اعجل اعجل والرامى ارم ارم قال الشاعر كم نعمة كانت لكم كم كم وكم

وقال اخر هلّا سالت جموع كندة يوم ولّوا اين اينا
وقال عوف بن الخرجج وكادت فزارة تصلى بنا فاولى فزار فاولى فزار

فامّا تكرار معنى واحد بلفظين مختلفين كقوله الرحمن الرحيم وقوله يعلم سرّهم ونجواهم والنجوى هو السرّ فالوجه فيه ايضا ما ذكرناه من انّ عادة القوم تكرير المعنى بلفظين مختلفين اتّساعا فى اللغة كقول الشاعر كذبا ومينا وهما بمعنى واحد وقول الاخر لمياء فى شفتيها حوّة لعس وفى اللثات وفى انيابها شنب

واللمى سواد فى الشفتين والحوّة واللعس كلاهما سواد فى الشفتين وكرّر لاختلاف اللفظ والشنب تحزّز فى الانياب كالمنشار وهو نعت لها ورحمن ورحيم سنبيّن القول فيهما فيما بعد وقوله فغشيهم ما غشيهم وقوله فغشيهم من اليمّ ما غشيهم وقوله ولا طائر يطير بجناحيه على ما قلناه من التوكيد كما يقول القائل كلّمته بلسانى ونظرت اليه بعينى ويقال بين زيد وبين عمرو وانّما البين واحد والمراد بين زيد وعمرو وقال الشاعر اوس بن الحجر الم تكسف الشمس شمس النهار مع النجم والقمر الواجب

والشمس لا يكون الّا بالنهار فاكّد ذكرنا هذه الجملة تنبيها عن الجواب عمّا لم نذكره ولعلّنا نستوفيه فيما بعد اذا جرى ما يقتضى ذكره ولولا عناد الملحدين وتخرّفهم لما احتيج الى الاحتجاج بالشعر وغيره للشئ المشتبه فى القران لانّ غاية ذلك ان يستشهد عليه ببيت شعر جاهلىّ ولفظ منقول عن بعض الاعراب ومثل شائع عن بعض البادية ولا يكون منزلة النبىّ صلعم وحاشاه من ذلك اقلّ من منزلة واحد من هؤلاء ولا ينقص عن رتبة النابغة الجعدى وزهير بن الكعب وغيرهم من طوائف الامور انّ المخالف اذا ورد عليه شعر من ذكرناه ومن هو دونهم سكنت نفسه واطمأنّ قلبه وهو لا يرضى بقول محمّد بن عبد الله بن عبد المطّلب ومهما شكّ الناس فى نبوّته فلا مرية فى نسبه وفصاحته فانّه نشأ بين قومه الذين هم الغاية القصوى فى الفصاحة ويرجع اليهم فى معرفة اللغة ولو كان المشركون من قريش وغيرهم وجدوا متعلّقا عليه فى اللحن والغلط والمناقضة لتعلّقوا به وجعلوه حجّة وذريعة الى اطفاء نوره وابطال امره واستغنوا بذلك عن تكلّف ما تكلّفوه من المشاقّ فى بذل النفوس والاموال ولو فعلوا ذلك لظهر واشتهر ولكن حبّا لالحاد والاستثقال لتحمّل العبادات والميل الى الفواحش اعماهم واصمّهم فلا يمتنع احد من الملحدين وان جحد نبوّته صلعم انّه اتى بهذا القران وجعله حجّة لنفسه وقرأه على العرب وقد علمنا انّه ليس بادون الجماعة فى الفصاحة وكيف يجوز ان يحتجّ بشعر الشعراء عليه ولا يجوز ان يحتجّ بقوله عليهم وهل هذا الّا عناد محض وعصبيّة صرف وانّما يحتجّ علماء الموحّدين بشعر الشعراء وكلام البلغاء اتّساعا فى العلم وقطعا للشغب وازاحة للعلّة والافكار بحيث لا يلتفت الى جميع ما يطعن عليه لانّهم ليسوا بان يجعلوا عيارا عليه باولى من ان يجعل هو عليه السلم عيارا عليهم وروى عن ابن مسعود انّه قال كان الرجل منّا اذا تعلّم عشر ايات لم يجاوزهنّ حتّى يعرف معانيهنّ والعمل بهنّ وروى انّه استعمل على ع عبد الله بن العبّاس على الحجّ فخطب خطبة لو سمعها الترك والروم لاسلموا ثمّ قرأ عليهم سورة النور وروى سورة البقرة ففسّرها فقال رجل لو سمعت هذا الديلم لاسلمت ويروى عن سعيد بن الجبير انّه من قرأ القران ثمّ لم يفسّره كان كالاعجمىّ والاعرابىّ

فصل فى ذكر اسامى القران وتسمية السور والايات

سمّى الله تعالى القران باربعة اسماء سمّاه قرانا فى قوله تع انّا جعلناه قرانا عربيّا وفى قوله شهر رمضان الذى انزل فيه القران وغير ذلك من الاى وسمّاه فرقانا فى قوله تبارك الذى نزّل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا وسمّاه الكتاب فى قوله الحمد لله الذى انزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيّما وسمّاه الذكر فى قوله انّا نحن نزّلنا الذكر وانّا له لحافظون وتسميته بالقران يحتمل امرين احدهما ما روى عن ابن عبّاس انّه قال هو مصدر قرأت قرانا اى تلوته مثل غفرت غفرانا وكفرت كفرانا والثانى ما حكى عن قتادة انّه قال هو مصدر قرءت الشئ اذا جمعت بعضه الى بعض قال عمرو بن كلثوم ذراعى عيطل ادماء بكر هجان اللون لم تقرأ جنينا اى لم تضمّ جنينا فى رحمها وقال قطرب فى معناه قولان احدهما هذا وعليه اكثر المفسّرين والقول الاخر معناه لفظت به مجموعا وقال معنى البيت ايضا اى لم تلقه مجموعا وتفسير ابن عبّاس اولى لانّ قوله انّ علينا جمعه وقرانه فاذا قرأناه فاتّبع قرانه والوجه المختار ان يكون المراد واذا تلوناه عليك وبيّناه لك فاتّبع تلاوته ولو حملناه على الجمع على ما قال قتادة لكان يجب الّا يلزم اتّباع اية اية من القران النازلة فى كلّ وقت وكان يقف وجوب الاتّباع على حين الجمع لانّه علّق بذلك على هذا القول لانّه قال فاذا قرأناه فاتّبع قرانه يعنى جمعناه على ما قالوه فاتّبع قرانه وكان يقف وجوب الاتّباع على تكامل الجميع وذلك خلاف الاجماع فالاوّل اولى فان قيل كيف يسمّى القران قرانا وانّما هو متفرّق قلنا سمّى بذلك كما يسمّى المكتوب كتابا بمعنى كتاب الكاتب قال الشاعر فى صفة طلاق كتبه لامرأته

تؤمّل رجعة منّى وفيها كتاب مثل ما لصق الغراء

يعني طلاقا مكتوبا وتسميته بانه فرقان لانه يفرق بين الحق والباطل والفرقان هو الفرق بين الشيئين وانما يقع الفرق بين الحق والباطل بادلته الدالة على صحة الحق وبطلان الباطل وتسميته بالكتاب لانه مصدر من قولك كتبت كتابا كما تقول قمت قياما وسمي كتابا وانما هو مكتوب كما قال الشاعر في البيت المتقدم والكتابة من الجمع في قولهم كتبت السقاء اذا جمعته بالخرز قال الشاعر لا تأمنن فزاريا خلوت به على قلوصك فاكتبها باسيار والكتبة الخرزة وكلما ضممت بعضه الى بعض على وجه التقارب فقد كتبته والكتيبة من الجيش من هذا لانضمام بعضها الى بعض وتسميته بالذكر يحتمل امرين احدهما انه ذكر من الله تعالى ذكر به عباده فعرفهم فيه فرائضه وحدوده والاخر انه ذكر وشرف لمن امن به وصدق بما فيه كقوله وانه لذكر لك ولقومك

واما السورة بغير همز فهي منزلة من منازل الارتفاع ومن ذلك سور المدينة سمي بذلك الحائط الذي يحويها لارتفاعه عما يحويه غير ان سور المدينة لم يجمع سورا وسورة القران تجمع سورا وهذه الحق بتسمية سور القران سورة قال النابغة

الم تر ان الله اعطاك سورة ... ترى كل ملك دونها يتذبذب

يعني منزلة من منازل الشرف التي قصرت عنها الملوك واما من همز السورة من القران فانه اراد به القطعة التي انفصلت من القران وابقيت وسؤر كل شيء بقيته يقال اسأرت في الاناء اي ابقيت فيه قال الاعشى بن ثعلبة يصف امراة

فبانت وقد اسأرت في الفؤاد ... صدعا على نأيها مستطارا

وتسمية الاية بانها اية يحتمل وجهين احدهما لانها علامة يعرف بها تمام ما قبلها ومنه قوله تعالى انزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لاولنا واخرنا واية منك يعني علامة لاجابتك دعاءنا والاخر ان الاية القصة والرسالة قال كعب بن زهير

الا ابلغا هذا المعرض اية ... ايقظان قال القول اذ قال ام حلم

يعني رسالة فيكون معنى الايات القصص قصة تتلو قصة وروي في واثلة بن الاسقع ان النبي صلى الله عليه واله قال اعطيت مكان التورية السبع الطول واعطيت مكان الزبور المئين واعطيت مكان الانجيل المثاني وفضلت بالمفصل فالسبع الطول ١ البقرة ٢ ال عمران ٣ النساء ٤ المائدة ٥ الانعام ٦ الاعراف ٧ ويونس في قول سعيد بن جبير وروي مثل ذلك عن ابن عباس قال وسميت السبع الطوال لطولها على سائر القران واما المئون فهو كل سورة تكون مائة اية يزيد عليها شيئا يسيرا او ينقص عنها شيئا يسيرا واما المثاني فهي ما ثنت المئين فتلاها فكان المئون لها اوائل وكان المثاني لها ثوان وقيل انها سميت بذلك لتثنية الله فيها الامثال والحدود والفرائض وهو قول ابن عباس وقال قوم المثاني سورة الحمد لانها تثنى قراءتها في كل ركعة وبه قال الحسن البصري وهو المروي في اخبارنا قال الشاعر

حلفت بالسبع اللواتي طولت ... وبمئين بعدها قد امئيت
وبمثان ثنيت وكررت ... وبالطواسين التي قد ثلثت
وبالحواميم التي قد سبعت ... وبالمفصل اللواتي فصلت

وسميت المفصل مفصلا لكثرة الفصول بين سورها ببسم الله الرحمن الرحيم وسمي المفصل محكما لما قيل انها لم تنسخ وقال اكثر اهل العلم اول المفصل من سورة محمد صلى الله عليه واله الى سورة الناس وقال اخرون من ق الى الناس وقالت فرقة ثالثة وهو المحكي عن ابن عباس انه من سورة الضحى الى الناس وكان يفصل من الضحى بين كل سورتين بالتكبير وهو قراءة ابن كثير وان قيل ما وجه الحكمة في تفصيل القران على السور قيل فيه وجوه من الصواب احدها ان القارئ اذا خرج من فن الى فن كان احلى في نفسه واشهى لقراءته ومنها ان تجعل الشيء مع شكله وما هو اولى به هو الترتيب الذي يعمل عليه ومنها ان الانسان قد يضعف عن حفظ الجميع فيحفظ منها سورة تامة ويقتصر عليها وقد يكون ذلك سببا يدعوه الى غيرها ومنها ان التفصيل بين اذا كان الاشكال مع الاختلاط والالتباس اكثر ومنها انه كلما ترقى اليه درجة درجة ومنزلة منزلة كانت القوة عليه اشد والوصول اليه اسهل وانما السورة منزلة يرتفع منها الى منزلة

سورة الفاتحة روي عن النبي صلى الله عليه واله وسلم انه سماها ام القران وفاتحة الكتاب والسبع المثاني فسميت فاتحة الكتاب لانه يفتتح بكتابتها المصاحف وبقراءتها في الصلوة فهي فاتحة لما يتلوها من سور القران في الكتابة والقراءة وسميت ام القران لتقدمها على سائر القران وتسمي العرب كل جامع امرا او متقدم لامر اذا كانت

نأيها

الطول جمع الطولى كالكبر جمع الكبرى

صلوة

امئيت

الانفال مع التوبة لانهما تدعيان القرينتين ولذلك لم يفصل بينهما بالبسملة

له توابع تتبعه اما فيقولون للجلدة التي تجمع الدماغ ام الرأس وتسمي لواء الجيش ورايتهم التي يجتمعون تحتها اما ومن ذلك قول ذي الرمة

واسمر قوام اذا نام صحبتي ... خفيف الثياب لا تواري له ازرا
على راسه ام لنا نقتدي بها ... جماع امور لا نعاصي له امرا

يصف راية معقودة على قناة يجتمع تحتها هو وصحبه وقيل مكة سميت ام القرى لتقدمها امام جميعها وجمعها ما سواها وقيل انما سميت بذلك لان الارض دحيت منها فصارت لجميعها اما ومن ذلك قول حميد بن ثور الهلالي

اذا كانت الخمسون امك لم يكن ... لدائك الا ان تموت طبيب

لان الخمسين جامعة ما دونها من العدد فسماها ام الذي بلغها وسميت السبع لانها سبع ايات بلا خلاف في جملتها وسميت مثاني لانها تثنى بها في كل صلوة فرض ونفل وقيل في كل ركعة وليس اذا سميت بانها مثان في منع ذلك تسمية غيرها بالمثاني من سور المئين على ما مضى القول فيه واتفق القراء على التلفظ باعوذ بالله من الشيطان الرجيم قبل التسمية ومعنى ذلك استجير بالله دون غيره لان الاستعاذة هي الاستجارة وقوله من الشيطان فالشيطان في اللغة كل متمرد من الجن والانس والدواب وكذلك قال الله تعالى وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن فجعل من الانس شياطين كما جعل من الجن وانما سمي المتمرد شيطانا لمفارقة اخلاقه وافعاله اخلاق جميع جنسه وبعده من الخير وقيل هو مشتق من قولهم شطنت داري من دارك اي بعدت ومنه قول نابغة بني ذبيان

نأت بسعاد عنك نوى شطون ... فبانت والفؤاد بها رهين

والشطون البعيد فيكون شيطانا على هذا فيعالا من شطن على وزن بيطار وغيداق قال امية بن ابي الصلت

ايما شاطن عصاه عكاه ... ثم يلقى في السجن والاكبال

ولو كان مشتقا من شاط لقال شائط ولما قال شاطن علم انه مشتق من شطن والشطن الحبل واما الرجيم فهو فعيل بمعنى مفعول كقولهم كف خضيب ولحية دهين ورجل لعين يراد مخضوبة ومدهونة وملعون ومعنى المرجوم المشتوم فكل مشتوم بقول ردي فهو مرجوم واصل الرجم الرمي بقول كان او بفعل ومنه قوله تعالى لئن لم تنته لارجمنك ويجوز ان يكون الشيطان رجيما لان الله طرده من سمائه ورجمه بالشهب الثاقبة

وسورة الحمد مكية في قول قتادة ومدنية في قول مجاهد وليس فيها ناسخ ولا منسوخ

بسم الله الرحمن الرحيم عندنا اية من الحمد ومن كل سورة بدلالة اثباتهم لها في المصاحف بالخط الذي كتب به المصحف مع تجنبهم اثبات الاعشار والاخماس كذلك والخلاف في ذلك ذكرناه في خلاف الفقهاء ولا خلاف انها بعض اية في سورة النمل فاما القراء فترك الفصل بين السور بالتسمية حمزة وخلف ويعقوب واليزيدي الا القرطي عن سجادة ابن اللبان عن مدين والمعدل الا السوسي من طريق ابن حبش والباقون يفصلون بالتسمية الا بين الانفال والتوبة وعندنا ان من تركها في الصلوة بطلت صلوته لان الصلوة عندنا لا تصح الا بفاتحة الكتاب وهي من تمامها سواء كانت الصلوة فرضا او نافلة وفيه خلاف ذكرناه في خلاف الفقهاء ومن قال انها ليست من القران قال ان الله ادب نبيه وعلمه تقديم ذكر اسم الله امام جميع افعاله واقواله ليقتدي به جميع الخلق في صدور رسائلهم وامام حوائجهم قالوا والدليل على انها ليست من القران انها لو كانت من نفس الحمد لوجب ان يكون قبلها مثلها لتكون احديهما افتتاحا للسورة حسب الواجب في سائر السور والاخرى اول اية منها وهذا عندنا ليس بصحيح لانا قد بينا انها اية من كل سورة ومع هذا لم يتقدمها غيرها على انها لا يمتنع ان تكون من نفس التلاوة وان تعبدنا باستعمالها في استفتاح جميع اموره ومن قال ان قوله الرحمن الرحيم بعد قوله الحمد لله رب العالمين يدل على ان التي افتتح بها ليست من الحمد والا كان يكون ذلك تكرارا بلا فصل شيء من الايات قبل ذلك وليس بموجود في شيء من القران فقوله باطل لانه قد حصل الفصل بقوله الحمد لله رب العالمين وقد ورد مثله في قل يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون ولا انتم عابدون ما اعبد ولا انا عابد ما عبدتم ولا انتم عابدون ما اعبد لكم دينكم ولي دين وكرر ايتين بلفظ واحد فصل بينهما باية واحدة وقد ذكرنا الادلة على صحة ما ذهبنا اليه في خلاف الفقهاء ومن جعلها اية جعل من قوله صراط الذين انعمت عليهم الى اخرها اية ومن لم يجعلها كذلك جعل صراط الذين انعمت عليهم اية وعندنا

بسعاد ج حزين ق

انه يجب الجهر بها فيما يجهر فيه بالقراءة ويستحب الجهر بها فيما لا يجهر فيه وقوله تعالى بسم الله يقتضي فعلا يتعلق به الباء ويجوز ان يكون ذلك الفعل قوله ابدؤا واقرؤا بسم الله او يشبههما او قولوا بسم الله ولم يذكر لدلالة الكلام عليه وحذفت الالف في اللفظ لان الف الوصل تسقط في الدرج وحذفت ههنا وحدها في الخط لكثرة الاستعمال ولا تحذف في قوله تعالى اقرأ باسم ربك وقوله فسبح باسم ربك وما اشبه ذلك لقلة استعمالها هناك وذكر ابو عبيدة ان اسم صلة والمراد هو الله الرحمن الرحيم واعتقد قوم لاجل ذلك ان الاسم هو المسمى واستدلوا بقول لبيد

الى الحول ثم اسم السلام عليكما ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر

قال ومعناه السلام عليكما فاسم السلام هو السلام وهذا خطاء عظيم ذكرناه في شرح الجمل في الاصول ومعنى قول الشاعر ثم اسم السلام انه اراد به اسم الله تعالى لان السلام من اسماء الله في قوله السلام المؤمن المهيمن وهذا كما قال عم لا تسبوا الدهر فان الله هو الدهر اي ان الله هو الفاعل لما يضيفونه الى الدهر ويسبونه لاجله ونظير ذلك ايضا قول القائل اذا سمع غيره يشتم زيدا وهو يريد عمروا زيد في هذا المكان هو عمرو اي هو المراد بالشتم دون زيد ويحتمل ان يكون اراد اسم الله عليكما اي الزماه وانما رفع لانه اخر عليكما كما قال الشاعر يا ايها المائح دلوي دونكا اني رايت الناس يحمدونكا

والمراد دونك دلوي فكيف يكون الاسم هو المسمى وقد يعرف الاسم من لا يعرف المسمى والاسم يكون مدركا وان لم يدرك المسمى والاسم يكتب في مواضع كثيرة والمسمى لا يكون الا في موضع واحد ولو كان الاسم هو المسمى لكان اذا قال القائل نار احترق لسانه واذا قال عسل وجد الحلاوة في فمه وذلك تجاهل ومن قال انه ذلك تسمية وليس ذلك باسم قوله باطل لان القائل لو قال اكلت اسم العسل لكان جاهلا وقال قوم ان اسم ليس بصلة والمراد ابتدئ بتسمية الله فوضع الاسم موضع المصدر ويكون موضع باسم نصبا ولولا ان العرب تجري المصادر المبهمة على اسماء مختلفة كقولهم اكرمت فلانا كرامة واهنت فلانا هوانا وكلمته كلاما وكان يجب ان يكون اكرمته اكراما واهنته اهانة وكلمته تكليما ومنه قول الشاعر

اكفرا بعد رد الموت عني وبعد عطائك المائة الرتاعا

وقال اخر فان كان هذا البخل منك سجية لقد كنت في طولي رجاءك اشعبا

اراد في اطالتي رجاءك فيكون على هذا تقدير الكلام اقرأ مبتدئا بتسمية الله وابتدأ قراءتي باسم الله فجعل الاسم مكان التسمية وهذا اولى لان المأمور ان يفتتح العباد امورهم بتسمية الله لا بالخبر عن عظمته وصفاته كما امروا بالتسمية على الذبائح والصيد والاكل والشرب وكذلك امروا بالتسمية عند افتتاح تلاوة تنزيل الله تعالى وإخلاء ان القائل لو قال عند الذباحة بالله ولم يقل باسم الله لكان مخالفا للمأمور والاسم مشتق من السمو وهو الرفعة والاصل فيه سمو بالواو وجمعه اسماء مثل قنو واقناء وحنو واحناء واذا صغرته قلت سمي قال الراجز باسم الذي في كل سورة سمه والسمة ايضا ذكره ابو زيد وغيره وقيل انه مشتق من وسمت وذلك غلط لان ما حذفت واو الفعل منه لا يدخله الف الوصل نحو عدة ووعد وزنة ووزن لما حذفت الفاء لم تدخل عليه الالف وايضا كان يجب اذا صغر ان يرد الواو فيقال وسيم كما يقال وعيدة ووزينة ووصيلة في تصغير عدة وزنة وصلة والامر بخلافه فذو حكي عن ابن كيسان انه قال انه لقب فلذلك يبدأ به واتبع بالرحمن لانه يختص به ثم بالرحيم لانه يشاركه فيه غيره والصحيح انه ليس بلقب لان اللقب انما يجوز على من يجوز عليه الغيبة والحضور وهما لا يجوزان عليه ولانه يمكن وصفه بصفة لا يشاركه فيها غيره ولا معنى للقب لانه عيب والصحيح انه اسم مقيد لكنه لا يطلق الا عليه تعالى وقيل في معناه قولان احدهما ان اصله لاه كما قال الشاعر كحلفة من ابي رياح يسمعها لاهه الكبار

فادخل عليه الالف واللام والثاني ان اصله الاله فادخلت عليه الالف واللام ثم خففت الهمزة وادغمت احدى اللامين في الاخرى فقيل الله والاله معناه انه يحق له العبادة وانما يحق له العبادة لانه قادر على خلق الاجسام واحيائها والانعام عليها بما يستحق به العبادة ولذلك يوصف فيما لم يزل بانه اله ولا يجوز ان يكون الها للاعراض ولا للجوهر لاستحالة ان ينعم عليها بما يستحق به العبادة وهو اله الاجسام حيوانها وجمادها لانه قادر على ان ينعم

بهء

الله اسم لا يطلق الا عليه سبحانه وتعالى

رباح

على كل جسم بما معه يستحق العبادة وليس الاله من يستحق العبادة لانه لو كان كذلك لما وصف فيما لم يزل بانه اله لانه لم يفعل الانعام الذي يستحق به العبادة ومن قال انه اله للجماد فقد اخطأ لما قلناه من انه عبادة عمن يستحق العبادة وهو انه قادر على اصول النعم التي يستحق بها العبادة دون ان يكون عبادة عمن يستحق العبادة ولا يجوز ان يوصف بهذه الصفة غير الله في الناس من قال انه مشتق من الوله لان الخلق يولهون اليه اي يفزعون اليه في امورهم فقيل للمألوه اله كما قيل للمؤتم امام وقال بعضهم انه مشتق من الولهان وهذا غلط لان الولهان الهيمان وذلك لا يجوز في صفات الله تعالى على ان التصريف بلزوم الهمزة يشهد بفساد على ما قاله اخرون وقال قوم هو مشتق من الالوهية التي هي العبادة يقال فلان متأله اي متعبد قال رؤبة لله در الغانيات المده لما رأين حلبي المموه سبحن واسترجعن من تألهي

اي من تعبدي وقرأ ابن عباس ويذرك والهتك يعني عبادتك ويقال اله الله فلان الاهة كما يقال عبده عبادة وقيل انه مشتق من الارتفاع يقول العرب للشيء المرتفع لاه يقولون طلعت لاهة اي الشمس وغربت ايضا وقيل وصف به تعالى لانه لا تدركه الابصار ومعنى لاه اي احتجب عنا قال الشاعر

لاه ربي عن الخلائق طرا خالق الخلق لا يرى ويرانا

وقيل سمي الله لانه يوله قلوب العباد بحبه الرحمن الرحيم هما اسمان مشتقان من الرحمة وهي النعمة التي يستحق بها العبادة وهما موضوعان للمبالغة وفي رحمان خاصة مبالغة يختص الله بها وقيل ان تلك المزية من حيث فعل النعم التي يستحق بها العبادة لا يشارك في هذا المعنى سواه والاصل في باب فعل يفعل وفعل يفعل ان يكون اسم الفاعل منه فاعلا فان ارادوا المبالغة حملوا على فعلان وفعيل كما قالوا غضب فهو غضبان وسكر فهو سكران اذا امتلأ غضبا وسكرا وكذلك قالوا رحم فهو رحمان وخصوه به تعالى لما قلناه وكذلك قالوا علم فهو عليم ورحم فهو رحيم وعلى هذا الوجه لا يكونان للتكرار كقولهم ندمان ونديم بل الزيادة فيه حاصلة والاختصاص فيه بين وقيل في معنى الرحيم لا يكلف عباده جميع ما يطيقونه فان الملك لا يوصف بانه رحيم اذا كلف عبيده جميع ما يطيقونه ذكره ابو الليث وانما قدم الرحمن على الرحيم لان وصفه بالرحمن بمنزلة الاسم العلم من حيث لا يوصف به الا الله تعالى فصار بذلك كاسم العلم في انه يجب تقديمه على صفته وورد الاثر بذلك روى ابو سعيد الخدري عن النبي صلى ان عيسى بن مريم قال الرحمن رحمن الدنيا والرحيم رحيم الاخرة وروي عن بعض التابعين انه قال الرحمن بجميع الخلق والرحيم بالمؤمنين خاصة ووجه عموم الرحمن بجميع الخلق هو انشاؤه اياهم وجعلهم احياء قادرين وخلقه فيهم الشهوات وتمكينهم من المشتهيات وتعريضهم بالتكليف لعظيم الثواب ووجه خصوص الرحيم بالمؤمنين ما فعل الله تعالى بهم في الدنيا من الالطاف التي لم يفعلها بالكفار وما يفعله بهم في الاخرة من عظيم الثواب فهذا وجه الاختصاص وحكي عن عطاء انه قال الرحمن كان يختص الله تعالى به فلما تسمى مسيلمة بذلك صار الرحمن الرحيم مختصين به تعالى ولا يجتمعان لاحد وهذا الذي ذكره ليس بصحيح لان تسمي مسيلمة بذلك لا يخرج الاسم من ان يكون مختصا به تعالى لان المراد به الاستحقاق لهذه الصفة وذلك لا يثبت لاحد كما انهم سموا اصنامهم الهة ولم يخرج بذلك من ان يكون الاله صفة يختص بالوصف به وقال بعضهم ان لفظة الرحمن ليست عربية وانما هي ببعض اللغات كقوله تعالى قسطاس فانها بالرومية واستدل على ذلك بقوله تعالى قالوا وما الرحمن انسجد لما تأمرنا انكارا منهم لهذا الاسم حكي ذلك عن تغلب والصحيح انه معروف واشتقاقه من الرحمة على ما بيناه قال الشنفرى

الا ضربت تلك الفتاة هجينها الا ضرب الرحمن ربي يمينها

وقال سلامة بن جندل الطهوي

عجلتم علينا اذ عجلنا عليكم وما يشاء الرحمن يعقد ويطلق

وحكي عن ابي عبيدة انه قال رحمن ذو الرحمة ورحيم معناه انه راحم وكرر لضرب من التأكيد كما قالوا ندمان ونديم وانما قدم اسم الله لانه الاسم الذي يختص به من يحق له العبادة وذكر بعده الصفة ولاجل ذلك اعرب باعرابه وبدأ بالرحمن لما بينا ان فيه المبالغة وما روي عن ابن عباس من انهما اسمان رقيقان احدهما ارق من الاخر فالرحمن الرفيق والرحيم العطاف على عباده بالرزق محمول على انه يعود عليهم بالفضل بعد الفضل وبالنعمة بعد النعمة لانه

تعالى لا يوصف برقة القلب ودلت هذه الاية على التوحيد لان وصفه بالرحمن يقتضي مبالغة في الوصف بالرحمة على وجه يعم جميع الخلق وذلك لا يقدر عليها غير الله القادر لنفسه وذلك لا يكون الا واحدا ولان وصفه بالالهية يقتضي انه يحق له العبادة وذلك لا يكون الا للقادر للنفس وهي تدل على العدل لان وصفه بالرحمة التي وسعت كل شئ يتم كل محتاج الى الرحمة من مؤمن وكافر وطفل وبالغ من كل حي وذلك يبطل قول المجبرة الذين قالوا ليس لله على الكافر نعمة ولانها صفة مدح تنافي وصفه بانه يخلق الكفر في الكافر ثم يعذبه عليه لان هذا صفة ذم

الحمد لله رب العالمين اية اجمع القراء على ضم الدال من الحمد وكسر اللام الاولى من لله وكان يجوز ان يفتح الدال مع كسر اللام ويكسر الدال واللام لكن لم يقرأ به الا اهل البوادي ومن نصب فعلى المصدر ومن كسرهما اتبع كسرة الدال كسرة اللام ومن ضمهما اتبع ضم الدال بضمة اللام ونصب الدال لغة في قريش والحارث بن اسامة بن لوي وكسرها لغة في تميم وغطفان وضمها لغة في ربيعة توهموا انه حرف واحد مثل الحلم وقوله لله مخفوض بالاضافة ورب العالمين مخفوض كانه نعت ويجوز نصبه على الحال والنداء فمن قرأ بدوا العالمين مخفوض بالاضافة ونونها مفتوحة لانها نون الجمع فرقا بينها وبين نون التثنية وبعض قيس يحذف الالف التي قبل الهاء ويختلس الهاء ويشدده ويقصرها انشد بعضهم

الا لا بارك الله في سهيل … اذا ما بارك الله في الرجال

اختلس الاولى واشبع الثانية ولا يقرأ بهذا ومعنى الحمد لله الشكر لله خالصا دون سائر ما يعبد بما انعم على عباده من ضروب النعم الدينية والدنياوية وقال بعضهم الحمد لله ثناء عليه باسمائه وصفاته وقوله الشكر لله ثناء على نعمه واياديه والاول اصح في اللغة لان الحمد والشكر يوضع كل واحد منهما موضع صاحبه ويقال ايضا الحمد لله شكرا فنصب شكرا على المصدر ولو لم يكن في معناه لما نصبه ودخول الالف واللام فيه لفائدة الاستيعاب فكانه قال جميع الحمد لله لان التالي مخبر بذلك ولو نصبه فقال حمدا لله افاد ان القائل هو الحامد فحسب وليس ذلك المراد ولذلك اجتمعت القراء على ضم الدال على ما بيناه والتقدير قولوا الحمد لله واذا كان الحمد هو الشكر والشكر هو الاعتراف بالنعمة على ضرب من التعظيم فالمدح ليس من الشكر في شئ وانما هو القول المنبئ عن عظم حال الممدوح مع القصد اليه واما الرب فله معان في اللغة فيسمى السيد المطاع ربا قال لبيد بن ربيعة

فاهلكن يوما رب كندة وابنه … ورب معد بين خبت وعرعر

يعني سيد كندة ومنه قوله تعالى اما احدكما فيسقي ربه خمرا يعني سيده ويسمى الرجل المصلح ربا قال الفرزدق بن غالب

كانوا كسالئة حمقاء اذ حقنت … سلائها في اديم غير مربوب

يعني غير مصلح ومنه قيل فلان رب ضيعة اذا كان يحاول اتمامها والربانيون من هذا من حيث كانوا مدبرين لهم واشتق رب من التربية يقال ربيته وربيته بمعنى واحد والربيبة الشاة ولدت حديثا لانها تربي وقوله رب العالمين اي المالك لتدبيرهم والمالك للشئ يسمى ربه ولا يطلق هذا الاسم الا على الله واما في غيره فيقيد فيقال رب الدار ورب الضيعة وقيل انه مشتق من التربية ومنه قوله تعالى وربائبكم اللاتي في حجوركم ومتى قيل في الله انه رب بمعنى انه سيد فهو من صفات ذاته واذا قيل بمعنى انه مدبر مصلح فهو من صفات الافعال والعالمين جمع عالم وعالم جمع لا واحد له من لفظه كالرهط والجيش وغير ذلك والعالم في عرف اللغة عبارة عن الجماعة من العقلاء لانهم يقولون جاءني عالم من الناس ولا يقولون جاءني عالم من البقر وفي عرف الناس عبارة عن جميع المخلوقات وقيل انه ايضا اسم لكل صنف من الاصناف واهل كل زمن من كل صنف يسمى عالما ولذلك جمع وقيل عالمون لعالم كل زمان قال العجاج

فخندف هامة هذا العالم

وهذا قول اكثر المفسرين كابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة وغيرهم واشتقاقه من العلامة لانه علامة ودلالة على الصانع تعالى وقيل انه مشتق من العلم على ما روى ابن عباس قال هم صنف من الملائكة والانس والجن لانه يصح ان يكون كل صنف منهم عالما فان قيل كيف يجوز ان يقول الحمد لله والقائل هو الله تعالى وان كان يجب ان يقول الحمد لنا قيل العالي الرتبة اذا خاطب من دونه لا يقول كما يقول النظير الا ترى ان السيد يقول لعبده الواجب ان تطيع سيدك ولا تعصيه وكذلك يقول الاب لابنه يلزمك ان تبر اباك والمنة لابيك والخلفاء يكتبون عن انفسهم ان امير المؤمنين راى كيت وكيت ليقع ذلك موقع اجلال واكرام واعظام على

انا قد بينا ان المراد بذلك قولوا الحمد لله وحذف لدلالة الكلام عليه الرحمن الرحيم اية مخفوضان لانهما نعت لله وقد مضى معناهما قوله مالك يوم الدين اية قرأ عاصم والكسائي وخلف ويعقوب مالك بالالف الباقون ملك بغير الف ولم يمل احد الف مالك وكسر جميعهم الكاف وروى عن الاعمش انه فتحها على النداء وربيعة بن نزار يخففون ملك ويسقطون الالف فيقولون ملك بتسكين اللام وفتح الميم كما قال ابو النجم

تمشي الملك عليه حلله

والالف ساقط في الخط في القراءتين والمعول على الاولتين دون النصب واسكان اللام ومعنى ملك يوم الدين باسقاط الالف انه الملك يومئذ لا ملك غيره وانه لا يؤتى في ذلك الوقت احدا الملك كما اتاه في الدنيا وقوى ذلك بقوله تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار وبانه يطابق ما تقدم من قوله رب العالمين الرحمن الرحيم ومن قرأ مالك بالالف معناه انه مالك يوم الدين والحساب لا يملكه غيره ولا يليه سواه والمالك هو القادر على التصرف في ماله وان يتصرف فيه على وجه ليس لاحد منعه منه ويوصف العاجز بانه مالك من جهة الحكم والملك فهو القادر الواسع القدرة الذي له السياسة والتدبير ويقال الملك بين الملك مضموم الميم والمالك بين الملك والملك بفتح الميم وكسرها وضم الميم فيه لغة شاذة ذكرها ابو علي الفارسي ويقال طالت مملكته الامير وملكته بكسر اللام وفتحها وطال ملكه وملكه اذا طال رقه واعطاني من ملكه وملكه ولي في هذا الوادي ملك وملك وملك ويقال نحن عبيد مملكة ولسنا بعبيد قن اي سبينا لم نملك في الاصل ويقال شهدنا املاك فلان وملكه ولا يقال ملاكه فاصل الملك الشد من قول الشاعر

ملكت بها كفي فانهرت فتقها

اي شددت وملكت العجين اي شددت عجنه ويقال هذا ملك فلان اذا كان له التصرف فيه على ما بيناه فاما من رجح قراءة ملك من حيث انه وصف نفسه بانه مالك كل شئ بقوله رب العالمين فلا فائدة في تكرير ما قد مضى فقد ابعد لان في القرآن له نظائر تقدم منها العام وذكر بعده الخاص اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق فتم في الاول ثم خص ذكر الانسان تنبيها على تامل ما فيه من اتقان الصنعة ووجوه الحكمة كما قال وفي انفسكم افلا تبصرون ولذلك نظائر كثيرة وفي الناس من قال ان ملك ابلغ في المدح من مالك لان كل ملك مالك وليس كل مالك ملكا وقال ثعلب ان مالك ابلغ من ملك لانه قد يكون الملك على من لا يملك كما يقال ملك الروم وان كان لا يملكهم ولا يكون مالكا الا على ما يملك وقال بعضهم ان مالك ابلغ في المدح للخالق من ملك وملك ابلغ في مدح المخلوقين من مالك لان مالك من المخلوقين قد يكون غير ملك واذا كان الله تعالى مالكا كان ملكا والاقوى ان يكون مالك ابلغ في المدح فيه تعالى لانه ينفرد بالملك ويملك جميع الاشياء فكان ابلغ وقوله تعالى يوم الدين مجرور بالاضافة في القراءتين معا وهو من باب يا سارق الليلة اهل الدار اتسع في الظرف فنصب نصب المفعول به ثم اضيف على هذا الحد وليس ذلك مثل قوله وعنده علم الساعة مفعول بها على الحقيقة ولان جعل الظرف مفعولا على السعة لان الظرف اذا جعل مفعولا على السعة فمعناه معنى الظرف ولو جعل ظرفا لكان المعنى يعلم في الساعة وذلك لا يجوز لانه تعالى يعلم في كل وقت والمعنى انه يعلم الساعة اي يعرفها ومن نصب تماهر بان يخرج من خطاب الغائب الى المواجه في قوله اياك نعبد واياك نستعين وليس ذلك ببديع لانه مستعمل في القرآن وفي الشعر قال الله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم فعدل عن خطاب المواجه الى الكناية عن الغائب وقال الشاعر

كذبتم وبيت الله لا تنكحونها … بني شاب قرناها تصر وتحلب

وقال ابو كبير الهذلي

يا لهف نفسي كان جدة خالد … وبياض وجهك للتراب الاعفر

وقال لبيد بن ربيعة

باتت تشكى الي النفس مجهشة … وقد حملتك سبعا بعد سبعينا

فرجع الى مخاطبة نفسه وقد تقدم الاخبار عنها وقال الكسائي التقدير قولوا اياك نعبد فيكون على حكاية ما امروا به والدين الحساب والدين الجزاء ايضا قال كعب بن جعيل

اذا ما رمونا رميناهم … ودناهم فوق ما يقرضونا

وقال اخر

واعلم وايقن ان ملكك زائل … واعلم بانك ما تدين تدان

يعني ما تجزي تجزى ومنه قوله تعالى كلا بل تكذبون بالدين يعني بالجزاء وقوله فلولا ان كنتم غير مدينين اي غير مجزيين وبهذا قال جماعة من التابعين كسعيد بن جبير وقتادة وروى عن ابن عباس ومجاهد وابي جعفر انه الحساب والدين ايضا الطاعة وقال عمرو بن كلثوم

وايام لنا غر طوال … عصينا الملك فيها ان ندينا

والدين الملك قال زهير

لئن حللت بجو في بني اسد في دين عمرو وحالت بيننا فدك والدين القهر والاستعلاء

قال الاعشى هو دان الرباب اذ كرهوا الدين دراكا بغزوة وصيال يعني ذللهم

للطاعة والدين العادة قال المثقب العبدي تقول وقد درأت لها وضيني اهذا دينه ابدا وديني

ويوم الدين عبارة عن زمان الجزاء كله وليس المراد به ما بين المشرق والمغرب وطلوع الشمس الى غروبها

اياك نعبد واياك نستعين اية اياك نصب بوقوع الفعل عليه وموضع الكاف في اياك خفض باضافة ايا اليها وايا اسم للضمير المنصوب الا انه ظاهر يضاف الى سائر المضمرات نحو قولك اياك ضربت واياه ضربت واياي ضربت ولو قلت ايا زيد حدثت كان قبيحا لانه خص به المضمر وقد روى الخليل جوازه وهو قولهم اذا بلغ الرجل الستين فاياه وايا الشواب وقال الاخفش لا موضع للكاف من الاعراب لانها حرف الخطاب وهو قول ابن السراج واختاره الرماني لان المضمر معرفة تمتنع من الاضافة كما تمتنع من الصفة وحملوا ما رواه الخليل على الشذوذ ولو قلت نعبد اياك لم يجز لانك تقدر على ضمير متصل بان تقول نعبدك فلا يجوز ان تاتي بضمير منفصل ولانه لو اخر لكان قد تقدم ذكر العابد على المعبود وليس بجيد ومن قال ان اياك بكماله اسم فقد اخطا لانه لو كان كذلك لما اضيف كما حكينا في قولهم اياه وايا الشواب لانهم اجروا الهاء فيه مجرى الهاء في عصاه والنون مفتوحة من نعبد وقد روي عن يحيى بن وثاب انه كان يكسرها وهي لغة هذيل يقولون نعلم وتعلم واعلم وتخاف وتنام ونام فيكسرون اوائل هذه الحروف كلها ولا يكسرون الياء ولا في يستفعل ويفتعل فلا يقولون يبيض ويطش بكسر الياء بل يفتحونها والدال والنون مرفوعان لان في اوله احد الزوائد الاربع فاعربا. والعبادة ضرب من الشكر مع ضرب من الخضوع ولا تستحق الا باصول النعم التي هي خلق الحيوة والقدرة والشهوة وبقدر ما من النعم لا يوازيه نعمة منعم فلذلك اختص الله بان يعبد وان استحق بعضنا على بعض الشكر والعبادة في اللغة الذلة يقال هذا طريق معبد اذا كان مذللا بكثرة الوطء وبعير معبد اي مذلل بالركوب وقيل اصله اذا طلي بالقطران وسمي العبد عبدا لذلته لمولاه ومن العرب من يقول هياك فيبدل الالف هاء كما يقولون هيد وايه ونستعين اي نطلب منك المعونة على طاعتك وعبادتك واصله نستعون لانه من المعونة فقلبت الواو ياء لثقل الكسرة عليها ونقلت كسرتها الى العين قبلها وبقيت الياء ساكنة والتقدير في اول السورة يا محمد هاهنا اي قل الحمد هذا كما قال ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم ربنا ابصرنا اي يقولون ربنا وكما قال والملئكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم اي يقولون سلام عليكم وحمزة والكسائي اذا وقفا اشما الدال الرفع وكذلك في سائر القران فاما اذا وقفا على النصب تخير الكسائي الاشمام وتركه اجود ومن استدل بهذه الاية على ان القدرة مع الفعل من حيث ان القدرة لو كانت متقدمة لما كان لطلب المعونة وجه اذا كان الله قد فعلها فيه فقد اخطا لان الرغبة في ذلك يحتمل امرين احدهما ان يسال الله تعالى من لطائفه وما يقوي دواعيه ويسهل الفعل عليه ما ليس بحاصل ومتى لطف له بان يعلمه ان له في عاقبته الثواب العظيم والمنازل الجليلة زاد ذلك في نشاطه ورغبته والثاني ان يطلب بقاء كونه قادرا على طاعاته المستقبلة بان يجدد له القدرة حالا بعد حال عند من لا يقول ببقائها او لا يفعل ما يضادها وينفيها عند من قال ببقائها فان قيل هلا قدم طلب المعونة على فعل العبادة لان العبادة لا تتم الا بتقدم المعونة اولا قيل في الناس من قال المراد به التقديم والتاخير فكانه قال اياك نستعين واياك نعبد ومنهم من قال ليس يتغير بذلك المعنى كما ان القائل اذا قال احسنت الي فقضيت حاجتي او قضيت حاجتي فاحسنت الي فان في الحالين المعنى واحد وقال قوم انهم سئلوا المعونة على عبادة مستانفة لا على عبادة واقعة منهم وانما حسن طلب المعونة وان كان لا بد منها مع التكليف على وجه الانقطاع اليه كما قال رب احكم بالحق ولانه قد لا يكون في ادامة التكليف اللطف ولا في فعل المعونة به الا بعد تقدم الدعاء من العبد وانما كرر اياك لان الكاف التي فيها هي كاف الضمير التي كانت تكون بعد الفعل في قوله نعبدك فلما قدمت زيد عليها ايا لان الاسم اذا انفرد لا يمكن ان يكون على حرف واحد فقيل اياك ولما كانت الكاف يلزم تكرارها لو كرر الفعل وجب مثل ذلك في اياك الا ترى انه لو قال نعبدك ونستعينك ونستهديك لم يكن بد من تكرير الكاف وكذلك لو قدم فقيل اياك نعبد

واياك

صيال في دان ذللها اي اذلها تقول اذا درأت صحاح

يا محمد هذا

واياك نستعين وفيه تعليم لنا ان نجدد ذكره عند كل حاجة ومن قال انه يجري مجرى قول عدي بن زيد العبادي

وجاعل الشمس مصرا لا خفاء به بين النهار وبين الليل قد فصلا

وكقول اعشى همدان بين الاشج وبين قيس باذخ بخ بخ لوالده وللمولود

فكرر لفظ بين فقد اخطا لان في البيتين لو لم تكرر بين لكان الفعل مستحيلا الا ترى انه لو قال الشمس قد فصلت بين النهار لم يكن كلاما صحيحا وكذلك البيت الاخر وليس كذلك الاية لانه لو قال اياك نعبد ونستعين لكان مستقلا بنفسه ولهذا طعن به بعض المفسرين وعندي ان هذا ليس بطعن لانه مغالطة لانه لو قال بين النهار والليل لكان كلاما صحيحا وانما كرر بين وكذلك لو قال اياك نعبد ونستعين كان كلاما صحيحا وانما كرر اياك تاكيدا ولعله ما ذكرناه اولا قوله تعالى اهدنا الصراط المستقيم اية قرا ابن كثير في رواية ابن مجاهد عن قنبل والكسائي من طريق ابن حمدون ويعقوب من طريق رويس بالسين وكذلك في سراط في جميع القران الباقون بالصاد واشم الصاد زايا حمزة في الموضعين خاصة في رواية علي بن سالم وفي رواية الدوري وخلاد اشمها الزاي ما كان فيه الف ولام واما الصاد اذا سكنت وكانت بعدها دال نحو يصدر وفاصدع ويصدفون فاشم الصاد الزاي حيث وقع حمزة والكسائي وخلف ورويس اهدنا مبني على الوقف لانه امر والهمزة مكسورة لان ثالث المضارع منه مكسور في نحو يهدي وموضع النون والالف من اهدنا نصب لانه مفعول به والصراط منصوب لانه مفعول ثان فمن قرا بالسين فلانه الاصل من غير سبب يمنع منه ومن قرا باشمام الزاي فللمواخاة بين السين والطاء بحرف مجهور من مخرج السين وهو الزاي من غير ابطال للاصل ومن قرا بالصاد فللمواخاة بين الصاد والطاء بالاستعلاء والاطباق بحرف من مخرج السين التي هي الاصل والقراءة بالصاد احسن لان فيها جمعا بين المتشاكلين في المسموع ومعنى اهدنا يحتمل امرين احدهما ارشدنا كما قال طرفة

للفتى عقل يعيش به حيث تهدي ساقه قدمه

والثاني وفقنا كما قال الشاعر

فلا تعجلن هداك المليك فان لكل مقام مقالا

اي وفقك والاية تدل على بطلان قول من يقول لا يجوز الدعاء بان يفعل الله ما يعلم انه يفعله لانه عبث لان النبي صلى الله عليه وآله كان عالما بان الله يهديه الصراط المستقيم وانه قد فعل ذلك ومع ذلك كان يدعو به وقد يكون الهداية بمعنى ان يفعل بهم اللطف الذي يدعوهم الى فعل الطاعة والهدى يكون ايضا بمعنى الحكم لصاحبه بانه مهتد على وجه المدح والهدى يكون بان يهديه الى طريق الجنة كما قال الله تعالى وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا واصل الهداية في اللغة الدلالة على طريق الرشد فان قيل ما معنى المسئلة في ذلك وقد هداهم الله الصراط المستقيم ومعلوم ان الله تعالى يفعل بهم ما هو اصلح لهم في دينهم قيل يجوز ان يكون ذلك عبادة وانقطاعا اليه تعالى كما قال رب احكم بالحق وان علمنا انه لا يحكم الا بالحق ويكون لنا في ذلك مصلحة كسائر العبادات وكما تعبدنا بان نكرر تسبيحه وتحميده والاقرار بتوحيده ولرسوله بالصدق وان كنا معتقدين لجميع ذلك ويجوز ان يكون المراد بذلك الزيادة في الالطاف كما قال تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى وقال يهدي به الله من اتبع رضوانه ويجوز ان يكون الله تعالى يعلم ان اشياء كثيرة تكون اصلح لنا وانفع لنا اذا سئلناه واذا لم نسئله لا يكون ذلك مصلحة وكان ذلك وجها في حسن المسئلة ويجوز ان يكون المراد استمرار التكليف والتعريض للثواب لان ادامته ليست بواجبة بل هو تفضل محض جاز ان يرغب فيه بالدعاء ويلزم المخالف ان يقال له اذا كان الله تعالى قد علم انه يفعله لا محالة فما معنى سؤاله ما علم انه يفعله فما اجابوا به فهو جوابنا والصراط المستقيم هو الدين الحق الذي امر الله به من توحيده وعدله وولاية من اوجب طاعته قال جرير

امير المؤمنين على صراط اذا اعوج الموارد مستقيم

اي على طريق واضح وقال الشاعر

فصد عن نهج الصراط الواضح

وقيل انه مشتق من مسترط الطعام وهو ممره في الحلق والصاد لغة قريش وهي اللغة الجيدة وعامة العرب يجعلونها سينا والزاي لغة لعذرة وكعب وبني القين يقولون ازدق فيجعلونها زايا اذا سكنت واهل الحجاز يؤنثون الصراط كالطريق والسبيل والزقاق والسوق وبنو تميم يذكرون هذا كله واصل الاستقامة التقويم والاستواء في جهة الانتصاب وهو ضد الاعوجاج فمنه القيام

والتقويم

الاشج

الحكم لصاحبه لانه مهتد ح

والتقويم والمتقوّم ومنه المقاومة لانه بمنزلة المماثلة بما هو كالاستواء وتقاوموا في الامر اذا تماثلوا والاستقامة المرور في جهة واحدة وقيل في معنا قوله الصّراط المستقيم وجوه احدها انه كتاب الله روى ذلك عن النبى ص وعن علىّ ع وابن مسعود والثّانى انه الاسلام حكى ذلك عن جابر وابن عبّاس والثّالث انه دين الله عزّ وجلّ الّذى لا يقبل من العباد غيره والرّابع انه النبىّ ص والائمة ع القائمون مقامه صلوات الله عليهم وهو المروىّ فى اخبارنا والاولى حمل الاية على عمومها لانّا اذا حملناها على العموم دخل جميع ذلك فيه فالتخصيص لا معنى له قوله تعالى صِراطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ اى معناه بيان الصّراط المستقيم اذ كان كلّ طريق من طرق الحقّ صراطا مستقيما والمعنى صراط من انعمت عليهم بطاعتك وقرأ حمزة بضمّ الهاء من ذلك وفى ايديهم واليهم حيث وقع وروى الدورى عنه بضمّ الهاء فى قوله فعليهم غضب من الله وقرأ يعقوب بضمّ كلّ هاء قبلها ياء ساكنة فى التثنية وجمع المذكر والمؤنث نحو عليهما وفيهما وعليهنّ وفيهنّ وضمّ ميم الجمع ووصلها بواو فى اللفظ ابن كثير وابو جعفر وعن نافع فيه خلاف كثير وعن غيره لا نطول بذكره وهو مذكور فى كتب القراآت فمن قرأ بكسر الهاء واسكان الميم قال انه امن اللبس اذ كانت الالف فى التثنية قد دلّت على الاثنين ولا ميم فى الواحد فلمّا لزمت الميم الجمع حذفوا الواو واسكنوا الميم طلبا للتخفيف وحجّة من قرأ عليهم انهم قالوا ضمّ الهاء هو الاصل لانّ الهاء اذا انفردت من حرف متّصل بها قيل هم فعلوا ومن ضمّ الميم اذا لقيها ساكن بعد الهاء المكسورة قال لمّا احتجت الى الحركة رددت الحرف الى اصله فضممت وتركت الهاء على كسرتها لانه لم يأت ضرورة تحوج الى ردّها الى الاصل ومن كسر الميم فالسّاكن الّذى لقيها والهاء مكسورة ثمّ اتبع الكسرة الكسرة والّذين فى موضع جرّ بالاضافة ولا يقال فى الرّفع الّذون لانه اسم غير متمكّن وقد حكى اللّذون شاذّا كما قيل الشّياطون وذلك فى حال الرّفع ولا يقرأ به وقرأ صراط من انعمت عليهم عمر بن الخطّاب وعبد الله بن زبير وروى ذلك عن اهل البيت عليهم السّلام والمشهور الاوّل والنّعمة الّتى انعم بها على المذكورين وان لم تذكر فى اللّفظ فالكلام يدلّ عليه لانه لمّا قال اهدنا الصّراط المستقيم وبيّنّا المراد بذلك ثمّ بيّن انّ هذا صراط من انعمت عليهم بها فلم يحتج الى اعادة اللّفظ كما قال النّابغة الذّبيانى

كانّك من جمال بنى اقيش ... يقعقع خلف رجليه بشنّ

لمّا قال جمال بنى اقيش قال يقعقع ومعناه جمل يقعقع خلف رجليه ونظير ذلك كثير جدّا قوله تعالى غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ اجمع المفسّرون والقرّاء على جرّ غير لانه نعت للّذين وانّما جاز ان يكون نعتا للّذين والّذين معرفة وغير نكرة لانّ الّذين بصلتها ليست بالمعرفة الموقّتة كالاسماء الّتى هى اعلام كزيد وعمرو وانّما هى كالنّكرات اذا عرّفت كالرّجل والبعير فلمّا كانت الّذين كذلك كانت صفتها كذلك ايضا وجاز ان يكون نعتا للّذين كما يقال لا اجلس الّا الى العالم غير الجاهل ولو كانت بمنزلة الاعلام لما جاز كما لم يجز فى قولهم مررت بزيد غير الظّريف فلا بجرّ على انه نعت وان نصبته فى مثل هذا جاز على الحال ويحتمل ايضا ان يكون مجرورا بتكرير العامل الّذى خفض الّذين فكانك قلت صراط الّذين انعمت عليهم صراط غير المغضوب عليهم ويتقارب معناهما لانّ الّذين انعمت عليهم هم الّذين لم يغضب عليهم وقرأ فى الشّواذ غير المغضوب عليهم بالنّصب ووجهها ان تكون صفة للهاء والميم اللّتين فى عليهم العائدة على الّذين لانها وان خفضت بعلى فهى فى موضع نصب بوقوع الانعام عليه ويجوز ان يكون نصبا على الحال وقال الاخفش والزّجاج انه نصب على وجه الاستثناء من معانى صفة الّذين انعمت عليهم وتقديره اهدنا الصّراط المستقيم صراط الّذين انعمت عليهم الّا المغضوب عليهم الّذين لم تنعم عليهم فى اديانهم فلا تجعلنا منهم ويكون استثناء من غير جنس كما قال النّابغة الذّبيانى

وقفت فيها اصيلا لا اسائلها ... اعيت جوابا وما بالرّبع من احد

الّا اواريّ لأيا ما ابيّنها ... والنؤى كالحوض بالمظلومة الجلد

وقال الفرّاء وثعلب هذا خطاء لانه لو كان كذلك لما قال ولا الضّالّين لانّ لا نفى وجحد ولا يعطف على جحد الّا بجحد ولا يعطف بالجحد على الاستثناء وانّما يعطف بالاستثناء على الاستثناء وبالجحد على الجحد يقولون قام القوم الّا اخاك والّا اباك ولا قام اخوك ولا ابوك ولا يقولون ما قام القوم الّا اخاك ولا اباك فعلى هذا يكون غير بمعنى لا فكانه قال لا المغضوب عليهم ولا الضّالّين قال الرّمانى من نصب على

المعتبر

خفضت

الاستثناء جعل لا صلة كما انشد ابو عبيدة

فى بئر لا حور سرى وما شعر

اى فى بئر هلكة والمغضوب عليهم هم اليهود عند جميع المفسّرين الخاصّ والعامّ لانه تعالى قد اخبر انه غضب عليهم وجعل منهم القردة والخنازير ولا الضّالّين هم النّصارى لانه قال وضلّوا عن سواء السّبيل وقال لعن الّذين كفروا يعنى النّصارى وروى ذلك عن النبىّ ص وقال بعضهم لا زائدة تقديره غير المغضوب عليهم والضّالّين كما قال ما منعك ان لا تسجد اى ما منعك ان تسجد قال ابو النّجم

فما ألوم البيض الّا تسخرا ... لمّا رأين الشّمط القفندرا

يعنى ان تسخر وتكون غير بمعنى سوى وقد بيّنّا ضعف هذا عند الكوفيّين لما مضى ولانه انّما يجوز ذلك اذا تقدّمه نفى كقول الشّاعر

ما كان يرضى رسول الله فعلهم ... والطّيّبان ابو بكر ولا عمر

وامّا الغضب من الله فهو ارادة العقاب المستحقّ بهم ولعنهم وبراءته منهم واصل الغضب الشدّة ومنه الغضبة الصّخرة الصّلبة الشّديدة المركّبة فى الجبل المخالفة له ورجل غضوب شديد الغضب والغضوب الحيّة الخبيثة لشدّتها والغضوب النّاقة العبوس واصل الضّلال الهلاك ومنه قوله ءاذا ضللنا فى الارض اى هلكنا ومنه قوله تعالى واضلّ اعمالهم اى اهلكها والضّلال فى الدّين الذّهاب عن الحقّ والاضلال الدّعاء الى الضّلال والحمل عليه ومنه قوله تعالى واضلّهم السّامرىّ والاضلال الاخذ بالعاصين الى النّار والاضلال الحكم بالضّلال والاضلال التّحيير بالضّلال بالتّشكيك لتعدل عنه واليهود وان كانوا ضلّالا والنّصارى وان كانوا مغضوبا عليهم فانّما خصّ الله تعالى كلّ فريق منهم بسمة يعرف بها ويميّز بينه وبين غيره بها وان كانوا مشتركين فى صفات كثيرة وقيل انه اراد بالمغضوب عليهم ولا الضّالّين جميع الكفّار وانّما ذكروا بالصّفتين لاختلاف الفائدتين وروى جابر بن عبد الله قال قال رسول الله ص قال الله تعالى قسمت الصّلوة بينى وبين عبدى فله ما سأل فاذا قال العبد الحمد لله ربّ العالمين قال حمدنى عبدى واذا قال الرّحمن الرّحيم قال اثنى علىّ عبدى واذا قال مالك يوم الدّين قال مجّدنى عبدى ثمّ قال هذا لى وله ما بقى ولا يجوز عندنا ان يقول القارئ عند خاتمة الحمد امين فان قال ذلك فى الصّلاة متعمّدا بطلت صلاته لانه كلام لا يتعلّق بالصّلاة ولانه كلام لا يستقلّ بنفسه وانّما يفيد اذا كان تأمينا على ما تقدّم ومتى قصد بما تقدّم الدّعاء لم يكن تاليا للقرآن فبطل صلاته وان قصد التّلاوة لا يكون داعيا فلا يصحّ التّأمين وان قصدهما فعند كثير من الاصوليّين انّ المعنيين المختلفين لا يصحّ ان يراد بلفظ واحد ومن اجاز ذلك وهو الصّحيح منع منه لقيام الدّلالة على المنع من ذلك فلاجل ذلك لم يجز

سورة البقرة وهى مائتان وستّ وثمانون آية فى الكوفى وسبع بصرى وخمس مدنى

وروى انّ قوله واتّقوا يوما ترجعون فيه الى الله نزلت فى حجّة الوداع الٓمٓ اية عند الكوفيّين واختلف العلماء فى معنى اوائل هذه السّور مثل الٓمٓ والٓمٓصٓ وكٓهيٰعٓصٓ وطٰهٰ وصٓ وقٓ وحٰمٓ وغير ذلك على وجوه فقال بعضهم انه اسم من اسماء القرآن ذهب اليه قتادة ومجاهد وابن جريج وقال بعضهم هو فواتح يفتتح بها القرآن روى ذلك عن مجاهد ايضا واختاره البلخى وفائدتها ان يعلم ابتداء السّورة وانقضاء ما قبلها وذلك معروف فى كلام العرب وانشد بعضهم

بل وبلدة ما الانس من اهّالها

ويقول آخر

بل ما هاج احزانا وشجوا قد شجا

وقوله بل ليس من الشّعر وانّما اراد ان يعلم انه قطع كلامه واخذ فى غيره وانه مبتدئ لذى اخذ فيه غير ناسق له على ما قبله وقال بعضهم هو اسم للسّورة روى ذلك عن زيد بن اسلم والحسن وقال بعضهم هو اسم الله الاعظم وروى ذلك عن السّدّى اسمعيل وعن الشّعبى وقال بعضهم هو قسم اقسم الله به وهو من اسمائه وروى ذلك عن ابن عبّاس وعكرمة وقال قوم هو حروف مقطّعة من اسماء وافعال كلّ حرف من ذلك بمعنى غير معنى الحرف الآخر عن النبىّ صلّى الله عليه واله نحو قول الشّاعر

نادوهم ان الجموا الا تا ... قالوا جميعا كلّهم الا فا

يريد الا تركبون قالوا الا فاركبوا وقال آخر

قلنا لها قفى فقالت قاف

بمعنى قالت انا واقفة روى ذلك ابو الضّحى عن ابن عبّاس وعن ابن مسعود وجماعة من الصّحابة وقال بعضهم هى حروف هجاء موضوع روى ذلك عن مجاهد وقال بعضهم هى حروف يشتمل كلّ حرف على معان مختلفة روى ذلك عن ابن انس واختاره الطّبرى وقال بعضهم هى حروف من حساب الجمل وقال بعضهم لكلّ كتاب سرّ وسرّ القرآن فى فواتحه هذه اقوال المفسّرين

فامّا

وربما استعملت العرب (اى حرف بل) فى قطع كلام و استينافا آخر فينشد الرّجل منهم الشعر فيقول بل ما هاج احزانا وشجوا قد شجا ويقول بل وبلدة ما الأنس من اهّالها بل ليست من البيت ولا تعدّ فى وزنه ولكن جعلت علامة لانقطاع ما قبله

صحاح

وفيه فى اهل وقد جاء فى الشعر اهال مثل فرخ وافراخ

فاما اهل اللغة فانهم اختلفوا فقال بعضهم هى حروف المعجم استغنى بذكر ما ذكر منها فى اوائل السور عن ذكر بواقيها التى هى تمام ثمانية وعشرين حرفا كما يستغنى بذكر ا ب ت ث عن ذكر الباقى ويذكر قفا نبك عن ذكر باقى القصيدة قالوا ولذلك رفع ذلك الكتاب لان معناه الالف واللام والميم من الحروف المقطعة وقوله ذلك الكتاب الذى انزلته اليك مجموعا لاريب فيه كما قالوا فى ابجاد ا ب ت ث ولم يذكروا باقى الحروف وقال راجز بنى اسد

لما رايت امرها فى حطى اخذت منها بقرون شمط

فاراد الخبر عن المرأة بانها فى ابجاد فاقام قوله فى حطى مقامه لدلالة الكلام عليه وقال اخرون بل ابتدئ بذلك اوائل السور ليفتح لاستماعه اسماع المشركين اذ تواصوا بالاعراض عن القران حتى اذا استمعوا له تلا عليهم الم وقال بعضهم الحروف التى هى اوائل السور حروف يفتتح الله بها كلامه وقال ابو مسلم المراد بذلك ان هذا القران الذى عجزتم عن معارضته ولم تقدروا على الاتيان بمثله هو من جنس هذه الحروف التى تتحاورون بها فى كلامكم وخطابكم فحيث لم تقدروا عليه فاعلموا انه من فعل الله وانما كررت فى مواضع استظهارا فى الحجة وحكى ذلك عن قطرب وروى فى اخبارنا ان ذلك من المتشابه الذى لا يعلم تاويله الا الله واختاره الحسين بن على المغربى واحسن الوجوه التى قيلت قول من قال انها اسماء للسور خص الله تعالى بها بعض السور بتلك كما قيل للمعوذتين المقشقشتان اى تبرئان من النفاق وكما سميت الحمد ام القران وفاتحة الكتاب ولا يلزم ان لا تشترك سورتان او ثلث فى اسم واحد وذلك انه كما يشترك جماعة من الناس فى اسم واحد فاذا اريد التمييز زيد فى صفته وكذلك اذا ارادوا تمييز السورة قالوا الم ذلك الم الله الم وغير ذلك وليس لاحد ان يقول كيف تكون اسماء للسور والاسم غير المسمى فكان يجب ان لا تكون هذه الحروف من السورة وذلك خلاف الاجماع قيل لا يمتنع ان يسمى الشىء ببعض ما فيه الا ترى انهم قالوا البقرة وال عمران والنساء والمائدة ولا خلاف انها اسماء للسور وان كانت بعضا للسورة ومن فرق بين الاشخاص وغيرها فى هذا المعنى فاوجب فى الاشخاص ان يكون الاسم غير المسمى ولم يوجب فى غيرها فقد ابعد لانه لا فرق بين الموضعين على ما مضى القول فيه ولا يلزم ان يسمى كل سورة بمثل ذلك لان المصلحة فى ذلك معتبرة وقد سمى الله كل سورة بتسمية تخصها وان لم تكن من هذا الجنس كما انه لما سمى الحمد باسمائه لم يلزم ذلك فى كل سورة وقيل انها اوائل اسماء يعلم النبى صلى الله عليه وآله تمامها والغرض بها نحو ما رويناه عن ابن عباس كما قال الشاعر سألتها الوصل فقالت قاف يعنى وقفت وقال اخر يا خير خيرات وان شرا فا يريد فشرا وقال اخر ولا اريد الشر الا ان تا يعنى الا ان تشاء وقال اخر ما للظليم غال كيف لايا ينقل عنه جلده اذا يا اى اذا يفزع فعلى هذا يحتمل ان يكون الالف انا واللام الله والميم اعلم وكذلك القول فيما باقى الحروف وعلى هذا لا موضع لالف لام ميم من الاعراب وعلى قول من قال انها اسماء السور موضعه الرفع كانه قال هذه الم او يكون ابتداء ويكون خبره ذلك الكتاب واجمع النحويون على ان هذه الحروف وجميع حروف الهجاء مبنية على الوقف لا تعرب كما بنى العدد على الوقف ولاجل ذلك جاز ان يجمع بين ساكنين كما جاز ذلك فى العدد تقول واحد اثنان ثلثة اربعة فيقطع الف اثنين وهى الف وصل وتذكر الهاء فى ثلثة واربعة فلو لم تنو الوقف لقلت ثلاث بالتاء وحكى عن العاصم فى الشواذ وغيره الم الله بقطع الهمزة الباقون بفتح الميم وقالوا فتح الميم لالتقاء الساكنين وقال قوم لانه نقل حركة الهمزة اليه واختار ابو على الاول لان همزة الوصل تسقط فى الوصل فلا يبقى هناك حركة تنقل وانشد فى نقل حركة همزة الوصل قول الشاعر

اقبلت عن عند زياد كالخرف تخط رجلاى بخط مختلف
فيكتبان فى الطريق لام الف

ومتى اجريتها مجرى الاسماء لا للحكاية واخبرت عنها قلت هذه كاف حسنة وهذا كاف حسن وكذلك باقى الحروف فتذكر وتؤنث فمن انث قصد الكلمة ومن ذكر قصد الحرف فاما اعراب ابجاد هواز وحطى وكلمن فزعم سيبويه انها مصروفات تقول علمت اباجاد ونفعنى ابوجاد وانتفعت بابى جاد وكذلك هواز وهوازا وهواز وحطيا وحطى وحطى واما كلمن وسعفص وقرشيات فاعجميات تقول هذه كلمن وتعلمت كلمن وانتفعت بكلمن وكذلك سعفص وقرشيات اسم للجمع مصروفة لاجل الالف والتاء واما معنى ابجاد فقال الضحاك

التأنيث لعلها باعتبار الطبيعة

انها

انها اسماء الايام الستة التى خلق الله تعالى فيها الدنيا وقال الشعبى انها اسماء ملوك مدين وانشد

الا يا شعيب قد نطق مقالة سبيت بها عمرا وحى بنى عمرو
ملوك بنى حطى وهواز منهم وسعفص اهل للمكارم والفخر
هم صبحوا اهل الحجاز بغارة كمثل شعاع الشمس او مطلع الفجر

وروى عن ابن عباس ان لابى جاد حديثا عجبا ابى ادم ابى فى اكل الشجرة وهواز فزل ادم فهوى من السماء الى الارض واما حطى فحطت عنه خطيئته واما كلمن فاكل من الشجرة ومن عليه بالتوبة وسعفص عصى ادم فاخرج من النعيم الى الكند وقرشيات اقر بالذنب فسلم من العقوبة وهذا خبر ضعيف لا يتضمن وصفا ادم وهو نبى بما لا يليق به وقال قوم انها حروف من اسماء الله روى ذلك عن معوية بن قرة عن النبى صلى الله عليه وآله ذلك الكتاب هذه لفظة يشار بها الى ما قرب وذلك الى ما بعد وذاك الى ما بينهما ويحتمل ان يكون معنى ذلك ههنا هذا على قول عكرمة وجماعة من اهل العربية كالاخفش وابى عبيدة وغيرهما قال

اقول له والرمح ياطر متنه تأمل خفافا اننى انا ذلكا

اى اننى انا هذا وقال تعالى ذلك عالم الغيب والشهادة وهو موجود فى الحال وانما جاز ان يستعمل هذا وهى اشارة الى الحاضر بمعنى ذلك وهى اشارة الى الغائب لانه كالحاضر عند الغائب الا ترى ان الرجل يحدث حديثا فيقول السامع هذا كما قلت وربما قال ان ذلك كما قلت وانما جاز ذلك لقرب جوابه من كلام المخبر وكذلك لما قال تعالى الم وذكرنا معنى ذلك قال لنبيه يا محمد هذا الذى ذكرته وبينته ذلك الكتاب فلذلك حسن وضع ذلك فى مكان هذا لانه اشارة الى ما مضى وقال قوم ان معناه ذلك الكتاب الذى وعدوا به على لسان موسى وعيسى كما قال الذين اتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم يعنى هذا ذلك الكتاب وقال قوم انما اشار الى ما كان نزل من القران بمكة من السور فقال ذلك والاول اقوى لانه اشبه باقوال المفسرين واما من حمل ذلك على انه اشارة الى التورية والانجيل فقد ابطل لانه وصفه بانه لاريب فيه وانه هدى للمتقين ووصفهما فى ايديهم بانه مغير محرف فى قوله يحرفون الكلم عن مواضعه وقوله تعالى لاريب فيه قرأ ابن كثير بوصل الهاء بياء فى اللفظ وكذلك كل هاء كناية قبلها ياء ساكنة فان كان قبلها ساكن غير الياء وصلها بالواو ووافقه حفص فى قوله فيه مهانا ووافقه المسيبى فى قوله واشركه فى امرى ووافقه قتيبة فى قوله فبهداهم اقتده واما من كسر الهاء مع ان الاصل الضمة فلاجل الياء والكسرة اللتين قبلها والهاء يشبه الالف لانها من حروف الحلق ولما فيها من الخفاء فكما نحوا بالالف نحو الياء بالامالة لاجل الكسرة والياء كذلك كسروا الهاء للكسرة والياء لتتجانس الصوتان وذلك حسن وتركوا الاشباع كراهية اجتماع المتقاربة كما كرهوا اجتماع الامثال واشبع وابعها الياء فان الهاء وان كانت خفية فليس يخرج بها ذلك من ان تكون كغيرها من حروف المعجم التى لا خفاء فيها نحو الراء والصاد وان الهاء والنون عند الجميع فى وزن الشعر بمنزلة الراء والصاد وان كان فى الراء تكرير وفى الصاد استطالة فاذا كان كذلك كان جريها بين الساكنين كجرى غيرها من الحروف التى لا خفاء فيها ومعنى لاريب فيه اى لا شك فيه والريب الشك وهو قول ابن عباس ومجاهد وعطاء والسدى وغيرهم وقيل هو اشد الشك وهو مصدر رابنى الشىء يريبنى قال ساعدة بن جوية الهذلى

فقالوا تركنا الحى قد حصروا به فلا ريب ان قد كان ثم لحيم

اى اطافوا به واللحيم القتيل يقال لحم اذا قتل والهاء فيه عائدة على الكتاب ويحتمل ان يكون لاريب فيه خبرا والمعنى انه حق فى نفسه ولا يكون المراد به انه لا يقع فيه ريب لان من المعلوم ان الريب واقع فيه من الكفار فى صحته ويجرى ذلك مجرى الخبر اذا كان مخبره على ما هو به فى انه يكون صدقا وان كذب به قوم ولم يصدقوه ويحتمل ان يكون معناه الامر اى لا ترتابوا فيه قوله تعالى هدى للمتقين معناه نور وضياء ودلالة للمتقين من الضلالة وانما خص المتقين بذلك وان كان هدى لغيرهم من حيث انهم هم الذين اهتدوا به وانتفعوا به كما قال انما انت منذر من اتبع الذكر وان كان انذر من لم يتبع الذكر ويقول القائل فى هذا الامر موعظة لى ولك وان كان فيه موعظة لغيرهما ويقال هديت فلانا الطريق اذا ارشدته ودللته

الوحى السيد الكبير والملك يجمع على اوحى كدلو وادلى
لميل ة اروقت مير
الكبد ة الشدة

عليه

عليه اهديه هداية ويحتمل ان يكون منصوبا على الحال من الكتاب وتقديره ذلك الكتاب هاديا للمتقين وذلك يكون مرفوعا بالم والكتاب نعت لذلك ويحتمل ان يكون حالا من الهاء في فيه كانه قال لا ريب فيه هاديا ويحتمل ان يكون رفعا من وجوه اولها ان يكون خبرا بعد خبر كانه قال هذا كتاب هدى اي قد جمع انه الكتاب الذي وعد به وانه هدى كما يقولون هذا حلو حامض يريدون انه قد جمع الطعمين ويحتمل ان يكون رفعا بانه خبر ابتداء محذوف وتقديره هو هدى لان الكلام الاول ويحتمل ان يكون رفعه على قولك ذلك الكتاب لا ريب كانك قلت ذلك الكتاب حقا لانّ لا شك بمعنى حق ثم قال بعده ذلك فيه هدى للمتقين وهدى يذكر في جميع اللغات وحكي عن بعض بني اسد هذه هدى حسنة ويدغم النون في اللام عند الاكثر والمتقين مجرور باللام والمتقي هو الذي يتقي بصالح اعماله عذاب الله مأخوذ من اتقاء المكروه بما يجعله حاجزا بينه وبينه كما قال ابو حية النميري

والقت قناعا دونه الشمس واتقت ... باحسن موصولين كف ومعصم

وقيل ان المتقين هم الذين اتقوا ما حرم عليهم وفعلوا ما وجب عليهم وقيل ان المتقين هم الذين يرجون رحمة الله ويحذرون عقابه وقيل ان المتقين هم الذين اتقوا الشرك وبرئوا من النفاق وهذا الوجه ضعيف لانه يلزم عليه وصف الفاسق المتهتك بانه متق اذا كان بريا من الشرك والنفاق واصل الاتقاء الحجز بين الشيئين ومنه اتقاه بالترس لانه جعله حاجزا بينه وبينه واتقاه بحقه كذلك ومنه الوقاية لانها تحجز بين الرأس والاذى ومنه التقية في اظهار خلاف الابطان والفرق بينه وبين النفاق ان المنافق يظهر الخير ويبطن الشر والمتقي يظهر القبيح ويبطن الحسن ويقال وقاه يقيه وقاية وتوقاه توقيا قوله تعالى الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون اية بلا خلاف الذين في موضع خفض لانه نعت للمتقين ويجوز ان يكون رفعا على الابتداء ويؤمنون رفع لانه فعل مستقبل والواو والنون في موضع رفع لانه كناية عن الفاعل والنون الاخيرة مفتوحة لانها نون الجمع والصلوة نصب لانها مفعول بها والايمان في اللغة هو التصديق ومنه قوله وما انت بمؤمن لنا اي بمصدق لنا وقال يؤمنون بالجبت والطاغوت وكذلك هو في الشرع عند اكثر المرجئة والمراد بذلك التصديق بجميع ما اوجب الله او ندب اليه او اباحه وهو المحكي عن ابن عباس في هذه الاية لانه قال الذين يصدقون بالغيب وحكي عن الربيع بن انس انه قال الذين يخشون بالغيب وقال معناه يطيعون الله في السر والعلانية وقيل ان الايمان مشتق من الامان والمؤمن من يؤمن نفسه من عذاب الله والله المؤمن لاوليائه من عذابه وذلك مروي في اخبارنا وقالت المعتزلة باجمعها الايمان هو فعل الطاعة ومنهم من اعتبر فرايضها ونوافلها ومنهم من اعتبر الواجب منها لا غير واعتبروا اجتناب الكبائر من جملتها وروي عن الرضا ان الايمان هو التصديق بالقلب والعمل بالاركان والقول باللسان وقد بينا الاقوى من ذلك في كتاب الاصول واما الغيب فحكي عن ابن عباس انه قال ما جاء من عند الله وقال جماعة من الصحابة كابن مسعود وغيره ان الغيب ما غاب عن العباد علمه من امر الجنة والنار والارزاق والاعمال وغير ذلك وهو الاولى لانه عام ويدخل فيه ما رواه اصحابنا من زمان الغيبة ووقت خروج المهدي عليه السلام وقال قوم الغيب هو القرآن حكي ذلك عن زر بن حبيش وذكر البلخي ان الغيب كلما ادرك بالدلائل والايات مما يلزم معرفته وقال الرماني الغيب خفاء الشيء عن الحس قريبا او بعيدا الا انه قد كثرت صفة الغائب على البعيد الذي لا يظهر للحس واصل الغيب من غاب يقولون غاب فلان يغيب وليس الغيب ما غاب عن الادراك لان ما هو معلوم وان لم يكن مشاهدا لا يسمى غيبا والاولى ان تحمل الاية على عمومها في جميع من يؤمن بالغيب وقال قوم انها في مؤمني العرب خاصة دون غيرهم من مؤمني اهل الكتاب قالوا بدلالة قوله فيما بعد والذين يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك قالوا ولم يكن للعرب كتاب قبل الكتاب الذي انزله الله على نبيه تدين بتصديقه وانما الكتاب لاهل الكتابين وهذا غير صحيح لانه لا يمنع ان يكون الاية الاولى عامة في جميع المؤمنين المصدقين بالغيب وان كانت الاية الثانية خاصة في قوم دون قوم لان تخصيص الثانية لا يقتضي تخصيص الاولة وقال قوم انها مع الايتين اللتين بعدها اربع ايات نزلت في مؤمني اهل الكتاب لانه ذكرهم في بعضها وقال

قوم ان الاربع ايات من اول السورة نزلت في جميع المؤمنين واثنتان نزلتا في نعت الكافرين وثلاث عشرة في المنافقين وهذا اقوى الوجوه لانه حمل على عمومه وحكي ذلك عن مجاهد وقوله يقيمون الصلوة فاقامتها اداؤها بحدودها وفرائضها وواجباتها كما فرضت عليهم يقال اقام القوم سوقهم اذا لم يعطلوها من البيع والشراء قال الشاعر

اقمنا لاهل العراقين سوق الضراب ... فخاموا وولوا جميعا

وقال ابو مسلم محمد بن بحر معنى يقيمون الصلوة يديمون اداء فرضها يقال للشيء الراتب قائم ولفاعله مقيم ومن ذلك فلان يقيم ارزاق الجند وقيل انه مشتق من تقويم الشيء من قولهم قام بالامر اذا احكمه وحافظ عليه وقيل انه مشتق مما فيه من القيام ولذلك قيل قد قامت الصلوة واما الصلوة فهي الدعاء في اللغة قال الشاعر

وقابلها الريح في دنها ... وصلى على دنها وارتسم

اي دعا لها وقال الاعشى

لها حارس لا يبرح الدهر بيتها ... فان ذبحت صلى عليها وزمزما

يعني دعا لها واصل الاشتقاق في الصلوة من اللزوم من قوله تصلى نارا حامية والمصطلي الصلا ومنه اصطلى بالنار اذا لزمها والمصلي الذي يجيء في اثر السابق للزومه اثره ويقال للعظم الذي في العجز صلو وهما صلوان فاما في الشرع ففي الناس من قال انها تختص بالدعاء والذكر في موضع مخصوص ومنهم من قال وهو الصحيح انها في الشرع عبارة عن الركوع والسجود على وجه مخصوص واركان واذكار مخصوصة وقيل انها سميت صلوة لان المصلي متعرض لاستنجاح طلبته من ثواب الله ونعمه مع ما يسأل ربه فيها من حاجاته واما الرزق فهو ما للحي الانتفاع به على وجه لا يكون لاحد منعه منه وهذا لا يطلق الا فيما هو حلال فاما الحرام فلا يكون رزقا لانه ممنوع منه بالنهي ولصاحبه ايضا منعه منه ولانه ابتدا مدحهم بالانفاق مما رزقهم والمغصوب والحرام يستحق الذم على انفاقه فلا يجوز ان يكون رزقا وقوله ومما رزقناهم ينفقون حكي عن ابن عباس انها الزكوة المفروضة يؤتيها احتسابا وحكي عن ابن مسعود انه نفقة الرجل على اهله لان الاية نزلت قبل وجوب الزكوة وقال الضحاك هو التطوع بالنفقة فيما قرب من الله والاولى حمل الاية على عمومها فيمن اخرج الزكوة الواجبة والنفقات الواجبة وتطوع بالخيرات واصل الرزق الحظ لقوله وتجعلون رزقكم انكم تكذبون اي حظكم فما جعله حظا لهم فهو رزقهم والانفاق اصله الاخراج ومنه قيل نفقت الدابة اذا خرجت روحها والنافقاء جحر اليربوع من ذلك لانه يخرج منها ومنه النفاق لانه يخرج الى المؤمن بالايمان والى الكافر بالكفر قوله تعالى والذين يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك وبالاخرة هم يوقنون اية لا يمد القراء الالف من ما الا حمزة فانه مدها وقد لحن في ذلك وكان يقف قبل الهمزة فيقرأ وبالاخرة متكئا على اللام شيئا ثم يبتدئ بالهمزة وكذلك الارض وشيء يقطع عند الياء من شيء كانه يقف ثم يهمز وموضع ما خفض بالباء ويكره الوقف على ما لان الالف حرف منقوص وقال قتادة ما انزل اليك القرآن وما انزل من قبلك الكتب الماضية وقد بينا ان الاولى حمل الاية على عمومها في المؤمنين وذكرنا الخلاف فيه والاخرة صفة الدار فحذف الموصوف قال الله تعالى وان الدار الاخرة لهي الحيوان ووصفت بذلك لمصيرها اخرة لاولى كانت قبلها كما يقال جئت مرة بعد اخرى ويجوز ان يكون سميت بذلك لتأخرها عن الخلق كما سميت الدنيا دنيا لدنوها من الخلق وايقانهم بما جحده المشركون من البعث والنشور والحساب والثواب والعقاب وروي ذلك عن ابن عباس والايقان بالشيء هو العلم به وسمي يقينا لحصول القطع عليه وسكون النفس اليه قوله تعالى اولئك على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون اية اولئك بهمزتين وفيهم من يخففهما وحمزة يمد اولئك واولئك اسم مبهم يصلح لكل حاضر تعرفه الاشارة كقولك ذاك في الواحد واولاء جمع ذاك في المعنى ومن قصر قال اولا واولاك واولالك واذا امدد لم يجز زيادة اللام لئلا يجتمع ثقل الهمزة وثقل الزيادة وتقول اولاء للقريب وهؤلاء اولئك للبعيد واولئك للمتوسط واضيف الهدى الى الله لامرين احدهما لما فضلهم من الدلالة على الهدى والايضاح له والدعاء اليه والثاني لانه يثيب عليه فعلى هذا يضاف الايمان بانه هداية من الله وهدى في موضع

خفض بعلى ومعنى على هدى اى على حق وخير وهداية الله اياهم ودعائه الى ما قالوا به ومن قال هم على نور و
استقامة او بيان ورشد فهو داخل تحت ما قلنا والاولى ان يكون ذلك عاما فى من تقدم ذكره فى الآيتين
ومن خص ذلك فقد ترك الظاهر لان منهم من خصها بالمعنيين فى الاية الاولى ومنهم من خصها بالمذكورين
فى الاية الثانية وقد بينا ان الجمع محمول على العموم وحملها على العموم فى الفريقين محكى عن ابن عباس وابن
مسعود والمفلحون هم المنجحون الذين ادركوا ما طلبوا من عند الله باعمالهم وايمانهم والفلاح النجاح
قال الشاعر اعقلى ان كنت لما تعقلى ولقد افلح من كان عقل
يعنى من ظفر بحاجته واصاب خيرا وتقول افلح يفلح افلاحا وتقول فلح يفلح فلحا وفلاحا والفلاح البقاء بقى
قال لبيد نحل بلادا كلها حل قبلنا ونرجو فلاحا بعد عاد وحمير
يعنى البقاء واصل الفلح القطع فكانه قطع لهم بالخير ومنه قيل للاكار فلاح لانه يشق الارض والفلاح المكارى
لانه يقطع الارض قال الشاعر ان الحديد بالحديد يفلح وفى اولئك لغات فلغة اهل الحجاز اولئك بالياء
واهل نجد وقيس وربيعة واسد يقولون اولئك بهمز وبعض بنى سعد من بنى تميم يقولون الاك مشددة
وبعضهم يقول الالك قال الشاعر الالالك قوم لم يكونوا اشابة وهل يعظ الضليل الا الالكا
وهم دخلت للفصل قوله تعالى ان الذين كفروا سواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون اية
نزلت فى ابى جهل وفى خمسة من قومه من قادة الاحزاب قتلوا يوم بدر فى قول الربيع بن انس واختاره البلخى
والمغربى وقال ابن عباس نزلت فى قوم باعيانهم من احبار اليهود ذكرهم باعيانهم من اليهود الذين حول
المدينة وقال قوم نزلت فى مشركى العرب واختار الطبرى قول ابن عباس والذى نقوله انه لا بد ان يكون الاية
مخصوصة لان حملها على العموم غير ممكن لانا علمنا ان فى الكفار من يؤمن فلا يمكن العموم واما القطع على
واحد مما قالوه فلا دليل عليه ويجب تجويز كل واحد من هذه الاقوال ومن مات منهم على كفره يقطع على انه
مراد بالاية فعلى هذه قادة الاحزاب مرادون على ما قال ربيع بن انس ومن قتل يوم بدر كذلك ومن قال ان
الاية مخصوصة بكفار اهل الكتاب قال لان ما تقدمها مختص بمؤمنيهم فيجب ان يكون ما يعقبها مختصا بكفارهم
وقد قلنا ان الاية الاولى حملها على عمومها اولى ولو كانت خاصة بهم لم يجب حمل هذه الاية على الخصوص لما
تقدم فيما مضى والذين نصب بان والكفر هو الجحود والستر ولذلك سمى الليل كافرا لظلمته قال الشاعر
فتذكرا ثقلا رثيدا بعدما القت ذكاء يمينها فى كافر
وقال لبيد فى ليلة كفر النجوم غمامها يعنى غطاها والكافور اكمام الكرم الذى يكون فيه والكفرى وعاء
الطلعة لانه يستر اللب ومنه قوله تعالى كمثل غيث اعجب الكفار نباته وسمى الزارع كافرا لتغطيته البذر ويقال
فلان متكفر بالسلاح اذا تغطى به وفى الشرع عبارة عمن جحد ما اوجب الله عليه معرفته من توحيده وعدله
ومعرفة نبيه والاقرار بما جاء به من اركان الشرع فمن جحد شيئا من ذلك كان كافرا وربما تعلقت به احكام
مخصوصة من منع الموارثة والمناكحة والمدافنة والصلاة عليه وربما لم يتعلق بحسب الدليل عليه قوله تعالى
سواء عليهم ءانذرتهم جمع بين الهمزتين اهل الكوفة وابن عامر الا الحلوانى وكذلك فى كل همزتين فى كلمة
واحدة اذا كانت الاولى للاستفهام الا فى مواضع مخصوصة نذكرها فيما بعد الباقون بتخفيف الاولى وتليين
الثانية وفصل بينهما بالالف اهل المدينة الا ورشا وابا عمرو والحلوانى عن هشام ومعنى قوله سواء اى معتدل
مأخوذ من التساوى كقولك متساو وتقول هذان الامران عندى سواء اى معتدلان ومنه قوله فانبذ اليهم
على سواء يعنى بذلك اعلمهم واذنهم بالحرب ليستوى علمك وعلمهم بما عليه كل فريق منكم للاخر ومعناه اى
الامرين كان منك اليهم الانذار ام ترك الانذار فانهم لا يؤمنون وقال عبد الله بن قيس الرقيات
تعدت بى الشهباء نحو ابن جعفر سواء عليها ليلها ونهارها
يعنى بذلك عندها معتدل فى السير الليل والنهار لانها لا فتور فيه ومنه قول الاخر
وليل يقول المرء من ظلماته سواء صحيحات العيون وعورها

الاشابة من اباس الاخلاط

لان الصحيح لا يبصر فيه الا بصرا ضعيفا من ظلمته وهذا لفظه لفظ الاستفهام ومعناه الخبر وله نظائر فى القران
كما تقول ما ابالى اقمت ام قعدت وانت مخبر لا مستفهم لانه وقع موقع اى كانه قال لا ابالى اى الامرين كان منك
وكذلك معنى الاية سواء عليهم اى هذين كان منك اليهم حسن فى موضعه مع سواء فعلت ام لم تفعل وقال
بعض النحويين ان حرف الاستفهام انما دخل مع سواء وليس باستفهام لان المستفهم اذا استفهم غيره قال ازيد
عندك ام عمرو يستفهم صاحبه ايهما عنده وليس احدهما احق بالاستفهام من الاخر فلما كان قوله سواء عليهم
ءانذرتهم ام لم تنذرهم بمعنى التسوية اشبه ذلك الاستفهام اذا اشبهه فى التسوية وقال جرير
الستم خير من ركب المطايا واندى العالمين بطون راح
فهذا فى صورة الاستفهام وهو خبر لانه لو اراد الاستفهام لما كان مدحا وقال اخر
سواء عليه اى حين اتيته اساعة نحس تتقى ام باسعد
ولا يجوز ان يقع او فى مثل هذا مكان ام لان ام هى التى تعادل بها الهمزة لا او والفرق بينهما ان او تستفهم
بها عن احد الامرين هل حصل ام لا وهو لا يعلمهما معا كقول القائل اذن او اقام اذا المراد تعلمهما فاذا علم
واحدا منهما ولم يعلمه بعينه قال اذن ام اقام يستفهم عن تعيين احدهما هذا فى الاستفهام وفى الخبر تقول
ما ابالى اقمت ام قعدت اى هما عندى سواء ولا يجوز ان تقول ما ابالى اقمت او قعدت لانك لست
بمستفهم من شئ وحكى عن عاصم الجحدرى انه قرأ سوا وبواو مضمومة لا بهمزة وهذا غلط لان العرب كلما
همزت ما بعده مدة يقولون كساء ورداء وهواء وجزاء وغير ذلك واما الانذار فهو اعلام وتخويف وكل
منذر معلم وليس كل معلم منذرا وقد سمى الله نفسه بذلك فقال انا انذرناكم عذابا قريبا لانه لا
يجوز وصفه به والتخويف ايضا وكذلك فى قوله ذلك يخوف الله به عباده فاذا جاز وصفه بالمعنيين جاز
وصفه بلفظ يشتمل عليهما وانذرت فعل متعد الى مفعولين كقوله تعالى انذرتكم صاعقة وانا انذرناكم
عذابا قريبا وقد ورد معدا بالباء فى قوله تعالى قل انما انذركم بالوحى وقيل الانذار هو التحذير من مخوف
يتسع زمانه الاحتراز فان لم يتسع زمانه للاحتراز كان اشعارا ولم يكن انذارا قال الشاعر
انذرت عمروا وهو فى مهل قبل الصباح فقد عصى عمرو
فان قيل الذين علم الله منهم انهم لا يؤمنون هل كانوا قادرين على الايمان ام لا فان قلتم ما كانوا قادرين
فقد كلفهم الله تعالى الايمان فقد كلفهم ما لا يقدرون عليه وهذا لا يجوز وان قلتم كانوا قادرين فقد قلتم انهم
كانوا قادرين على تجهيل الله قلنا هذا يلزم المخالف مثله فانهم لا خلاف انهم مأمورون بالايمان فيقال
لهم انه لا يجب ذلك كما لا يجب اذا كانوا مأمورين بالايمان ان يكونوا مأمورين اليس الله قد علم انه لا يقيم
القيامة اليوم ايقولون انه قادر على اقامتها ام لا فان قلتم انه لا يقدر فقد عجزتم الله وان قلتم انه يقدر
فقد قلتم انه يقدر على ان يجهل نفسه والجواب الصحيح عن ذلك ان العلم يتناول الشئ على ما هو به ولا يجعله
على ما هو به فليس يمتنع ان يعلم حصول شئ بعينه وان كان غيره مقدورا الا ترى ان من خير بين الصدق
والكذب وقد علم ان كل واحد منهما يقوم مقام صاحبه فى باب الغرض وقد علم قبح الكذب وحسن الصدق
لا يجوز ان يختار الكذب على الصدق وان كان قادرا على الكذب فان بذلك صح ما قلناه قوله تعالى
ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم اية اجمع القراء السبعة
على كسر الغين وضم التاء وروى عن بعض القراء فتح الغين وعن الحسن ضم الغين وحكى عن عاصم فى الشواذ
غشاوة بنصب التاء ولا يقرأ بجميع ذلك الختم على قلوبهم اى شهد عليها بانها لا تقبل الحق يقول القائل
اراك تختم على كل ما يقول فلان اى تشهد به وتصدقه وقد ختمت عليك بانك لا تعلم اى شهدت وذلك استعارة
وقيل ان ختم بمعنى طبع فيها اثرا للذنوب كالسمة والعلامة لتعرفها الملائكة فيتبرؤوا منهم ولا يوالوهم
ولا يستغفروا لهم مع استغفارهم للمؤمنين وقيل المعنى فى ذلك انه ذمهم بانها كالمختوم عليها فى انها لا يدخلها
الايمان ولا يخرج عنها الكفر قال الشاعر لقد اسمعت لو ناديت حيا ولكن لا حياة لمن تنادى

بابطال ما علم الله

اى كانه لا فجوة فيه والختم آخر الشيء ومنه قوله تعالى ختامه مسك ومنه خاتم النبيين اى آخرهم ومنه ختم الكتاب لانه آخر حال الفراغ منه والختم الطبع والخاتم الطابع وما يختم الله على القلوب من السمة والعلامة التي ذكرناها ليست بمانعة من الايمان كما ان ختم الكتاب والظرف والوعاء لا يمنع من اخذ ما فيه وحكي عن مجاهد انه قال الرين ايسر من الطبع والطبع ايسر من الختم ومن الاقفال والقفل اشد من ذلك وقيل ان قوله تعالى ختم الله اخبار عن تكبرهم واعراضهم عن الاستماع لما دعوا اليه من الحق كما يقال فلان اصم عن هذا الكلام اذا امتنع عن سماعه ودفع نفسه عن تفهمه والغشاوة الغطاء وفيها ثلاث لغات فتح الغين وضمها وكسرها وكذلك الغشوة فيها ثلاث لغات ويقال تغشاني السهم اذا تجللني وكل شيء مبني على فعالة كالعمامة والقلادة والعصابة وكذلك في الصناعة كالخياطة والقصارة والصياغة والنساجة وغير ذلك وكذلك من استولى على شيء كالخلافة والاجارة وغير ذلك قال ابو عبيدة وعلى سمعهم معناه على اسماعهم ووضع الواحد موضع الجمع لانه اسم جنس كما قال يخرجكم طفلا يعني اطفالا ويجوز ان يكون اراد موضع سمعهم فحذف لدلالة الكلام عليه ويجوز ان يكون اراد المصدر لانه يدل على القليل والكثير فمن رفع التاء قال الكلام الاول قد تم عند قوله وعلى سمعهم واستأنف وعلى ابصارهم غشاوة وتقديره وغشاوة على ابصارهم ومن نصب قدره يعني جعل على ابصارهم غشاوة كما قال الشاعر علفتها تبنا وماء باردا وقال الآخر متقلدا سيفا ورمحا لما دل الكلام الاول عليه فاذا لم يكن في الكلام ما يدل عليه لا يجوز اضماره ولا يجوز ان ينصب بالفعل الاول الذي هو الختم لان الختم لا يطلق على البصر كما ذكر في قوله تعالى وختم على سمعه وقلبه ثم قال وجعل على بصره غشاوة فلم يدخل المنصوب في معنى الختم وقال قوم ان ذلك على وجه الدعاء عليهم لا للاخبار عنهم وهذا يمكن في قوله تعالى ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم فيمن نصب غشاوة فاما من رفع ذلك فلا يكون دعاء والاقوى ان ذلك خبر لانه خرج مخرج الذم لهم والازراء عليهم فكيف يحمل على الدعاء ويحتمل ان يكون المراد بختم انه سيختم ويكون الماضي بمعنى المستقبل كما قال ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار وعلى هذا يسقط سؤال المخالف والقلب جعل الشيء على خلاف ما كان يقال قلبه يقلبه قلبا والقليب البئر لان الماء ينقلب اليها ومابه قلبة اى انقلاب عن صحة وفلان حول قلب اذا كان يقلب الامور برأيه ويحتال عليها والقلوب الذئب لتقلبه في الحيلة على الصيد بخبثه وسمي القلب قلبا لتقلبه بالخواطر قال الشاعر

ما سمي القلب الا من تقلبه   والرأي يصرف والانسان اطوار

والبصر مصدر بصر به يبصر بصرا بمعنى ابصر ابصارا والبصيرة الابصار للحق بالقلب والبصائر قطع الدم لانها ترى كثيرة للغسل ولهم عذاب عظيم باظهار التنوين لان النون تبين عند حروف الحلق وهي ستة احرف العين والغين والحاء والخاء والهمزة والهاء ومن هذه الاحرف ما لا يجوز فيه الاخفاء وهي العين كقوله من عند الله ومن عليها ونحو قوله من خلفهم والهمزة نحو قوله غثاء احوى والخاء والغين يجوز اخفاؤهما عندهم على ضعف فيه من قوله والمنخنقة ونارا خالدا فان خفتم وميثاقا غليظا ماء غدقا فوقا لا غير الذي قال الفراء اهل العراق يبينون واهل الحجاز يخفون وكل صواب فان قيل اذا قلتم ان الله ختم على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم فكيف يكونون قادرين على الايمان قيل يكونون قادرين عليه لان الختم والغشاوة ليسا بشيء يفعلهما الله تعالى في القلب والعين يصد بهما عن الايمان ولكن الختم شهادة على ما فسرناه من الله عليهم بانهم لا يؤمنون وعلى قلوبهم بانها لا تعي الذكر ولا تعي الحق وعلى اسماعهم لانها لا تصغي الى الحق وهذا اخبار عمن يعلم منه انه لا يؤمن والغشاوة هي الغيم بحسبهم له ولم يقل تعالى انه جعل على قلوبهم بل اخبر انه كذلك ومن قرأ بالنصب وان كان شاذا يحتمل ان يكون اراد معنى قوله ان السورة زادتهم رجسا الى رجسهم والسورة لم تزدهم ولكنهم ازدادوا عندها وسنوضح ذلك فيما بعد ان شاء الله تعالى ولهم عذاب عظيم تقديره ولهم بما هم عليه من خلافك عذاب عظيم وحكي ذلك عن ابن عباس واصل العذاب الاستمرار بالشيء يقال عذبه تعذيبا اذا استمر به الالم وعذب الماء عذوبة اذا استمر في الحلق وحمار عاذب وعذوب اذا استمر

به العطش فلم يأكل من شدة العطش وفرس عذوب مثل ذلك والعذوب الذي ليس بينه وبين السماء ستر واعذبته عن الشيء بمعنى اذا فطمته وعذبة السوط طرفه والعذاب استمرار الالم واصل العظم عظم الشجر ومنه عظيم الشان الغني بالشيء عن غيره وعظمة الله تعالى كبرياؤه والعظام من العظم لانه من اكبر ما يركب منه البدن قوله تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين آية من لفظ يخبر به عن الواحد من العقلاء واثنين وجماعة فلما قال وما هم بمؤمنين دل على انه اراد الجمع وانما قال يقول بلفظ الواحد حملا له على اللفظ قال الشاعر وكن مثل من يا ذئب يصطحبان وقيل في معنى الناس وجهان احدهما ان يكون جمعا لا واحد له من لفظه واحدهم انسان والانثى انسانة والثاني ان اصله اناس فاسقطت الهمزة منها لكثرة الاستعمال اذا دخلها الالف واللام للتعريف ثم ادغمت لام التعريف في النون كما قيل لكنا هو الله واصله لكن انا وقال بعضهم ان الناس لغة غير اناس لقيل في التصغير انيس فرد الى اصله واشتقاقه من النوس وهو الحركة ناس ينوس نوسا اذا تحرك والنوس تذبذب الشيء في الهواء ومنه نوس القرط في الاذن لكثرة حركته ولا خلاف بين المفسرين ان هذه الآية وما بعدها نزلت في قوم من المنافقين من الاوس والخزرج وغيرهم روي ذلك عن ابن عباس وذكر اسماءهم ولا فائدة في ذكرها وكذلك ما بعدها الى قوله وما كانوا مهتدين كلها في صفة هؤلاء المنافقين والمنافق هو الذي يظهر الاسلام بلسانه وينكره بقلبه واليوم الآخر هو يوم القيامة وانما سمي يوم القيامة اليوم الآخر لانه يوم لا يوم بعده سواه وقيل لانه بعد ايام الدنيا واول ايام الآخرة فان قيل كيف لا يكون بعده يوم ولا انقطاع للآخرة ولا فناء قيل اليوم في الآخرة سمي يوما بليلته التي قبله فاذا لم يتقدم النهار ليل لم يسم يوما فيوم القيامة يوم لا ليل بعده فلذلك سماه اليوم الآخر وانما قال وما هم بمؤمنين مع قوله من يقول آمنا بالله تكذيبا لهم فيما اخبروا عن اعتقادهم من الايمان والاقرار بالبعث والنبوة فبين ان ما قالوه بلسانهم مخالف لما في قلوبهم وذلك يدل على ان الايمان لا يكون مجرد القول على ما قالته الكرامية يقول من القول ومنه تقول اذا تخرص القول واقتال فهو مقتال اذا اخذ نفعا الى نفسه بالقول او دفع به ضررا عنها والمقول اللسان تقوله تقويلا اذا طالبه باظهار القول قوله تعالى يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون الا انفسهم وما يشعرون آية قرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو بضم الياء وبالالف الباقون بفتح الياء بلا الف في قوله وما يخدعون قال ابو زيد خدعت الرجل اخدعه خدعا بكسر الخاء وخديعة ويقال في المثل انك لا تخدع من ضب حرشته وقال ابن الاعرابي الخادع الفاسد من الطعام ومن كل شيء وانشد

ابيض اللون لذيذ طعمه   طيب الريق اذا الريق خدع

اى تغير وفسد وقال ابو عبيدة يخادعون بمعنى يخدعون قال الشاعر

وخادعت المنية عنك سرا   فلا جزع الاوان ولا رواعا

وخداع المنافق اظهاره بلسانه من القول او التصديق خلاف ما في قلبه من الشك والتكذيب وليس لاحد ان يقول كيف يكون المنافق لله ولرسوله وللمؤمنين مخادعا وهو لا يظهر بلسانه خلاف ما هو له معتقد الا تقية وذلك ان العرب تسمي من اظهر بلسانه غير ما في قلبه لينجو مما يخافه مخادعا لمن تخلص منه بما اظهر له من التقية فلذلك سمي المنافق مخادعا من حيث انه نجا من اجراء حكم الكفر عليه بما اظهره بلسانه فهو وان كان مخادعا للمؤمنين فهو لنفسه مخادع لانه يظهر لها بذلك انه يعطيها امنيتها وهو يوردها بذلك اليم العذاب شديد الوبال فلذلك قال وما يخدعون الا انفسهم وقوله وما يشعرون يدل على بطلان قول من قال ان الله لا يعذب الا من كفر عنادا بعد علمه بوحدانيته ضرورة لانه اخبر عنهم بالنفاق وبانهم لا يعلمون ذلك والمفاعلة وان كانت تكون من اثنين من كل واحد منهما لصاحبه مثل ضاربت وقاتلت وغير ذلك فقد ورد من هذا الوزن فاعل بمعنى فعل مثل قاتله الله وطابقت النعل وعافاه الله وغير ذلك وقد حكينا ان معناه يخدعون كما قال في البيت المقدم وقيل انه لم يخرج بذلك عن الباب ومعناه ان المنافق يخادع الله بكذبه بلسانه على ما تقدم والله يخادعه بخلافه بما فيه نجاة نفسه كما قال انما نملي لهم ليزدادوا اثما ولهم عذاب مهين وحكي عن الحسن ان معنى يخادعون الله انهم يخادعون نبيه لان طاعته طاعة الله ومعصيته معصية الله

كما قال وان يريد وا ان يخدعوك وقيل معناه انهم يعملون عمل المخادع كما يقال فلان يسخر من نفسه ومن
قرأ وما يخادعون بالف طلبا للمشاكلة والازدواج كما قال وان عاقبتم فعاقبوا وكما قال وجزاء سيئة سيئة
مثلها وكما قال الشاعر الا لا يجهلن احد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا وقال تعالى يسخرون
منهم سخر الله منهم ومثله كثير وقيل في حجة من قرأ يخادعون بالف هو ان ينزّل ما يخطر بباله ويهجس في نفسه من
الخداع بمنزلة آخر يجاذبه ذلك ويفاوضه وكأنّ الفعل من اثنين كما قال الشاعر تذكر جارا اراد الورود
تذكر من انّى ومن اين شربه يؤامر نفسيه لدى المجهر فجعل ما يكون منه من وروده الماء والتمثيل بينهما بمنزلة
نفسين وقال الاخر وهل تطيق وداعا ايها الرجل وعلى هذا قول من قرأ قال اعلم انّ الله على كل شئ قدير
فوصل فخاطب نفسه ونظائر ذلك كثيرة وانما دعاهم الى المخادعة امور احدها التقية وخوف القتل والثاني
ليكرموهم اكرام المؤمنين الثالث ليأنسوا اليهم في اسرارهم فينقلوها الى اعدائهم والخداع مشتق من الخدع
وهو اخفاء الشئ مع ايهام غيره ومنه المخدع البيت الذي يخفى فيه الشئ فان قيل اليس الكفار قد خدعوا المؤمنين
بما اظهروا بالسنتهم حتى حقنوا بذلك دماءهم واموالهم وان كانوا مخدوعين في امر اخرتهم قيل لا نقول خدعوا
المؤمنين لانّ اطلاق ذلك يوجب حقيقة الخديعة لكن نقول خادعوهم وما خدعوهم بل خدعوا انفسهم كما قال
في الاية ولو انّ انسانا قاتل غيره فقتل نفسه جاز ان يقال انه قاتل فلانا فلم يقتل الا نفسه فيوجب مقاتلة صاحبه
وينفي عنه قتله والنفس مأخوذة من النفاسة لانها اجلّ ما في الانسان تقول نفس ينفس نفاسة اذا ضنّ به
وتنافسوا في الامر اذا تشاحّوا والنفس الروح ونفس عنه تنفيسا اذا روّح عن نفسه والنفس الدم ومنه النفساء
ونفست المرأة والنفس خاصة الشئ وقوله وما يشعرون يعني وما يعلمون يقال ما شعر فلان بهذا الامر وهو لا
يشعر به اذا لم يدر شعرا وشعورا ومشعورا قال الشاعر عقوا بسهم فلم يشعر به احد ثم استفادوا
فقالوا حبّذا الوضح يعني لم يعلم به احد واصل الشعر الدقة شعر به يشعر اذا علمه بامر دقيق ومنه الشعرة و
الشعير لانّ في راسها كالشعر في الدقة والمشاعر العلامات في مناسك الحج كالموقف والطواف وغيرهما و
اشعرت البدنة اذا اعلمتها على انها هدى والشعار مما يلي الجسد لانه يلي شعر البدن الا انفسهم نصب على الاستثناء

قوله تعالى فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ اية امال الزاي ابن عامر
الحلواني وحمزة وقرأ اهل الكوفة بفتح الياء يكذبون مخففا يقال زاد يزيد زيادة قال الشاعر
كذلك زيد المرء بعد انتقاصه وزدت فعل يتعدى الى مفعولين قال تعالى وزدناهم هدى وزدناهم عذابا
فوق العذاب وزاده بسطة في العلم والجسم وقوله فزادهم ايمانا والمعنى زادهم فوقا لناس لهم ايمانا اضمر
المصدر في الفعل واسند الفعل اليه كما قال ما زادهم الا نفورا اى ما زادهم مجيء النذير والمعنى ازدادوا
عنده وقال ابو عبيدة المرض الشك والنفاق وقيل في قوله فيطمع الذي في قلبه مرض اى فجور وقالت سيبويه
مرّضته قمت عليه ووليته وامرضته جعلته مريضا وقيل انّ المرض الغم والوجع من الحسد والعداوة لكم فزادهم
الله مرضا دعاء عليهم كما قال تعالى ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم واصل المرض السقم في البدن فشبه ما في قلوبهم
من النفاق والشك بمرض الاجساد والاليم بمعنى المولم الموجع فعيل بمعنى مفعل مثل بديع بمعنى مبدع ومكان
حريز بمعنى محرز قال ذو الرمة يصك وجوهها وهج اليم فان قيل اذا كان معنى قوله في قلوبهم مرض اى شك
ونفاق ثم قال فزادهم الله مرضا ثبت انّ الله يفعل الكفر بخلاف ما تذهبون اليه قيل ليس الامر على ما ذكرتم
بل معناه انّ المنافقين كانوا كلما انزل الله اية او سورة كفروا بها فازدادوا بذلك كفرا الى كفرهم وشكا الى
شكهم فجاز لذلك ان يقال فزادهم الله مرضا لما ازدادوا هم مرضا عند نزول الايات ومثل ذلك قوله حكاية عن
نوح ربّ اني دعوت قومي ليلا ونهارا فلم يزدهم دعائي الا فرارا وهم الذين ازدادوا فرارا عنده غاية
ومثل قوله فزادتهم رجسا الى رجسهم وانما ارادانهم ازدادوا عند نزول الاية وكقوله فاتخذتموهم
سخريا حتى انسوكم ذكرى والمؤمنون ما انسوهم ذكر الله بل كانوا يدعونهم اليه تعالى لكن لما انسوا ذكر الله
عند ضحكهم من المؤمنين واتخاذهم اياهم سخريا جاز ان يقال انّ المؤمنين انسوهم ويقول القائل لغيره

فيسخرون

والتمثيل

لذلك

اذا وعظه فلم يقبل نصيحته قد كنت شريرا فزادتك نصيحتي شرا وانما يريد انه ازداد عنده فلما كان المنافقون
متعرضت قلوبهم بما فيها من الشك ثم ازدادوا شكا وكفرا عندما كان تجدد من امر الله ونهيه وما ينزل
من اياته جاز ان يقال فزادهم الله مرضا فان قيل فعلى هذا ينبغي ان يكون انزال الايات مفسدة لانهم يزدادون
عند ذلك الكفر قلنا ليس حد المفسدة ما وقع عندها الفساد وانما المفسدة ما وقع عندها الفساد ولولاها
لم يقع ولم يكن تمكينا وهذا تمكين لهم من النظر في معجزاته وادلته فلم يكن استفسادا ولو كان الامر على ما قالته
المجبرة انّ الله يخلق فيهم الكفر لقالت الكفار ما ذنبنا والله تعالى يخلق فينا الكفر ويمنعنا من الايمان فلم تلومونا
على ما فعله الله وكانت تكون الحجة لهم لا عليهم وذلك باطل والتقدير في الاية في اعتقاد قلوبهم الذي يعتقدون
في الدين والتصديق بنبيه مرض وحذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه قال الشاعر

هلّا سألت الخيل يا ابنة مالك ان كنت جاهلة بما لم تعلمي

يعني اصحاب الخيل كما قال يا خيل الله اركبي يعني يا اصحاب خيل الله وكما قال تعالى واسأل القرية وانما اراد
اهلها وروى عن ابن عباس انّ المرض المراد به الشك والنفاق وبه قال قتادة وعبد الرحمن بن زيد والكذب
ضد الصدق وهو الاخبار عن الشئ لا على ما هو به يقال كذب يكذب كذبا وكذابا خفيف وثقيل مصدران
والكذب كالضحك والكذاب كالكتاب والاكذاب جعل الفاعل على صفة الكذب والتكذيب النسبة الى الكذب
وحجة من ضم الياء وشدد الذال انه ذهب الى انهم استحقوا العذاب بتكذيبهم النبي صلى الله عليه وآله وبما جاء به ومن
فتح الياء وخفف الذال قدر المضاف كانه قال بكذبهم وهو اشبه بما تقدم وهو قولهم امنا بالله وباليوم
الاخر فاخبر الله عنهم فقال وما هم بمؤمنين ولذلك يجل بتكذيبهم وادخل كان ليعلم انّ ذلك كان فيما
مضى كقول القائل ما احسن ما كان زيدا وقال بعض الكوفيين لا يجوز ذلك لانّ حذف كان انما اجازوه
في التعجب لانّ الفعل قد تقدمها فكانه قال حسنا كان زيد ولا يجوز ذلك ههنا لانّ كان تقدمت الفعل

قوله تعالى وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ اية رام ضم القاف فيه وفي اخواتها
الكسائي وهشام ورويس ووافقهم ابن ذكوان في السين والحاء مثل حيل وسيق وسيئت ووافقهم اهل المدينة
في سيق وسيئت فمن ضم ذهب الى ما حكي عن بعض العرب قد قول وقد بوع المتاع بدل قيل وبيع ومن كسرها قال
لان ياء الساكنة لا تكون بعد حرف مضموم ومن اشم قال اصله قول فاستثقلت الضمة فقلبت كسرة واشمت ليعلم
انّ الاصل كانت ضمة وروي عن سلمان رضي الله عنه انه قال لم يجئ هؤلاء وقال اكثر المفسرين انها نزلت في المنافقين
الذين فيهم الايات المتقدمة وهو الاقوى ويجوز ان يراد بها من صورهم صورتهم فيحمل قول سلمان رضي الله عنه على
انه اراد بعد انقراض المنافقين الذين تناولتهم الاية ومعنى قولهم انما نحن مصلحون يحتمل امرين احدهما ان يقول
انّ هذا الذي عندكم فساد هو صلاح عندنا لانا اذا قابلناهم استدعيناهم الى الحق في الدين والثاني ان
يجحدوا ذلك البلاغ والافساد مأخوذ من الفساد وهو كل ما يغير عن استقامة الحال تقول فسد يفسد فسادا والافساد
احداث الفساد والمفاسدة المعاملة بالفساد والتفاسد تعاطي الفساد بين اثنين والافساد المطاوعة على الفساد
لا تفسدوا في الارض فيقولون انما نحن مصلحون ويقال لهم امنوا كما امن الناس فيقولون انؤمن كما امن السفهاء
فليس هؤلاء منافقين بل هم مظهرون لكفرهم والاية في المنافقين قيل المنافقون وان كانوا يظهرون الايمان
للنبي صلى الله عليه وآله فانهم كانوا لا يألون المسلمين خبالا وكانوا يثبطون عن النبي صلى الله عليه وآله ويدعون الى ترك نصرته من يثقون
باستماعهم منهم ومن يظنون ذلك به فربما صادفوا المؤمنين التقي فيجيبهم بما ذكر الله فاذا اخبر اولئك النبي صلى الله عليه وآله
ثم ذكروه ما قالوا وعاتبهم النبي صلى الله عليه وآله عادوا الى اظهار الايمان والندم عليه وكذبوا قائله والحاكي عنهم و
كان لا يجوز في الدين الا قبول ذلك منهم بما يظهرون وخاصة في صدور الاسلام والحاجة الى تألف قلوبهم مما
ومن قرأ الاخبار تبين صحة ما قلناه والافساد في الارض العمل فيها بما نهى الله عنه وتضييع ما امر الله بحفظه
كما قال تعالى حاكيا عن الملئكة اتجعل فيها من يفسد فيها يعنون من يعصيك ويخالف امرك وهذه صفة المنافقين
والارض هي المستقر للحيوان ويقال لقوائم البعير ارض وكذلك الفرس اى قوى والارض الرعدة وقال ابن عباس

ولذلك يجل بتكذيبهم

فاستثقلت

والاستفساد

ما ادرى اذا زلزلت الارض ام بى ارض اى دحلة والارضة دويبة تاكل الخشب والصلاح استقامة الحال كا
فالاصلاح جعل الحال على الاستقامة والاصطلاح الاجتماع والتصالح التمالى على الصلاح ومنه المصالحة
والاستصلاح والصالح المستقيم الحال والمصلح المقوّم للشئ على الاستقامة قوله تع الا انّهم هم
المفسدون ولكن لا يشعرون اية الا فيه تنبيه ومعناها الاستفتاح الكلام ومثله الا ترى اما تسمع واصله
لا دخل عليه الف الاستفهام والالف اذا دخل على الجحد اخرجه الى الايجاب نحو قوله الست للتقرير على ان يحيى
الموتى لانه لا يجوز للمجيب الا الاقرار ببلى والهاء والميم فى موضع النصب وهم فصل عند البصريين وتسميه
الكوفيون عمادا وقوله لا يشعرون قد فسرناه وفيها دلالة على من قال بان الكفار معاندون عالمون بخطاياهم
عليه وان المعرفة ضرورة ووصفهم بانهم هم المفسدون لا يمنع من وصف غيرهم بانه مفسد لان ذلك دليل الخطاب
وحكى عن ابن عباس ان معنى قوله انما نحن مصلحون انما نريد الاصلاح بين الفريقين من المؤمنين واهل الكتاب
وحكى عن مجاهد انهم اذا ركبوا معصية الله قيل لهم لا تفعلوا هذا قالوا انما نحن مصلحون اى انما نحن على الهدى
وكلا الامرين محتمل لانهما جميعا عندهم انه اصلاح فى الدين وان كان ذلك فسادا عند الله ومن حيث انه
خلاف لما امرهم به وانما جاز تكليف ما لا يشعر انه على ضلال لان له طريقا الى العلم به قوله تع واذا قيل لهم
امنوا كما امن الناس قالوا انؤمن كما امن السفهاء الا انهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون اية قرأ
ابن عامر واهل الكوفة بتحقيق الهمزتين وكذلك كل همزتين مختلفتين من كلمتين الباقون بتخفيف الاولى و
تليين الثانية المعنى بهذه الاية هم الذين وصفهم تعالى بانهم يقولون امنا بالله وباليوم الاخر وما هم
بمؤمنين والمعنى اذا قيل لهم امنوا به بمحمد صلعم وبما جاء من عند الله كما امن الناس يعنى المؤمنين حقا الا ان الالف
واللام ليسا فيه للاستغراق بل دخلا للعهد فكانه قيل امنوا كما امن الناس الذين تعرفونهم باليقين والتصديق
بالله وبنبيه صلعم وبما جاء به من عند الله والالف فى قوله انؤمن الف انكار واصلها الاستفهام ومثله انطعم
من لو يشاء الله اطعمه وكقول القائل اضيع دينى واثلم مروتى وكل هذا جوابه لكنه قد وضع السوال عنه
وضعا فاسدا لوصفهم ان الذين دعوا اليهم سفهاء وموضع اذا نصب وتقديره قيل لهم ذلك قالوا انؤمن
فالعامل فيه قالوا والسفهاء جمع سفيه مثل علماء وعليم وحكماء وحكيم والسفيه الضعيف الراى الجاهل القليل
المعرفة بمواضع المنافع والمضار ولذلك سمى الله الصبيان سفهاء بقوله لا تؤتوا السفهاء اموالكم فقال عامة
اهل التاويل هم النساء والصبيان لضعف ارائهم واصل السفه خفة الحلم وكثرة الجهل يقال ثوب سفيه اذا كان
رقيقا باليا وقد سفهته الريح اذا طيرته كل مطير وفى اخبارنا ان شارب الخمر سفيه فامر الله تع ان يؤمنوا كما
امن المؤمنون المستبصرون فقالوا انؤمن كما امن الجهال ومن لا راى له ومن لا عقل له كالصبيان والنساء
فحكم الله عليهم حينئذ بانهم السفهاء باخباره عنهم بذلك وهو من تقدم ذكره من المنافقين والسفيه انما
سمى مفسدا من حيث انه يظن انه يصلح ويضيع من حيث يرى انه يحفظ وكذلك المنافق يعصى ربه من حيث يظن
انه يطيع ويكفر به من حيث انه يظن انه يؤمن به والالف واللام فى السفهاء للعهد كما قلناه فى الناس وهذه الاية
ايضا فيه دلالة على من قال ان الكافر لا يكون الا معاندا لانه قال ولكن لا يعلمون قوله تع واذا لقوا
الذين امنوا قالوا امنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزؤن اية قرأ فى
الشواذ الاقوا الذين قرأها اليمانى وفى القراء من همز مستهزءون ومنهم من ترك الهمزة حكى عن ابن
عباس انه قال هذه فى صفة المنافقين فكان الواحد منهم اذا لقى اصحاب النبى صلعم قال انا معكم اى على
دينكم واذا خلوا الى شياطينهم يعنى اصحابهم قالوا انما نحن مستهزؤن يعنى نسخر منهم يقال خلوت اليه و
خلوت اليه فى قضاء الحاجة لا غير وخلوت به له معنيان احدهما هذا والاخر سخرت منه قال الاخفش وقد تكون
الى فى موضع الباء وعلى فى موضع عن وانشد اذا رضيت على بنو قشير لعمر الله اعجبنى رضاها
فعلى هذا يحتمل ان يكون الاية خلوا معه وقال الرمانى الفرق بين اللقاء والاجتماع ان اللقاء لا يكون الا على
وجه المجاورة والاجتماع قد يكون كاجتماع العرضين فى محل وقد بينا معنى الشيطان فيما مضى معكم ومعكم

بفتح العين وسكونها لغتان وترك الهمزة لغة قريش وعامة غطفان وكنانة بعضها يجعلها بمنزلة يستقصون
ويستعدون بحذفها وبعض بنى تميم وقيس يشيرون الى الزاء بالرفع بين الرفع والكسر وهذيل وكثير من تميم
يخففون الهمز وقال بعض الكوفيين ان معنى اذا خلوا اذا انصرفوا خالين فلاجل ذلك قال الى شياطينهم
على المعنى وهو مليح وقيل ان شياطينهم رؤساؤهم وقيل ايديهم اصحابهم من الكفار وروى عن ابى جعفر ع
انهم كهانهم والاستهزاء طلب الهزؤ بايهام امر ليس له حقيقة فيمن يظن فيه الغفلة والهزء ضد الجد يقال
هزء به هزؤا والتهزى طلب الهزء بالشئ وغرضهم كان بالاستهزاء مع علمهم بقبحه حقن دمائهم باظهار
الايمان واذا خلوا الى شياطينهم كشفوا ما فى نفوسهم قوله تع الله يستهزئ بهم ويمدهم فى طغيانهم
يعمهون اية الله رفع بالابتداء وخبره يستهزئ بهم والله تع لا يجوز عليه حقيقة الاستهزاء لانها القبيحة
على ما بيناه ومعناها من الله هو الجزاء عليها وقد يسمى الشئ باسم جزائه كما يسمى الجزاء باسم ما يستحق
به كما قال تع وجزاء سيئة سيئة مثلها وقال ومكروا ومكر الله وقال وان عاقبتم فعاقبوا والاول ليست
بعقوبة والعرب تقول الجزاء بالجزاء والاول ليس بجزاء والبيت الاول شاهد بذلك وقيل ان استهزاءهم
لما رجع عليهم جاز ان يقول عقيب ذلك الله يستهزئ بهم يراد به ان استهزاءهم لم يضر سواهم وانه دمر عليهم
واهلكهم يقول القائل اراد فلان ان يخدعنى فخدعته اى دبر على امرا فرجع ضرره عليه وحكى عن بعض
من تقدم انه قال اذا تخادع لك انسان ليخدعك فقد خدعته وقيل ايضا ان الاستهزاء من الله الاملاء الذى
يظنونه اغفالا وقيل انه لما كان ما اظهره من اجراء حكم الاسلام عليهم فى الدنيا بخلاف ما اجراه عليهم فى الاخرة
من العقاب وكانوا فيه على اغترار به كان كالاستهزاء وروى فى الاخبار انه يفتح لهم باب جهنم فيظنون انهم
يخرجون منها فيزدحمون للخروج فاذا انتهوا الى الباب ردتهم الملئكة حتى يرجعوا فهذا نوع من العقاب و
كان كالاستهزاء كما قال الله تع كلما ارادوا ان يخرجوا منها من غم اعيدوا فيها وقوله يمدهم حكى عن ابن
عباس وابن مسعود انهما قالا معناه نملى لهم بان نطول اعمارهم وقال مجاهد نزيدهم وقال بعض النحويين اى
نمدهم كما يقولون نلعب الكعاب اى بالكعاب وحكى ان مد وامد لغتان وقيل مددت له وامددت له يقال
مد البحر فهو ماد وامد الجرح فهو ممد قال الجرمى ما كان من الشر فهو مددت وما كان من الخير فهو امددت
فعلى هذا ان اراد تركهم فهو من مددت واذا اريد اعطاهم يقال امدهم وقرء فى الشواذ ويمدهم بضم الياء و
قال بعض الكوفيين كل زيادة حدثت فى الشئ من نفسه فهو مددت بغير الف كما يقولون مد النهر ومده نهر آخر
فصار منه اذا اتصل به وكل زيادة حدثت فى الشئ من غيره فهو امددت ما لا بالف كما يقال امد الجرح لان
المدة من غير الجرح وامدت الجيش واقوى الاقوال ان يكون المراد به نمدهم على وجه الاملاء والترك لهم فى
خيرهم كما قال انما نملى لهم ليزدادوا اثما وكما قال ويذرهم فى طغيانهم يعمهون يعنى يتركهم فيه والطغيان الفعلان
من قولك طغى فلان يطغى طغيانا اذا تجاوز حده ومنه قوله كلا ان الانسان ليطغى اى يتجاوز حده والطاغية
الجبار العنيد وقال امية بن ابى الصلت ودعا الله دعوة لات هنا بعد طغيانه فصار مشيرا
يعنى لاهنى ومعناه فى الاية فى كفرهم يترددون والعمه التحير يقال عمه يعمه عمها فهو عمه وعامه اى حائر عن
الحق قال رؤبة ومهمه اطرافه فى مهمه اعمى الهدى بالحائرين العمه جمع عامه فان قيل كيف
يخبر الله انه يمدهم فى طغيانهم يعمهون وانتم تقولون انما ابقاهم ليؤمنوا لا ليكفروا وانه اراد منهم الايمان
دون الكفر قيل معناه انه يتركهم وما هم فيه لا يحول بينهم وبين ما يفعلونه ولا يفعل بهم من الالطاف التى يؤتيها
المؤمنين فيكون ذلك عقوبة لهم واستصلاحا ونظير ذلك قول القائل لاخيه اذا هجره اخوه متجنيا عليه اذا
استعتبه فلم يراجعه سامدّ لك فى الهجران مدا يريد ساتركك وما صرت اليه تركا ينتهك على قبح فعلك لانه
يريد بذلك انه يهجره اخوه ولكن على وجه الغضب والاستصلاح والتنبيه قوله تع اولئك الذين
اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين اية ضم جميع القراء الواو من
اشتروا الضلالة وروى السوخردى عن زيد بن اسماعيل بتخفيف ضمة الواو وكذلك نظائره نحو لتبلون وتمنوا

الموت

الموت وروى عن يحيى بن يعمر في الشواذ انه كسرها شبهها بواو لو في قوله لو استطعنا لخرجنا وضم يحيى بن
وثاب واو لو وفيما ذكرناه شبهها بواو الجمع والصحيح ما عليه القراء لان الواو في الاية ونظائرها واو الجمع فحركت
بالحركة التي من جنسها لالتقاء الساكنين وهذه الاية الاشارة بها الى من تقدم ذكره من المنافقين وقال ابن عباس
اشتروا الكفر بالايمان وقال قتادة استحبوا الضلالة على الهدى وقال ابن مسعود اخذوا الضلالة وتركوا الهدى
وقال مجاهد امنوا ثم كفروا وهذه الاقوال المتقاربة المعاني فان قيل كيف اشتروا هؤلاء القوم الضلالة بالهدى
وانما كانوا منافقين لم يتقدم نفاقهم ايمان فيقال فيهم باعوا ما كانوا عليه بضلالتهم التي استبدلوها منه
المفهوم من الشراء اعتياض شئ ببذل شئ مكانه عوضا منه وهؤلاء ما كانوا على الهدى قلنا من قال يان الاية
مخصوصة بمن كفر بعد ايمانه فقد تخلص من هذا السؤال غير ان هذا لا يصح عندنا من ان من امن بالله لا يجوز
ان يكفر وان حملنا على اظهار الايمان لم يكن في الاية توبيخ ولا ذم والاية تتضمن التوبيخ على ما هم عليه لانها
اشارة الى ما تقدم وتلك صفات المنافقين والجواب عن ذلك ان نقول ان من ارتكب الضلالة وترك الهدى
جاز ان يقال ذلك فيه ويكون معناه كان الهدى الذي تركه هو الثمن الذي جعله عوضا عن الضلالة التي
اخذها فيكون المشتري اخذ المشترى مكان الثمن المشترى به كما قال الشاعر اخذت بالجمة راسا ازعرا
وبالثنايا الواضحات الدردرا كما اشترى المسلم اذ تنصرا ومنهم من قال استحبوا الضلالة على الهدى
انما قال ذلك لقوله تعالى واما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى فحمل هذه الاية عليه ومن حملها على
انهم اختاروا الضلالة على الهدى فان ذلك مستعمل في اللغة يقولون اشتريت كذا على كذا واشتريته يعنون
اخترته وقال اعشى بني ثعلبة فقد اخرج الكاعب المستراة من خدرها واشيع القمارا يعني المختارة و
قال ذو الرمة في معنى الاختيار يذب القضايا عن شراة كانها جماهير تحت المدجنات الهواضب
وقال اخر ان الشراة روقة الاموال وحوزة القلب خيار المال
والاول اقوى لقوله فما ربحت تجارتهم فبين ان ذلك بمعنى الشراء والبيع الذي يتعارفه الناس والربح واضاف
الى التجارة فالمراد به التاجر لانهم يقولون ربح بيعك وخسر بيعك وذلك يحسن في البيع والتجارة لان الربح و
الخسران يكون فيهما ومتى التبس فلا يجوز الا ان يقال ربح عبدك اذا اراد ربح في عبده لان العبد بنفسه قد يربح
ويخسر فلما اوهم لم يطلق ذلك فيه وقيل ان المراد فما ربحوا في تجارتهم كما يقال خاب سعيك اي خبت في سعيك وانما قال
ذلك لان المنافقين بشراهم الضلالة خسروا ولم يربحوا لان الرابح من استبدل سلعة بما هو ارفع منها فاما اذا
استبدلها بما هو ادون منها فانما يقال خسر فلما كان المنافق استبدل بالهدى الضلالة وبالرشاد الخيبة عاجلا
وفي الاخرة الثواب بالعقاب كان خاسرا غير رابح وانما قال وما كانوا مهتدين لانه يخسر التاجر ولا يربح و
يكون على هدى فاراد الله تعالى ان ينفي عنهم الربح والهداية فقال فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين
باستبدالهم الكفر بالايمان واشتراهم النفاق بالتصديق والاقرار بها فان قيل لم قال فما ربحت تجارتهم في موضع
ذهبت رؤس اموالهم قيل لانه قد ذكر الضلالة بالهدى فكانه قال طلبوا الربح فما ربحوا لما هلكوا وفيه معنى
ذهبت رؤس اموالهم ويحتمل ان يكون ذلك على وجه التقابل وهو ان الذين اشتروا الضلالة بالهدى لم يربحوا
كما ان الذين اشتروا الهدى بالضلالة ربحوا قوله تعالى مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما اضاءت ما
حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون اية ان قيل كيف قال مثلهم اضاف المثل الى الجمع ثم
شبهه بالواحد في قوله كمثل الذي استوقد نارا وهلا قال كمثل الذين استوقدوا نارا ويكنى به عن جماعة من الرجال
والنساء والصبيان والذي لا يعبر به الا عن واحد مذكر ولو جاز ذلك لجاز ان يقول القائل كان اجسامهم ولا
ويشير الى جماعة عظيمي القامة نخلة وقد علمنا ان ذلك لا يجوز قلنا في المواضع الذي جعله مثلا لافعالهم فجائز جائز
حسن وله نظائر كقوله تدور اعينهم كالذي يغشى عليه من الموت والمعنى كدوران عين الذي يغشى عليه من
الموت وكقوله ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة ومعناه الا كبعث نفس واحدة لان التمثيل وقع للفعل
بالفعل واما في تمثيل الاجسام لجماعة من الرجال في تمام الخلق والطول بالواحد من النخل فغير جائز ولا في نظائر

يبدل

ما كانوا مهتدين

والفرق بينهما ان معنى الاية ان مثل استضاءة المنافقين بما اظهروا من الاقرار بالله وبمحمد صلى الله عليه وسلم وبما جاء به
قولا وهم به مكذبون اعتقادا كمثل استضاءة الموقد ثم اسقط ذكر الاستضاءة واضاف المثل اليهم كما قال
الشاعر وهو نابغة جعدة وكيف تواصل من اصبحت خلالته كابي مرحب اي كخلالة ابي مرحب
واسقط لدلالة الكلام عليه واما اذا اراد تشبيه الجماعة من بني ادم والاعيان ذوي الصور والاجسام بشئ
فالصواب ان يشبه الجماعة بالجماعة والواحد بالواحد لان عين كل واحد منهم غير اعيان الاخر كما قال تعالى
كانهم خشب مسندة وقال كانهم اعجاز نخل خاوية واراد جنس النخل ومثل ذلك قوله ما افعالكم الا كفعل الكلب
ثم يحذف الفعل فيقال ما افعالكم الا كالكلب وقيل ان الذي بمعنى الذين كقوله والذي جاء بالصدق وصدق
به اولئك هم المفلحون وقال الشاعر وان الذي حانت بفلج دماؤهم هم القوم كل القوم يا ام خالد المتقون
وانما جاز ذلك لان الذين منهم يحمل الوجوه المختلفة وضعف هذا الوجه من حيث ان في الاية التثنية وفي
البيت دلالة على انه يريد به الجمع وليس ذلك في الاية التي نحن فيها وقيل فيه وجه ثالث وهو ان التقدير مثلهم
كمثل اتباع الذي استوقد نارا كما قال واسئل القرية وانما اراد اهلها وفي الاية حذف طفيت عليهم النار و
قوله استوقد نارا معناه اوقد نارا كما يقال استجاب بمعنى اجاب قال الشاعر وداع دعى يا من يجيب الى
الندى فلم يستجبه عند ذاك مجيب يريد فلم يجبه والوقود الحطب والوقود مصدر وقدت النار وقودا
والاستيقاد طلب الوقود والايقاد ايقاد النار والتوقد التوهج والايقاد التهاب النار وزند ميقاد سريع
الورى وقلب وقاد سريع الذكاء والنشاط وكل شئ يتلألأ فهو يتقد وفي النجم نار لا تنقد لانه لا تقبل
الاحتراق والوقود ظهور النار فيما يقبل الاحتراق واصل النار النور نار الشئ اذا ظهر نوره وانار اظهر
نوره واستنار طلب اظهار نوره والمنار العلامات والنار السمة وضاءت النار ظهر ضوؤها وكلها وضح
فقد اضاء واضاء القمر الدار كقوله اضاءت ما حوله قال الشاعر اضاءت لهم احسابهم ووجوههم دجى
الليل حتى نظم الجزع ثاقبه وقوله حوله ماخوذ من الحول وهو الانقلاب يقال حال الحول اذا انقلب الى اول
السنة واحال في كلامه اذا صرفه عن وجهه وحوله عن المكان اي نقله الى مكان اخر وتحول تنقل واحتال عليه
وحاوله طالبه بالانقلاب الى مراده والحول بالعين بالفتح والحول بالكسر الانقلاب عن الامر ومنه قوله لا يبغون
عنها حولا والحوالة انقلاب الحق عن شخص الى غيره والمحالة البكرة والحيلة ايهام الامر للخديعة وحال بينه و
بينه مانع والحائل الناقة التي انقطع حملها والحائل العير وحولا الصبا اي دايرته ذهب به واذهبه اي اهلكه
لا ذهابه الى مكان يعرف ومنه ذهب الله بنورهم والمذهب الطريقة في الامر والذهبة المطرة الجود وقوله
وتركهم في ظلمات اي اذهب النور بالظلمات وتاركه متاركة وتتاركوا انقابلوا في الترك واترك اتراكا عمد اترك
الترك والتركة والتريكة بيضة النعام المنفردة لتركها وحدها والظلمات جمع الظلمة واصلها انتقاص الحق
من قوله ولم تظلم منه شيئا اي لم تنقص واظلم الجواد احتمل انتقاص الحق لكرمه ومن اشبه اباه فما ظلم اي
ما انتقص حق الشبه وظلمت الناقة اذا نحرت من غير علة والظلم ماء الاسنان من اللون لا من الريق والظلم
الثلج وقوله في ظلمات لا يبصرون قال ابن عباس انهم يبصرون الحق ويقولون به حتى اذا خرجوا من ظلمة
الكفر اطفؤه بكفرهم به فتركهم في ظلمات الكفر فهم لا يبصرون هدى ولا يستقيمون على حق وروى عنه ايضا
انه قال هذا مثل ضربه الله تعالى للمنافقين انهم كانوا يعتزون بالاسلام فناكحهم المسلمون ويولدوهم
ويقاسمونهم الفئ فلما ماتوا سلبهم الله ذلك العز كما سلب صاحب النار ضوءه وتركهم في عذاب وهو احسن
الوجوه وقال ابو مسلم معناه انه لا نور لهم في الاخرة وانما اظهروه في الدنيا يضمحل سريعا كاضمحلال هذه اللمعة
وحال من يقع في الظلمة بعد الضياء اشقى في الحيرة فكذلك حال المنافقين في حيرتهم بعد اهتدائهم وتزيد
استضرارهم على استضرار من طفيت ناره بسوء العاقبة وروى عن ابن مسعود وغيره ان ذلك في قوم كانوا
اظهروا الاسلام ثم اظهروا النفاق فكان النور الايمان والظلمة نفاقهم وقيل فيها وجوه تقارب ما قلناه وتقدير
بعد قوله بعد فلما اضاءت ما حوله انطفأت لدلالة الكلام عليه كما قال ابو ذويب الهذلي

عفيت اليها القلب انى لامره   سميع فما ادرى ارشد طلابها

وتقديره ارشد طلابها ام غى وقال الفراء يقال ضاء القمر يضوء واضاء يضئ لغتان وهو الضوء و
الضوء بفتح الضاد وضمها وقد اظلم الليل وظلم بفتح الظاء وكسر اللام وظلمات على وزن غرفات وحجرات
وخطوات فاهل الحجاز وبنو اسد يثقلون وتميم وبعض قيس يخففون والكسائى يشم الهاء الرفع بعد
نصب اللام فى قوله حوله ويجمع عظامه فى حال الوقف الباقون لا يشمون وهو احسن قوله تعالى صم بكم عمى
فهم لا يرجعون آية بلا خلاف قال قتادة صم لا يسمعون الحق بكم لا ينطقون به عمى لا يرجعون عن ضلالتهم
صم رفع على انه خبر ابتداء محذوف وتقديره هؤلاء الذين ذكرناهم فى القصة صم بكم عمى والاصم هو الذى
ولد كذلك وكذلك الابكم هو الذى ولد اخرس ويقال الابكم المسلوب الفؤاد ويجوزان يجمع اصم صما مثل
اسود وسودان واصل الصم السد فمنه الصم سد الاذن بما لا يقع معه سمع وقناة صماء كبيرة الجوف صلبة
لست جوفها بامتلائها وفلان اصم لسد خرق مسامعه عن ادراك الصوت وحجر اصم اى صلب وفتنة صماء اى
شديدة والتصميم المضى فى الامر والصمام راس القارورة لسده راسها والفعل اصمها والصميم العظم الذى
هو قوام العضو لسد الخلل به واصل البكم الخرس وقيل هو الذى يولد اخرس وبكم عن الكلام اذا امتنع منه
جهلا او تعمدا كالخرس والابكم الذى لا يفصح لانه كالخرس واصل العمى ذهاب الادراك بالعين والعمى
فى القلب كالعمى فى العين بآفة تمنع من الفهم واعماه اذا اوجد فى عينيه عمى وعمى الكتاب تعمية وتعامى عن الامر
تعاميا وتعمى الامر تطمس كان به عمى وما اعماه من عمى القلب لا يقال ذلك من الجارحة والعماية الغواية والعماء
السحاب الكثيف المطبق والرجوع مصدر رجع يرجع رجوعا ورجعه رجعا والارتجاع اجتلاب الرجوع والاسترجاع
طلب الرجوع وتراجع تعامل وترجع تعمد للرجوع ورجع كثر فى الرجوع ورجع الجواب رده والمرجوعة جواب الرسالة
والرجع المطر ومنه قوله والسماء ذات الرجع والرجع نبت الربيع والرجوع عن الشئ بخلاف الرجوع اليه والمعنى
انهم صم عن الحق لا يعرفونه لانهم كانوا يسمعون باذانهم وبكم عن الحق لا ينطقون مع ان السنتهم صحيحة عمى لا
يعرفون الحق واعينهم صحيحة كما قال وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون فهم لا يرجعون ويحتمل امرين احدهما ما روى
عن ابن عباس انه على الذم والاستبطاء والثانى ما روى عن ابن مسعود انهم لا يرجعون الى الاسلام وقال قوم انهم
لا يرجعون عن شراء الضلالة بالهدى وهو اليق بما تقدم وهذا يدل على ان قوله ختم الله على قلوبهم وطبع الله عليها
ليس هو على وجه الحيلولة بينهم وبين الايمان لانه وصفهم بالصم والبكم والعمى مع صحة حواسهم وانما اخبر بذلك
عن الفهم الكفر واستثقالهم للحق والايمان كانهم ما سمعوه ولا راوه فلذلك قال طبع الله على قلوبهم واضلهم
واصمهم واعمى ابصارهم وجعل على قلوبهم اكنة فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم وكان ذلك اخبارا عما احدثوه عند
امتحان الله اياهم وامره لهم بالطاعة والايمان لانه ما فعل بهم ما منعهم من الايمان وقد يقول الرجل حب المال
قد اعمى فلانا واصمه ولا يريد بذلك نفى حاسته لكنه اذا شغله عن الحقوق والقيام بما يجب عليه قيل اصمه واعماه
وكما قيل فى المثل حبك للشئ يعمى ويصم ويريدون به ما قلناه وقال مسكين الدارمى   اعمى اذا ما جارتى خرجت
حتى يوارى جارتى الجدر   وتصم عما كان بينهما   اذنى وما فى سمعها وقر   وقال اخر اصم عما
ساءه سميع فجمع الوصفين وانما جاز صم بكم بعد وصف حالهم فى الاخرة كما فى قوله وتركهم فى ظلمات لا يبصرون
لامرين احدهما ان المعتمد من الكلام على ضرب المثل لهم فى الدنيا فى الانتفاع باظهار الايمان الثانى انه اعتراض بين
شيئين بما يحقق حالهم منهما على سائر امرهما وقيل ان معناه التقديم والتاخير قوله تعالى او كصيب من السماء فيه
ظلمات ورعد وبرق يجعلون اصابعهم فى اذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين
الصيب على فيعل من صاب يصوب واصله صيوب لكن استقبلتها ياء ساكنة فقلبت الواو ياء وادغمتا كما قيل سيد
من ساد يسود وجيد من جاد يجود قياسا مطردا والصيب المطر وكل نازل من علو الى سفل يقال فيه صاب يصوب قال
الشاعر   كانهم صابت عليهم سحابة   صواعقها يطرهن دبيب
وقال عبيد بن الابرص حتى عفاها صيب رعده   دانى النواحى مغدق وابل

وهذا مثل ضربه الله للمنافقين كان المعنى او كاصحاب صيب فجعل كفر الاسلام لهم مثلا فيما ينالهم فيه من
الشدائد والخوف وما يستضيئون به من البرق مثلا لما يستضيئون به من الاسلام وما ينالهم من الخوف
فى البرق بمنزلة ما يخافونه من القتل بدلالة قوله يحسبون كل صيحة عليهم وقال ابن عباس الصيب القطر وقال عطا
هو المطر وبه قال ابن مسعود وجماعة من الصحابة وبه قال قتادة وقال مجاهد الصيب الربيع وتاويل الآية
مثل استضاءة المنافقين بضوء اقرارهم بالاسلام مع استسرارهم الكفر كمثل موقد نار يضوء ناره او كمثل
مطر مظلم ودقه يجرى من السماء تحمله مزنة ظلماء فى ليلة مظلمة فان قيل فان كان المثلان للمنافقين فلم قال
او كصيب واو لا يكون الا للشك وان كان مثلهم واحدا منهما فما وجه ذكر الآخر واو وهى موضوعة للشك من المخبر
عما اخبر به قيل ان او قد يستعمل بمعنى الواو كما يستعمل للشك بحسب ما يدل عليه سياق الكلام قال توبة بن
الحمير   وقد زعمت ليلى بانى فاجر   لنفسى تقاها او عليها فجورها   ومعلوم ان توبة لم يقل ذلك
على وجه الشك وانما وضعها موضع الواو وقال جرير   نال الخلافة او كانت له قدرا   كما اتى ربه موسى
على قدر   ومثله كثير قال الزجاج معنى او فى الآية التخيير كانه قال انكم مخيرون بان تمثلوا المنافقين
تارة بموقد النار وتارة بمن حصل فى المطر يقال جالس الحسن وابن سيرين اى انت مخير فى مجالسة من شئت منهما
والرعد قال قوم هو ملك موكل بالسحاب يسبح روى ذلك عن مجاهد وابن عباس وابى صالح وهو المروى
عن ائمتنا عليهم السلام وقال قوم هو ريح تختنق تحت السماء رواه ابو خالد عن ابن عباس وقال قوم هو اصطكاك
اجرام السحاب فمن قال انه ملك قدر فيه صوته كانه قال فيه ظلمات وصوت رعد لانه روى انه يزعق به كما يزعق
الراعى بغنمه والصيب اذا كان مطرا والرعد اذا كان صوت ملك كان يجب ان يكون الصوت فى المطر لانه قال فيه
والهاء راجعة اليه والمعلوم خلافه لان الصوت فى السحاب والمطر فى الجو الى ان ينزل ويمكن ان يجاب عن
ذلك بان يقال لا يمتنع ان يحل الصوت المطر حين انفصاله من السحاب ولا مانع يمنع منه ويحتمل ان يكون المراد
به مع كانه قال معه ظلمات ورعد وقد بينا جوازه فيما مضى واما البرق فروى عن على عليه السلام انه قال
مخاريق الملائكة من حديد تضرب بها السحاب فتنقدح منه النار وروى عن ابن عباس انه سوط من نور يزجر به
الملك السحاب وقال قوم انه ما رواه ابو خالد عن ابن عباس وقال مجاهد هو مصع ملك والمصاع المجالدة
بالسيوف وبغيرها قال الاعشى بن ثعلبة يصف جوارى لعبن بحليتين   اذا هن نازلن اقرانهن   كان
المصاع بما فى الجون   يقال منه ماصعه مصاعا والمعانى متقاربة لان قول على عليه السلام انه مخاريق وقول ابن عباس
انه سياط يتقاربان وما قال مجاهد انه مصاع قريب لانه لا يمتنع انه اراد مصاع الملك بذلك اذا جاء به
والصواعق جمع صاعقة وهو الشديد من صوت الرعد فيقع منه قطعة نار تحرق ما وقعت عليه والصاعقة
صيحة العذاب والصاعقة الصوت الشديد للثور والحمار صعق صعاقا والصعق الموت من صوت الصاعقة
والصعق الغشى من صوت الصاعقة صعق فهو صعق ومنه قوله وخر موسى صعقا وروى شهر بن حوشب
ان الملك اذا اشتد غضبه طارت النار من فيه فهى الصواعق وقيل ان الصواعق نار تنقدح من اصطكاك الاجرام
وقريش وغيرهم من الفصحاء يقولون صاعقة وصواعق والقوم يصعقون وتميم وبعض ربيعة يقولون صواقع
والقوم يصقعون وفى تاويل الآية وتشبيه المثل اقاويل روى عن ابن عباس انه مثل للقرآن شبه المطر المنزل
من السماء بالقرآن وما فيه من الظلمات بما فى القرآن من الابتلاء وما فيه من الرعد بما فى القرآن من الزجر وما
فيه من البرق بما فيه من البيان وما فيه من الصواعق بما فى القرآن من الوعيد اجلا والدعاء الى الجهاد عاجلا و
قيل انه مثل للدنيا وما فيها من الشدة والرخاء والبلاء كالصيب الذى يجمع نفعا وضرا فان المنافق يدفع عاجل
الضر ويطلب اجل النفع والثالث انه مثل القيمة لما يخافونه من وعيد الآخرة لشكهم فى دينهم وما فيه من البرق بما
فيه من اظهار الاسلام من حقن دمائهم ومناكحهم ومواريثهم وما فيه من الصواعق بما فى الاسلام من الزواجر
بالعقاب فى العاجل والاجل والرابع انه ضرب الصيب مثلا بظاهر ايمان المنافق ومثل ما فى الظلمات بضلالته
وما فيه من البرق بنور ايمانه وما فيه من الصواعق بهلاك نفاقه والوجه الاخير اشبه بالظاهر واليق بما تقدم ودو

ابن مسعود وجماعة من الصحابة ان رجلين من المنافقين من اهل المدينة هربا من رسول الله صلعم فاصابهما
المطر الذى ذكره الله فيه رعد شديد وصواعق وبرق فجعلا كلما اصابهما الصواعق جعلا اصابعهما فى
اذانهما من الفرق ان يدخل الصواعق فى اذانهما فيقتلهما واذا لمع البرق مشيا فى ضوئه واذا لم يلمع لم يبصرا فاقاما
مكانهما لا يمشيان فجعلا يقولان ليتنا قد اصبحنا فناتى محمدا فنضع ايدينا فى يده فاصبحا فاتياه واسلما وحسن
اسلامهما فضرب الله شان هذين المنافقين مثلا لمنافقى المدينة وانهم اذا حضروا النبى صلعم جعلوا اصابعهم
فرقا من كلام النبى صلعم ان ينزل فيهم شئ كما قام ذانك المنافقان يجعلان اصابعهما فى اذانهما واذا اضاء لهم
مشوا فيه يعنى اذا كثرت اموالهم واصابوا غنيمة وفتحا مشوا فيه وقالوا دين محمد صلعم صحيح واذا اظلم عليهم قاموا
يعنى اذا اهلكت اموالهم وولد لهم البنات واصابهم البلاء قالوا هذا من اجل دين محمد صلعم وارتدوا كما قام ذانك المنافقان
اذا اظلم البرق عليهما ويقوى عندى ان هذا مثل اخر ضربه الله بالرعد والبرق لما هم فيه من الحيرة والالتباس فالرعد ظ
يقول لا يرجعون الى الحق الا خلسا كما يلمع البرق ثم يعودون الى ضلالهم واصلهم الذى هم عليه ثابتون و
اليه يرجعون للكفر كظلمة الليل والمطر الذى يعرض فى خلالهما البرق لمعاودهم فى اثناء ذلك يحذرون الوعيد والكفر ظ
والعذاب العاجل ان اظهروا الكفر كما يحذرون الصواعق من الرعد فيضعون اصابعهم فى اذانهم
ارتياعا وانزعاجا فى الحال ثم يعودون الى الحيرة والضلال حذر الموت نصب على التميز وتقديره من حذر
الموت ويجوز ان يكون نصبا لانه مفعول له فكانه قال يفعلون هذا لاجل حذر الموت ويحتمل ان يكون نصبا
على الحال والموت ضد الحياة والاماتة فعل يعدم الموت والميتة ما لم يدرك ذكاته والميتة الموت فى حال مخصوص بعده
منه ذلك ميتة سوء والموتان وقوع الموت فى المواشى وموتان المواشى اذا كثر فيها الموت وموتان الارض
التى لم تزرع والحذر طلب السلامة من المضرة وحذره تحذيرا وحاذره محاذرة والحذيرة المكان الغليظ لانه
يحذر منه قوله محيط بالكافرين يحتمل امرين احدهما انه عالم بهم وان كان عالما بغيرهم وانما خصهم لما فيه من
التهديد والثانى انه المقتدر عليهم وان كان مقتدرا على غيرهم لانه تقدم ذكرهم ولما فيه من الوعيد و
المحيط القادر قال الشاعر
احطنا بهم حتى اذا ما تيقنوا … بما قد رووا مالوا جميعا الى السلم
اى قدرنا عليهم فاما الاحاطة بمعنى كون الشئ حول الشئ مما يحيط به فلا يجوز على الله تعالى لانه من صفات
الاجسام والذى يجوز الاحاطة بمعنى الاقتدار والملك كما يقال احاط ملكك بمال عظيم يعنون انه يملك مالا
عظيما ويقال حاطه يحوطه حوطا اذا حفظه من سوء يلحقه ومنه الحائط لانه يحيط بما فيه واحاط به جعل عليه
كالحائط الدائر والاحتياط الاجتهاد فى حفظ الشئ قوله تعالى يَكادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصارَهُمْ كُلَّما أَضاءَ
لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قامُوا وَلَوْ شاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلى
كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ اية معنى يكاد يقارب وفيه مبالغة فى العرب وحذفت منه ان لانها للاستقبال قال الفرزدق
يكاد يمسكه عرفان راحته … ركن الحطيم اذا ما جاء يستلم
يخطف فيه لغتان يقال خطف يخطف وخطف يخطف والاول افصح وعليه القراء وروى عن الحسن يخطف بكسر
الخاء وكسر الطاء ويروى يخطف بكسر الياء والخاء والطاء والخطف السلب ومنه الحديث انه نهى عن الخطفة
يعنى النهبة ومنه قيل الخطاف والذى يخرج به الدلو من البئر خطاف لاختطافه واستلابه قال نابغة بنى ذبيان
خطاطيف حجن فى حبال متينة … تمد بها ايد اليك نوازع تواضع ظ حجن جمع حجناء
جعل ضوء البرق وشدة شعاع نوره كضوء اقرارهم بالسنتهم بالله وبرسوله وبما جاء من عند الله واليوم
الاخر ثم قال كلما اضاء لهم مشوا فيه يعنى كلما اضاء البرق لهم وجعل البرق مثلا لايمانهم واضاءة الايمان
ان يروا فيه ما يعجبهم فى عاجل دنياهم من اصابة الغنائم والنصرة على الاعداء فلذلك اضاء لهم لانهم انما
يظهرون بالسنتهم ما يظهرونه من الاقرار ابتغاء ذلك ومدافعة عن انفسهم واموالهم كما قال ومن الناس من
يعبد الله على حرف فان اصابه خير اطمان به وان اصابته فتنة انقلب على وجهه واذا اظلم عليهم يعنى ضوء البرق
على السائرين فى الصيب الذى ضربه مثلا للمنافقين وظلام المنافقين ان يروا فى الاسلام ما لا يعجبهم فى دنياهم

من ابتلاء الله المؤمنين بالفقر وتمحيصه اياهم بالشدائد والبلاء من اخفائهم فى مغازيهم او ادالة عدوهم
او ادبار دنياهم عنهم اقاموا على نفاقهم وثبتوا على ضلالهم كما ثبتا السائرون فى الصيب الذى ضربه اذا السائرة ظ
اظلم وخفت ضوء البرق فحار فى طريقه فلم يعرف منهجه وقوله ولو شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم انما
خص الله تعالى ذكر السمع والبصر لانه لو شاء لذهب بهما دون سائر اعضائهم لما جرى من ذكرهما فى الايتين من
قوله يجعلون اصابعهم فى اذانهم من الصواعق حذر الموت وفى قوله يخطف ابصارهم فلما جرى ذكرهما على
وجه المثل عقب بذلك بانه لو شاء اذهبه من المنافقين عقوبة لهم على نفاقهم وكفرهم كما توعد فى قوله محيط
بالكافرين وقوله بسمعهم قد بينا فيما تقدم انه مصدر يدل على الجمع وقيل انه واحد موضوع للجمع فكانه اراد
باسماعهم قال الشاعر
كلوا فى نصف بطنكم تعيشوا … فان زمانكم زمن خميص نميص ظ
اراد البطون ويقال ذهبت به واذهبته وحكى اذهب به وهو ضعيف ذكره الزجاج والمعنى ولو شاء الله لاظهر
على كفرهم فدمر عليهم واهلكهم لانه على كل شئ قدير اى قادر وفيه مبالغة قوله تعالى يا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ
الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ اية افصح اللغات فتح الهاء بايها وبعض بنى مالك من بنى
اسد رهط شقيق بن سلمة يقولون يا ايه الناس ويا ايتها المرأة ويا ايه الرجل ولا يقرأ بها ومن ضمها اية ظ
توهمها اخر الحروف وقد حذفت الالف فى الكتابة من ثلاثة مواضع ايه المؤمنون ويا ايه الساحر وايه الثقلان
وسنذكر خلاف القراء فى التلفظ به وروى عن علقمة والحسن ان كلما فى القران يا ايها الذين امنوا انزل بالمدينة
وما فيه يا ايها الناس نزل بمكة واعلم ان ايا اسم مبهم ناقص جعل صلة الى نداء ما فيه الالف واللام ويلزمه
هاء التى للتنبيه لابهامه ونقصه واجاز المازنى يا ايها الظريف قياسا على يا زيد الظريف ولم يجزه غيره لان
ايا ناقص والنصب عطفا على الموضع بالحمل على المعنى ولا يحمل على التاويل الا بعد التمام وهذا هو الصحيح عندهم
وهذه الاية متوجهة الى جميع الناس مؤمنهم وكافرهم لحصول العموم فيها الا من ليس بشرائط التكليف من
المجانين والاطفال وروى عن ابن عباس انه قال قوله اعبدوا ربكم اى وحدوه وقال غيره ينبغى ان يحمل على
عمومه فى كل ما هو عبادة لله من معرفته ومعرفة انبيائه والعمل بما اوجبه عليهم وندبهم اليه وهو الاقوى
وقوله لعلكم تتقون اى تتقوا عذابه بفعل ما اوجبه عليكم كما قال واتقوا النار التى اعدت للكافرين و
قوله والذين فى موضع نصب لانه عطف على الكاف والميم فى قوله خلقكم وهو مفعول به من قبلكم اى من
تقدم زمانكم من الخلائق والبشر وقال مجاهد تتقون تطيعون والاول اقوى والخلق هو الفعل على
تقدير خلق الله السموات فعلها على تقدير ما تدعو اليه الحكمة من غير زيادة ولا نقصان ومثله الرزق
والخلق الطبع والخليقة الطبيعة وخليق به شبيه به والخلاق النصيب والاختلاق افتعال الكذب والخلق
البالى والاخلق الاملس ومعنى لعلكم تتقون قال الشاعر لتتقوا ظ
وقلتم لنا كفوا الحروب لعلنا … نكف ووثقتم لنا كل موثق
فلما كففنا الحرب كانت عهودكم … كلمع سراب فى الملا متالق
يعنى قلتم لنا كفوا لنكف لانه لو كان شاكا لما كانوا وثقوا كل موثق ويقول القائل اقبل قولى لعلك ترشد
وادخاله لعل ترقيق للموعظة وتقريب لها من قلب الموعوظ يقول القائل لاجيره اعمل لعلك تاخذ الاجرة
وليس يريد بذلك الشك وانما يريد لتاخذ اجرتك وقال سيبويه انما وردت ذلك على شك المخاطبين كما قال تعالى
فقولا له قولا لينا لعله يتذكر او يخشى واراد بذلك الابهام على موسى وهرون وفائدة ايراد لفظة لعل
هو ان لا يحل العبد ابدا محل الامن المدل لكى يزداد حرصا على العمل وحذرا من تركه واكثر ما جاءت لعل و
غيرها من معانى التشكيك فيما يتعلق بالاخرة فى دار الدنيا فاذا ذكرها الاخرة مفردة جاء اليقين وهذه الاية
يمكن الاستدلال بها على ان الكفار مخاطبون بالعبادات لدخولهم تحت الاسم وقال بعضهم معنى قوله لعلكم
تتقون لكى تتقوا النار فى ظنكم ورجائكم لانهم لا يعلمون انهم يوقون النار فى الاخرة لان ذلك من علم الغيب
الذى لا يعلمه الا الله قال لعلكم تتقون ذلك فى ظنكم ورجائكم واجرى لعل على العباد دون نفسه تعالى الله عن
ذلك وهذا قريب مما حكيناه عن سيبويه ولعل فى الاية يجوز ان تكون متعلقة بالتقوى ويجوز ان تكون متعلقة

بالعبادة فى قوله اعبدوا وهو الاقوى قوله تعالى الذى جعل لكم الارض فراشا والسماء بناء وانزل
من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله اندادا وانتم تعلمون اية واحدة
الذى فى موضع نصب لانه نعت لقوله ربكم فى قوله اعبدوا ربكم وهى مثل الذى قبلها فانهما جميعا نعتان
لربكم فراشا يعنى مهادا او وطاء لا حزنة خليظة لا يمكن الاستقرار عليها وتقديره اعبدوا ربكم الخالق لكم والخالق
للذين من قبلكم الجاعل لكم الارض فراشا فذكر بذلك عباده نعمه عليهم وآلائه لديهم ليذكروا اياديه عندهم
فيثبتوا على طاعته تعطفا منه بذلك عليهم ورأفة منه بهم ورحمة لهم من غير ما حاجة منه الى عبادتهم لتتم نعمته
لعلهم يهتدون وسمى السماء سماء لعلوها على الارض وعلو مكانها من خلقه وكل شئ كان فوق شئ فهو
لما تحته سماء لذلك وقيل لسقف البيت سماء لانه فوقه وسمى السحاب سماء ويقال سمى فلان لفلان اذا اشرف
له وقصد نحوه عاليا عليه قال الفرزدق   سمونا لنجران اليمانى واهله   ونجران ارض لم تديث مقاوله
وقال النابغة الذبيانى   سمت لى نظرة فرايت منها   بحيث الحذر واضعة القرام
يريد بذلك اشرفت لى نظرة وبدت وقال الزجاج كل ما على الارض فهو بناء لا مساك بعضها بعضا فيامنوا
بذلك سقوطها فخلق السماء بلا عمد وخلق الارض بلا اسناد يدل على توحيده وقدمه لان المحدث لا يفعل على
مثل ذلك وانما قابل بين السماء وبين الفراش لامرين احدهما ما حكاه ابو زيد ان بنيان البيت سماؤه وهو اعلاه
وكذلك بناؤه وانشد   بنى السماء فسواها ببنيتها   ولم تمد باطناب ولا عمد
يريد ببنيتها علوها والثانى ان سماء البيت لما كان قد يكون بناء وغير بناء اذا كان من شعر او وبر او غيره
قيل جعلها بناء ليدل على العبرة برفعها وكانت المقابلة فى الارض والسماء باحكام هذه بالفرش وتلك
بالبناء وقوله من السماء اى من ناحية السماء قال الشاعر امنك البرق ارقبه فهاجا اى من ناحيتك فبنا السماء على
الارض كهيئة القبة وهى سقف على الارض وانما ذكر السماء والارض فيما عدد عليهم من نعمه التى انعمها عليهم لان
فيها اقواتهم وارزاقهم ومعايشهم وبها قوام دنياهم واعلمهم ان الذى خلقهما وخلق جميع ما فيهما من انواع
النعم هو الذى يستحق العبادة والطاعة والشكر دون الاصنام والاوثان التى لا تضر ولا تنفع وقوله وانزل من
السماء ماء يعنى مطرا فاخرج بذلك المطر مما انبتوه فى الارض من زرعهم وغروسهم ثمرات رزقا لهم وغذاء وقوتا
تنبيها على انه هو الذى خلقهم وانه الذى يرزقهم ويكلفهم دون من جعلوه ندا وعدلا من الاوثان والآلهة
ثم زجرهم ان يجعلوا له ندا مع علمهم بان ذلك كما اخبرهم وانه لا ند له ولا عدل ولا لهم نافع ولا ضار ولا خالق
ولا رازق سواه بقوله فلا تجعلوا لله اندادا والند العدل والمثل قال حسان بن ثابت اتهجوه ولست له بند
فشركما لخيركما الفداء   اى لست له بمثل ولا عدل وقال جرير   اتيما تجعلون الى ندا   وما تيم لذى حسب نديد
وقال المفضل بن سلمة الند الضد والند والشرود كما يند البعير ويوم التناد يوم التنافر والتشديد للتقليل
والفراش البساط والفرش البسط فرش يفرش فرشا وافترش افتراشا وفراش الرأس طرائق دقاق من القحف
والفراش فراش القاع والطين بعد ما يبس على وجه الارض والفراش الذى يطير وجارية فريش قد افترشها الرجل
والفرش صغار النعم ورجل فراشة خفيف والفرش من الشجر دقه واصل الماء موه لانه يجمع امواها ويصغر مويه
وماهت الركية تموه موها واماهها صاحبها اذا اكثر ماؤها اماهة وروى عن ابن مسعود وغيره من الصحابة
ان معنى الاية لا تجعلوا لله اكفاء من الرجال تطيعوهم فى معصية الله قال ابن عباس انه خاطب بقوله فلا تجعلوا
لله اندادا وانتم تعلمون جميع الكفار من عباد الاصنام واهل الكتابين لان معنى قوله وانتم تعلمون انه لا رب
لكم يرزقكم غيره وان ما تعبدون لا يضر ولا ينفع وروى عن مجاهد انه عنى بذلك اهل الكتابين لانهم الذين
كانوا يعلمون انه لا خالق لهم غيره ولا منعم عليهم سواه والعرب ما كانت يعتقد وحدانيته تعالى والاول اقوى
لان الله تعالى قد اخبر ان العرب قد كانت تعتقد وحدانيته تعالى فقال تعالى حكاية عنهم ولئن سألتهم من خلق
السموات والارض ليقولن الله ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله وقال تعالى قل من يرزقكم من السماء والارض امن
يملك السمع والابصار ومن يخرج الحى من الميت ويدبر الامر فسيقولون الله فقل افلا تتقون فحمل الاية

فراشاً ع
ويتهافت فى السراج
و فى بشرا يعيش
فرشة

٣
من خلقهم

على

على عمومها اولى ويطابق اول الاية وقد بينا انه خطاب لجميع الخلق واستدل ابو على الجبائى بهذه الاية
على ان الارض بسيطة ليست كرة كما يقول المنجمون والبلخى بان قال جعلها فراشا والفراش البساط بسط الله تعالى
اياها والكرة لا تكون مبسوطة قال والعقل يدل ايضا على بطلان قولهم لان الارض لا يجوز ان تكون كروية
مع كون البحار فيها لان الماء لا يستقر الا فيما له جنبان يتساويان لان الماء لا يستقر فيه كاستقراره فى الاوانى
فلو كانت له ناحية فى البحر مستعلية على الناحية الاخرى لصار الماء من الناحية المرتفعة الى الناحية المنخفضة
كما يصير كذلك اذا امتلأ الاناء الذى فيه الماء وهذا الا يدل على ما قاله لان قول من قال الارض كروية
معناه ان لجميعها شكل الكرة وقوله وانتم تعلمون يحتمل امرين احدهما انكم تعلمون انه لا خالق لكم ولا منعم
بما عدده من انواع النعم سوى الله وان من اشركتم به لا يضر ولا ينفع والثانى انه اراد وانتم علماء
بامور معايشكم وتدبير حروبكم ومضاركم ومنافعكم لستم باغفال ولا جهال قوله تعالى وان كنتم فى
ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين
اية بلا خلاف هذه الاية فيها احتجاج الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وآله على مشركى قوم من العرب و
المنافقين وجميع الكفار من اهل الكتابين وغيرهم لانه خاطب قوما اما عقلاء الباء فى الذروة العليا من الفصاحة
والغاية القصوى من البلاغة واليهم المفزع فى ذلك فجاءهم بكلام من جنس كلامهم وجعل عجزهم من مثله
حجة عليهم ودلالة على بطلان قولهم وبخهم وقرعهم وامهلهم المدة الطويلة وقال لهم فاتوا بعشر سور مثله
مفتريات ثم قال فاتوا بسورة مثله وقال فى موضع آخر بسورة من مثله وخبرهم ان عجزهم انما هو عن النظير
والجنس مع انه ولد بين اظهرهم ونشأ معهم ولم يفارقهم فى سفر ولا حضر وهو من لا يخفى عليهم حاله لشهرة
موضعه وهم اهل الحمية والانفة يأتى الرجل منهم بسبب كلمة على القبيلة فيبذلوا اموالهم ونفوسهم فى اطفاء
امره ولم يتكلفوا معارضته بسورة ولا خطبة فدل ذلك على صدقه وذكرنا ذلك فى الاصول وقوله بسورة
من مثله قال قوم انها بمعنى التبعيض وتقديره فاتوا ببعض ما هو مثله وهو سورة وقال آخرون هى
بمعنى تبيين الصفة كقوله فاجتنبوا الرجس من الاوثان وقال قوم ان من زائدة كما قال فى موضع آخر بسورة
مثله يعنى مثل هذا القران وقال آخرون اراد بذلك من مثله فى كونه بشرا اميا طريقته مثل طريقته والاول
اقوى لانه تعالى قال فى سورة اخرى بسورة مثله ومعلوم ان السورة ليست محمدا ولا له نظير ولان فى هذا
الوجه تضعيفا لكون القران معجزة ودلالة على النبوة وقوله وادعوا شهداءكم من دون الله قال ابن عباس
اراد اعوانكم على ما انتم عليه ان كنتم صادقين وقال الفراء اراد ادعوا آلهتكم وقال مجاهد وابن جريج اراد
قوما يشهدون لكم بذلك ممن يقبل قولهم وقول ابن عباس اقوى وقوله مثله اراد به ما يقاربه فى الفصاحة
ونظمه وحسن ترصيفه وتاليفه ليعلم انه اذا عجزوا عنه ولم يتمكنوا منه انه من فعل الله تعالى جعله تصديقا لنبيه
وليس المراد ان القران له مثل عند الله ولولاه ثم لم يصح التحدى لانما قالوه لا دليل عليه والاعجاز يصح وان
لم يكن له مثل اصلا بل ذلك ابلغ فى الاعجاز لان ذلك جار مجرى قوله هاتوا برهانكم وانما اراد نفى البرهان
اصلا والدعاء اراد به الاستعانة قال الشاعر   وقبلك رب خصم قد تمالوا   على فما جزعت ولا دعوت
وقال آخر   فلما التقت فرساننا ورجالنا   دعوا يا لكعب واعتزينا لعامر
يعنى انتصروا بكعب واستغاثوا بهم وشهداء جمع شهيد مثل شريك وشركاء وخطيب وخطباء والشهيد يسمى
به الشاهد على الشئ لغيره بما يحقق دعواه وقد يسمى به المشاهد للشئ كما يقال جليس فلان يريد به مجالسه ومناده
فعلى هذا تفسير ابن عباس اقوى وهو ان معناه استنصروا اعوانكم على ان ياتوا بمثله وشهداءكم الذين يشاهدونكم
ويعاونونكم على تكذيب الله ورسوله ويظاهرونكم على كفركم ونفاقكم ان كنتم محقين وما قاله مجاهد وابن جريج
فى تاويل ذلك لا وجه له لان القوم على ثلاثة اصناف فبعضهم اهل ايمان صحيح وبعضهم اهل كفر صحيح وبعضهم اهل
نفاق فاهل الايمان اذا كانوا مؤمنين بالله ورسوله فلا يجوز ان يكونوا شهداء للكفار على ما يدعونه واما
اهل النفاق والكفر فلا شك انهم اذا دعوا الى تحقيق الباطل وابطال الحق سارعوا اليه مع كفرهم وضلالتهم فمن

النعم ع

اى الفريقين كانت تكون شهداء لكن يجرى ذلك مجرى قوله قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا
القران لا ياتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا وقد اجاز قوم هذا الوجه ايضا قالوا لان العقلاء لا
يجوز ان يحملوا انفوسهم على الشهادة بما يفتضحون به فى كلام انه مثل القران ولا يكون مثله كما لا يجوز ان
يحملوا انفوسهم على ان يعارضوا ما ليس بمعارض فى الحقيقة ومعنى الاية ان كنتم فى شك من صدق محمد صلعم
فيما جاءكم به من عندى فاتوا بسورة من مثله فاستنصروا بعضكم بعضا على ذلك ان كنتم صادقين فى زعمكم
حتى اذا عجزتم وعلمتم انه لا يقدر على ان ياتى به محمد صلعم ولا احد من البشر يصح عندكم انه من عند الله تعالى

قوله تعالى فَاِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِى وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ اُعِدَّتْ لِلْكَافِرِيْنَ

اية معنى فان لم تفعلوا لم ياتوا بسورة من مثله وقد تظاهرتم انتم وشركاءكم عليه واعوانكم وقد تبين لكم
بامتحانكم واختباركم عجزكم وعجز جميع الخلق عنه وعلمتم انه من عندى ثم اقمتم على التكذيب به وقوله فان لم
تفعلوا لا موضع له من الاعراب وانما هو اعتراض بين المبتداء والخبر كقولك زيد فافهم ما اقول رجل صدق
وانما لم يكن له موضع اعراب لانه لم يقع موضع المفرد ومعنى ولن تفعلوا اى لن ياتوا بسورة من مثله ابدا لان
لن تنفى على التابيد فى المستقبل وفى قوله ولن تفعلوا دلالة على صحة نبوته لانه يتضمن الاخبار عن حالهم فى
المستقبل بانهم لا يفعلون ولا يجوز لعاقل ان يقدم على جماعة من العقلاء يريد تهجينهم فيقول انتم لا تفعلون الا
وهو واثق بذلك ويعلم ان ذلك متعذر عندهم وينبغى ان يكون الخطاب خاصا لمن علم الله انه لا يؤمن ولا يجاء
فيه منهم من فيما بعد والا كان كذبا وقوله فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة والوقود بفتح الواو اسم
لما يوقد والوقود بضمها المصدر وقيل انهما بمعنى واحد فى المصدر واسم الحطب حكاه الزجاج والبلخى والاول
اظهر اتقوا الله مشددة لغة اهل الحجاز وبنو اسد وتميم يقولون تقوا الله خفيفة يحذفون الالف الحجارة قيل انها
حجارة الكبريت لانها احر شئ اذا احميت وروى ذلك عن ابن عباس وابن مسعود والظاهر ان الناس والحجارة
وقود النار وحطبها كما قال انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم هيبا وتعظيما بانها تحرق الحجارة والناس
وقيل ان اجسادهم تبقى على النار بقاء الحجارة التى توقدها النار بالقدح وقال قوم معناه انهم يعذبون
بالحجارة المحماة مع النار والاول اقوى والبق بالظاهر وانما جاز ان يكون قوله فاتقوا النار جواب الشرط مع
لزوم الاتقاء من النار كيف تصرفت الحال لانه لا يلزمهم الاتقاء على التصديق بالنبوة الا بعد قيام المعجزة فكانه
قال فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فقد قامت الحجة ووجب اتقاء النار بالمخالفة وقوله اعدت للكافرين لا يمنع
من اعدادها لغير الكافرين من الفساق كما قال وان جهنم لمحيطة بالكافرين ولم يمنع ذلك من احاطتها بالفساق
والزناة والزبانية وقال قوم هذه نار مخصوصة للكافرين لا يدخلها غيرهم وللفساق لهم نار اخرى وقد استدل
بهذه على بطلان قول من حرم النظر والحجاج العقلى فانه قيل كما احتج الله تعالى على الكفار بما ذكره على الكفار
فى هذه الاية والزمهم به تصديق النبى صلعم والمعرفة بان القران كلامه لانه قال ان كان هذا القران كلام
محمد فاتوا بسورة من مثله ودلهم بعقولهم انه لو كان كلام محمد لتهيا لهم مثل ذلك لانهم الذين يوخذ عنهم
اللغة واذا كان لم يتهيا لهم ذلك علموا بعقولهم انه من كلام الله وهذا هو معنى الاحتجاج بالمعقول فيجب ان نكون
ذلك صحيحا من كل واحد قوله تعالى وَبَشِّرِ الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ اَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِىْ مِنْ تَحْتِهَا الْاَنْهَارُ

كُلَّمَا رُزِقُوْا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوْا هٰذَا الَّذِىْ رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَاُتُوْا بِهٖ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيْهَا اَزْوَاجٌ
مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيْهَا خَالِدُوْنَ اية البشارة هو الاخبار بما يسر المخبر به اذا كان سابقا لكل خبر سواه لان الثانى
لا يسمى بشارة وقد قيل ان الاخبار بما يغم ايضا يسمى بشارة كما قال تعالى فبشرهم بعذاب اليم والاولى ان يكون
ذلك مجازا وهى ماخوذة من البشرة وهى ظاهر الجلد لتغيرها باول الخبر ومنه تباشير الصبح اوله وكذلك تباشير
كل شئ المبشرات الرياح التى تجئ بالسحاب والبشر الانسان والبشرة اعلى جلدة الجسد والوجه من الانسان والمباشرة
ملاصقة البشرة والبشر قشر الجلد والجنات جمع جنة والجنة البستان والمراد بذكر الجنة ما فى الجنة من اشجارها و
اثمارها وغروسها دون ارضها فلذلك قال تجرى من تحتها الانهار لانه معلوم انه اراد الخبر عن ماء انهارها

يضع

تهجينهم

تهيبا

والفساق ظ

انه جار تحت الاشجار والغروس والثمار لانه جار تحت ارضها لان الماء اذا كان تحت الارض جاريا فلا حظ فيها
للعيون الا بكشف الساتر بينه وبينها على ان الذى يوصف به انهار الجنة انها جارية فى غير اخاديد روى عن
عن مسروق رواه عنه ابو عبيدة وغيره وجنات منصوب بان وكسرت التاء لانها تاء التانيث فى جمع السلامة
وهى مكسورة فى حال النصب والخفض وموضع ان نصب بقوله وبشر الذين وقال الخليل والكسائى موضعه الجر
بالباء كانه قال وبشرهم بان لهم وقال المفضل الجنة كل بستان فيه نخل وان لم يكن شجر غيره وان كان فيه كرم
فهو فردوس كان فيه شجر غير الكرم او لم يكن من ثمرة من زائدة والمعنى كلما رزقوا ثمرة ومنها يعنى من الجنات
والمعنى اشجارها وتقديرها كلما رزقوا من اشجار البساتين التى اعدها الله للمؤمنين وقال الرمانى هى بمعنى
التبعيض لانهم يرزقون بعض الثمرات فى كل وقت ويجوز ان تكون بمعنى تبيين الصفة وهو ان يبين الرزق
من اى جنس هو وقوله هذا الذى رزقنا من قبل روى عن ابن عباس وابن مسعود وجماعة من الصحابة انه الذى
رزقنا فى الدنيا وقال مجاهد معناه اشبهه به وقال بعضهم ان ثمار الجنة اذا جنيت من اشجارها عاد مكانها
فاذا راوا ما عاد بعد الذى جنى اشتبه عليهم فقالوا هذا الذى رزقنا من قبل وهذا قول ابى عبيدة ويحيى ابن
ابى كثير وقال قوم هذا الذى رزقنا وعدنا به فى الدنيا وقد بينا فيما تقدم ان الرزق عبارة عما يصح الانتفاع
به على وجه لا يكون لاحد المنع منه وقال المفضل ذلك يخص الاوقات وقال قوم هذا الذى رزقنا من قبل لتشابهه
فى اللون وان خالفه فى الطعم واقوى الاقوال قول ابن عباس وان معناه هذا الذى رزقنا فى الدنيا لانه قال
كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذى رزقنا من قبل فعم ولم يخص فاول ما اتوا به لا يتقدمه هذا القول
فيه الا بان يكون اشارة الى ما تقدم رزقه فى الدنيا لانا فرضناه اولا وليس فى الاية تخصيص فيكون التقدير هذا
مثل الذى رزقنا فى الدنيا لان ما رزقوه اولا قد عدم واقام المضاف اليه مقام المضاف كما ان القائل اذا قال لغيره
احدثت لك طعاما وصفه لم يحسن ان يقول هذا طعام كل وقت يريد مثله ومن جنسه ونوعه وقوله واتوا به
متشابها قال الضحاك اذا راوه قالوا هو الاول فى النظر واللون واذا طعموا وجدوا له طعما غير طعم الاول
وقوله واتوا به معناه جيئوا به وليس معناه اعطوه وقال قوم واتوا به متشابها اى يشبه بعضه بعضا الا فى
المنظر والطعم اى كل واحد منه له من الفضل فى نحوه مثل الذى للاخر فى نحوه ذكره الاخفش وهذا كقول القائل
وقد جئ باثواب او اشياء رآها فاضلة فاشتبهت عليه فى الفضل فقال ما ادرى ما اختار منها كلها
عندى فاضل قال الشاعر
من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم مثل النجوم التى يسرى بها السارى
يعنى انهم تساووا فى الفضل والسودد وروى هذا عن الحسن وابن جريج وقال قتادة معناه يشبه ثمار الدنيا غير
انها اطيب وقال ابن زيد والاشجعى ان التشابه فى الاسماء دون الالوان والطعوم فلا يشبه ثمار الجنة شئ من
ثمار الدنيا فى لون ولا طعم واولى هذه الاقوال ان يكون المراد به متشابها فى اللون والمنظر على ان الطعم مختلف
لما قدمناه من ان هذا يقولونه فى اول الحال ايضا وما تقدم عليه غرة وبعد هذا قول من قال معناه ان كلها جيار
لا رذال فيه وقال بعض المتاخرين فى قوله هذا الذى رزقنا من قبل معناه هذا الذى اعطينا بعبادتنا من قبل
وقال ابو على معناه ذلك ما يؤتون به فى كل وقت من الثواب مثل الذى يؤتى فى الوقت الذى قبله من غير زيادة
ولا نقصان لانه لا يجوز ان يتساوى مقادير الاستحقاق فى ذلك وقال ايضا يجب ان يسوى بينهم فى الاوقات فى
مقدار ما يتفضل به عليهم فى وقت يزادون فى وقت اخر قال لان ذلك يؤدى الى ان التفضل اعظم من الثواب
وهذا الذى ذكره غير صحيح لان العقل لا يدل على مقادير الثواب فى الاوقات ولا يعلم ذلك غير الله بل عندنا
لا يدل العقل على دوام الثواب وانما علم ذلك بالسمع والاجماع واما التفضل فلا شك انه يجوز ان يزيد فى
وقت على ما تفضل فى وقت اخر ولا يؤدى ذلك الى ما ذكره لان الثواب يتميز من التفضل بمقارنة التعظيم
له والتبجيل ولاجل ذلك يتميز كل جزء من الثواب من كل جزء من التفضل ولا زيادة هناك وقوله ولهم فيها ازواج
مطهرة قيل فى الابدان والاخلاق والافعال ولا يحضن ولا يلدن ولا يذهبن الى الغائط وهو قول جماعة المفسرين
وقوله وهم فيها خالدون اى دائمون يبقون ببقاء الله لا انقطاع لذلك ولا نفاد قوله تعالى اِنَّ اللّٰهَ لَا

يَسْتَحْيِىْ اَنْ يَّضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوْضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَاَمَّا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا فَيَعْلَمُوْنَ اَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَّبِّهِمْ وَاَمَّا الَّذِيْنَ

المفضل

ز د

تفضله

كفروا فيقولون ماذا اراد الله بهذا مثلا يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا وما يضل به الا الفاسقين
اية واحدة اختلف اهل التاويل في سبب نزول هذه الاية فروى عن ابن مسعود وابن عباس ان الله تعالى لما ضرب
هذين المثلين للمنافقين وهو قوله كمثل الذي استوقد نارا وقوله او كصيب من السماء قال المنافقون الله
اجل من ان يضرب مثلا الى اخر الاية وقال الربيع بن انس هذا مثل ضربه الله للدنيا لان البعوضة تحيى ما جاعت
فاذا سمنت ماتت فشبه الله تعالى هؤلاء بانهم اذا امتلؤا اخذهم الله كما قال تعالى فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا
عليهم ابواب كل شيء الى اخر الاية الى ان قال حتى اذا فرحوا بما اوتوا اخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون وقال قتادة معنا
ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها اي لا يستحيي من الحق ان يذكر منه شيئا ما قل او كثر ان
الله تعالى حين ذكر في كتابه الذباب والعنكبوت قال اهل الضلالة ما اراد الله من ذكر هذا فانزل الله تعالى
ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها الاية وكل هذه الوجوه حسنة واحسنها قول ابن عباس
لانه يليق بما تقدم وبعده ما قال قتادة وليس لاحد ان يقول هذا المثل لا يليق بما تقدم من حيث لم يتقدم
للبعوضة ذكر وقد جرى ذكر الذباب والعنكبوت في موضع اخر في تشبيه الهتهم بها وان يكون المراد بذلك
اولى وذلك ان قوله ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها انما هو خبر منه تعالى انه لا يستحيي
تعالى ان يضرب مثلا في الحق من الامثال صغيرها وكبيرها لان صغير الاشياء عنده وكبيرها بمنزلة واحدة من حيث
لا يستسهل الصغير ولا يصعب الكبير وان في الصغير من الاحكام والاتقان ما في الكبير فلما تساوى الكل في قدرته
جاز ان يضرب المثل بما شاء من ذلك فيقربه لذلك المؤمنون ويسلمون وان ضل به الفاسقون بسوء اختيارهم
وهذا المعنى مروي عن مجاهد وروي عن الصادق جعفر بن محمد عم انه قال انما ضرب الله بالبعوضة
لان البعوضة على صغر حجمها خلق فيها جميع ما في الفيل مع كبره وزيادة عضوين اخرين فاراد الله ان ينبه
بذلك المؤمنين على لطف خلقه وعجيب عظم صنعه ويستحيي لغة اهل الحجاز وعامة العرب بياءين وبنو تميم
يقولون بياء واحدة اخرجه كما قالوا لم يك ولا ادر ومعنى يستحيي قال بعضهم انه لا يخشى ان يضرب مثلا كما
قال وتخشى الناس والله احق ان تخشوه معناه تستحيي الناس والله احق ان تستحييه فيكون الاستحياء بمعنى
الخشية بمعنى الاستحياء وقال المفضل بن سلمة معناه لا يمتنع وقال قوم لا يترك وهو قريب من الثاني واصل الاستحياء
الانقباض عن الشيء والامتناع منه خوفا من مواقعة القبيح والاستحياء والانخزال والانقماع والارتداع
متقاربة المعنى وضد الحياء القحة ومعنى الاستحياء في الاية انه ليس في ضرب المثل بالحقير عيب يستحيى منه فكانه قال
لا يحل ضرب المثل بالبعوضة محل ما يستحيى منه فوضع قوله ان الله لا يستحيي الاية موضعه اختاره الرماني وقوله
ان يضرب مثلا فهو ان يصف ويمثل ويبين كما قال تعالى ضرب لكم مثلا من انفسكم معناه وصف لكم كما قال الكميت
وذلك ضرب اخماس اريدت لاسداس عسى ان لا تكونا والمعنى وصف اخماس وضرب المثل بمثله يقال من
اي ضرب هذا اي من اي جنس ولون والضرب الامثال والمثل الشبه يقال مثل ومثل كما قالوا شبه وشبه كقول
كعب بن زهير كانت مواعيد عرقوب لها مثلا وما مواعيدها الا الاباطيل
يعني شبها فمعنى الاية ان الله لا يستحيي ان يصف شبها لما شبه به واما اعراب بعوضة فنصب من وجهين على قول
الزجاج احدهما ان تكون ما زائدة كانه قال ان الله لا يستحيي ان يضرب بعوضة مثلا او مثلا بعوضة مثلا ويكون
ما زائدة نحو قوله فبما رحمة من الله والثاني ان يكون ما نكرة ويكون المعنى ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا
شيئا بعوضة فكان بعوضة في موضع نصب شيء كانه قال لا يستحيي ان يضرب مثلا شيئا من الاشياء بعوضة فما
فوقها قال الفراء يجوز ان يكون معنى ما بين بعوضة الى ما فوقها كما يقول القائل مطرنا ما بين زبالة
فالثعلبية وله عشرون ما ناقة وجملا وهي احسن الناس ما قرنا فقدما يعنون ما بين في جميع ذلك وقال
بعضهم ما بمعنى الذي ويكون التقدير الذي هو بعوضة لانها من صلة الذي فاعربها باعرابه كما قال حسان
ابن ثابت فكفى بنا فخرا على من غيرنا حب النبي محمد ايانا فاعرب غيرنا باعراب من ويجوز ذلك
في من وما لانهما يكونان تارة معرفة وتارة نكرة والبعوضة من صغار البق وقوله فما فوقها في الصغر والقلة

٣ والخشية صح

كما يقول القائل ان هذا الامر لصغير فيقول المجيب فوق ذلك اي هو اصغر مما قلت وكلاهما جائزان فمن قال
بالاول قال لان البعوضة غاية في الصغر ومن قال بالثاني قال يجوز ان يكون ما هو اصغر منها وحكي عن رؤبة
ابن العجاج انه رفع بعوضة وانشد بيت النابغة قالت الا ليتما هذا الحمام لنا الى حمامتنا او نصفه فقد
بالرفع فاعمل ما ولم يعمل ليت قال وهي لغة تميم يعملون اخر الاداتين وقال الزجاج الرفع كان يجوز وما قرئ
به اذا كانت ما بمعنى الذي ويقدر بعدها هو ويكون تقديره مثلا الذي هو بعوضة كمن قرا تماما على الذي
هو احسن وقد قرئ به وهو ضعيف عند سيبويه وفي الذي اقوى لانه اطول ولانها لا تستعمل الا في الاسماء
وقوله فاما الذين لغة العرب جميعا بالتشديد وكثير من بني عامر وبني تميم يقولون ايما فلان ففعل الله به وقد
انشد بعضهم مبتلة هيفاء ايما وشاحها فيجري وايما الحجل منها فلا يجري امنوا فيعلمون
انه الحق والفاء جواب لاما وفيها معنى الشرط والجزاء والمعنى ان المؤمنين بالله على الحقيقة يعلمون ان
هذا المثل حق من عند الله وانه من كلامه واما الذين كفروا يعني الجاحدين فيقولون ماذا اراد الله بهذا
مثلا على ما بيناه وانتصب مثلا عند ثعلب بانه قطع وعند غيره انه تفسير وقال قوم انه نصب على الحال
وذا مع ما بمعنى الذي اي ما الذي اراد الله بهذا مثلا فعلى هذا يكون الجواب رفعا كقولك البيان لحال الذي ضرب المثل
ويحتمل ان يكون وقعا ذا وما بمنزلة اسم واحد فيكون الجواب نصبا كقولك البيان لحال المثل به وقد ورد القران
بهما جميعا قال تعالى ماذا انزل ربكم قالوا خيرا وفي موضع اخر ماذا انزل ربكم قالوا اساطير الاولين ذكرهما
سيبويه والاخفش وهذا اشارة الى المثل ومثلا تمام نون التنوين تدغم في الميم عند جميع القراء ويكره الوقف
فيها على قوله لا يستحيي ثم يقول ان يضرب مثلا وكذلك على قوله والله لا يستحيي ثم يقول من الحق وقوله
يضل به كثيرا وما يضل به الا الفاسقين ان قيل اليس تقولون ان الله لا يضل احدا ولا يهدي خلقا وان
العباد هم يضلون انفسهم ويهدونها وهم يضلون من شاؤا ويهدون من شاؤا وقد قال الله تعالى
في غير موضع من كتابه نحو قوله يضل من يشاء ويهدي من يشاء ولا يمكنكم ان تقولوا ان المراد بالاضلال
العقوبة والتسمية لانه لو قال يضل كثيرا ويهدي كثيرا كان ذلك ممكنا لكنه قال يضل به ويهدي به والهاء
راجعة الى القران والمثل الذي ضربه فيه ولا يجوز ان يعاقب بالمثل ولا ان يسمي بالمثل فعلم بذلك انه اراد انه
لبس عليهم وجعله حيرة لهم قلنا اول ما في ذلك انا لا نطلق ان الله لا يضل احدا ولا يهدي احدا ومن اطلق ذلك
فقد اخطأ ولا نقول ايضا ان العباد يضلون انفسهم ويهدونها مطلقا او يضلون غيرهم ويهدونهم فان اطلاق
جميع ذلك خطاء بل نقول ان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء ونقول ان من اضله الله فهو الضال ومن
هداه فهو المهتدي ولكن لا نريد بذلك ما يريده المخالف مما يؤدي الى التظلم والتجويز لله في حكمه والمخالف
يقول ان الله يضل كثيرا من خلقه بمعنى انه يسلبهم عن طاعته ويحول بينهم وبين معرفته ويلبس عليهم
الامور ويحيرهم ويغالطهم ويشككهم ويوقعهم في الضلالة ويجبرهم عليها ومنهم من يقول يخلقها فيهم
ويخلق فيهم قدرة موجبة له ويمنعهم الامر الذي به يخرجون منها فيصفون الله تعالى باقبح الصفات واخسها
وقالوا فيه بشر الاقوال وقلنا نحن ان الله قد هدى قوما واضل اخرين وانه يضل من يشاء غير انه لفضله و
كرمه وعدله ورحمته لا يشاء ان يضل الا من ضل وكفر وترك طريق الهدى وانه لا يشاء ان يضل المهتدين و
المتمسكين بطاعته بل شاء ان يهديهم ويزيدهم هدى فانه هدى المؤمنين بان يخرجهم من الظلمات الى النور
كما قال تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى واتاهم تقواهم وقال ومن يؤمن بالله يهد قلبه وقال الله ولي الذين
امنوا يخرجهم من الظلمات الى النور وقال يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا وما يضل به الا الفاسقين الذين ينقضون
عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما امر الله به ان يوصل ويفسدون في الارض اولئك هم الخاسرون وقال
ويضل الله الظالمين والاضلال على وجوه كثيرة منها ما نسبه الله تعالى الى الشيطان وهو الصد عن الخير والرشد
والدعاء الى الفساد والضلال وتزيين ذلك والحث عليه وهذا منزه الله تعالى عنه ومنها تسمية الامتحان و
الاختبار الذين يكون عندهما الضلال ويعقبهما ونظير ذلك في اللغة ان يسأل الرجل غيره شيئا نفيسا خطيرا فيثقل

لعجاج

التظلم و التجويز

على طلبنا صدبن له فاذا بخل به قيل له نشهد لقد بخلك به فلان وليس يريدون به للعيب السائل وانما يريدون عيبا الباخل المسئول لكن لما كان بخل المسئول ظهر عند مسئلة السائل جاز ان يقال في اللغة انه بخله ويقولون للرجل اذا دخل الفضة النار لينظر فساده من صلاحها وظهر فساده افسدت فضتك لا يرون انه فعل فيها فسادا وانما يريدون ان فساده ظهر عند محنته ويقرب من ذلك قولهم فلان اضل ناقته ولا يريدون انه اراد ان يضل بل يكون قد بالغ في الاستيثار منها وانما يريدون ضلت منه لا من غيره ويقولون افسدت فلانة فلانا واذهبت عقله وهي لا تعرفه لكنه لما فسد وذهب عقله من اجلها وعند رؤيته اياها قيل قد افسدت و اذهبت عقله ومنها التخلية على جهة العقوبة وترك المنع بالقهر والاجبار ومنع الالطاف التي يؤتيها المؤمنين جزاء على ايمانهم كما يقول القائل لغيره افسدت سيفك اذا ترك ان يصلحه لا يريد انه اراد ان يفسد او اراد سبب فساده او لم يجب صلاحه لكنه تركه فلم يحدث فيه الاصلاح في وقت بالصقل والاحداد وكذلك قولهم جعلت اظافيرك سلاحا وانما يريدون تركت تقليمها ومنها التسمية بالاضلال والحكم به كما يقال اضله اذا سماه ضالا كما يقولون اكفره اذا سماه كافرا ونسبه اليه قال الكميت وطائفة قد اكفروني بحبكم وطائفة قالوا مسيء ومذنب ومنها الاهلاك والتدمير قال الله تعالى أئذا ضللنا في الارض اي هلكنا فيجوز ان يكون اراد بالاية حكم الله على الكافرين وبراءته منهم ولعنه اياهم اهلاكا لهم ويكون اضلاله اضلالا لما كان الضلال هلاكا واذا كان الضلال ينصرف على هذه الوجوه فلا يجوز ان ينسب الى الله تعالى اقبحها وهو ما اضاف الى الشيطان بل ينبغي ان ينسب اليه احسنها واجلها واذا ثبتت هذه الجملة رجعنا الى تاويل الاية وهو قوله يضل به كثيرا معناه ان الكافرين لما ضرب الله لهم الامثال قالوا اما الحاجة اليها فقال الله تعالى فيها اعظم الفائدة لانه محنة واختبار وبها يستحق الثواب ويوصل الى النعيم فسمي المحنة اضلالا او هداية لان المحنة اذا اشتدت على الممتحن وثقلت فضل عندها جاز ان يسمى اضلالا واذا سهلت فاهتدى عندها سميت هداية كما ان الرجل يقول لغني ما يفعل فلان فيقول هو ذا تبا يسخى قوما ويبخل قوما اخرين اي يسأل قوما فيشتد عليهم العطاء فيبخلون ويسأل اخرين فيسهل عليهم فيعطون ويجودون فسمي سؤاله باسم ما يقع عنده ويعقبه فمعنى قوله يضل به كثيرا ويهدى به كثيرا اي يمتحن به عباده فيضل به قوم كثير ويهتدي به قوم كثير ولا يجب على ذلك ان يكون اراد اضلالهم كما يجب ذلك في السائل الذي لا يريد بخل المسئول بل يريد اعطاءه فان قيل اليس الله تعالى امتحن بهذه الامثال المؤمنين كما امتحن بها الكافرين فيجب ان يكون مضلا لهم قلنا انما سمي المحنة الشديدة اضلالا اذا وقع عندها الضلال كما ان السؤال يسمى تبخيلا اذا وقع عنده البخل وقال قوم معنى قوله يضل به كثيرا يعني بالتكذيب بهذه الامثال كثيرا ويهدى بالايمان كثيرا لانه لو كان سببا للضلال لما وصفه الله بانه هدى وبيان وشفاء لما في الصدور وحذف التكذيب والاقرار اختصارا لان في الكلام ما يدل عليه كما يقول القائل نزل السلطان فسعد به قوم وشقي به اخرون وانما يراد به سعد باحسانه قوم وشقي باساءته اخرون لا بنزول جيشه لان نفسه لا يقع به سعادة ولا اشقاء وكما قال واشربوا في قلوبهم العجل وانما اراد حب العجل وذلك كثير وقد بينا ان الاضلال والهداية يعبر بهما عن العذاب والثواب فعلى هذا يكون تقدير الاية يضل اي يعذب بتكذيبه القرآن والامثال كثيرا ويهدى اي يثيب بالاقرار به كثيرا والدليل على ما قلناه قوله وما يضل به الا الفاسقين فلا يخلو ان يكون اراد ما قلناه من العقوبة على التكذيب او اراد به الحيرة والتشكيك فقد ذكرنا انه لا يفعل الحيرة المتقدمة التي بها صاروا ضلالا لا فساقا لم يفعلها الله الا بحيرة قبلها وهذا يوجب ما لا نهاية له من حيرة قبل حيرة لا الى اول او اثبات اضلال لا اضلال قبله فان كان الله قد فعل هذا الضلال الذي لم يقع قبله ضلال فقد اضل من لم يكن فاسقا وهذا خلاف قوله وما يضل به الا الفاسقين فثبت انه اراد انه لا يعاقب الا الفاسقين كما قال ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء وحكى الفراء وجها اخر مليحا فقال قوله ماذا اراد الله بهذا مثلا يضل به كثيرا ويهدى به كثيرا حكاية عمن قال ذلك كانهم قالوا ماذا اراد بهذا مثلا يضل به كثيرا اي يضل به قوم ويهدى به قوم ثم قال الله وما يضل به الا الفاسقين فبين عز وجل الاضلال

وانه لا يضل الا ضالا الا فاسقا واقتصر على الاخبار عنهم وبيان ما بين من الاضلال دون ما اراد بالمثل وهذا وجه حسن نزول معه الشبهة واصل الفسق في اللغة الخروج عن الشيء يقال منه فسقت الرطبة اذا خرجت من قشرها ومن ذلك سميت الفارة فويسقة لخروجها من جحرها ولذلك سمي المنافق والكافر فاسقين لخروجهما عن طاعة الله ولذلك قال الله تعالى في صفة ابليس الا ابليس كان من الجن ففسق عن امر ربه يعني خرج من طاعته واتباع امره قوله تعالى الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ اية واحدة العهد العقد والاصر مثله والعهد الموثق والعهد الالتقاء يقال ما لفلان عهد بكذا وهو قريب العهد بكذا والعهد له معان كثيرة وسمي المعاهد وهو الذمي بذلك لانه بايع على ما هو عليه من اعطاء الجزية والكف عنه والعهدة كتاب الشراء وجمعه عهد واذا اقسم بالعهد تعلق به عندنا كفارة الظهار وقال قوم كفارة يمين وقال اخرون لا كفارة عليه و عهد الله قال قوم هو ما عهد الى جميع خلقه في توحيده وعدله وتصديق رسوله بما وضع لهم من الادلة الدالة على ربوبيته وعهد اليهم في امره ونهيه وما احتج به لرسله بالمعجزات التي لا يقدر على الاتيان بمثلها الشاهدة لهم على صدقهم ونقضهم ذلك تركهم الاقرار بما قد ثبت لهم صحته بالادلة وتكذيبهم الرسل والكتب وقال قوم هو وصية الله الى خلقه وامره على لسان رسله اياهم فيما امرهم به من طاعته ونهيه اياهم عما نهاهم عنه ونقضهم تركهم العمل به وقال قوم هذه الاية نزلت في كفار اهل الكتاب والمنافقين منهم واياهم عنى الله عز وجل بقوله ان الذين كفروا سواء عليهم الاية وقوله ومن الناس من يقول امنا بالله وكل ما في هذه الاية من اللوم والتوبيخ متوجه اليهم وعهد الله الذي نقضوه بعد ميثاقه هو ما اخذه عليهم في التوراة من العمل بما فيها واتباع محمد صلى الله عليه وآله اذا بعث والتصديق بما جاء به من عند ربهم ونقضهم ذلك جحودهم به بعد معرفتهم بحقيقته وانكارهم ذلك وكتمانهم ذلك عن الناس بعد اعطائهم اياه من انفسهم الميثاق ليبيننه للناس ولا يكتمونه فاخبر انهم نبذوا ذلك وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا وهذا الوجه اختاره الطبري ويقوي هذا قوله واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما اتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم واخذتم على ذلكم اصري قالوا اقررنا قال فاشهدوا وانا معكم من الشاهدين والاصر العهد ايضا وقال في موضع اخر واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءتهم اية ليؤمنن بها وقال واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن اهدى من احدى الامم فلما جاءهم نذير ما زادهم الا نفورا وقال قوم انما عنى بذلك العهد الذي اخذه الله حين اخرجهم من صلب ادم الذي وصفه في قوله واذ اخذ ربك من بني ادم من ظهورهم ذريتهم واشهدهم على انفسهم الست بربكم الى اخر الاية وهذا الوجه عندي ضعيف لان الله تعالى لا يجوز ان يحتج على عباده بعهد لا يذكرونه ولا يعرفونه وما ذكروه غير معلوم اصلا والاية سنبين القول فيها اذا انتهينا اليه ان شاء الله والقطع هو الفصل بين الشيئين احدهما من الاخر والاصل ان يكون في الاجسام ويستعمل في الاعراض تشبيها به يقال قطع الحبل وقطع الكلام والامر هو قول القائل لمن دونه افعل وهو ضد النهي والوصل هو الجمع بين الشيئين من غير حاجز وقال قوم الميثاق هو التوثيق كما قال انبئكم من الارض نباتا كقولهم اعطيتهم عطاء يريد اعطاء وقوله ان يوصل بدل من الهاء التي في به تقديره ما امر الله بان يوصل هو في موضع خفض والذين موضعه نصب لانه صفة للفاسقين واولئك رفع بالابتداء والخاسرون خبره وهم فصل عند البصريين وعماد عند الكوفيين ويجوز ان يكون هم ابتداء ثانيا والخاسرون خبره والجملة في موضع خبر اولئك والنقض ضد الابرام والميثاق والميعاد والميقات متقارب المعنى يقال وثق يثق ثقة واوثق ايثاقا وتوثق توثقا ويقال فلان ثقة للذكر والانثى والواحد والجمع بلفظ واحد فاذا جمع قيل ثقات في الرجال والنساء ومن لابتداء الغاية في الاية وقيل انها زائدة والهاء في قوله ميثاقه يحتمل ان تكون راجعة الى اسم الله وقال قتادة قوله ويقطعون ما امر الله به ان يوصل هو قطيعة الرحم والقرابة وقال

غيره معناه الامر بان يوصل كل من امر الله بصلته من اوليائه والقطع البرائة من اعدائه وهذا اقوى لانه
اعم من الاول ويدخل فيه الاول وقال قوم اراد صلة رسوله وتصديقه فقطعوه بالتكذيب وهو قول
الحسن وقال قوم اراد ان يوصل القول بالعمل فقطعوا بينهما بان قالوا ولم يعملوا وما قلناه اولا اولى
لانا اذا حملناه على عمومه دخل ذلك فيه وقوله يفسدون في الارض قال قوم استدعائهم الى الكفر وقال
قوم اخافتهم السبيل وقطعهم الطريق وقال قوم اراد كل معصية تعدى ضررها الى غير فاعلها والخسران
هو النقصان قال جرير ان سليطا في الخسار انه اولاد قوم خلقوا اقنة يعني بالخسار ما ينقص
من حظوظهم وشرفهم وقال قوم الخسار ههنا الهلاك يعني هم الهالكون وقال قوم كلما نسبه الله من
الخسار الى غير المسلمين فانما عني به الكفر وما نسب به الى المسلمين انما عني به الدنيا روي ذلك عن ابن عباس

قوله تعالى كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللّٰهِ وَكُنْتُمْ اَمْوَاتًا فَاَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ اِلَيْهِ تُرْجَعُونَ اية كيف
موضوعة للاستفهام عن الحال والمعنى ههنا التوبيخ وقال الزجاج هو التعجب للخلق وللمؤمنين اي
اعجبوا من هؤلاء كيف يكفرون وقد ثبتت حجة الله عليهم ومعنى وكنتم اي وقد كنتم الواو واو الحال و
اضمار قد جائز اذا كان في الكلام ما يدل عليه كما قال حصرت صدورهم اي قد حصرت صدورهم وكما
قال ان كان قميصه قد من دبر اي قد قد من دبر ومن قال هو توبيخ قال هو مثل قوله فاين تذهبون و
قال قتادة وكنتم امواتا فاحياكم كما كانوا امواتا في اصلاب ابائهم يعني نطفا فاحياهم الله بان اخرجهم
ثم اماتهم الله الموتة التي لابد منها ثم احياهم بعد الموت فهما حياتان وموتتان وعن ابن عباس وابن
مسعود ان معناه لم تكونوا شيئا فخلقكم ثم يميتكم ثم يحييكم يوم القيمة وروى ابو الاحوص عن عبد الله
في قوله امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين قال هي كالتي في البقرة كنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم
وهو قول مجاهد وجماعة من المفسرين وروى عن ابي صالح انه قال كنتم امواتا في القبور فاحياكم فيها
ثم يميتكم ثم يحييكم يوم القيمة وقال قوم كنتم امواتا يعني خاملي الذكر دارسي الاثر فاحياكم بالظهور
والذكر ثم يميتكم عند تقضي اجالكم ثم يحييكم للبعث كما قال ابو نخيلة السعدي فاحييت من ذكري وما
كان خاملا ولكن بعض الذكر انبه من بعض وهذا وجه مليح غير انه لا يليق بما تقدم من قول
ابن عباس وقتادة وقال قوم معناه ان الله تعالى احياهم حين اخذ الميثاق منهم وهم في صلب ادم وكساهم
العقل ثم اماتهم ثم احياهم واخرجهم من بطون امهاتهم وقد بينا ان هذا وجه ضعيف في نظائره لان الخبر
الوارد بذلك ضعيف والاقوى في معنى الاية ان يكون المراد بذلك تعنيف الكفار واقامة الحجة عليهم بكفرهم
وجحودهم ما انعم الله تعالى عليهم وانهم كانوا امواتا قبل ان يخلقوا في بطون امهاتهم واصلاب ابائهم يعني
نطفا والنطفة موات ثم احياهم فاخرجهم الى دار الدنيا احياء ثم يميتهم في القبر للمسائلة ثم يبعثهم يوم القيمة
للحشر والحساب وهو قوله تعالى ثم اليه ترجعون معناه ترجعون للمجازاة على الاعمال كقول القائل طريقك علي و
مرجعك الي يريد اني مجازيك ومقتدر عليك وسمي الحشر رجوعا الى الله لانه رجوع الى حيث لا يتولى الحكم فيه
غير الله فيجازيكم على اعمالكم كما يقول القائل امر القوم الى الامير او القاضي ولا يراد به الرجوع من مكان الى
مكان وانما يراد به ان النظر صار له خاصة دون غيره فان قال قائل لم يذكر الله احياء في القبر فكيف تثبتون
عذاب القبر قلنا قد بينا ان قوله ثم يحييكم المراد به احياؤهم في القبر للمسائلة وقوله ثم اليه ترجعون معناه احياؤهم
يوم القيمة وحذف ثم يميتكم بعد ذلك لدلالة الكلام عليه على ان قوله ثم يحييكم لو كان المراد به يوم القيمة
لم يمنع ذلك من احياء في القبر واماته بعده كما قال تعالى الم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف حذر الموت
فقال لهم الله موتوا ثم احياهم ولم يذكر حياة الذين حيوا في الدنيا بعدما ماتوا وقال في قوم موسى فاخذتكم
الصاعقة وانتم تنظرون ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون ولم يذكر حياتهم في الدنيا ولم يدل ذلك
على انهم لم يحيوا في الدنيا بعد الموت وكذلك يقم لا مدلل هذه الاية على ان المكلفين لا يحيون في قبورهم
للثواب او العقاب على ما اخبر به الرسول وقول من قال لم يكونوا شيئا ذهب الى قول العرب للشيء الدارس

كساهم

ثم يحييهم

أحيوا

الخامل انه ميت يريد خموله ودروسه وفي ضد ذلك يقال هذا امر حي يراد به كانه متعالم في الناس ومن اخذ
الامانة التي هي خروج الروح من الجسد فانه اراد بقوله وكنتم امواتا انه خطاب لاهل القبور بعد احيائهم
فيها وهذا بعيد لان التوبيخ هنالك انما هو توبيخ على ما سلف وفرط من اجرامهم لا استعتاب في استدراع
و قوله كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا توبيخ مستعتب وتانيب مستدرج من خلقه من المعاصي الى الطاعة
ومن الضلالة الى الانابة ولا انابة في القبر ولا توبة فيها بعد الوفاة واحسن الوجوه مما قدمناه ما ذكره ابن
عباس وبعده قول قتادة قوله تعالى هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْاَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى اِلَى السَّمَاءِ

فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمٰوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ اية بلا خلاف هو كناية عن الله عز وجل في قوله تكفرون
بالله واراد به تاكيد الحجة فقال كيف تكفرون بالله الذي احياكم بعد موتكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم اليه
ترجعون الذي خلق لكم ما في الارض يعني الذي في الارض وما في موضع نصب لان الارض جميع ما فيها
نعمة من الله لخلقه اما دينية فيستدلون بها على معرفته واما دنياوية فينتفعون بها بضروب النفع عاجلا
وقوله ثم استوى الى السماء فيه وجوه احدها ما قال الفراء من ان معناها اقبل عليها كما يقول القائل كان
فلان مقبلا على فلان يشتمه ثم استوى الى يشتمني واستوى علي يشاتمني قال الشاعر
اقول وقد قطعن بها شرودي سوامد واستوين من الضجوع اي اقبلن وخرجن من الضجوع وقال
قوم ليس معنى البيت ما قالوه انما معناه استوين على الطريق من الضجوع فارجات بمعنى استقمن عليه وقال
قوم معنى استوى قصدها لتسويتها كقول القائل قال الخليفة يدبر امر بني تميم ثم استوى وتحول الى بني
ربيعة فاعطاهم وقسم لهم اي قصد اليهم ويقال مر فلان مستويا الى موضع كذا ولم يعدل اي قصد اليهم
وقال قوم معنى استوى اي استولى على السماء بالقهر كما قال استوى على ظهورها اي تقهره ومنه قوله
تعالى فلما بلغ اشده واستوى اي تمكن من امره وقهر هواه بعقله فقال ثم استوى الى السماء في تفرده
بملكها ولم يجعلها كالارض ملكا لخلقه ومنه قول الشاعر فلما علونا واستوينا عليهم تركناهم
صرعى لنسر وكاسر وقال اخر ثم استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مهراق
وقال الحسن ثم استوى امره وصنعه الى السماء لان اوامره وقضاياه تنزل من السماء الى الارض وقال بعضهم
استوى بمعنى استوت به السماء كما قال الشاعر اقول له لما استوى في ترابه على اي دين قتل الناس مصعب
واحسن هذه الوجوه ان يحمل على انه علا عليها فقهرها وارتفع فدبرها بقدرته وخلقهن سبع سموات
فكان علوه عليها علو ملك وسلطان لا علو انتقال وزوال وبعد ذلك قول من قال قصد اليها لخلقها
ولا يقدح في الاول علوه تعالى على الاشياء فيما لم يزل لانه وان كان كذلك لم يكن قاهرا لها بخلقها الا ان ذلك
متجدد وانما قال الى السماء ولا سماء هناك كما يقول القائل عمل هذا الثوب وانما معه غزل وقال قوم
انما سواهن سبع سموات بعد ان كانت دخانا والاول اصلح وقال الرماني السموات غير الافلاك لان
الافلاك تتحرك وتدور واما السموات لا تتحرك ولا تدور لقوله تعالى ان الله يمسك السموات والارض ان
تزولا وهذا ليس بصحيح لانه لا يمتنع ان تكون السموات هي الافلاك وان كانت متحركة لان قوله تعالى يمسك
السموات والارض ان تزولا معناه لا تزول عن مراكزها التي تدور عليها ولولا امساكه لهوت بما فيها من
الاعتمادات سفلا ومعنى سواهن اي هياهن وخلقهن وقومهن ودبرهن والتسوية التقويم والاصلاح
يقال سوى فلان لفلان هذا الامر اي قومه واصلحه وقال الفراء السماء واحدة تدل على الجمع فلذلك
قال ثم استوى الى السماء فذكرها بلفظ واحد ثم اخبر عنها بلفظ الجمع في قوله فسواهن وقال الاخفش
السماء اسم جنس يدل على القليل والكثير كقولهم اهلك الناس الدينار والدرهم وقال بعضهم السماء جمع
واحده سماوة مثل بقرة وبقر ونخلة ونخل وثمرة وثمر ولذلك انث فقيل هذه سماء وذكرت اخرى فقيل
السماء منفطر به كما يفعل ذلك بالجمع الذي لا فرق بينه وبين واحده غير دخول الهاء وخروجها فيقال
هذا نخل وهذه نخل وهذا بقر وهذه بقر ومن قال بالاول قال اذا ذكرت فانما هو على مذهب من يذكر

لتستوا على ظهوره اي تقهره

مراكزها التي تدور عليها

المؤنث كقول الشاعر فلا مزنة ودقت ودقها ولا ارض ابقل ابقالها وقال اعشى بني ثعلبة فاما ترى لمتي بدلت فان الحوادث ازرى بها وقال قوم انا السماء وان كانت سماء فوق سماء وارضا فوق ارض فهي في التأويل واحدة ويكون للواحدة جماعة كما يقال ثوب اخلاق واسمال وبرمة اعشار للمنكسرة وبرمة اكسار واجبار واخلاف اي نواحيه اخلاق ويقال ارض اعقار وارض اخصاب والمعنى ان كل ناحية منها كذلك فجمع على هذا ولا ينافي ذلك قول من قال ان السماء كانت دخانا قبل ان يسويها سبع سموات ثم سواها سبعا بغير استواء عليها وذلك انه يقول كن سبعا غير مستويات فسويها الله تعالى

فان قيل قوله هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا ثم استوى الى السماء ظاهره يوجب انه خلق الارض قبل السماء لان ثم للتعقيب وللتراخي وقال في موضع آخر أأنتم اشد خلقا ام السماء بناها رفع سمكها فسواها ثم قال والارض بعد ذلك دحيها هذا ظاهر التناقض قلنا المعنى في ذلك خلق الارض قبل السماء غير انه لم يدحها فلما خلق السماء دحاها بعد ذلك ودحوها بسطها ومدها ومنه ادحية النعام سميت بذلك لانها تبسطها لتبيض فيها ويجوز ان لا يكون معنى ثم وبعد في هذه الآيات الترتيب في الاوقات والتقدم والتأخر فيها انما هو على جهة تعداد النعم والاذكار لها كما يقول القائل لصاحبه اليس قد اعطيتك ثم حملتك ثم رفعت في منزلتك ثم بعد ذلك كله خلطتك بنفسي وفعلت بك وفعلت وربما يكون بعض الذي ذكره في اللفظ متقدما كان متأخرا لان المراد لم يكن الاخبار عن اوقات الفعل وانما المراد الذكر والتنبيه عليها

فان قيل اي نسبة بين قوله ثم استوى الى السماء وبين قوله وهو بكل شيء عليم وكان يجب ان يقول وهو على كل شيء قدير قيل انما جاز ذلك لان الله لما وصف نفسه بما يدل على القدرة والاستيلاء وصل ذلك بما يدل على العلم اذ بهما يصح وقوع الفعل على وجه الاحكام والاتقان وايضا اراد ان يبين انه عالم بما يؤل اليه حاله وحال المنعم به عليه فيستحق بذلك النعمة وتلخيص معنى الآية ان الله تعالى هو الذي خلق لكم الارض وما فيها من الجبال والمياه والاشجار وما قدر فيها من الاقوات ثم قصد خلق السماء بعد خلقه الارض ومعنى استوى اي عمد لها وقصد الى خلقها وسويها سبع سموات فبناهن وركبهن كذلك ونظير ذلك قوله قل ائنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين وتجعلون له اندادا ذلك رب العالمين وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها اقواتها في اربعة ايام يعني يومين بعد اليومين الاولين حتى صار بذلك اربعة ايام ثم استوى الى السماء فمعنى قوله خلق لكم ما في الارض جميعا هو الذي بينه بقوله وجعل فيها رواسي من فوقها الآية وجعل ذكره لذلك في الآية الاولى تأكيدا للحجة على عباده لئلا يكفروا به ولان يؤمنوا به ويشكروه وقوله كيف تكفرون يدل على انه تعالى ما اراد الكفر منهم لانه لو اراده منهم وخلقه فيهم لما قال ذلك كما لا يحسن ان يقول لم كنتم سودا وبيضا وطوالا او قصارا وقوله وهي دخان فالذي روي في الاخبار ان الله تعالى لما خلق الارض خلقها بعد الماء فصعد منه بخار وهو الدخان فخلق الله منه السموات وذلك جائز لا يمنع منه مانع وقوله وهو بكل شيء عليم معناه عالم وفيه مبالغة وانما اراد اعلامهم انه لا يخفى عليه شيء من افعالهم الظاهرة والباطنة والسر والعلانية قوله تعالى وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ

لِلْمَلٰئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ

آية قال ابو عبيدة اذ زائدة والتقدير وقال ربك للملئكة وهي تحذف في مواضع قال الاسود بن يعفر واذا وذلك لا مهاة لذكره والدهر يعقب صالحا بفساد معناه وذلك لا مهاة لذكره قال عبد مناة بن مربع وقيل ابن ربع الهذلي حتى اذا اسلكوهم في قتائدة شلا كما يطرد الجمالة الشردا ومعناه حتى اسلكوهم والقتائدة الموضع الذي فيه قتاد كثير والشل الطرد والجمالة الجمالون والشرد الابل التي تشرد عن مواضعها وتقصد غيرها وتطرد عنها وهذا الذي ذكره ليس بصحيح لان اذا حرف يأتي بمعنى الجزاء ويدل على مجهول من الوقت ولا يجوز ابطال حرف كان دليلا على معنى في الكلام الا لضرورة وليس المعنى في البيتين على ما ظن بل لو

حمل

السموات — اعقار مستثمرة — تبسطها — وصل — فيستحق — خلقها بعد الماء — اسلكوهم في طريق في قتائدة وقتائدة اسم عقبة — لانه آخر القصيدة او يكون قد كفّ به … صح

حمل اذا في البيتين على البطلان بطل معنى الكلام الذي اراد الشاعر لان الاسود اراد بقوله فاذا الذي نحن فيه وما مضى من عيشنا واراد بقوله ذلك الاشارة الى ما تقدم وصفه من عيشه الذي كان فيه لا مهاة لذكره يعني لا طعم له ولا فضل لاعقاب الدهر ذلك بفساد ومعنى قول عبد مناة بن مربع حتى اذا اسلكوهم في قتائدة ان قوله اسلكوهم شلا يدل على معنى محذوف واستغنى عن ذكره لدلالته عليه فحذف كما قال نمر بن تولب فان المنية من يخشها فسوف تصادفه اينما يريد اينما ذهب وكما يقول القائل من قبل ومن بعد يريد من قبل ذلك ومن بعد ذلك ويقول القائل اذا اكرمك اخوك فاكرمه واذا فلا يريد واذا لم يكرمك فلا تكرمه ومن ذلك قول الشاعر فاذا وذلك لا يضرك ضيره في يوم اسأل نائلا او انكرا وكذلك لو حذف اذ في الآية لاستحال عن معناه الذي يفيده اذ لان تقديره ابتدأ خلقكم اذ قال ربكم للملئكة قال الزجاج والرماني اخطأ ابو عبيدة لان كلام الله لا يجوز ان يحمل على اللغو مع امكان حمله على زيادة فائدة قال ومعنى اذ الوقت وهي اسم كيف يكون لغوا قال والتقدير الوقت والحجة في اذ ان الله عز وجل ذكر خلق الناس وغيرهم فكأنه قال ابتدأ خلقكم اذ قال ربك للملئكة وقال الفضل امتن الله بخلق السموات والارض ثم قال واذ قلنا للملئكة ما قلناه فهو نعمة عليكم وتعظيم لابيكم واختار الحسين بن علي المغربي وقال الرماني والزهري اذكروا اذ قال ربك للملئكة جمع ملك غير ان واحدهم بغير همز اكثر فيحذفون الهمزة ويحركون اللام التي كانت ساكنة لو همز الاسم الى اللام فاذا جمعوا ردوه الى الاصل وهمزوا كما يقولون رأى فيحركون الهمزة ثم يقولون يرى بلا همز وذلك الكثير وقد جاء مهموزا في واحده قال الشاعر فلست لانسي ولكن لملأك تحدر من جو السماء يصوب وقد يقال في واحدهم مألك مثل قولهم جبذ وجذب فيقلبونه وشأمل وشمال ومن قال مألك جمعه ملائك بلا هاء مثل اشعث واشاعث قال امية بن ابي الصلت وفيها من عباد الله قوم ملائك ذللوا وهم صعاب واصل الملك الرسالة قال عدي بن زيد العبادي ابلغ النعمان عني مألكا انه قد طال حبسي وانتظاري وقد ينشد ملأكا ومألكا على اللغتين الاخرى فمن قال ملأكا فهو مفعل من لأك اليه يليك اذا ارسل اليه رسالة ومن قال مألكا فهو مفعل من الألك اليه الألك اذا ارسل اليه مألكة والوكا وكما قال لبيد بن ربيعة وغلام ارسلته امه بالوك فبذلنا ما سأل وهذا من الألوك يقال لاك يلأك والك يألك اذا ارسل قال عبيد بن الحسحاس الكني اليها عمرك الله يا فتى باية ما جاءت اليها تهاديا يعني بلغها رسالتي وسميت الملئكة ملئكة بالرسالة لانها رسل الله بينه وبين انبيائه ومن ارسل من عباده هذا عند من يقول ان جميع الملئكة رسل فاما ما يذهب اليه اصحابنا ان فيهم رسلا وفيهم من ليس برسل فلا يكون الاسم مشتقا بل يكون علما او اسم جنس وانما قالوا ان جميعهم ليسوا رسل الله لقوله تعالى يصطفي من الملئكة رسلا فلو كانوا جميعا رسلا لكانوا جميعا مصطفين لان الرسول لا يكون الا مختارا مصطفى وكما قال ولقد اخترناهم على علم على العالمين وقوله اني جاعل اي فاعل وخالق وهما يتقاربان قال الرماني حقيقة الجعل تصيير الشيء على صفة والاحداث حقيقة ايجاد الشيء بعد ان لم يكن موجودا والخليفة الفعيلة من قولهم خلف فلان فلانا في هذا الامر اذا قام مقامه فيه بعده لقوله تعالى ثم جعلناكم خلائف في الارض من بعدهم لننظر كيف تعملون يعني بذلك انه ابدلكم في الارض منهم فجعلكم خلفا في الارض من بعدهم وسمي الخليفة خليفة من ذلك لانه خلف من كان قبله فقام مقامه الخلف بتحريك اللام يقال فيمن كان صالحا وبتسكين اللام اذا كان طالحا قال الله تعالى فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلوة وروي عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله وقال قوم سمى الله تعالى آدم خليفة لانه جعل آدم وذريته خلفاء الملئكة لان الملئكة كانوا سكان الارض وقال ابن عباس انه كان في الارض الجن فافسدوا فيها وسفكوا الدماء فاهلكوا فجعل الله آدم وذريته بدلهم وقال الحسن البصري انما اراد بذلك قوما يخلف بعضهم بعضا من ولد آدم الذين يخلفون اباهم آدم في اقامة الحق وعمارة الارض وقال ابن مسعود اراد اني جاعل في الارض خليفة

يخلفني

فاذا — ملئكات — تنزل — الرسول

يخلفني في الحكم بين الخلق وهو آدم ومن قام مقامه من ولده وقيل انه يخلفني في انبات الزرع واخراج الثمار
وشق الانهار وقيل ان الارض ارادبها مكة روى ذلك عن ابن سابط ان النبي صلعم قال دحيت الارض من مكة و
لذلك سميت ام القرى قال ودفن نوح وهود وصالح وشعيب بين زمزم والمقام وقال قوم انها الارض المعروفة
وهو الظاهر وقوله اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء روى ان خلقا يقال لهم الجان كانوا في الارض
فافسدوا وسفكوا الدماء فبعث الله تعم ملئكة اجلتهم من الارض وقيل ان هؤلاء الملئكة كانوا سكان
الارض بعد الجان فقالوا يا ربنا اتجعل في الارض من يفسد فيها ويسفك الدماء على وجه الاستخبار منهم و
الاستعلام عن وجه المصلحة والحكمة لا على وجه الانكار كانهم قالوا ان كان هذا كما ظننا فعرفنا وجه الحكمة
فيه وقال قوم المعنى فيه ان الله اعلم الملئكة انه جاعل في الارض خليفة وان الخليفة فرقة تسفك الدماء
وهي فرقة من بني آدم فاذن الله للملئكة ان يسئلوه عن ذلك وكان اعلامه اياهم هذا زيادة على التثبيت
في نفوسهم انه يعلم الغيب فكانهم قالوا اتخلق فيها قوما يسفكون الدماء ويعصونك وانما ينبغي انهم اذا
عرفوا انك خلقتهم ان يسبحوا بحمدك كما نسبح ويقدسوا كما نقدس ولم يقولوا هذا الا وقد اذن لهم لانهم لا
يجوز ان يسألوا ما لا يؤذن لهم فيه ويؤمرون به لقوله ويفعلون ما يؤمرون فان قيل من اين لكم انهم كانوا
علموا ذلك قيل ذلك محذوف لدلالة الكلام عليه لانا علمنا انهم لا يعلمون الغيب ليس اذا افسد الجن في
الارض وجب ان يفسد الانس وقوة السؤال تدل على انهم كانوا عالمين وجرى ذلك مجرى قول الشاعر
ولا تقبروني ان قبري محرم عليكم ولكن خامري ام عامر فحذف قوله دعوني للتي يقال لها اذا
اريد صيدها خامري ام عامر فكانه قال اني جاعل في الارض خليفة يكون من ولده افساد في الارض وسفك
للدماء وقال ابو عبيدة والزجاج انهم قالوا ذلك على وجه الايجاب وان خرج مخرج الاستفهام كما قال
جرير الستم خير من ركب المطايا واندى العالمين بطون راح فعلى هذا الوجه قال قوم انما
اخبروا بذلك عن ظنهم وتوهمهم لانهم رأوا الجن من قبلهم قد افسدوا في الارض وسفكوا الدماء فتصوروا
انه ان استخلف غيرهم كانوا مثلهم فقال تعم منكرا لذلك اني اعلم ما لا تعلمون وهذا قول قتادة وابن عباس
وابن مسعود وقال آخرون انهم قالوه يقينا لان الله كان اخبرهم انه يستخلف في الارض من يفسد فيها و
يسفك الدماء فاجابوه بعد علمهم بذلك بان قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء وانما قالوه
استعظاما لفعلهم اي كيف يفسدون فيها ويسفكون الدماء وقد انعمت عليهم واستخلفتهم فيها فقال
اني اعلم ما لا تعلمون وقال قوم انهم قالوا ذلك متعجبين من استخلافه لهم اي كيف يستخلفهم وقد علم انهم
يفسدون فيها ويسفكون الدماء فقال اني اعلم ما لا تعلمون والسفك صب الدماء خاصة دون غيره من
الماء وجميع المائعات والسفح مثله لانه مستعمل في كل مائع على وجه التضييع ولذلك قالوا في الزنا انه سفاح
لتضييع مائه فيه والملئكة المذكورون في الآية قال قوم هم جميع الملئكة وقال آخرون وهو المروي عن ابن
عباس والضحاك انه خطاب لمن اسكنه من الملئكة الارض بعد الجان وقبل خلق آدم وهم الذين اجلوا الجان
عن الارض وقال قتادة في قوله اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء وقد علمت الملئكة من علم الله انه
لا شيء عند الله اكبر من سفك الدماء والافساد في الارض قال الله تعم اني اعلم ما لا تعلمون من انه
سيكون من ذلك الخليفة رسل وانبياء وقوم صالحون وساكنون الجنة واقوى هذه الوجوه قول من قال
ان الملئكة انما قالت اتجعل فيها من يفسد فيها على وجه التعجب من هذا التدبير لا انكارا له ولكن على وجه
التألم والتوجع والاغتمام والاستعلام لوجه التدبير فيه فقال الله اني اعلم ما لا تعلمون من وجه المصلحة
في خلقهم وما يكون منهم من الخير والرشد والعلم وحسن التدبير والحفظ والطاعة ما لا تعلمون فان
قيل الملئكة ما عرفت ذلك اذ لم يمكنها ان تستدل على ذلك بالنظر والفكر قلنا قد يجوز ان لا يكون خطر
ببالها ذلك لا عندها اعلمهم الله فلما علموا ذلك فزعوا الى المسألة عنه لان المسألة لمن يتوقع
منه جوابه ويوثق بعلمه وخبره يقوم مقام النظر والفكر وقوله اتجعل فيها من يفسد فيها يريد به

من ولد آدم الذين ليسوا انبياء ولا ائمة معصومين فكانه قال تعم اني جاعل في الارض خليفة يكون
له ولد ونسل يفعلون كيت وكيت فقالوا اتجعل فيها من يفسد فيها يريدون الولد وقد بينا ان الخليفة من
يخلف من تقدمه جماعة كانوا او واحدا فلما اخبر الله تعم الملئكة انه يخلق في الارض عبادا هم آدم وولده يكون
خليفة لمن تقدمهم من الجن او غيرهم قالوا اما قالوه ويحتمل ان يكون قوله من يفسد فيها يريدون البعض لا الكل
كما يقال بنو شيبان يقطعون الطريق ويراد بعضهم دون جميعهم وقوله ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك و
التسبيح هو التنزيه من السوء على وجه التعظيم وكل من عمل خيرا قصد به الله فقد سبح يقال فرغت من سبحتي
اي من صلاتي وقال سيبويه معنى سبحان الله براءة الله وتنزيه الله من السوء قال اعشى بني ثعلبة
اقول لما جاءني فخره سبحان من علقمة الفاخر اي براءة من علقمة الفاخر وهو مشتق من السبح الذي
هو الذهاب قال الله تعم ان لك في النهار سبحا طويلا ولا يجوز ان يسبح غير الله وان كان منزها لانه
صار علما في الدين على اعلى مراتب التعظيم التي لا يستحقها سواه كما ان العبادة غاية في الشكر لا يستحقها سواه
وقال ابن عباس وابن مسعود نحن نسبح بحمدك بمعنى نصلي لك كما قال فلولا انه كان من المسبحين اي من المصلين
وقال مجاهد معناه نعظمك بالحمد والشكر على نعمك وقال قتادة هو التسبيح المعروف وقال المفضل هو
رفع الصوت بذكر الله كما قال جرير قبح الاله وجوه تغلب كلما سبح الحجيج وهللوا اهلالا
واصل التقديس التطهير ومنه قوله الارض المقدسة اي المطهرة قال الشاعر
فادركنه ياخذن بالساق والنسا كما شبرق الولدان ثوب المقدس اي المطهر وقال قوم معنى
نقدس لك نصلي لك وقال آخرون نقدس انفسنا من الخطايا والمعاصي وقال قوم نطهرك من الانداس اي
لا نضيف اليك القبائح والقدس السطل الذي يتطهر منه اي يتقدس ويوصف تعالى بانه قدوس سبوح
اي سبحانه ان يكون شريكا لغيره ظاهر من كل عيب وقوله اني اعلم ما لا تعلمون قال قوم اراد ما اظهره ابليس من
الكبر والعجب المعصية لما امره الله تعم لآدم ذهب اليه ابن مسعود وابن عباس وقال قتادة اراد من في ذرية آدم
من الانبياء والصالحين وقال قوم اراد به ما اختص بعلمه من تدبير المصالح فان قيل لو كان آدم قادرا على ان لا ياكل
من الشجرة لكان قادرا على نقض ما دبره الله فيه لانه لو لم ياكل منها للبث في الجنة والله تعم انما خلقه ليجعله خليفة
في الارض فهذا يدل على انه لم يكن له بد من المخالفة قلنا عن هذا جوابان احدهما ان الجنة التي خلق الله تعالى
فيها آدم لم تكن جنة الخلد وانما كانت في الارض حيث شاء الله وانه حيث كان في الارض كان خليفة في الارض وفي
هذا اسقاط السؤال والثاني ان الله تعم علم ان آدم سيخالف وانه هبط الى الارض فيستخلفه فيها فاخبر الله
تعالى بما علم وقولهم انه لو كان قادرا على ان لا يخالف لكان قادرا على نقض تدبيره جهل لان الله تعم قد امره
بان لا يقرب الشجرة فهل يجب بان يكون امره بان ينقض تدبيره فاذا قالوا لا قيل وكذلك الله قد اقدره على ان
يخالف فلبث في الجنة ولا يجب بذلك ان يكون اقدره على نقض تدبيره وقد روى عن ابي عبد الله عم ان الملئكة سألت
الله ان يجعل الخليفة منهم وقالوا نحن نقدسك ونطيعك ولا نعصيك كغيرنا قال ابو عبد الله عم فلما اجيبوا
بما ذكر الله في القرآن علموا انهم قد تجاوزوا ما ليس لهم فلاذوا بالعرش استغفارا فامر الله آدم بعد هبوطه
ان يبني لهم في الارض بيتا يلوذ به المخطئون كما لاذ بالعرش الملئكة المقربون فقال الله تعم اني اعرف بالمصلحة
منكم وهو معنى قوله اني اعلم ما لا تعلمون قوله تعالى وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَٰئِكَةِ
فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ آية واحدة بلا خلاف روى عن النبي صلعم انه قال خلق
الله آدم من قبضة قبضها من جميع الارض وقيل قبضها ملك الموت فجاء بنو آدم على قدر ذلك منهم الاسود
والاحمر والابيض والسهل والحزن والخبيث والطيب وقال ابو العباس في اشتقاق آدم قولان احدهما انه مأخوذ
من اديم الارض قال فاذا سميته به في هذا الوجه ثم نكرته صرفته والثاني انه مأخوذ من الادمة على معنى
اللون والصفة فاذا سميته به في هذا الوجه ثم نكرته لم تصرفه والادمة والسمرة والدكنة والورقة متقاربة
المعنى في اللغة وقال صاحب العين الادمة في الناس شربة من سواد وفي الابل والظباء بياض وادمة الارض

وجهها والموهم من الجلد خلاف المبشر وآدم انثى وادم ذكر وهي الادم في الجماعة وادم ابو البشر والادم ما
يؤتدم به وهو الادام والادم جماعة الاديم واديم كل شيء وجهه وكل لفظة عموم على وجه الاستيعاب وقال
الرماني حدّ الاحاطة بالابعاض يقال ابعض القوم جاء ام كلهم ويكون تاكيدا مثل اجمعين غير انه يبتدأ في
الكلام بكل كقوله تعالى فسجد الملئكة كلهم اجمعون لان كلا قد يلي العوامل ويبتدأ واجمعون لا تكون الا
تابعة ويقال عرض عرضا وقال صاحب العين عرض علينا فلان المتاع يعرض عرضا للشراء او الهبة وقال
الزجاج العرض اصله في اللغة الناحية من نواحي الشيء فمن ذلك العرض خلاف الطول وعرض الرجل قال بعضهم
ما يمدح به او يذم وقيل عرضه خليقته المحمودة وقيل عرضه حسبه وقال الرماني هي ناحيته التي يصونها عن
المكروه وحقيقة العرض الاظهار للشيء ليتصفح والانباء والاعلام والاخبار واحد قال صاحب العين النبأ
مهموز هو الخبر المنبئ والمخبر ولفلان نبأ اي خبر ويقال نبّأته وانبأته واستنبأته والجمع الانباء والنبوة
اذا اخذت من الانباء فهي مهموزة لكن روي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تنبز باسمي لرجل قال له يا نبيء الله و
النبيء بالهمز الطريق الواضح يا خذ بك الى حيث تريد والنباه صوت الكلاب نبأ به نبأ وحقيقة الانباء الا
للخبر قال الشاعر اذان وانبأه الاولون بان المدان ملى وفى
والفرق بين الاخبار والاعلام ان الاعلام قد يكون بخلق العلم الضروري في القلب كما خلق الله من كمال
العقل والعلم بالمشاهدات وقد يكون بنصب الادلة للشيء والاخبار هو اظهار المخبر علم به او لم يعلم ولا يكون
مخبرا بما يحدثه من العلم في القلب كما يكون معلما به لك وقوله ثم عرضهم على الملئكة انما لم يقل ثم عرضها
اذ كانت الاسماء لا تعقل لانه اراد اصحاب الاسماء وفيهم ما لا يعقل كما تغلب المذكر اذا اجتمع مع المؤنث لانهم
يقولون ان اصحابك واماثلها تونى وروي عن ابن عباس انه قال عرض الخلق وقال مجاهد عرض اصحاب الاسما
وقوله وعلّم ادم الاسماء كلها معناه انه علمه معاني الاسماء من قبل ان الاسماء بلا معان لا فائدة فيها ولا
وجه لاشارة الفضيلة بها وقد نبّه الله الملئكة على ما فيه من لطيف الحكمة فاقرّوا عندها سالوا عن
ذكرها والاخبار عنها انهم لا علم لهم بها فقال يا ادم انبئهم باسمائهم وقول قتادة وظاهر العموم يقتضي
انه علمه جميع الاسماء وبه قال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وقتادة واكثر المتاخرين كالبلخي والجبائي و
ابن الاخشاذ والرماني وقال الطبري بما يحكى عن الربيع وابن زيد انهما قالا علمه الله اسماء ذريته واسماء
الملئكة وقال هو الاختيار دون قول ابن عباس وقال ان قوله عرضهم انما يكون لمن يعقل في الاظهر من كلام
العرب وهذا غلط لما بيناه من حكم التغليب وحسنه كما قال تعالى والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه
ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على اربع وهذا يبطل ما قاله ويبقى اللفظ على عمومه وظاهر
الاية وعمومها يدل على انه علمه جميع اللغات وبه قال الجبائي والرماني فاخذ عنه ولده اللغات فلما
تفرقوا تكلم كل قوم منهم بلسان الفوه واعتادوه وتطاول الزمان على ما خالف ذلك فنسوه ويجوز ان يكونوا
عالمين بجميع تلك اللغات الى زمن نوح فلما اهلك جميع الخلائق الا نوحا ومن معه كانوا هم العارفين بتلك
اللغات فلما كثروا وتفرقوا اختار كل قوم منهم لغة تكلموا بها وتركوا ما سواها وانقرض ونسوه والخبر
الذي يروى ان الناس امسوا ولغتهم واحدة ثم اصبحوا وقد تغيرت السنتهم وكان لا يعرف كل فريق منهم
الا كلام من كان على لغتهم خبر ضعيف وايضا فلا يجوز ان ينسى العاقل ما كان في امسه من جلائل الامور
مع سلامة عقله قالوا واللغات جميعا انما سمعت من ادم وعنه اخذت وقال ابن الاخشيد ان الله فتق
لسان اسماعيل بالعربية ولذلك صار اصلا للعرب من ولده لانه تكلم بها على خلاف النشو والعادة بل
على انه ابتداه بها والهمه اياها فان قيل ما معنى قوله انبئوني باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين ما الذي ادعى
حتى قيل هذا قيل عن ذلك اجوبة كثيرة للعلماء احدها ان الملئكة لما اخبرهم الله عز وجل انه جاعل في الارض
خليفة هجس في نفوسها انه لو كان الخليفة منهم بدلا من ادم وذريته لم يكن فسادا ولا سفك دماء كما يكون من
ولد ادم وان ذلك اصلح لهم وان كان الله عز وجل لا يفعل الا ما هو اصلح في التدبير والاصوب في الحكمة فقال الله

تعالى انبئوني باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين فيما ظننتم في هذا المعنى ليدلهم على انهم اذا لم يعلموا باطن ما
شاهدوا وكانوا من ان يعلموا باطن ما غاب عنهم ابعد والثاني انه وقع في نفوسهم انه لم يخلق الله خلقا
الا كانوا افضل منهم في سائر ابواب العلم فقيل ان كنتم صادقين في هذا الظن فاخبروا بهذه الاسماء والثالث
قال ابن عباس ان كنتم تعلمون لم اجعل في الارض خليفة اي انبئهم انه كل واحد من الامرين من علم الغيب فكما
لا تعلمون ذا لا تعلمون الاخر والرابع ما ذكره الاخفش والجبائي وابن الاخشيد ان كنتم صادقين به من اسمائهم
كقول القائل للرجل اخبرني بما في يدي ان كنت صادقا اي ان كنت تعلم فاخبر به لانه لا يمكنه ان يصدق في مثل
ذلك الا اذا اخبر عن علم منه ولا يصح ان يكلف ذلك الا مع العلم به ولا بد اذا استدعوا الى الاخبار عما لا يعلمو
من ان يشترط هذا الشرط ووجه ذلك التنبيه كما يقول العالم للمتعلم ما تقول في كذا ويعلم انه لا يحسن الجواب
لينبهه عليه ويحثه على طلبه والبحث عنه فلو قال له اخبرني بذلك ان كنت تعلم او قال له ان كنت صادقا لكان
حسنا فاذا نبهه على انه لا يمكنه الجواب اجابه حينئذ فيكون جوابه بهذا التدريج اثبت في قلبه واوقع في نفسه
وقوله انبئوني قال قوم هو امر مشروط كانه قيل ان امكنكم ان تخبروا بالصدق فيه فافعلوا وقيل ان لفظه
لفظ الامر ومعناه التنبيه على ما بيناه في سؤال العالم للمتعلم ولا يجوز ان يكون ذلك تكليفا لانه لو كان تكليفا
لم يكن تنبيها لهم على ان ادم يعرف من اسماء هذه الاشياء بتعريف الله اياه ذلك ما لا يعرفون فلما اراد تعريفهم
ما خص به ادم من ذلك علمنا انه ليس بتكليف ومعنى قوله ان كنتم صادقين شرط كانه قيل ان كنتم صادقين
في الاخبار بذلك وليس ان بمعنى اذ على ما حكاه الكسائي عن بعض المفسرين لانها لو كانت كذلك لكانت ان بفتح
الهمزة وتقديره ان كنتم محققين ايمانكم فافعلوا كذا وكذا لان اذ اذا تقدمها فعل مستقبل صارت علة للفعل
وسببا له كقولك قوم اذ قمت اي من اجل ان قمت فلو كانت ان في الاية بمعنى اذ كان التقدير انبئوني باسماء
هؤلاء من اجل انكم صادقين واذا وضعت ان مكان ذلك وجب ان تفتح الالف وذلك خلاف ما عليه القراء و
الانباء قال قوم اصله الاعلام كقولهم انبأت عمرا زيدا اخاك بمعنى اعلمت ولا يصلح ههنا اخبرت الا انه
يتناول انبئوني ههنا بمعنى اخبروني على وجه المجاز والتوسع لتقارب المعنى في الاخبار والانباء لان الله تعالى
عالم بالاشياء فيما لم يزل فلا يجوز ان يقول اعلموني لما هو عالم به ومن قال اصله الاخبار تعلق بظاهر القرآن
وفي كيفية عرضهم قولان احدهما انه عرضهم بعد ان خلقهم والثاني انه عرضهم بان صورهم لقلوب الملئكة
وفي هذه الاية دليل على شرف العلم من حيث ان الله تعالى لما اراد تشريف ادم اختصه بعلم ابانه به من غيره وجعل
له الفضيلة فيه وفي كيفية تعليم الله ادم الاسماء قال البلخي يجوز ان يكون اخبره بذلك فوعاه في وقت قصير
بما اعطاه الله من الفهم والحفظ او بان دله ومكنه ورسم به رسما فابتدع هو لكل شيء اسما شيئا كله ولا بد
ان يكون اعلامه له بلغة قد تقدمت المواضعة عليها حتى يعنيهم بالخطاب المراد به وقال المواضعة لا بد ان تستند
الى سمع عند قوم وعند ابي هاشم واصحابه لا يصح ذلك فاما الذي عرض على الملئكة قال قوم عرضت الاسماء
دون المسميات وقال قوم اخرون عرضت المسميات بها وهو الاقوى لقوله ثم عرضهم وفي قراءة ابن مسعود
ثم عرضهن وفي قراءة ابيّ عرضها وقال قوم انه عرضهم بعد ان خلق المسميات واحضرها لقوله اسماء هؤلاء
وذلك اشارة الى الحاضر وقال اخرون انه صورهم لقلوب الملئكة ثم عرضهم قبل خلقهم وقيل ان قوله اشارة
الى الاسماء التي علمها ادم وانبئوني اكثر القراء على انه بهمز وروي عن الاعمش ترك الهمز فيه وهي لغة قريش
هؤلاء لغة قريش ومن جاورهم باثبات الف بين الهاء والواو ومدّ الالف الاخيرة وتميم وبكر وعامة بني اسد
يقصرون الالف الاخيرة وبعض العرب يسقط الالف الاولى التي بين الهاء والواو ويمد الاخيرة وانشد
تجلد لا يقل هؤلاء هذا بكى لما بكى اسفا وغيا وحقق الهمزة ابن عامر واهل الكوفة اذا اتفقا من
كلمتين وقرا ابو عمرو واحمد بن صالح عن قالون بتحقيق الاولى فحذف الثانية وقرا ورش وقنبل وابو جعفر ورويس
بتحقيق الاولى وتليين الثانية وقرا ابن كثير الا قنبلا ونافع الا ورشا واحمد بن صالح بتسكين الاولى وتحقيق
الثانية في المكسورتين والمضمومتين وفي المفتوحين بتحقيق الاولى وحذف الثانية قوله تعالى قالوا

سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ اية هذه الاية فيها اخبار من الله تعـ عن ملئكته بالرجوع اليه والأوبة والتسليم انهم لايعلمون الا ما علمهم الله وقوله سبحانك نصب على المصدر ومعناه نسبحك وسبحان مصدر لاينصرف وقدمنا فيما مضى ان معنى التسبيح التنزيه ومعناه ههنا تبريا منهم ان يعلموا الغيب اقرارا انه المختص به تعـ دون غيره وقوله العليم الحكيم معناه عليم انه عالم وفيه مبالغة وهو من صفات ذاته واذا كانت كذلك افادت انه عالم بجميع المعلومات ويوصف به فيما لم يزل لان ذلك واجب في العالم لنفسه وقوله الحكيم يحتمل امرين احدهما انه عالم لان العالم بالشئ يسمى بانه حكيم فعلى هذا يكون من صفات الذات مثل العالم وقد بيناه والثاني ان يكون من صفات الافعال ومعناه ان افعاله محكمة متقنة وصواب ليس فيها وجه من وجوه القبح ولا التفاوت ولا يوصف بذلك فيما لم يزل وروى عن ابن عباس انه قال العليم الذي كمل علمه والحكيم الذي كمل في حكمته وقد قيل في معنى حكيم انه المانع من الفساد ومنه سميت حكمة اللجام لانها تمنع الفرس من الجري الشديد قال جرير ابني حنيفة احكموا سفهائكم انى اخاف عليكم ان اغضبا اى امنعوهم والاحكام والاتقان والانتظام متقارب والحكمة نقيض السفه يقال حكم حكما واحكم احكاما ويقال احكم فلان عمله اذا بالغ فيه فاصاب حقيقته والحكمة هى التى تقف بك على مر الحق الذى لايخالطه باطل والصدق الذى لايشوبه كذب ومنه قوله حكمة بالغة والحكم بين الناس هو الذى يرضى به ليقفهما لاشياء مواضعها ومنه قوله فابعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها والحاكم القاضي بين الناس ليقفهم على الحق ويقال رجل حكيم اذا كان ذلك شانه وكانت معه اصول من العلم والمعرفة واذا حكم بين الرجلين يقال حكم يحكم واذا صار حكيما قيل حكم يحكم وامر مستحكم اذا لم يكن فيه مطعن وفي الحديث في راس كل عبد حكمة اذا هم بسيئة وشاء الله ان يقدعه بها قدعه يعنى منعه والحكم فى الانسان هى العلم الذى يمنع صاحبه من الجهل ومعنى قول الملئكة سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا يحتمل امرين احدهما ما قدمناه وهو قول ابن عباس قال سبحانك تنزيها لله من ان يكون احد يعلم الغيب سواه والثانى انهم ارادوا ان يخرجوا مخرج التعظيم لله فكانهم قالوا تنزيها لك عن القبائح فعلى هذا الوجه يحسن وان لم يعلقه بعلم الغيب كما علقه فى الاول وفى الناس من استدل بهذه الاية على بطلان الاحكام فى النجوم وهذا يمكن ان يكون دلالة على من يقول انها موجبات لا دلالات فاما من يقول انها دلالات على الاحكام نصبها الله فانه يقول نحن ما علمنا الا ما علمنا الله انه الذى جعل النجوم ادلة لنا كما ان ما علمناه استدلالا لغير ضرورة مضاف اليه ايضا من حيث نصب الدلالة عليه واستدل جماعة من المفسرين بهذه الاية والايتين قبلها على صدق النبى صـ وجعلوها من جملة معجزاته اذ كان اخبارا بما لا تعلمه العرب ولا يوصل اليه الا بقراءة الكتب والنبى عـ لم يعرف بشئ من ذلك مع العلم بمشيئته ومبتدا امره ومنتهاه وهذا يمكن ان يذكر على وجه التاكيد والتقوية لا يامة ومعجزاته من غير ان يكون لو انفرد لكفى في باب الدلالة لان لقائل ان يقول انه قرأ الكتب سرا واخذ ممن قراها خفيا فلا طريق للقطع على ذلك وانما تغلب فى الظن فان قيل ما الفائدة فى الجواب بقولهم لا علم لنا الا ما علمتنا قلنا لو اقتصروا على قولهم لا علم لنا لكان كافيا لكن ارادوا ان يضيفوا الى ذلك التعظيم والاعتراف بان جميع ما يعلمونه من تعليمه وان هذا ليس من جملة ذلك واخضروا وذلك ادل على الشكر لنعمه وقيل فى معنى عليم امران احدهما انه عليم بغير تعليم بدلالة انهم اثبتوا لله ما نفوه عن انفسهم بقولهم لا علم لنا الا ما علمتنا اى نحن معلمون وانت العليم غير المعلم والثانى انه العليم الحكيم وكلاهما حسن والاول احسن لانه اكثر فائدة واولى فى تقابل البلاغة وقد تضمنت الاية الدلالة على انه لا علم لاحد الا ما علمه الله اما بالضرورة واما بالدلالة قوله تعـ قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ اية بلا خلاف روى الداجونى عن هشام انبيهم ونبيهم فى الحج والقمر فقلبت الهمزة ياء وكسر الهاء وروى الزينبي من طريق المالكى والعطار كسر الهاء وتحقيق الهمزة الباقون بضم الهاء وتحقيق الهمزة قال ابو على من ضم الهاء حملها على الاصل لان الاصل ان يكون هاء الضمير مضمومة مثل قولهم ضربهم وانباهم وانما تكسر الهاء اذا وليها كسرة او ياء نحو بهم و

عليهم ومع هذا يضمه قوم حملا على الاصل ومن كسر الهاء التى قبلها همزة مخففة فانه اتبع كسرة الهاء الكسرة التى قبلها وان كان بينهما حاجز كما قالوا هذا المرء ومررت بالمرء فاتبعوا مع هذا الفصل وحكى عن ابى زيد انه قال قال رجل من بكر بن وائل اخذت هذا منه ومنهما ومنهم فكسر الهاء فى الادراج قال وحكى عنه لم اعرفه ولم اضربه فكسر قال لم اضربها فكسر الهاء مع الباء ويحتمل ان يكون ما اعتد بالحاجز بين الكسرة والهاء لسكونها فكان الكسرة وليت الهاء ومعنى انبئهم خطاب لآدم يعنى اخبر الملئكة لان الهاء كناية عنهم وموضعها النصب باسمائهم يعنى باسماء الذين عرضهم على الملئكة والهاء والميم فى اسمائهم كناية عن المراد بقوله اسماء هؤلاء وقد مضى بيانه وقوله واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون فالابداء والاعلان والاظهار بمعنى واحد يقال بدا وعلن وظهر وضد الابداء الكتمان وضد الاظهار الابطان وضد الاعلان الاسرار يقال بدا يبدو من الظهور وبدأ يبدأ ابداء بالهمز بمعنى استانف قال صاحب العين بدا الشئ يبدو بدوا اذا ظهر وبدا له فى الامر بدءا وبداء والبادية اسم الارض التى لا حضر فيها واذا خرج الناس من الحضر الى الصحراء او المرعى يقال بدوا وابدأ واسم البدو ويقال اهل البدو واهل الحضر واصل الباب الظهور والخفاء نقيض الظهور وقال الرمانى حد الظهور على حقيقة الحصول بحيث يمكن ان تعلم بسهولة والله ظاهر بادلته باطن عن احساس خلقه وكل استدلال فانما هو ليظهر شئ وظهور غيره والكتمان نقيض اعلان السر ونحوه وناقة كتوم وهى التى لا ترغو اذا ركبها صاحبها اى لا تصيح والكاتم من القسى التى لا ترن اذا انبضت الالف فى قوله الم اقل لكم الف تنبيه كقول القائل اما ترى اليوم ما اطيبه لمن يعلم ذلك الا انك تريد ان تحضر ذهنه ان ليس مثله ما يخفى عليه كقوله الم تعلم ان الله على كل شئ قدير وحكى عن سيبويه اما ترى اى برق ههنا وهى الف تنبيه اصلها الاستفهام ومن الناس من قال ان معناه التوبيخ ومن لم يجز على الملئكة المعصية منع من ذلك فان قيل ما الفائدة فى انباء آدم عـ الملئكة بذلك دون اعلام اياهم بذلك قلنا اراد الله بذلك تكرمة آدم عـ وتشريفه واجلال المنة عليه وتعظيم النعمة لديه وجميع قصة آدم تؤذن بذلك فان قيل ما معنى غيب السموات والارض والله لايغيب عنه شئ قيل فى معناه انه يعلم ما غاب عنهم فلم يشاهدوه كما يعلم ما حضرهم فشاهدوه وقوله واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون قيل فى معناه اقوال احدها انه يعلم سرهم وعلانيتهم وذكر ذلك تنبيها لهم على ما يجليهم عليه من الاستدلال لان الاصول الاول لم يستدل بها وانما ذكر على وجه التنبيه يستخرج بها غيرها فيستدل بعلم الغيب انه خلق عباده على ما خلقهم عليه للاستصلاح وما توجبه الحكمة والثانى ما يسرون بمعنى ما اضمره ابليس من المعصية والمخالفة وما يعلنون قولهم اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء قال الرمانى وهذا الوجه غلط لان ابليس ليس من الملئكة ولان القول على العموم لا يجوز ان يصرف الى الخصوص بغير دلالة وهذا الوجه اختاره الطبرى وقال هو بمنزلة قولهم قتل الجيش وهزموا وانما قتل البعض قال الرمانى انما يقال ذلك اذا حل قتل الواحد محل قتل الجميع مثل قتل الرئيس او من يقوم مقامه ولا يقال ايضا الا والدلالة عليه ظاهرة وليس كذلك الاية وقد روى روايات فى هذا المعنى والوجه فى هذا ان ابليس لما دخل معهم فى الامر بالسجود جاز ان يستثنى من جملتهم الثالث قيل ان الله تعـ لما خلق آدم مرت به الملئكة قبل ان ينفخ فيه الروح ولم تكن رات مثله قبل فقالت لن يخلق الله خلقا الا كنا اكرم منه وافضل عنده فزعموا ان هذا الذى اخفوه فى نفوسهم وان الذى ابدوه قولهم اتجعل فيها من يفسد فيها روى ذلك عن الحسن والوجه الاول اقوى لانه اعم ويدخل فيه هذا الوجه ولا دلالة يقطع بها على تخصيص الاية فان قيل ما وجه ذكره تعـ لهم الاسرار من علم الغيب قلنا على معنى الجواب فيما سالوا عنه من يفسد ويسفك الدماء وذلك على وجه التعريض بالجواب دون التصريح لانه لو صرح به لقال خلقت من يفسد ويسفك الدماء لما اعلم فى ذلك من المصلحة لجملة عبادى فيما كلفتهم اياه وامرتهم به فدل فى الاحالة فى الجواب على العلم بباطن الامور وظاهرها انه خلقهم لاجل علمه بالمصلحة فى ذلك ودلهم بذلك على ان عليهم الرضا والتسليم لقضاء الله ان الله يعلم من الغيب ما لا يعلمونه ويعلم من مصالحهم ما لا يعلمونه فى دينهم ودنياهم فان قيل واى شئ

فى تعلم ادم الاسماء كلها مما يدل على علم الغيب قلنا الامر فيه ثم علمه الاسماء كلها بما فيها من المعانى التى تدل عليها على جهة فتق لسانه بذلك والهامه اياه وهى معجزة اقامها الله تع للملئكة تدل على جلالته وارتفاع قدره بما اختصه به من العلم العظيم الذى لا يتصل اليه الا بتعليم الله اياه فان قيل بذلك الاعجاز بالاطلاع على ما لا سبيل الى علمه الا من علام الغيوب ففيه من المعجزة انه فتق لسانه بها على خلاف مجرى العادة وانه علمه من لطائف الحكمة فيه ما لا تعلمه الملئكة مع كثرة علومها وانها اعرف الخلق بربها فعرفوا ما دلهم على علم الغيب بالمعجزة كما كانوا يعلمونه من ذلك بالادلة العقلية ولذلك نبههم فقال الم اقل لكم انى اعلم غيب السموات والارض اى قد دللتكم على ذلك قبل بهذه دلالة قبل وبعد وقيل فتح الله الدلالة على الاعجاز بالكلام فى ادم ثم ختم به فى محمد

قوله تعـ وَاِذْ قُلْنَا لِلْمَلٰئِكَةِ اسْجُدُوا لِاٰدَمَ فَسَجَدُوا اِلَّا اِبْلِيسَ اَبٰى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ابو واحد ضم التاء من الملئكة ابو جعفر وحده وحيث وقع اتبع ضمة التاء ضمة الجيم وقيل انه نقل ضمة الهمزة وابتدأ بها والاول اقوى لان الهمزة الف وصل تسقط فى الدرج فلا يبقى فيها حركة تنقل فالوجه الاول هو المعتمد عليه والصحيح ما عليه القراء من كسر التاء بلام الجر وابليس نصب بالاستثناء من الاثبات ويكره الوقف على قوله فسجدوا وعلى الاصح يقول الا ابليس ولكن للكل استثناء وظاهر الاية يقتضى ان الامر كان لجميع الملئكة بالسجود لعمومها وقال قوم ان الامر كان خاصا لطائفة من الملئكة كانوا مع ابليس طهر الله بهم الارض من الجن والاول اقوى والسجود والخضوع والتذلل بمعنى واحد فى اللغة ونقيض التذلل التكبر يقال سجد يسجد سجودا واسجد اسجادا اذا خفض رأسه من غير وضع لجبهته قال الشاعر وكلتا هما خرت واسجد رأسها كما سجدت نصرانة لم تحنف والسجود فى الشرع عبارة عن عمل مخصوص فى الصلوة والركوع والقنوت كذلك وهو وضع الجبهة على الارض ويقال سجدنا لله سجودا وقوم سجد ونساء سجد والسجد من النساء الفاترات الاعين قال الشاعر اغرك منى ان ذلك عندنا واسجاد عينيك الصيودين رابح وعزايم السجود من ذلك وقوله وان المساجد لله قيل انه السجود وقيل انه المواضع من الجسد التى يسجد عليها واحدها مسجد والمسجد اسم جامع لجميع المسجد وحيث لا يسجد بعد ان يكون اخذ لذلك فاما المسجد من الارض فهو موضع السجود بعينه وقال قوم معنى السجود فى اصل اللغة الخضوع والانحناء وقيل التذلل قال الشاعر بجمع يضل البلق فى حجراته ترى الاكم فيه سجدا للحوافر كانه قال مذللة للحوافر والسجود على اربعة اقسام سجدة الصلوة وسجدة التلاوة وسجدة الشكر وسجدة السهو وقوله ابى معناه ترك وامتنع والاباء والامتناع والترك بمعنى ونقيض ابى اجاب يقال ابى يابى اباء وتابى تابيا وقال صاحب العين ابى يابى اباء اذا ترك الطاعة ومال الى المعصية كقوله فكذب وابى وكل من ترك امرا ورده فقد اباه ورجل ابى وقوم ابيون واباة خفيف قال الشاعر ابى الضيم من قوم اباة وليس الاباء بمعنى الكراهة لان العرب تتمدح بانها تابى الضيم ولا تمتدح فى كراهة الضيم وانما المدح فى المنع منه كقوله ويابى الله الا ان يتم نوره اى يمنع الكافرين من اطفاء نوره والاستكبار والتكبر والتعظم والتجبر نظائر وضده التواضع يقال كبر كبرا واكبر اكبارا واستكبر استكبارا وتكبر تكبرا وتكابر تكابرا وكابره مكابرة وكبره تكبيرا قال صاحب العين الكبر العظمة والكبر والكبر الاثم الكبير جعل سما من الكبيرة كالخطيئة والخطئ وكبر كل شئ معظمه والكبر مصدر والكبير فى السن من جميع الحيوان فاذا اردت الامر العظيم قلت كبر هذا الامر كبارة والكبار فى معنى الكبير ويقال اكبرت الشئ اذا اعظمته ومنه قوله فلما رأينه اكبرنه والتكبير فى الصلوة تفعيل من قولهم الله اكبر واصل الباب الكبر وهو العظم ويقال على وجهين كبر الجثة وهو الاصل وذلك لا يجوز عليه تع وكبر الشان والله تعالى الكبير من كبر الشان وذلك يرجع الى سعة مقدوره ومعلومه وتحقيقه انه قادر على ما لا يتناهى من جميع الاجناس المقدورات عالم بكل معلوم والاستكبار الانفة مما لا ينبغى ان يوقف منه وموضع اذ من قوله واذ قلنا نصب لانه عطف على اذ الاولى كانه قال واذ اراد وقال ابو عبيدة لا موضع لها من الاعراب لانها زايدة وانشد حتى اذا اسلكوهم فى قتائدة شلا كما تطرد الجمالة الشردا وقال المراد واستشهد به على وجهين

عفيف ظ ولعل المراد بالخفة ابرازه فى نفسه بسرعة وعدم تحمله ما يثقل عليه من المشاق فى دولة الجور فيقوم فى قبالهم ويأبى عن ضيمهم وظلمهم واما العفة فهى الكف عما لا يحل والاباء عما لا ينبغى الامتناع منه فيكون بهذا المعنى ويظن انه خفيف من غلط الناسخ

كل واحد منهما نقيض الاخر فاحد الوجهين قوله حتى اذا جاؤها وفتحت ابوابها فلم يات لاذا جواب والوجه الاخر فيه على زيادة اذ فى هذا الموضع وكلا الوجهين خطاء عنده لان الجواب فى قوله قتائدة هو قوله شلا بقوله موقع شلوهم شلا كما يقول القائل اذا اتيت الحرب فضربا وطعنا واما الزيادة فقد بينا وجه الخطاء فيها فيما تقدم واختلفوا فى امر الملئكة بالسجود لادم على وجهين قال قوم انه امرهم بالسجود له تكرمة وتعظيما لشانه وهو المروى فى تفسيرنا واخبارنا وهو قول قتادة وجماعة من اهل العلم واختاره ابن الاخشاذ والرمانى وجرى ذلك مجرى قوله وخروا له سجدا فى اولاد يعقوب ولاجل ذلك جعل اصحابنا هذه الاية دلالة على ان الانبياء افضل من الملئكة من حيث امرهم بالسجود له والتعظيم على وجه لم يثبت ذلك لهم بدلالة امتناع ابليس من السجود له وانفته من ذلك وقوله ارايتك هذا الذى كرمت على لئن اخرتنى الى يوم القيمة لاحتنكن ذريته الا قليلا ولو كان ذلك على وجه كونه قبلة لما كان لذلك وجه ولا فيه انفة ولا يحسن ان يؤمر الفاضل بتعظيم المفضول على نفسه لان ذلك سفه به وسنبين قول من خالف فيه وشبهتهم وقال الجبائى والبلخى وجماعة انه جعله قبلة لهم فامرهم بالسجود الى قبلتهم وفيه ضرب من التعظيم له وهذا ضعيف لانه لو كان على وجه القبلة لما امتنع ابليس من السجود ولما استعظمته الملئكة ولكن لما داوا ذلك تعظيما له على وجه ليس بثابت لهم امتنع ابليس وتكبر واختلفوا فى ابليس هل كان من الملئكة ام لا فقال ابن عباس وابن مسعود وابن المسيب وقتادة وابن جريج والطبرى انه كان منهم بدلالة استثنائه من جملتهم ههنا فى قوله الا ابليس ابى واستكبر وكان من الكافرين وقال ما منعك ان تسجد لما امرتك مع قوله واذ قلنا للملئكة اسجدوا لادم وهو المروى عن ابى عبد الله عم والظاهر فى تفاسيرنا ثم اختلف من قال انه كان منهم فمنهم من قال انه كان خازنا على الجنان ومنهم من قال كان له سلطان سماء الدنيا وسلطان الارض ومنهم من قال انه كان يوسوس ما بين السماء الى الارض وقال الحسن البصرى وقتادة فى رواية ابن زيد والبلخى والرمانى وغيره من المتاخرين انه لم يكن من الملئكة وان الاستثناء فى الاية استثناء منقطع كقوله تع ما لهم به من علم الا اتباع الظن وقوله فلا صريخ لهم ولا هم ينقذون الا رحمة منا وكقوله لا عاصم اليوم من امر الله الا من رحم وكقول الشاعر وهو النابغة وقفت فيها اصيلا لا اسائلها اعيت جوابا وما بالربع من احد الا اواري لأيا ما ابينها والنؤى كالحوض بالمظلومة الجلد وانشد سيبويه والحرب لا يبقى لجاحمها التخيل والمراح الا الفتى الصبار فى النجدات والفرس الوقاح وقال اخر وبلدة ليس بها انيس الا اليعافير والا العيس واستدل الرمانى على انه لم يكن من الملئكة باشياء منها قوله لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون فنفى عنهم المعصية نفيا عاما والثانى انه قال الا ابليس كان من الجن ومتى اطلق لفظ الجن لم يجز ان يعنى به الا الجنس المعروف المباين لجنس الانس والملئكة الثالث ان ابليس له نسل وذرية قال الحسن ابليس ابو الجن كما ان ادم ابو الانس وابليس مخلوق من النار والملئكة روحانيون خلقوا من الريح فى قول ابى على وقال الحسن خلقوا من النار لا يتناسلون ولا يطعمون ولا يشربون وقال الله فى ابليس وولده افتتخذونه وذريته اولياء من دونى وهم لكم عدو والرابع وهو اقوى ما عنده قوله تع جاعل الملئكة رسلا اولى اجنحة مثنى وثلاث ورباع فعمهم بالوصف بالرسالة ولا يجوز على رسل الله ان يكفروا او يفسقوا كالرسل من البشر والجواب عما ذكره اولا ان قوله لا يعصون الله ما امرهم صفة لخزنة النيران لا لجميع الملئكة يدل على ذلك قوله يا ايها الذين امنوا قوا انفسكم واهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملئكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون وليس اذا كان هؤلاء معصومين وجب ذلك فى جميعهم والجواب عما ذكره ثانيا ان قوله كان من الجن معناه صار وذكر ذلك الاخفش وجماعة من اهل اللغة وقيل ايضا ان ابليس كان من طائفة من الملئكة يسمون جنا من حيث كانوا خزنة الجنة وقيل سموا بذلك لاختفائهم عن العيون كما قال الاعشى قيس بن ثعلبة ولو كان شئ خالدا او معمرا لكان سليمن البرئ من الدهر براه الهى واصطفاه عباده

الا الاواري بالنصب على الاستثناء المنقطع من احد يقول ان الدار خلت من اهلها فلم يكن هناك مجيب الا الاوارى وهى روابط الخيل ومحابسها واحدها آرى من تارّيت بالمكان اى اقمت به ووزنه فاعول والجمع يخفف ويشدد واللأى البطوء والمعنى ما عرفتها الا بعد لأى ولم يتحقق له جواب الا من الاوارى بعد بطوء واستقصاء نظر لتغيرها والنؤى الحاجز حول الخباء يدفع عنه الماء والمظلومة الارض التى حفرت فى استدارته بالحوض لغيرا قامة لانها فلاة فظلمت بذلك ووصفها بالجلد الصلبة اشارة الى انه لم يعمق

والتخيل من التكبر والمراح من الاشر والجاحم الحرب معظمها والنجدات الشدائد والنجدة الشدة فى الشجاعة والوقاح الصلب الحافر

وملكه ما بين ترفثا الى مصر وسخر من جن الملائك تسعة قياما لديه يعملون بلا اجر

وقد قال الله تعالى وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا لان قريشا قالت الملائكة بنات الله والجواب عما ذكره ثالثا ان ابليس له نسل وذرية فطريقه الآحاد ولو كان صحيحا لم يمتنع ان يكون الله ركب فيه شهوة النكاح تغليظا عليه في التكليف وان لم يكن ذلك في باقي الملائكة فلا وجه لاستبعاده والجواب عما ذكره رابعا قوله جاعل الملائكة رسلا اولي اجنحة معارض بقوله الله يصطفي من الملائكة رسلا فان كان ظاهر تلك يقتضي العموم فظاهر هذه يقتضي التخصيص لان من للتبعيض ولو لم يكن كذلك لجاز لنا ان نخص هذا العموم بقوله الا ابليس لا نحمل الاستثناء على انه منقطع حملا له على المجاز كما ان تخصيص العموم مجاز واذا تعارضا سقطا فاما ما روي عن ابن عباس ان الملائكة كانت تقاتل الجن فسبي ابليس وكان صغيرا وكان مع الملائكة فتعبد معها فلما امروا بالسجود لآدم سجدوا الا ابليس ابى فلذلك قال الله تعالى الا ابليس كان من الجن فانه خبر واحد لا يصح والمعروف عن ابن عباس ما قلناه انه كان من الملائكة فابى واستكبر وكان من الكافرين ومن قال ان ابليس خلق من نار ومن مارج والملائكة لم يخلقها من ذلك فقوله ضعيف لانه لا يمتنع ان يكون الله تعالى خلق الملائكة اصنافا صنفا من نار وصنفا من نور وصنفا من غير ذلك وصنفا آخر لا من شيء فاستبعاد ذلك لضعف معرفة وابليس قال الزجاج والرماني وغيرهما من النحويين انه ليس بمأخوذ من الابلاس كقوله مبلسون اي ايسون من الخير قالوا لانه اعجمي معرب بدلالة انه لا ينصرف للعجمة والتعريف وقال الطبري هو مشتق من الابلاس ووزنه افعيل وانشد العجاج يا صاح هل تعرف رسما مكرسا قال نعم اعرفه وابلسا وقال روبة وحضرت يوم الخميس الاخماس وفي الوجوه صفرة وابلاس يعني اكتئابا وكسوفا وقال انما لم يجر استثقالا لانه كان اسما لا نظير له من اسماء العرب فشبه باسماء العجم التي لا تنصرف وزعم ان اسحق لا ينصرف وهو من اسحقه الله اسحاقا وان ايوب من آب يؤوب على زنة فعول كيقوم من قام يقوم قال الرماني غلط في جميع ذلك لانها الفاظ اعجمية وافقت الفاظ العربية وكان ابن السراج يمثل ذلك على جهة التبعيد بمن زعم ان الطير ولد الحوت وغلط ايضا في قوله انه لا نظير له في اسماء العرب لانهم يقولون اذميل للشفرة وازميل قال الشاعر هم منعوا الشيخ المنافي بعدما راى حمة الازميل فوق البراجم والاعريض الطلع واحريض صبغ احمر وقالوا هو العصفر وسيف اصليت ماض كثير الماء وثوب اضريج مشبع الصبغ وقالوا هو من الصفرة خاصة وسبيل ابليس سبيل انجيل في انه معرب غير مشتق وحد الاستكبار الرفع للنفس الى منزلة لا يستحق قوله وكان من الكافرين قال قوم يدل على انه كان قبله قوم كفار من الجن وقال آخرون لا يدل ويجري ذلك مجرى قول القائل كان آدم من الانس ولم يكن قبله انسي وكان ابليس من الجن ولم يكن قبله جني ومعناه صار من الكافرين ومن قال ان ابليس كان من جملة الملائكة قال كان من جملة المامورين بالسجود لآدم بدلالة قوله ما منعك ان لا تسجد اذ امرتك ولانه لما استثناه من جملتهم ولم يكن منهم علمنا انه كان من جملة المامورين كقول القائل امر اهل البصرة بدخول الجامع فدخلوا الا رجلا من اهل الكوفة فانه يعلم بهذا ان غير اهل البصرة كان مامورا بدخول الجامع غير ان اهل البصرة كانوا اكثر فلذلك خصوا بالذكر وكذلك القول في الآية ومن استدل بهذه الآية على ان افعال الجوارح من الايمان من حيث لو لم يكن كذلك لوجب ان يكون ابليس مؤمنا بما معه من المعرفة بالله وان فسق باباء فقد ابعد لان المخالف يقول اذا علمت كفره بالاجماع علمت انه لم يكن معه ايمان اصلا كما اذا رايت انه يصلي للشمس علمت ان معه كفرا وان كان صلاته للشمس ليست كفرا فان قيل اذا كانت اذ لما مضى فما معنى قوله واذ قال الله يا عيسى بن مريم انت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله وكيف قال واذ يتحاجون في النار قيل معنى ذلك الكلام على تقدير الاستقبال لان ما تحقق بمنزلة ما قد كان كما قال ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار قوله تعالى وقلنا يا آدم اسكن انت

وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ آية بلا خلاف

السكون والثبوت والهدو نظائر ومثله الاستقرار والاطمينان والاثبات والمسكن والماوى والمثوى بمعنى تقول سكن يسكن سكونا اذا لبث في المكان وسكن اذا سكت سكنت الريح وسكن المطر وسكن الغضب والسكن

نونا وطور سينا بالفتح والكسر والمد والقصر بمعنى سينا

ابلست غما لم يصرف

والد ج

هم العيال وهم اهل البيت قال سلامة بن جندل ليس بأسفى ولا اقنى ولا سغل يسقى دواء قفي السكن مربوب والمسكن المنزل والسكن السكان والسكني ان يسكن انسانا منزلا بلا كراء والسكينة الموادعة والوقار والسكن الرحمة والبركة كقوله ان صلاتك سكن لهم والمسكين الذي لا شيء له عند ابي عبيدة والفقير الذي له شيء وان كان قليلا قال الشاعر اما الفقير الذي كانت حلوبته وفق العيال فلم يترك له سبد وقوله تعالى اما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر قال ابو حاتم احسبهم كانوا شركاء في سفينة لا يملكون سواها فهذا يخالف ابا عبيدة وسكان السفينة معروف عربي اشتقاقه من انها تسكن به عن الحركة والاضطراب ومعنى اسكن انت وزوجك الجنة اجعله ماوى تاوي فيه وتسكن اليه وقد اعظم الله النعمة على آدم بما اختصه من علمه واسجد له ملائكته واسكنه جنته وتلك نعمة على ولده فالزمهم الشكر عليها والقيام بحقها والجنة التي اسكن فيها آدم قال قوم هي بستان من بساتين الدنيا لان جنة الخلد لا يصل اليها ابليس ووسوسته واستدل البلخي على انها لم تكن جنة الخلد بقوله تعالى حكاية عن ابليس لما اغوى آدم قال له هل ادلك على شجرة الخلد فلو كانت جنة الخلد لكان عالما بها فلم يحتج الى دلالة وقال الحسن البصري وعمرو بن عبيد وواصل بن عطاء واكثر المعتزلة كابي علي والرماني وابي بكر ابن الاخشاذ وعليه اكثر المفسرين انها كانت جنة الخلد لان الالف واللام للتعريف وصارا كالعلم عليها قالوا ويجوز ان يكون وسوسة ابليس من خارج الجنة فيسمعان خطابه ويفهمان كلامه قالوا وقول من يقول ان جنة الخلد من يدخلها لا يخرج منها لا يصح لان معنا ذلك اذا استقر اهل الجنة في الجنة للثواب واهل النار فيها للعقاب لا يخرجون منها واما قبل ذلك فانها تفنى لقوله تعالى كل شيء هالك الا وجهه وزوجك الجنة الزوج بطرح الهاء قال الاصمعي هو اكثر كلام العرب وقال الكسائي اكثر كلام العرب بالهاء وطرح الهاء لغة لازد شنوءة ولفظ القرآن لم يجئ الا بطرح الهاء وقال المبرد الوجه طرح الهاء من الزوجة وانشد واذا الم لديها لحاما ت عنده مثل اصوات الرياح للازواج جمع زوج ولا يجوز ان يكون جمع زوجة وقال الرماني قول الاصمعي اجود لان لفظ القرآن عليه والعلة في ذلك انه لما كانت الاضافة تلزم الاسم في اكثر الكلام كانت مشبهة له وكانت بطرح الهاء افصح واخف مع الاستغناء بدلالة الاضافة عنها لانه ليس لهاء التانيث وقوله تعالى وكلا فالاكل والمضغ واللقم متقارب وضد الاكل الازم وسئل عمر بن الخطاب الحارث بن كلدة طبيب العرب فقال يا حارث ما الدواء فقال الازم اي ترك الاكل والاكلة مرة والاكلة اسم كاللقمة والاكولة الشاة والغنم التي ترعى للاكل لا للنسل والاكال ان ياكل عود او شيء واكيل الرجل مواكله واكيل الذئب الشاة وغيرها اذا اردت معنى الماكولة واذا اردت به اسما قلت اكيلة ذئب والماكلة ما جعل للانسان لا يحاسب عليه ورجل وامراة اكول لكثير الاكل والماكل كالمطعم والمشرب والموكل المطعم واصل الباب الاكل وهو المضغ لذي الطعم ويقال الذي يشترك الحيوان كله فيه سوى الملائكة الماكل والمنكح والمشرب والرغد النفع الواسع الكثير الذي ليس فيه عناء قال صاحب العين عيش رغد ورغيد رغيد وقوم رغد ونساء رغد قال امرؤ القيس ابن حجر بينما المرء تراه ناعما يامن الاحداث في عيش رغد والرغيدة الزبدة في بعض اللغات وارغد الرجل ماشيته اذا تركها وسومها والمشيئة والارادة بمعنى واحد وكذلك المحبة والاختيار وان كان لها شروط ذكرناها في الاصول ولا تقربا القرب والدنو والمجاورة متقارب المعنى وضد القرب البعد يقال القرب يقرب قربا واقترب اقترابا قال صاحب العين القرب طلب الماء يقال قرب الماء يقرب وقد قربه قربا اذا طلبه ليلا ولا يقال لطالب الماء نهارا قارب والقراب للسيف والسكين والفعل منه قربت قرابا وقيل قربت قرابا والقربان ما تقربت به الى الله تعالى وقربان الملك وقرابينه وزرائه والقربى حق ذي القرابة وقرب فلان اهله اذا غشيها قربانا وما قربت هذا الامر ولا فلانا قربانا وقربى والشجرة كلما قام على ساق من النبات وهو اسم يعم النخلة والكرمة وغيرهما وما لم يقم على ساق لا يسمى شجرا كالبقل والحشيش واما اليقطين كالقرع والبطيخ فقد سمي شجرا قال الله تعالى وابنتنا عليه شجرة من يقطين قال صاحب العين الشجرة واحدة تجمع على الشجر والشجرات والاشجار

قربت قرابا ق

واختلفوا في الشجرة التي نهى الله ادم عنها فقال ابن عباس هي السنبلة وقال ابن مسعود والسدي وجعفر بن
زهير هي الكرمة وقال ابن جريج هي التينة وروى عن علي عليه السلام انه قال شجرة الكافور وقال الكلبي شجرة
العلم على الخير والشر وقال ابن جدعان هي شجرة الخلد التي كان ياكل منها الملئكة والاقاويل الثلاثة الاولة
اقرب فتكونا من الظالمين الظلم والجور والعدوان متقارب وضد الظلم الانصاف وضد الجور العدل و
اصل الظلم انتقاص الحق لقوله تعالى كلتا الجنتين اتت اكلها ولم تظلم منه شيئا اي لم تنقص وقيل اصله وضع
الشيء في غير موضعه من قولهم من يشبه اباه فما ظلم اي فما وضع الشبه في غير موضعه وكلاهما مطرد و على
الوجهين فالظلم اسم ذم ولا يجوز ان يطلق على غير مستحق اللعن لقوله الا لعنة الله على الظالمين ولا يجوز
اطلاقه على انبياء الله تعالى ولا الائمة المعصومين وظالم ومسيء وجائر اسم ذم وهو فاعل لما يستحق به الذم
من الضرر وضده عادل ومنصف ومحسن وهي من صفات المدح ويقول المعتزلة لصاحب الصغيرة ظالم لنفسه
ومن نفى الصغيرة عن الانبياء من الامامية قال يجوز ان يقال ظالم لنفسه اذا بخسها الثواب كقوله ظلمت نفسي
وقوله اني كنت من الظالمين حكاية عن يونس من حيث بخس نفسه الثواب بترك المندوب اليه والظلم هو الضرر المحض
الذي لا نفع فيه او عليه عاجلا او اجلا ولا فيه دفع ضرر اعظم منه ولا هو واقع على وجه المدافعة ولا هو مستحق
فما هذه صفته يستحق به الذم اذا وقع من مختار عالم او متمكن من العلم به وروي ان الله تعالى القى على ادم النوم و
اخذ منه ضلعا فخلق منه حواء وليس يمتنع ان يخلق الله حواء من جملة جسد ادم بعد ان لا يكون جزءا مما لا يتم كون
الحي حيا الا معه لان ما هذه صفته لا يجوز ان ينقل الى غيره او يخلق منه حي اخر من حيث يؤدي الى ان لا يصل
الثواب الى مستحقه لان المستحق لذلك الجملة باجمعها وهذا قول الرماني وغيره من المفسرين ولذلك قيل المرئة
ضلع اعوج وقيل سميت امراة لانها خلقت من المرء فاما تسميتها حواء لما ادخل ادم الجنة واخرج منها ابليس
ولعن وطرد فاستوحش فخلقت ليسكن اليها وقال ابن اسحق خلقت من ضلعه قبل دخوله الجنة ثم دخلا جميعا الجنة
لقوله تعالى يا ادم اسكن انت وزوجك الجنة وقال الحسن ان الجنة التي كان فيها ادم في السماء لانه اهبطهما منها
وقال ابو مسلم محمد بن يحيى هي في الارض لانه امتحنهما فيها بالنهي عن الشجرة التي نهاهما عنها دون غيرها من
الثمار وحيث مبنية على الضم كما تبنى الغاية نحو من قبل ومن بعد لانه منع من الاضافة كما منعت الغاية الاضافة من
الى مفرد وقوله ولا تقربا هذه الشجرة صيغته صيغة النهي والمراد به الندب عندنا لانه دل الدليل على ان
النهي لا يكون نهيا الا بكراهة للمنهي عنه والله تعالى لا يكره الا القبيح والانبياء لا يجوز عليهم القبائح صغيرها
ولا كبيرها وقالت المعتزلة ان ذلك كانت صغيرة من ادم على اختلافهم في انه كان منه عمدا او سهوا او تأويلا و
انما قلنا لا يجوز عليهم القبائح لانها لو جازت عليهم لوجب ان يستحقوا بها ذما وعقابا وبراءة ولعنة لان المعاصي
كلها كبائر عندنا والاحباط باطل ولو جاز ذلك لنفر عن قبول قولهم وذلك لا يجوز عليهم كما لا يجوز كل منفر عنهم
من الكبائر والخلق المشوهة والاخلاق المنفرة ولا خلاف ان النهي يتناول الاكل دون القرب كانه قال لا تقربا
بالاكل لانه لا خلاف ان المخالفة وقعت بالاكل لا بالدنو منها ولذلك قال فاكلا منها فبدت لهما سوأتهما وقوله
فتكونا يحتمل ان يكون جوابا للنهي فيكون موضعه نصبا وهو الاقوى ويحتمل ان يكون عطفا على النهي
فيكون موضعه جزما وكلاهما جيد محتمل ومتى كان جوابا كان تقديره ان تقربا كنتما من الظالمين لانه يتضمن
معنى الجواب واذا كان عطفا على النهي فكانه قال لا تكونا من الظالمين واجاز البصريون من اهل العدل
ان يبتدئ الله الخلق في الجنة فينعمهم فيها تفضلا منه لا على وجه الثواب لان ذلك نعمة منه تعالى كما ان خلقهم وتكليفهم و
تعريضهم للثواب نعمة منه وله ان يفعل ما يشاء من ذلك وقال ابو القاسم البلخي لا يجوز خلقهم في الجنة ابتداء
لانه لو جاز ذلك لما خلقهم في دار المحنة ولما ابتلى من يعلم انه يكفر ويصير الى عذاب وانما لم يجز ان يخلقهم
ابتداء في الجنة لانه لو خلقهم فيها لم يخلو ان يكونوا متعبدين بالمعرفة لله والشكر او لا يكونوا كذلك فلو
كانوا غير متعبدين كانوا مهملين وذلك لا يجوز ولو كانوا متعبدين لم يكن بد من ترغيب وترهيب ووعد
ووعيد ولو كانوا كذلك كانوا على ما هم عليه في دار الدنيا وكان لا بد من دار اخرى يجازون فيها ويخلدون

والجواب

واجاب عن ذلك الاولون بان قالوا لو ابتدا خلقهم في الجنة لاضطرهم الى معرفته والجاهم الى فعل الحسن وترك
القبيح ومتى راموا القبيح منعوا منه فلا يؤدي ذلك الى ما قالوه كالحور العين والاطفال والبهائم اذا حشرهم
يوم القيمة قوله تعالى فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ
عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ اية بلا خلاف قرا حمزة وحده وازالهما بالف وتخفيف اللام
الباقون بتشديد اللام وحذف الالف الزلة والمعصية والخطيئة والسيئة بمعنى واحد وضد الخطيئة الاصابة
ويقال زل زلة وازله ازلالا واستزله استزلالا وقال صاحب العين زل السهم عن النزع زليلا وزل فلان
عن الصخر زليلا فاذا زلت قدمه قلت زل زلا فاذا زل في مقالة او خطيئة قلت زل زلة قال الشاعر هلا على
غيري جعلت الزلة وازله الشيطان عن الحق اذا ازاله والمزلة المكان الدحض والمزلة الزلل في الدحض و
الزلل مثل الزلة في الخطاء والازلال الانعام وفي الحديث من ازلت اليه نعمة فليشكرها بمعنى اسديت قال
كثير واني وان صدت لمثن وصادق عليها بما كانت الينا ازلت ويقال ازللت الى فلان نعمة فانا
ازلها ازلالا فالاصل في ذلك الزوال والزلة زوال عن الحق ومعنى ازلهما نحاهما من قولك زلت عن المكان
اذا تنحيت منه والوجه ما عليه القراء لان هذا يؤدي الى التكرار لانه قال بعد ذلك فاخرجهما فيصير تقدير
الكلام فاخرجهما الشيطان عنها فاخرجهما وذلك لا يجوز ويحسن ان يقول استزلهما فاخرجهما ومن قرا ازالهما
اراد المقابلة من قوله اسكن لان معناه اسكن واثبت انت وزوجك وتقديره اثبتا فثبتا فاراد ان يقابل
ذلك فقال فازالهما فقابل الزوال بالثبات وانما نسب الازلال والاخراج الى الشيطان لما وقع ذلك بدعائه
ووسوسته واغوائه ولم يكن اخراجهما من الجنة على وجه العقوبة لانا قد بينا ان الانبياء لا يجوز عليهم القبائح على
حال ومن اجاز عليهم العقاب فقد اعظم الفرية وقبح الذكر على الانبياء وانما اخرجهم من الجنة لانه تغيرت المصلحة لما
تناول من الشجرة واقتضى التدبير والحكمة تكليفه في الارض وسلبه ما البسه الله تعالى من لباس الجنة وقال قوم
ان الباس الله له ثياب الجنة كان تفضلا وللمتفضل ان يمنع ذلك تشديدا للمحنة كما يفقر بعد الغناء ويميت بعد
الاحياء ويسقم بعد الصحة فان قيل كيف وصل ابليس الى ادم حتى اغواه ووسوس اليه وادم كان في الجنة
وابليس قد اخرج منها حين ابى من السجود قيل عن ذلك اجوبة احدها ان ادم كان يخرج الى باب الجنة و
ابليس لم يكن ممنوعا من الدنو منه وكان يكلمه ويغويه وقال اخرون انه كلمهما من الارض بكلام وتكلما
منه وعرفاه والثالث قال قوم انه دخل في فم الحية وخاطبهما من فمها والفم جانب الشدق والرابع قال قوم
راسلهما بالخطاب وظاهر الكلام يدل على انه شافههما بالخطاب وقال قوم يجوز ان يكون قرب من السماء فكلمهما
فاما ما روي عن سعيد بن المسيب انه كان يحلف ولا يستثني ان ادم ما اكل من الشجر وهو يعقل ولكن حواء
سقته الخمر حتى اذا سكر قادته اليها فاكل فانه خبر ضعيف وعند اصحابنا ان الخمر كانت محرمة في سائر الشرائع
ومن لم يقل ذلك يقول لو كان كذلك لما توجه العتب على ادم ولا كان عاصيا بذلك والامر بخلاف ذلك
وانما قلنا ذلك لان النائم غير مكلف في حال نومه لزوال العقل وكذلك المغمى عليه وكذلك السكران وانما
يؤخذ السكران بما يفعله في شرعنا لما ثبت تحريم ما بينا وله اسم المشكور ولا حكمه حكم النائم عقلا وقد قلنا
ان اكلهما من الشجرة كان على وجه الندب دون ان يكون ذلك محظورا عليهما لكن لما خالفا في ترك المندوب
اليه تغيرت المصلحة واقتضت اخراجهما من الجنة وقد دللنا على ذلك فيما مضى وقال قوم تعمد ذلك وقال قوم
اخرون نهي عن جنس الشجرة واخطأ وقال قوم انه تناول النهي الحقيقي فحمله على الندب واخطأ وقد قدمنا
ما عندنا فيه فان قيل كيف يكون ذلك ترك الندب مع قوله فتلقى ادم من ربه كلمات فتاب عليه قلنا التوبة
قيل الرجوع ويجوز ان يرجع تارك الندب عن ذلك فيكون تائبا ومن قال وقعت معصيته محبطة بها يخرج
عن الاصرار كما نحن الاولى سقطت العقاب وابليس يقول لهما ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا
ملكين او تكونا من الخالدين وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين قيل ما قبلا ذلك من ابليس ولو قبلاه لكانت
معصيته اعظم فلما لم يعاتبهما الله على ترك ذلك دل على انهما لم يقبلا وهذا جواب من يقول انه كان صغيرا وانه كان

ناسيا

استزلهما

فيكون تائبا

فحمله

ناسيا وعلى ما قلناه ان ذلك كان ندبا لا يحتاج الى ذلك بل نقول دليل العقل امنا من وقوع قبيح من ادم
والانبياء فلو كان صريحا لتركنا ظاهره لقيام الدليل على خلافه على انه لا يمنع ان يقاسمهما انه لمن الناصحين
فى ترك الندب وانما ظاهر النهى تركه يوجبان يصيرا من الخالدين وقوله مما كانا فيه يحتمل ان يكون اراد
من لباسهما حتى بدت لهما سواتهما ويحتمل ان يكون من الجنة حتى هبطا ويحتمل ان يكون اراد من الطاعة الى المعصية
وقوله اهبطوا فالهبوط والنزول والوقوع نظائر ونقيض الهبوط والنزول الصعود يقال هبط يهبط اذا
انحدر فى هبوط من صعود والهبوط اسم كالحدور وهو الموضع الذى يهبطك من اعلى الى اسفل والهبوط المصدر
قال ابن دريد هبطته واهبطته والعداوة والبراءة والمباعدة نظائر وضد العدو الولى والعدو الحضر خفيف
والعدو ثقيل يقال فى التعدى وقرء فيسبوا الله عدوا وعدوا بغير علم والعدوان الظلم والعدوى طلبك الى
وال ليعديك على من ظلمك اى ينتقم لك والعدو اسم جامع للواحد والاثنين والجميع والمذكر والمونث فاذا جعلته
نعتا قلت الرجلان عدوك والرجال اعدائك والمرئتان عدوتاك والنسوة عدو لك واصل الباب المجاوزة
يقال لا يعدونك هذا الامر اى لا يتجاوزنك وقوله اهبطوا انما قال بالجمع لانه يحتمل اشياء احدها انه خاطب
ادم وحوا وابليس فيصلح ذلك وان كان ابليس اهبط من قبلهما يقال اخرج جمع من فى الجيش وان اخرجوا متفرقين
اختار هذا الزجاج والثانى انه اراد ادم وحواء والحية والثالث ادم وحواء وذريتهما والرابع قال الحسن انه اراد
ادم وحواء والوسوسة وظاهر القول وان كان امرا فالمراد به التهديد كما قال اعملوا ما شئتم وقوله مستقر اى
لقوله وجعل لكم الارض قرارا وقيل مستقر فى القبور والاول اقوى واحسن والقرار الثبات والبقاء مثله وضد
القرار الانزعاج وضد الثبات الزوال وضد البقاء الفناء ويقال قر قرارا والاستقرار الكون من وقت واحد على
حال والمستقر يحتمل ان يكون بمعنى الاستقرار ويحتمل ان يكون بمعنى المكان الذى يستقر فيه وقوله ومتاع
الى حين والمتاع والتمتع والتلذذ والمتعة متقارب المعنى وضده التألم يقال استمتع به امتاعا وتمتع تمتعا
واستمتع استمتاعا ومتعه تمتيعا ومتع النهار متوعا وذلك قبل الزوال والمتاع من امتعة البيت ما يتمتع
به الانسان من حوائجه وكل شئ تمتعت به فهو متاع ومنه متعة النكاح ومتعة المطلقة ومتعة الحج وقوله الى
حين فالحين والمدة والزمان متقارب والحين الهلاك حان يحين وكل شئ لم يوفق للرشاد فقد حان حينا
والحين الوقت من الزمان وجمعه احيان وجمع الجمع احايين ويقال حان يحين حينونة وحينت الشئ جعلت له حينا
وحينئذ يبعد قولك الان فاذا باعدوا بين الوقتين باعدوا باذ فقالوا حينئذ والحين يوم القيمة واصل الباب
الوقت والحين وقت الهلاك ثم كثر فسمى الهلاك به والحين الوقت الطويل وقيل الحين فى الاية يعنى الموت وقيل
الى القيمة وقيل الى اجل وقال ابن سراج اذا قيل ولكم فى الارض مستقر ومتاع الى حين انه غير منقطع فقال الى
حين انقطاعه والفرق بين قول القائل هذا لك حينا وبين قوله الى حين ان الى تدل على الانتهاء ولا بد ان
يكون له ابتداء وليس كذلك الوجه الاخر معنى قوله بعضكم لبعض عدو وقال الحسن يعنى ادم وبنى ابليس وليس
ذلك بامر على الحقيقة بل هو تحذير لان الله لا يامر بالعداوة وفى الاية دلالة على ان الله تعالى لا يريد المعصية
ولا يصد احدا عن طاعته ولا يخرجه عنها ولا ينسب المعصية اليه لانه نسب ذلك الى الشيطان وهو تعالى عما عاب
به الابالسة والشياطين قوله تعالى فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ اية متوا
ابن كثير ادم بنصب الميم كلمات برفع التاء يقال لقى زيد خيرا فيتعدى الفعل الى مفعول واحد ومنه قوله واذا لقيتم
الذين كفروا فضرب الرقاب وقوله واذا لقيتم فئة فاثبتوا ولقد لقينا من سفرنا هذا نصبا فاذا ضعفت العين تعدى
الى مفعولين تقول لقيت زيدا خيرا قال الله تعالى ولقيهم نضرة وسرورا وتقول لقيت بعضنا على بعض فتعديه
الى مفعول واحد لانه بناء مفرد لا لانه منقول لا يتعدى الى مفعولين وتقول لقيته لقية واحدة فى التلاقى و
اللقيان واللقية لقاء ولقيانا ولقاة وقوله تحيتهم يوم يلقونه سلام معناه يلقون ثوابه بخلاف قوله يلقون غيا
ومعنى تلقى ادم من ربه كلمات تعلمها يقال تلقيت هذا من فلان اى قبلته فهى من لفظه قال ابو عبيدة قال ابو مهدى
وتلا علينا الاية فقال تلقيتها من عمى تلقاها من ابى هريرة تلقاها من رسول الله صم واصل الملاقاة الملاصقة

لكنه كثر حتى قيل لاقى فلان فلانا اذا قاربه وان لم يلاصقه وكذلك تلاقى الجيشان وتلاقى الفرسان ويقال
تلاقى الختانان اى تماسا وتقول تلقيت الرجل بمعنى استقبلته وتلقانى استقبلنى فعلى هذا يجوز فى العربية رفع
ادم ونصبه مع رفع الكلمات والاختيار قرائة الاكثر لان معنى التلقى ههنا القبول فكانه قال تلقى ادم من ربه
كلمات وانما جاز نصب ادم لان الافعال المتعدية الى المفعول به على ثلاثة اقسام احدها يجوز ان يكون الفاعل
له مفعولا به والمفعول به فاعلا نحو اكرم بشر بشرا وشتم زيد عمرا ومنها ما لا يكون المفعول به فاعلا نحو اكلت
الخبز وسرقت درهما واعطيته دينارا وامكنني الغرض وثالثها ما يكون اسناده الى الفاعل فى المعنى كاسناده
الى المفعول نحو اصبت وتلت وتلقيت تقول نالنى خير ونلت خيرا واصابنى خير واصبت خيرا ولقينى زيد
ولقيته زيدا وتلقانى وتلقيته وقال تعالى وقد بلغنى الكبر وقال وقد بلغت من الكبر عتيا فعلى هذا الرفع
والنصب فى المعنى واحد فى الاية وانما اجز رفع ادم لان عليه الاكثر وشواهده اكثر كقوله تلقونه بالسنتكم
واسند الفعل الى المخاطبين والمفعول به كلام متلقى كما ان الذى تلقى ادم كلام متلقى وكما اسند الفعل
الى المخاطبين فجعل التلقى لهم كذلك يلزم ان يسند الفعل الى ادم فيجعل التلقى له دون الكلمات واما على
ما قال ابو عبيدة معناه قبل الكلمات فالكلمات مقبولة فلا يجوز غير الرفع فى ادم ومثل هذا فى جواز اضافته
تارة الى الفاعل واخرى الى المفعول كقوله لا ينال عهدى الظالمين وفى قرائة ابن مسعود لا ينال عهدى الظالمون
والكلمات جمع كلمة والكلمة اسم جنس لوقوعه على الكثير والقليل يقولون قال امرء القيس فى كلمته يعنى فى
قصيدته وقال قس فى كلمته يعنون فى خطبته فوقوعها على الكثير نحو ما قلناه ووقوعها على القليل قال
سيبويه قال قد اوقعها على الاسم المفرد والفعل المفرد والحرف المفرد فاما الكلام فان سيبويه استعمله
فيما كان مؤلفا من هذه الكلم فقال لو قلت ان تضرب تاسا لم يكن كلاما وقال ايضا انما فعلت فى نحوه ما كان كلاما
قولا واوقع الكلام على المؤلف والذى حرره المتكلمون ان حد الكلام ما انتظم من حرفين فصاعدا من هذه
الحروف المعقولة اذا وقع ممن يصح منه او من قبيله الافادة ثم ينقسم قسمين مفيد ومهمل فالذى اراد سيبويه
انه لا يكون كلاما انه لا يكون مفيدا وذلك صحيح فاما تسميته بانه كلام صحيح وكيف لا يكون صحيحا وقد قسمه
الى قسمين مهمل ومفيد فادخلوا المهمل الذى لا يفيد فى جملة الكلام والكلمة والعبارة والابانة نظائر و
بينها فروق والفرق بين الكلمة والعبارة انا لا نظهر فى الكلمة هى الواحدة من جملة الكلام وان قالوا فى القصيدة
انها الكلمة والعبارة تصلح للقليل والكثير واما الابانة فقد يكون بالكلام والحال وغيرهما من الادلة كالاشارة
والعلامة وغير ذلك واما النطق فيدل على ادارة اللسان بالصوت وليس كذلك الكلام ولهذا يقولون ضربته
فما تكلم ولا يقولون فما نطق اذا كان صاح وكذلك لا يجوز ان يقال فى الله انه ناطق واما اللفظ فهو من قولك
لفظت الشئ اذا اخرجته من فمك وليس فى الكلام مثل ذلك ويقال كلمته تكلما وتكلما وتكلم تكلما ولذلك لا يجوز
ان يقال فيه تعالى لفظ ولا انه لافظ والكلم الجرح والجمع الكلوم يقال كلمته اكلمه كلما فانا كالم وهو مكلوم
وكليمك الذى يكلمك ويقال الكلمة وكلمة لغة تميمية وقيل انها حجازية وتميم حكى عنها كلمة بكسر الكاف وتسكين
اللام وحكى تسكين اللام مع فتح الكاف واصل الباب انه اثر دال والكلم اثر دال على الجارح والكلام اثر دال على
المعنى الذى تحته والمتكلم من وقع ما سميناه كلاما بحسب دواعيه واحواله فتميا عبرعنه بانه الفاعل للكلام و
ليس المتكلم من حله الكلام لان الكلام يحل اللسان والصدر ولا يوصفان بذلك وقد بينا فساد الكلام فى كتاب
العدة فى اصول الفقه وقلنا انا اختصر ذلك هل هو الخبر او ما معناه معنى الخبر وان كان لكل قسم معنى يخصه و
الكلمات التى تلقاها ادم قال الحسن ومجاهد وقتاده وابن زيد ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن
من الخاسرين وان فى ذلك اعترافا بالخطيئة ولذلك وقع موقع الندم وحقيقة الانابة وحكى عن مجاهد انه قال هى
قول ادم اللهم لا اله الا انت سبحانك وبحمدك ربى انى ظلمت نفسى فاغفر لى انك خير الغافرين اللهم لا اله الا انت سبحانك
وبحمدك ربى انى ظلمت نفسى فارحمنى انك انت ارحم الراحمين لا اله الا انت سبحانك وبحمدك ربى انى ظلمت نفسى فتب على انك انت التواب
الرحيم وروى مثل ذلك عن ابى جعفر ع وحكى عن ابن عباس ان ادم قال لربه اذ عصاه ارايت ان تبت واصلحت فقال له

تعالى انى داجعلك الى الجنة وكانت هذه الكلمات وروى فى اخبارنا ان الكلمات هى توسّله بالنبىّ واهل بيته
وكلّ ذلك جائز وقوله فتاب عليه فالتوبة والانابة والاقلاع نظائر فى اللغة وضدّ التوبة الاصرار يقال تاب يتوب
توبة وتوابا واستتابة والله تعالى يوصف بالتوّاب ومعناه انه يقبل التوبة عن عباده واصل التوبة الرجوع عمّا
سلف والندم على ما فرط والله تعالى تائب على العبد بقبول توبته والعبد تائب الى الله بمعنى نادم على معصيته
والتائب صفة مدح كقوله التائبون العابدون والتوبة شرطها الندم على ما مضى من القبيح والعزم على ان
لا يعود الى مثله من القبيح لان هذه التوبة هى المجمع على سقوط العقاب عندها وما عداها مختلف فيه وقد
يقول القائل قد تبت من هذا الامر اى عزمت على ان لا افعله وصرت بمنزلة التائب وذلك مجاز وكل معصية
لله تعالى فانه يجب التوبة منها والتوبة يجب قبولها لانها طاعة فامّا اسقاط العقاب عنده فتفضّل منه تعالى
وقالت المعتزلة ومن وافقها وذلك واجب وقد بيّنّا الصحيح من ذلك فى شرح الجمل والتوبة اذا كانت من ترك
ندب عندنا تصحّ ويكون على وجه الرجوع الى فعله وعلى هذا يحمل توبة الانبياء كلّهم فى جميع ما نطق به القرآن
لانه قد بيّنّا انه لا يجوز عليهم فعل القبيح والمطبوع على قلبه له توبة وبه قال اهل العدل وقالت البكرية لا توبة
له وهو خطاء من قبل انه لا يصح تكليفه الا وهو متمكن من ان يتخلص من ضرر عقابه وذلك لا يتم الا بان يكون له
طريق الى اسقاط عقابه وقد وعد الله بذلك وان كان تفضلا اذا حصلت التوبة واختلفوا فى التوبة من الغصب
هل تصح من الاقامة على منع المغصوب فقال قوم لا تصح وقال اخرون تصحّ وهو الاقوى الّا ان يكون
فاسقا بالمنع يعاقب عقاب المانع وان سقط عنه عقاب الغصب والصحيح ان القاتل عمدا تصحّ توبته وقال قوم
لا يصحّ والتوبة من القتل الذى يوجب القود قال قوم لا تصح الّا بالاستسلام لولى المقتول وحصول الندم والعزم
على ان لا يعود وقال قوم اخرون تصح التوبة من نفس القتل ويكون فاسقا بترك الاستسلام وهذا هو الاقوى و
اختاره الرمانى فامّا التوبة من قبيح بفعل اخر فلا تصح على اصلنا كالتائب من الالحاد بعبادة المسيح وقال قوم تصح
واجراه مجرى معصيتين يترك باحديهما الاخرى فانه لا يؤخذ بالمتروكة وقال قوم التوبة من اعتقاد جهل اذا كان
صاحبها لا يعلم انها معصية بانه يعتقد انه لا محجوج الا عارف فانه يتخلص من ضرب تلك المعصية اذا رجع عنها الى
المعرفة وان لم يوقع منها توبة وقال اخرون لا يتخلص الّا بالتوبة لانه محجوج فيه ماخوذ بالنزوع عن الاقامة عليه و
هو الاقوى فامّا ما نسى من الذنوب فانه يجرى مجرى التوبة منه على وجه التوبة الجملة وقال قوم لا يجرى وهو خطاء
لانه ليس عليه فى تلك الحال اكثر مما عمل فامّا ما نسى من الذنوب مما لو ذكرها عليه لم يكن عنده معصية وهل يدخل فى
الجملة اذا وقع التوبة من كل خطيئة وقال قوم يدخل فيها وقال اخرون لا يدخل فيها لكنه يتخلص من ضرب المعصية
لانه ليس عليه اكثر مما علم فى تلك الساعة والاول اقوى لان العبد اذا لم يذكر صرف توبته الى كل معصية هى معصية
الله معصية فامّا المشرك اذا كان يعرف قبل توبته بفسق اذا تاب من الشرك هل يدخل فيه التوبة من الفسق فى الحكم
وان لم يظهر التوبة منه قال قوم لا يزول عنه حكم الفسق وهو قول اكثر المعتزلة وقال قوم يزول عنه حكم الفسق
وقال ابن الاخشيد القول فى هذا باجتهاد والذى يقوى فى نفسى انه يزول لان الاسلام الاصل فيه العدالة
الى ان يتجدد منه بعد الاسلام ما يوجب تفسيقه فامّا التوبة من قبيح مع الاقامة على قبيح اخر يعلم انه قبيح فعند
فعند اكثر من تقدم صحيح وقال ابو هاشم واصحابه لا يصح وقد قلنا ما عندنا فى ذلك فى شرح الجمل واعتمد
الاوّلون على ان قالوا كما يجوز ان يمتنع من قبيح لقبحه ويفعل قبيحا اخر وان علم قبحه وكذلك جاز ان يندم من
القبيح مع المقام على قبيح اخر يعلم قبحه وهذا الزام صحيح معتمد واختلفوا فى التوبة عند ظهور اشراط الساعة هل
تصحّ ام لا فقال الحسن يحجب عنها عند الايات الست ورواه عن النبىّ ص انه قال بادروا الاعمال قبل ستّ طلوع
الشمس من مغربها والدجّال والدخان ودابّة الارض وخويصة احدكم يعنى الموت وامر العامة يعنى القيامة وقال
قوم لا اشكال ان بعض الايات يحجب باقيها مجوز وهو الاقوى وقوله فتاب عليه يعنى قبل توبته لانه لما عرضه للتوبة
بما القاه من الكلمات فعل التوبة وقبلها الله تعالى منه فقال اللهم تب على اى وفقنى للتوبة وقوله انه هو
التواب الرحيم انما ذكر الرحيم ليدل بذلك على انه متفضل بقبول التوبة ومنعم به وان ذلك ليس هو على وجه

توبا
لقوله
مع
يؤاخذ
منه
عدم عليه
منه
وقيل تاب عليه وفقه للتوبة وهداه اليها
قوله فتاب عليه كاتبه فقه الكلمات

الوجوب على ما يقوله المخالف ومن خالف فى ذلك يقول لما ذكر التواب بمعنى انه نفاد باسقاط العقوبة وصل
ذلك بذكر النعمة ليدل على انه مع اسقاط العقوبة لا يخلى العبد من النعمة الحاصلة ترغيبا له فى الانابة و
الرجوع اليه بالتوبة وتواب بمعنى انه قابل التوبة لا يطلق الا عليه تعالى ولا يطلق فى الواحد منا وانما قال
فتاب عليه ولم يقل فتاب عليهما لانه اختصر كما قال والله ورسوله احق ان يرضوه ومعناه ان يرضوهما كذلك
معنى الاية فتاب عليهما ومثل ذلك قوله واذا راو تجارة او لهوا انفضوا اليها وقال الشاعر
رمانى بامر كنت منه ووالدى ... بريا ومن جول الطوى رمانى
وقال اخر
نحن بما عندنا وانت بما ... عندك راض والرأى مختلف
وحكى عن الحسن انه قال لم يخلق الله ادم الا للارض ولو لم يعص لخرج على غير
تلك الحال وقال غيره يجوز ان يكون خلقه للارض ان عصى ولغيرها ان لم يعص وهو الاقوى لان ما قاله
لا دليل عليه وروى عن قتادة ان اليوم الذى قبل الله توبة ادم فيه يوم عاشورا ورواه ايضا اصحابنا

قوله تعالى قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ

اية بلا خلاف قد بيّنا معنى الهبوط فيما مضى بما فيه كفاية وقال الجبائى الهبوط الاول هو الهبوط
من الجنة الى السماء وهذا الهبوط من السماء الى الارض وقد يستعمل فى غير النزول من مكان عال الى سفل يقال
هبط فلان الى ارض كذا اذا اتاها وان لم يرد به النزول الذى فيه استفال الا ان فيه ايماء الى هبوط المنزلة
قال لبيد
كل بنى حرة مصيرهم ... قل وان اكثروا من العدد
ان يغبطوا يهبطوا وان امروا ... يوما فهم للفناء والفند
الفند الهرم والاتيان والمجئ والاقبال نظائر ونقيضه الذهاب والانصراف يقال
اتى اتيا نا واتاه ايتا واتاه ماتيا واتانا تانية واتيت فلانا على امره مواتاة ولا يقال اتيته الا فى لغة قبيحة لتيم
ودخلت ما فى قوله مع ان التى للجزاء ليصح دخول النون التى للتوكيد فى الفعل ولو اسقطت ما لم يجز دخول النون لانها لا تدخل
فى الخبر الواجب الا فى القسم او ما اشبه القسم كقولك زيد لياتينك ولو قلت بغير اللام لم يجز وكذلك تقول بعين
ما ارينك ولو قلت بعين اريتك بغير ما لم يجز فدخول ما ههنا كدخول اللام فى انها تؤكد اول الكلام وتؤكد
النون اخره والامر والنهى والاستفهام تدخل النون فيه وان لم يكن معه ما اذا كان الامر والنهى مما تشتد الحاجة
الى التوكيد فيه والاستفهام مشبه به اذ كان معناه اخبرنى وانما تلحق النون للتوكيد فلذلك كان من مواضعها قال الله تعالى
ولا تقولن لشئ انى فاعل ذلك غدا فان قيل اين جواب امّا وان وابن جواب من قيل الجزاء وجوابه بمنزلة المبتدأ
والخبر لان الشرط لا يتم الا بجوابه كما لا يتم المبتدأ الا بخبره الا ترى انك لو قلت ان تقم وسكتّ لم يجز كما لو قلت زيد لم يجز
كلاما حتى تاتى بالخبر ولذلك ان يجعل خبر المبتدأ جملة هى ايضا مبتدأ وخبر كقولك زيد ابوه منطلق وكذلك ان تاتى
للجزاء اذا كان الجواب بالفاء ووقع بعد الفاء الكلام مستانفا صلح ان يكون جزاء وغير جزاء تقول ان تاتنى فانت
محمود ولذلك تقول ان تاتنى فمن يكرمك اكرمه وان تاتنى فمن يفضل فلا وضيعة عليه وقوله اما ياتينكم شرط و
جوابه الفاء وما بعده قوله فمن شرط اخر وجوابه التى بعده من قوله فلا خوف عليهم وهو نظير المبتدأ والخبر الذى
يكون خبره مبتدأ وخبر وهذا فى المقدمات القياسات يسمى الشرطية المركبة وذلك ان المقدم فيها اذا وجب فى جب التالى
المركب عليه والهدى المذكور فى الاية يحتمل امرين احدهما البيان والدلالة والاخر الانبياء والرسل وعلى القول
الاخير يكون قوله قلنا اهبطوا لادم وحواء وذريتهما كما قال فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها قالتا
اتينا طائعين اى اتينا بما فينا من الخلق طائعين وقوله فمن تبع هداى فالاتباع والاقتداء والاحتذاء نظائر
ونقيض الاتباع الابتداع تقول تبعه تباعا واتبعه اتباعا وتابعه متابعة وتتبع تتبعا واستتبع استتباعا
والتابع التالى ومنه التبيع والتبيع ما تبع اثر شئ فهو يتبعه والمتبع فعلك شيئا بعد شئ تقول تتبعت علمه
اثاره وفى الحديث القادة والاتباع فالقادة السادة والاتباع القوم الذين يتبعونهم والقوائم يقال لها تبع والتبيع من
ولد البقر العجل المدرك لانه تبع امه بعد وثلثة اتبعة والجمع وبقرة متبع خلفها تبيع وخادم متبع معها ولدها
يتبعها حيثما اقبلت وادبرت واتبع فلان فلانا واتبعه الشيطان اذا تتبعه يريد به شرا كما اتبع فرعون موسى
قال الله تعالى فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين وفلان يتبع فلانا اذا تتبع مساويه فى مهلة والتابع من الاشياء

الجال والجول جدار البئر من اسفله الى اعلاه من جميع جوانبها والمعنى ان الذى رمانى به رجع عليه فكان احق به كما قيل حفر بيرا للاخير وقع فيه ولاجل افادة هذا المعنى عدّ البيت من احكم ابيات العرب ويروى ومن اجل الطوى اى انما رمانا بما نكرهه من اجل المشاجرة التى كانت بيننا وبينه
ودواتيت
التالى
تبع
يعده

اذا فعل هذا فى اثر هذا بلا مهلة ومنه تتابعت الامطار وتتابعت الاشياء والتبع الظل واصل الباب كله الاتباع و
هو ان يتلو شئ شيئا قوله فلا خوف عليهم فالخوف والجزع والفزع نظائر ونقيض الخوف الامن تقول خافه يخافه
خوفا واخافه اخافة وتخوف تخوفا وخوفه تخويفا وطريق مخوف يخافه الناس وطريق مخيف تخيف الناس والتخوف
التنقص يقال تخوفناهم تنقصناهم ومنه قوله او ياخذهم على تخوف اى على تنقص واصل الباب الخوف الذى هو
الفزع والخوف كله من الغير يقال فلان يخاف الاسد اى يخاف ضرره ويخاف الله اى يخاف عقابه والحزن والهم
والغم نظائر ونقيضه السرور يقال حزن حزنا وحزنه حزنا وتحزن تحزنا وحزن تحزينا والحزن والحزن لغتان
وحزننى واحزننى لغتان وانا محزون ومحزن واذا افردوا الصوت او الامر قالوا محزن لا غير والحزن من الارض
والدواب ما فيه خشونة والانثى حزنة والفعل حزن وحزونة وقولهم كيف حشمك وحزانتك اى كيف من تحزن
بامره واصل الباب غلظ الهم وقوله فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون عمومه يقتضى انه لا يلحقهم خوف فى اهوال
القيمة وهو قول الجبائى وقال ابن اخشاذ لا يدل على ذلك لان الله تعم وصف القيامة بعظم الخوف قال الله
تعم ان زلزلة الساعة شئ عظيم الى قوله شديد ولانه روى انه يلجم الناس العرق وغير ذلك من الشدائد وهذا
ليس بمعتمد لانه لا يمتنع ان يكون هؤلاء خارجين من ذلك الغم واما الحزن فلا خلاف انه لا يلحقهم ومن اجاز
الخوف فرق بينه وبين الحزن لان الحزن انما يقع على ما يغلظ ويعظم من الغم والهم فلذلك لم يوصفوا بذلك
ولذلك قال تعم لا يحزنهم الفزع الاكبر لان ما يلحقهم لا يثبت ويزول وشيكا قالوا ويدل على ان الحزن ما
ذكرناه انه ماخوذ من الحزن وهو ما غلظ من الارض فكان ما غلظ من الهم فاما لحوق الحزن والخوف فى دار الدنيا
فلا خلاف انه يجوز ان يلحقهم لان من المعلوم ان المؤمنين لا ينفكون منه وهداى بتحريك الياء وروى عن الاعرج
هداى بسكون الياء وهى غلط الا ان ينوى الوقف وانما كرر اهبطوا لان احدهما كان من الجنة الى السماء والثانى
من السماء الى الارض عند ابى على وقيل المعنى واحد وكرر تاكيدا وقيل هو على تقدير اختلاف حال المعنى لاختلاف
الاحوال كما يقول اذهب مصاحبا اذهب سالما معافا وكانه على تقدير ذهاب بجامع ذهابا وان كان حقيقته واحدا
وانما كرر اما فى قوله اما شاكرا واما كفورا ولم يكرر ههنا لانها هناك للعطف وههنا للجزاء وانما هى ان
ضم اليها ما كقوله واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء وهداى مثل هواى وهى لغة قريش وعامة العرب
وبعض بنى سليم يقولون هوى مثل على ولدى قال ابو ذويب سبقوا هوى واعنقوا لهواهم
فتخرموا ولكل جنب مصرع وروى هوى فى الاية عن الجحدرى وابن ابى اسحق وعيسى والصواب ما عليه
القراء والفرق بين هوى ولدى وعلى هو ان الى وعلى ولدى مما يلزمها الاضافة وليست بمتمكنة ففصلوا
بينها وبين الاسماء المتمكنة كما فصلوا بين ضمير الفاعل وضمير المفعول حين قالوا ضربت فسكنوا الاجل التاء
ولم يسكنوا فى ضربك اذ الفاعل يلزم الفعل قوله تعم وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ
النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ اية متبينا فيما مضى معنى الكفر والتكذيب فلا وجه لاعادته والاستدلال بهذه الاية على
ان من مات مصرا على الكفر غير تائب منه فكذب بايات ربه فهو مخلد فى نار جهنم صحيح لان الظاهر يفيد ذلك و
الاستدلال بها على ان عمل الجوارح من الكفر من حيث قال وكذبوا باياتنا فبعيد لان التكذيب نفسه وان لم يكن
كفرا فهو لا يقع الا من كافر فهو دلالة عليه كالسجود للشمس وغيره وقوله اصحاب فالاصطحاب والاجتماع
والاقتران نظائر وكذلك الصاحب والقرين ونقيضه الافتراق يقال صحبه صحبة واصحبه اصحابا واصطحبوا
اصطحابا وتصاحبوا تصاحبا واستصحبوا استصحابا وصاحبه مصاحبة والصحب جماعة والصحب والاصحاب
جماعة الصحب ويقال ايضا الصحبان والصحبة والصحاب والصحابة مصدر قولك صحبك الله يعنى بالسلامة و
احسن صحابتك ويقول للرجل عند التوديع معانا مصاحبا ومصحوب ومصاحب من قال مصاحب معان فانما
معناه انت المصاحب المعان والصحبة مصدر صحب يصحب وقد اصحب الرجل اذا صار صاحبا ويقال قد اصحب
الرجل وقد اشطا اذا بلغ ابنه مبلغ الرجال الذى صار ابنه مثله واشطا الزرع اذا لحقته فراخه ويقال له الشطأ
قال ابو عبيدة وابن دريد قوله ولا هم منا يصحبون اى لا يحفظون واديم مصحب اذا دبغته وتركت عليه بعض

فتح هو

ذو

الصوف والشعر واصل الصحبة المقارنة والصاحب هو الحاصل مع اخر مدة لانه اذا اجتمع معه وقتا واحدا
لا يقال صاحبه لكن يقال صحبه وقتا من الزمان ثم فارقه والفرق بين المصاحبة والمقارنة ان فى المصاحبة
دلالة على الملازمة وليس ذلك حاصلا فى المقارنة واتباع الرئيس اصحابه واياته الله دلالته وكتبه التى
انزلها على انبيائه والاية المعجزة والدلالة والبيان والبرهان واحد فى اكثر المواضع وان كان بينها فرق فى
الاصل لانك تقول دلالة هذا الكلام كذا ولا تقول ايته ولا علامته وكذلك تقول دلالة هذا الاسم معنى
ولا تقول برهانه واصحاب النار هم الملازمون لها كما تقول اصحاب الصحراء يعنى القاطنين فيها الملازمين
لها والخلود معرب من العرف بدل على الدوام لانهم يقولون ليست الدنيا دار خلود واهل الجنة مخلدون
يريدون الدوام فاما فى وضع اصل الوضع فانه موضوع لطول المكث فان قيل لم دخلت الفاء فى قوله
والذين كفروا وكذبوا باياتنا فاولئك لهم عذاب مهين فى سورة الحج ولم يقل ههنا فى قوله اولئك اصحاب
النار قيل لان ما دخلت فيه الفاء من خبر الذى واخواته مشبه بالجزاء وما لم يكن فيه فاء فهو على اصل
الخبر واذا قلت مالى فهو لك جاز على وجه ولم تجز على وجه فان اردت ان معنى ما الذى فانه جائز وان
اردت ان مالى تريد به المال ثم تضيفه اليك كقولك غلامى لك لم يجز كما لم يجز غلامى فهو لك ووضع اولئك
يحتمل ثلثة اشياء احدها ان يكون بدلا من الذين والثانى يكون عطف بيان هم اصحاب النار دبيان عن اولئك
فاجرائه مجرى الوصف والخبر هم فيها خالدون والثانى ان يكون ابتداء وخبرا فى موضع الخبر الاول الثالث
ان يكون على خبرين بمنزلة خبر واحد كقوله حلو حامض قوله تعم يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ
عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ اية بلا خلاف يا حرف نداء بنى جمع ابن والابن
والولد والنسل والذرية متقارب المعانى الا ان الابن يقع على المذكر والولد يقع على الذكر والانثى والنسل و
الذرية تقع على جميع ذلك واصله من البناء وهو وضع الشئ على الشئ والابن مبنى على الاب تشبيها للبناء على الاصل
لان الاب اصل والابن فرع ويقال تبنى تبنيا وبنى بناء وابتنى ابتناء وباناه مباناة والبنوة مصدر الابن وان كان
من الياء كما قالوا الفتوة وثنوا الفتى فتيان ويقال فلان ابن فلان على التبنى ولا يطلق ذلك الا على ما كان من جنسه
ولا يتبنى شاب شيخا ما لم يكن ذلك فيه والفرق بين اتخاذ الابن واتخاذ الخليل ان اتخاذ الخليل يكون به خليلا على
الحقيقة لان بالمحبة والاطلاع على الاسرار المهمة يكون خليلا على الحقيقة وليس كذلك الابن لان البنوة فى الحقيقة
انما هى الولادة للابن وبنى فى موضع نصب لانه منادى مضاف واسرائيل فى موضع جر لانه مضاف اليه وفتح لانه
اعجمى لا ينصرف لان اسرا معناه عبد وئيل هو الله بالعبرانية فصار مثل عبد الله وكذلك جبرائيل وميكائيل
ومن حذف الالف من جبرائيل حذفه للتعريب كما لا يلحق الاسماء التغيير اذا اعربت فيلحقون حروفها على العربية
وفى اسرائيل خمس لغات حكى الاخفش اسرائل بكسر الهمزة من غير ياء وحكى اسرال بفتح الهمزة ويقول بعضهم
اسريل فيميلون وحكى قطرب اسرال من غير همز ولا ياء واسراين بالنون والخامس اسرائيل قراءة الناس وحمزة
وحده مد بغير الف وقال اكثر المفسرين ان المعنى ببنى اسرائيل احبار اليهود الذين كانوا بين ظهرانى مهاجر
رسول الله صم وهو المحكى عن ابن عباس وقال الجبائى المعنى به بنو اسرائيل من اليهود والنصارى ونسبهم الى الاب
الاعلى كما قال يا بنى ادم خذوا زينتكم عند كل مسجد قوله اذكروا فالذكر والتنبيه والتيقظ نظائر ونقيضه التغافل
يقال ذكره يذكره ذكرا واذكره اذكارا واستذكره استذكارا وتذكره تذكرا وذكره تذكارا واذكر اذكارا وقال
صاحب العين الذكر الحفظ للشئ تذكره تقول هو منى على ذكر والذكر جرى الشئ على لسانك تقول جرى منه ذكر
والذكر الشرف والصوت الصيت ومنه قوله وانه لذكر لك ولقومك والذكر الكتاب الذى فيه تفصيل الدين وكل كتاب كتب للانبياء
ذكر والذكر الصلاة والدعاء وقيل كانت الانبياء اذا حزنهم امر فزعوا الى الذكر اى الصلاة يقومون فيصلون وذكر
الحق هو الصك والذكرى هو اسم للتذكر والذكر ذكر الرجل معروف والجمع الذكرة ولهذا سمى ما ينسب اليه المذاكير
ولا يفرد وان افردت فمذكر مثل مقدم ومقاديم والذكر خلاف الانثى وجمعه ذكور وذكران ومن الدواب ذكورة
لا غير والذكر من الحديد ايبسه واشده ولذلك يسمى السيف مذكرا وامرأة مذكرة وناقة مذكرة اذا كانت خلقتها

موضع

مجرى

ر مشكل تشبيها بالابن الحقيقى ولهذا لا يقولون تبنى زيد حائطا لما لم يكن من جنسه

مجر انبيا

تشبه خلقة الذكر واشبهته فى شمائلها وامرأة مذكار اذا اكثرت ولادة الذكور وعكسه مئناث وقيل للجبلى
ايسرت واكثرت اى يسر عليها وولدت ذكورا والذكر ضد النسيان ورجل ذكر شهم من الرجال الماهر فى اموره
واصل الباب الذكر الذى هو التنبيه على الشئ والذكر الوصف بالمدح والثناء او بالذم والهجاء وقوله
نعمتى المراد بها الجماعة كما قال تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها والنعمة وان كانت على اسلافهم جاز ان تضاف
اليهم كما يقول القائل اذا فاخره غيره هزمناكم يوم ذىقار وقتلناكم يوم النخار وبددنا جمعكم يوم النسار
والمراد به التذكير بجميع النعم الواصلة اليهم مما اختصوا به دون اباءهم او اشتركوا فيه معهم وكان نعمة على الجميع
فمن ذلك تبقيته اباهم حتى تناسلوا فصاروا من اولادهم ومن ذلك خلقته اياهم على وجه يمكنهم الاستدلال على
توحيده والوصول الى معرفته فيشكروا نعمه ويستحقوا ثوابه ومن ذلك ما لا يخلون منه فى كل وقت من منفعة
ودفع مضرة فالقول الاول هو التذكير بالنعمة عليهم فى اسلافهم والقول الثانى تذكير جميع النعم عليهم و
النعم التى على اسلافهم ما ذكره فى قوله تعالى واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء
وجعلكم ملوكا واتاكم ما لم يؤت احدا من العالمين وقوله اوف بعهدكم فى موضع جزم لانه جواب الامر قال
صاحب العين تقول وفيت بعهدك وفاء ولغة اهل التهامة اوفيت بعهدك وهى لغة القران قال الشاعر فى
الجمع بين اللغتين   اما ابن عوف فقد اوفى بذمته   كما وفى بقلاص النجم حاديها   يعنى به الدبران
وهو التالى وتقول وفى يفى وفاء واوفى يوفى ايفاء واستوفى استيفاء وتوفى توفيا ووفى توفية وتوافى
توافيا ووافاه موافاة وكل شئ بلغ تمام الكلام فقد وفى وتم وكذلك درهم واف لانه درهم وفى مثقالا وكيل
واف ورجل وفى ذو وفاء واوفى فلان على شرف من الارض اذا اشرف فوقها وتقول اوفيته حقه ووفيته اجره
والوفاة المنية توفى فلان وتوفاه الله اذا قبض نفسه واصل الباب الوفاء وهذا هو الاتمام ومن كرم اخلاق
النفس الوفاء ومن ادونها وارذلها الغدر ومعنا قوله اوفوا بعهدى اوف بعهدكم قال ابن عباس اوفوا بما
امرتكم من طاعتى ونهيتكم عن معصيتى فى النبى صلعم وغيره اوف بعهدكم اى ارضى عنكم وادخلكم الجنة وسمى ذلك
عهدا لانه تقدم به اليهم فى الكتب السالفة كما قال يعرفونه كما يعرفون ابناءهم وان فريقا منهم ليكتمون
الحق وهم يعلمون والعهد هو العقد عليهم فى الكتاب السابق بما امرهم به ونهاهم عنه قال بعضهم انما جعله
عهدا لتأكيده بمنزلة العهد الذى هو اليمين قال الله تعالى واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه
للناس ولا تكتمونه وقال الحسن العهد الذى عاهدهم عليه حيث قال خذوا ما اتيناكم بقوة اى بجد واذكروا
ما فيه اى ما فى الكتاب فى قوله ولقد اخذ الله ميثاق بنى اسرائيل وبعثنا منهم اثنى عشر نقيبا وقال الله انى معكم
لئن اقمتم الصلوة واتيتم الزكوة وامنتم برسلى الى اخر الاية وقال الجبائى جعل تعريفه اياهم نعمه عهدا عليهم
وميثاقا لانه يلزمهم القيام بما يامرهم به من شكر هذه النعمة كما يلزمهم الوفاء بالعهد والميثاق الذى ياخذ عليهم
والقول الاول اقوى لان عليه اكثر المفسرين وبه يشهد القران قوله واياى فارهبون ضمير منصوب ولا يجوز ان يكون منصوبا
بقوله فارهبون لانه مشغول كما لا يجوز فى قولك زيدا فاضربه ان يكون منصوبا بقوله فاضربه لكنه يكون منصوبا
بفعل دل عليه ما هو مذكور فى اللفظ تقديره واياى ارهبوا ولا يظهر ذلك للاستغناء عنه بما يفسره وان
صح تقديره ولا يجوز فى مثل ذلك الرفع على ان يكون الخبر فارهبون الا على تقدير محذوف كما انشد سيبويه
وقائلة خولان فانكح فتاتهم   واكرومة الحيين خلو كما هيا   تقديره وقائلة هذه خولان وعلى هذا
حمل قوله والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما وقوله والزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما تقديره مما
يتلى عليكم السارق والسارقة وفيما فرض عليكم الزانية والزانى وقوله فارهبون فالرهبة والخشية والمخافة نظائر
وضدها الرغبة تقول رهب رهبة وارهبه ارهابا ورهبه ترهيبا واسترهبه استرهابا ويقال رهب فلان
يرهب رهبا ورهبا ورهبة اذا خاف من شئ ومنه اشتقاق الراهب والاسم الرهبة ومن امثالهم رهبوت خير
من رحموت اى ترهب خير من ان ترحم والترهب التعبد فى صومعة والجمع الرهبان والرهابنة خطباء والفرق بين
الخوف والرهبة ان الخوف هو شك فى ان الضرر يقع ام لا والرهبة معها العلم بان الضرر واقع عند شرط فان

الحيين خلو

لم يحصل ذلك الشرط لم يقع واختير تحريك الياء فى قوله نعمتى التى انعمت لانه لقيها الف ولام فلم يكن بد من سقاطها
او تحريكها وكان التحريك اولى لانه ادل على الاصل واشكل بما يلزم اللام فى الاستيناف من الف الوصل واسكان
الياء فى قوله يا عبادى الذين اسرفوا اجود لان من حق الاضافة ان لا تثبت فى النداء واذا لم تثبت فلا سبيل
الى تحريكها وقوله فبشر عبادى الذين يستمعون الاخيار حذف الياء لانه راس اية ورؤس الاى لا يثبت فيها الياء
لانها فواصل ينوى فيها الوقف كما يفعل ذلك فى القوافى فى مثل قوله نعمتى التى قوله اخى اشدد فان الاختيار
تحريك الياء وان كان مع الالف واللام اقوى لما تقدم ذكره مع المشاكلة والرد الى الاصل وفى اخى اشدد سبب
واحد وهو انه ادل على الاصل واجمعوا على سقاط الياء من قوله فارهبون الا ابن كثير فانه اثبتها فى الوصل
دون الوقف والوجه حذفها لكراهية الوقف على الياء وفى كسر النون دلالة على ذهاب الياء قوله تعالى وامنوا

بما انزلت مصدقا لما معكم ولا تكونوا اول كافر به ولا تشتروا باياتى ثمنا قليلا واياى فاتقون

اية واحدة بلا خلاف امنوا معناه صدقوا لانا قد بينا ان الايمان هو التصديق بما انزلت يعنى بما انزلت على
محمد صلعم من القران وقوله مصدقا يعنى ان القران مصدق لما مع اليهود من بنى اسرائيل من التورية وامرهم
بالتصديق بالقران واخبرهم ان فيه تصديقهم بالتورية لان الذى فى القران من الامر بالاقرار بنبوة محمد صلعم و
تصديقه نظير الذى فى التورية والانجيل وموافقه لما تقدم من الاخبار به فهو مصداق ذلك الخبر وقال قوم
معناه انه مصدق بالتورية والانجيل الذى فيه الدلالة على انه حق والاول الوجه لان على ذلك الوجه حجة عليهم
دون هذا الوجه ونصب مصدقا على الحال من الهاء المحذوفة كانه قال انزلته مصدقا ويصلح ان ينصب بامنوا
كانه قيل امنوا بالقران مصدقا والمعنى بقوله امنوا اهل الكتاب من بنى اسرائيل لانه فى ذكرهم وفيه احتجاج عليهم
اذ جاء بالصفة التى تقدمت بها بشارة موسى وعيسى عم وهو امر بالاقرار بالنبوة وما جاءت به من الشريعة
وانما وحد كافر فى قوله ولا تكونوا اول كافر وقبله جمع لما ذكره الفراء والاخفش وهو انه ذهب مذهب الفعل
كانه قال اول من كفر به ولو اراد الاسم لما جاز الا الجمع ومثل ذلك قول القائل للجماعة لا تكونوا اول رجل
يفعل ذلك قال المبرد هذا الذى ذكره الفراء خارج عن المعنى المفهوم لان الفعل ههنا والاسم سواء اذا
قال القائل زيد اول رجل جاء فمعناه اول الرجال الذين جاؤا رجلا رجلا ولذلك قال اول كافر واول من
ومعناه اول الكافرين واول المؤمنين لا فصل بينهما فى لغة ولا قياس الا ترى انك تقول رايت مؤمنا و
رايت كافرا كما تقول رايت رجلا لا يكون الا ذلك لانك انما رايت واحدا كما تقول رايت زيدا افضل مؤمن وزيد
افضل حر وزيد افضل رجل وانبل غلام وليس بين ذلك اختلاف ولكن مجازه ولا تكونوا اول قبيل كافر به او اول
حزب كافر به وهو مما يسوغ فيه النعت ويبين به الاسم لانك تقول جائنى قبيل صالح وجائنى حى كريم فينعت
به الجمع اذا كان الجمع اسما واحدا للجميع كقولك نفر وقبيل وحزب وجمع ولا تقول جائنى رجل كريم وانت تريد
برجل نفرا كما تقول نفر كريم لان النعت جار على المنعوت والاسم منفرد بنفسه ونظير قوله اول كافر قول الشاعر
فاذا هم طعموا فالأم طاعم   واذا هم جاعوا فشر جياع   ومعنى قوله ولا تكونوا اول كافر به قال قوم
يعنى بالقران من اهل الكتاب لان قريشا كفرت به قبلهم بمكة وقيل معناه لا تكونوا اول كافر به اى لا تكونوا
اول السابقين بالكفر به فيتبعكم الناس اى لا تكونوا ائمة فى الكفر به وقيل لا تكونوا اول كافر به اى اول
جاحد به ان صفته فى كتابكم والاول والسابق والمتقدم نظائر ويقال اول واخر واول وثان والاول هو
الموجود قبل الاخر والاول قبل كل شئ يناقض الوصف بانه محدث ويعلم ذلك ضرورة والهاء فى قوله به قيل
فيه ثلاثة اقوال احدها انه يعود الى قوله بما انزلت وهو الاجود والثانى لا تكونوا اول كافر به اى بمحمد والثالث
اول كافر بما معكم من كتابكم لانهم اذا جحدوا ما فيه من صفة النبى صلعم فقد كفروا به والاول قول ابن جريج وانما
كان هو الاجود لانه اشكل بما تقدم والثانى قول ابى العالية والثالث حكاه الزجاج وقواه بانهم كفار بالقران
وانما قيل ولا تكونوا اول كافر به اى بكتابكم اى صفة محمد صلعم فيه وقال الرمانى كانوا ائمة فيه وقدوة فى الضلالة
كان كفرهم اعظم كما روى عن النبى صلعم من سن سنة حسنة فله اجرها واجر من عمل بها الى يوم القيمة ومن سن سنة

فتح

الياء

جائزة

وانما عظم اول الكفر لانهم اذا

مشترکان علیه وزرها ووزر من عمل بها الی یوم القیمة ولیس فی نهیهم ان یکونوا اول کافر دلالة علی انه
یجوز ان یکونوا آخر کافر لان المقصود من الکلام النهی عن الکفر علی کل حال وخص الاول بالذکر لما قدمناه من
عظم موقعه کما قال الشاعر من اناس لیس فی اخلاقهم عاجل الفحش ولا سوء الجزع
ولیس یریدان فیهم فحشا آجلا وقوله ثمنا قلیلا فالثمن والعوض والبدل نظائر وبینها فرق فالثمن هو البدل
من البیع من العین او الورق واذا استعمل فی غیرهما کان مشبها بهما ومجازا والعوض هو البدل الذی ینتفع
به کائنا ما کان واما البدل فهو الجعل للشیء مکان غیره ویقال ثمنته تثمینا وثامنته مثامنة وجمع الثمن
اثمان واثمن ویروی بیت زهیر وعزت اثمن البدن جمع ثمن ومن روی اثمن البدن اراد الثمینة منها ای
اکثرها ثمنا والثمین والثمن جزء من الثمانیة اجزاء من ای مال کان وثوب ثمین اذا کان کثیر الثمن والفرق
بین الثمن والقیمة ان الثمن قد یکون وفقا وقد یکون بخسا وقد یکون زایدا والقیمة لا یکون الا مساویة المقدار
للمثمن من غیر نقصان ولا زیادة وکل ما له ثمن فهو مال ولیس کل مال له ثمن والقلیل والحقیر والیسیر نظایر
وضده الکثیر یقول قل یقل قلة واقل منه اقلالا واستقل استقلالا وتقلل تقللا وقلله تقلیلا وقلیل
وقلال بمعنی ورجل قلیل ای قصیر وقل لشیء قلة والقلة والقل لغتان والقلة رأس کل شیء والرجل یقل
شیئا یحمله وکذلک یستقله واستقل الطائر اذا ارتفع وقلة الجبل اعلاه وهی قطعة تستدیر فی اعلاه وهی القلة
والقلة التی جاءت فی الحدیث مثل قلال هجر قیل انها جرار عظام والقلة النقصان من العدد وقیل فی الصغر
وقوله ولا تشتروا بآیاتی ثمنا قلیلا فادخل الباء فی الآیات دون الثمن وفی سورة یوسف فی الثمن فی قوله و
شروه بثمن بخس قال الفراء انما کان کذلک لان العروض کلها انت مخیر فیها فی ادخال الباء وان شئت قلت
اشتریت بالثوب کساء ایهما جعلته ثمنا لصاحبه جاز فاذا جئت الی الدراهم والدنانیر وضعت الباء فی الثمن
کقوله بثمن بخس لان الدراهم ثمن ابدا وروی عن ابی جعفر ع فی قوله ولا تشتروا بآیاتی ثمنا قلیلا قال کان حیی بن
اخطب وکعب بن الاشرف وآخرون منهم لهم ماکلة علی الیهود فی کل سنة وکرهوا ابطالها بامر النبی ص فحرفوا لذلک آیات
من التوریة فیها صفته وذکره فذلک الثمن القلیل الذی ارید به فی الآیة وتقییده بلا تشتروا بآیاتی ثمنا قلیلا
لا یدل علی انه اذا کان کثیرا یجوز شری به لان المقصود من الکلام ان ای شیء باعوا به آیات الله کان قلیلا
وانه لا یجوز ان یکون له ثمن دنیاوی کقوله ومن یدع مع الله الها آخر لا برهان له به انما اراد بذلک نفی البرهان
عنه علی کل حال وانه لا یجوز ان یکون علیه برهان ومثله قوله ویقتلون النبیین بغیر حق وانما اراد ان قتلهم لا
یکون الا بغیر حق ونظائر ذلک کثیرة ومثله قول الشاعر علی لاحب لا یهتدی بمناره وانما اراد لا منار هناک
فیهتدی به ولذلک نظائر نذکرها اذا انتهینا الیها ان شاء الله قوله تعالی وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ
وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ آیة واحدة بلا خلاف اللبس والستر والتغطیة والتعمیة نظائر والفرق بین التعمیة والتغطیة ان
التعمیة قد یکون بالنقصان والزیادة والتغطیة تکون بالزیادة وضد الستر الکشف وضد اللبس الایضاح یقال
لبس لبسا والبسه الباسا والتبس التباسا وتلبس تلبسا ولبسه تلبیسا ولابسه ملابسة واللباس ما واریت
به جسدک ولباس التقوی الحیاء والفعل لبس یلبس واللبس خلط الامور بعضها ببعض اذا التبست واللبوس
الدروع وکل شیء تحصنت به فهو لبوس قال الله تعالی وعلمناه صنعة لبوس لکم قال الشاعر
البس لکل حالة لبوسها اما نعیمها واما بوسها وثوب لبیس وجمعه لبس واللبسة ضرب من اللباس
والفعل لبس یلبس لبسا ولبسة واحدة ویقال لبست الامر البسه اذا عمیته ومنه قوله وللبسنا علیهم ما یلبسون
ولابست الرجل ملابسة اذا عرفت دخلته وفی فلان ملبس اذا کان فیه مستمتع وفی امره لبسة ای لیس بواضح
واصل اللبس الستر قال الاخطل وقد لبست لهذا الدهر اعصره حتی تجلل رأسی الشیب فاشتعلا
والفرق بین اللبس والاخفاء ان الاخفاء یمکن ان یدرک معه المعنی ولا یمکن ادراک المعنی مع اللبس والریب معه
هیئة المشکوک فیه والاشکال قد یدرک معه المعنی الا انه بصعوبة لاجل التعقید واسباب الالباس کثیرة منها
الاشتراک ومنها الاختلاف ومنها الاختزال وهو حذف مقدمه وشرطه او رکنه ومنها الاختلاط والبسط وهو

المنع

سیئة
للثمن للثمن
ان شئت اشتریت الثوب بکساء
والریب الاشکال

المنع من ادراک الشیء تشبیها بما یمنع من ادراکه بالستر والتغطیة ومنه قول النبی ص للحرث ابن حوط یا حار انه
ملبوس علیک ان الحق لا یعرف بالرجال اعرف الحق تعرف اهله والبطلان والفساد والکذب والزور والبهتان
نظائر وضد الحق الباطل یقال بطل بطولا وبطلا وبطلانا اذا تلف وابطلته ابطالا اذا اتلفته والبطل و
الباطل واحد وبطل الرجل بطولة اذا صار بطلا ویقال رجل بطل ولا یقال امرأة بطلة وبطل بطالة اذا هزل
وکان بطالا والاباطل جمع ابطالة وابطولة والباطل ضد الحق وابطلته جعلته باطلا وابطل فلان اذا جاء بباطل
والبطل الشجاع الذی یبطل جراحاته لا یکترث لها ولا تکفه عن نجدته واصل الباطل الخبر الکذب ثم کثر حتی قیل
لکل فاسد ویقال فعل باطل ای قبیح وبناء باطل ای منتقض وذرع باطل ای مخترق تالف ومعنی لبسهم الحق
بالباطل انهم آمنوا ببعض الکتاب وکفروا ببعض فخلطوا الحق بالباطل لانهم جحدوا صفة محمد ص فذلک الباطل
واقروا بغیره مما فی الکتاب علی ما هو به وذلک حق وقال ابن عباس لا تخلطوا الصدق بالکذب وقال الحسن کتموا صفة
محمد ودینه وهو الحق واظهروا دین الیهودیة والنصرانیة وقال ابن زید الحق التوریة التی انزلها الله علی
موسی والباطل ما کتبوه بایدیهم واللبس فی الآیة قیل معناه التعمیة وقیل خلط الحق بالباطل عن ابن عباس
ومنه قوله وللبسنا علیهم ما یلبسون ای لخلطنا علیهم ما یخلطون قال العجاج لما لبسن الحق بالتجنی
غنین واستبدلن زیدا منی وقال بعضهم الحق اقرارهم بان محمدا مبعوث الی غیرهم والباطل ان یکون بعث
الیهم وهذا ضعیف لانه ان جاز ذلک علی نفر یسیر لم یجز علی الخلق الکثیر مع اظهار النبی ص وتکذیبهم فیه و
انه من المتواتر علیهم وقوله وتکتموا الحق یحتمل امرین من الاعراب احدهما الجزم علی النهی کانه قال لا تلبسوا الحق
ولا تکتموه والآخر النصب علی الظرف کانه قال لا تجمعوا اللبس والکتمان کما قال الشاعر لا تنه عن خلق
وتأتی مثله عار علیک اذا فعلت عظیم ومثله لا یسعنی شیء ویعجز عنک وعند الخلیل وسیبویه
والاخفش ینصب مثل ذلک باضمار ان ویکون تقدیر الکلام لا یکن منکم لبس الحق وکتمانه ودل تلبسوا علی اللبس وتکتموا
علی الکتمان کما تقول من کذب کان شرا له فکذب دلیل علی الکذب فکانه قال من کذب کان الکذب شرا له قوله وانتم
تعلمون قال قوم هو متوجه الی رؤساء اهل الکتاب ولذلک وصفهم بانهم یحرفون الکلم عن مواضعه للتلبیس
علی اتباعهم قالوا وهذا تقبیح لما یفعلونه وکذلک قوله وتکتمون الحق ای تترکون الاعتراف به وانتم تعرفونه ای
تجحدون ما تعلمون وجحد المعاند اعظم من جحد الجاهل ومن قال هذا لا یلزمه ما یتعلق به اهل التعارف من
هذه الآیة من قولهم ان الله اخبر انهم یکتمون الحق وهم یعلمون لانه اذا خص الخطاب بالرؤساء وهم نفر قلیل
فقد یجوز علی مثلهم العناد والاجتماع علی الکتمان وانما یمنع مع ذلک فی الجماعة الکثیرة لما یرجع الی العادات
واختلاف الدواعی کما قیل فی الفرق بین التواطی والاتفاق فی العدد الکثیر وقال بعضهم وانتم تعلمون البعث
والجزاء فان قیل کیف یصح ذلک علی اصلکم الذی تقولون ان من عرف الله لا یجوز ان یکفر وهؤلاء اذا کانوا
کفارا داوا تواطؤا علی کفرهم کیف یجوز ان یکونوا عارفین بصفة محمد وانه حق بما معهم من التوریة وذلک مبنی علی
معرفة الله وصدقه کیف یکونوا عرفوا الله قیل انا الذی یمنع ان یکفر من عرف الله اذا کان معرفته علی وجه یستحق بها
الثواب فلا یجوز ان یکفر لانه یؤدی الی اجتماع الثواب الدائم علی ایمانه والعقاب الدائم علی کفره والاحباط
باطل وذلک خلاف الاجماع ولا یمتنع ان یکونوا عرفوا الله علی وجه لا یستحقون به الثواب لان الثواب انما یستحق
بان یکونوا نظروا من الوجه الذی وجب علیهم فاما اذا نظروا بغیر ذلک فلا یستحقون الثواب فیکونوا علی
هذا عارفین بالله وبالکتاب الذی انزله علی موسی وعارفین بصفات النبی ص لکن لا یؤمنون مستحقین
الثواب وعلی هذا یجوز ان یکفروا وفی الناس من قال استحقاقهم الثواب علی ایمانهم مشروط بالموافاة فاذا
لم یوافوا به لم یستحقوا الثواب فعلی هذا ایضا یجوز ان یکونوا عارفین وان لم یکونوا مستحقین للثواب بطل
بالکفر والمعتمد الاول وقال قوم الآیة متوجهة الی المنافقین منهم وکان خلطهم الحق بالباطل ما اظهروا
بلسانهم من الاقرار بالنبی ص بما یستبطنونه من الکفر وهذا مما یمکننا الاعتماد علیه ویکون قوله وانتم تعلمون
معناه انکم تعلمون انکم تظهرون خلاف ما تبطنونه وهذا اسلم من کل وجه علی اصلنا ویمکن ان یقال معنی

قوله

امیر المؤمنین ع
انکارهم

قوله وانتم تعلمون اى عند انفسكم لانهم اذا كانوا يعتقدون انهم عالمون بالتورية وبانه من عند الله وفيها ذكر
النبى ع فهم عالمون عند انفسهم بنبوته لكن يكابرون قوله تعـ وَاَقِيمُوا الصَّلٰوةَ وَاٰتُوا الزَّكٰوةَ وَارْكَعُوا
مَعَ الرّاكِعِينَ اية بلا خلاف الصلوة فى اصل اللغة الدعاء قال الاعشى عليك مثل الذى صليت فاغتمضى
نوما فان لجنب المرء مضطجعا اى دعوت وقال اخر وقابلها الريح فى دنها وصلى على دنها
وارتسم اى ودعا وقيل اصلها اللزوم من قول الشاعر لم اكن من جناتها علم الله وانى لحرها
اليوم صالى اى ملازم لحرها وكان معنى الصلوة ملازمة العبادة على الحد الذى امر الله عز وجل وقيل
اصلها الصلا وهو عظم العجز لرفعه فى الركوع والسجود من قول الشاعر النابغة فآب مصلوهم بعين جلية
وعود ربا لجولان حزم ونائل اى الذين جاؤا فى صلا السابق والقول الاول اقرب الى معنى الصلاة فى
الشرع وقد بينا معنا اقامة الصلاة فيما مضى فلا وجه لاعادته وقوله تعـ واتوا الزكوة فالزكوة والنماء والزيادة
نظائر فى اللغة ونقيض الزيادة النقصان ويقال زكا يزكو زكاء وتزكى تزكية قال صاحب العين الزكاة
زكوة المال وهو تطهيره ومنه زكى يزكى تزكية والزكوة زكاة الصلاح تقول رجل تقى زكى ورجال اتقياء
ازكياء والزرع زكا زكاء ممدود وكل شئ يزداد وينمى فهو يزكو زكاء وتقول هذا لا يزكو بفلان اى لا
يليق به قال الشاعر المال يزكو بك مستكثرا يختال قد اشرق للناظر ومصدر الزكاء ممدود
ويقال ان فلانا لزكا النقد اى حاضره وعتيده والزكا الشفع مقصور قال الشاعر
كانوا خسا وزكا من دون اربعة لم يخلقوا وجدود الناس تعتلج والخسا الوتر واصل الباب النمو والزكاة
تنمى المال بالتزكية التى يجعل الله فيه وقوله واركعوا فالركوع والانحناء والانخفاض نظائر فى اللغة يقال
ركع وركع وقد دفع قال الشاعر لا تهين الفقير علك ان تركع يوما والدهر قد رفعه قال ابو زيد الراكع
الذى يكبو على وجهه ومنه الركوع فى الصلاة قال الشاعر وافلت حاجب فوق العوالى على شمّاء
تركع فى الظراب والركعة الهوة فى الارض لغة يمانية قال صاحب العين كل شئ ينكب لوجهه فتمس ركبته الارض
او لا تمس بعد ان يطأطأ راسه فهو راكع قال الشاعر ولكنى انص العيس تدمى اظلّها وتركع بالحزون
وقال لبيد اخبّر اخبار القرون التى مضت ادبّ كانى كلما قمت راكع وسمى بالزكاة فى الشريعة ما
يجب اخراجه عن المال لانه نماء ما يبقى ويثمر وقيل بل مدح لما يبقى لانه زكى اى مطهر كما قال اقتلت نفسا زكية
بغير نفس اى طاهرة وقيل انه ماخوذ من الخنوع ذهب اليه مفضل بن سلمة والاصمعى قال الشاعر
لا تهين الفقير علك ان تركع يوما والدهر قد رفعه والاول اقوى لان هذا انما هو تشبيه به وقوله واركعوا
مع الراكعين انما خص الركوع بالذكر من افعال الصلاة لما قال بعض المفسرين ان المامورين هم اهل الكتاب ولا
ركوع فى صلاتهم وكان الاحسن ذكر المختص دون المشترك لانه ابعد من اللبس وقيل لانه يعبر بالركوع عن الصلاة
يقول القائل فرغت من ركوعى اى من صلاتى وانما فعل ذلك لانه اول ما يشاهد مما يدل على ان الانسان فى الصلاة
لانا بينا ان اصل الركوع الانحناء فان قيل كيف امروا بالصلوة والزكوة وهم لا يعرفون حقيقة ما فى الشريعة قيل
انما امر بذلك لانهم احيلوا فيه على بيان الرسول اذ قال ما اتاكم الرسول فخذوه وما نهيكم عنه فانتهوا ولذلك
جاز ان يامرهم بالصلوة على طريق الجملة ويحيلهم فى التفصيل الى بيان الرسول ع وقد بينا تفصيل ما ورد الشرع به من
الصلاة والزكاة وفرائضها وسننها فى كتاب النهاية والمبسوط وغيرهما من كتبنا فى الفقه فلا نطول بذكره فى هذا
الكتاب وقد ورد فى القران على طريق الجملة اى كثير نحو قوله اقيموا الصلوة واتوا الزكوة وقوله واقيموا الصلوة
ان الصلوة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا وقوله حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوله قد افلح المؤمنون
الذين هم فى صلاتهم خاشعون ويمكن الاستدلال بهذه الايات على وجوب جميع الصلوات وعلى صلاة الجنائز و
صلوة العيدين وعلى وجوب الصلوات على النبى واله فى التشهد لانه عام فى جميع ذلك فان قيل قوله واقيموا الصلوة
دخل فيها الركوع فلم قال واركعوا هل هذا الا تكرار قلنا قد بينا ان هذا خطاب لاهل الكتاب وليس فى صلاتهم
ركوع فكانه امرهم بالصلاة على ما يرونهم وامرهم بضم الركوع اليها ومعنى قوله اركعوا اى صلوا انفوا ان على

فآب مصلوه بغير جلية
وفى التفسير الكبير فآب مضلوه من اضل القوم ميتهم اذا دفنوه فى قبره فاخفوه حتى صار لا يرى وفيه بدل بغير جلية بعين جلية

بالبركة

شمّاء

مجاز مشبه به ظ

احيلوا

ذلك تاكيد ويمكن ان يقال فيه فائدة وهو ان يقال ان قوله اقيموا الصلوة انما يفيد وجوب اقامتها ويحتمل ان
يكون اشارة الى الصلاة التى يعرفونها ويمكن ان يكون اشارة الى الشرعية فلما قال واركعوا مع الراكعين يعنى
مع هؤلاء المسلمين الراكعين تخصصت بالصلاة فى الشرع ولا يكون تكرارا بل يكون بيانا وقيل قوله اركعوا مع
الراكعين حث على صلاة الجماعة لتقدم ذكر الصلاة المنفردة فى اول الاية قوله تعـ اَتَاْمُرُونَ النّاسَ بِالْبِرِّ
وَتَنْسَوْنَ اَنْفُسَكُمْ وَاَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ اَفَلَا تَعْقِلُونَ اية كل طاعة لله تعـ فلا خلاف انها تسمى برا واختلفوا
فى المراد بهذه الاية فقال ابن عباس المراد به التمسك بكتابهم فكانوا يامرون اتباعهم ويتركون هم التمسك به لان
جحدهم النبى ع هو تركهم التمسك به وقال قتادة كانوا يامرون الناس بطاعة النبى ع وبخلافه هو ذلك وقال قوم
ان معناه انهم كانوا يامرون ببذل الصدقة ويضنون بها وقال بعضهم البر الصدق من قولهم صدق وبر و
معناه انهم يامرون بالصدق ولا يصدقون والبر فى اصول اللغة والصلة والاحسان نظائر يقال هو بار وصول
محسن وضد البر العقوق وقال ابن دريد البر ضد العقوق ورجل بار وبر بمعنى واحد وبرت يمينه اذا لم يحنث و
بر حجه وبر لغتان والبر خلاف البحر والبر معروف افصح من الحنطة والقمح واحده برة قال الهذلى
لا ادرّ درى ان اطعمت نازلهم قرف الحتى وعندى البر مكنوز الحتى ردئ المقل خاصته ومن امثالهم لا
يعرف الهر من البر واختلفوا فى هذا المثل فقال الرمانى الهر السنور والبر الفارة فى بعض اللغات او دويبة
تشبهها وقال الاخفش معناه لا يعرف من يبره ممن يهر عليه وقوم بررة ابرار والمصدر البر ويقال صدق وبر
وبرت يمينه اى صدقت وكانت العرب تقول فلان يبر ربه اى يطيعه قال الراجز لاهم ان بكرا دونكا
يبرك الناس ويفجرونكا والابرار الغلبة يقال قد ابر عليهم فلان قال طرفة ويبرون على الاتى البر
والبربرة كثرة الكلام والجلبة باللسان واصل الباب كله البر وهو اتساع الخير والفرق بين البر والخير ان البر يدل
على القصد والخير قد يقع على وجه السهو قوله وتنسون انفسكم فالنسيان والغفلة والسهو نظائر وضد النسيان
الذكر تقول نسى نسيانا وانساه انساء وتناساه تناسيا وفلان نسى كثير النسيان والنسى والمنسى الذى ذكره
الله تعـ وكنت نسيا منسيا وسمى الانسان انسانا اشتقاقا من النسيان وهو فى الاصل انسيان وكذلك انسان العين
والجمع اناسى والنساء عرق مستبطن الفخذين فيستمر فى الرجل وهما نسيان والجمع انساء وهو فى الفخذ ويسمى فى
الساق الطفل وفى البطن الحالبين وفى الظهر الابهر وفى الحلق الوريد وفى القلب الوتين وفى اليد الاكحل و
العين الناظر يقال هو بحر الجسد لانه يمد جميع العروق واصل الباب النسيان ضد الذكر وقوله فنسوا الله فنسيهم
اى تركوا طاعته فترك ثوابهم ويقال افة العلم النسيان والمذاكرة تحيى العلم وحد النسيان عزوب الشئ عن النفس بعد
حضوره لها والفرق بين النسيان والسهو ان السهو يكون ابتداء وبعد الذكر والنسيان لا يكون الا بعد الذكر
والنسيان والذكر معا من فعل الله تعـ لان الانسان يجهد ان يتذكر شيئا فلا يذكره ومعنى قوله وتنسون انفسكم
اى تتركونها وليس المراد بذلك ما يضاد الذكر لان ذلك من فعل الله لا ينهيهم عنه فان قيل اذا كان الواجب عليهم
مع ترك الطاعة والاقامة على المعصية الامر بالطاعة والنهى عن المعصية فكيف قيل لهم هذا القول قلنا فى امرهم
بالطاعة ونهيهم عن المعصية تعظيم لما يرتكبونه من معصية الله تعـ لان الزواجر كلما كانت اكثر كانت المعصية
اعظم فنهيهم لغيرهم زواجر فهو توبيخ على عظيم ما ارتكبوا من ذلك وقوله وانتم تتلون الكتاب فالتلاوة و
القراءة والدراسة نظائر يقال فلان يتلو تلاوة فهو تال اى تابع والمتالى الامهات اذا تلاها الاولاد والواحد
متل وناقة متلية وهى التى تنتج فى اخر النتاج واصل الباب الاتباع فيسمى التلاوة بذلك لاتباع بعض الحروف فيها
بعضا والفرق بين التلاوة والقراءة ان اصل القراءة جمع الحروف واصل التلاوة اتباع الحروف وكل قراءة تلاوة
وكل تلاوة قراءة وحد الرمانى التلاوة ما به صوت يتبع فيه بعض الحروف بعضا والكتاب الذى كانوا يتلونه على قول
ابن عباس وغيره وقال ابو مسلم كانوا يامرون العرب باتباع الكتاب الذى فى ايديهم فلما جاءهم كتاب مثله لم يتبعوه
وقوله افلا تعقلون فالعقل والفهم واللب والمعرفة نظائر يقال فلان عاقل فهم لبيب اديب ومعرفة و
ضد العقل الحمق يقال عقل الشئ عقلا واعقله غيره اعقالا ويقال اعتقله اعتقالا وانعقل انعقالا وقيل

الظاهر انه سقط بين ان وبكرا فعل من تبيرا طعت واحببت ونحوها والظاهر ان يفجرونكا من باب الافعال من الفجر بالتحريك بمعنى العطاء والجود اى يطيعك الناس ويتوقعون منك العطاء الواسع ولانهم محقق اللازم
سبق الخير الكثير

لابن عباس انى لك هذا العلم قال قلب عقول ولسان سؤل ويقال عقلت بعد الصبا اى عرفت الخطاء الذى
كنت فيه وقال صاحب العين العقل ضد الجهل يقال عقل الجاهل اذا علم وعقل المريض بعدما هجر وعقل المعتوه
ونحوه والعقال الرباط ويقال عقلت البعير اعقله عقلا اذا شددت يده واذا اخذ مصدقه الابل عامة لسنة قيل
اخذ عقالا او عقالين لسنتين وعقلا لجماعة وقال الشاعر سعى عقالا فلم يترك لنا سبدا
فكيف لو قد سعى عمرو عقالين لأصبح الناس اوبادا وما وجدوا يوم التحمل في الهيجا جمالين
قال المبرد يقال للمصدق اذا اخذ من الصدقة ما فيها ولم ياخذ ثمنه اخذ عقالا واذا اخذ القيمة قيل اخذ نقدا
والعقيلة من النساء التى قد عقلت في بيتها اى حبست وخدرت والجمع العقائل والدرة عقيلة البحر وكل شئ
عقيلة كل شئ اكرمه وعقل القتيل اذا وديت ديته من القرابة لا من القبائل والعقل في الرجل اصطكاك الركبتين
والعقل ثوب احمر تتخذه نساء العرب والمعقول هذا العقل عند قوم قال الراعى حتى اذا لم يتركوا لعظامه
لحما ولا لفؤاده معقولا والعقل والمعقل هو الحصن وجمعه عقول والعاقول من النهر والوادى ومن
الامور ايضا الملتبس وما اعوج منه وعقل الدواء بطنه اى حبسه وقولهم لا يعقل حاضر لباد قال ابن دريد معناه
ان القتيل اذا كان بالبادية فان اهلها يتعاقلون بينهم الدية ولا يلزمون اهل الحضر من بنى عمامهم شيئا وفى
الحديث انا لا نتعاقل المضيع يعنى ما سهل من الشجاج بل يلزم الجانى وعاقلة الرجل بنو عمه الادنون لانهم كانوا يعقلون
له واصل الباب العقل الذى هو العقد والعقل مجموع علوم لاجلها يمتنع من كثير من المقبحات ويعقل كثيرا
من الواجبات وقال الرمانى العقل هو العلم الاول الذى يزجر عن قبيح الفعل وكل من كان زاجره اقوى كان
عقله اقوى وقيل العقل معرفة يفصل بها بين القبيح والحسن في الجملة وقيل العقل قوة يمكن معها الاستدلال بالشاهد
على الغائب وهذه العبارات قريبة المعانى مما ذكرناه والفرق بين العقل والعلم ان العقل قد يكمل لمن فقد بعض
العلوم كفقد من كمل عقله العلم بان هذه الرمانة حلوة او حامضة ولا يكمل العلم لمن فقد بعض عقله فان قيل اذا
كان العقل مختلفا فيه فكيف يجوز ان يستشهد به قيل الاختلاف في ماهية العقل لا يوجب الاختلاف في قضاياه الا
ترى ان الاختلاف في ماهية العقل حتى قال بعضهم معرفة وقال بعضهم قوة لا يوجب الاختلاف في ان الالف اكثر من
الواحد وان الموجود غير المعدوم وغير ذلك من قضايا العقل قوله تعالى وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلٰوةِ وَإِنَّهَا
لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ اية واحدة قال الجبائى هذا خطاب للمؤمنين دون اهل الكتاب وقال الطبرى و
الرمانى هو خطاب لاهل الكتاب ويتناول المؤمنين على وجه التاديب والاقوى ان يكون خطابا للجميع من هو
بشرائط التكليف لفقد الدلالة على التخصيص واقتضاء العموم ذلك فمن قال انه خطاب لاهل الكتاب قال كانه
قال واستعينوا على الوفاء بعهدى الذى عاهدتكم فى كتابكم عليه من طاعتى واتباع امرى واتباع رسولى
وترك ما نهيتكم عنه والتسليم لامرى ولمحمد بالصبر والصلوة واصل الصبر هو منع النفس محابها وكفها عن
هواها ومنه الصابر على المصيبة لكفه نفسه عن الجزع وقيل لشهر رمضان شهر الصبر لصبر صائمه عن الطعام والشراب
نهارا وصبرت اياهم صبرهم حبسه لهم وكفه اياهم عنه كما يصبر الرجل القتيل فيحبسه عليه حتى يقتله صبرا يعنى حبسه
عليه حتى قتله والمقتول مصبور والقاتل صابر والصبر والمكث والحبس نظائر والصبر ضد الجزع وانشد ابو
العباس ان تصبرا فالصبر خير مغبة وان تجزعا فالامر ما تريان ويقال صبر صبرا وتصبر تصبرا
واصطبر اصطبارا وتصابر تصابرا وصابره مصابرة قال صاحب العين الصبر نصب الانسان للقتل فهو مصبور
يقال صبروه اى نصبوه للقتل ويقال صبرته اى حلفته بالله جهد نفسهم وكل من حبسته لقتل او يمين فهو
قتل صبر ويمين صبر والصبر عصارة شجر معروف والصبار تمر الهند وصبر الاناء ونحوه نواحيه واصبار القبر
نواحيه والصبرة من الحجارة ما اشتد وغلظ والجمع الصبار وام صبار هى الداهية الشديدة وصبر كل شئ
اعلاه وصبر القوم الذى يصبر معهم فى امرهم وصبر الخوان رقاقة عريضة تبسط تحت ما يؤكل من الطعام و
تقول اشتريته الشئ بلا صبر اى بلا كيل والصبير الكفيل واصل الباب الصبر الذى هو الحبس والصبر خلق
محمود امر الله تعالى به ودل عليه فقال واصبر وما صبرك الا بالله وقال اصبروا وصابروا وقال وبشر الصابرين

لأصبح الحي اوبادا ولم يجدوا عند التفرق فى الهيجا جمالين صح

وقال واصبر على ما اصابك ان ذلك من عزم الامور وفى الحديث اقتلوا القاتل واصبروا الصابر وذلك فيمن
امسكه حتى قتله اخر فامر بقتل القاتل وحبس الممسك والصبر المامور به فى الاية قيل فيه قولان احدهما الصبر على
طاعته واجتناب معصيته والثانى انه الصوم وفى الصلاة ههنا قولان احدهما الدعاء والثانى انها الصلاة
الشرعية ذات الركوع والسجود وكان النبى صلى الله عليه وسلم اذا احزنه امر استعان بالصلاة والصوم ووجه الاستعانة بالصلاة
لمكان ما فيها من تلاوة القران والدعاء والخضوع لله تعالى والاخبات فان فى ذلك معونة على ما تنازع اليه
النفس من حب الرياسة والانفة من الانقياد الى الطاعة والضمير فى قوله وانها لكبيرة عائد على الصلاة عند
اكثر المفسرين وقال قوم عائد الى الاجابة للنبى صلى الله عليه وسلم وهذا ضعيف لانه لم يجر للاجابة ذكر ولا هى معلومة الا
بدليل غامض وليس ذلك كقوله انا انزلناه لان ذلك معلوم ورد الضمير على واحد وقد تقدم ذكر شيئين
لامرين مظهرين احدهما انها راجعة الى الصلاة دون غيرها على ظاهر الكلام والاخر ان يكون المراد الاثنان
وان كان اللفظ واحدا كقوله والله ورسوله احق ان يرضوه قال الشاعر اما الوسامة او حسن النساء
فقد اوتيت منه بلون الفعل محتمل محتنك وقال البرجمى فمن يك امسى بالمدينة رحله فانى
وقيار بها لغريب وقال ابن احمد رمانى بامر كنت منه ووالدى بريا ومن اجل الطوى رمانى
وقال اخر نحن بما عندنا وانت بما عندك راض والرأى مختلف وقوله واذا راوا تجارة او لهوا انفضوا
اليها قال قوم اللفظ واحد والمراد به اثنان وقال الفراء راجع الى التجارة لان تجارة جاءت فضربوا بالطبل فانصرف
الناس اليها والاستعانة فى الاية المامور بها على ما تنازع اليه نفوسهم من حب الرياسة وغلبة الشهوة للذة
العاجلة والاستعانة بالصبر على المشقة بطاعة الله ومعنى الكبيرة ههنا اى ثقيلة عند الحسن والضحاك و
اصل ذلك ما يكبر ويثقل على الانسان حمله كالاحمال الجافية التى يشق حملها فقيل لما يصعب على النفس وان لم
يكن من جهة الحمل يكبر عليها تشبيها بذلك وقوله الا على الخاشعين فالخشوع والخضوع والتذلل والاخبات
نظائر وضد الخضوع الاستكبار يقال خشع خشوعا وتخشع تخشعا قال صاحب العين خشع الرجل يخشع خشوعا
اذا رمى ببصره الارض واختشع اذا طأطأ راسه كالمتواضع والخشوع قريب المعنى من الخضوع الا
ان الخضوع فى البدن والاقرار بالاستخذاء والخشوع فى الصوت والبصر قال الله تعالى خاشعة ابصارهم وخشعت
الاصوات للرحمن اى سكنت واصل الباب من اللين والسهولة من قولهم نوق خاشع للارض التى غلبت عليها السهولة
والخاشع الارض التى لا يهتدى لها بسهولة لمحو الرياح اثارها والخاشع والمتواضع والمتذلل والمستكين
بمعنى قال الشاعر لما اتى خبر الزبير تواضعت سور المدينة والجبال الخشع وخاشع صفة مدح
لقوله والخاشعين والخاشعات وانما خص الخاشع بانها لا تكبر عليه لان الخاشع قد توطأ ذلك له بالاعتياد
له والمعرفة بما له فيه فقد صار بذلك بمنزلة ما لا يشق عليه فعله ولا يثقل تناوله وقال الربيع بن انس الخاشعين
فى الاية الخائفون قوله تعالى الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ اية بلا خلاف ان قيل
كيف اخبر الله عمن وصفه بالخشوع بالطاعة ومدحهم بذلك بانهم يظنون بانهم ملاقوا ربهم وذلك مناف لصفة
المدح قلنا الظن المذكور فى الاية المراد به العلم واليقين قال دريد بن الصمة فقلت لهم ظنوا بالفى مدجج
سراتهم فى الفارسى المسرد وقال عميرة بن طارق فان تغزوا قومى واقعد فيكم واجعل منى الظن
غيبا مرجما وقال ابو الدواد رب هم فرجته بغريم وغيوب كشفتها بظنون وقال المبرد
ليس من كلام العرب ظن عند زيد ما لا يريد اعلم لان العلم المشاهد لا يناسب باب الظن وقد افصح فى ذلك
اوس بن حجر فى قوله الالمعى الذى يظن بك الظن كان قد راى وقد سمعا وقال اخر
فالا ياتكم خبر يقين فان الظن ينقص او يزيد وقال بعض الشيوخ اصل الظن ما يجول فى النفس من
الخاطر الذى يغلب على القلب كانه حديث النفس بالشئ وتأول جميع ما فى القران من معنى العلم على هذا وقال الحسن
وابو العالية ومجاهد وابن جريج يظنون اى يوقنون ومثله ظننت انى ملاق حسابيه اى علمت ومثله وظنوا ان لا
ملجأ من الله الا اليه ومعناه استيقنوا وقوله وراى المجرمون النار فظنوا انهم مواقعوها يعنى علموا وقد

جاء في القرآن الظن بمعنى الشك كقوله ان هم الا يظنون وقوله ان الظن لا يغني من الحق شيئا وقال قوم يحتمل قوله يظنون وجها آخر وهو انهم يظنون انهم ملاقوا ربهم بذنوبهم لشدة اشفاقهم من الاقامة على معصية الله وهذا وجه مليح وقد استبعده الرماني وقال لان فيه حذفا كثيرة وليس بمنكر اذا كان الكلام يحتمله وقيل الذين يظنون انقضاء اجلهم وسرعة موتهم فيكونون ابدا على حذر ووجل كما يقال لمن مات لقي الله والظن و الشك والتجويز نظائر الا ان الظن فيه قوة على احد الامرين دون الآخر وحده ما قوي عند الظان كون المظنون على ما ظنه مع تجويزه ان يكون خلافه فبالتجويز ينفصل من العلم وبالقوة ينفصل من الشك والتقليد وغير ذلك وضد الظن اليقين ويقال ظن ظنا وتظنى تظنيا وقال وظنوا انهم الينا لا يرجعون وقوله وظننتم ظن السوء والظنين المتهم ومصدره الظنة والظنون الرجل السيء الظن بكل احد والظنون القليل الخير والتظني والتظنن بمعنى واحد والظنون البئر التي يظن ان بها ماء ولا يكون فيها شيء ومظنة الرجل ومظانه حيث يألفه فيكون فيه ومعنى قوله انهم ملاقوا ربهم اي ملاقوا جزاء ربهم فجعل ملاقاة الجزاء ملاقاة لهم تفخيما وتعظيما لشأن الجزاء واصل الملاقاة الملاصقة من قولك التقى الحدان اي تلاصقا ثم كثر حتى قالوا التقى الفارسان اذا تحاذيا ولم يتلاصقا ومثل ما قلنا في قوله ملاقوا ربهم قوله فاعقبهم نفاقا في قلوبهم الى يوم يلقونه معناه يوم يلقون جزاءه لان المنافقين لا يرون الله عند احد من اهل الصلاة وكذلك قوله ولو ترى اذ وقفوا على ربهم قال اليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون معناه اذ وقفوا على جزاء ربهم لان الكفار لا يرون الله عند احد من الامة فان قيل ما معنى الرجوع ههنا وهم ما كانوا قط في الآخرة فيعودوا اليها قيل راجعون بالاعادة في الآخرة في قول ابي العالية وقيل يرجعون بالموت كما كانوا في الحال المتقدمة لانهم كانوا امواتا ثم احيوا ثم يموتون فيرجعون امواتا كما كانوا والاول اظهر واقوى وقيل ان معناه انهم راجعون الى ان لا يملك احد لهم ضرا ولا نفعا غيره تعالى كما كانوا في بدء الخلق لانهم في ايام حياتهم قد يملك الحكم عليهم غيرهم والتدبير لنفعهم وضرهم بين ذلك قوله مالك يوم الدين ومعنى ذلك انهم يقرون بالنشأة الآخرة فجعل رجوعهم بعد الموت الى المحشر رجوعا اليه واصل الرجوع العود الى الحال الاول يقال رجع الرجل رجعة وهو احد ما جاء على فعل وفعلة ويحتمل ان يكون المراد به انهم اليه صائرون كما يقول القائل رجع الامر الى فلان وان كان قط لم يكن له ومعناه صار اليه وحذفت النون من ملاقوا ربهم عند البصريين تخفيفا والمعنى على اثباتها ومثله قوله انا مرسلوا الناقة وكل نفس ذائقة الموت قال الشاعر

هل انت باعث دينار لحاجتنا ... او عبد رب اخا عون بن مخراق

ولو اردت معنى الماضي لتعرف الاسم بالاضافة ولم يجز فيه اظهار النون البتة واذا كان الفعل غير واقع كان اثبات النون هو الوجه دون الاضافة فلو قيل ملاقون كان صوابا قال الاخفش ويجري حذف النون ههنا للاستثقال كما قال الشاعر في قوله

فان الذي حانت بفلج دماؤهم ... هم القوم كل القوم يا ام خالد

فاسقط النون من الذين استثقالا وقال الاخطل

ابني كليب ان عمي اللذا ... قتلا الملوك وفككا الاغلالا

فاسقط النون وقال الكوفيون اذا حذفت النون فاللفظ الاسم واذا اثبت وظهر النصب فالمعنى الفعل قال الزجاج ويجوز كسر الهمزة من قولهم انهم اليه راجعون لكن لم يقرأ به احد على معنى الابتداء ولا يجوز الا فتح الهمزة من قولهم انهم اليه راجعون لكن لم يقرأ به احد على معنى الابتداء ولا يجوز. الاولى لان الظن وقع عليها قوله تعالى يا بني

اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واني فضلتكم على العالمين آية قد مضى تفسير مثل هذا فيما تقدم فلا وجه لاعادته واما قوله واني فضلتكم على العالمين ذكرهم الله نعمة من آلائه ونعمه عندهم بقوله واني فضلتكم على العالمين اي فضلت اسلافكم فنسب النعمة الى آبائهم واسلافهم لانها نعمة عليهم منه لان مآثر الآباء مآثر الابناء والنعم عند الآباء نعم عند الابناء لكون الابناء من الآباء وقوله فضلتكم فالتفضيل و الترجيح والتزهيد نظائر والتفضيل نقيضه التسوية يقال فضله وتنقصه على وجه النقص ونقيض التزهيد التنقيص يقال فضل فضلا وافضل افضالا وتفضل تفضلا واستفضل استفضالا وتفاضلوا تفاضلا و فاضله مفاضلة وفضله تفضيلا والمفضال اسم المفاضلة والفضيلة الدرجة الرفيعة في الفضل والتفضل

التوشح ورجل فضل متفضل وامرأة متفضلة وعليها ثوب فضل اذا خالفت بين طرفيه على عاتقها فتتوشح به قال الشاعر

اذا تبرد فيه القسر الفضل

وافضل فلان على فلان اذا اناله من خيره وفضله واحسن اليه وافضل فلان من الطعام والارض والخبز اذا ترك منه شيئا لغة اهل الحجاز فضل يفضل ورجل مفضال كثير المعروف والخير والفضائل واحدها فضيلة وهي المحاسن والفواضل الايادي الجميلة وثوب المفضل ثوب تتخفف به المرأة في بيتها والجمع مفاضل وامرأة مفضل اذا كان عليها مفضل واصل الباب الزيادة والافضال والاحسان والانعام نظائر ويقال فضله اذا اعطاه الزيادة وفضله اذا حكم له بالزيادة فان قيل لم كرر قوله يا بني اسرائيل قلنا لانه لما كانت نعم الله هي الاصل فيما يجب فيه شكره وعبادته احتيج الى تأكيدها كما يقول القائل اذهب اذهب اعجل اعجل وغير ذلك في الامر المهم وايضا فان التذكير الاول ورد مجملا وجاء الثاني مفصلا فكأنه قال اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم فيما انتم عليه من المنافع التي تتصرفون فيها وتتمتعون بها واني فضلتكم على العالمين ودل هذا على قوله واني فضلتكم على العالمين لانها احدى الخصال التي ذكروا بها وجاءت عاطفة فدلت على خصلة قبلها اما مذكورة او مقدرة وانما فضلوا بما ارسل الله فيهم من كثرة الرسل وانزل عليهم من الكتب وقيل بكثرة من جعل فيهم من الانبياء وما انزل الله عليهم من المن والسلوى الى غير ذلك من النعمة العظيمة من تغريق فرعون عدوهم ونجاتهم من عذابه وتكثير الآيات التي تخف معها الاستدلال ويسهل بها كثرة الميثاق وهو قول اكثر اهل العلم كابي العالية وغيره ونظير هذه الآية قوله واذ نجيناكم من آل فرعون واذ فرقنا بكم البحر فانجيناكم واغرقنا آل فرعون وانتم تنظرون وقوله على العالمين قال اكثر المفسرين اراد الخصوص ومعناه عالمي زمانهم ذهب اليه قتادة والحسن وابو العالية ومجاهد وغيرهم وقال بعضهم اذا قلت فضل زيد على عمرو في الشجاعة لم يدل على انه افضل منه على الاطلاق ولا في جميع الخصال فعلى هذا يكون التخصيص في التفضيل لا في العالمين وامة نبينا محمد ص افضل من اولئك لقوله كنتم خير امة اخرجت للناس وعليه اجماع الامة لانهم اجمعوا على ان امة محمد ص افضل من سائر الامم كما ان محمدا ص افضل الانبياء من ولد آدم ع قوله تعالى

واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون قرأ ابن كثير واهل البصرة لا يقبل منها بالياء الباقون بالتاء وموضع لا تجزي نصب لانه صفة يوم والعائد عند الكسائي لا يكون الا هاء محذوفة من تجزيه وقال بعضهم لا يجوز الا فيه وقال سيبويه والاخفش والزجاج يجوز الامران قال ابو علي المعنى في قوله لا يقبل منها شفاعة فمن ذهب الى ان فيه محذوفة من قوله واتقوا يوما لا تجزي جعل فيه بعد قوله لا يقبل ومن ذهب الى انه حذف الجار واوصل الفعل الى المفعول ثم حذف الراجع من الصفة كما يحذف من الصلة كان مذهبه في قوله لا يقبل فيه مثله وحذف الهاء من الصفة يحسن كما يحسن حذفها من الصلة الا ترى ان الفعل لا يتسلط بحذف المفعول منه على الموصوف كما لا يتسلط بذلك على الموصول ومما حذف منه الراجع الى الصفة قوله

وما شيء حميت بمستباح

ومن الحذف قوله

تروحي اجدر ان تقيلي ... غدا بجنبي بارد ظليل

المعنى ائتي مكانا اجدر ان تقيلي فيه فحذف الجار ووصل الفعل ثم حذف الضمير ونظير الآية قول الراجز

قد صبحت صبحها السلام ... بكبد خالطها السنام
في ساعة يحبها الطعام

اي يحب الطعام فيها والمجازاة والمكافاة والمقابلة نظائر يقال جزى يجزي جزاء وجازاه مجازاة وتجازوا تجازيا قال صاحب العين المجازاة المكافاة بالاحسان احسانا وبالاساءة اساءة وفلان ذو جزاء وذو غناء وتقول هذا الشيء يجزي عن هذا بهمز وتليين وفي لغة يجزي ان يكفي واصل الباب المقابلة الشيء بالشيء ومعنى قوله لا تجزي نفس عن نفس شيئا اي لا تقابل مكروهها بشيء يدرأه عنها قال الله تعالى هل تجزون الا ما كنتم تعملون وقال اليوم تجزى كل نفس بما كسبت والفرق بين المقابلة والمجازاة ان المقابلة قد تكون للمساواة فقط كمقابلة الكتاب بالكتاب والمجازاة تكون في الشر بالشر والخير بالخير ومعنى قوله لا تجزي اي لا يغني وهو قول السدي كما تقول البقرة تجزي عن سبعة وهي لغة اهل الحجاز وبنو تميم تجزئ بالهمزة من اجزأ والاول من جزت وقال الاخفش لا تجزي منها اي لا يكون مكانها بدلا منها وانكر عليهم ذلك لقوله شيئا و

قبالتها

الاخفش لايجزى منها شيأ فى موضع المصدر كانه يقول لايجزى جزاء ولايغنى غناء قال الرمانى والاقرب ان يكون
شيئا فى موضع حقا كانه قيل لايؤدى عنها حقا وجب عليها وقال بعضهم لايجزى بمعنى لايقضى وقبول الشئ تلقيه و
الاخذ به وضده الاعراض عنه ومن ثم قيل لتجاه القبلة قبالة وقالوا اقبلت المكواة الداء اى جعلتها قبالته ويجوز
ان يكون المخاطبون بذلك اليهود لانهم زعموا ان اباءهم الانبياء وتشفع لهم واويسوا بقوله قل فلم يعذبكم
بذنوبكم وبقوله لايقبل منها شفاعة والقبول والانقياد والطاعة والاجابة نظائر ونقيضه الامتناع يقال
قبل قبولا واقبل اقبالا وقابله مقابلة وتقابلوا تقابلا واستقبله استقبالا وتقبل تقبلا واقبل اقبالا وقبله
تقبيلا وقبل نقيض بعد والقبل خلاف الدبر والقبل اقبالك على الشئ كانك لاتريد غيره والقبل الطاقة
تقول لاقبل لى اى لاطاقة لى ومنه قوله فلنأتينهم بجنود لاقبل لهم بها والقبل التلقاء تقول لقيته قبلا
اى مواجهة واصبهذا من قبله اى من تلقائه اى من لدنه ومن عنده وقوله وحشرنا عليهم كل شئ قبلا اى
قبلا وفسر بعضهم عيانا وكل جيل من الناس والجن والقبيلة من قبائل العرب معروفة والكرة يقال لها قبلة
كل قطعة من الجلد قبيلة وقبيلة الرأس كل فلقة قد قوبلت بالاخرى وكذلك قبائل العرب والقبال زمام
البغل يقال بغل مقبول ومقبلة والقبل راس كل شئ مثل الجبل والاكمة وكثبان الرمل وقبالة كل شئ ماكان
مستقبله ومن الجيران مقابل ومدابر وشاة مقابلة اذا قطعت من اذنها قطعة وتركت معلقة من مقدم وان كانت
من خلف فهى مدابرة واذا ضممت شيئا الى شئ قلت قابلته والقابلة هى الليلة المقبلة وكذلك العام القابل
والمقبل والقابلة التى تقبل الولد والقبول من الريح الصبا لانها تستقبل الدبور وهى تستقبل القبلة من
المشرق والقبول ان تقبل العفو وغير ذلك وهو اسم المصدر واميت الفعل منه والقبول الاسم تقول افعل
هذا من ذى قبل اى من ذى استقبال والقبلة معروفة والفعل منه التقبيل والقبلة قبلة الصلوة والتقبل تقبل
الشئ تقول تقبل الله منك وعنك عملك وتقول تقبلت فلانا من فلان بقبول حسن ورجل مقابل فى كرم وشرف
من قبل اعمامه واخواله ورجل مقبل الشباب لم ير فيه اثر من الكبر والقبيل والدبير فى الحبل فالقبيل الفتل الاول
الذى عليه العامة والدبير الفتل الاخر وبعضهم يقول فى قوى الحبل كل قوة على وجهها الداخل قبيل والوجه
الخارج دبير وقد قرئ قبلا وقبلا فمن قرأ قبلا اراد جمع قبيل ومن قرأ قبلا اراد مقابلة والقبيل والكفيل واحد
وقبيل القوم عريفهم واصل الباب المقابلة خلاف المدابرة واما الشفاعة فهى ماخوذة من الشفع الذى هو
خلاف الوتر فكانه سؤال من الشفيع شفع سؤال المشفوع له والشفاعة والوسيلة والقربة والوصلة نظائر
ويقال شفع شفاعة وتشفع تشفعا واستشفع استشفاعا وشفعه تشفيعا والشفع من العدد ماكان
ازواجا تقول كان وترا فشفعته باخر حتى صار شفعا ومنه قوله والشفع والوتر قال الشفع يوم النحر والوتر
يوم عرفة وقال بعض المفسرين الشفع الخلق يعنى كثرة الخلق والوتر الله والشافع الطالب لغيره والاسم الشفاعة
والطالب الشفيع والشافع والشفعة فى الدار معروفة وتقول فلان يشفع الى بالعداوة اى يعين على من
يعادينى وتقول شفعت الرجل اذا صرت ثانيه وشفعت له اذا كنت له شافعا وانما سميت شفعة الدار لان صاحبها
يشفع ماله بها ويضمها الى ملكه واصل الباب الزوج من العدد وقوله ولايقبل منها شفاعة مخصوص عندنا
بالكفار لان حقيقة الشفاعة عندنا ان يكون فى اسقاط المضار دون زيادة المنافع والمؤمنون عندنا
يشفع لهم النبى صلى الله عليه وآله فيشفعه الله تعالى ويسقط بها العقاب عن المستحقين من اهل الصلوة لما روى من قوله عليه السلام
ادخرت شفاعتى لاهل الكبائر من امتى وانما قلنا لايكون فى زيادة المنافع لانها لو استعملت فى ذلك
لكان احدنا شافعا فى النبى صلى الله عليه وآله اذا سأل الله ان يزيده فى كراماته وذلك خلاف الاجماع فعلم بذلك ان
الشفاعة مختصة بما قلناه وعلم بثبوت الشفاعة ان النفى فى الاية يختص بالكفار دون اهل القبلة والايات
الباقيات نتكلم عليها اذا انتهينا اليها ان شاء الله والشفاعة ثبت عندنا للنبى صلى الله عليه وآله وكثير من اصحابه ولجميع
الائمة المعصومين وكثير من المؤمنين الصالحين وقيل ان نفى الشفاعة فى هذه الاية يختص باليهود
من بنى اسرائيل لانهم ادعوا انهم ابناء الله واحباؤه واولاد انبيائه وان اباءهم يشفعون لهم

فانسهم الله من ذلك فاخرج الكلام مخرج العموم والمراد به الخصوص ولابد من تخصيص الاية لكل احد
لان المعتزلة والقائلين بالوعيد يثبتون شفاعة مقبولة وان قالوا انها فى زيادة المنافع واصل
الشفاعة ان يشفع الواحد للواحد فيصير شفعا ومنه التشفيع لانه يصل جناح الطالب ويصير ثانياله
والذى يدل على ان الشفاعة فى اسقاط الضرر قول شاعر غطفان انشده المبرد وقالوا تعلم ان
مالك ان تصب يفدك وان يحبس بديل ويشفع واستعملت فى زيادة المنافع ايضا وان كان مجازا
لما مضى قال الحطيئة فى طلب الخير وذاك امرؤ ان تاته فى صنيعة الى ماله لم تاته بشفيع
وقد استعملت الشفاعة بمعنى المعاونة انشد بعضهم للنابغة اتاك امرؤ مستعلن لى بغضه
له من عدو مثل مالك شافع اى معين وقال الاحوص كان من لامنى لاصرمها كانوا لليلى
بلومهم شفعوا اى تعاونوا قوله لايؤخذ منها عدل والعدل والحق والانصاف نظائر والعدل
نقيض الجور يقال عدل عدلا واعتدل اعتدالا وتعادل تعادلا وتعدل تعدلا وعادله معادلة و
عدله تعديلا والعدل المرضى من الناس يقع على الواحد والجماعة والذكر والانثى فاذا قلت هم عدل
قلت هما عدلان والعدل الحكم بالحق يقال هو حكم عدل ذو معدلة فى حكمه وعدل الشئ نظيره ومثله
تقول عدلت بفلان فلانا اى اعدله والعادل المشرك الذى يعدل بربه والعدل ان يعدل الشئ عن وجهه
فتميله تقول عدلته عن كذا وعدلت انا عن الطريق والعديل الذى يعادلك فى المحمل ونحوه ماكان
وسمعت العرب يقول اللهم لاعدل لك اى لامثل لك وفى الكفارة عدل ذلك اى مثله فى العدل لا
بالنظير بعينه والعدل الفداء لقوله لايقبل منها عدل وقيل ايضا ان العدل الفريضة والصرف النافلة
وقوله بربهم يعدلون اى يشركون وقيل لما يؤكل معتدل اذا لم يكن فيه ضرر من حر او برد وتقول عدلته اى
اقمته حتى اعتدل اى استقام وعدلت فلانا عن طريقه والدابة عن طريقها اذا عطفتها فانعدلت والعدل
الطريق ويقولون الطريق يعدل الى مكان كذا وكذا فاذا اراد الاعوجاج نفسه قال ينعدل فى مكان كذا
وكذا اى يعوج والاعتدال الاستواء وفلان يعدل حسن العدالة واصل الباب العدل الذى هو الاستقامة
والعدل المذكور فى الاية الفدية روى ذلك عن النبى صلى الله عليه وآله وهو قول ابن عباس وابى العالية وقال
قوم هو البدل والفرق بين العدل والعدل ان العدل بالكسر المثل تقول عندى عدل جاريتك اى جارية
مثلها فاذا فتحت قلت عندى عدل جاريتك يجوز ان يكون قيمتها من الثمن ومن قرأ بالتاء فلان الشفاعة مؤنثة
ومن ذكر قال لان التانيث ليس بحقيقى ولان الفعل تقدم على المؤنث فاشبه علامة التثنية والجمع اذا تقدم
الفعل سقط كذلك ههنا ومثله قوله لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكقول الشاعر
فلا مزنة ودقت ودقها ولا ارض ابقل ابقالها والتاء اجود لانه اصل والياء حسن قوله و
لاهم ينصرون والنصر والمعونة والتقوية نظاير وضد النصر الخذلان يقال نصرته نصرا وانتصر انتصارا
واستنصر استنصارا وتناصرنا تناصرا قال صاحب العين النصر عون المظلوم وفى الحديث انصر اخاك ظالما
ومظلوما معناه ان كان مظلوما فامنع منه الظلم وان كان ظالما فامنعه من الظلم والانصار
جمع الناصر وانصار النبى صلى الله عليه وآله اعوانه وانتصر فلان اذا انتقم من ظالمه والنصير الناصر والنصر الدخول فى
النصرانية والنصارى منسوبون الى ناصرة وهى موضع ونصرت السماء اذا امطرت قال الشاعر
اذا خرج الشهر الحرام فودعى بلاد تميم وانصرى ارض عامر ونصرت الرجل اذا اعطيته وانشد
ابوك الذى اجدى على بنصره فاسكت عنى بعده كل قائل واصل الباب المعونة والنصرة
قد تكون بالحجة وقد تكون بالغلبة فالله عز وجل ينصر جميع المؤمنين بالحجة التى توءيدهم واما النصر
بالغلبة فبحسب المصلحة ولايدل وقوع الغلبة لبعض المؤمنين على انه مسخوط عليه كما انه ليس فى تخلية الله
بين الكفار وبين الانبياء دلالة على حال منكرة وقد قتل الكفار كثيرا من الانبياء ونالوا منهم بضروب
من الاذى قال الله تعالى ذلك بانهم كانوا يكفرون بايات الله ويقتلون النبيين بغير حق وقوله ومن

بغى عليه فلينصره الله معناه بالغلبة واما ما يأخذ له بالحق من الباغي عليه لينصر به من الله للمبغي عليه واقعة
لا محالة والخذلان لا يكون الا للظالمين لان الله تعم لا يخذل اولياءه واهل طاعته وقوله ان ينصركم الله فلا
غالب لكم اي بالمعونة التي توجب الغلبة لان الله تعم يقدر على اعطائهم ما يغلبون به كل من نازعهم و
يستعلون على كل منهم واهم وجه النصر المعونة على كل من ظهرت منه عداوة وقد تكون المعونة بالطاعة
فلا يكون نصرة والفرق بين النصرة والتقوية ان التقوية قد تكون على صناعة والنصرة لا تكون الا مع
منازعة فاما قولهم لا قبل الله منهم صرفا ولا عدلا فقال الحسن البصري الصرف العمل والعدل الفدية
وقال الكلبي الصرف الفدية والعدل الفريضة وقال ابو عبيدة الصرف الحيلة والعدل الفدية وقال ابو
مسلم الصرف التوبة والعدل الفداء قوله تعم وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ
يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ اية بلا خلاف هذه الاية
عطف على ما تقدم من قوله اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم فاذ ههنا متعلقة بذلك كانه قال اذكروا
نعمتي عليكم اذ نجيناكم من آل فرعون ونظيره والى ثمود اخاهم صالحا المانفتم ما يدل على ارسلنا وهو
قوله ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فكانه قال وارسلنا الى ثمود اخاهم صالحا والخطاب وان كان متوجها
الى الحاضرين في الحال فالمراد به من سلف لهم من الاباء كما يقول القائل هزمناكم يوم ذي قار وقتلناكم يوم
الجفار وانما يعني الاسلاف قال الاخطل يهجو جريرا ولقد سما لكم الهذيل فنالكم بإراب حيث يقسم
الانفالا وجرير لم يلحق هذيلا ولا ادرك اراب وقد بينا ان النعمة على الاباء نعمة على الاولاد فلا
وجه لاعادته ومعنى نجيناكم فالنجاة والسلامة والاسعاد والتخلص نظاير وضد النجاة الهلاك تقول نجى
ينجو نجاة وانجاه الله انجاء ونجاه تنجية وانجو انجاء واستنجى استنجاء وتناجوا تناجيا قال صاحب
العين نجا ينجو نجاة في السرعة فهو ناج اي سريع وناقة ناجية اي سريعة وتقول نجوت فلانا اي استنكهته
قال الشاعر نجوت مجالدا فوجدت منه كريح الكلب مات حديث عهد ونجا بنو فلان اذا احدثوا
ذنبا او غيره والاستنجاء التنظيف بمدر او ماء والنجاة هو النجوة من الارض وهي التي لا يعلوها السيل قال
الشاعر فمن بنجوته كمن بعقوته والمستكن كمن يمشي بقرواح والنجو السحاب اول ما ينشأ وجمعه نجاء
والنجو ما خرج من البطن من ريح وغيرها والنجو استطلاق البطن يقال نجا فلان نجوا والنجو كلام بين اثنين
كالسر والسار تقول ناجيتهم فتناجوا بينهم وكذلك انتجوا وهم جميعا نجوى وكلامهم نجوى وفلان نجي
فلان اي يناجيه دون غيره قال الشاعر اني اذا ما القوم كانوا انجية واضطرب القوم اضطراب
الارشية والنجا ما القيته عن نفسك من ثياب وسلخته عن الشاة تقول نجوت الجلد انجوه نجا اذا كشطته و
نجوت العود اي اقتضبته وقال بعض المفسرين في قوله فاليوم ننجيك ببدنك اي نلقيك على نجوة واصل
الباب النجوة وهي الارتفاع والفرق بين النجاة وبين التخلص ان التخلص قد يكون من تعقيد ليس باذى وليس
كذلك النجاة لانها لا تكون الا من مكروه وكل نجاة نعمة ولا يقال لمن لا خوف عليه نجا لانه لا يكون ناجيا الا
مما يخاف مثله قوله من آل فرعون فالآل والاهل والقرابة نظاير وقيل اصل آل اهل لانه يصغر اهيل و
حكى الكسائي اويل فزعموا انها ابدلت كما قالوا ايهات وهيهات وكما قالوا ماء واصلها ماه بدليل قولهم
مويه في التصغير وفي الجمع امواه ومياه وقيل لا بل اصل على حياله والفرق بين الآل والاهل ان الاهل اعم
منه يقال اهل الكوفة ولا يقال آل الكوفة ويقال اهل البلد ولا يقال آل البلد وآل فرعون قومه و
اتباعه وقال صاحب العين الآل كل شيء يؤول الى شيء اذا رجع اليه يقول طبخت العصير حتى آل الى كذا والآل
كلمة وعيد على وزن فعل والآل السراب وآل الرجل قرابته واهل بيته وآل البعير الواحه وما اشرف من
اقطاره جسمه وآل الخيمة عمده والآلة الشديدة من شدائد الدهر قال الخنساء سأحمل نفسي على آلة
فاما عليها واما لها وآل الجبل اطرافه ونواحيه وقال ابن دريد آل كل شيء شخصه وآل الرجل اهله
وقرابته قال الشاعر ولا تبك ميتا بعد ميت اجنه علي وعباس وآل ابي بكر والآلة الحربة واصل

الباب الاول وهو الرجوع قال ابو عبيدة سمعت اعرابيا فصيحا يقول اهل مكة آل الله فقلنا ما تعني بذلك
قال اليسوا مسلمين والمسلمون آل الله قال وقال ليس يجوز ان يصبح رجلا من المسلمين فيقول آل فلان وانما
يجوز ذلك للرئيس المتبع وفي شبه مكة لانها ام القرى ومثل فرعون في الضلال واتباع قومه له فان جاوزت
هذا فان آل الرجل اهل بيته خاصة فقلت له فتقول للقبيلة آل فلان قال لا الا اهل بيته خاصة وفرعون
اسم لملوك العمالقة كما قيل قيصر لملك الروم وكسرى لملك الفرس وخاقان لملك الترك والاخشاذ لملك الفراعنة
وتبع لملك اليمانية فهو على هذا بمعنى الصفة لانه يفيد غير انه ملك لهم الذي بنفس الصفة الجارية عليه و
على غيره وقيل ان اسم فرعون مصعب بن الريان وقال محمد بن اسحاق هو الوليد بن مصعب ومعنى قوله
يسومونكم سوء العذاب اي يولونكم سوء العذاب يقال سامه خطة خسف اذا اولاه ذلا قال الشاعر
إن سيم خسفا وجهه تربدا وقيل يجشمونكم سوء العذاب والسوم والتجشيم والتحميل نظاير يقال سامه
المشقة وجشمه اياها وحمله اياها بمعنى يقال سام يسوم سوما وساومه واستام استياما وتساوموا تساوما
وسوم تسويما والسوم سومك سلعة ومنه المساومة والاستيام والسوم من سير الابل وهبوب الرياح اذا
كان مستمرا في سكون يقال سامت الرياح وسامت الابل وهي تسوم سوما والسوام هي الغنم السائمة واكثر
ما يقال ذلك في الابل خاصة والسائمة تسوم الكلأ سوما اذا داومت رعيه والراعي يسيمها والمسيم الراعي
والتسويم العلامة على الخيل يقال سوم فلان فرسا اذا اعلم عليه بحريرة او شيء يعرف به والسيما في الاصل
ياء وهاء وواو وهي العلامة التي يعرف بها الخير والشر في الانسان ومنه قوله سيماهم في وجوههم وتعرفهم
بسيماهم وقوله يعرف المجرمون بسيماهم ويقال سيماء الخير وسمة فلانا سوء العذاب من المشقة وقال ابن دريد
سام الرجل ماشيته يسومها سوما اذا رعاها فالماشية سائمة والرجل مسيم ولم يقولوا سام خرج من القياس
واصل الباب السوم الذي هو ارسال الابل في المرعى وقوله سوء العذاب واليم العذاب وشديد العذاب نظاير يقال
ساءه يسوءه سوءا ومساءة واساءة قال صاحب العين السوء اسم العذاب الجامع للآفات والداء وتقول سؤت
فلانا سوءا ومساءة ومسائية وتقول اردت مساءتك ومسايتك واسات اليه في الصنع واستاء فلان من
السوء كقولك اهتم من الهم وسؤت فلانا وسوءت له وجهه ويقول لساء ما صنع والسيئ والسيئة اسم الخطيئة
والسوءى فعلى اسم للفعلة السيئة بمنزلة الحسنى وامراة سوء قبيحة والسوءة السوأى الفعلة القبيحة يقال للرجل
السوء والسوءة الفرج لقوله فبدت لهما سوآتهما والسوءة كل عمل شائن تقول سوءة لفلان بعيبه لانه ليس
بخير والسوءة السوءى المرأة المخالفة وتقول في النكرة رجل سوء فاذا عرفته قلت الرجل السوء لا تضيفه و
تقول عمل سوء وعمل السوء ورجل صدق ولا يقول الرجل الصدق لان الرجل ليس من الصدق وكلما ذكر بسيئ
فهو السوء ويكنى عن البرص بالسوء كقوله بيضاء من غير سوء اي من غير برص وتقول لا خير في قول السوء و
لا في قول السوء فاذا فتحت السين فعلى ما وصفناه واذا ضممته فمعناه لا تقل سوءا واصل الباب السوء من قولك
ساء يسوء سوءا ثم كثر حتى صار حملها على الضر القبيح فقالوا اساء يسيء اساءة نقيض احسن يحسن احسانا و
قوله يذبحون ابناءهم فالذبح والنحر والشق نظاير والذبح فري الاوداج يقال ذبح ذبحا واستذبح
استذباحا وتذابحوا تذابحا وذبح تذبيحا واصل الذبح الشق وذبحت المسك اذا فتقته فهو ذبيح مذبوح
والذبح الشيء المذبوح لقوله وفديناه بذبح عظيم والذباح والذبح بفتح الباء وتسكينها داء يصيب الانسان
في حلقه وتقول العرب حيا الله هذه الذبحة اي هذه الطلعة والذباح الشقوق في الرجل اصابه ذباح في
رجله والذبح نور احمر وسعد الذابح كوكب معروف من منازل القمر قال صاحب العين الذبح قطع الحلقوم
من باطن وموضعه المذبح والمذبح السكين الذي يذبح به الذبائح والذباح نبات من الشجر قال الاعشى
انما قولك صاب وذبح وقال اخر كان عيني فيها الصاب مذبوح واصل الباب الشق قوله يستحيون
نساءكم انما قال نساءكم وهم كانوا يستبقون الاطفال من البنات تغليبا لانهم كانوا يستبقون الصغار والكبار
كما يقال اقبل الرجال وان كان معهم صبيان وقيل ان اسم النساء يقع على الكبار والصغار وقيل انهم سموا

أمن يسم خسفا وجهه قد تربدا ع

انتهى

بذلك على تعذيبهم بيقين حتى يصرن نساء والمراة والنساء والزوجات نظائر ولا واحد للنساء من لفظه ويقال الرجال والنساء على وجه النقيض قال صاحب العين النسوة والنسوان والنسين كل ذلك مثل النساء قوله وفى ذلكم بلاء من ربكم عظيم والبلاء والاحسان والنعمة نظائر فى اللغة وبلى يبلى بلاً فهو بال والبلاء لغة قال الشاعر   والمرء يبليه بلاء السربال   تناسخ الاهلال بعد الاهلال   والبلية الدابة التى كانت تشد فى الجاهلية عند قبر صاحبها راسها فى الركبة حتى تموت ومنها ما يعقر عند القبر حتى يموت وناقة بلو مثل نضو قد ابلاها السفر والفعل من البلية بليت وتقول بلى الانسان وابتلى والبلاء على وجهين فى الخير والشر والله تعالى يبلى العبد بلاء حسنا وبلاء سيئا وابليت فلانا عذرا اى بليت فيما بينه وبينى بما لا لوم على بعده و البلوى هى البلية والبلوى التجربة تقول بلوته بلوى واصل الباب التجربة والبلاء والامتحان الذى فيه انعام والبلاء الامتحان الذى فيه انتقام فاذا اردت الانعام قلت ابليته بلاء حسنا وفى الاختبار تقول بلوته بلاء قال الله تعالى ونبلوكم بالخير والشر فتنة وقال فى الانعام وليبلى المؤمنين منه بلاء حسنا قال زهير

جزى الله بالاحسان ما فعلا بكم   وابلاهما خير البلاء الذى يبلو

فجمع المعنيين لانه اراد وانعم عليهما خير النعم التى يختبر بها عباده وقال الاخفش البلاء ثم الثناء يعنى الانعام ثم الشكر وانما كان فى استحياء النساء محنة عليهم وبلوى لهم لانهم كانوا يستعبدون وينكحن على الاسترقاق فهو على رجالهن اعظم من قتلهن وقيل لانهن كن يستبقين للاذلال والاستبقاء محنة كما ان من احيى للتعذيب فحياته نقمة ومن احيى للتلذيذ فحياته نعمة و الابناء جمع ابن والمحذوف من الابن عند الاخفش الواو لانها اثقل وهى بالحذف اولى وقال الزجاج يجوز ان يكون المحذوف ياء وواوا وهما سيان ولا حجة فى البنوة كما لا حجة فى الفتوة لقولهم فتيان قال وقد جاء حذف الياء كما فى يد كقولهم يديت اليه يدا وفى دم قال الشاعر   فلو انا على حجر ذبحنا   جرى الدميان بالخبر اليقين

والقتل الذى هو فرى الاوداج او نقض بنية الحيوة يقدر الواحد منا عليه واما الموت فتسكين الحركة الحيوانية او فعل ضد الحيوة عند من قال لها ضد فلا يقدر عليه غير الله وموضع يسومونكم سوء العذاب يحتمل امرين من الاعراب احدهما الاستيناف فيكون موضعه رفعا كانه قال يسومونكم من قبل ذلك سوء العذاب الثانى ان يكون موضعه نصبا على الحال من ال فرعون والعامل فيه نجيناكم ويسومونكم سوء العذاب كان بذبح الابناء واستحياء النساء وقيل باستعمالهم فى الاعمال الشاقة واستحياء النساء كان بان يستبقين وقيل انه كان يفتش احياء النساء عما يلدن وقيل انهم كانوا يستحيون ان يلجوا على النساء فى بيوتهن اذا انفردن عن الرجال صيانة لهن فعلى هذا يكون انعاما عليهن وهذا بعيد من اقوال المفسرين والسبب فى ان فرعون كان يذبح الابناء ويستحيى النساء ما ذكره السدى وغيره ان فرعون راى فى منامه نارا اقبلت من بيت المقدس حتى اشتملت على بيوت مصر فاحرقت القبط وتركت بنى اسرائيل واخربت مصر فدعى السحرة والكهنة والقافة فسألهم عن رؤياه فقالوا يخرج من هذا البلد الذى جاء بنو اسرائيل منه يعنون بيت المقدس رجل يكون على يديه هلاك مصر فامر بنى اسرائيل الا يولد لهم غلام الا ذبحوه ولا جارية الا تركت وليس فى الاية دلالة على سقوط القود عمن قتل غيره مكرها ولا القود على المكره ولان كان مختارا غير مكره فالقود عليه لانه لم يجر لذلك ذكر فان قيل اذا كانوا نجوهم والله انجاهم فما المنكر ان يكون العاصى هو الذى عصى الله والله خلق معصيته قيل لا يجب ذلك الا ترى انه يقال قد ينجينى زيد فانجو وان لم يكن فعلى بلا خلاف ولكن الله اذا استنقذنا بالنبى صلعم من الضلال فخلصنا لا يجب ان يكون من فعل فعلنا واخبار الله اليهود بهذه القصة على لسان رسوله من دلائل نبوته لان منشأه معروف وبعده عن مخالطة الكتابيين معلوم **قوله تعالى** وَاِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَاَنْجَيْنَاكُمْ وَاَغْرَقْنَا اٰلَ فِرْعَوْنَ وَاَنْتُمْ تَنْظُرُونَ اية موضع اذ نصب كما تقدم وهو عطف على ما مضى فكانه قال واذكروا اذ فرقنا بكم البحر و ذلك من جملة نعم الله تعالى التى عددها عليهم مما فعله مع اسلافهم ومعنى فرقنا بكم البحر اى فرقنا بين الماء بين حتى مررتم فيه وكنتم فرقا بينهما والفرق والفصل والقطع نظائر والفرق يقتضى الجمع يقال فرق فرقا وافرق المريض افراقا وافرق الشئ افراقا واستفرق استفراقا وفرقه تفريقا وتفارقا وانفارقا وتفرق تفرقا وتفارقه

كـ البلاء واختلاف الأحوال صحاح

مفارقة

مفارقة وانفرق انفراقا والفرق موضع المفرق من الراس والفرق تفريق ما بين الشيئين والفرق فرجة ما بين شيئين تفرق بينهما فرقا حتى يتفرقا ويفترقا وتقول تفارق هؤلاء الصحبة اى فارق بعضهم بعضا وافرقوا و تقول مشطتها الماشطة كذا وكذا فرقا اى كذا وكذا ضربا والفرق طايفة من الناس قال اعرابى لصبيان رآهم هؤلاء فرق سوء والفرق الطايفة من كل شئ ومن الماء اذا انفرق بعضه عن بعض وكل طائفة من ذلك فرق وقوله فكان كل فرق كالطود العظيم يعنى الفرق من الماء والفريق الطايفة من الناس والفرقة مصدر الافتراق وهو احد ما جاء من المصادر على فعل والفرقان اسم للقرآن وكل كتاب انزل الله فرق به بين الحق والباطل فهو فرقان وسمى الله تعالى التورية فرقانا وقوله يوم الفرقان يوم التقى الجمعان كان يوم بدر ويوم احد فرق الله بين الحق والباطل والفرق هو الفلق والمفرق هو مكيال لاهل العراق والفرق الخوف يقول رجل فروقة وامراة فروقة والفعل فرق يفرق من كذا فرقا وقوله وقرآنا فرقناه مخفف معناه احكمناه كقوله فيها يفرق كل امر حكيم وتقول مفرق ما بين الطرفين وافرق فلان من مرضه افراقا اذا برأ ولا يكون الافراق الا من مرض لا يصيب الانسان الا دفعة واحدة نحو الجدرى والحصبة ونحوها وفرق اذا انفرق عرفه وتيس افرق اذا تباعد طرفا قرنيه ورجل فروقة وكذلك المرأة مثل نسابة وعلامة وجاء مصدر فرقة تفرقة والفرق الذى جاء فى الحديث ما اسكر الفرق فالجرعة منه حرام مكيال يعرف بالمدينة وفرقة من الناس وجمعه فرق واصل الفرق الفصل بين الشيئين والفريقة حلبة تطبخ بتمر للنفساء ونحوها والبحر سمى بحرا وهو انبساطه وسعته ويقال استبحر فلان فى العلم وتبحر الاستبحار اذا اتسع فيه وتمكن فيه ويقال تبحر الراعى فى رعى كثير قال امية الصغير

انفق نضايك فى نفل بحره   من الاباطح واحبسها بجلذان

وتبحر فلان فى الماء ومنه البحيرة طرفية وهى عشرة اميال فى ستة اميال وقيل هى علامة خروج الدجال اذا يبست فلا يبقى منها قطرة ماء وبحرت اذن الناقة بحرا اذا شققتها وهى البحيرة وكانت العرب تفعل ذلك اذا انتجت عشرة ابطن فلا تركب ولا ينتفع بظهرها فنهى الله عن ذلك والسائبة التى تسيب فلا ينتفع منها بظهر ولا لبن والوصيلة فى الغنم كانت اذا وضعت انثى تركت وان وضعت ذكرا اكله الرجال دون النساء وان ماتت الانثى الموضوعة اشتركوا فى اكلها وان ولدت مع الميتة ذكرا حى اتصلت به كانت للرجال دون النساء ويسمونها وصيلة وقد قيل غير ذلك سنذكره فى موضعه ان شاء الله تعالى والباحر الاحمق الذى ليس فى حلمه اذا كلم بقى كالمبهوت وبحرانى منسوب الى البحرين ودم بحرانى وباحر اذا كان خالص الحمرة من دم الجوف والعرب تسمى المالح والعذب بحرا اذا كثر ومنه قوله مرج البحرين يلتقيان يعنى المالح والعذب واصل الباب الاتساع والبحر هو المجرى الواسع الكثير الماء واما المالح فهو الذى لا يروى حافتيه من فى وسطه لعظمه وكثرة مائه فدجلة بحر بالاضافة الى الساقية وليست بحرا بالاضافة الى جيحون ومجرى بحراها ومعنى قوله فرقنا بكم البحر اى جعلناكم بين فرقيه تمرون فى طريق يبس كما قال تعالى فاضرب لهم طريقا فى البحر يبسا وقال واوحينا الى موسى ان اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم وقال بعضهم فى معنى فرقنا يعنى بين الماء وبينكم اى فصلنا بينكم وبينه وحجزنا حيث مررتم فيه وهذا خلاف الظاهر وخلاف ما بينه فى الايات الاخر التى وردت مفسرة لذلك ومبينة لما ليس فيه اختلاف وقوله واغرقنا ال فرعون قال صاحب العين الغرق الرسوب فى الماء ويشبه به الدين والبلوى والتغريق والتغويص والتغييب نظائر والنجاة ضد الغرق كما انها ضد الهلاك يقال غرق غرقا واغرق فى الامر اغراقا وغرقه تغريقا وتغرق تغرقا ورجل غرق وغريق وغرقه السيل واغرقته اذا بلغت به غاية المد فى النفوس والفرس اذا خالط ثم سبقها يقال اغرقها والغرق من اللبن القليل قال ابن دريد غرق يغرق غرقا فى الماء وغرق فى الطيب والمال واصله فى الماء وكثر واستعمل فى غيره وكذلك غرق فى الذنوب واغرق فى الامر يغرق اغراقا اذا جاوز الحد فيه واصله من نزع السهم حتى يخرجه من كبد القوس واغرورقت عيناه شرقت بدمعهما وجمع غريق غرقى واصل الباب الغرق الرسوب فى الماء وقوله وانتم تنظرون قال المفسرون وانتم ترون ذلك وتعاينونه والنظر والبصر والرؤية نظائر فى اللغة يقال نظر ينظر نظرا وانظر ينظر انظارا وانتظر انتظارا واستنظر استنظارا وتناظروا تناظرا وناظره مناظرة قال صاحب العين نظر ينظر نظرا بتخفيف

لبس في حديثه

المصدر

المصدر وتقول نظرت الى كذا من نظر العين ونظرت فى الكتاب ونظرت فى الامر وقول القائل انظر الى الله ثم
ثم اليك معناه انى اتوقع فضل الله ثم فضلك ويقال نظرت بعلى ويقال نظر الدهر اليهم اى اهلكهم قال الشاعر
نظر الدهر اليهم فابتهل   والنظر الاسم من نظر   وقوله لا ينظر اليهم اى لا يرحمهم والمنظور من الناس هو المرجو
فضله ينعت به السيد والنظور الذى لا يغفل عن النظر الى ما اهمه والمناظرة ان تناظر اخاك فى امر نظرتما
فى ذلك وينظر هو فيه كيف تاتيانه والمنظرة موضع فى راس جبل يكون فيه رقيب ينظر منه الى العدو ويحرس
اصحابه والمنظرة منظرة الرجل اذا نظرت اليه اعجبك او ساءك تقول انه لذو منظرة بلا مخبرة والمنظر مصدر
كالنظر والمنظر الشئ الذى يعجب الناظر اليه ويسر به يقول ان فلانا لفى منظر ومسمع وفى رى ومشبع اى فيما
احب النظر اليه ونظار بمعنى انظر فى الامر وناظر العين النقطة السوداء الخالصة الصافية التى فى جوف سواد العين
بها يرى الناظر ما يرى وانسان العين والنظير نظيرك الذى هو مثلك والانثى نظيرة وجمعه نظائر فى الكلام والاشياء ونظرته و
انتظرته بمعنى واحد ويقول انظرنى يا فلان اى استمع الى لقوله لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا ويقول بعت
فلانا فانظرته اى انسأته والاسم النظرة ومنه قوله فنظرة الى ميسرة اى فانتظار واستنظر فلان من النظرة
انما هو سال والنظر توقع امر ينتظره وبفلان نظرة اى سوء هيئة وقوله انظرونا نقتبس من نوركم اى انظرونا
واصل الباب كله الاقبال نحو الشئ بوجه من الوجوه وقال قوم ان النظر اذا كان معه الى لا يحتمل الا الرؤية وحملوا
قوله الى ربها ناظرة على ذلك قالوا لا يحتمل التامل وذلك غلط لانهم يقولون انما انظر الى الله ثم اليك بمعنى
اتوقع فضل الله ثم فضلك وقال الطرماح ابن اسماعيل   واذا نظرت اليك من ملك   والبحر دونك جدتنى نعماء
وقال جميل بن معمر   انى اليك لما وعدت لناظر   نظر الفقير الى الغنى الموسر   وقال اخر   وجوه يوم بدر
ناظرات   الى الرحمن تاتى بالفلاح   واتوا بالى على معنى نظر الانتظار والصحيح ان النظر لا يفيد الرؤية وانما
حقيقته تحديق الجارحة الصحيحة نحو المرئى طلبا لرؤيته ولو افاد الرؤية لما جعل غاية لنفسه الا تراهم يقولون ما زلت
انظر اليه ولا يقولون ما زلت اراه حتى رايته ولانهم يثبتون النظر وينفون الرؤية يقولون نظرت اليه فلم اره
ولا يقولون رايته فلم اره فاذا ثبت هذا فالاولى ان نقول ان تاويل الاية واغرقنا آل فرعون وانتم مقبلون عليهم
متوقعون له وقال الفراء قد كانوا فى شغل من ان ينظروا مستورين بما اكتنفهم من البحر من ان يروا فرعون وغرقه
ولكنه كقولك قد ضربت واهلك ينظرون فما اتوك ولا اعانوك ومعناه وهم قريب بمراى ومسمع ومثله قوله
الم تر الى ربك كيف مد الظل وليس ههنا رؤية وانما هو علم لان الرؤية تستعمل فى مثل ذلك يقول القائل رايت
فرعون اعتى الخلق واخبثه وهذا الذى ذكره الفراء محتمل مليح غير انه مخالف لقول المفسرين كلهم فانهم لا
يختلفون ان اصحاب موسى راوا انفراق البحر والتطام امواجه بآل فرعون حتى غرقوا فلا وجه للعدول عن
الظاهر مع احتماله ولانهم اذا عاينوا ذلك كانوا اشد فى قيام الحجة واعظم فى ظهور الاية وذكر الزجاج وجها
اخر قال معناه وانتم بازائهم كما يقول القائل دور آل فلان الى دور آل فلان اى هى بازائها لا انها لا تبصر وقصة
فرعون مع بنى اسرائيل فى البحر ولا نعلم جملة ما قال ابن عباس ان الله اوحى الى موسى ان اسر بعبادى انكم
متبعون فسرى موسى ببنى اسرائيل ليلا فاتبعه فرعون فى الف الف حصان سوى الاناث وكان موسى فى ستمائة الف
فلما عاينهم قال ان هؤلاء لشرذمة قليلون وانهم لنا لغائظون وانا لجميع حاذرون فسرى موسى ببنى اسرائيل
حتى هجموا على البحر فالتفتوا فاذا هم برهج دواب فرعون فقالوا يا موسى اوذينا من قبل ان تاتينا ومن بعد ما جئتنا
هذا البحر امامنا وهذا فرعون قد رهقنا بمن معه قال عسى ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم فى الارض فينظر كيف
تعملون قال فاوحى الله الى موسى ان اضرب بعصاك البحر واوحى الى البحر ان اسمع لموسى واطع اذا ضربك قال فبات
البحر له افكل اى له رعدة لا يدرى من اى جوانبه يضربه قال فقال يوشع لموسى بماذا امرت قال امرت ان اضرب
البحر قال فاضربه فضرب موسى البحر بعصاه فانفلق فكان اثنا عشر طريقا كل طريق كالطود العظيم فكان لكل سبط
منهم طريق ياخذون فيه فلما اخذوا فى الطريق قال بعضهم لبعض ما لنا لا نرى اصحابنا قالوا لموسى اصحابنا لا
نراهم فقال لهم سيروا فانهم على طريق مثل طريقكم فقالوا لا نرضى حتى نراهم فقال ان موسى قال اللهم

اعنى على اخلاقهم السيئة فاوحى الله اليه ان قل بعصاك هكذا يمينا وشمالا فانفتح فيها كوى ينظر بعضهم الى بعض
قال ابن عباس فساروا حتى خرجوا من البحر فلما جاز آخر قوم موسى هجم فرعون هو واصحابه وكان فرعون على فرس
ادهم ذنوب حصان فلما هجم على البحر هاب الحصان ان يقتحم على البحر فتمثل له جبرئيل على فرس انثى وديق فلما راها
الحصان تقحم خلفها وقيل لموسى اترك البحر رهوا اى طرقا على حاله ودخل فرعون وقومه البحر فلما دخل آخر قوم
آل فرعون وجاز آخر قوم موسى انطبق البحر على فرعون وقومه فاغرقوا ويقال نادى فرعون حين راى من
سلطان الله وقدرته ما راى وعرف ذله وخذلته نفسه لا اله الا الذى آمنت به بنوا اسرائيل وانا من المسلمين فان
قيل كيف لم يسو الله بين الخلق فى هذه الآيات الباهرات التى اعطيها بنو اسرائيل لتكون الحجة اظهر والشبهة ابعد
قيل الآيات يظهرها الله على حسب ما يعلم من المصلحة فى ذلك وعلى حد لا ينتهى الى الالجاء والاضطرار وخولف بين
الآيات لهم على قدر حدة اذهان غيرهم وكلالة اذهانهم يدل على ذلك انه بعد مشاهدة هذه الآيات قالوا يا موسى
اجعل لنا الها كما لهم آلهة ولما كانت العرب من احد الناس اذهانا واجودهم اوهاما جاءت الآيات مشاكلة لطباعهم
ومجانسة لحدة اذهانهم وفى الجميع الحجج الباهرة والآيات القاهرة وليس يمكن ان يقال انه لو ظهر لهم مثل تلك الآيات
لآمنوا الا انه لا على وجه لا يكونون ملجئين اليه لان ذلك لو كان معلوما لاظهره الله تعالى فلما لم يظهرها الله
علمنا انه لم يكن ذلك معلوما وموسى عليه السلام لم يكن محتاجا الى المعارف لمشاهدة هذه الآيات لانه كان يتقدم له
الايمان بالله ومعرفته وقوله واغرقنا آل فرعون وان لم يكن فى ظاهره انه اغرق فرعون فهو دال عليه وكانه
قال واغرقنا آل فرعون وفرعون معهم وانتم تنظرون فاختصر لدلالة الكلام عليه لان الغرض مبنى على اهلاك
فرعون وقومه ونظيره قول القائل دخل جيش الامير البادية فان الظاهر من ذلك ان الامير معهم **قوله تعالى**
وَاِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى اَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَاَنْتُمْ ظَالِمُونَ آية قرأ وعدنا بغير الف اهل البصرة
وابو جعفر ههنا وفى الاعراف وطه وقرأ الباقون بالف قبل العين وقرأ ابن كثير وحفص والبرجمى ورويس اتخذتم
واخذتم وما جاء منه باظهار الذال وافقهم الاعشى فيما كان على وزن افتعلتم وافتعلت والباقون بالادغام حجة من
قرأ باثبات الالف ان الله على وعده وقبول موسى كانه اذا حسن فى مثل قوله اخلفوا الله ما وعدوه الاخبار
كان فى هذا الاخبار واحد عدنا ومن قرأ بالالف قال هو اشد مطابقة للمعنى اذ القبول ليس بوعد فى الحقيقة اذ الوعد
انما هو اخبار الموعود بما يفعل به من خير وعلى هذا قوله اخلفوا الله ما وعدوه مجاز حقيقته بما اخبروه انهم فاعلوه
وقال جماعة من اهل العلم ان المواعدة فى الحقيقة لا تكون الا من البشر والله تعالى هو المتفرد بالوعد والوعيد كما قال
تعالى واذ يعدكم الله احدى الطائفتين وقال وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات فى القراءتان جميعا حسنتان
قويتان واذ معطوفة على الآيات المتقدمة كانه قال واذكروا اذ وعدنا وبينا وجه الحسن فيه فالوعد والعدة والموعد
والميعاد نظائر والوعد فى الخير والوعيد فى الشر يقال وعده وعدا واوعده ايعادا وواعده مواعدة و
تواعدوا تواعدا واتعد اتعادا وتوعد توعدا فى الشر خاصة قال صاحب العين الوعد والعدة مصدران
ويكونان اسمين فاما العدة فتجمع على العدات والوعد لا يجمع والموعد موضع التواعد وهو الميعاد ويكون
الوعد مصدر وعدته ويكون الموعد وقتا للعين والموعدة اسم العدة والميعاد لا يكون الا وقتا او موضعا
والوعيد من التهدد تقول اوعدته المكان وعدة ويقال ايضا وعدته من الشر كقوله النار وعدها الله الذين كفروا
وتوعد الفحل اذا هم ان يصول واصل الباب الوعد الذى هو الخبر بانه سيفعل بالمخبر خيرا او شرا وقال احمد بن
يحيى تقول اوعدته وتسكت او تجيئ بالباء تقول اوعدته بالشر ولا تقول اوعدته الشر وموسى اسم مركب
من اسمين بالقبطية فمو هو الماء وسى شجر وسمى به لان التابوت الذى كان فيه موسى وجد عند الماء والشجر وجده
جوارى آسية امرأة فرعون وقد خرجن ليغتسلن فسمى بالمكان الذى وجد فيه وهو موسى بن عمران بن يصهر بن
قاهث بن لاوى بن يعقوب اسرائيل الله وقال اربعين ليلة ولم يقل يوما على عادة العرب فى التاريخ بالليالى
لان الاهلة تطلع فيها واعتمادهم على الاهلة وقال الاخفش وعدنا تمام اربعين ليلة وانقضاء اربعين ليلة
كقولك اليوم اربعون يوما منذ خرج فلان واليوم يومان اى تمام يومين وقال غيره الاربعون كلها داخلة

فى الميعاد قال ابو العالية واعدنا موسى اربعين ليلة يعنى ذى القعدة وعشرا من ذى الحجة وقال غيره ذا الحجة و
عشرا من المحرّم وذلك حين خلف موسى اصحابه واستخلف عليهم هرون فمكث على الطور اربعين ليلة وانزل عليه
التوراة فى الالواح وعن الربيع نحوه وقال الطبرى لا يجوز ما قاله الاخفش لانه خلاف ظاهر التلاوة وما جاءت
به الرواية قال الرمانى هذا غلط الظاهر انّ الوعد لا يتصل وقوعه فى الاربعين كلها اذ كان الوعد هو الخبر
الموعود بما فيه النفع فلم يكن ذلك الخبر فى طول تلك المدة فلا بد على ذلك ان يكون التقدير على ما قاله الاخفش
انقضاء او وعدناه اقامة اربعين ليلة للمناجاة او غيبة اربعين ليلة عن قومه للمناجاة وما اشبه ذلك من التقدير
قال ابو على لا يخلو ان يكون اربعين ظرفا او مفعولا ثانيا ولا يجوز ان يكون ظرفا لان الوعد ليس فيها كلها
فيكون جواب كم ولا فى بعضها فيكون جوابا لمتى فاذا لم يكن ظرفا كان منتصبا بوقوعه موقع المفعول الثانى
فيكون تقديره وعدنا موسى انقضاء اربعين ليلة او تتمة اربعين ليلة فحذف المضاف كما تقول اليوم خمسة
عشر من الشهر اى تمامه والاربعة عدد تزيد على الثلاثة وتنقص عن الخمسة يقال ربع يربع ربعا وربع تربيعا
وتربع تربعا وارتبع ارتباعا تقول ربعت القوم واذا رابعهم والرابع من الورد وهو ان تحبس الابل عن الماء
اربعة ايام ثم ترد يوم الخامس وربعت الحجر نبذى ربعا اذا رفعته عن الارض بيدك وارتبعت الحجر كذلك و
ربعت الوتر اذا جعلته اربع طاقات وتقول اربع على ظلعك واربع على نفسك واربع عليك كل ذلك واحد بمعنى
انتظر والربع المنزل والموطن والربع الفصيل الذى نتج فى الربيع وما نتج بالصيف يقال له هبع وفى المثل
ما له هبع ولا ربع ورجل ربعة ومربوع ليس بطويل ولا قصير والربعة الجونة والمرباع كانت العرب اذا غزت
اخذ رئيس القوم ربع الغنيمة والباقى بينهم واول الاسنان الثنايا ثم الرباعيات وهى اربعة ثنتان من تحت
وثنتان من فوق والواحد رباعية واربع الفرس اذا القى رباعيته من السنة الاخرى والجمع الربع والربعة هى
البيضة من السلاح ويقال ربعت الارض فهى مربوعة من التربيع وارتبع القوم اذا اصابوا ربيعا وحم ربع ما لى يوم
الرابع والمربعة خشبة تشال بها الاحمال وتوضع على الابل والربع الباهر ورجل مربوع ومربع اذا اخذته حمى الربع
والربيع حظ من الماء للارض ربع يوم او ربع ليلة يقال لفلان فى الماء ربيع وربع المال جزء من اربعة ويقال له
ربيع ولم يتجاوز العرب فى هذا المعنى الثمين وقال بعضهم التسيع والعشير والاول اظهر واصل الباب الاربعة من
العدد والاربعة تجرى تارة على نفس العدد واخرى على المعدود فاذا اجريته على العدد قلت اربعة اثواب واذا
اجريته على المعدود قلت اثواب اربعة وليلة وعشية ومساء ونظائره ويقال يوم وليلة على طريق النقيض قال صاحب
العين الليل ضد النهار والليل ظلام الليل والنهار الضياء فاذا افردت احدهما من الآخر قلت ليلة ويوم وتصغيرها
لييلة اخرجوا الياء الاخيرة من مخرجها فى الليالى يقول بعضهم انما كان بناؤها ليلاة فقصر يقولون هذه ليلة
ليلاء اذا اشتدت ظلمتها قال الكميت وليلهم الاليل هذا لضرورة الشعر وفى الكلام ليلاء والليلة الوقت من
غروب الشمس الى طلوع الفجر الثانى اليوم من طلوع الفجر الثانى الى غروب الشمس قال ابو زيد اتخذنا ما لا نتخذه
اتخاذا وتخذت اتخذ تخذا قال ابو على اتخذ افتعل ومنه تخذت قال الله تعالى لو شئت لتخذت عليه اجرا
وتخذت لا يتعدى الا الى مفعول واحد واتخذت تارة يتعدى الى مفعول واحد وتارة الى مفعولين فتعديه
الى مفعول واحد مثل قوله يا ليتنى اتخذت مع الرسول سبيلا ومثل قوله واتخذوا من دون الله آلهة وتعديه
الى مفعولين مثل قوله تعالى اتخذوا ايمانهم جنة وقوله لا تتخذوا عدوى وعدوكم اولياء وقوله واتخذتموهم
سخريا ومن ادغم فلقرب مخرج الذال من مخرج التاء ومن لم يدغم فلان مخرجهما متغاير والعجل والثور والبقرة
نظائر الا ان العجل هو البقرة الصغيرة ويقال عجل وعجول واشتقاقه من عجل يعجل عجلة واعجله اعجالا واستعجل
استعجالا وتعجل تعجلا وعجل تعجيلا وعاجله معاجلة وتعاجلوا تعاجلا ورجل عجل وعجل العتان وتقول استعجلت
فلانا اى حثثته واعجلت فلانا اعجله اعجالا وتعجلت خراجه اى كلفته ان يعجله ورجل عجلان وامرأة عجلى وقوم
عجال ونسوة عجال والعجال الابل والعجل عجل الثيران والواحدة عجلة ويجمع على الاعجال والعجالة ما تعجلت
من شيء والعجالة طعام الراكب الذى لا يحسن طبخه ويقال هو تمر ولبن والعجلة الاداوة الصغيرة وهى المطهرة

والجمع

والجمع العجال والعاجلة نقيض الآجلة يعنى الدنيا والآخرة والعاجل نقيض الآجل عام فى كل شيء يقول عاجل وآجل
والعجل ولد البقرة وجمعه عجاجيل ويقال عجول والانثى عجولة وقوله خلق الانسان من عجل قيل ان آدم حين
بلغ الروح منه الى الركبتين هم بالنهوض قبل ان تبلغ القدمين فقال الله تعالى خلق الانسان من عجل والرثنا آدم
العجلة والعجل الطين من غير الخليل والعجل خشب يؤلف شبه المحفة يحمل عليه الاثقال وجمعه عجال وصاحبه
عجال واصل الباب العجل الذى هو الاسراع والعجلة والسرعة والخفة نظائر ونقيض العجلة التأنى ونقيض السرعة
الابطاء وبعد نقيض قبل تقول كان هذا بعد هذا وتقول بعد بعدا وابعده الله ابعادا وتباعد تباعدا وتباعد
باعده مباعدة واستبعده استبعادا وبعده تبعيدا وتبعد تبعدا قال صاحب العين بعد لما يكون على اثر الشيء
اذا كان قد مضى فاذا افردوا قالوا هو من بعد كقوله تعالى لله الامر من قبل ومن بعد وتقول بعدا وسحقا ويقرأ باعد
بين اسفارنا وبعّد بمعنى واحد والابعد نقيض الاقرب والجمع اباعد واقارب ويقرأ بعدت ثمود وبعدت ثمود
ومعناهما واحد الا انهم يقولون بعد الرجل وابعده الله والبعد من اللعن يقول ابعده الله اى لا يرثى له مما
نزل به وقال ابن دريد البعد ضد القرب وبعد ضد قبل وسمع ابو زيد العرب يقول فلان غير بعيد وغير بعد
اصل الباب البعد نقيض القرب ومعنى قوله ثم اتخذتم العجل من بعده وانتم ظالمون اى اتخذتموه الها لان بنفس
فعلهم لصورة العجل لا يكونون ظالمين لان فعل ذلك ليس بمحظور وانما هو مكروه وما روى عن النبى صلى الله عليه
لعن المصورين معناه من شبه الله بخلقه او اعتقد فيه انه صورة فلذلك قدر الحذف فى الآية كانه قال اتخذتموه
الها وذلك انهم عبدوا العجل بعد موسى لما قال لهم السامرى هذا الهكم واله موسى فنسى اى ترك الهكم ومضى
ناسيا وقيل بل معنى فنسى اى غفل عما يجب عليه من عبادة الله وكان سبب عبادتهم العجل ما ذكره ابن عباس ان
السامرى كان رجلا من اهل باكرم وكان من قوم يعبدون البقر وكان يحب عبادة البقر فى نفسه وكان قد اظهر
الاسلام فى بنى اسرائيل فلما قصد موسى الى ربه خلف هرون فى بنى اسرائيل قال لهم هرون انكم تحملتم اوزارا من
زينة آل فرعون وامتعة وحلى فتطهروا منها فانها نجس واوقد لهم نارا وقال لهم اقذفوا ما كان معكم فيها فجعلوا
يأتون بما كان معهم من تلك الامتعة وذلك الحلى فيقذفون به فيها حتى اذا انكسر الحلى ورأى السامرى اثر فرس
جبرئيل فاخذ ترابا من اثر حافره ثم اقبل الى النار فقال لهرون يا نبى الله القى ما فى يدى قال نعم ولم يظن هرون الا
انه كبعض ما جاء به غيره من الحلى والامتعة فقذفه فيها وقال كن عجلا جسدا له خوار وكان البلاء والفتنة وقال
هذا الهكم واله موسى فعكفوا عليه واحبوه حبا لم يحبوا مثله قط وسمى العجل عجلا ماخوذ من التعجيل لانهم استعجلوه
كالعجل فى الشيء وقال ابو العالية انما سمى العجل عجلا لانهم عجلوا فاتخذوه قبل ان يأتيهم موسى وقال الحسن
صار العجل لحما ودما وقال غيره لا يجوز لان ذلك من معجزات الانبياء ومن وافق الحسن قال ان القبضة من اثر
الملك كان الله قد اجرى العادة بانها اذا طرحت على اى صورة كانت حيت فليس ذلك بمعجزة اذ سبيل السامرى
فيه وسبيل غيره سواء ومن لم يجز انقلابه حيا تاول الخوار على ان السامرى جعل فيه خروقا فدخلها الريح فحدث
فيه صوت كالخوار وانما قال وانتم ظالمون يعنى ظالمى انفسهم اذ ادخلوا عليها الضرر بما يستحقون على عبادته
من العقوبة والظلم وقد يكون للنفس وقد يكون للغير وانما وصفوا بانهم اتخذوا العجل الها وهى صفة ذم لهم
بما لم يفعلوا لرضاهم بما كان عليه اسلافهم وسلوكهم طرائقهم فى المخالفة لامر الله والذم على الحقيقة على
افعالهم فان كان اللفظ على افعال اسلافهم فاخرج اللفظ مخرج من كانهم فعلوا ذلك لسلوكهم فاخر تلك الطرق
وعدولهم الى المخالفة فالذم متعلق بما كان منهم فى الحقيقة فان قيل هل هذا الميقات هو الميقات فى قوله و
واعدنا موسى ثلثين ليلة واتممناها بعشر قيل قال ابو على وابو بكر بن اخشاذ واسمه احمد بن على ان هذا ذاك
وفى الناس من قال هو غيره والاول اظهر وانما ذكر الثلثين واتمها بعشر والاربعين قد تكمل بعشرين وعشرين
لان الثلثين اراد بها ذا القعدة وذا الحجة فذكر هذا العدد لمكان الشهر ثم ذكر ما يتم به العدد اربعين ليلة
وانما قال اربعين ليلة ولم يقل اربعين يوما لتضمن الليالى الايام على قول المبرد ومعنى ذلك انه اذا ذكرت
الليالى دخلت فيها الايام وليس اذا ذكرت الايام دخلت الليالى فيها هكذا هو الاستعمال والصحيح ان العرب

كانت

كانت تراعى في حسابها الشهور والايام والاهلة فاول الشهر الليالى ولذلك ارخت بالليالى وغلبتها على الايام
ولذ للمضارت الايام تابعة لليالى واكتفى بذكر الليالى من الايام فقيل لعشر خلون ولم يقولوا العشرة لانه جرى على
ماجرى على الليالى واتخذ قال الرمانى وزنه افتعل واصله ايتخذ فقلبت الياء تاء وادغمت فى التاء التى بعدها
وقال ابو على تخذ وليس من اخذت لان الهمزة لاتبدل من الياء ولاتبدل الياء منها واتخذت لايكون افتعلت من
اخذت ويكون ابدلت الهمزة ياء ثم ادغمت فى التاء كما قالوا اتزر للجزر وهو من الميسر لانه لايجوز على قول اصحابنا
لاختلاف الحرفين وفائدة الاية التعجب من قولهم اذ كانوا فى مقدار هذه المدة اليسيرة لغيبة موسى عنهم اتخذوا العجل
الها وادغام الذال عند التاء جايز وتركه ايضا كذلك جايز قوله تعالى ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ
اية بلا خلاف قيل فى معنى ما وقع العفو عنهم بقوله ثم عفونا عنكم قولان احدهما انا تركنا معاجلتكم بالعقوبة
من بعد اتخاذكم العجل الها والاخر عفونا عنكم بقبول التوبة من عبادة العجل والعفو والصفح والمغفرة والتجاوز
نظائر والمغفرة نقيض العقوبة ويقال عفا عفوا واعفاه اعفاء واستعفى استعفاء وعفى تعفية وعافاه
معافاة وتعفى تعفيا وتعافى تعافيا واعتفاه اعتفاء والعفو احل المال واطيبه والعفو المعروف والعفاة
طلاب المعروف وهم المعتفون تقول اعتفيت فلانا اذا طلبت معروفه وفضله والعافية من الطير والدواب طلاب
الرزق اسم جامع لها ومنه قوله عم من غرس شجرة مثمرة فما اكلت العافية منها كتب له صدقة والعافية دفاع الله
عن العبد يقول عافاه الله من مكروه وهو يعافيه معافاة والاستعفاء ان تطلب الى من كلفك امرا ان يعفيك
منه وعفى الشئ اذا كثر واعفيته اذا اكثرته قال تعالى حتى عفوا ومنه اعفاء اللحية اكثارها وعفى درس يقال
اخذ من فلان ماعفا وصفا والعفا التراب تقول بعفيه العفا وعليه العفا والعفا الدروس قال زهير
على اثارها ذهب العفاء ومنه عفت الديار والريح تعفو الديار عفاء وعفوا وتعفت الدار والاثر تعفية تعفيا
والعفوة والعفوة والعفوة والجمع العفو وهى الحمر الافتاء والفتيات والعفاء ما كثر من الوبر والريش وناقة
ذات عفاء كثيرة الوبر طويلة والعفو ولد الاتان الوحشية واصل الباب الترك ومنه قوله فمن عفى له من اخيه
شئ اى من ترك له وعفو الشئ صفوه ومعنى لعلكم فى الاية لكى تشكروا وقيل معناه التعريض كانه قال عرضناكم
للشكر وقوله من بعد ذلك وان كان اشارة الى الواحد فمعناه الجمع وانما كان ذلك كذلك لان ذا اسم مبهم
مرة ياتى على الاصل ومرة ياتى على مشاكلة اللفظ اذ كان لفظ المبهم على الواحد وان كان معناه الجمع على انه قد
يخاطب بلفظ الواحد ويراد به الجمع كقوله يا ايها النبى ثم قال اذا طلقتم النساء وقوله من بعد ذلك اشارة الى
اتخاذهم العجل الها وقوله لعلكم تشكرون فالشكر هو الاعتراف بالنعمة مع ضرب من التعظيم وقال الرمانى الشكر
هو الاظهار للنعمة والصحيح هو الاول لانه قد يظهر النعمة من لايكون شاكرا لها والفرق بين الشكر والمكافاة ان
المكافاة من التكافؤ وهو التساوى وليس كذلك الشكر فهى مكافاة النعمة دلالة على انه قد استوفى حقها وقد
يكون الشكر مقصرا عنها وان كان ليس على المنعم عليه اكثر منه الا انه كلما ازداد من الشكر حسن له الازدياد وان
لم يكن واجبا لان الواجب لايكون لامتناهيا وذلك كالشكر لنعم الله لو استكثر غاية الاستكثار لم يكن لينتهى
الحد لايجوز له الازدياد لعظم نعم الله عز وجل وصغر شكر العبد ويقال شكر شكرا وشكورا وتشكر تشكرا و
الشكور من الدواب مايكفيه قليل العلف لسمنه والشكور من الحيوانات التى تصيب حظا من بقل ومرعى فيغزر لبنها
بعد قلة يقال اشكر القوم اذا نزلوا منزلا فاصابت نعمهم شيئا من بقل فدرت عليه وانهم ليحلبون شكرة بجزم
الكاف وقد شكرت الحلوبة شكرا والشكير شعر ضعيف ينبت خلال الشعر وكذلك ماينبت من ساق الشجر قضبان
تخرج غضة بين قضبان عاسية يقال له الشكر واشكر ضرع الناقة اذا امتلأ لبنا والشكر بضع المرأة واصل الباب
الظهور ولايستحق الكافر الشكر على وجه الاجلال والانعام والكافر لايستحق كذلك وانما يجب له مكافاة نعمته
كما يجب قضاء دينه على وجه الخروج اليه من غير تعظيم له ويسمى ذلك شكرا والشكر لايستحق الا على نعمة ومعنى
قولنا فى الله انه غفور شكور انه يجازى العبد على طاعاته من غير ان ينقصه شيئا من حقه فجعل المجازاة على الطاعة
شكرا فى مجاز اللغة ولايستحق الانسان الشكر على نفسه لانه لايكون منعما على نفسه كما لايكون مقرضا لنفسه والنعمة

والشكير ما نبت من القضبان الرخصة بين العاسية (قاموس)

تقتضى منعما غير المنعم عليه كما ان القرض يقتضى مقرضا غير المقرض وقد يصح ان يحسن الى نفسه كما يصح ان يسئ
اليها لان الاحسان من المحسن فاذا فعل بها فعلا حسنا ينتفع به كان محسنا اليها بذلك الفعل واذا فعل بها فعلا
قبيحا كان مسيئا اليها والشكر متعلق فى الاية بعفو الله عنهم ونعمه عليهم كانه قال لتشكروا الله على عفوه عنكم
وساير نعمه عليكم قوله تعالى وَاِذْ اٰتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ اية قوله واذ عطف على ما
مضى من التذكير بنعمه فكانه قال واذكروا اذ اتينا موسى الكتاب لان اذ اسم للوقت الماضى واذا للوقت المستقبل
وكذلك تستعمل فى الجزاء لان الجزاء لايكون الا بالمستقبل كقولهم ان تاتنى اتك ولو تشبه الجزاء من حيث انه لابد لها
من الجواب كما لابد لحرف الجزاء من الجواب وقوله واتينا موسى الكتاب معناه اعطيناه والكتاب يريد به التورية
واما الفرقان فقال الفراء وقطرب وثعلب يحتمل ان يكون اتى موسى كتاب التورية ومحمدا الفرقان كما قال الشاعر
متقلدا سيفا ورمحا وضعف قوم هذا الوجه لان فيه حمل القران على المجاز من غير ضرورة مع انه تعالى اخبر انه
اتى موسى الفرقان فى قوله ولقد اتينا موسى وهرون الفرقان وضياء وقال الفراء هو كلام مثنى يراد به
التورية وكرر لاختلاف اللفظين كقولهم بعدا وسحقا وهما بمعنى واحد قال الرمانى هذا المثال لايشبه الاية
لانه جمع الصفتين لموصوف واحد على معنيين متفقين والاولى ان يمثل بقولهم هو العالم الكريم فجمع الصفتان
لموصوف واحد على معنيين مختلفين وقال عدى بن زيد وقدمت الاديم لراهشيه والفى قولها كذبا و
مينا وقال قوم الكتاب التورية والفرقان انفراق البحر لبنى اسرائيل والفرج الذى اتاهم كما قال يجعل لكم فرقانا
اى مخرجا وقال بعضهم الفرقان الحلال والحرام الذى ذكره فى التورية وروى عن ابن عباس وابى العالية ومجاهد
ان الفرقان الذى ذكره هو الكتاب الذى اتاه يفرق فيه بين الحق والباطل وقال ابن زيد الفرقان النصر الذى فرق
الله به بين موسى وفرعون كما فرق بين محمد صلى الله عليه وآله وبين المشركين كما قال يوم الفرقان يوم التقى الجمعان وقال ابو مسلم
هو ما اوتى موسى من الايات والحجج التى فيها التفرقة بين الحق والباطل وقوله لعلكم تهتدون اى لكى تهتدوا وقد
بيناه فيما مضى وفيه دلالة على انه تعالى اراد ان يهتدوا لان هذه اللام لام الغرض وذلك يفسد قول المجبرة انه اراد
منهم الكفر فان قيل كيف يهتدون بما اوتى موسى من البيان وما اوتى فى التورية من البرهان مع انقطاع النقل الذى
يقوم به الحجة قيل الجواب عنه من وجهين احدهما ان الخطاب لاسلافهم كما قال واذ فرقنا بكم البحر فانجيناكم واغرقنا
ال فرعون وانتم تنظرون والثانى ان فى اخبار الرسول لهم مايقوم به الحجة عليهم فيمكنهم ان يستدلوا بذلك على
ما انعم الله به على اسلافهم ولانهم مقرون بان موسى عم اوتى التورية بما فيها من الهدى والبينات فيقوم الحجة
عليهم باقرارهم قوله تعالى وَاِذْ قَالَ مُوسٰى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ اَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا اِلٰى بَارِئِكُمْ
فَاقْتُلُوا اَنْفُسَكُمْ ذٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ اِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ اية بلا خلاف بارئكم اسكن
الهمزة فيها ابو عمرو الا المعدل وسجادة من طريق الجرمى وابن مجاهد فكلهم خففوا الهمزة فيها الا ابا طاهر عن ابن
مجاهد عن اسمعيل فانه قلبها ياء والتقدير واذكروا ايضا اذ قال موسى لقومه يا قوم انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل
وظلمهم اياها كان فعلهم بها ما لم يكن لهم ان يفعلوه بما يستحق به العقاب وكذلك كل من فعل فعلا يستحق به العقاب
فهو ظالم لنفسه وقد بينا معنى التوبة فيما مضى واما قوله الى بارئكم فالبارئ هو الخالق الصانع يقال برءه و
استبراه استبراء وتبرأ تبريا وباراه مباراة وبرأه براءة وتبرئة قال صاحب العين البرأ مهموز وهو الخلق يقول براه الله
الخلق وهو يبروهم وهو البارى وقال امية الخالق البارئ المصور فى الارحام ماء حتى يصير دما
والبرؤ السلامة من السقم تقول برأ يبرؤه وبرئت وبروت براءة وتبرأ الغير فى هذا والبراءة من العيب والمكروه
لايقال منه الا برئ برأ وفاعله برئ كما ترى وفلان برئ وبراء كقوله انى براء وامرأة براء ونسوة براء وبرآء على وزن
فعلاء ومنه قوله انا برآء منكم جمع برئ ومن ترك الهمزة قال براء على وزن فعال ويقول بارات الرجل اى برئت اليه
وبرئ الى مثل ذلك وبارات المراة اى صالحتها على المفارقة وابرات الرجل من الضمان والدين وبرأته تبرئة و
يقال ابرأ الله فلانا من المرض براء حسنا والاستبراء استبراء الجارية والمراة بان لايطاها حتى تحيض والاستبراء انقاء
الفرج من القذر واصل الباب تبرى الشئ من الشئ وهو انفصاله منه وبرأ الله الخلق اى فطرهم فانهم انفصلوا من

العدم الى الوجود والبرية الخلق فعيلة بمعنى مفعول لا يهمز كما لا يهمز ملك وان كان اصله من الالوكة وقيل البرية مشتقة من البراوة وهو التراب فلذلك لم تهمز وقيل انه ماخوذ من بريت العود فلذلك لم يهمز والبرئة من الشىء المفارقة والمباعدة عنه وبرئ الله من الكافر باعده عن رحمته وانواع الفعل كثيرة منها الخلق والانشاء والارتجاع والبرء والفطر وهما الاحداث والايجاد والتكوين فكالفعل والجعل اعم من الفعل لانه لما وجد بعد ان لم يكن كقولك جعلت الطين خزفا فلم يحدث الخزف فى الحقيقة وانما احدث ما صار خزفا وقوله فاقتلوا فالقتل والذبح والموت نظاير وبينها فرق فالقتل نقض بنية الحيوة والذبح فرى الاوداج والموت عند من اثبته معنى عرض يضاد الحيوة يقال قتل يقتل قتلا واقتتلوا اقتتالا وتقاتلوا تقاتلا واستقتل استقتالا وقتل تقتيلا وقاتله مقاتلة وقوله تعالى قاتلهم الله معناه لعنهم الله وقوم اقتال اى هم اهل الوتر والترة اى هم اعداء وتراة ويقول تقتلت الجارية للفتى يصف به العشق وقال الشاعر تقتلت لى حتى اذا ما قتلتنى تنسكت ما هذا بفعل النواسك

(تمسكت خ)

واقتل فلان فلانا اذا عرضه للقتل والمقتل من الدواب الذى قد ذل ومرن على العمل وقلب مقتل اى قتل عشقا ومنه قول امرء القيس فى اعشار قلب مقتل قال ابن دريد قتلت الخمر بالماء اذا مزجتها قال الشاعر حسان

ان التى ناولتنى فرددتها قتلت قتلت فهاتها لم تقتل

ونقتل الرجل لحاجته اى يأتى لها ويقتل الرجل للمرأة اذا خضع لها فى كلامه وقتل الرجل عدوه والجمع اقتال وفلان قتل فلان اى نظيره وابن عمه وقتله قتلة سوء واقتتلوا بمعنى تقاتلوا ومثله قتلوا قال ابو النجم تدافع الشيب لم يقتل وناقة ذات قتال وذات كتال اذا كانت غليظة وثيقة الخلق فى المثل قتلت ارض جاهلها وقتل ارضا عالمها ومقاتل الانسان هى التى اذا اصيبت قتلت واصل الباب القتل وهو نقض البنية التى يصح معها الحيوة وقال المبرد واصله اماتة الحركة وقوله قاتلهم الله انى يؤفكون اى قد حلوا محل من يقال له هذا القول اى انزل الله بهم القتل ويقول قتله علما اذا ايقنه وتحققه وقوله فاقتلوا انفسكم قيل فى معناه قولان احدهما يقتل بعضكم بعضا ذهب اليه ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد والحسن وغيرهم من اهل العلم كما يقول القائل قتل آل فلان اذا قتل بعضهم بعضا والثانى ذكره ابن عباس واسحق واختاره ابو على وهو ان يستسلموا للقتل فجعل استسلامهم للقتل قتلا منهم لانفسهم على وجه التوسع وقيل ان السبعين الذين اختارهم موسى للميقات امروا بالقتل لمن سأل الرؤية من بنى اسرائيل وقيل انهم قتلوا انفسهم كما امروا وعمدوا الى الخناجر وجعل بعضهم يطعن بعضا قال ابن عباس وغيره من اهل العلم ويقال غشيتهم ظلمة شديدة فجعل بعضهم يقتل بعضا ثم انجلت الظلمة فاجلوا عن سبعين الف قتيل والسبب الذى لاجله امروا بقتل انفسهم ذكره ابن جريج ان الله علم ان ناسا منهم علموا ان العجل باطل فلم يمنعهم ان ينكروا التخوف لقتل فلذلك ابتلاهم الله ان يقتل بعضهم بعضا وقال الرمانى ولا بد ان يكون الامر فى القتل لطفا لهم ولغيرهم كما يكون فى استسلام القاتل لطف له ولغيره فان قيل كيف يكون فى قتلهم نفوسهم لطفهم وبعد القتل لا تكليف عليهم واللطف لا يكون لطفا فيما مضى ولا فيما يقارنه قلنا اذا كان القوم كلفوا ان يقتل بعضهم بعضا وكل واحد منهم يقصد قتل غيره ويجوز ان يبقى بعده فيكون القتل لطفا له فيما بعد ولو كان بمقدار زمان يفعل فيه واجبا واحدا ويمتنع فيه من قبيح وذلك كما نقول فى عادتنا فى قتال المشركين فان الله تعالى تعبدنا ان يقاتل حتى نقتل ونقتل ومدح على ذلك فلذلك دوى ان اهل السيران الذين عبدوا العجل تعبدوا ان يقاتلوا من لم يعبد ويصبروا على ذلك حتى يقتل بعضهم بعضا وكان القتل شهادة لمن قتل وتوبة لمن بقى وانما كانت تكون شبهة لو امروا بان يقتلوا نفوسهم بايديهم ولو صح ذلك لكان لا يمتنع بان يكونوا امروا بان يفعلوا بنفوسهم الجراح التى تفضى الى الموت وان لم يزل معها العقل فيبقى فى التكليف واما على القول الآخر وهو انهم امروا بالاستسلام والقتل والصبر عليه فلا مسئلة لانهم امروا بقتل نفوسهم وعلى هذا يكون قتلهم حسنا لانه لو كان قبيحا لما جاز ان يؤمروا بالاستسلام وكذلك نقول لا يجوز ان يتعبد نبى او امام بان يستسلم للقتل مع قدرته على الدفع عن نفسه فلا بد فعه لان فى ذلك استسلاما للقبيح مع القدرة على الدفع منه وذلك لا يجوز وانما يقع قتل الانبياء والائمة على وجه الظلم وارتفاع التمكن من الدفع مع الحرص على الدفع غير انه لا يمتنع ان يتعبد بالصبر على الدفاع وتحمل المشقة فى ذلك وان قتله غيره ظلما والقتل وان كان

تقتلت المرءة فى مشيتها اى تثنت وتقلبت

قال فخ واعشار الجزور الانصباء قال امرء القيس وما ذرفت عيناك الا لتضربى بسهميك فى اعشار قلب مقتل يعنى بالسهمين الرقيب والمعلى من سهام الميسر اى قد جرحت القلب كله

ان يكون فى الامر بالقتل لطف لهم

[illegible]

فيما يحكم العقل فهو ما يجوز تغيره بان يصير حسنا لانه جار مجرى ساير الالام وليس يجرى ذلك مجرى الجهل والكذب الذى ليس يصير قط حسنا ووجه الحسن فى القتل انه لطف على ما قلناه وكما يجوز من الله ان يميت الحى كذلك يجوز ان يامرنا باماتته ويعوضه على ما يدخل عليه من الالام ويكون فيه لطف على ما قدمناه وقوله ذلكم اشارة الى التوبة مع القتل لانفسهم على ما امرهم الله تعالى به بدلالة قوله فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا انفسكم فقوله توبوا دال على التوبة فكانها مذكورة وقوله خير فالخير والنفع والفضل والحظ نظائر وضد الخير الشر وضد النفع الضرر يقول خار الله له الخير خيرة واختار اختيارا واستخار فلان استخارة وتخير تخيرا وتخاير تخايرا وخيره تخييرا وخايره مخايرة ورجل خير وامرأة خيرة اى فاضلة وقوم اخيار وخيار وامرأة خيرة حقيقة فى جمالها وميسمها ومنه قوله فيهن خيرات حسان وناقة خيار ورجل خيار والجمع خيار ويقول هذه وهذا وهؤلاء خيرتى وما يختاره ويقول انت بالخيار وانت بالخيار سواء والرجل يستخير الضبع واليربوع اذا جعل حبسه فى موضع النافقاء فخرج من القاصعاء والخيرة مصدر اختار خيرة ساكنة الياء مثل ارتاب ريبة واصل الباب الخير نقيض الشر والخير الهيأة المختارة وحذفت الياء من قوله يا قوم واثبتت فى قوله يا ليت قومى لان ياء الاضافة تحذف فى النداء لانه موضع حذف يحذف فيه التنوين ويحذف الاسم للترخيم فلما كانت ياء الاضافة تحذف فى غير النداء لزم حذفها فى النداء واما قوله يا ليت قومى يعلمون فانها تثبت لانها ياء الاضافة لا يلحقها ما يوجب حذفها كما لحق الياء فى النداء ويجوز فى يا قوم كسر الميم وحذف الياء وهو اجماع القراء ويجوز بياء ساكنة ويجوز بفتح الياء وما قرئ بها فاما اسكان الهمزة فالذى رواه سيبويه عن ابى عمرو اختلاس الحركة وهو اضبط من غيره والاسكان فى مثل هذا يجوز فى ضرورة الشعر كقول الشاعر اذا اعوججن قلت صاحب قوم وكان ينبغى ان يقال صاحب لانه منادى وقال امرء القيس فاليوم فاشرب غير مستحقب اثما من الله ولا واغل وقد روى بعضهم صاح قوم وروى فاليوم فاشرب وروى بعضهم فاليوم فاسقى ولا يقال فى الله تعالى تائب مطلقا وانما يقال تائب على العبد قوله فتاب عليكم والفاء يتعلق بمحذوف كانه قال ففعلتم او فقتلتم فتاب عليكم وكان فيما نهى له ولا عليه قوله تعالى وَاِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسٰى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتّٰى نَرَى اللّٰهَ جَهْرَةً فَاَخَذَتْكُمُ الصّٰاعِقَةُ وَاَنْتُمْ تَنْظُرُونَ آية بلا خلاف وهذه الآية ايضا عطف على ما تقدم كانه قال واذكروا اذ قلتم يا موسى لن نصدق حتى نرى الله جهرة فالرؤيا والنظر والابصار نظائر فى اللغة يقال راى رؤية وراى من الراى رايا وارآه الله اراءة وتراءا القوم تراييا وارتأى ارتياء وراءه مرآة قال صاحب العين الراى راى القلب ويجمع الآراء ويقول ما اضل آراؤهم على التعجب وراهم ايضا ورايت رؤية ويقول رايته راى العين اى حيث يقع البصر عليه ويقول من راى القلب ارتأيت ويقول رايت رؤيا حسنة ويقول رايت فلانا اذا مسحه فى اللون وزيه حسنة فى اللباس والمتاع والذى يتعرض يتزين كهانة او طبا وفى بعض اللغات رايت بمعنى رأيته وعلى ذلك قراءة من قرا ارايت قال الشاعر

قد رايت منه عجبا من الكبر وتراءى القوم اذا راى بعضهم بعضا وتراءى لى فلان اذا تصدى لى فاراه

والرواء المنظر فى البهاء والجمال يقول امرأة لها رواء وبهاء وسناء اى حسنة والمرآة مثل المنظرة والمنظر والمرآة التى ينظر فيها وجمعها مراءى ومن حول الهمزة قال مرايا ويقول رات المرأة اذا نظرت وجهها وفى الحديث لا تراءا ناراهما اى لا ينظر اليه ويحذفون الهمزة فى كل كلمة تشتق من رايت اذا كانت الراء ساكنة يقول كذا وارايته فلانا فانا مرى به وهو مرىء اى بحذف الهمزة واثبتوها فى موضعين فى قولهم رايته فهو مرئى وارأت الناقة والشاة اذا يتحيض عنها انها قد تقربت واترنت وهى مرئ والحذف فيه ايضا صواب ويقول من الظن ارى ان فلانا اخوك ومنهم من يحذف الهمزة يقول رايت انه ومن قلب الهمزة من راى قال راء مثل ما يقولون راى واسترأيت بالمرآة والمرئية مكسورة الراء مهموزة ممدودة ما ترى المرأة من الحيض صفرة او بياضا قبلا وبعدا واما البصر بالعين فهو الرؤية الان تقول نظرت اليه راى العين منه وتقول ما رايته الا رايته واحدة وتقول للذى يريك الشئ مرى والمرآة مرية بلا همزة وتقول رايت فلانا برية والمرآة التى تنظر فيها والرئى ما رايت القوم فى حسن البشارة والهيئة قال جرير وكل قوم لهم رئى ومختبر وليس فى تغلب رئى ولا خبر

والجمع

لا تراءا اى احدكم بالله اى لا ينظر فيه

اى اذا عرف فى لون ضرعها انها قد اقربت

ارئيت

الا رؤية

[illegible]

واصل الباب الرؤية بالعين وشبه الرؤية بالقلب بمعنى العلم والرأي يرى حال صلاح ويظن خلافها والمرية
لانها بمنزلة الآلة للقلب يرى بها والجهرة والعلانية والمعاينة نظائر يقول جهر جهرا وجاهر مجاهرة وجهارا
وتجاهر وتجاهرا ورجل جهير الصوت قال صاحب العين جهر فلان بكلامه وهو يجهر بقراءته جهارا واجهر
بقراءته جهارا وجاهرتم بالامر جهارا اي غالبتم به اعلانا واجتهر القوم فلانا جهارا اذا نظروا اليه وكل شيء
يبدو فقد جهر ورجل جهير اذا كان في المنظر والجسم في الناس مجهرا وكلام جهير وصوت جهير اي عال والفعل
منه جهر جهارة والجهير هو الجري المتقدم والجهوري هو الصوت العالي والجوهر كل حجارة يستخرج منها شيء
ينتفع به وجوهر كل شيء ما خلقت عليه جبلته والشاة الجهراء التي لا تبصر في الشمس والكبش اجهر وقال بعضهم
جهرت البئر اذا اخرجت ما فيها من الحماة والماء وبئر مجهورة والجهر ضد السر وجهر في الرجل اذا راعك جماله
وهيئته ورجل جهير ذو رواء واصل الباب الظهور والجهر يقتضي ظاهرا بعد ان يكون خافيا اليه لما لم يكن
قبل مدركا ويستدل بالجهر على انهم ارادوا الرؤية بالعين دون رؤية القلب وحقيقة الجهر ظهور الشيء معاينة
والفرق بين الجهر والمعاينة ان المعاينة ترجع الى حال المدرك والجهرة ترجع الى حال المدرك ومعنى قوله حتى نرى
الله جهرة قال ابن عباس علانية وقال قتادة عيانا وقد تكون الرؤية غير جهرة كالرؤية في النوم والرؤية
بالقلب فاذا قال جهرة لم يكن الا رؤية العين على التحقيق دون التخيل وسؤالهم الرؤية قال قوم هو كفر لان
اجازة الرؤية كفر وقال آخرون ليس بكفر وانما اجازة الرؤية التي تقتضي التشبيه كفر فاما هذا القول منهم فكفر
اجماعا لانه رد على الرسول وكل من يلقى قول الرسول بالرد من المكلفين كان كافرا واما الصاعقة فانها
يكون على ثلاثة اوجه احدها الموت كقوله فصعق من في السموات ومن في الارض وقوله فاخذتكم الصاعقة الثاني
العذاب كقوله فان اعرضوا فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود والثالث نار تسقط من السماء كقوله
ويرسل الصواعق واكثر المفسرين على ان موسى لم يمت بالصاعقة كما مات من سال الرؤية وقال شاذ منهم انه
مات بالصاعقة وقوله وخر موسى صعقا اي مغشيا عليه عند اكثر المفسرين بدلالة قوله فلما افاق والافاقة
لا تكون الا من الغشية دون الموت ولو كان من الموت لكان قد قال فلما حيي وقوله جهرة مشتق من جهرت الركية
اجهرها جهرا وجهرة اذا كان ماؤها قد غطاه الطين فنقيت حتى ظهر الماء وقيل اخذ من قولهم فلان تجاهر
بالمعاصي اذا كان لا يسترها وانما وبخوا بسؤال اسلافهم الرؤية من حيث انهم سلكوا طريقتهم في المخالفة للنبي
الذي لزمهم اتباعه والتصديق بجميع ما اتى به فجروا على عادة اسلافهم في ذلك الذين كانوا ابدا يسألون تارة
ان يجعل لهم الها غير الله ومرة يعبدون العجل من دون الله ومرة يقولون لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ومرة
يقولون اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون وقال الزجاج في هذه الآية دلالة على مشركي العرب
الذين كانوا ينكرون البعث لان اهل الكتاب مع مخالفتهم الرسول يقرون بان الله اماتهم قوما في الدنيا ثم
احياهم وعندنا ان نقل اهل الكتاب لمثل هذا ليس بحجة وانما الحجة في اخبار الله على لسان نبيه وحده اذ كان
كلما يخبر به فهو حق وصدق واستدل البلخي بهذه الآية على ان الرؤية لا تجوز على الله تعالى قال لانها انكارهم
امرين ردهم على نبيهم وتجويزهم الرؤية على ربهم ويبين ذلك قوله تعالى فقد سالوا موسى اكبر من ذلك فقالوا ارنا
الله جهرة فدل ذلك على ان المراد انكار الامرين وهذه الآية تدل على ان قوله رب ارني انظر اليك كان سؤالا
لقومه لانه لا خلاف بين اهل التوراة ان موسى ما سال الرؤية الا دفعة واحدة وهي التي سالها لقومه وقوله
لن نؤمن لك تعلق بما يخبرهم به من صفات الله عز وجل لانهم قالوا لن نؤمن لك بما تخبرنا به من صفاته وما يجوز
عليه حتى نراه وقيل انه لما جاءهم بالالواح وفيها التوراة قالوا لن نؤمن بان هذا من عند الله حتى نراه جهرة
ونرى على وزن نفعل واصله نرأى قال الشاعر
أرى عينيّ ما لم ترأياه … كلانا عالم بالترهات
فجاء به على الاصل وقال آخر
ألم تر ما لاقيت والدهر اعصر … ومن يتمل العيش يرء ويسمع
وانما دعاهم الى ان قالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله شكهم وحيرتهم فيما دعاهم اليه موسى من توحيد الله عز
وجل ولو كانوا عارفين لكان دعاهم اليه العناد لموسى ومعلوم انهم لم يكونوا معاندين له وفي الناس

من قال ان قولهم جهرة من صفة السؤال على التقديم والتاخير كانه قال واذ قلتم جهرة لن نؤمن لك حتى نرى
الله وقال الاكثر انها من صفة الرؤية وهو الاقوى لان ما قالوه ترك الظاهر وتقدير التقديم والتاخير ليس
هنا الى ذلك حاجة وقوله وانتم تنظرون يعني ما نزل بكم من الصاعقة والموت **قوله تعالى** ثم بعثناكم من بعد
موتكم لعلكم تشكرون آية بلا خلاف قوله بعثناكم احييناكم عند اكثر المفسرين كالحسن وقتادة وغيرهما وقال السدي
بعثناكم انبياء والاول اصح لانه ظاهر الكلام فلا يجوز العدول عنه واصل البعث اثارة الشيء من محله ومنه قيل بعث
فلان راحلته اذا اثارها من مبركها للسير ومنه قولهم بعثت فلانا لحاجتي اذا اقمته من مكانه الذي هو فيه للتوجه
فيها ومن ذلك قيل ليوم القيامة يوم البعث لانه يوم يثار فيه الناس من قبورهم لموقف الحساب والبعث والارسال
وكذلك الاطلاق نظائر يقال بعث بعثا وانبعث انبعاثا وتبعث تبعثا وبعثه من نومه فانبعث اي نبهته فانتبه
ويقول ضربا البعث على الجند اذا بعثوا الى العدو وكل قوم يبعثون الى وجه او في امر فهم بعث واصل الباب البعث
وهو الارسال وكل باعث فاعل واما المبعوث فقد يكون فاعلا وقد لا يكون يقال بعث الله عليهم ريحا فقطعتهم
والريح مبعوثة ويقال الشهوة للشيء تبعث على الطلب له فان قيل هل يجوز ان يرد الله احدا الى التكليف بعد
ان مات وعاين ما يضطره الى المعرفة بالله قيل في ذلك خلاف قال ابو علي لا يجوز ذلك الا على من لم يضطره
الله الى معرفته وقال بعضهم يجوز التكليف في الحكمة وان اضطر الى المعرفة وقول ابي علي اقوى واعلى الرماني
قول ابي علي فان قيل لما كانت المعرفة لاجل الطاعات التي كلفها العبد كانت هي الغرض الذي يتبعه سائر الطاعات
فلو ارتفع الغرض ارتفع التابع له كما ان الغرض في الشرائع الاستصلاح بها في الاصول التي تجب بالعقل فلو ارتفع
ذلك الغرض ارتفع وجوب العمل بالشرع وكما انه لا يجوز تكليف الطاعة مع رفع التمكن مع المعرفة من غير ضرورة
اليها قال ووجه القول الثاني انه لما كان الشكر على النعمة يجب في الشاهد مع الضرورة الى معرفة المنعم كان الشكر
للنعمة التي هي اجل من نعمة كل منعم في الشاهد اولى ان تجب مع الاضطرار الى المعرفة ولابي علي ان يقول لا يمتنع
من الوجوب لكن لا يجوز التكليف لان الغرض المعرفة اي هي اصل ما وقع التكليف به للعباد والذي اقوله ان
الذي يحيى بعد الاماتة ان كان لم يخلق له المعرفة الضرورية لم يضطره اليها فانه يمنع تكليفه لان العلم بان الاحياء بعد
الاماتة لا يقدر عليه غير الله طريقه الدليل وغوامض الاستدلال فليس في احيائه بعد الاماتة ما يوجب ان يكون
مضطرا الى معرفته فلذلك يصح تكليفه وليس الاحياء بعد الاماتة الا كالانتباه من النوم والافاقة بعد الغشية
فان ذلك لا يوجب علم الاضطرار وان فرضنا انه خلق فيه المعارف ضرورة فلا يحسن تكليفه لان حسن التكليف موقوف
على ازاحة علة المكلف من فعل اللطف والاقدار وغير ذلك من جملة الالطاف وتكليفه للمعرفة والضرورية لا يقوم
مقامها على ما بيناه في الاصول واذا لا يحسن تكليفه لانه يصير مكلفا ولم يفعل به ما هو لطف له وذلك لا يجوز
وقوله لعلكم تشكرون معناه لكي تشكروا وهذه لام الغرض وفيه دليل على فساد قول المجبرة ان الله تعالى ما اراد
من الكفار الشكر لانه لو اراد كفرهم لقال لتكفروا وذلك خلاف القرآن ومن استدل بها على جواز الرجعة كان صحيحا
لان من منع منه واحالها رد القرآن ويكذب به وان استدل به على وجوب الرجعة وحصولها فلا يصح لان احياء قوم
في وقت ليس بدلالة على احياء آخرين في وقت آخر بل ذلك يحتاج الى دلالة اخرى وقول من قال لا يجوز الرجعة
لان ذلك معجزة دلالة على نبوة نبي وذلك لا يجوز الا في زمن نبي غير صحيح لان عندنا يجوز اظهار المعجزات على
يد الائمة والصالحين وقد بيناه في الاصول ومن ادعى قيام الحجة بان الخلق لا يردون الى الدنيا كما علمناه ان لا
نبي بعد نبينا مقترح مبتدع لما لا دليل على صحته فانا لا نخالف في ذلك قال البلخي لا يجوز الرجعة مع الاعلام بها
لان فيها اغراء بالمعاصي من جهة الاتكال على التوبة في الكرة الثانية قال الرماني هذا ليس بصحيح من قبل انه لو كان
فيها اغراء بالمعصية لكان في اعلام التبقية الى مدة اغراء بالمعصية وقد اعلم الله تعالى نبيه وغيره ابليس انه مبقيه
الى يوم يبعثون ولم يكن في ذلك اغراء بالمعصية وعندي ان الذي قاله البلخي ليس بصحيح لان من يقول بالرجعة
لا يقطع على ان الناس كلهم يرجعون فيكون في ذلك اتكال على التوبة في الرجعة فيصير اغراء فلا احد من المكلفين
الا ويجوز ان لا يرجع وان قطع على الرجعة في الجملة ويجوز ان لا يرجع فكفى في باب الزجر واما قول الرماني ان الله

تعالى اعلم اقوام امة مقامهم فان ذلك لا يجوز الا فيمن هو معصوم يؤمن من جهة الخطاء كالانبياء ومن يجرى مجراهم في كونهم معصومين فاما من ليس بمعصوم فلا يجوز ذلك لانه يصير مغريا بالقبيح واما تبقية ابليس مع اعلامه انه تبقيته الى يوم القيمة ففيه جوابان احدهما انه انما وعده قطعا بالتبقية بشرط الا يفعل القبيح ومن فعل القبيح حق اخترامه عقبه ولا يكون مغريا والثانى ان الله قد علم انه لا يريد بهذا الاعلام فعلا قبيحا والا لما كان يفعله وفى ذلك اخراجه من باب الاغراء وقد قيل ان ابليس قد زال عنه التكليف فقد خرج عن حد التكليف وانما مكنه الله من وسوسة الخلق تغليظا للتكليف وزيادة فى مشاقهم ويجرى ذلك مجرى زيادة الشهوات انه يحسن فعلها اذا كان فى خلقها تعريض للثواب الكثير الزايد **قوله تعـ** وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ اية بلا خلاف قوله وظللنا عطف على قوله ثم بعثناكم من بعد موتكم وكان التقدير ثم بعثناكم من بعد موتكم وظللنا عليكم الغمام والظلة والغمامة والسترة نظاير فى اللغة تقول ظل يظل ظلولا واظل اظلالا واستظل استظلالا وتظلل تظللا وظلله تظليلا قال صاحب العين تقول ظل نهاره فلان صائما ولا تقول العرب ظل الا لكل عمل بالنهار كما لا تقول بات الا بالليل وربما جاء ظل فى اشعارهم نادرا ومن العرب من يحذف لام ظللت ونحوها فاما اهل الحجاز فيكسرون الظاء على كسر اللام التى القيت فيقولون ظلنا وظلتم كما قال تعـ فظلتم تفكهون والمصدر الظلول فالامر منه اظلل والظل ضد الضحى ونقيضه سواد الليل فيسمى ظلا وجمعه ظلال قال الله تعـ الم تر الى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا يعنى الليل والظل فى كلام العرب هو الليل ويقول اظلنى هذه الشجرة اظلالا والمكان الظليل الدائم الظل وقد دامت ظلاله والظلة كهيئة الصفة وقوله عذاب يوم الظلة يقال هو عذاب يوم الصفة والظلة ابر ظلله والاظلال الدنو يقول قد اظلك فلان اى كانه ألقى عليك ظله من قربه ويقول لا تجاوز ظل ظلك وملاعب ظله طاير يسمى بذلك والاظل باطن منسم البعير وجمعه اظلال قال الشاعر

يشكو الوجى من اظلل واظلل يعنى من اظل واظل فاظهر التضعيف بضرورة الشعر قال لبيد

بنكيب معر دامى الاظل اراد بخف نكيب اى منكوب نكبته الحجارة معر ساقط الشعر املس والظل كون النهار تغلب عليه الشمس قال رؤبة كل موضع يكون فيه الشمس فتزول عنه فهو ظل وفئ يقال لان جميعا وما سوى ذلك يقال له ظل ولا يقال فيه الفئ والظل الظليل الجنة قال الله تعـ وندخلهم ظلا ظليلا والظل الخيال الذى يرى من الجن وغيره والمظلة ايضا تتخذ من خشب وغيره يستظل به والظل المنعة والعز كذا ذكره ابن دريد يقال فلان فى ظل فلان اى فى عزه واصل الباب التظليل وهو الستر والاظلال الدنو كدنو الساتر وحد التظليل الستر من علو والغمام السحاب والقطعة منها غمامة تقول يوم غم وليلة غمة وامر غام ورجل مغموم ومغتم ذو غم وفلان فى غمة من امره اذا لم يهتد له والغماء الشديد من شدايد الدهر ورجل اغم وجبهة غماء كثيرة الشعر تقول منه غم يغم وكذلك فى القفا قال الشاعر فلا تنكحى ان فرق الدهر بيننا اغم القفا والوجه ليس بانزعا والغميم الغمس وهو ان يسحق حتى يختلط والغم ضد الفرج والغمة الغطاء على القلب من الغم والغمة الضيقة تقول اللهم احسر عنا هذه الغماء اى الضيقة وغم الهلال اذا غطاه الغيم وكل شئ غطيته فقد غممته ولذلك سمى الرطب المغموم وهو الذى يوضع فى جرة وهو بسر ثم يغطى حتى يرطب والغمام اشتق من هذا لانه يغطى السماء ورجل اغم وامرأة غماء اذا دنا قصاص الشعر من حاجبيه حتى يغطى جبهته وكذلك هو فى القفا واصل الباب الغطاء يوم الغمام الذى ظلل على بنى اسرائيل قال ابن عباس ومجاهد لم يكن بالسحاب ولكنه الذى عنى فى قوله هل ينظرون الا ان ياتيهم الله فى ظلل من الغمام وهو الغمام الذى اتت فيه الملئكة يوم بدر ولم يكن لغيرهم قال ابن عباس كان معهم فى التيه وقيل هو ما ابيض من السحاب واما المن قال ابن عباس هو المن الذى يعرفه الناس يسقط على الشجر وقال قتادة كان المن ينزل عليهم مثل الثلج وقيل هو عسل وقيل خبز مرقق وقيل هو الزنجبيل وقيل هو شراب وقال الزجاج جملة المن ما من الله تعـ على عباده مما لا تعب فيه ولا نصب وروى عن النبى صـ انه قال الكمأة من المن وماؤها شفاء للعين قال بعض اهل العلم يعنى بانها الوسمى الذى يكون منها الكماة

وهو اول مطر يجئ فى الخريف وقيل هو الذى يسقط على الثمام والمن حلو كالعسل واياه عنى الاعشى فى قوله لو اطعموا المن والسلوى مكانهم ما ابصر الناس طعما فيهم نجعا وجعله امية بن ابى الصلت فى شعره عسلا فقال ورأى الله انهم بمضيع لا بذى مزرع ولا مثمود فسناها عليهم غاديات وترى منهم خلايا وجودا عسلا ناطفا وماء فراتا وحليبا ذا بهجة مرمودا الناطف القاطر والمرمود الصافى من اللبن والمن قطع الخير قال الله تعـ فلهم اجر غير ممنون اى غير مقطوع والمن هو الاحسان الى من لا يستثيبه والاسم هو المنة والله تعالى المنان علينا الرحيم والمنة قوة القلب يقال الضعيف لمنة ويقال ليث لقلبه منة والمنون الموت وهو اسم مؤنث قال ابن دريد من يمن منا اذا اعتقد منة ومن عليه بيد اسداها اليه اذا قرعه بها واصل الباب الاحسان فالمن الذى كان يسقط على بنى اسرائيل مما من الله عليهم اى احسن به اليهم واما السلوى فقال ابن عباس هو السمانى وقيل هو طائر كالسمانى وواحده سلوى قال الاخفش سلوى كقولهم دفلى للواحد والجمع وقال الخليل واحده سلواة قال الشاعر كما انتفض السلواة بلله القطر ويقال سلى فلان يسلو عن فلان اذا تسلى عنه وفلان فى سلوة من العيش اذا كان فى رغد يسليه الهم والسلوان ماء من شربه ذهب غمه على ما يقال ويقال هذا مثل يضرب لمن سلا عن شئ يقال سقى سلوة وسلوانا وقال ابن دريد سلا يسلو سلوا وسلوا وسلوة والسلوانة خرزة زعموا انهم اذا صبوا عليها الماء فسقى منها الرجل سلا واصل الباب السلو وهو زوال الهم وكان سبب انزال المن والسلوى عليهم انه لما ابتلاهم الله تعـ بالتيه حين قالوا لموسى اذهب انت وربك فقاتلا انا هيهنا قاعدون فامرهم بالمسير الى بيت المقدس فلما ساروا تاهوا فى قدر خمس فراسخ او ستة فلما اصبحوا ساروا وعادين فامسوا فاذا هم فى مكانهم الذى ارتحلوا منه فلم يزالوا كذلك حتى تمت اربعين سنة تفضل عليهم فى تلك الحال واحسن اليهم وانزل عليهم المن والسلوى وكانت ريح الجنوب تحشره عليهم قال ابن جريج كان الرجل اذا اخذ من المن والسلوى زيادة على طعام يوم واحد فسد الا يوم الجمعة فانهم اذا اخذوا طعام يومين لم يفسد وموضع كلوا نصب على وقلنا كلوا كذا قال الرمانى وقيل فى معنى الطيبات قولان احدهما انه المشتهى اللذيذ والثانى انه المباح الحلال الذى يستلذ اكله وقوله وما ظلمونا انما يتصل بما قبله بتقدير محذوف فكانه قال فخالفوا ما امر الله به او كفروا هذه النعمة وما ظلمونا قال ابن عباس وما نقصونا ولكن كانوا انفسهم ينقصون وقال غيره معناه وما ضرونا ولكن كانوا انفسهم يضرون قال ابو على الظلم الذى لا يستحقه المضرور ومن قصده ليس للضرر وفيه نفع وقال الرمانى حقيقة الضرر القبيح والصحيح فى حقيقة الظلم ما ذكرناه فيما مضى هو الضرر الذى لا نفع فيه يوفى عليه ولا دفع ضرر اعظم منه عاجلا او آجلا ولا يكون واقعا على وجه المدافعة فاما ما قاله الرمانى فهو حد لشئ نفسه لان السؤال باق ولقائل ان يقول وما الضرر القبيح لان كونه قبيحا حكم من احكامه فلا بد من بيان ذلك الجنس وما ذكره ابو على ينتقض بالالم الواقع على وجه المدافعة وبالالم الذى فيه وجه ضرر اعظم منه عن المضرور وبالضرر الذى فيه نفع يوازيه وروى عن الصادق عم انه قال المن كان ينزل على بنى اسرائيل من بعد طلوع الفجر الثانى الى طلوع الشمس فمن نام فى ذلك الوقت لم ينزل عليه نصيبه فلذلك يكره النوم فى هذا الوقت الى بعد طلوع الشمس **قوله تعـ** وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ اية بلا خلاف قرا نافع واهل المدينة يغفر بضم الياء وفتح الفاء الباقون بفتح النون وكسر الفاء وادغم الراء فى اللام وما جاء منه واليزيدى الاستاذ وشجاع فى الادغام والاية معطوفة على ما تقدم فكانه قال واذكروا اذ قلنا ادخلوا والدخول والولوج والاقتحام نظاير والفرق بين الدخول والاقتحام ان الاقتحام دخول على صعوبة ونقيض الدخول الخروج تقول دخل يدخل دخولا وادخله ادخالا وتداخل تداخلا واستدخل استدخالا وداخله مداخلة ويقال فى امره دخل اى فساد دخل امره يدخل دخلا اى فسد ودخلت الدار وغيرها دخولا واوردت ابلى دخالا اذا اوردتها فادخلت بين كل بعيرين بعيرا ضعيفا بعدما ابتعرا وتسرع دون ربها وفلان دخيل بنى فلان اذا كان من غيرهم واطلعت فلانا على دخلة امرى اذا بثثته مكتومه والدخل طاير صغير وفلان

حسن المدخل وقبيح المدخل اى المذهب فى الامور وكل لحم على عصب فهو دخلة قال صاحب العين فلان مدخول
اذا كان فى عقله دخل وفى حسبه والمدخول المهزول الداخل فى جوفه الهزال والدخلة بطانة الامر يقال فلان خبيث
الدخلة وادخل فى عار ويدخل فيه ونحو ذلك تصف شدة الدخول ودخيل الرجل الذى يداخله فى اموره
كلها فهو له دخيل دخال والدخال مداخلة المفاصل بعضها فى بعض والدخولة معروفة والدخل صغار الطير
امثال العصافير ماواها الغيران وبطون الاودية تحت الشجر الملتف وجمعه دخاخيل والانثى دخلة واصل
الباب الدخول قال الرمانى فى حد الدخول الانتقال الى محيط وقد يقال دخل فى الامر كما يقال دخل فى الدار
تشبيها ومجازا وقوله هذه القرية اشارة الى بيت المقدس على قول قتادة والربيع ابن انس وقال السدى
هى قرية بيت المقدس وقال ابن زيد انها اريحا قريب من بيت المقدس والقرية والبلدة والمدينة نظائر قال
ابو العباس اصله الجمع ومنه المقراة الحوض الذى يسقى فيه الابل سمى مقراة لجمع الماء فيه والمقراة الجفنة
التى يجعل فيها الطعام للاضياف قال الشاعر عظام المقارى جارهم لا يفزع ومنه قريت الضيف و
منه قريت الماء فى الحوض ومنه قريت الشاة تقرى وشاة قارية اذا كانت تجمع الجرة فى شدقها وهو جمع عندهم
شديد وكلما قرى فهو مقرى مثل المرقد كلما تعقدت فيه والقرى المسيل الذى يحمل الماء الى الروضة وجمعه قريان
كقضيب وقضبان قال الشاعر ماء قرى مده قرى قال ابن دريد قريت الضيف اقريه قرى وقريت الماء
فى الحوض اقريه قريا وقرى البعير جرته فى شدقه قريا والقرية اشتقاقها من قرى البعير جرته اى جمعها والجمع
قرى على غير قياس وقال قوم من اهل اليمن قرية وقال صاحب العين القرية والقرية لغتان تقول ما زلت
استقرى هذه الارض قرية قرية والكسر لغة يمانية ومن هنالك اجتمعوا على جمعها على القرى حيث اختلفوا فحملوها
على لغة من قال كسوة وكسى والنسبة اليها قروى وام القرى مكة وقوله وتلك القرى اهلكناهم لما ظلموا يعنى
بها الكور والامصار والمداين والقرى الظهر من كل شئ حتى الاكام وغيرها والجمع الاقراء والقرى الاحسان
الى الضيف تقول اقرى يقرى الضيف قرى اذا اضافه ضيافة وانزله نزلا والقرى مجئ الماء فى الحوض والمدة
يقرى فى الجرح اى تجتمع وقوله وادخلوا الباب اى الباب الذى امروا بدخولها قال مجاهد والسدى هو باب حطة
من بيت المقدس وهو الباب الثامن وقيل باب القبة التى كان يصلى اليها موسى وقال قوم باب القرية التى امروا
بدخولها قال ابو على قول من قال انه باب القبة اقوى من قول من قال انه باب القرية لانه لم يدخلوا القرية فى حيوة
موسى لانه قال فبدل الذين ظلموا قولا غير الذى قيل لهم والعطف بالفاء يدل على ان هذا التبديل منهم كان
فى اثر الامر فدل ذلك على انه كان فى حيوة موسى ومعنى قوله سجدا قال ابن عباس ركعا وهو شدة الانحناء و
منه السجد من النساء الفاترات الاعين قال الاعشى ولهوى للحور المدامع سجد وقال الاخر
ترى الاكم فيها سجدا للحوافر وقال غيره ادخلوا خاضعين متواضعين قال اعشى قيس
تراوح من صلوات المليك طورا سجودا وطورا جؤارا وقوله حطة قال الحسن وقتادة واكثر اهل العلم معناه
حط عنا خطايانا وروى عن ابن عباس انه قال امروا ان يستغفروا وروى عنه ايضا انه قال امروا ان يقولوا
هذا الامر حق كما قيل لكم وقال عكرمة امروا ان يقولوا لا اله الا الله وكل هذه الاقوال يحط الذنوب فيرجع
الحطة عنها وحطة مصدر مثل ردة وجدة من رددت وجددت قال صاحب العين الحط وضع الاحمال عن الدواب
تقول حططت عنها احط حطا وانحط انحطاطا والحط والوضع والخفض نظائر والانحطاط الانحدار من العلو كقول
امرئ القيس كجلمود صخر حطه السيل من عل ويقال للنجيبة السريعة حطت فى سيرها وانحطت وتقول حط الله
وزره الذى انقض ظهره وقال الشاعر واحطط الهى بفضل منك وزارى والحطاط بثرة تخرج فى الوجه
تقبح اللون ولا تقرح وجارية محطوطة المتنين ممدودة حسنة والمحط حط الاديم بالمحط وهو خشبة يصقل بها
الاديم او ينقش واصل الباب الحط وهو الحدر من علو وارتفعت حطة فى الاية على قول الزجاج على تقدير مسألتنا
حطة وقال غيره دخولنا الباب سجدا حطة لذنوبنا كقوله واذ قالت امة منهم لم تعظون قوما الله مهلكهم او
معذبهم عذابا شديدا قالوا معذرة يعنى موعظتنا معذرة الى ربكم ويجوز النصب فى العربية على معنى حط عنا

لان ما كان من المعتل فقياس جمعه ان يكون ممدودا كظباء فى ظبى فيكون جمعه مقصورا على وفق القياس كلحية ولحى

والحط الحدر من العلو ع

ذنوبنا حطة كقولك سمعا وطاعة بمعنى اسمع سمعا واطيع طاعة وكقولك معاذ الله بمعنى نعوذ بالله وهو حطة
اقوى لانه دعاء وقوله نغفر لكم والغفران والعفو والصفح نظائر يقال غفر الله له غفرانا واستغفر استغفارا
واغتفر اغتفارا قال ابو العباس غفر الله له بمعنى ستر عليه على ذنوبه والغفر انما هو التغطية يقال السحابة
فوق السحاب الغفارة وثوب ذو غفر اذا كان له زئبر ويقال المغفر لتغطية العنق ويقال غفرت الشئ
اذا اردبته والغفيرة والمغفرة بمعنى والغفر منزل من منازل القمر سمى لخفائه وقال الزجاج الغفر التغطية وكلما تقدم
من هذا الباب فهذا معناه وقولهم اللهم اغفر لنا اى ويله اللهم غط علينا ذنوبنا والله الغفور والغفار والمغفر
ما يغطى به الراس من الحديد وغيره وكذلك الغفارة وهى خرقة تلف على سية القوس اى طرفها وغفارة اسم راس
جبل والمغفور والمغفار صمغ العرفط وقد اغفر الشجر اذا ظهر ذلك فيه وفى الحديث ان النبى صلى الله عليه وآله دخل على عائشة فقالت
يا رسول الله اكلت مغافير تعنى هذا الصمغ ومنهم من يقول مغاثير كما قيل جدث وجدف والغفر شعر صغار دون
الكبار وريش دون الريش الكبار لانه هو الذى يغطى الجلد والغفر النكس من المرض يقال للصلح فلان من مرضه ثم غفر
اى نكس ومنه قول ضرار وقيل انه لجميل خليلى ان الدار غفر لذى الهوى كما يغفر المحموم او صاحب الكلم
ومعناه ان المحب اذا سلا عن حبيبه ثم راى داره جدد عليه حبه فكانه مريض نكس وانما قيل النكس لانه يغطى على الشفاء
والغفر شعر يكون فى اللحيين وقد غفر فلان وقد غفرت المراة اذا نبت لها ذلك الشعر ومتاع البيت يقال له الغفر
لانه يغطى على الخلل والغفر الجوالق ويقال جاؤا الجماء الغفير وجاؤا جما غفيرا وجاؤا الجماء الغفير اى مجتمعين جميعا
يغطى الارض والغفر ولد الاروى وهى انثى الوعل لانها تاوى الجبال فتستتر عن الناس يقال للانثى الوعل اذا كان
معها ولدها مغفر كما يقال لكل ذات طفل مطفل ويقال غفرت الامر نغفره اذا اصلحته بما ينبغى ان يصلح به والمعنى
اصلحته بما غطى على جميع فساده والغفر زئبر الثوب وثوب ذو غفر وغفرت المتاع اذا جعلته فى وعاء وكل شئ غطيته
فقد سترته ويقال اصبغ ثوبك فانه اغفر للوسخ اى استر له واصل الباب التغطية وحد المغفرة ستر الخطيئة برفع
العقوبة والخطيئة والزلة والمعصية نظائر يقال خطأ خطاء واخطأ اخطاء واستخطأ استخطاء وخطأه تخطية
وتخطى تخاطيا قال ابن دريد الخطا مقصور مهموز يقال اخطأ الشئ خطأ اذا لم يرده واصابه واخطأ يخطئ اخطاء
اذا اراده فلم يصبه والاول خاطئ والثانى مخطئ به والخطيئة تهمز قال صاحب العين الخطا ما لم يتعمد ولكن يخطئ اخطاء
وخطاية وتخطية واصل الباب الخطا ومثله الزلل والخاطئ الذى قد ذل عن الشئ فى قصده وان اتفق له ان يصيبه
من غير ان يقصده ولذلك لا يكون الخاطئ فى الدين الا عاصيا لانه لم يقصد الحق واما المخطئ فانما ذل عن قصده و
لذلك يكون المخطئ من طريق الاجتهاد مصيبا لانه قصد الحق واجتهد فى اصابته وحد الخطيئة العدول عن الغرض
المجرد وخطايا وزنه فعايل وتقديره خطائئ فقلبت الهمزة الاخيرة على حركة ما قبلها فصار خطائى ثم فعل به ما فعل
بمدارى حتى قيل مدارى فصار خطاءا فاستثقل همزتين الفين لانه بمنزلة ثلث الفات فقلبت الهمزة ياء وانما احل
هذا الاحلال لان الهمزة التى بعد الالف عرضت فى جميع فعل القياس تقول فى جمع مراة مرائى فلا يميل والخليل يقول
وزنه فعالى على قلب الهمزة من اخذا النون من القرا فال لانه مطابق لما تقدم من قوله وظللنا وقلنا وانما اتفق
القراء على خطاياكم ههنا واختلفوا فى الاعراف وسورة نوح لان اللتين فى الاعراف ونوح كتبتا فى المصحف بالتاء
بعد الالف والتى فى البقرة بالف وقوله وسنزيد المحسنين فالزيادة التى وعدها الله المحسنين هى تفضل يعطيه الله
المحسنين يستحقها بوعده اياه وهى زيادة على الثواب الذى يستحقه بطاعته والفرق بين احسن اليه واحسن فى
فعله ان احسن اليه لا يكون الا بالنفع له واحسن فى فعله ليس كذلك الا ترى انه لا يقال احسن الله الى اهل النار
بتعذيبهم ويقال احسن فى تعذيبهم بالنار يعنى احسن فى فعله وفى تدبيره والاحسان والانعام والافضال نظائر
وضد الاحسان الاساءة يقال احسن حسنا واحسن احسانا واستحسن استحسانا وتحاسنوا تحاسنا وحسنه تحسينا
وحاسنه محاسنة والمحسن والجمع المحاسن المواضع الحسنة فى البدن ويقال رجل كثير المحاسن وامراة كثيرة المحاسن
وامراة حسناء ولا تقول رجل احسن وتقول رجل حسان وامراة حسانة وهو الحسن جيد والمحاسن فى الاعمال ضد المساوى
تقول احسن فانك الحسان والحسنى الجنة لقوله للذين احسنوا الحسنى وزيادة والحسنى ضد السوءى والحسن ضد

ثلاثة انجم صغار

القبيح والحسان جمع حسن الحقوها بضدها فقالوا اقباح وحسان كما قالوا عجاف وسمان واصل الباب الحسن و
هو على ضربين حسن في المنظر وحسن في الفعل وكذلك القبح وحد الحسن من طريق الحكمة هو الفعل الذي يدعوا
اليه العقل وحد القبح الفعل الذي يزجر عنه العقل وحد الاحسان هو النفع الحسن وحد الاساءة هو الضرر القبيح
هذا لا يصح الا على قول من يقول ان الانسان يكون محسنا الى نفسه ومسيئا اليها ومن لا يقول فذلك يريد غير الواصل
الى الغير مع قصده الى ذلك والاقوى في حد الحسن ان تقول هو الفعل الذي اذا فعله العالم به على وجه لم يستحق الذم
فانه لا ينتقض بشيء وقوله وكلوا منها حيث شئتم رغدا يعني من هذه القرية حيث شئتم رغدا اي واسعا بغير حساب
وقد بينا معناه فيما مضى واختلاف الناس فيه **قوله تعالى** فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ
فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ اية بلا خلاف معنى قوله فبدل الذين ظلموا
غيروا وقوله الذين ظلموا معناه الذين فعلوا ما لم يكن لهم فعله وقوله غير الذي قيل لهم يعني بذلك بدلوا قولا
غير الذي امروا ان يقولوه فقالوا بخلافه فذلك هو التبديل والتغيير وكان تبديلهم بالقول انهم امروا ان يقولوا
حطة وان يدخلوا الباب سجدا وطوطئ لهم الباب ليدخلوه كذلك فدخلوه يزحفون على استاهم فقالوا الحطة فقالوا
حطة في شعيرة مشعرين وقوله فانزلنا على الذين ظلموا يعني الذين فعلوا ما لم يكن لهم فعله في تبديلهم بالقول و
الفعل رجزا والرجز في لغة اهل الحجاز العذاب وفي لغة غيرهم الرجس لان الرجس الشر ومنه قوله عم في الطاعون انه
رجس عذب به بعض الامم وهو قول ابن عباس وقتاده وقال ابو عبيدة الرجز والرجس لغتان مثل الردع والسدع
والبزاق والبساق وقال ابو العالية هو الغضب وقال ابو زيد هو الطاعون فقيل انه مات منهم في ساعة واحدة
اربعة وعشرون الفا من كبرائهم وشيوخهم وبقي الابناء وانتقل العلم والعبادة اليهم وقوله من السماء قال قوم يعني
ما قضاه الله عليهم من السماء وقال اخرون اراد بذلك المبالغة في علوه بالقهر وقوله يفسقون مضمومة
السين عليه جميع القراء وهو اشهر اللغات وقد حكى في بعض اللغات بكسر السين **قوله تعالى** وَإِذِ اسْتَسْقَى
مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ
كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ اية واحدة بلا خلاف قوله واذ متعلق بكلام محذوف
ويجوز ان يكون ذلك ما تقدم ذكره في الايات المتقدمة من ضروب نعم الله على بني اسرائيل فكانه قال واذكروا اذ
استسقى موسى لقومه اي سأله ان يسقي قومه ماء تقول سقيته من سقي الشفة واسقيته دللته على الماء فنزل منزلة سؤالهم
سؤل ذلك والمعنى الذي سأل موسى اذا كان فيما ذكر من الكلام الظاهر دلالة على معنى ما نزل وكذلك
قوله فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا من ماء فاستغنى بدلالة الظاهر على المنزول منه لان
معنى الكلام قلنا اضرب بعصاك الحجر فضربه فانفجرت منه فترك ذكر الخبر عن ضرب موسى الحجر اذ كان فيما ذكر دلالة
على المراد وكذلك قوله قد علم كل اناس مشربهم فترك ذكر منهم لدلالة الكلام عليه والانفجار والانشقاق و
الانبجاس اضيق منه فيكون اولا انبجاسا ثم يصير انفجارا والعين من الاسماء المشتركة العين من الماء مشبهة بالعين
من الحيوان بخروج الماء منها كخروج الدمع من عين الحيوان وقد بينا ان اناسا لا واحد له من لفظه فيما مضى و
ان الانسان لو جمع على لفظه لقيل اناسين واناسية وقوم موسى هم بنوا اسرائيل الذين قص الله عز وجل قصصهم
في هذه الايات وانما استسقى لهم ربهم الماء في الحال التي تاهوا فيها في التيه شكوا اليه الظما فامروا بحجر طوراني من
الطور فضربه موسى بعصاه فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا لكل سبط عين معلوم ماؤها لهم وروي عن ابن
عباس انه قال ظلل عليهم الغمام في التيه وانزل عليهم المن والسلوى وجعل لهم ثيابا لا تبلى ولا تتسخ وجعل بين
ظهرانيهم حجر مربع وروي انه كان مثل شكل الراس وامر موسى فضرب بعصاه الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا
في كل ناحية منه ثلاثة عيون ولا يرتحلون مرحلة الا وجدوا ذلك الحجر بينهم في ذلك المكان الذي كان بينهم
في المنزل الاول وقيل انهم كانوا ينقلونه معهم في الجوالق اذا احتاجوا الى الماء ضربه موسى بالعصى فيه فتفجر
منه الماء وقال قوم بانه امر بان يضرب اي حجر شاء لا حجرا بعينه والاول اظهر لان فيه لام التعريف والشين
ساكنة في اثنتا عشرة عند جميع القراء وكان يجوز كسرها في اللغة ولم يقرا به احد والكسر لغة ربيعة وتميم

والاسكان لغة اهل الحجاز واسد فاذا صغرت اثنتي عشرة قلت ثنتي عشرة واذا صغرت ثنى قلت ثنتي عشرة وروى
فتحها مجاهد عن الاعمش وهو غلط الا اذا قيل عشرة مفرد فانه بفتح الشين فاما ما زاد على ذلك فالشين ساكنة او
مكسورة الا قولهم احد عشر اذا بنيا معا ونصب عينا على التمييز وعند الكوفيين على التفسير ولا ينبغي الوقف على
احد الاسمين المجعولين اسما واحدا دون الاخر كقولك احد عشر واثنا عشر وما اشبه ذلك ولذلك يكره الوقف
على العدد الاخير قبل ان يميزه ويفسره وكذلك قوله خير ثوابا وخير مردا وملء الارض ذهبا وعدل ذلك صياما
وخير حافظا واحسن ثوابا واشباه ذلك ومن ايات الله العجيبة انفجار العيون من الحجر الصلد بعدد قبائل بني اسرائيل
وهم كانوا اثنا عشر سبطا على وجه يعرف كل فرقة منهم شربه نفسه فلا يناز عه فيه غيره وذلك من الامور الظاهرة
على ان فاعل ذلك هو الله تعالى وان ذلك لا يتم فيه حيلة محتال ولا كيد كائد ومن استبعد ذلك من الملحدين فالوجه
ان يتشاغل معه في الكلام في اثبات الصانع وحدوث الصنعة واثبات صفاته وما يجوز عليه وما لا يجوز فاذا ثبت
ذلك سهل الكلام في ذلك ومتى شك في ذلك او في شيء منه كان الكلام معه في هذا الفرع ضربا من العناء لا وجه
للتشاغل به وقوله ههنا فانفجرت كما بينا في قوله في الاعراف فانبجست لان الانبجاس هو الانفجار الا انه قليل وقيل
انه لا يمتنع ان يكون اوله ما ينبجس كان قليلا ثم صار كثيرا حتى صار انفجارا وقوله كلوا واشربوا من رزق الله يعني
من النعم التي عددها عليهم من المن والسلوى وغير ذلك وقوله ولا تعثوا في الارض مفسدين اي لا تطغوا و
لا تسعوا في الارض فسادا واصل العثا شدة الفساد يقال منه عثا فلان في الارض اذا عاث يعثا والجماعة يعثون
وفيه لغتان اخرتان احدهما يعثوا عثوا ومن قرأ بهذه اللغة ينبغي ان يضم الثاء ولم يقرا به احد واللغة الاولى لغة
اهل الحجاز وقال بنو تميم وغيرهم عاث يعيث عيثا وعيوثا وعيثانا بمعنى واحد قال رؤبة بن العجاج
وعاث فينا سخل عايث مصدق او فاجر مباعث يعني بقوله عاث فينا افسد فينا وقيل يعثوا اصله العيث
فقدموا بعض الحروف واخروا بعضها يقال عثا يعثوا وعاث يعيث وهو الفساد قال ابن ذبية الثقفي
نقيم ولا نعثوا بوج وانا على الناس سعايون شوس الحواجب وانما قال لا تعثوا في الارض مفسدين وان
كان العيث لا يكون الا فسادا لانه يجوز ان يكون فعلا ظاهره الفساد وباطنه المصلحة كخرق موسى السفينة فبين
ذلك العيث الذي هو فساد ظاهرا وباطنا **قوله تعالى** وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ
لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ
الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَ
بَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا
وَكَانُوا يَعْتَدُونَ اية بلا خلاف قرا اهل المدينة النبيئين بالهمز الباقون بغير همزة وترك الهمزة هو الاختيار واختلفوا من انبائك بتم
في اشتقاقه فقال بعضهم من انبائك الامر كانه انبا عن الله واخبر عنه فترك الهمزة لكثرة ما يجري وقال الكسائي
النبي الطريق يراد به انه علم وطريق الى الحق واصله من النبوة والنجوة اي المكان المرتفع ومن قال هو مشتق من الانباء
قال جاء فعيل بمعنى مفعل كما قال سميع بمعنى مسمع كذلك قالوا انبئ بمعنى مبني وبصير بمعنى مبصر وابدل مكان الهمزة
من النبئ الياء فقالوا انبئ ما هذا و يجمع النبي انبياء وانما جمعوه كذلك لانهم الحقوا النبي بابدال الهمزة منه ياء بالنعوت
التي تاتي على تقدير فعيل من ذوات الياء والواو وذلك كقولهم ولي واولياء ووصي واوصياء ودعي وادعياء ولو
جمعوه على مثله والواحد نبيء لجعل اليها لان فعيلا يجمع فعلاء كقولهم سفيه وسفهاء وفقير وفقهاء وشريك وشركاء
وقد سمع من العرب النبأ وذلك في لغة من همز النبي ومن قول العباس بن مرداس السلمي في وصف النبي صلعم ومدحه منبأهم
يا خاتم الانبياء انك مرسل بالحق خير هدى الاله هداكا فجمع على ان واحدهم نبيء مهموز وقد قال بعضهم
النبي والنبوة غير مهموزين لانهما ماخوذان من النبوة وهي مثل النجوة وهما ماخوذان من المكان المرتفع و
كل يقول ان اصل النبي الطريق قال القطامي لما وردت نبيا واستتب بنا مستحقر كخطوط النسج منسحل
قالوا وسمي الطريق نبيا لانه ظاهر مبين من النبوة قال ابو علي الفارسي قال ابو زيد بنات من ارض الى ارض
وانا انبا ونباء ونبوءا اذا خرجت منها الى اخرى وليس اشتقاق النبي من هذا وان كان من لفظه ولكنه من النباء

الذى هو الخبر كانه المخبر عن الله فان قلت لم لايكون من النباوة وما انشده ابو عثمان قال انشدنى ابن كيسان
عصى الضرية فى البيت الذى وضعت   فيه النباوة حلو غير ممذوق   اوبجوز فيه الامرين فنقول انه يجوز ان
يكون من النباوه ومن النبا كما اجزت فى عضه ان يكون من الواو كقوله وعضوات بقطع الهاء ومن الها كقوله
لها بعضاه الارض تهزيز   قال وليس ذلك كالعضه لان سيبويه زعم انهم يقولون فى تحقير النبوة كان مسيلمة
بنبوته بنية سوء وكلهم يقولون تنبأ مسيلمة ولو كان يحتمل الامرين جميعا لما اجمعوا على نبيا ولا على النبيه فان
قيل فلم لايستدل بقولهم انبيا قيل ماذكرته لايدل على تجويز الامرين لان انبيا انما جاز لان البدل لما لزم فى نبى
صار فى لزوم البدل له كقولهم عيد واعياد فكما ان عيدا لايدل على انه من الياء لكونه من عود الشئ كذلك لايدل
انبياء على انه من النباوة ولكن لما لزم البدل جعل بمنزلة تقى واتقياء وصفى واصفياء فلما لزم صار كالبرية
والحليتر ونحو ذلك مما لزم الهمزة فيه حرف اللين بدلا من الهمزة فيه حرف اللين لما دل على انه من الهمزة وانه لايعترض
عليه شئ وصار قول من حقق الهمزة فى الشئ كرد الشئ الى الاصل المرفوع استعماله نحو وذر وودع فمن ثم كان
التخفيف فيه الاكثر فاما ما روى فى الحديث من ان بعضهم قال يانبئ الله فقال لست بنبئ الله ولكنى نبى الله قال
ابو على اظن ان من اهل النقل من ضعف اسناده ومما يقوى تضعيفه ان من مدح النبى صم فقال ياخاتم البناء
لم يؤثر فيه انكار عليه ولو كان فى واحدة نكير لكان فى الجميع مثله ثم بينا فيما مضى ان الصبر كف النفس وحبسها عن
الشئ فاذا ثبت ذلك فكانه قال واذكروا اذ قلتم يامعشر بنى اسرائيل لن نطيق حبس انفسنا على طعام واحد وذلك
الطعام هو ما اخبر الله عز وجل اذ اطعمهم فى تيههم وهو السلوى فى قول اهل التفسير وفى قول ابن منبه الخبز النقى
مع اللحم فيل ربك يخرج لنا مما تنبت الارض من البقل والقثاء وما سماه الله مع ذلك وذكر انه سالوه لموسى وكان سبب
مسالتهم ذلك مارواه قتادة قال كان القوم فى البرية وقد ظلل عليهم الغمام وانزل عليهم المن والسلوى فملوا ذلك
وذكروا عيشا كان لهم بمصر فسالوا ذلك موسى فقال الله تعالى اهبطوا مصرا فان لكم ما سألتم وانما قال مما تنبت الارض
لان من تدخل للتبعيض ولو لم يدخل ههنا لكانت المسالة تدخل على جميع ما تنبته الارض فاتوا بمن التى نابت
مناب البعض حيث قامت مقامه وفى الناس من قال ان من ههنا زائدة وانها تجرى مجرى قولهم ماجاءنى من احد
والصحيح الاول لان من لاتزاد فى الايجاب وانما تزاد فى النفى ولان من المعلوم انهم ما ارادوا جميع ما تنبته الارض
وجرى ذلك مجرى قول القائل اصبنا اليوم من الطعام عند فلان يريد اصبنا شيئا منه وقوله يخرج جزم جواب
الامر والبقل والقثاء معروفان وفى القثاء لغتان ضم القاف وكسرها والكسر اجود وهى لغة القران وانما ذكر الله
تعالى هذه الالفاظ وان لم يكن لا بقتر يعضا خبر القران على وجه الحكاية عنهم واما الفوم فقال ابن عباس وابو
جعفر الباقر عم وقتادة والسدى انه الحنطة وانشد ابن عباس قول احيحة بن الجلاح   قد كنت اغنى الناس شخصا
واحدا   ورد المدينة عن زراعة فوم   وقال الفراء والجبائى والازهرى هو الحنطة والخبز تقول العرب
فوموا بالتشديد اى اخبزوا لنا وقال قوم فى الحبوب التى تخبز وهو ماثور وقال ابن مجاهد وعطا وابن زيد انه
الخبز فى قراءة ابن مسعود وهو قول الربيع بن انس والكسائى انه الثوم وابدل من الثاء فاء كما قالوا جدث و
جدف واثافى وثاثى قال الفراء وهذا اشبه بما بعده من ذكر البصل قال امية بن ابى الصلت   فوق شيزى مثل
الجوابى عليها   قطع كالوذائل فى نفى فوم   وقال انشد   كانت منازلهم اذ ذاك ظاهرة   فيها الفراديس
والفوم والبصل   قال الزجاج وهذا بعيد لانه لايعرف الثوم بمعنى الفوم لان القوم لايجوز ان يطلبوا
الثوم ولايطلبون الخبز الذى هو الاصل وايضا فلا خلاف ان الفوم هو الطعام وان كان كل حب يخبز منه يقال
له فوم وقوله اتستبدلون الذى هو ادنى بالذى هو خير قيل فيه قولان احدهما الذى هو ادنى الطعامين
بدلا من اجودهما الثانى الذى تتبدلون فى زراعته وصناعته بما اعطاكم الله عفوا من المن والسلوى وقرأ بعضهم
ادنى مهموزا وقال بعض المفسرين لولا الرواية لكان هو الوجه لانه من قولك رجل دنى من الدناءة وما كنت دنيا
ولكنك دننت اى خسست واذا قرئ بلا همز فمعناه القرب وليس هذا موضعه ولكنه موضع الخساسة ولو كان ما
سالوه اقرب اليهم لما سالوه ولا التمسوه ويجوز ان يجعل ادنى واقرب بمعنى ادون كما يقول هذا شئ مقارب

اى دون وحكى الازهرى عن ابى زيد الدنى بلا همز الخسيس والدنئ بالهمز الماجن وقوله اهبطوا مصرا تقديره
فدعا موسى فاستجبنا له فقلنا لهم اهبطوا مصرا فقد تم الكلام لان الله اجابهم بقوله فان لكم ما سألتم وضربت
ثم استانف حكم الذين اعتدوا فى السبت ومن قتل الانبياء فقال وضربت عليهم الذلة والمسكنة ونون جميع القراء
مصرا وقرأ بعضهم بغير تنوين وهى قراءة ابن مسعود بغير الف وقال قتادة والسدى ومجاهد وابن زيد لانه اراد
مصرا من غير تعيين لان ما سألوه من البقل والقثاء لايكون الا فى الامصار وقال الحسن وابو العالية والربيع انه
اراد مصر فرعون الذى خرجوا منه وقال ابو مسلم محمد بن الجران يراد بيت المقدس لقوله ادخلوا الارض المقدسة
التى كتب الله لكم وروى ذلك عن ابن زيد واما اشتقاق مصر فقال بعضهم هو من القطع لانقطاعها بالعمارة
ومنهم من قال هو مشتق من الفصل بينه وبين غيره قال عدى بن زيد   وجاعل الشمس مصرا لاخفاء به
بين النهار وبين الليل قد فصلا   ومن نون اراد مصرا من الامصار غير معين ويجوز ايضا ان يريد مصرا بعينه
الذى خرجوا منه وانما نون اتباعا للمصحف لان فى المصحف بالف كما قرأ قواريرا قواريرا منونا اتباعا للخط
المصحف ومن لم ينون اراد مصر بعينها لا غير وكل ذلك محتمل وقوله وضربت عليهم الذلة والمسكنة استيناف
كلام بما فعل الله بهم يعنى بالذين اعتدوا فى السبت وقتلوا الانبياء ومعنى ضربت اى فرضت ووضعت عليهم
الذلة والزموها من قول القائل ضرب الامام الجزية على اهل الذمة وضرب فلان على عبده الخراج وضرب
الامير على الجيش البعث يريد بجميع ذلك الزم وبه قال الحسن وقتادة وقيل معنى ضربت عليهم اى حلوا بمنزلة الذل
والمسكنة ماخوذ من ضرب القباب قال الفرزدق فى جرير   ضربت عليك العنكبوت بنسجها   وقضى عليك به الكتاب
المنزل   واما الذلة فقال الحسن وقتادة وغيره ان بجزية والصغار مشتق من قولهم ذل فلان يذل ذلا وذلة واما المسكنة
فهى مصدر التسكين يقال ما فيهم اسكن من فلان وما كان سكينا ولكن تمسكن تمسكنا ومنهم من يقول تسكن تسكنا
والمسكنة ههنا مسكنة الفاقة والحاجة وهى خشوعها وذلها تقول ما فى بنى فلان اسكن من فلان اى افقر منه وهو
قول ابى العالية والسدى وقال ابن زيد المعنى بذلك اليهود بنى اسرائيل ابدلهم الله بالعز ذلا وبالنعمة بؤسا وبالرضا
عنهم غضبا جزاء منه بما كفروا باياته وقتلهم انبياءه ورسله اعتداء وظلما وقوله وباؤا بغضب من الله اى انصرفوا
ورجعوا ولايقال باء الا موصولا اما بخير واما بشر واكثر ما يستعمل فى الشر كذا قال الكسائى ويقال باء وبذنبه يبوء
بوءا ومنه قوله انى اريد ان تبوء باثمى واثمك يعنى ترجع بما قد صار عليك وتبين فمعنى الكلام رجعوا منصرفين
متحملين غضب الله قد صار عليهم من الله غضب ووجب عليهم منه سخط وقال المبرد اصل ذلك المنزلة اى نزلوا
منزلة غضب الله وروى ان رجلا جاء برجل الى النبى صم فقال هذا قاتل اخى وهو بواء به اى مقتول به ومنه قول
ليلى الاخيلية   فان تكن القتلى بواء فانكم   فتى ما قتلتم آل عوف بن عامر   وقال الزجاج اصل ذلك
التسوية ومعنى ذلك انهم تساووا بغضب من الله ومنه ما روى عن عبادة بن الصامت قال جعل الله نفع الانفال الى نبيه فقسمها
بينهم على بواء اى على سواء بينهم فى القسم ومثله قول الشاعر   فيقتل خيرا بامرئ لم يكن به   بواء ولكن لا تكايل
بالدم   والاصل الرجوع على ما ذكرناه وقال قوم هو الاعتراف ومعناه انهم اعترفوا بما يوجب عليهم غضب الله
ومنه قول الشاعر   انى ابوء بعثرتى وخطيئتى   ربى وهل الا اليك المهرب   واما الغضب قال قوم ما حل بهم
من البلاء والنقمة فى دار الدنيا بدلا من الرخاء والنعمة وقال اخرون هو ما ينالهم فى الاخرة من العقاب على معاصيهم
وقوله ذلك بانهم كانوا يكفرون بايات الله اشارة الى ما تقدم ذكره من ضرب الذلة والمسكنة واحلال غضبه بهم
لانه يشتمل على جميع ذلك ومعنى بانهم اى لاجل انهم كانوا يكفرون بايات الله فعلناه بهم ما فعلنا من انواع العذاب
وقوله ويقتلون النبيين بغير الحق لايدل على انه قد يصح ان يقتلوهم بالحق لان هذا خرج مخرج الصفة لقتلهم وانه
لايكون الا ظلما بغير حق كما قال ومن يدع مع الله الها اخر لا برهان له به وكما قال رب احكم بالحق وكما قال الشاعر
على لاحب لايهتدى بمناره   ومعناه ليس هناك منار يهتدى به ومثله كثير وقوله ذلك بما عصوا اشارة الى ما انزل
الله من الذلة والمسكنة بما عصوا من قتلهم الانبياء وقد وهم فى السبت وغير ذلك وقيل معناه بنقض العهد وكانوا
يعتدون فى قتل الانبياء انه روى انهم كانوا اذا قتلوا النبى اول النهار قامت سوق بقتلهم فى اخره وانما خلى الله

والحليتر

التسوية

بين الكافر وقتل الانبياء لينالوا من رفيع المنازل ما لم ينالوه بغيره وليس ذلك بخلا لان لهم كما فعل بالمؤمن من اهل الجنة
وقال الحسن ان الله تعم ما امر نبيا بالحرب الانصره فلم يقتل وانما خلى بينه وبين قتل من لم يؤمن بالقتال من الانبيا
والذى نقوله ان النبى ان كان لم يؤد الشرع لا يجوز ان يمكن الله من قتله لانه لو مكنه فقتل لادى الى ان تزاح
علل المكلفين فيما لهم من الالطاف والمصالح فاذا ادوا الشرع جاز حينئذ ان يخلى بينهم وبين من قتلهم لانه لا يجب
المنع منه وروى ابو هريرة عن النبى صلعم انه قال اختلف بنوا اسرائيل بعد موسى بخمسمائة سنة حتى كثر منهم اولاد
السبايا واختلفوا بعد موسى بمائتى سنة والاعتداء تجاوز الحد الذى حده الله لعباده الى غيره وكل متجاوز حد
شئ الى غيره فقد تعداه الى ما تجاوز اليه فمعنى الكلام فعلنا بهم ما فعلنا من ذلك بما عصوا امرى والتجاوز واحد
الحد الى ما نهيتهم عنه **قوله تعالى** إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ آية قرا نافع بترك الهمز من
الصابين وجميع القرا الباقون يهمزون اما الذين امنوا وهم المصدقون برسول الله صلعم بما اتاهم من الحق من
عند الله واما الذين هادوا فهم اليهود ومعنى هادوا تابوا يقال هاد القوم يهودون هودا وهيادة و
قال ابن جريج انما سميت اليهود يهودا لقولهم انا هدنا اليك قال اعرابى يؤخذ بقوله على ما قال ابو عبيدة قال
من مدحه هايد اى تائب وقيل انما سموا يهودا لانهم نسبوا الى يهودا اكبر اولاد يعقوب فعربت الذال دالا وقال زهير
فى معنى الرجوع سوى مربع لم يات فيه مخافة ولا رهقا من عابد متهود اى تائب فسميت اليهود يهودا
لتوبتهم من عبادة العجل واصل اليهود الطمانينة وبخبر به عن لين السير ومنه الهوادة وهى السكون قال الحسين بن
على المغربى انشدنى ابو رجاية السلمى وهو من افصح بدوى اطاف بنا واعزهم رواية صباغتها من مهنة
الحى بالضحا جياد المدارى حالك اللون اسودا اذا نفضتها لطورا بجيدها وتمتالها طورا بأجيد افود
كما مال قنوا مطعم هجرية اذا حركت ريح ذرى النخل هودا المطعم النخلة شبه شعرها باقناء البسر هود تحرك
تحريكا لينة قال زهير ولا رهقا من عابد متهود وليس اسم يهود مشتقا من هذا والنصارى جمع نصران
كقولهم سكران وسكارى ونشوان ونشاوى هذا قول سيبويه قال الشاعر تراه اذا كان العشى محنفا
يضحى لديه وهو نصران شامس وقد يسمع فى الانثى نصرانة قال الشاعر وكلتاهما جرت واسجد راسها
كما سجدت نصرانة لم تحنف وقد سمع فى جمعهم انصار بمعنى النصارى قال الشاعر لما رايته نبطا انصارا
شمرت عن ركبتى الازارا كنت لهم من النصارى جارا والمشهور ان واحد النصارى نصرى مثل بعير مهرى
ومهارى وانما سموا نصارى لنصرة بعضهم بعضا دليله الايات التى ذكرناها وقيل انما سموا بذلك لانهم نزلوا
ارضا يقال لها ناصرة وكان ينزلها عيسى فنسب اليها فقيل عيسى الناصرى ثم نسب اصحابه اليه فقيل النصارى
وهذا قول ابن عباس وقتادة وابن جريج وقيل انهم سموا بذلك لقوله من انصارى الى الله والصابئون جمع
صابى وهو من انتقل من دينه الى دين اخر كالمرتد من اهل الاسلام وكل خارج من دين كان عليه الى اخر يسمى صابئا
قال ابو زيد صبا فلان فى دينه يصبا صبوا اذا كان صابيا وصبا ناب الصبى يصبوا صبوا اذا كان طلع وقال
الزجاج صبات النجوم اذا ظهرت وقال ابو زيد صبوت اليهم تصبا صبا وصبوا اذا طلعت عليهم وكان معنى
الصابى التارك دينه الذى شرع له الى دين غيره كما قال ان الصابى على القوم تارك لارضه ومنتقل الى سواها
فالدين الذى فارقوه هو تركهم التوحيد الى عبادة النجوم او تعظيمها وقال نافع هو ماخوذ من قولهم صبا يصبوا
اذا مال الى الشئ واحبه ولذلك لم يهمز صبوت ايا ذيب وانت كبير قال ابو على الفارسى هذا ليس بجيد   ٢ قال الشاعر
لانه قد يصبوا الانسان الى دين فلان يكون منه بدين به مع صبوه اليه فاذا كان هذا هكذا وكان الصابئين
منتقلون من دينهم الذى اخذ عليهم الى سواه وجب ان يكون ماخوذا من صباب الذى هو الانتقال ويكون
الصابئون على قلب الهمزة وقلب الهمزة على هذا الحد لا يجيزه سيبويه الا فى الشعر ويجيزه غيره فهو على قول من
اجاز ذلك وممن اجاز ذلك ابو زيد وحكى عنه انه قال لسيبويه سمعت قريت واخطيت قال فكيف تقول فى المضارع
قلت اقرا فقال حسبك ونحو هذا قال ابو على يريد سيبويه ان قريت مع اقرا لا ينبغى لان قريت اقرا على الهمز

وقربت على القلب فلا يجوز ان تغير بعض الامثلة دون بعض فدل على ان القائل له للغير فصيح فانه غلط
فى لغته وقال قتادة والبلخى الصابئون قوم معروفون لهم مذهب ينفردون به من دينهم عبادة النجوم وهم
مقرون بالصانع وبالمعاد وببعض الانبياء وقال مجاهد والحسن وابن ابى نجيح الصابئون بين اليهود والمجوس
لا دين لهم وقال السدى هم طائفة من اهل الكتاب يقرؤن الزبور وقال الخليل هم قوم دينهم شبيه بدين النصارى   ٢ هم اهل
الا ان قبلتهم نحو مهب الجنوب حيال منتصف النهار يزعمون انهم على دين نوح وقال ابن زيد الصابئون دين من
الاديان كانوا بالجزيرة جزيرة الموصل يقولون لا اله الا الله قال ولم يؤمنوا برسول الله صلعم فمن اجل ذلك كان
المشركون يقولون للنبى صلعم واصحابه هؤلاء الصابئون يشبهونهم بهم وقال اخرون هم طائفة من اهل الكتاب
والفقهاء باجمعهم يجيزون اخذ الجزية منهم وعندنا لا يجوز ذلك لانهم ليسوا اهل الكتاب به وقوله من امن
بالله واليوم الاخر وعمل صالحا فلهم اجرهم عند ربهم تقول من صدق بالله واقر بالبعث بعد الممات يوم
القيمة وعمل صالحا واطاع الله فلهم اجرهم عند ربهم يعنى ثواب عملهم الصالح فان قيل فاين تمام قوله ان
الذين امنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين قيل تمامه جملة قوله تعم من امن بالله واليوم الاخر لان
معناه من امن منهم بالله واليوم الاخر وترك ذكر منهم لدلالة الكلام عليه ومعنى الكلام ان الذين امنوا
والذين هادوا والنصارى والصابئين من يؤمن منهم بالله واليوم الاخر فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف
عليهم وقوله من امن بالله واليوم الاخر فى الناس من قال هو خبر عن الذين هادوا والنصارى والصابئين لان
الذين امنوا كانوا مؤمنين فلا معنى حينئذ ان تقول من امن وهو انفسهم ومنهم من قال هو راجع الى الكل
ويكون وجهه على الذين امنوا على وجه الثبات على الايمان والاستدامة وترك التبديل والاستبدال به و
فى الذين هادوا والنصارى والصابئين استيناف ايمان بالنبى صلعم وما جاء به وقوله من امن بالله فوحد الفعل
ثم قال فلهم اجرهم لان لفظ من وان كانت لفظة واحدة فمعناها يكون للواحد والجمع والانثى والذكر فان
ذهب الى اللفظ وحد وان ذهب الى المعنى جمع كما قال ومنهم من ينظر اليك افانت تهدى العمى ولو كانوا
لا يبصرون فجمع مرة مع الفعل لمعناه ووحد اخرى على اللفظ قال الشاعر المابسلمى عنكما ان عصيتما
وقولا لها عوجى على من تخلفوا فجمع الفعل لانه جعل من بمنزلة الذين وربما كان لاثنين وهو ابعد وما جاء
فيه قال الفرزدق تعش فان عاهدتنى لا تخوننى نكن مثل من ياذيب يصطحبان قوله من امن بالله
واليوم الاخر قال السدى نزلت فى سلمان الفارسى واصحابه النصارى الذين كان قد تنصر على ايديهم قبل
مبعث رسول الله صلعم وكانوا قد اخبروه بانه سيبعث وانهم يؤمنون به ان ادركوه وروى عن ابن عباس
انها منسوخة بقوله تعم ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهذا بعيد لان النسخ لا يجوز ان يدخل فى
الخبر الذى يتضمن الوعيد وانما يجوز دخوله فيما طريقه الاحكام الشرعية التى يجوز تغيرها من حسن وقال قوم ان حكمها
ثابت والمراد بها ان الذين امنوا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم من المنافقين هم واليهود والنصارى والصابئين اذا
امنوا بعد النفاق واسلموا عند العناد كان لهم اجرهم عند ربهم كمن امن فى اول استدعائه الى الاسلام من غير نفاق
ولا عناد لان قوما من المسلمين قالوا ان من اسلم بعد نفاقه وعناده كان اجره اقل وثوابه انقص واخبر الله بهذه
الاية انهم سواء فى الاجر والثواب واولى الاقاويل ما قدمناه ذكره وهو المحكى عن مجاهد والسدى ان الذين امنوا
من هذه الامة والذين هادوا والنصارى والصابئين من امن من اليهود والنصارى والصابئين بالله واليوم
الاخر فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون لان هذا اشبه بعموم اللفظ والتخصيص ليس عليه دليل
وقد استدل المرجئة بهذه الاية على ان العمل الصالح ليس من الايمان لان الله تعم اخبر عنهم بانهم امنوا ثم عطف
على كونهم مؤمنين انهم اذا عملوا الصالحات ما حكمها قالوا ومن حمل ذلك على التاكيد والفضل فقد ترك الظاهر
وكل شئ يذكر ومنه ما ذكر بعد دخوله فى الاول مما ورد به القران نحو قوله فيهما فاكهة ونخل ورمان ونحو قوله
واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح ونحو قوله الذين كفروا وكذبوا باياتنا وقوله الذين كفروا
وصدوا عن سبيل الله قالوا جميع ذلك مجاز ولو خلينا والظاهر لقلنا انه ليس بداخل فى الاول فان قالوا اليس

الاقرار والتصديق من العمل الصالح فلا بد لكم من مثل ما قلناه قلنا عنه جوابان احدهما ان العمل لا يطلق
الا على افعال الجوارح لانهم لا يقولون عملت بقلبي وانما يقولون عملت بيدي او برجلي والثاني ان ذلك مجاز
يحمل عليه الضرورة وكلامنا مع الاطلاق وقوله فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون يعني لا خوف عليهم مما قدموا
عليه من اهوال القيمة ولا هم يحزنون على ما خلفوا وراءهم من الدنيا عند معاينتهم ما اعدّ لهم من الثواب و
النعيم المقيم عنده وقيل انه لا يحزنون من الموت **قوله تعـ** وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا
مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ اية بلا خلاف تقديره واذكروا اذ اخذنا ميثاقكم الميثاق
المفعال من الوثيقة اما بيمين واما بعهد وغير ذلك من الوثايق والميثاق الذي اخذه الله هو الذي ذكره في قوله
واذ اخذنا ميثاق بني اسرائيل لا تعبدون الا الله وبالوالدين احسانا في الايات التي ذكر بعدها ويحتمل ان
يكون اراد الميثاق الذي اخذ الله على الرسل في قوله واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم وقوله واذ اخذ الله
ميثاق النبيين لما اتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال اقررتم
واخذتم على ذلكم اصري وقد بينا ان اخذ العهد هو ما نصب لهم من الحجج الواضحة والبراهين الصحيحة الدالة
على توحيده وعدله وصدق انبيائه ورسله وافسدنا ما يقوله اهل الحشو من استخراج الذرية من ظهر ادم
واخذ العهد عليهم بما لا يحتاج الى اعادته وقوله ورفعنا فوقكم الطور قال مجاهد الطور هو الجبل وكذلك
هو في اللغة وقال العجاج   ولا جناحيه من الطور فمرّ   تقضي البازي اذا البازي كسر   وقيل انه
اسم جبل بعينه ناجى الله عليه موسى بن عمران ذهب اليه ابن عباس وابن جريج وقيل انه من الجبال التي تنبت
دون ما لا ينبت رواه الضحاك عن ابن عباس وقال قتادة ورفعنا فوقكم الطور قال الطور الجبل اقتلعه الله
فرفعه فوقهم فقال خذوا ما اتيناكم بقوة وقال مجاهد الطور اسم جبل بالسريانية وقال قتادة بالعربية
وقال قوم من النحويين معنى خذوا تقديره ورفعنا فوقكم الطور وقلنا لكم خذوا ما اتيناكم يعني التورية بقوة
اي بجد ويقين لا شك فيه والامتثال عليكم كما تقول اوجبت عليه حقا اي اوجبت عليه فعله وقال الفراء
اخذ الميثاق قول بلا حاجة بالكلام الى اضمار قول فيكون من كلامين غير انه ينبغي لكل ما خالف القول من
الكلام الذي هو بمعنى القول ان يكون معه ان كما قال تعـ انا ارسلنا نوحا الى قومه ان انذر قومك قال ويجوز
حذف ان ومعنى ما اتيناكم اي اعطيناكم لان الايتاء هو الاعطاء يعني ما امرناكم به في التورية بقوة اي بجد
ويقين على ما بيناه وهو قول ابن عباس وقتادة والسدي وقال ابو العالية والربيع بن انس بطاعة الله وقال
مجاهد انه العمل بما فيه وحكي عن ابن بحر ان معناه القبول وقال ابو علي بقوة معناه بالقدرة التي جعلنا فيكم
وذلك دلالة على ان القدرة قبل الفعل ومعنى اذكروا ما فيه قال قوم احفظوه ولا تنسوه وقال اخرون
اعملوا بما فيه ولا تتركوه والمعنى في ذلك ان ما اتيناكم فيه من وعد ووعيد وترغيب وترهيب اعتبروا به
واقبلوه وتدبروه كي اذا فعلتم ذلك تتقوني وتخافوا عذابي بالاصرار على ضلالتكم فتنتهوا الى طاعتي وتنزعوا
عما انتم عليه من المعصية **قوله تعـ** ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ
الْخَاسِرِينَ اية قوله توليتم اعرضتم وهو تفعلتم من قولهم ولاني فلان دبره اذا استدبر عنه وجعله خلف ظهره
ثم يستعمل ذلك في كل تارك طاعة امر ومعرض بوجهه يقال فلان تولى عن طاعة فلان ويتولى عن مواصلته و
صداقته ومنه قوله فلما اتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون يعني خالفوا ما وعدوا الله من قوله لئن
اتانا الله من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين ونبذوا ذلك وراء ظهورهم فصار معنى الاية انكم نبذتم
العهد الذي اخذناه عليكم بعد اعطائكم المواثيق وكنى بذلك عن جميع ما تقدم ذكره في الاية ثم قال فلولا
فضل الله عليكم يعني فلولا ان الله تفضل عليكم بالتوبة بعد نكثكم الميثاق الذي واثقتموه اذ رفع فوقكم الطور
فاجتهدتم في طاعته واداء فرائضه وانعم عليكم بالاسلام وبرحمته التي رحمكم بها فتجاوز عن خطيئتكم ثم اخفتكم
طاعة ربكم لكنتم من الخاسرين وهذا وان كان خطابا لمن كان بين ظهراني مهاجر رسول الله صـ فانما هو خبر عن
اسلافهم فاخرج الخبر مخرج الخبر عنهم على نحو ما مضى ذكره وقال قوم الخطاب في هذه الاية انما اخرج باضافة

الفعل

الفعل الى المخاطبين والفعل لغيرهم لان المخاطبين انما كانوا يتولون من كان فعل ذلك من اوايل بني اسرائيل
فصيرهم الله منهم من اجل ولايتهم لهم وقال بعضهم انما قال لهم ذلك لان سامعيه كانوا عالمين وان كان الخطاب
خرج مخرج الخطاب للاحياء من بني اسرائيل واهل الكتاب وان كان المعنى في ذلك انما هو خبر عما مضى من اسلافهم
ومثل ذلك قول الشاعر   اذا ما انتسبنا لم تلدني لئيمة   ولم تجدي من ان تقري به بدا   فقال اذا
ما انتسبنا واذا تقتضي من الفعل مستقبلا ثم قال لم تلدني فاخبر عن ماض لان الولادة قد مضت لان السامع
فهم معناه والاول اقوى وقال ابو العالية فضل الله الاسلام ورحمته القران وقوله فلولا فضل الله عليكم
ورحمته لكنتم من الخاسرين لا يدل على ان الذين خسروا لم يكن عليهم فضل الله لان فضل الله شامل لجميع الخلائق
لان ذلك دليل خطاب وليس ذلك بصحيح عند الاكثر والذي يكشف عن ذلك ان الواحد منا قد يعطي اولاده و
عبيده ويتفضل على جميعهم ثم يبذره بعضهم ويبقى فقيرا ويحفظه اخر فيصير غنيا ويحسن ان يقول للغني منهم لولا
فضلي عليك لكنت فقيرا ولا يدل ذلك على انه لم يتفضل على الذي هو فقير واذا كان كذلك كان تأويل الاية
انه لولا اقداري لكم على الايمان وازاحة علتكم فيه حتى فعلتم ايمانكم لكنتم من الخاسرين وانما جعل الايمان فضلا
فيؤتيه الذي به نجوا ولم يكونوا خاسرين من حيث كان هو الداعي اليه والمقدر عليه والمرغب فيه ويحتمل ان يكون المعنى
ولولا فضل الله عليكم بامهاله اياكم بعد توليكم عن طاعته حتى تاب عليكم برجوع بعضكم عن ذلك وتوبته لكنتم
من الخاسرين ويحتمل ان يكون اراد بهذا الفضل في وقت رفع الجبل فوقهم باللطف والتوفيق الذي تابوا عنده
حتى زال عنهم العذاب وسقوط الجبل ولولا فضل الله لسقط الجبل **قوله تعـ** وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا
مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ اية علمتم اي عرفتم ههنا فقوله علمت اخاك ولم اكن اعلمه
اي عرفته ولم اكن اعرفه كقوله تعـ واخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم يعني لا تعرفونهم الله يعرفهم والذين
نصب لانه مفعول به اعتدوا اي ظلموا وجاوزوا ما حد لهم وكانوا امروا الا يصيدوا في السبت وكانت الحيتان
تجتمع لامنها في السبت فحبسوها في السبت واخذوها في الاحد واعتدوا في السبت لان صيدها هو حبسها وقال قوم
بل اعتدوا واصطادوا يوم السبت وسمي السبت سبتا لان السبت هو القطعة من الدهر فسمي بذلك اليوم هذا قول
الزجاج وقال ابو عبيدة سمي بذلك لانه سبت خلق فيه كل شيء اي قطع وفرغ وقال قوم سمي بذلك لان اليهود
يسبتون فيه اي يقطعون الاعمال وقال اخرون سمي بذلك لما لهم فيه من الراحة لان اصل السبت هو السكون و
الراحة ومن ذلك قوله وجعلنا نومكم سباتا وقيل للنائم مسبوت لاستراحته وسكون جسده فسمي به اليوم
لاستراحة اليهود فيه وقوله فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين اخبار عن سرعة فعله ومسخه اياهم لا ان هناك
امرا كما قال للسموات والارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين ولم يكن هناك قول وانما اخبر عن تسهل الفعل
عليه وتكوينه له بلا مشقة بلفظ الامر ومعنى الاية على ما قاله اكثر المفسرين انه مسخهم قردة في صورة القردة سواء
وحكي عن ابن عباس انه قال لم يعش مسخ قط اكثر من ثلثة ايام ولم ياكل ولم يشرب وقال مجاهد ان ذلك مثل ضربه
الله كما قال كمثل الحمار يحمل اسفارا ولم يمسخهم قردة وحكي عنه ايضا انه قال مسخت قلوبهم فجعلت كقلوب القردة
لا تقبل وعظا ولا تتقي زجرا وهذان القولان منافيان لظاهر التأويل لما عليه اكثر المفسرين من غير ضرورة
داعية اليه وقوله خاسئين اي مبعدون لان الخاسي هو المبعد المطرود كما يخسى الكلب تقول منه خسأته
اخساه خسأ وخسوءا وهو يخسى خسوءا يقال خسأته فخسأ وانخسأ قال الراجز   كالكلب ان قلت له اخسأ انخسأ
اي ان طردته انطرد وقال مجاهد معناه اذلاء صاغرين والمعنى قريب وفي هذه الايات احتجاج من الله تعالى
لنبيه المترادفة واخبار للرسول عن عناد اسلافهم وكفرهم مرة بعد اخرى مع ظهور الايات والعلامات
تعزية له وتسلية له عندما راى من جحودهم وكفرهم وليكون وقوفه على ما وقف عليه من اخبارهم حجة عليهم
وتنبيها لهم وتحذيرا ان يحل بهم ما حل بمن تقدمهم من ابائهم واسلافهم **قوله تعـ** فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا
بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ اية بلا خلاف الضمير في قوله فجعلناها يحتمل ان يكون راجعا
الى العقوبة او القردة فكانه قال جعلنا القردة اي ما حل بها من التشويه وتغيير الخلقة دلالة على ان من

تقدمهم

ويحتمل ان يكون الهاء راجعة الى الحيتان ويحتمل ان يكون راجعة الى القرية التي اعتدى اهلها فيها صحح

تقدمهم او تاخر عنهم فمن فعل مثل فعلهم فيستحق من العقاب مثل الذي نزل بهم فكان نكالا لهم جميعا وموعظة للمتقين
اي تحذيرا وتنبيها لكيلا يواقعوا من المعاصي ما واقع اولئك فيستحقوا ما استحقوا نعوذ بالله من سخطه ويحتمل
ان يكون الهاء راجعة الى الامة الذين اعتدوا وهم اهل ايلة قرية على شاطئ البحر وروي ذلك عن ابي جعفر ع
وقوله نكالا قال ابن عباس عقوبة وقال غيره ينكل بها من يراها وقيل انها شهرة لان النكال الاشتهار
بالفضيحة ذكره الجبائي وليس بمعروف والنكال الارهاب للغير واصله المنع لانه ماخوذ من النكل وهو القيد
وهو ايضا اللجام وكلاهما مانع وقوله لما بين يديها وما خلفها روي عن عكرمة عن ابن عباس انه اراد ما بين
يديها وما خلفها من القرى وروى الضحاك عن ابن عباس انه اراد ما بين يديها يعني من بعدهم من الامم وما
خلفها الذين كانوا معهم باقين وقال السدي ما بين يديها من ذنوبها وما خلفها يعني عبرة لمن ياتي بعدهم من
الامم وقال قتادة لما بين يديها ذنوبها وما خلفها يعني عبرة لمن ياتي خلفهم بعدهم من الامم وقال قتادة لما بين
يديها ذنوب القوم وما خلفها للحيتان التي اصابوها وقال مجاهد ما بين يديها ما مضى من خطاياهم وما خلفها
من خطاياهم التي اهلكوا بها وموعظة للمتقين خص المتقين بها وان كانت موعظة لغيرهم لانتفاع المتقين بها
دون الكافرين كما قلناه في غيره قوله هدى للمتقين واصل النكال العقوبة تقول نكل فلان بفلان ينكل
تنكيلا ونكالا قال عدي بن زيد لا يسخط المليك ما يصنع العبد ولا في نكاله تنكير واقوى التاويلات
ما رواه الضحاك عن ابن عباس من انها كناية عن العقوبة والمسخة التي مسخها القوم لان في ذلك اشارة
الى العقوبة التي حلت بالقوم وان كان باقي الاقوال ايضا جائزا **قوله تعالى** وَاِذْ قَالَ مُوسٰى لِقَوْمِهِ اِنَّ
اللهَ يَاْمُرُكُمْ اَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا اَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ اَعُوذُ بِاللهِ اَنْ اَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ اية بلا خلاف
قرا ابو عمرو ونافع والكسائي وابن عامر هزؤا مثقلا وكذلك كفؤا مثقلة وقرأ حمزة مخففا وعاصم يثقلهن
ويخففهن وحمزة يخففهن ثلثهن قوله واذ معطوف على قوله واذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واذكروا اذ قال
موسى لقومه واهل الحجاز يثقلون هذه الكلمات وبنو اسد وتميم وعامة قيس يخففونهن ومن لا يهمز من
تميم وذلك ممن تجاوزهم يقولون عن مكان ان اذا كانت الهمزة مفتوحة يجعلونها عينا ويقولون اشهد عنك رسول الله
فاذا كسروها رجعوا الى لغة اهل الحجاز الى الهمزة وهذه الاية فيها توبيخ للمخاطبين من بني اسرائيل في نقض
اوائلهم الميثاق الذي اخذه الله عليهم بالطاعة لانبيائه فقال واذكروا ايضا من نكثهم ميثاقي اذ قال موسى
لقومه ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة قالوا اتتخذنا هزوا والهزؤ السخرية واللعب نظائر قال الراجز
قد هزئت مني ام طيلسه قالت اراه معدما لا شيء له اي سخرت ولعبت ولا يجوز ان يقع من انبياء الله
عز وجل فيما يؤدونه هزؤ ولا لعب وظنوا في امره اياهم عن الله ذبح البقرة عندما تدارءهم في القتيل انه
هازئ لاعب ولم يكن لهم ذلك وحذف الفاء من قوله اتتخذنا هزوا وهو جواب لاستغناء ما قبله من الكلام عنه
وحسن السكوت على قوله ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة فجاز لذلك اسقاط الفاء من قوله فقالوا كما حسن
اسقاطها في قوله فما خطبكم ايها المرسلون قالوا انا ارسلنا ولم يقل فقالوا ولو قيل بالفاء لكان حسنا ولو
كان ذلك على كلمة واحدة لم تسقط منه الفاء الا ترى انك اذا قلت قمت ففعلت لم يجز اسقاط الفاء لانها عطف
لا استفهام يوقف عليه فقال موسى حينئذ اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين يعني من السفهاء الذين يروون
على الله الكذب والباطل وكان السبب في امر موسى لقومه بذبح البقرة ما ذكره المفسرون ان رجلا من بني اسرائيل
كان غنيا ولم يكن له ولد وكان له قريب يرثه قيل انه اخوه وقيل انه ابن اخيه وقيل ابن عمه واستبطأ موته فقتله
سرا والقاه في موضع بعض الاسباط وادعى قتله على احدهم فاحتكموا الى موسى فسأل من عنده من ذلك علم
فقال انت نبي الله وانت اعلم منا فقال ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة فلما سمعوا ذلك منه وليس في ظاهره
جواب عما سألوا عنه قالوا اتتخذنا هزوا قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين لان الخروج عن جواب السائل
المسترشد الى الهزؤ جهل قال بعضهم وانما امروا بذبح البقرة دون غيرها لانها من جنس ما عبدوه من العجل
ليهون عليهم ما كانوا يرونه من تعظيمه وليعلم باجابتهم زوال ما كان في نفوسهم من عبادته والبقرة اسم

الانثى والثور للذكر مثل ناقة وجمل وامراة ورجل فيكون تانيثه بغير لفظه والبقرة مشتق من الشق يقولون
بقر بطنه اذا شقه لانها تشق الارض في الحرث **قوله تعالى** قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ اِنَّهُ يَقُولُ
اِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذٰلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ اية الفارض الكبيرة المسنة وبه قال
الجمهور يقال منه فرضت البقرة تفرض فروضا وفرضت تفرض اذا اسنت قال الشاعر لعمري لقد اعطيت
جارك فارضا تساق اليه ما تقوم على رجل وقيل ان الفارض التي قد ولدت بطونا كثيرة فيتسع لذلك
جوفها لان معنى الفارض في اللغة الواسع وهو قول بعض المتاخرين واستشهد بقول الراجز يا رب ذي
ضغن علي فارض له قروء كقروء الحائض ومنه قول الراجز شدلاه كالوطب نجاه الماخض له
زجاج ولهاة فارض ويقال لحية فارض اذا كانت عظيمة قال الشاعر شيب اصداغي فرأسي ابيض
محامل فيها رجال فرّض اي ذو اسنان وقال الجبائي الفارض التي لم تلد بطونا كثيرة فيتسع لذلك بطنها
قال الرماني وهذا غلط لا يعرف والبكر الصغيرة التي لم تحمل والبكر من اناث البهائم وبني ادم ما لم يفتحله الفحل
مكسورة الباء والبكر بفتح الباء الفتي من الابل والعوان النصف التي قد ولدت بطنا او بطنين قال الفراء يقال
من العوان عونت المراة تعوينا بالفتح والتشديد وعونت اذا بلغت ثلثين سنة وقال ابو عبيدة العوان من
الحرب التي قد قوتل فيها مرة او اكثر من ذلك ومن النساء الثيب جمع العوان عون قال ابو عبيدة انما قال عوان
بين ذلك ولم يقل بينهما لانه اخرجه على لفظة واحدة على معنى بين هذا الكلام الذي ذكرناه قال رؤبة في صفة
العير فيه خطوط من سواد وبلق كانه في الجلد توليع البهق قال ابو عبيدة ان اردت الخطوط
فقل كانها وان اردت السواد والبلق فقل كانهما فقال كان ذلك وذاك قال الفراء انما يصح ان يكنى عن
الاثنين بقولهم ذاك في الفعلين خاصة ولا يجوز في الاسمين الا ترى انهم يقولون اقبالك وادبارك يشق علي
لانهما مشتقان من فعل ولم يقولوا اخوك وابوك يزورني حتى يقول يزوراني وقال الزجاج يقول ظننت زيدا
قائما فيقول القائل ظننت ذلك وذاك وقال الشاعر في صفة العوان خرجن عليه بين بكر عزيزة وبين
عوان بالعمامة ناصف يعني بذلك بين الكبيرة والصغيرة هو اقوى ما يكون من البقر واحسنه قال الاخطل
وما بمكة من شمط محفلة وما بيثرب من عون وابكار ويقال بقرة عوان وبقر عون قال الاخفش لا فارض
ولا بكر ارتفع ولم ينتصب كما ينتصب النفي لان هذه صفة في معنى البقرة والنفي المنصوب لا يكون صفة من صفتها
انما هو اسم مبتدأ وخبر مضمر وهذا مثل قولك عبد الله لا قائم ولا قاعد ادخلت لا للنفي وتركت الاعراب على
حاله لو لم يكن فيه لا ثم قال عوان فوقع على الابتداء كانه قال هي عوان ويقال ايضا عوانة قال الاعشى
بكميت عرفاء مجمرة الخف عرها عوانة او فاق **قوله تعالى** قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ
اِنَّهُ يَقُولُ اِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ اية بلا خلاف لونها رفع لان ما ليست زائدة بل هي
بمعنى اي كانهم قالوا اي شيء لونها وقوله يبين جزم لانه جواب الامر بغير فاء ومعنى الاية ان قوم موسى قالوا
يا موسى ادع لنا ربك يبين لنا ما لون البقرة التي امرنا بذبحها واما قوله صفراء قال الحسن المراد به سوداء
شديدة السواد تقول العرب ناقة صفراء اي سوداء قال الشاعر تلك خيلي منه وتلك ركابي
هن صفر الوانها كالزبيب يعني ركابي هن سود غير ان هذا وان وصفت به الابل فليس مما توصف به
البقر مع ان العرب لا تصف السواد بالفقوع وانما تصفه بالشدة وبالحلوكة ونحوها تقول اسود
حالك وحانك وحلكوك وغربيب ودجوجي ولا يقول فاقع وقال اكثر المفسرين انها صفراء اللون من
الصفرة المعروفة وهذا الاصح لانه الظاهر ولانه قال فاقع لونها وهو الصافي ولا يوصف السواد بذلك
على ما بيناه فاما ابيض فيؤكد بانه ناصع واخضر ناضر واصفر فاقع وقال سعيد بن جبير المعنى في الاية بقرة
صفراء القرن والظلف وقال مجاهد صفراء اللون كله وهو الظاهر لانه قال فاقع لونها فوصف جميع اللون
بذلك وقال ابن عباس اراد به الصفراء شديدة الصفرة وقال غيره خالص الصفرة وقال ابو العالية وقتادة
الصافي وقوله تسر الناظرين فالسرور ما يسر به القلب والفرح ما فرحت به العين وقيل معناه تعجب الناظرين ومن

القرّاء من اختار الوقف على قوله صفراء والصحيح ان الوقف انما يجوز عند تمام النعت كله وقال قوم التمام عند
قوله فاقع ويقال فقع لونها يفقع بالتشديد وضمّ الياء ويفقع بالتخفيف فتح الياء فقوحا اذا خلصت
صفرته **قوله تعالى** قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ
اية واحدة القراء كلهم على تخفيف الشين مفتوحة الهاء وقرأ الحسن بتشديد الشين وضمّ الهاء وقرأ الاعمش
انّ البقر متشابه وكذا هو فى مصحف ابن مسعود والمعوّل على ما عليه القراء وما هو فى المصحف المعرفى تقدير
الكلام قال قوم موسى لما امروا بذبح البقرة لموسى وترك ذكر موسى لدلالة الكلام عليه واهل
الحجاز يؤنّثون البقر فيقولون هذه بقر وكذلك النخل وكل جمع كان واحده بالهاء وجمعه بطرح الهاء
فانّهم يؤنّثون ذلك وربما ذكروا ذلك قال الله تعالى كانّهم اعجاز نخل خاوية بالتانيث وفى موضع اخر كانهم
اعجاز نخل منقعر والاغلب عليهم التانيث واهل نجد يذكرون وربما انّثوا والتذكير الغالب فمن ذكر نصب
الهاء من تشابه يعنى التبس واشتبه ومن انّث دفع الهاء لانه يريد يتشابه علينا والبقر والباقر والجامل و
الجمال بمعنى واحد وقرأ بعضهم انّ الباقر تشابه علينا وهو شاذ قال الشاعر وما ذنبه ان عافت الماء
باقر وما ان يعاف الماء الا لتضربا وقال اخر مالى رايتك بعد اهلك موحشا خلقا كحوض الباقر
المتهدم وقال اخر لهم جامل لا يهدء الليل سامره يريد الجمال والذى ذهب اليه ابن جريج وقتادة
ورووه عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم انهم امروا بادنى بقرة لكنهم لما شدّدوا على انفسهم شدد الله عليهم وايم
الله لو انهم لم يستثنوا ما تبيّنت لهم الى اخر الدهر يعنى انّهم لو لم يقولوا وانّا ان شاء الله لمهتدون بتعريف
الله اياناو بما شاء له الله من اللطف والزيادة فى البيان وكلّ من اختار تاخير بيان المجمل عن حال الخطاب
استدلّ بهذه الاية على جواز ذلك وسنبيّن ذلك فيما بعد ان شاء الله **قوله تعالى** قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ
لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا
يَفْعَلُونَ اية بلا خلاف المعنى ان البقرة التى امرتكم بذبحها لا ذلول اى لم يذللها العمل باثارة الارض
باظلافها ولا تسقى الحرث معناه ولا يستقى عليها الماء فيسقى الزرع كما يقال للدابة التى قد ذللها الركوب
والعمل تقول دابة ذلول بيّن الذلّ بكسر الذال وفى مثله من بنى ادم رجل ذليل بيّن الذلّ والمذلة قال الزجاج
يحتمل ان يكون اراد ليست بذلول وهى تثير الارض ويحتمل انها ليست ذلولة ولا مثيرة الارض قيل انها كانت
وحشية فى قول الحسن مسلّمة معناه من السلامة يقال منها سلمت تسلم فهى مسلّمة من الشية لا شية فيها لا بياض
فيها ولا سواد وقال قتادة مسلّمة من العيوب وبه قال الربيع وقال ابن جريج لا عوان فيها قال المورخ لا شية
فيها اى لا وضح فيها بلغة ازد شنوءة والذى قال اهل اللغة لا شية فيها اى لا لون يخالف لون جلدها واصله
وشى الثوب واصله تحسين عيوب الشئ يكون فيه بضروب مختلفة من الوان سداه ولحمته يقال منه وشيت
الثوب اشية شية ووشيا ومنه قيل للساعى بالرجل الى السلطان او غيره واش لكذبه عليه عنده وتحسينه كذبه
عنده بالاباطيل يقال وشيت به وشاية قال كعب بن زهير يسعى الوشاة بجنبها وقولهم انك يا بن ابى
سلمى لمقتول يعنى انّهم يتقوّلون الاباطيل ويخبرونه انّه ان لحق بالنبى صلى الله عليه وسلم قتله وقال بعض اهل اللغة انّ
الوشى العلامة واصله شية من وشيت لكن لما اسقطت منها الواو ابدلت مكانها الهاء فى اخرها كما قالوا
وزنته زنة ووعد تدعلة وكذلك وشيته شية وقالوا الآن جئت بالحق موصولة الهمزة واذا ابتدأت
قطعت الالف الاولى لان الف الوصل اذا ابتدى بها قطعت قال الفرّا والاصل الاوان فحذفت الواو والالف
واللّام دخلتا فى أن لانهما ينوبان عن الاشارة المعنى انت الى هذا الوقت كفعل هذا فلم يعرب الآن كما لم
يعرب هذا ومن العرب من يقول قالوا الان جئت بالحقّ ويذهب الوصل ويفتح اللام ويحذف الهمزة التى بعد
اللام ويثبت الواو فى قالوا ساكنة لانه انما كان يذهبها السكون اللّام واللّام قد تحركت لانه حول عليها حركة
الهمزة قال الشاعر وقد كنت تخفى حبّ سمراء حقبة فبح لان منها بالذى انت بائح ومعنى قوله الان
جئت بالحق يحتمل امرين احدهما الان بيّنت الحقّ وهو قول قتادة وهذا يدل على انه كان فيهم من يشك فى ان

موسى صلى الله عليه وسلم ما بيّن الحقّ وقال عبد الرحمن بريد انه حين بيّنها لهم قالوا هذه بقرة فلان الان جئت بالحق وهو قول
من جوّز انه قبل ذلك لم يجئ بالحق على التفصيل والثانى انه على وجه الجلد و قوله فذبحوها وما كادوا يفعلون يحتمل
امرين احدهما كادوا لا يفعلون اصلا لغلاء ثمنها لانه حكى عن ابن عبّاس ومحمّد بن كعب انهم اشتروها بملاء جلدها
ذهبا من مال المقتول وقيل بوزنها عشر مرّات والثانى ما قال عكرمة ووهب كادوا الا يفعلوا خوفا من الفضيحة
على انفسهم فى معرفة القاتل منهم قال عكرمة ما كان ثمنها الا ثلثة دنانير ومعنى كادهمّ ولم يفعل ولا يقال كاد ان
يفعل وانّما يقال كاد يفعل قال الله وما كادوا يفعلون قال الشاعر قد كاد من طول البلى ان يمصحا يقال
مصح الشئ اذا مضى وذهب يمصح مصوحا وانشد الاصمعى كادت النفس ان تفيض عليه اذ ثوى حشو ريطة
وبرود ولم يجئ منه الا فعل يفعل وتثنيتها وقال بعضهم متحاشت بمعنى ايقاع الفعل لا بمعنى الهم والقرب من ايقاعه
وانشد قول الاعشى قد كاد يسموا الى الجرباء وارتفعا الجرباء السماء اى سماء وارتفع وقال ذو الرمة
ولو انّ لقمان الحكيم تعرضت لعينيه مى سافرا كاد يبرق اى لو تعرضت لعينيه لبرق اى دهش وتحيّر وروى
عن ابى عبد الله السلمى انه قرأ لا ذلول بفتح اللام غير منون وذلك لا يجوز لانه ليس المراد النفى وانّما المراد انها
بقرة غير ذلول وعندنا انه لا يجوز فى البقر غير الذبح فان نحر نحرا لم يجز اكله وفيه خلاف ذكرناه فى خلاف الفقهاء
وقد استدلّ اصحابنا بهذه الايات على جواز تاخير البيان عن وقت الخطاب الى وقت الحاجة فانه قالوا ان الله
امرهم بذبح بقرة هذه الصّفات كلّها لها ولم يبيّن ذلك فى اوّل الخطاب حتى سألوا عنه وراجعوا فيه فبيّن حينئذ
المراد لهم شيئا بعد شيئ وهذا يدلّ على جواز تاخير البيان فان قيل ولم زعمتم ان الصّفات المذكورة فى البقرة
الاولى التى امروا بذبحها وما الذى تنكروا انهم امروا بذبح البقرة اى بقرة كانت فلما راجعوا تغيّرت المصلحة
فامروا بذبح بقرة اخرى هى لا فارض ولا بكر فلما راجعوا تغيّرت المصلحة فامروا بذبح بقرة صفراء فاقع لونها
فلما راجعوا تغيّرت المصلحة فامروا بذبح بقرة لا ذلول تثير الارض ولا تسقى الحرث مسلّمة لا شية فيها وانما يصح
لكم لو كانت الصّفات المذكورة كلّها مرادة فى البقرة الاولى قلنا هذا باطل لان الكناية فى قوله قالوا ادع لنا
ربّك يبيّن لنا ما هى لا يجوز ان يكون كناية الا عن البقرة التى تقدم ذكرها وامروا بذبحها لانه لم يجر فى الكلام ما
يجوز ان يكون هذه الكناية كناية عنه الا البقرة ويجرى ذلك مجرى ان يقول واحد لغلامه اعطنى تفاحة فيقول
الغلام ما هى بيّنها فلا يصرف واحد من العقلاء هذه الكناية الا الى التفاحة المامور باعطائه اياها ثم يقال
بعد ذلك انها بقرة لا فارض ولا بكر وقد علمنا ان الهاء فى قوله انه يقول كناية عنه تعالى لانه لم يتقدم ما يجوز ان
يكون كناية عنه الا اسمه تعالى وكذلك يجب ان يكون قوله انها كناية عن البقرة المتقدم ذكرها والا فما الفرق
بين الامرين وكذلك الكلام فى الكناية الثانية والثالثة سواء ولا خلاف بين المفسّرين ان الكناية فى الاية من اوّلها
الى اخرها كناية عن البقرة المامور بها فى الاوّل وقالت المعتزلة انها كناية عن البقرة التى تعلق التكليف المستقبل
بها ولا خلاف بين المفسّرين انّ جميع الصّفات المذكورات للبقرة اعوز اجتماعها للقوم حتى توصلوا الى اجتماع
بقرة لها هذه الصّفات كلّها بملأ جلدها ذهبا وروى اكثر من ذلك ولو كان الامر على ما قاله المخالف لوجب الا
يعتبروا فيما يتباعونه الا الصّفات الاخيرة دون ما يقدّمها وتلغى الصّفات المتقدّمة فى اجماعهم على انّ الصّفات
كلّها معتبرة دليل على انّ الله تعالى اخّر البيان فان قيل لم عنفوا على تاخيرهم امتثال الامر الاوّل مع انّ المراد
بالامر الاوّل تاخّر ولم قال فذبحوها وما كادوا يفعلون قلنا ما عنفوا بتاخير امتثال الامر الاوّل وليس فى
الظاهر ما يدلّ عليه بل كان البيان يأتى شيئا بعد شئ كما طلبوه من غير تعنيف فلا قول يدلّ على انّهم بذلك
عصاة فامّا قوله فى اخر القصّة فذبحوها وما كادوا يفعلون فانّما يدلّ على انهّم كادوا يفرطون فى اخر
القصّة وعند تكامل البيان ولا يدلّ على انّهم فرطوا فى اوّل القصّة ويقوى ذلك قوله ثمّ بعد جميع الاوصاف
الان جئت بالحقّ اى جئت به على جهة التفصيل وان كان جاءهم بالحقّ مجملا وهذا واضح بحمد الله وقد
استوفينا الكلام فى هذه الاية وغيرها فى العدة فى اصول الفقه فما لا مزيد عليه **قوله تعالى** وَإِذْ قَتَلْتُمْ
نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ اية تقدير الاية واذكروا اذ قتلتم نفسا فادّارأتم فيها

وهو عطف على قوله واذكروا نعمتي التي انعمت عليكم وهو متقدم على قوله واذ قال موسى لقومه ان الله
يامركم ان تذبحوا بقرة لانهم انما امروا بذبح البقرة بعد تدارئهم في امر المقتول ومعنى ادّارأتم اختلفتم و
اصله تدارأتم فادغمت التاء في الدال بعد ان سكنت وجعلوا قبلها الفا لتمكن النطق بها قال ابو عبيدة
ادّارأتم بمعنى اختلفتم فيها من التدارى ومن الدرء وقيل الدرأ العوج اى اعوججتم عن الاستقامة ومنه
قول الشاعر فنكبت عنهم درأ الاعادى وداووا بالجنون من الجنون اى اعوجاج الاعادى وقال
قوم التدارؤ المدافعة ومعناه تدافعتم في القتل ومنه قول رؤبة وأعنها العذاب وقال رؤبة بن العجاج
اذ كنتها قدّام كل مدرة بالدّفع عنّى درء كل عنجه ويقال فلان لا يدارى ولا يمارى اى لا يخالف ومنه
قوله والله مخرج ما كنتم تكتمون اى مظهر ما كنتم تسترون من القتل **قوله تعـ** فقلنا اضربوه ببعضها كذلك
يحيى الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون اية بلا خلاف روى ابن سيرين عن ابى عبيدة السلمانى قال
كان رجل من بنى اسرائيل عقيما وله مال كثير فقتله وارثه وجرّه فقعد على باب ناس اخرين ثم اصبح يدعيه عليهم
حتى تسلح هؤلاء وهؤلاء واراد وا ان يقتلوا فقال ذووا النهى اتقتلون وفيكم نبى الله فامسكوا حتى اتوه
فامرهم ان يذبحوا بقرة فيضربوه ببعضها فقالوا اتتخذنا هزوا قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين قال
فوجدوها عند رجل فقال لا ابيعها الا بملء جلدها ذهبا وكان بارّا بابيه فعوضه الله عن ذلك وجازاه
عن برّه بابيه اذ باع البقرة بملء جلدها ذهبا فضربوه ببعضها فتكلم فقال قتلنى فلان ثم عاد ميتا فلم يورث
قاتل بعده واختلفوا في اىّ موضع ضرب من القتيل فقال الفرّاء ضرب بذنبها والبعض قلّ من النصف وقال ابن
زيد ضرب ببعض ارابها وقال ابو العالية ضرب بعظم من عظامها وقال السدى ضرب بالبضعة التى بين الكتفين
وقال مجاهد وعكرمة وقتادة ضرب فخذ البقرة والهاء في قوله فاضربوه كناية عن القتيل والهاء في قوله ببعضها
كناية عن البقرة وهذه الاقاويل كلها محتملة الظاهر والمعلوم ان الله تعـ امر ان يضرب القتيل ببعض البقرة و
لا يضر الجهل بذلك البعض بعينه وانّما امرهم بذلك لانهم اذا فعلوه احيى الميت فيقول فلان قتلنى فيزول الخلف
والتدارى بين القوم والقديم تعـ وان كان قادرا على الاخبار بذلك فانّ هذا اظهر والاخبار به اعجب لانه
معجز خارق للعادة والتقدير في الاية فقلنا اضربوه ببعضها فضربوه فحيى كما قال اضرب بعصاك البحر فانفلق
تقديره فضرب فانفلق وكذلك قوله يحيى الله الموتى فيه اضمار كانه قال فقلنا اضربوه ببعضها فحيى كذلك
يحيى الله الموتى اى اعلموا ان ما عاينتموه ان الله قادر على ان يحيى الموتى للجزاء والحساب الذى اوعدكم
به ولما ضربوه ببعض البقرة احياه الله تعـ فقال قتلنى ابن اخى ثم قبض وكان اسمه عاميل فقال بنو اخيه والله
ما قتلناه وكذّبوا الحق بعد معاينته وانّما جعل بسبب احياء الضرب بموات لا حياة فيه لئلا يلتبس على ذى شبهة
ان الحياة انتقلت اليه مما ضرب به لتزول الشبهة وتتأكد الحجة وقوله كذلك يحيى الله الموتى يحتمل ان يكون
حكاية عن قول موسى لقومه ويحتمل ان يكون خطابا من الله تعـ لمشركى قريش وقوله لعلكم تعقلون اى
لتعقلوا وقد كانوا عقلاء قبل ذلك لان من لا عقل له لا يلزمه الحجة لكنه اراد تنبيههم وان يقبلوا ما يدعون
اليه ويطيعوه ويعرفوه حق معرفته **قوله تعـ** ثمّ قست قلوبكم من بعد ذلك فهى كالحجارة او
اشدّ قسوة وانّ من الحجارة لما يتفجّر منه الانهار وانّ منها لما يشّقق فيخرج منه الماء وانّ منها
لما يهبط من خشية الله وما الله بغافل عمّا تعملون اية واحدة بلا خلاف قرأ ابن كثير وحده ههنا عما
يعملون بالياء والباقون بالتاء والخطاب بقوله قلوبكم قيل فيمن يتوجه اليه قولان احدهما انه اراد بنو اخى
المقتول حين انكروا قتله بعد ان سمعوه منه عند احياء الله تعـ له انه قتله فلان هذا قول ابن عباس والثانى
قول غيره انه متوجه الى بنى اسرائيل كلهم قال وقوله من بعد ذلك اى من بعد آيات الله كلها التى اظهرها
على يد موسى وعلى الوجه الاوّل يكون ذلك اشارة الى الاحياء ومعنى قست قلوبكم اى غلظت ويبست
وعتت القسوة ذهاب اللين والرحمة والخشوع والخضوع ومنه يقال قسا قلبه يقسو قسوا وقسوة
وقساوة وقوله من بعد ذلك اى من بعد احياء الميت لكم ببعض من اعضاء البقرة بعد ان تدارءوا فيه

واخبرهم بقاتله والسبب الذى من اجله قتله وهذه اية عظيمة كان يجب على من شاهد هذا ان يخضع ويلين
قلبه ويحتمل ان يكون من بعد احياء الميت والآيات الاخر التى تقدمت كمسخ القردة والخنازير ودفع الجبل فوقهم
وانبجاس الماء من الحجر وانفراق البحر وغير ذلك وانما جاز ذلك وان كانوا جماعة ولم يقل ذلكم لان الجماعة
في معنى الجمع والفريق فالخطاب في لفظ الواحد ومعناه جماعة وقوله فهى كالحجارة يعنى قلوبكم فشبهها
بالحجارة في الصلابة واليبس والغلظ والشدة اى اشد صلابة لامتناعهم بالاقرار اللازم من حقه الواجب
من طاعته بعد مشاهدة الآيات ومعنى او في الاية يحتمل امورا احدها ذكره الزجاج فقال هى بمعنى التخيير
كقولك جالس الحسن او ابن سيرين اى ايهما جالست جاز لك فكانه قال ان شبهت قلوبهم بالحجارة جاز وان
شبهتها بما هو اصلب كان جائزا والثانى ان يكون او بمعنى الواو وتقديره فهى كالحجارة واشد قسوة كما قال
وارسلناه الى مائة الف او يزيدون ومثله قول جرير نال الخلافة او كانت له قدرا كما اتى ربه موسى
على قدر وقال توبة بن الحمير وقد زعمت ليلى بانى فاجر لنفسى تقاها او عليها فجورها اى وعليها
ومثله قوله تعـ ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن او آبائهن او آباء بعولتهن الاية والثالث يكون المراد الابهام
على المخاطبين كما قال ابو الاسود الدؤلى احب محمدا حبا شديدا وعباسا وحمزة والوصيا فان يك
حبهم رشدا اصبه ولست بمخطئ ان كان غيا وابو الاسود لم يكن شاكا في حبهم ولكن ابهم على من خاطبه و
قيل لابى الاسود حين قال ذلك شككت قال كلا ثم استشهد بقوله تعـ قل الله وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال
مبين افتراه كان شاكا حين اخبر بذلك والرابع ان يكون اراد بل اشد قسوة ومثله وارسلناه الى مائة الف او
يزيدون اى بل يزيدون ولا يكون بل للاضراب عن الاول بل لمجرد العطف والخامس انها كالحجارة او اشد قسوة
عندكم السادس ان يكون اراد مثل قول القائل اطعمتك حلوا او حامضا وقد اطعمه النوعين جميعا وهو انه لم يخل
انه اطعمه الطعمين معا فكانه قال فهى كالحجارة او اشد قسوة ومعناه ان قلوبهم لا تخرج من احدى هاذين
المثلين اما ان يكون مثلا للحجارة في القسوة واما ان يكون اشد منها ويكون معناه على هذا بعضها كالحجارة
قسوة وبعضها اشد قسوة من الحجارة وكل هذه الوجوه محتملة واحسنها الابهام على المخاطبين ولا يجوز ان
يكون معنى الشك لان الله تعـ عالم لنفسه لا يخفى عليه خافية وكذلك في امثال ذلك نحو قوله فكان قاب قوسين
او ادنى وغير ذلك وانشدوا في معنى او يراد به بل قول الشاعر بدت مثل قرن الشمس في رونق الضحى
وصورتها او انت في العين املح يريد بل انت والرفع في قوله او اشد قسوة يحتمل امرين احدهما ان يكون
عطفا على معنى الكاف التى في قوله كالحجارة لان معناها فهى مثل الحجارة والآخر ان يكون عطفا على تكرير هى فكانّه
التقدير فهى كالحجارة او هى اشد قسوة من الحجارة وقرئ بنصب الدال شاذا فيكون نصبه على ان موضعه الجر
بالكاف وانّما نصب على انه على وزن افعل لا ينصرف وقوله وانّ من الحجارة لما يتفجر منه الانهار معناه انّ من الحجارة
ما هو انفع من قلوبكم القاسية تتفجر منها انهار وان منها لما يهبط من خشية الله والتقدير ان من الحجارة حجارة
تتفجر منها انهار الماء فاستغنى بذكر الانهار عن ذكر الماء وذكر قوله منه للفظ ما والتفجّر التفعّل من فجر الماء وذلك
اذا نزل خارجا من منبعه وكلّ سائل شخص خارجا من موضعه ومكانه فقد انفجر ماء كان او دما او صديدا
او غير ذلك قال عمرو بن لجاء ولما ان قرنت الى جرير ابى ذو بطنه الا انفجارا يعنى خروجا وسيلانا و
قوله وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وتشقّق الحجارة انصداعها واصله يتشقق لكن التاء ادغمت في الشين
فصارت شينا مشددة وقوله فيخرج منه الماء يعنى فيخرج منه الماء فيكون عينا نابعة لا انها جارية حتى يكون
خلاف الاوّل وقال الحسين بن على المغربى الحجارة الاولى حجارة الجبال يخرج منها الانهار والثانية حجر موسى
الذى ضرب به فانفجرت منه عيون فلا يكون تكرارا وقوله وان منها لما يهبط من خشية الله قال ابو على والمغربى
معناه بخشية الله كما قال يحفظونه من امر الله اى بامر الله قال وهى حجارة الصواعق والبرد والكناية في قوله
منها قيل فيها قولان احدهما انها ترجع الى الحجارة لانها اقرب مذكور وقال قوم انها ترجع الى القلوب لا الى
الحجارة فيكون معنى الكلام وان من القلوب لما يخضع من خشية الله ذكره ابن بحر وهو احسن من الاول ومن

قال بالأول اختلفوا فيه فمنهم من قال ان المراد بالحجارة الهابطة البرد النازل من السحاب وهذا شاذ لم يذكره
غير ابي علي الجبائي وقال الاكثر ان المراد بذلك الحجارة الصلبة لانها اشد صلابة وقالوا في هبوطها
وجوها احدها ان هبوط ما يهبط من خشية الله تفيئ ظلاله وثانيها انه الجبل الذي صار دكا لما تجلى له ربه
وثالثها قاله مجاهد ان كل حجر يتردى من راس جبل فهو من خشية الله ورابعها ان الله تعم اعطى بعض الجبال المعرفة
فعقل طاعة الله تعم فاطاعه كالذي روى في حنين الجذع وما روى عن النبي صم انه قال ان حجرا كان يسلم على
في الجاهلية اني لا اعرفه الان وهذا الوجه فيه ضعف لان الجبل ان كان جمادا فمحال ان يكون فيه معرفة الله وان
كان عارفا بالله وبنية بنية الحي فانه لا يكون جبلا واما الخبر عن النبي صم فهو خبر واحد ولو صح لكان معناه
ان الله تعم احيا الحجر فسلم على النبي صم ويكون ذلك معجزا له صم واما حنين الجذع فان الله تعم خلق فيه الحنين فكان
بذلك خارقا للعادة لانه اذا استند اليه النبي صم سكن واذا تنحى عنه حن وقال قوم يجوز ان يكون الله تعالى
بنى داخله بنية حي فصح منه الحنين وقال قوم معنى يهبط من خشية الله انه يوجب الخشية لغيره بدلالته على
صانعه كما قيل ناقة تاجرة اذا كانت من نجابتها وفراهتها تدعوا الناس الى الرغبة فيها كما قال جرير بن عطية
واعور من نبهان اما نهاره فاعمى واما ليله فبصير فجعل الصفة لليل والنهار وهو يريد صاحبه
النبهاني الذي يهجوه بذلك من اجل انه كان فيهما على ما وصفه به والذي يقوى في نفسي ان معنى الاية
الابانة عن قساوة قلوب الكفار وان الحجارة الين منها لو كانت تلين لشئ للانت ونفجر منها الانهار و
تشققت منها المياه وهبطت من خشية الله وهذه القلوب لا تلين مع مشاهدتها الايات التي شاهدتها بنو
اسرائيل وجرى ذلك مجرى ما يقوله قوله تعم لو انزلنا هذا القران على جبل لرايته خاشعا متصدعا من خشية الله
ومعناه لو انزلنا هذا القران على جبل وكانت الجبال مما تخشع لشئ لما رايته خاشعا متصدعا وكقوله تعم ولو
ان قرانا سيرت به الجبال او قطعت به الارض الى اخرها سواء وادخلت هذه اللامات فيها تاكيدا للخبر ويجوز في
قوله فهي كالحجارة اشكان الهاء وقد قرئ به لان الفاء مع الهاء قد جعلت الكلمة بمنزلة فخذ فتحذف الكسرة
استثقالا والمعنى في الاية انه تعم لما اخبر عن بني اسرائيل وما انعم عليهم به واراهم من الايات وغير ذلك فقال
مخبرا عن عصيانهم وطغيانهم ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة او اشد قسوة ثم اخبر تعم انه لا امتناع
عند الحجارة مما يحدث فيها من امره وان كانت قاسية بل هي منصرفة على مراده لا يعدم شئ مما قدر فيها وبنوا
اسرائيل مع كثرة نعمه عليهم وكثرة ما اراهم من الايات يمتنعون من طاعته ولا تلين قلوبهم لمعرفة حقه بل تقسو و
تمتنع من ذلك وقوله وان منها لما يهبط من خشية الله اي عند ما يحدث فيها من الاية الهائلة كالزلازل
وغيرها واضاف الخشية الى الحجارة وان كانت جمادا على مجاز اللغة والتشبيه والمعنى في خشوع الحجارة انه
يظهر فيها ما لو ظهر في حي مختار قادر لكان بذلك خاشعا وهو ما يرى من حالها وانها منصرفة لا امتناع عندها
مما يراد بها وهو كقوله جدارا يريد ان ينقض لان ما ظهر فيه من الميلان لو ظهر من حي لدل على انه يريد ان
ينقض ليس ان الجدار يريد شيئا في الحقيقة ومثله وان من شئ الا يسبح بحمده وقوله ولله يسجد من في السموات
ومن في الارض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس وقوله والنجم والشجر يسجدان
وقال زيد الخيل بجمع تظل البلق في حجراته ترى الاكم فيه سجدا للحوافر فجعل ما ظهر في الاكم من اثار
الحوافر وقلة امتناعها عليها ومدافعتها لها كما يدافع الحجر الصلب الحديد الصلب سجودا لها ولو ان الاكم
كانت في صلابة الحديد حتى يمتنع من الحوافر ولا تؤثر فيها ولا تذهب يمينا ولا شمالا ولا انطاهر بكثرة تزداد
الحوافر عليها ما جاز ان يقال انها تسجد للحوافر وقال ابن حمزة وعرفت من شرفات مسجدها حجرين طال
عليهما القصر ركبا لخلاء فقلت اذ بكيا ما بعد مثل بكاهما صبرا وقال جرير لما اتى خبر الزبير
تواضعت سور المدينة والجبال تخشع فصيرها متواضعة والعرب تفهم بعضها مراد بعض بهذه الاشياء
فمن تعلق بشئ من هذا ليطعن به فانما يطعن على لغة العرب بل على لغة نفسه من اهل اي لغة كان فان هذا
موجود متعارف في كل لغة وعند كل جيل وقوله وما الله بغافل عما تعملون من قرأ بالتاء قال الخطاب متوجه

الى بني اسرائيل فكانه قال وما الله بغافل يا معشر المكذبين بآياته والجاحدين بنبوة محمد صم عما تعملون ومن قرأ بالياء
فكان الخطاب لغيرهم والكناية عنهم والغفلة عن الشئ تركه على وجه السهو عنه والنسيان فاخبرهم الله تعم انه
غير غافل عن اعمالهم السيئة ولا ساه عنها **قوله تعم** اَفَتَطْمَعُونَ اَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ
كَلَامَ اللّٰهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ اية بلا خلاف الالف في قوله افتطمعون الف استفهام
والمراد به الانكار كقوله ارايتكم بذير فقالوا بلى فاذا كان في الاول نفيا كان الجواب بلى واذا لم يكن نفيا كان الجواب
لا وهذا خطاب لامة النبي صم فكانه قال افتطمعون ايها المؤمنون ان يؤمنوا لكم من طريق النظر والاعتبار ونفى التشبيه
والانقياد للحق وقد كان فريق منهم اي ممن هو في مثل حالهم من اسلافهم يسمعون كلام الله ثم يعلمون انه الحق
ويعاندون فيحرفونه ويتاولونه على غير تاويله **و** قوله وقد كان فريق منهم والفريق جمع كالطائفة لا واحد
له من لفظه وهو فعيل من الفرق سمي به الجمع كما سميت الجماعة بالحزب من التحزب قال اعشى بن تغلبه
اجذوا فلما خفت ان يتفرقوا فريقين منهم مصعد ومصوب وقوله منهم يعني من بني اسرائيل وانما جعل الله
الذين كانوا على عهد موسى ومن بعده من بني اسرائيل من اليهود الذين قال الله تعم لاصحاب محمد افتطمعون ان
يؤمنوا لكم لانهم كانوا اباءهم واسلافهم فجعلهم منهم اذا كانوا عشايرهم وفرطهم واسلافهم وقوله يسمعون
كلام الله قال قوم منهم مجاهد والسدي انهم علماء اليهود الذين يحرفون التورية فيجعلون الحلال حراما
والحرام حلالا اتباعا لاهوائهم واعانة لمن يرشوهم وقال ابن عباس والربيع وابن اسحق والبلخي انهم الذين
اختارهم موسى من قومه فسمعوا كلام الله فلم يمتثلوا امره وحرفوا القول في اخبارهم لقومهم حتى رجعوا اليهم
وهم يعلمون انهم قد حرفوا وهذا اقوى التاويلين لانه تعم اخبر عنهم بانهم يسمعون كلام الله والذين سمعوا
كلام الله بلا واسطة هم الذين كانوا مع موسى فاما هؤلاء فانما سمعوا ما يضاف الى كلامه بضرب من العرف دون
حقيقة الوضع ومن قال بهذا قال هم الذين سمعوا كلام الله الذي اوحى الله الى موسى وقال قوم هو التورية
التي علمها علماء اليهود **و** قوله من بعد ما عقلوه وهم يعلمون قيل فيه وجهان احدهما وهم يعلمون انهم يحرفونه
والثاني من بعد ما تحققوه وهم يعلمون ما في تحريفه من العقاب الذي يلحق بمثلهم في الموافاة ان تقولوا حسنا
وهم يعلمون انهم يحرفونه فان قيل فلم اذا اخبر الله عن قوم بانهم حرفوا وفعلوا ما فعلوا من المعاندة يجب ان يؤيس من
ايمان من هو في هذا الوقت واي علقة بين الموضعين والحالين قيل ليس كلما يطمع فيه يؤيس منه على وجه الاستيقان
بانه لا يكون لان الواحد من افناء العامة لا يطمع ان يصير ملكا ومع ذلك لا يمكن القطع على كل حال ان ذلك لا
يكون ابدا ولكن لا يطمع فيه لبعده والله تعم نفى عنهم الطمع ولم يؤيسهم على القطع والثبات وانما لم يطمع فيهم لبعد
ذلك عن الوهم منهم مع احوالهم التي كانوا عليها وشبههم باسلافهم المعاندين وقد كانوا قادرين على ان يؤمنوا
وكان ذلك منه جائزا وهؤلاء الذين عاندوا وحرفوا وهم يعلمون كان قليلا عددهم يجوز على مثلهم التواطئ
والاتفاق وكتمان الحق وانما يمتنع ذلك في الجمع العظيم والخلق الكثير لامر يرجع الى اختلاف الدواعي فاما على وجه
التواطي والعمد فلا يمتنع فيهم ايض فبطل بذلك قول من نسب فريقا الى المعاندة دون جميعهم وان كانوا باجمعهم كفارا
قوله تعم وَاِذَا لَقُوا الَّذِينَ اٰمَنُوا قَالُوا اٰمَنَّا وَاِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ اِلٰى بَعْضٍ قَالُوا اَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللّٰهُ
عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ اَفَلَا تَعْقِلُونَ هذه الاية فيها اخبار عمن دفع الله الطمع في ايمانهم من يهود
بني اسرائيل الذين كانوا بين اظهرهم فقال افتطمعون ايها المؤمنون ان يؤمنوا لكم وهم القوم الذين كان
فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون وهم الذين اذا لقوا الذين امنوا قالوا
امنا اي صدقنا بمحمد بما صدقتم به واقررنا بذلك فاخبر الله بانهم تخلقوا باخلاق المنافقين وسلكوا منهاجهم
واذا خلا بعضهم الى بعض اي اذا خلا بعض هؤلاء اليهود الذين وصفهم الله صفتهم الى بعض منهم فصاروا في
خلاء الناس وذلك هو الموضع الذي ليس فيه غيرهم قالوا يعني بعضهم لبعض اتحدثونهم بما فتح الله عليكم وقال
ابن عباس بما فتح الله عليكم اي بما الزمكم الله به فيقول لكم اخوان انما نستهزئ بهم ونضحك وروى سعيد بن جبير
عن ابن عباس ان معناه قالوا لا تحدثوا العرب بهذا فانكم قد كنتم تستفتحون به عليهم فانزل الله هذه الاية تعود

بانه نبى وقد علمتم انه قد اخذ له الميثاق عليكم باتباعه وهو يخبركم بانه النبى الذى كنا ننتظره ونجده فى كتابنا اجحدوه ولا تقروا به لهم فقال الله تعم اولا يعلمون ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون وقال ابو العالية اتحدثونهم بما فتح الله عليكم اى بما انزله فى كتابكم من بعث محمد صلعم وبه قال قتادة وقال مجاهد ذلك قول يهود بنى قريظة حين سبّهم النبى صلعم بانهم اخوة القردة والخنازير قالوا من حدثك بهذا حين ارسل اليهم عليا فآذوا محمدا صلعم (خ ل ستبهم)
فقال ما اخوة القردة والخنازير فقال بعضهم لبعض ما اخبره بهذا الا منكم اتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليكون لهم حجة عليكم وقال السدى هؤلاء ناس امنوا من اليهود ثم نافقوا وكانوا يحدثون المؤمنين من العرب بما عذبوا به فقال بعضهم لبعض اتحدثونهم بما فتح الله عليكم من العذاب ليحاجوكم به ليقولوا نحن احب الى الله منكم واكرم عليه منكم ومثله روى عن ابى جعفر عم واصل الفتح فى لغة العرب القضاء والنصر والحكم يقال اللّهم افتح بينى وبين فلان اى احكم بينى وبينه ومنه قوله تعم ويقولون متى هذا الفتح يعنى القضاء وقال الله تعم قل يوم الفتح يعنى يوم القضاء وقال الشاعر الا ابلغ بنى عصم رسولا فانى عن فتاحتكم غنى
ويقال للقاضى الفتاح قال الله تعم ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وانت خير الفاتحين يعنى احكم به ويقال الفتح بمعنى علم فقال افتح على هذا اى علمنى بما عندك فيه واذا كان معنى الفتح ما وصف فقد بان ان معنى الاية اتحدثونهم بما حكم الله عليكم وقضاه فيكم ومن حكمه ما اخذ به ميثاقهم من الايمان بمحمد صلعم بما بينه فى التورية ومن قضائه انه جعل منهم القردة والخنازير فاذا ثبت ذلك فان اقوى التأويلات قول من قال اتحدثونهم بما فتح الله عليكم من بعث محمد صلعم وصفته فى التورية وانه رسول الله صلعم المخلقه و روى عن ابى جعفر عم انه قال كان قوم من اليهود ليسوا بالمعاندين المتواطئين اذا القوا المسلمين حدثوهم بما فى التورية من صفة محمد صلعم فنهاهم كبراؤهم عن ذلك وقالوا لا تخبروهم بما فى التورية من صفة محمد صلعم فيحاجوكم به عند ربكم فنزلت الاية ومعنى قوله افلا تعقلون افلا تفهمون ايها القوم ان اخباركم محمدا صلعم واصحابه بما تحدثونهم به واقراركم لهم بما يقرون لهم من وجودكم بعث محمد فى كتبكم وانه نبى مبعوث حجة عليكم عند ربكم يحتجون بها عليكم وقال ابو عبيدة بما فتح الله عليكم اى بما منّ عليكم واعطاكم ليحاجوكم به الحسن قال فى قوله ليحاجوكم به عند ربكم اى فى ربكم فيكونوا اولى منكم اذا كانت حجتهم عليكم قال الحسن ثم رجع الى المؤمنين فقال افلا تعقلون ايها المؤمنون فلا تطمعوا فى ذلك **قوله تعم** اَوَلَا يَعْلَمُونَ اَنَّ اللّٰهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّوْنَ وَمَا يُعْلِنُوْنَ اية بلا خلاف معناه اولا يعلمون ان الله يعلم سرهم وعلانيتهم فكيف يستجيزون ان يسروا الى اخوانهم النهى عن التحدث بما هو الحق وليسوا كسائر المنافقين وان كانوا يسرون الكفر فانهم غير عالمين بان الله يعلم سرهم وجهرهم لانهم جاحدون له وهؤلاء معترفون فهم من هذه الجهة الوم واعجب شانا واشد جزاء وقال قتادة فى اولا يعلمون ان الله يعلم ما يسرون من كفرهم وتكذيبهم محمدا اذا خلا بعضهم الى بعض وما يعلنون اذا لقوا اصحاب محمد صلعم قالوا امنا يغرونهم بذلك ومثله روى عن ابى العالية **قوله تعم** وَمِنْهُمْ اُمِّيُّوْنَ لَا يَعْلَمُوْنَ الْكِتَابَ اِلَّا اَمَانِيَّ وَاِنْ هُمْ اِلَّا يَظُنُّوْنَ اية بلا خلاف قرا ابو جعفر المدنى واماني مخففا الباقون بالتشديد قوله ومنهم يعنى من هؤلاء اليهود الذين قص الله قصتهم فى هذه الايات وقطع الطمع فى ايمانهم وقال اكثر المفسرين سموا اميين لانهم لا يحسنون الكتابة ولا القراءة يقال منه رجل امى بين الامية ومنه قوله عم انا امة اميون لا نكتب ولا نحسب وانما سمى من لا يحسن الكتابة اميا لاحد امور قال قوم هو مأخوذ من الامة اى هو على اصل ما عليه الامة من انه لا يكتب لا يستفيد الكتابة بعد اذ لم يكن يكتب الثانى ان الامة الخلقة فسمى اميا لانه باق على خلقته ومنه قول الاعشى وان معونة الاكرمين حسان الوجوه طوال الامم والثالث انه مأخوذ من الام وانما اخذ منه لاحد امرين احدهما لانه على ما ولدته امه من انه لا يكتب والثانى نسب الى امه لان الكتابة كانت فى الرجال دون النساء فنسب من لا يكتب من الرجال الى امه لجهله بالكتابة دون ابيه وقال ابو عبيدة الاميون هم الامم الذين لم ينزل عليهم كتاب والنبى الامى الذى لا يكتب وانشد لتبع له امة سميت فى الزبور امة هى خير الامم وروى عن ابن عباس ان الاميين قوم لم يصدقوا رسولا ارسله الله عز وجل ولا كتابا انزله وكتبوا كتابا بايديهم وقالوا لقوم جهال هذا من عند الله وقال قد اخبر انهم يكتبون بايديهم ثم سماهم اميين لجحودهم كتاب الله عز وجل

ورسله والوجه الاول اوضح فى اللغة وهذا الوجه مليح لقوله فى الاية الثانية فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم فاثبت انهم يكتبون ومن قال بالاول يحتاج ان يجعل هذا مستانفا لغير من تقدم ذكره او لبعضهم وقوله لا يعلمون الكتاب اى لا يعلمون ما فى الكتاب الذى انزل الله عز وجل ولا يدرون ما اودعه من حدوده واحكامه وفرايضه كهيئة البهائم وانما هم مقلدة لا يعرفون ما يقولون والكتاب المعنى به التورية وانما ادخل عليه لام التعريف لانه قصد به قصد كتاب معروف بعينه ومعنى الاية منهم فريق لا يكتبون ولا يدرون ما فى الكتاب الذى عرفتموه والذى هو عندكم وهم ينتحلونه ويدعون الاقرار به من احكام الله عز وجل وفرايضه وما فيه من حدوده التى بينها فيه الا امانى ومعنى امانى قال ابن عباس ومجاهد الا قولا يقولون بافواههم كذبا وقال قتادة الامانى انهم يتمنون على الله ما ليس لهم وقال اخرون الامانى احاديث وقال الكسائى والفراء وغيرهما معناه الا تلاوة وهو المحكى عن ابى عبيدة على ما رواه عنه عبد الملك بن هشام وكان ثقة وضعف هذا الوجه الحسين بن على المغربى وقال هذا لا يعرف فى اللغة ومن صححه استدل بقوله تعم اذا تمنى القى الشيطان فى امنيته قال كعب بن مالك تمنى كتاب الله اول ليلة واخره لاقى حمام المقادر وقال اخر تمنى كتاب الله بالليل خاليا تمنى داود الزبور على رسل وقال ابو مسلم محمد بن بحر الاصفهانى الامانى التقدير قال الشاعر ولا تقولن لشىء سوف افعله حتى تبين ما يمنى لك الماني اى ما يقدر لك المقدر والا ههنا استثناء منقطع ومعناه لكن امانى وكل موضع يعلم ان ما بعد الا خارج عن الاول فهو بمعنى لكن كقوله ما لهم به من علم الا اتباع الظن وكقولهم ما فى الدار احد الا الاوتاد قال الشاعر ليس بينى وبين قيس عتاب غير طعن الكلى وضرب الرقاب وقال اخر حلفت يمينا غير ذى مثنوية ولا علم الا حسن ظن بصاحب معناه لكن حسن ظنى بصاحبى ومثله وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا الا خطأ ومثله لا عاصم اليوم من امر الله الا من رحم ولولا ولوما وهلا والا الثقيلة بمعنى واحد قال الشاعر تعدون عقر النيب افخر مجدكم بنى ضوطرى لولا الكمى المقنعا يعنى هلا وقال اخر اتيت بعبد الله فى القيد موثقا فهلا سعيدا ذا الجناية والغدر ثم قال اخر وما شجونى (شيخونى ب)
غير ابى ابن غالب وانى من الاثرين عند الرغايب واحدهم رغيف وهو التابع وكل موضع حسن ان يوضع فيه مكان الا لكن فاعلم انه مكان استثناء منقطع ولو قيل ههنا ومنهم اميون لا يعلمون الكتاب لكن يتمنون لكان صحيحا والامانى واحدها امنية مثقل ومن خفف الياء قال لان الجمع يكون على غير واحده بنقصان وزيادة والامانى كلهم يخففونها لكثرة الاستعمال وكذلك الاضاحى والاولى التأويلات قول ابن عباس ومجاهد من ان الاميين الذين وصفهم الله بما وصفهم به فى هذه الاية وانهم لا يفهمون من الكتاب الذى انزله الله على موسى شيئا لكنهم يتخرصون الكذب ويقولون الباطل والتمنى فى هذا الموضع تخلق الكذب وتخرصه يقال منه تمنيت اذا افتعلته وتخلقته ومنه ما روى عن بعض الصحابة انه قال ما تغنيت ولا تمنيت اى ما تخرصت الباطل ولا تخلقت الكذب والافك ويقوى ذلك قوله فى اخر الاية وان هم الا يظنون فبين انهم يتمنون ما يتمنون من الكذب ظنا لا يقينا ولو كان المعنى انهم يتلونه لما كانوا ظانين وكذلك لو كانوا يتمنونه لان الذى يتلوه اذا تدبره علمه ولا يقال فيمن يقرأ كتابا لم يتدبره وتركه انه ظان لما يتلوه الا ان يكون شاكا فيما يتلوه ولا يدرى احق هو ام باطل ولم يكن القوم الذين عاصروا النبى صلعم من اليهود شاكين فى التورية انها من عند الله وكذلك المتمنى لا يجوز ان يقال هو ظان بتمنيه لان التمنى من المتمنى اذا وجد لا يقال فيه شاك فيما هو عالم به لانه ينا فى العلم والمتمنى فى حال وجود تمنيه لا يجوز ان يقال هو يظن تمنيه وقوله وان هم الا يظنون فقال جميع المفسرين معناه يشكون والذى اقول ان المراد بذلك نفى العلم عنهم وقد ينتفى العلم تارة بالشك وتارة بالظن واما فى الحقيقة فالظن غير الشك غير ان المعنى متفق عليه ههنا **قوله تعم** فَوَيْلٌ لِلَّذِيْنَ يَكْتُبُوْنَ الْكِتَابَ بِاَيْدِيْهِمْ ثُمَّ يَقُوْلُوْنَ هٰذَا مِنْ عِنْدِ اللّٰهِ لِيَشْتَرُوْا بِهٖ ثَمَنًا قَلِيْلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ اَيْدِيْهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُوْنَ اية بلا خلاف قال الزجاج الويل كلمة يستعملها كل واقع فى هلكة واصله فى اللغة العذاب والهلاك وارتفع بالابتداء وخبره الذين ولو كان فى غير القران لجاز بالنصب على معنى جعل الله ويلا للذين والرفع على معنى ثبوت الويل للذين ومثله الويح والويس

اذا كان بعدهن لام دفعتهن واما التعس والبعيد وما اشبههما فهو نصب ابدا فان اضفت ويل وويح وويس
نصب من غير تنوين تقول ويل زيد وويس زيد ولا يحسن فى التعس والبعد الا الاضافة بغير لام فلذلك لم ترفع وقد نصب
قوم مع اللام فيقولون ويلا لزيد وويحا لخالد قال الشاعر كسا اللوم تيما خضرة فى جلودها فويلا لتيم من
سرابيلها الخضر قال ابن عباس الويل فى الاية العذاب وقال الاصمعى هو القبيح ومنه قوله ولكم الويل مما تصفون
وقال المفضل معناه الحزن وقال قوم هو الهوان والخزى ومنه قول الشاعر يا زبرقان اخا بنى خلف
ما انت ويل ابيك والفخر وقال ابو سعيد الخدرى الويل واد فى جهنم وقال عثمان بن عفان هو جبل فى النار
وقوله يكتبون الكتاب بايديهم معناه انهم يقولون كتبه ثم يضيفونه الى الله كقوله خلقت بيدى وعملت ايدينا
اى نحن توليناه ذلك ولم نكله الى احد من عبادنا ومثله رايته بعينى وسمعته باذنى ولقيته بنفسى والمعنى فى جميع
ذلك التاكيد ولانه قد يامر غيره بالكتابة فتضاف اليه مجازا فلذلك يقول الامى كتبت الى الفلان بكذا وهذا
كتابى اليك وكما تقول حملت الى بلد كذا وانما امرت بحمله فاعلمنا الله تعالى انهم يكتبونه بايديهم ويقولون هو
من عند الله وقد علموا يقينا اذا كتبوه بايديهم انه ليس من عند الله وفى الاية رد لانه على ابطال قول المجبرة
لانه تعالى عابهم بهذا القول اذ نسبوا ما كتبوه من التحريف الى انه من عند الله وجعل عليهم الويل واذا كان
تحريفه من الكتاب ليس من عند الله من جهة القول والحكم فليس ذلك عنه من جهة القضاء والحكم ولا الفعل
والمشية وقال ابن السراج معنى بايديهم اى من تلقاء انفسهم وقوله يشترون به ثمنا قليلا قال قوم اى انه عرض
الدنيا لانه قليل المدة كما قال تعالى قل متاع الدنيا قليل ذهب اليه ابو العالية وقال اخرون انه قليل لانه حرام
وروى عن ابى جعفر ع وذكره ايضا جماعة من اهل التاويل ان احبار اليهود كانت غيرت صفة النبى ص ليوقعوا
الشك للمستضعفين من اليهود وقوله ويل لهم مما يكسبون يعنى من ما ياكلون به الناس السفلة وغيرهم واصل
الكسب العمل الذى يجتلب به نفع او يدفع به ضرر وكل عامل عملا بمباشرة منه لما عمل ومعناه هيهنا الاحتراف
فهو كاسب لما عمل قال لبيد بن ربيعة بمعفر قهد تنازع شلوه غبس كواسب لا يمن طعامها — يجتلب
وقيل الكسب عبارة عن كل عمل بجارحة يجتلب به نفع او يدفع به مضرة ومنه قيل للجوارح من الطير كواسب

قوله تعالى وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ
أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ اية بلا خلاف قوله وقالوا يعنى اليهود الذين قالوا لن تمسنا النار ولن
ندخلها الا اياما معدودة وانما لم يبين عددها فى التنزيل لانه تعالى اخبر عنهم بذلك وهم عارفون بعدد الايام
التى يوقتونها فى النار فلذلك نزل تسمية عدد الايام وسماها معدودة لما وصفناه وقال ابو العالية وعكرمة
والسدى وقتادة هى اربعون يوما ورواه الضحاك عن ابن عباس ومنهم من قال انها عدد الايام التى عبدوا فيها
العجل وقال ابن عباس ان اليهود تزعم انهم وجدوا فى التورية مكتوبا ان ما بين طرفى جهنم مسيرة اربعين سنة وهم
يقطعون مسيرة كل سنة فى يوم واحد فاذا انقطع المسير انقطع العذاب وهلكت النار وقال مجاهد وسعيد بن جبير
عن ابن عباس انها سبعة ايام لان عمر الدنيا سبعة الاف سنة وانهم يعذبون بعدد كل الف سنة يوما واحدا من ايام
الاخرة وهو كالف سنة من ايام الدنيا ولما قالت اليهود ما قالت من قولها لن تمسنا النار الا اياما معدودة على ما
بيناه قال الله تعالى لنبيه قل اتخذتم عند الله عهدا بما يقولون من ذلك وميثاقا فالله لا ينقض عهده ام تقولون
على الله ما لا تعلمون من الباطل جهلا وجراة عليه وفى القراء من قرا اوا تخذتم بادغام الذال فى التاء ومنهم
من لم يدغم واصل تخذتم اتخذتم دخلت الف الاستفهام على الف القطع من نفس الكلمة فكره اجتماعهما فحذفت
الاصلية وبقيت التى للاستفهام لانها لمعنى وهى وان كانت للاستفهام فى الاصل فالمراد بها هيهنا التنكير و
التوبيخ والاعلام لهم ولغيرهم انا لامر بخلاف ما قالوه وانهم يقولون بغير علم والدليل على انها الف استفهام
كونها مفتوحة ولو كانت اصلية لكانت مكسورة فى تخذتم ولذلك لم يدخل بينهما المدة كما قالوا فى الله اذن
لكم لان قوله اذن الله لو اخبرها لكانت مفتوحة ولو لم تدخل المدة لاشتبهت الف الاستفهام بهمزة الخبر وليس
كذلك هيهنا لان الفتحة تختص للاستفهام وفى الخبر يكون مكسورة وفى المفتوحتين لا بد من الجمع بين الهمزتين

ومنهم من يفصل بينهما بمدة ومنهم من لا يفصل بخوفه له وامنتم من فى السماء **قوله تعالى** بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً
وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ اية بلا خلاف قرا اهل المدينة خطيئاته على الجمع
الباقون على التوحيد قوله بلى جواب لقولهم لن تمسنا النار الا اياما معدودة فرد الله عليهم بان قال بلى من
احاطت به خطيئته ابدا وبلى تكون جوابا للاستفهام الذى اوله جحود وتكون جوابا للجحد وان لم يكن استفهاما
كقوله يقول حين ترى العذاب الى قوله بلى قد جاءتك اياتى فكذبت بها ويقول القائل لم افعل كذا وكذا فيقول
له غيره بلى قد فعلت وبلى ونعم جوابان احدهما يدخل فيما لا يدخل فيه الاخر لان بلى يدخل فى باب الجحود وقال
الفراء انما امتنعوا من استعمال نعم فى جواب الجحد لانه اذا قال لغيره ما لك على شئ فقال له نعم فكانه قد صدقه
وكانه قال نعم ليس لى عليك شئ فلهذا اختلف نعم وبلى وقوله سيئة فهى همزة اتى بيائين بعدهما همزة ومن
ترك الهمزة على لغة اهل الحجاز يقول سية مثل عية ومن لين قال سيئة كانه يشير الى الهمزة وسيكنها قال مجاهد
وابن عباس وابو وايل وقتادة وابن جريح السيئة هيهنا الشرك وقال السدى الذنوب التى وعد الله عليها النار
والذى يليق بمذهبنا هيهنا قول مجاهد لان ما عدا الشرك لا يستحق عندنا عليه الخلود فى النار واحاطت به
خطيئته قال ابن عباس ومجاهد انها الشرك وقال الربيع بن خيثم من مات عليها وقال ابن السراج هى التى سدت
عليه مسالك النجاة وقال جميع المعتزلة انه اذا كان ثوابه اكثر من عقابه والذى يقوله الذى يليق بمذهبنا ان
المراد بذلك الشرك والكفر لانه الذى يستحق به الدخول مؤبدا ولا يجوز ان يكون مرادا بالاية وقوله واحاطت
به خطيئته يقوى ذلك لان المعنى فيه ان يكون خطاياه كلها اشتملت عليه ولا يكون معه طاعة يستحق بها
الثواب تشبيها بما احاط بالشئ من كل وجه ولو كان معه شئ من الطاعات لكان مستحقا للثواب فلا يكون السيئة
محيطة به لان الاحباط عندنا باطل فلا يحتاج الى تراعى كثرة العقاب وقلة الثواب لان قليل الثواب عندنا
يثبت مع كثرة العقاب لما ثبت من بطلان التحابط بادلة العقل وليس هذا موضع ذكرها لان الاية التى بعدها
فيها وعد لاهل الايمان بالثواب الدايم فكيف يجتمع الثواب الدايم والعقاب الدايم وذلك خلاف للاجماع ومتى
قالوا احدهما يبطل صاحبه قلنا الاحباط باطل لئن يصح على ما مضى **قوله تعالى** وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ اية هذه الاية متناولة لمن امن بالله وصدق به وصدق
النبى ص وعمل الصالحات التى اوجبها الله تعالى عليه فانه يستحق بها الجنة خالدا ابدا وظاهرها يمنع من ان مرتكب
الكبيرة مخلد فى النار لانه اذا كان مؤمنا مستحقا للثواب الدايم فلا يجوز ان يستحق مع ذلك عقابا دايما لان
ذلك خلاف ما اجمع المسلمون عليه ومتى عادوا الى الاحباط كلمنا فيه بينهم وبين بطلان قولهم **قوله تعالى**
وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَ
الْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ
مُعْرِضُونَ اية بلا خلاف قرا ابن كثير وحمزة والكسائى لا يعبدون بالياء الباقون بالتاء وقرا حسنا بنصب — ١٢ الحاء والسين و
بصواب بفتح الحاء والسين حمزة والكسائى الباقون حسنا بضم الحاء واسكان السين وتقدير الاية واذكروا ايضا
يا معشر بنى اسرائيل اذ اخذنا ميثاقكم لا تعبدوا (ان) الا الله فلما سقطت ان رفع كما قال الشاعر الا ايهذا
اللايمى احضر الوغا وان اشهد اللذات هل انت مخلدى ومثله قوله افغير الله تامرونى اعبد ومن
قرا بالياء فتقديره انه اخبر الله تعالى اخذ ميثاقهم لا يعبدون الا الله وبالوالدين احسانا ثم عدل الى خطابهم
فقال وقولوا للناس حسنا والعرب تفعل ذلك كثيرا وانما استخاروا ان يصيروا الى المخاطبة بعد الخبر لان الخبر
انما كان عمن خاطبوه بعينه لا عن غيره وقد يخاطبون ثم يصيرون بعد ذلك الى الخبر عن المخاطب مثال الاول
قول الشاعر شطت مزار العاشقين فاصبحت عسرا على طلابك ابنة مخرم مزار ضيف الثاء من
اصبحت كناية عن المراة فاخبر عنها ثم خاطبها ومثال الثانى قول الشاعر اسيئى بنا او احسنى لا ملومة
لدينا ولا مقلية ان تقلت وقال زهير فانى لو الاقيك اجتهدنا وكان لكل منكرة كفاء
وابرى موضحات الراس منه وقد يبرى من الجرب الهناء ومن قرا بالتاء فان الكلام من قوله خطاب

وتقديره واذ اخذنا ميثاق بنى اسرائيل قلنا لا تعبدوا الا الله قال بعض النحويين المعنى واذ اخذنا ميثاق بنى اسرائيل لا تعبدون الا الله وبالوالدين احسانا حكاية كانه قال استحلفناهم لا يعبدون الا الله اذ قلنا لهم والله لو قالوا والله لا تعبدون والاول اجود وقوله تعم وبالوالدين احسانا عطف على موضع ان المحذوفة فى تعبدون الا الله وبالوالدين احسانا فرفع لا تعبدون لما حذفت ان ثم عطف بالوالدين على موضعها كما قال الشاعر معاوى اننا بشر فاسجح فلسنا بالجبال ولا الحديدا فنصب الحديد على موضع الجبال واما الاحسان فمنصوب بفعل مضمر يؤدى عن معناه وقوله وبالوالدين اذ كان مفهوما معناه وتقدير الكلام واذ اخذنا ميثاق بنى اسرائيل بان لا تعبدوا الا الله وان تحسنوا الى الوالدين احسانا فاكتفى بقوله وبالوالدين عن ان يقول بان تحسنوا الى الوالدين احسانا اذ كان مفهوما بما ظهر من الكلام وقال بعض اهل العربية تقديره وبالوالدين فاحسنوا فجعل الباء التى فى الوالدين من صلة الاحسان مقدمة عليه وقال اخرون الا تعبدوا الا الله واحسنوا بالوالدين احسانا فزعموا ان الباء فى وبالوالدين من صلة المحذوف اعنى من احسنوا فجعلوا ذلك من كلامين والاحسان الذى اخذ عليهم الميثاق بان يفعلوه الى الوالدين ما فرض على امثالهما من فعل المعروف والقول الجميل وخفض جناح الذل رحمة بهما والتحنن عليهما والرافة بهما والدعاء لهما بالخير وما اشبه مما ندب الله تعم الى الفعل بهما وقوله وذى القربى اى وبذى القربى ان تصلوا قرابته منهم ورحمه والقربى مصدر على وزن فعلى من قولك قرب منى رحم فلان قرابة وقربى وقربا بمعنى واحد واليتامى جمع يتيم مثل اسير واسارى ويدخل فى اليتامى الذكور منهم والاناث ومعنى ذلك اخذنا ميثاق بنى اسرائيل بان لا تعبدوا الا الله وحده دون ما سواه من الانداد وبالوالدين احسانا وبذى القربى ان يصلوا رحمه ويعرفوا حقه وباليتامى ان يتعطفوا عليهم بالرافة والرحمة وبالمساكين ان يوفوهم حقوقهم التى الزمها الله فى اموالهم والمسكين هو المتخشع المتذلل من الفاقة والحاجة وهو مفعيل من المسكنة وهى ذل الحاجة والفاقة وقوله وقولوا للناس حسنا فيه عدول الى الخطاب بعد الخبر على ما مضى القول فيه وقد ذكرنا اختلاف القراء فى حسنا وحُسنا واختلف اهل اللغة فى الفرق بينهما فقال بعض المفسرين هو على احد وجهين اما ان يكون اراد بالحُسن الحَسَن ويكون لمعنيين مثل البخل والبخل واما ان يكون جعل الحسن هو الحُسن فى التشبيه لان الحُسن مصدر والحَسن هو الشئ الحسن فيكون ذلك كقول القائل انما انت اكل وشرب قال الشاعر وخيل قد لفت لها بخيل تحية بينهم ضرب وجيع فجعل التحية ضربا وقال اخر بل الحُسن هو الاسم العام الجامع جميع معانى الحسن والحسن هو البعض من معانى الحسن ولذلك قال تعم اذا وصى بالوالدين ووصينا الانسان بوالديه حسنا يعنى بذلك انه وصاه بجميع معانى الحسن وقرئ فى الشواذ حسنى لا يقرئ بها لشذوذها حكاها الاخفش وذلك لا يجوز لان فعلى وافعل لا يستعمل الا بالالف واللام نحو الاحسن والحسنى والافضل والفضلى قال الله تعم للذين احسنوا الحسنى وروى عن ابى جعفر محمد بن على الباقر ع وعن عطا انهما قالا وقولوا للناس حسنا للناس كلهم وعن الربيع بن انس قولوا للناس حسنا اى معروفا وعن ابن الحنفية انه قال هل جزاء الاحسان الا الاحسان هى مسجلة للبر والفاجر يريد مسجلها انها مرسلة ومنهم من قال امروا بان يقولوا لبنى اسرائيل حسنا قال ابن عباس يامرون بلا اله الا الله ومن لم يقبلها ويرغب عنها حتى يقولها كما قالوها فان ذلك قربة لهم من الله قال والحسن ايضا من لين القول من الادب الحسن الجميل والخلق الكريم وهو مما ارتضاه الله تعالى واحبه وقال ابن جريج قولوا للناس حسنا اى صدقا فى شان محمد صلعم وقال سفيان الثورى مروهم بالمعروف وانهوهم عن المنكر وقوله اقيموا الصلوة ادوها بحدودها الواجبة عليكم واتوا الزكوة معناه واعطوها اهلها كما اوجبها عليكم والزكوة التى فرضها الله على بنى اسرائيل قال ابن عباس كان فرض فى اموالهم قربانا تهبط اليه نار فتحملها وكان ذلك تقبله ومن لم يفعل النار به ذلك كان غير متقبل وروى عنه ايضا ان المعنى بها طاعة الله والاخلاص وقوله ثم توليتم الا قليلا منكم وانتم معرضون خبر من الله تعم عن يهود بنى اسرائيل انهم نكثوا عهده ونقضوا ميثاقه بعد ما اخذ ميثاقهم على الوفاء له بان لا يعبدوا غيره وبان يحسنوا الى الاباء والامهات ويصلوا الارحام ويتعطفوا على الايتام ويردوا حقوق المساكين ويامروا عباد الله بما امرهم به ويقيموا الصلوة

بحدودها ويؤتوا زكوة اموالهم فخالفوا امره فى ذلك كله وتولوا عنه معرضين الا من عصمه الله منهم فوفى لله بعهده وميثاقه ووصف هؤلاء بانهم قليل بالاضافة الى من لم يؤمن وقال بعضهم اراد ثم توليتم الا قليلا منكم وانتم معرضون اليهود الذين كانوا على عهد رسول الله صلعم وعنى بسائر الاية اسلافهم كانه ذهب الى ان معنى الكلام ثم توليتم الا قليلا منكم ثم تولى سلفكم الا قليلا منهم ثم قال وانتم معاشر بقاياهم معرضون ايضا عن الميثاق الذى اخذ عليكم وقال قوم بلى قوله ثم توليتم الا قليلا منكم وانتم معرضون خطاب لمن كان بين ظهرانى مهاجر رسول الله صلعم من يهود بنى اسرائيل وذم لهم بنقضهم الميثاق الذى اخذ عليهم فى التورية وتبديلهم امر الله وركوبهم معاصيه وروى عن ابن عباس انه قال قوله وقولوا للناس حسنا نسخ بقوله قاتلوهم حتى يقولوا لا اله الا الله او يقروا بالجزية وقال اخرون ليست منسوخة لكن امروا بان يقولوا حسنا فى الاحتجاج عليهم اذا دعوا الى الايمان وبين ذلك لهم وقال قتادة نسخها اية السيف والصحيح انها ليست منسوخة وانما امر الله تعم بالقول الحسن فى الدعاء اليه والاحتجاج عليه كما قال تعم لنبيه صلعم ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى احسن وبين فى اية اخرى فقال ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم وليس الامر بالقتال ناسخا لذلك لان كل واحد منهما ثابت فى موضعه قوله تعم وَاِذْ اَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ اَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ اَقْرَرْتُمْ وَاَنْتُمْ تَشْهَدُونَ اية بلا خلاف وقد بينا فيما مضى ان الميثاق هو العهد والمعنى فى الاية واذكروا اذ اخذنا ميثاق اسلافكم الذين كانوا فى زمن موسى والانبياء الماضين ع وانما اضاف اليهم لما كانوا اخلافا لهم على ما مضى القول فيه وتقدير الاعراب فى هذه الاية مثل الاية الاولى سواء واما سفك الدم فانه صبه واراقته ومعنى لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون انفسكم من دياركم النهى عن ان يقتل بعضهم بعضا وكان فى قتل الرجل منهم قتل نفسه اذا كانت ملتهما واحدة ودينهما واحدا وكانا اهل الدين الواحد فى ولاية بعضهم بعضا بمنزلة رجل واحد كما قال النبى صلعم انما المؤمنون فى تعاطفهم وتراحمهم بينهم بمنزلة الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى سائر الجسد بالحمى والسهر فهذا قول قتادة وابى العالية ويحتمل ان يكون المراد لا يقتل الرجل منكم غيره فيقاد به قصاصا فيكون بذلك قاتلا نفسه لانه كالسبب فيه واضيف قتل الولى اياه قصاصا اليه بذلك كما يقال لرجل يعاقب لجناية جناها على نفسه انت جنيت على نفسك وفيه قول ثالث وهو ان قوله انفسكم اراد به اخوانكم لانهم كنفس واحدة وقوله ثم اقررتم وانتم تشهدون اى اقررتم بذلك ايضا وبذلتموه من انفسكم وانتم شاهدون على من تقدمكم باخذنا منهم الميثاق وما بذلوه من انفسهم فذكر تعم اقرارهم وشهادتهم لان اخذ الميثاق كان على اسلافهم وان كان لازما للجميع لتوكيد الحجة عليهم وقال بعض المفسرين نزلت هذه الاية فى بنى قريظة والنضير يقول حرم الله فى الكتاب ان تسفكوا دماءكم اى لا يقتلوا فيقتل بعضكم ولا تتركوا اسيرا فى يد الاسرين ليقتلوه ولا تخرجوا انفسكم من دياركم معناه لا تغلبوا احدا على داره فتخرجوه فقبلتم ذلك واقررتم به وهو اخذ الميثاق وانتم تشهدون بذلك واما النفس فماخوذة من النفاسة وهى الجلالة فنفس الانسان انفس ما فيه والدار هى المنزل الذى فيه ابنية المقام بخلاف المنزل الارتحال وقال الخليل كل موضع حل فيه قوم فهو دار لهم وان لم يكن فيه ابنية وقيل ايضا ان معنى قوله ثم اقررتم وانتم تشهدون ان اقرارهم هو الرضاء به والصبر عليه كما قال الشاعر الست كليبيا اواسم خطة اقر كاقرار الحليلة للبعل وقوله وانتم تشهدون يحتمل امرين احدهما وانتم تشهدون على انفسكم بالاقرار والثانى وانتم تحضرون دماءكم وتخرجون انفسكم من دياركم وحكى عن ابن عباس انه قال ذلك خطاب من الله تعم لليهود الذين كانوا بين ظهرانى مهاجرى رسول الله صلعم ايام هجرته اليهم موبخا لهم على تضييعهم احكام ما فى ايديهم من التورية التى كانوا يقرون بحكمها فقال الله تعم لهم ثم اقررتم يعنى بذلك اقرار اوائلكم وسلفكم وانتم تشهدون على اقرارهم باخذ الميثاق عليهم بان لا يسفكوا دماءهم ولا يخرجوا انفسهم من ديارهم ويصدقوا بان ذلك حق من ميثاقى عليكم وقال ابو العالية ذلك خبر من الله عز وجل عن اوائلهم ولكنه اخرج الخبر مخرج المخاطبة عنهم على النحو الذى وصفناه فى سائر الايات وانتم تشهدون اى وانتم شهود قوله تعم ثُمَّ اَنْتُمْ هٰؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ اَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْاِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاِنْ يَاتُوكُمْ

أُسَارَى تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ
يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا
تَعْمَلُونَ آية بلا خلاف قرأ اهل الكوفة تظاهرون ههنا وفي التحريم بتخفيف الظاء الباقون بالتشديد فيهما وقرأ
حمزة اسرى بفتح الهمزة وسكون السين بغير الف بعدها وقرأ اهل المدينة وعاصم والكسائي ويعقوب تفادوهم
بضم التاء وبالف وقوله ثم انتم هؤلاء يحتمل وجهين احدهما ان يكون اريد به ثم انتم يا هؤلاء فترك يا
استغناء لدلالة الكلام عليه كما قال يوسف اعرض عن هذا ومعنى الكلام ثم انتم يا معشر يهود بني اسرائيل بعد
اقراركم بالميثاق الذي اخذته عليكم لا تسفكوا دماءكم ولا تخرجوا انفسكم من دياركم وبعد شهادتكم على
انفسكم بذلك انه حق لازم لكم الوفاء به تقتلون انفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم متعاونين عليهم في
اخراجكم اياهم بالاثم والعدوان والتعاون هو التظاهر وانما قيل للتعاون التظاهر لتقوية بعضهم ظهر بعض
فهو تفاعل من الظهر وهو مساندة بعضهم ظهره الى ظهر بعض قال الشاعر   تظاهرتم اشباه نيب تجمعت
على واحد لازلتم قرن واحد ومنه قوله تعالى وان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه وقوله والملئكة بعد
ذلك ظهير وقوله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا وقوله ساحران تظاهرا وقوله وكان الكافر على ربه ظهيرا
ويقال اتخذ معك نفرا ونفرين ظهرين يعني عدة والوجه الاخر ان يكون معناه ثم انتم القوم تقتلون
انفسكم فرجع الى الخبر عن انتم وقد اعترض بينهم وبين الخبر عنهم هؤلاء كما يقول العرب انا ذا اقوم وانا ذا
اجلس ولو قيل انا هذا يجلس لكان صحيحا وكذلك انت ذاك تقوم وقال بعض النحويين ان هؤلاء في قوله ثم انتم
هؤلاء تنبيه وتوكيد لانتم وزعم ان انتم وان كان كناية عن اسماء جميع المخاطبين فانما جاز ان يؤكد بهؤلاء و
اولاء يكنى بها عن المخاطبين كما قال خفاف بن ندبة   اقول له والرمح ياطر متنه   تبين خفافا انني انا
ذالكا   يريد انا هو وكما قال تعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة والاثم قيل معناه هو ما تنفر منه
النفس ولم يطمئن اليه القلب ومنه قول النبي صلعم لنواس بن سمعان حين سأله عن البر والاثم فقال صلعم البر ما اطمأن
اليه نفسك والاثم ما حاك في صدرك وقال قوم معنى الاثم ما يستحق عليه الذم وهو الاصح والعدوان مجاوزة
الحق وقال قوم هو الافراط في الظلم واسرى جمع اسير واسارى جمع اسرى كما قالوا مريض ومرضى وجريح و
جرحى وكسير وكسرى هذا قول المفضل بن سلمة قال ابو عمرو بن العلاء الاسارى هم الذين في الوثاق والاسرى
الذين في اليد وان لم يكونوا في الوثاق ومعنى تفادوهم او تفدوهم طلب الفدية من الاسير الذي في ايديهم
من اعدائهم قال الشاعر   قفي فادي اسيرك ان قومي   وقومك ما ارى لهم اجتماعا   وكان هذا محرما
عليهم وان كان مباحا لنا فذكر الله تعالى توبيخا لهم في فعل ما حرم عليهم وقال آخرون انه افتداء الاسير منهم
اذا اسره اعداؤهم وهذا مدح لهم ذكره من بعد ذمهم انهم خالفوه في سفك الدماء وتابعوه في افتداء
الاسرى استشهادا على هذا الباطل بقوله افتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض وقال قوم الفرق بين
تفدوهم وتفادوهم ان تفدوهم هو افتكاكه بمال وتفادوهم هو افتكاك الاسرى بالاسرى واختلفوا فيمن
عني بهذه الاية فروى عكرمة عن ابن عباس انه قال ثم انتم هؤلاء تقتلون انفسكم الى قوله والعدوان اي
اهل الشرك حتى يسفكوا دماءهم معهم ويخرجوهم من ديارهم معهم قال ابناهم الله بذلك من فعلهم وقد
حرم عليهم في التورية سفك دمائهم وافترض عليهم فيها فداء اسراهم وكانوا فريقين طائفة منهم بنو قينقاع
وانهم خلفاء الخزرج وخلفاء النضير وقريظة وانهم خلفاء الاوس وكانوا اذا كانت بين الاوس والخزرج
حرب خرجت بنو قينقاع مع الخزرج وخرجت بنو النضير وقريظة مع الاوس تظاهر كل فريق خلفاءه على اخوانه
حتى يتسافكوا دماءهم بينهم وبايديهم التورية يعرفون منها ما عليهم ولهم والاوس والخزرج اهل شرك
يعبدون الاوثان ولا يعرفون جنة ولا نارا ولا قيامة ولا كتابا ولا حلالا ولا حراما فاذا وضعت الحرب اوزارها
افتدوا اسراهم تصديقا لما في التورية واخذا به يفتدي بنو قينقاع من كان اسراهم في ايدي الاوس ويفتدي
بنو النضير وقريظة ما كان في ايدي الخزرج ويطلبون ما اصابوا من الدماء وما قتلوا منهم فيما

بينهم مظاهرة لاهل الشرك عليهم يقول الله تعالى حين انباهم بذلك افتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض
اي تفادونهم بحكم التورية وفي حكم التورية ان لا يقتل ويخرج من داره ويظاهر عليه من يشرك بالله ويعبد
الاوثان من دونه ابتغاء عرض الدنيا ففي ذلك من فعلهم مع الاوس والخزرج نزلت هذه القصة وذكر فيها اقوال
اخر تزيد وتنقص لا فائدة في ذكرها معناها متقارب لما اوردناه وقوله يأتوكم اسارى تفادوهم وهو محرم
عليكم اخراجهم افتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض القصد بذلك توبيخهم وتعنيفهم على سوء افعالهم
فقال ثم انتم بعد اقراركم بالميثاق الذي اخذته عليكم لا تسفكوا دماءكم ولا تخرجوا انفسكم من دياركم تقتلون انفسكم
يعني يقتل بعضكم بعضا وانتم مع قتلكم من تقتلون منكم اذا وجدتم اسيرا منكم في ايدي غيركم من اعدائكم تفدونهم
ويخرج بعضكم بعضا من ديارهم وقتلكم اياهم واخراجكم هم من ديارهم حرام عليكم كما حرام عليكم تركهم اسرى في
ايدي عدوكم فكيف تستجيزون قتلهم ولا تستجيزون ترك فدائهم وتستجيزون قتلهم وهما جميعا في اللازم لكم
من الحكم فيهم سواء لان الذي حرمت عليكم من قتلهم واخراجهم من دورهم نظير الذي حرمت عليكم من تركهم اسرى
في ايدي عدوهم اتؤمنون ببعض الكتاب الذي فرضت عليكم فيه فرائضي وبينت لكم فيه حدودي واخذت
عليكم بالعمل بما فيه ميثاقي فتصدقون به فتفادون اسراكم من ايدي عدوكم وتكفرون ببعضه فتجحدونه
فتقتلون من حرمت عليكم قتله من اهل دينكم ومن قومكم وتخرجونهم من ديارهم وقد علمتم ان في الكفر منكم
ببعضه نقضا منكم في عهدي وميثاقي وقوله فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزي في الحيوة الدنيا فالخزي
الذل والصغار يقال خزي الرجل يخزى خزيا في الحيوة الدنيا يعني في عاجل الدنيا قبل الاخرة ثم اختلفوا في
الخزي الذي خزاهم الله بما سلف منهم من المعصية فقال بعضهم ذلك حكم الله الذي انزله على نبيه صلعم من اخذ
القاتل بما قتل والقود به قصاصا والانتقام من الظالم للمظلوم وقال اخرون بل ذلك هو الجزية منهم ما اقاموا
على دينهم ذلة لهم وصغارا وقال اخرون الخزي الذي خزوا به في الدنيا اخراج رسول الله صلعم بني النضير
عن ديارهم لاول الحشر وقيل مقاتلة بني قريظة وسبي ذراريهم وكان ذلك خزيا في الدنيا وفي الاخرة عذاب
عظيم ومعنى قوله ويوم القيمة يردون الى اشد العذاب اي اسوء العذاب يعني بعد الخزي الذي يحل بهم
في الدنيا يردهم الله الى اشد العذاب الذي اعده الله لاعدائه وقال بعضهم يردهم يوم القيمة الى اشد العذاب
يعني اشد من عذاب الدنيا والاول اقوى انه من اشد العذاب يعني اشد جنس العذاب وذلك يقتضي العموم ولا
يخص الا بدليل وقوله وما الله بغافل عما تعملون منهم من قرأ بالياء رده الى من اخبر عنهم ومن قرأ بالتاء رده
الى المواجهين بالخطاب والياء اقوى لقوله فما جزاء من يفعل ذلك وقوله ويوم القيمة يردون فالرد الى هذا
اقرب من قوله افتؤمنون ببعض الكتاب فاتباع الاقرب اولى ومن الحق بالاول والكل حسن والمعنى وما الله
بساه عن اعمالهم الخبيثة بل هو محص لها وحافظ لها حتى يجازي عليها فان قيل ظاهر الاية يقتضي ان يصح الايمان
ببعض الاشياء وان كفروا بالبعض الاخر وذلك مناف لمذهبكم في الارجاء والموافاة لان المعنى في ذلك الطهارة
التصديق بالبعض والمنع بالتصديق بالبعض الاخر ويحتمل ان يكون المراد ان ذلك على ما يعتقدونه لانكم اذا
اعتقدتم جميع ذلك ثم عملتم ببعضه دون بعض فكانكم امنتم ببعضه دون بعض قوله تعالى أُولَٰئِكَ الَّذِينَ
اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ آية بلا خلاف قوله اولئك اشارة
الى الذين اخبر عنهم انهم يؤمنون ببعض الكتاب فيفادون اساراهم من اليهود ويكفرون ببعض فيقتلون من
حرم الله عليهم قتله من اهل ملتهم ويخرجون من داره من حرم الله اخراجهم الذين اشتروا رياسة الحياة الدنيا
ومعناه ابتاعوها على الضعفاء واهل الجهل والغباء منهم وانما وصفهم بانهم اشتروا الحيوة الدنيا بالاخرة لانهم
رضوا بالدنيا بكفرهم بالله عز وجل فيها عوضا من نعيم الاخرة الذي اعده الله للمؤمنين فجعل تركهم حظوظهم
من نعيم الاخرة بكفرهم بالله ثمنا لما ابتاعوه من خسيس الدنيا بما اخبر الله انه لا حظ لهم من نعيم الاخرة وان لهم
في الاخرة عذابا غير مخفف عنهم فيها العقاب وقوله ولا هم ينصرون اي لا ينصرهم احد في الاخرة فيدفع عنهم
بنصرته عذاب الله تعالى قوله تعالى وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ

مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا
كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ آية بلا خلاف قرأ اهل الكوفة الرسل مثقل في جميع القرآن وقرأ ابن كثير القدس
بسكون الدال حيث وقع الباقون بتثقيلها مع قوله آتينا موسى الكتاب انزلناه اليه واعطيناه والكتاب
المراد به التورية ❁ قوله وقفينا معناه واردفنا واتبعنا بعضه خلف بعض كما يقفو الرجل الرجل اذا سار
في اثره من ورائه واصله من القفا يقال قفوت فلانا اذا صرت خلف قفاه كما يقال دبرته اذا صرت في
دبره قال امرؤ القيس وقفا على آثارهن بحاصب فمن العشي البارد المتحصب ومعنى قوله
بالرسل من بعد موسى والمراد بالرسل الانبياء وهو جمع رسول يقال رسول ورسل كما يقال رجل صبور
وقوم صبر ورجل شكور وقوم شكر والمعنى في قفينا اتبعنا بعضهم بعضا على منهاج واحد وشريعة واحدة
لان كل من بعثه الله نبيا بعد موسى الى زمن عيسى بن مريم ع فانما بعثه باقامة التورية والعمل بما فيها والدعاء
الى ما فيها فلذلك قال وقفينا من بعده بالرسل يعني على منهاجه وشريعته ❁ قوله وآتينا عيسى بن مريم
البينات اعطينا عيسى بن مريم الحجج والدلالات على نبوته من احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص ونحو
ذلك من الآيات التي دلت على صدقه وصحة نبوته وقوله وايدناه بروح القدس اي قويناه واعناه يقال منه
ايدك الله اي قواك الله وهو رجل ذو ايد وذو آد اي ذو قوة ومنه قول العجاج من ان تبدلت
بآدي آدا يعني بقوة شبابي قوة المشيب قال الشاعر ان القداح اذا اجتمعن فرامها بالكسر ذو جلد
وبطش آيد يعني بالايد القوي قال قتادة والسدي والضحاك والربيع روح القدس هو جبرئيل ع وقال
ابن زيد ايد الله عيسى بالانجيل روحا كما جعل القرآن روحا كلاهما روح الله كما قال وكذلك اوحينا اليك روحا
من امرنا ❁ وروى الضحاك عن ابن عباس ان الروح الاسم الذي كان يحيي به الموتى واقوى الاقوال قول من قال هو
جبرئيل ع لان الله تعالى ايد عيسى به كما قال تعالى يا عيسى بن مريم اذكر نعمتي التي انعمت عليك وعلى والدتك اذ
ايدتك بروح القدس تكلم الناس في المهد وكهلا واذ علمتك الكتاب والحكمة والتورية والانجيل فاخبر انه ايده
به فلو كان المراد به الانجيل لكان ذلك تكرارا وانما سمى الله تعالى جبرئيل روحا واضافه الى القدس لانه كان
بتكوين الله روحا من عنده من غير ولادة والد ولده وقال قوم سمي روحا لانه كان بمنزلة الارواح للابدان يحيي
بما يأتي به من البينات وقال آخرون سمي بذلك لان الغالب على جسمه الروحانية لرقته وكذلك سائر الملائكة و
انما خص به تشريفا والتقديس التطهير والقدس الطهر وقال السدي القدس هيهنا البركة يقال قدس عليه برك
عليه ويكون اضافه الى نفسه كقوله حق اليقين وقال الربيع القدس الرب وقال ابن زيد القدس هو الله و
ايده بروحه واحتج بقوله الملك القدوس وقال القدوس والقدس واحد وروي عن ابن عباس ان القدس
الطاهر قال الراجز الحمد لله العلي القادس وقال رؤبة دعوت رب القوة القدوسا ❁ وقوله افكلما
جاءكم رسول بما لا تهوى انفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون فالخطاب به للمتوجه الى يهود بني
اسرائيل وكانه قال يا معشر يهود بني اسرائيل لقد آتينا موسى التورية وتابعنا من بعده الرسل اليكم وآتينا عيسى
ابن مريم الحجج والبينات اذ بعثناه اليكم وايدناه قوله بروح القدس وانتم كلما جاءكم رسول من رسلي بغير الذي
هواه انفسكم استكبرتم عليهم تجبرا وبغيا وكذبتم منهم بعضا وقتلتم بعضا وظاهر الخطاب وان كان خرج مخرج
التقدير فهو بمعنى الخبر ❁ **قوله تعالى** وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَا يُؤْمِنُونَ
آية واحدة القراء المعروفون على تسكين اللام من قوله غلف وقال ابن محيصن غلف بضم اللام وروي عن
ابن عباس ذلك فمن قرأ بالتسكين قال المعنى غلفا لواحدها اغلف وغلف مثل احمر وحمر فكانهم قالوا
قلوبنا اوعية فلم لا تعي ما تأتينا به قالوا كما قالوا قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك
حجاب اي لا تفقه لانها في حجاب ومنه يقال للرجل الذي لم يختن اغلف والمرأة غلفاء ويقال للسيف اذا كان
في غلاف اغلف وقوس غلفاء وجمعها غلف وكذلك كل لغة على وزن افعل للذكر والانثى فعلاء يجمع على فعل
مضمومة الاول ساكنة الثاني نحو احمر وحمر واصفر وصفر فيكون ذلك جمعا للتذكير والتأنيث ولا يجوز تثقيل

عين الفعل الا في ضرورة الشعر قال طرفة ايها الفتيان في مجلسنا جردوا منها ورادا وشقر فحرك الضرورة
الشعر ومن قرأ غلف مثقلا قال هو جمع غلاف مثل مثال ومثل وحمار وحمر فيكون معناه ان قلوبنا اوعية للعلم فما
بالها لا تفهم وهي اوعية للعلم ويجوز ان يكون التسكين عن التثقيل مثل رسل ورسل وقال عكرمة غلف اي عليها
طابع والمعنى عندنا ان الله اخبر ان هؤلاء الكفار ادعوا ان قلوبهم ممنوعة من القبول وذهبوا الى ان الله منعهم
من ذلك فقال الله ردا عليهم بل لعنهم الله بكفرهم اي انهم لما كفروا فاقوا كفرهم واشتدا عجابهم به ومحبتهم
اياه منعهم الله من الالطاف والفوائد ما يؤتيه المؤمنين ثوابا على ايمانهم وترغيبا لهم في طاعتهم وزجرا للكافر
عن كفرهم لان من سوى بين المطيع والعاصي له فقد اساء اليهما وفي الآية رد على المجبرة ايضا لانهم قالوا مثلها
بقول اليهود من ان على قلوبهم ما يمنع من الايمان ويحول بينهم وبينه وكذبهم الله تعالى في ذلك بان لعنهم وذمهم
فدل على انهم كانوا مخطئين كما هم مخطئون وقال ابو علي الفارسي ما يدرك به المعلومات من الحواس وغيرها
اذا ذكر بانه لا يعلم وصف بان عليه مانعا كقوله تعالى افلا يتدبرون القرآن ام على قلوب اقفالها فان القفل لما كان
مانعا من الدخول الى المقفل عليه شبه القلوب به ومثله قوله سكرت ابصارنا وقوله الذين كانت اعينهم في غطاء
عن ذكري ومثله بل هم قوم عمون وقوله صم بكم عمي لان العين اذا كانت في غطاء لم ينفذ شعاعها فلا يقع بها
ادراك فكان شدة عنادهم بجهلهم على دفع المعلومات واللعن هو الاقصاء والابعاد يقال لعن الله فلانا يلعنه
لعنا فهو ملعون ثم يصرف مفعول الى فعيل فيقال هو لعين كما قال الشماخ بن ضرار دعوت به القطا ونفيت عنه
مقام الذئب كالرجل اللعين اي المبعد فصار معنى الآية قالت اليهود قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه يا محمد ص
فقال الله ليس ذلك كما زعموا ولكنه تعالى اقصاهم وابعدهم من رحمته وطردهم عنها لجحودهم به وبرسله ❁
قوله تعالى فقليلا ما يؤمنون قال قتادة قليل منهم من يؤمن وقال قوم قليلا ما يؤمنون اي لا يؤمنون الا بقليل
مما في ايديهم والذي نقوله ان معنى الآية ان هؤلاء الذين وصفهم الله تعالى قليلو الايمان بما انزل على نبيه
محمد ص ولذلك نصب قوله فقليلا لانه نصب على نعت المصدر المتروك وتقديره لعنهم الله بكفرهم فايمانا قليلا
يؤمنون ولو كان الامر على ما قال قتادة لكان القليل مرفوعا وكان تقديره فقليل ايمانهم وقال قوم من اهل
العربية ان ما زائدة لا معنى لها كقوله فبما رحمة من الله لنت لهم وتقدير الكلام فقليلا يؤمنون وانشد بيت مهلهل
لو بابين جاء يخطبها ضرج ما انف خاطب بدم يعني ضرج انف خاطب وما زائدة وقال قوم ذلك خطأ
في الآية وفي البيت ان ذلك من المتكلم على ابتداء الكلام بالخبر عن عموم جميع الاشياء اذ كانت ما كلمة تجمع
كل الاشياء ثم يخص بعض ما عمته فانها يذكر بعدها وفي الناس من قال فقليلا ما يؤمنون لانه كان منهم بعض
الايمان من التصديق بالله وبصفاته وغير ذلك مما كان فرضا عليهم وذلك هو القليل بالاضافة الى ما جحدوا
من التصديق بالنبي ص وما جاء به والذي يليق بمذهبنا ان نقول انه لم يكن منهم ايمان اصلا وانما قال فقليلا
ما يؤمنون كما يقول القائل قلما رأيت هذا قط وروي عنهم سماعا من العرب مررت ببلد قلما ينبت الا الكراث
والبصل يريدون ما ينبت الا الكراث والبصل ❁ **قوله تعالى** وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا
مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى
الْكَافِرِينَ آية بلا خلاف التقدير ولما جاء اليهود من بني اسرائيل الذين وصفهم الله كتاب من عند الله يعني
القرآن الذي انزله على محمد ص واشتقاق الكتاب من الكتب وهو جمع كتبه وهي الخرزة وكلما ضممت بعضه الى بعض
فقد كتبته والكتيبة من الجيش من هذا الانضمام بعضها الى بعض وقوله مصدق لما معهم من الكتب التي انزلها الله
قبل القرآن من التورية والانجيل وغيرهما ومعنى مصدق لما معهم لما في التورية والانجيل والاخبار التي فيهما
ويحتمل ان يكون المراد مصدق بان التورية والانجيل من عند الله ومصدق رفع لانه نعت الكتاب ولو نصب على
الحال لكان جائزا لكن لم يقرأ به وقوله وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا قال ابو عبيدة معناه
يستنصرون قال ابن عباس ان اليهود كانوا يستنصرون على الاوس والخزرج برسول الله ص قبل مبعثه فلما بعثه
الله في العرب قال لهم معاذ بن جبل وبشر بن معرور يا معشر اليهود اتقوا الله واسلموا فقد كنتم تستفتحون

علينا بمحمد صلعم ونحن اهل الشرك وتخبرونا بانه مبعوث فقال لهم سلام بن مشكم ما جاء بشئ وما هو بالذى كنا نذكر لكم فانزل الله ذلك وقال قوم معنى يستفتحون يستحكمون ربهم على كفار العرب كما قال الشاعر

الا ابلغ بنى عصم رسولا فانى عن فتاحتكم غنى اى محاكمتكم وقال قوم معناه يستعلمون من علمائهم صفة نبى يبعث من العرب وكانوا يصفونه فلما بعث انكروه واما جواب قوله ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم فقال قوم ترك جوابه استغناء بمعرفة المخاطبين معناه كما قال ولو ان قرانا سيرت به الجبال او قطعت به الارض او كلم به الموتى فترك الجواب كان تقديره ولو ان قرانا سوى هذا القران سيرت به الجبال او قطعت به الارض او كلم به الموتى لسيرت بهذا لترك ذلك لدلالة الكلام عليه وكذلك الاية لجواب فيها محذوف لدلالة قوله فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وقال اخرون قوله كفروا جواب لقوله ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم ولقوله فلما جاءهم ما عرفوا نظيره قوله فاما ياتينكم منى هدى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون فصار قوله فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون جوابا لقوله فاما ياتينكم ولقوله فمن تبع هداى ومثله فى الكلام قولك ما هو الا ان جاءنى فلان فلما ان قعد وسعت له فصار قولك وسعت له جوابا لقولك ما هو الا ان جاءنى ولقولك فلما ان قعد وجاء الاول للكتاب وجاء الثانى قيل انه للرسول فلذلك الكور وقوله فلعنة الله على الكافرين فقد بينا فيما مضى معنى اللعنة ومعنى الكفر فلا وجه لاعادته وقد مضى الجواب عمن يستدل بمثل ذلك على ان الكافر قد يكون عالما ببعض الاشياء التى اوجبها الله تم بخلاف ما يذهب اليه اصحاب الموافاة وان من عرف الله فلا يجوز ان يكفر وان المعتمد على ذلك ان نقول لا يمتنع ان يكونوا قد عرفوا الله وكثيرا مما وجب عليهم لكن لم يكن وقع نظرهم على وجه يستحقون به الثواب لان ذلك هو الممنوع منه وقد بينا ايضا صفة من يتعلق بذلك من اصحاب الضرورات لان غاية ما فى ذلك ان القوم كانوا عارفين فجحدوا ما عرفوا وليس يمتنع ان يكونوا عارفين استدلالا ثم جحدوا فالضرورة لم يجر لها ذكر **قوله تعالى** بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يُنَزِّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ اية اصل بئس بئس من البؤس فاسكنت الهمزة ونقلت حركتها الى الباء كما قالوا فى ظللت ظلت وكما قيل للكبد كبد فنقلت حركة الباء الى الكاف لما سكنت الباء ويحتمل ان يكون بئس وان كان اصلها بئس من لغة من ينقل حركة العين من فعل الى الفاء اذا كانت عين الفعل احد حروف الحلق الستة كما قالوا فى لحب لحب وفى سئم سيم وهى لغة تميم ثم جعلت دالة على الذم والتوبيخ ووصلت بما واختلفوا فى ما فقال قوم من البصريين هى وحدها اسم وان يكفروا تفسير له نحو نعم رجلا زيد وان ينزل الله بدل من انزل وقال الفراء بئس الشئ اشتروا به انفسهم ان يكفروا فما اسم بئس وان يكفروا الاسم الثانى وقوله ان ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده ان شئت جعلت ان فى موضع رفع وان شئت فى موضع خفض فالرفع بئس الشئ هذا ان يكفروا والخفض بئس الشئ اشتروا به انفسهم ان يكفروا بما انزل الله بغيا وفى قوله لبئس ما قدمت لهم انفسهم ان سخط الله عليهم مثل ذلك قال ابو عبيدة والعرب تجعل ما وحدها فى هذا الباب بمنزلة الاسم التام وقوله فنعما هى وبئس ما انت قال الراجز لا تعجلا بالسير وادلواها لبئس ما بطوء ولا نرجاها قال ويقولون لبئس ما تزويج ولا مهر فيجعلون ما وحدها اسما بغير صلة وروى عن النبى صلعم انه قال نعم ما المال الصالح للرجل الصالح فجعلتها اسما وقال قوم هذا الوجه ضعيف لان هذا القول يكون التقدير بئس الشئ اشتروا به انفسهم فقد صارت ما بصلتها اسما موقتا لان اشتروا فعل ماض واذا وصلت بفعل ماض كانت معرفة موقتة تقديره ببئس شراؤهم كفرهم وذلك غير جائز عنده فبان بذلك فساد هذا القول وبئس ونعم لا يليهما اسم علم كزيد وعمرو واخيك وابيك فانما يليهما المعرف بالالف واللام كقولك الرجل والمراة وما اشبه ذلك فان نزعتهما نصبت كقوله بئس للظالمين بدلا وساء مثلا القوم الذين كذبوا باياتنا فان كانت نكرة مضافة الى نكرة جاز الرفع والنصب كقولك نعم غلام سفر غلاملك بالرفع والنصب حكاه الفراء وقال بعضهم ان ان فى موضع خفض ان شئت وان شئت فى موضع رفع فالخفض ان ترده على الهاء فى به على التكرير على كلامين كانك قلت اشتروا انفسهم

بالكفر والرفع ان يكون تكرارا على موضع ما التى تلى بئس ولا يجوز ان يكون رفعا على قولك بئس الرجل عبد الله وقال بعضهم اولى هذه الاقوال ان يجعل بئسما مرفوعا بالراجع من الهاء فى قوله اشتروا به كما رفعوا ذلك العبد الله فى قولهم بئسما عبد الله وجعل ان يكفروا مترجما عن بئس فيكون التقدير بئس الشئ باع اليهود به انفسهم بكفرهم بما انزل الله بغيا وحسدا ان ينزل الله من فضله ويكون ان التى فى قوله ان ينزل الله فى موضع نصب لانه يعنى به ان يكفروا بما انزل الله من اجل ان ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده وموضع ان جر والكسائى جعل ان فى موضع خفض بنية الباء وانما كان النصب اقوم لتمام الخبر قبلها ولا خافض معها وحرف الخفض اذا كان مضمرا لا يخفض به ومعنى قوله اشتروا به انفسهم اى باعوا به انفسهم على وزن افتعلوا من الشراء وسمى البايع الشاري بهذا لانه باع نفسه ودنياه عنده واكثر الكلام شريت بمعنى بعت واشتريت بمعنى ابتعت قال الشاعر يزيد بن مفرغ الحميري واشتريت بردا ليتنى من قبل برد كنت هامه ومعنى قوله وشروه بثمن بخس اى باعوه وربما استعملت اشتريت بمعنى بعت وشريت بمعنى ابتعت والاكثر ما قلناه وقوله بغيا اى حسدا وتعديا فان قيل كيف باعت اليهود انفسها بالكفر وهل يشترى بالكفر شئ قيل معنى الشراء والبيع عند العرب هو ازالة مالك المالك الى غيره بعوض يعتاضه منه ثم يستعمل ذلك فى كل معتاض من عمله عوضا خيرا كان او شرا فيقال نعم ما باع فلان نفسه به وبئس ما باع به نفسه بمعنى نعم الكسب كسبها وبئس الكسب كسبها وكذلك قوله بئسما اشتروا به انفسهم لما اوبقوا انفسهم بكفرهم بمحمد صلعم واهلكوها خاطبهم الله بالعرف الذى يعرفونه فقال بئسما اعتاضوه من كفرهم بالله وتكذيبهم محمدا اذ كانوا رضوا به عوضا من ثواب الله وما اعده لهم لو كانوا امنوا بالله وما انزل على انبيائه بالنار وما اعد لهم بكفرهم بذلك ونظير هذه الاية قوله فى سورة النساء الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب الى قوله واتيناهم ملكا عظيما وكان ذلك الحسد منهم لكون النبوة فى غيرهم وقوله بغيا نصب لانه مفعول له والمعنى فسادا قال الاصمعى ماخوذ من قولهم بغى الجرح اذا فسد ويجوز ان يكون ماخوذا من شدة الطلب للتطاول وسميت الزانية بغيا لانها تطلب واصل البغى الطلب وبغيا ان ينزل الله اى لان ينزل الله وكذلك كلما فى القران

حبل

ومثله قال الشاعر اجزع ان بان الخليط المودع وحبل الصفا من عزة المتقطع وقوله فباؤا بغضب على غضب اى رجعوا والمراد رجعت اليهود من بنى اسرائيل بعد ما كانوا عليه من الاستنصار بمحمد صلعم فى الاستفتاح به وبعد ما كانوا يخبرون الناس من قبل مبعثه انه نبى مبعوث مرتدين على اعقابهم حين بعثه الله نبيا بغضب من الله استحقوه منه بكفرهم به وجحدهم نبوته وانكارهم اياه وقال السدى الغضب الاول حين عبدوا العجل والثانى حين كفروا بمحمد صلعم وقال عطا وغيره الغضب الاول حين غيروا التورية قبل مبعث محمد صلعم والغضب الثانى حين كفروا بمحمد صلعم وقال عكرمة والحسن الاول حين كفروا بعيسى عم والثانى حين كفروا بمحمد صلعم وقد بينا ان الغضب من الله هو ارادة العقاب بهم وقوله وللكافرين عذاب مهين معناه للجاحدين بنبوة محمد صلعم عذاب مهين من الله اما فى الدنيا واما فى الاخرة ومهين هو المذل لصاحبه المخزى الملبسه هوانا وذلة وقيل المهين هو الذى لا ينتقل منه الى اعتزاز واكرام وقد يكون غير مهين اذا كان تمحيصا وتكفيرا ينتقل بعده

خل المدرج

الى اعزاز وتعظيم فعلى هذا من ينتقل من عذاب النار الى الجنة لا يكون عذابه مهينا قال المؤرخ فباؤا استوجبوا اللعنة بلغة جرهم ولا يقال باء مفردة حتى يقول بكذا وكذا اما بخير واما بشر قال ابو عبيدة فباؤا بغضب احتملوه واقروا به اصل البواء التقرير والاستقرار قال الشاعر فضا بحكم حتى يبوؤا بمثلها كصرخة حبلى بشرها قبيلها **قوله تعالى** وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ اية بلا خلاف قوله بما انزل الله يعنى القران قالوا نؤمن بما انزل علينا يعنون التورية ويكفرون بما وراءه يعنى بما بعده قال الشاعر تمنى الامانى ليس شئ وراءها كموعد عرقوب اخاه بيثرب وقال الفراء معنى وراء هنا سواء كما يقال للرجل يتكلم بالحسن ما وراء هذا الكلام شئ يراد به ليس عنده شئ سوى ذلك الكلام ومعنى قوله ويكفرون بما وراءه وهو الحق بما سوى التورية وبما بعده من كتاب الله عز وجل التى انزلها الله

الى رسله قوله وهو الحق مصدقا يعنى القران مصدقا لما معهم ونصب على الحال وبتسميه الكوفيون على القطع وقوله من قبل ضم على الغاية وكذلك اخواتها نحو بعد وتحت وفوق اذا جعلت غاية ضمت وفى ذلك خبر من الله تعالى ذكره انهم من التكذيب فى التورية على مثل الذى هم عليه من التكذيب بالانجيل والقران عنادا وخلافا لامره وبغيا على رسله وقوله فلم تقتلون انبياء الله من قبل ان كنتم مؤمنين يعنى قل يا محمد ليهود بنى اسرائيل اذا قلت لهم امنوا قالوا لن نؤمن بما انزل علينا لم تقتلون ان كنتم مؤمنين بما انزل الله عليكم انبياءه وقد حرم عليكم فى الكتاب الذى انزل عليكم قتلهم بل امركم فيه باتباعهم وطاعتهم وتصديقهم وفى ذلك تكذيبهم فى قولهم نؤمن بما انزل علينا وتعيير عليهم و قوله فلم تقتلون وان كان بلفظ الاستقبال المراد به الماضى بدلالة قوله من قبل وذلك لما مضى كما قال واتبعوا ما تتلوا الشياطين اى ما تلت قال الشاعر ولقد امر على اللئيم يسبنى فمضيت ثمة قلت لا يعنينى وفى رواية اخرى ثمت قلت يريد بقوله ولقد امر مررت بدلالة قوله مضيت ولم يقل فامضى وقال اخر وانى لآتيكم بشكر ما مضى من الامر واستيجاب ما كان فى غد يعنى بذلك ما يكون فى غد قال الحطيئة شهد الحطيئة حين يلقى ربه ان الوليد احق بالعذر يعنى يشهد وقال اخر فما اضحى ولا امسيت الا اراني منكم فى كوفان فقال اضحى ثم قال ولا امسيت ومثله يحسب ان ماله اخلده اى يخلده وقال بعض الكوفيين انما قال فلم تقتلون انبياء الله من قبل واراد به الماضى كما يقول القائل موبخا لغيره مكذبا مكذبا له لم تكذب ولم تبغض نفسك الى الناس قال الشاعر اذا ما انتسبنا لم تلدنى لئيمة ولم تجدى من ان تقرى به بد فالجزاء المستقبل والولادة كلها قد مضت وجاز ذلك لانه معروف وقال قوم معناه فلم ترضون بقتل انبياء الله ان كنتم مؤمنين وقال فرقة ثانية فلم يقاتلون انبياء الله فعبر عن القتال بالقتل لانه يؤول اليه

قوله تعالى وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ اية بلا خلاف ولقد جاءكم موسى يعنى جاء اليهود موسى بالبينات الدالة على صدقه وصحة نبوته كقلب العصى حية وانبجاس الماء من الحجر واليد البيضاء وفلق البحر والجراد والقمل والضفادع وغيرها من الايات وسماها بينات لظهورها وتبينها للناظرين اليها انها معجزة لا يقدر على ان ياتى بمثلها بشر وانما هى جمع بينة مثل طيبة وطيبات وقوله ثم اتخذتم العجل من بعده يعنى بعد موسى لما فارقهم ومضى الى ميقات ربه ويجوز ان يكون الهاء كناية عن المجئ فيكون التقدير ثم اتخذتم العجل من بعد مجئ موسى بالبينات وانتم ظالمون كما يقول القائل جئتنى فكرهتك اى كرهت مجيئك وليس المراد بثم ههنا النسق وانما المراد بها التوبيخ والتعجب والاستعظام لكفرهم مع ما راوا من الايات وقوله وانتم ظالمون يعنى انكم فعلتم ما فعلتم من عبادة العجل وليس ذلك لكم وعبدتم غير الله وكان ينبغى لكم ان تعبدوا الله لان العبادة لا تكون لغير الله فانتم بفعل ذلك ظالمون انفسكم

قوله تعالى وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ اية بلا خلاف تقديره واذكروا اذ اخذنا ميثاقكم وعهودكم بان تاخذوا ما اتيناكم من التورية التى انزلها الله على موسى بجد واجتهاد ومعناه اقبلوا ما سمعتم كما قيل سمع الله لمن حمده اى قبل الله حمده قال الراجز بالحمد والطاعة والتسليم خيروا عفى لفتى تميم فصار تقديرا لاية واذ اخذنا ميثاقكم بان خذوا ما اتيناكم بقوة واعملوا بما سمعتم واطيعوا الله ورفعنا فوقكم الطور من اجل ذلك وقوله قالوا سمعنا وعصينا فان الكلام خرج مخرج الخبر عن الغائب بعد ان كان الابتداء بالخطاب لما تقدم ذكره من ابتداء الكلام اذ كان حكاية والعرب تخاطب ثم تعود بعد ذلك الى الخبر عن الغائب ثم تخاطب لان قوله واذ اخذنا ميثاقكم بمعنى قلنا لكم فاجبتمونا وقوله سمعنا اخبار من الله تعالى عن اليهود الذين اخذنا ميثاقهم ان يعملوا بما فى التورية وان يطيعوا الله بما يسمعون منها انهم قالوا حين قيل لهم ذلك سمعنا قولك وعصينا امرك ويحتمل ان يكون ما قالوه لكن فعلوا ما يدل على ذلك فقام الفعل مقام القول كما قال الشاعر امتلأ الحوض وقال قطنى مهلا رويدا قد ملأت بطنى وقوله واشربوا فى قلوبهم العجل بكفرهم فيه وجوه احدها ما قال قتادة وابو العالية واشربوا فى قلوبهم حب العجل يقال اشرب

قلبه حب كذا وكذا اى قال زهير فصحوت عنها بعد حب داخل والحب يشربه فؤادك داء وقال الشاعر ابيه ولا تندى حيح باهلى من عاد ونفسى فداؤه به هام قلبى منذ حين هوى اشربته النفس ايام جهلها ولج تماديه العتب فى سالف الدهر وقال السدى لما رجع موسى الى قومه اخذ العجل الذى وجدهم عاكفين عليه فذبحه ثم حرقه بالمبرد ثم ذراه فى اليم فلم يبق بحر يجرى يومئذ الا وقع فيه شئ منه ثم قال اشربوا فشربوا فمن كان يحبه خرج على شاربه الذهب والاول عليه اكثر محصلى المفسرين وهو الصحيح لان الماء لا يقال فيه اشرب منه فلان فى قلبه وانما يقال ذلك فى حب الشئ على ما بيناه ولكن ترك ذكر الحب اكتفاء بفهم السامع لمعنى الكلام اذ كان معلوما ان العجل لا يشرب القلب وان الذى اشرب منه حبه كما قال واسال القرية وانما اراد اهلها كما قال الشاعر حسبت بغام راحلتى عناقا وما هى ويب غيرك بالعناق يريد بذلك حسبت بغام راحلتى بغام عناق وقال طرفة بن العبد الا اننى سقيت اسود حالكا الا بجلى من الشراب الا بجلى يريد بذلك سقيت سم اسود فاكتفى بذكر اسود عن ذكر السم لمعرفة السامع بمعنى ما اراد بقوله سقيت اسود وقال اخر وكيف تواصل من اصبحت خلالته كابى مرحب اى كخلالة ابى مرحب وقال اخر وشر المنايا ميت وسط اهله اى ميتة ميت وقد يقول العرب اذا سرك ان ينظر الى السخاء فانظر الى هرم او الى حاتم فيجتزون بذكر الاسم عن ذكر فعله للعلم به وقوله قل بئسما يامركم به ايمانكم ان كنتم مؤمنين معناه قل يا محمد ليهود بنى اسرائيل بئس الشئ يامركم به ايمانكم ان كان يامركم بقتل انبياء الله ورسله والتكذيب بكتبه وجحد ما جاء من عنده وقال الازهرى معنى ان كنتم اى ما كنتم مؤمنين نفيا والاول اجود ومعنى ايمانهم تصديقهم الذى زعموا انهم مصدقون من كتاب الله اذ قيل لهم بما انزل الله قالوا نؤمن بما انزل علينا وقوله ان كنتم مؤمنين اى ان كنتم مصدقين كما زعمتم فاخبر ان تصديقهم بالتورية انه كان يامرهم بذلك فبئس الامر يامرهم به وانما ذلك نفى عن التورية ان يكون يامر بشئ مما يكرهه الله من افعالهم واعلام ان الذى يامرهم به اهواؤهم وتحمل عليه عداوتهم وهذا كما يقول الرجل بئس الرجل انا ان رضيت بفعلك وساعدتك عليه والمعنى واشربوا فى قلوبهم العجل بكفرهم اى الفهم الكفر وثبوتهم فيه والكفر يدعو بعضهم الى بعض ويجيز بعضهم بعضا وليس المعنى فى قوله واشربوا ان غيرهم فعل ذلك بهم بل هم الفاعلون له كما يقول القائل انسيت من الشئ ان ليس يريد الا انك فعلت وكقولهم لقد اوتى فلان علما جما وان كان هو المكتسب له وان الجنس الذين قالوا سمعنا وعصينا غير الذين رفع عليهم الطور باعيانهم لكنهم كانوا على منهاجهم وسبيلهم فاما اولئك باعيانهم فانهم امنوا اما طوعا واما كرها والمعنى بالباء المتصلة بالكفر انهم كفروا بالله بما اشربوا من محبة العجل وليس المعنى انهم فى ذلك اشربوا حب العجل جزاء على كفرهم لان محبة العجل كفر قبيح والله لا يفعل الكفر فى العبد لا ابتداء ولا مجازاة

قوله تعالى قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ اية واحدة بلا خلاف هذه الاية مما احتج الله به لنبيه صلى الله عليه واله على اليهود الذين كانوا بين ظهرانى مهاجره وفضح بها احبارهم وعلماءهم لانه دعاهم الى قضية عادلة بينه وبينهم كما كان من الخلف الواقع بينهم فقال للفريق من اليهود ان كنتم صادقين ان الجنة خالصة لكم دون الناس كلهم او دون محمد واصحابه الذين امنوا به فتمنوا الموت لان من اعتقد انه من اهل الجنة قطعا كان الموت احب اليه من حيوة الدنيا التى فيها النقص وانواع الالام والمشاق ومفارقتها الى نعيم خالص يتخلص به من اذى الدنيا وقوله فتمنوا الموت وان كان صورته صورة الامر فالمراد به التوبيخ والزام الحجة وروى عن النبى صلى الله عليه واله انه قال لو ان اليهود تمنوا الموت لماتوا ولراوا مقاعدهم من النار فقال الله تعالى لهم ولن يتمنوه ابدا بما قدمت ايديهم تحقيقا لكذبهم فقطع على انهم لا يظهرون التمنى وفى ذلك اعظم الدلالة على صدقه لانه اخبر بشئ قبل كونه فكان كما اخبر لانه لا خلاف انهم لم يتمنوا وقيل انهم ما تمنوا لانهم علموا انهم لو تمنوا الموت لماتوا كما قاله فلذلك لم يتمنوه وهذا قول ابن عباس وقال غيره ان الله صرفهم عن اظهار التمنى ليجعل ذلك اية لنبيه صلى الله عليه واله اما التمنى فهو قول لما كان ليت لم يكن ولما لم يكن ليت كان وقال قوم هو معنى فى القلب غير انه لا خلاف انه ليس من قبيل الشهوة فمن قال من المفسرين انه اراد

تمنّيهم فقد اخطأ وقد روى عن ابن عباس انه قال فسألوا الموت وهذا بعيد لان التمنى بمعنى السؤال لا يعرف فى اللغة فان قيل من اين انهم ما تمنوه بقلوبهم حتى قال انه معنى فى القلب قلنا لو تمنوه بقلوبهم لاظهروه بالسنتهم حرصا منهم على تكذيبه فى اخباره وجهدا فى اطفاء امره وهذه القصة مشبهة بقصة المباهلة وان النبى صلعم لما دعى النصارى الى المباهلة امتنعوا لعلمهم بما لهم من البلية وخوفهم من صدق النبى صلعم ومعنى خالصة صافية يقال خلص لى هذا الامر اى صار لى وحدى وصفا لى يخلص خلوصا وخالصة والخالصة مصدر كالعاقبة يقال للرجل هذا خلصانى اى خالصتى من دون اصحابى **قوله تعم** وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ اَبَداً بِمَا قَدَّمَتْ اَيْدِيهِمْ وَاللّٰهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ اية بلا خلاف اخبر الله تعم عن هؤلاء الذين قيل لهم تمنوا الموت ان كنتم صادقين بانهم لا يتمنون ذلك ابدا وقد بينا ان ذلك دلالة على صدق النبى صلعم من حيث تضمنت انهم لا يتمنون ذلك فى المستقبل وكان كما قال وقوله ابدا نصب على الظرف اى لم يتمنوه طول عمرهم كقول القائل لا اكلمك ابدا وانما يريد ما عشت وقوله بما قدمت ايديهم معناه بالذى قدمت ايديهم ويحتمل ان يكون المراد بتقدمة ايديهم فيكون ما مع ما بعدها بمنزلة المصدر وقوله والله عليم بالظالمين انما خص الظالمين بذلك وان كان عالما بغيرهم لان الغرض بذلك الزجر كانه قال عليم بمجازاة الظالمين كما يقول القائل لغيره مهددا له انا عالم بك بصير بما يعمله وقيل انه عليم بانهم لا يتمنون ابدا حرصا على الحيوة لان كثيرا منهم يعلم انه مبطل وهم المعاندون منهم الذين يكتمون الحق وهم يعلمون **قوله تعم** وَلَتَجِدَنَّهُمْ اَحْرَصَ النَّاسِ عَلٰى حَيٰوةٍ وَمِنَ الَّذِينَ اَشْرَكُوا يَوَدُّ اَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ اَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ اَنْ يُعَمَّرَ وَاللّٰهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ اية واحدة بلا خلاف قال ابن عباس وابو العالية ومجاهد والربيع ان المعنى بقوله احرص الناس على حيوة اليهود واحرص من الذين اشركوا وهم المجوس وهم الذين يود احدهم لو يعمر الف سنة وما هو بمزحزحه لانه اذا دعى بعضهم لبعض يقول له هزار سال بزى اى عشرة الاف سنة واليهود احرص على الحيوة منهم وما هو بمزحزحه اى بمباعده من العذاب ان يعمر لانه لو عمر ما تمنى لما دفعه طول العمر من عذاب الله تعم على معاصيه انما وصف الله اليهود بانهم احرص الناس على حيوة لعلمهم بما قد اعد الله لهم فى الاخرة على كفرهم مما لا يقر به اهل الشرك الذين لا يؤمنون بالبعث ويعلمون ما هنالك من العذاب وان المشركين لا يصدقون ببعث ولا عقاب واليهود احرص منهم على الحيوة واكره للموت قوله وما هو بمزحزحه من العذاب ان يعمر يعنى وما التعمير وطول البقاء بمزحزحه من عذاب الله وهو عماد لطلبها الاسم اكثر من طلبها الفعل كما قال الشاعر وهل هو مرفوع بما ههنا راس وان فى قوله ان يعمر رفع بمزحزحه وحسنت الباء فى قوله بمزحزحه كما يقول ما عبد الله بملازمة زيد وهى التى مع ما ذكره عماد للفعل لاستقباح العرب النكرة قبل المعرفة وقال قوم ان هو التى مع ما كناية عن ذكر العمر وجعل ان يعمر مترجما عن هو يريد ما هو بمزحزحه من العذاب ان يعمر اى وان عمر قال الزجاج وما هو كناية عن احدهم كانه قال وما احدهم بمزحزحه من العذاب كانه قال وما احدهم يود احدهم ان يعمر الف سنة وما ذلك العمر بمزحزحه من العذاب وقوله بمزحزحه اى بمبعده قال الحطيئة فقالوا تزحزح لا بنا فضل حاجة اليك ولا منا لوهيك راقع يعنى تباعد يقال منه زحزحه يزحزحه زحزحة وزحزاحا فتاويل الاية وما طول العمر بمبعده من عذاب الله ولا منجيه منه لانه لا بد للعمر من الفناء فيصير الى الله تعم وقال الفراء احرص الناس على حيوة ومن الذين اشركوا ايضا والله اعلم كقولك هو اسخى الناس ومن حاتم ومن هرم لان تاويل قولك اسخى الناس انما هو اسخى من الناس وقوله والله بصير بما يعملون قرء بالتاء والياء معا اى لا يخفى عليه شئ من اعمالهم بل هو بجميعها محيط ولها حافظ حتى يذيقهم بها العذاب ومعنى بصير مبصر عند اهل اللغة وسميع بمعنى مسمع لكنه صرف الى فعيل فى بصير وسميع ومثله عذاب اليم بمعنى مولم وبديع السموات بمعنى مبدع وعند المتكلمين المبصر هو المدرك للمبصرات والبصير هو الحى الذى لا افة به لانه يجب ان يبصر المبصرات اذا وجدت وليس احدهما هو الاخر وكذلك سميع ومسمع وقوله يود يقول وددت الرجل ودودا وودا وودادا وودادة ومودة واود لا يكون ماضيه الا وددت وقد قال بعض المفسرين ان تاويل قوله لتجدنهم احرص الناس على حيوة اى من الناس اجمع ثم قال فاحرص من الذين اشركوا على وجه التخصيص لان

٢ ابدًا

قوله الشاهد من الشعر لم يذكر

من لا يؤمن بالبعث والنشور يكون حرصه على البقاء فى الدنيا اكثر ممن يعتقد الثواب والعقاب فان قيل اليس نجد كثيرا من المسلمين يحرصون على الحيوة ويكرهون الموت فكيف تدل هذه الاية على ان اليهود لم يكونوا على ثقة مما كانوا ايدعونه من انهم اولى به من المسلمين لشاركوهم فى الحرص على الحيوة وهم على يقين من الاخرة وما فيها من الثواب والعقاب قيل ان المسلمين لا يدعون ان الدار الاخرة لهم خالصة ولا انهم احباء الله ولا انهم من اهل الجنة قطعا كما كانت اليهود تدعى ذلك بل هم مشفقون من ذنوبهم يخافون ان يعذبوا عليها فى النار فلهذا يشفقون من الموت ويحبون الحيوة ليتوبوا من ذنوبهم التى يخافون ان يعذبوا عليها فى النار فلهذا يشفقون من الموت ويحبون الحيوة ليتوبوا من ذنوبهم ويصلحوا اعمالهم ومن كان على يقين مما يصير اليه لم يؤثر الحيوة على الموت كما روى عن على عم انه قال لا ابالى سقط الموت على او سقطت على الموت وقال اللهم سئمتهم وسئمونى فابدلنى بهم خيرا لى منهم وابدلهم بى شرا منى وقوله اللهم عجل الى الراحة وعجل لهم الشقوة وكما روى عن عمار رضه انه قال يوم صفين اليوم القى الاحبة محمدا وصحبه وكما قال حذيفة عند الموت حبيب جاء على فاقة لا افلح من ندم **قوله تعم** قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَاِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلٰى قَلْبِكَ بِاِذْنِ اللّٰهِ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرٰى لِلْمُؤْمِنِينَ اية واحدة بلا خلاف قرا ابن كثير جبريل بفتح الجيم وكسر الراء وبعدها ياء ساكنة من غير همزة مكسورة وقرا حمزة والكسائى وخلف وابو بكر الا يحيى بفتح الجيم والراء بعدها همزة مكسورة بعدها ياء ساكنة على وزن جبرعيل وروى يحيى كذلك الا انه حذف بعده الهمزة فيصير جبرئل الباقون بكسر الجيم والراء وبعدها ياء ساكنة من غير همز وقرا اهل البصرة ميكال بغير همز ولا ياء وقرا اهل المدينة بهمزة مكسورة بعد الالف مثل ميكاعيل الباقون باثبات ياء ساكنة بعد الهمزة على وزن ميكاعيل قال ابو الحسن الاخفش فى جبرئيل ست لغات جبرائيل وجبرال وجبرئيل وجبرئل وجبريل وحكى الزجاج بالنون ايضا بدل اللام وهى لغة بنى اسد وبتشديد اللام اجمع اهل التاويل على ان هذه الاية نزلت جوابا لليهود حين زعموا ان جبرئيل عدوهم وان ميكائيل ولى لهم لما اخبروا ان جبرئيل هو الذى نزل على محمد صلعم قالوا جبرئيل عدونا يأتى بالحرب والجدب وميكائيل يأتى بالسلام والخصب فقال الله تعم قل من كان عدوا لجبرئيل اذ كان هو المنزل الكتاب عليه فانه انما انزله على قلبه باذن الله لا من تلقاء نفسه وانما انزل لما هو مصدق بين يديه من الكتب التى فى ايديهم لا مكذب لها وانه وان كان فيما انزل الامر بالحرب والشدة على الكافرين فانه هدى وبشرى للمؤمنين وقوله على قلبك لم يقل على قلبى كقولك للذى تخاطبه لا تقل للقوم ان الخبر عندك ويجوز ان تقول لا تقل ان الخبر عندى وكما تقول قال القوم جبرئيل عدونا ويجوز ان يقول قالوا جبرئيل عدوهم ولا ينبغى ان يستنكر احد ان اليهود يقول ان جبرئيل عدونا لان الجهل فى هؤلاء اكثر من ان يحصى وهم الذين اخبر الله عنهم بعد مشاهدة فلق البحر والمعجزات الباهرة اجعل لنا الها كما لهم الهة وقالوا ارنا الله جهرة ومثل ذلك طائفة من النصارى تعادى سليمان فلا تذكره ولا تعظمه ولا تقر بنبوته وجبرائيل وميكائيل اسمان اعجميان اعربا وقيل ان جبر عبد وايل الله ومثل عبد الله وضعف ذلك ابو على الفارسى من وجهين احدهما ان ايل لا يعرف فى اسماء الله فى لغة العرب والثانى انه لو كان كذلك لا عرب اخر الكلمة كما فعل ذلك فى ساير الاسماء المضافة والامر بخلافه وكان سبب نزول هذه الاية ما روى ان ابن صوريا وجماعة من يهود اهل فدك لما قدم النبى صلعم المدينة سألوه فقالوا يا محمد كيف نومك فقد اخبرنا عن نوم النبى الذى يأتى فى اخر الزمان فقال تنام عيناى وقلبى يقظان فقالوا صدقت يا محمد فاخبرنا عن الولد يكون من الرجل ومن المرأة فقال اما العظام والعصب والعروق فمن الرجل واما اللحم والدم والظفر والشعر فمن المرأة فالوا صدقت يا محمد فما بال الولد يشبه اعمامه ليس فيه من شبه اخواله شئ او يشبه اخواله ليس فيه من شبه اعمامه شئ فقال ايهما علا ماؤه كان الشبه له فالوا صدقت يا محمد فاخبرنا عن ربك ما هو فانزل الله تعم قل هو الله احد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد فقال له ابن صوريا خصلة واحدة ان قلتها امنت بك واتبعتك اى ملك يأتيك بما ينزل الله لك قال جبريل قالوا ذلك عدونا ينزل بالقتال والشدة والحرب وميكائيل نزل باليسر والرخاء فلو كان ميكائيل هو الذى يأتيك امنا بك فانزل الله عز وجل هذه الاية وقوله مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين يعنى القرآن نصب

٢ مع ان المسلمين

مصدّقا على الحال والهاء فى قوله نزّله على قلبك يا محمّد مصدّقا لما بين يديه يعنى القران ويعنى مصدّقا لما سلف من كتب الله امامه التى انزلها على رسله وتصديقها موافقته لمعانيها فى الامر باتباع النبىّ صلعم وما جاء به من عند الله وانما اضافه هدى وبشرى للمؤمنين من حيث كانوا المهتدين به والعاملين به على ما بيّناه فيما مضى

العالمين

قوله تعالى مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلّٰهِ وَمَلٰئِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَاِنَّ اللّٰهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ اية قد بيّنا اختلاف القرّاء فى جبرئيل وميكائيل وان كانا من جملة الملئكة فانّما افردا بالذكر لاجل امرين احدهما ذكرا لفضلهما ومنزلتهما كما قال فيهما فاكهة ونخل ورمّان ولما تقدم من فضلهما وانّ الاية نزلت فيهما وفيما جرى من ذكرهما والثانى ان اليهود لما قالت جبرئيل عدوّنا وميكال وليّنا خصّا بالذكر لئلا يزعم اليهود ان جبرئيل و ميكال مخصوصان من جملة الملئكة وغير داخلين فى جملتهم فنصّ الله تعالى عليهما لابطال ما ميّنا ولو نزّه من التخصيص ثمّ قال فانّ الله عدوّ للكافرين ولم يقل فانّه فكرّر اسم الله لئلا يظنّ ان الكناية راجعة الى جبرائيل وميكائيل ولم يقل لهم لانه يجوز ان ينتقلوا عن العداوة بالايمان وفى هذه الاية دلالة على خطأ من قال من المجبّرة ان الامر ليس بمحدث احتجاجا بقوله الا له الخلق والامر قالوا فلما افرد الامر بالذكر بعد ذكره الخلق دلّ على ان الامر ليس بمخلوق و لو كان الامر على ما قالوه لوجب ان لا يكون جبرئيل وميكائيل من الملئكة ونظير ذلك اية قوله واذ اخذنا من النبيّين ميثاقهم ومنك ومن نوح

يعني

قوله تعالى وَلَقَدْ اَنْزَلْنَا اِلَيْكَ اٰيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا اِلَّا الْفَاسِقُونَ اية بلا خلاف معنى الايات يحتمل امرين احدهما ذكره البلخى وجماعة من اهل العلم اية سائر الايات المعجزات التى اعطاها الله النبىّ صلعم من الايات القران وما فيه وغير ذلك من الدلالات وقال بعضهم هو الاخبار عمّا غمض ممّا فى كتب الله السالفة من التورية والانجيل وغيرهما وقال ابن عبّاس ان ابن صوريا القطرانى قال لرسول الله صلعم يا محمّد ما جئتنا بشىء نعرفه وما انزل عليك من اية بينة فنتبعك لها فانزل الله فى ذلك ولقد انزلنا اليك ايات بينات وما يكفر بها الا الفاسقون فان قال بعض اليهود انتم معترفون باياتنا ونحن نجحد باياتكم فحجتنا لازمة لكم لانها مردودة الى ما تعرفون به قيل لهم فيجب على هذا الّا يكون لهم حجة على الدهريّة والبراهمة والثنويّة لانهم لا يعترفون باياتكم وانما قال وما يكفر بها الّا الفاسقون ولم يقل الكافرون وان كان الكفر اعظم من الفسق لاحد امرين احدهما انه عنى الخارجين عن اديانهم وان اظهروا انهم يتمسّكون بها لان اليهود قد خرجت بالكفر بالنبىّ صلعم من شريعة موسى والفسق هو الخروج عن امر الله الى ما يعظم من معصيته والثانى انه اراد الفاسقين المتمردين فى كفرهم لان الفسق لا يكون الّا اعظم الكباير فان كان فى الكفر فهو اعظم الكفر وان كان فيما دون الكفر فهو اعظم المعاصى هذا يجئ على مذهب الحسن لانه ذكر ان الفاسقين عنى به جميع من كفر بها وقد يدخل فى هذا الكلام احد امرين احدهما القوم يتوقّعون الخبر وليقرب الماضى من الحال يقول قد ركب الامير وجاء زيد وقد عزم على الخروج اى حاذما عليه وهى ههنا مع لام القسم على هذا تقدير قوم يتوقّعون الخبر لان الكلام اذا خرج ذلك المخرج كان اوكد وابلغ والاية هى العلامة التى فيها عبرة وقيل العلامة هى الحجة والبيّنة الدلالة الفاصلة بين القضية الصادقة والكاذبة ماخوذة من ابانة احد الشيئين عن الاخر فزول الالتباس به

قوله تعالى اَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ اَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ اية واحدة الواو فى قوله اوكلما عند سيبويه و اكثر النحويّين واو العطف الّا ان الف الاستفهام دخلت عليها لان لها صدر الكلام وهى ام الاستفهام بدلالة ان الواو يدخل على هل لان الالف اقوى منها قال الزجاج وغيره يقول وهل زيد عاقل و لا يجوز وازيد عاقل وقال بعضهم يحتمل ان يكون زائدة كزيادة الفاء فى قولك افا الله لتصنعنّ والاول اصحّ لانه لا يحكم بالزيادة مع وجود معنى من غير ضرورة والعطف على قوله خذوا ما اتيناكم بقوّة واسمعوا قالوا سمعنا وعصينا اوكلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم وانما اتصل ذكر العهد بما قبله لاحد امرين احدهما بقوله واذ اخذنا ميثاقكم والثانى انهم كفروا بنقض العهد كما كفروا بالايات والمراد بالعهد ههنا الميثاق الذى اخذه الله ليؤمنن بالنبىّ الامّى على قول ابن عبّاس وقال ابو على المعنى به العهود التى كانت لليهود اعطوها من انفسهم فى ايام انبيائهم وفى ايام نبيّنا محمّد صلعم لانهم كانوا عاهدوه انهم لا يعينوا عليه احدا فنقضوا ذلك واعانوا عليه

قريشا يوم الخندق وقوله نبذه النبذ والطرح والالقاء نظاير قال صاحب العين والنبذ طرحك الشئ عن يدك امامك او خلفك والمنابذة انتباذ الفريقين للحرب يقول نبذنا اليهم على سواء اى نابذناهم الحرب والمنبوذون هم الاولاد الذين يطرحون والنبيذ معروف والفعل نبذت لى ولغيرى وانتبذت خاصة لنفسى والمنابذة فى البيع منهى عنها وهى كالرّمى كانه اذا رمى اليه وجب له وسمّى النبيذ نبيذا لان التمر كان يلقى فى الجرّ وغيره هى فعيل بمعنى مفعول واصابت الارض نبذة من المطر اى قليل قال قتادة معنى نبذه فى الاية نقضه وقيل تركه وقيل القاه والمعنى متقارب قال ابو الاسود الدؤلى نظرت الى عنوانه فنبذته كنبذك نعلا اخلقت من نعالكا وقوله بل اكثرهم الهاء والميم عائدتان على المعاهدين ولا يصلح على الفريق اذ كانوا كلهم غير مؤمنين واما المعاهدون فمنهم من امن كعبد الله بن سلام وكعب الاخبار وغيرهما وانما دخلت بل على قوله بل اكثرهم لا يؤمنون لامرين احدهما انه لما قال نبذه فريق منهم دلّ على انه كفر ذلك الفريق بالنقض وحسن هذا التفصيل لان منهم من نقض عنادا ومنهم من نقض جهلا والوجه الثانى كفر فريق منهم بالنقض وكفر اكثرهم بالجحد للحق وهو امر النبىّ صلعم وما يلزم من اتباعه والتصديق به وقيل بل يعنى ان الفريق وان كانوا هم المعاندين فى الجميع كافرون كما يقول زيد كريم بل قومه جميع كرام وقوله اوكلما نصب على الظرف والعامل فيه نبذه ولا يجوز ان يعمل فيه عاهدوا لانه متمم لما اما صلة واما صفة

قوله تعالى وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللّٰهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ اُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللّٰهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَاَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ اية قال السدى واكثر المفسّرين المعنى بالرسول محمّد صلعم وقال بعضهم يجوز ان يعنى به ههنا الرسالة كما قال كثير فقد كذب الواشون ما بحت عندهم بليلى ولا ارسلتهم برسول وهذا ضعيف لانه خلاف الظاهر قليل الاستعمال والكتاب يحتمل ان يراد به التورية ويحتمل ان يراد به القران قال السدى نبذوا التورية واخذوا بكتاب اصف وسحر هاروت وماروت يعنى انهم تركوا ما يدلّ عليه التورية من صفة النبىّ صلعم وقال قتادة وجماعة من اهل العلم ان ذلك الفريق كانوا معاندين وقال ابو على لا يجوز على جماعتهم ان يكتموا ما علموا مع كثرة عددهم واختلاف هممهم لانه خلاف العادة ولكن يجوز على الجمع الكثير ان يتواطوا على الكتمان ولذلك قال الفريق من الذين اوتوا الكتاب كتاب الله وقوله مصدّق لما معهم يحتمل امرين احدهما مصدّق لما معهم لانه جاء على الصفة التى تقدمت بها البشارة والثانى انه مصدّق بالتورية انها حق من عند الله والاول احسن لان فيه حجة عليهم وعبرة لهم و قال الحسن مصدّق لما معهم من التورية والانجيل وقال غيره يصدق بالتورية لان الاخبار ههنا عن اليهود دون النصارى وانما قال نبذ فريق منهم من الذين اوتوا الكتاب ولم يقل منهم اذ تقدم ذكرهم لاحد امرين احدهما انه لما اريد علماء اهل الكتاب اعيد ذكرهم لاختلاف المعنى على قول البلخى والثانى انه للبيان وكان يجوز النصب فى مصدّق لان كتابا قد وصف لانه من عند الله على ما قاله الزجاج وقوله كانهم لا يعلمون فمعناه انهم يعلمون وكانهم لكفرهم وكتمانهم لا يعلمون

قوله تعالى وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلٰى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا اُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ اَحَدٍ حَتّٰى يَقُولَا اِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ اَحَدٍ اِلَّا بِاِذْنِ اللّٰهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرٰيهُ مَا لَهُ فِى الْاٰخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ اَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ اية بلا خلاف قرأ ابن عامر وحمزة والكسائى وخلف ولكن الشياطين ولكن الله قتلهم ولكن الله رمى بتخفيف النون من لكن وكسرها فى الوصل ورفع الاسم بعدها الباقون بالتشديد وروى تثنية الملكين بكسر اللام ههنا حسب واختلفوا فى المعنى بقوله واتبعوا على ثلثة اقوال فقال ابن جريج وابو اسحق المراد به اليهود الذين كانوا فى زمن النبىّ صلعم وقال الجبائى المراد به اليهود الذين كانوا فى زمن سليمان وقال قوم المراد به الجميع وهو قول المتاخرين وقال لان متبعى السحر من اليهود لم يزالوا منذ عهد سليمان الى ان بعث محمّد صلعم وروى عن الربيع ان اليهود سألوا محمّدا صلعم زمانا عن امور من التورية لا يسئلونه عن شئ من ذلك الّا انزل الله عليه ما سألوا عنه فخصمهم

فلما رأوا ذلك قالوا هذا أعلم بما أنزل علينا منا وانهم سألوه عن السحر وخاصموه به فأنزل الله عز وجل و
اتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان ومعنى تتلوا قال ابن عباس تتبع لأن التالي تابع وقال بعضهم يدعي
وليتني بمزورين وقال قتادة وعطاء معناه تقرأ من تلوت كتاب الله أي قرأته وقال ثم هنالك تتلوا كل نفس ما أسلفت
أي تتبع وقال حسان بن ثابت
نبي يرى ما لا يرى الناس حوله ويتلو كتاب الله في كل مشهد
والذي تتلوه هو السحر على قول ابن اسحق وغيره من أهل العلم وقال بعضهم الكذب ومعنى قوله على ملك سليمان على
عهد سليمان قال ابن اسحق وابن جريج في ملك سليمان حين كان حيا وهو قول المبرد وقال قوم انما قال تتلوا
على ملك لأنهم كذبوا عليه بعد وفاته كما قال ويقولون على الله الكذب وقال أتقولون على الله ما لا تعلمون
وقال الشاعر
عرضت نصيحة مني ليحيى فقال غششتني والنصح مر
وما بي أن أكون أعيب يحيى ويحيى طاهر الأخلاق بر
ولكن قد أتاني أن يحيى يقال عليه في نفعاء شر
فاذا صدق قيل تلا عنه واذا كذب قيل تلا عليه واذا أبهم جاز فيه الأمران وقوله الشياطين قال قوم هم شياطين الجن لأن ذلك هو
المستفاد من اطلاق هذه اللفظة وقال بعضهم المراد به شياطين الانس المتمردة في الضلال كما قال جرير
أيام يدعونني الشيطان من غزلي وكن يهوينني اذ كنت شيطانا
وقوله وما كفر سليمان وان لم يجر له
ذكر يكون هذا تكذيبا له فمعناه أن اليهود أضافوا الى سليمان السحر وزعموا أن ملكه كان به فبرأه الله مما
قالوا وهو قول ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة وقال ابن اسحق قال بعض أحبار اليهود ألا تعجبون من محمد
يزعم أن سليمان كان نبيا والله ما كان الا ساحرا فأنزل الله تعالى وما كفر سليمان وقيل تقدير الكلام و
اتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان من السحر فتضيفه الى سليمان وما كفر سليمان لأن السحر لما كان كفرا
نفى الله تعالى عنه ذلك على المعنى وان كانوا لم يضيفوا اليه كفرا والسبب الذي لأجله أضاف اليهود الى سليمان
السحر أن سليمان جمع كتب السحر تحت كرسيه وقيل في خزائنه لئلا يعمل به فلما مات وظهر عليه قالت الشياطين
بهذا كان يتم ملكه وشاع في اليهود وقبلوه لعداوتهم لسليمان وقيل انهم وضعوا كتاب السحر بعد سليمان
وأضافوه اليه وقالوا بهذا كان يتم له ما كان فيه فكذبهم الله تعالى في ذلك ونفى عنه ذلك والسحر والكهانة
والحيلة نظائر يقال سحره يسحره سحرا واستحر استحارا وسحره تسحيرا قال صاحب العين السحر عمل يقرب الى الشيطان
كل ذلك بكسوة السحر ومن السحر الأخذة التي تأخذ العين حتى يظن أن الأمر كما ترى وليس الأمر كما ترى والجمع الأخذ
والسحر البيان من اللفظ كما قال النبي صلى الله عليه وآله ان من البيان لسحرا والسحر فعل السحر في شيء يلعب به الصبيان اذا مد خرج
على لون فاذا مد من جانب آخر خرج على لون آخر ويسمى السحارة والسحر الغذو قال لبيد
أرانا موضعين لأمر غيب ونسحر بالطعام وبالشراب
وقال آخر
فان تسألينا فيم نحن فاننا عصافير من هذا الأنام المسحر
وقوله انما أنت من المسحرين يعني من المخلوقين وفي تميز العربية هو المخلوق الذي يطعم ويسقى والسحر آخر الليل
تقول لقيته سحرا منون وسحر بلا تنوين اذا جعلته مقصودا اليه ولقيته بالسحر الأعلى ولقيته بسحرة ولقيته سحرة
بالتنوين قال الطرماح
بان الخليط بسحرة فتبددوا والدار تسعف بالخليط وتبعد
وسحرنا أكلنا سحورا واسحرنا كقولك أصبحنا والسحر الرئة مخففة وما يتعلق بالحلقوم ويقال للجبان اذا جبن انتفخ سحره
واستحر الطائر اذا غدا بسحر وأصل الباب الخفاء والسحر قيل لخفاء سببه توهم قلب الشيء عن حقيقته كفعل السحرة
في قصة موسى لما أوهموا أن العصا والحبال صارت حيوانا فقال يخيل اليه من سحرهم أنها تسعى وقوله ولكن
الشياطين كفروا قيل فيه ثلاثة أقوال أحدها أنهم كفروا بما نسبوه الى سليمان من السحر والثاني أنهم كفروا بما
استخرجوه من السحر والثالث معناه ولكن الشياطين سحروا فعبر عن السحر بالكفر وقوله يعلمون الناس السحر قيل
فيه قولان أحدهما أنهم ألقوا السحر اليهم فتعلموه وقوله وما أنزل على الملكين قال ابن عباس وقتادة وابن
زيد والسدي أن ما بمعنى الذي وقال الربيع في احدى الروايتين عن ابن عباس أنها بمعنى الجحد وروي عن
القاسم بن محمد أنها تحتمل الأمرين وموضع ما نصب لعطفها على السحر وقيل انها عطف على ما في قوله ما تتلوا
الشياطين وقال بعضهم موضعها جر عطفا على ملك سليمان وعلى ما أنزل ومن قرأ بكسر اللام في الملكين قال

هما من ملوك بابل وعلوجها وهو قول أبي الأسود الدؤلي والربيع والضحاك وبه قرأ الحسن البصري ورواها
عن ابن عباس واختلف من قال بهذا فقال قوم كانا مؤمنين ولذلك نهيا عن الكفر وقال قوم انهما كانا نبيين
من أنبياء الله ومن قرأ بالفتح قال قوم منهم كانا ملكين وقال آخرون كانا شيطانين وقال قوم هما جبرئيل و
ميكائيل خاصة واختلفوا في بابل فقال قوم هي بابل العراق لأنها تبلبل بها الألسن رواه عن عائشة و
ابن مسعود وقيل بابل دماوند ذكره السدي وقال قتادة هي من نصيبين الى رأس العين وقال الحسن ان الملكين
ببابل الكوفة الى يوم القيمة وان من أتاهما سمع كلامهما ولا يراهما وبابل لا ينصرف وقيل في معنى السحر
أربعة أقوال أحدها أنه خدع ومخاريق وتمويهات لا حقيقة لها يخيل الى المسحور أن لها حقيقة والثاني أنه
أخذ بالعين على وجه الحيلة والثالث أنه قلب الحيوان من صورة الى صورة وانشاء الأجسام على وجه الاختراع
فيمكن الساحر أن يقلب الانسان حمارا وينشئ أجساما والرابع أنه ضرب من خدمة الجن كالذي يميل له المجدل
فيصرع وأقربها الأقوال الأول لأن كل شيء خرج عن العادة الخارقة فانه لا يجوز أن يتأتى من الساحر ومن جوز
للساحر شيئا من هذا فقد كفر لأنه لا يمكنه مع ذلك العلم بصحة المعجزات الدالة على النبوات لأنه أجاز مثله من جهة
الحيلة والسحر وقوله وما يعلمان من أحد حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر يتصل قوله فلا تكفر بأحد شيئين
أحدهما فلا تكفر بالعمل بالسحر والثاني فلا تكفر بتعلم السحر ويكون مما امتحن الله عز وجل به كما امتحن بالنهر
في قوله فمن شرب منه فليس مني وثالثها فلا تكفر بواحد منهما التعلم للسحر والعمل به فان قيل كيف يجوز أن يعلم
الملكان السحر قيل يعلمان ما السحر وكيفية الاحتيال به ليجتنب لئلا يتموه على الناس أنه من جنس المعجزات التي تظهر
على يد الأنبياء فيبطل الاستدلال بها وقال جماعة من المفسرين منهم أبو علي وغيره أنزلهما الله من السماء وجعلهما
بهيئة الانس حتى يبينا للناس بطلان السحر وقال الحسن وقتادة أخذ عليهما أن لا يعلما حتى يقولا انما نحن فتنة فلا
تكفر ومعنى قوله وما يعلمان من أحد حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر على قول من جعل ما جحدا وقوله وما أنزل
على الملكين أن يكون ذلك من قول هاروت وماروت وليسا ملكين كما يقول الغاوي للخليع انا انا في ضلال
فلا ترد ما أنا فيه فيقر بالذنب وهو ما بيته والتقدير على هذا ولكن الشياطين كفروا هاروت وماروت فمن
قرأ الملكين بفتح اللام وهو قراءة الجمهور اختلفوا فمنهم من قال ان سحرة اليهود زعموا أن الله أنزل السحر
على لسان جبرئيل وميكائيل الى سليمان فأكذبهم الله بذلك وفي الكلام تقديم وتأخير فتقديره وما كفر سليمان
وما أنزل على الملكين ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر ببابل هاروت وماروت وهما رجلان ببابل
غير الملكين اسم أحدهما هاروت والآخر ماروت ويكون هاروت وماروت بيانا عن الناس وقال قوم ان
هاروت وماروت ملكان من الملائكة واختلفوا في سبب هبوطهما على قولين فقال قوم ان الله أهبطهما ليأمرا
بالدين وينهيا عن السحر لأن السحر كان كثيرا في ذلك الوقت ثم اختلفوا فقال قوم كانا يعلمان الناس كيفية السحر
وينهيانهم عن فعله ليكون النهي بعد العلم به لأن من لا يعرف الشيء فلا يمكنه اجتنابه وقال قوم آخرون لم يكن
للملكين تعليم السحر ولا اظهاره لما في تعليمه من الاغراء بفعله والثالث هبطا لمجرد النهي اذ كان السحر فاشيا و
قال قوم كان سبب هبوطهما أن الملائكة تعجبت من معاصي بني آدم مع كثرة نعم الله عليهم فقال لهم أما لو كنتم مكانهم
لعملتم مثل أعمالهم فقالوا سبحانك ما كان ينبغي لنا فأمرهم أن يختاروا ملكين ليهبطا الى الأرض فاختاروا هاروت
وماروت فأهبطا الى الأرض وركب فيهما شهوة الطعام والشراب والنكاح وأحل لهما كل شيء بشرط ألا يشركا
بالله ولا يشربا الخمر ولا يزنيا ولا يقتلا النفس التي حرم الله فعرضت لهما امرأة للحكومة فمالا اليها فقالت لهما لا
أجيبكما حتى تعبدا صنما وتشربا الخمر وتقتلا النفس فعبدا الصنم وواقعاها وقتلا سائلا مر بهما خوفا أن يشهر
أمرهما في حديث طويل لا فائدة في ذكره قال كعب فوالله ما أمسيا من يومهما الذي هبطا فيه حتى استكملا جميع
ما نهيا عنه فعجبت الملائكة من ذلك ثم لم يقدر هاروت وماروت على الصعود الى السماء وكانا يعلمان الناس السحر
ومن قال بعصمة الملائكة لم يجوز هذا الوجه وقال قوم من أهل التأويل ان ذلك على عهد ادريس وانما قوله انما نحن
فتنة فالامتحان والفتنة والاختبار نظائر يقال فتنه فتنة وافتتن افتتانا وقال أبو العباس فتن الرجل وفتن

بمعنى اختبر وتقول فتنت الرجل وافتنته ولغة قريش فتنته قال الله ثم وفتناك فتونا وقال ولقد فتنا سليمان
وقال اعشى همدان لئن فتنتنى فهى بالامس افتنت سعيدا فامسى قد قلا كل مسلم فجاء بالحتين وقوله
تعالى فطن داود انما فتناه اى اختبرناه ويقال فتنت الذهب فى النار اذا اختبرته فيها لتعلم اخالص هو ام مشوب وقيل
لكلما احميته فى النار فتنته ويقول فتنت الخبزة فى النار اذا انضجتها ومثله يقال فى اللحم وقوله والفتنة اشد من
القتل اى الكفر اشد من القتل والفتن فى الدين والحروب وقولهم فتنة السوط اشد من فتنة السيف ومعناه اختبار
السوط اشد لان فيه تعذيبا متطاولا وقوله يوم هم على النار يفتنون اى يشوون من قولك فتنت الخبزة والمعنى
الصحيح انهم يعذبون بكفرهم يقال فتن الكافر وافتنه العذاب اى جزاه بفتنته كقولك كذب واكذبته وكل من صبا
فقد فتن وقوله بايكم المفتون قال الاخفش معناه الفتنة فهو مصدر كقولك رجل ليس له معقول وخذ
ميسورة ودع معسورة وابى ذلك سيبويه وقال خذ ميسوره اى ما تيسر له وليس له مرفوع اى ما يرفع قال صاحب
العين فتن فلان فتونا فهو فاتن اى مفتن وقوله وما انتم عليه بفاتنين اى مضلين عن الحسن ومجاهد و
اصل الباب الاختبار ومعناه فى الاية انهما انما نحن اختبار وبلوى وامتحان فلا تكفر وقال قتادة انما نحن فتنة
اى بلاء ويحتمل ان يكون معناه انهما كانا كافرين فيكون معنى قولهما انما نحن فتنة اى شى عجيب مستطرف كما
يقال للمرأة الحسناء انها فتنة من الفتن ويكون قوله فلا تكفر على هذا الوجه يعنى بما جئنا به بل صدق به
واعمل عليه وقوله حتى يقولا يحتمل امرين احدهما ان حتى بمعنى الا وتقديره وما يعلمان من احد الا ان يقولا
انما نحن فتنة فلا تكفر ويكون ذلك زيادة فى الابتلاء من الله فى التكليف والثانى انه نفى لتعليمهما الناس السحر
وتقديره ولا يعلمان احدا السحر فيقولا انما نحن فتنة فلا تكفر فعلى هذا يكون تعليم السحر من الشياطين والنهى
عنه من الملكين وقوله فيتعلمون قال قوم معنى تعلم واعلم واحد كما جاء علمت واعلمت وهنت واوهنت
قال كعب بن زهير تعلم رسول الله انك مدركى وان وعيدا منك كالاخذ باليد وقال القطامى
تعلم ان بعد الغى رشدا وان لهذه الغير انقشاعا ومنهم من قال تعلم بمنزلة تسبب لما به يعلم من النظر
فى الادلة وليس فى اعلم ذلك لانه قد بينهم على ما يعلمه بالتامل له كقوله اعلم ان الفعل يدل على الفاعل وما
لم يسبق المحدث فهو محدث والاول كقوله تعلم النحو والفقه فان قيل كيف يفرق بين المرء وزوجه قلنا فيه ثلثة
اقوال احدها انه اذا تعلم السحر كفر فحرمت عليه امراته والثانى ان يمشى بينهما بالنميمة حتى يفسد بينهما فيفضى
الى الطلاق والبينونة والثالث قال قتادة وغيره يوجد لكل واحد منهما على صاحبه بغضه اليه وقيل انه كان
من شرع سليمان ان من تعلم السحر بانت منه زوجته وقوله منهما الضمير قيل انه راجع الى الملكين وقيل بل الى
الكفر والسحر لانه تقدم الدليل عليهما فى قوله ولكن الشياطين كفروا كما جاء سيذكر من يخشى ويتجنبها الاشقى
اى يتجنب الذكرى ومن قال الملئكة معصومون يقول الكناية ترجع الى الكفر والسحر لا غير دون الملكين وكانه
قيل فيتعلمون مكان ما علماهم ما يفرقون به بين المرء وزوجه كقول القائل ليت لنا من كذا وكذا كذا
قال الشاعر جمعت من الخيرات رطبا وحلبة وصرف الاخلاف المزمة البزل ومن كل اخلاق الكرام نميمة
وسعيا على الجار المجاور بالمحل يريد جمعت مكان خيرات الدنيا هذه الخيرات الرويئة والافعال الدنية وقوله
بين المرء وزوجه فالمرء تانيثه المراة قال صاحب العين المرء تانيثه مراة ويقال امراة بلا الف والمراة مصدر
الشى المرى الذى يستمرا يقال ما كان مريا ولقد مرؤ واستمراته وهو المرى للطعام واصل الباب المرى
فقولهم مراة كقولهم جارية اى جرت فى اللهو والشباب فاما امراء الطعام فانه يجرى وينفذ فى مجاريه ولا
يقف وكذلك المراة يجرى فى السن الحد وقرى فى الشواذ بين المرء بضم الميم وهى لغة هذيل وقوله و
ما هم بضارين به من احد فالضرر والالم والاذى نظاير والضر نقيض النفع يقال ضره يضره ضرا واضر به اضرارا
واستضر استضرارا واضطر اليه اضطرارا وضاره مضارة وضرارا قال صاحب العين الضر والضر لغتان فاذا
جمعت الضر والنفع فتحت الضاد والضر نقصان يدخل فى الشى يقال دخل عليه ضرر فى ماله والضرورة اسم
لمصدر الاضطرار والضرير الذاهب البصر من الناس تقول رجل ضرير بين الضرارة والضراء من الضر وتواضراء

والضرر مصدر اضر مضارة وفى الحديث لا ضرر ولا ضرار واذا اضر به المرض قيل ضرير وامراة ضريرة والضرر
اسم للمضارة واكثر ما يستعمل فى الغيرة يقول ما اشد ضرره عليها قال الشاعر يصف حمار وحش
حتى اذا ما لان من ضريره والضرتان امراتان للرجل والجمع الضراير والضرتان الاليه من جانبى عظمها و
هما الشحمتان اللتان يهدلان من جانبيها وضرة الابهام لحمة تحتها وضرة الضرع لحمة تحتها والضر الهزال و
ضريرا الوادى جانباه وكل شى دنا منك حتى يزحمك فقد اضر بك واصل الباب الانتقاص وقوله من احد الا باذن
الله يحتمل امرين احدهما بتخلية الله والثانى الا بعلم الله من قوله فاذنوا بحرب من الله معناه اعلموا بلا خلاف
ويقال اذنت اذن اذنا قال الحطيئة ما هندان جددت وصلا والا فاذنينى عاجلا بانصرامى
وقال الحرث بن حلزه اذنتنا ببينها اسماء معناه اعلمتنا والاذن فى اللغة على ثلثة اقسام احدها بمعنى
العلم وذكرنا شاهده والثانى الاباحة والاطلاق كقوله فانكحوهن باذن اهلهن وقوله يا ايها الذين
امنوا ليستاذنكم الذين ملكت ايمانكم والثالث بمعنى الامر كقوله انزله على قلبك باذن الله وقد اجمعت الامة
على انه لم يامر بالكفر ولم يجز نفى القسم الثالث ولا يجوز ان يكون المراد الا باذنه الا بارادته ومشيته لان
الارادة لا تسمى اذنا الا ترى ان من اراد الشى من غيره ان يفعله لا يقال اذن له فيه فبطل ما قالوه وقد روى
عن سفيان الا بقضاء الله وقال بعض من لا معرفة له الاذن بمعنى العلم بفتح الهمزة والذال دون الاذن بكسر
الهمزة وسكون الذال وهذا خطأ لان الاذن مصدر يقال فيه اذن واذن مثل حذر وحذر وقال تعالى
خذوا حذركم ويجوز فيه لغتان مثل شبه وشبه ومثل ومثل وقال هذا القايل من شاء الله بمنعه فلم يضره
السحر ومن شاء خلى بينه وبينه يضره وقوله لا ينفعهم فالنفع نقيض الضر والنفع والمنفعة واللذة نظاير يقال
نفع ينفع نفعا فهو نافع وانتفع فلان بكذا وكذا ورجل نفاع ينفع الناس واصل النفع ضد الضر وحد
النفع هو كل فعل يكون الحيوان به ملتذا اما لانه لذة او يودى الى اللذة والمضرة كل معنى يكون الحيوان
به المّا اما لانه الم او يودى الى الالم والهاء فى قوله لمن اشتراه عايدة الى السحر والمعنى لقد علمت اليهود ان
من استبدل السحر بدين الله ما له فى الاخرة من خلاق وهو قول ابن زيد وقتادة وقال قوم من المفسرين
كابى على وغيره كانوا يعطون عليه الاجرة فذلك اشتراؤهم له والخلاق النصيب من الخير وهو قول مجاهد وسفيان
وقال قوم ما له من جهة وقال الحسن ما له من دين قال امية بن ابى الصلت يدعون بالويل فيها لا خلاق
لهم لا سرابيل من قطر واغلال يعنى لا نصيب لهم فى الاخرة من الخير ومعنى شروا به انفسهم باعوا انفسهم
فى قول السدى وغيره فان قيل كيف قال لو كانوا يعلمون وقد قال قبله ولقد علموا لمن اشتراه قلنا عنه ثلثة
اجوبة احدها انهم فريقان فريق علموا وعاندوا وفريق علموا وضيعوا والثانى انهم فريق واحد الا انهم
ذموا فى احد الكلامين بنفى العلم لانه بمنزلة المنتفى واخبر عن حالهم فى الاخرة وتقديره انهم علموا قدر السحر
ولم يعلموا ان هلاكهم بتصديقه واستعماله ولم يعلموا كنه ما اعد الله من العذاب على ذلك وان علموه على وجه
الجملة وقال قوم هو مقدم ومؤخر وتقديره وما هم بضارين به من احد الا باذن الله ويتعلمون ما يضرهم ولا
ينفعهم ولبئس ما شروا به انفسهم لو كانوا يعلمون ولقد علموا لمن اشتراه ما له فى الاخرة من خلاق وقال بعضهم
هما جميعا خبر عن فريق واحد واراد بقوله ولبئس ما شروا به انفسهم لو كانوا يعلمون اى لو كانوا يعلمون
بما علموه فعبر عن المعلوم بالعلم كما قال كعب بن زهير المزنى يصف ذئبا وغرابا تبعاه لينالا من طعامه وزاده
اذا حضرانى قلت لو تعلمانه الم تعلما انى من الزاد مرمل فاخبر انه قال لهما لو تعلمانه فنفى عنهما العلم ثم
استخبرهما فقال الم تعلما وكذلك الاية وقال قوم ان الذين علموا الشياطين والذين لم يعلموا الناس دون
الشياطين فان قيل ما معنى لمن اشتراه واين جوابها ان كانت شرطا قلنا عنه جوابان احدهما انها بمعنى الجزاء
والاخر بمعنى الذى فى قول الزجاج وجوابها مكتفى منه الجواب القسم كما قال لئن اخرجوا لا يخرجون معهم و
لذلك رفع قالوا ولا يجوز الجزم الا فى ضرورة الشعر كما قال الشاعر لئن كان ما حدثته اليوم صادقا
اصم فى نهار القيظ للشمس باديا والوجه لا صومن ولا يجوز لا صوم الا فى ضرورة الشعر كما قال

لئن بك قد ضاقت عليكم بيوتكم ليعلم ربي ان بيتي واسع قالوا وان جزمت الاول جاز جزم الثاني كقولك
الا تقم لا انقم اليك وقوله فيتعلمون يجوز ان يكون عطفا على فيأتون فيتعلمون وقد دل اول الكلام على يأتون
وقيل فيعلمون الناس السحر فيتعلمون وكلاهما ذكره الكسائي والفراء وانكر الزجاج القول الاخير لاجل قوله منهما
اي من الملكين واجاز القول الاول واختار قولا ثالثا وهو يعلمان فيتعلمون والذي انكره يجوز اذا كان منهما
راجعا الى السحر والكفر ولا يجوز ان يكون فيتعلمون جوابا لقوله فلا تكفر فينصب لان تقديره لا يكن كفر فيتعلم كما
يقول لا تدن من الاسد فيأكلك اي لا يكن دنو فأكل فهذا نهي عن دنو يقع بعده اكل وانما النهي في الاول عن
الكفر بتعلم السحر للعمل به وليس يصلح الجواب على هذا المعنى ولا يجوز ان يكون جوابا للنفي في قوله وما يعلمان لان
لفظه على النفي ومعناه الايجاب كانه قيل يعلمان اذا قالا انما نحن فتنة فلا تكفر فان قيل ما اللام الاولى في قوله ولقد
علموا وما الثانية في قوله لمن اشتريه ومثله قوله ولئن جئتهم باية ليقولن قيل الثانية لام القسم بالاجماع قال
الزجاج لانك انما تحلف على فعلك لا على فعل غيرك في قولك والله لئن جئتني لاكرمنك فاما الاولى فزعم بعض النحويين
انها لما دخلت في اول الكلام اشبهت لام القسم فاجيبت بجوابه قال الزجاج هذا خطاء لان جواب القسم لا يشبه
القسم ولكن اللام الاولى دخلت علاما ان الجملة بكمالها معقودة بالقسم لان الجزاء وان كان القسم عليه فقد
صار للشرط فيه حظ ولذلك دخلت اللام قال الرماني هذا الذي ذكره لا يبطل شبهها بالقسم لانها للتوكيد
كما انه للتوكيد فكانه قال والله ان اتيتني لاكرمتك والظاهر في روايات اصحابنا ان الساحر يجب قتله
وفيه خلاف ذكرناه في الخلاف وقال ابو علي قال انه يقلب الاجسام وينشاها يجب قتله ان لم يتب لانه
مرتد كافر بالانبياء لانه لا يجد بين ما ادعى وبين اياتهم فصلا واما من قال انه يموه ويحرق فانه يؤدب
فلا يقتل واما الروايات التي فيها ان الملكين اخطيا وركبا الفواحش فانها اخبار احاد من اعتقد عصمة
الملئكة يقطع على كذبها ومن لم يقطع على ذلك جوزان يكون صحيحا ولا يقطع على بطلانها والذي نقوله ان
كان الملكان رسولين فلا يجوز عليهما ذلك وان لم يكونا رسولين جاز ذلك وان لم نقطع به وقد بينا الكلام
عليه فيما مضى وروي من ان النبي صلى الله عليه وسلم سحر وكان يرى انه يفعل ما لم يفعله وانه لم يفعل ما فعله فاخبار احاد
لا يلتفت اليها وحاشى النبي صلى الله عليه وسلم من كل صفة نقص اذ تنفر عن قبول قوله لانه حجة الله على خلقه وصفيه من عباده
واختاره الله على علم منه فكيف يجوز ذلك مع ما جنبه الله من الفظاظة والغلظة وغير ذلك من الاخلاق الدنية
والخلق المشينة ولا يجوز ذلك على الانبياء الا من لم يعرف مقدارهم ولا يعرفهم حقيقة معرفتهم وقد قال الله
تعالى والله يعصمك من الناس وقد اكذب الله من قال ان تتبعون الا رجلا مسحورا فقال وقال الظالمون ان
تتبعون الا رجلا مسحورا فنعوذ بالله من الخذلان ونحمده على التوفيق لما يرضاه ولكن مشددة ومخففة معناهما
واحد قال الكسائي والذي اختاره العرب اذا كانت ولكن بالواو مشددة واذا كانت بلا واو اختاروا التخفيف
وكل صواب وقرأ بغير ما اختاره اتباعا للاخبار في القراءة **قوله تعالى** وَلَوْ اَنَّهُمْ اٰمَنُوْا وَاتَّقَوْا لَمَثُوْبَةٌ
مِنْ عِنْدِ اللّٰهِ خَيْرٌ لَوْ كَانُوْا يَعْلَمُوْنَ اية بلا خلاف الضمير في قوله ولو انهم امنوا عايد على الذين يتعلمون
السحر قال الحسن تعلموا ان ثواب الله خير لهم من السحر واما جواب لو فللنحويين فيه قولان فالبصريون يذهبون
الى ان جوابه محذوف وتقديره ولاثيبوا ووقع لمثوبة من عند الله موقعه لدلالته عليه وقال بعضهم التقدير
ولو انهم امنوا واتقوا لاثيبوا ثم قال ولمثوبة من عند الله خير لو كانوا يعلمون اي لو كانوا يستعملون ما
يعلمون وليس انهم كانوا يجهلون ذلك كما يقول الانسان لصاحبه وهو يعظه ما ادعوك اليه خير لك لو كنت
يعقل او تنظر في العواقب الفكر فيها وقال الفراء الجواب في لمثوبة لان لو اشبهت يكن من حيث كان كل واحد
منهما جزاء فلما اشبهتها اجيبت بجوابها فالمعنى لئن امنوا لمثوبة فعلى القول الاول لا يجوز لو اتاني زيد
لعمرو خير منه وعلى الثاني يجوز ولو قلت لو اتاني زيد لاكرامي خير له جاز على الوجهين واللام التي في لمثوبة
لام الابتداء لانها دخلت على الاسم كما دخلت في علمت لزيد خير منك ولو كانت ههنا لام القسم لنصبت الاسم في
علمت فان قيل ما معنى قول الله تعالى لمثوبة من عند الله خير لو كانوا يعلمون وهو خير علموا او لم يعلموا قيل

لو كانوا يعلمون لظهر لهم بالعلم ذلك اي ليعلموا ان ثواب الله خير من السحر وقال ابو علي المعنى في ذلك الدلالة
على جهلهم والترغيب لهم في ان يعلموا ذلك وان يطلبوا ما هو خير لهم من السحر وهو ثواب الله الذي ينال
بطاعته وابتاع مرضاته وعيد دلالة على بطلان قول اصحاب المعارف لانهم لو كانوا عارفين على ما يقولونه لما
قال لو كانوا يعلمون والمثوبة الثواب في قول قتادة والسدي والربيع والثواب هو الجزاء على العمل بالاحسان
وهو منافع مستحقة يقارنها تعظيم وتبجيل والمثوبة والثواب والاجر نظاير ونقيض المثوبة العقوبة يقال ثاب يثوب
ثوبا وثابا به اثابة وثوابا ومثوبة واستثابة وثوب تثويبا والثواب في الاصل معناه ما رجع اليك من شي يقول
اعترت الرجل غشية ثم ثابت اليه نفسه ولذلك سمي الثواب الجزاء لانه العايد على صاحبه مكافاة ما فعل ومنه
التثويب في الاذان وغيره وهو ترجيع الصوت ولا يقال ذلك للصوت مرة واحدة ويقال ثوب الداعي اذا كرر
دعاه الى الحرب او غيرها ويقال انهزم القوم ثم ثابوا اي رجعوا والثوب مشتق من هذا لانه ثاب لباسا بعد ان كان
قطنا او غزلا والثيب التي قد تزوجت وثابت بوجه ما كان ولا يوصف به الرجل الا ان يقول ولد الثيبين وولد
البكرين والمثابة الموضع الذي يثوب اليه الناس قال الله تعالى واذ جعلنا البيت مثابة للناس اي مجتمعا بعد التفرق
وانه لم يكن تفرقوا من هناك فقد كانوا متفرقين ثم ثابوا اليه ويقال ثاب الحوض ثؤوبا اذا امتلأ او كاد يمتلي
واصل الباب الثؤوب الرجوع وقرأ قتادة لمثوبة بسكون الثاء وفتح الواو وهي لغة جاءت على الاصل كما قالوا مشورة
ومشورة بفتح الواو وسكون الشين وضم الشين وسكون الواو والقراء على خلافه والعرب يجمعون على الغاء
الالف من قولهم هذا خير منك وشر منك الا بعض بني عامر فانهم يقولون ما اريد خيرا اخير من ذا وقال بعضهم
ايضا هذا اشر من ذا والوجه طرح الالف **قوله تعالى** يَا اَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا لَا تَقُوْلُوْا رَاعِنَا وَقُوْلُوا انْظُرْنَا
وَاسْمَعُوْا وَلِلْكَافِرِيْنَ عَذَابٌ اَلِيْمٌ اية بلا خلاف المراعاة التفقد للشي في نفسه او احواله والمراعاة والتحفظ
والمحافظة والمراقبة نظاير ونقيض المراعاة الاغفال يقال رعى يرعى رعيا والرعي ما تاكله الماشية من نبات
الارض ورعى الله فلانا اذا حفظه ورعيت له عهده وحقه بعده او فيمن خلف وارعيته سمعي اذا اصغيت اليه
وراعيته بنفسي اذا لاحظته وجمع الراعي رعاء ورعاة ورعيان والرعاية فعل الراعي برعاها ورعاية اذا ساقها
وسرحها واراحها فقد رعاها وكل من ولي قوما فهو راعيهم وهم رعيته والمرعي من الناس المسوس والراعي
السايس ويقال فلان يراعي كذا معناه ينظر الى ما يصير اليه امره ورعيت النجوم اي رقبتها واسترعاه الله خلقه
اي ولاه امرهم ليرعاهم والارعاء الابقاء على اخيك وتقول ارعني سمعك اي اسمع يا فلان وكان المسلمون
يقولون يا رسول الله راعنا اي استمع منا فحرفت اليهود فقالوا يا محمد راعنا وهم يلحدون الى الرعونة
يريدون به النقيصة والوقيعة فلما عوتبوا قالوا نقول كما يقول المسلمون فنهى الله عن ذلك فقال يا ايها
الذين امنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا ورجل ترعية الذي لم يزل صنعته وصنعة ابائه الرعاية قال الشاعر
ليسوسها ترعية جاف فضل ان رعت ضلا والا لم يضل واصل الباب الرعي الحفاظ واما الاية فللمفسرين
فيها ثلثة اقوال قال ابن عباس ومجاهد لا يقولوا راعنا اي لا يقولوا اسمع منا ونسمع منك وقال عطاء لا
تقولوا راعنا اي لا يقولوا خلافا وروي ذلك ايضا عن مجاهد وهذا الاوجه له الا ان يراد راعنا بالتنوين وقيل
معناه ارقبنا قال الاعشى يرعى الى قول سادات الرجال اذا ابدوا له الحزم او ما شاء ابتدعا
يعني يصغي وقال الاعشى ايضا وظللت ارعاها وظل يحوطها يحوطها حتى دنوت اذا الظلام دنا لها
والسبب الذي لاجله وقع النهي عن هذه الكلمة قيل فيه خمسة اقوال احدها ما قاله قتادة وعطية انها كلمة كانت
تقولها اليهود على وجه الاستهزاء وقال عطاء هي كلمة كانت الانصار في الجاهلية فنهوا عنها في الاسلام وقال ٢تقولها
ابو العالية ان مشركي العرب كانوا اذا حدث بعضهم بعضا يقول احدهم لصاحبه ارعنا سمعك فنهوا عن ذلك
وقال السدي كان ذلك كلام يهودي بعينه يقال له رفاعة بن زيد يريد بذلك الرعونة فنهى المسلمون عن ذلك
وقال ابو علي قد بين الله عز وجل انها كلمة كانت اليهود تلوي بها السنتهم في قوله من الذين هادوا يحرفون
الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا ليا بالسنتهم وطعنا في الدين وهو قوله

ابن عباس وقتادة وقيل لا تقولوا راعنا من المراعاة والمكافاة فامروا ان يخاطبوا النبي (ص) بالتوقير والتعظيم
اي لا يقولوا راعنا اسمع منا حتى نفهمك وتفهم عنا وقال ابو جعفر (ع) بالتوقير والتعظيم اي لا تقولوا هذه الكلمة
سبة بالعبرانية اليه كانوا يذهبون قال الحسين بن علي المغربي فبحثتهم عن ذلك فوجدتهم يقولون راع ون قال على
معنى الفساد والبلاء ويقولون نا بتفخيم النون واشمامها بمعنى لان مجموع اللفظين واللفظين فاسد لان كلما عثروا
على ذلك قالوا اذا نقول كما يقول المسلمون فنهى المسلمون عن ذلك لما كان معنى راعنا يراد به النظر قال قولوا
عوضها انظرنا اي انظر الينا واسمعوا ما يقوله لكم الرسول وروي عن الحسن انه كان يقرأ راعناً بالتنوين يعني لا
تقولوا قولا راعنا يعني من الرعونة وهي الحمق والجهل وهذا شاذ لا يؤخذ به وفي قراءة ابن مسعود راعونا خطاب
من جماعة لجماعة بمراعاتهم وهذا ايضا شاذ ومعنى انظرنا يحتمل امرين احدهما انتظرنا نفهم وتبين ما تعلمنا والثاني
قال مجاهد معناه فهمنا بين لنا يا محمد يقال منه نظرت الرجل انظره نظرة بمعنى انتظرته وارتقبته ومنه قوله
انظرونا نقتبس اي انتظرونا ويقال معناه اقبل علينا **و** قوله واسمعوا يحتمل امرين احدهما قال الحسن والسدي
ان معناه اسمعوا ما يأتيكم به الرسول والثاني ما قال ابو علي معناه اقبلوا ما يأمركم به الرسول من قوله سمع
الله لمن حمده وسمع الله دعاءه وقبله وقال علقمة والحسن والضحاك كل شيء من القرآن يا ايها الذين آمنوا
فانه نزل بالمدينة **قوله تعالى** مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ
خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ آية واحدة بلا خلاف معنى ما يود
ليس يحب يقال منه وده يوده وداً وودّاً والمودة المحبة ولا المشركين في موضع جر بالعطف على اهل الكتاب و
تقديره ولا من المشركين **و** قوله ان ينزل في موضع نصب بقوله يود وانما ذموا على ذلك وان كان ذلك ميل
الطباع لان في ذلك دلالة على انهم فعلوا كراهية لذلك وتعرضوا به للعداوة المؤمنين وكان الذم عليهم
لذلك ولو رفع المشركين عطفا على الذين كفروا كان جائزا ولكن لم يقرأ به احد ومثله في احتمال الامرين قوله
يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم والكفار اولياء
بخفض الراء وفتحها وقرئ بهما ومن في قوله من خير زائدة مؤكدة كقولك ما جاءني من احد وموضعها رفع قال
ابو ذؤيب: جزيتك ضعف الود لما استبنته — وما ان جزاك الضعف من احد قبلي. واما من في قوله من ربكم
فلابتداء الغاية والتي في قوله من اهل الكتاب فللتبيين مثل التي في قوله فاجتنبوا الرجس من الاوثان قوله يختص
برحمته من يشاء روي عن علي (ع) وابي جعفر الباقر (ع) انه اراد النبوة وبه قال الحسن وابو علي والرماني والبلخي وغيرهم
من المفسرين وقال يختص بها من يشاء من عباده وروي عن ابن عباس انه اراد دين الاسلام وهذا بعيد لانه تعالى
وصف ذلك بالانزال وذلك لا يليق الا بالنبوة والاختصاص بالشيء هو الانفراد به والاخلاص له مثله وضد
الاختصاص الاشتراك ويقال خص خصوصا وتخصص تخصصا وخصصه تخصيصا وكلمة خاصة من ذلك وكلمة عامة
ووسائط من ذلك ويقال خصه بالشيء يخصه خصا اذا وصله به وخصان الرجل من يخصه من اخوانه والخصايص
الفرج والخصاصة الحاجة والخص شبه كوة تكون في قبة او نحوها اذا كان واسعا قدر الوجه وقال الراجز
وان خصاص ليلهن استدا — ركبن في ظلمائه ما اشتدا. شبه القمر بالخصاص وكل خلل وخروق تكون في السحاب
او النخل تسمى الخصاصة والخصايص فرج بين الاثافي واصل الباب الانفراد بالشيء فمنه الخصايص الفرج لانه تفرد
كل واحد عن الآخر من غير جمع بينهما ويقال اختصصته بالفائدة واختصصت بها انا كقولك فردته بها وانفردت بها
وتقدير الآية ما يحب الكافرون من اهل الكتاب ولا المشركين بالله من عبدة الاوثان ان ينزل عليكم شيئا من الخير
الذي عنده والخير الذي تمنوه الا ينزل الله عليهم ما اوحى الى نبيه وانزله عليه من الشرائع والقرآن بغيا منهم
وحسدا والله ذو الفضل العظيم خبر منه تعالى ان كل خير ناله عباده في دينهم ودنياهم فانه من عنده ابتداء و
تفضلا منه عليهم من غير استحقاق منهم ذلك عليه **قوله تعالى** مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ
مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ آية بلا خلاف قرأ ابن عامر الا الداجوني عن هشام ما ننسخ بضم النون
وكسر السين الباقون بفتحها وقرأ ابن كثير وابو عمرو ننسأها بفتح النون والسين واثبات الهمزة الساكنة بعد السين

النسخ

الباقون بضم النون وخفض السين بلا همزة والبدل والخلف نظاير يقال نسخ نسخا وانتسخ انتساخا واستنسخ
استنساخا وتناسخ تناسخا وناسخ مناسخة قال ابن دريد كل شيء خلف شيئا فقد انتسخه ونسخت الشمس الظل وانتسخ
الشيب الشباب وقال صاحب العين النسخ ان تزيل امرا كان من قبل يعمل به ثم تنسخه بحادث غيره كالآية ينزل فيها
امر ثم يخفف الله عن العباد بنسخها باية اخرى فالآية الاولى منسوخة والثانية ناسخة وتناسخ الورثة ان يموت ورثة
بعد ورثة واصل الميراث قائم لم يقسم وكذلك تناسخ الازمنة من القرون بعد القرون الماضية واصل الباب الابدال
من الشيء غيره وقال الرماني النسخ الرفع لشيء قد كان يلزم العمل به الى بدل وذلك كنسخ الشمس الظل لانه يصير
بدلا منها في مكانها وهذا ليس بصحيح لانه ينتقض بمن تلزمه الصلوة قائما فعجز عن القيام فانه يسقط عنه القيام
لعجزه ولا يسمى العجز ناسخا ولا القيام منسوخا وينتقض بمن يستبيح الشيء بحكم العقل عند من قال بالاباحة فاذا ورد
الشرع بحظره لا يقال الشرع نسخ حكم العقل ولا حكم العقل يوصف بانه منسوخ فالذي اولى في ذلك ما ذكرناه في اول
الكتاب وهو انه حقيقة كل دليل شرعي دل على ان مثل الحكم الثابت بالنص الاول غير ثابت فيما بعد على وجه لولاه
لكان ثابتا بالنص الاول مع تراخيه عنه فاذا ثبت ذلك فالنسخ في الشرع على ثلثة اقسام نسخ الحكم دون اللفظ و
نسخ اللفظ دون الحكم ونسخهما معا فالاول كقوله يا ايها النبي حرض المؤمنين على القتال ان يكن منكم عشرون
صابرون يغلبوا مائتين الى قوله الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا
مائتين فكان الفرض الاول وجوب ثبات الواحد للعشرة فنسخ بثبوت الواحد للاثنين وغير ذلك من الآي المنسوخ
حكمها وتلاوتها ثابتة كآية العدة وآية حبس من يأتي بالفاحشة وغير ذلك والثاني كآية الرجم قيل انها كانت
منزلة فرفع لفظها وبقي حكمها والثالث هو مجوز وان لم يقطع بانه كان وقد روي عن ابي بكر انه كان يقرأ لا
ترغبوا عن آبائكم فانه كفر واختلفوا في كيفية النسخ على اربعة اوجه قال قوم يجوز نسخ الحكم والتلاوة من غير
افراد واحد منهما عن الآخر وقال آخرون يجوز نسخ الحكم دون التلاوة فقال آخرون يجوز نسخ القرآن من اللوح
المحفوظ كما ينسخ الكتاب من كتاب قبله وقالت فرقة رابعة يجوز نسخ التلاوة وحدها والحكم وحده ونسخهما معا
وهو الصحيح وقد دللنا على ذلك وافسدنا سائر الاقسام في العدة في اصول الفقه وذلك ان سبيل النسخ سبيل سائر
ما تعبد الله تعالى به وشرعه على حسب ما يعلم من المصلحة فيه فاذا زال الوقت الذي يكون المصلحة مقرونة به زال
وذلك مشروط بما في المعلوم من المصلحة به وهذا القدر كاف في ابطال قول من ابى النسخ جملة واستيفاؤه في الموضع
الذي ذكرناه وقد انكر قوم جواز نسخ القرآن وفيما ذكرناه دليل على بطلان قولهم وقد جاءت اخبار متظاهرة بانه
كانت اشياء من القرآن نسخت تلاوتها فمنها ما روي عن ابي موسى انهم كانوا يقرؤن لو ان لابن آدم واديين من
مال لابتغى اليهما ثالثا لا يملأ جوف ابن آدم الا التراب ويتوب الله على من تاب ثم رفع وروي عن قتادة قال حدثنا
انس بن مالك ان السبعين من الانصار الذين قتلوا ببئر معونة قرأنا فيهم كتابا بلغوا عنا قومنا انا لقينا ربنا
فرضي عنا وارضانا ثم ان ذلك رفع ومنها الشيخ والشيخة وهي مشهورة ومنها ما روي عن ابي بكر انه قال كنا نقرأ
لا ترغبوا عن آبائكم فانه كفر ومنها ما حكي ان سورة الاحزاب كانت تعادل سورة البقرة في الطول وغير ذلك من
الاخبار المشهورة بين اهل النقل والخبر على ضربين احدهما يتضمن معنى الامر والنهي فما هذا حكمه يجوز دخول
النسخ فيه والآخر يتضمن الاخبار عن صفة الامر لا يجوز تغييره في نفسه ولا يجوز ان يتغير من حسن الى قبيح او قبيح
الى حسن فان ذلك لا يجوز دخول النسخ فيه وقد بينا شرح ذلك في العدة والافعال على ثلثة اقسام احدها لا يكون
الا حسنا وثانيها لا يكون الا قبيحا وثالثها يحتمل الحسن والقبح بحسب ما يقع عليه من الوجوه فالاول كارادة
الافعال الواجبة والمندوبة التي لا يجوز تغيرها كشكر المنعم ورد الوديعة والاحسان الخالص وغير ذلك والثاني
كارادة القبيح وفعل الجهل والثالث كسائر الافعال التي يقع على وجه فتكون حسنة وعلى آخر فتصير قبيحة فالاول
والثاني لا يجوز فيه النسخ والثالث يجوز فيه النسخ ومن قرأ ننسخ بفتح النون فمن نسخ الكتاب فانا ناسخ والكتاب
منسوخ ومن قرأ بضم النون وكسر السين فانه يحتمل امرين احدهما قال ابو عبيدة ما ننسخك يا محمد يقال نسخت
الكتاب وانسخته غيري والآخر انسخته جعلته ذا نسخ كما قال قوم للحجاج وقد قتل رجلا اقبرنا فلانا اي جعله

بكم صح

ذا قبر يقال قبرت زيدا اذا دفنته واقبره الله جعله ذا قبر كما قال ثم اماته فاقبره وقوله او ننساها فالنسئ التاخير
ونقيضه التقديم يقال انسأنا الابل عن الحوض انساها نساء اذا اخرتها عنه وانتسأت عن الشئ اذا تباعدت
عنه انتساء ونسأت الابل فى ظمئها فانا انسأوها انساءً اذا زدتها فى ظمئها يوما او يومين او اكثر من ذلك و
ظمؤها منعها الماء ونسأت الماشية تنساء نساء اذا سمنت وكل سمين ناسئ تاويلها ان جلودها نسأت اى تاخرت
عن عظامها قاله الزجاج وقال غيره انما قيل ذلك لانها تاخرت فى المرعى حتى سمنت ونسأت المرأة تنسئ نسئاً اذا تاخر
حيضها عن وقته ورجى حملها ويقال انسأت فلانا المنع ونسأ الله فى اجل فلان وانسأ الله اجله اذا اخر اجله
والنسئ تاخر الشئ ودفعه عن وقته ومنه قوله تعالى انما النسئ زيادة فى الكفر وهو ما كانت العرب يؤخر من الشهر
الحرام فى الجاهلية ونسأت اللبن انساءً نساءً اذا اخذت حليبا وصببت عليه الماء واسم ذلك النسئ والنسئ وهذا
سمى بذلك لانه اذا خالطه الماء اخر بعض اجزاء اللبن عن بعض قال الشاعر سقونى النسئ ثم تكنفونى
عداة الله من كذب وزور ويقال للعصاة المنساة لانها ينسأ بها اى يؤخر بها ما يساق عن مكانه ويدفع بها
الانسان عن نفسه ونسأت ناقتى اذا رفعتها فى السير واصل الباب التاخير وقال الحسن فى قوله ما ننسخ من اية او ننسها
ان نبيكم صلعم اقرأ قرانا ثم نسيه فلم يكن شيئا ومن القران ما قد نسخ وانتم تقرؤونه وقال ابن عباس ما ننسخ من اية
اى ما نبدل من اية ومن قرأ ننسأها بالهمزة فان معناه لو نؤخرها من قولك نسأت هذا الامر انسأه نساء اذا اخرته
وبعته بنساء اى بتاخير وهو قول عطا وابن ابى نجيح ومجاهد وعطية وعبيد بن عمير وعلى هذا يحتمل نؤخرها
امرين احدهما فلا ننزلها وننزل بدلا منها ما يقوم مقامها فى المصلحة وما يكون اصلح للعباد منها وهذا ضعيف
لانه لا فائدة فى تاخير ما لا يعرفه العباد ولا علموه ولا سمعوه والثانى نؤخرها الى وقت ثان فنأتى بدلا منها فى
الوقت المتقدم بما يقوم مقامها فاما من حمل ذلك على معنى يرجع الى النسخ فليس يحسن لانه يصير تقديرها ما ننسخ
من اية او ننسخها وهذا لا يجوز ومعنى قوله نأت بخير منها او مثلها قيل فيه قولان احدهما قال ابن عباس نأت بخير
منها لكم فى التسهيل والتيسير كالامر بالقتال الذى سهل على المسلمين بدلالة قوله الان خفف الله عنكم او مثلها
كالعبادة بالتوجه الى الكعبة بعد ما كان الى بيت المقدس والوجه الثانى بخير منها فى الوقت الثانى اى هى لكم خير
من الاولى فى باب المصلحة او مثلها فى ذلك وهو قول الحسن وهذا الوجه اقوى وتقديره كان الاية الاولى فى الوقت
الثانى فى الدعاء الى الطاعة والزجر عن المعصية مثل الاية الاولى فى وقتها فيكون اللطف بالثانية كاللطف بالاولى
الا انه فى الوقت الثانى نسهل بها دون الاول وقال ابو عبيدة معنى ننسئها اى نمضيها فلا ننسخها قال طرفة
امون كالواح الاران نسأتها على لاحب كانه ظهر برجد يعنى امضيتها ومن قرأ ننسها بضم النون وكسر السين يحتمل
امرين احدهما ان يكون مأخوذا من النسيان الا انه لا يجوز ان يكون ذلك من النبى عم لانه لا يجوز ذلك من حيث يغير
عنه ويجوز ذلك على الامة بان يؤمروا بترك قراءتها وينسونها على طول الايام ويجوز ان ينسيهم الله ذلك وان
كانوا جميعا كثيرا ويكون ذلك معجزا بمعنى الترك من قوله نسوا الله فنسيهم والاول عن قتادة والثانى عن ابن عباس
وقال معناه نتركها لا نبدلها وقال الزجاج ننسها بمعنى نتركها خطاء وانما يقال نسيت بمعنى تركت ولا يقال انسيت بمعنى
تركت انما معنى ننساها نتركها اى نأمركم بتركها قال الرمانى انما فسره المفسرون على ما يؤول اليه المعنى لانه اذا امر
بتركها فقد تركها فان قيل اذا كان نسخ الاية رفعها وتركها فما معنى ذلك الا ان يترك ولم جمع بينهما قيل ليس معنى
تركها الا ان يترك وقد غلط الزجاج فى توهمه ذلك وانما معناه اقرارها فلا ترفع كما قال ابن عباس نتركها ولا نبدلها
وانما قال الم تعلم ان الله على كل شئ قدير تنبيها على انه يقدر على ايات وسور مثل القران ننسخ بها امره لنا فيها
امرنا فيقوم فى النفع مقام المنسوخ او اكثر وقال بعضهم معنى او فى الاية الواو كان قال ما ننسخ من اية وننساها
نأت بخير منها فعلى هذا زالت الشبهة فان قيل اى تعلق بين هذه الاية وبين التى قبلها قلنا لما قال فى الاية الاولى
ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين ان ينزل عليكم من خير من ربكم دل فى هذه الاية على انه جل وعز
لا يخليهم من انزال خير اليهم خلافا لما يوده اعداؤه لهم فان قيل هل يجوز نسخ القران بالسنة ام لا قلنا فيه خلاف
بين الفقهاء ذكرناه فى اصول الفقه وبين اصحابنا ايضا فيه خلاف الا ان يقوى فى النفس جواز ذلك وقد ذكرنا

ادلة الفريقين والشبه فيها فى اصول الفقه لا يحتمل ذكرها هذا المكان وانما اخرنا ذلك لان تلاوة القران والعمل
بما فيه تابع للمصلحة ولا يمتنع ان تتغير المصلحة تارة فى التلاوة فتنسخ وتارة فى الحكم فينسخ وتارة فيهما فينسخان و
كذلك لا يمتنع ان يكون المصلحة فى ان ننسخ تارة بقران وتارة بالسنة المقطوع بها فذلك موقوف على الادلة
وقوله نأت بخير منها لا يدل على ان السنة خير من القران لان المراد بذلك نأت بخير منها فى باب المصلحة على ان قوله
نأت بخير منها فمن اين ان ذلك الخير يكون ناسخا فلا متعلق فى الاية يمنع من ذلك والاولى جوازه على ان هذا وان
كان جائزا فعندنا انه لم يقع لانه لا شئ من ظواهر القران يمكن ان يدعى انه منسوخ بالسنة اجماعا ولا بدليل يوجب
العلم واعيان المسائل فيها خلاف نذكرها عندنا فيه اذا مررنا بتاويل ذلك واما ما روى عن سعيد بن المسيب من
انه كان يقرأ او تنسها بالتاء المعجمة من فوق وفتح السين فشاذ لا نلتفت اليه لانا قد بينا ان النبى لا يجوز عليه ان
ينسى شيئا من وحى الله وكذلك ما روى عن ابى رجاء العطاردى ننسها بضم النون الاول وفتح الاخرى وتشديد
السين ذكرها شاذة وفى الاية دليل على ان القران غير الله وان الله هو المحدث له والقادر عليه لان ما كان بعضه خيرا
من بعض او شرا من بعض فهو غير الله لا محالة وفيها دليل على ان الله قادر عليه وما كان داخلا تحت القدرة فهو
فعل والفعل لا يكون الا محدثا ولانه لو كان قديما لما صح وجود النسخ فيه لانه اذا كان الجميع حاصلا فيما لم يزل فليس
بعضه بان يكون ناسخا والاخر منسوخا باولى من العكس فان قيل لم قال الم تعلم ان الله وما كان النبى صلعم عالما بان
الله على كل شئ قدير قلنا عنه جوابان احدهما ان معنى قوله الم تعلم اما علمت والثانى انه خرج ذلك مخرج التقرير
كما قال انت قلت للناس وفيه جواب ثالث انه خطاب للنبى صلعم والمراد به امته بدلالة قوله بعد ذلك وما لكم من دون
الله من ولى ولا نصير **قوله تعالى** الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض وما لكم من دون الله من ولى
ولا نصير اية الولى فى الاية هو القيم بالامر من وليه الشئ ومنه ولى عهد المسلمين ومعنى قوله من دون الله سوى
الله قال امية بن ابى الصلت يا نفس ما لك دون الله من واق وما على حدثان الدهر من باق وفى قوله ما لكم
من دون الله من ولى ولا نصير ثلثة اوجه احدها التحذير من سخط الله وعقابه اذ لا احد يمنع منه والثانى التسكين
لنفوسهم ان الله ناصرهم دون غيره اذ لا يعتد بنصر احد مع نصره الثالث والتفريق بين حالهم وحال العباد الاوثان
مدحا وذما لاولئك وبهذا قال ابو على الجبائى وانما قال للنبى صلعم الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض وان
كان النبى صلعم عالما بان له الملك كله لامرين احدهما التقرير والتنبيه الذى يؤول الى معنى الايجاب كما قال جرير
الستم خير من ركب المطايا واندى العالمين بطون راح وانكر الطبرى ان يدخل حرف الاستفهام على حرف
الجحد بمعنى الاثبات والبيت الذى انشدناه يفسد ما قاله وايضا قوله اليس ذلك بقادر على ان يحيى الموتى وقوله
اليس الله بكاف عبده وغير ذلك يفسد ما قاله والوجه الثانى انه خطاب للنبى صلعم والمراد به امته كما قال
يا ايها النبى اذا طلقتم النساء وقال جميل بن معمر الا ان جيران العشية رائح دعتهم دواع من هوى ومنادح
وانما حسن ذلك لان غرضه الخبر عن واحد فلذلك قال رائح وقال ايضا خليلى فيما عشتما او رأيتما قتيلا
بكى من حب قاتله قبلى يريد فانلته فكنى بالمذكر عن المؤنث قال الكميت الى السراج المنير احمد لا
تعدلنى رغبة ولا رهب عنه الى غيره ولو رفع الناس الى العيون وارتقبوا وقيل افرطت بل قصدت ولو
عنفنى العالمون او ثلبوا لج بتفضيلك اللسان ولو اكثر فيك الضجاج واللجب انت المصفى المحض المهذب
فى النسبة ان نص قوم لك النسب قالوا انما خرج كلامه على وجه الخطاب للنبى صلعم واراد به اهل بيته بدلالة قوله
ولو اكثر فيك الضجاج واللجب لانه لا احد لا يوصف من المسلمين بتعنيف مادح النبى صلعم ولا باكثار الضجاج واللجب
فى الحناب القول فيه وانما قال له ملك السموات ولم يقل ملك لانه اراد ملك السلطان والمملكة دون الملك يقال
من ذلك ملك فلان على هذا الشئ يملكه ملكا وملكا وملكا والنصير فعيل من قولك نصرتك انصرك فانا ناصرك
ونصيرك وهو المؤيد والمقوى **قوله تعالى** ام تريدون ان تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل ومن
يتبدل الكفر بالايمان فقد ضل سواء السبيل اية بلا خلاف اختلف المفسرون فى سبب نزول هذه الاية فروى
عن ابن عباس انه قال قال رافع بن حريملة ووهب بن زيد لرسول الله صلعم ائتنا بكتاب ننزله علينا من السماء نقرأه

خل القائلون

وفجر لنا انهارا فنتبعك ونصدقك فانزل الله فى ذلك من قولهما ام تريدون ان تسألوا رسولكم كما سئل موسى
من قبل وقال الحسن عنى بذلك المشركين من العرب لما سألوا فقالوا او تأتى بالله والملئكة قبيلا وقالوا او نرى
ربنا وقال السدى سألت العرب محمدا ص ان يأتيهم بالله فيروه جهرة وقال مجاهد سألت قريش محمدا ان يجعل
لهم الصفا ذهبا فقال نعم هو لكم كالمائدة لبنى اسرائيل فابوا ورجعوا وقال ابو على روى ان النبى ص سأله قوم
ان يجعل لهم ذات انواط كما كان للمشركين ذات انواط وهى شجرة كانوا يعبدونها ويعلقون عليها التمر وغيره
من المأكولات كما سئلوا موسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة ومعنى ام فى قوله ام تريدون التوبيخ وان كان لفظها
لفظ الاستفهام كقوله تعم كيف تكفرون بالله وام على ضربين متصلة ومنفصلة فالمتصلة عديلة الالف وهى مفرقة
لما جمعته اى كما ان او مفرقة لما جمعته احد يقول اضرب ايهم شئت اى زيدا ام عمروا ام بكرا والمنفصلة غير المعادلة
لالف الاستفهام قبلها لا يكون الا بعد كلام لانها بمعنى بل والالف كقول العرب انها لابل ام شاة كانه قال بل
شاة هى ومنه قوله الم تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين ام يقولون افتراه كانه قال بل يقولون افتراه وكذلك
ام يريدون كانه قيل بل يريدون وقال الاخطل كذبتك عينك ام رأيت بواسط غلس الظلام من الرباب خيالا
وقال الفراء ان شئت قلت قبله استفهام فرده عليه وهو قوله الم تعلم ان الله على كل شئ قدير وقال الرمانى فى
هذا بعد ان يكون على المعادلة ولا بد ان يقدر له ام تعلمون خلاف ذلك فتسئلون رسولكم كما سئل موسى من
قبل والمعنى عنهم بانهم يتخيرون الايات ويسألون المحالات كما سئل موسى فقالوا اجعل لنا الها كما لهم آلهة وقالوا
لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة وهذا الوجه اختاره البلخى والمغربى وحكى عن بعضهم ان ذلك عطف على قوله
افتؤمنون ببعض الكتاب وقيل ايضا لما قيل لهم قولوا انظرنا واسمعوا كان تقديرا الكلام فهل تعقلون هذا ام
تريدون ان تسئلوا رسولكم وقوله سواء السبيل معناه قصد الطريق على قول الحسن وسواء بالمد يكون على ثلثة
اوجه بمعنى قصد وعدل وبمعنى وسط كقوله خذوه فاعتلوه الى سواء الجحيم وقوله فاطلع فراه فى سواء الجحيم
اى وسطها قال حسان يا ويح انصار النبى ورهطه بعد المغيب فى سواء الملحد ويكون بمعنى غير كقولك
للرجل اتيت سواك اى غيرك ومعنى ضل ههنا الذهاب عن الاستقامة قال الاخطل كنت القذى فى موج اكدر
مزبد قذف الاتى به فضل ضلالا اى ذهب يمينا وشمالا والسبيل والطريق والمذهب نظائر ويقال اسبل
اسبالا وسبله تسبيلا والسبيل يذكر ويؤنث والجمع السبل والسابلة المختلفة فى الطرقات فى حوائجهم والجمع
السوابل وسبل سابل كقولهم شعر شاعر والسبلة ما على الشفة العليا من الشعر يجمع الشاربين وما بينهما والسبل
المطر المسبل والمسبولة هى سنبلة الذرة والارز ونحوه اذا مالت ويقال للزرع اذا سنبل سنبل ويقال اسبلت
الستر اسبالا اذا ارخيته واسبل الرجل ازاره اذا ارخاه من الخيلاء قال الشاعر واسبل اليوم من برديك
اسبالا واصل الباب الاسبال وهو الحد والسؤال هو الطلب ممن يعلم معنى الطلب لامر من الامور ووجه اتصال
هذه الاية بما قبلها والتعلق بينهما انه لما دل الله بما تقدم من الايات على تدبيره الله لهم فيما يأتى به من الايات
ما يستخير فكانه قال ام لا ترضون بذلك فتخيروا الايات وتسألوا المحالات كما سئل موسى ع نبى الله تعم انما يأتى
بالايات على ما يعلم فيها من المصلحة فاذا اتى باية تقوم بها الحجة فليس لاحد الاعتراض عليها ولا له اقتراح غيرها
لانه تعنت اذ قد صح البرهان بها وقوله ومن يتبدل الكفر بالايمان معناه من يستبدل الكفر يعنى الجحود بالله
وباياته بالتصديق بالله وباياته وبالاقرار به وقال بعضهم عبر بالكفر ههنا عن الشدة وبالايمان عن الرخاء
وهذا غير معروف فى اللغة ولا العرف الا ان يراد بذلك الثواب والعقاب اللذان يستحقان عليهما فيكون له وجه
التنزيل **قوله تعم** وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ اَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ اِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ اَنْفُسِهِمْ
مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتّٰى يَأْتِىَ اللّٰهُ بِاَمْرِهِ اِنَّ اللّٰهَ عَلٰى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ اية واحدة
المعنى بقوله ود كثير من اهل الكتاب عن الحسن النصارى واليهود وقال الزهرى وقتادة كعب بن الاشرف
وعن ابن عباس حيى بن اخطب وابو ياسر بن اخطب وحسدا نصب على احد امرين احدهما على الجملة التى قبله بدلا من
الفعل كانه قال حسد وكم حسدا كانه قال يحسدونكم حسدا والاخر ان يكون مفعولا كانه قال يردونكم لاجل الحسد

كما يقول جئته خوفا منه يقول حسدت احسد حسدا وحسدتك على الشئ وحسدتك الشئ بمعنى واحد قال
الشاعر فقلت الى الطعام فقال منهم فريق يحسد الانس الطعاما ورجل حاسد وحسود وحساد
والحسد هو الاسف بالخير على من له خير واشد الحسد التعرض للاغتمام بكون الخير لاحد وقد يكون الحاسد
متمنيا لزوال النعمة عن المحسود وان لم يكن له طمع فى تحول تلك النعمة والصفح هو التجاوز عن الذنب والصفح
والعفو والتجاوز بمعنى يقال صفح صفحا وتصفح تصفحا وتصافح تصافحا والصفحة ما كان من ظاهر الشئ
يقال لظاهر جلد الانسان صفحة وكذا هو من كل شئ ومن هذا صافحته اى لقيت صفحة كفه صفحة كفى وفى
الحديث التسبيح للرجال والتصفيح للنساء اى التصفيق فانما هو لانها تضرب بصفحة كف على صفحة الاخرى وانشد
الاصمعى كان مصفحات فى ذراه وانواحا بايديها مالى كان المالى جمع ميلاة وهى خرقة تمسكها
النائحة يتلقى بها دمعتها والصفاح من السيوف العراض واحدها صفحة وصفحة وقال ضربناهم حتى اذا
ارفض جمعهم علوناهم بالمرهفات الصفايح وصفحت عنه قيل معناه قولان احدهما انى لم اخذه بذنبه و
ابديت له منى صفحة جميلة وقيل بل لم يرمنى ما يقبض صفحته ويقول تصفحت الورقة اى تجاوزتها الى غيرها ومنه
تصفحت الكتاب وقد تصفح الكتاب وقد يصفح الكتاب من لا يحسن ان يقرأ وسمى الصفح من المصحف وغيره من
الدفاتر من الصفحة ومنه فاصفح الصفح الجميل وقوله فاعفوا واصفحوا قال الحارث بن هشام وصفحت عنهم
والاحبة فيهم طمعا لهم بعقاب يوم سرمد اى لم اجازهم لا قبض صفاحهم اوار بهم ذلك فى نفسى ونقال
نظر اليهم صفحا بعد ما ابدى صفحة لم يجاوز والصفاح موضع سمى بذلك لانه صخور منتوبة تبدو صفاحها
واصل الباب صفحة الشئ وهى ظاهره وقوله من عند انفسهم قال الزجاج متعلق بود كثير لا بقوله حسدا لان
حسد الانسان لا يكون من غير نفسه وقد يجوز ان يتصل بقوله حسدا على التوكيد كما قال تعم ولا طائر يطير
بجناحيه ويحتمل وجها اخر وهو ان اليهود كما يضيفون الكفر والمعاصى الى الله تعم فقال الله من عند انفسهم
تكذيبا لهم انها من عند الله وقوله من بعد ما تبين لهم الحق قال قتادة من بعد ما تبين لهم ان محمدا رسول الله ص
والاسلام دين الله وهو قول الربيع والسدى وابن زيد وروى عن ابن عباس مثله وقال ابن عباس ان قوله
فاعفوا واصفحوا حتى يأتى الله بامره منسوخة بقوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وقال قتادة نسخه بقوله
قاتلوا المشركين الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر الاية وبه قال الربيع والسدى وروى عن ابى جعفر محمد بن
على ع انه قال لم يؤمر رسول الله ص بقتل ولا اذن له فيه حتى نزل جبرئيل ع بهذه الاية اذن للذين يقاتلون
بانهم ظلموا وقلده سيفا وقوله حتى يأتى الله بامره قال ابو على بامره لكم بعقابهم او يعاقبهم هو على ذلك ثم اتاه
بامره فقال قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله وقوله ان الله على كل شئ قدير قيل فيه ثلثة اقوال قال ابو على انه قدير
على عقابهم اذ هو على كل شئ قدير وقال الزجاج قدير على ان يدعوا الى دينه بما احب مما هو الاليق بالحكم
اى فيأمر بالصفح تارة والعقاب اخرى على حسب المصلحة والثالث انه لما امر بالامهال والتأخير فى قوله فاعفوا
واصفحوا كان فيه تعلق النفس بالعاقبة فى ذلك فقال امهلوهم فانهم لا يعجزون الله ولا يفوتونه اذ هو على
كل شئ قدير وانما امرهم بالصفح والعفو وان كانوا مضطهدين مقهورين مغموصين من حيث ان كثيرا من
المسلمين كانوا عزيزين فى عشائرهم واقوامهم يقدرون على الانتصاف والانتقام من الكفار فامرهم الله
تعالى بان يعفوا وان قدروا حتى يأتى الله بامره **قوله تعم** وَاَقِيمُوا الصَّلٰوةَ وَاٰتُوا الزَّكٰوةَ وَمَا تُقَدِّمُوا
لِاَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللّٰهِ اِنَّ اللّٰهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ اية واحدة بلا خلاف ان قيل ما المقتضى لذكر
الصلوة والزكوة ههنا قلنا انه تعم لما اخبرهم بشدة عداوة اليهود لهم وامرهم بالصفح عنهم قال اقيموا
الصلوة واتوا الزكوة فان فى ذلك معونة على الصبر مما يحوزون بهما من الثواب والاجر كما قال فى موضع اخر
واستعينوا بالصبر والصلوة وقوله وما تقدموا معناه الجزاء وجوابه تجدوه ومثله ما يفتح الله للناس
من رحمة فلا ممسك لها والخير المذكور فى الاية هو العمل الصالح الذى يرضاه الله ومعنى تجدوه اى تجدوا
ثوابه وكذا قال الربيع كما قال ابن نجا وسبحت المدينة لاهلها اى سبح اهل المدينة وقوله ان الله بما تعملون

بصير معناه انه لا يخفى عليه شيء من اعمالكم جازاكم على الاحسان ما تستحقونه من الثواب وعلى الاساءة بما تستحقونه من العقاب فاعملوا عمل من يبدي انه بجازيه من لا يخفى عليه شيء من عمله نفى ذلك دلالة على الوعد و الوعيد والامر والزجر وان كان خبرا عن غير ذلك في اللفظ **قوله تعـ** وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ايه بلا خلاف قوله هودا يريد يهودا فحذفت الياء الزائدة ووحد كان لان لفظ من قد يكون للواحد ويكون للجماعة والعرب يقول من كان صاحبك ولا يجوز الوقف على قوله وقالوا بل يجب صلته بقوله لن يدخل الجنة الاية فان قيل كيف جمع بين اليهود والنصارى في الحكاية مع افتراق مقالتهما في المعنى وكيف يحكى عنهما ما ليس يقول لهما قلنا فعل ذلك للايجاز والاختصار وتقديره قالت اليهود ولن يدخل الجنة الا من كان هوديا وقالت النصارى لن يدخل الجنة الا من كان نصرانيا فادرج الخبر عنهما للايجاز من غير اخلال اذ شهرة حالهما تغنى عن البيان ومثله في الادراج والجمع من غير تفصيل قوله قلنا اهبطوا وانما كانت الصورة اهبط لابليس ثم قيل اهبطا لادم وحواء فحكاه على المعنى الكلام وقال بعض اهل الكتاب لن يدخل الجنة الا من كان هودا وقال بعضهم لن يدخل الجنة الا من كان نصارى والبعض الثاني غير الاول الا انه لما كان اللفظ واحدا جمع مع الاول قال حسان بن ثابت

امن يهجوا رسول الله منكم ويمدحه وينصره سواء

تقديره ومن يمدحه وينصره غير انه لما كان اللفظ واحدا جمع مع الاول وصار كانه اخبار به عن جملة واحدة و انما حقيقته عن بعضين متفرقين ومثله هو الذي خلقكم من نفس واحدة يعني ادم ثم قال وجعل منها زوجها اي من النفس يعني الجنس فهو في اللفظ على مخرج الراجع الى النفس الاولى وفي تحقيق المعنى لغيرها وهذا قول اكثر المفسرين الشك وغيره وفي هود ثلثة اقوال احدها انه جميع هايد وهود كحايل وحول وعايذ وعوذ وعايط وعوط و هو جمع المذكر والمؤنث على لفظ الواحد والهايد التايب الراجع الى الحق والوجه الثاني ان يكون مصدرا يصلح للواحد والجمع كما يقال رجل فطر وقوم فطر ونسوة فطر ورجل صوم وقوم صوم والثالث ان يكون معناه الا من كان يهوديا الا ان الياء الزايدة حذفت ورجع الى معنى الاصل من اليهود ومعنى امانيهم قال المورخ اباطيلهم بلغة قريش وقال قتادة اماني يتمنونها على الله كاذبة وبه قال الربيع وقيل ايض معناه تلك اقاويلهم وتلاوتهم كما قال لا يعلمون الكتاب الا اماني اي تلاوة ومعنى هاتوا احضروا وهو وان كان على لفظ الامر المراد به الانكار والتبكيت وتقديره ان اتيتم ببرهان صحت مقالتكم ولن ياتوا به لان كل مذهب باطل فلا برهان عليه والبرهان والحجة و الدلالة والبيان بمعنى واحد وهو ما امكن الاستدلال به على ما هو دلالة عليه مع قصد فاعله الى ذلك وفرق الرماني بين الدلالة والبرهان بان قال الدلالة قد تنبئ عن معنى فقط لا تشهد بمعنى اخر وقد تنبئ عن معنى يشهد بمعنى اخر والبرهان ليس كذلك لانه بيان عن معنى ينبئ عن معنى اخر وهذا الذي ذكره لا يسلم له لانه محض الدعوى وبه قال الحسن ومجاهد والربيع والسدي هاتوا برهانكم اي حجتكم وفي الاية دلالة على فساد التقليد لانه لو جاز التقليد لما الزم القوم ان ياتوا فيما قالوه ببرهان وقد يجوز في العربية امانيهم بالتخفيف على ماذكره الزجاج والتثقيل اجود **قوله تعـ** بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ايه بلا خلاف فان قيل اليس بلى انما يكون في جواب الاستفهام مثل قوله الست بربكم قالوا بلى فكيف دخلت ههنا قلنا انما جاز ذلك لانه يصلح ان يكون تقديره اما يدخل الجنة احد فقيل بلى من اسلم وجهه لله لان ما تقدم يقتضي هذا السؤال ويصلح ان يكون جوابا للجحد على التكذيب كقولك ما قام زيد فيقول بلى قد قام ويكون التقدير ههنا ليس الامر كما قال الزاعمون لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى ولكن من اسلم وجهه لله وهو محسن فهو الذي يدخلها وينعم فيها او بلى من اخلص نفسه لطاعة الله ومعنى اسلم يحتمل امرين احدهما اسلم الى كذا بمعنى صرفه اليه كقولك سلمت الثوب اليه والثاني اسلم له بمعنى اخلص له من قولك قد سلم الشيء لفلان اذا خلص له ومنه قوله ورجلا سلما لرجل اي خالصا وقال زيد بن عمرو بن نفيل

اسلمت نفسي لمن اسلمت له المزن تحمل عذبا زلالا

وانما جاز اسلم وجهه لله على معنى اسلم نفسه لله على مجرى كلام العرب في استعمال وجه الشيء وهم يريدون نفس الشيء الا انهم ذكروه باللفظ الاشرف الانبه ودلوا عليه به كما قال عز وجل

كل

كل شيء هالك الا وجهه اي الا هو وقال كل من عليها فان ويبقى وجه ربك اي ويبقى ربك وقال الاعشى

واول الحكم على وجهه ليس قضائي بالهوى الجائر

يعني على ما هو من صحته وصوابه وقال ذو الرمة

فطاوعت همي وانجلى وجه نازل من الامر لم يترك خلاجا نزولها

يريد انجلى النازل من الامر وقال ابن عباس اسلم وجهه لله اخلص عمله لله وقال الربيع اخلص لله وقال الحسن يعني بوجهه وجهه في الدين وقيل معناه استسلم لامر الله ومن الوجه يقال توجه توجها وواجه مواجهة وتواجهوا تواجها والجهة النحو تقول كذا على جهة كذا والوجهة القبلة شبهها في كل وجهة اي كل وجه استقبلته واخذت فيه وتقول توجهوا اليك ووجهوا اليك كل يقال غير ان قولك توجهوا اليك على معنى ولوا اليك وجوههم والتوجه الفعل اللازم والوجاه والتجاه لغتان وهو ما استقبل شيء شيئا يقول دار فلان تجاه دار فلان والمواجهة استقبال الكلام او بوجه واصل الباب الوجه مستقبل كل شيء ووجه الانسان محياه ونقيض الوجه القفا ويقال وجه الكلام تشبيها بوجه الانسان لانه اول ما يبدو منه ويعرف به وقد يقال في الجواب هذا وجه وذلك خلف تشبيها ايض من جهة الحسن لان الغالب في الوجه انه احسن ويقال هذا وجه الراي اي الذي يبدو منه ويعرف به والوجه من كل شيء اول ما يبدو فيظهر يظهر بظهوره ما بعده **و** قوله وهو محسن في موضع نصب لانه في موضع الحال وانما قال فله اجره على التوحيد ثم قال ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون على الجمع لان من لفظها لفظ الواحد ومعناها الجمع فمرة تحمل على اللفظ واخرى على المعنى كما قال ومنهم من يستمع اليك وفي موضع اخر ومنهم من يستمعون اليك وقال الفرزدق

تعال فان عاهدتني لا تخونني نكن مثل من يا ذئب يصطحبان

وثنى واللفظ واحد لاجل المعنى فان قيل اذا كان قد ذكر فلهم اجرهم عند ربهم فلم قال ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون قيل عن ذلك جوابان احدهما الدلالة على انهم على يقين لا على رجاء يخاف معه الا يكون الموعود به والثاني الفرق بين حالهم وبين حال اهل العقاب الذين يخافون ويحزنون **قوله تعـ** وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ايه بلا خلاف اختلفوا فيمن نزلت هذه الاية فقال ابن عباس انه لما قدم اهل نجران من النصارى على رسول الله صلعم اتتهم احبار يهود فتنازعوا عند رسول الله فقال رافع بن حريملة ما انتم على شيء وكفر بعيسى وبالانجيل فقال رجل من اهل نجران من النصارى ما انتم على شيء وجحد بنبوة موسى وكفر بالتورية فانزل الله في ذلك الاية الى قوله فيما كانوا فيه يختلفون وقال الربيع هؤلاء اهل الكتاب الذين كانوا على عهد رسول الله صلعم ومعنى الاية احد شيئين احدهما حل الشبهة بانه ليس في تلاوة الكتاب معتبر في الانكار لما لم يوت على انكاره ببرهان فلا ينبغي ان تدخل الشبهة بانكار اهل الكتاب لملة اهل الاسلام اذ كل فريق من اهل الكتاب قد انكر ما عليه الاخر ثم بين ان سبيلهم كسبيل من لا يعلم الكتاب في الانكار للدين الاسلام من مشركي العرب وغيرهم ممن لا كتاب له فيهم وجحدهم لذلك سواء اذ لا حجة معهم ملوم بها تصديقهم لا من جهة سمع ولا عقل والوجه الاخر الذم لمن انكر ذلك من اهل الكتاب على جهة العناد اذ قد ساوى المعاند منهم للحق الجاهل به في الدفع له فلم ينفعه علمه بل حصل على مضرة الجهل كما حصل عليه من لا علم له به فان قيل اذا كان اليهود انما قالت ليست النصارى على شيء في تدينها بالتورية فكيف قال كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم واهل الحق ايض يقولون مثل قولهم قيل ان المعنى كذلك قال الذين لا يعلمون الكتاب اي فقد ساووا في ذلك من لا كتاب له وكما لا حجة في جحدها ولا كذلك لا حجة في جحدهم ولم يساووا اهل الحق فيه لانهم قالوه عن علم والمعنى بقوله كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم في قول السدي هم العرب الذين قالوا ليس محمد صلعم على شيء وقال الربيع قالت النصارى مثل قول اليهود قبلهم ووجه هذا القول اي تقدمنا وكم يا معشر اليهود في الانكار وهم لا يعلمون وقال عطاء هؤلاء الذين لا يعلمون امم كانت قبل اليهود والنصارى وقبل التورية والانجيل والقيمة مصدر الا انه صار كالعلم على وقت بعينه وهو الوقت الذي يبعث الله عز وجل فيه الخلق فيقومون من قبورهم الى محشرهم تقول قام يقوم قياما وقيامة مثل عاد يعود عيادا وعيادة وصان صيانة

وعاده

وقتادة عبادة وقوله فالله يحكم بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون يحتمل امرين احدهما قال الحسن حكمه فيهم ان يكذبهم جميعا ويدخلهم النار وقال ابو علي حكمه الانصاف من الظالم المكذب بغير حجة ولا برهان للمظلوم المكذَّب وقال الزجاج حكمه ان يريهم من يدخل الجنة عيانا و هذا هو حكم الفصل في الاخرة فاما حكم العقل في الدنيا فالحجة التي دل الله بها على الحق من الباطل في الديانة **قوله تعـ** وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ اية واحدة اختلف المفسرون في المعنى بهذه الاية فقال ابن عباس ومجاهد واختاره الفراء انهم الروم لانهم كانوا غزوا بيت المقدس وسعوا في خرابه حتى كانت ايام عمر فاظهر الله عليهم المسلمين وصاروا لا يدخلونه الا خائفين وقال الحسن وقتادة والسدي هو بخت نصر خرب بيت المقدس قال قتادة واعانه عليه النصارى وقال قوم عنى به سائر المشركين لانهم يريدون صد المسلمين عن المساجد ويجوزونه وقال ابن زيد والبلخي والجبائي والرماني المراد به مشركو العرب وضعف هذا الوجه الطبري عن بعض المفسرين بان قال ان مشركي قريش لم يسعوا قط في تخريب المسجد الحرام وهذا ليس بشيء لان عمارة المساجد بالصلوة فيها وخرابها بالمنع من الصلوة فيها وقد روي انهم هدموا مساجد كان اصحاب النبي يصلون فيها بمكة لما هاجر النبي واصحابه وقال وهو ايضا لا يتعلق بما قبله من ذم اهل الكتاب كما يتعلق اذا عنى به النصارى وبيت المقدس فيصير الكلام منقطعا فيقال له قد جرى ذكر لغير اهل الكتاب من المشركين في قوله كذلك قال الذين لا يعلمون وهذا اقرب من اليهود والنصارى ولان ذلك كله ذم فمرة يوجه الى اليهود ومرة الى النصارى ومرة الى عباد الاوثان وغيرهم من اهل الشرك فان قيل كيف قال مساجد الله بالجمع وهو اراد المسجد الحرام او بيت المقدس قيل عنه جوابان احدهما ان كل موضع منه مسجد كما يقال لكل موضع من المجلس العظيم مجلس فيكون اسما يصلح ان يقع على جملته وعلى كل موضع سجود فيه وقال الجبائي لانه يدخل فيه المساجد التي بناها المسلمون للصلوة بالمدينة **و** قوله ممن منع والمنع والصد له نظاير وضد المنع الاطلاق ويقال منع منعا وامتنع امتناعا وتمنع تمنعا وتمانع تمانعا ومانعه ممانعة وقال صاحب العين المنع ان يحول بين الرجل و بين الشيء يريده ويقول منعته فامتنع ورجل منيع لا يخلص اليه وهو في عز ومنعة يخفف ويثقل وامراة منيعة ممتنعة لا تؤتى على فاحشة وقد تمنعت مناعة وكذلك الحصن وغيره تقول منع مناعا اذا لم يرم ومناع اي امنع قال الشاعر

مناعها من ابل مناعها الا ترى الموت لدى ارباعها

ومساجد الله قد بينا ان منهم من اراد المسجد الاقصى ومنهم من اراد المسجد الحرام ومنهم من قال اراد جميع المساجد وروي عن زيد بن علي عن ابيه عليهما السلام انه اراد جميع الارض لقوله ع جعلت لي الارض مسجدا وترابها طهورا **و** قوله وسعى في خرابها والسعي والعدو والركض نظاير وضد السعي الوقف تقول سعى سعيا واستسعى استسعاء وتساعوا تساعيا قال صاحب العين السعي عدو دون الشديد وكل عمل من خير او شر فهو السعي يقال فلان يسعى على عياله اي يكسب لهم يقولون ان السعي الكسب والعمل قال الشاعر

سعى عقالا فلم يترك لنا سبدا فكيف لو قد سعى عمرو عقالين

عقال الصدقة عام و الساعيان تسعى بصاحبها الحوال من فوقه والسعاية ما يستسعى به العبد من ثمن رقبته اذا اعتق بعضه وهو ان يكلف من العمل ما يؤدي عن نفسه ما بقي ويقال سعى للسلطان اذا ولي الصدقة وساعى الرجل الامة اذا فجر بها ولا يكون المساعاة الا في الاماء واصل الباب السعي العدو **و** قوله في خرابها فالخرب والهدم والنقض نظاير ونقيض الخراب العمارة يقال خرب خرابا واخربه اخرابا وتخرب تخربا وخربه تخريبا والخربة المذكور من الحبارى والجمع الخربان قال الشاعر

ما راينا خربا ينقر عنه البيض صقر لا يكون المهر مهرا لا يكون الجحش مهر

والخربة سعة خرق الاذن قال ذو الرمة

كانه حبشي يبتغي اثرا او من معاشر في آذانها الخرب

والخربة عروة المزادة وكذلك كل ثقب مستدير والخارب اللص وما راينا من فلان خربة اي فسادا في دينه او شينا والخارب من شدايد الدهر قال الشاعر

ان بها اكتل او رزاما خويربين ينقفان الهاما

والرزام الهزال والخروبة شجرة الينبوت والخرابة سرقة الابل قال الاصمعي لا يكادون يسمون الخارب الا سارق الابل و اصل الباب الخراب ضد العمران وقوله ومن اظلم رفع لانه خبر الابتداء وتقديره اي احد اظلم وقوله ان يذكر يحتمل

وجوها من النصب قال الاخفش يجوز ان يكون على حذف من وتقديره من ان يذكر ويجوز ان يكون على البدل من مساجد الله وقال الزجاج يجوز على معنى كراهية ان يذكر وعلى الوجوه كلها العامل فيه منع ومعنى قوله اولئك ما كان لهم ان يدخلوها الا خائفين فيها خلاف قال قتادة هم اليوم كذلك لا يوجد نصراني في بيت المقدس الا انهك ضربا وابلغ اليه في العقوبة وبه قال السدي وقال ابن زيد نادى رسول الله ع الا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان وقال الجبائي بين الله انه ليس لهؤلاء المشركين دخول المسجد الحرام ولا دخول المساجد فان دخل منهم داخل الى بعض المساجد كان على المسلمين اخراجه منه الا ان يدخل الى بعض الحكام لخصومة بينه وبين غيره او الى بعض القضاة فيكون في دخوله خائفا من الاخراج على وجه الطرد بعد انفصال خصومته ولا يقعد مطمئنا كما كان يقعد المسلم وهو الذي يليق بمذهبنا ويمكن الاستدلال به على ان الكفار لا يجوز ان يمكنوا من دخول المساجد على كل حال فاما المسجد الحرام خاصة فان المشركين يمنعون من دخوله ولا يتركون ليدخلوه لحكومة ولا غيرها لان الله تعـ قد امر بمنعهم من دخوله بقوله ما كان للمشركين ان يعمروا مساجد الله شاهدين على انفسهم بالكفر يعني المسجد الحرام وقال الزجاج اعلم الله ان امر المسلمين يظهر على جميع من خالفهم حتى لا يمكن دخول مخالف الى مساجدهم الا خائفا وهو كقوله ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون كانه قيل اولئك ما كان لهم ان يدخلوها الا خائفين لاعزاز الله الدين واظهاره المسلمين **قوله تعـ** لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ اية قال قتادة معناه انهم يعطون الجزية عن يد وهم صاغرون وقال السدي خزيهم في الدنيا انهم اذا قام المهدي وفتحت قسطنطينية قتلهم فذلك الخزي في الدنيا ان يقتلوا ان كانوا حربا ويؤدوا الجزية ان كانوا ذمة وقال الجبائي الخزي لهؤلاء الكفار الذين امرنا بمنعهم من دخول المساجد على سبيل ما يدخلها المؤمنون وقوله ولهم في الاخرة عذاب عظيم قال الفراء يقول فيما وعد الله المسلمين من فتح الروم و انه لم يكن بعد والناس على خلاف في ان معنى الاخرة يوم القيمة كانه قيل لهم في الاخرة عذاب جهنم **قوله تعـ** وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ اية بلا خلاف المشرق والشرق اسمان لمطلع الشمس والمغرب والغرب اسمان لغروبها يقال شرق شروقا واشرق اشراقا وتشرق تشريقا والمشرقان والمغربان مشرقا الشتاء والصيف ومغرباهما والمشارق مطالع الشمس في كل يوم حتى يعود الى المشرق الاول في الحول و شرقت الشمس اذا طلعت و اشرقت اذا اضاءت ويقول لا افعل ذلك ما ذر شارق اي ما طلع قرن الشمس و شرق يشرق شرقا اذا اغتص وقال عدي بن زيد

لو بغير الماء حلقي شرق كنت كالغصان بالماء اعتصاري

والمشرقة حيث يقعد المشرق في وجه الشمس قال الشاعر

تحنّ الى الطلاق وانت عندي بعيش مثل مشرقة الشتاء

وشرق الثوب بالصبغ اذا احمر واشتد حمرته ولطمه فشرق الدم في عينه اذا احمرت ويقول اشرورقت عينه واغرورقت و قاتهم شرقا اذا شققتها بنصفين طولا وكذلك الشاة وايام التشريق ايام مشرقة اللحم في الظل وقال صاحب العين كانوا يشرقون اللحم تلك الايام في الشمس وقوله فاخذتهم الصيحة مشرقين اي حيث طلعت عليهم الشمس والشرق طاير من الطيور الصوايد مثل الصقر والشاهين وقال الشاعر

قد اغتدي والصبح ذو بريق بمسلحم اكلب شوذنيق اجدل او شرق

من الشروق وكل شيء طلع من الشمس يقال شرق يشرق وفي الحديث لا تشريق الا في مصر ومسجد جامع اي لا صلوة عيد لانها وقت طلوع الشمس واصل الباب الطلوع والمغرب والغيب نظاير تقول غرب يغرب غروبا واغرب اغرابا واغترب اغترابا واستغرب استغرابا وغرّب تغريبا وسمي الغراب غرابا لبعده وتقول وانه اشد الطير خوفا واصل الباب الحسد والتباعد حتى يبلغ النهاية من هذا مغرب الشمس والرجل الغريب المتباعد وشطت غربة النوى اي بعد المنتهى وهو ابعد البعد وغرب السيف والسهم حده سمي بذلك لانه يمضي فلا يرد فهو ماخوذ من الابعاد ويقال للموضع الرداء غارب و قولهم للدابة مغرب اذا ابيضت حدقته واهدابه شبيه بابيضاض الشمس عند الغروب وقولك للرجل غرب معناه ابعد و نوى غربي اذا لم تستحكم حمرته ماخوذ من الدابة الغرب ويقول اصابه حجر غرب اذا اتاه من حيث لا يدري واتاه حجر غرب اذا رمى غيره فاصابه ويقال اقطع غرب لسان فلان عني اي اقطع حدة لسانه وناقة ذات غرب اي حدة والغرب والغرب

الدفع الحار الفاسد وقال الكميت ابى غرب عينيك الا انهما الا وجمع غروب والغرب دلو ضخم يتخذ من جلد تام والغرب ما قطر من الماء من الدلاء من الحوض والبئر ويقال الغرب الحوض اذا سال من جوانبه وفاض والغرب جنس من الشجر خارج عن حدها يحل بجل وطيب ريح او صلابة وغاية مغربة اى بعيدة والغرب الفضة وقيل انه جام من فضة وقيل انه الذاهب قال الشاعر كما زعزع ساق الاعاجم الغربا والغياوب اعلى الموج و الغارب ما بين يدى الشام وعنقاء مغرب موضوع على طاير لا يعرف حده والغربيب الاسود الشديد السواد و اصل الباب الغرب الحد واللام فى قوله ولله المشرق لام الملك واصلها لام الاضافة وهى على ثمانية اوجه الملك والفعل والعلة والولادة والاختصاص والاستغاثة ولام كى كلام الغرض وهى لام العاقبة فلام الملك قولك له مال والفعل له كلام وانه هو اسود لما فيه التسواد ولام الولادة اب له وله الراخ والاختصاص له علم وله ارادة فى ارادة والاستغاثة يال بكر ولام كى وليرضوه وليقترفوا ما هم مقترفون ولام العاقبة فالتقطه ال فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا فهذه وجوه لام الاضافة وانما قيل ولله المشرق والمغرب بالتوحيد وله جميع المشارق والمغارب لاحد امرين احدهما انه اخرج ذلك مخرج الجنس فدل على الجمع كما قيل اهلك الناس الدينار والدرهم والاخر انه على الحذف كانه قيل المشرق الذى يشرق منه الشمس كل يوم والمغرب الذى تغرب فيه كل يوم وانما خص الله تعم ذكر ذلك ههنا لاحد امرين احدهما قال ابن عباس واختاره الجبائى انه رد على اليهود لما انكروا تحويل القبلة الى الكعبة وقال ليس هو فى جهة دون جهة كما يقول المشبهة والثانى قال ابن زيد وقتادة كان للمسلمين التوجه بوجوههم الى الصلوة حيث شاؤا ثم نسخ ذلك بقوله فول وجهك شطر المسجد الحرام وانما كان النبى صلعم اولا اختار التوجه الى بيت المقدس وقد كان له التوجه الى حيث شاء وقال اخرون كان ابن عمر يصلى حيث توجهت به راحلته فى السفر تطوعا وذكر ان رسول الله صلعم كان يفعل ذلك ويتاول عليه الاية وقيل نزلت فى قوم صلوا فى ظلمة وقد خفيت عليهم جهة القبلة فلما اصبحوا اذا هم صلوا الى غير القبلة فانزل الله هذه الاية و هذا قول عبد الله بن عامر بن ربيعة والنخعى والاول اقوى الوجوه و قوله فثم وجه الله ط المراد بالوجه فيه اختلاف قال الحسن ومجاهد المراد به فثم جهة القبلة وهى الكعبة لانه يمكن التوجه اليها من كل مكان قال ابن بيض اى الوجوه انتجعت قلت لها لاى وجه الا الى الحكم متى يقل صاحبا سرادقه هذا ابن بيض بالباب يبتسم وقيل معناه فثم وجه الله فادعوه كيف توجهتم وقال اخرون واختاره الرمانى والجبائى فثم رضوان الله كما يقال هذا وجه العمل وهذا وجه الصواب وكانه قال الوجه الذى يؤدى الى رضوان الله وتقدير الاية واتصالها بما قبلها كانه قال لا يمنعكم تخريب من خرب المساجد ان تذكروه حيث كنتم من اى وجه وله المشرق والمغرب والجهات كلها و قوله والله واسع عليم قال قوم معناه غنى فكانه قيل واسع المقدور وقال الزجاج يدل على التوسعة للناس فيما رخص لهم فى الشريعة وكانه قيل واسع الرحمة وكذلك رخص فى الشريعة ومعنى القول الاول انه غنى عن طاعتكم وانما يريدها لمنفعتكم وقال الجبائى معناه واسع الرحمة والسعة والفسحة والمباعدة نظاير وضد السعة الضيق يقال وسع يسع سعة واوسع اتساعا وتوسع توسعا واتسع اتساعا ووسع توسعة والوسع جدة الرجل و قدرة ذات يده فرحمة الله وسعت كل شئ وانه ليسعنى ما وسعك وتقول وسعنا لوحا فاتسع فعل لازم وكذلك اتوسع وسع الفرس سعة ووساعة فهو وساع واوسع الرجل اذا كان ذا سعة فى المال فهو موسع وموسع عليه ويقول سير وسيع ووساع وفى القران لا يكلف الله نفسا الا وسعها اى طاقتها واصل الباب السعة نقيض الضيق ومعنى عليم انه عالم يوجه الحكمة فبادروا الى ما امركم به من الطاعة وقيل واسع الرحمة عليم اين يضعها على وجوه الحكمة ومعنى ثم هناك يقول لما قرب من المكان هنا وما تراخى ثم وهناك وانما بنى لان فيه معنى الاشارة الى المكان لابهامها وبنى على الحركة لالتقاء الساكنين وفتح لخفة الفتحة فى المضاعف وقوله فاينما تولوا جزم باينما والجواب فثم وجه الله وثم موضعه النصب لكنه بنى على الفتح وقوله اينما تكتب موصولة فى اربعة مواضع ليس فى القران غيرها هذه واحدة وفى النحل اينما يوجهه وفى الاحزاب ملعونين اينما ثقفوا وفى الشعراء اينما كنتم تعبدون ومن الناس من يجعل معها التى فى النساء اينما تكونوا يدرككم الموت وكلها على القياس الا

التى فى الشعراء فان قياسها ان تكتب موصولة لان ما اسم موصول بما بعده بمعنى الذى **قوله تعالى** وَقَالُوا اتَّخَذَ اللّٰهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَهُ مَا فِى السَّمٰوَاتِ وَالْاَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ اية واحدة بلا خلاف قرأ ابن عامر وحده قالوا بلا واو والمعنى بهذه الاية النصارى وقال قوم النصارى ومشركوا العرب معا من حيث قالوا الملائكة بنات الله وقالت النصارى المسيح بن الله هذا قول الزجاج وفى هذه الاية دلالة على انه لا يجوز الولد على وجه من الوجوه لانه اذا كان جميع ما فى السموات والارض ملكا له فالمسيح عبد مربوب وكذلك الملائكة المقربون لان الولد لا يكون الا من جنس الوالد ولا يكون المفعول الا من جنس الفاعل وكل جسم فعل الله فلا مثل له ولا نظير على وجه من الوجوه تعالى الله عن صفات المخلوقين و قوله كل له قانتون الاصل فى القنوت الدوام وينقسم اربعة اقسام الطاعة كقوله كل له قانتون اى مطيعون والقنوت الصلوة كقوله يا مريم اقنتى لربك واسجدى واركعى والقنوت طول القيام و روى عن جابر بن عبد الله قال سئل النبى صلعم اى الصلوة افضل فقال طول القنوت ويكون القنوت السكوت كما قال زيد بن ارقم كنا نتكلم فى الصلوة حتى نزلت وقوموا لله قانتين فامسكنا عن الكلام وقيل فى قانتون ههنا ثلثة اقوال قال مجاهد معناه مطيعون وطاعة الكافر فى سجود ظله وقال ابن عباس مطيعون الثانى قال السدى كل له مطيعون فى يوم القيمة وقال الربيع كل قايم له يوم القيمة الثالث قال الحسن كل قائم له بالشهادة عبده وقال المغربى دايمة وهو الاقوى كل دايم على حال واحدة بالشهادة بما فيه من اثار الصنيعة والدلالة على الربوبية وزعم الفراء انها خاصة لاهل الطاعة بدلالة انا نجد كثيرا من الخلق غير طائعين وعلى ما اخترناه لا يحتاج الى التخصيص واما القنوت فى اللغة فقد يكون بمعنى الطاعة يقول قنت يقنت قنوتا فهو قانت اذا اطاع وقال صاحب العين القنوت فى الصلوة دعاء بعد القراءة فى اخر الوتر يدعو قائما ومنه قوله امن هو قانت اناء الليل ساجدا وقائما والقنوت و الدعاء قيام فى هذا الموضع وقيل فى قوله وقوموا لله قانتين اى خاشعين وقال ابن دريد القنوت الطاعة وقال ابو عبيدة القانتات الطايعات والقنوت فى الصلوة طول القيام على ما قاله المفسرون فى قوله وقوموا لله قانتين واصل الباب المداومة على الشئ **قوله تعم** بَدِيعُ السَّمٰوَاتِ وَالْاَرْضِ وَاِذَا قَضٰى اَمْرًا فَاِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ اية بلا خلاف قرأ ابن عامر فيكون نصبا الباقون بالرفع بديع بمعنى مبدع مثل اليم بمعنى مؤلم وسميع بمعنى مسمع وبينهما فرق لان فى بديع مبالغة ليس فى مبدع ويستحق الوصف فى غير حال الفعل على الحقيقة بمعنى ان من شانه الانشاء لانه قادر عليه ففيه معنى مبدع وقال السدى يقول ابتدعها فخلقها ولم يخلق قبلها شيئا يتمثل به والابتداع والاختراع والانشاء نظاير وضد الابتداع الاحتذاء على مثال يقال ابدع ابداعا وابتدع ابتداعا وبدع تبديعا وقال ابن دريد بدعت الشئ اذا انشاته والله بديع السموات والارض اى منشئهما وبدعت الركى اذا استنبطتها وزكى بديع اى جديد الحفر ولست ببدع فى كذا اى لست باول من اصابه هذا ومنه قوله ما كنت بدعا من الرسل وكل من احدث شيئا فقد ابدعه والاسم البدعة وابدع بالرجل اذا كلت راحلته وانقطع به وقوله ما كنت بدعا من الرسل اى ما كنت باول مرسل والبدعة ما ابتدع من الدين وغيره وجمعها بدع وفى الحديث كل بدعة ضلالة وتقول جئت بامر بديع اى مبتدع عجيب و ابدعت الابل اذا تركت فى الطريق من الهزال واصل الباب الانشاء و قوله واذا قضى امرا يحتمل امرين احدهما اذا خلق امرا كما قال فقضاهن سبع سموات فى يومين اى خلقهن وهو اختيار البلخى والرمانى والجبائى و الثانى حتم بان يفعل امرا وحكم وقيل احكم امرا كما قال ابو ذويب وعليهما مسرودتان قضاهما داود او صنع السوابغ تبع قضاهما احكمهما والقضاء والحكم نظاير يقال قضى يقضى قضاء واقتضى اقتضاء وتقاضى تقاضيا واستقضى استقضاء وتقضى تقضيا وقضى تقضية وقاضاه مقاضاة وانقضى انقضاء قال صاحب العين قضى يقضى قضاء وقضية يعنى حكم وتقول قضى اليه عهدا معناه اوصى اليه ومنه قوله وقضينا الى بنى اسرائيل وقضى عليه الموت اى اتى عليه والانقضاء فناء الشئ وذهابه وكذلك التقضى واصل الباب القضاء والفصل والقضاء ينصرف على وجوه منها الامر كقوله تعم وقضى ربك الا

تعبدوا الا اياه اى امر ومنه الخلق كقوله فقضيهن سبع سموات اى خلقهن ومنه الاخبار والاعلام كقوله وقضينا الى بنى اسرائيل فى الكتاب اى اخبرناهم ومنه الفصل قضى القاضى بين الخصمين اى فصل الامر بينهما و معنى قوله فانما يقول له كن فيكون قيل فيه قولان احدهما انه بمنزلة المثل ومعناه ان منزلة الفعل له فى السهولة وانتفاء التعذر كمنزلة ما يقال له كن فيكون كما يقال قال فلان برأسه كذا وقال بيده اذا حركه واشار ومى به ولم يقل شيا فى الحقيقة وقال ابو النجم اذ قالت الانساع للبطن الحق قدما فاضت كالفنيق المحنق وقال عمرو بن حممة الدوسى فاصبحت مثل النسر طارت فراخه اذا رام تطيارا يقال له قع وقال اخر امتلأ الحوض وقال قطنى مهلا رويدا قد ملأت بطنى وقال اخر فقالت له العينان سمعا وطاعة وحدّرتا كالدّرّ لما يثقب وقال العجاج ضعيف يصف ثورا وفيه كالاعراض للعكور مكرّ ثم قال فى التفكير ان الحيوة اليوم فى الكرور والوجه الاخر انه علامة جعلها الله للملئكة اذا سمعوها علموا انه احدث امرا وكلاهما حسن والاول احسن واشبه فى كلام العرب وعادة الفصحاء ونظيره قوله تعالى فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين وهو الذى اختاره البلخى والرمانى واكثر المفسرين وقد قيل فى ذلك اقوال فاسدة لا يجوز التعويل عليها منها ان الامر خاص فى الموجودين الذين قيل لهم كونوا قردة خاسئين ومن جرى مجراهم لانه لا يؤمر المعدوم عندهم ومنها انه امر للمعدوم من حيث هو فى معلوم فصح ان يؤمر فيكون ومنها ان الاية خاصة فى الموجودات من اماتة الاحياء والموتى وما جرى مجرى ذلك من الامور وانما قلنا بافساد هذه الاقوال لانه لا يحسن ان يؤمر الا من كان عاقلا مميزا يقدر على ما امر به ويتمكن من فعله وجميع ما ذكروه بخلافه لان المعدوم ليس بحى ولا عاقل ولا يصح امره ومن كان موجودا لا يجوز ان يؤمر ان يكون قردة لان المعانى التى تكون بها كذلك ليس فى مقدوره كذلك القول فى الاماتة والاحياء وتاويل قوله كونوا قردة خاسئين قد بيناه فيما مضى فقال بعضهم انه امر للموجود فى حال كونه لا قبله ولا بعده وانه مثل قوله ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اذا انتم تخرجون وان دعاء الله اياهم لا يتقدم خروج القوم من قبورهم ولا يتاخر عنه وهذا فاسد لان من شرط حسن الامر ان يتقدم المامور به وكذلك القول فى الدعاء فلا يسلم ما قالوه وتاويل ما استشهدوا به على ما بيناه فى الاية سواء فى انه اخبار عن تسهيل الفعل وسرعة وقوعه وارادته لا ان يكون هناك دعاء على الحقيقة ثم يلزم على جميع ما ذكروه ان تكون الاشياء مطيعة لله تعالى لان الطاعة هى موافقة الامر من الاشياء التى قال لها كونى بان فعلت نفسها ويلزم ان يكون لها عقل وتمييز وكل ذلك فاسد فاما من استدل بهذه الاية ونظايرها على ان كلام الله قديم من حيث انه لو كان محدثا لاقتضى الا يحصل الا بكن والكلام فى كن كالكلام فيه الى ان ينتهى الى كن قديمة وهو كلام الله القديم فهذا باطل لانا قد بينا معنى الاية فلا يصح ما قالوه على ان الاية يقتضى حدوث كلامه من حيث اخبر ان المكونات تكون عقيب كن لان الفاء توجب التعقيب فاذا كانت الاشياء محدثة فما يتقدمها بوقت واحد لا يكون الا محدثا فبطل ما قالوه وايضا فانه قال اذا قضى امرا ومعناه خلق فبين انه يخلق الامر وقوله كن امر يوجب ان يكون محدثا ودلت الاية على نفى الولد عن الله من وجهين احدهما ان الذى ابدع السموات والارض من غير مثال هو الذى ابدع المسيح من غير والد والاخر ان من هذه صفته لا يجوز عليه اتخاذ الولد كما لا يجوز صفات النقص عليه تعالى عن ذلك واذا حملنا الاية على وجود المثال فوجود الخلق هو قوله كن الا انه خرج على تقدير فعلين كما يقال اذا تكلم فلان بشىء فانما كلامه مباح واذا امر بشىء فانما هو حتم وكما قال نابغة هتدى فتوبته هى اهتداؤه فلا يتعذر ان يقال كن قبله او معه ومتى حملنا ذلك على انه علامة للملئكة فانه يحتمل ان يكون معه ويحتمل ان يكون قبله كما يقول اذا قدم زيد قدم عمرو فانه يحتمل ان يكون وقتا للامرين معا الا انه اشبه الشرط كقوله ان جئتنى اعطيتك ولذلك دخلت الفاء فى الجواب كما يجىء فى الشرط كقوله ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل وكذلك يحتمل الاية الامرين ورفع قوله فيكون يحتمل امرين احدهما ان يكون عطفا على يقول والاخر على الاستيناف اى فهو يكون ونصبه على جواب الامر فلا يجوز لانه انما يجب الجواب بوجود الشرط فما كان على

فعلين فى الحقيقة كقولك ائتنى فاكرمك فالاتيان غير الاكرام فاما كن فيكون فالكون الحاصل هو الكون المامور به ومثله انما اقول له ائتنى فياتينى وقال ابو على الفارسى يجوز ذلك على وجه وهو على ان لفظه لما كان لفظ الامر نصب كما نصب جواب الامر وان كان الامر بخلافه كما قال ابو الحسن فى نحو قوله قل لعبادى الذين امنوا يقيموا الصلوة ويجوز ذلك فى الاى على انه اجرى مجرى جواب الامر وان لم يكن جوابا له فى الحقيقة وقد يكون اللفظ على شىء والمعنى على غيره نحو قولهم ما انت وزيد والمعنى لم تؤذيه وليس ذلك فى اللفظ ومثله فلا تكفر فيتعلمون ليس فيتعلمون جوابا لقوله فلا تكفر ولكن معناه يعلمون فيتعلمون او يعلمان فيتعلمون منهما غير ان قوله فلا تكفر نهى على الحقيقة وليس قوله كن امرا على الحقيقة فمن هيهنا ضعفت هذه القراءة **قوله تعالى** وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ اية بلا خلاف المعنى بهذه الاية فى قول مجاهد النصارى وفى قول ابن عباس اليهود وفى قول الحسن وقتادة مشركوا العرب وكل ذلك يحتمل غير انه لمشركى العرب اليق لانه شيا كل ما طلبوا حين قالوا لن نؤمن حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا الى قوله هل كنت الا بشرا رسولا ويقوى ذلك قوله وقال الذين لا يعلمون الكتاب فبين انهم ليسوا اهل كتاب فمن اخبر ان المراد بها النصارى قال لانه قال قبلها وقالوا اتخذ الله ولدا وهذا لا دلالة فيه ولا يمتنع ان يذكر قوما ويخبر عنهم ثم يستانف قوما اخرين فيخبر عنهم على ان مشركى العرب قد اضافوا الى الله البنات فدخلوا فى جملة من قال اتخذ الله ولدا ومعنى قوله لولا هلا كما قال الاشهب بن رميلة تعدون عقر النيب افضل مجدكم بنى ضوطرى لولا الكمى المقنعا اى هلا تعقرون الكمى المقنعا وانما قالوا او تاتينا اية وقد جاءتهم الايات لانهم طلبوا اية كما ان اية الرسل توافق دعوتهم ويكلمهم الله كما كلمهم الله والمعنى بقوله كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم اليهود على قول مجاهد وعلى قول قتادة والسدى والربيع اليهود والنصارى والضمير فى قوله تشابهت قلوبهم يعنى كناية عن قلوب اليهود والنصارى على قول مجاهد وعلى قول الربيع وقتادة عن العرب واليهود والنصارى وغيرهم فقوله تشابهت قلوبهم يعنى فى الكفر بالاعراض عن انبياء الله بالجهل لان اليهود قالت لموسى ارنا الله جهرة وقالت النصارى للمسيح انزل علينا مائدة من السماء وقالت العرب لمحمد ص حول لنا الصفا ذهبا وغير ذلك وكذلك قال الله تعالى اتواصوا به وما روى عن ابن اسحق انه قرا تشابهت بتشديد الشين خطا لان ذلك انما يجوز فى المضارع بمعنى تتشابه فادغم احدى التائين فى الشين هكذا قال الفراء وغيره من اهل العلم وقوله قد بينا الايات لقوم يوقنون معناه ابنّ بها قوم من حيث دلتهم على الحق فالواجب على كل هؤلاء ان يستدلوا بها ليصلوا الى اليقين كما وصل غيرهم اليه بها واليقين والعلم والمعرفة نظاير فى اللغة ونقيض الشك والجهل يقول ايقن ايقانا وتيقن تيقنا واستيقن استيقانا وقال الصاحب لعين اليقين النفس قال الشاعر وما بالذى ابصرته العيون من قطع ياس ولا من يقين واليقين علم ثلج به الصدر ولهذا يقولون اجد برد اليقين ولا يقولون وجد برد العلم فان قيل لم لم يؤتوا الايات التى طلبوها لتكون الحجة اكد قلنا اظهار الايات يعتبر فيه المصالح وليس هو موقوف على اقتراح العباد ولو علم الله ان ما اقترحوا من الايات فيه مصلحة لاظهرها فلما لم يظهرها علمنا انه لم يكن فيها مصلحة لنا اصلا **قوله تعالى** إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ اية بلا خلاف قرا نافع لا تسئل بفتح التاء وجزم اللام على النهى وروى ذلك عن ابى جعفر محمد بن على الباقر ع وابن عباس ذكر ذلك الفراء والبلخى الباقون على لفظ الخبر على ما لم يسم فاعله معنى قوله ولا تسئل عن اصحاب الجحيم تسلية للنبى ص فقيل له انما انت بشير ونذير ولست تسئل عن اصحاب الجحيم ومثله قوله فلا تذهب نفسك عليهم حسرات وقوله ليس عليك هداهم وقوله عليه ما حمل وعليكم ما حملتم وموضع فتسئل يحتمل امرين احدهما ان يكون استينافا ولا موضع له والاخر ان يكون حالا فيكون موضعه نصبا ذكر ذلك الزجاج لانه قال ارسلناك بالحق بشيرا ونذيرا غير مسئول عن اصحاب الجحيم ومن فتح التاء على الخبر

تقديره غير سائل وانكره قوم الحال واعتلوا بان في قراءة ابي وما تسئل وفي قراءة عبد الله ولن تسأل وهذا
غير صحيح لانه ليس قياس لا قياس وما الامر يجوز ان يسئلنا لا سائلا ولا يجوز ما سائلا فلذلك احتمل مع لا الحال
ولن يحتمل مع لن وما الامر لا تصرفا ليس لهما فيجوز ان يعمل ما قبلها فيما بعدها ولا يجوز ذلك فيهما يقول جئت بلا
خبر ولا يجوز بما خبر والجحيم النار بعينها اذا شبت وقودها قال امية بن ابي الصلت اذا شبت جهنم ثم زادت
واعرض عن قوابسها الجحيم فصار كالعلم على جهنم وقال صاحب العين الجحيم النار الشديدة التأجج والالتهاب
كما اججوا نار ابرهيم وهي تجحم جحوما يعني توقدت جمرها وجحم الحرب شدة القتل في معركها وقال سعيد بن مالك
ابن ضبيعة والحرب لا يبقى لجاحمها التخيل والمراح الا الفتى الصبار في النجدات والفرس الوقاح والجحمة العين
بلغة حمير قال الشاعر ايا جحمتي بكي على ام واهب اكيلة قلوب باحدى المذانب وجحمنا الاسد عينا
ويقول جحمت النار جحما اذا اضطرمت وجحجاح اذا اشتد اشتعاله ومنه اشتقاق الجحيم واصل الباب الالتهاب
ومنه الاجحم الشديد حمرة العين شبه بالنار في حمرتها والحرب تشبه بالتهاب النار وفي الاية دلالة على انه لا
يؤاخذ احد بذنب غيره قريبا كان منه او بعيدا كما بين الله انه لا يطالب احد بذنب غيره وان كان قد فرض على
النبي صلى الله عليه وآله ان يدعوا الى الحق ويزجر عن الباطل وليس عليه ان يقبل المدعو ومن قرا بلفظ النهي قال الزجاج
يحتمل امرين احدهما ان يكون امره بترك المسالة والاخر ما قاله الاخفش ان يكون المعنى على تفخيم ما اعد لهم من
العقاب كما يقال لا تسئل عن فلان اي قد صار الى امر عظيم وقال قوم لو كان على النهي لقال فلا بالفاء لانه
يصير بمنزلة الجواب كانه قيل لعلي لانا ارسلناك بالحق فلا تسئل عن اصحاب الجحيم ولا يحتاج في الرفع الى الفاء
واذا كان على الرفع فظاهر الكلام الاول يقتضيه اقتضاء الاحوال او اقتضاء البيان الذي يجري مجرى الحجاج
على من اعترض بان فعل الداعي الى الايمان لا يجل موقعه الا بان يقبل المدعو اليه واما ايضا لانه ما تقدم على
الجزم فانما هو على معنى التغليظ لشان الجحيم ليرجع بذلك عن ترك اتباعه صلى الله عليه وآله والتصديق بما اتى به من البشارة
قال ابو علي الفارسي انما يلزم الفاء اذا كان الكلام الاول علة فيما بعد ذلك كقولك اعطيك فرسا ما لا افعل ان سألتني
شيئا اخر والاية بخلاف ذلك وفي الناس من قال القراءة بالجزم مردودة لانه لم يتوجه له اتصال الكلام ولا
كيف جاء بالواو دون الفاء وقد بينا الاتصال فاما المجيء بالواو فلانه لم يرد الدلالة على معنى الجواب لكن
عطف جملة على جملة تتعلق بها وتقتضي على ما انطوى عليه معناها ومعنى الحق في قوله انا ارسلناك بالحق
الاسلام بشيرا من اتبعك عليه بالثواب نذيرا من خالفك غيره بالعقاب وقيل انا ارسلناك بالحق يعني على
الحق كما قال خلق الله السموات والارض بالحق كانه قال على انهما حق لا باطل **قوله تعالى** وَلَنْ تَرْضَىٰ
عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ
بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ اية قيل في معنى هذه الاية قولان احدهما
ان النبي صلى الله عليه وآله كان مجتهدا في طلب ما يرضيهم ليقبلوا الى الاسلام ويتركوا القتال فقيل له دع ما يرضيهم
الى ما امرك الله به من مجاهدتهم والاخر قال الزجاج كانوا يسئلونه صلى الله عليه وآله الهدنة والمسالمة ويرونه انه ان
امهلهم اسلموا فاعلمه الله انهم لن يرضوا عنه حتى تتبع ملتهم وهذه الاية تدل انه لا يصح ارضاء اليهود
ولا النصارى على حال لانه صلى الله عليه وآله علقه بان اليهود والنصارى لا يرضون عنه حتى يكون صلى الله عليه وآله يهوديا
والنصارى لا يرضون عنه حتى يكون نصرانيا فمحال ان يكون يهوديا نصرانيا في حال استحال ارضاؤهم
بذلك والرضا والمحبة والمودة نظاير وضد الرضا الغضب ويقال رضي يرضى رضى وارضاه ارضاء
وارتضاه ارتضاء واسترضاه وترضاه ترضيا وتراضوا تراضيا والرضي والمرضي بمعنى واحد والرضا
مقصور من بنات الواو ولذلك قيل الرضوان تقول رجل رضا ورجال رضا وامراة رضا ونساء رضى واصل الباب
الرضى نقيض الغضب وقوله حتى تتبع ملتهم فالملة والنحلة والديانة نظاير ويقول وجد فلان ملة
وملا لا وهو حر وحى الحمى وتململ الشيء امله ملا الا وملاه له وملا اذا سئمته ومللت الخبزة املها ملا
اذا دفنتها في الجمر والجمر بعينه الملة وقال صاحب العين الملة الرماد والجمر وكل شيء تمله في الجمر فهو مملول

قال

قال الشاعر في وصف الحرباء كان ضاحيه في النار مملول والمملوك المثل من الملة وطريق مهمل مليل قد
سلك حتى صار معلما وملة رسول الله الامر الذي اوضحه واملل الرجل اذا اخذ في ملة الاسلام اي
قصدها ما امل منه والاملال املال الكتاب ليكتب والمليلة من الحمى حموة فترة واصل الباب الملة وهي الحمى
و قوله قل ان هدى الله هو الهدى معناه هو الذي يهدي الى الجنة لا اليهودية ولا النصرانية وقيل ان
معناه الدعاء الى هدى الله الذي يكذب قولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وهي الادلة الواضحة
على ان المطيع لله هو الذي يفوز بثوابه في الجنة لا من ذكروه من العصاة وهذه الاية تدل على انه من علم
الله منه انه لا يعصي نبيا وله الوعيد والزجر لانه صلى الله عليه وآله علم ان النبي صلى الله عليه وآله لا يعصيه ولا يتبع اهواءهم وفيها دلالة
على ان كل من اتبع الكفار على كفرهم فما له من الله من ولي ولا نصير لانه اذا وجب ذلك في متبع واحد وجب
ذلك في الجميع حتى تتبع نصبه بحتى وحكى الزجاج عن الخليل وسيبويه وجميع البصريين ان الناصب للفعل ان
بعد حتى لان حتى تخفض الاسم في قوله حتى مطلع الفجر ولا يعرف في العربية حرف يعمل في اسم وفعل ولا ما يكون
خافضا الاسم يكون ناصبا للفعل فصار ذلك مثل قولك جاء زيد ليضربك فانها تنصب الفعل باضمار ان
لكونها جارة للاسم **قوله تعالى** الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ
وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ اية بلا خلاف المعني بهذه الاية في قول قتادة واختيار الجبائي
اصحاب النبي صلى الله عليه وآله الذين امنوا بالقران وصدقوا به وقال ابن زيد هو من امن بالنبي صلى الله عليه وآله من بني اسرائيل والكتاب
على قوله التورية ومعنى قوله يتلونه حق تلاوته قال ابن عباس يتبعونه حق اتباعه ولا يحرفونه ثم يعملون بحلاله
ويقفون عند حرامه ومثله قوله والقمر اذا تلاها اي يتبعها وبه قال ابن مسعود ومجاهد وقتادة وعطا
وروي عن ابي عبد الله صلى الله عليه وآله حق تلاوته الوقوف عند ذكر الجنة والنار يسئل في الاولى ويستعيذ من الاخرى
وقال قوم يتلونه حق تلاوته يقرؤونه حق قراءته والتلاوة في اللغة على وجهين احدهما القراءة والثاني
الاتباع والاول اقوى وعليه اكثر المفسرين ولا يجوز ان يقال يتلونه حق التلاوة على مذهب الكوفيين
كما لا يجوز يتلونه اي التلاوة لان ايا اذا كانت مدحا وقع على النكرة ولم يقع على المعرفة فلا يجوز مررت
بالرجل حق الرجل وكما لا يجوز مررت بالرجل اي الرجل وكما لا يجوز مررت بابي عبد الله ابي زيد وانما
جاز تلاوته كما يجوز ثوب رجل واخيه وقال بعض البصريين يجوز مررت بالرجل حق الرجل ولا يجوز مع اي لان
ايا تدل على التبعيض وليس كذلك حق فاما مررت بالرجل كل الرجل فجائز عند الجميع لان اصله التوكيد
فنزل على حاله والمعنى بقوله ومن يكفر به اليهود على قول ابن زيد والاولى ان يكون ذلك محمولا على
عمومه في جميع الكفار وبه قال الجبائي واكثر المفسرين **قوله تعالى** يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي
أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ اية واحدة هذا خطاب من الله لبني اسرائيل الذين كانوا في
عهد رسول الله صلى الله عليه وآله امرهم الله ان يذكروا نعمته التي انعم بها عليهم والنعمة النفع الذي يستحق به الشكر
والانعام والاحسان والافضال نظاير ونقيض النعمة النقمة وهو الضر المستحق ومعنى قوله واني فضلتكم
على العالمين يعني عالمي زمانهم وتفضيله اياهم بان جعل فيهم النبوة والحكم وهذه الاية قد تقدم ذكر
مثلها في راس نيف واربعين وقيل في سبب تكريرها ثلثة اقوال احدها ان نعم الله لما كانت الاصل الذي
به يجب شكره وعبادته ذكرهم بها ليقبلوا الى طاعته واتباع امره وليكون مبالغة في استدعائهم الى
ما يلزمهم لربهم التظاهر بالنعم عليهم والثاني انه لما ذكر الكتاب وعنى به التورية وكان فيه الدلالة
على شان عيسى ومحمد صلى الله عليه وآله في النبوة والبشارة المتقدمة ذكرهم عز وجل بما انعم به عليهم من ذلك فضلهم
كما جاء فباي آلاء ربكما تكذبان بعد نعم ذكرهم بها ثم عدد نعما اخر وقال فيها فباي آلاء ربكما تكذبان
اي فباي هذه تكذبان وكل تقريع جاء فانما هو موصول بتذكير نعمة غير الاولى والثالثة غير الثانية وهكذا
الى اخر السورة وكذلك الوعيد في سورة المرسلات بقوله ويل يومئذ للمكذبين انما هو بعد الدلالة على
اعمال يعظم التكذيب بما تدعوا اليه الادلة والثالث انه مقدمة لما بعده لانه صلى الله عليه وآله لما اراد وعظهم ذكرهم قبل

ذلك

ذلك بالنعم عليهم لانه استدعاء الى قبول الوعظ لهم وقيل فيه وجه رابع وهو انه لما تباعد بين الكلامين
حسن التنبيه والتذكير وموضع التي نصب بالعطف على نعمتي **قوله تعـ** وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ
عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ اية بلا خلاف ومثل هذه الاية
ايضا تقدم وبينا ما فيها فلا معنى للتكرار وبينا ان العدل هو الفدية وقيل هو المثل ويقال هذا عدله اى
مثله والعدل هو الجمل وبينا قول من يقول ان الشفاعة لا يكون لا لمرتكبي الكباير اذا ماتوا مصرين فان قلنا
ظاهر الاية متروك بالاجماع لانه لا خلاف ان ههنا شفاعة نافعة والاية تقتضي نفيها وان خصوا بانها لا
تنفع المصرين وانما ينفع التائبين قلنا لنا ان نخصها بالكافرين دون فلول المسلمين واما قوله لا يشفعون الا
لمن ارتضى فنتكلم عليه اذا انتهينا اليه ومن قال انه ليس يعني انه يشفع لها شافع فلا تنفع شفاعته لكنه يريد
لا تاتى بمن يشفع لها كما قال الشاعر على لاحب لا يهتدى بمناره وانما اراد به لا منار هناك فيهتدى به لا
يضرنا لانا لا نقول ان هناك شفاعة يحصل ولا ينفع بل نقول ان الشفاعة اذا حصلت من النبي وغيره فانها
تنفع لا محالة وكذلك عند المخالف وان قلنا انها تنفع في اسقاط المضار وقالوا هم في زيادة المنافع خيرانا
انقضا على انها تحصل لا محالة اذ لسنا ممن ينفى حصول الشفاعة اصلا **قوله تعـ** وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ
بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ اية بلا
خلاف اسكن الياء من عهدى حمزة وحفص الا ابن ساهي وكتب في بعض المصاحف ابرهيم بغير ياء وفي اكثرها
بالياء قال بعض الحرميين نحو وشنا على عهد ابرهيم وقرا ابن عامر ابراهام في خمسة وثلثين موضعا في
القران كله في البقرة خمسة عشر موضعا وهو جميع ما فيها تقدير الاية واذكروا اذا ابتلى ابرهيم ربه بكلمات
والابتلاء هو الاختبار وهو مجاز ههنا لان حقيقته الامر من الله تع بخصال الايمان فسمى ذلك اختبارا لان
ما يستعمل بالامر منا في مثل ذلك على جهة الاختبار والامتحان فجرى تشبيها بما يستعمله اهل اللغة عليه وقال
ابن الاخشاد انما ذلك على انه جل ثناؤه يعامل العبد معاملة المختبر الذي لا يعلم لانه لو جازاهم بعلمه فيهم كان
ظالما لهم والكلمات التي ابتلى الله ابرهيم بها فيها خلاف فروى في بعض الروايات عن ابن عباس وبه قال قتادة
وابو الخلد انه امره اياه بعشرة سنن خمس في الراس وخمس في الجسد فاما التي في الراس فالمضمضة والاستنشاق
والفرق وقص المشارب والسواك واما التي في الجسد فالختان وحلق العانة وتقليم الاظفار ونتف الابطين
والاستنجاء وفي اخرى الروايتين عن ابن عباس انه ابتلاه من شرايع الاسلام بثلثين شيا عشرة منها في
براءة التائبون العابدون الحامدون الى اخرها وعشرة في الاحزاب ان المسلمين والمسلمات الى اخرها وعشرة
في سورة المؤمنين الى قوله والذين هم على صلوتهم يحافظون وعشرة في سال سائل الى قوله والذين هم على
صلوتهم يحافظون فجعلها اربعين سهما وفي رواية ثالثة عن ابن عباس انه امره بمناسك الحج الوقوف بعرفة
والطواف والسعي بين الصفا والمروة والافاضة قال الحسن ابتلاه الله بالكوكب وبالقمر وبالشمس وبالختان
وبذبح ابنه وبالنار وبالهجرة وكلهن وفى لله فيهن وقال مجاهد ابتلاه الله بالايات التي بعدها وهي اني
جاعلك للناس اماما قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين وقال الجبائي اراد بذلك كلما من
طاعاته العقلية والشرعية وقوله فاتمهن معناه وفى بهن على قول الحسن وقال قتادة والربيع عمل بهن
فاتمهن وقال البلخي الضمير في اتمهن راجع الى الله وهو اختيار الحسين بن علي المغربي قال البلخي الكلمات
هي الامامة على ما قال مجاهد قال لان الكلام متصل ولم يفصل بين قوله اني جاعلك للناس اماما وبين
ما تقدمه بواو فاتمهن الله بان اوجب بها الامامة له بطاعته واضطلاعه ومنع ان ينال العهد الظالمين
من ذريته واخبره بان منهم ظالما فرضي به واطاعه وكل ذلك ابتلاء واختبار والتمام والكمال والوفاء
نظاير وضد التمام النقصان يقال تم تماما واتم اتماما واستتم استتماما وتمم تتميما وتتمة وتتمة كل شيء
ما يكون تمامه بغايته كقولك هذه الدراهم تمام هذه المائة وتتمة هذه المائة التم الشيء التام يقول جعلته
لك تماما اى بتمامه والتميمة قلادة من سيور وربما جعلت فيها العوذ تعلق على الصبيان والليلة التام الطول

ليلة في السنة ويقال بل ليل التمام لثلث عشرة لانه يستبان فيها نقصانها من زيادتها ويقال بل ليلة الربع
اربع عشرة لانه يتم فيها القمر فيصير بدرا ويقال حملته لتمام بفتح التاء وكسرها والتمام في لغة تميم هو التمام
وقال ابن دريد امراة حبلى ميتم وولدت الغلام اتم وتمام وبدر تمام وليل تمام بالكسر فيهن وما بعد هذا فهو
تمام بالفتح واصل الباب التمام وهو الكمال وقوله من ذريتي معناه واجعل من ذريتي من يوتم به ويقتدى به
على قول الربيع واكثر المفسرين وقال بعضهم معناه انه سئل لعقبه ان يكونوا على عهده ودرسه كما قال واجنبني
وبني ان نعبد الاصنام فاخبره الله ان في عقبه الظالم المخالف له وذريته بقوله لا ينال عهدي الظالمين والاول
اظهر وقال الجبائي قوله ومن ذريتي سؤال منه لله ان يعرفه هل في ذريته من يبعثه نبيا كما بعثه هو وجعله
اماما وهذا الذي قاله ليس في الكلام ما يدل عليه بل الظاهر خلافه ولو احتمل ذلك لم يمتنع ان يضيف الى
ذلك مسئلة منه لله ان يفعل ذلك بذريته مع سؤاله تعريفه ذلك والذرية والنسل والولد نظاير واراد
ابرهيم ع هذا وقال بعضهم عبر بالذرية عن الاباء قال تع وآية لهم انا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون اى
اباءهم وهذا ليس بواضح وبعض العرب ذرية بكسر الذال وبها قرا زيد بن ثابت قال صاحب العين الذر
صغار النمل واحده ذرة والذر اخذك الشيء باطراف اصابعك تقول ذررت الدواء اذره ذرا وكذلك الملح
وغيره واسم الدواء الذي يتخذ للعين ذرور والذريرة ذات قصب الطيب هو قصب يجاء به من الهند كانه
قصب النشاب والذرارة ما تناثر من الشيء الذي تذره والذرية فعيلة من ذررت لان الله تع ذرهم في الارض
فنثرهم فيها كما ان السرية من سررت والجمع الذراري والسراري وقال اشهر وان خففت جاز والذرور
ذرور الشمس فهو يذر ذرورا وذلك اول طلوعها وسقوطها الى الارض والشجر ويقول ذو قرن الشمس
اى طلع واصل الباب الذر وهو التفرقة وقوله لا ينال عهدي والنيل واللحاق والادراك نظاير والنيل
النوال ما نلته من معروف انسان وانا له معروفة ونوله اعطاه نوالا الطرفة ان تنوله فقد تمنعه
وتربة النجم تجرى بالظهر وقولهم نولك ان تفعل ذلك معناه حقك ان تفعل والنول خشبة الحايك التي
ينسج الوشايع عليه ونحوها واذا نه المنصوبة ايضا يسمى النوال واصل الباب النيل وهو اللحوق والمراد بالعهد
ههنا فيه خلاف قال السدي واختاره الجبائي انه اراد النبوة وقال مجاهد هو الامامة وهو المروي عن ابي جعفر
وابي عبد الله ع قالوا لا يكون الظالم اماما وقال ابو حنيفة لا تتخذا اماما ضالا في الدنيا وقيل معناه الامر
بالوفاء له فيما عقده من ظلمه وقال ابن عباس فاذا عقد عليك في ظلم فانقضه وقال الحسن ليس لهم عند الله
عهد يعطيهم عليه خيرا في الاخرة فاما في الدنيا فقد يعاهدون فيوفى لهم وكانه على هذا التاويل طاعة يحسب
بها في الاخرة وقوله لا ينال عهدي الظالمين يدل على انه يجوز ان يعطي ذلك بعض ولده اذ لو لم يكن ظالما لانه
لو لم يرد ان يجعل احدا منهم اماما للناس كان يجب ان يقول في الجواب لا ولا ينال عهدي ذريتك كما يجوز
ان يقول في العربية لا ينال عهدي الظالمون لان ما نالك فقد نلته وروى ذلك في قراءة ابن مسعود الا انه
في المصحف بالياء يقول نالني خيرك ونلت خيرك واستدل اصحابنا بهذه الاية على ان الامام لا يكون الا
معصوما من القبايح لان الله تع نفى ان ينال عهده الذي هو الامامة ظالم ومن ليس بمعصوم فهو ظالم
اما لنفسه او لغيره فان قيل انما نفى ان يناله ظالم في حال كونه كذلك فاما اذا تاب واناب فلا يسمى ظالما فلا
يمتنع ان ينال قلنا اذا تاب لا يخرج من ان يكون الاية تناولته في حال كونه ظالما فاذا نفى ان يناله فقد حكم عليه
بانه لا ينالها ولم يفيد بانه لا ينالها في هذه الحال دون غيرها فيجب ان يحمل الاية على عموم الاوقات في ذلك ولا
ينالها وان تاب فيما بعد واستدلوا بها ايضا على ان منزلة الامامة منفصلة من النبوة لان الله خاطب ابرهيم ع و
هو نبي فقال له انه سيجعله اماما جزاء له على اتمامه ما ابتلاه الله به من الكلمات ولو كان اماما في الحال لما كان
للكلام معنى فدل ذلك على ان منزلة الامامة منفصلة من النبوة وانما اراد الله ان يجمعهما لابرهيم ع وقد املينا
مسئلة مفردة في الفرق بين النبي والامام وان النبي قد لا يكون اماما على بعض الوجوه فاما الامام فلا شك انه
يكون غير نبي واوضحنا القول في ذلك من اراده وقف عليه من هناك وابرهيم وابرهم لغتان واصله ابراهام فحذف

الالف استخفافا قال الشاعر   حلفت بما حاذ به ابرهيم   وقال امية مع ابرهيم التقي وموسى **قوله تعـ** وَاِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَاَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ اِبْرٰهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا اِلَى اِبْرٰهِيمَ وَاِسْمٰعِيلَ اَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ اية واحدة قرا نافع وابن عامر واتخذوا على لفظ الخبر والباقون بلفظ الامر قوله واذ جعلنا عطف على قوله واذ ابتلى ابرهيم ربه وذلك معطوف على قوله يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واذكروا اذ ابتلى ابرهيم ربه واذ جعلنا البيت مثابة والبيت الذي جعله مثابة هو البيت الحرام والبيت في اللغة والمنزل والماوى نظاير يقال بات يبيت بيتوتة وبيتة مبايتة وتبيت تبيتا وتبايتوا تباتيا والبيت من ابيات الشعر ومن بيوت الناس والبيت من بيوتات العرب اخيارها وبيت فلان ابيات تبييتا اذا بناها والبيتوتة الدخول في الليل تقول بت افعل كذا ونالها وظللت وباتوا بيتوتة حسنة واباتهم الله اباتة واباتهم الامر بياتا كل ذلك دخول الليل وليس من النوم في شئ وما عنده بيت ليلة ولا بيتة ليلة بكسر الباء يعني القوة والله يكتب ما يبيتون عمل الليل وبيتنا القوم اذا اوقعت فيهم ليلا والمصدر التبييت والاسم البيات ومنه قوله باسنا بياتا ويسمى البيت من الشعر بيتا لضمه الحروف والكلام كما يضم البيت اهله وامراة الرجل بيته قال الراجز   مالي اذا اخذتها صايت   اكبر قد عالني بيت   وعاء ببوت اذا بات ليلة في اناثه   واصل الباب البيت المنزل وقوله مثابة في معناه خلاف قال الحسن يثوبون اليه كل عام اي ليس هو مرة في الزمان فقط وقال ابن عباس معناه انه لا ينصرف عنه احد وهو يرى انه قد قضى منه وطرا فهم يعودون اليه وقال ابو جعفر ع يرجعون اليه لا يقضون منه وطرا وبه قال مجاهد وحكي الخازني ان معناه الحجون اليه فيثابون عليه وقال الجبائي يثوبون اليه يصيرون اليه والفرق بين مثابة ومثاب ان الاخفش قال مثابة للمبالغة لما كثر من يثوب اليه كما قيل علامة ونسابة وسيارة وقال الفراء والزجاج معناهما واحد كالمقامة والمقام بمعنى واحد ووزن مثابة مفعلة واصلها مثوبة من ثاب يثوب مثابة ومثابا وثوابا اذا رجع فنقلت حركة الواو الى الياء ثم قلبت على ما قبلها قال ورقة بن نوفل في صفة الحرم   مثاب لافناء القبائل كلها   تخب اليه اليعملات الطلايح   ومنه ثاب اليه عقله اي رجع اليه بعد عزوبه وقوله وامنا الامن مصدر وقولك امن يامن امنا وانما جعله امنا بان حكم ان من عاذ به والتجئ لا يخاف على نفسه ما دام فيه بما جعله في نفوس العرب من تعظيمه فكان من فيه امنا على ماله ودمه ويتخطف الناس من حوله كما قال اولم يروا انا جعلنا حرما امنا ويتخطف الناس من حولهم ولعظم حرمته ان من جنى جناية والتجا اليه لا يقام عليه الحد حتى يخرج لكن يضيق عليه في المطعم والمشرب والبيع والشراء حتى يخرج منه فيقام عليه الحد فان احدث فيه ما يوجب الحد اقيم عليه فيه لانه هتك حرمة الحرم ولان الله تعالى جعل الاشهر الحرم لا يحل فيها القتال والقتل وكل ذلك بسبب البيت الحرام فهو امن بهذه الوجوه وقوله واتخذوا من مقام ابرهيم اكثر القراء على لفظ الامر الا ابن عامر ونافع فانهما قرا على لفظ الخبر من فعل ماض ويحتمل ان يكون اللفظ معطوفا على قوله واذكروا كانه قال يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي واتخذوا من مقام ابرهيم مصلى وقال الربيع بن انس من الكلمات التي ابتلى ابرهيم ربه قوله واتخذوا من مقام ابرهيم مصلى وكانه قال اني جاعلك للناس اماما وقال اتخذوا من مقام ابرهيم وقيل انه معطوف على واذ جعلنا البيت لان معناه واذكروا اذ جعلنا البيت واتخذوا وقيل انه معطوف على معنى جعلنا البيت مثابة للناس لان فيه معنى ثوبوا اليه واتخذوا وظاهر قوله واتخذوا انه عام لجميع المكلفين الا من خصه الدليل وعليه اكثر المفسرين وقال ابو علي الفارسي وجه قراءة من قرا على الخبر انه عطف على ما اضيف اليه اذ كانه قال واذ اتخذوا وقال وتقويته قوله ان ما بعده خبر وهو قوله وعهدنا الى ابرهيم واسمعيل والمعنى بقوله من مقام قيل فيه اربعة اقوال احدها قال ابن عباس الحج كله مقام ابرهيم وقال عطا مقام ابرهيم عرفة والمزدلفة والجمار وقال مجاهد الحرم كله مقام ابرهيم وقال السدي مقام ابرهيم هو الحجر الذي كانت زوجة اسمعيل وضعته تحت قدم ابرهيم حين غسلت راسه فوضع ابرهيم رجله عليه وهو راكب فغسلت شقه ثم رفعته من تحته وقد غابت رجله في الحجر فوضعته تحت الشق الاخر فغسلته فغابت ايضا رجله فيه فجعلها الله

من شعايره فقال واتخذوا من مقام ابرهيم مصلى وبه قال الحسن وقتادة والربيع واختاره الجبائي والرماني وهو الظاهر في اخبارنا وهو الاقوى لان مقام ابرهيم اذا اطلق لا يفهم منه الا المقام المعروف الذي هو في المسجد الحرام وفي المقام دلالة على نبوة ابرهيم ع لان الله تعالى جعل الصخرة تحت قدمه كالطين حتى دخلت قدمه فيها وكان ذلك معجزة له وقيل في معنى قوله مصلى ثلثة اقوال قال مجاهد مدعى ماخوذ من صليت بمعنى دعوت وقال الحسن والجبائي قبلة وقال قتادة والسدي امروا ان يصلوا عنده وهو المروي في اخبارنا وبذلك استدلوا على ان الصلوة الطواف فريضة مثله لان الله تعالى امر بذلك والامر يقتضي الوجوب وليس ههنا صلوة يجب اداؤها عنده غير هذه بلا خلاف وقوله وعهدنا الى ابرهيم واسمعيل اي امرنا ان طهرا قال الجبائي امرا ان يطهرا من فرث ودم كان يطرحه عنده المشركون قبل ان يصير في يد ابرهيم ويجوز ان يريد طهراه من الاصنام والاوثان التي كانت عليه للمشركين قبل ان يصير في يد ابرهيم وبه قال قتادة ومجاهد وقال السدي طهراه بنيانا بكماله على الطهارة كما قال افمن اسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير والطايف والداير والجايل نظاير طاف يطوف طوافا اذا دار حول الشئ واطاف به اطافة اذا الم به وطوف تطويفا والطوف خشب او قصب يجمع بعضه الى بعض يركب عليه في البحر والطوفان مصدر طاف يطوف طوفانا فاما طاف بالبيت فهو طواف واطاف به اذا احاط به والطايف العاس والطوافون المماليك كقوله طوافون عليكم والطايف طايف الجن والشيطان وكل شئ يغشى العقلية من وسواسه فهو طيف والطايفة من كل شئ قطعة يقول طايفة من الناس وطايفة من الليل قال الله تعالى وطايفة من الذين معك واصل الباب الطوف الدور ومعنى الطايفين ههنا قيل فيه قولان احدهما ما قال سعيد بن جبير الطايفين من اتاه من غربة والثاني قال عطا واختاره الجبائي وغيرهم الطايفون بالبيت هو الاصح وقوله والعاكفين ههنا قيل فيه اربعة اقوال قال عطا واختاره الجبائي هم المقيمون بحضرته والثالث قال مجاهد وعكرمة هم المجاورون وقال سعيد بن جبير وقتادة انهم اهل البلد الحرام والرابع قال ابن عباس هم المصلون والاول اقوى لانه المفهوم من اطلاق هذه اللفظة قال النابغة   عكوفا على ابياتهم يثمدونها   رمى الله في تلك الاكف الكوانع   والعكف واللزوم والدوام على الشئ نظاير يقول عكف يعكف ويعكف عكفا وعكوفا اذا لزم الشئ واقام عليه فهو عاكف وعكف الطير بالقتيل والعاكف المعتكف في المسجد قل ما يقولون عكف وانما قيل كان صوابا وانما يقولون اعتكف ويقال للنظم اذا نظم فيه الجوهر عكف تعكيفا والمعكوف المحبوس واصل الباب العكف وهو اللزوم والمعنى بقوله والركع السجود قال قتادة وعطا هم الذين يصلون عند الكعبة يركعون عندها ويسجدون وقال الحسن والركع السجود جميع المؤمنين وبه قال الفراء وهو الاقوى لانه العموم فان قيل كيف امر الله تعالى ان يطهر بيته ولم يكن هناك بيت بعد قيل معناه ابنيا لي بيتا مطهرا في قول السدي وقال عطا معناه طهرا مكان البيت الذي بنيا فيما بعد وفي الاية دلالة على ان الصلوة جوف البيت جايزة **قوله تعـ** وَاِذْ قَالَ اِبْرٰهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هٰذَا بَلَدًا اٰمِنًا وَارْزُقْ اَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ اٰمَنَ مِنْهُمْ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْاٰخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَاُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ اَضْطَرُّهُ اِلٰى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ اية التقدير واذكروا اذ قال ابرهيم رب اجعل هذا بلدا امنا فان قيل هل كان الحرم امنا قبل دعوة ابرهيم قيل فيه خلاف قال مجاهد عن ابن عباس وابو شريح الخزاعي كان امنا لقول النبي ص حين فتح مكة هذه حرم حرمها الله يوم خلق السموات والارض وهو الظاهر في رواياتنا وقال قوم كانت قبل دعوة ابرهيم كساير البلاد وانما صارت حرما بعد دعوته ع كما صارت المدينة لما روي ان النبي ص قال ان ابرهيم حرم مكة واني حرمت المدينة وقال بعضهم كانت حراما والدعوة بوجه غير الوجه الذي صارت به حراما بعد الدعوة والاول بمنع الله اياها من الاصطلام والانتقال كما لحق غيرها من البلاد وبما جعل في النفوس من تعظيمها والهيبة لها والوجه الثاني بالامر على السنة الرسل فاجابه الله الى ما سال وانما سال ان يجعلها امنا من الجدب والقحط لانه اسكن اهله بواد غير ذي زرع ولا ضرع ولم يسئله امنه من انتقال وخسف لانه كان امنا من ذلك وقال قوم سال له

الامرين على ان يب بمهماله وان كان احدهما مستانفا والاخر كان قبل ومعنى قوله بلدا امنا اى يامنون فيه
كما يقال ليل نايم اى النوم فيه والبلد والمصر والمدينة نظاير ورجل بليد اذا كان بعيدا لفطنة وكذلك يقال
للدابة التى تقصر عن نظايرها واصل البلادة التاثير ومن ذلك قولهم لكركرة البعير بلدة لانه اذا ترك اثرت و
البلد الاثر فى الجلد وغيره وجمعه ابلاد وانما سميت البلاد من قولك بلدا وبلدة لانها مواضع مواطن الناس
وتاثيرهم والبلد المقبرة ويقال هو نفس القبر قال الحفاف كل امرء نازل اجنّة ومسلم وجهه الى البلد
ولا اقسم بهذا البلد يعنى بمكة والتبلد نقيض التجلد وهو استكانة وخضوع وتبلّد الرجل اذا نكس وضعف
فى العمر وغيره حتى فى السجود والبلدة منزل من منازل القمر واصل الباب البلد وهو الاثر فى الجلد وغيره وقوله
فامتعه قليلا يعنى بالرزق الذى ارزقه الى وقت مماته وقيل فامتعه بالبقاء فى الدنيا وقال الحسن فامتعه بالامن
والرزق الى خروج محمد فيقتله ان اقام على كفره او الجلية عنها وقد قرى فى الشواذ فامتعه على وجه الدعاء
بصورة الامر ثم اضطره بمثل ذلك على ان يكون ذلك سوال ابراهيم ان تمتع الكافر قليلا ثم يضطره بعد ذلك
الى عذاب النار والاول اجود لانه قراءة الجماعة هذا مروى عن ابن عباس والراء مفتوحة فى هذه القراءة وكان
يجب ان تكسر كما يقال مد ومده لم يقرأ به احد وقرا ابن عباس وحده فامتعه قليلا من المتعه على الخبر الباقون بالتشديد
بلا الف قوله متعناهم الحين والفرق بين متعت وامتعت ان التشديد يدل على تكثير الفعل وليس كذلك التخفيف وفعلت
افعلت يجى على خمسة اقسام احدها ان يكونا بمعنى واحد كقولهم سمينه وسميت ويجى على التكثير والقليل ويجى على
النقص كقولك فرطت فيصرت وافرطت جاوزت والرابع توليت الفعل وتركته حتى يقع كقوله يخربون بيوتهم اى
يهدمون فاما اخربت فتعنا تركت المنزل وهربت منه حتى خرب والخامس ان ينفرد احدهما عن الاخر كقولك كلمت
لا يقال فيه افعلت واجلست لا يقال منه فعلت ومعنى ثم اضطره ادفعه الى عذاب النار واسوقه اليها والاضطرار
هو الفعل فى الغير على وجه لا يمكنه الانفكاك منه اذا كان من جنس مقدوره ولهذا لا يقال فلان مضطر الى كونه
وان كان لا يمكنه دفعه عن نفسه لما لم يكن الكون من جنس مقدوره ويقال هو مضطر الى حركة الفالج وحركة
العروق لما كانت الحركة من جنس مقدوره و قوله وبئس المصير هو الحال التى يؤدى اليها اوّلها فصار وحال
وال نظاير يقال صار يصير مصيرا قياسه رجع يرجع رجعا وصيره تصييرا قال صاحب العين صير كل امر مصيره
والصيرورة مصدر صار يصير صيرورة وقال بعضهم صور الامر اخره قال الكميت يمدح هشام ابن عبد الملك
ملك لم يصنع الله منه وبل امر ولم يضيع صيورا وصارة الجبل راسه والصير الشق وفى الحديث من
نظر فى صير باب ففقيت عينه فهى هدر وصير البقر موضع يتخذه الحضرة واذا كان للغنم فهو ذريبة و
اصل الباب المصير وهو المآل ومعنى الاية سال سوال عارف بالله مطيع له وهو ان يرزق من الثمرات من
امن بالله واليوم الاخر فاجاب الله ذلك ثم اعلمه انه يمنع من كفر به لاجل الدنيا ولا يمنعه من ذلك كما يتفضل
به على المؤمن ثم يضطره فى الاخرة الى عذاب النار وبئس المصير وهى كما قال نعوذ بالله منها وقوله فى الاية
قليلا يحتمل ان يكون صفة للمصدر كما قال عنا حاحسنا فوصفه المصدر وليس لاحد ان يقول كيف يوصف
به المصدر وهو فعل يدل على التكثير وكيف يستقيم وصف الكثير بالقليل فى قوله فامتعه وهلا كانت قراءة
ابن عامر ارجح على هذا وذلك ايضا انما وصفه بانه قليل من حيث كان اخره الى نفاد ونقص وفناء كما قال متاع
الدنيا قليل ويجوز ايضا ان يكون صفة للزمان كما قال عما قليل ليصبحن نادمين يعنى بعد زمان قليل وعن ابى
جعفر فى قوله وارزقهم من الثمرات اى تحمل اليهم من الافاق **قوله تعالى** وَاِذْ يَرْفَعُ اِبْرٰهِيمُ الْقَوَاعِدَ
مِنَ الْبَيْتِ وَاِسْمٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا اِنَّكَ اَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ اية تقديره واذ يرفع ابرهيم القواعد
والرفع والاعلاء والاصعاد نظاير ونقيض الرفع الوضع ونقيض العلو السفل ونقيض الاصعاد الانزال
يقول رفع يرفع رفعا وارتفع الشئ نفسه وبرق رافع ساطع والمرفوع من سير الفرس والبرذون دون
الحضر وفوق الموضوع ويقال انه لحسن الموضوع ويقال ارفع من دابتك وقد رفع الرجل يرفع رفاعة
فهو رفيع والمراة رفيعة والحمار يرفع فى عدوه ترفيعا اذا كان عدوه بعضه ارفع من بعض وكذلك لو احدث

شيئا فرفعته الاول فالاول قلت رفعته ترفيعا اذا كان عدوه بعضه ارفع من بعض فالرفع نقيض الخفض
فى كل شئ والرفعة نقيض الذلة ورفعته الى السلطان رفعا اى قربته اليه وفى التنزيل وفرش مرفوعة
اى مقربة والمرفع كل شئ رفعته شيئا فجعلته عليه واصل الباب الرفع نقيض الخفض تقول رفع رفعا وارتفع
ارتفاعا ورفع ترفيعا وترافعوا ترافعا وترفّع ترفّعا ورافعه مرافعة والقواعد واحدها قاعدة قال الزجاج
اصله فى اللغة الثبوت والاستقرار فمن ذلك القاعدة من الجبل وهى اصله وقواعد البناء اساسه الذى بنى عليه
واحدها قاعدة وامراة قاعد اذا اتت عليها سنون لا تزوج ومنه قوله والقواعد من النساء اللاتى لا يرجون
نكاحا واذا لم تحمل المراة ولا النخلة يقال قد قعدت وهى قاعدة وجمعها قواعد ايضا وتاويلها انها قد ثبتت
على ترك الحمل واذا قعدت المراة عن الحيض فهى قاعد ايضا بغير هاء لانه لا فعل لها فى قعودها عن الحيض وقد
قعدت المراة اذا كانت باولاد لئام فهى قاعدة والاقعاد ان يقعد الرجل عن الشئ البتة يقال اقعد فهو مقعد
اى اقعدته الزمانة وللجارية ثدى مقعد اذا كان متمكنا لا ينكسر وشهر ذى القعدة كانت العرب تقعد فيه عن
القتال والقعود ما يقتعده الراعى ويحمل عليه متاعه وجمعه قعدان وقعيد الانسان جليسه ومنه قوله عن
اليمين وعن الشمال قعيد الملكين والقعيد كلما اتى من خلف طائر او ظبى ويقال للعين قعد والجبان قاعد لانه قعد
عن الحرب وقعد اللئيم عن الكرم قال الحطيئة دع المكارم لا ترحل لبغيتها واقعد فانك انت الطاعم الكاسى
والقعدة فى النسب قرب القرابة الى الاب والجد والمقاعد مواضع القعود فى الحرب وغيرها ومنه قوله مقاعد
للقتال وقعيدة الرجل امراته القاعدة فى بيته واصل الباب القعود نقيض القيام والقواعد الاساس والاركان
نظاير وقيل انما قيل فى واحدة القواعد من النساء قاعد لشيئين احدهما ان ذلك كالطالق والحائض ومما اشبه
ذلك من الصفات التى تختص بالمونث دون المذكر فلم يحتج الى علامة التانيث واذا اردت الجلوس قلت قاعدة
لا غير لانها تشارك فى ذلك الرجال والوجه الاخر ان ذلك على وجه النسبة اى ذات قعود كما يقال نابل ورامح
اى ذو نبل وذو رمح لا انه يريد به مثبت الفعل وموضع الجملة من قوله ربنا تقبل منا نصب بقول محذوف وكانه قال
يقولان ربنا تقبل منا واتصل بما قبله لانه من تمام الحال لان يقولان فى موضع الحال قال ابن عباس معناه
يقولان ربنا وفى حرف عبد الله ويقولان ربنا ومثله والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم اى
يقولون ومثله والملائكة باسطوا ايديهم اخرجوا انفسكم اى يقولون وقال بعضهم هو شاذ تقديره يقول
ربنا يرده الى اسماعيل وحده ولا يدل على ذلك لشذوذه وقال اكثر المفسرين كالسدى وعبيد بن عمير الليثى و
اختاره الجبائى وغيرهم ان ابرهيم واسماعيل معا رفعا القواعد وقال ابن عباس كان ابرهيم يبنى واسماعيل
يناوله وقال بعض الشداد ان ابرهيم وحده رفعها وكان اسماعيل صغيرا وهو ضعيف لانه خلاف
ظاهر اللفظ وخلاف اقوال المفسرين وقال اكثر اهل العلم انهما رفعا البيت للعبادة لا للسكنى بدلالة قوله
ربنا تقبل منا وهل كانت للبيت قواعد قبل ابرهيم فيه خلاف فقال ابن عباس وعطا قد كان ادم بناه ثم
عفى اثره فجدده ابرهيم وهو المروى عن ابى جعفر وابى عبد الله ع وقال مجاهد وعمرو بن دينار بل انشاء ابرهيم
بامر الله عز وجل اياه وكان الحسن يقول اول من حج البيت ابرهيم وقد روى فى اخبارنا ان اول من حج البيت ادم
وذلك يدل على انه قد كان قبل ابرهيم وانما قال انك انت السميع العليم لانه لما ذكر الدعاء اقتضى حينئذ ذكر
ذلك كانه قال انك انت السميع العليم بنا وبما يصلحنا ومعنى قوله تقبل منا اى اثبنا على عمله وهو مشبه بتقبل
الهدية فى اصل اللغة وروى عن محمد بن على الباقر ع انه قال ان الله تعالى وضع تحت العرش اربع اساطين
وسماه الضراح وهو البيت المعمور وقال للملائكة طوفوا به ثم بعث ملائكة فقال ابنوا فى الارض بيتا بمثاله و
قدره وامر من فى الارض ان يطوفوا بالبيت وقال ابو جعفر ع اسماعيل اول من شق لسانه بالعربية وكانا ابوه
يقول وهما يبنيان البيت يا اسماعيل هابى ابن اى اعطنى حجرا فيقول له اسماعيل بالعربية يا ابت هاك حجرا وابرهيم
يبنى واسماعيل يناوله الحجارة وروى ابو قلابة عن عبد الله بن عمر قال لما اهبط الله ادم من الجنة قال انى منزل
معك او مهبط معك بيتا تطوف حوله كما يطاف حول عرشى وتصلى عنده كما يصلى عند عرشى فلما كان زمن

الطوفان رفع وكانت الانبياء يحجونه ولا يعلمون مكانه حتى بواه الله لابرهيم اعلمه مكانه فبناه من خمسة اجبل
من حرا وثبير ولبنان وجبل الطور وجبل الحمر قال الطبرى هو جبل بدمشق **قوله تعـ** رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ
لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ اية بلا خلاف روى فى
الشواذ عن عوف بن الاعرابى انه قرأ مسلمين على الجمع وانما سألا الله تعـ ان يجعلهما مسلمين بمعنى ان يفعل لهما
من الالطاف ما يتمسكان معه بالاسلام فى مستقبل عمرهما لان الاسلام كان حاصلا فى وقت دعائهما ويجرى
ذلك مجرى احدنا اذا ادب ولده وعرضه لذلك حتى صار اديبا جاز ان يقال جعل ولده اديبا وعكس ذلك اذا
عرضه للبلاء والفساد جاز ان يقال جعله ظالما لا فاسدا ويجوز ان يكون قالا ذلك تعبدا كما قال تعـ رب احكم
بالحق والاسلام هو الانقياد لامر الله تعـ بالخضوع والاقرار بجميع ما وجب عليه وهو والايمان واحد عندنا
وعند اكثر المرجئة والمعتزلة وفى الناس من قال بينهما فرق وليس ذلك بصحيح لقوله ان الدين عند الله الاسلام
وقوله ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وانما خصا بالدعوة بعض الذرية فى قوله ومن ذريتنا لان من
للتبعيض من حيث ان الله تعـ كان اعلمهما ان فى ذريتهما من لا ينال العهد لكونه ظالما وقال السدى انما عنيا
بذلك العرب والاول هو الصحيح وهو قول اكثر المفسرين و قوله وارنا مناسكنا فالمناسك ههنا المتعبدات
قال الزجاج كل متعبد منسك وقال الجبائى المناسك هى ما يتقرب به الى الله من الهدى والذبح وغير ذلك من اعمال
الحج والعمرة وقال قتادة اراهما الله مناسكهما الطواف بالبيت والسعى بين الصفا والمروة والافاضة من عرفات
والافاضة من جمع ورمى الجمار حتى اكمل الله الدين فهذا القول اقوى لان العرف فى معنى المناسك وقال عطا
مناسكنا مذابحنا والنسك فى اللغة العبادة رجل ناسك عابد وقد نسك نسكا والنسك الذبيحة يقال من فعل
كذا فعليه نسك اى دم يهريقه ومنه قوله او نسك اى دم واسم تلك الذبيحة النسيكة والموضع الذى يذبح فيه
المناسك المنسك والمنسك هو النسك نفسه قال الله تعـ ولكل امة جعلنا منسكا ويقال نسك ثوبه اى غسله و
قال ابن دريد النسك اصله ذبائح كانت تذبح فى الجاهلية والنسيكة شاة كانوا يذبحونها فى المحرم فى الاسلام ثم
نسخ ذلك بالاضاحى قال الشاعر وذا النصب المنصوب لا تنسكنه ولا تعبد الشيطان والله فاعبدا
واصل الباب العبادة وقيل ان النسك الغسل قال الشاعر فلا ينبت المرعى سباخ عراعر ولو نسكت بالماء
ستة اشهر اى غسلت ذكره الحسين بن على المغربى قال وليس بمعروف وقوله وارنا يحتمل امرين احدهما ان يكون
من رؤية البصر والآخر ان يكون من رؤية القلب بمعنى علمنا قال الحطائط بن يعفر اريني جوادا مات هزلا لعلنى
ارى ما ترين او بخيلا مخلدا اى عرفينى ومعنى قوله وتب علينا اى ارجع علينا بالرحمة والمغفرة وليس فيه
دلالة على جواز الصغيرة او فعل القبيح عليهم ومن ادعى ذلك فقد ابطل وقال قوم معناه تب على الظلمة من ذريتنا
وقيل بل قالا ذلك انقطاعا اليه تعـ ليقتدى بهما فيه وهو الذى نعتمده والتواب القابل للتوبة ههنا
واذا وصف به العبد فمعناه انه فاعل التوبة مرة بعد اخرى فيفيد المبالغة فعلى مذهبنا اذا قلنا قبل الله
توبته اى تاب عليه معناه انه يستحق الثواب واذا قلنا تاب العبد من كبيرة مع الاقامة على كبيرة اخرى معناه
عند من اجاز ذلك انه دفع العقاب على تلك الكبيرة التى تاب منها وعندنا انه يستحق بها الثواب ايضا وفى الاية
دلالة على انه يحسن الدعاء بما يعلم الداعى انه يكون لا محالة لانهما كانا عالمين بانهما لا يفارقان الاسلام و
لا ياتيان الكبيرة والاختيار فى ارنا كسر الراء وهى قراءة الجمهور لانها كسرة الهمزة حولت الى الراء لان اصله
كان ارانا فنقلت الكسرة الى الراء وسقطت الهمزة فلا ينبغى ان تسكن لئلا تجحف بالكلمة وتبطل الدلالة
على الهمزة وقد سكنه ابن كثير وفى بعض الروايات عن ابى عمرو على وجه التشبيه بما يسكن فى مثل كبد وفخذ و
قال الشاعر لو عصر منه المسك والبان انعصر وقال اخر قالت سليمى اشتر لنا دقيقا واشتر وعجل
خادما لبيقا **قوله تعـ** رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ
وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ اية واحدة بلا خلاف الضمير فى قوله فيهم راجع الى الامة المسلمة التى
سال الله ابرهيم من ذريته والمعنى بقوله رسولا منهم هو النبى صلعم لما روى عن النبى صلعم انه قال انا دعوة

ابى ابرهيم وبشارة عيسى عم يعنى قوله ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه احمد وهو قول الحسن وقتادة
والسدى وغيرهم من اهل العلم ويدل على ذلك ايضا ان المراد به نبينا صلعم دون الانبياء الذين بعثهم الله
من بنى اسرائيل انه دعى بذلك لذريته الذين يكونون بمكة وما حولها على ما تضمنته الاية وفى قوله ربنا و
ابعث فيهم رسولا منهم ولم يبعث الله من هذه صورته الا محمدا صلعم والمراد بالكتاب القرآن على قول ابن زيد
واكثر المفسرين ومعنى الحكمة ههنا السنة وقيل المعرفة بالدين والفقه فى التاويل وقيل العلم بالاحكام التى
لا يدرك علمها الا من قبل الرسل عم فالاول قول قتادة والثانى قول انس بن مالك والثالث قول ابن زيد وقال
قوم هو كلام مثنى كانه وصف التنزيل بانه كتاب وبانه حكمة وبانه آيات وقال بعضهم الحكمة شىء يجعله الله فى
القلب ينوره به كما ينور البصر فيدرك المبصر وكل حسن ومعنى قوله ويزكيهم قال ابن عباس هو طاعة الله و
الاخلاص له وقال ابن جريج يطهرهم من الشرك ويخلصهم منه وقال الجبائى يزكيهم معناه يستدعيهم الى
فعل ما يزكون به من الايمان والصلاح ويحتمل ان يراد به انه يشهد لهم بالزكاء امنوا واصلحوا والعزيز القادر
الذى لا يعجزه شىء وقيل القادر الذى لا يمتنع عليه شىء اراد فعله وقيل القدير وهو مبالغة الوصف بالقدرة
ونقيض العز الذل ويقال عز يعز عزة وعزا اذا اعتز به اعتزازا وتعزز تعززا وعازه معازة يقول عز يعز
عزة وعزا اذا صار عزيزا وعز يعز عزا اذا قهر ومنه قولهم من عز بز اى من غلب سلب وكل شىء صلب فقد
اعتز وسمى العزاز من الارض وهو الطين الصلب الذى لا يبلغ ان يكون حجارة وعز الشىء اذا قل لا يكاد يوجد
وفلان اعتز بفلان اذا تشرف به وعزنى فى الخطاب اى غلبنى فى محاورة الكلام والعزاء السنة الشديدة والمطر
يعزز الارض تعزيزا اذا لبدها واصل الباب القوة وقوله الحكيم يحتمل امرين احدهما المدبر الذى يحكم الصنع بحسن
التدبير والثانى بمعنى عليم والاول بمعنى حكيم فى فعله بمعنى محكم فعدل الى حكيم للمبالغة وانما ذكر الحكيم ههنا
لانه متصل بالدعاء كانه قال فزعنا اليك فى دعائنا لانك القادر على اجابتنا العالم بما فى ضمائرنا وبما هو اصلح
لنا مما لا نبلغه علمنا **قوله تعـ** وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي
الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ اية بلا خلاف قوله ومن يرغب فالرغبة المحبة لما فيه للنفس منفعة
ورغب فيه ضد رغب عنه والرغبة والمحبة والارادة نظائر وبينها فرق نقيض الرغبة الرهبة ونقيض المحبة
البغضة ونقيض الارادة الكراهية يقول رغب رغبة وارغبه ارغابا ورغبه ترغيبا ويقول رغب رغبة
ورغبا ورغبى ورغبا اذا امل المجد ورغبت عنه اذا صددت عنه واما راغب فيهما جميعا والشىء مرغوب
فيه ومرغوب عنه ولى عن فلان مرغب وهو رجل رغيب اى شديد الاكل وفرس رغيب الشحوة كثير الاخذ بقوائمه
من الارض وموضع رغيب واسع والرغبة العطاء الكثير الذى يرغب فى مثله وقال صاحب العين اللهم اليك
الرغباء ومن لدنك النعماء ورغبت عن الشىء اذا تركته ومعنى ومن يرغب عن ملة ابرهيم لفظه لفظ الاستفهام
ومعناه الجحد كانه قال ما يرغب عن ملة ابرهيم ولا يزهد فيها الا من سفه نفسه وكانه قال واى الناس يزهد
فيها الا من سفه نفسه والاولى على الاستفهام ومعناها الجحد والثانية بمعنى الذى كانه قال الا الذى سفه
نفسه وفى نصب نفسه خلاف قال الاخفش معناه سفه نفسه وقال يونس اراها لغة قال الزجاج اراد ان سفه
لغة فى المبالغة كما ان فعل كذلك للفعل هذا يجوز سفهت زيدا بمعنى سفهت وقال ابو عبيدة معناه اهلك نفسه و
اوبق نفسه وقال ابن زيد الا من اخطا حظه وقال ابن تغلب والمبرد سفه بكسر الفاء يتعدى وسفه بضم الفاء
لا يتعدى فهذا كله وجه واحد والثانى ان يكون على التفسير كقوله فان طبن لكم عن شىء منه نفسا وهو قول
الفراء قال العرب توقع سفه على نفسه وهى معرفة وكذلك بطرت معيشتها وانكر الزجاج هذا الوجه وقال معنى
التمييز لا يحتمل التعريف لان التمييز انما هو واحد يدل على جنس فاذا عرفته صار مقصودا بعينه والوجه الثالث
ان يكون على التمييز والمضاف على الانفصال كما تقول مررت برجل مثله اى مثل له والوجه الرابع على حذف الجار
كما قال لا جناح عليكم ان تسترضعوا اولادكم اى لاولادكم ومثله ولا تعزموا عقدة النكاح اى على عقدة
النكاح قال الشاعر تعالى اللحم للاضياف نيا ونبذله اذا نضج القدور والمعنى تعالى باللحم وقال الزجاج و

وهذا مذهب صحيح واختاره وان سفه بمعنى جهل وهو موافق لمعنى ما قال ابن السراج فى بطرت معيشتها الا ان البطر مستقل التمتع غير راض بها وقال ابو مسلم معناه جهل نفسه وما فيها من الايات الدالة على ان لها صانعا ليس كمثله شئ فيعلم به توحيد الله وصفاته ومعنى قوله ولقد اصطفيناه فى الدنيا اخترناه للرسالة والصفو التميز من شائر الكدر واصطفيناه على وزن افتعلنا من الصفوة وانما قلبت التاء طاء لانها اشبه بالصاد بالاستعلاء والاطباق وهى من مخرج التاء فاتى بحرف وسط بين الحرفين والاصطفاء والاختيار والاجتباء نظاير والصفا والنقا والخالص نظاير والصفا نقيض الكدر وصفوة كل شئ خالصه من صفوة الدنيا وصفوة الماء وصفو الاخاء تقول صفا صفاء واصفاه اصفاء واصطفاه اصطفاء وتصفى تصفياء وتصافوا تصافيا وصفاه تصفية وصافاه مصافاة واستصفاه استصفاء والصفا مصافاة المودة والاخاء والصفاء مصدر والشئ الصافى اذا اخذت صفوة ماء من غدير قلت استصفيت صفوة وصفى الانسان الذى يصافيه المودة وناقة صفى كثيرة اللبن ونخلة صفية كثيرة الحمل والجمع الصفايا والصفا الحجر الضخم الاملس الصلب فاذا ثنوا الصخرة قالوا صفاة صفواء واذا ذكروا قالوا صفا صفوان والصفوان واحدة صفوانة ومن الحجارة الملس لا تنبت شيئا قال تعالى كمثل صفوان عليه تراب واصل الباب الصفاء الخلوص قوله وانه فى الاخرة لمن الصالحين انما خص الاخرة بالذكر وان كان فى الدنيا كذلك لان المعنى من الذين يستوجبون على الله الكرامة وحسن الثواب فلما كان خلوص الثواب فى الاخرة دون الدنيا وصفه بما ينبئ عن ذلك فى قوله ومن يرغب عن ملة ابرهيم الا من سفه نفسه دلالة على ان ملة ابرهيم هى ملة نبينا محمد صلعم لان ملة ابرهيم داخلة فى ملة محمد صلعم مع زيادات فى ملة محمد صلعم فبين ان الذين يرغبون من الكفار عن ملة محمد التى هى ملة ابرهيم قد سفهوا انفسهم وهو معنى قول قتادة والربيع **قوله تعالى** اِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ اَسْلِمْ قَالَ اَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ اية بلا خلاف قوله اذ قال له ربه متعلق بقوله ولقد اصطفيناه وموضعه نصب وتقديره ولقد اصطفيناه حين قال له ربه اسلم وقال الحسن انما قال ذلك حين افلت الشمس فقال يا قوم انى برئ مما تشركون انى وجهت وجهى وانه اسلم حينئذ وهذا يدل على انه كان ذلك قبل النبوة وانه قال له ذلك الهاما استدعاه به الى الاسلام فاسلم حينئذ لما وضح له طريق الاستدلال بما راى من الايات والعبر الدالة على توحيده ولا يصح ان يوحى الله تعالى اليه قبل اسلامه بانه نبى الله لان النبوة حال اعظام واجلال ولا يكون ذلك قبل الاسلام وانما قال اصطفيناه على لفظ المتكلم مع قوله اذ قال له ربه على لفظ الغائب للتصرف فى الكلام كما قال الشاعر باتت تشكى الى النفس مجهشة وقد حملت سبعا بعد سبعينا والاسلام واجب على كل مكلف وان اختلفت شرايع الانبياء فيما يتعبدون من الحلال والحرام لقوله تعالى ان الدين عند الله الاسلام وان الاسلام انما هو الاخلاص لله بالعمل بطاعته واجتناب معصيته وذلك واجب على كل متعبد وكذا اسلام **قوله تعالى** وَوَصّٰى بِهَا اِبْرٰهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِىَّ اِنَّ اللّٰهَ اصْطَفٰى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ اِلَّا وَاَنْتُمْ مُسْلِمُونَ اية بلا خلاف قرا اهل المدينة وابن عامر واوصى بهمزة مفتوحة بين الواوين وتخفيف الصاد الباقون ووصى مشددة الصاد ومن قرا اوصى ذهب الى قوله فلا يستطيعون توصية ومصدر وصى مثل قطع تقطعة ولم يجيبوا به على تفعيل كراهية اجتماع اليا آت مع الكسرة ومن قرا اوصى فلقوله من بعد وصية يوصون بها وكلاهما جيدان والوصية ماخوذة من قولهم اوصى النبت اذا اتصل بعضه ببعض فلما اوصل الموصى جل امره الى الموصى اليه قيل وصية ووصى واوصى وامر وعهد نظاير فى اللغة وضد اوصى اهمله والوصاة كالوصية والوصاية مصدر التوصى والفعل اوصيت ايصاء ووصيت توصية فى المبالغة والكثرة ويقول قد قبل الوصايا واذا انطاع المرعى للسايمة فاصبته رواعد قيل وصى لها الرعى يصى وصيا ووصيا واصل الباب اوصيته وهى الدعاء الى الطاعة والهاء فى قوله ووصى بها يحتمل ان تعود الى احد شيئين احدهما الى الملة وقد تقدم ذكرها فى قوله ومن يرغب عن ملة ابرهيم والثانى ان يعود الى الكلمة فى قوله اسلمت لرب العالمين والاول اقوى لانه مذكور فى اللفظ وهو قول الزجاج واكثر المفسرين والثانى حكاه البلخى وبعض اهل اللغة وارتفع يعقوب لانه معطوف على ابرهيم والمعنى ووصى بها يعقوب بنيه قال ابن عباس وقتادة وقال بعضهم

انه على الاستيناف كانه قال ووصى يعقوب ان يا بنى ان الله اصطفى لكم الدين والاول اظهر لان عليه اكثر المفسرين والالف واللام فى الدين للعهد دون الاستغراق لانه انما اراد به الدين الاسلام دون غيره من الاديان وانما اسقطت ان فى ووصى بها ابرهيم بنيه ويعقوب ان يا بنى واثبتت فى انا ارسلنا نوحا الى قومه ان انذر لان اوصى فى الاية بمعنى القول فجعل بمنزلة قولك لا ابتداء تقدير القول فيجوز ذلك حينئذ لحاق ان كما قال انا ارسلنا نوحا الى قومه ان انذر ومثله واخر دعويهم ان الحمد لله وقوله فاذن مؤذن بينهم ان لعنة الله وكل هذا الباب يجوز فيه الوجهان بان تقدره تقدير القول ليكمل به تقدير الفعل الذى ليس بقول و اما قوله ان كان ذا مال وبنين فلا يجوز اسقاطها فى مثله من الكلام لانه ليس فيه معنى الحكاية والقول كما فى الدعوى والارسال واما قوله والملئكة باسطوا ايديهم اخرجوا انفسكم فلا يجوز فى مثله اثبات لانه بضمير معه القول ولا يجوز مع التصريح بالقول ولا مع اضماره ان لانه حكاية كما تقول قلت له زيد فى الدار ولا يجوز قلت له ان زيدا فى الدار وانشد الكسائى انى سابدى لك فيما ابدى لى شجنان شجن بنجد وشجن لى ببلاد الهند لان الابتداء قول ومنه قوله وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة لان العدة قول فان قيل كيف قال لا تموتن على وجه النهى لهم عن الموت والموت ليس فى مقدورهم فيصح ان ينهوا عنه قلنا اللفظ وان كان على لفظ النهى فما نهوا عن الموت وانما نهوا فى الحقيقة عن ترك الاسلام لئلا يصادفهم الموت عليه وتقديره لا تتعرضوا للموت على ترك الاسلام بفعل الكفر ومثله من كلام العرب لا ارينك ههنا فالنهى فى اللفظ للمتكلم وانما هو فى الحقيقة للمخاطب فكانه قال لا تتعرض لان اراك بكونك ههنا ومثله لا يصادفك الامام على ما يكره وتقديره لا تتعرض لان يصادفك على ما يكره ومثله لا يكونن زيدا لا عندك تقديره لا تتعرض لان يكون زيد ليس عندك بالتفريط فى ذلك والاهمال له والاصل فى هذا ان التعريض لوقوع الشئ بمنزلة ايقاع الشئ وقوله وانتم مسلمون جملة فى موضع الحال وتقديره لا تموتن الا مسلمين **قوله تعالى** اَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ اِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ اِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِى قَالُوا نَعْبُدُ اِلٰهَكَ وَاِلٰهَ اٰبَائِكَ اِبْرٰهِيمَ وَاِسْمٰعِيلَ وَاِسْحٰقَ اِلٰهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ اية واحدة بلا خلاف ام ههنا منقطعة وليست بمتصلة كقوله الم تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين ام يقولون افتريه ومثله قول الشاعر كذبتك عينك ام رايت بواسط غلس الظلام من الرباب خيالا ولا تجئ منقطعة الا وقد تقدمها كلام لانها بمعنى بل والف الاستفهام كانه قيل بل كنتم شهداء ومعناها ههنا الجحد اى ما كنتم شهداء واللفظ لفظ الاستفهام والمعنى على خلافه لان اخراجه مخرج الاستفهام ابلغ فى الكلام واشد مظاهرة فى الحجاج ان يخرج الكلام مخرج التقرير بالحق فيلزم الحجة والانكار له فيظهر الفضيحة فلذلك اخرج الحجة فى الاخبار مخرج الاستفهام والخطاب بام كنتم شهداء اهل الكتاب فى قول الربيع والمعنى انكم لم تحضروا ذلك فلا تدعوا على انبيائى ورسلى الاباطيل بنحلكم اياهم خلاف الاسلام من اليهودية والنصرانية فانى ما بعثتهم الا بالحنفية والشهداء جمع شهيد واذ ههنا بدل من اذ الاولى والعامل فيهما معنى الشهادة وقيل بل العامل فيها حضر وكلاهما حسن والحاضر والشاهد من النظاير و نقيض الحاضر الغائب ويقال حضر حضورا واحضره احضارا واستحضره استحضارا واحتضر احتضارا وحاضره محاضرة والحضر خلاف البدو وحضرنا القوم احضرهم حضورا اذا شهدتهم والحاضر خلاف الغايب واحضر الفرس احضارا اذا عدا عدوا شديدا واستحضرته استحضارا والحضرة الجماعة من الناس ما بين الخمسة الى العشرة وحاضرت الرجل محاضرة وحضارا اذا عدوت معه وحاضرته اذا جاثيته عند السلطان او فى خصومة ومحضر القوم مرجعهم الى المياه بعد النجعة وفرس محضر ولا يقال محضار والقتاة الشاة حضيرتها يعنى المشيمة وغيرها والابل الحضار البيض لا واحد لها من لفظها مثل الهجان سواء وحضرة الرجل فناه واصل الباب الحضور خلاف الغيبة وقوله الها واحدا يحتمل انتصابه لاحد الامرين احدهما ان يكون حالا من قوله الهك الاخر ان يكون بدلا من الهك ويكون الفايدة فيه التوحيد وانما قدم اسمعيل على اسحق لانه كان اكبرهم به قال ابن زيد وقوله ونحن له مسلمون الجملة فى موضع نصب على الحال وقيل لا موضع لها لانها على الاستيناف وابرهيم واسمعيل واسحق فى موضع خفض والعامل فيهما ما عمل فى اباءك لانه مبين له كما

بان تنسبوهم خ ل

تقول مررت بالقوم اخيك وغلامك وصاحبك وانما قال ابائك واسماعيل عم يعقوب لما قاله الفراء وابو عبيدة
من ان العرب تسمى العم ابا فالاية والدعلى ان العمومة يسمون ابا والى وقد روى عن النبى صلعم انه قال ردوا على ابى
يعنى العباس عمه فسمى العم ابا كما تسمى الجد ابا من حيث يجب له التعظيم نحو ما يجب للاب وقد قرئ فى الشواذ واله
ابيك فعلى هذا يجر اسماعيل واسحق على العطف وهو غير المعنى الاول لانه مترجم عن الاباء وفى الثانى عطف غير
ترجمة كما يقول رايت غلام زيد وعمرو اى غلامهما فكانه قال الههم ولم يذكر بالابوة الا ابرهيم وحده والقراءة
الاولى هى المشهورة وعليها القراء **قوله تعم** تِلْكَ اُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْئَلُوْنَ
عَمَّا كَانُوْا يَعْمَلُوْنَ اية بلا خلاف قوله تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم فالامة المراد بها هنا الجماعة
والامة على ستة اقسام الجماعة والامة الحين لقوله واذكر بعد امة اى بعد حين والامة القدوة والامام لقوله ان
ابرهيم كان امة قانتا والامة العامة وجمعها امم قال الاعشى وان معوية الاكرمين حسان الوجوه
طوال الامم والامة الاستقامة فى الدين والدنيا قال النابغة وهل ياثمن ذو امة وهو طالع
والامة اهل الملة الواحدة كقولهم امة موسى وامة عيسى وامة محمد صلعم واصل الباب القصد من امه يؤمه اذا
قصده ومعنى خلت مضت كما تقول الثلاث خلون من الشهر اى مضين واصله الانفراد منه خلا الرجل بنفسه اذا انفرد
وخلا المكان من اهله اى انفرد منهم وحد الخلو حصول الشئ وحده والفرق بين الخلو والفراغ ان الخلو اذا لم يكن
مع الشئ غيره وقد يفرغ منه وهو معه فاذا قلت خلا منه فليس معه والكسب العمل الذى يجلب به نفع او يدفع به ضرر
عن النفس وكسب لاهله واذا اجتلب لهم بعلاج ومراس ولذلك لا يجوز فى صفته اسمه قوله ولا تسئلون عما كانوا
يعملون معناه انه لا يقال لكم اعملوا كذا وكذا وعلى جهة المطالبة بما يلزم منهم من اجل عملهم كما لا يقال لهم لم عملتم
انتم كذا وكذا وانما يطالب كل انسان بعمله دون عمل غيره كما قال ولا تزر وازرة وزر اخرى وفى الاية دلالة على بطلان
قول المجبرة ان الابناء يؤخذون بذنوب الاباء ويؤخذ الطفل بذنب ابيه لان الله تعم نفى ذلك ومثله قوله ولا
تزر وازرة وزر اخرى وقوله اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم والاشارة بقوله تلك امة الى ابرهيم واسمعيل
واسحق ويعقوب وولدهم يقول الله تعم لليهود والنصارى يا معشر اليهود والنصارى دعوا ذكر ابرهيم واسماعيل
واسحق ويعقوب والمسلمين من اولادهم بغير ما هم اهله ولا تنسبوا اليهم الكفر واليهودية والنصرانية ولا تضيفوها
اليهم وانها امة قد خلت ولا تسئلون انتم عما كانوا يعملون وقوله لها ما كسبت يحتمل ان يكون فى موضع نصب بانه حال
كانه قال قد يلزمها ما تستحقه بعملها ويجوز ان لا يكون لها موضع لانها مستانفة ولا يكون نحوا من الجزء الاول لكن تكون
متصلة به فى المعنى وان لم يكن جزا منه لانهما خبران فى المعنى عن شئ واحد كانه قيل الجماعة قد خلت والجماعة لها ما كسبت
قوله تعم وَقَالُوْا كُوْنُوْا هُوْدًا اَوْ نَصَارٰى تَهْتَدُوْا قُلْ بَلْ مِلَّةَ اِبْرٰهِيْمَ حَنِيْفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِيْنَ اية
بلا خلاف الضمير فى قوله وقالوا كونوا يرجع الى اليهود والنصارى لان كل فريق منهم دعى الى ما هو عليه ومعنى تهتدوا
اى تصيبوا طريق الحق كانهم قالوا اهتدوا الى الحق وروى عن عبد الله بن عباس انه قال قال عبد الله بن صوريا
الاعور لرسول الله صلعم ما الهدى الا ما نحن عليه فاتبعنا يا محمد تهتد وقالت النصارى مثل ذلك فانزل الله تعم و
قالوا كونوا هودا او نصارى تهتدوا الاية وفى قوله بل ملة ابرهيم حنيفا حجة على وجوب اتباع ملة ابرهيم اذ كانت
سليمة من التناقض وكان فى اليهودية والنصرانية تناقض وذلك لا يكون من عند الله فصارت ملة ابرهيم احق
بالاتباع من غيرها والتناقض فى اليهودية مثل منعهم من جواز النسخ بما فى التورية مما يدل على جواز ذلك وامتناعهم
من العمل بما تقدمت به البشارة فى التورية من اتباع النبى الامى مع اظهارهم التمسك بها وامتناعهم من الاذعان ما
دلت عليه المعجزة من نبوة عيسى ونبوة محمد صلعم مع اقرارهم بنبوة موسى من اجل المعجزة الى غير ذلك من انواع التناقض
واما النصارى اب وابن وروح قدوس اله واحد مع زعمهم ان الاب ليس هو الابن وان الاب اله والابن اله و
روح القدس اله فاذا قيل لهم قولوا ثلثة الهة امتنعوا من ذلك الى ما يصفون به البارى تعم مما يوجب الحاجة والحدث
ويقولون مع ذلك انه قديم لم يزل الى غير ذلك من مناقضاتهم التى لا تحصى كثرة وهى موجودة فى الكتب عليهم
نبهنا على جملها واما الحنيفية فهى الاستقامة وانما قيل للذى يقبل باحدى قدميه على الاخرى احنف تفاؤلا

بالسلامة كما قيل للمهلكة مفازة تفاؤلا بالفوز والنجاة وهو قول الرياشى وابن قتيبة واهل اللغة
قال الزجاج اصله الميل وابرهيم حنيف الى دين الاسلام وقال العادل الى دين ربه عن اليهودية والنصرانية
وقال ابو حاتم قلت للاصمعى من ابن عرف فى الجاهلية الحنيف فقال لانه من عدل عن دين اليهود والنصارى
فهو حنيف عندهم ولان كل من حج البيت كانوا يسمونه حنيفا وكانوا اذا ارادوا الحج قالوا هلم نتحنف وقال
صاحب العين الحنف ميل فى صدر القدم يقال رجل احنف ورجل حنف وسمى الاحنف لحنف كان به وقالت
حاضنته وهى ترقصه والله لولا حنف برجله ما كان فى صبيانكم كمثله والحنيف المسلم الذى يستقبل قبلة البيت
الحرام على ملة ابرهيم وكان حنيفا مسلما وقال بعضهم الحنيف كل من اسلم فى امر الله ولم يلتو فى شئ والجمع
الحنفاء وقال بعضهم قيل حنيف لانه تحنف عن الاديان كلها اى مال الى الحق وفى الحديث احب الاديان الى الله
الحنيفية السمحة وهى ملة ابرهيم لا حرج فيها ولا ضيق واصل الباب الحنف وهو الميل ونصب ملة ابرهيم يحتمل اربعة
اوجه احدها ان كونوا هودا او نصارى قد تضمن معنى اتبعوا اليهودية والنصرانية فعطف به على المعنى
والثانى على الحال قال بل نتبع ملة ابرهيم فالاول عطف والثانى والثالث على معنى بل اهل ملة ابرهيم
فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه كقوله تعالى واسئل القرية والرابع على الاغراء **قوله تعالى**
قُوْلُوْا اٰمَنَّا بِاللّٰهِ وَمَا اُنْزِلَ اِلَيْنَا وَمَا اُنْزِلَ اِلٰى اِبْرٰهِيْمَ وَاِسْمٰعِيْلَ وَاِسْحٰقَ وَيَعْقُوْبَ وَالْاَسْبَاطِ وَ
مَا اُوْتِيَ مُوْسٰى وَعِيْسٰى وَمَا اُوْتِيَ النَّبِيُّوْنَ مِنْ رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ اَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهٗ مُسْلِمُوْنَ
اية واحدة بلا خلاف قوله تعم قولوا امنا بالله يحتمل ان يكون جوابا على ما روى عن ابن عباس ان نفرا من
اليهود اتوا رسول الله صلى الله عليه واله فسئلوه عمن يؤمن به من الرسل فقال اؤمن بالله وما انزل
الينا وما انزل الى ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط الى اخرها فلما ذكر عيسى جحدوا نبوته وقالوا
لا نؤمن بعيسى ولا نؤمن بمن امن به فانزل الله فيهم قل يا اهل الكتاب هل تنقمون منا الا ان امنا بالله
وبما انزل الينا وما انزل من قبل وان اكثركم فاسقون والثانى قال الحسن وقتادة امر الله المؤمنين ان
يقولوا امنا بالله وما انزل الينا الاية وجعل ذلك محنة فيما بينهم وبين اليهود والنصارى والاسباط
جمع سبط قال ثعلب يقال سبط عليه العطاء والضرب اذا تابع عليه حتى يصل بعضه ببعض وانشد الثورى فى قطيع
بقر كانه سبط من الاسباط شبهه بالجماعة من الناس يتتابعون فى امره والسبط جماعة ومن ثم قيل لولد يعقوب
اسباط وشعر سبط سلس منبسط ومنه سمى الساباط لانبساطه بين الدارين حتى يجمعهما والسباطة الكناسة
لتجمع بعضها الى بعض وقال ابن دريد السبط واحد الاسباط وهم اولاد اسرائيل وقالوا الحسن والحسين سبطا رسول
الله صلعم اى ولداه والسباطة ما سقط من سقط الشعر اذا سرحته واخذت فلانا سباط اذا اخذته الحمى و
السبط من اليهود بمنزلة القبيلة من قبائل العرب ويقال هو سبط الكفين اذا كان طويل الاصابع والسبط
قناة جوفاء مضروبة بالعصب يرمى فيها سهام صغار ينفخ نفخا لا يكاد يخطى واصل الباب السبط وهو
التتابع وقال الزجاج السبط الجماعة الذين يرجعون الى اب واحد والسبط الشجرة والسبط الذين من شجرة
واحدة وقال قتادة الاسباط يوسف واخوته ولد يعقوب اثنى عشر رجلا فولد كل واحد منهم امة من الناس
فسموا الاسباط وبه قال السدى والربيع وابن اسحق واسماء الاثنى عشر ذكروهم يوسف وبنيامين وروبيل
ويهودا وشمعون ولاوى ودهاب ويشجر وتفثالى وجاد واشر ولا خلاف بين المفسرين انهم ولد يعقوب ٢ ودان
وقال كثير من المفسرين انهم كانوا انبياء والذى يقتضيه مذهبنا انهم لم يكونوا انبياء باجمعهم لانه وقع
منهم من المعصية ما فعلوه مع يوسف مما لا اخفاء به والنبى عندنا لا يجوز عليه فعل القبائح لا صغيرها ولا
كبيرها فلا يصح مع ذلك القول بنبوتهم وليس فى ظاهر القران انهم كانوا انبياء و قوله تعالى وما
انزل الى ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط لا يدل على انهم كانوا انبياء لان الانزال يجوز
ان يكون على بعضهم ممن كان نبيا ولم يقع منه ما ذكرناه من الافعال القبيحة ويحتمل ان يكون المراد
انهم امروا باتباعه كما يقال انزل الله الى امة النبى عليه السلم القران كما قال وما انزل الينا وان كان

المنزل على النبي عليه السلام لكن لما كانوا مأمورين بما فيه اضيف بانه انزل اليهم ومعنى قوله لا نفرق بين
احد منهم انا لا نؤمن ببعض الانبياء ونكفر ببعض كما فعلت اليهود والنصارى فكفرت اليهود بعيسى
ومحمد عم وكفرت النصارى بسليمان ونبينا محمد صلى الله عليهما و قوله تعالى ونحن له مسلمون خاضعون
بالطاعة وقيل مذعنون له بالعبودية وقيل مستسلمون لامره ونهيه عقدا وفعلا وقيل داخلون في حكم
الاسلام الذي هو دينه كما قال ان الدين عند الله الاسلام والفرق بين التفريق والفرق ان التفريق
جعل الشيء مفارقا لغيره والفرق نقيض الجمع والجمع جعل الشيء مع غيره والفرق جعل الشيء لا مع غيره والفرق
بالحجة هو البيان الذي يشهد ان الحكم لاحد الشيئين دون الآخر وفائدة الآية الامر بالايمان بالله والاقرار
بالنبيين وما انزل اليهم من الكتب والتعبد بما فيه من الاحكام والرد على من فرق بينهم فيما جمعهم الله عليه من
النبوة **قوله تع** فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ
اللّٰهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ آية بلا خلاف اخبر الله تعالى ان هؤلاء الكفار متى آمنوا على حدّ ما آمن المؤمنون
به فقد اهتدوا الى طريق الجنة والباء في قوله بمثل ما آمنتم يحتمل ثلثة اشياء اولها ان تكون زائدة و
التقدير فان آمنوا مثل الذي آمنتم اي مثل ايمانكم كما قال كفى بالله والمعنى كفى الله قال الشاعر
كفى الشيب والاسلام للمرء ناهيا والثاني ان يكون المعنى بمثل هذا ولا يكون زائدة كانه قال فان آمنوا
على مثل ايمانكم كما تقول كتبت على مثل ما كتبت وبمثل ما كتبت كانه يجعل المثال آلة يتوصل به الى العمل وهذا اجود
من الاول والثالث ان تلغي مثل كما الغيت الكاف في قوله فجعلهم كعصف مأكول وهذا اضعف الوجوه لانه
اذا امكن حمل كلام الله على فائدة فلا يجوز حمله على الزيادة وزيادة الاسم اضعف من زيادة الحرف كزيادة ما و
لا وما اشبه ذلك وروي عن ابن عباس انه قال لا تقولوا فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فانه ليس لله مثل ولكن قولوا
فان آمنوا بالذي آمنتم به وهذه رواية شاذة مخالفة لما اجمع عليه القراء ومتى صحت فالوجه فيها ان يكون
اراد ان يفسر المعنى فكانه قال لا تتأولوه على الجعل لله عز وجل مثلا فانه شرك لكن تأولوه على ما يصح تأويله
من غير تمثيل للمعبود تعالى وقال ابن عباس ان الايمان هو العروة الوثقى وانه لا يقبل عملا الا به ولا تحرم الجنة
الا على تركه و قوله تع وان تولوا معناه ان اعرضوا عن الايمان وجحدوه ولم يعترفوا به فانما هم في شقاق معناه
انهم في مفارقة في قول قتادة والربيع وقال ابن زيد الشقاق هو المنازعة والمجادلة وقال الحسن معناه التعادي
اصل الشقاق يحتمل ان يكون مأخوذا من الشق لانه صار في شق غير شق صاحبه للعداوة المباينة ويحتمل ان يكون
مأخوذا من المشقة لانه يحرص على ما يشق على صاحبه ويؤذيه وفي الآية دلالة على نبوة النبي عم لان الله تع وعده
ان يكفيه من يعاديه من اليهود والنصارى الذين شاقوه بقوله فسيكفيكهم الله فكان الامر على ما وعد به والكفاية
والوقاية والسلامة نظاير تقول كفى يكفي كفاية اذا قام بالامر واكتفى اكتفاء واستكفى استكفاء وتكفى
تكفيا وكفاك هذا الامر اي حسبك ورأيت رجلا كافيك من رجل اي كفاك به رجلا واصل الباب الكفاية وهو
بلوغ الغاية يقال يكفي ويجزي ويغني بمعنى واحد **قوله تع** صِبْغَةَ اللّٰهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللّٰهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ
عَابِدُونَ آية بلا خلاف قوله تع صبغة الله معناه فطرة الله في قول الحسن وقتادة وابي العالية ومجاهد وعطية
وابن زيد والسدي وقال الفراء والبلخي انه شريعة الله في الختان الذي هو التطهير وقوله صبغة الله مأخوذ
من الصبغ لان بعض النصارى كانوا اذا ولد لهم مولود جعلوه في ماء طهور يجعلون ذلك تطهيرا له ويسمونه
المعمودية فقيل صبغة الله اي تطهير الله لا تطهيركم بتلك الصبغة وهو قول الفراء وقال قتادة اليهود تصبغ
ابناءها يهودا والنصارى تصبغ ابناءها نصارى فهذا غير المعنى الاول وانما معناه انهم يلقنون
اولادهم اليهودية والنصرانية فيصبغونهم بذلك لما يشربون قلوبهم منه فقيل صبغة الله التي امر بها
ورضيها يعني الشريعة لا صبغتكم وقال الجبائي سمي الدين صبغة لانه هيئة تظهر بالمشاهدة من اثر الطهارة
والصلاة وغير ذلك من الآثار الجميلة التي هي كالصبغة وقال امية في صبغة الله كان اذ نسي
العهد وخلى الصواب اذ عزما قال صاحب العين الصبغ ما يلون به الثياب والصبغ مصدر صبغت

والصباغة حرفة الصباغ والصبغ والصباغ ما يصطبغ به في الاطعمة والاصبغ من الطير ما ابيض
ذنبه او بعضه واصل الباب الصبغ وهو المزج للتلوين ونصب صبغة الله في الآية يحتمل امرين
احدهما ان يكون مردودا على بل ملة ابرهيم بدلا منه وتفسيرا له والثاني اتبعوا صبغة الله
والاجود الاول وكان يجوز الرفع بتقدير هي صبغة الله ومعنى قوله ومن احسن من الله صبغة
واللفظ لفظ الاستفهام والمراد به التقرير قال الحسن وغيره و قوله ونحن له عابدون يجب ان نتبع صبغته
لا ما صبغنا عليه الآباء والاجداد وقيل معناه ونحن له عابدون في اتباعنا ملة ابرهيم صبغة الله
للاعتراف بالوجه الذي اتبعوه **قوله تع** قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللّٰهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا
أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ آية امر الله تعالى نبيه في هذه الآية ان يقول لهؤلاء
الكفار اتحاجوننا في الله ومعناه تخاصموننا وتجادلوننا فيه وهو تعالى الذي خلقنا وانعم
علينا وخلقكم وانعم عليكم وكانت محاجتهم للنبي عليه السلم انهم زعموا انهم اولى بالحق لانهم
راسخون في العلم وفي الدين لتقدم النبوة فيهم والكتاب فهم اولى بان يكون الرسول منهم وقال قوم
بل قالوا نحن احق بالايمان لانا لسنا من العرب الذين عبدوا الاوثان فبين الله تعالى وجه الحجة
عليهم انه ربنا وربهم فهو اعلم بتدبيرنا وتدبيرهم ومصلحتنا ومصلحتهم وانه لا حجة علينا في اجرام
غيرنا ومعاصيهم وقال الحسن كانت محاجتهم ان قالوا نحن اولى بالله منكم وقالوا نحن ابناء الله واحباؤه
وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وقالوا كونوا هودا او نصارى تهتدوا وغرضهم
بذلك الاحتجاج بان الدين ينبغي ان يلتمس من جهتهم وان النبوة اولى ان يكون فيهم وليس الامر على
ما ظنوا لان الله اعلم حيث يجعل رسالاته ومن الذي يقوم باعبائها ويتحملها على وجه يكون اصلح
للخلق واولى بتدبيرهم و قوله تع اعمالنا معناه الانكار لاحتجاجهم باعمالهم لانهم مشركون ونحن له
مخلصون وقيل معناه الانكار لاحتجاجهم باعمالهم لانهم مشركون ونحن له مخلصون وقيل معناه الانكار
للاحتجاج بعبادة العرب للاوثان فقيل لا حجة في ذلك اذ لكل احد عمله لا يؤخذ بجرم غيره والاعمال والافعال
والاحداث نظاير والاخلاص والافراد والاختصاص نظاير وضد الخالص المشوب و قوله ونحن له
مخلصون فيه احتجاج بان المخلص لله اولى بالحق من المشرك به وقيل معناه الرد عليهم بما احتجوا به من عبادة
العرب للاوثان بانه لا عيب علينا في ذلك اذا كنا مخلصين كما لا عيب عليكم بفعل من عبد العجل من اسلافكم
اذا اعتقدتم الانكار عليهم بانهم على الاشراك بالله بالتشبيه له والكفر بآياته وقال ابن عباس معنى اتحاجوننا
اتجادلوننا وقال مجاهد معناه اتخاصموننا وبه قال ابن زيد ومعنى في الله في دين الله والالف دخلتها
الاستفهام ومعناها الانكار ويجوز في اتحاجوننا ثلثة اوجه من العربية الاظهار والادغام والحذف كما
فالادغام تشديد النون والحذف تخفيف النون الواحدة **قوله تع** أَمْ يَقُولُونَ إِنَّ إِبْرٰهِيمَ وَإِسْمٰعِيلَ
وَإِسْحٰقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارٰى قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللّٰهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ
شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللّٰهِ وَمَا اللّٰهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ آية بلا خلاف قرأ اهل الكوفة الا ابا بكر ام تقولون
بالتاء ووافقهم ابن عامر ورويس الباقون بالياء من قرأ بالياء جعله متصلا بما قبله من الاستفهام كانه
قال اتحاجوننا في الله ام تقولون ان الانبياء كانوا على دينكم والتقدير باي الحجتين تتعلقون في امرنا
ابالتوحيد فنحن موحدون ام باتباع دين الانبياء فنحن لذلك متبعون ومن قرأ بالياء فالوجه فيه انه عدل
الى حجاج آخر غير الحجاج الاول كانه قال بل تقولون ان الانبياء من قبل ان تنزل التورية والانجيل كانوا
هودا او نصارى ويكون قد اعرض عن خطابهم استجهالا لهم بما كان منهم كما يقبل العالم على من بحضرته
بعد ارتكاب مخاطبه جهالة شنيعة فيقول قد قامت عليه الحجة ام يقول بابطال النظر المؤدي الى المعرفة
وقد انكر الطبري القراءة بالياء وقال هي شاذة لا تجوز القراءة بها وليس الامر على ما ظن بل وجهها
ما بيناه ومعنى الآية الاحتجاج عليهم في قولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى فقيل لهم

كيف ذلك والامر بخلافه من وجهين احدهما ما اخبر به نبيّنا عليه السّلم مع ظهور المعجز الدّال على صدقه
والاخر ما فى التورية والانجيل من انهم كانوا على الحنيفية لان عندهم اسم اليهودية يقع على من تمسك
بشريعة التورية والنصرانية اسم لمن تمسك بشريعة الانجيل وقد قال الله تعالى وما انزلت التورية
والانجيل الا من بعده وقيل ايضا انّ معناه التوبيخ لاهل الكتاب بادّعائهم عليهم خلاف الاسلام بغير حجّة
ولا برهان و قوله انتم اعلم ام الله صورته صورة الاستفهام والمراد به التوبيخ ومثله قوله وانتم اشدّ
خلقا ام السماء والاعلم والاعرف والادرى بمعنى واحد والاظلم والاجود والاعنى نظاير فان قيل لم
قال ءانتم اعلم ام الله وقد كانوا يعلمونه وكتموه وانّما ظاهر هذا الخطاب لمن لا يعلم قلنا من قال انهم
كانوا على ظنّ وتوهّم فوجه الكلام على قوله واضح ومن قال كانوا يعلمون ذلك وانما كانوا يجحدونه
يقول معناه ان منزلتكم منزلة المعترض على ما يعلم ان الله اخبر به فما ينفعه ذلك مع اقراره بانّ الله اعلم
منه وانه لا يخفى عليه شئ لانّ مادلّ على انه اعلم هو الدّال على انه لا يخفى عليه شئ وهو انه عالم لنفسه
يعلم جميع المعلومات و قوله تعالى ومن اظلم ممّن كتم قيل فى من فى قوله من الله ثلثة اقوال احدها انها
بمعنى ابتداء الغاية لان الله تعالى ابتداء الشهادة فى التورية والانجيل بصحة النبوة لمحمّد صلّى الله
عليه واله ويكون ابتداء الشهادة بانّ الانبياء كانوا على الحنيفية فهذه شهادة من الله عندهم و
الثانى كتمها من عباد الله والثالث ماحكاه البلخى انه بمنزلة من اظلم ممن يجور على الفقير الضعيف من السلطان
الغنى القوىّ اى فلا احد اظلم منه والمعنى انه يلزمكم ان لا احد اظلم من الله تعالى عن ذلك اذ يكتم ما فيه الغرور
للعباد ليوقعهم فى الضّلال وهو الغنى بنفسه الذى لا يجوز ان يلحقه المنافع والمضار جلّ ثناؤه وتقدّست
اسماؤه وهذا الذى ذكره يلزم اليهود والجهّال كما حكى الله تعالى عنهم وقالت اليهود يد الله مغلولة
غلّت ايديهم ولعنوا بما قالوا والشّهادة التى كتموها قيل فيها قولان احدها قال مجاهد والرّبيع وابن
ابى نجيح انهم كتموا الشّهادة بانّهم كانوا على الاسلام والثانى قال الحسن وقتادة وابن زيد واختاره الجبائى
انهم كتموا الشهادة بالبشارة التى عندهم بالنبىّ ص فان قيل اذا كان الذى كتموه امر محمّد صلّى الله عليه واله
فكيف يتّصل بما قبله قيل قال الحسن كتموا محمّدا صلّى الله عليه واله ودينه وفى دينه انّ ابرهيم كان مسلما ولم
يك من المشركين والاحتجاج عليهم بانهم اعلم ام الله على وجه الالزام لهم الجهالة كانه قيل اذ زعمتم انّ هؤلاء
كانوا يهودا او نصارى وقد اخبر الله بخلاف ذلك منهم فقد لزمكم ان تكونوا اعلم من الله تعالى وهذا غاية
الخزى لمن بلغه و قوله تعالى وما الله بغافل عما تعملون فالغفلة والسهو والسّنة نظاير ومعنى الاية يحتمل
امرين احدهما ليس الله بساه عن كتمان الشهادة التى لزمكم القيام بها لله تعالى الثانى ان يكون على عمومه
والمعنى انه لا يخفى عليه شئ من المعلومات لا صغيرها ولا كبيرها فكونوا على حذر من الجزاء على السّيأت
بما تستحقونه من العقاب وكتم واخفى واسرّ معناها واحد والبينة والحجة واحد قوله تع تِلْكَ اُمَّةٌ قَدْ
خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْئَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ اية بلا خلاف قيل فى تكرار قوله تلك
امة قد خلت قولان احدهما انه عنى بالاول ابرهيم ومن ذكر معه من الانبياء والثانى عنى به اسلافهم من
ابائهم الذين هم على ملّتهم والقول الثانى ان الجواب اذا اختلفت اوقاته فكان الثانى فى غير موطن الاول
وكان بعد مدة من وقوع الاول بحسب ما اقتضيه الحال لم يكن ذلك معيبا عند اهل اللغة ولا عند العقلاء
والاعتراض عليهم بقوله تلك امة قد خلت انه اذا لم تشكّوا ان يكون فرضهم غير فرض الامة التى قد خلت قبلكم ولا تحتجوا
بانه لا يجوز ان يخالفوا عليه ولو سلم لكم انهم كانوا على ما تذكرونه ما جاز لكم ان تتركوا ما نقلكم الله عنه على لسان
رسوله محمّد صلّى الله عليه واله اذ لله تعالى ان ينسخ من الشريعة ما شاء ويقرّ منها ما شاء على ما يعلم فى ذلك من
وجوه الحكمة وعموم المصلحة وقيل ان ذلك ورد مورد الوعظ لهم بانه اذا كان لا يوجد الانسان الا بعمله
فينبغى ان تجدّوا على انفسكم وتبادروا بما يلزمكم ولا تتّكلوا على فضايل الاباء والاجداد فانّ ذلك لا ينفعكم
اذا خالفتم امر الله فيما اوجب عليكم والمعنى بقوله تلك امة قد خلت على قول قتادة والربيع ابرهيم عليه السّلم

ومن ذكر معه وعلى قول الجبائى وغيره من سلف من ابائهم الذين كانوا على ملّتهم اليهودية والنصرانية
وقد بيّنا فيما مضى انّ الامّة الجماعة التى تؤمّ جهة واحدة كامّة محمّد صلّى الله عليه واله التى تؤمّ العمل
على ما دعاه اليه وكذلك امم ساير الانبياء صلوات الله عليهم والخلاء الفراغ يقال فرغ من عمله وفرغ
من مكانه وانما قيل لما مضى خلا لانه خلا منه مكانه والكسب الفعل الذى يجرّ لفاعله علمه نفعا او يدفع به ضررا
وانما قيل كسبا للسيئة لانه اجتلب بها النفع عاجلا و قوله ولا تسئلون معناه لا تطالبون والسؤال الطلب
وهو ايضا الاخبار الذى اقتضاه ما تقدّم من الكلام اى لا يقال لكم لم عصى اباؤكم وانما يقال لكم لم عصيتم
ولم ظلمتم قوله تع سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّيهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِى كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ
لِلّٰهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِى مَنْ يَشَاءُ اِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ اية واحدة بلا خلاف اخبر الله تعالى نبيّه
عليه السّلم انه سيقول لك فيما بعد السّفهاء وهو جمع سفيه وهو الجاهل والغبىّ نظاير وما ولّاهم
معناه اىّ شئ ولّاهم ومعنى ولّاهم صرفهم عنه ومثله قلّبه عنه وفتله عنه عن قبلتهم التى كانوا عليها
والقبلة الجهة التى تستقبل فى الصّلاة وقبلة المسلمين الكعبة والسّفه الخفيف الى ما لا يجوز له ان يخفّ
اليه وهى صفة ذمّ فى الدّين وضدّ السّفه الحكمة واشتقاق ولّاهم من الولى وهو حصول الثانى بعد
الاول من غير فصل فالثانى يلى الاول والثالث يلى الثانى والرابع يلى الثالث ثم هكذا ابدا وولى عنه خلافه
وولّى اليه مثل قولك عدل عنه وعدل اليه وانصرف عنه وانصرف اليه فاذا كان الذى يليه متوجّها اليه
فهو متولّ اليه واذا كان متوجّها الى خلاف جهته فهو متولّ عنه والقبلة مثل الجلسة للحال التى يقابل
الشئ غيره عليها كما انّ الجلسة للتى يجلس عليها فكان يقال فيما حكى هو لى قبلة وانا له قبلة ثم صار علما
على الجهة التى تستقبل فى الصّلاة واختلفوا فى الذين عابوا المسلمين بالانصراف عن قبلة بيت المقدّس الى
الكعبة على ثلثة اقوال فقال ابن عبّاس والبراء بن عازب هم اليهود وقال الحسن هم مشركوا العرب وان
رسول الله صلّى الله عليه واله لمّا حوّل الى الكعبة من بيت المقدّس قالوا يا محمّد ص رغبت عن قبلة ابائك ثم رجعت اليها
ايضا والله لترجعنّ الى دينهم والثالث قال السّدى انهم المنافقون قالوا ذلك استهزاء بالاسلام واختلفوا
فى سبب عيبهم الصّرف عن القبلة فقال قوم انهم قالوا ذلك على وجه الانكار للنسخ وقال ابن عبّاس ان قوما
من اليهود قالوا يا محمّد ما ولّاك عن قبلتك التى كنت عليها ارجع اليها نتّبعك ونؤمن واردوا بذلك فتنته
الثالث انه قال ذلك مشركوا العرب ليوهموا انّ الحق ما هم عليه وانما صرفهم الله عن القبلة الاولى لما علم
الله تعالى من تغيّر المصلحة فى ذلك وقيل انما فعل ذلك لما قال تعالى وما جعلنا القبلة التى كنت عليها الا لنعلم
من يتّبع الرّسول ممّن ينقلب على عقبيه لانهم كانوا بمكة امروا ان يتوجهوا الى بيت المقدس ليتميّزوا
من المشركين الذين كانوا بحضرتهم يتوجهون الى الكعبة فلما انتقل رسول الله صلّى الله عليه واله
الى المدينة كانت اليهود المجاورون للمدينة يتوجّهون الى بيت المقدّس فنقلوا الى الكعبة ليتميّزوا
من هؤلاء كما اريد فى الاوّل ان يتميّزوا من اولئك واختار ذلك البلخى والجبّائى والرّمانى و قوله تع
قل لله المشرق والمغرب امر من الله تعالى لنبيّه عليه السّلم ان يقول لهؤلاء الذين عابوا انتقالهم عن بيت
المقدّس الى الكعبة المشرق والمغرب ملك لله يتصرّف فيهما كيف شاء على ما تقتضيه حكمته والمشرق
والمطلع نظاير وكذلك المغرب والمغيب نظاير وفى الاية دلالة على جواز النسخ لانه تعالى نقلهم عن
عبادة كانوا عليها الى ايقاعها على وجه اخر وهذا هو النسخ و قوله ولله المشرق والمغرب فيه دلالة
على انّ من له المشرق والمغرب فله التدبير فيهما وفى ذلك اسقاط قول من زعم انّ الارض المقدّسة اولى
بالتوجّه اليها لانها مواطن الانبياء وقد شرّفها الله وعظّمها فلا وجه للتولية عنها فردّ الله عليهم
بانّ المواطن كلها لله يشرّف منها ما يشاء فى كل زمان على ما يعلمه من مصالح العباد وقال ابن عباس
والبراء ابن عازب انه كانت الصّلاة الى بيت المقدّس الى بعد مقدم النبىّ عليه السّلام بسبعة عشر شهرا
وقال انس بن مالك انما كان ذلك تسعة اشهر او عشرة اشهر وقال معاذ بن جبل كان ثلثة عشر

شهرا وقال قتادة صلّت الانصار نحو بيت المقدس حولين قبل قدوم النبي عليه السلام وصلى النبي صلى الله عليه وسلم بعد
قدومه المدينة ستة عشر شهرا ثم وجهه الله الى الكعبة ولا خلاف ان التوجه الى بيت المقدس قبل
النسخ كان فرضا واجبا ثم اختلفوا فقال الربيع كان ذلك على وجه التخيير خيّر الله نبيه بين ان يتوجه
الى بيت المقدس وبين غيرها وقال ابن عباس واكثر المفسرين كان ذلك فرضا معينا وهو الاقوى لقوله
وما جعلنا القبلة التي كنت عليها فبيّن انه جعلها قبلة وظاهر ذلك انه معيّن لانه لا دليل على التخيير على انه لو ثبت
انه كان مخيرا لما خرج من ان يكون فرضا كما ان الفرض ان يصلّي الصلاة في الوقت ثم هو مخير بين اوله واوسطه
واخره ✿ قوله والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم معناه يهديهم الى الدين المستقيم الذي يؤديهم
الى الجنة فلذلك سماه صراطا كما يؤدي الطريق الى المقصد **قوله تعالى** وَكَذٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ اُمَّةً
وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ
عَلَيْهَا اِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلٰى عَقِبَيْهِ وَاِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً اِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى
اللّٰهُ وَمَا كَانَ اللّٰهُ لِيُضِيعَ اِيمَانَكُمْ اِنَّ اللّٰهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ اية بلا خلاف قرأ ابن كثير ونافع و
ابن عامر وحفص عن عاصم لرؤف على وزن لرعوف الباقون لرؤف على وزن فعل اخبر الله تعالى انه
جعل امة نبيه محمد صلى الله عليه واله وسطا اى سماها بذلك وحكم لها به والوسط العدل وقيل
الخيار ومعناهما واحد وقيل انه ماخوذ من المكان الذي تعتدل المسافة منه الى اطرافه وقيل بل اخذ
الوسط من التوسط بين المقصر والغالي فالحق معه وقال مورج اى وسطا بين الناس وبين انبيائهم و
قال زهير هم وسط يرضى الانام بحكمهم اذا نزلت احدى الليالي بمعظم
وروى عن النبي صلى الله عليه واله انه قال امة وسطا عدلا وهو قول مجاهد وقتادة والربيع وابن
عباس واكثر المفسرين وقال صاحب العين الوسط من الناس وغيرهم ومن كل شيء اعدله وافضله وقيل
الواسط والوسط بمعنى كما قيل يابس ويبس بمعنى واحد وقال تعالى في البحر يبسا والوسط بتسكين السين ‏ ٥ واحد
الموضع والوسط بالتحريك لما بين طرفي كل شيء ويسمى واسط الرحل وسطا بين القادمة والاخرة
وكذلك واسطة القلادة واصل الباب الوسط العدل وقولهم فلان من اوسطهم نسبا اى من مكان الشرف
من نواحيه واللام الاولى في قوله لتكونوا شهداء على الناس لام كي كانه قال كي تكونوا واصلها لام الاضافة
واللام في قوله وان كانت لكبيرة لام تاكيد وهي تلزم ان المخففة من الثقيلة لئلا تلتبس بان التي بمعنى
ما كقوله تعالى ان الكافرون الا في غرور وهي لام الابتداء اخّرت الى الخبر في باب ان خاصة واما اللام
الثالثة في قوله وما كان الله ليضيع ايمانكم فلام الجحد واصلها لام الاضافة والفعل نصب باضمار
ان ولا يظهر بعدها ان لان التاويل ما كان الله مضيعا ايمانكم فلما حمل معناه على التاويل حمل لفظه
ايضا على التاويل من غير تصريح باظهار ان فان قيل باى شيء يشهدون على الناس قلنا فيه ثلثة اقوال
احدها ليشهدوا على الناس باعمالهم التي خالفوا فيها الحق في الدنيا وفي الاخرة كما قال وجيء بالنبيين
والشهداء وقال يوم يقوم الاشهاد قال ابن زيد الاشهاد اربعة الملئكة والانبياء وامة محمد صلى الله عليه
واله والجوارح كما قال يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون الثاني يشهدون
الانبياء على اممهم المكذبين بانهم بلغوا وجاز ذلك لاعلام النبي صلى الله عليه وسلم اياهم بذلك الثالث لتكونوا شهداء
على الناس اى حجة عليهم فيما يشهدون كما ان النبي صلى الله عليه وسلم شهيد بمعنى حجة في كلما اخبر والنبي صلى الله عليه وسلم وحده كذلك
فاما الامة فجماعتها حجة دون كل واحد منها واستدل البلخي والجبائي والرماني وابن الاخشاد وكثير من
الفقهاء وغيرهم بهذه الاية على ان الاجماع حجة من حيث ان الله وصفهم بانهم عدول فاذا عدّلهم الله
لم يجز ان تكون شهادتهم مردودة وقد بينا في اصول الفقه انه لا دلالة فيها على ان الاجماع حجة وجملته
ان الله تعالى وصفهم بانهم عدول وبانهم شهداء وذلك يقتضي ان يكون كل واحد عدلا وشاهدا لان شهداء

جمع

جمع شهيد وقد علمنا ان كل واحد من هذه الامة ليس بهذه الصفة فلم يجز ان يكون المراد ما قالوه على ان الامة
ان اريد بها جميع الامة فقد بينا ان فيها كثيرا ممن يحكم بفسقه بل بكفره فلا يجوز حملها على الجميع وان خصّوها
بالمؤمنين العدول لنا ان نخصها بجماعة كل واحد منهم موصوف بما وصفنا به جماعتهم وهم الائمة المعصومون
من ال الرسول على انا لو سلّمنا ما قالوه من كونهم عدولا لا ينبغي ان نجنبهم ما يقدح في عدالتهم وهي الكبائر
فاما الصغائر التي تقع مكفّرة فلا تقدح في العدالة فلا ينبغي ان نمنع منها ومتى جوّزنا عليهم الصغائر لم يمكنا ان
نحتج باجماعهم لانه لا شيء اجمعوا عليه الا ويجوز ان يكون صغيرا فلا يقدح في عدالتهم ولا يجب الاقتداء بهم فيه لكونه
قبيحا وفي ذلك بطلان الاحتجاج باجماعهم وكيف يجيزون الصغائر وحال شهادتهم ليس باعظم من شهادة النبي صلى الله عليه وسلم
ومع هذا يجوّزون عليه الصغائر فهلا جاز مثل ذلك عليهم ولا تقدح في عدالتهم كما لم تقدح في عدالة النبي صلى الله عليه وسلم
✿ قوله ويكون الرسول عليكم شهيدا قيل في معناه قولان احدهما عليكم شهيدا بما يكون من اعمالكم وقيل يكون
حجة عليكم والثاني يكون لكم شهيدا بانكم قد صدقتم يوم القيامة فيما تشهدون به وجعلوا على بمعنى اللام كما قال
وما ذبح على النصب اى للنصب والتشبيه في قوله وكذلك دخلت فيه بما دل عليه الكلام في الاية التي قبلها وهو قوله يهدي
من يشاء الى صراط مستقيم فتقديره انعمنا عليكم بالعدالة كما انعمنا عليكم بالهداية والعامل في الكاف جعلناكم
وقيل يهدي من يشاء الى صراط مستقيم فقد انعمنا عليكم بذلك ثم جعلناكم امة وسطا فانعمنا كذلك الانعام الاول لان جعلنا
يدل على انعمنا في هذا الكلام فلم يحتج الى ذكره وقوله تعالى وما جعلنا القبلة التي كنت عليها اى ما صرفناك عن
القبلة التي كنت عليها الا لنعلم وحذف لدلالة الكلام عليه ✿ قوله الا لنعلم قيل في معناه ثلثة اقوال اولها الا
لنعلم اى لنعلم حزبنا من النبي والمؤمنين كما يقول الملك فعلنا وفتحنا بمعنى فعل اولياؤنا ومنه قيل فتح عمر السواد
وجبا الخراج وان لم يتول ذلك بنفسه الثاني الا ليحصل المعلوم موجودا فقيل على هذا الا لنعلم لانه قبل وجود المعلوم
لا يصح وصفه بانه عالم بوجوده الثالث الا لنعاملكم معاملة المختبر الممتحن الذي كانه لا يعلم الا ان العدل يوجب
ذلك من حيث لو عاملهم بما يعلم انه يكون منهم كان ظالما لهم ونظير ذلك قول القائل لمن انكر ان يكون النار محرقة
الحطب فليحضر النار والحطب لنعلم ايحرق ام لا على جهة الانصاف في الخطاب لا على جهة الشك في الاحراق وهذا
الوجه اختاره ابن الاخشاد والرماني وكان علي بن الحسين المرتضى الموسوي يقول في مثل ذلك وجها مليحا وهو ان قال
قوله لنعلم يقتضي حقيقته ان يعلم هو وغيره ولا يحصل علمه مع علم غيره الا بعد حصول الاتباع فاما قبل حصوله
فانما يكون هو تعالى العالم وحده فصح حينئذ ظاهر الاية وهذا وجه رابع وفيه قول خامس وهو ان يعلموا انا
نعلم لانه كان منهم من يعتقد ان الله تعالى لا يعلم الشيء حتى يكون على ان قوله لنعلم من يتبع الرسول لا يدل على
حدوث العلم لانه كان قبل ذلك عالما بان الاتباع سيوجد ولا يوجد فان وجد كان عالما بوجوده وان
يتجدد له صفة وانما يتجدد المعلوم لان العلم بان الشيء سيوجد علم بوجوده اذا وجد وانما يتغير عليه الاسم
ويجري ذلك مجرى تغيّر الاسم على زمان بعينه بان يوصف بانه غد قبل حصوله فاذا حصل قبل انه اليوم فاذا
تقضى وصف بانه امس فتغيّر عليه الاسم والمعلوم لم يتغير ✿ قوله تعالى ممن ينقلب على عقبيه قيل في معناه قولان
احدهما ان قوما ارتدوا عن الاسلام لما حولت القبلة جهلا منهم بما فيها من وجه الحكمة والاخر ان المراد
به كل مقيم على كفره لان جهة الاستقامة اقبال وخلافها ادبار ولذلك وصف الكافر بانه ادبر واستكبر
وقال لا يصلاها الا الاشقى الذي كذب وتولى اى عن الحق والعقب مؤخر القدم قال ثعلب ونرد على اعقابنا اى
نعقب بالشر بعد الخير وكذلك رجع على عقبيه ومنه سميت العقوبة لانها تتلو الذنب والعقبة كرة بعد كرة
في الركوب والمشي والمعقبات ملئكة الليل تعاقب ملائكة النهار وعقب الانسان نسله والعقاب معروف
والعقب اصلب من العصب وامتن يعقب به الرماح والتعقيب الرجوع الى امر تريده ومنه قوله تعالى ولم يعقب
ومنه يقال عقب الليل النهار يعقبه واعقب الرأي خيرا واعقب عزه ذلا اى ابدل به والعقبة طريق في الجبل
وعر والعقاب الراية لشبهها بعقاب الطاير واليعقوب ذكر القبج تشبيها بالخيل في السرعة لا معقب لحكمه
اى لا راد لقضائه والمعقب الذي يتبع الانسان في طلب حق واصل الباب التلو والتعقيب

في قوله

نصرفوا وجوههم نحو البيت الحرام فى بقية صلاتهم وقوله وحيثما كنتم موضع كنتم جزم بالشرط وتقديره وحيث
ما تكونوا والفاء جواب ولولا ما لم يجز الجزاء بحيث لخروجها عن نظائرها بانه لا يستفهم بها ولان الاضافة
لها كالصلة لغيرها وليست بصلة كصلة اخواتها والهاء فى قوله تعم وانه للحق على قول الجبائى يعود الى التحويل
وقال الحسن هى عائدة الى التوجه الى الكعبة لانها قبلة ابرهيم والانبياء قبله والحق وضع الشئ فى موضعه
اذا لم يكن فيه وجه من وجوه القبح والغفلة هى السهو عن بعض الاشياء خاصة واذا كان السهو عاما فهو
فوق الغفلة وهو السهو العام لان النائم لا يقال انه غفل عن الشئ الا مجازا وقال عطا فى قوله تعم فول
وجهك شطر المسجد الحرام قال الحرم كله مسجد وهذا مثل قول اصحابنا ان الحرم قبلة من كان نائيا عن
الحرم من اهل الافاق واختلف الناس فى صلاة النبى صم الى بيت المقدس فقال قوم كان يصلى بمكة الى الكعبة
فلما صار بالمدينة امر بالتوجه الى بيت المقدس سبعة عشر شهرا ثم اعيد الى الكعبة وقال قوم كان يصلى بمكة
الى بيت المقدس الا انه كان يجعل الكعبة بينه وبينها ولا يصلى فى غير المكان الذى يمكن هذا فيه وقال قوم بل
كان يصلى بمكة وبعد قدومه المدينة سبعة عشر شهرا الى بيت المقدس ولم يكن عليه ان يجعل الكعبة بينه وبينها
ثم امره الله بالتوجه الى الكعبة ومن صلى الى غير القبلة لشبهة دخلت عليه ثم تبينه فان كان الوقت باقيا اعاد
الصلاة وان خرج الوقت فان كان نصلى يمينا وشمالا فلا اعادة عليه وان صلى الى استدبارها اعاد وفيه خلاف
بين الفقهاء ذكرناه فى الخلاف **قوله تعم** وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ
وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ
الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ اية بلا خلاف اختلف النحويون فى ان جواب لئن لم كان جواب لو فقال الاخفش و
من تبعه اجيبت بجواب لو لان الماضى وليها كما يلى لو فاجيبت بجواب لو ودخلت كل واحدة منهما على صاحبتها
قال الله تعم ولئن ارسلنا ريحا فراوه مصفرا لظلوا من بعده يكفرون فجرى مجرى ولو ارسلنا وقال ولو انهم
امنوا واتقوا لمثوبة من عند الله على جواب لئن وقال سيبويه وجميع اصحابه ان معنى لظلوا من بعده يكفرون ليظلن
ومعنى لئن غير معنى لو فى قول الجماعة وان قالوا ان الجواب متفق لانهم لا يدفعون ان معنى لئن ما يستقبل و
معنى لو ما مضى وحقيقة معنى لو انها يمتنع بها الشئ لامتناع غيره كقولك لو اتيتنى لاكرمتك اى لم تاتنى فلم
اكرمك فامتنع الاكرام لامتناع الاتيان ومعنى ان ولئن انما يقع بهما الشئ لوقوع غيره تقول ان تاتنى
اكرمك فالاكرام يقع بوقوع الاتيان وقال بعضهم ان كل واحدة منهما على موضعها وانما لحق فى الجواب هذا
التداخل للدلالة اللام على معنى القسم فجاء الجواب بجواب القسم فاغنى عن جواب الجزاء لدلالته عليه لان معنى
لظلوا ليظلن وهذا هو معنى قول سيبويه ويجوز ان تقول ان اتيتنى لم اجفك ولا يجوز ان تقول ان اتيتنى
ما جفوتك لان ما منفصلة ولم يجز من الفعل الا ترى انه يجوز ان تقول زيدا لم اضرب ولا يجوز زيدا ما ضربت و
انما يجاب الجزاء بالفعل والفاء فاذا تقدم لام القسم جاز فقلت لئن اتيتنى ما جفوتك فان قيل كيف قال ولئن اتيت
الذين اوتوا الكتاب بكل اية ما تبعوا قبلتك وقد امن منهم خلق قلنا عنه جوابان احدهما قال الحسن ان المعنى
ان جميعهم لا يؤمن وهو اختيار الجبائى والثانى ان ذلك مخصوص لمن كان معاندا من اهل الكتاب دون جميعهم
الذين وصفهم الله فقال يعرفونه كما يعرفون ابناءهم ثم اختاره البلخى والزجاج وهذه الاية دالة على فساد قول
من قال لا يكون الوعيد بشرط وعلى فساد قول من قال بالموافاة وان من علم الله انه يؤمن لا يستحق العقاب اصلا
لان الله تعم علق الوعيد بشرط يوجب ان يكون متى تحصل الشرط تحصل استحقاق العقاب وفيها دليل على فساد
قول من قال ان الوعيد لا يقع لمن علم انه لا يعصى لان الله تعم علم من حال الرسول انه لا يتبع اهواءهم ومع هذا
يوعده ان اتبع اهواءهم وفيها لا اية دلالة على بطلان قول من قال ان فى المقدور لطفا لو فعل الله بالكافر
لامن لا محالة لانه قيل فى قوله ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب بكل اية ما تبعوا قبلتك قولان احدهما ان
المعاند لا ينفعه الدلالة لانه عارف والاخر انه لا لطف لهم فلم تنبه ليؤمنوا وعلى القولين فيه دلالة على فساد
قول اصحاب اللطف لان مخرجه مخرج التنصل من التكليف عنهم ما يؤمنون عنده طوعا فلو قال قائل وما فى

فى قوله وان كانت لكبيرة يحتمل رجوعه الى ثلثة اشياء القبلة على قول ابن عامر و التحويلة
على قول ابن عباس ومجاهد وقتادة وهو الاقوى لان القوم ثقل عليهم التحويل لا نفس
القبلة وعلى قول ابن زيد الصلاة وقوله لكبيرة قال الحسن معناه ثقيلة يعنى التحويل الى بيت
المقدس لان العرب لم يكن قبلة احب اليهم من الكعبة وقيل معناه عظيمة على من لم يعرف ما
فيها من وجوه الحكمة فاما الذين هدى الله لان المعرفة بما فيها من المصلحة تسهل المشقة
فيصير بمنزلة ما لا يعتد بها ولذلك حسن الاستثناء بما يخرجهم منها وقوله وما كان الله ليضيع ايمانكم
فى معناه اقوال اولها قال ابن عباس وقتادة والربيع لما حولت القبلة قال ناس كيف باعمالنا
التى كنا نعمل فى قبلتنا الاولى وقيل كيف من مات من اخواننا قبل ذلك فانزل الله وما كان الله
ليضيع ايمانكم الثانى معناه قال الحسن وانه لما ذكر ما عليهم من المشقة فى التحويل اتبعه
بذكر ما لهم عنده بذلك من المثوبة وانه لا يضيع ما عملوه من الكلفة فيه لان التذكير به
يبعث على ملازمة الحق والرضا به الثالث قال البلخى انه لما ذكر انعامه عليهم بالتولية
الى الكعبة ذكر سبب ذلك الذى استحقوه به وهو ايمانهم بما عملوه اولا فقال وما كان الله
ليضيع ايمانكم الذى استحققتم به تبليغ محبتكم فى التوجه الى الكعبة والاضاعة مصدر اضاع
يضيع وضاع الشئ يضيع ضياعة وضيعه تضييعا قال صاحب العين ضيعة الرجل حرفته يقال ما ضيعتك
اى ما حرفتك هذا فى الضياع وضاع عيال فلان ضيعة وضياعا وتركهم بضيعة ومضيعة والضيعة والضياع
معروف واصل الباب الضياع الهلاك وقوله ان الله بالناس لرؤف رحيم ان قيل ما الذى اقتضى ذكر
هذه الصفة قلنا الرؤف بعباده الرحيم بهم لا يضيع عنده عمل عامل منهم فدل بالرافة والرحمة على التوفير
عليهم فيما استحقوه دون التضييع بشئ منه وانما قدمت الرافة على الرحمة لان الرافة اشد مبالغة من الرحمة
ليجرى على طريقة التقديم بما هو اعرف مجرى اسماء الاعلام ثم اتباعه بما هو دونه منه ليكون مجموع
ذلك تعريف ابلغ منه لو انفرد كل واحد عن الاخر كما هو فى الرحمن الرحيم فرؤف على وزن فعول
لغة اهل الحجاز وعلى وزن فعل لغة غيرهم قال الانصارى   نطيع نبينا ونطيع ربا   هو الرحمن
كان بنا رؤفا   وقال جرير يعنى منعيين حقا كفعل الوالد الرؤف الرحيم والرافة الرحمة يقول
رأف يرأف رافة واستدل من قال الايمان الصلوة بهذه الاية فقالوا سمى الله الصلوة ايمانا على تاويل
ابن عباس وقتادة والسدى والربيع وداود بن ابى عاصم وابن زيد وسعيد بن المنذر وعمرو بن عبيد
وواصل وجميع المعتزلة ومن خالفهم من المرجئة لا يسلم هذا التاويل ويقول الايمان على ظاهره
وهو التصديق ولا يترك ذلك بقول من ليس قوله حجة لانهم ليسوا جميع المفسرين بل بعضهم ولا يكون
ذلك حجة واستدل الجبائى بهذه الاية على ان الشاهد هو الحاضر دون من مات بان قال لو كان الرسول
شاهدا على من مضى قبله او من ياتى بعده ومن هو حاضر معه لم يكن لقوله ويكون الرسول عليكم شهيدا
معنى ويؤكد ذلك قوله وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم وقال غيره قد يجوز ان يشهد العالم بما علم وان
لم يحضره وهو الاقوى وهذه الاية فيها دلالة على جواز النسخ فى الشريعة بل على وقوعه لانه قال وما
جعلنا القبلة التى كنت عليها فاخبر ان الجاعل لتلك القبلة كان هو تعالى وانه هو الذى نقله عنها و
ذلك هو النسخ فان قيل كيف اضاف الايمان الى الاحياء وهم كانوا قالوا كيف بمن مضى من اخواننا قلنا
يجوز ذلك على التغليب لان من عادتهم ان يغلبوا المخاطب على الغايب كما يغلبون المذكر على المؤنث
تنبيها على الاكمل فيقولون فعلنا بكما وبلغنا كما وان كان احدهما حاضرا والاخر غائبا فان قيل كيف جاز على
اصحاب النبى صلى الله عليه وآله الشك فيمن مضى من اخوانهم فلم يدروا انهم كانوا على حق فى صلوتهم
الى بيت المقدس قيل فى ذلك كيف اخواننا لو ادركوا الفضل بالتوجه وانهم احبوا لهم ما احبوا لانفسهم
ويكون قال ذلك منافق بما فيه الرد على المخالفين المنافقين قوله تعالى قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ

فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره وان الذين اوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم وما الله بغافل عما تعملون آية بلا خلاف قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وابو جعفر وروح عما تعملون بالتاء والباقون بالياء وقال قوم ان هذه الآية نزلت قبل التي تقدمها وهي قوله سيقول السفهاء ان قيل لم قلب النبي ص وجهه في السماء قلنا عليه جوابان احدهما انه كان وعد بالتحويل عن بيت المقدس وكان يفعل ذلك انتظارا وتوقعا لما وعد به والثاني انه كان يحبه محبة الطباع ولم يكن يدعو به حتى اذن له فيه لان الانبياء لا يدعون الا بما اذن لهم فيه لئلا يكون المصلحة في خلاف ما سألوه فيكون في ردهم تنفير عن قبول قولهم وهذا الجواب يروى عن ابن عباس وقتادة وقيل بسبب محبته التوجه الى الكعبة ثلاثة اقوال اولها قال مجاهد انه احب ذلك لانها كانت قبلة ابراهيم حكى الزجاج انها احب ذلك لاستدعاء العرب الى الايمان وقوله قد نرى فالرؤية هي ادراك الشيء من الوجه الذي يتبين بالبصر وقوله تقلب وجهك التقلب التحول والتصرف نظاير وهو التحرك في الجهات وقوله ترضاها اي تحبها والرضا ضد السخط وهو ارادة الثواب والسخط ارادة الانتقام وقوله شطر المسجد اي نحوه وتلقاءه بلا خلاف بين اهل اللغة وعليه المفسرون كابن عباس ومجاهد وابي العالية وقتادة والربيع وابن زيد وغيرهم قال الشاعر

وقد اظلكم من شطر ثغركم هول له ظلم يغشاكم قطعا

اي من نحو ثغركم وانشد ابن عبيدة الهذلي

ان العسير بها داء مخامرها فشطرها نظر العينين محسور

وقال الراجز

تعدو بنا شطر جمع وهي عاقدة قد كارب العقد من ايغادها الحقبا

وقال الجبائي اراد بالشطر النصف كانه قال فول وجهك نصف المسجد لان شطر الشيء نصفه فاراد ان يولي وجهه نحو نصف المسجد حتى يكون مقابل الكعبة وهذا فاسد لانه خلاف اقوال المفسرين ولان اللفظ اذا كان مشتركا بين النصف وبين النحو ينبغي الا يحمل على احدهما الا بدليل وعلى ما قلناه اجماع المفسرين قال الزجاج يقال هؤلاء القوم شاطرونا اي دورهم تتصل بدورنا كما يقال هؤلاء يناحوننا اي نحن نحوهم وهم نحونا وقال صاحب العين شطر كل شيء نصفه وشطره قصده ونحوه ومنه المثل احلب حلبا لك شطره اي نصفه وشطرت الشيء جعلته نصفين وقد شطرت الشاة شطارا وهو ان يكون احد طبييها اكثر من الآخر وان حلبا جميعا ومنزل شطر اي بعيد وشطر فلان على اهله اي تركهم مراغما او مخالفا ورجل شاطر وقد شطر شطورا وشطارة وهو الذي اعيا اهله ومؤدبه خبثا واصل الباب الشطر النصف وقال السدي المعني بقوله وان الذين اوتوا الكتاب هم اليهود وقال غيره بل هم احبار اليهود وعلماء النصارى غير انهم جماعة قليلة يجوز على مثلهم اظهار خلاف ما يبطنون لان الجمع الكثير لا يتأتى ذلك منها لما يرجع الى العادة وانها لم تجر بذلك مع اختلاف الدواعي وانما يجوز العناد على النفر القليل وقد مضى فيما تقدم نظير ذلك وان على ما نذهب اليه في الموافاة لا يمكن ان يكونوا عارفين بذلك الا ان يكون نظيرهم لا يوجب وجوبا لمعرفة فاذا حصلت المعرفة عند ذلك فلا يستحقون عليها الثواب لان الذي يمنع منه ان يكونوا مستحقين للثواب الدائم ويكفرون فيستحقون العقاب الدائم والاحباط باطل فيؤدي ذلك الى اجتماع الاستحقاقين الدائمين وذلك خلاف الاجماع وهذه الآية ناسخة لفرض التوجه الى بيت المقدس قبل ذلك وروي عن ابن عباس انه قال اول ما نسخ من القرآن فيما ذكر لنا شأن القبلة وقال قتادة نسخت هذه الآية ما قبلها وقال جعفر بن مبشر هذا مما نسخ من السنة بالقرآن وهذا هو الاقوى لانه ليس في القرآن ما يدل على تعبده بالتوجه الى بيت المقدس ومن قال انها نسخت قوله تعالى فاينما تولوا فثم وجه الله قلنا له هذه ليست منسوخة بل هي مختصة بالنوافل في حال السفر فاما من قال يجب على الناس ان يتوجهوا الى الميزاب الذي على الكعبة ويقصدوه فقوله باطل لانه خلاف ظاهر القرآن قال ابن عباس البيت كله قبلة وهو قول جميع المفسرين وروى بعض اصحاب الحديث ان البيت هو القبلة وان قبلته بابه وهذا يجوز فاما ان يجب على جميع الخلق التوجه اليه فهو خلاف الاجماع وقوله حيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره روي عن ابي جعفر وابي عبد الله عليهما السلام ان ذلك في الفرض وقوله فاينما تولوا فثم وجه الله في النافلة وروي عن ابن عباس وابي جعفر محمد بن علي انه لما حول الكعبة اتى رجل من عبد الاشهل من الانصار وهم قيام يصلون الظهر قد صلوا ركعتين نحو بيت المقدس فقال ان الله قد صرف رسوله نحو البيت الحرام

ان الآية لا ينفعهم في الايمان ثم لطف ينفعهم فيه لكان لا يسقط سؤال الآيات فيقال لا لطف لهم كما لا آية تنفعهم وقوله ولئن اتبعت اهواءهم قيل في معناه ثلاثة اقوال احدها لئن اتبعت اهواءهم في المداراة لهم حرصا على ان يؤمنوا انك اذا لمن الظالمين لنفسك مع اعلامنا اياك انهم لا يؤمنون هذا قول ابي علي الجبائي الثاني الدلالة على ان الوعيد يجب باتباع اهوائهم فيما دعوا اليه من قبلتهم وانه لا ينفع مع ذلك عمل سلف لانه ارتداد والخطاب للنبي والمراد به كل من كان بتلك الصفة كما قال لئن اشركت ليحبطن عملك وهذا قول الحسن والزجاج الثالث ان معناه الدلالة على فساد مذاهبهم وتبكيتهم بها كما تقول لئن قيل مثل انه لخاسر تريد به التبكيت على فساد رايه والتبعيد من قبوله وقوله وما انت بتابع قبلتهم قيل في معناه اربعة اقوال اولها انه لما قال ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك وما انت بتابع قبلتهم على وجه المقابلة كما تقول ما هم بتاركي انكار الحق وما انت بتارك الاعتراف به فيكون الذي جر الكلام الثاني التقابل للكلام الاول وذلك حسن من كلام البلغاء الثاني ان يكون المراد انه ليس يمكنك استصلاحهم باتباع قبلتهم لاختلاف وجهتهم لان النصارى تتوجه الى المشرق واليهود الى بيت المقدس فبين الله تعالى ان ارضاء الفريقين محال الثالث ان يكون المراد حسم طمع اهل الكتاب من اليهود اذ كانوا طمعوا في ذلك وظنوا انه يرجع الى الصلاة الى بيت المقدس وماجوا في ذكره الرابع انه لما كان النسخ مجوزا قبل نزول هذه الآية فانزل الله تعالى الآية ليرتفع ذلك التجويز وقوله وما بعضهم بتابع قبلة بعض في معناه قولان احدهما قال الحسن والسدي وابن زيد والجبائي انه لا يصير النصارى كلهم يهودا ولا اليهود كلهم يصيرون نصارى ابدا كما لا يتبع جميعهم الاسلام وهذا من الاخبار بالغيب وقال غيرهم معناه اسقاط الاعتلال بانه مخالفة لاهل الكتاب الذين ورثوا ذلك عن انبياء الله بامر اياهم به فكما جاز ان يخالف بين وجهتهم للاستصلاح جاز ان يخالف بوجهة ثالثة للاستصلاح في بعض الازمان وقد بينا حد الظلم فيما تقدم واعترضنا قول من قال هو الضرر القبيح الذي يستحق به الذم من حيث ان ذلك ينتقض بفعل الساهي والنائم والطفل والمجنون اذا كان بصفة الظلم فانه يكون قبيحا وان لم يستحقوا به ذما ومن خالف في ذلك كان الكلام عليه في موضع آخر على ان المخالف في ذلك ناقض فانه قال ان الكذب يقع من الصبي ويكون قبيحا وهذا اذا جاز هلا جاز ان يقع منه الظلم فان قال لان العقل للانسان البالغ يزجر الصبي عن ذلك بالتاديب قلنا مثل ذلك في الظلم سواء **قوله تعالى** الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون آية بلا خلاف اخبر الله تعالى عن اهل الكتاب انهم يعرفون النبي ص كما يعرفون ابناءهم وان جماعة منهم يكتمون الحق مع علمهم بانه حق وقيل في الحق الذي كتموه قولان احدهما قال مجاهد كتموا محمدا ص ونبوته وهم يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل الثاني قال الربيع انهم كتموا امر القبلة وقوله وهم يعلمون يحتمل امرين احدهما يعلمون صحة ما كتموه والثاني يعلمون ما لمن دفع الحق من العقاب والذم والهاء في قوله يعرفونه عائدة في قول ابن عباس وقتادة والربيع على ان امر القبلة حق وقال الزجاج هي عائدة على انهم يعرفون النبي ص وصحة امره وثبوت نبوته وانما قال وان فريقا منهم ليكتمون الحق وفي اول الآية قال يعرفونه على العموم لان اهل الكتاب منهم من اسلم واقر به فلم يدخل في جملة الكاتمين كعبد الله بن سلام وكعب الاحبار وغيرهما ممن دخل في الاسلام والعلم والمعرفة واحد وحده ما اقتضى سكون النفس وان فصلت قلت هو الاعتقاد للشيء على ما هو به مع سكون النفس وفصل الرماني بين العلم والمعرفة بان قال المعرفة هي التي يتبين بها الشيء من غيره على جهة التفصيل والعلم قد يتميز به الشيء على طريق الجملة دون التفصيل كعلمك بان زيدا في جملة العشرة وان لم تعرفه بعينه وان فصلت بين الجملة التي هو فيها والجملة التي ليس هو فيها وهذا الذي ذكره غير صحيح لان المعرفة ايضا قد يتميز بها الشيء على طريق الجملة فلا فرق بينهما فان قيل لم قال يعرفونه كما يعرفون ابناءهم انهم ابناؤهم في الحقيقة ويعرفون ان محمدا ص هو النبي المبشر به في الحقيقة قلنا التشبيه وقع بين المعرفة بالابن في الحكم وهي معرفة يميزها من غيره وبين المعرفة بالنبي المبشر به في الحقيقة فوقع التشبيه بين معرفتين احداهما اظهر

من الاخرى قوله **الحق من ربك فلا تكونن من الممترين** اية بلا خلاف الحق مرتفع بانه خبر ابتدأ محذوف
وتقديره ذلك الحق من ربك او هو الحق من ربك ومثله مررت برجل كريم زيد اى هو زيد ولو نصب كان
جائزا فى العربية على تقديره علم الحق من ربك وقوله فلا تكونن من الممترين معناه من الشاكين ذهب اليه ابن
زيد والربيع وغيرهما من المفسرين والامتراء الاستخراج وقيل الاستدرار فكانه قال فلا تكونن من الشاكين
فيما يلزم من استخراج الحق فيه قال الاعشى تدر على اسوق الممترين ركضا اذا ما السحاب ارجحن
يعنى الشاكين فى درورها لطول سيرها وقيل المستخرجين ما عندها قال صاحب العين المرى مسح ضرع
الناقة تمرها بيدك لكى تسكن للحلب والريح تمرى السحاب مريا والمرية من ذلك المرية الشك ومنه الامتراء
والتمارى والمماراة والمراء واصل الباب الاستدرار ويقال بالشكر تمترى النعم اى تستدر وقال الحسن و
الربيع والجبائى معنى الاية فلا تكونن من الممترين فى الحق الذى تقدم اخبار الله به من امر القبلة وعناد من كتم
النبوة وامتناعهم من الاجتماع على ما قامت به الحجة وقال بعضهم لا تكونن من الممترين فى شىء يلزم العلم به
وهو الاولى لانه اعم والخطاب وان كان متوجها الى النبى صلى الله عليه وآله فالمراد به الامة كما قال تعالى يا ايها النبى اذا طلقتم
وقال يا ايها النبى اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين وقال قوم ان الخطاب له لانه انما لا يجوز
عليه ذلك لما لا ذمة امر الله تعالى ولو لم يكن هناك امر لم يصح ان يلزم والنون الثقيلة يؤكد بها الامر والنهى
ولا يؤكد بها الخبر لما كان المخبر يدل على كون المخبر به وليس كذلك الامر والنهى والاستخبار لانه لا يدل على
كون المدلول عليه فالزم الخبر التاكيد بالقسم وما يتبعه من جواب به واختصت هذه الاشياء بنون التاكيد
ليدل على اختلاف المعنى فى المؤكد ولما كان الخبر اصل الجمل اكد بابلغ التاكيد هو القسم **قوله تعالى**
ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات اينما تكونوا يأت بكم الله جميعا ان الله على كل شىء قدير
اية بلا خلاف قرأ ابن عامر وابو بكر عن عاصم مولاها وروى ذلك عن ابن عباس ومحمد بن على فجعلا الفعل واقعا
عليه والمعنى واحد كذا قال الفراء وفى قوله ولكل وجهة هو موليها اقوال احدها قال مجاهد والربيع وابن زيد
وابن عباس والسدى ان لكل اهل ملة من اليهود والنصارى والثانى قال الحسن ان لكل نبى وجهة واحدة وهى
الاسلام وان اختلفت الاحكام كما قال لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا اى فى شرايع الانبياء عليهم السلام الثالث قال قتادة
هو صلاتهم الى بيت المقدس وصلاتهم الى الكعبة الرابع ان لكل قوم من المسلمين وجهة من كان منهم وراء الكعبة
وقدامها او عن يمينها او عن شمالها وهو الذى اختاره الجبائى والوجهة قيل فيه قولان احدهما انه قبلة ذهب
اليه مجاهد وابن زيد الثانى قال الحسن هو ما شرعه الله لهم من الاسلام وفى وجهة ثلاث لغات وِجهة وجِهة
وَوجهة وانما اتم لانه اسم لم يجئ على الفعل ومن قال جهة قال المبرد جاء به على قولهم وجهتى ووجهته ومعنى
موليها مستقبلها فى قول مجاهد وغيره كانه قال هو مول اليها لان ولى اليه نقيض ولى عنه كقولك انصرف اليه و
انصرف عنه وقوله هو عايد على قول اكثر المفسرين الى كل وقال قوم يعود على اسم الله حكاهما الزجاج والخيرات
هى الطاعات لله على قول ابن زيد وغيره وقوله يأت بكم الله جميعا يعنى يوم القيمة من حيث ما متم من بلاد الله و
هو قول السدى والربيع وقد روى ولكل وجهة مضاف غير منون وذلك لا يجوز لانه يكون الكلام ناقصا
لا معنى له ولا فايدة فيه وقوله استبقوا يحتمل معنيين احدهما بادروا الى ما امرتم به مبادرة من يطلب السبق
اليه الثانى قال الربيع سارعوا الى الخيرات وهو الاولى لانه اعم والاستباق والابتدار والاسراع نظاير قال
صاحب العين السبق القدمة فى الجرى وفى كل امر تقول له فى هذا الامر سبقه وسابقه وسبق اى سبق الناس
اليه والسبق الخطر الذى يوضع بين اهل السباق وجمعه اسباق والسابقان فى رجل الطاير الجارح قيداه من
خيط او سير واصل الباب السبق التقدم فى الامر **قوله تعالى ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد**
الحرام وانه للحق من ربك وما الله بغافل عما تعملون اية بلا خلاف قيل فى تكرار قوله تعالى فول وجهك
شطر المسجد الحرام قولان احدهما انه لما كان فرضا نسخ ما قبله كان من مواضع التاكيد ليصرف الناس الى الحال
الثانية بعد الحال الاولى على يقين والثانى انه مقدم لما ياتى بعده ويتصل به فاشبه الاسم الذى تكرر لتخبر عنه

باخبار كثيرة كقولك زيد كريم وزيد عالم وزيد حليم وما اشبه ذلك مما يذكره لتعلق الفايدة به وان كان فى نفسها
معلومة عند السامع ومعنى قوله وانه للحق الدلالة على وجوب المحافظة من حيث كان حقا لله فيه طاعة ومعنى قوله
وما الله بغافل عما تعملون هيهنا اليهود كما يقول الملك لعبيده ليس يخفى على ما انتم فيه ومثله قوله ان ربك
لبالمرصاد والوجه الجارحة المخصوصة وقد حد الرمانى بانه صفيحة فيها محاسن تعرف بها الجملة وحيث مبنية على
الضم لانها كالغاية تمامها الاضافة الى المفرد دون الجملة لها بمنزلة الصلة فجرت لذلك مجرى قوله من قبل ومن بعد
قوله تعالى ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره
لئلا يكون للناس عليكم حجة الا الذين ظلموا منهم فلا تخشوهم واخشونى ولاتم نعمتى عليكم ولعلكم
تهتدون اية بلا خلاف قيل فى تكرار قوله ومن حيث خرجت ثلثة اقوال احدها الاختلاف المعنى وان اتفق اللفظ لان
المراد بالاول من حيث خرجت منصرفا عن التوجه الى بيت المقدس فول وجهك شطر المسجد الحرام واريد بالثانى اين كنت
من البلاد فتوجه نحو المسجد الحرام مستقبلا كنت لظهر الكعبة او وجهها او يمينها او شمالها الثانى لاختلاف
المواطن التى تحتاج الى هذا المعنى فيها الثالث لانه مواضع التوكيد بالنسخ الذى نقلوا فيه من جهة الى جهة للتصور
والتثبيت فان قيل هل فى قوله تعالى وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره حذف منه فى الصلاة ام هو مدلول عليه من
غير حذف قيل هو محذوف لانه اجتزى بدلالة الحال عنه لان الكلام ولو لم يكن هناك حال دالة لم يكن بد من ذكر
هذا المحذوف اذا اريد به الافهام لهذا المعنى فاما قوله عليم وحكيم فانه يدل على المعلوم من غير محذوف ومعنى قوله
لئلا يكون للناس عليكم حجة هيهنا قيل فيه قولان احدهما لا تعدلوا عما امركم الله فى التوجه الى الكعبة فيكون لهم
عليكم حجة بان يقولوا لو كنتم تعلمون انه من عند الله ما عدلتم عنه الثانى لئلا يكون لاهل الكتاب عليكم
حجة لو جاء على خلاف ما تقدمت به البشارة فى الكتب السالفة من ان المؤمنين سيوجهون الى الكعبة وموضع
اللام من لئلا نصب والعامل فيه احد شيئين فولوا لئلا والاخر ما دخل الكلام من معنى عرفتكم ذلك لئلا وهو
قول الزجاج وقوله الا الذين ظلموا منهم قيل فيه اربعة اقوال احدها انه استثناء منقطع والا بمنزلة لكن
كقوله ما لهم به من علم الا اتباع الظن وكقولك ما له على حق الا التعدى والظلم كانك قلت لكن يتعدى ويظلم و
يضع ذلك موضع الحق اللازم فكذلك لكن الذين ظلموا منهم فانهم يتعلقون بالشبهة ويضعونها موضع الحجة
فلذلك حسن الاستثناء المنقطع قال النابغة ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتايب
جعل ذلك عيبهم على طريق البلاغة وان كان ليس بعيب كانه يقول ان كان فيهم عيب فهذا وليس هذا بعيب فاذا
ليس فيهم عيب فكذا ان كان على المؤمنين حجة فللظالم فى احتجاجه ولا حجة لهم فليس اذا عليهم حجة القول الثانى ان
يكون الحجة بمعنى المحاجة والمجادلة كانه قال لئلا يكون للناس عليكم حجاج الا الذين ظلموا منهم فانهم يحاجونكم بالباطل
الثالث ما قاله ابو عبيدة ان الا هيهنا بمعنى الواو كانه قال لئلا يكون للناس عليكم حجة ولا الذين ظلموا
منهم وانكر ذلك الفراء والمبرد قال الفراء لا يجئ الا بمعنى الواو الا اذا تقدم استثناء كما قال الشاعر
ما بالمدينة دار غير واحدة دار الخليفة الا دار مروان وانشد الاخفش وارى لها دارا باغدرة
السيدان لم يدرس لها رسم الا رمادا هامدا دفعت عنه الرياح خوالد سحم يعنى ارى لها دارا
ورمادا وكانه قال فى البيت الاول ما بالمدينة دار الا دار الخليفة ودار مروان وخالفه ابو العباس فلم يجز ان يكون
الا بمعنى الواو اصلا الرابع قال قطرب يجوز على معنى لئلا يكون للناس عليكم حجة الا على الذين ظلموا وموضع
الذين عنده خفض على هذا الوجه يجعله بدلا من الكاف كانه قيل فى التقدير لئلا يكون للناس على احد حجة
الا الظالم قال الرمانى وهذا وجه بعيد لا ينبغى ان يتاول عليه ولا على الوجه الذى قاله ابو عبيدة والاختيار
القول الاول واثبت الياء فى قوله واخشونى هيهنا وحذف فيما عداه لانه الاصل وعليه اجماع هيهنا واما
الحذف فللاجتزاء بالكسرة من الياء وقوله واخشونى معناه واخشوا عقابى بدلالة الكلام عليه فى الحال
انما ذكرهم فقال لا تخشوهم لانه لما ذكرهم بالظلم والاستطالة فى الخصومة والمنازعة طيب بنفوس المؤمنين
اى فلا يلتفتوا الى ما يكون منهم فان عاقبة السوء عليهم وقال قتادة والربيع المعنى بالناس هيهنا اهل

اضمار

الكتاب وقال غيرهما هو على العموم وهو الاولى وقال ابن عباس والربيع وقتادة المعنى كقوله الذين ظلموا مشركوا العرب وقال قوم هو على العموم وهو الاولى وقوله لئلا بترك الهمز نافع الباقون يهمزون ويلين كل همزة مفتوحة قبلها كسرة والحجة هي الدلالة وهي البرهان **قوله تعالى** كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ آية بلا خلاف التشبيه بقوله كما ارسلنا يحتمل امرين احدهما ان النعمة في امر القبلة كالنعمة بالرسالة لان الله لطف بعباده بها على ما يعلم من المصلحة ومحمود العاقبة الثاني الذكر الذي امر الله به كالنعمة بالرسالة فيما ينبغي ان يكون عليه من المنزلة في العظم والاخلاص لله كعظم النعمة وهو على نحو قوله واحسن كما احسن الله اليك والعرب تقول الجزاء بالجزاء فتسمي الاول باسم الثاني للمقابلة والتشبيه لكل واحد منهما بالاخر وما في قوله كما مصدرية كانه قال كارسالنا فيكم ويحتمل ان يكون كافة قال الشاعر   اعلاقة ام الوليد بعدما   افنان راسك كالثغام المخلس

لانه يجوز كما زيد يحسن اليك فاحسن اليه والعامل في قوله كما يجوز ان يكون احد امرين احدهما الفعل الذي قبله وهو قوله ولاتم نعمتي عليكم كما ارسلنا فيكم والقول الثاني الفعل الذي بعده وهو فاذكروني كما ارسلنا والاول احد قولي الفراء والزجاج واختاره الجبائي والثاني قول مجاهد والحسن وابن ابي نجيح واحد قولي الفراء و الزجاج واختيار الزجاج وقال الفراء لاذكروني جوابان احدهما كما والاخر اذكركم لانه لما كان يجب عليهم الذكر ليذكرهم الله برحمته ولما سلف من نعمته اشبه من هذا الوجه الجواب لانه يجب للثاني فيه بوجوب الاول وقوله ويزكيكم معناه يعرضكم لما تكونون به ازكياء من الامر بطاعة الله واتباع مرضاته ويحتمل ايضا ان يكون المراد ينسبكم الى انكم ازكياء بشهادته لكم بذلك ليعرفكم الناس به وانما قال الكتاب والحكمة والكتاب هو الحكمة لاختلاف الفائدة في الصفتين وان كانتا لموصوف واحد كقولك هو العالم بالامور القادر عليها ويحتمل ان يكون اراد بالكتاب القرآن وبالحكمة الوحي من السنة والكاف في قوله فيكم خطاب للعرب على قول جميع اهل التاويل وقوله يعلمكم معناه يعلمكم ما لا سبيل لكم الى علمه الا من جهة السمع فذكرهم الله بالنعمة فيه ويكون التعليم لما عليه دليل من جهة العقل تابعا للنعمة فيه ولاسيما اذا وقع موقع اللطف ومعنى الارسال هو التوجيه بالرسالة و التحميل لها ليؤدي الى من قصد بها الدلالة والرسالة جملة مضمنة بمن يصل اليه من قصد بالمخاطبة والتلاوة ذكر الكلمة بعد الكلمة على نظام متسق في المرتبة والتزكية النسبة الى الازدياد من الافعال الحسنة التي ليست بمشوبة ويقال ايضا على معنى التعريض لذلك بالاستدعاء اليه واللطف فيه والحكمة هي العلم الذي يمكن به الافعال المستقيمة **قوله تعالى** فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ آية بلا خلاف الذكر المامور به في الاية والموعود به قيل فيه اربعة اقوال احدها قال سعيد بن جبير اذكروني بطاعتي اذكركم برحمتي الثاني اذكروني بالشكر اذكركم بالثواب الثالث اذكروني بالدعاء اذكركم بالاجابة الرابع اذكروني بالثناء بالنعمة اذكركم بالثناء بالطاعة والذكر حضور المعنى للنفس فقد يكون بالقلب وقد يكون بالقول وكلاهما يحضر به المعنى للنفس وفي اكثر الاستعمال يقال الذكر بعد النسيان وليس ذلك بموجب ان لا يكون الا بعد نسيان لان كل من حضره المعنى بالقول او العقد او الخطور بالبال ذاكر له واصله التنبيه على الشيء فمن ذكر ناسيا فقد نبهه عليه واذا ذكرناه نحن فقد نبهنا عليه والذكر نقيض الانثى وانه لذكر لك اي شرف لك المشاهد والجلالة والفرق بين الذكر والخاطر ان الخاطر مرور المعنى بالقلب والذكر قد يكون ثابتا في القلب وقد يكون بالقول وقوله تعالى واشكروا لي معناه اشكروا لي نعمتي فحذف لان حقيقة الشكر هو الاعتراف بالنعمة مع ضرب من التعظيم وقوله ولا تكفرون فيه حذف وتقديره ولا تكفروا نعمتي لان الكفر هو ستر النعمة وجحدها لا ستر المنعم وقولهم حمدت زيدا وذممت عمرا فلا حذف فيه وان كنت انما تحمد من اجل الفعل الحسن وتذم من اجل الفعل القبيح كما انه ليس في قولك زيد متحرك حذف وان كان انما تحرك من اجل الحركة وليس كل كلام دال على معنى غير مذكور يكون فيه حذف لان قولك زيد ضارب دال على مضروب ليس بحذف ونحو كذلك زيد قاتل دال على مقتول وليس بمحذوف فالحمد للشيء دلالة على انه محسن والذم له دلالة على انه مسيء

كقولك

كقولك نعم الرجل زيد وبئس الرجل عمرو وكذلك قولك زيد المحسن وعمرو المسيء ليس فيه حذف وفي يقال شكرتك وشكرت لك وانما قيل شكرتك لانه اوقع اسم المنعم موقع النعمة فعدى الفعل بغير واسطة والاجود شكرت لك النعمة لانه الاصل في الكلام والاكثر في الاستعمال قال الشاعر * هم جمعوا بؤسى ونعمى عليكم فهلا شكرت القوم اذ لم تقاتل * ومثل ذلك نصحتك ونصحت لك وانما حذف الياء في الفواصل لانها في نية الوقف فلذلك قال ولا تكفرون بغير ياء وهي في ذلك كالقوافي التي يوقف عليها بغير ياء كقول الاعشى

ومن شانئ كاسف باله اذا ما ذكرت له انكرن   يعني انكرني فحذف الياء **قوله تعالى** يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ آية واحدة بلا خلاف الصبر هو حبس النفس عما تدعوا اليه من الامور والصابر هو الحابس نفسه عما تدعوا اليه مما لا يجوز له وهو صفة مدح ووجه الاستعانة بالصبر ان في توطين النفس على الامور تسهيلا لها واستشعار الصبر انما هو توطين النفس ووجه الاستعانة بالصلوة ما فيها من الذكر لله واستشعار الخشوع له وتلاوة القرآن وما فيه من الوعظ والتخويف والوعد والوعيد والجنة والنار وما فيه من البيان الذي يوجب الهدى ويكشف العمى وكل ذلك داع الى طاعة الله وزاجر عن معاصيه فمن هيهنا كان فيه المعونة على ما فيه المشقة من الطاعة واما الاستعانة فهي الازدياد في القوة مثل من يريد ان يحمل مائة رطل فلا يتهيأ له ذلك فاذا استعان بزيادة قوة تأتى ذلك وكذلك ان قاومه عليه غيره وعلى ذلك السبب والالة لانه بمنزلة الزيادة في القوة وقوله تعالى ان الله مع الصابرين اي معهم بالمعونة والنصرة كما تقول اذا كان السلطان معك فلا تبال من لقيت وقد يكون مع في الكلام على معنى الاجتماع في المكان وذلك لا يجوز عليه تعالى وفي الاية دلالة على ان الصلوة فيها لطف لان الله تعالى امرنا بالاستعانة بها وتوضيحه قوله ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولولا هذا النص لجوزنا ان يكون في غير ذلك والذي يستعان عليه بالصبر والصلوة قيل فيه قولان احدهما طاعة الله كانه قال استعينوا بهذا الضرب من الطاعة على غيره فيها والثاني على الجهاد في سبيل الله لاحد انه وموضع الذين رفع لا يجوز غير ذلك عند جميع النحويين الا المازني فانه اجاز يا ايها الرجل اقبل والعامل فيه ما يعمل في صفة المنادى عند جميع النحويين الا الاخفش فانه يجعله صلة لاي ويرفعه بانه خبر ابتداء محذوف كانه قيل يا من هم الذين امنوا الا انه لا يظهر المحذوف مع اي وانما حمله على ذلك لزوم البيان له فقال الصلة تلزم والصفة لا تلزم قال الرماني والوجه عندي ان تكون صفة بمنزلة الصلة في اللزوم وانما لزمت اي هيهنا في النداء لان الغرض بحرف التنبيه وقع في موضع التنبيه فلزم فلا يجوز ان تقول نعم الذين في الدار لان نعم انما تعمل في الجنس الذي يكره اذا اضمر فسرها **قوله تعالى** وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ آية بلا خلاف فان قيل هل الشهداء احياء على الحقيقة ام معناه انهم سيحيون وليسوا احياء قلنا الصحيح انهم احياء الى ان تقوم الساعة ثم يحييهم الله في الجنة لا خلاف بين اهل العلم فيه الا قولا شاذا من بعض المتأخرين والاول قول الحسن ومجاهد وقتادة والجبائي وابن الاخشاذ والرماني وجميع المفسرين والقول الثاني حكاه البلخي يقال ان المشركين كانوا يقولون ان اصحاب محمد يقتلون نفوسهم في الحروب لا لمعنى فانزل الله تعالى الاية واعلمهم انه ليس الامر على ما قالوه وانهم سيحيون يوم القيمة ويثابون ولم يذكر ذلك لغيره وقيل ليس هم امواتا بالضلالة بل هم احياء بالطاعة والهدى كما قال او من كان ميتا فاحييناه فجعل الضلال موتا والهداية حياة وقيل معناه ليس هم امواتا بانقطاع الذكر بل هم احياء ببقاء الذكر عند الله وثبوت الاجر عنده واستدل ابو علي الجبائي على انهم احياء في الحقيقة بقوله ولكن لا تشعرون فقال لو كان المعنى سيحيون في الاخرة لم يقل للمؤمنين المقرين بالبعث والنشور ولكن لا تشعرون لانهم يعلمون ذلك ويشعرون به فان قيل ولم خص الشهداء بانهم احياء والمؤمنون كلهم في البرزخ احياء قيل يجوز ان يكونوا ذكروا اختصاصا تشريفا لهم وقد يكون على جهة التقديم للبشارة بذكر حالهم في البيان لما يختصون به من انهم يرزقون كما قال تعالى بل احياء عند ربهم يرزقون وانما قيل للجهاد سبيل الله لانه طريق

الى

الى ثواب الله تعم والقتل هو نقض بنية الحياة والموت عند من قال انه معنى عرض ينافي الحياة منافاة التعاقب
ومن قال ليس بمعنى قال هو عبارة عن فساد بنية الحياة فاما الحياة فهي معنى بلا خلاف وقوله اموات رفع
بانه خبر ابتداء محذوف كانه قال لا تقولوا هم اموات ولا يجوز فيه النصب على قولك قلت خيرا لان الخبر في
موضع المصدر كانه قال قلت قولا حسنا فاما قوله وتقولون طاعة فيجوز فيه الرفع والنصب في العربية الرفع
على منا طاعة والنصب على نطيع طاعة والفرق بين بل ولكن ان لكن نفي لاحد الشيئين واثبات للاخر كقولك
ما قام زيد لكن عمرو وليس كذلك بل لانها للاضراب عن الاول والاثبات للثاني ولذلك وقعت في الايجاب
كقولك قام زيد بل عمرو فاما اذا قصد المتكلم فانما هو ليدل على ان الثاني احق بالاخبار عنه من الاول كانه
قام زيد بل عمرو وكانه لم يعتد بقيام الاول والشعور هو ابتداء العلم بالشيء من جهة المشاعر وهي الحواس و
لذلك لا يوصف تعم بانه شاعر ولا انه يشعر وانما يوصف بانه عالم ويعلم وقد قيل ان الشعور ادراك ما دق
للطف الحس ماخوذ من الشعر لدقته ومنه شاعر لانه يفطن من اقامة الوزن وحسن النظم بالطبع لما لا يفطن
له غيره فان قيل هل كون عقولهم اذا كانوا احياء وكيف يجوز ان يصل اليهم ثوابهم مع نقصان عقولهم قيل
الثواب لم يصل اليهم على كماله وانما يصل اليهم طرف منه ومثلهم في ذلك مثل النائم على حال جميلة في روضة
طيبة يصل اليهم طيب ريحها ولذيذ نسيمها على نحو ما جاء في الحديث من انه يفسح له مد بصره ويقال له نم نومة
العروس واما الذين قتلوا في سبيل الله فعلى ما ذكرناه من الاختصاص بالفضيلة فان قيل كيف يجوز ان يكونوا
احياء ونحن نرى جثتهم على خلاف ما كانت عليه في الدنيا قيل ان النعيم والعذاب انما يصل الى الروح وهي الحية
وهي الانسان دون الجثة والجثة كالجبة واللباس لصيانة لارواح ومن زعم ان الانسان هذه الجملة المعروفة
وجعل الجثة جزء منها فانه يقول يلطف اجزاء من الانسان توصل اليه النعيم وان لم يكن الانسان بكماله على نحو
ما ذكرنا ان النعيم لا يصل اليه نفسه **قوله تعم** وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ
وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الخطاب بهذه الاية متوجه الى اصحاب النبي صم على قول عطا والربيع وابي
علي والرماني ولو قيل انه خطاب لجميع الخلق لكان ايضا صحيحا لان ذلك جاز في جميعهم والابتلاء في الاصل الطلب
لظهور ما عند القادر على الامر من خير او شر والابتلاء والاختبار والامتحان بمعنى واحد والابتلاء بهذه الامور
المذكورة في الاية بامور مختلفة فالخوف هو انزعاج النفس لما يتوقع من الضر وكان ذلك لقصد المشركين لهم
بالعداوة والجوع كان لفقرهم وتشاغلهم بالجهاد في سبيل الله عن المعاش ونقص من الاموال للانقطاع بالجهاد
عن العمارة والانفس بالقتل في الحروب مع رسول الله صم والجوع ضد الشبع يقال جاع يجوع جوعا واجاعه
اجاعة وجوعه تجويعا وتجوع تجوعا قال صاحب العين الجوع اسم جامع للمخمصة والمجاعة عام فيه جوع والنقص
نقيض الزيادة قال صاحب العين النقص هو الخسران في الحظ تقول نقص نقصا وانتقص انتقاصا وتناقص تناقصا
ونقصه تنقيصا واستنقص استنقاصا وتنقصه تنقصا والنقصان يكون مصدرا واسما كقولك نقصانه كذا
اي قدر الذاهب من نقص الشيء ونقصته ودخل عليه نقص في عقله ودينه ولا يقال نقصان والنقيصة الوقيعة
في الناس والنقيصة انتقاص حق ذي الرحم وتنقصه تنقصا اذا تناول عرضه واصل الباب النقص الحط من التمام
والمال المعروف واموال العرب انعامهم ورجل مال اي ذو مال وتقول تمول الرجل تمولا غيره
واصل الباب المال المعروف والثمرة افضل ما تحمله الشجرة ووجه المصلحة في ذلك هو ما في ذلك من الامور المرجحة
الى الاستدلال والنظر في الادلة الدالة على النبوة وليعلم ايضا انه ليس فيما يصيب الانسان من شدة في الدنيا
ما يوجب نقصان منزلته ففي ذلك ضروب العبر فان قيل اذا كان الله قد فعل الابتلاء بهذه الاشياء والمشركون
اوقعوها بالمؤمنين ففي ذلك ايجاب فعل من فاعلين قلنا لا يجب ذلك لان الذي يفعله الله تعم غير الذي يفعله
المشركون لان علينا ان نرضى بما فعله الله ونسخط بما فعله المشركون وليس يقدرون على شيء مما ذكر في الاية
ولكنهم يقدرون على التعريض له بما هو محرم عليهم وقبيح منهم وفتحت لواو في ولنبلونكم لامرين احدهما للعلة
التي فتحت في لننصرنكم وهو انه بني على الفتحة لانها اخف اذا استحق البناء على الحركة كما استحق يا حكم في النداء

٢ الراء

البناء على الحركة الثاني انه فتح لالتقاء الساكنين اذ كان قبل معتلا لا يدخله الرفع وانما قال بشيء من الخوف و
لم يقل باشياء لامرين احدهما لئلا توهم باشياء من كل واحد فيدل على ضروب الخوف ويكون الجمع كجمع الاجناس
للاختلاف فقدر شيء من كذا وشيء من كذا واغنى المذكور عن المحذوف والثاني انه وضع الواحد في موضع الجمع
للايهام الذي فيه كمن والابتلاء بما ذكر لابدان يكون فيه لطف في الدين وعوض في مقابلته ولا يحسن فعل
ذلك لمجرد العوض على ما يذهب اليه قوم فان قيل الابتلاء بامر القبلة وغيره من عبادات الشرع هل يجري مجرى
الالم عند المصيبة قلنا لا بلا خلاف ههنا فانه لابدان يكون فيه لطف في الدين فان كان فيه خلاف في الالم
لان هذه طاعات يستحق بها الثواب وبالاخلال بها اذا كانت واجبة يستحق بها العقاب فلا يجري مجرى
الالم المحض واجب كوجوب العدل الذي لا يجوز عليه الانقلاب في الشرع اذ الصبر حبس النفس عن القبيح من
الامر وقد بينا فيما مضى ابتلاء الله تعم العالم بالعواقب فان المراد به لانه يعامل معاملة المبتلى لان العدل
لا يبيح الا على ذلك لانه لو اخذهم بما يعلم انه يكون منهم قبل ان يفعلوه لكان ظلما وجورا فبين الله بعد
انه يعاملهم بالحق دون الظلم والوقف على قوله وبشر الصابرين حسن وقال بعضهم لا يحسن وذلك غلط من
حيث كانت صفة مدح وعامل الصفة في المدح غير عامل الموصوف وانما وجب ذلك لان صفة صابرين صفة
مدح كصفة تقي كما قال الله تعم ان الله مع الصابرين والجوع الحاجة الى الغذا ويختلف مراتبه في القوة و
الضعف وقد يقال الجوع كاذب لانه يتخيل به الحاجة الى الغذا لبعض الامور العارضة من غير حقيقة وقوله
تعالى وبشر الصابرين فالتبشير في الاصل هو الاخبار بما يسر او نعمة مما يتغير له البشرة غير انه كثر استعماله فيما
بينه والصبر المحمود هو حبس النفس عما قبح من الامر **قوله تعم** الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا
لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ اية بلا خلاف في قوله انا لله اقرار لله بالعبودية وانا اليه راجعون فيه اقرار
بالبعث والنشور وان مآل الامر يصير اليه وانما كانت هذه اللفظة تعزية عن المصيبة لما فيها من الدلالة
على ان الله يجبرها ان كانت عدلا وينصف من فاعلها ان كانت ظلما وتقديره انا لله تسليما لامره ورضا
بتدبيره وانا اليه راجعون ثقة بانا الى العدل نصير والمصيبة هي المشقة الداخلة على النفس لما يلحقها من
مضرة وهي من الاصابة لانها يصيبها بالبلية ومعنى الرجوع الى الله الرجوع الى انفراده بالحكم كما كان اول
مرة لانه قد ملك قوما في الدنيا شيئا من الضر والنفع لم يكونوا يملكونه ثم يرجع الامر الى ما كان اذا زال تمليك
العباد واصل الرجوع هو مصير الشيء الى ما كان ولذلك يقال رجعت الدار الى فلان اذا اشتراها مرة ثانية
والرجوع والعود والمصير نظاير وفي الاية معنى الامر لانها مدح عام لكل من كان على تلك الصفة بتلك الخصلة
واجاز الكسائي والفراء في انا لله الامالة ولا يجوز ذلك في غير اسم الله مثل قولك انا لزيد لا يجوز امالته وانما
جازت الامالة مع اسم الله لكثرة الاستعمال حتى صارت بمنزلة الكلمة الواحدة وانما لم يجز الامالة في غير ذلك
لان الحروف كلها وما جرى مجراها لا يجوز فيها الامالة مثل حتى ولكن ومما وفيما اشبه ذلك لان الحرف بمنزلة
بعض الكلمة من حيث امتنع فيها التصريف الذي يكون في الاسماء والافعال **قوله تعم** أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ
صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ اية بلا خلاف اولئك اشارة الى الصابرين الذين
وصفهم في الاية الاولى وقيل في معنى الصلاة ثلثة اقوال احدها انها الدعاء كما قال الاعشى
وصلى على دنها وارتسم اي دعا لها الثاني انها مشتقة من الصلوين لانكشافهما في الفرس والناقة
فسميت الصلاة في الشرع بذلك لرفع الصلا في الركوع والسجود الثالث قال الزجاج ان اصلها اللزوم
من قوله تصلى نارا حامية اي تلزمها والصلوة من اعظم ما يلزم من العبادات وقال قوم معنى الصلوات ههنا
الثناء الجميل وقيل بركات الدعاء والثناء يستحق دائما ففيه معنى اللزوم وكذلك الدعاء يدعا به مرة بعد
مرة ففيه معنى اللزوم والمصلي من الخيل الذي يلزم اثر السابق ومعنى المهتدون يعني الى الحق الذي
به ينال الثواب والسلامة من العقاب والرحمة الانعام على المحتاج وكل واحد يحتاج الى نعمة الله والاهتداء
الاصابة لطريق الحق وهو الاصابة للطريق المؤدي الى النعمة **قوله تعم** إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ

ن الصبر

فمن حج البيت او اعتمر فلا جناح عليه ان يطوف بهما ومن تطوع خيرا فان الله شاكر عليم اية بلا خلاف قرأ حمزة والكسائي ومن يطوع بالياء وتشديد الطاء والواو وسكون العين الباقون بالتاء على فعل ماض الصفا في الاصل الحجر الاملس مأخوذ من الصفو قال المبرد الصفا كل حجر لا يخلط غيره من طين او تراب يتصل به حتى يصير منه وانما اشتقاقه من صفا يصفو اذا خلص وهو الصافي الذي لا يكدره شيء يشوبه وقيل واحد الصفا صفاة وقيل بل هو واحد يجمع اصفاء وصفي واصله من الواو لانك تقول في تثنية صفوان ولانه لا يجوز فيه الامالة والمروة في الاصل هي الحجارة الصلبة اللينة وقيل الصفاة الصغيرة والمرو لغة في المروة وقيل انه جمع مثل تمرة وتمر قال ابو ذؤيب حتى كاني للحوادث مروة والمرو نبت والاصل الصلابة والنبت سمي بذلك لصلابة بزره والصفا والمروة هما الجبلان المعروفان بالحرم وهما من الشعائر كما قال الله تعالى والشعائر المعالم للاعمال فشعائر الله معالم الله التي جعلها مواطن العبادة وهي اعلام متعبدات من موقف ومسعى ومنحر وهو مأخوذ من شعرت به اي علمت وكل معلم لعبادة من دعاء او صلاة او اداء فريضة فهو مشعر لتلك العبادة وواحد الشعائر شعيرة فشعائر الله اعلام متعبداته قال الكميت بن زيد نقتلهم جيلا فجيلا نراهم شعائر قربان بهم نتقرب والحج قصد البيت بالعمل المشروع من الاحرام والطواف والوقوف بعرفة والسعي بين الصفا والمروة واشتقاقه من الحج الذي هو القصد على وجه التكرار والتردد قال الشاعر واشهد من عوف حلولا كثيرة يحجون سب الزبرقان المزعفرا يعني يكثرون التردد اليه بسودد وقال اخر يحج مأمومة في قعرها لجف واما العمرة في الاصل فهي الزيادة وهي هيهنا زيارة البيت بالعمل المشروع من طواف الزيارة والاحرام واخذت العمرة من العمارة لان الزائر للمكان يعمره بزيارته له وقوله فلا جناح عليه فالجناح هو الميل عن الحق واصله من جنح اليه جنوحا اذا مال اليه قال صاحب العين الاجتناح الميل اجتنحت هذا فاجتنح اي املته فمال وقوله وان جنحوا للسلم فاجنح لها اي مالوا الى الصلح فمل اليهم وجناحا الطاير يداه ويدا الانسان جناحاه وجناحا العسكر جانباه وجناحا الوادي مجريان عن يمينه وشماله وجنحت الابل في السير اذا اسرعت وانما قيل للاضلاع جوانح لاعوجاجها وجنحت السفينة اذا مالت في احد شقيها وكل مايل الى شيء فقد جنح اليه ولا جناح عليكم اي ميل الى مأثم وكل ناحية جناح ومر جنح من الليل اي قطعة نحو نصفه واصل الباب الميل والطواف الدور حول البيت ومنه الطايف الداير بالليل والطايفة الجماعة كالحلقة الدايرة ويطوف اصله يتطوف فادغمت التاء في الطاء لانها من مخرجها والطاء اقوى بالجهر منها والفرق بين الطاعة والتطوع ان الطاعة موافقة الارادة في الفريضة والنافلة والتطوع التبرع بالنافلة خاصة واصلها الطوع الذي هو الانقياد وانما قال فلا جناح عليه ان يطوف بهما وهو طاعة من حيث انه جواب لمن توهم ان فيه جناحا لصنمين كانا عليه احدهما اساف والاخر نائلة في قول الشعبي وكثير من اهل العلم وروي ذلك عن ابي جعفر وابي عبد الله عم وكان ذلك في عمرة القضاء ولم يكن فتح مكة بعد وكانت الاصنام على حالها حول الكعبة وقال قوم سبب ذلك ان اهل الجاهلية كانوا يطوفون بينهما فكره المسلمون ذلك خوفا ان يكون من افعال الجاهلية فانزل الله تعالى الاية وقال قوم عكس ذلك ان اهل الجاهلية كانوا يكرهون السعي بينهما فظن قوم ان في الاسلام مثل ذلك فانزل الله تعالى الاية وجملته ان في الاية ردا على جميع من كرهه لاختلاف اسبابه والطواف بينهما فرض عندنا في الحج والعمرة وبه قال الحسن وعايشة وغيرهما وهو مذهب الشافعي واصحابه وقال انس بن مالك وروي عن ابن عباس انه تطوع وبه قال ابو حنيفة واصحابه واختاره الجبائي وعندنا ان من ترك الطواف بينهما متعمدا فلا حج له حتى يعود فيسعى وبه قالت عايشة والشافعي وقال ابو حنيفة واصحابه والثوري انه محسن والاجبره بدم وقال عطا ومجاهد يجزيه ولا شيء عليه وقال تعالى ومن تطوع خيرا قيل فيه ثلثة اقوال اولها من تطوع خيرا اي بالحج او العمرة بعد الفريضة الثاني ومن تطوع خيرا اي بالطواف بهما عند من قال انه نفل الثالث من تطوع خيرا بعد الفرايض وهذا هو الاولى لانه اعم وفي الناس من قال وهو الجبائي وغيره ان التقدير فلا جناح عليه الا ان يطوف بهما كما قال يبين الله لكم ان تضلوا ومعناه الا تضلوا وكما قال

ان تقولوا يوم القيمة ومعناه الا تقولوا وقال اخرون ان ذلك لا يجوز وهو اختيار الرماني وهو الصحيح ان الحذف يحتاج الى دليل ومعنى القراءتين واحد لا يختلف ووصف الله تعالى بانه شاكر مجاز لان الشاكر في الاصل هو المظهر للانعام والله لا يلحقه المنافع والمضار تعالى عن ذلك ومعناه هيهنا المجازي على الطاعة بالثواب وخرج اللفظ مخرج التلطف حثا على الاحسان اليهم كما قال من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا والله لا يستقرض من عوز لكن تلطف في الاستدعاء كانه قال من ذا الذي يعمل عمل المقرض بان تقدم فياخذ اضعاف ما قدم في وقت فقره وحاجته الى ذلك فكذلك كانه قال من تطوع خيرا فان الله يعامله معاملة الشاكر بحسن المجازات وايجاب المكافاة والفرق بين التطوع والفرض ان الفرض يستحق بتركه الذم والعقاب والتطوع لا يستحق بتركه الذم ولا العقاب وروي عن جعفر بن محمد ان ادم نزل على الصفا وحوا على المروة فسمي المرو باسم المرأة

قوله تعالى ان الذين يكتمون ما انزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون اية بلا خلاف قيل في المعنى بهذه الاية قولان احدهما قال ابن عباس ومجاهد والربيع والحسن وقتادة والسدي واختاره الجبائي واكثر اهل العلم انهم اليهود والنصارى مثل كعب بن الاشرف وكعب بن اسيد وابن صوريا وزيد بن تابوه وغيرهم من علماء النصارى الذين كتموا امر محمد صلعم ونبوته وهم يجدونه مكتوبا في التورية والانجيل مبينا فيهما والثاني ذكر البلخي انه متناول لكل من كتم ما انزل الله وهو اعم لانه يدخل فيه اولئك وغيرهم ويروى عن ابن عباس ان جماعة من الانصار سألوا نفرا من اليهود عما في التورية فكتموهم اياه فانزل الله عز وجل ان الذين يكتمون الاية وانما نزل فيهم هذا الوعيد لان الله تعالى علم منهم الكتمان وعموم الاية تدل على ان كل من كتم شيئا من علوم الدين وفعل مثل فعلهم في عظم الجرم او اعظم منه فان الوعيد يلزمه واما ما كان دون ذلك فلا يعلم بالاية بل بدليل اخر وقد روي عن النبي صلعم انه قال من سئل عن علم يعلمه فكتمه الجم يوم القيمة بلجام من نار وقال ابو هريرة لولا اية في كتاب الله ما حدثتكم وتلا ان الذين يكتمون ما انزل الله الاية فهذا تغليظ للحال في كتمان علوم الدين وكتمان الشيء اخفاؤه مع الداعي الى اظهاره لانه لا يقال لمن اخفى ما لا يدعو الى اظهاره داع كاتم والكتاب الذي عني هيهنا قيل التورية وقيل كل كتاب انزله الله وهو اليق بالعموم وقال الزجاج هو القران واستدل قوم بهذه الاية على وجوب العمل بخبر الواحد من حيث ان الله تعالى توعد على كتمان ما انزله وقد بينا في اصول الفقه انه لا يمكن الاعتماد عليه لان غاية ما في ذلك وجوب الاظهار وليس اذا وجب الاظهار وجب القبول كما ان على الشاهد الواحد يجب اقامة الشهادة وان لم يجب على الحاكم قبول شهادته حتى ينضم اليه ما يوجب الحكم بشهادته وكذلك يجب على النبي عم اظهار ما حمله ولا يجب على احد قبوله حتى يقترن به المعجز الدال على الصدق ولذلك نظاير ذكرناها على ان الله تعالى بين ان الوعيد انما توجه على من كتم ما هو بينة وهدى وهو الدليل فمن اين ان خبر الواحد بهذه المنزلة فاذا لا دلالة في الاية على ما قالوه والبينات والهدى هي الادلة وهما بمعنى واحد وانما كرر لاختلاف لفظهما وقيل انه اراد بالبينات الحجج الدالة على نبوته عم وبالهدى الى ما يؤديه الى الخلق من الشرايع فعلى هذا لا تكرار واللعن في الاصل الابعاد على وجه الطرد قال الشماخ ذعرت به القطا ونفيت عنه مقام الذئب كالرجل اللعين اراد مقام الذئب اللعين واللعن في الحكم الابعاد من رحمة الله بايجاب العقوبة فلا يجوز لعن ما لا يستحق العقوبة وقول القائل لعنه الله دعاء كانه قال ابعده الله فاذا لعن الله عبدا فمعناه الاخبار بانه ابعده من رحمته والمعنى بقوله ويلعنهم اللاعنون قيل فيه اربعة اقوال احدها قال قتادة والربيع واختاره الجبائي والرماني وغيرهما انهم الملئكة والمؤمنون وهو الصحيح لقوله تعالى في وعيد الكفار اولئك عليهم لعنة الله والملئكة والناس اجمعين فلعنة اللاعنين كلعنة الكافرين الثاني قال مجاهد وعكرمة انها دواب الارض وهوامها تقول منعنا القطر لمعاصي بني ادم الثالث حكاه الفراء انه كل شيء سوى الثقلين الانس والجن رواه ابن عباس الرابع قاله ابن مسعود انه اذا تلاعن الرجلان رجعت اللعنة على المستحق لها فان لم يستحقها واحد منهم رجعت على

اليهود الذين كتموا ما انزل الله فان قيل كيف يجوز على قول من قال المراد به البهايم اللاعنون وهل يجوز على قياس ذلك الذاهبون قلنا لما اضيف اليها فعل ما يعقل عوملت معاملة ما يعقل كما قال القمر والشمس والقمر رايتهم لى ساجدين فان قيل كيف يجوز اضافة اللعن اليها لا يعقل من البهيمة والجماد قيل لامرين احدهما لما فيه من الاية التى تدعوا الى لعن من عمل بمعصية الله والثانى ان يكون البهايم تقول ذلك على جهة الالهام لما فيه من الاعتبار **قوله تعـ** إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ اية بلا خلاف استثنى الله تعـ فى هذه الاية من جملة الذين يستحقون اللعنة من تاب واصلح وبيّن واختلفوا فى معنى بيّنوا فقال اكثر المفسرين كقتادة وابن زيد والبلخى والجبائى والرمانى انهم بيّنوا ما كتموه من البشارة بالنبى صم وقال بعضهم بيّنوا التوبة واصلاح السريرة بالاظهار لذلك وانما شرط مع التوبة الاصلاح والبيان ليرتفع الايهام بان التوبة مما سلف من الكتمان يكفى فى ايجاب الثواب ومعنى قوله تعـ اتوب عليهم اقبل توبتهم والاصل فى اتوب افعل التوبة الا انه لما وصل الا اضافة دل على ان معناه اقبل التوبة وانما كان لفظه مشتركا بين فاعل التوبة والقابل لها للترغيب فى صفة التوبة اذ وصف بها القابل لها وهو الله وذلك من انعام الله على عباده لئلا يتوهم بما فيها من الدلالة على مقارفة الذنب ان الوصف بها عيب فلذلك جعلت فى اعلا صفات المدح والتوبة هى الندم الذى يقع موقع التنصل من الشىء وذلك بالتحسر على مواقعته والعزم على ترك معاودته ان امكنت المعاودة الى مثله فى القبح وهو الاقوى لاجماع الامة على سقوط العقاب عندها وما عداها فمختلف فيه فان قيل ما الفايدة فى هذا الاخبار وقد علمنا ان العبد متى تاب لا بد ان يتوب الله عليه قلنا اما على مذهبنا فله فايدة واضحة وهو ان اسقاط العقاب عندها ليس بواجب عقلا فاذا اخبر بذلك افادنا ما لم نكن عالمين به ومن خالف فى ذلك قال وجه ذلك انه لما كانت توبة مقبولة وتوبة غير مقبولة صحت الفايدة بالدلالة على ان هذه التوبة مقبولة ومعنى قبول التوبة حصول الثواب عليها واسقاط العقاب عندها والتواب فيه مبالغة اما لكثرة ما يقبل التوبة واما لانه لا يرد تائبا منيبا اصلا وقبول التوبة بمعنى اسقاط العقاب عندها غير واجب عندنا عقلا وانما علم ذلك سمعا تفضلا من الله تعـ على ما وعد به بالاجماع على ذلك وقد بينا فى شرح الجمل فى الاصول انه لا دلالة عقلية عليه ووصفه نفسه بالرحيم عقيب قوله التواب دلالة على ان اسقاط العقاب عند التوبة تفضل منه ورحمة من جهته ومن قال ان الفعل الواجب نعمة اذا كان منعما بسببه كالثواب والعوض فانه لما كان منعما بالتكليف وبالالام التى يستحق بها الاعواض جاز ان يقال فى الثواب والعوض انه تفضل وان كانا واجبين فقوله باطل لان ذلك انما قلنا فى الثواب للضرورة وليس ههنا ضرورة يدعوا الى ذلك واصلاح العمل هو اخلاصه له من قبيح يشوبه والتبيين هو التعريض للعلم الذى يمكن به صحة التميز وموضع الذين نصب على انه استثناء من موجب والاحقيقتها الاستثناء ومعنى ذلك الاختصاص بالشىء دون غيره كقولك جائنى القوم الا زيدا فقد خصصت زيدا بانه لم يجئ واذا قلت ما جاءنى الا زيد فقد خصصت زيدا بانه جاء واذا قلت ما جاءنى زيد الا راكبا فقد خصصته بهذه الحال دون غيرها من المشى والعدو وما اشبه ذلك **قوله تعـ** إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ اية بلا خلاف ان قيل كيف يلعن الكافر كافر مثله وهو الظاهر فى قوله والناس اجمعين قيل عنه ثلثة اجوبة اولها انه يلعنه الناس اجمعون يوم القيمة كما قال تعـ ثم يوم القيمة يكفر بعضهم ببعض ويلعن بعضا وهو قول ابى العالية الثانى قال السدى انه لا يمتنع احد من لعن الظالمين فيدخل فى ذلك لعن الكافر لانه ظالم الثالث اراد به لعن المؤمنين خصوصا ولم يعتد بغيرهم كما يقال المؤمنون هم الناس وهو قول قتادة والربيع هذا اذا حمل على ان اللعن فى دار الدنيا لان من المعلوم ان اهل كل ملة لا يلعن اهل ملته وحكى عن الحسن انه قرأ والملئكة رفعا ويكون ذلك على حمله على المعنى يلعنهم الله والملئكة والناس اجمعون كما تقول عجبت من ضرب زيد وعمرو بالرفع وهذه قرائة شاذة لا يعول عليها لان المعتمد ما عليه الجمهور ولا يجوز رفع اجمعين وحده ههنا لان

² يحرف

² مقاربة

³ واعتبر قوم المعاودة

² بعضهم

هذه اللفظة لا تكون الا تابعة وليس فى الكلام مظهر ولا مضمر يتبعه على ذلك وانما الحمل على المعنى بمنزلة اعادة معنى العامل الاول كانك قلت ويلعنهم الملئكة والناس اجمعون والكفر ما يستحق به العقاب الدايم عندنا وعند من خالفنا فى دوام عقاب فساق اهل الصلاة انه ما يستحق به العقاب الدايم الكثير ويتعلق به احكام مخصوصة وسواء كان الكفر فى تشبيه الله تعـ بخلقه او فى تجويره فى افعاله او الرد على النبى صم او ما كان اعظم منه فى القبح واللعنة الابعاد من الرحمة على ما بيناه مع ايجاب العقوبة ويجرى ذلك من الناس على وجه الدعاء ومن الله على وجه الحكم وانما قال وماتوا وهم كفار وكل كافر فهو ملعون فى حال كفره وان لم يكن ممن توافى بالكفر للدلالة على خلودهم فى النار اذا ماتوا على غير توبة وقد دل على ذلك ما بيناه فى الاية الثالثة وانما اكد باجمعين ليرتفع الاحتمال والايهام قبل ان ينظر فى تحقيق الاستدلال ولهذا لم يجز الاخفش رايت احد الرجلين كليهما واجاز رايتهما كليهما لانك اذا ذكرت الحكم مقرونا بالدليل عليه ازلت الايهام للفساد واذا ذكرته وحده فقد يتوهم عليك الغلط فى المقصد بقولك احد الرجلين لما ذكرت التثنية وذكرت احدا كنت بمنزلة من ذكر الحكم والدليل عليه فاما ذكر التثنية فى رايتهما فبمنزلة ذكر الحكم وحده وواحد الناس انسان فى المعنى فاما فى اللفظ فلا واحد له وهو كنفر ورهط مما يقال انه اسم للجمع **قوله تعـ** خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ اية بلا خلاف الهاء فى قوله فيها عايدة على اللعنة فى قول الزجاج وقال ابو العالية هى عايدة الى النار ومعنى قوله ولا هم ينظرون على قول ابى العالية رفع الايهام لاعتذار كما قال ولا يؤذن لهم فيعتذرون لئلا يتوهم ان التوبة والانابة هناك ينفع والخلود فى اللعنة يحتمل امرين احدهما الاستحقاق للعنة بمعنى انها يحق عليهم ابدا والثانى فى عاقبة اللعنة وهى النار التى لا تفنى وانما قال لا يخفف مع انهم مخلدون لان التخفيف قد يكون مع الخلود بان يقل المعاقب ما يفعل فاراد الله ان يبين انه يقع الخلود ويرتفع التخفيف وخالدين نصب على الحال من الهاء والميم فى عليهم كقولك عليهم المال صاغرين والعامل فيه الاستقرار فى عليهم والخلود اللزوم ابدا والبقاء الوجود وقتين فصاعدا ولذلك لم يجر فى صفات الله خالد وجاز باق ولذلك يقال اخلد الى قوله اى لزم معناها الى به ومنه قوله تعـ ولكنه اخلد الى الارض اى مال اليها ميل اللازم لها كانه قيل الخلد فيها والفرق بين الخلود والدوام ان الدوام هو الوجود فى الازل ولا يزال واذا قيل دام المطر فهو على المبالغة وحقيقته لم يزل من وقت كذا الى وقت كذا والخلود هو اللزوم ابدا والتخفيف هو النقصان من المقدار الذى له اعتماد والعذاب الالم الذى له امتداد والانظار الامهال قدر ما يقع النظر فى الخلاص واصل النظر الطلب فالنظر بالعين الطلب بالعين وكذلك النظر بالقلب وباليد وبغيرهما من الحواس وتقول انظر الثوب اين هو والفرق بين العذاب والايلام ان الايلام قد يكون مجردا من الالم فى الوقت الواحد والعذاب له استمرار من الالم فى اوقات ومنه العذب لاستمراره فى الحلق والعذبة لاستمرارها بالحركة **قوله تعالى** وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ اية بلا خلاف يوصف تعـ بانه واحد على اربعة اوجه اولها انه ليس بذى ابعاض ولا يجوز عليه الانقسام الثانى واحد فى استحقاق العبادة الثالث واحد لا نظير له ولا شبيه الرابع واحد فى الصفات التى يستحقها لنفسه فهو قديم وقادر لا يعجزه شئ وعالم لا يخفى عليه شئ فكل هذه الصفات يستحقها وحده والواحد شئ لا ينقسم عددا كان او غيره ويجرى على وجهين على الحكم وعلى جهة الوصف فالحكم كقولك الجزء واحد والوصف كقولك انسان واحد ودار واحدة ومعنى الاله انه يحق له العبادة وغلط الرمانى فقال هو المستحق للعبادة ولو كان كما قال لما كان تعالى الها فيما لم يزل لانه لم يفعل ما يستحق به العبادة ومعنى ما قلناه انه قادر على ما اذا فعله استحق به العبادة وقيل معنى الاله منعم بما يستحق به العبادة وهذا باطل لما قد بيناه ولا يجوز ان يحيا احد من الخلق بالالهية لانه يستحيل ان يقدر واحد سوى الله على ما يستحق به العبادة من خلق الاجسام والقدرة والحياة والشهوة والنفار وكمال العقل والحواس وغير ذلك فلا تصح الالهية الا له لانه القادر على ما عددناه والاية تتصل بما قبلها

وبما بعدها فاتصالها بما قبلها كاتصال الحسنة بالسيئة لتمحو اثرها وتحذر من مواقعتها لانه لما ذكر الشرك و
احكامه اتبع ذلك بذكر التوحيد واحكامه واتصالها بما بعدها كاتصال الحكم بالدلالة على صحته لان ما ذكر
في الاية التي بعدها حجة على صحة التوحيد فان قيل كيف يتصل الوصف بالرحمة بما قبله قلنا لان العبادة تستحق بالنعمة
التي هي في اعلى مرتبة ولذلك بولغ في الصفة بالرحمة ليدل على هذا المعنى وهو في موضع رفع ولا يجوز النصب
ورفعه على البدل من موضع لا مع الاسم كقولك لا رجل الا زيد كانك قلت ليس الا زيد فيما يريد من المعنى
اذا لم يعتد بغيره ولا يجوز النصب على قولك ما قام احد الا زيدا لان البدل يدل على ان الاعتماد على الثاني
والمعنى ذلك والنصب يدل على ان الاعتماد في الاخبار انما هو على الاول وقوله تعالى لا اله الا هو اثبات
لله تعالى وحده وهو بمنزلة قولك الله الا اله وحده وانما كان كذلك لانه القادر على ما يستحق به الالهية ولا
يدل على النفي في هذا الخبر من قبل انه لم يدل على انه موجود ولا معدوم سوى الله عز وجل لكنه نقيض لقول
من ادعى الها مع الله وانما النفي اخبار بعدم شيء كما ان الاثبات اخبار بوجوده **قوله تعالى** إِنَّ فِي خَلْقِ
السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ
اللّٰهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ
وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ اية واحدة بلا خلاف قرأ نافع وابن كثير و
ابو عمرو وعاصم وابن عامر الرياح على الجمع الباقون على التوحيد ولم يختلفوا في توحيد ما ليس فيه الف و
لام لما اخبر الله تعالى الكفار بان الههم اله واحد لا ثاني له قالوا ما الدلالة على ذلك فقال الله عز وجل ان
في خلق السموات والارض الاية الى اخرها ووجه الدلالة من الاية ان في خلق السموات والارض يدل على ان
لها خالقا لا يشبهها ولا تشبهه لانه لا يقدر على خلق الاجسام الا القديم القادر لنفسه الذي ليس بجسم ولا عرض
اذ جميع ذلك محدث ولا بد له من محدث ليس بمحدث لاستحالة التسلسل واما الليل والنهار فيدل على عالم مدبر من
جهة انه فعل محكم متقن واقع على نظام واحد وترتيب واحد لا يدخل شيئا من ذلك تفاوت ولا اختلال واما الفلك
التي تجري في البحر بما ينفع الناس فتدل على منعم دبر ذلك لمنافع خلقه ليس من جنس البشر ولا من قبيل الاجسام لان
الاجسام يتعذر عليها فعل ذلك اما الماء الذي ينزل من السماء فيدل على منعم به يقدر على التصريف فيما يشاء
من الامور لا يعجزه شيء واما احياء الارض بعد موتها فيدل على الانعام بما يحتاج اليه العباد واحياؤها باخراج
النبات منها وانواع الثمار وبث فيها من كل دابة دال على ان لها صانعا خالقا لها منعما بانواع النعم وتصريف
الرياح يدل على الاقتدار على ما لا يتأتى من العباد ولو حرصوا كل الحرص واجتهدوا كل الاجتهاد لانه اذا هبت
جنوب مثلا فاجتمع جميع الخلق على ان يقلبوها شمالا او صبا او دبورا لما قدروا على ذلك ولا تمكنوا على
رده من الجهة التي يجيء منها واما السحاب المسخر فيدل على انه بمسكه القديم والذي لا شبه له ولا نظير لانه
لا يقدر على تسكين الاجسام الثقال بغير علاقة ولا دعامة الا الله تعالى وكذلك لا يقدر على تسكين الارض كذلك
الا القادر لنفسه فهي تدل على صانع غير مصنوع قديم لا يشبهه شيء قادر لا يعجزه شيء عالم لا يخفى عليه شيء
حي لا يموت واحد ليس كمثله شيء سميع بصير لا يعزب عنه مثقال ذرة في الارض ولا في السماء لا تصفه النقص
لا يجوز عليه تعالى ويدل على انه منعم بما لا يقدر غيره على الانعام بمثله انه يستحق بذلك العبادة دون غيره والخلق
هو الاحداث للشيء على تقدير من غير احتذاء على مثال ولذلك لا يجوز اطلاقه الا في صفات الله لانه احد جميع
افعاله على ترتيب من غير احتذاء على مثال الا الله تعالى وقد استعمل الخلق بمعنى المخلوق كما استعمل الوضيء بمعنى
المرضي وهو بمنزلة المصدر وليس معنى المصدر معنى المخلوق واختلف اهل العلم فيه اذا كان بمعنى المصدر فقال
قوم هو الارادة له وقال اخرون انما هو على معنى مقدر كقولك وجود وعدم وحدوث وقدم وهذه
الاسماء تدل على مسمى مقدر للبيان عن المعاني المختلفة والا فالمعنى بما هو الموصوف في الحقيقة وانما جمعت
السموات ووحدت الارض لانه لما ذكرت السماء بانها سبع في قوله تعالى ثم استوى الى السماء فسواهن سبع
سموات وقوله خلق سبع سموات جمع لئلا يتوهم التوحيد معنى الواحدة من هذه السبع وقد دل مع ذلك

۲ يس

قوله ومن الارض مثلهن على معنى السبع ولكنه لم يجر على جهة الافصاح بالتفصيل في اللفظ ووجه اخر هو
ان الارض لتشاكلها تشبه الجنس الواحد كالرجل والماء الذي لا يجوز جمعه الا ان يراد الاختلاف وليس يجري
السموات مجرى الجنس المتفق لانه دبر في كل سماء امرها والتدبير الذي هو حقها وفي اشتقاق قوله واختلاف
الليل والنهار قولان احدهما من الخلف لان كل واحد منهما يخلف صاحبه على وجه المعاقبة له والثاني من
اختلاف الجنس كاختلاف السواد والبياض لان احدهما لا يسد مسد الاخر في الادراك والمختلفان ما لا يسد احدهما
مسد الاخر فيما يرجع الى ذاته والنهار اتساع الضياء واصله الاتساع ومنه قول الشاعر ملكت بها
كفي فانهرت فتقها يرى قائم من دونها ما وراءها اي وسعت ويصلح ان يكون من النهر اي جعله
كالنهر والنهر اوسع مجاري الماء فهو اوسع من الجدول والساقية وانما جمعت الليلة ولم يجمع النهار لان
النهار بمنزلة المصدر كقولك الضياء يقع على الكثير والقليل فاما الليلة فمخرجها مخرج الواحدة من الليل
على انه قد جاء جمعه على وجه الشذوذ نهر قال الشاعر لولا الثريدان هلكنا بالضمر ثريد ليل
وثريد بالنهر والفلك السفن يقع على الواحد والجمع بلفظ واحد ومنه قوله في الفلك المشحون و
منه واصنع الفلك باعيننا والفلك فلك السماء قال الله تعالى كل في فلك يسبحون وكل مستدير فلك والجمع
افلاك وقال صاحب العين قيل اسم للدوران خاصة وقيل بل اسم لاطواق سبعة فيها النجوم وفلكت
الجارية اذا استدار ثديها والفلكة فلكة المغزل معروف وفلكة الجرو وهو قضيب يدار على لسانه لئلا
يرضع واصل الباب الدور والفلك السفينة لانها تدور بالماء واسهل دور وانما جعل الفلك للواحد والجمع
بلفظ واحد لان فعلا وفعلا يشتركان كثيرا العرب والعرب والعجم والعجم والبخل والبخل ومن قال في اسد اسد
قال في فلك فلك فجمعه على فعل وانما انث الفلك اذا اريد به الجمع كقولك السفن التي تجري في البحر وقوله وما
انزل الله من السماء يعني من نحو السماء عند جميع المفسرين وقال قوم السماء تقع على السحاب لان كل شيء علا
فوق شيء فهو سماء له فان قيل هل السحاب بخارات تصعد من الارض قلنا ذلك جائز لا يقطع به ولا مانع
ايضا من صحته من دليل عقل ولا سمع والسماء السقف منها والبيت سقفه قال تعالى وجعلنا السماء سقفا محفوظا
فالسماء المعروفة سقف الارض واصل الباب السمو وهو العلو والسماء الطبقة العالية على الطبقة السافلة
الا انها صارت بمنزلة الصفة العالية على السماء المعروفة وهي الطبقة التي من اجل السمو كانت عالية على
الطبقة السافلة والارض الطبقة السافلة يقال ارض البيت وارض الغرفة فهو سماء لما تحته من الطبقة وارض
لما فوقه وقد صار الاسم كالعلم على الارض المعروفة وانما يقع على غيرها بالاضافة والليل هو الظلام المعاقب
للنهار وقد يقال لما لا يصل اليه ضوء الشمس هو الليل وان كان النهار موجودا والبحر هو الخرق الواسع الماء
الذي يزيد على سعة النهر والمنفعة هي اللذة والسرور وما ادى اليهما او الى كل واحد منهما والنفع والخير
والحظ نظاير وقد تكون المنفعة بالالام اذا ادت الى لذات والاحياء فعل الحياة وحياة الارض عمارتها
بالنبات وموتها اخرابها بالجفاف الذي يمتنع معه النبات والبث التفريق وكل شيء بثثته فقد فرقته ومنه قوله
تعالى كالفراش المبثوث وتقول ابث الجراد في الارض وتقول بثثته سري وابثثته اذا اطلعته عليه والبث
ما يجده الرجل من كرب او غم في نفسه ومنه قوله اشكو بثي وحزني الى الله واصل الباب التفريق وقال صاحب
العين كل شيء مما خلق الله يسمى دابة مما يدب وصار بالعرف اسما لما يركب ويقولون للبرذون دابة وتصغيرها
دويبة ودبت النمل يدب دبيبا ودب الشراب في الانسان دبيبا ودب القوم الى العدو اي مشوا على هينتهم
لم يسرعوا والدبابة تتخذ في الحروب ثم يدفع الى اصل حصن فينقبون وهم في جوفها والدب نوع من السباع
والانثى دبة والدبة لزوم حال الرجل في فعاله وكب فلان دبة فلان واخذ بدبته اي عمل بعمله وقوله تعالى
وتصريف الرياح التصريف والتقليب والتسليل نظاير وتصريف الرياح تصرفها من حال الى حال ومن وجه
الى وجه وكذلك تصرف الخيول والسيول والامور وصرف الدهر تقلبه والجمع صروف والصريف اللبن اذا
سكنت رغوته قال بعضهم لا يسمى صريفا حتى ينصرف به الضرع والصريف صريف الفحل بنابه حتى يسمع لذلك

صوت وكذلك الصريف للبكرة وعز صارف اذا ارادت الفحل والصرف صبغ احمر قال الاصمعى هو الذى يصبغ
به الشرك والصرف فضل الدرهم على الدرهم فى الجودة وكذلك بيع الذهب بالفضة ومنه اشتق اسم الصيرفى
لتصريفه احدهما فى الاخر والصرف النافلة والعدل الفريضة والصرفة منزل من منازل القمر كوكب اذا طلع
قدام الفجر فهو اول الخريف واذا غاب مع طلوع الفجر فذلك اول الربيع والصرف الشراب غير ممزوج والصرفان
تمر معروف او زنه واجوده واصل الباب القلب عن الشى والسحاب مشتق من السحب وهو جر الشى على
وجه الارض تسحبه سحبا كما تسحب المراة ذيلها وكما تسحب الريح التراب وسمى السحاب سحابا لانسحابه فى السماء
وكل منجر منسحب والتسخير والتذليل والتمهيد نظاير تقول سخر الله لفلان كذا اذا سهله له كما سخر الرياح
لسليمان وسخرت الرجل تسخيرا اذا اصطهدته فكلفته عملا بلا اجرة وهى السخرة وسخر منه اذا استهزاء
به قال الله تع فيسخرون منهم سخر الله منهم وقال ليتخذ بعضهم سخريا من الاستهزاء وسخريا من تسخير الحول
وما اشبهه واصل الباب التسخير التذليل وقيل فى تصريف الرياح قولان احدهما هبوبها شمالا وجنوبا
وصبا ودبورا الثانى قيل مجيئها بالرحمة مرة وبالعذاب اخرى وهو قول قتادة وقوله لقوم يعقلون فيه
قولان احدهما انه عام لمن استدل به ومن لم يستدل من العقلاء والثانى انه خاص لمن استدل به كما قال
انما انت منذر من يخشيها وكما قال هدى للمتقين لما كانوا هم الذين اهتدوا بها وخشوا عند مجيئها اضيف
اليهم وانما اضيفت الايات الى العقلاء لامرين احدهما لانها نصبت لهم والثانى لانها لا يصح ان يستدل
بها سواهم قال ابو زيد قال القيسيون الرياح اربع الشمال والجنوب والصبا والدبور فاما الشمال عن
يمين القبلة والجنوب عن شمالها والصبا والدبور متقابلتان فالصبا من قبل المشرق والدبور من قبل المغرب فاذا
جاءت الريح بين الصبا والشمال فهى النكباء التى لا يختلف فيها والتى بين الجنوب والصبا فهى الجربياء وروى
ابن الاعرابى عن الاصمعى وغيره ان الرياح اربع الجنوب والشمال والصبا والدبور قال ابن الاعرابى كل
ريح بين ريحين فهى نكباء قال الاصمعى اذا انحرفت واحدة منهن فهى نكباء وجمعها نكب فاما مهبهن فان
ابن الاعرابى قال مهب الجنوب من مطلع سهيل الى مطلع الثريا والصبا من مطلع الثريا الى بنات نعش والشمال
من بنات نعش الى مسقط النسر الطاير والدبور من مسقط النسر الطاير الى مطلع سهيل والجنوب والدبور
لهما هيف والهيف الريح الحارة والصبا والشمال لا هيف لهما وقال الاصمعى ما بين سهيل الى طرف بياض الفجر
جنوب وما بازائهما مما يستقبلها من المغرب شمال وما جاء من وراء البيت الحرام فهو دبور وما جاء قبالة
ذلك فهو صبا وتسمى الصبا قبولا لانها تستقبل الدبور وتسمى الجنوب الازيب والنعامى وتسمى الشمال محوة
ولا تنصرف لانها تمحوا السحاب وتسمى الجربياء وتسمى مسعا ونسعا وتسمى الجنوب اللاقح والشمال حايلا وتسمى
ايضا عقيما وتسمى الصبا عقيما ايضا قال الله تع وفى عاد اذ ارسلنا عليهم الريح العقيم وهى التى لا تلقح السحاب
والذاريات التى تذروا التراب ذروا ومن قرا بلفظ الجمع فلان كل واحدة من هذه الرياح مثل الاخرى فى
دلالتها على التوحيد وتسخيرها لنفع الناس ومن وحد اراد به الجنس كما قالوا اهلك الناس الدينار والدرهم

قوله تع وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللّٰهِ اَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللّٰهِ وَالَّذِينَ اٰمَنُوا اَشَدُّ
حُبًّا لِلّٰهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا اِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ اَنَّ الْقُوَّةَ لِلّٰهِ جَمِيعًا وَاَنَّ اللّٰهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ

اية بلا خلاف قرا نافع وابن عامر وابو جعفر من طريق النهروانى ولو ترى بالتاء الباقون بالياء وقرا ابو جعفر و
يعقوب ان القوة لله وان الله بكسر الهمزة فيهما الباقون بفتحها الانداد الامثال وقرا ابن عامر وحده اذ يرون
بضم الياء الباقون بفتحها الانداد الامثال والاشباه واحدها ند وقيل الاضداد واصل الند المثل المنادى
والمراد به هنا قال قتادة والربيع ومجاهد وابن زيد واكثر المفسرين الهتهم التى كانوا يعبدونها وقال السدى
رؤساؤهم الذين يطيعونهم طاعة الارباب من الرجال وقوله تع يحبونهم فالمحبة هى الارادة الا ان فيها حذف
وليس ذلك فى الارادة فاذا قلت احب زيدا معناه اريد منافعه او مدحه واذا احب الله تع عبدا فمعناه انه يريد
ثوابه وتعظيمه واذا قال احب الله معناه اريد طاعته واتباع اوامره ولا يقال اريد زيدا ولا اريد الله

² الصبا

² نظاير

ولا

ولا ان الله يريد المؤمن فاعتيد الحذف فى المحبة ولم يعتد فى الارادة وفى الناس من قال المحبة ليست من جنس
الارادة بل هى من جنس ميل الطبع كما تقولون احب ولدى اى يميل طبعى اليه وذلك مجاز بدلالة انهم يقولون احببت
ان افعل بمعنى اردت ان افعل وضد الحب البغض وتقول احبه احبابا وحببه حبا وتحبب تحببا وحببه تحبيبا وتحابا
تحابا والمحبة الحب والحب واحدة حبة من بر او شعير او عنب او ما اشبه ذلك والجبة بزور البقل وحبة القلب ثمرته و
الحبا الجرة الضخمة والحب القرط من حبة واحدة وحباب الماء فقاقيعه والحباب الحية واحب البعير احبابا اذا برك
فلا يثور كالحران فى الخيل قال ابو عبيدة ومنه قوله تع احببت حب الخير عن ذكر ربى اى لصقت بالارض لحب الخيل
حتى فاتتنى الصلاة واصل الباب الحب ضد البغض وقوله كحب الله قيل فى هذه الاضافة ثلثة اقوال احدها كحبكم
الله والثانى كحبهم لله الثالث كحب الله الواجب عليهم لا الواقع منهم كما قال الشاعر ولست مسلما
ما دمت حيا على زيد بتسليم الامير اى مثل تسليمى على الامير فان قيل كيف يحب المشرك الذى لا
يعرف الله شيئا كمحبة الله قلنا من قال ان الكفار يعرفون الله قال كمحبة الله ومن قال هم لا يعرفون الله على ما يقوله
اصحاب الموافاة قال معناه كحب المؤمنين لله او كالحب الواجب عليهم وقوله تع والذين امنوا اشد حبا لله
قيل فى معناه قولان احدهما اشد حبا لله للاخلاص له من الاشراك به والثانى لانهم عبدوا من يملك الضر
والنفع والثواب والعقاب فهم اشد حبا لله بذلك ممن عبد الاوثان ويجوز فتح ان من ثلثة اوجه وكسره من
ثلثة اوجه مع القراءة بالتاء اولها يجوز فتحها بايقاع الفعل عليها بمعنى المصدر وتقديره ولو ترى الذين
ظلموا اذ يرون العذاب بقوة الله وشدة عذابه الثانى ان يفتح على حذف اللام كقولك لان القوة لله الثالث
على تقدير لرأوا ان القوة لله على الاتصال بما حذف من الجواب والاول من الكسر على الاستيناف الثانى على
الحكاية مما حذف من الجواب كانه قيل لقالوا ان القوة لله جميعا الثالث على الاتصال بما حذف من الحال كقولك
يقولون ان القوة لله ومن قرا بالياء يجوز ايضا فى الفتح ثلثة اوجه وفى الكسر ثلثة اوجه اول الفتح على البدل
كقولك لو يرى الذين ظلموا ان القوة لله عليهم وهو معنى قول الفراء الثانى لان القوة لله الثالث
اذا رأوا ان القوة لله قال ابو على الفارسى من قرا بالتاء لا يجوز ان ينصب ان الا بالفعل المحذوف فى الجواب
واما البدل فلا يجوز لانها ليست الذين ظلموا ولا بعضهم ولا مشتملا عليهم هذا ان جعل الرؤية من رؤية البصر
وان جعلها من رؤية القلب فلا يجوز ايضا لان المفعول الثانى فى هذا الباب هو الاول فى المعنى وقوله تع ان
القوة لله لا يكون الذين ظلموا فلم يبق بعد ذلك الا انه ينتصب بفعل محذوف والكسر مع التاء مثل الكسر مع الياء
واختار الفراء مع الياء الفتح ومع التاء الكسر لان الرؤية قد وقعت على الذين وجواب لو محذوف كانه قيل لرأوا
مضرة اتخاذهم للانداد ولرأوا امرا عظيما لا يحصر بالاوهام وحذف الجواب يدل على المبالغة كقولك لو رايت
السياط ياخذ فلانا والضمير فى قوله يتخذ عايد على لفظ من وفى قوله يحبونهم على معنى من لان من مبهم فهو
يحمل الكلام منها على اللفظ واخرى على المعنى كما قال ومن يقنت منكن لله ويعمل صالحا بالتاء والياء حملا
لمن على اللفظ والمعنى واتصلت الاية بما قبلها اتصال انكار كانه قال ابعد هذا البيان والادلة القاهرة على
وحدانيته يتخذون الانداد من دون الله ومن قرا قوله ولو ترى بالتاء جعل الخطاب للنبى صلعم والمراد به غيره
كما قال يا ايها النبى اذا طلقتم النساء والذين على هذا فى موضع نصب ومن قرا بالياء يكون الذين فى موضع
رفع بانهم الفاعلون وقوله جميعا نصب على الحال كانه قيل ان القوة لله ثابتة لله فى حال اجتماعها وهى
صفة مبالغة بمعنى اذا ذو مقدورات لله فيما تقدم الوعيد به علموا ان الله قادر لا يعجزه شى والشدة قوة
العقد وهو ضد الرخاوة والقوة والقدرة واحد وترى فى قوله تع ولو ترى من رؤية العين بدلالة انها
تعدت الى مفعول واحد لانا نقدر ولو ترون ان القوة لله جميعا اى ولو يرى الكفار ذلك ومن قرا بالتاء
يقوى انها المتعدية الى مفعول واحد ويدل على ذلك ايضا قوله اذ يرون العذاب فى قوله واذا راى الذين
ظلموا العذاب فلا يخفف عنهم فتعدى الى مفعول واحد فان قيل كيف قال ولو يرى الذين ظلموا وهو
امر مستقبل واذ لما مضى قيل انما جاء على لفظ المضى لارادة التقريب فى ذلك كما جاء وما امر الساعة الا كلمح

² الخير

البصر

البصر وان الساعة لقريب وعلى هذا جاء فى هذا المعنى امثلة الماضى كقوله ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة
هكذا ذكره ابو على الفارسى قال وعلى هذا المعنى جاء فى مواضع كثيرة فى القران كقوله تعـ ولو ترى اذ وقفوا
على ربهم ولو ترى اذ وقفوا على النار ولو ترى اذ الظالمون موقوفون عند ربهم ولو ترى اذ فزعوا فلا
فوت ولو ترى اذ يتوفى الذين كفروا الملئكة كذلك هذه الاية **قوله تعـ** إِذْ تَبَرَّءَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ
اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ اية واحدة بلا خلاف العامل فى اذ قوله تعـ وان الله شديد العقاب
اذ تبرأ الذين كانه قيل وقت تبرأ والتبرى التباعد للعداوة فاذا قيل برّأ الله من المشركين معناه باعدهم من رحمته
وكذلك اذا قلت برّأ الرسول منهم معناه باعدهم للعداوة عن منازل من يحبّ له الكرامة والتبرّؤ فى اصل اللغة
والتزيّل والتقضّى نظاير وضدّ التبرّى التولى والاتباع طلب الاتفاق فى مكان او مقال او فعال فاذا قيل اتبعه
ليلحقه فمعناه ليتفق معه فى المكان واذا اتبعه فى مذهبه او فى سيره او غيره للعز الاحوال فمعناه طلب الاتفاق و
اتبعوا ضمت الالف فيه لضمة الثالث وضمة الثالث لما لم يسمّ فاعله لانه انما يضم له اول المتحرك من الفعل فيما بنى
عليه والف الوصل لا يعتد به لانه وصلة الى التكلم بالساكن فاذا اتصل متحرك استغنى عنه والمعنى بقوله الذين
اتبعوا رؤساء الضلالة من الانس وقال قوم هم من الجن وقيل من الجميع والاول قول قتادة والربيع وعطا
والثانى قول السدى وقوله تعـ تقطعت بهم الاسباب فى التقطع التباعد بعد اتصال والسبب الوصلة الى
المتعذر بما يصلح من الطلب ومعنى الاسباب ههنا قيل فيه ثلثة اقوال احدها قال مجاهد وقتادة والربيع
وفى رواية عن ابن عباس هى الوصلات التى كانوا يتواصلون عليها الثانى روى عن ابن عباس انها الارحام
التى كانوا يتقاطعون بها الثالث قال ابن زيد الاعمال التى كانوا يوصلونها وقال الجبائى تقطعت بهم اسباب
النجاة والسبب الحبل والسبب ما تسبّبت به من رحم او يد او دين ومنه قوله فليرتقوا فى الاسباب تقول العرب
اذا كان الرجل ذا دين ارتقا فى الاسباب والسبّ الشتم والسُبّ القطع والسِبّ الشقة البيضاء من الثياب وهى
السبّيبة ومضت سنة من الدهر اى ملاوة والسِبّ الوتد والسبّابة ما بين الوسطى والابهام والتسبّب التوصل
الى ما هو منقطع عنك ويقال تسبّب يتسبّب تسبّبا واستبّوا استبابا وسبّب تسبيبا وسابّه متسابّة قوله
تعالى وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّءَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ
حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ اية بلا خلاف المعنى بقوله وقال الذين اتبعوا هم الذين تبرأ منهم
سادا تهم الذين اتبعوهم لو ان لنا كرة يعنى رجعة الى دار الدنيا قال الاخطل ولقد عطفن على غرادة
عطفة كرّ المنيح وجلن ثم مجالا فالعامل فى لو ان محذوف كانه قال لو صحّ ان لنا كرة لان لو فى التمنى و
غيره تطلب الفعل وان شئت قدرته لو ثبت ان لنا كرة والكر نقيض الفر تقول كرّ يكرّ كرّا وكرة وتكرّر تكرّرا وكرّر
تكريرا وتكرارا والكرة والفرّة متقابلان والكرّ والرجع والقتل نظاير فى اللغة قال صاحب العين الكرّ الرجوع
من الشئ ومنه التكرار والكرّ الحبل الغليظ وقيل الشديد الفتل والكرير صوت فى الحلق والكرير بهر والكرة سرقين
وتراب يدقّ ويجلا به الدروع وقوله فنتبرأ منهم فالتبرؤ والانفصال واحد ومنه برأ من مرضه اذا انفصل منه
بالعافية ومنه برئ من الدين براءة وبرأ الله الخلق وانتصب فنتبرّأ على انه جواب التمنى بالفاء كانه قال لو
كان لنا كرّة وفتبرّأ وكلما عطف الفعل على تاويل المصدر نصب باضمار ان ولا يجوز اظهارها وقوله كذلك
يريهم الله اعمالهم حسرات وذلك لانقطاع الرجاء من كل واحد منهما وقيل ايضا كما اراهم العذاب يريهم اعمالهم
حسرات عليهم وذلك لانهم ايقنوا بالهلاك فى كل واحد منهما والعامل فى الكاف يريهم والاعمال التى يرونها
حسرات قيل فيها ثلثة اقوال احدها المعاصى يتحسرون عليها لم عملوها الثانى الطاعات يتحسرون عليها لم لم
يعملوها وكيف ضيعوها ومثله ذنيا لهم اعمالهم فهم يعمهون اى اعمالهم التى فرضناها عليهم او ندبناهم اليها
وروى عن ابى جعفر ع انه قال هو الرجل يكتسب المال ولا يعمل فيه خيرا فيرثه من يعمل فيه عملا صالحا فيرى الاول
ما كسبه حسرة فى ميزان غيره فان قيل لو جاز ان يضاف الاعمال التى رغبوا فيها ولم يفعلوها بانها اعمالهم لجاز
ان يقال الجنة دارهم وحور العين ازواجهم لانهم عرضوا لها قلنا لا يجب ذلك لانا انما حملنا على ذلك للضرورة

الفعل

خ ل ان خ ل كرة

ولو سمّى الله تعـ الجنة بانها دارهم لتأوّلنا ذلك ولكن لم يثبت ذلك فلا يقاس على غيره الثالث الثواب فان الله
تعالى يريهم مقادير الثواب التى عرضهم لها لو فعلوا الطاعات فيتحسرون عليه لم فرّطوا فيه والقول الاول
قول الربيع وابن زيد واختيار الجبائى واحد قولى البلخى والثانى قول عبد الله والسدى واحد قولى البلخى وهو
كما تقول الانسان اقبل على عملك واعتقدت عليه عملا فلان فى عمله والذى اقوله ان الكلام يحتمل الامرين فلا
ينبغى ان يقطع على واحد منهما الا بدليل الا ان الاول اقوى لانه الحقيقة والله اعلم بمراده والحسرات جمع الحسرة
وهى اشد الندامة والفرق بينها وبين الارادة ان الحسرة تتعلق بالماضى خاصة والارادة تتعلق بالمستقبل
لان الحسرة انما هى على ما فات بوقوعه او بتقضى وقته وانما حركت السين لانه اسم على فعلة وسطه ليس من حروف
العلة ولو كان صفة لقلت صعبات فلم يحرك وكذلك جوزات فى بيضات وانما حرك الاسم لانه على خلاف الجمع لتا...
اذ كان انما يستحقه ما يعقل والحسرة والندامة نظاير وهى نقيض الغبطة وتقول حسرت العمامة عن راسى اذا
كشفتها وحسر عنه ذراعه حسرا وانحسر انحسارا وحسّره تحسيرا وتحسّر تحسّرا والحاسر فى الحرب الذى لا درع عليه
ولا مغفر وحسر يحسر حسرة وحسرا اذا كمل على الشئ الفايت وتلهّف عليه وحسرت الناقة حسورا اذا اعيت و
حسر البصر اذا كلّ عن البصر والمحسرة المكنسة والطير يحسّر اذا خرج من ريشه العتيق الى الحديث واصل الباب الحسر
الكشف وفى الاية دلالة على انه كان فيهم قدرة على البراءة منهم لانهم لو لم يكونوا قادرين لم يجز ان يتحسروا
على ما فات كما لا يتحسر الانسان لم لم يصعد الى السماء ولا من كونه فى الارض **قوله تعـ** يَا أَيُّهَا النَّاسُ
كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ اية بلا خلاف
قرأ نافع وابو عمرو وحمزة وخلف وابو بكر الا البرجمى والبزى الا ابن مرج والرسبى الا الولى خطوات بسكون
الطاء حيث وقع الباقون بضمها الاكل هو البلع عن مضغ وبلع الحصا ليس باكل فى الحقيقة وقد قيل النعام
ياكل الجمر فاجروه مجرى فلان ياكل الطعام ويقال مضغه ولم ياكله والحلال هو الجائز من افعال العباد مأخوذ
من انه طلق لم يعقد بحظر والمباح هو الحلال بعينه وليس كل حسن حلالا لان افعاله تعـ حسنة ولا يقال انها حلال
اذ الحلال الطلاق فى الفعل لمن يجوز عليه المنع وتقول حل يحل حلالا او حل يحل حلولا او حل العقد حلا واحله
احلالا واستحل استحلالا وتحلل تحللا واحتل احتلالا وتحالوا تحالا وحاله محالة وحلله تحليلا وانحل انحلالا
وحل العقد يحله حلا وكل جامد اذبته فقد حللته وحل بالمكان اذا نزل به وحل الدين محلا واحل من احرامه
وحل والحل الحلال ومن قرأ يحلل فمعناه ينزل ومن قرأ يحلل معناه يجب حلّ عليه العقو تراى وجبت والحلا
الجدى الذى يشق عن بطن امه وتحلة اليمين منه قول الشاعر خفى الزاب باصلاب ثمانية فى اربع مسهن
الارض تحليل اى هين والحليل والحليلة الزوج والمراة سميا بذلك لانهما يحلان فى موضع واحد والحلة
ازار ورداء برد وغيره لا يقال حلة حتى يكون ثوبين والاحليل مخرج اللبن من الطبى الفرس وخلف الناقة وهى
وهو مخرج البول من الذكر واصل الباب الحل نقيض العقد ومنه احل من احرامه لانه حل عقد الاحرام بالخروج
منه وتحلة اليمين اخذا قل القليل لان عقدة اليمين تنحل به والطيب هو الخالص من شايب ينغص وهو على ثلثة
اقسام الطيب المستلذ والطيب الجايز والطيب الطاهر كقوله تعـ فتيمموا صعيدا طيبا اى طاهرا والاصل واحد
وهو المستلذ الا انه يوصف به الطاهر والجايز تشبيها اذ ما يزجر عنه العقل او الشرع كالذى تكرهه النفس
فى الصرف عنه وما تدعو اليه بخلاف ذلك تقول طاب طيبا واستطاب استطابة وطايبه مطايبة وتطيّب
تطيبا وطيبه تطييبا والطيب الحلال والطيب النظيف والطهور من الطيب واصل الباب الطيب خلاف الخبيث
والخطوة بعد ما بين قدمى الماشى والخطوة المرة من الخطو وهو نقل قدم الماشى وتقول خطا خطوة
واحدة والاسم الخطوة وجمعها خطى وقوله تعـ ولا تتبعوا خطوات الشيطان اى لا تقتفوا اثاره ولا تقتدوا
به واصل الباب الخطو نقل القدم قدما والعد والمباعد عن الخير الى الشر والولى نقيضه وانما قال حلالا طيبا
فجمع الوصفين لاختلاف الفايدتين اذ وصفه بانه حلال يفيد بانه طلق ووصفه بانه طيب يفيد انه مستلذ اما
اما فى العاجل والاجل وخطوات الشيطان ههنا قيل فيه خمسة اقوال فقال ابن عباس اعماله وقال مجاهد وقتادة

خطاياه وقال السدى طاعتكم اياه وقال الخليل آثاره وقال قوم هى النذور فى المعاصى وقال الجبائى ما يتخطى
بكم اليه بالامر والترغيب روى ان هذه الاية نزلت لما حرم اهل الجاهلية من ثقيف وخزاعة وبنى مدلج من
الانعام والحرث البحيرة والسائبة والوصيلة فنهى الله تعم عما كانوا يفعلونه وامر المؤمنين بخلافه والاذن
فى الحلال يدل على خطر الحرام على خلاف قصر ودبيروا نواعه فحملها على العموم اولى والماكل والمنافع الاهلية
للناس فيها ثلثة اقوال فقال قوم هى على الخطر وقال آخرون هى على الاباحة وقال قوم هى على الوقف و
حكى الرمانى ان فيهم من قال بعضها على الخطر وبعضها على الاباحة وقد بيّنا ما عندنا فى ذلك فى اصول الفقه
الا ان هذه الاية دالة على اباحة الماكل الا ما دلّ الدّليل على خطره وقوله انه عدوّ مبين فى وصف الشيطان معنا
انه مظهر العداوة بما يدعوا اليه من خلاف الطاعة لله التى فيها النجاة من الهلاك والفوز بالجنة **قوله**
تعالى اِنَّمَا يَاْمُرُكُمْ بِالسُّوْءِ وَالْفَحْشَاءِ وَاَنْ تَقُوْلُوْا عَلَى اللّٰهِ مَا لَا تَعْلَمُوْنَ اية واحدة بلا خلاف
الامر من الشيطان هو دعاؤه الى الفعل فاما الامر فى اللغة فهو قول القائل لمن هو دونه افعل واذا كان
فوقه سمّى ذلك دعاء ومسئلة وهل يقتضى الامر الايجاب او الندب ذكرناه فى اصول الفقه فلا نطول بذكره
ههنا والسوء كل فعل قبيح يزجر عنه العقل او الشرع ويسمّى ما ينفر عنه النفس سوء تقول ساءنى كذا يسوءنى
سوء وقيل انما سمّى القبيح سوء لسوء عاقبته لانه يليه تدبير فى العاجل ولا يخلوا المكلف من الزجر عن القبيح
امّا عقلا او شرعا ولو خلا منه لكان معرى بالقبيح وذلك لا يجوز والسوء فى الاية قيل فيه قولان قال السدى
هو المعاصى وقال غيره ما يسوء الفاعل يعنى ما يضره والمعنى قريب من الاول والاوّل هو الصحيح والفحشاء هو
العظيم القبح فى الفعل وكذلك الفاحشة وقيل المراد به الزنا من الفجور عن السدى والفحشاء مصدر فحش فحشا
كقولك للضحى ضرا وسرّه سرّاء وسرّا والفحشاء والفاحشة والقبيحة والسيئة نظاير ونقيضها الحسنة تقول
فحش فحشا وافحش افحاشا وتفاحش تفاحشا وفحّش تفحيشا واستفحش استفحاشا وكل من تجاوز قدره فهو
فاحش وافحش الرجل اذا قال فحشا وكل شئ لم يكن موافقا للحق فهو فاحشة قال الله تعم الا ان ياتين بفاحشة
مبينة يعنى بذلك خروجها من بيتها بغير اذن زوجها المطلق لها وقال تعم وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى و
القول كلام له عبارة ينبئ عن الحكاية وذلك ككلام زيد يمكن ان ياتى عمرو بعبارة عنه ينبئ عن الحكاية له
فتقول قال زيد كذا وكذا فيكون قوله قال زيد يؤذن انه يحكى بعده كلام وليس كذلك اذا قال تكلم زيد لانه
لا يؤذن بالحكاية والعلم ما اقتضى سكون النفس وقيل هو تبيّن الشئ على ما هو به للمدرك له فان قيل كيف يامرنا
الشيطان ونحن لا نراه ولا نسمع كلامه قلنا لما كان الواحد منا يجد من نفسه معنى الامر بما يجد من الدعاء الى
المعصية والمنازعة فى الخطيئة وكان ما نجده من نفوسنا من الدعاء والاغواء انما هو بامر الشيطان الذى دلّنا
الله عليه وحذّرنا منه صحّ اخبار الله بذلك فان قيل اذا كان الله عز وجل يوصل معنى امره لنا الى نفوسنا فما
وجه ذلك فى الحكمة وهو لو امر من غير ايصال معنى الامر لم يكن فى ذلك مضرة قلنا فى ذلك اكبر النعمة لان التكليف
لا يصحّ الا مع منازعة الى الشئ المنهى عنه فكان ذلك من قبل عدوّ يحذّره اولى من ان يكون المنازعة من قبل
ولى يستنصحه وفى ذلك المصلحة لنا بالتعريض للثواب الذى يستحقه بالمخالفة له والطاعة لله تعم كما ان فى خلقه
مصلحة من هذه الجهة واذا كان انما افهمنا ذلك للتجنيب فهو كتعليم شبهة ملحد لنعلم حلّها وفى الاية دلالة على
بطلان قول من قال ان المعارف ضرورة لانها لو كانت ضرورة لما جاز ان يدعوهم الى خلافها كما لا يدعوهم الى
خلاف ما هم مضطرّون اليه من ان السّماء فوقهم والارض تحتهم وما جرى مجراه مما يعلم ضرورة لان الدعاء
الى ذلك يجرى مجرى الدعاء الى خلق الاجسام وبعث الاموات لا يدخل تحت مقدور القدر وقد استدل نفاة
القياس والقول بالاجتهاد بهذه الاية بان قالوا القول بالاجتهاد والقياس قول بغير علم وقد نهى الله عن
ذلك فيجب ان يكون ذلك محظورا ومذهبنا وان كان المنع من القول بالاجتهاد فليس فى هذه الاية دلالة
على ذلك لان للخصم ان يقول اذا دلّنى الله تعم على العمل بالاجتهاد فلا اعمل انا به الا بالعلم ويجرى ذلك
مجرى وجوب العمل عند شهادة الشاهدين والعمل بقول المقومين فى اروش الجنايات وقيم المتلفات وجهات

القبلة وغير ذلك من الاشياء التى هى واقفة على الظن فالظن شرط والعمل واقف على الدليل الموجب للعمل عنده
فلا يكون فى الاية دلالة على ذلك وقد بيّنا ما نعتمده فى بطلان القول بالاجتهاد والراى فى اصول الفقه فلا
وجه لذكره ههنا **قوله تعم** وَاِذَا قِيْلَ لَهُمُ اتَّبِعُوْا مَا اَنْزَلَ اللّٰهُ قَالُوْا بَلْ نَتَّبِعُ مَا اَلْفَيْنَا عَلَيْهِ اٰبَاءَنَا اَوَلَوْ
كَانَ اٰبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُوْنَ شَيْئًا وَّلَا يَهْتَدُوْنَ اية واحدة بلا خلاف الفينا وصادفنا ووجدنا بمعنى واحد و
الاب والوالد واحد وقوله تعم اولو كان هى واو العطف دخلت عليها حرف الاستفهام والمراد به التوبيخ و
التعريض فهى الف التوبيخ ومثل هذه الواو ثم اذا ما وقع وافلم يسيروا فى الارض وانما جعلت الف الاستفهام
للتوبيخ لانه يقتضى ما الاقرار به فضيحة عليه كما يقتضى الاستفهام الاخبار بما يحتاج اليه والمعنى انهم يقولون
هذا القول وان كان اباؤهم لا يعقلون شيا ولا يهتدون والفرق بين دخول الواو وسقوطها فى مثل هذا
الكلام انك اذا قلت اتتبعه ولو ضرك فمعناه اتتبعه على كل حال ولو ضرك وليس كذلك اذا قال اتتبعه لو ضرك لان
هذا خاصّ والاوّل عامّ فانما دخلت الواو لهذا المعنى ومعنى قوله لا يعقلون شيا ولا يهتدون يحتمل شيئين احدهما
لا يعقلون شيا من الدّين ولا يهتدون اليه والثانى على الشتم والذم كما يقال هو اعمى اذا كان لا يبصر طريق الحق
على الذمّ هذا قول البلخى والاول قول الجبائى وفى الاية دلالة على بطلان قول اصحاب المعارف لانها دلّت على
انهم كانوا على ضلال فى الاعتقاد والضمير فى قوله لهم قيل فيه ثلثة اقوال احدها انه يعود على من فى قوله و
من الناس من يتخذ من دون الله اندادا والثانى انه يعود على الناس من يا ايها النّاس كلوا ممّا فى الارض حلالا
طيّبا فعدل عن المخاطبة الى الغيبة كما قال تعم حتى اذا كنتم فى الفلك وجرين بهم بريح طيبة الثالث انه يعود على
الكفّار اذ جرى ذكرهم ويصلح ان يعود اليهم وان لم يجر ذكرهم لان الضمير يعود على المعلوم كما يعود على المذكور و
قال ابن عباس انّ النبىّ صم دعا اليهود من اهل الكتاب الى الاسلام فقالوا بل نتبع ما وجدنا عليه اباءنا فهم كانوا
اعلم وخيرا منا فانزل الله عزّ وجلّ واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله الاية والفينا فى الاية معناه وجدنا فى قول قتادة
كما قال الشّاعر فالفيته غير مستعتب ولا ذاكر الله الا قليلا والاتباع طلب الاتفاق فى المقال او الفعال امّا
فى المقال فاذا دعا الى شئ استجيب له واما فى الفعال فاذا فعل شيا فعل مثله والعقل مجموع علوم بها يتمكن من
الاستدلال بالشاهد على الغايب وقال قوم هو قوة فى النفس يمكن بها ذلك والاهتداء الاصابة لطريق الحق
بالعلم وفى الاية حجة عليهم من حيث انهم اذا جاز لهم ان يتبعوا اباءهم فيما لا يدرون احق هو ام باطل فلم لا يجوز
اتباعهم مع العلم بانهم مبطلون وهذا فى غاية البطلان وفيها دلالة على فساد التقليد لان الله تعم ذمّهم على
تقليد ابائهم ووبّخهم على ذلك ولو جاز التقليد لم يتوجّه اليهم توبيخ ولا لوم والامر بخلافه **قوله تعم**
وَمَثَلُ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا كَمَثَلِ الَّذِىْ يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ اِلَّا دُعَاءً وَّنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُوْنَ
اية بلا خلاف التشبيه فى هذه الاية يحتمل ثلثة اوجه من التاويل احدها وهو احسنها واقربها الى الفهم واكثرها
فى باب الفايدة ما قاله اكثر المفسّرين كابن عبّاس والحسن ومجاهد وقتادة والربيع واختاره الزجاج والفرّاء و
الطبرى والجبائى والرّمانى وهو المروى عن ابى جعفر عم ان مثل الذين كفروا فى دعائك اياهم كمثل الذى ينعق
اى الناعق فى دعائه المنعوق به من البهايم التى لا تفهم كالابل والبقر والغنم لانها لا تعقل ما يقال لها وانما
تسمع الصّوت والحذف فى مثل هذا حسن كقولك لمن هو سيّئ الفهم انت كالحمار وزيد كالاسد اى فى الشجاعة لان
المعنى فى احد الشيئين اظهر فيشبه بالآخر ليظهر بظهوره وهذا باب حسن فى البيان الثانى حكاه البلخى وغيره ان
مثل الذين كفروا فى دعائهم الهتهم من الاوثان كمثل الناعق فى دعائه ما لا يسمع بنعاق وما جرى مجراه من
الكلام وذلك ان البهايم لا تفهم الكلام وان سمعت النداء والدّعاء واقصى احوال الاصنام ان تكون
كالبهايم فى انها لا تفهم الكلام فاذا كان لا يشكل عليهم ان من دعا البهايم بما ذكرناه جاهل فهم فى دعائهم
الحجارة اولى بالجهل وصفة الذّم الثالث قال ابن زيد ان مثل الذين كفروا فى دعائهم الهتهم كمثل الناعق فى
دعائه الصدا فى الجبل وما اشبهه لانه لا يسمع منه الا دعاء ونداء لانه اذا قال يا زيد سمع من الصدى يا زيد
فيخيل اليه ان مجيبا اجابه وليس هناك شئ فيقول يا زيد وليس فيه فايدة فكذلك يخيل الى المشركين ان دعاءهم

للاصنام يستجاب والیس له الحقيقة ولا فيه فايدة وانما رجحنا الوجه الاول لما بيناه من حسن الكلام ولانه مطابق
للسبب الذي قيل انها نزلت في اليهود فانهم لم يكونوا يعبدون الاصنام ولا يليق بهم الوجه الثاني فاذا ثبت ذلك
ففيه ثلثة اوجه من الحذف اولها ومثل الذين كفروا في دعائك لهم كمثل الناعق في دعائه المنعوق به والثاني و
مثل الذين كفروا في دعائهم الاوثان كمثل الناعق في دعائه الانعام الثالث مثل وعظ الذين كفروا كمثل نعق
الناعق بما لا يسمع وهذا من باب حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه كقول الشاعر لقد خفت حتى
ما تزيد مخافتي على وعل في ذي المطارة عاقل والتقدير على مخافة وعل فان قيل كيف قوبل الذين كفروا
وهم المنعوق به بالناعق ولما تقابل المنعوق به بالمنعوق به في ترتيب الكلام او الناعق بالناعق قيل لانه
على تضمين الكلام تشبيه اثنين باثنين الداعي للايمان للمدعو من الكفار بالداعي الى المراد للمدعو من الانعام
فلما اريد الايجاز ابقى ما يدل على الثاني فابقى في الاول ذكر المدعو وفي الثاني ذكر الداعي ولو رتب على ما قال
السائل لبطل هذا المعنى وزعم ابو عبيدة والفراء انه يجري مجرى المقلوب الذي يوضع فيه كلمة مكان كلمة
كانه وضع الناعق موضع المنعوق به وانشد كانت فريضة ما تقول كما كان الزناء فريضة الرجم
والمعنى كما كان الرجم فريضة الزناء وكما يقال ادخلت القلنسوة في راسي وانما هو ادخلت راسي في القلنسوة قال
الشاعر ان سراجا لكريم مفخره تجلى له العين اذا ما تجهره والمعنى يحلى بالعين فجعله تجلى له العين
والاقوى ان يكون الامر على ما بيناه من المعنى الذي دعا الى الخلاف في الحذف ليدل بما بقي على ما القى قال
صاحب العين نعق الراعي بالغنم ينعق نعيقا اذا صاح بها زجرا ونعق الغراب نعاقا ونعيقا اذا صاح بها
والناعقان كوكبان من كواكب الجوزاء رجلها اليسرى ومنكبها الايمن وهو الذي يسمى الهنعة وهما اضوى
كوكبين في الجوزاء واصل الباب الصياح والنداء مصدر نادى مناداة ونداء وتنادوا وتنادوا وتنادى وندّى تندية
وتندى تنديا والنداء والدعاء والسؤال نظائر قال صاحب العين الندى له وجوه في المعنى ندى الماء وندى
الخير وندى الشر وندى الصوت وندى الحضر فاما ندى الماء فمنه ندى المطر اصابه ندى من طل ويوم ند
وارض ندية والمصدر منه الندوة والندى ما اصابه من البلل وندى الخير هو المعروف تقول اندى علينا
فلان ندى كثيرا وان يده لندية بالمعروف وندى الصوت بعد مذهبه وصحة جريه واشتق النداء منه الصوت
وفي التنادي اي ناداه اي دعاه بارفع صوته والندى الاجتماع في النادي وهو المجلس ندا القوم يندون ندوا
اذا اجتمعوا ومنه دار الندوة واصل الباب الندى البلل وندى الجود كندى الغيث ومعنى صم بكم عمي انهم لا
يعقلون اي صم عن استماع الحجة بكم عن التكلم بها عمي عن الابصار لها وهو قول ابن عباس وقتادة والسدي
والاعمى من في بصره افة تمنعه من الرؤية والاصم من كان في اذنه سمعه افة تمنعه من السمع والابكم من كان
في لسانه افة تمنعه من الكلام وقيل انه يولد كذلك والخرس قد يكون لعرض يتجدد واجاز الفراء النصب
في صم على الذم والاجود الرفع على ما عليه القراء وتقديره هم صم وفيها دلالة على بطلان قول من
زعم انهم لا يستطيعون سمعا على الحقيقة لانه لا خلاف انهم لم يكونوا صما لا يسمعون الاصوات وانما
هو كما قال الشاعر اصم عما ساءه سميع وفيها دلالة على بطلان قول من قال ان المعرفة ضرورة لانهم
لو كانوا عالمين ضرورة لما استحقوا هذه الصفة وقال عطا نزلت هذه الاية في اليهود ومعنى ينعق
يصوت قال الاخطل فانعق بضانك يا جرير فانما منتك نفسك في الخلاء ضلالا والدعاء طلب
الفعل من المدعو والاولى ان يعتبر فيه الرتبة وهو ان يكون فوقا للداعي والسمع ادراك الصوت والمثل
قول سائر يدل على ان سبيل الثاني سبيل الاول **قوله تعالى** يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ
مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ اية بلا خلاف هذا الخطاب يتوجه الى جميع المؤمنين
وقد بينا ان المؤمن هو المصدق بما اوجبه عليه ويدخل فيه الفساق بافعال الجوارح وغيرها الا ان الايمان
لا ينفي الفسق عندنا وعند المعتزلة انه خطاب لمجتنبي الكباير وانما يدخل فيه الفساق على طريق التبع و
التغليب كما يغلب المذكر على المؤنث في قولك الاماء والعبيد جاوزني وقد بينا فيما تقدم ان افعال الجوارح

ندى المحضر
٣ من ندى

لا يسمى ايمانا عند اكثر المرجية واكثر اصحابنا وان بعضهم يسمى ذلك ايمانا لما رووه عن الرضا ؑ والايمان
ماخوذ من امان العقاب عند من قال انه تناول مجتنبي الكباير وعند الاخرين من امان الخطأ في الاعتقاد الواجب عليه
وفي المخالفين من يجعل الطاعات الواجبات والنوافل من الايمان وفيهم من يجعل الواجبات فقط ايمانا ويسمى النوافل
ايمانا مجازا وقوله كلوا ظاهره ظاهر الامر والمراد به الاباحة والتخيير لان الاكل ليس بواجب الا انه متى اراد الاكل
فلا يجوز ان ياكل الا من الحلال الطيب ومتى كان الوقت وقت الحاجة فانه محمول على ظاهره في باب الامر سواء
قلنا انه يقتضي الايجاب والندب وفي الاية دلالة على النهي عن اكل الخبيث في قول البلخي وغيره كانه قيل كلوا
من الطيب دون الخبيث كما لو قال كلوا من الحلال لكان ذلك دالا على حظر الحرام وهذا صحيح فيما له ضد قبيح
مفهوم فاما غير ذلك فلا يدل على قبح ضده لان قول القائل كل من مال زيد لا يدل على ان المراد تحريم
ما عداه لانه قد يكون الغرض البيان لهذا خاصة والاخر موقوف على بيان اخر وليس كذلك ما ضده قبيح
لانه قد يكون من البيان تقبيح ضده والطيبات قدمنا معناها فيما تقدم وان المراد بذلك الخالص من شائب
ينغص وان كان لا يخلوا شيء من شايب لكنه لا يعتد به في الموصوف بانه حلال طيب ولو كان في الطعام
ما ينغص لجاز وصفه بانه ليس بطيب والرزق قد بينا فيما مضى انه ما للحي الانتفاع به على وجه لا يكون لاحد
منعه منه وقوله واشكروا الله فالشكر هو الاعتراف بالنعمة مع ضرب من التعظيم ويكون ذلك على وجهين
احدهما الاعتراف بالنعمة مع ضرب من التعظيم ويكون ذلك على وجهين احدهما الاعتراف بالنعمة متى ذكرها
المنعم عليه بالاعتقاد لها الثاني الطاعة بحسب جلالة النعمة فالاول لازم في كل حال من احوال الذكر و
الثاني انما يلزم في الحال التي يحتاج فيها الى القيام بالحق واقتضى ذكر الشكر ههنا ما تقدم ذكره من الانعام
في جعل الطيب من الرزق للانتفاع واستدفاع المضار وذكر الشرط ههنا انما هو على وجه المظاهرة في
الحجاج ولما فيه من حسن البيان دون ان يكون ذلك شرطا في وجوب الشكر وتلخيص الكلام ان كانت العبادة
لله واجبة عليكم بانه الهكم فالشكر له واجب عليكم بانه محسن اليكم واما العبادة فهي ضرب من الشكر لانها
غاية ليس وراها شكر ويقترن به ضرب من الخضوع ولا يستحق العبادة الا الله لانها يستحق باصول النعم
من الحياة والقدرة والشهوة والنفار وانواع المنافع ويقدر من النفع الذي لا يوازيه نعمة منعم فلذلك
اختص الله تعالى باستحقاقها **قوله تعالى** إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ
لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ اية بلا خلاف قرأ نافع
وابن عامر وابن كثير والكسائي بضم النون فمن اضطر الباقون بكسرها لفظة انما يفيد اثبات الشيء ونفي ما
سواه كقول الشاعر وانما يدافع عن احسابهم انا او مثلي ومعناه لا يدافع عن احسابهم غيري وغير من هو مثلي وهو قول
الزجاج والفراء والرماني والطبري واكثر اهل التاويل وانما كانت لاثبات الشيء ونفي ما سواه من قبل انها
لما كانت ان للتوكيد ثم ضم اليها ما للتوكيد ايضا اكدت من جهة التحقيق للشيء واكدت ما من جهة نفي ما عدا
فكانك اذا قلت اني بشر فالمعنى انا بشر على الحقيقة فاذا قلت انما انا بشر فقد ضممت الى هذا القول ما انا
الا بشر وتقدير قوله تعالى انما حرم عليكم الميتة ما حرم عليكم الا الميتة ولو كانت ما بمعنى الذي لكتبت مفصولة
ومثله قوله تعالى انما الله اله واحد اي لا اله الا واحد ومثله انما انت منذر اي لا انت الا منذر ومثله انما ضربت
اخاك اي ما ضربت الا اخاك فاذا ثبت ذلك فلا يجوز في الميتة الا النصب لان ما كافة ومعناها تحريم الميتة و
تحليل المذكى ولو كانت ما بمعنى الذي لكان يجوز في الميتة الرفع والفرق بين الميت والميتة قيل فيه قولان
احدهما قال ابو عمرو ما كان قد مات فهو بالتخفيف مثل يخرج الحي من الميت وما لم يمت فهو بالتثقيل كقوله تعالى
انك ميت وانهم ميتون ووجه ذلك ان التثقيل لما كان هو الاصل كان اقوى على التصريف في معنى الحاضر و
المستقبل وقال قوم المعنى واحد وانما التخفيف لثقل الياء على الكسرة قال الشاعر ليس من مات فاستراح
بميت انما الميت ميت الاحياء يجمع بين اللغتين قوله تعالى وما اهل به لغير الله قيل في معناه قولان احدهما
قال الربيع وابن زيد وغيرهما من اهل التاويل معناه ذكر غير اسم الله عليه والثاني قال قتادة ومجاهد

ما ذبح لغير الله والاهلال على الذبيحة هو رفع الصوت بالتسمية وكان المشركون يسمون الاوثان و
المسلمون يسمون الله ويقال انهل المطر انهلالا وهو شدة انصبابه وتهلل السحاب ببرقه اى تلألأ وتهلل
وجهه اذا تلألأ وتهلل الرجل فرحا والهلال غرة القمر ورفع الناس اصواتهم عند رؤيته بالتكبير والمحرم يهل
بالاحرام وهلل الرجل يكبر اذا نظر الى الهلال وهلل البعير تهليلا اذا تقوس كتقوس الهلال وسمى به الذكر
لان الهلال ذكر وثوب هلّ اى رقيق مشبه بالهلال فى دقته والتهليل الفزع واستهل الصبى اذا بكى حين
يولد والهلال الحية الذكر لانه يتقوس وسمى به الذكر لان الهلال ذكر فمن اضطر من كسر النون فلالتقاء
الساكنين ومن ضمها اتبع الضمة الضمة فى الطاء وقرأ ابو جعفر بكسر الطاء والاضطرار كل فعل لا يمكن المفعول
به الامتناع منه وذلك كالجوع الذى يحدث للانسان ولا يمكنه الامتناع منه والفرق بين الاضطرار والالجاء
لان الالجاء يتوفر معه الدواعى الى الفعل من جهة الضرر والنفع وليس كذلك الاضطرار واكثر المفسرين
على ان المراد فى الاية ضرورة المجاعة وقال مجاهد ضرورة اكراه والاولى ان يكون محمولا على العموم الاما
خصه الدليل ولحم الخنزير قال صاحب العين يقال رجل لحم اذا كان اكولا للحم وبيت لحم يكثر فيه اللحم و
الحمت القوم اذا قتلتهم وصاروا لحما والملحمة الحرب ذات القتل الشديد واستلحم الطريق اذا اتسع واللحمة قرابة
النسب واللحمة ما يسدى به بين المسديين من الثوب واللحام ما يلحم به صدع ذهب وفضة وحديد حتى يلتحما ويلتئما
وكل شئ كان متباينا ثم تلأم فقد التحم وشجة متلاحمة اذا بلغت اللحم واصل الباب اللزوم فمنه اللحم للزوم بعضه بعضا
وقوله غير باغ ولا عاد قيل فى معناه ثلثة اقوال اولها غير باغ اللذة ولا عاد سد الجوعة وهو قول الحسن
وقتادة ومجاهد والربيع وابن زيد والثانى ما حكاه الزجاج غير باغ فى الافراط ولا عاد فى التقصير الثالث
غير باغ على امام المسلمين ولا عاد بالمعصية طريقة المحقين وهو قول سعيد بن جبير ومجاهد وهو المروى
عن ابى جعفر وابى عبد الله ع قال الرمانى وهذا القول لا يسوغ لانه تعم لم يبح لاحد قتل نفسه بل حظر عليه
ذلك والتعريض للقتل قتل فى حكم الدين ولان الرخصة انما كانت لاجل المجاعة المتلفة لا لاجل الخروج
فى طاعة وفعل اباحة وهذا الذى ذكره غير صحيح لان من بغى على امام عادل فادى ذلك الى تلفه فهو المعرض
نفسه للقتل كما لو قتل فى المعركة فانه المهلك لها فلا يجوز له استباحة ما حرم الله كما لا يجوز له ان يستبقى
نفسه بقتل غيره من المسلمين وما قاله من ان الرخصة لمكان المجاعة لا يسلم اطلاقه بل يقال انما ذلك للمجاعة التى
لم يكن هو المعرض نفسه لها فاما اذا عرض نفسه لها فلا يجوز له استباحة المحرم كما قلنا فى قتل نفس الغير ليدفع
عن نفسه القتل واصل البغى الطلب من قولهم بغى الرجل حاجته يبغيها بغا قال الشاعر لا يمنعك من بغاء
الخير تعقاد التمايم ان الاشايم كالايامن والايامن كالاشايم والبغا طلب الزنا وانما اقتضى ذكر
المغفرة ههنا احد امرين احدهما النهى عما كانوا عليه من تحريم ما لم يحرمه الله من السائبة والوصيلة
والحام فوعد بالمغفرة عند التوبة والانابة الى طاعة الله فيما اباحه او حظره الثانى اذا كان يغفر المعصية
فهو لا يأخذ بما جعل فيه الرخصة ولا يجوز ان يقع فى موضع غير الا لانها بمعنى النفى ههنا ولذلك عطف
عليها بلا لانها فى موضع لا فاما الا فمعناها فى الاصل الاختصاص لبعض من كل وليس ههنا كل يصلح ان
يخص منه غير باغ منصوب على الحال وتقديره لا باغيا ولا عاديا والقدر المباح من الميتة عند الضرورة
ما يمسك الرمق فقط عندنا وفيه خلاف ذكرناه فى خلاف الفقهاء **قوله تعم** إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ
اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ اية بلا خلاف المعنى بهذه الاية اهل الكتاب باجماع المفسرين
الا انها متوجهة على قول كثير منهم الى جماعة قليلة منهم وهم علماؤهم الذين يجوز على مثلهم كتمان
ما علموه فاما الجمع الكثير الذين لا يجوز على مثلهم ذلك لاختلاف دواعيهم فلا يجوز ذلك الذى كتموه قيل فيه
قولان قال اكثر المفسرين انهم كتموا امر النبى ع بان حرفوه عن وجهه فى التاويل هذا اذا حمل على الجماعة
الكثيرة وان حمل على القليلة منهم يجوز ان يكونوا كتموا نفس التنزيل الثانى قال الحسن كتموا الاحكام

٢ وهو ان يرفع صوته بالتلبية

واخذوا الرشا على الاحكام والكتاب على القول الاول هو التورية وعلى الثانى يجوز ان يحمل على القرآن و
ساير الكتب وقوله ويشترون به ثمنا قليلا ليس المراد به انهم اذا اشتروا به ثمنا كثيرا كان جايزا وانما المقصد
ان كلما يأخذونه فى مقابلته من حطام الدنيا فهو قليل كما قال ويقتلون النبيين بغير حق وكما قال ومن يدع
مع الله الها اخر لا برهان له به وانما اراد ان قتل النبيين لا يكون الا بغير حق وان من ادعى مع الله الها
اخر لا يقوم له عليه برهان وكما قال الشاعر على لاحب لا يهتدى بمناره والمعنى لا لاحب هناك فيهتدى
به لانه لو كان لاهتدى به وقوله تعم ما يأكلون فى بطونهم الا النار معناه على قول الربيع والحسن والجبائى
واكثر المفسرين الاجر الذى اخذوه على الكتمان سمى بذلك لانه يؤديهم الى النار وكما قال فى اكل مال اليتيم
ظلما انما يأكلون فى بطونهم نارا وقال بعضهم انما يأكلون فى جهنم نارا جزاء على تلك الاعمال والاول احسن
فان قيل اذا كان الاكل لا يكون الا فى البطن فما معنى قوله فى بطونهم قلنا عنه جوابان احدهما ان العرب تقول
جعت فى غير بطنى وشبعت فى غير بطنى اذا جاع من يجرى مجرى نفسه فذكر ذلك لازالة اللبس
والثانى انه لما استعمل المجاز بالاجراء على الرشوة اسم النار حقق بذكر البطن ليدل على ان النار تدخل
اجوافهم والبطن خلاف الظهر والبطن الغامض من الارض والبطن من العرب دون القبيلة وجمع هذا الاسم
ظاهره وباطنه اى سره وعلانيته ورجل بطين عظيم البطن ومبطن خميص البطن وفلان بطانتى دون اخوانى
اى الذى يبطنه امرى واستبطنت امر فلان اذا وقفت على دخلته ويقال فى المثل البطنة تذهب الفطنة و
بطن الشئ بطونا اذا غمض والبطان حزام الرحل والبطين نجم وهو بطن الحمل واصل الباب البطون خلاف
الظهور وقوله تعم ولا يكلمهم الله قيل فى معناه قولان احدهما لا يكلمهم بما يحبون وانما هو دليل على
الغضب عليهم وليس فيه دليل على انه لا يكلمهم بما يسوءهم لانه قد دل فى موضع اخر فقال فلنسئلن الذين
ارسل اليهم ولنسئلن المرسلين وقال ربنا اخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون قال اخسئوا فيها ولا تكلمون
وهذا قول الحسن وواصل وابى على الثانى لا يكلمهم اصلا فتحمل ايات المسائلة على ان الملئكة تسألهم بامر الله
وتناول قوله اخسئوا فيها ولا تكلمون على ان الحال دالة على ذلك وانما دل نفى الكلام على الغضب على الوجه الاول
من حيث ان الكلام وضع فى الاصل للفائدة فلما انتفى على جهة الحرمان للفائدة دل على الغضب لا يدخل فيه
الكلام للغم والايلام وقوله ولا يزكيهم معناه لا يثنى عليهم ولا يصفهم بانهم ازكياء ويحتمل ان يكون المراد لا
يتقبل اعمالهم تقبل اعمال الازكياء والاشتراء هو الاستبدال بالثمن العوض فلما كانوا هؤلاء استبدلوا ابدانهم
الثمن القليل قيل فيهم انهم اشتروا به ثمنا قليلا والثمن هو العوض من العين والورق والقلة هو نقصان المقدار
عن مقدار غيره لانه يقال هو قليل بالاضافة الى ما هو اكثر منه وكثير بالاضافة الى ما هو اقل منه والكلام
ما انتظم من حرفين فصاعدا من هذه الحروف المعقولة اذا وقع ممن يصح منه او من قبيله الافادة وقال الرمانى
الكلام ما كان من الحروف دالا بتاليفه على معنى قال واصله من الاثر وهى كالعلامات الدالة والكلم الجراح
وما ذكرناه اولى لان هذا ينتقض بالمهمل من الكلام فانه لا يفيد وهو كلام حقيقة **قوله تعم** أُولَئِكَ
الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ اية واحدة بلا خلاف معنى
اشتروا الضلالة بالهدى استبدلوا لان اصل الشراء الاستبدال وليس يقع فى مثله اشكال فاما قولهم اشتبك
بالجارية غيرها فلا يجوز ان يقال بدلا منه اشترى لانه ملتبس والضلالة التى اشتروها بالهدى كفرهم بالنبى
عليه السلم وجحدهم لنبوته استبدلوه بالايمان به ووهم وان لم يقصدوا ان يضلوا بدلا من ان يهتدوا فقد قصدوا
الكفر بالنبى ع بدلا من الايمان به وذلك الضلال بدلا من الهدى فقد قصدوا الضلال بدلا من الهدى وان لم يقصدوه
من وجه انه ضلال ولا يجوز ان يقول لقصدوا ان يضلوا لانه يوهم انهم قصدوه من هذا الوجه كما ينبغى علموا
انهم يضلون غير انهم علموه من هذا الوجه ويجوز قصدوا الضلال وعلموا الضلال لانه لا ينبئ عن الوجه و
انما علموه وقصدوه من وجه اخر وهو جحدهم محمدا ص بدلا من التصديق به وقوله تعم فما اصبرهم على النار قيل
معناها معنى الجواب لان الكلام المتقدم قد تضمن معنى من كان بهذه الصفة فما اصبرهم على النار فعومل معاملة

المعنى الذى تضمنه حتى كانه قد لفظ به والتعجب لا يجوز على القديم تعم لانه عالم بجميع الاشياء لا يخفى عليه شئ
والتعجب يكون مما لا يعرف سببه وانما الغرض من الاية ان يدلنا على ان الكفار حلوا محل من يتعجب منه فهو تعجيب
لنا منهم وقد قيل فى معنى ما فى قوله فما اصبرهم على النار قولان احدهما قال الحسن وقتادة ومجاهد انها
للتعجب والثانى قال ابن عباس وابن جريج وابن زيد والسدى انها للاستفهام وقيل فى معنى اصبرهم اربعة اقوال
احدها ما اجراهم على النار ذهب اليه الحسن وقتادة والثانى قال مجاهد ما اعملهم باعمال اهل النار وهو
المروى عن ابى عبد الله ع والثالث حكاه الزجاج ما ابقاهم على النار كما تقول ما اصبره على الحبس الرابع
ذكره الفراء ما صبرهم على النار اى حبسهم عليها وقال الكسائى هو استفهام على وجه التعجب قال ابو العباس
المبرد هذا حسن كانه توبيخ لهم وتعجيب لنا مثل قولك للذى وقع فى هلكة ما اضطرك الى هذا اذا كان غنيا
عن التعرض للوقوع فى مثلها يقال اصبرته للسبع والرجل ونحوه اذا نصبته لما يكره وقال الحطيئة
قلت لها اصبرها دائبا ويحك امثال طريف قليل معناه الزمها واضطرها فاما التعجب فمثل قوم لا قتل
الانسان ما اكفره اى قد حل محل ما يتعجب منه وقيل ما اصبرك على كذا بمعنى ما اجرأك قال ابو عبيدة هى
لغة يمانية واشتق اصبر بمعنى اجرأ من الصبر الذى هو حبس النفس لان بالجرأة يصبر على الشدة فاما القول
الاخر فحبسوا انفسهم على عمل اهل النار بدوامهم عليه واقامتهم فيه وحكى الكسائى عن قاضى اليمن عن بعض
العرب قال لخصمه ما اصبرك على الله اى ما اصبرك على عذاب الله تعم **قوله تعم** ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ
الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ اية واحدة ذلك رفع بالابتداء او بانه
خبر الابتداء وهو اشارة الى احد ثلثة اشياء اولها قال الحسن ذلك الحكم بالنار والثانى ذلك العذاب الثالث
ذلك الضلال وفى تقدير خبر ذلك ثلثة اقوال قال الزجاج ذلك الامر او الامر ذلك فحذف لدلالة ما تقدم
عليه من الامر بالحق فكانه قال ذلك الحق واستغنى عن ذكر الحق لتقدم ذكره فى الكلام الثانى ذلك معلوم
بان الله نزل الكتاب بالحق فقد تقدم ذكر ما هو معلوم بالتنزيل فحذف لدلالة الكلام عليه الثالث ذلك
العذاب لهم بان الله نزل الكتاب بالحق وكفروا به فيكون الباء فى موضع الخبر ويحتمل ذلك ان يكون رفعا
على ما بينا ويحتمل ان يكون نصبا على فعلنا ذلك لان فى الكلام ما يدل على فعلنا ومعنى الكتاب ههنا قيل
انه التورية وقال الجبائى انه القران وغيره وهو اعم فايدة وقال بعضهم ان المراد بالاول التورية وبالثانى
القران ومعنى الاختلاف ههنا يحتمل امرين احدهما قول الكفار فى القران ومنهم من قال هو كلام السحرة
ومنهم من قال كلام يعلمه ومنهم من قال كلام يقوله الثانى اختلاف اليهود والنصارى فى التاويل والتنزيل
من التورية والانجيل لانهم حرفوا الكتاب وكتموا صفة محمد النبى صه وجحدت اليهود الانجيل والقران
قوله تعم لفى شقاق بعيد فيه قولان احدهما بعيد عن الالفة بالاجتماع على الصواب الثانى بعيد من الشقاق
لشهادة كل واحد على صاحبه بالضلال وكلاهما متعدل عن السداد ومن ذهب الى ان المعنى ذلك العذاب
بان الله نزل الكتاب بالحق قدر فكفروا به وجعله محذوفا ومن ذهب الى ان المعنى ذلك الحكم بدلالة ان الله
نزل الكتاب بالحق لم يجعله محذوفا والمعنى بالذين اختلفوا على قول السدى اليهود والنصارى وقال
غيره هم الكفار من عبدة الاوثان وغيرهم من اهل الضلال وهو الاولى لانه اعم وانما كسرت ان الثانية
لالحاق اللام الخبر وهى لام الابتداء فاخرت الى الخبر وكسرت معها ان لانها للاستيناف ايض فاما ان المفتوحة
فاسم يعمل فيه عوامل الاعراب كما يعمل فى الاسماء وانما كسرت ان فى قوله تعم وما ارسلنا قبلك من المرسلين
الا انهم لياكلون الطعام لا لالحاق اللام ولكن لدخول الا على جملة مستانفة فى التقدير كانه قيل الا هم ياكلون
الطعام ولو قلت ما ظننت الا انك لخارج لكسرت لاجل اللام والاختلاف لذهاب على جهة التفرق فى الجهات
واصله من اختلاف الطريق تقول اختلفا الطريق فجاء هذا من ههنا وجاء ذاك من هنالك ثم قيل فى الاختلاف
فى المذاهب تشبيها بالاختلاف فى الطريق من حيث ان كل واحد منهم على نقيض ما عليه الاخر من الاعتقاد فاما
اختلاف الاجناس فهو ما لا يسد واحد منهما مسد الاخر فيما يرجع الى ذاته كالسواد والبياض وغيرهما و

الشقاق

الشقاق انحياز كل واحد عن شق صاحبه للعداوة له وهو طلب كل واحد منهما ما يشق على الاخر لاجل العداوة
والمشاقة مثله **قوله تعم** لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ
وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ
وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا
وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ اية واحدة
بلا خلاف قرا حفص الا هبيرة وحمزة ليس البر بنصب الراء الباقون برفعها وقرأ نافع وابن عامر ولكن البر
بتخفيف النون ورفع الراء قيل ان هذه الاية نزلت لما حولت القبلة وكثر الخوض فى نسخ ذلك الفريضة صار
كانه لا يراعى بطاعة الله الا التوجه للصلاة فانزل الله تعم هذه الاية وبين فيها ان البر ما ذكره فيها ودل
على ان الصلاة انما يحتاج اليها لما فيها من المصلحة الدينية وانه انما يامر بها لما فى علمه انها تدعو الى الصلاح
وتصرف عن الفساد وان ذلك يختلف بحسب الازمان والاوقات وقوله ليس البر قبل فيه قولان احدهما ذكره ابن
عباس ومجاهد انه ليس البر كله فى التوجه الى الصلاة بل حتى يضاف الى ذلك غيره من الطاعات التى امر الله تعم
بها والثانى قاله قتادة والربيع واختاره الجبائى انه ليس البر ما عليه النصارى من التوجه الى المشرق او ما
عليه اليهود من التوجه الى المغرب ولكن البر ما ذكره الله تعم فى الاية وبينه وقوله ولكن البر من امن قيل فيه ثلثة
اقوال اولها ولكن البر بر من امن بالله فحذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه واختاره المبرد لقوله ليس البر
ان تولوا وقال النابغة وقد خفت حتى ما تزيد مخافتى على وعل فى ذى المطارة عاقل يعنى على
مخافة وعل وقالت الخنساء ترتع ما رتعت حتى اذا ادكرت فانما هى اقبال وادبار معناه انما هى
مقبلة تارة ومدبرة اخرى فبالغ فجعلها اقبالا وادبارا وقال متمم لعمرى وما دهرى بتابين هالك
ولا جزع مما اصاب فاوجعا معناه ولا ذى جزع والوجه الثانى ولكن ذا البر من امن بالله الثالث ولكن
البر من امن بالله فجعل المصدر فى موضع اسم الفاعل وقد بينا فيما مضى حقيقة الايمان والخلاف فيه فلا
معنى لاعادته والضمير فى قوله على حبه يحتمل ان يكون عائدا على حب المال ويحتمل ان يكون على حب الاتيان
قال عبد الله بن مسعود على حبه المال لانه يامل العيش ويخشى الفقر واما على حب الاتيان فوجه الاية فعدو
انت متسخط عليه كاده ويحتمل وجها ثالثا وهو ان يكون الضمير عائدا على الله ويكون التقدير على حب الله
فيكون خالصا لوجهه وقد تقدم ذكر الله تعم فى قوله من امن بالله وهو احسنها والاية تدل على وجوب
اعطاء مال الزكوة بلا خلاف ويدل ايض فى قول الشعبى والجبائى على وجوب غيره مما له سبب وجوبه
كالانفاق على من تجب عليه نفقته وعلى من يجب عليه نفقته وعلى من يجب عليه سد رمقه اذا خاف التلف
وعلى ما يلزمه من النذور والكفارات ويدخل فيها ايض ما يخرجه الانسان على وجه التطوع والقربة الى
الله لان ذلك كله من البر وابن السبيل هو المنقطع به اذا كان مسافرا محتاجا وان كان غنيا فى بلده وهو
من اهل الزكوة وقيل انه الضيف والاول قول مجاهد والثانى قول قتادة وانما قيل ابن السبيل بمعنى ابن
الطريق كما قيل للطير ابن الماء لملازمته اياه قال ذو الرمة وردت اعتسافا والثريا كانها على قمة
الراس ابن ماء محلق والسائلين معناه والطالبين للصدقة لانه ليس كل مسكين يطلب وقوله وفى الرقاب
قيل فيه قولان احدهما عتق الرقاب والثانى المكاتبين وينبغى ان تحمل الاية على الامرين لانها تحتمل الامرين
وهو اختيار الجبائى والرمانى والمراقبة المراعاة والرقبة الانتظار والرقيب المشرف على القوم لحراستهم
والرقيب الحافظ وتقول رقبته ارقبه رقبا وراقبته مراقبة وارتقبته ارتقابا وترقبوا تراقبا وترقب ترقبا
والرقوب الارملة التى لا كاسب لها لانها ترتقب معروفا او صلة والرقبة مؤخر اصل العنق واعتق الله
رقبته ولا يقال عنقه والرقب ضرب من الحيات خبيث والرقوب المراة التى لا يعيش لها ولد والرقيب النجم الذى
بين المشرق فيغيب رقيبه من المغرب وقوله تعم ذوى القربى قيل اراد به قرابة المعطى اختاره الجبائى لقول
النبى صه لفاطمة بنت قيس لما قالت يا رسول الله ان لى سبعين مثقالا من ذهب فقال اجعليها فى قرابتك

فقال

وقاله لما سئل عن افضل الصدقة فقال جهد المقل على ذي القرابة الكاشح ويحتمل ان يكون اراد به قرابة النبي ص كما قال قل لا اسئلكم عليه اجرا الا المودة في القربى وهو قول ابي جعفر وابي عبد الله ع وقوله في البأساء والضراء وحين البأس قال قتادة البأساء البؤس والفقر والضراء السقم والوجع ومنه قوله مسني الضر وحين البأس حين القتال وقال ابن مسعود البأساء الفقر والضراء السقم وانما قيل البأساء في المصدر ولم يقل منه افعل لان الاصل في فعلاء افعل للصفات التي للالوان والعيوب كقولك احمر وحمراء واعور وعوراء فاما الاسماء التي ليست بصفات فلا يجب ذلك فيها وعلى ذلك تأولوا قول زهير

فتنتج لكم غلمان اشأم كلهم كاحمر عاد ثم ترضع فتفطم

وانكر ذلك قوم لانه لم يعرف اشأم وقالوا انما هو صفة وقعت موقع الموصوف كانه قال غلمان امر اشأم فلذلك قالوا انما المعنى الخلة البأساء والخلة الضراء والموفون بعهدهم رفع عطفا على من آمن ويحتمل ان يكون رفعا على المدح وتقديره وهم الموفون ذكره الزجاج والصابرين نصب على المدح كقول الشاعر

الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم
وذا الرأي حين تغم الامور بذات الصليل وذات اللجم

ويحتمل ان يكون نصبا بفعل مضمر وتقديره واعني الصابرين ويحتمل ان يكون عطفا على قوله وآتى المال على حبه ذوي القربى والصابرين فعلى هذا يجب ان يكون رفع الموفين على المدح للضمير الذي في صلة من لانه لا يجوز بعد العطف على الموصوف العطف على ما في الصلة وهذا الوجه ضعيف لانه يؤدي الى التكرار لانهم دخلوا في قوله والمساكين وابن السبيل والسائلين فيجب ان يحمل قوله والصابرين على من لم يذكر ليكون فيه فائدة وان كان ذلك وجها مليحا والقراءة بالرفع اجود واقوى لانه اسم ليس مقدم قبل الخبر لفائدة في الخبر ولانه قرئ ليس البر بان ذكره الفراء وقوله اولئك الذين صدقوا معناه الذين جمعوا العمل بهذه الخصال الموصوفة هم الموصوفون بانهم صدقوا على الحقيقة لانهم عملوا بموجب ما اقروا به واولئك هم المتقون يعني اتقوا بفعل هذه الخصال نار جهنم واستدل اصحابنا بهذه الآية على ان المعني بها امير المؤمنين ع لانه لا خلاف بين الامة ان جميع هذه الخصال كانت جامعة فيه ولم تجتمع في غيره قطعا فهو مراد بالآية بالاجماع وغيره مشكوك فيه غير مقطوع عليه وقال الزجاج والفراء هذه الآية تتناول الانبياء المعصومين لانهم الذين يجمعون هذه الصفات ومن قرأ ليس البر بالرفع جعل البر اسما وجعل ان في موضع نصب ومن نصب جعل ان تولوا في موضع رفع وقدم الخبر ومثله قوله ثم ما كان حجتهم الا ان قالوا وما كان قولهم وما كان جواب قومه وكان عاقبتهما وما اشبه ذلك **قوله تعالى** يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ آية بلا خلاف معنى قوله كتب فرض واصل الكتب الخط الدال على معنى الفرض وقيل لانه مما كتبه الله في اللوح المحفوظ على جهة الفرض قال الشاعر

كتب القتل والقتال علينا وعلى المحصنات جر الذيول

وقال النابغة الجعدي

يا ابنة عمي كتاب الله اخرجني عنكم فهل امنعن الله ما فعلا

ومنه الصلاة المكتوبة اي المفروضة فان قيل كيف قيل كتب عليكم بمعنى فرض والاولياء مخيرون بين القصاص والعفو واخذ الدية قلنا عنه جوابان احدهما انه فرض عليكم ذلك اذا اختار اولياء المقتول القصاص والفرض قد يكون مضيقا ويكون مخيرا فيه والثاني فرض عليكم ترك مجاوزة ما حد لكم الى التعدي فيما لم يجعل لكم والقصاص الاخذ من الجاني مثل ما جنى وذلك لانه قاف الجناية واصله التلو من قص الاثر وهو تلو الاثر والقصاص والمقاصة والمعاوضة والمبادلة نظائر يقال قص يقص قصا وقصصا واقصه به اقصاصا واقتص اقتصاصا وتقاصوا تقاصا واستقص اذا طلب القصاص استقصاصا وقاصه مقاصة وقصاصا وقص الشيء بالمقص يقصه قصا وقص الحديث يقصه قصصا وكذلك قص اثره قصصا اذا اقتفى اثره والقص والقصص عظم الصدر من الناس وغيرهم والقصة الخصلة من الشعر والقصة من القصص معروفة والقصة الجص والقصاص التقاص من الجراحات والحقوق

شيء بشيء والقصيص نبات ينبت في اصول الكماة واقتصت الشاة فهي مقص اذا استبان ولدها واصل الباب التلو وقوله تعالى الحر بالحر فالحر نقيض العبد والحر من كل شيء اعتقه والحر ولد الحية وولد الظبية وفرخ الحمام واحرار البقول ما يؤكل غير مطبوخ والحر نقيض البرد وحر النهار يحر حرا والحرير ثياب من ابريسم والحريرة دقيق يطبخ باللبن والحرة ارض ذات حجارة سود كانها احرقت بالنار وتحرير الكتابة اقامة حروفها والحرورية منسوب الى حروراء قرية كان اول مجتمعهم بها فالمحرر المحض يخدم الكنيسة ما عاش ومنه قوله ما في بطني محررا واصل الباب الحر خلاف البرد ومنه الحر لانه يتدفأ به قوله من عفي له من اخيه شيء معناه ترك من عفت المنازل اذا تركت حتى درست والعفو عن المعصية ترك العقاب عليها وقيل معنى العفو ههنا ترك القود بقبول الدية من اخيه فالاخ يجمع اخوة اذا كانوا لاب واذا لم يكونوا لاب فهم اخوان ذكره صاحب العين ومنه قوله فاصلحوا بين اخويكم ومنه الاخاء والتآخي والاخوة قرابة الاخ والتآخي اتخاذ الاخوان وبينهما اخاء واخوة وآخيت فلانا مواخاة واخاء واصل الباب الاخ من النسب ثم شبه به الاخ من الصداقة والهاء في قوله من اخيه تعود الى اخي المقتول في قول الحسن وقال غيره تعود الى اخي القاتل فان قيل كيف يجوز ان تعود الى اخي القاتل وهو في تلك الحال فاسق قيل عن ذلك ثلاثة اجوبة احدها انه اراد اخوة النسب لا في الدين كما قال والى عاد اخاهم هودا الثاني لان القاتل قد يتوب فيدخل في الجملة وغير التائب على وجه التغليب الثالث تعريفه بذلك على انه كان اخاه قبل ان يقتله كما قال اذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن فلا تعضلوهن ان ينكحن ازواجهن يعني الذين كانوا ازواجهن وقال جعفر بن مبشر عن بعضهم ان هذه الآية منسوخة بقوله النفس بالنفس قال وليست عندي كذلك لان الله تعالى انما اخبرنا انه كتبها على اليهود قبلنا وليس في ذلك ما يوجب انه فرض علينا لان شريعتهم منسوخة بشريعتنا والذي اقوله ان هذه الآية ليست منسوخة لان ما تضمنته معمول عليه ولا ينافي قوله تعالى النفس بالنفس لان تلك عامة وهذه خاصة ويمكن بناء تلك على هذه ولا تناقض ولا يحتاج الى ان ينسخ احديهما بالاخرى وقال قتادة نزلت هذه الآية لان قوما من اهل الجاهلية كانت لهم حول على غيرهم من اهل الجاهلية فكانوا يتعدون في ذلك فلا يرضون بالعبد الا الحر ولا بالمرأة الا الرجل فنهاهم الله تعالى عن ذلك وقوله فاتباع بالمعروف يعني على العافي وعلى المعفو عنه اداء اليه باحسان وبه قال ابن عباس والحسن وقتادة ومجاهد والشعبي والربيع وابن زيد وهو المروي عن ابي عبد الله ع وقال قوم هما على المعفو عنه والاعتداء هو القتل بعد قبول الدية على قول ابن عباس والحسن وقتادة ومجاهد والربيع وابن زيد وهو المروي عن ابي جعفر وابي عبد الله ع وقال بعضهم من اعتدى بعد البيان في الآية فقتل غير قاتل وليه او بعد قبول الدية فله عذاب اليم وهذا ايضا جيد يحتمله الآية وقوله فاتباع رفع بانه ابتداء لخبر محذوف كانه قيل فحكمه اتباع او فعليه اتباع وكان يجوز النصب في العربية على تقدير فليتبع اتباعا ولم يقرأ به احد والاداء قال الخليل ادى فلان يؤدي ما عليه اداء وتأدية ويقال فلان ادى للامانة من غيره والاداة من ادوات الاعمال واداة الحرب واصل الباب التأدية تبليغ الغاية وقوله تعالى تخفيف من ربكم معناه انه جعل لكم القصاص او الدية او العفو وكان لاهل التوراة قصاص وعفو ولاهل الانجيل عفو او دية ويجوز قتل العبد بالحر والانثى بالذكر اجماعا ولقوله ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا ولقوله النفس بالنفس وقوله في هذه الآية الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى لا يمنع من ذلك لانه تعالى لم يقل ولا يقتل الانثى بالذكر ولا العبد بالحر فاذا لم يكن ذلك في الظاهر فما تضمنته الآية معمول به وما قلناه مثبت بما تقدم من الادلة فاما قتل الحر بالعبد فعندنا لا يجوز
وبه قال الشافعي واهل المدينة واهل العراق يجوز ولا يقتل الوالد بولده عندنا وعند اكثر الفقهاء وعند مالك ٢ قال
يقتل به على بعض الوجوه واما قتل الوالدة بالولد فعندنا يقتل به وعند جميع الفقهاء انها جارية مجرى الاب فاما قتل الولد بالوالد فيجوز اجماعا ولا يقتل مولى بعبده ويجوز قتل الجماعة بواحد اجماعا الا ان عندنا يرد فاضل الدية وعندهم لا يرد شيء على حال واذا اشترك بالغ مع طفل او مجنون في قتل فعندنا لا يسقط القود عن البالغ وبه قال الشافعي وقال اهل العراق يسقط ودية القصاص في قود النفس الف دينار او عشرة الف درهم

او مائة من الابل او مائتان من البقر او الفشاة او مائتا حلة ولا يجبر القاتل على الدية عندنا وان رضي فهي عليه في ماله وقال الحسن يجبر على العفو عن القصاص والدية على العاقلة والقتل بالحديد عمدا يوجب القود اجماعا فاما غير الحديد فكل شيء يغلب على الظن ان مثله يقتل فانه يوجب القود عندنا وعند اكثر الفقهاء والذي له العفو على القصاص كل من يرث الدية الا الزوج والزوجة وهم لا يستثنوا بهما الا ان ابا حنيفة قال اذا كان للمقتول ولد صغار وكبار فللكبار ان يقتلوا ويحتج بقاتل علي عم وقال غيره لا يجوز حتى يبلغ الصغار وعندنا ان لهم ذلك اذا ضمنوا حصة الصغار من الدية اذا بلغوا ولم يرضوا بالقصاص واذا اجتمع مع القصاص حد وقذف فان كان حد الله فالقتل ياتي عليه وان كان حد الادمي كحد القذف واقيم عليه الحد ثم يقتل وقال اهل المدينة القتل ياتي على الكل ويقتل الرجل بالمراة اذا ادى اولياؤها نصف الدية وخالف جميع الفقهاء في ذلك وما قلنا قول علي عم وقول الحسن البصري وشرح مسائل الديات ذكرناها في النهاية والمبسوط لا يقتضي ذكرها ههنا **قوله تعـ** ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ اية اكثر المفسرين على ان قوله ولكم في القصاص حيوة المراد به القصاص في القتل وانما كان فيه حيوة من وجهين احدهما ما عليه اكثر المفسرين كمجاهد وقتادة والربيع وابن زيد انه اذا هم الانسان بالقتل فذكر القصاص ارتدع فكان ذلك سببا للحياة الثاني قال السدي من جهة انه لا يقتل الا القاتل دون غيره خلاف فعل الجاهلية الذين كانوا يتغابون بالطوائل والمعنيان جميعا حسنان وقال ابو الجوزاء معناه ان القران حياة بالقصاص واد به القران وهذا ضعيف لانه تاويل خلاف الاجماع ولانه لا يليق بما تقدم ولا يشاكله وهو قوله كتب عليكم القصاص في القتلى فكانه قال بعده ولكم فيه حيوة ونظير هذه الاية قولهم القتل انفى للقتل وبينهما من التفاوت في الفصاحة والبلاغة ما بين السماء والارض وقيل الفرق بينهما من اربعة اوجه احدها انه اكثر فايدة وثانيها انه اوجز في العبارة وثالثها انه ابعد من الكلفة بتكرير الجملة ورابعها انه احسن تاليفا بالحروف المتلايمة اما كثرة الفائدة ففيه جميع ما في قولهم القتل انفى للقتل وزيادة معان حسنة منها ابانة العدل لذكره القصاص ومنها ابانة العرض المرغوب فيه لذكر الحياة ومنها الاستدعاء بالرغبة والرهبة لحكم الله به واما الايجاز في العبادة فان الذي هو نظير القتل انفى للقتل قوله تعم في القصاص حيوة وهو عشرة احرف والاول اربعة عشر حرفا واما بعده من التكلف فهو ان في قولهم القتل انفى للقتل تكريرا غيره ابلغ منه ومتى كان التكرير كذلك فهو مقصر في باب البلاغة واما الحسن بتاليف الحروف المتلايمة فهو مدرك بالحس وموجود باللفظ فان الخروج من الفاء الى اللام اعدل من الخروج من اللام الى الهمزة لبعد الهمزة من اللام وكذلك الخروج من الصاد الى الحاء اعدل من الخروج من الالف الى اللام فباجتماع هذه الامور التي ذكرناها كان ابلغ منه واحسن وان كان الاول حسنا بليغا واخذ هذا المعنى بعض الشعراء فقال

ابلغ ابا مالك عني مغلغلة … وفي العتاب حياة بين اقوام

وهذا وان كان حسنا فبينه وبين لفظ القران ما بين اعلى الطبقة وادناها واول ما فيه انه استدعاء الى العتاب وذلك استدعاء الى العدل وفي هذا ابهام وفي الاية بيان عجيب وقوله يا اولي الالباب في الالباب العقول وهو ماخوذ من لب النخلة على وجه التشبيه به واللب العقل لب الرجل يلب لبا ذا صار لبيبا ولب بالمكان والب به لبا والبابا اذا اقام به ولب كل شيء خالصه قال صاحب العين اللب البال تقول الامر منه في لب رخاء في بال رخي واللبب من الرمل شبيه حقف بين معظم الرمل وجلد الارض وتلبب بالثياب اذا جمعها ويشبه به المتسلح بالسلاح واللبة من الصدر موضع القلادة والتلبيب مجمع ما في موضع اللبب من ثياب الرجل تقول اخذ فلان بتلبيب فلان واصل الباب لب الشيء داخله الذي تركبه القشرة وتلونه ومنه لبيك وسعديك اي ملازمة لامرك واسعادا لك وقوله تعم لعلكم تتقون وقد بينا فيما مضى ان لعل معناه لكي وقيل في معناه ههنا قولان لكي تتقوا القتل بالخوف من القصاص ذكره ابن زيد الثاني قال الجبائي وغيره لتتقوا ربكم باجتناب معاصيه وهذا اعم فايدة لانه يدخل فيه اتقاء القتل وغيره وفي الاية دلالة على فساد قول المجبرة لان فيها دلالة على انه انعم على جميع العقلاء ليتقوا ربهم وفي ذلك دلالة على انه اراد منهم التقوى وان عصوا وانما خص الله تعالى بالخطاب

اولي الالباب لانهم المكلفون المامورون ومن ليس بعاقل لا يصح تكليفه ولا يحسن فلذلك خصهم بالذكر **قوله تعـ** ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ اية بلا خلاف هذا ابتداء قصة ولا بد فيه من واو العطف بان يقال وكتب لانه حذف اختصارا وقد بينا فيما مضى ان معنى كتب فرض وههنا معناه الحث والترغيب دون الفرض والايجاب في الاية دلالة على ان الوصية جايزة للوارث لانه قال للوالدين والاقربين والوالدان وارثان بلا خلاف اذا كانا مسلمين حرين غير قاتلين ومن خص الاية بالكافرين فقد قال قولا بلا دليل ومن ادعى نسخ الاية فهو متحكم لان الدعوى لا يسلم له وبسنخها وبمثل ما قلناه قال محمد بن جرير الطبري سواء فان ادعوا الاجماع على نسخها كان ذلك دعوى باطلة ونحن نخالف في ذلك وقد خالف في نسخ الاية طاوس فانه خصها بالكافرين لمكان الخبر ولم يحملها على النسخ وقد قال ابو مسلم محمد بن بحر ان هذه الاية مجملة واية المواريث مفصلة وليست نسخا فمع هذا الخلاف كيف يدعى الاجماع على نسخها ومن ادعى نسخها بقوله عم لا وصية لوارث فقد ابعد لان هذا او لا خبر واحد لا يجوز نسخ القران به اجماعا وعندنا لا يجوز العمل به في تخصيص عموم القران وادعاؤهم ان الامة اجمعت على الخبر دعوى عارية من برهان ولو سلمنا الخبر جاز ان نحمله على انه لا وصية لوارث فيما زاد على الثلث لانا لو خلينا وظاهر الاية لاجزنا الوصية بجميع ما يملك للوالدين والاقربين لكن خص ما زاد على الثلث لمكان الاجماع فاما من قال ان الاية منسوخة باية الميراث فقوله بعيد من الصواب لان الشيء انما ينسخ غيره اذا لم يمكن الجمع بينهما فاما اذا لم يكن بينهما تناف ولا تضاد بل امكن الجمع بينهما فلا يجب حمل الاية على النسخ ولا تنافي بين ذكر ما فرض الله للوالدين وغيرهم من الميراث وبين الامر بالوصية لهم على جهة الخصوص فلم يجب حمل الاية على النسخ وقول من قال حصول الاجماع على ان الوصية ليست فرضا يدل على انها منسوخة باطل لان اجماعهم على انها لا تقتضي الفرض لا يمنع من كونها مندوبا اليها ومرغبا فيها ولاجل ذلك كانت الوصية للوالدين والاقربين الذين ليسوا بوارث ثابتة بالاية ولم يقل احد انها منسوخة في خبرهم ومن قال ان النسخ من الاية ما يتعلق بالوالدين وهو قول الحسن والضحاك فقد قال قولا ينافي ما قاله مدعي النسخ الاية على كل حال ومع ذلك فليس الامر على ما قال لانه لا دليل على دعواه وقال طاوس اذا وصى لغير ذي قرابته لم تجز وصيته وقال الحسن ليست الوصية الا للاقربين وهذا الذي قالاه عندنا وان كان غير صحيح فهو مبطل قول من يدعي نسخ الاية وانما قلنا انه ليس بصحيح لان الوصية لغير الوالدين والاقربين عندنا جايزة ولا خلاف بين الفقهاء في جوازها والوصية لا تجوز باكثر من الثلث اجماعا والافضل ان يكون باقل من الثلث لقوله عم والثلث كثير والاحق من وصي له من كان اقرب الى الميت اذا كانوا فقراء بلا خلاف وان كانوا اغنياء فقال الحسن وعمرو بن عبيد هم احق بها وقال ابن مسعود وواصل الاحق بها الاحوج فالاحوج من القرابة وقوله تعم ان ترك خيرا يعني مالا واختلفوا في مقداره الذي يجب الوصية عنده فقال الزهري كلما وقع عليه اسم مال من قليل وكثير وقال ابرهيم النخعي الف درهم الى خمسمائة وروى عن علي عم انه دخل على مولى لهم في مرضه وله سبع مائة درهم او ستمائة فقال الا اوصي فقال لا انما قال الله تعم ان ترك خيرا وليس لك كبير مال وبهذا ناخذ لان قوله حجة عندنا والوصية في الاية مرفوعة باحد امرين احدهما بكتب لانه لم يسم فاعله الثاني ان يكون العامل فيه الابتداء وخبره للوالدين والجملة في موضع رفع على الحكاية بمنزلة قيل لكم الوصية للوالدين وقيل في اعراب اذا والعامل فيه قولان احدهما كتب على معنى اذا حضر احدكم الموت اي عند المرض والوجه الاخر قال الزجاج لانه رغب في حال صحته ان يوصي فتقديره كتب عليكم الوصية للوالدين والاقربين بالمعروف في حال الصحة قائلين اذا حضرنا الموت فلفلان كذا المعروف هو العدل الذي لا يجوز ان ينكر ولا حيف فيه ولا جور والحضور وجود الشيء بحيث يمكن ان يدرك وليس معناه في الاية اذا حضره الموت اي اذا عاين الموت لانه في تلك الحال في شغل عن الوصية لكن المعنى كتب عليكم ان توصوا وانتم قادرون على الوصية فيقول الانسان اذا حضر في الموت اي اذا انا مت فلفلان كذا والحق هو الفعل الذي لا يجوز انكاره وقيل ما علم صحته سواء كان قولا او فعلا او اعتقادا وهو مصدر حق يحق حقا وانتصب في الاية على المصدر وتقديره احق حقا وقيل

استعمل على وجه الصفة بمعنى ذي الحق كما وصف بالعدل على المتقين معناه على الذين يتقون عقاب الله باجتناب معاصيه وامتثال اوامره **قوله تعالى** فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ آية بلا خلاف الهاء في قوله فمن بدله عائدة على الوصية وانما ذكّرها حملا على المعنى لان الايصاء والوصية واحد والهاء في قوله فانما اثمه عائدة على التبديل الذي دل عليه قوله فمن بدله وقال الطبري الهاء يعود على محذوف لان عودها على الوصية المذكورة لا يجوز لان التبديل انما يكون لوصية الموصي فاما امر الله عز وجل بالوصية فلا يقدر هو ولا غيره ان يبدله قال الرماني وهذا باطل لان ذكر الله الوصية انما هو لوصية الموصي فكأنه قيل كتب عليكم وصية مفروضة عليكم فالهاء يعود الى الوصية المفروضة التي يفعلها الموصي وقوله تعالى فمن بدله فالتبديل هو تغيير الشيء عن الحق فيه فاما البدل فهو وضع شيء مكان آخر ومن اوصى بوصية فضرار فبدلها الوصي اربا اثم وقال ابن عباس من وصى في ضرار لم تجز وصيته لقوله غير مضار والوصي اذا بدل الوصية لقوله غير مضار لم ينقص من اجر الموصي شيء كما لو لم يتبدل لانه لا يجازى احد على عمل غيره لكن يجوز ان يلحقه منافع الدعاء والاحسان الواصل الى الموصى له على غير وجه الاجر له لكن على وجه الجزاء لغيره ممن وصل اليه ذلك الاحسان فيكون ما يلحق المحسن اليه من ذلك الجزاء يصح بما يصل الى المحسن اليه من المنفعة وفي الآية دلالة على بطلان مذهب من قال ان الطفل يعذب بكفر ابويه لان الله تعالى بين وجه العدل في هذا وقياس العدل في الطفل ذلك القياس فمن هنالك دل على الحكم فيه وفيها ايضا دلالة على بطلان قول من يقول ان الوارث اذا لم يقض دين الميت انه يؤخذ به في قبره او في الآخرة لما قلناه من انه دل على ان العبد لا يؤاخذ بجرم غيره اذ لا اثم عليه بتبديل غيره وكذلك لو قضى عنه الوارث من غير ان يوصي به الميت لم يزل عقابه بقضاء الوارث عنه الا ان يتفضل الله باسقاطه عنه وقوله تعالى ان الله سميع عليم معناه سميع لما قاله الموصي من العدل او الجنف عليم بما يفعله الوصي من التبديل او التصحيح فيكون ذكر ذلك داعيا الى طاعته **قوله تعالى** فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ آية بلا خلاف قرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو وابن عامر وحفص عن عاصم موص خفيفة الباقون مشددا وهما لغتان وصى واوصى بمعنى واحد فان قيل كيف قال فمن خاف من موص لما قد وقع والخوف انما يكون لما لم يقع قيل فيه قولان احدهما انه خاف ان يكون قد زل في وصيته فالخوف للمستقبل وذلك الخوف هو ان يظهر ما يدل على انه قد زل لانه من جهة غالب الظن والثاني لما اشتمل على الواقع وما لم يقع جاز فيه خاف ذلك فامره بما فيه الصلاح وما وقع رده الى العدل بعد موته والجنف الجور وهو الميل عن الحق وقال الحسن هو ان يوصي من غير القرابة قال فمن اوصى لغير قرابته رد الى ان يجعل للقرابة الثلثان ولمن اوصى له الثلث وهذا باطل عندنا لان الوصية لا يجوز صرفها عمن وصى له وانما قال الحسن ذلك لقوله ان الوصية للقرابة واجبة وعندنا ان الامر بخلافه على ما بيناه وقال صاحب العين الجنف الميل في الكلام والامور كلها تقول جنف علينا فلان واجنف في حكمه وهو مثل الحيف الا ان الحيف من الحاكم خاصة والجنف عام ومنه قوله تعالى غير متجانف اي متمايل متعمد ورجل اجنف في احد شقيه ميل على الآخر وقال ابن دريد جنف يجنف جنفا اذا صد عن الحق واصل الباب الميل عن الاستواء قال الشاعر في الجنف

هم المولى وقد جنفوا علينا   وانا من لقائهم لزور

واذا جاف الموصي في وصيته فللوصي ان يردها الى العدل وهو المروي عن ابي عبد الله عم وبه قال الحسن وقتادة وطاوس وقال قوم واختاره الطبري ان قوله فمن خاف من موص في حال مرضه الذي يريد ان يوصي فيه ويعطي بعضا ويضر ببعض فلا اثم ان يشير عليه بالحق ويرده الى الصواب ويسرع في في الاصلاح بين الموصي والورثة والموصى له حتى يكون الكل راضين ولا يحصل جنف ولا ظلم ويكون قوله فاصلح بينهم يريد فيما يخاف من حدوث الخلاف فيه فيما بعد ويكون قوله فمن خاف على ظاهره فيكون الخوف مترقبا غير واقع وهذا قريب ايضا غير ان الاول اصوب لان عليه اكثر المفسرين وهو المروي عن ابي جعفر وابي عبد الله عم وانما قيل للمتوسط بالاصلاح ليس عليه اثم ولم يقل فله الاجر على الاصلاح لان

المتوسط انما يجري امره في الغالب على ان ينقص صاحب الحق بعض حقه بسؤاله اياه فاحتاج ان يبين الله لنا انه لا اثم عليه في ذلك اذا قصد الاصلاح والذي اقتضى قوله غفور رحيم انه اذا كان يغفر المعصية فانه لا يجوز ان يؤاخذ بما ليس بمعصية مما بين انه لا اثم عليه والضمير في قوله بينهم عائد على معلوم بالدلالة عليه عند ذكر الموصي في الاصلاح لانه قد دل على الموصى لهم ومن ينازعهم وانشد الفراء في مثل فاصلح بينهم

اعمى اذا ما جارتي خرجت   حتى توارى جارتي الخدر
ويصم عما بينهما سمعي   وما بي غيره وقرا

ما بينها وبين زوجها وانما ذكرها وحدها وانشد ايضا

وما ادري اذا يممت وجها   اريد الخير ايهما يليني
الخير الذي انا ابتغيه   ام الشر الذي لا يأتلي يبتغيني

فكنى في البيت الاول عن الشر وانما ذكر الخير وحده وقيل بل يعود على مذكورهم الوالدان والاقربون والضمير في قوله فلا اثم عليه عائد على الوصي في قول الحسن ويجوز ان يعود على المصلح المذكور في من وقوله تعالى جنفا وانما يريد الجنف الميل عن الحق عن جهة الخطاء لانه لا يدري انه لا يجوز والاثم ان يتعمد ذلك وهو معنى قول ابن عباس والحسن والضحاك والسدي وروي ذلك عن ابي جعفر والجنف في الوصية ان يوصي باكثر من الثلث او يوصي بمال في معصية او انفاق في غير ما يرضي الله فان ذلك كله يرد ولا ينفذ فاما ان يوصي الرجل لابن بنته ولدا ولادا او يوصي لزوج بنته ولدا ولادا فلا يجوز رده على وجه عندنا وخالف فيه طاوس وكذلك ان وصى للبعيد دون القريب لا يرد وصيته وخالف فيه الحسن **قوله تعالى** يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ آية بلا خلاف هذه الآية ظاهرها يتوجه الى من كان على ظاهر الايمان فاما الكافر فلا يعلم بهذا الظاهر انه مخاطب بالصيام وقوله كتب معناه فرض على ما بيناه فيما مضى والصيام والصوم مصدر صام يصوم صوما قال النابغة

خيل صيام وخيل غير صائمة   تحت العجاج وخيل تعلك اللجما

وقال صاحب العين الصوم والصمت واحد لقوله تعالى اني نذرت للرحمن صوما اي صمتا والصوم قيام بلا عمل صام الفرس على آريه اذا لم يعتلف وصامت الريح اذا ركدت وصامت الشمس حين تستوي في منتصف النهار ومصام الفرس موقفه والصوم ذرق النعام والصوم شجر واصل الباب الامساك فالصوم الصمت لانه امساك عن الكلام والصوم في الشرع هو الامساك عن اشياء مخصوصة على وجه مخصوص ممن هو على صفات مخصوصة في زمان مخصوص ومن شرط انعقاده النية وقوله كما كتب على الذين من قبلكم قيل فيه ثلاثة اقوال احسنها انه كتب عليكم صيام ايام كما كتب عليهم صيام ايام وهو اختيار الجبائي وغيره ويكون الصيام رفعا لانه ما لم يسم فاعله ويكون موضع كما نصبا على المصدر والمعنى فرض عليكم فرضا كالذي فرض على الذين من قبلكم ويحتمل ان يكون نصبا على الحال من الصيام وتقديره كتب عليكم الصيام مفروضا اي في هذه الحال والثاني ما قاله الشعبي والحسن انه فرض علينا شهر رمضان كما كان فرض شهر رمضان على النصارى وانما زادوا فيه وحولوه الى زمان الربيع والثالث ما قاله الربيع والسدي انه كان الصوم من العتمة الى العتمة لا يحل بعد النوم مأكل ولا مشرب ولا منكح ثم نسخ والاول هو المعتمد وقال مجاهد وقتادة المعني بالذين من قبلكم اهل الكتاب وقوله تعالى لعلكم تتقون اي لكي تتقوا المعاصي بفعل الصوم في قول الجبائي وقال السدي لتتقوا ما حرم عليكم من المأكل والمشرب وقالت فرقة معناه لتكونوا اتقياء بما لطف لكم في الصيام لانه لو لم يلطف به لم يكونوا اتقياء وانما قلنا الاول هو المعتمد لانه يصح ذلك في اللغة اذا كان فرض عليهم صيام ايام كما فرض علينا صيام ايام وان اختلف ذلك بالزيادة والنقصان **قوله تعالى** أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ آية واحدة بلا خلاف قرأ ابن عامر ونافع فدية طعام مساكين على اضافة الفدية وجمع المساكين الباقون فدية منون طعام مسكين على التوحيد والقراءتان متقاربتا المعنى لان المعنى لكل يوم يفطر طعام مسكين والقراءتان يفيدان ذلك قوله تعالى اياما معدودات منصوب باحد شيئين احدهما على الظرف كانه قيل الصيام في ايام معدودات وهو الذي اختاره الزجاج الثاني

ان يكون متعديا للصيام اليه كقولك اليوم صمته وقال الفراء هو مفعول ما لم يسم فاعله كقولك اعطي
زيد المال وخالفه الزجاج قال لانه لا يجوز رفع الايام كما لا يجوز رفع المال لانه كان المفروض في الحقيقة
هو الصيام دون الايام فلا يجوز ما قاله الفراء الا على سعة الكلام وقال عطا وقتادة الايام المعدودات كانت
ثلثة ايام من كل شهر ثم نسخ وكذلك روي عن ابن عباس وقال ابن ابي ليلى المعني به شهر رمضان وانما كان
صيام ثلثة ايام من كل شهر تطوعا وقوله تع فمن كان منكم مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر رفع عدة
على الابتداء وتقديره فعليه عدة من ايام اخر وروي عن ابي جعفر ع ان شهر رمضان كان صومه واجبا على
نبي دون امته وانما اوجب على امة نبينا صم فحسب وانما قال اخر ولا يوصف بهذا الوصف الا جمع المؤنث التي
كل واحدة انثى والايام جمع يوم وهو مذكر حملا له على لفظ الجمع لان الجمع يؤنث كما يقال جاءت الايام ومضت
الايام واخر لا ينصرف لانه معدول عن الالف واللام لان نظايرها من الصغر والكبر لا يستعمل الا بالالف و
اللام لا يجوز نسوة صغر ويجوز في العربية فعدة على معنى فليصم عدة من ايام اخر بدلا مما افطر وهذه الاية
فيها دلالة على ان المسافر والمريض يجب عليهما الافطار لانه تع اوجب عليهما القضاء مطلقا وكل من اوجب
القضاء بنفس السفر والمرض اوجب الافطار لانه تع اوجب عليهما القضاء وداود اوجب القضاء وخير في
الافطار فان قدر في الاية فافطر كان ذلك خلاف الاية وبوجوب الافطار في السفر قال عمر بن الخطاب وعبد الله
ابن عمر وعبد الله بن عباس وعبد الرحمن بن عوف وابو هريرة وعروة بن الزبير وابو جعفر محمد بن علي بن
الحسين وروى سعيد بن جبير عن قتادة عن جابر بن زيد عن ابن عباس قال الافطار في السفر عزيمة وروى
يوسف بن الحكم قال سالت ابن عمر عن الصوم في السفر قال ارايت لو تصدقت على رجل بصدقة فردها عليك
الا تغضب فانها صدقة من الله تصدق بها عليكم وروى عبد الملك بن حميد قال قال ابو جعفر كان ابي لا يصوم
في السفر وينهى عنه وروى عن عمر ان رجلا صام في السفر فامره ان يعيد صومه وروى عطا عن المحرز بن
ابي هريرة قال كنت مع ابي في سفر في شهر رمضان فكنت اصوم ويفطر فقال ابي اما انك اذا اقمت قضيت
وروى عاصم مولى قوم ان رجلا صام في السفر فامره عروة ان يقضي وروى الزهري عن ابي سلمة بن عبد
الرحمن بن عوف قال قال رسول الله صم الصائم في السفر كالمفطر في الحضر وروى عن معاذ ان النبي صم
قدم المدينة فكان يصوم عاشورا وثلثة ايام من كل شهر ثم نسخ ذلك بشهر رمضان في قوله يا ايها الذين
امنوا كتب عليكم الصيام واختار الطبري هذا الوجه قال لانه لم ينقطع العذر برواية صحيحة انه كان ههنا
صوم متعبد به فنسخه الله بشهر رمضان واصل السفر الكشف تقول سفر يسفر سفرا اذا كشف واسفر لونه
اسفارا وانسفرت الابل اذا انكشفت ذاهبة انسفارا وسافر سفرا وسفرت الريح السحاب اذا قشعته قال
العجاج سفر الشمال الزبرج المزبرجا الزبرج السحاب الرقيق ومنه السفر لانه يظهر به ما لم يكن ظهر
وينكشف به ما لم يكن انكشف والسفرة طعام السفر وبه سميت الجلدة التي يحمل فيها الطعام سفرة والمسفرة
المكنسة والسفير الداخل بين اثنين للصلح والسفير ورق الشجر اذا سقط وسفر فلان شعره اذا استاصله جزا
ومنه قوله تع وجوه يومئذ مسفرة اي مشرقة مضيئة والصبح اذا اسفر اذا اضاء والاسفار جمع سفر
بايدي سفرة اي كتبة وقوله تع وعلى الذين يطيقونه يقال الطاق يطوق طوقا وطاقة وهي القوة واطاق
اطاقة ايضا اذا قوي عليه وطوقه تطويقا البسه الطوق وهو معروف من ذهب كان او فضة لانه يكسبه قوة بما
يعطيه من الجلالة وكل شيء استدار فهو طوق كطوق الرحا الذي يدير القطب تشبيها بالطوق المعروف في العنق
وتطوقت الحية على عنقها اي صارت كالطوق فيه والطاقة شعبة من ريحان او شعر ونحو ذلك والطاق عقد
البناء حيث ما كان والجمع الاطواق وذلك لقوته وطوقه الامر اذا جعله كالطوق في عنقه قال الحسن
واكثر اهل التاويل ان هذا الحكم كان في المراضع والحوامل والشيخ الكبير فنسخ من الاية المراضع والحوامل
وبقي الشيخ الكبير وقال ابو عبد الله ع ذلك الشيخ الكبير يطعم لكل يوم مسكينا منهم من قال نصف صاع
وهم اهل العراق وقال الشافعي مد عن كل يوم وعندنا ان كان قادرا فمدان وان لم يقدر الا على مد

اجزاه وقال السدي لم ينسخ وانما المعنى وعلى الذين كانوا يطيقونه وقوله تع فمن تطوع خيرا يعني اطعم
اكثر من مسكين في قول ابن عباس وعمل برا في جميع الدين في قول الحسن وهو اعم فايدة ومنهم من قال من جمع
بين الصوم والصدقة ذهب اليه ابن شهاب والهاء في قوله يطيقونه عند اكثر اهل العلم عايدة على الصوم
وهو الاقوى وقال قوم عايدة على الفداء لانه معلوم وان لم يجر له ذكر والمعنى بقوله الذين يطيقونه
قيل فيه ثلثة اقوال اولها انه سائر الناس من شاء صام ومن شاء افطر وافتدى لكل يوم اطعام مسكين حتى
نسخ ذلك في قول ابن عباس والشعبي الثاني قال الحسن وعطا انه في الحامل والمرضع والشيخ الكبير فنسخ من
الاية الحامل والمرضع وبقي الشيخ الكبير وقال السدي انه فيمن كان يطيقه اذا صار الى حال العجز عنه ومن في
قوله فمن تطوع الظاهر والاليق انها للجزاء ويحتمل ان يكون بمعنى الذي وما روي في الشواذ من قراءة
من قرأ يطوقونه قيل فيه قولان احدهما يكلفونه على مشقة فيه وهم لا يطيقونه لصعوبته الثاني ان
يكون معناه يلزمونه وهم الذين يطيقونه فيؤول الى معنى واحد ومن قرأ فدية طعام مساكين على
اضافة الفدية وجمع المساكين من ابن عامر ونافع فان معنى قراءته تؤول الى قراءة من نون فدية طعام مسكين لان
المعنى لكل يوم يفطر طعام مسكين والاول يفيد هذا ايضا لانه اذا قيل اطعام مساكين للايام بمعنى لكل يوم
مسكين صار المعنى واحدا وفي الاية دلالة على بطلان قول المجبرة ان القدرة مع الفعل لانه لو كانت الاستطاعة
مع الفعل الذي هو الصيام لسقطت عنه الفدية لانه اذا صام لم يجب عليه فدية وقوله وان تصوموا خير لكم
رفع خير لانه خبر المبتداء وتقديره وصومكم خير لكم كان هذا مع جواز الفدية فاما بعد النسخ فلا يجوز ان يقال
الصوم خير من الفدية مع ان الافطار لا يجوز اصلا **قوله تع** شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ
هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا
أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا
اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ اية واحدة بلا خلاف قرأ ابو بكر عن عاصم ولتكملوا بتشديد الميم
الباقون بتخفيفها قال ابو العباس اكملت وكملت بمعنى واحد الا ان في التشديد مبالغة ومن قرأ بالتخفيف
فلقوله اليوم اكملت لكم دينكم الشهر معروف وجمعه الاشهر والشهور والشهرة ظهور الامر في شنعة
وشهرت الحديث اظهرته وشهر فلان سيفه اذا انتضاه والمشهور الذي عليه شهر واشهرت المراة
اذا دخلت في شهر ولادها واتان شهيرة اي عريضة ضخمة والمشاهرة المعاملة شهرا بشهر وسمي الشهر شهرا
لاشتهاره بالهلال فاصل الباب الظهور وقال ابن دريد الرمض شدة وقع الشمس على الرمل وغيره والارض
رمضاء ورمض يومنا رمضا اذا اشتد حره ورمضان من هذا اشتقاقه لانهم سموا الشهور بالازمنة
التي فيها فوافق رمضان ايام رمض الحر وقد جمعوا رمضان رمضانات قال صاحب العين والرمض حرقة
غيظ تقول ارمضني هذا الامر رمضت له والرمض مطر يكون قبل الخريف والاصل الباب شدة الحر وشهر
رمضان رفع لاحد ثلثة اشياء اولها ان يكون خبر ابتداء محذوف يدل عليه اياما معدودات وتقديره هي شهر
رمضان الثاني على ما لم يسم فاعله ويكون بدلا من الصيام وتقديره كتب عليكم الصيام شهر رمضان الثالث
ان يكون مبتدا وخبره الذي انزل فيه القران ويجوز في العربية شهر رمضان بالنصب من وجهين احدهما
صوموا شهر رمضان والاخر على البدل من ايام وقوله انزل فيه القران قيل في معناه قولان احدهما قال
ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن ان الله تع انزل جميع القران في ليلة القدر الى السماء الدنيا ثم انزل على
النبي صم بعد ذلك نجوما وهو المروي عن ابي عبد الله ع والثاني انه ابتدى انزاله في ليلة القدر من شهر
رمضان فان قيل كيف يجوز انزاله كله في ليلة وفيه الاخبار عما كان ولا يصلح ذلك قبل ان يكون قلنا يجوز
ذلك في مثل قوله ولقد نصركم الله ببدر وانتم اذلة وقوله لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين
اذ اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيا وضاقت عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين على اذا كان وقت
كذا نزل لقد نصركم الله كما قال تع ونادى اصحاب الجنة اي اذا كان يوم القيمة نادى اصحاب الجنة اصحاب

الناره وقوله تعالى هدى للناس موضعه نصب على الحال كانه قال انزل فيه القران هاديا للناس ويحتمل
سواه لقوله وبينات من الهدى والقران اشتقاقه قرأ يقرأ قراءة واقراه اقراء وقال صاحب العين رجل
قارئ اى عابد ناسك وفعله التقرى والقراءة واقرأت المرأة اذا حاضت وقرأت الناقة اذا حملت والقرء
الحيض وقد جاء بمعنى الطهر واصل الباب الجمع لقولهم ما قرأت الناقة سلا قط اى ما جمعت رحمها على سلا قط
وفلان قرأ لانه جمع الحروف بعضها الى بعض والقرء الحيض لاجتماع الدم فى ذلك الوقت والفرقان هو الذى
يفرق بين الحق والباطل والمراد به القران هيهنا وقوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه قيل فى معناه قولان
احدهما من شاهد منكم الشهر مقيما والثانى من شهده بان حضره ولم يغب لانه يقال شاهد بمعنى حاضر وشاهد
بمعنى مشاهد وروى عن ابن عباس وعبيدة السلمانى ومجاهد وجماعة من المفسرين ورووه عن على ع انهم
قالوا من شهد الشهر بان دخل عليه الشهر كره له ان يسافر حتى يمضى ثلث وعشرون من الشهر الا ان يكون
سفرا واجبا كالحج او تطوعا كالزيارة فان لم يفعل وخرج قبل ذلك كان عليه الافطار ولم يجزه الصوم
قوله تعالى فمن شهد منكم الشهر فليصمه ناسخ الفدية على قول من قال بالتخيير وناسخ الفدية ايضا فى المراضيع و
الحوامل عند من ذهب اليه وبقى الشيخ الكبير له ان يطعم ولم ينسخ وعندنا ان المرضعة والحامل اذا خافا على
ولدهما افطرتا وكفرتا وكان عليهما القضاء فيما بعد اذا زال العذر وبه قال جماعة من المفسرين كالطبرى وغيره
وقوله ومن كان مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر قد بينا انه يدل على وجوب الافطار فى السفر لانه اوجب
القضاء بنفس السفر والمرض وكل من قال ذلك اوجب الافطار ومن قدر فى الاية او على سفر فافطر فعدة من
ايام اخر زاد فى الظاهر ما ليس فيه فان قيل هذا كقوله فمن كان منكم مريضا او به اذى من راسه ففدية من
صيام ومعناه فحلق قلنا انما قدرنا هناك فحلق للاجماع على ذلك وليس هيهنا اجماع فيجب ان لا يترك الظاهر
ولا يزيد فيه ما ليس فيه وقوله تعالى يريد الله بكم اليسر قال صاحب العين الارادة اصلها الواو لانك تقول
راوده على ان يفعل كذا وكذا مراودة ومنه راد يرود رودا فهو رائد بمعنى الطالب شيئا ويقال ارود فلان
ارواد اذا رفق فى مشى وغيره ومنه رويدا فلانا اى امهله يفتح متصرفا ومنه ارتاد ارتيادا كقولك طلب
طلبا والمرود الميل وفى المثل الرائد لا يكذب اهله اى الطالب صلاحهم لا يكذبهم لانه لو كذبهم غشهم اصل
الباب الطلب والارادة بمنزلة الطلب المراد لانها كالسبب له واليسر ضد العسر يقال ايسر ايسارا ويسر تيسيرا
وتيسر تيسرا وتياسر تياسرا واستيسر استيسارا واليسار اليد اليسرى واليسار الغنى والسعة واليسر الجماعة
الذين يجتمعون على الجزور فى الميسر والجميع الايسار وفرس حسن التيسور اذا كان السمن واصل الباب السهولة
والعسر ضد اليسر وعسر الشئ عسرا ورجل عسر بين العسر ورجل اعسر يعمل بشماله واعسر الرجل اعسارا اذا
افتقر والعسير الناقة التى اعتاصت فلم تحمل من سنتها وبعير عسران اذا ركب قبل ان يراض واصل الباب الصعوبة
وقوله تعالى ولتكملوا العدة يقال كمل يكمل كمالا واكمل اكمالا وتكامل تكاملا وكمله تكميلا واستكمل استكمالا
وتكمل تكملا واصل الباب الكمال وهو التمام وعطف باللام فى قوله تعالى ولتكملوا العدة على احد امرين احدهما
عطف جملة على جملة لان بعده محذوفا كانه قال ولتكملوا العدة شرع ذلك واريد ذلك ومثله قوله تعالى وكذلك
نرى ابرهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين اريناه هذا قول الفراء الثانى ان يكون عطفا
على تاويل محذوف دل عليه ما تقدم من الكلام لانه لما قال يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر دل على انه
فعل ذلك ليسهل عليكم فجاز ولتكملوا العدة عليه قال الشاعر باتت وغيراهن مع البلى الا رواكد جمرهن
هباء ومشجج اما سواء قذاله فبدا وغيبساره المغراء فعطف على تاويل الكلام الاول كانه قال بها رواكد
ومشجج وهذا قول الزجاج وهو الاجود لان العطف يعتمد على ما قبله لا على ما بعده وعطف الظرف على الاسم
فى قوله ومن كان مريضا او على سفر جاز لانه بمعنى الاسم وتقديره او مسافرا ومثله قوله دعانا لجنبه او قاعدا
او قائما كانه قال مضطجعا او قائما او قاعدا واليسر المذكور فى الاية الافطار فى السفر فى قول ابن عباس و
مجاهد وقتادة والضحاك والعسر الصوم فيه وفى المرض والعدة المامور باكمالها والمراد بها ايام السفر

والمرض الذى امر بالافطار فيها وقال الضحاك وابن زيد عدة ما افطروا فيه وقوله ولتكبروا الله المراد
به تكبير ليلة الفطر عقيب اربع صلوات المغرب والعشاء الاخرة وصلوة الغداة وصلاة العيد على مذهبنا
وقال ابن عباس وزيد بن اسلم وسفيان وابن زيد التكبير يوم الفطر وفى الاية دلالة على فساد قول المجبرة
من ثلثة اوجه احدها قوله هدى للناس فعم بذلك كل انسان مكلف وهم يقولون ليس هو هدى للكفار الثانى
قوله تعالى يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر والمجبرة تقول قد اراد تكليف العبد ما لا يطيق مما لم يعطه
عليه قدرة ولا يعطيه ولا عسر اعسر من ذلك الثالث لو ان انسانا حمل نفسه على المشقة الشديدة التى يخاف
معها التلف فى الصوم لمرض شديد لكان عاصيا ولكان قد حمل نفسه على العسر الذى اخبر الله انه لا
يريده بالعبد والمجبرة تزعم ان كل ما يكون من العبد من كفر او عسر وغير ذلك من انواع الفعل يريده الله

مسائل من احكام الصوم

يجوز قضاء شهر رمضان متتابعا ومتفرقا فالتتابع افضل
وبه قال مالك والشافعى وقال اهل العراق هو مخير ومن افطر فى رمضان متعمدا بالجماع فى الفرج لزمه القضاء
والكفارة عندنا والكفارة عتق رقبة فان لم يجد فصيام شهرين متتابعين فان لم يستطع فاطعام ستين
مسكينا وبه قال ابو حنيفة والشافعى وقال مالك هو بالخيار وفى اصحابنا من قال بذلك والاطعام لكل
مسكين نصف صاع عندنا وبه قال ابو حنيفة فان لم يقدر دفعه وبه قال الشافعى ولم يعتبر العجز فان جامع
ناسيا فلا شئ عليه وقال مالك عليه القضاء ومن اكل متعمدا او شرب فى نهار شهر رمضان لزمه القضاء
والكفارة عندنا وهو قول ابى حنيفة ومالك وقال الشافعى لا كفارة عليه وعليه القضاء والناسى لا
شئ عليه عندنا وعند اهل العراق والشافعى وقال مالك عليه القضاء ومن اصبح جنبا متعمدا من غير ضرورة
لزمه عندنا القضاء والكفارة وقال ابن حى عليه القضاء استحبابا وقال جميع الفقهاء لا شئ عليه ومن
ذرعه القئ فلا شئ عليه فان تعمده كان عليه القضاء وبه قال ابو حنيفة والشافعى ومالك وقال الاوزاعى
ان غلبه فعليه القضاء بلا كفارة وان استدعاه فعليه القضاء والكفارة ومن اكل حصى او نوى متعمدا فعليه
القضاء والكفارة وبه قال مالك والاوزاعى وقال اهل العراق عليه القضاء بلا كفارة وقال ابن حى لا قضاء
ولا كفارة واذا احتلم الصبى يوم النصف من شهر رمضان صام ما بقى ولا قضاء عليه فيما مضى ويمسك بقية يومه
تاديبا فان افطر فيه فلا قضاء عليه وبه قال اهل العراق وقال مالك احب الى ان يقضى ذلك اليوم وليس بواجب
وقال الاوزاعى يصوم ما بقى ويقضى ما مضى منه وحكم الكافر اذا اسلم حكم الصبى اذا احتلم فى جميع ذلك
والمجنون والمغمى عليه فى الشهر كله لا قضاء عليه عندنا بدلالة قوله تعالى فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن
كان مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر وانما اراد من شهد الشهر وهو ممن يتوجه اليه الخطاب والمجنون
والمغمى عليه ليس بعاقل بينا ولا الخطاب وقوله ومن كان مريضا او على سفر المراد به اذا كان مريضا عاقلا
يشق عليه الصوم او يخاف على نفسه منه فيلزمه عدة من ايام اخر وقال اهل العراق ان لم يفق المجنون
فى جميع الشهر فلا قضاء عليه وان افاق فى بعضه فعليه قضاؤه كله واما المغمى عليه فى الشهر كله فعليه
قضاؤه لانه بمنزلة المريض وقال الحسن بن صالح ومالك المجنون والمغمى عليه سواء عليه قضى الشهر كله ان
جن فى الشهر كله واغمى عليه فيه وقال الاوزاعى المجنون والمغمى عليه سواء لا قضاء على واحد منهما ما مضى
من الشهر ويقضى ما بقى منه فان افاق بعدما خرج الشهر كله فلا قضاء عليه وهذا مثل ما قلناه و
قال الشافعى يقضى المغمى عليه ولا يقضى المجنون والحامل والموضع والشيخ الكبير اذا افطروا قال اهل العراق
فى الحامل والمرضع يخافان على ولدهما يفطران ويقضيان يوما مكانه ولا صدقة عليهما ولا كفارة وبه قال
قوم من اصحابنا وقال مالك الحامل تقضى ولا تطعم والمرضع تقضى وتطعم لكل يوم مدا وقال الشافعى فى
رواية المزنى عليهما القضاء فى الوجهين ويطعم لكل يوم مدا وهو مذهبنا والمعمول عليه وفى رواية
البويطى عن الشافعى مثل قول مالك والشيخ الكبير الذى لا يطيق الصوم يفطر ويتصدق مكان كل يوم
نصف صاع فى قول اهل العراق وهو مذهبنا وقال الشافعى مد لكل يوم وقال مالك يفطر ولا صدقة

عليه والسفر الذي يوجب الافطار ما كان سفراً حسناً وكان مقداره ثمانية فراسخ اربعة وعشرين ميلاً وعند الشافعي ستة عشر فرسخاً وعند ابي حنيفة اربعة وعشرون فرسخاً وقال داود قليله وكثيره يوجب الافطار والمرض الذي يوجب الافطار ما يخاف معه التلف او الزيادة المفرطة في مرضه وروي انه كل مرض لا يقدر معه القيام مقدار زمان صلاته وبه قال الحسن وعبيدة السلماني وفي ذلك خلاف بين الفقهاء ذكرناه في الخلاف ومن قال ان قوله تعالى ولتكملوا العدة يدل على ان شهر رمضان لا ينقص ابداً فقد ابعد من وجهين لان قوله ولتكملوا العدة معناه ولتكملوا عدة الشهر سواء كان الشهر تاماً او ناقصاً والثاني ان ذلك راجع الى القضاء لانه قال عقيب ذكر السفر والمرض فعدة من ايام اخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة يعني عدة ما فاته وهذا بين **قوله تعالى** وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ آية بلا خلاف روي عن الحسن ان سائلاً سأل النبي صلى الله عليه وآله اقريب ربنا فنناجيه ام بعيد فنناديه فنزلت الآية وقال قتادة نزلت جواباً لقوم سألوا النبي صلى الله عليه وآله كيف ندعو وقوله تعالى واذا سألك عبادي عني فاني قريب اجيب معناه ان اقتضت المصلحة اجابته وحسن ذلك ولم تكن فيه مفسدة فاما ان يكون قطعاً لكل من يسأل فلا بد ان يجيبه فلا على ان الداعي لا يحسن منه السؤال الا بشرط الا يكون في اجابته مفسدة لا له ولا لغيره والا كان الدعاء قبيحاً ولا يجوز ان يقيدها الاجابة بالمشية بان يقول ان شئت لانه يصير الوعد به لا فائدة فيه ومن اجاب ذلك فقد اخطأ فان قيل اذا كان لا يجيب كل من دعاه فما معنى الآية قلنا معناه ان من دعا على شرائط الحكمة التي قدمناها واقتضت المصلحة اجابته اجيب لا محالة بان يقول اللهم افعل بي كذا ان لم يكن فيه مفسدة لي ولغيري في الدين او دنيوي هذا في دعائه وفي الناس من قال ان الله وعد باجابة الدعاء عند مسألة المؤمنين دون الكفار والفاسقين والمعتمد هو الاول فان قيل اذا كان ما تقتضيه الحكمة لا بد ان يفعل به فلا معنى للدعاء قلنا عنه جوابان احدهما ان ذلك عبادة كساير العبادات ومثله قوله قل رب احكم بالحق والثاني انه لا يمتنع ان تقتضي المصلحة اجابته اذا دعا ومتى لم يدع لم تقتضي الحكمة اجابته فان قيل هل يجوز ان يكون الاجابة غير ثواب قلنا فيه خلاف قال ابو علي لا يكون الا ثواباً لان من اجابه الله يستحق المدح في دين المسلمين فلا يجوز ان يجيب كافراً ولا فاسقاً وكان ابو بكر بن الاخشاد يجيز ذلك في العقل على وجه الاستصلاح له وهذا الوجه اقرب الى الصواب والدعاء طلب الطالب للفعل من غيره ويكون الدعاء لله على وجهين احدهما طلب في مخرج اللفظ والمعنى على التعظيم والمدح والتوحيد كقولك يا الله لا اله الا انت وقولك ربنا لك الحمد الثاني الطلب لاجل الغفران او عاجل الانعام كقولك اللهم اغفر لي وارحمني وارزقني فيما اشبه ذلك وقوله فاني قريب قيل في معناه قولان احدهما اني قريب الاجابة اي سريع الاجابة فجاز ذلك لمشاكلة معنى قريب لسريع الثاني قريب لانه يسمع دعاهم كما يسمعه القريب المسافة منهم فجازت لفظة قريب فحسن البيان بها فاما قرب المسافة فلا يجوز عليه تعالى لانه من صفات المحدثات وقوله اجيب دعوة الداعي اذا دعاني فالاجابة من الجوب وهو القطع يقال جاب البلاد يجوب جوباً اذا قطع ومنه قوله تعالى وثمود الذين جابوا الصخر بالواد اي قطعوه واجابه الله دعاه اجابة واجاب فلان عن السؤال جواباً واجاب الظلام اذا قطعه واستجاب له استجابة وجاوبه مجاوبة وتجاوب تجاوباً وانجاب السحاب اذا انقشع واصل الباب القطع فاجابة السائل القطع بما سأل لان سؤاله على الوقف ايكون ام لا يكون وقوله تعالى فليستجيبوا لي هذه لام الامر لا بد منها للغائب قلنا الحاضر يجوز فيه اثباتها واسقاطها كقولك قم ولتقم والاصل فيها ان يكون مكسورة ويجوز فيها السكون اذا اتصلت بحرف واحد كالفاء فاما ثم فالوجه معها الكسر لانها منفصلة وانما جاز فيها السكون دون لام كي لانه لما كان عملها التسكين جاز فيها الايذان بعملها وقال ابو عبيدة استجاب واجاب بمعنى واحد وانشد لكعب بن سعد الغنوي

وداع دعا يا من يجيب الى الندى … فلم يستجبه عند ذاك مجيب

اي لم يجبه وقال المبرد هذا لا يجوز لان في الاستجابة معنى الاذعان وليس

ذلك في الاجابة وقوله لعلهم يرشدون في لعل جوابان احدهما ليرشدوا والثاني يكون دالاً على العوض في الاجابة من الله تعالى للعبد الثاني على الرجاء والطمع لان يرشدوا ويكون متعلقاً بفعل العباد والرشد نقيض الغي يقال رشد يرشد رُشداً ورشيد رشداً وارشده ارشاداً واسترشد استرشاداً وهو لرشدة خلاف لزنية واصل الباب اصابة الخير ومنه الارشاد الدلالة على وجه الاصابة للخير وروي عن ابي عبد الله عليه السلام انه قال وليؤمنوا بي اي وليتحققوا اني قادر على اعطائهم ما سألوا **قوله تعالى** أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ آية واحدة بلا خلاف الرفث الجماع ههنا بلا خلاف وفي قراءة ابن مسعود فلا رفوث وقيل اصله قاحش القول فكني به عن الجماع قال العجاج

عن اللغا ورفث التكلم

والرفث والرفث قول الفحش يقال رفث يرفث رفثاً وروي عن ابي جعفر وابي عبد الله عليهما السلام كراهية الجماع في اول ليلة من كل شهر الا اول ليلة من شهر رمضان لمكان الآية والاشبه ان يكون المراد بليلة الصيام ليالي الشهر كله وانما ذكر بلفظ التوحيد لانه اسم جنس يدل على التكثير ومعنى قوله هن لباس لكم انهن يصرن بمنزلة اللباس كما قال النابغة الجعدي

اذا ما الضجيع ثنى عطفه … تثنت عليه فكانت لباسا

وقال قوم معناه هن سكن لكم كما قال وجعلنا الليل لباساً اي سكناً واللباس الثياب التي من شأنها ان تستر الابدان ويشبه بها الاغشية فيقال لبس السيف بالحلية وقوله تعالى علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم معناه انهم كانوا لما حرم عليهم الجماع في شهر رمضان بعد النوم خالفوا في ذلك فذكرهم الله بالنعمة في الرخصة التي نسخت تلك الفريضة فان قيل اليس الخيانة انتقاص الحق على جهة المساترة فكيف يساتر نفسه قلنا عنه جوابان احدهما ان بعضهم كان يساتر بعضاً فيه فصار كانه يساتر نفسه لانه ضرر النقص والمساترة داخل عليه الثاني انه يعمل عمل المساتر له فهو يعمل لنفسه عمل الخائن له ويقال خانه يخونه خوناً وخيانة وخونه تخويناً واخانه اخياناً وتخونه تخوناً والتخون التنقص والتخون تغير الحال الى ما لا ينبغي وخائنة الاعين مسارقة النظر الى ما لا يحل واصل الباب منع الحق وقوله تعالى فتاب عليكم اي قبل توبتكم على ما بيناه فيما تقدم وقوله تعالى وعفا عنكم فيه قولان احدهما غفر ذنبكم الثاني ازال تحريم ذلك عنكم وذلك عفو عن تحريمه عليهم وقوله تعالى فالآن باشروهن اي جامعوهن ومعناه الاباحة دون الامر والمباشرة الصاق البشرة بالبشرة وهي ظاهر احد الجلدين بالآخر وقوله تعالى وابتغوا ما كتب الله لكم قيل في معناه قولان احدهما قال الحسن وغيره يعني طلب الولد الثاني قال قتادة يعني الحلال الذي بينه الله في الكتاب والابتغاء الطلب للبغية وقوله وكلوا واشربوا اباحة للاكل والشرب حتى يتبين اي يظهر والتبين تميز الشيء الذي يظهر للنفس على التحقيق الخيط الابيض من الخيط الاسود يعني بياض الفجر من سواد الليل وقيل خيط الفجر الثاني مما كان في موضعه من الظلام وقيل النهار من الليل فاول النهار طلوع الفجر الثاني لانه اوسع ضياء قال ابو دواد

فلما اضاءت لنا غدوة … ولاح من الصبح خيط انارا

وروي عن حذيفة والاعمش وجماعة ان الخيط الابيض هو ضوء الشمس وجعلوا اول النهار طلوع الشمس كما ان آخره غروبها بلا خلاف في الغروب واكثر المفسرين على القول الاول وعليه جميع الفقهاء ولا خلاف فيه بين الامة اليوم والخيط في اللغة معروف يقال خاط يخيط خياطة فهو يخيط وخيطه تخييطاً والخيط القطيع من النعام ونعامة خيطاء قيل خيطها طول قصبها وعنقها وقيل اختلاط سوادها ببياضها وكلاهما يحتمل فالاول لانه كالخيط الممدود والثاني لانه كاختلاط خيوط بيض بسود والمخيط الابرة ونحوها مما يخاط به والابيض نقيض الاسود والبياض ضد السواد يقال ابيض وابياض ابيضاضاً وبيضه تبييضاً وتبيض تبيضاً وبيضة الطير وبيضة الحديد وبيضة الاسلام

مجمعه وابنا صنوهم اى استاصلوهم لانهم اقلعوا بيضتهم واصل الباب البياض واسود واسواد اسودادا
وسوده تسويدا وتسود تسودا وساوده سوادا اى ساده سوادا الان لخفاء فيه كخفاء الشخص فى سواد
الليل وسواد العراق سمى به لكثرة الماء والشجر الذى تسود به الارض وسواد كل شئ شخصه و
الاسود من الحية يجمع اساود وسويداء القلب وسوداؤه دمه الذى فيه فى قول ابن دريد وقيل حبة
القلب لانه فى سواد من الظلمة وساد سوددا فهو سيد لانه ملك السواد الاعظم والمسود الذى قد ساده
غيره وقوله من الفجر يحتمل معنيين احدهما ان يكون بمعنى التبعيض لان المعنى من الفجر وليس الفجر كله هذا
قول ابن دريد الثانى بمعنى تبيين الخيط كانه قال الخيط الابيض الذى هو الفجر وقوله ثم اتموا الصيام
الى الليل قد بينا حقيقة الصيام فيما مضى والليل هو بعد غروب الشمس وعلامة دخوله على الاستظهار
سقوط الحمرة من جانب المشرق واقبال السواد منه والا فاذا غابت الشمس مع ظهور الافاق فى الارض
المبسوطة وعدم الجبال والروابى فقد دخل الليل وقوله تع ولا تباشروهن قيل فى معناه قولان ههنا قال
ابن عباس والضحاك والحسن وقتادة وغيرهم اراد به الجماع وقال ابن زيد ومالك اراد الجماع وكلما كان
دونه من قبلة وغيرها وهو مذهبنا وقوله تع وانتم عاكفون فى المساجد فالاعتكاف عندنا هو اللبث فى
احد المساجد الاربعة المسجد الحرام او مسجد النبى صم او مسجد الكوفة او مسجد البصرة للعبادة من غير اشتغال
بما يجوز تركه من امور الدنيا وله شرائط ذكرناها فى كتب الفقه واصله اللزوم قال الطرماح
فبات بنات الليل حولى عكفا عكوف البواكى بينهن صريع وقال الفرزدق ترى حولهن
المعتقين كانهم على صنم فى الجاهلية عكف وقوله تع تلك حدود الله فالحد على وجوه احدها
المنع يقال حده عن كذا حدا اى منعه والحد حد الدار والحد الفرض من حدود الله اى فرايضه والحد
الجلد للزانى وغيره والحد حد السيف وما اشبهه والحد فى الحلق الحدة والحد الفرق بين الشيئين و
الحد منتهى الشئ وحد الشراب صلابته واحداد المراة على زوجها امتناعها من الزينة والطيب واحداد
السيف استحداده واحداد النظر الى الشئ التحديق اليه والحديد معروف وصانعه الحداد والحداد السجان
والاستحداد حلق الشئ بالحديد وحاده حاد دته عاصيته ومنه قوله تع ان الذين يحادون الله ورسوله
واصل الباب المنع والحد نهاية الشئ التى يمنع ان يدخله ما ليس منه وان يخرج عنه ما هو منه ولا يجوز
الاعتكاف الا بصوم وبه قال ابو حنيفة واصحابه ومالك بن انس وقال الشافعى يصح بلا صوم وبه قال
الحسن الا ان يشرط وعندنا لا يكون اقل من ثلثة ايام وبه قال اهل المدينة وقال اهل العراق الاعتكاف
جاير فى كل مسجد يصلى فيه جماعة وقال مالك لا اعتكاف الا فى موضع يصلى فيه الجمعة من المصر وقال اهل
العراق المراة تعتكف فى مسجد بيتها وقال مالك لا تعتكف الا فى مسجد جماعة وقال الشافعى المراة والعبد
يعتكفان وكذلك المسافر حيث شاؤا وقد بينا ما عندنا فى ذلك ولا فرق بين الرجل والمراة فيه وقال مالك
لا يكون الاعتكاف اقل من عشرة ايام وعند اهل العراق يكون يوما ومسائل الاعتكاف قد بيناها فى النهاية و
المبسوط فى الفقه فلا نطول بذكرها والمختلف فيها ذكرناها فى مسائل الخلاف وقيل ان هذه الاية نزلت فى شان
ابى قيس بن صرمه فكان يعمل فى ارض له فاراد الاكل فقالت امرأته نصلح لك شيا فغلبته عيناه ثم قدمت اليه الطعام
فلم ياكل فلما اصبح لاقى جهدا فاخبر رسول الله صم بذلك فنزلت هذه الاية وروى ان عمر اراد ان يواقع زوجته
فى الليل فقالت انى نمت فظن انها تعتل عليه فوقع عليها ثم اخبر النبى صم بذلك من الغد فنزلت الاية فيهما وقوله
تعالى كذلك يبين الله اياته للناس لعلهم يتقون يعنى ما بين لهم من الادلة على ما امرهم به ونهاهم عنه لكى
يتقوا معاصيه وتعدى حدوده التى امرهم الله بها ونهاهم عنها واباحهم اياها وفى ذلك دلالة على انه تع
اراد التقوى من جميع الناس الذين بين لهم هذه الحدود وروى عن ابى عبد الله ع انها نزلت فى خوات بن جبير
مثل قصة ابى قيس بن صرمة وانه كان ذلك يوم الخندق وروى عن ابى جعفر ع حديث ابى قيس سواء قوله تع
وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ

وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ قوله تع ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل قيل فى معناه قولان احدهما ان يكون ذلك على جهة
الظلم نحو الخيانة والسرقة والغصب يكون التقدير لا ياكل بعضكم اموال بعض بالباطل كاكل مال نفسه
بالباطل ومثله ولا تلمزوا انفسكم والمعنى لا يقتل ومعناه لا يلمز بعضكم بعضا وقوله لا تقتلوا انفسكم والمعنى
لا يقتل بعضكم بعضا الثانى لا تاكلوه على وجه الهزء واللعب مثل ما يوجد فى القمار والملاهى ونحوها لان
كل ذلك من اكل المال بالباطل وقال ابو جعفر ع لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل يعنى باليمين الكاذبة يقتطعون
بها الاموال وقال ابو عبد الله ع علم الله انه سيكون فى هذه الامة حكام يحكمون بخلاف الحق فنهى الله
المؤمنين ان يتحاكموا اليهم وهم يعلمون انهم لا يحكمون بالحق وقوله تع وتدلوا بها الى الحكام فالحكم
هو الحجز الذى يفصل به بين الخصمين يمنع كل واحد من منازعة الاخر وقيل فى معناه قولان احدهما قال ابن عباس
والحسن وقتاده انه الوديعة وما تقوم به بينة الثانى قال الجبائى فى مال اليتيم الذى فى يد الاوصياء لانه يدفعه
الى الحاكم اذا طولب به ليقتطع بعضه ويقوم له فى الظاهر حجة يقال ادلى فلان بالمال الى الحاكم اذا دفعه اليه
وادلى فلان بحجته اذا هو احتج بها واحضرها ودلوت الدلو فى البئر ادلوها اذا ارسلتها فى البئر وادليتها
ادلاء اذا انتزعتها من البئر ومنه قوله تع فادلى دلوه اى انتزعها وقال صاحب العين ادليتها اذا ارسلتها
ايضا وادلى الانسان شيا فى مهوى ويتدلى هو بنفسه والدالية معروفة وموضع وتدلوا يحتمل امرين
احدهما ان يكون جزما على النهى وعطفا على قوله لا تاكلوا والثانى ان يكون نصبا على الصرف ويكون نصبها
باضمار ان كقول الشاعر لا تنه عن خلق وتاتى مثله عار عليك اذا فعلت عظيم لا يجمع بينهما والاول
اجود وقيل فى اشتقاق وتدلوا قولان احدهما ان التعلق بسبب الحكم كتعلق الدلو بالسبب الذى هو الحبل
والثانى انه يمضى فيه من غير تثبت كمضى الدلو فى الارسال من غير تثبت والباطل هو ما تعلق بالشئ على
خلاف ما هو به خبرا كان او اعتقادا او تخيلا او ظنا والفريق القطعة المعزولة من الشئ والاثم الفعل
الذى يستحق به الذم وقوله وانتم تعلمون معناه انكم تعلمون ان ذلك التفريق من المال ليس بحق لكم
لانه اشد فى الزجر وفى الاية دلالة على ان تفرقة الحاكم بشهادة الزور غير جائزة ولا يستباح به النكاح لاحد
الشاهدين كما لا يحل ذلك فى المال قوله تع يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ
وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ
لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ اية واحدة بلا خلاف البيوت والشيوخ والغيوب والجيوب بكسر اوائلها شامى والكسائى
والاعشى لا يكسرون الغيوب بكسرها حمزة ويحيى الا الجيوب ويكسرها ابن كثير الا الجيوب والغيوب وابن فليح
يكسرها كلها وقالون يكسر منها البيوت فقط ابو عمرو يضمها كلها الاهلة جمع هلال وسمى الهلال لرفع
الصوت بذكره عند رؤيته ومنه اهل بالحج اذا رفع الصوت بالتلبية واختلف اهل العلم الى كم يسمى هلالا
فقال قوم يسمى ليلتين هلالا من الشهر ومنهم من قال يسمى هلالا ثلث ليال ثم يسمى قمرا وقال الاصمعى
يسمى هلالا حتى يحجره وتحجيره ان يستدير بخطة دقيقة ومنهم من قال يسمى هلالا الى حين يبهر ضوءه سواد
الليل فاذا غلب ضوءه سمى قمرا وذلك لا يكون الا فى الليلة السابعة وقال الزجاج يسمى هلالا لليلتين
واسم القمر الزبرقان واسم دارته الهالة والفخت اسم ضوءه او ظلمته على خلاف فيه واسم ظلمة السمر
ومنه قيل سمار للذين يتحدثون بالليل وانما اقتصر فى جمعه على افعلة وهو لادنى العدد دون الفعل الذى
هو للجمع الكثير استثقالا له فى التضعيف كما قالوا فيما ليس بمضعف حمار واحمرة وحمر فانقيل عما كان وقع
السؤال من حال الاهلة قيل عن زيادتها ونقصانها وما وجه الحكمة فى ذلك فاجيب بان مقاديرها يحتاج
اليه الناس فى صومهم وفطرهم وحجهم وعدد نسائهم ومحل ديونهم وغير ذلك وفيه دلالة واضحة على ان
الصوم لا يثبت بالعدد وانه يثبت بالهلال لان العدد لو كان مراعى لما احيل فى مواقيت الناس فى الحج على
ذلك بل احيل على العدد وقوله تع قل هى مواقيت الميقات هو مقدار من الزمان جعل علما لما يقدر من العمل
ومنه قوله تع الى يوم الوقت المعلوم والتوقيت تقدير الوقت وقت توقيتا ومنه قوله تع واذا الرسل اقتت وكما

قدرت غاية فهو موقت والميقات منتهى الوقت ومنه قوله تعالى فتم ميقات ربه فالآخرة ميقات الخلق و الاهلال ميقات الشهر وانما لم ينصرف مواقيت لانه غاية الجمع وانما صرف قواريرا لانه فاصلة في رأس آية فصرفت لتجري على طريقة واحدة في الآيات كالقوافي وليس ذلك للتنوين الصرف وقوله تعالى وليس البر بان تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى قيل في معناه وجهان احدهما ولكن البر بر من اتقى كما قلنا في قوله ولكن البر من آمن بالله والثاني على وقوع المصدر موقع الصفة كانه قال ولكن البار من آمن بالله وقيل في معنى الآية قولان احدهما انه كان قوم من الجاهلية اذا احرموا نقبوا في ظهر بيوتهم نقبا يدخلون منه ويخرجون فنهوا عن التدين بذلك وامروا ان يأتوا البيوت من ابوابها في قول ابن عباس والبراء وقتادة وعطاء وقال قوم واختاره الجبائي انه مثل ضربه الله لهم وأتوا البيوت من ابوابها اي ائتوا البر من وجهه الذي امر الله به ورغب فيه وهذا الوجه احسن وروى جابر عن ابي جعفر محمد بن علي عليه السلام في قوله وليس البر بان تأتوا البيوت الآية قال يعني ان يأتي الامر من وجهه اي الامور كان وروى ابو الجارود عن ابي جعفر عليه السلام مثل قول ابن عباس سواء و قال قوم اراد بالبيوت النساء لان المرأة تسمى بيتا على ما بيناه فيما مضى فكانه نهى عن اتيان النساء في ادبارهن واباح الوطي في قبلهن والاول اقوى واجود والباب هو المدخل تقول منه بوب تبويبا اذا جعله ابوابا والبواب الحاجب لانه يلزم الباب والبابة القطعة من الشيء كالباب من الجملة فان قيل اي تعلق لقوله وليس البر بان تأتوا البيوت من ظهورها بسؤال القوم عن الاهلة قلنا لانه لما بين ما فيه من وجه الحكمة اقتضى لتعلموا على امور مقدرة ولتجري اموركم على استقامة فانما البر ان تتبعوا امر الله ومن كسر الباء من البيوت فلاستثقال الخروج من الضم الى الياء ومن ضم غيوب وكسر البيوت فلان الغين لما كان مستعليا منع الكسر كما منع الامالة واما الحج فهو قصد البيت الحرام لاداء مناسك مخصوصة بها في وقت مخصوص والحج النفع الحسن والطهر الصحيحة المقابلة لصفيحة الوجه وقوله واتقوا الله لعلكم تفلحون يعني واتقوا ما نهاكم الله عنه وزهدكم فيه لكي تفلحوا بالوصول الى ثوابه الذي ضمنه للمتقين قوله تعالى وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين آية المقاتلة هو المقاتلة وهو محاولة الفاعل لقتل من يحاول قتله والمقاتل محاوله كل واحد من المتعاديين قتل الآخر والخطاب بقوله وقاتلوا متوجه الى المؤمنين ولو قال تقاتلوا لكان امرا للفريقين وذهب الحسن وابن زيد والربيع والجبائي الى ان هذه الآية منسوخة لانه قد وجب علينا قتال المشركين وان لم يقاتلونا فقوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وقوله وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة وروي عن ابن عباس ومجاهد وعمر بن عبد العزيز انها غير منسوخة وقال بعضهم امروا بقتال المقاتلين دون النساء وقيل انهم امروا بقتال اهل مكة والاولى حمل الآية على عمومها الا من اخرجه الدليل وقوله ولا تعتدوا قيل فيه ثلثة اقوال احدها لا تعتدوا بقتال من لم يؤمروا بقتاله الثاني لا تعتدوا الى النساء والصبيان ومن قد اعطيتموه الامان الثالث لا تعتدوا بالقتال على غير الدين فان قيل اذا كان الاعتداء في قتال من لم يقاتلهم فكيف يجوز ان يؤمروا به فيما بعد قيل انما كان اعتداء من اجل انه مجاوزة لما حده الله لهم مما فيه الصلاح للعباد ولم يكن فيما بعد على ذلك فجاز الامر به وقوله في سبيل الله يعني دين الله وهو الطريق الذي بينه للعباد ليسلكوه على ما امرهم به ودعاهم اليه وقوله لا يحب المعتدين معناه لا يريد ثوابهم ولا مدحهم كما يريد ثواب المؤمنين وقد بينا فيما مضى ان المحبة هي الارادة وانما قلنا انها من جنس الارادة لان الكراهة تنافيها ولا يصح اجتماعهما ولانها تتعلق بما يصح حدوثه كالارادة فلا يصح ان يكون محبا للايمان كارها له كما بينا في ان يكون مريدا له كارها وتعلق المحبة بان يؤمن كتعلق الارادة بان يؤمن وانما اعتيد في المحبة الحذف ولم يعتد ذلك في الارادة فيقال الله يحب المؤمن ولا يقال يريد المؤمن وقوله لا يحب المعتدين ظاهره يقتضي انه يسخط عليهم لانه على وجه الذم لهم اذ لا يجوز ان يطلق على من لا ذنب له من الاطفال والمجانين والاعتداء مجاوزة الحق واصله المجاوزة يقال عدا اذا جاوز حده في الاسراع وروي عن ابن عباس ان قوله وقاتلوا في سبيل الله

٢ بلاخلاف

ناسخ لقوله كفوا ايديكم واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة وكذلك قوله واقتلوهم حيث ثقفتموهم ناسخ لقوله ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع اذاهم قوله تعالى واقتلوهم حيث ثقفتموهم واخرجوهم من حيث اخرجوكم والفتنة اشد من القتل ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فان قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين آية واحدة بلا خلاف قرأ حمزة والكسائي ولا تقتلوهم حتى يقتلوكم فان قتلوكم كله بغير الف الباقون بالف في جميع ذلك والمعنى لا تبدؤهم بقتل ولا قتال حتى يبدؤكم لان القتل نقض بنية الحياة والقتال محاولة القتل ممن يحاول القتل وقوله واقتلوهم امر للمؤمنين بقتل الكفار حيث ثقفتموهم ويجوز في حيث ثلثة اوجه ضم الثاء وفتحها وكسرها فالضم لشبهها بالغاية نحو قبل وبعد لانه منع الاضافة الى المفرد مع لزوم معنى الاضافة له فجرى لذلك مجرى قبل وبعد في البناء على الضم ولا يجب مثل ذلك في اذ لانها مبنية على الوقف كما ان منذ لا يجب فيها ما يجب في منذ والفتح لاجل الياء كما فتحت اين وكيف والكسر فعلى اصل الحركة لالتقاء الساكنين وانما كتب بغير الف في الثلث الكلم في المصحف للايجاز كما كتبوا الرحمن بلا الف وكذلك صالح وخالد وما اشبههما من حروف المد واللين لقوتها على التغيير وقوله ثقفتموهم تقول ثقفته اثقفه ثقفا اذا ظفرت به ومنه قوله فاما تثقفنهم في الحرب وثقفت الشيء ثقافة اذا حذقته ومنه اشتقاق الثقافة بالسيف وقد ثقف ثقافة فهو ثقف والثقاف حديدة يكون مع القواس والرماح يقوم بها المعوج وثقف الشيء ثقفا اذا لزم وهو ثقف اذا كان سريع التعلم وثقفته تثقيفا اذا قومته واصل الباب التثقيف التقويم وقوله والفتنة اشد من القتل قال الحسن وقتادة ومجاهد والربيع وابن زيد وجميع المفسرين انها الكفر واصل الفتنة الاختبار فكانه قال والكفر الذي يكون عند الاختبار اعظم من القتل في الشهر الحرام ووجه قراءة من قرأ ولا تقتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقتلوكم فيه انه جاء في الكلام العرب اذا قتل بعضهم قالوا قتلنا فتقديره حتى يقتلوا بعضكم و معنى قوله واخرجوهم من حيث اخرجوكم اي اخرجوهم من مكة كما اخرجوكم منها وروي ان هذه الآية نزلت في سبب رجل من الصحابة قتل رجلا من الكفار في الشهر الحرام فعابوا المؤمنين بذلك فبين الله تعالى ان الفتنة في الدين اعظم من قتل المشركين في الشهر الحرام وان كان محظورا لا يجوز قوله تعالى فان انتهوا فان الله غفور رحيم معنى قوله تعالى فان انتهوا يعني عن كفرهم بالتوبة منه في قول مجاهد وغيره من المفسرين والانتهاء الامتناع يقال نهى نهيا وانهى انهاء وانتهى انتهاء وتناهى تناهيا والنهي الزجر عن الفعل بصيغة لا تفعل والامر الدعاء الى الفعل بصيغة افعل مع اعتبار الرتبة والنهي الغدير يكون له حاجز يمنع الماء ان يفيض فالنهي بمنزلة المنع ونهاية الشيء غايته ونهية الوتد الفرض وهو الحز في رأسه لكي يمنع الحبل ان ينسلخ لانه ينهاه عن ذلك والنهى جمع نهية وهي العقل والنهية وجمعها نهاء وهي موضع تنهبط وتتناهى اليها ماء السماء والانهاء ابلاغ الشيء نهايته وفي الآية دلالة على انه يقبل توبة القاتل عمدا لانه بين انه يقبل توبة المشرك وهو اعظم من القتل ولا يحسن ان يقبل التوبة من الاعظم ولا يقبل من الاقل فان قيل فما معنى جواب الشرط والله غفور رحيم وان لم ينتهوا الجواب ان معناه فان الله غفور لهم رحيم بهم ويجوز فان الله يغفر لهم لانه غفور رحيم واختصر الكلام لدلالة ما تقدم على انه في ذكرهم وان الذي اقتضى انتهاهم انما هو ذكر المغفرة لهم فكان الدلالة عليها بغير افصاح عنها احسن لما في ذلك من الايجاز والاحالة على الاستدلال لتمكين الاشعار لتضمن الكلام والمغفرة بتغطية الذنب بما يصير به بمنزلة غير الواقع في الحكم قوله تعالى وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فان انتهوا فلا عدوان الا على الظالمين آية هذه الآية ناسخة للاولى التي تضمنت النهي عن القتال عند المسجد الحرام حتى يبدؤا بالقتال فيه لانه اوجب قتالهم على كل حال حتى يدخلوا في الاسلام في قول الجبائي والحسن و غيره وعلى ما حكيناه عن ابن عباس وعمر بن عبد العزيز ان الاولى ليست منسوخة فلا يكون هذه ناسخة بل يكون مؤكدة والفتنة الشرك في قول ابن عباس وقتادة ومجاهد والربيع وابن زيد وهو المروي

عن ابي جعفر ع وانما سمي الكفر فتنة لان الكفر يؤدي الى الهلاك كما يؤدي الفتن الى الهلاك ولان الكفر اظهار الفساد عند الاختبار والفتنة انما هو الاختبار والدين ههنا قيل في معناه قولان احدهما الاذعان لله بالطاعة كما قال الاعشى هو دان الرباب اذ كرهوا الدين دراكا بغزوة وصيال والثاني الاسلام دون الكفر واصل الدين العادة في قول الشاعر تقول اذا درأت لها وضيني اهذا دينه ابدا وديني وقال آخر كدينك من ام الحويرث قبلها وجارتها ام الرباب بمأسل وقد استعمل بمعنى الطاعة في قوله تع ما كان ليأخذ اخاه في دين الملك واستعمل بمعنى الاسلام لان الشريعة فيه يجب ان يجري على عادة قال الله تعالى ان الدين عند الله الاسلام وقوله فان انتهوا معناه امتنعوا من الكفر واذعنوا بالاسلام فلا عدوان الا على الظالمين اي فلا قتل عليهم ولا قتل الا على الكافرين المقيمين على الكفر وسمي القتل عدوانا مجازا من حيث كان عقوبة على العدوان والظلم كما قال فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه كما قال وجزاء سيئة سيئة مثلها وكما قال وان عاقبتم فعاقبوا وحسن ذلك لازدواج الكلام ومزاوجته ههنا على المعنى لان تقديره فان انتهوا عن العدوان فلا عدوان الا على الظالمين فان قيل ايجوز ان يقول لا ظلم الا على الظالمين كما جاز لا عدوان الا على الظالمين قلنا على القياس لا يجوز لان ذلك مجاز والمجاز لا يقاس عليه عند المحصلين لئلا يلتبس الحقيقة بالمجاز وانما اجازوا في المزاوجة لان الكلام معه ابلغ وابلغ كما قال عمرو بن شاس الاسدي

جزينا ذوي العدوان بالامس قرضهم قصاصا سواء حذوك النعل بالنعل

واصل الظلم الانتقاص من قوله تع ولم يظلم منه شيئا وحقيقته ما قدمنا ذكره من انه ضرر محض لا نفع فيه يوفي عليه عاجلا ولا آجلا ولا هو واقع على وجه المدافعة **قوله تع** الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ آية واحدة بلا خلاف اشهر الحرم اربعة رجب وهو فرد وثلثة اشهر سرد ذو القعدة وذو الحجة والمحرم والمراد ههنا ذو القعدة وهو شهر الصد عام الحديبية وانما سمي الشهر حراما لانه كان يحرم فيه القتال فلو ان الرجل يلقى قاتل ابيه او ابنه لم يعرض له بسبيل وسمي ذو القعدة ذا القعدة لقعودهم فيه عن القتال والشهر رفع بالابتداء وخبره بالشهر الحرام وتقديره قتال الشهر الحرام اي في الشهر الحرام فحذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه ويحتمل ان يكون تقديره الشهر الحرام على جهة العوض لما فات من الحج في السنة الاولى وقوله والحرمات قصاص قيل في معناه قولان احدهما الحرمات قصاص بالمراغمة بدخول البيت في الشهر الحرام قال مجاهد لان قريشا فخرت بردها رسول الله ص يوم الحديبية محرما في ذي القعدة عن البلد الحرام فادخله الله مكة في العام المقبل في ذي القعدة فقضى عمرته واقصه بما حيل بينه وبينه يوم الحديبية وهو معنى قول قتادة والضحاك والربيع وابن زيد وروي عن ابن عباس وابي جعفر محمد بن علي ع مثله والقول الثاني والحرمات قصاص بالقتال في الشهر الحرام اي لا يجوز للمسلمين الا قصاصا قال الحسن ان مشركي العرب قالوا لرسول الله انهيت عن قتالنا في الشهر الحرام قال نعم فاراد المشركون ان يغزوه في الشهر الحرام فيقاتلوه فانزل الله تع الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص اي ان استحلوا منكم في الشهر الحرام شيئا فاستحلوا منهم مثل ما استحلوا منكم وبه قال الزجاج والجبائي وانما جمع الحرمات لاحد امرين احدهما ان يريد حرمة الشهر وحرمة البلد وحرمة الاحرام الثاني ان كل حرمة تستحل فلا يجوز الا على وجه المجازاة وفي الناس من قال ان هذه الآية منسوخة بقوله تع فاقتلوا المشركين كافة وقال آخرون ليست منسوخة لانه يجوز اجتماعها مع تلك الفريضة وهو الاولى لانه لا دلالة على نسخها والحرام هو القبيح الممنوع من فعله والحلال المطلق المأذون فيه والقصاص الاخذ للمظلوم من الظالم من اجل ظلمه اياه فان قيل كيف جاز قوله ان الله لا يحب المعتدين مع قوله فاعتدوا عليه قلنا الثاني ليس باعتداء على الحقيقة وانما هو على وجه المزاوجة ومعناه المجازاة على ما بينا والمعتدي مطلقا لا يكون الا ظالما فاعلا لضرر قبيح واذا كان مجازا فانما يفعل ضررا حسنا فان قيل كيف قال بمثل ما اعتدى عليكم و الاول جور والثاني عدل قلنا لانه مثله في الجنس وفي مقدار الاستحقاق لانه ضرر كما ان الاول ضرر هو

على مقدار ما يوجبه الحق في كل جرم وقيل ان عدا واعتدى لغتان بمعنى واحد مثل قرب واقترب وجلب واجتلب وقال قوم في افتعل مبالغة ليس في فعل ومعنى قوله واعلموا ان الله مع المتقين يعني بالنصرة لهم كانه قال ان الله مع المتقين بالنصرة او ان نصرة الله معهم واصل مع المصاحبة في المكان او الزمان **قوله تع** وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ آية بلا خلاف امر الله تع جميع المكلفين المتمكنين من الانفاق في سبيل الله ان ينفقوا في سبيله وسبيل الله هو كل طريق شرعه الله تع لعباده ويدخل فيه الجهاد والحج وعمارة القناطر والمساجد ومعاونة المساكين والايتام وغير ذلك والانفاق هو اخراج الشيء عن ملكك الى ملك غيره لانه لو اخرجه الى هلاك لم يسم انفاقا وقوله تع ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة معناه لا تطرحوا انفسكم في الهلاك بان تفعلوا ما يؤدي اليه وحقيقة الالقاء تصيير الشيء الى جهة السفل وانما يقال القى عليه مسألة مجازا كما يقال طرح عليه مسألة والباء في قوله بايديكم يحتمل وجهين احدهما ان تكون زائدة كقولك تعلقت زيدا وتعلقت بزيد وجذبت الثوب وجذبت بالثوب وعلمته وعلمت به قال الشاعر

ولقد ملأت على نصيب جلده بمساءة ان الصديق يعاتب

والمراد ملأت جلده مساءة والثاني ان يكون على اصل الكلام من وجهين احدهما ان كل فعل متعد اذا كني عنه او قدر على المصدر دخلته الباء كقولك ضربته ثم يكنى عنه فيقول فعلت به والآخر ان تقول اوقعت الضرب به فجاء على اصل الافعال المتعدية والوجه الآخر انه لما كان معناه لا تهلكوا انفسكم بايديكم فدخلت الباء ليدل على هذا المعنى وهو خلاف اهل التفسير بيد غيره وقيل في معنى الآية وجوه احدها قال الحسن وقتادة ومجاهد والضحاك وهو المروي عن حذيفة وابن عباس ان معناها لا تلقوا بايديكم الى التهلكة بالامتناع من الانفاق في سبيل الله الثاني ما روي عن البراء بن عازب وعبيدة السلماني لا تركبوا المعاصي باليأس من المغفرة الثالث ما قال البلخي من ان معناها لا تقتحموا الحرب من غير نكاية في العدو ولا قدرة على دفاعهم الرابع ما قاله الجبائي لا تسرفوا في الانفاق الذي يأتي على النفس والاولى حمل الآية على عمومها في جميع ذلك والتهلكة والهلاك واحد وقيل التهلكة ما اهلكهم الله عنده واصل الهلاك الضياع وهو مصير الشيء بحيث لا يدرى اين هو ومنه يقال للكافر هالك وللميت هالك وللمعذب هالك والهلوك المهولة البعيدة لان الذي يهوي فيها هالك والهلوك الفاجرة والهلوك المتحيرة تشبيها بالهلوك الفاجرة التي تمايل في مشيتها تقول هلك يهلك هلكا وهلاكا واهلكه اهلاكا وتهالك تهالكا واهتلك اهتلاكا اذا القى نفسه في المهالك واستهلكه استهلاكا وانهلك انهلاكا اذا حمل نفسه على الامر الصعب الهالكي الحداد واصل ذلك ان بني الهالك بن عمرو كانوا قيونا فسمي به كل قين هالكيا والتهلكة كلما كان عاقبته الى الهلاك والهالك الفقير الذي بمضيعة والاحسان هو الافضال الى المحتاج في قول زيد بن اسلم وحد الاحسان هو ايصال النفع الحسن الى الغير وليس المحسن من فعل الفعل الحسن لان الله تع يفعل العقاب وهو حسن ولا يقال انه محسن به ولا يسمى مستوفي الدين محسنا وان كان حسنا فان اطلق ذلك في موضع فعلى وجه المجاز وانما اعتبرنا ان يكون النفع حسنا لان من وصل نفعا قبيحا الى غيره لا يقال انه محسن اليه وقد بينا حقيقة المحبة فيما مضى فلا وجه لاعادته ومحبة الله للمحسنين ارادة الثواب بهم والمنفعة لهم وقال عكرمة احسنوا الظن بالله يبر بكم وقال ابن زيد احسنوا بالعود على المحتاج ان الله يحب المحسنين وروي عن ابي عبد الله ع انه قال لو ان رجلا انفق ما في يديه في سبيل من سبيل الله ما كان احسن ولا وفق لقوله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة واحسنوا ان الله يحب المحسنين يعني المقتصدين **قوله تع** وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ آية واحدة بلا خلاف وروي عن الشعبي انه قرأ والعمرة لله رفعا وذهب الى انها

ليست واجبة كما قال اهل العراق وعندنا وعند الشافعي انها واجبة كوجوب الحج والقراء كلهم على النصب والعمرة عطفا على قوله واتموا الحج وتقديره واتموا العمرة لله وامر الله تعالى جميع من توجه اليه وجوب الحج ان يتم الحج والعمرة وقيل في اتمام الحج والعمرة اقوال احدها انه يجب ان يبلغ اخرا عمالهما بعد الدخول فيهما وهو قول مجاهد وابي العباس المبرد وابي على الجبائي والثاني قال سعيد بن جبير وعطا والسدى ان معناه اقامتهما الى اخر ما فيهما لانهما واجبان الثالث قال طاوس تمامهما افرادهما الرابع قال قتاده الاعتمار في غير اشهر الحج واصح الاقوال الاول والحج هو القصد الى البيت الحرام لاداء مناسك مخصوصة بها في اوقات مخصوصة ومناسك الحج يشتمل على المفروض والمسنون والمفروض يشتمل على الركن وغير الركن فاركان الحج اولا النية والاحرام والوقوف بعرفة والوقوف بالمشعر وطواف الزيارة والسعى بين الصفا والمروة والفرائض التى ليست باركان التلبية وركعتا طواف الزيارة وطواف النساء وركعتا الطواف له والمسنونات الجهر بالتلبية واستلام الاركان وايام منى ورمى الجمار والحلق والتقصير والاضحية ان كان مفردا وان كان متمتعا فالهدى واجب عليه والا فالصوم الذى هو بدل عنه وتفصيل ذلك ذكرناه في النهاية والمبسوط والجمل والعقود لانطول بذكره وفى هذه المناسك خلاف كثير بين الفقهاء ذكرناه في مسائل الخلاف والعمرة واجبة كوجوب الحج وبه قال الحسن وابن عباس وابن مسعود وابن عمر وعطا وابن جبير وعمرو بن عبيد وواصل بن عطا والشافعى وقال ابرهيم النخعى والشعبى وسعيد بن جبير واهل العراق انها مسنونة وعن ابن مسعود فيه خلاف فمن قال انها غير واجبة قال لان الله تعالى امر باتمام الحج والعمرة ووجوب الاتمام لا يدل على انه واجب قبل ذلك كما ان الحج المتطوع به يجب اتمامه وان لم يجب الدخول فيه قالوا وانما علينا وجوب الحج بقوله تعالى ولله على الناس حج البيت وهذا ليس بصحيح لانا قد بينا ان معنى اتموا الحج والعمرة اقيموهما وهو المروى عن على عم وعن على بن الحسين مثله وبه قال مسروق والسدى والعمرة هى الزيارة في اللغة وفى الشرع عبارة عن زيارة البيت لاداء مناسك مخصوصة في اى وقت كان من ايام السنة وافعال العمرة الواجبة النية والاحرام والطواف والصلوة عند المقام والسعى بين الصفا والمروة وطواف النساء وفى بعض ذلك خلاف ذكرناه في الخلاف وقوله فان احصرتم فيه خلاف قال قوم فان منعكم خوف او عدو او مرض او هلاك بوجه من الوجوه فامتنعتم لذلك وقال اخرون ان منعكم حابس قاهر فالاول قول مجاهد وقتاده وعطا وهو المروى عن ابن عباس وهو المروى في اخبارنا والثانى ذهب اليه مالك بن انس فالاول اقوى لما روى في اخبارنا ولان الاحصار هو ان يجعل غيره بحيث تمتنع من الشىء وحصره منعه ولهذا يقال حصر العدو ولا يقال احصر واختلف اهل اللغة في الفرق بين الاحصار والحصر فقال الكسائى وابو عبيدة واكثر اهل اللغة ان الاحصار المنع بالمرض وذهاب النفقة والحصر بحبس العدو وقال الفراء يجوز كل واحد منهما مكان الاخر وخالفه في ذلك ابو العباس والزجاج واحتج المبرد بنظاير ذلك كقولهم حبسه اى جعله في الحبس واحبسه اى عرضه للحبس وقتله اوقع به القتل واقتله عرضه للقتل وقبره دفنه في القبر واقبره عرضه للدفن في القبر فكذلك حصره حبسه اى اوقع به الحصر واحصره عرضه للحصر ويقال احصره احصارا اذا منعه وحصره يحصره حصرا اذا حبسه وحصر حصرا اذا عيى في الكلام وحاصره محاصرة اذا ضيق عليه في القتال والحصر الضيق هذا حصر شديد والحصر الذى لا يبوح بسره لانه قد حبس نفسه عن البوح به والحصير الملك والحصير المحبس ومنه قوله تعالى وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا والحصور الذى لا اربة له في النساء والحصور الهيوب المحجم عن الشىء والحصر البخيل لحبسه رفده واصل الباب الحبس وقوله فما استيسر من الهدى موضع ما رفع كانه قال فعليه ما استيسر من الهدى ويجوز النصب وتقديره فليهد ما استيسر من الهدى والرفع اقوى لكثرة نظايره كقوله ففدية من صيام وقوله فعدة من ايام اخر وقوله فصيام ثلثة ايام وفى معنى ما استيسر خلاف فروى عن على عم وابن عباس والحسن وقتاده انه شاة وروى عن ابن عمر وعايشة انه ما كان من الابل والبقر دون غيره ووجها التيسير على ناقة دون ناقة وبقرة دون بقرة والاول هو المعمول عليه عندنا وفى اشتقاق الهدى واصله قولان احدهما انه من الهدية يقال منه اهديت الهدية اهداء واهديت

الى

الى البيت الهدى اهداء فعلى هذا يكون هديا لاجل التقرب به الى الله باخلاص الطاعة فيه على ما امر به الثانى من هديته هدى اذا سقته الى طريق الرشاد وواحد الهدى هدية وروى ابو عبيدة عن ابى عمرو انه لا يعرف له نظير الا جدية السرج وجدى وقال المبرد وهو مطرد في الاجناس كتمرة وتمر وشرية وشرى وهو الحنظل وقوله ولا تحلقوا رؤسكم معناه لا تزيلوا شعور رؤسكم يقال الحلق يحلق حلقا وحلق تحليقا وانحلق انحلاقا والحلق مجرى الطعام والشراب في المرى والحلقة حلقة القوم وحلقة الحديد والحلقة السلاح ويقال ايضا بالتخفيف وحلق الطاير في الهواء اذا ارتفع وهوى من حالق اى من علو الى سفل وحلق ضرع الناقة اذا ارتفع لبنها وحلاق المنية وجاء بالحلق اذا جاء بالمال الكثير والمحلق محلق الشعر كالموسى وحلوق الارض مجاريها في اوديتها والمحلق موضع حلق الرأس بمنى واصل الباب الاستمرار والرؤس جمع راس تقول راس يراس رياسة وتراس تراسا وراسه ترئيسا والراس اعلى كل شىء والرواسى العظيم الراس فوق قدره وكليه رؤس وهى التى تساور راس الصيد وسحابة رايسة وهى التى تقدم السحاب ورجل مرؤس اذا اصابه البرسام في راسه وراس فلان فلانا اذا ضربه على راسه واصل الباب الراس وقوله حتى يبلغ الهدى محله معناه حتى ينتهى اليه يقال بلغ يبلغ بلوغا وابلغه ابلاغا وبلغه تبليغا وبالغ مبالغة وتبالغ تبالغا وتبلغ تبلغا وبلغ الرجل بلاغة اذا صار بليغا والبلغة القوت واصل الباب البلوغ وهو الانتهاء فمنه البلاغة لانها تبلغ بالمعنى الى القلب وقيل في محل الهدى قولان احدهما ما روى عن ابن عباس وابن مسعود والحسن وعطا انه الحرم فاذا ذبح به يوم النحر احل والثانى قال مالك انه الموضع الذى صد فيه وهو المكان الذى يحل نحره فيه قال لان النبى صلعم نحر الهدى وامر اصحابه فنحروا بالحديبية وعندنا ان الاول حكم المحصر بالمرض والثانى حكم المصدود بالعدو وروى ايضا ان محله منى ان كان في الحج وان كان في العمرة فمكة وقوله تعالى فمن كان منكم مريضا او به اذى من راسه فالاذى كلما تاذيت به ورجل اذ اذا كان شديد التاذى تقول اذى باذى اذى واصله الضرر بالشىء وروى اصحابنا ان هذه الاية نزلت في انسان يعرف بكعب بن عجرة وروى ايضا ذلك اصحاب التاويل في انه كان قد قمل راسه فانزل الله فيه هذه الاية لكنها محمولة على جميع الاذى وقوله ففدية من صيام او صدقة او نسك فالذى رواه اصحابنا ان الصيام ثلثة ايام او صدقة ستة مساكين وروى عشرة مساكين والنسك شاة وفيه خلاف بين المفسرين وروى عن كعب بن عجرة الانصارى ومجاهد وعلقمة وابرهيم والربيع واختاره الجبائى مثل ما قلناه ان الصوم ثلثة ايام والاطعام لستة مساكين وقال الحسن وعكرمة صوم عشرة ايام او اطعام عشرة مساكين لكل مسكين نصف صاع بلا خلاف ولم يختلفوا في النسك انه شاة والنسك جمع نسيكة ويجمع ايضا نسكا كصحيفة وصحاف وصحف وقوله فاذا امنتم معناه امنتم ان يحصركم العدو وامنتم المرض فمن تمتع بالعمرة الى الحج ففرض المتمتع عندنا هو اللازم لكل من لم يكن من حاضرى المسجد الحرام وحد حاضرى المسجد الحرام من كان على اثنى عشر ميلا من كل جانب الى مكة ثمانية واربعين ميلا فما خرج عنه فليس من الحاضرين لا يجوز له مع الامكان غير التمتع وعند الضرورة يجوز له القران والافراد ومن كان من حاضرى المسجد الحرام لا يجوز له التمتع وانما فرضه القران او الافراد على ما نفسره في القران والافراد وسياق المتمتع ان يحرم من الميقات في اشهر الحج وهى شوال وذو القعدة وعشر من ذى الحجة ثم يدخل مكة فيطوف بالبيت ويسعى بين الصفا والمروه ويقصر ثم ينشى احراما اخر بالحج من المسجد الحرام ويخرج الى عرفات ويقف هناك ويفيض الى المشعر ويغدو منها الى منى ويقضى مناسكه هناك ويدخل في يومه الى مكة فيطوف بالبيت طواف الزيارة ويسعى بين الصفا والمروة ويطوف طواف النساء وقد احل من كل شىء ويعود الى منى فيبيت لياليها بها ويرمى الجمار في ثلثة ايام على ما شرحناه في النهاية والمبسوط وفى بعض ذلك خلاف بين الفقهاء ذكرناه في الخلاف وللمفسرين في التمتع اربعة اقوال فالاول رواه انس بن مالك ان النبى صلعم اهل بعمرة وحجة وسموه قارنا وانكر ذلك ابن عمر والثانى روى عن ابن عباس وابن عمر وسعيد بن المسيب

وعطا

كصحيفة

وعطا واختاره الجبائي وهو ان يعتمر في اشهر الحج ثم ياتي مكة فيطوف ويسعى ويقصر ثم يقيم حلالا الى يوم
التروية او يوم قبله فيهل فيه بالحج من مكة ثم يحج وهذا مثل ما قلناه سواء وقال البلخي ان هذا الضرب كرهه عمر
ونهى عنه وكرهه ابن مسعود الثالث هو الناسخ للحج بالعمرة رواه جابر بن عبد الله وابو سعيد الخدري ان رسول
الله صلى الله عليه وآله امرهم وقد اهلوا بالحج لا ينوون غيره ان يعتمروا ثم يحلوا الى وقت الحج هذا عندنا جايز ان يفعل
وروي عن ابي ذر انها كانت لاصحاب النبي صلى الله عليه وآله خاصة وكذلك يقولون ان عمر انكر هذه المتعة الرابع قال
ابن الزبير ان المحصر اذا دخل مكة بعد فوت الحج فتمتع بالعمرة لانه يحل بها الى وقت الحج وكذلك من اعتمر في
غير اشهر الحج ثم حج تلك السنة فهو المتمتع ولا هدي عليه وهذا عندنا فاسد بما قدمناه وقوله تعالى
فما استيسر من الهدي فمن لم يجد فصيام ثلثة ايام في الحج وسبعة اذا رجعتم فالهدي واجب على المتمتع
بلا خلاف لظاهر التنزيل على خلاف فيه انه نسك او جبران فعندنا انه نسك وفيه خلاف فان لم يجد الهدي
ولا ثمنه صام ثلثة ايام في الحج وعندنا ان وقت صوم الثلثة ايام يوم قبل التروية ويوم التروية ويوم
عرفة فان صام في اول العشر جاز ذلك رخصة وان صام يوم التروية ويوم عرفة قضى يوما اخر بعد التشريق
فان فاته يوم التروية صام بعد انقضاء التشريق ثلثة ايام متتابعات وروي عن ابن عباس وابن عمر والحسن ومجاهد
انه يجوز ما بين احرامه في اشهر الحج الى يوم عرفة واستحبوا ان يكون يوما قبل التروية ويوم التروية ويوم عرفة و
وقت صوم السبعة ايام اذا رجع الى اهله وبه قال عطا وقتادة وقال مجاهد اذا رجع عن حجه في طريقه فاما ايام
التشريق فلا يجوز صومها عندنا وبه قال جماعة من المفسرين واختاره الجبائي لنهي النبي صلى الله عليه وآله عن صوم ايام
التشريق وروي عن ابن عمر وعايشة جواز ذلك وقوله تلك عشرة كاملة اختلفوا في معناه فقال الحسن و
الجبائي وهو المروي عن ابي جعفر عليه السلام ان المعنى كاملة من الهدي اي اذا وقعت بدلا منه استكملت ثوابه الثاني
ما ذكره الزجاج والبلخي انه لا ازالة الايهام لئلا يظن ان الواو بمعنى او فيكون كانه قال فصيام ثلثة ايام
في الحج او سبعة ايام اذا رجعتم لانه اذا استعمل او بمعنى الواو جاز ان يستعمل الواو بمعنى او كما قال فانكحوا
ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع والمراد او فذكر ذلك لارتفاع اللبس والثالث قال المبرد انه
اعاد ذلك للتاكيد كما قال الشاعر ثلث واثنتان فهن خمس وسادسة تميل الى سمام
وتقول ثلثت القوم اثلثهم فانا ثالثهم و ربما قالوا ثلثت الرجلين اي صرت لهما ثالثا والثلث جزء من ثلثة و
المثلث شكل على ثلثة اضلاع والمثلوث ما اخذ ثلثه والثلثا اليوم الثالث من الاحد والثلاثي ما نسب
الى الثلثة اشياء واصله الثلاثة من العدد واهل الرجل زوجته والتاهل التزوج واهل الرجل اخص الناس
به واهل البيت سكانه واهل الاسلام من يدين به واهل القران من يقراه ويقوم بحقوقه واهلته لهذا
الامر اي جعلته اهلا له والاهلي خلاف البري وقولهم مرحبا واهلا اي اختصاصا بالتحية والتكرمة وقيل هنا
ان اهل حاضري المسجد الحرام من كان من مكة او بينه وبينها اثنى عشر ميلا من اربع جوانبها وقال ابن
عباس ومجاهد وغيرهما انهم اهل الحرم وروي في اخبارنا ايضا ذلك وقال مكحول وعطا من بين مكة و
المواقيت وقيل هم اهل الحرم وروي في اخبارنا ايضا ذلك وقال مكحول ومن قرب منزله منها كاهل عرفة
وغيرهم ذهب اليه الزهري ومالك وقوله تعالى واعلموا ان الله شديد العقاب تقول عقب الشيء يعقب
بمعنى خلف بعد الاول واعقب عقابا وعاقبه معاقبة وعقابا وعقوبة وتعاقب تعاقبا واعتقب
اعتقابا وتعقب الراي تعقبا والعاقبة للمتقين اي خير الاخرة ويرد على اعقابنا اي نعقب بالشر بعد الخير
والعقبة ركوب اعقبه المشي له معقبات ملائكة الليل تخلف ملائكة النهار وعقب الانسان نسله وعقبه مؤخر
قدمه والعقبة المصعد في الجبل والعقب العصب العقاب الطائر واليعقوب ذكر القبيح ولا معقب لحكمه اي
لا راد لقضائه واصل الباب العقب الخلف بعد الاول **قوله تعالى** الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ
الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ
الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ اية بلا خلاف قرا ابن كثير وابو عمرو فلا رفث ولا فسوق

بالرفع ولا جدال بالنصب الباقون بالنصب فيهن تقدير الاية اشهر الحج اشهر معلومات فحذف المضاف و
اقام المضاف اليه مقامه واشهر الحج عندنا شوال وذو القعدة وعشر من ذي الحجة على ما روي عن ابي جعفر عليه السلام
وبه قال ابن عباس وابن عمر وابرهيم والشعبي ومجاهد والحسن واختاره الجبائي وقال عطا والربيع وابن
شهاب وطاووس اشهر الحج شوال وذو القعدة وذو الحجة وروي ذلك في اخبارنا وانما كانت هذه
اشهر الحج لان الاحرام بالحج لا يصح ان يقع الا فيها بلا خلاف وعندنا ان الاحرام بالعمرة التي يتمتع بها
لا يقع ايضا الا فيها ومن قال ان جميع ذي الحجة من اشهر الحج قال لان جميع ذي الحجة يصح ان يقع فيها شيء
من افعال الحج مثل صوم الثلثة ايام فانه يصح ان يقع في جميع ذي الحجة وكذلك يصح ان يقع ذبح الهدي
فيها وقال قوم ان المعنى واحد في قول الفريقين وقال اخرون هو مختلف من حيث ان الثاني معناه ان العمرة
لا ينبغي ان يكون في الاشهر الثلثة على الكمال لانها اشهر الحج والاول على انها لا ينبغي ان يكون في شهرين
وعشر من الثالث فقد روي عن ابن عمر ان يفصلوا بين الحج والعمرة فيجعلوا العمرة في غير اشهر الحج اتم الحج
احدكم واتم العمرة وروي ذلك عن القاسم بن محمد عن ابن شهاب عن عبد الله وابن سيرين وقد بينا مذهبنا
في ذلك فان قيل كيف جمع شهرين وعشرة ايام ثلثة اشهر قلنا لانه قد يضاف الفعل الى الوقت وان وقع
في بعضه ويجوز ان يضاف الوقت اليه كذلك تقول صليت صلاة يوم الجمعة وصلاة يوم العيد وان كانت
الصلاة في بعضه ويقال ابصرتهم زيد يوم كذا وخرج يوم كذا وان كان قدومه او خروجه في بعضه فكذلك
جاز ان يقال شهر الحج ذو الحجة وان كان في بعضه وانما يفرض فيهن الحج بان يحرم فيهن بالحج بلا خلاف و
بالعمرة التي يتمتع بها بالحج عندنا خاصة وفي الاحرام بالحج وافقنا فيه ابن عباس والحسن وقتادة وقال
ابن عمر ومجاهد انما يفرض فيهن بالتلبية وقال بعض المتاخرين يفرض بالعزم على اعمال الحج ولا يجوز
نصب اشهر في العربية على ما بيناه من المعنى من ان تقديره اشهر الحج اشهر معلومات او وقت الحج اشهر
معلومات وقد اجاز ذو الحج شهر ذي الحجة لانه معرفة كما تقول العرب المسلمون جانب والكفار جانب
بالرفع فاذا اضافوا نصبوا فقالوا المسلمون جانب ارضهم والكفار جانب بلادهم وانما جاز ذلك لان
النكرة لما جاءت على شرط الخبر في كونه نكرة من حيث كانت لفايدة فيه رفعت بانها خبر الابتداء فلما صارت
معرفة والخبر يطلب النكرة نصبت ليصح تقديره الاستقرار الذي هو نكرة كانك قلت الكفار مستقرون جانب بلادهم
ففايدة الاول من جانب وفايدة الثاني في مستقر وقوله تعالى فلا رفث فالرفث ههنا عند اصحابنا كناية عن الجماع
وهو قول ابن مسعود وقتاده واصله الافحاش في النطق كما قال العجاج عن اللغا ورفث التكلم وقيل الرفث
بالفرج الجماع وباللسان المواعدة للجماع وبالعين الغمز للجماع وقال ابن عباس وابن عمر وعطا المراد ههنا
المواعدة للجماع والتعريض للنساء به وقال الحسن الجماع والتعرض له بمواعدة او مداعبة كله رفث وقوله تعالى
ولا فسوق روى اصحابنا انه اراد الكذب والاولى ان يحمل على جميع المعاصي التي نهي المحرم عنها وبه قال ابن
عمر وقال الحسن المعاصي نحو القذف وشبهه وقال ابن عباس ومجاهد وعطا هو جميع المعاصي مثل ما قلناه
وقال بعضهم لا يجوز ان يكون المراد الا ما هي عند المحرم ههنا مما هو حلال له في غير الاحرام لاختصاصه بالنهي
عنه وهذا غلط لانه تخصيص للعموم بلا دليل وقد يقول القائل ينبغي ان تقيد لسانك في رمضان لئلا يبطل
صومك فيخصه بالذكر لعظم حرمته وقوله ولا جدال في الحج فالذي رواه اصحابنا انه قول لا والله وبلى
والله صادقا وكاذبا وللمفسرين فيه قولان احدهما قول ابن عباس وابن مسعود والحسن انه المراء والسباب
والاغضاب على جهة المحك واللجاج الثاني قال مجاهد والسدي انه لا جدال في ان الحج قد استدار في ذي الحجة
لانهم كانوا ينسؤن الشهور فيقدمون ويؤخرون فربما اتفق في غيره واما اشتقاقه في اللغة فالجدال و
المجادلة والمنازعة والمشاجرة والمخاصمة واحد وتقول جدلت الحبل اجدله واجدله جدلا اذا فتلته وجادلت
الرجل يجادله جدالا اذا خاصمته وتجادل تجادلا وجدلته تجديلا اذا القيته على الارض وتجدل تجدلا
وانجدل انجدالا والجديل زمام البعير والجدول نهر صغير والمجدل القصر والجدالة الارض ذات الرمل الرقيق

والاجدل الصقر وكل مقتول مجدول وغلام جادل اذا ترعرع واشتد والجديلة شريحة الحمام ورجل اجدل
المنكب فيه تطاطؤ بخلاف الاشراف من المناكب واصل الباب القتل والجدال القتال ومن نصب الثلث خرج
اللفظ مخرج عموم النفي للمبالغة في معنى النفي ومن دفع بعضا ونصب بعضا فلاختلاف المعنى لان الاول على
معنى النهي والثاني بمعنى الاخبار زمان الحج قد استدار في ذي الحجة فكان احق بالنصب لعموم النفي فاما
الاول فقد يقع من الخاطي فلا يصلح فيه عموم النفي هذا قول النحويين والصحيح ان الكل معناه النهي وان
خرج مخرج النفي والاخبار والمراد به النهي بلا خلاف ﴿و﴾ قوله تع وما تفعلوا من خير يعلمه الله معناه وما
تفعلوا من خير يجازكم الله العالم به لان الله عالم على كل حال الا انه جعل يعلمه في موضع يجازيه للمبالغة في
صفة العدل لانه يعاملكم معاملة من يعلمه اذا ظهر منكم فيجازي به وذلك تاكيد ان الجزاء لا يكون الا بالفعل
دون ما يعلم انه يكون منهم قبل ان يفعلوه ﴿و﴾ قوله تع وتزودوا فان خير الزاد التقوى قيل في معناه
قولان احدهما قال الحسن وقتاده ومجاهد ان قوما كانوا يرمون بازوادهم ويتسمون بالمتوكلة فقيل
لهم تزودوا من الطعام ولا تلقوا كلكم على الناس وخير الزاد مع ذلك التقوى والثاني تزودوا من الاعمال الصالحة
فان خير الزاد التقوى فذكر ذلك في الحج لانه احق شيء بالاستكثار من اعمال البر فيه والزاد الطعام الذي يتخذ
للسفر والمزود وعاء يجعل فيه الزاد وكل من انتقل بخير من عمل او كسب فقد تزود منه تزودا ﴿و﴾ قوله واتقون
يا اولي الالباب يعني يا ذوي العقول لان اللب العقل وانما سمي لبا لانه افضل ما في الانسان وافضل كل
شيء لبه ﴿قوله تع﴾ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ اَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فَاِذَا اَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللّٰهَ
عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدٰيكُمْ وَاِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّيْنَ اية واحدة بلا خلاف
هذه الاية فيها تصريح بالاذن في التجارة ونحوها في حال الاحرام لانهم كانوا يتحرجون بذلك في صدر
الاسلام على قول ابن عباس وابن عمر ومجاهد وعطا والحسن وقتادة وهو المروي عن ابي جعفر وابي
عبد الله عم والجناح هو الحرج في الدين وهو الميل عن الطريق المستقيم واصله الميل على ما مضى القول
فيه ﴿و﴾ قوله فاذا افضتم من عرفات يعني دفعتم من عرفة الى المزدلفة عن اجتماع كفيض الاناء عن امتلائه
تقول فاض الماء يفيض فيضا اذا انصب عن امتلاء وافاض افاضة في الحديث اذا اندفع فيه واستفاض
الخبر اذا شاع والافاضة الضرب بالقداح وفيض الصدر بما فيه البوح به والافاضة ملاء الحوض حتى
يفيض ورجل فياض جواد ودرع المفاضة وفوض اذا كانت سابغة وفيض البصرة نهرها واصل الباب
الفيض الانصباب عن الامتلاء وعرفات صرفت وان كان فيها التعريف والتانيث لانها على حكاية الجمع
كما يجب ان يحكى المذكر اذا سمي به ويجوز فيها ترك الصرف تشبيها بالواحد فيسقط التنوين ويترك الاعراب
كما كان في الجمع كقول امرئ القيس   تنورتها من اذرعات واهلها   بيثرب ادنى دارها نظر عال
والاول اختيار النحويين وقد اجاز بعضهم فتح التاء بغير تنوين على قياس طلحة وانشدوا البيت على ثلثة اوجه
اذرعات منونا مكسورا ومجرورا بلا تنوين ومفتوحا بلا تنوين وانكر الزجاج الوجه الثالث والمشعر هو
معلم المتعبد وقال المبرد المشعر بفتح الميم والعين مكان للشعور كالمدخل لمكان الدخول والمشعر بكسر
الميم الحديدة التي يشعر بها اي يعلم بها فكسرت لانها الة كالمحزر والمقطع والمخيط وقال الكسائي لا فرق
بين الفتح والكسر والمشعر الحرام هو المزدلفة وهو جمع بلا خلاف وسميت عرفات عرفات لان ابرهيم عم عرفها
بما تقدم له من النعت لها والوصف على ما روي عن علي ع وابن عباس وقال عطا والسدي وقد يروى ذلك
في اخبارنا انها سميت بذلك لان ادم وحوا اجتمعا فيه فتعارفا بعدان كانا افترقا وقيل سميت عرفات لعلوه
وارتفاعه ومنه عرف الديك ووجه التشبيه في قوله واذكروه كما هداكم ان الذكر بالشكر والثناء يجب
ان يكون بحسب الانعام والهداية في العظمة لانه يجب ان يكون الشكر كالنعمة في عظم المنزلة كما يجب ان يكون
على مقدارها لو صغرت النعمة ولا يجوز التسوية في الشكر بين من عظمت نعمته ومن صغرت ﴿و﴾ قوله وان
كنتم من قبله لمن الضالين معنى ان ههنا المخففة من الثقيلة بدلالة دخول لام الابتداء معها واذا خففت

لم تعمل وجاز دخولها على الاسم والفعل كقوله تع وان كل لما جميع لدينا محضرون واما كنتم فلا موضع
لها من الاعراب لانها بعد حرف غير عامل وليس لان موضع كما ليس لها موضع في الابتداء وانما هذه
الواو عطف جملة على جملة وروى جابر عن ابي جعفر ع قال لا جناح عليكم ان تبتغوا فضلا من ربكم معناه
ان تطلبوا المغفرة ﴿قوله تع﴾ ثُمَّ اَفِيْضُوْا مِنْ حَيْثُ اَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللّٰهَ اِنَّ اللّٰهَ غَفُوْرٌ
رَحِيْمٌ اية بلا خلاف قيل في معنى هذه الاية قولان احدهما قال ابن عباس وعايشة وعطا ومجاهد والحسن وقتادة
والسدي والربيع وهو المروي عن ابي جعفر انه امر لقريش وحلفاهم لانهم كانوا لا يقفون مع الناس بعرفة
ولا يفيضون منها ويقولون نحن اهل حرم الله لا نخرج عنه فكانوا يقفون بجمع ويفيضون منه دون عرفة
فامرهم الله تع ان يفيضوا من عرفة بعد الوقوف بها والثاني قال الضحاك والجبائي وحكاه المبرد لكنه
اختار الاول لانه خطاب لجميع الحاج ان يفيضوا من حيث افاض ابرهيم عم من مزدلفة والاول اجماع وهذا
شاذ وليس لاحد ان يقول على الوجه الاخر كيف يقال لابرهيم وحده الناس وذلك ان هذا جائز كما قال
الذين قال لهم الناس وانما كان واحدا بلا خلاف وهو نعيم بن مسعود الاشجعي وذلك مستعمل وقيل ان ابرهيم
لما كان اماما كان بمنزلة الامة التي يتبع في سنته فان قيل اذا كان ثم للترتيب فما معنى الترتيب ههنا قلنا الذي
رواه اصحابنا ان ههنا تقديما وتاخيرا وتقديره ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم ثم افيضوا
من حيث افاض الناس فاذا افضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام واستغفروا الله ان الله
غفور رحيم وقال قوم المعنى ثم افيضوا من المزدلفة والذي اجاب به المنادلون ان قالوا رتبت الافاضة
بعد المعنى الذي دل الكلام الاول عليه كانه قيل احرموا بالحج على ما بين لكم ثم افيضوا يا معشر قريش من
حيث افاض الناس بعد الوقوف بعرفة وهذا قريب مما قلناه وانما عدل الذي تاوله على الافاضة من مزدلفة
لانه راه بعد قوله فاذا افضتم من عرفات قال فامروا ان يفيضوا من مزدلفة بعد الوقوف بها كما امروا في عرفة
وقد بينا ترتيب الكلام في التاويل المختار والاستغفار هو طلب المغفرة كما ان الاستخبار طلب السؤال و
المغفرة التغطية للذنب بايجاب المثوبة وقيل في معنى الاستغفار قولان احدهما الحض عليه في تلك المواطن
الشريفة لانها خليقة بالاجابة الثاني استغفروه لما سلف من مخالفتكم في الوقوف والافاضة كما سنه الله تع
للناس عامة والفرق بين غفور وغافران في غفور مبالغة لكثرة المغفرة فاما غافر فيستحق الصفة فيه بوقوع
الغفران والعفو هي المغفرة وقد فرق بينهما بان العفو ترك العقاب على الذنب والمغفرة تغطية الذنب
بايجاب المثوبة ولذلك كثرت المغفرة في صفات الله تع دون صفات العباد فلا يقال استغفر السلطان
كما يقال استغفروا الله ﴿قوله تع﴾ فَاِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللّٰهَ كَذِكْرِكُمْ اٰبَاءَكُمْ اَوْ اَشَدَّ
ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُوْلُ رَبَّنَا اٰتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْاٰخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ اية بلا خلاف قوله تعالى
فاذا قضيتم معناه فرغتم منها واصل القضاء فصل الامر على احكام وقد يفصل بالفراغ منه لقضاء المناسك
وقد يفصل بالعمل له على تمام كقوله فقضيهن سبع سموات في يومين وقد يفصل بالاخبار على القطع
كقوله تع وقضينا الى بني اسرائيل وقد يفصل بالحكم كقضاء القاضي على وجه الالزام بالقهر والمناسك
المامور بها ههنا جميع افعال الحج المتعبد بها في قول الحسن وغيره من اهل العلم وهو الصحيح وقال مجاهد
هي الذبايح وقوله فاذكروا الله فالذكر هو العلم وقيل هو حضور المعنى للنفس بالقول او غيره مما هو كالعلة
لحضوره بها وقيل المراد به ههنا التكبير ايام منى لانه الذكر الذي يختص بالترغيب فيه على غيره من الاوقات
وقيل ايضا انه ساير الدعاء لله تع في ذلك الموطن لانه افضل من غيره وهو الاقوى لانه اعم وقوله كذكركم
اباءكم معناه ما روي عن ابي جعفر ع انهم كانوا يجتمعون يتفاخرون بالاباء وبماثرهم ويبالغون فيه وقوله
او اشد ذكرا انما شبه الاوجب بما هو دونه في الوجوب لامرين احدهما انه خرج على حال لاهل الجاهلية
كانت معتادة ان يذكروا اباءهم بابلغ الذكر على وجه التفاخر فقيل اذكروا الله كالذكر الذي كنتم تذكرون
به اباءكم في المبالغة او اشد ذكرا بما له عليكم من النعم هذا قول انس وابي وايل والحسن وقتادة والثاني

قال عطا اذكروه بالاستعانة به كذكركم اباكم الصبى لابيه اذا قال يا اباه والاول هو المعتمد وانما نصب
ذكرا ولم يخفض كما يخفض فى قولهم هذا الذكر اشد ذكر لان فيه ضميرا منهم نظيره قولك هم اشد ذكرا وفى
اشد ضميرهم ولو قلت عرفت به اشد ذكر الكان منصوبا على الحال فاما الذكر فعلى التمييز فان قيل
الامر بالذكر هٰهنا بعد قضاء المناسك ومعه قيل اجاز ابو على الوجهين واستشهد بقولهم اذا وقفت
بعرفات فادع الله واذا حججت فطف بالبيت الخلاق النصيب من الخير واصله التقدير فهو النصيب من
الخير على وجه الاستحقاق **قوله تعـ** وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً
وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ آية واحدة ربنا منصوب لانه منادى وتقديره يا ربنا وانما حذف حرف النداء لما
كان اصله تنبيه المنادى ليقبل عليك وكان الله عز وجل لا يغيب عنه شىء تعالى عن ذلك سقط حرف النداء
للاستغناء عنه فاما يا الله اغفر لى فيجوز ان يخرج مخرج التنبيه للتوكيد ان يقبل عليك برحمته و
لانك تسلك سؤال المحتاج ان تنبيه على حاله لان ذلك ابلغ فى الدعاء واحسن فى المعنى والفرق بين القول
والكلام ان القول يدل على الحكاية وليس كذلك الكلام نحو قال الحمد لله فاذا اخبرت عنه بالكلام
قلت تكلم بالحق والحكاية تكون على ثلثة اوجه حكاية على اللفظ والمعنى وحكاية على اللفظ فقط وحكاية
على المعنى فالاول نحو انبئونى انونى افرغ عليه قطرا اذا حكاه من يعرف لفظه ومعناه الثانى اذا حكاه
من يعرف لفظه دون معناه الثالث نحو ان يقول ائتونى افرغ عليه نحاسا فيكون حكاه على معناه دون لفظه
و قوله آتنا معناه اعطنا فالايتاء الاعطاء واصله الاتى والمجىء فاتى اذا كان منه المجىء فآتى اذا
حمل غيره على المجىء كما يقال اتاه ما يحب واتاه غيره ما يحب والحسنة التى سئلوها قيل فى معناه قولان احدهما
قال قتاده والجبائى واكثر المفسرين انه نعم الدنيا ونعم الاخرة الثانى قال الحسن العبادة فى الدنيا والجنة فى الاخرة
وسميت نعمة الله تعـ حسنة لانها مما يدعوا اليه الحكمة وقيل الطاعة والعبادة حسنة لانها مما يدعوا اليه
العقل و قوله تعـ وقنا عذاب النار فالوقا الحاجز الذى يسلم به من الضرر يقال وقاه يقيه وقاء ووقاية و
توقى هو توقيا واصل الوقا الحجز بين الشيئين واصل قنا اوقنا مثل احملنا فذهب الواو لسقوطها فى يقى
لوقوعها بين ياء وكسرة ثم اتبع سائر تصاريف الفعل ما لزمته العلة وسقط الف الوصل للاستغناء عنها
بحركة ما بعدها وحذفت الياء للوقف الذى هو نظير الجزم والفايدة فى الاخبار عنهم بهذا الدعاء الاقتداء
بهم فيه لانه لما حمد من الدعاء الاول رغب فى الثانى **قوله تعـ** أُولٰئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ
سَرِيعُ الْحِسَابِ آية بلا خلاف اولئك رفع بالابتداء وخبره لهم نصيب معناه اولئك لهم نصيب من كسبهم
باستحقاقهم الثواب عليه والنصيب الحظ وجمعه انصباء وانصبة وحد النصيب الجزء الذى يختص به البعض
من خير او شر والكسب الفعل الذى يجتلب به نفع او يدفع به ضرر وتقول نصب ينصب نصبا ونصب نصبا من
التعب وانصبنى هذا الامر انصابا وانتصب الشىء انتصابا وناصبه العداوة مناصبة والنصب فامثال الشىء
والنصب الرفع نصب القوم السير اذا رفعوه وكل شىء رفعته فقد نصبته ومنه نصب الحرف لان الصوت يرفع
فيه الى الغار الاعلى والنصب تغير الحال من مرض وتعب والنصب جمع انصاب وهى حجارة كانت تنصب فى الجاهلية
ويطاف بها ويتقرب عندها وهى التى ذكرها الله تعـ فى قوله وما ذبح على النصب وقال والانصاب والازلام
وانصاب الحرم حدوده وهى حجارة تنصب ليعرف بها الحرم ونصاب السكين وغيره معروف وفلان فى نصاب
صدق اى فى حسب ثابت والنصبة السارية والمنصب الذى ينصب عليه القدر وكل شىء استقبلته به شيئا فقد
نصبته واصل الباب القيام و قوله تعـ والله سريع الحساب يعنى فى العدل من غير حاجة الى حظ ولا عقد لانه
عز وجل عالم به وانما يحاسب العبد مظاهرة فى العدل واحالة على ما يوجبه الفعل من خير او شر والسرعة هو
العمل القصير المدة تقول سرع سرعة واسرع المشى اسراعا وسارع اليه مسارعة وتسرع تسرعا وتسارع
تسارعا وقيل فلان فى سرعان قومه اى فى اوائلهم المتسرعين واليسروع دويبة تكون فى الرمل واصل
الباب السرعة وتقول من الحساب حسب الحساب يحسبه حسبا وحسب الشىء حسبانا وحاسبه محاسبة وحسابا و

تحاسبوا تحاسبا واحسب احتسابا واحسبنى من العطاء احسابا اى كفانى وعطاء حسابا اى كافيا والحسبان
سهام صغار وقيل منه فيرسل عليها حسبانا من السماء وقيل هذا باد المحسبة وسادة من ادم والحسبة عيرة
مثل كدرة وحسب الرجل ما اثر اباءه وافعل ذلك بحسبها او لينتى وحسبى اى يكفينى ويرزق من يشاء بغير
حساب اى بغير تضييق والشمس والقمر بحسبان اى قدرلهما مواقيت معلومة لا يعدوا به والتحسيب دفن
الميت بحجارة واصل الباب الحساب والحسبان الظن لانه كالحساب فى الاعتداد به والعمل به على بعض
الوجوه وروى عن على عم انه قال معناه انه يحاسب الخلق دفعة كما يرزقهم دفعة **قوله تعـ** وَاذْكُرُوا اللَّهَ
فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَىٰ وَاتَّقُوا
اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ آية بلا خلاف هذا امر من الله تعـ للمكلفين ان يذكروا الله فى
الايام المعدودات وهى ايام التشريق ثلثة ايام بعد النحر وهو قول ابن عباس والحسن ومالك والايام
المعلومات عشر ذى الحجة وهو قول ابن عباس ايضا وذكر الفراء ان المعلومات هى ايام التشريق والمعدودات
العشر وفيه خلاف ذكرناه فى اختلاف الفقهاء وسميت معدودات لانها قلايل كما قال وشروه بثمن بخس
دراهم معدودة اى قليلة والجمع بالالف والتاء يصلح للقليل والكثير والقليل اغلب عليه وانكر الزجاج
ما يروى فى قول حسان لنا الجفنات الغر يلمعن بالضحى واسيافنا يقطرن من نجدة دما
من انه عيب عليه وزعم ان الجمع موضوع وقال الالف والتاء يصلح للكثير قال الله تعـ وهم فى الغرفات
امنون وقال ان المتقين فى جنات وعيون وانما احتمل هذا الجمع القليل والكثير لان جمع السلامة على طريقة
واحدة لا يتميز فيه قليل من كثير وكان القليل اغلب عليه لشبهه بالتثنية والاية تدل على وجوب التكبير
فى هذه الايام وهو ان يقولوا الله اكبر الله اكبر لا اله الا الله والله اكبر الله اكبر ولله الحمد وبه قال
الحسن والجبائى وزاد اصحابنا على هذا القدر الله اكبر على ما هدانا والحمد لله على ما اولانا ورزقنا من
بهيمة الانعام واول التكبير عندنا لمن كان بمنا عقيب الظهر من يوم النحر الى الفجر يوم الرابع من النحر عقيب
خمس عشرة صلاة وفى الامصار عقيب الظهر من يوم النحر الى عقيب الفجر يوم الثانى من التشريق عقيب عشر
صلوات واختار الجبائى من صلوة الغداة من يوم عرفة الى صلوة العصر اخر يوم التشريق وفيه خلاف ذكرناه
فى الخلاف و قوله تعـ فمن تعجل فى يومين فلا اثم عليه ومن تاخر فلا اثم عليه المعنى فى ذلك الرخصة فى جواز
النفر فى اليوم الثانى من التشريق وان اقام الى النفر الاخير وهو اليوم الثالث من التشريق كان افضل فان نفر
فى الاول نفر بعد الزوال الى الغروب فان غربت فليس له ان ينفر وقال الحسن انما له ان ينفر بعد الزوال الى
وقت العصر فان ادركته صلوة العصر فليس له ان ينفر الا يوم الثالث وليس للامام ان ينفر فى النفر الاول و
به قال الحسن و قوله تعـ فلا اثم عليه قيل فيه قولان احدهما لا اثم عليه لتكفير سيئاته بما كان من حجه المبرور
وهو معنى قول ابن مسعود الثانى قال الحسن لا اثم عليه فى تعجله ولا تاخره وانما نفى الاثم لئلا يتوهم ذلك
متوهم فى التعجل وجاء فى التاخر على مزاوجة الكلام كما تقول ان اظهرت الصدقة فجايز وان اسررتها فجايز
والاسرار افضل و قوله تعـ لمن اتقى قيل فيه قولان احدهما لما قال فلا اثم عليه دل على وعده بالثواب
فقيده بالتقوى لله تعـ لئلا يتوهم انه بالطاعة فى النفر فقط والثانى انه لا اثم عليه فى تعجله اذا
لم يعمل الضرب من ضروب الفساد ولكن لاتباع اذن الله فيه وقالوا معنى تجديد الامر بالتقوى هٰهنا التحذير
من الاتكال على ما سلف من اعمال البر فى الحج فبين ان عليهم مع ذلك ملازمة التقوى ومجانبة المعاصى
وروى اصحابنا ان قوله لمن اتقى متعلق بالتعجل فى اليومين وتقديره فمن تعجل فى يومين فلا اثم عليه
لمن اتقى الصيد الى انقضاء النفر الاخير وما بقى من احرامه ومن لم يتقها فلا يجوز له النفر فى الاول
وهو اختيار الفراء والمروى عن ابن عباس وروى عن ابى عبد الله عم فى قوله تعـ فمن تعجل فى يومين اى
من مات فى هذين اليومين فقد كفر عنه كل ذنب ومن تاخر اى انسى اجله فلا اثم عليه بعدها اذا اتقى
الكبائر والعامل فى اللام فى قوله لمن اتقى قيل فيه قولان احدهما ذلك لمن اتقى فحذف ذلك لان الكلام

الاول دل على وعد للعامل والثانى ان يكون العامل معنى لا اثم عليه لانه قد تضمن معنى جعلناه لمن اتقى
وقوله تع واتقوا الله معناه اجتنبوا معاصى الله واعلموا انكم اليه تحشرون اى تحققوا انكم بعد موتكم
ترددون الى الله فيجازيكم على اعمالكم تقول حشر يحشر حشرا فالحشر جمع القوم من كل ناحية الى مكان والمحشر
مجتمعهم وهو المكان الذى يحشرون فيه وحشرتهم السنة اذا اجحفت بهم لانها تضمهم من النواحى الى المصر وسهم
حشر خفيف لطيف لانه ضامر باجتماعه ومنه اذن حشرة لطيفة ضامرة وحشرات الارض دوابها الصغار
الواحدة حشرة لاجتماعها من كل ناحية ودابة حشور اذا كان ملزز الخلق شديدة ورجل حشور اذا كان
عظيم البطن وحشرت السنان فهو محشور اذا رققته والطفته واصل الباب الاجتماع **قوله تع** وَمِنَ
النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللّٰهَ عَلٰى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ اَلَدُّ الْخِصَامِ اية واحد
قال الحسن المعنى بهذه الاية المنافق وقال قوم المعنى بها المرائى وقيل انها نزلت فى الاخنس بن شريق
ذكره السدى وغيره والاعجاب هو السرور بالشئ سرور العجب بما يستحسن ومنه العجب بالنفس والسرور بها
سرور العجب من الشئ استحسانا له وذلك اذا تعجب من شده حسنه وتقول عجب عجبا وتعجب تعجبا وعجبه
تعجيبا واعجبه اعجابا واستعجب استعجابا اى اشتد تعجبه والعجاب العجيب واعجبنى هذا اذا كان حسنا جدا
والمعجب بنفسه او بالشئ معروف وقال الازهرى العجب كل شئ غير مألوف وعجب الذنب العظم الذى ينبت
عليه شعر الذنب فى المعرفة ورأيت اعجوبة واعاجيب اصل الباب العجب **و** قوله تع فى الحيوة الدنيا اى فى
الحيوة الدنيا فالحى هو من لا يستحيل وهو على ما هو عليه ان يكون عالما قادرا وقوله ويشهد الله على ما فى
قلبه فاصل الاشهاد هو الاقرار بالشئ ليشهد به المقر عنده والمراد فى الاية من يقر بالحق ويقول اللهم
اشهد على وضميره على خلافه **و** قوله تع وهو الد الخصام يقال لده يلده لدا اذا غلبه فى الخصومة و
لده يلده اذا اوجره فى احد شقى فمه ولددت فلد لددا وهو شدة الخصومة وجانبا كل شئ لديداه ومنه
لديدا الوادى ولديدا العنق صفحتاه ولده عن كذا اذا حبسه والتلدد التلفت عن تحير واصل الباب اللديد
الجانب والخصام هو المخاصمة يقوم خاصمه يخاصمه مخاصمة وخصاما وتخاصما تخاصما واختصما اختصاما
واستخصمهم استخصاما والخصم طرف الداية الذى بحبال العولاء فى موخرها وطرفها الاعلى العصم
والاخصام من كل شئ جوانبه كجوانب الجوالق الذى فيه العرى يحمل به واصل الباب الخصومة ومعنى الد
فى الاية هو الشديد الفتل بالخصومة الى ما يريد قال الشاعر ثم اردى وبهم من يردى ملد اقران
الخصوم اللد وقال الزجاج الخصام جمع خصم والمعنى هو اشد المخاصمين خصومة وقال غيره هو مصدر
ومعنى الاية انه تع وصف المنافقين فقال ومن الناس من يعجبك يا محمد قوله فى الظاهر وباطنه بخلافه
ويستشهد الله على ما فى قلبه وهو الد الخصام جدل مبطل ومن قرأ ويشهد الله بفتح الباء معناه انه
تعالى يشهد عليه بنفاقه واظهاره خلاف ما يبطنه والقراءة العامة هى الاولى **قوله تع** وَاِذَا تَوَلّٰى
سَعٰى فِي الْاَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللّٰهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ اية واحدة فى قوله تعالى
واذا تولى ضمير عمن تقدم ذكره وهو من يعجبك قوله فى الحيوة الدنيا والتولى هو الانحراف والزوال
عن الشئ الى خلاف جهته والسعى هو الاسراع فى المشى وقيل انه العمل وقال الاعشى وسعى لكندة سعى
غير مواكل قيس فضر عدوها وبنى لها اى عمل لها وقوله فى الارض دخلت الالف واللام فى الارض
لتعريف الجنس لان الارض وان كانت واحدة بعينها فلو خلق الله مثلها لكانت ارضا كما ان الشمس والقمر
كذلك فارقت لك زيدا وعمروا فى اسماء الاعلام وامتناع دخول الالف واللام عليهما لان الله تع لو خلق
مثل زيد لم يجب ان يكون زيدا على ان الارضين لسبعة كما قال تع الذى خلق سبع سموات ومن الارض
مثلهن فعلى هذا لا يتوجه السؤال والافساد هو عمل الضرر بغير استحقاق ولا وجه من وجوه المصلحة والاهلاك
العمل الذى ينفى الانتفاع **و** قوله ليفسد فيها نصب باضمار ان ويجوز اظهارها فيقول لان يفسد فيها
ولا يجوز اظهارها فى قوله ما كان الله ليذر المومنين وانما جاز حذفها فى ليفسد لدلالة الكلام عليها

مع قوتها فى حروف الاضافة حتى حذفت فى قولهم غلام زيد وما اشبهه مع كثرته فى الكلام وجاز اظهارها
لانه الاصل من غير مانع فى الاستعمال وانما امتنع فى قوله ليذر لما يرجع الى المعنى لان معناه كمعنى ما كان
زيد ليفعل اى ما كان فاعلا فلما تضمن غير المعنى الذى توجبه صورته لم يتصرف فى لفظه ولانه لما كان
محمولا على تاويل معنى لم يذكر حمل اليه على تاويل لفظ لم يذكر والفرق بين دخول اللام فيها ان اللام دخلت
فى ليفسد على اضافة السعى الى الفساد على اصل الاضافة فى الكلام ودخولها فى ليذر فانما هو لتاكيد النفى بتحقيق
تعلقه بالخبر كما دخلت الباء فى ليس زيد بقائم لان النفى لما كان للخبر وولى حرف النفى الاسم دخلت الباء لتدل
على اتصاله فى المعنى بحرف النفى والحرث الزرع والنسل العقب من الولد وقال الضحاك الحرث كل نبات والنسل
كل ذات روح ويقال نسل ينسل نسولا اذا خرج فسقط فمنه نسل وبر البعير او شعر الحمار او ريش الطاير والنسالة قطعة
من الوبر قال تع الى ربهم ينسلون اى يسرعون لانه اسراع الخروج بحدة والنسل الولد لما نسل بعضه بعد بعض
والناس نسل ادم لخروجهم من ظهره والنسل والنسلان حدة من عدو والذئب فيه اضطراب فى النسيلة فتيلة السراج
واصل الباب النسول الخروج وحكى الزجاج ان الحرث الرجال والنسل الاولاد وذكر الازهرى ان الحرث النساء
والنسل الاولاد لقوله تع نساؤكم حرث لكم وقوله تع والله لا يحب الفساد يدل على فساد قول المجبرة ان الله
تع يريد القبايح لان الله تع نفى عن نفسه محبة الفساد والمحبة هى الارادة لان كل ما احب الله ان يكون فقد
اراد ان يكون وما لا يحب ان يكون لا يريد ان يكون ومعنى الاية اذا خرج هذا المنافق من عندك يا محمد غضبان
عمل فى الارض بما حرم الله عليه وحاول معصيته وقطع الطريق وافسد النسل والحرث على عباده والله لا يحب
الفساد **قوله تع** وَاِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللّٰهَ اَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْاِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ اية بلا
خلاف قيل فى المعنى بهذه الاية قولان احدهما قال ابن عباس انه كل منافق والثانى قال السدى انه الاخنس بن
شريق والاتقاء طلب السلامة بما يحجز من المخافة واتقاء الله انما هو اتقاء عذابه وقوله اخذته العزة قيل
فى معناه قولان احدهما قال الحسن اخذته العزة الى الاثم كما تقول اخذت فلانا بان يفعل اى دعوته الى ان
يفعل ومعنى قوله واذا قيل له اتق الله اخذته العزة بالاثم هو الاشعار بالدليل على نفاقه لفضيحته بذلك عند
المؤمنين على ما قاله قتادة ويجوز ان يكون الذم له على تلك الحال القبيحة وقوله ولبئس المهاد الوطاء فان
قيل كيف قيل لجهنم مهاد قلنا عنه جوابان احدهما قال الحسن معناه القرار ههنا والقرار كالوطاء فى
الثبوت عليه الثانى لانها بدل من المهاد كما قال تع فبشرهم بعذاب اليم لانه موضع البشرى بالنعيم على
جهة البدل منه والمهاد فى اللغة الوطاء من كل شئ تقول مهدت الفراش تمهيدا وكل شئ وطأته فقد
مهدته وتمهد الشئ اذا توطى وكذلك امتهد امتهادا ومهد الصبى معروف وجمع المهاد مهد وثلثه
امهدة والارض مهاد لاجل توطئه للنوم والقيام عليه واصل الباب التوطية والاخذ ضد الاعطاء و
العزة القوة التى يمتنع بها من الذلة ومعنى الاية ان هذا المنافق الذى نعته لك بانه يعجبك قوله فى الحيوة
الدنيا اذا قيل له اتق الله فى سعيك فى الارض بالفساد واهلاك الحرث والنسل دخلته عزة وحمية فقال
تعالى تكفاه عقوبته من ضلاله ان يصلى نار جهنم فانها بئس المهاد لمن يصلاها **قوله تع** وَمِنَ النَّاسِ
مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللّٰهِ وَاللّٰهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ اية بلا خلاف قال قتادة نزلت هذه الاية
فى المهاجرين والانصار وقال عكرمة نزلت فى ابى ذر الغفارى جندب بن السكن وصهيب بن سنان لان اهل
ابى ذر اخذوا ابا ذر فانفلت منهم فقدم على النبى صلعم فلما رجع مهاجرا عرضوا له وكان بمر الظهران فانفلت
ايضا منهم حتى قدم النبى صلعم فلما رجع مهاجرا عرضوا له فانفلت حتى نزل على النبى صلعم فاما صهيب فانه اخذه
المشركون من اهله فافتدى منهم بماله ثم خرج مهاجرا فادركه منقذ بن عمير بن جدعان فخرج له مما
بقى من ماله وخلى سبيله وروى عن ابى جعفر عم انه قال نزلت فى على عم حين بات على فراش رسول الله صلعم
لما ارادت قريش قتله حتى خرج رسول الله صلعم وفات المشركين اغراضهم وبه قال عمر بن شبة وروى عن
على عم وابن عباس ان المراد بالاية الامر بالمعروف والنهى عن المنكر وقال الحسن هى عامة فى كل من يبيع

نفسه لله بان يقيم نفسه فی جهاد عدوه والامر بالمعروف والنهی عن المنکر وغیر ذلک مما امر الله
به وتوعّد علی خلافه وقوله تعـ یشری نفسه معناه یبیع نفسه وقد بیّنا فیما مضی ان الشرا یکون بمعنی البیع
کما قال وشروه بثمن بخس ای باعوه وقال الشاعر وشریت بردا لیتنی من بعد برد کنت هامه ای بعت
والشرا استبدال العوض بالثمن وشری باع واشتری ابتاع وشری ههنا مجاز لان اصله فی الاثمان من العین
والورق ولذلک لا یقال باع متاعه اذا تصدّق به لان الاظهر اذا اطلق انه باعه بالثمن و قوله تعـ ابتغاء
مرضات الله معناه طلب رضاه وهو نصب علی انه مفعول له وتقدیره لابتغاء مرضات الله ومثله حذر الموت
قال الشاعر واغفر عوراء الکریم ادخاره واعرض عن شتم اللئیم تکرما ولا یجوز قیاسا علی ذلک
فعله زیدا ای لزید ویجوز فعله خوفا لان فی ذکر المصدر دلیلا علی الغرض الداعی الی الفعل ولیس کذلک
ذکر زید والمرضاة والرضی واحد وهو ضدّ السخط قوله تعـ والله رؤف بالعباد قد بیّنا فیما مضی معنی
الرؤف والخلاف فیه ومعناه ذو رحمة واسعة بعبده الذی شری نفسه له فی جهاد من جاهد فی امره من اهل
الشرک والفسوق وانما ذکر الرؤف بالعباد ههنا للدلالة علی انه انما رغّب العبد فی بیع نفسه بالجهاد فی سبیله
رافته به وحسن نظر له لیبلغه من الثواب المستحق علی عمله ما لا یجوز ان یصل الیه فی جلالته الا بتلک المنزلة
قوله تعـ یٰٓاَیُّهَا الَّذِیْنَ اٰمَنُوا ادْخُلُوْا فِی السِّلْمِ کَآفَّةً وَّلَا تَتَّبِعُوْا خُطُوٰتِ الشَّیْطٰنِ اِنَّهٗ لَکُمْ
عَدُوٌّ مُّبِیْنٌ ایة واحدة قرا اهل الحجاز والکسائی السَّلم بفتح السین الباقون بکسرها قال الاخفش السلم بکسر السین
الصلح وبفتحها وفتح اللام الاستسلام وقال الزجاج السلم جمیع شرایعه ویقال السّلم والسِّلم معناهما الاسلام
والصلح وفیه ثلاث لغات کسر السین وفتحها مع تسکین اللام وفتحها وقال ابو عبیدة السّلم بکسر السین والاسلام
واحد وهو فی موضع اخر المسالمة والصلح وقال ابن عباس والسدی والضحاک ومجاهد معنی السلم ههنا الاسلام
وبه قال قتادة وقال الربیع معناه ادخلوا فی الطاعة وهو اختیار البلخی قال لان الخطاب للمؤمنین بقوله
یا ایها الذین امنوا واختار الطبری الوجه الاول والامران جمیعا عندنا جایزان محتملان وحملها علی الطاعة
اعم ویدخل فیه ما رواه اصحابنا من ان المراد به الدخول فی الولایة قال ابو علی من قرا بفتح السین ذهب
الی ان معناه المسالمة والصلح وترک الحرب باعطاء الجزیة ومن کسرها اختلفوا فمنهم من حمله علی الاسلام
ومنهم من حمله علی الصلح ایضا و قوله تعـ کافة معناه جمیعا وهو نصب علی الحال من ضمیر المؤمنین وقیل من حال
السلم واشتقاقه فی اللغة مما یکف الشیء فی اخره من ذلک کفة القمیص یقال الحاشیة القمیص کفة وکل مستطیل
فحرفه کفة ویقال فی کل مستدیر کفة نحو کفة المیزان وانما سمیت کفة الثوب لانها تمنعه ان ینتشر واصل الکف
المنع ومنه قیل لطرف الید کف لانها یکف بها عن سایر البدن وهی الراحة مع الاصابع ومن هذا قیل رجل
مکفوف ای قد کف بصره ان یبصر وکفّ الشیء یکف کفا اذا انقبض عنه وکل شیء جمعته فقد کففته
واستکف السایل اذا بسط کفه نیل واستکف القوم بالشیء اذا احدقوا به وتکفف السایل اذا مدّ کفه للسؤال
ولقیته کفة لکفة اذا لقیته مفاجاة والمکفوف الاعمی والکفف دارات الوسم والکفة ما یصاد به الظباء
کالطوق فمعنی الایة علی هذا ابلغوا فی الاسلام الی حیث تنتهی شرایعه فتکفوا من ان تعدوا شرایعه وادخلوا
کلکم حتی یکف عن عدد واحد لم یدخل فیه وقیل فی معنی الایة ان قوما من الیهود اسلموا واقاموا علی تحریم
السبت وتحریم لحم الابل فامرهم الله تعـ ان یدخلوا فی جمیع شرایع الاسلام وقال بعض اهل اللغة جایز
ان یکون امرهم وهم مؤمنون ان یدخلوا فی الایمان ای ان یقیموا علی الایمان کما قال یا ایها الذین امنوا
امنوا بالله ورسوله وکلا القولین جایز و قوله ولا تتبعوا خطوات الشیطان ای لا تتبعوا اثاره لان
ترککم شیئا من شرایع الاسلام اتباع للشیطان وخطوات جمع خطوة وفیها ثلث لغات خطوات بضم الطاء
وفتحها واسکانها و قوله تعـ انه لکم عدو مبین عداوته للمؤمنین وابانة عداوته لنا هو ان بینها لمن
یراه من الملئکة والجن ونحن وان لم نشاهده فقد علمنا معاداته لنا ودعاه ایانا الی المعاصی فجاز ان یسمی
ذلک ابانة وقال الجبائی ابان عداوته لادم والملئکة فکان بذلک مبینا لعداوته ایانا قوله تعـ

فَاِنْ زَلَلْتُمْ مِّنْۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْکُمُ الْبَیِّنٰتُ فَاعْلَمُوْٓا اَنَّ اللّٰهَ عَزِیْزٌ حَکِیْمٌ ایة واحدة انزل الله تعالی
هذه الایة وقد علم انه سیزل الزالون من الناس فتقدّم فی ذلک واوعد فیه لکی تکون الحجة علی خلقه یقال
زل یزل زلّا وزللا ومزلا وزلولا ومعنی الایة فان زللتم بمعنی تنحیتم عن القصد والشرایع وترکتم ما انتم
علیه من الدّین من بعد ما جاءتکم البینات فاعلموا ان الله عزیز حکیم فی نقمته حکیم فی امره لا یعجزونه
وحکیم فیما شرع لکم من دینه وفطرکم علیه وفیما یفعل بکم من عقوبته علی معاصیکم ایاه بعد اقامة الحجة
علیکم وذکر جماعة من اهل التاویل ان البینات هم محمد والقران ذهب الیه السدی وابن جریج وغیرهما وقیل
زل فی الایة مجاز تشبیها بمن زل عن قصد الطریق وحقیقته عصیتم الله فیما امرکم به ونهاکم عنه والاولی
ان یکون ذلک حقیقة بالعرف وفی الایة دلالة علی بطلان مذهب المجبرة ان الله یرید القبیح لانه لو اراده
لما صح وصفه بانه حکیم فان قیل سواء زل العباد او لم یزلوا وجب ان یعلم ان الله عزیز حکیم فما معنی الشرط
قیل لان معنی عزیز هو القادر الذی لا یجوز علیه المنع من عقابکم حکیم فی عقوبته ایاکم فکانه قال فاعلموا
ان العقاب واقع بکم لا محالة لانه عزیز لا یجوز ان یحول بینه وبین عقوبتکم حایل ولم یمنعه مانع حکیم فی عقوبته
ایاکم وذلک ان حرکتهم ووصفه بانه عزیز انه قدیر لا یمتنع لانه قادر لنفسه وحکیم معناه علیم بتدبیر الامور
ویقال الحکیم فی افعاله بمعنی محکم لها واصل العزة الامتناع ومنه ارض عزاز اذا کانت ممتنعة بالشدة واصل
الحکمة المنع من قول الشاعر ابنی حنیفة احکموا سفهاءکم انی اخاف علیکم ان اغضبا
ومنه حکمة الدابة قوله تعـ هَلْ یَنْظُرُوْنَ اِلَّآ اَنْ یَّاْتِیَهُمُ اللّٰهُ فِیْ ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلٰٓئِکَةُ وَقُضِیَ
الْاَمْرُ وَاِلَی اللّٰهِ تُرْجَعُ الْاُمُوْرُ ایة واحدة قرا ابو جعفر والملئکة بالخفض الباقون بضمها و قرا ابن عامر و
حمزة والکسائی ترجع الامور بفتح التاء الباقون بضمها الظلل جمع ظلة ومعنی الایة ان یاتیهم عذاب الله
وما توعدهم به علی معصیته کما قال فاتاهم الله من حیث لم یحتسبوا ای اتاهم خذلانه ایاهم والمختار عند
اهل اللغة الرفع فی الملئکة عطفا علی الله کانه قال وتاتیهم الملئکة ومن کسر عطف علی ظلل وتقدیره
فی ظلل من الغمام وظلل من الملئکة و قوله وقضی الامر ای فرغ لهم مما کانوا یوعدون به و قوله والی الله ترجع
الامور لا یدل علی ان الامور لیست الیه الان وفی کل وقت ومعنی الایة الاعلام فی امر الحساب والثواب والعقاب
ای الیه یصیرون فیعذب من یشاء ویرحم من یشاء فلا حاکم سواه ویحتمل ان یکون المراد انه لا احد ممن یملک فی
دار الدنیا الا ویزول ملکه ذلک الیوم وشبهت الاهوال بالظلل من الغمام کما قال موج کالظلل ومعنی الایة
ما ینتظرون یعنی المکذبین بایات الله محمد وما جاء به من القران والایات الا ان یاتیهم امر الله وعذابه
فی ظلل من الغمام والملئکة فهل بمعنی ما کما یقول القایل هل یطالب بمثل هذا الا متعنت ای ما یطالب وینظرون
فی الایة بمعنی ینتظرون وقد یقال اتی وجاء فیما لا یجوز علیه المجیء والذهاب یقولون اتانی وعید فلان وکلام
فلان واتانی حدیث فلان وکل ذلک لا یراد به الاتیان الحقیقی قال الشاعر اتانی کلام عن نصیب یقوله
وما خفت یا سلام انک عایبی وقال اخر اتانی نصرهم وهم بعید بلادهم بارض الخیزران
فکان المعنی فی الایة ان الناس فی الدنیا یعتصم بعضهم ببعض ویفزع بعضهم الی بعض فی الکفر والعصیان
فاذا کان یوم القیمة انکشف الغطاء وایقن الشاک واقر الجاحد وعلم الجاهل فلم یعصم احدا من الله احد
ولم یکن له من دون الله ناصر ولا من عذابه دافع وعلم الجمیع ان الامر کله لله قوله تعـ سَلْ بَنِیْٓ اِسْرَآءِیْلَ
کَمْ اٰتَیْنٰهُمْ مِّنْ اٰیَةٍۢ بَیِّنَةٍ ؕ وَمَنْ یُّبَدِّلْ نِعْمَةَ اللّٰهِ مِنْۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ فَاِنَّ اللّٰهَ شَدِیْدُ الْعِقَابِ ایة واحدة
اهل الحجاز یقولون سل بغیر همزة وبعض بنی تمیم یقولون اسل بالهمز وبعضهم یقول اسل بالالف فی حرف
الهمز والاولی احسنها لانها خط المصحف وفی الایة تعریف وتنبیه وتقریع للکفار من بنی اسرائیل ونظیره
قول الرجل لصاحبه اذا فرغ ویحوه واراد ان یلزمه الحجة ویبین عن کفرانه للنعمة لیوقع به العقوبة لمن
بحضرته سله کم احدثت الیه وحدثته والایات البینات ما ذکرها الله تعـ من قلب عصا موسی حیة ویده
البیضاء وفلقه البحر وتغریقه عدوهم من فرعون واصحابه وتظلیله علیهم الغمام وانزال المن والسلوی

وذلك من ايات الله التي اتى بها بني اسرائيل فخالفوا جميع ذلك وقتلوا انبياءه ورسله وبدلوا عهده و
وصيته اليهم وقوله ومن يبدل نعمة الله معناه يغير يعني بها الاسلام وما فرض فيه من شرايع دينه بعد ما
عهد اليه وامره به من الدخول في الاسلام والعمل بشرايعه فيكفر به فانه يعاقبه بما اوعد على الكفر به من
العقوبة والله شديد العقاب وقال الزجاج فيه حذف وتقديره شديد العقاب له ويجوز ان يكون معناه
شديد العقاب لكل من يستحقه فيدخل فيه هذا المذكور فاما ان يكون على معنى شديد العقاب لغيره فلا
يجوز اذا لم يكن المذكور مدخل فيه وفي الاية دلالة على فساد قول المجبرة من انه ليس لله على الكافر نعمة لانه
حكم عليهم بتبديل نعم الله كما قال يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها واكثرهم الكافرون وقال بدلوا نعمة الله
كفرا واحلوا قومهم دار البوار **قوله تعالى** زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا
وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ آية واحدة انما ترك التانيث في
قوله زين والفعل فيها مسند الى الحياة وهي المرتفعة به لانها لم يسم فاعلها لشيئين احدهما ان تانيث الحياة
ليس بحقيقي وما لا يكون تانيثه حقيقيا جاز تذكيره كقوله تعالى فمن جاءه موعظة من ربه وقوله قد جاءكم بينات
واخذ الذين ظلموا الصيحة والثاني انه لما فصل بين الفعل والفاعل بغيره جاز ترك التانيث وقد ورد ذلك
في التانيث الحقيقي وهو قولهم حضر القاضي اليوم امراة فاذا جاز ذلك في التانيث الحقيقي ففيما ليس بحقيقي
اجوز وقد قيل انما ترك التانيث في هذا الموضع لانه قصد بها المصادر فترك لذلك التانيث وقيل في معنى
تزيين الحيوة الدنيا قولان احدهما قال الحسن والجبائي وغيرهما ان المزين لهم ابليس وجنوده لانهم الذين
يغوون ويقوون دواعيه ويحسنون فعل القبيح والاخلال بالواجب ويسوفون لهم التوبة فاما الله تعالى فلا يجوز
ان يكون المزين له لانه زهد فيها واعلم انها متاع الغرور وتوعد على ارتكاب القبايح فيها والقول الثاني
ان الله تعالى خلق فيها الاشياء المعجبة فنظر اليها الذين كفروا باكثر من مقدارها كما قال زين للناس حب الشهوات
من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث وانما اراد بذلك
ما جبل الخلق عليه من الميل الى هذه الاشياء لانه حسّن جميعها ولم يقبح شيئا منها وكلاهما جايزان حسنان و
التزيين والتحسين واحد والزين خلاف الشين والزينة اسم جامع لكل ما يتزين به وهذا امر ازين له اي حسن له
وقوله ويسخرون من الذين امنوا معناه ان قوما من المشركين كانوا يسخرون من قوم من المسلمين لان حالهم
في ذات اليد كانت قليلة فاعلم الله تعالى ان الذين اتقوا فوقهم يوم القيمة لان المسلمين في عليين والفجار في الجحيم
كما قال تعالى ان الذين اجرموا كانوا من الذين امنوا يضحكون ثم اخبر عن المؤمنين انهم يضحكون منهم في الاخرة
فقال فاليوم الذين امنوا من الكفار يضحكون وقوله والله يرزق من يشاء بغير حساب قيل فيه خمسة اقوال
احدها ان معناه انه يعطيهم الكثير الواسع الذي لا يدخله الحساب من كثرته الثاني انه ليس يرزق المؤمن على
قدر ايمانه ولا الكافر على قدر كفره في الدنيا ولكن الرزق في الاخرة على قدر العمل وما يتفضل الله به و
يضاعف به من جعل على المؤمنين ما يشاء من فضله زيادة على كفايته الثالث انه يعطي عطاء لا ياخذه بذلك
احد ولا يسئله عنه سائل ولا يطالبه عليه بجزاء ولا مكافاة ولا يثبت ذكره مخافة الاعدام والاقلال لان
عطيته ليست من اصل ينقص بل خزاينه لا تفنى ولا تنفد جل الله تعالى والرابع قال قطرب معناه انه يعطي العدد
من الشيء لا مما يضبط بالحساب ولا ياتي عليه العدد لان ما يقدر عليه غير متناه ولا محصور فهو يعطي الشيء
لا من عدد اكثر منه ونقص منه كالمعطي من الادميين الالف من الالفين والعشرة من المائة والخامس قال
بعضهم انما عنى بذلك عطاء اهل الجنة لان الله تعالى يعطيهم ما لا يتناهى ولا ياتي عليه الحساب فكل ذلك
حسن جايز وانما قال والذين اتقوا فوقهم يوم القيمة ولا فضل للكفار في الاخرة لامرين احدهما ان
احوالهم في الاخرة فوق حال هؤلاء الكفار في الدنيا والثاني ان يكون محمولا على قوله تعالى اصحاب الجنة
يومئذ خير مستقرا وكما قال حسان يعني رسول الله وابا جهل   فشركما لخيركما الفداء   ومعنى يسخرون
من الذين امنوا اي يهزؤن بهم في زهدهم في الدنيا لانهم يوهمونهم انهم على حق ويعنيهم عنهم ان اعتقادهم

بخلاف

بخلاف ذلك **قوله تعالى** كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ
مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ
بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ
وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ آية واحدة بلا خلاف قرأ ابو جعفر المدني ليحكم بضم الياء
الباقون بفتحها معنى قوله كان الناس امة واحدة اهل ملة واحدة كما قال النابغة   حلفت فلم اترك
لنفسك ريبة   وهل ياثمن ذو امة وهو طايع   اي ذو ملة ودين واصل الامة الام من قولك ام يؤم
اما اذا قصده وهي على اربعة اوجه فالامة الملة والامة الجماعة والامة المنفرد بالمقالة والامة القامة
واختلفوا في الدين الذي كانوا عليه فقال ابن عباس والحسن واختاره الجبائي انهم كانوا على الكفر
وقال قتادة والضحاك كانوا على الحق فاختلفوا فان قيل اذا كان الزمان لا يخلوا من حجة كيف يجوز
ان يجمعوا كلهم على الكفر بالله قلنا يجوز ان يقال ذلك على التغليب لان الحجة اذا كان واحدا او جماعة يسيرة
لا يظهرون للباقين خوفا وتقية فيكون ظاهر الناس كلهم الكفر بالله فلذلك جاز الاخبار به على الغالب
من الحال ولا يعتد بالعدة القليلة وقوله وانزل معهم الكتاب بالحق قيل في معناه قولان احدهما بما فيه
من البيان عن الحق من الباطل الثاني ان معناه بانه حق للاستصلاح به على ما توجبه الحكمة فيه وقوله
ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه فحقيقته ليحكم منزل الكتاب لان الله هو الحاكم بما انزل فيه فهو مجاز في
قول الجبائي قال الا انه جعل اللفظ على الكتاب تفخيما له لما فيه من البيان ويجوز ان يكون في يحكم ضمير
اسم الله فيكون حقيقة ومن ضم الياء فعلى انه لا شبهة فيها والمعنى ليحكم الناس او العلماء بما فيه من
الحق وقوله تعالى وما اختلف فيه الهاء عايدة على الحق وقيل على الكتاب والاول اصح لان اختلافهم
في الحق قبل انزال الكتاب فان قيل اذا كانوا مختلفين في الحق على اصابة بعضهم له فكيف يكون الكفر
عمهم به قلنا لا يمتنع ان يكون الكل كفارا وبعضهم يكفر من جهة الغلو وبعضهم من جهة التقصير كما
كفرت اليهود والنصارى في عيسى ع فقالت النصارى هو رب فغلوا وقصرت اليهود فقالوا كذاب
متخرص فان قيل كيف يكون الكل كفارا مع قوله فهدى الله الذين امنوا قلنا لا يمتنع ان يكونوا كلهم كانوا
كفارا فلما بعث الله اليهم الانبياء مبشرين ومنذرين اختلفوا فامن قوم ولم يؤمن اخرون وروى عن
ابي جعفر ع انه قال كانوا قبل نوح امة واحدة على فطرة الله لا مهتدين ولا ضلالا فبعث الله النبيين و
قوله تعالى بغيا بينهم نصب على المفعول له كانه قال للبغي بينهم على قول الاخفش والزجاج وقال بعضهم
الاستثناء متعلق بثلثة اشياء كانه قال وما اختلف فيه الا الذين اوتوه وما اختلفوا فيه الا من بعد ما جاءتهم
البينات ما اختلفوا فيه الا بغيا بينهم الا انه حذف الثاني لدلالة الاول عليه قال الرماني والصحيح الاول
لانه لا يحكم بالحذف مع استقامة الكلام من غير حذف الا بعذر وقوله فهدى الله الذين امنوا لما اختلفوا
فيه من الحق باذنه معناه هداهم للحق وهو الذي اختلفوا فيه وقيل في معنى باذنه قولان احدهما بلطفه ولا بد
من محذوف على هذا التاويل اي فاهتدوا باذنه لان الله عز وجل لا يفعل الشيء باذن احد ياذن له فيه و
لكن قد يجوز ان يكون على جهة التفسير للهدى كانه قال هداهم بان لطف لهم وهداهم بان اذن لهم وقال
الجبائي لا بد من ان يكون على حذف فاهتدوا باذنه والقول الثاني هداهم بالحق بعلمه والاذن بمعنى العلم
معروف في اللغة قال الحرث بن حلزة   اذنتنا ببينها اسماء   اي اعلمتنا وهو قول الزجاج وغيره من اهل
اللغة فان قيل اذا كانوا انما هدوا للحق من الاختلاف فلم قيل للاختلاف من الحق قيل لانه لما كانت العناية بذكر
الاختلاف كان اولى بالتقديم ثم تفسيره بمن وقال الفراء هو من المقلوب نحو قول الشاعر   كانت فريضة ما تقول
كما كان الزناء فريضة الرجم   وانما الرجم فريضة الزنا وكما قال الاخر   ان سراج الكريم مفخره   تحلى به العين
اذا ما تجهره   وانما تحلى هو بالعين قال غيره انما يجوز القلب في الشعر للضرورة ووجه الكلام على ما بينا
واضح فان قيل ما الهدى الذي اختص به من يشاء قيل فيه ثلثة اقوال قال الجبائي اختص به المكلفين دون غيره

ممن

من لا يحتمل التكليف وهو البيان والدلالة والثاني قال ويجوز ان يكون الله يهديهم على طريق الجنة ويكون للمؤمنين خاصة وقال ابن الاخشاد والبلخي يجوز ان يكون هداهم باللطف فيكون خاصا لمن علم من حاله انه يصلح به ولا يجوز ان يكون المراد بالهداية ههنا الارشاد الى الدين ونصب الدلالة عليه لان الله تعالى لا يخص بذلك قوما دون قوم بل لا يصح التكليف من دونه وقد بين تعالى ان اختلافهم كان بعد ان جاءتهم البينات فثم بذلك لجميعهم فلو اراد الله بقوله فهدى الله الذين آمنوا بالبينات لكان متناقضا اللهم الا ان يحمل ذلك على انه اضاف اليهم الهداية من حيث كانوا هم المنتفعين بها والمتبعين لها فكانهم كانوا هم المخصوصين بها كما قال هدى للمتقين وقوله تعالى انما انت منذر من اتبع الذكر وانما انت منذر من يخشاها وان كان منذرا لجميعهم والذي يقوي ذلك قوله واما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى فبين انه هداهم وانهم لم يهتدوا فكيف يجوز ان يحمل الهداية على معنى نصب الدلالة واقامة الحجة على قوم دون قوم والفرق بين هدى المؤمنين الى الايمان وبين انعم عليهم بالايمان قال الجبائي ان الهدى الى الايمان غير الايمان والانعام بالايمان هو نفس الايمان والصحيح انه هداه بالايمان يجري مجرى قوله انعم عليه بالايمان لانه يراد به التمكين منه والاقتداء عليه والدعاء اليه ولا يراد به فعل نفس الايمان وقوله والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم اي الى طريق الدين الواضح واختلفوا في الامة المعنية بهذه الآية فقال ابن عباس وقتادة هم الذين كانوا بين آدم ونوح وهم عشر قرون كلهم كانوا على شريعة من الحق فاختلفوا بعد ذلك فالتقدير على قول هؤلاء كان الناس امة واحدة فاختلفوا فبعث الله النبيين وقال مجاهد المراد بالآية آدم فبعث النبيين الى ولده لما اختلفوا وقال ابي بن كعب والربيع كان الناس امة حين استخرجوا من ظهر آدم فاقروا له بالعبودية واختلفوا بعد فبعث الله اليهم النبيين وقال ابن عباس في رواية اخرى كانوا امة واحدة على الكفر فبعث الله النبيين وقال السدي كانوا على دين واحد من الحق فاختلفوا فبعث الله النبيين وقال الربيع والطبري الكتاب الذي اختلفوا فيه التوراة وقال آخرون كل كتاب انزله الله مع النبيين **قوله تعالى** أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ آية واحدة قرأ نافع حتى يقول الرسول بضم اللام والباقون بنصبها ذكر السدي وقتادة وغيرهما من اهل التفسير ان هذه الآية نزلت يوم الخندق لما اشتدت المخافة وحوصر المسلمون في المدينة واستدعاهم الله الى الصبر ووعدهم بالنصر وقال الزجاج معنى ام ههنا بمعنى بل وقال غيره هي بمعنى الواو وانما حسن الابتداء بام لاتصال الكلام بما تقدم ولو لم يكن قبله كلام لما حسن والفرق بين ام حسبتم وبين احسبتم ان ام لا يكون الا متصلة بكلام معادلة للالف او منقطعة فالمعادلة نحو ازيد في الدار ام عمرو فالمراد ايهما في الدار والمنقطعة نحو قولهم انها لابل ام شاء يا فتى واما الالف فيكون مستأنفة وانما لم يجز في ام الاستئناف لان فيها معنى بل كانه قيل بل احسبتم وحسبت ظننت وخلت نظائر وقوله تعالى ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم معناه ولما تمتحنوا وتبتلوا بمثل ما امتحنوا فتصبروا كما صبروا وهذا استدعاء الى الصبر وبعده الوعد بالنصر والمثل والشبه واحد يقال مثل ومثل مثل شبه وشبه وخلوا معناه مضوا وقوله مستهم فالمس واللمس واحد والبأساء ضد النعماء والضراء ضد السراء وقوله وزلزلوا معناه ههنا ازعجوا بالمخافة من العدو والزلزلة شدة الحركة والزلزال البلية المزعجة بشدة الحركة والجمع زلازل ويقال زلزل الارض يزلزلها زلزالا وتزلزل تزلزلا مثل تدكدك تدككا واصله زل وانما ضوعف مثل صرصر وصلصل وقوله حتى يقول الرسول من نصب اللام ذهب الى تقدير الى ان يقول الرسول فيقوله على معنى الاستقبال اذا قدرت معها ان وهو يشبه الحكاية لانك تقدرها لا ثم استأنف غيرها فصلا كما يستأنف عن حال كلام مل ويوضح ذلك كان زيد سيقول كذا وكذا وانما قدرت بكان زيد وقتا ثم يستأنف حتى فعلا فكذلك زلزلوا قد دل على وقت ثم استأنف بعده الفعل ومن رفع فعلى الحال للفعل المذكورة والحال لكلام المتكلم وذلك ان القول قد يكون في حال الزلزلة فاما الغاية فلا يكون الا بعد تقضيها وان كان متصلا

بها والرفع يوجب النادية بمعنى ان الزلزلة ادت الى قول الرسول فاما النصب فيوجب الغاية فقد حصل الفرق بين الرفع والنصب من ثلث جهات الاول ان احدهما على الحال والاخر على الاستقبال والثاني ان احدهما قد نقضي والاخر لم ينقض والثالث ان احدهما على الغاية والاخر على النادية ومعنى الغاية في الآية اظهر لان النصر جاء عند قول الرسول فلذلك كان الاختيار في القراءة النصب فان قيل ما معنى قول الرسول والمؤمنين متى نصر الله قلنا قال قوم معناه الدعاء لله بالنصر ولا يجوز ان يكون معناه الاستبطاء لنصر الله على كل حال لان الرسول يعلم ان الله لا يؤخره عن الوقت الذي توجبه الحكمة وقال قوم معناه الاستبطاء لنصر الله وذلك للخطاء لا يجوز مثله على الانبياء ثم الا ان يكون على الاستبطاء لنصره لما توجبه الحكمة من تأخره والنصر ضد الخذلان والقريب ضد البعيد والقرب الدنو واحد ومن قال ان ذلك على وجه الاستبطاء قواه بما بعده من قوله الا ان نصر الله قريب واصل لما لم فزيد عليها ما تغير معناها كما غيرت في لو لما زيد عليها ما اذا قلت لوما فصارت بمعنى هلا والفرق بين لم ولما ان لما يصح ان يوقف عليها مثل قولك اقدم زيد فيقول لما ولا يجوز لم وفي لما توقع لانها عقيبه قد اذا انتظر قوم ركوب الامير قلت قد ركب فان نفيت هذا قلت لما يركب وليس كذلك لم وجميعا نفي الماضي **قوله تعالى** يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ آية واحدة وجه اتصال هذه الآية بما قبلها ان الآية الاولى فيها دعاء الى الصبر على الجهاد في سبيل الله وفي هذه بيان لوجه النفقة في سبيل الله وكل ذلك دعاء الى فعل البر والنفقة اخراج الشيء عن الملك ببيع او هبة او صلة او نحوه وقد غلب في العرف على اخراج ما كان من المال من عين او ورق وقوله يسألونك خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم بان القوم يسألونه والسؤال الطلب للجواب بصيغة مخصوصة في الكلام وذكر السدي ان هذه الآية منسوخة بفرض الزكوة وقال الحسن ليست منسوخة وهو الاقوى لانه لا دليل على نسخها والجواب المطابق لقوله يسألونك ماذا ينفقون ان يقول قل النفقة التي هي خير وانما عدل عنه لحاجة السائل الى البيان لكن يدل عليه وعلى غيره وذلك يحسن من الحكماء اذا ارادوا تعليم غيرهم وتبصيرهم ان يضمنوا الجواب مع الدلالة على المسؤل عنه الدلالة على ما يحتاج اليه السائل في ذلك المعنى مما اغفله او حذف السؤال عنه لبعض الاسباب المحسنة له فاما الجدل الذي يضايق فيه الخصم فالاصل فيه التحقيق بان يكون الجواب على قدر السؤال من غير زيادة ولا نقصان ولا عدول عما يوجبه نفس السؤال لان كل واحد من الخصمين قد حل محل النظير للآخر ولا يجوز اعطاء الزكوة للوالدين وكل من يلزمه نفقته وبه قال الحسن والآية عامة في الزكوة وفي التطوع وبه قال الحسن غير انها فيمن تلزمه النفقة عليه خاصة بالنفقة وموضع ما في قوله ماذا ينفقون من الاعراب يحتمل وجهين الرفع والنصب الرفع على ما الذي ينفقون فيكون ذا بمعنى الذي وينفقون صلته والنصب بمعنى اي شيء ينفقون فيكون ذا وما بمنزلة شيء واحد والمساكين جمع مسكين وهو المحتاج ومعنى قوله فان الله به عليم اي ما تفعلوا من خير فان الله يجازي عليه من غير ان يضيع منه شيء لانه عليم لا يخفى عليه شيء قال مجاهد معنى يسألونك ماذا ينفقون انهم سألوا ما لهم في ذلك فقال الله تعالى قل ما انفقتم من خير الآية وقال قتادة اهمتهم النفقة فسألوا عنها النبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله قل ما انفقتم من خير الآية **قوله تعالى** كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ آية واحدة معنى قوله تعالى كتب عليكم فرض عليكم القتال وهذه الآية دالة على وجوب الجهاد وفرضه وبه قال مكحول وسعيد بن المسيب واكثر المفسرين غير انه فرض على الكفاية وحكي عن عطا ان ذلك كان على الصحابة والصحيح الاول لحصول الاجماع عليه اليوم وقد انقرض خلاف عطا وقوله وهو كره لكم يقال كره كراهة واكرهه اكراها اذا اجبره وتكره تكرها واستكرهه استكراها وكرهه تكرها والكره المشقة التي يحمل عليها والكره المشقة من غير ان يحمل عليها وقيل هما لغتان مثل ضعف وضعف وجمل كره شديد الرأس لانه لا ينقاد الا على كره والكريهة الشديدة في الحرب لانه يدخل فيها على كره

وكراية الدهر نوازله وكرهت الامر كراهة وكراهية ومكرهة وكره الى هذا الامر تكريها اى صيّره الى مجال
كراهية والكرهاء صفحة الوجه لان الكره يظهر فيها فان قيل كيف كره المؤمنون الجهاد وهو طاعة لله قيل
عنه جوابان احدهما انهم يكرهونه كراهية طباع والثانى انه كره لكم قبل ان يكتب عليكم وعلى الوجه الاول
يكون لفظ الكراهة مجازا وعلى الثانى حقيقة ❁ وقوله وعسى معناه الطمع والاشفاق من المخاطب ولا يكون
الامع شك فى الامر وقيل معناها هٰهنا قد وانما قال وعسى وقال فى موضع اخر فهل عسيتم فجمع لانه استغنى
فى الغايب عن الجمع كما استغنى عن علامة الضمير فى اللفظ وليس كذلك المخاطب فجرى فى كل غايب على التوحيد
لامتناعه من التصريف وتقول عسى ان يقوموا فاذا قلت عسيتم ان تقوموا جمعت فى قوله وهو كره لكم
حذف فى قول الزجاج وغيره لان تقديره وهو ذو كره لكم ويجوز ان يكون معناه وهو مكروه لكم فوقع
المصدر موقع اسم المفعول ومثله قولهم رجل رضى بمعنى ذو رضى ويجوز ان يكون بمعنى مرضى وقوله
وهو شر لكم فالشر السوء وهو ضد الخير تقول شر يشر شرارة وشرار النار وشررها لهيبها وشررت
اللحم والثوب تشريرا اذا بسطته ليجف وكذلك شررته اشرارا واشررته الكتاب اذا اظهرته وشرة الشباب
نشاطه وانما قال الله تعالى والله يعلم تنبيها على انه يعلم مصالحكم وما فيه منافعكم فبادروا الى ما يامركم به
وان شق عليكم والفرق بين الشهوة والمحبة واضح لان الصايم فى شهر رمضان يشتهى شرب الماء ولا يكون
مؤاخذا به ولا يحبه كما لا يريده ولو اراده واحبه لكان مذموما ويكون مفطرا عند كثير من الفقهاء وقوله
والله يعلم وانتم لا تعلمون يدل على فساد قول المجبرة لانه تعالى انما رغبهم فى الجهاد لما علم من مصالحهم ومنافعهم
فيه تبرهم لذلك لا لكفرهم وفسادهم تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا **قوله تعالى** يَسْئَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ
الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللّٰهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاِخْرَاجُ اَهْلِهِ
مِنْهُ اَكْبَرُ عِنْدَ اللّٰهِ وَالْفِتْنَةُ اَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتّٰى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ اِنِ
اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَاُولٰئِكَ حَبِطَتْ اَعْمَالُهُمْ فِى الدُّنْيَا وَالْاٰخِرَةِ
وَاُولٰئِكَ اَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ اية واحدة بلا خلاف اختلفوا فى من السايل عن هذا السؤال
اهم اهل الشرك ام اهل الاسلام فقال الحسن وغيره هم اهل الشرك على جهة العيب للمسلمين باستحلالهم
القتال فى الشهر الحرام وبه قال الجبائى واكثر المفسرين وقال البلخى هم اهل الاسلام سئلوا عن ذلك ليعلموا
كيف الحكم فيه ❁ قوله تعالى قتال فيه مجرور على البدل من الشهر وهو من بدل الاشتمال ومثله قوله تعالى
قتل اصحاب الاخدود النار ذات الوقود وقال الاعشى لقد كان فى حول ثواء ثويته تقضى لبانات
ويسام سايم والذى يشتمل عليه المعنى هو احوال الشئ وما كان منه بمنزلة احواله مما يغلب تعلق الفعل
فلا يجوز رايت زيدا لونه لان لونه يجوز ان يرى كما يجوز ان يرى نفسه ويجوز سرق زيد ثوبه لان تعلق
السرقة انما هى بالملك دون النفس فى غالب الامر ويجوز ان تقول رايت زيدا مجيه ولا يجوز رايت زيدا
اياه لانه يجرى مجرى حاله ❁ وقوله تعالى وصد عن سبيل الله رفع بالابتداء وما بعده معطوف عليه وخبره اكبر
عند الله هذا قول الزجاج وقال ابو على الفارسى لا يخلو ان يكون ارتفاع قوله وصد عن سبيل الله و
كفر من ان يكون بالعطف على الخبر الذى هو كبير كانه قال فيه كبير وصد وكفر اى القتال قد جمع انه كبير
وانه صد وكفر او يكون مرتفعا بالابتداء وخبره محذوف لدلالة كبير المتقدم عليه كانه قال والصد كبير
كقولك زيد منطلق وعمرو او يكون مرتفعا بالابتداء والخبر المظهر فيكون الصد ابتداء وما بعده من قوله
وكفر به واخراج اهله مرتفع بالعطف على الابتداء والخبر قوله اكبر عند الله قال ولا يجوز الوجهان الاولان
وقد اجازهما الفراء اما الوجه الاول فلان المعنى يصير قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله كبير والقتال
وان كان كبيرا ويمكن ان يكون صدا لانه ينفر الناس عنه فلا يجوز ان يكون كفرا لان احدا من المسلمين
لم يقل ذلك ولم يذهب اليه فلا يجوز ان يكون خبر المبتداء شيا لا يكون المبتداء ويمنع من ذلك ايضا قوله
بعد واخراج اهله منه اكبر عند الله ومحال ان يكون اخراج اهله منه اكبر من الكفر لانه لا شئ اعظم منه

ويمتنع الوجه الثانى ايضا لان التقدير فيه يكون قتال فيه كبير وكبير الصد عن سبيل الله والكفر به وكذلك
مثله الفراء وقدره فاذا صار كذلك الصار المعنى واخراج اهل المسجد الحرام اكبر عند الله من الكفر فيكون
بعض خلال الكفر اعظم منه كله واذا كان كذلك امتنع كما امتنع الاول واذا امتنع هذان ثبت الوجه الثالث
وهو ان يكون قوله وصد عن سبيل الله ابتداء وكفر به واخراج اهله معطوفا عليه واكبر خبرا فيكون
المعنى صد عن سبيل الله اى منعهم لكم ايها المسلمون عن سبيل الله وعن المسجد الحرام واخراجكم منه و
انتم ولاية والذين هم احق به منهم وكفر بالله اكبر من قتاله فى الشهر الحرام قال الرمانى والفراء ان يتخلص
من التاويل الثانى ان تقول اخراج اهله منه اكبر من القتل فيه لا من الكفر لان المعنى فى اخراج اهله منه
اخراج النبى ص والمؤمنين عنه قال واما التاويل الاول فلا يجوز الا ان يجعل كفر به يعنى بالمسجد الحرام
لانتهاك حرمته قال والتاويل الاول اجود وهذا القتال فى الشهر الحرام هو ما عابه المشركون على
المسلمين من قتل عبد الله بن جحش واصحابه عمرو بن الحضرمى لما قفل من الطايف فى عير فى اخر جمادى
الاخرة واخذهم العير وهو اول من قتل من المشركين فيما روى واول فى اصابه المسلمون واما قوله تعالى
والمسجد الحرام فقال الفراء انه محمول على قوله يسئلونك عن القتال وعن المسجد هذا لفظه قال ابو على الفارسى
وهذا ايضا يمتنع لانه لم يكن السؤال عن المسجد الحرام وانما السؤال عن قتال ابن جحش الحضرمى واصحابه الذين
عابهم المشركون وعيروهم فقالوا انكم استحللتم الشهر الحرام وهو رجب بقتلهم فيه فكان السؤال عن هذا
لا عن المسجد الحرام واذا لم يجز هذا الوجه لم يجز حمله على المضمر المجرور لان عطف المظهر على المضمر غير جائز
لانه ضعيف جدا فيكون محمولا على الضمير فى به لان المعنى ليس على كفر بالله او بالنبى والمسجد فثبت انه
معطوف على عن من قوله وصد عن سبيل الله والمسجد الحرام لان المشركين صدوا المسلمين عنه كما قال ان
الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام فكما ان المسجد الحرام محمول فى هذه الاية على عن
المتصلة بالصد فلا اشكال كذلك فى هذه الاية وهو قول ابى العباس ايضا قال الرمانى ما ذكره الفراء
واختاره الحسن ليس يمتنع لان القوم لما استعظموا القتال فى الشهر الحرام وكان القتال عند المسجد الحرام
يجرى مجراه فى الاستعظام جمعوهما لذلك فى السؤال وان كان القتال انما وقع فى الشهر الحرام خاصة
كانهم قالوا قد استحللت الشهر الحرام والمسجد الحرام وظاهر الاية يدل على ان القتال فى الشهر الحرام
كان محرما لقوله قل قتال فيه كبير وذلك لا يقال الا فيما هو محرم محظور والصد والمنع والصد واحد
صد يصد صدودا اذا صد عن الشئ لعدوله عنه وصدد تعرض الشئ اصده صدا اذا عدلته عنه و
منه قوله تعالى اذا قومك منه يصدون قرئ بالضم والكسر قال ابو عبيدة يصدون يعرضون ويصدون
يضجون وذلك لانهم يعدلون الى الصيح والصديد الدم المختلط بالقيح يسيل من الجرح والصد دما
استقبلك وصار فى قبالك لانه يعدل الى مواجهتك والصدان ناحيتا الشعب والوادى والصدام
ضرب من الجراد ان يعدل بشدة تحرزه والصداد الوزغ لانه يعدل عنه استقذارا له واصل الباب العدل
❁ وقوله والفتنة اكبر من القتل معناه الفتنة فى الدين وهى الكفر اعظم من القتل فى الشهر الحرام وقال
قتادة وغيره واختاره الجبائى ان القتال فى الشهر الحرام وعند المسجد الحرام منسوخ بقوله وقاتلوهم
حتى لا تكون فتنة وبقوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وقال عطا هو باق على التحريم وروى اصحابنا
انه على التحريم فيمن يرى لهذه الاشهر حرمة فانهم لا يبتدون فيه بالقتال وكذلك فى الحرم وانما اباح
الله تعالى للنبى ص قتال اهل مكة وقت الفتح ولذلك قال ع ان الله احلها فى هذه الساعة ولا يحلها لاحد
بعدى الى يوم القيمة ومن لا يرى ذلك فقد نسخ فى حقه وجاز قتاله وقت كان ❁ وقوله يردوكم قال
الجبائى هو مجاز هٰهنا لا حقيقة حتى يرتدوا بالجائهم اياكم الى الارتداد والاولى ان يكون ذلك حقيقة بالعرف
❁ وقوله تعالى ولا يزالون فالزوال العدول ولا يزال الموجود وما زال اى دام وزال الشئ عن مكانه يزول
زوالا وازلته عنه وزلته وزالت الشمس زوالا وزيالا وزالت الخيل بركبانها زيالا ورجل زول وامراة

نزلة وهو الطريف الركبتين واصل الباب الزوال ❁ وقوله ومن يرتدد منكم عن دينه فهو على اضعاف التضعيف لسكون الثاني ويجوز يرتد بفتح الدال على التحريك لالتقاء الساكنين والفتح اجود وقوله فاولئك حبطت اعمالهم معناه انها صارت بمنزلة ما لم يكن لايقاعهم اياها على خلاف الوجه المأمور به وليس المراد انهم استحقوا عليها الثواب ثم انحبطت لان الاحباط عندنا باطل على هذا الوجه ويقال حبط عمل الرجل يحبط حبطا وحبوطا واحبطه الله احباطا والحبط فساد يلحق الماشية في بطونها لاكل الحباط وهو ضرب من الكلأ يقال حبطت الابل تحبط حبطا اذا اصابها ذلك وروى عن عطا عن ابن عباس ان المسجد الحرام الحرم كله

قوله تعالى إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ

آية واحدة بلا خلاف ذكر جندب بن عبد الله وعروة بن الزبير ان هذه الاية نزلت في قصة عبد الله ابن جحش واصحابه لما قتلوا في رجب في قتل واقد التميمي ابن الحضرمي ظن قوم انهم ان سلموا من الاثم فليس لهم اجر فانزل الله الاية فيهم بالوعد وخبر ان الذين امنوا الجملة التي هي قوله اولئك يرجون رحمة الله واولئك ابتداء ويرجون خبره والجملة خبر ان ❁ وقوله والذين هاجروا فالهجر ضد الوصل تقول هجره هجرا وهجرانا اذا قطع مواصلته والهجر ما لا ينبغي من الكلام تقول هجر المريض يهجر هجرا لانه قال ما ينبغي ان يهجر من الكلام وما ذاك الا هجيراه اي دابه والهاجرة نصف النهار وهجر القوم تهجيرا اذا دخلوا في الهاجرة وسمي المهاجرون لهجرهم قومهم وارضهم واهجرتها لجاريته اهجارا اذا شبت شبابا حسنا فهي مهجرة ويقال ذلك للناقة والنخلة والهجار حبل يشد به يد الفحل الى حقو رجليه لانه يهجره بذلك التصرف واصل الباب الهجر قطع المواصلة وقوله تعالى وجاهدوا تقول جهدت الرجل جهدا اذا حملته على مشقة وجاهدت العدو مجاهدة وجهادا اذا حملت نفسك على المشقة في قتاله واجتهدت راي اذا حملت نفسك على المشقة في بلوغ صواب الراي والجهاد الارض الصلبة واصل الباب الجهد الحمل على المشقة ❁ وقوله تعالى في سبيل الله يعني قتال العدو ويدخل في ذلك مجاهدة النفس وقوله اولئك يرجون فالرجاء الامل رجا يرجو رجاء وترجى ترجيا وارتجى ارتجاء والرجا مقصورا ناحية كل شيء ويثنى رجوان وجمعه ارجاء ومنه ارجاء البئر نواحيه ❁ وقوله تعالى ما لكم لا ترجون لله وقارا اي لا تخافون قال ابو ذؤيب

اذا لسعته النحل لم يرج لسعها ... وحالفها في بيت نوب عوامل

اي لم يخف وذلك ان الرجا للشيء معه الخوف من ان لا يكون فلذلك سمي الخوف باسم الرجاء واصل الباب الامل وهو ضد الياس ليس في الاية دلالة على ان من مات مصرا على كبيرة لا يرجو رحمة الله لامرين احدهما ان ذلك دليل الخطاب وذلك غير صحيح عند اكثر المحصلين والثاني انه قد يجتمع عندنا الايمان والهجرة والجهاد مع ارتكاب الكبيرة فلا يخرج من هذه صورته عن تناول الاية له وانما ذكر المؤمنون برجاء الرحمة وان كانت هي لهم لا محالة لانهم لا يدرون ما يكون منهم من الاقامة على طاعة الله او الانقلاب عنها الى معصيته لانهم لا يدرون كيف يكون احوالهم في المستقبل وقال الجبائي لانهم لا يعلمون انهم ادوا كلما يجب لله عليهم لان هذا العلم من انواع وهم لا يعلمونه الا بعلم اخر وكذلك سبيل العلم فانهم لا يعلمونه الا بعلم غيره وهذا يوجب انهم لا يعلمون اذا كلما يجب لله عليهم وقال ابن الاخشاد لانه لا يتفق للعبد التوبة من كل معصية واستدل على ذلك باجماع الامة على انه ليس لاحد غير النبي صلى الله عليه وسلم ومن شهد له عليه فلا ويمكن في الاية وجه اخر على مذهبنا وهو ان يكون رجاهم لرحمة الله في غفران معاصيهم التي لم يتفق لهم التوبة منها واخترموا دونها فهم يرجون ان يسقط الله عقابها عنهم تفضلا واما الوجه الاول فانما يصح على مذهب من يجوز ان يكفر المؤمن بعد ايمانه ويفعل في المستقبل كبيرة يحبط ثواب ايمانه وهذا لا يصح على مذهبنا في الموافاة وما قاله الجبائي يلزم عليه وجوب ما لا نهاية له لانه اذا وجب عليه ان يعلم انه فعل ما وجب عليه بعلم اخر وذلك العلم مما وجب عليه ايضا فيجب ذلك العلم اخر وفي ذلك التسلسل وانما ضم الى صفة الايمان غيره في اعتبار الرجاء للرحمة ترغيبا في كل خصلة من تلك الخصال لانها من علامات الفلاح فاما الوعد فعلى كل واحدة منها اذا سلمت مما يبطلها وقال الحسن الرجاء والطمع ههنا على الايمان اذا سلم العمل وذكر الجبائي ان هذه الاية تدل على انه لا يجوز لاحد ان

يشهد

يشهد لنفسه بالجنة لان الرجاء لا يكون الا مع الشك وقد بين الله تعالى ان صفة المؤمن الرجاء للرحمة لا القطع عليها لا محالة ووجه اتصال هذه الاية بما قبلها هو انه لما ذكر في الاولى العذاب ذكر بعدها اية الرحمة ليكون العبد بين الخوف والرجاء اذ ذلك اوكد في الاستدعاء واحق بتدبير الحكماء وكتبت رحمة الله بالتاء في المصحف على الوصل والاقيس بالهاء على الوقف كما كتب يدعو الداعي ويقضي الحق واضرب لهم مثلا وكل ذلك على الوقف

قوله تعالى يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ

قرأ اهل الكوفة الا عاصما اثم كثير بالثاء والباقون بالباء وقرأ ابو عمرو وحده قل العفو بالرفع الباقون بالنصب قال اكثر المفسرين الخمر عصير العنب اذا اشتد وقال جمهور اهل المدينة ما اسكر كثيره فهو خمر وهو الظاهر في رواياتنا واما اشتقاقه في اللغة تقول خمرت الدابة اخمرها خمرا اذا سقيتها الخمر وخمرت العجين والطين اخمره خمرا اذا تركته فلم تستعمله حتى يجود وخامر القوم اخمارا اذا تواروا في الشجر ويقال لما سترك من شجر خمر مقصور واختمرت المراة وخمرت اذا لبست الخمار وهي المقنعة وخامره الحزن مخامرة اذا خالطه وخمرت الاناء وغيره تخميرا اذا غطيته واستخمرت فلانا اذا استعبدته والخمار بخار يعقبه شرب الخمر والمخامرة المقاربة والخمر ما واراك من الشجر وغيره والخمرة شبيه بالسجادة والمخمرة من الغنم سوداء وراسها ابيض ودخل في خمار الناس اذا دخل في جماعتهم تخفي فيهم واصل الباب الستر والميسر قال ابن عباس وعبد الله بن مسعود والحسن ومجاهد وقتادة وابن سيرين هو القمار كله وهو الظاهر في رواياتنا واشتق الميسر من اليسر وهو وجوب الشيء لصاحبه من قولهم يسر لي هذا الشيء اذا وجب لي فهو ييسر لي يسرا وميسرا والياسر الواجب بقداح وجب لها وغير ذلك وقيل للقامر ياسر ويسر قال النابغة

او ياسر ذهب القداح بوفره ... اسف تاكله الصديق مخلع

يعني القامر وقيل اخذ من التجزئة لان كل شيء جزاته فقد يسرته والياسر الجازر لانه يجزئ الجزور وقيل الميسر ماخوذ من اليسر وهو تسهل الشيء لانهم كانوا مشتركون في الجزور وليسهل امرها الا انه الجهة القمار ❁ وقوله قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس والمنافع التي في الخمر ما كانوا ياخذونه في اثمانها وربح تجارتها وما فيها من اللذة بيننا ولها اي فلا تغتروا بالمنافع فيها فالضرر اكثر منه وقال الحسن وغيره هذه الاية تدل على تحريم الخمر لانه ذكر ان فيها اثما وقد حرم الله الاثم بقوله قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم على انه قد وصفها بان فيها اثما كبيرا والكبير محرم بلا خلاف وقال قوم المعنى ان اثمهما بعد تحريمهما اكبر من نفعهما قبل تحريمهما وقال اخرون المعنى ان الاثم بشرب هذه والقمار بها اكبر واعظم لانهم كانوا اذا اسكروا وثب بعضهم على بعض وقاتل بعضهم بعضا وقال قتادة لا تدل الاية على تحريمهما وانما تدل الاية التي في المائدة في قوله انما الخمر والميسر الى اخرها ووجه قتادة على انه قد يكون فيهما اثم كبير ❁ وقوله ويسألونك ماذا ينفقون قال الشعبي نسختها اية الزكوة وقال مجاهد هو فرض ثابت وقال قوم هو ادب من الله ثابت غير منسوخ وهو الاقوى لانه لا دليل على نسخها والعفو ههنا قيل في معناه ثلثة اقوال قال ابن عباس وقتادة هو ما فضل عن الغنى وقال الحسن وعطا هو الوسط من غير اسراف ولا اقتار وقال مجاهد هو الصدقة المفروضة وروي عن ابي جعفر عليه السلام ان العفو ما فضل عن قوت السنة فنسخ ذلك باية الزكوة وروي عن ابي عبد الله عليه السلام ان العفو ههنا الوسط والعفو ماخوذ من الزيادة ومنه قوله حتى عفوا اي حتى زادوا على ما كانوا عليه من العدد قال الشاعر

ولكنا يعض السيف منا ... باسوق عافيات الشحم كوم

اي زائدات الشحم وقال قوم هو ماخوذ من الترك من قوله فمن عفي له من اخيه شيء اي ترك له فيكون العفو المتروك لغنى عنه ومن رفع معناه ما الذي ينفقون وفي الاول كانه قال اي شيء الذي ينفقون فقالوا العفو وانما وحد الكاف في كذلك وان كان الخطاب لجماعة لاحد امرين احدهما في تقدير كذلك ايها السائل والثاني ان يكون الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ويدخل فيه الامة كما قال يا ايها النبي اذا طلقتم النساء وقوله لعلكم تتفكرون اي لكي تتفكروا وهي لام الغرض وفي ذلك دلالة على انه

تعالى

تعالى اراد منهم التفكر سواء تفكروا اولم يتفكروا **قوله تع** فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ اية واحدة العامل فى الظرف من قوله فى الدنيا والاخرة يحتمل امرين احدهما يبين على قول الحسن والثانى يتفكرون فى قول غيره واجاز الزجاج الوجهين معا وكيفية فكرهم فى الدنيا والاخرة قال قتادة يتفكرون فى ان الدنيا دار بلاء وفناء والاخرة دار جزاء وبقاء **و** قوله ويسئلونك عن اليتامى فهو جمع يتيم والفعل منه يتم ييتم يتما كقولك نكر ينكر نكرا وحكى الفراء يتم ييتم يتما كشغل شغلا **و** قوله وان تخالطوهم والمخالطة مجامعة يتعذر معها التمييز كمخالطة الخل للماء والماء للماء وما اشبه ذلك تقول خلط يخلط خلطا وخالطه خلاطا ومخالطة واختلط اختلاطا وتخالطوا تخالطا وخلطه تخليطا وتخلط تخلطا واخلط الفرس اذا قصر فى جريه واستخلط الفحل اذا خالط شيله حيال الناقة والخلط المجنون لاختلاط الامور على صاحبه والخليطان الشريكان لاختلاط اموالهما والخليط القوم امرهم واحد والخلاط داء فى الجوف ورجل خلط متحبب الى الناس لطلبه الاختلاط بهم ومعنى الاية لاذن لهم فيما كانوا متحرجون منه من مخالطة الايتام فى الاموال من الماكل والمشرب والمسكن ونحو ذلك فاذن الله لهم فى ذلك اذا تحروا الاصلاح بالتوفير على الايتام فى قول الحسن وغيره وهو المروى فى اخبارنا **و** قوله فاخوانكم رفع على فهو اخوانكم خالطتموهم اولم تخالطوهم **و** قوله فان خفتم فرجالا اوركبانا نصب على فصلوا وهو حال الصلوة خاصة لاحال معنى فانتم رجال اوركبان كيف تصرفت الحال ويجوز فى العربية فاخوانكم على النصب على تقدير فاخوانكم تخالطون والوجه الرفع لما بيناه **و** قوله ولوشاء الله لاعنتكم معناه التذكير بالنعمة فى التوسعة على ما توجب الحكمة مع القدرة على التضييق الذى فيه اعظم المشقة والاعنات الحمل على مشقة لايطاق فعلا وعنت العظم عنتا اذا اصابه وهن او كسر واعنته اعنانا اذا عسفه بالحمل على مكروه لايطيقه وعنت عنتا اذا اكتسب ماثما وتعنته تعنتا اذا لبس عليه فى سؤاله والاكمة العنوت هى الطويلة من الاكام واصل الباب المشقة وقال البلخى فى هذه الاية دلالة على فساد قول من قال انه تع لايقدر على الظلم لان الاعنات بتكليف ما لايجوز فى الحكمة مقدور له اذ لو يشاء لفعله وقال الجبائى لواعنتهم لكان جائزا حسنا لكنه تع وسع على العباد لما فى التوسعة من تعجيل النعمة وفى الاية دلالة على قول المجبرة فى البدل وتكليف ما لايطاق فاما البدل فلانهم يذهبون الى النهى عن الكفر الموجود فى حال بان يكون الايمان بدلا منه وهذا اعظم ما يكون من الاعنات لانه له بالمحال وهو ليكن منه الايمان بدلا من الكفر الموجود فى الحال وكذلك النهى فيما لم يكن مثل ما هو كائن من الكفر الموجود فى الحال الكل ذلك تكليف محال وكذلك الامر بالايمان من لم يقدر ولا يقدر على الايمان فاذا لم يفعله عذب باشد العذاب واذا لم يكلف من الممكن ما فيه مشقة وشدة للمظاهرة على عباده بالنعمة لم يجز ان يكلف ما ليس عليه قدرة لانه اسوء تناقض المظاهرة بالنعمة **و** قوله ان الله عزيز حكيم اى يفعل بعزته ما يجب لا يدفعه عنه دافع حكيم ذو حكمة فيما امركم به من امر اليتامى وغيره **قوله تع** وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ اية واحدة نكح ينكح نكحا ونكاحا اذا تزوج وانكح غيره انكاحا اذا زوجه وتناكحوا تناكحا وناكحه مناكحة وقال الاعشى ولا تقربن جارة ان سرها عليك حرام فانكحن او تابدا اى تعفف واصل الباب التزوج وهذه الاية على عمومها عندنا فى تحريم مناكحة جميع الكفار وليست منسوخة ولا مخصوصة وقال ابن عباس فى رواية شهر بن حوشب عنه قال فرق عمر بن طلحة وحذيفة وامراتيهما اللتين كانتا عنهما ابيه وقال غيره عن ابن عباس واليه ذهب الحسن ومجاهد والربيع هى عامة الا انها نسخ بقوله والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب وقال قتادة وسعيد بن جبير هى على الخصوص وانما اخترنا ما قلناه لانه لادليل على نسخها ولا على خصوصها ونسبين وجه الاية فى المائدة اذا انتهينا اليها فاما المجوسية فلا يجوز نكاحها اجماعا والذى لايجوز ان يتزوج

مسلمة اجماعا وامراحا واجبارا **و** قوله ولامة مؤمنة خير من مشركة فالامة المملوكة يقال قد اقرت بالامومة اى بالعبودية وامية فلانة وتاميتها اذا جعلتها امة قال الراجز يرضون بالتعبيد والتامى وجمع امة اماء وامواصل الباب العبودية واصل امة فعلة بدلالة قولهم اماء وام فى الجمع نحو اكمة واكام واكم والفرق بين ولو اعجبتكم وبين ان اعجبكم ان لو للماضى وان للمستقبل وكلاهما يصح فى معنى الاية ولا يجوز نكاح الوثنية اجماعا لانها يدعوا الى النار كما حكاه الله وهذه العلة بعينها قائمة فى الذمية من اليهودية والنصرانية فيجب الا يجوز نكاحها وفى الاية دلالة على جواز نكاح الامة المؤمنة مع وجود الطول لقوله ولامة مؤمنة خير من مشركة فاما الاية التى فى النساء وهى قوله ومن لم يستطع منكم طولا فانما هى على التنزيه دون التحريم ومتى اسلم الزوجان معا ثبتا على النكاح بلا خلاف وبه قال الحسن وان اسلمت قبله طرفة عين فقد وقعت الفرقة عند الحسن وكثير من الفقهاء وعندنا ينتظر عدتها فان اسلم الزوج تبينا ان الفرقة لم يحصل وجعت اليه ان لم يسلم تبينا ان الفرقة وقعت حين الاسلام غير انه لا يمكن من الخلو بها فان اسلم الزوج وكانت ذمية استباح وطيها بلا خلاف وان كانت وثنية انتظر اسلامها ما دامت فى العدة فان اسلمت ثبت عقده عليها وان لم يسلم بانت منه فان قيل كيف قيل للكافر الموحد مشرك قيل فيه قولان احدهما ان كفره نعمة الله بمنزلة الاشراك فى العبادة فى عظم الجرم والاخر ذكره الزجاج وهو الاقوى لانه اذا كفر بالنبى صلعم فقد اشرك فيما لايكون الا من عند الله وهو القرآن بزعمه انه من عند غيره **و** قوله باذنه معناه احد امرين احدهما باعلامه والاخر بامره وهو قول الحسن وابى على وغيرهما **قوله تع** وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ اية واحدة قرا اهل الكوفة الا حفصا حتى يطهرن بتشديد الطاء والهاء والباقون بالتخفيف قيل انما سئلوا عن المحيض لانهم كانوا على تجنب امور من مواكلة الحائض ومشاربتها حتى كانوا لا يجالسونها فى بيت واحد فاستعلموا ذلك اواجب هو ام لا فى قول قتادة والربيع والحسن وقال مجاهد كانوا على استجازة اتيانهن فى الادبار ايام الحيض فلما سالوا عنه بين تحريمه والاول عندنا اقوى والمحيض والحيض مصدر حاضت المرأة تحيض حيضا ومحيضا فهى حائض والمرأة حيضة وجمعه حيض وحيضات ونساء حيض والمستحاضة التى عليها الدم فلا دوفق واصل الباب الحيض مجئ الدم للانثى على عادة معروفة وصفة الحيض هو الدم الغليظ الاسود الذى يخرج بحرارة واقل الحيض ثلثة ايام واكثره عشرة وهو قول الحسن واهل العراق وقال الشافعى واكثر اهل المدينة اقل الحيض يوم وليلة واكثره خمسة عشر يوما وحكى ان قوما قالوا ليس له وقت محدود انما هو ما رات دم الحيض واقل الطهر عشرة ايام وخالف الجميع وقال خمسة عشر يوما والاستحاضة دم رقيق اصفر بارد وحكم الاستحاضة حكم الطهر فى جميع الاحكام الا فى تجديد الوضوء عند كل صلاة ووجوب الغسل عليها على بعض الوجوه عندنا **و** قوله اذى معناه قذر ونجس فى قول قتادة والسدى وقوله فاعتزلوا النساء فى المحيض معناه اجتنبوا الجماع فى الفرج وبه قال ابن عباس وعائشة والحسن وقتادة ومجاهد وما فوق المئزر وادونه عن شريح وسعيد بن المسيب وعندنا لا يحرم منها غير موضع الدم فقط ومن وطى الحائض فى اول الحيض كان عليه دينار وان كان فى وسطه فنصف دينار وفى اخره ربع دينار وقال ابن عباس عليه دينار ولم يفصل وقال الحسن عليه مثل بدنة او بقرة او عشرون صاعا ويقال عزله يعزله عزلا واعتزل اعتزالا وعزله تعزيلا والاعزل الذى لاسلاح معه وعزلا المزادة مخرج الماء من احد جانبيها والجمع عزال وكل شئ يتنحى عن موضع فقد عزل عنه ومنه عزل الوالى وانت عن هذا بمعزل اى متنحى والاعزل من السماكين الذى ينزل به القمر والمعزال من الناس الذى لا ينزل مع القوم فى السفر لكنه ينزل ناحية واصل الباب الاعتزال وهو التنحى عن الشئ **و** قوله حتى يطهرن بالتخفيف معناه ينقطع الدم عنهن وبالتشديد معناه يغتسلن فى قول الحسن والفراء وقال مجاهد وطاووس معنى تطهرن توضأن وهو مذهبنا والفرق بين طهرت وطهرت ان فعل لا يتعدى لان ما كان على هذا البناء لا يتعدى وليس كذلك فعل ومن قرأ بالتشديد قال لان اصله

يتطهرن فادغم التاء في الطاء وعندنا يجوز وطي المرأة اذا انقطع دمها وطهرت وان لم تغتسل اذا غسلت
فرجها وفيه خلاف فمن قال لا يجوز وطيها الا بعد ان تطهر من الدم والاغتسال تعلق بالقراءة بالتشديد فانها
تفيد الاغتسال ومن قال يجوز تعلق بالقراءة بالتخفيف وانها يفيد الاغتسال ومن قال يجوز تعلق بالقراءة
بالتخفيف هو الصحيح ويمكن في قراءة التشديد ان يحمل على ان المراد به توضأن على ما حكيناه عن طاوس وغيره
ومن استعمل قراءة التشديد يحتاج ان يحذف القراءة بالتخفيف ويقدر محذوفا بان يقول تقديره حتى يطهرن
ويتطهرن وعلى ما قلناه لا يحتاج اليه وقوله فاذا تطهرن معناه اغتسلن وعلى ما قلناه حتى توضأن وقوله
فاتوهن من حيث امركم الله صورته صورة الامر ومعناه الاباحة كقوله فاذا حللتم فاصطادوا فاذا قضيت الصلوة
فانتشروا وقوله من حيث امركم الله معناه من حيث امركم الله بتجنبه في حال الحيض وهو الفرج على قول ابن
عباس ومجاهد وقتادة والربيع وقال السدي والضحاك من قبل الطهر دون الحيض وعن ابن الحنفية من قبل
النكاح دون الفجور والاول اليق بالظاهر ويحتمل ان يكون من حيث اباح الله لكم دون ما حرمه عليكم من
اتيانها وهي صائمة او محرمة او معتكفة ذكره الزجاج قال الفراء ولو اراد الفرج لقال في حيث فلما قال من
حيث علمنا انه اراد من الجهة التي امركم الله بها وقال غيره انما قال من حيث ولم يقل في حيث لان من لابتداء
الغاية في الفعل نحو قولك ايت زيدا من مأتاه اي من الوجه الذي يؤتى منه وقوله يحب التوابين ويحب المتطهرين
قال عطا المتطهرين بالماء وقال مجاهد المتطهرين من الذنوب والاول اقوى في سبب نزول هذه الاية و
المعنى يتناول الامرين وانما قال المتطهرين ولم يذكر المتطهرات لان المؤنث يدخل في المذكر لتغليبه عليه
قوله تعالى نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا
أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ اية واحدة بلا خلاف قيل في معنى قوله حرث لكم قولان احدهما ان معناه
مزدرع اولادكم كانه قيل محترث لكم في قول ابن عباس والسدي وانما الحرث الزرع في الاصل والقول الثاني
نساؤكم ذو حرث لكم فاتوا موضع حرثكم انى شئتم ذكره الزجاج وقيل الحرث كناية عن النكاح على وجه التشبيه
وقوله انى شئتم معناه من اين شئتم في قول قتادة والربيع وقال مجاهد معناه كيف شئتم وقال الضحاك معناه
متى شئتم وهذا خطاء عند جميع المفسرين واهل اللغة لان انى لا يكون الا بمعنى من اين كما قال انى لك هذا قالت
هو من عند الله وقال بعضهم معناه من اي وجه واستشهد بقول الكميت بن زيد   انى ومن اين آبك الطرب
من حيث لا صبوة ولا ريب   هذا لا شاهد فيه لانه يجوز ان يكون انى بمعنى من اين لاختلاف اللفظين كما يقولون متى كان
هذا واي وقت كان ويجوز ان يكون بمعنى كيف وتاول مالك فقال انى شئتم تفيد جواز الاتيان في الدبر
ورواه عن نافع عن ابن عمر وحكاه زيد بن اسلم عن محمد بن المنكدر وروي من طرق جماعة عن ابن عمر وبه قال
اكثر اصحابنا وخالف عن ذلك جميع الفقهاء والمفسرين وقالوا هذا لا يجوز من وجوه احدها ان الدبر ليس بحرث
لانه لا يكون فيه الولد وهذا ليس بشيء لانه لا يمتنع ان تسمى النساء حرثا لانه يكون منهن الولد ثم يبيح الوطي
فيما لا يكون منه الولد يدل على ذلك انه لا خلاف انه يجوز الوطي بين الفخذين وان لم يكن هناك ولد وثانيها
قالوا قال الله فاتوهن من حيث امركم الله وهو الفرج والاجماع على ان الاية الثانية ليست بناسخة للاولى و
هذا ايضا لا دلالة فيه لان قوله من حيث امركم الله معناه من حيث اباح الله لكم او من الجهة التي شرعها لكم على
ما حكيناه عن الزجاج ويدخل في ذلك الموضعان معا وثالثها قالوا ان معناه من اين شئتم اي ايتوا الفرج من
اين شئتم وليس في ذلك اباحة لغير الفرج وهذا ايضا ضعيف لانا لا نسلم ان معناه ايتوا الفرج بل عندنا معناه
ايتوا النساء او ايتوا الحرث من اين شئتم ويدخل فيه جميع ذلك ورابعها قالوا قوله في المحيض قل هو اذى فاعتزلوا
النساء في المحيض فاذا حرم للاذى بالدم فالاذى بالنجو اعظم منه وهذا ايضا ليس بشيء لان هذا حمل الشيء
على غيره من غير علة على انه لا يمتنع ان يكون المراد بقوله قل هو اذى غير النجاسة بل المراد ان في ذلك مفسدة
ولا يجوز ان يحمل على ذلك غيره الا بدليل يوجب العلم على ان الاذى بمعنى النجاسة حاصل في البول ودم الاستحاضة
ومع هذا فليس بمنهي عن الوطي في الفرج ويقال ان هذه الاية نزلت ردا على اليهود وان الرجل اذا اتى المرأة

من خلف في قبلها خرج الولد احول فاكذبهم الله في ذلك ذكره ابن عباس وجابر ورواه ايضا اصحابنا وقال
الحسن انكرت اليهود اتيان المرأة قائمة وباركة فانزل الله اباحته بعد ان يكون في الفرج وهو السبب الذي
روي لا يمنع ان يكون ما ذكرناه مباحا لان غاية ما في السبب ان يطابقه الاية فاما انه لا يتعداه فلا يجب عند اكثر
المحصلين وقوله وقدموا لانفسكم اي قدموا الاعمال الصالحة التي امر الله بها عباده ورغبهم فيها فيكون ذخرا
عند الله ووجه اتصال قوله تعالى وقدموا لانفسكم بما قبله انه لما قدم الامر بعدة اشياء قيل وقدموا لانفسكم
بالطاعة فيما امرتم به واتقوا مجاوزة الحد فيما بين لكم وفي ذلك الحث على العمل بالواجب الذي عرفوه والتحذير
من مخالفة ما الزموه وقوله وبشر المؤمنين فالبشارة الدلالة على ما يظهر به السرور في بشرة الوجه وقوله
انكم ملاقوه اي اتقوا من معاصيه التي نهاكم عنها واتقوا جزاءه واعلموا انكم ملاقوا جزائه ان عصيتموه و
ملاقوا ثوابه ان اطعتموه وانما اضافه اليه على ضرب من المجاز كما يقول القائل لغيره ستلقى ما عملت وانما
يريد جزاء ما عملت فيسمى الجزاء باسم الشيء **قوله تعالى** وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَ
تَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ اية واحدة بلا خلاف قيل في معنى قوله ولا تجعلوا الله
عرضة لايمانكم ثلثة اقوال احدها ان العرضة علة كانه قال لا تجعلوا اليمين بالله علة مانعة من البر
والتقوى من حيث تتعمد والتعلل بها وتقولوا قد حلفنا بالله ولم يحلفوا به هذا قول الحسن وطاوس
وقتادة واصله في هذا الوجه الاعتراض به بينكم وبين البر والتقوى للامتناع منهما لانه قد يكون المعترض
بين الشيئين مانعا من وصول احدهما الى الاخر فالعلة مانعة كهذا المعترض وقيل العرضة المعرض قال الشاعر
لا تجعليني عرضة اللوائم   الثاني عرضة حجة كانه قال لا تجعلوا اليمين بالله حجة في المنع ان تبروا وتتقوا بان
يكونوا قد سلف منكم يمين ثم يظهر ان غيرها خير منها فافعلوا الذي هو خير ولا تحتجوا بما سلف من اليمين و
هو قول ابن عباس ومجاهد والربيع والاصل في هذا القول والاول واحد لانه منع من جهة الاعتراض بعلة
او حجة وقال بعضهم ان اصل عرضة قوة فكانه قيل ولا تجعلوا الحلف بالله قوة لايمانكم في الا تبروا وانشد
لكعب بن زهير   من كل نضاخة الذفرى اذا عرقت   عرضتها طامس الاعلام مجهول   وعلى هذا يكون الاصل العرض
لان بالقوة يتصرف في العرض والطول فالقوة عرضة لذلك الثالث بمعنى ولا تجعلوا اليمين بالله مبتذلة في كل
حق وباطل لان تبروا في الحلف فيها وتتقوا المأثم فيها وهو المروي عن عايشة لانها قالت لا تحلفوا به وان بررتم
به قال الجبائي وهو المروي عن ائمتنا عليهم السلام واصله على هذا معترض بالبذل لا تبتذل يمينك في كل حق وباطل فاما
في الاصل فمعترض بالمنع اي لا يعترض بها مانعا من البر والتقوى فتقدير الاول لا تجعل الله مانعا من البر و
التقوى باعتراضك به حالفا وتقدير الثاني لا تجعل الله مما تحلف به دائما باعتراضك بالحلف في كل حق و
باطل لان يكون من البررة والاتقياء واليمين والقسم والحلف واحد واليمنة ضرب من برود اليمن واخذ يمنة
وبشرة ويمن يمن يمنا فهو ميمون ويمن فهو متيمن اذا اتى باليمن والبركة وتيمن به تيمنا وتيامن تيامنا و
اليمين خلاف الشمال واصل الباب اليمن والبركة وقوله ان تبروا قيل في معناه ثلثة اقوال احدها ان تبروا
لان تبروا على معنى الاثبات الثاني ان يكون على معنى لدفع ان تبروا او لئلا ان تبروا في قول ابي العباس
الثالث على تقدير الا تبروا وحذف لا لانه في معنى القسم كما قال امرؤ القيس   فقلت يمين الله ابرح
قاعدا   ولو قطعوا راسي لديك واوصالي   اي لا ابرح هذا قول ابي عبيدة وانكر ابو العباس هذا لانه
لما كان معه ان بطل ان يكون جوابا للقسم وانما يجوز والله اقوم في القسم بمعنى لا اقوم لانه لو كان اثباتا
لقال لاقومن باللام والنون والمعنى في قول ابي العباس وابي عبيدة واحد والتقدير مختلف فحمله ابو العباس
على ما له نظير من حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه وانكر قياسه على ما لا يشبهه وفي موضع ان تبروا
ثلثة اقوال قال الخليل والكسائي موضعه الخفض بحذف اللام مع ان خاصة الثاني قال سيبويه واكثر النحويين
من موضعه النصب لانه لما حذف الخافض وصل الفعل وهو القياس الثالث قال قوم موضعه الرفع على ان
تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس اولى ويحذف اولى لانه معلوم المعنى اجاز ذلك الزجاج وانما حذف اللام

جاز مع ان ولم يجز مع المصدر لان ان يصلح معها الماضى والمستقبل نحو قولك جئتك ان ضربت زيدا او
جئتك ان تضرب زيدا والمصدر ليس كذلك كقولك جئتك لضرب زيد فمعنى ذلك انه لما وصل بالفعل احتمل
الحذف كما يحتمل الذى اذا وصل بالفعل من حذف ضمير المفعول ما لا يحتمله الالف واللام اذا وصل بالاسم
نحو الذى ضربت زيد يريد ضربته فاما الضاربه انا زيد فلا يحسن الا بالهاء وذلك لان الفعل اثقل فهو
بالحذف اولى ويجوز ان يكون لما صلح للامرين كثر فى الاستعمال فكان بالحذف اولى مما قل فيه وقال الزجاج
انما جاز حذف اللام مع ان ولم يجز مع المصدر لان ان اذا وصلت دل ما بعدها على الاستقبال والمعنى تقول
جئتك ان ضربت زيدا وجئتك ان تضرب زيدا فلذلك جاز حذف اللام فاذا قلت جئتك ضرب زيد لم يدل الضرب
على مضى ولا استقبال فاذا حلف لا يعطى من معروفه ثم راى ان بره خير اعطاه ونقض يمينه وعندنا
لا كفارة عليه وانما جاز ذلك لانه لا يخلو من ان يكون حلف يمينا جائزة او غير جائزة فان كانت جائزة
فهى مقيدة بالا ان يرى ما هو خير فليس فى هذا مناقضة للجائزة وان كانت غير جائزة فنقضها غير
مكروه ۞ وقوله والله سميع عليم معناه انه سميع ليمينه عليم بنيته فيه وفى ذلك تذكير وتحذير
قوله تعالى لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ
حَلِيمٌ آية اختلفوا فى يمين اللغو فى هذه الآية فقال ابن عباس وعائشة والشعبى هو ما يجرى على عادة
اللسان من لا والله وبلى والله من غير عقد على يمين يقتطع بها مال او يظلم بها احد وهو المروى عن
ابى جعفر وابى عبد الله عم وقال الحسن ومجاهد وابرهيم هى يمين الظان وهو يرى انه حلف فلا اثم عليه
ولا كفارة وروى ايضا عن ابن عباس وطاوس انها يمين الغضبان لا يؤاخذ بالحنث فيها وبه قال سعيد بن
جبير الا انه اوجب فيها الكفارة وقال مسروق كل يمين ليس له الوفاء بها فهى لغو ولا يجب فيها كفارة
وقال الضحاك وروى ايضا عن ابن عباس ان لغو اليمين ما يجب فيه الكفارة وروى عن ابرهيم انها يمين
الناسى اذا حنث وقال زيد بن اسلم هو قول الرجل اعمى الله بصرى او اهلك الله مالى فيدعوا على نفسه
واصل اللغو هو الكلام الذى لا فائدة فيه وكل يمين جرت مجرى ما لا فائدة فيه حتى صارت بمنزلة ما لم
يقع فهى لغو ولا شئ فيها وهو اختيار الرمانى تقول لغا يلغو لغوا اذا اتى بكلام لا فائدة فيه والغى الغاء اذا
اطرح الكلمة لانه لا فائدة فيها ۞ وقوله والغوا فيه معناه ارفعوا الصوت بكلام لا فائدة فيه والحساب الذى
يلغى اى يطرح لانه بمنزلة كلام لا فائدة فيه ولاغية كلمة قبيحة فاحشة ومنه اللغة لانها كلام لا فائدة فيه عند
غير اهله وهو مشتق من لغا الطاير وهو منطقه وقال ثعلبة بن صعير المازنى   باكرتهم بسباء جون ذارع
قبل الصباح وقبل لغو الطاير   الايمان على ضربين احدهما لا كفارة فيها والثانى يجب فيها الكفارة فما لا
كفارة فيه هو اليمين على الماضى اذا كان كاذبا فيه مثل ان يحلف انه ما فعل وكان فعل او يحلف انه فعل وما
كان فعل فهاتان لا كفارة فيهما عندنا وكذلك اذا حلف على مال ليقتطعه كاذبا فلا كفارة عليه ويلزمه الخروج
مما حلف عليه والتوبة وهى اليمين الغموس وفى هذه ايضا خلاف ومنها ان يحلف على امر فعل او ترك وكان
خلاف ما حلف عليه اولى من المقام عليه فليخالف ولا كفارة عليه عندنا وفيه خلاف مع اكثر الفقهاء وما
فيه كفارة فهو ان يحلف على ان يفعل او يترك وكان الوفاء به اما واجبا او ندبا او كان فعله وتركه سواء
فمتى خالف كان عليه الكفارة وقد بينا امثلة ذلك فى النهاية فى الفقه وقال الحسن الايمان على ثلثة اقسام
منها ان يحلف على امر وهو يرى انه على ما حلف فهذا هو اللغو لا عقوبة فيه ولا كفارة ومنها ان يحلف
على امر وهو يعلم انه كاذب فهذا اثم فاجر عليه التوبة ولا كفارة عليه ومنها ان يحلف لا يفعل كذا
فيفعل او يحلف ليفعلن ولا يفعل ففى ذلك الكفارة وكان يقول اذا حلف على حلواء او على خمر فقال والله
لتاكلن من هذا الطعام فلم ياكل فعليه الكفارة وقال اليمين على اربعة اوجه فى قول اكثر الفقهاء ثنتان لا
كفارة فيهما وثنتان فيهما الكفارة فالاول قول الرجل والله ما فعلت وقد فعل وقوله والله لقد فعلت
وما فعل فهاتان لا كفارة فيهما لانه لا حنث فيهما الثانى قول الحالف والله لا افعل ثم يفعل وقوله والله

لافعلن

لافعلن ثم لا يفعل فهاتان فيهما الكفارة وقد بينا الخلاف فى خلاف الفقهاء والفرق بين اللغا واللغو ان اللغا
الذكر بالكلام القبيح لغيت الغى لغا قال العجاج   ورب اسراب حجيج كظم   عن اللغا ورفث التكلم
وجواب اليمين على اربعة اقسام اللام وما وان ولا نحو والله لاتينك والله ما فعلت كذا ووالله انه لكاذب
ووالله لا كلمته وقوله والله غفور حليم فالحلم الامهال بتاخير العقاب على الذنب تقول حلم حلما وتحلم تحلما
وحلمه تحليما وحلم فى نومه حلما اذا راى الاحلام ومنه اضغاث احلام والحلم الرويا فى النوم ومنه الاحتلام
والحلم ما عظم من القردان والواحد حلمة لانه كحلمة الثدى وحلمة الثدى لانها تحلم المرتضع والحلمة شجرة
السعدان وهى من افضل المرعى وتحلمت الضباب اذا سمنت لانه يكسبها كبعد الحلم والحلام الجدى واصل الباب
الحلم الاناة فاما حلم الاديم اذا نغل فلانه وقع فيه الحلم قوله تعالى لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ
أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ آية واحدة بلا خلاف قوله يؤلون معناه يحلفون بلا خلاف
بين اهل التاويل وهو المروى عن سعيد بن المسيب وهو ماخوذ من الالية قال الشاعر
كفينا من تغيب من نزار   واحنثنا اليه مقسمينا   ويقال الى الرجل من امراته يولى ايلاء والية والوة
وهو الحلف قال الاعشى   انى اليت على حلفة   ولم اقلها سخر الساخر   وجمع الية الايا واليات كعشية
وعشايا وعشيات فاما جمع الوة فالايا كركوبة وركايب وجمع الية الا كصحفة وصحاف ومنه ائتلى بالى
ايتلاء وفى التنزيل ولا ياتل اولوا الفضل منكم وتقول لا انا لو الوا اليا والوا نحو العتى والعتو وما الوت جهدا
ولا الوته نصحا او غشا ومنه قوله لا يالونكم خبالا وقال الشاعر   نحن فضلنا جهدنا لم ناتله اى لم نقصر
واصل الباب التقصير فمنه لا يالوا جهدا ومنه الالية اليمين لانها لنفى التقصير وعود الوة والوة اجود
العود لانه خالص والايلاء فى الاية المراد به اعتزال النساء وترك جماعهن على وجه الاضرار بهن وكانه قيل
للذين يولون ان يعتزلوا نساءهم تربص اربعة اشهر منهم واليمين التى يكون بها الرجل موليا هى اليمين بالله
عز وجل او بشئ من صفاته التى لا يشركه فيها غيره على وجه لا يقع موقع اللغو الذى لا فائدة فيه ويكون
الحلف على الامتناع من الجماع على جهة الغضب والضرار وهو المروى عن على عم وابن عباس والحسن وقال
ابرهيم وابن سيرين والشعبى فى الغضب قال سعيد بن المسيب هو فى الجماع وغيره من الضرار نحو الحلف الا
يكلمها والتربص بالشئ انتظار له به خيرا او شرا يحل به وتقول تربصت بالشئ تربصا وربصت به ربصا ومنه
قوله فتربصوا به حتى حين ويتربص به ريب المنون قال الشاعر   تربص بها ريب المنون لعلها   تطلق يوما
او يموت حليلها   وما لى على هذا الامر ربصة اى تلبث واصله الانتظار ۞ وقوله فان فاءوا معناه فان رجعوا
ومنه قوله حتى تفئ الى امر الله اى حتى ترجع من الخطاء الى الصواب والفرق بين الفئ والظل ما قال
المبرد ان الفئ ما نسخ الشمس لانه هو الراجع واما الظل فما لا شمس فيه وكل فئ ظل وليس كل ظل فيئا و
لذلك اهل الجنة فى ظل لا فى فئ لانه لا شمس فيها كما قال الله تع وظل ممدود وجمع الفئ افياء وتقول
فاء الفئ اذا تحول عن جهة الغداة برجوع الشمس عنه وتفيأت فى الشجر وفيات الشجرة والفئ غنائم
المشركين افاء الله علينا فيهم لانه من رجوع الشئ الى حقه والفئ الرجوع عن الغضب ان فلانا لسريع الفئ
من غضبه فان قيل ما الذى يكون المولى به فائيا قيل عندنا يكون فائيا بان يجامع وبه قال ابن عباس ومسروق و
سعيد بن المسيب قال الحسن وابرهيم وعلقمة يكون فائيا بالعزم فى حال العذر الا انه ينبغى ان يشهد على فيئه
وهذا يكون عندنا للمضطر الذى لا يقدر على الجماع ويجب على الفائ عندنا الكفارة وبه قال ابن عباس و
سعيد بن المسيب وقتادة ولا عقوبة عليه وهو المروى عن ابى جعفر وابى عبد الله عم وقال الحسن وابرهيم لا
كفارة عليه لقوله فان فاءوا فان الله غفور رحيم اى لا تتبعه بكفارة ولا عقوبة ويجوز فى تربص اربعة اشهر
ثلثة اوجه الجر بالاضافة وعليه جميع القراء ويجوز النصب والرفع فى العربية تربص اربعة اشهر كما قال الم نجعل
الارض كفاتا احياء وامواتا اى بكفتهم احياء وامواتا او تربص اربعة اشهر كقوله فشهادة احدهم اربع شهادات
بالله ومثله فجزاء مثل ما قتل من النعم وانما جعل اختصاص الايلاء بحال الغضب لان مدة التربص جعل فسحة

للمراة

للمراة فى التخلص من المضادة فاذا لم يكن ضرار لم يصح ايلاء ومن لم يخص بحال الغضب حمله على عموم الايلاء
وهو الاقوى ومتى حلف بغير الله فى الايلاء فلا تنعقد يمينه ولا يكون موليا وقال الجبائى اذا حلف بما
يلزمه فيه حرم نحو الصدقة او الطلاق او العتاق فهو ايلاء والا فهو لغو نحو قوله وحياتك فى اشبهه
وقال الشافعى لا ايلاء الا بالله كما قلناه ومتى حلف الا يجامع اقل من اربعة اشهر لا يكون موليا لان الايلاء
على اربعة اشهر او اكثر ومتى حلف الا يقربها وهى مرضعة خوفا من ان يحبل فيضر ذلك بولدها لا يلزمه حكم
الايلاء وهو المروى عن على عليه السلام وبه قال الحسن وابن شهاب ويجوز ان يكون فى الاية تقديم وتاخير
فيكون تقديره للذين يؤلون تربص اربعة اشهر من نسائهم ويجوز ان يكون معناه للذين يؤلون من
اجل نسائهم تربص اربعة اشهر كما تقول غضبت لفلان اى من اجل فلان واذا مضت اربعة اشهر لم تبن منه
بطلاق ويلزمه الحاكم اما الرجوع والكفارة واما الطلاق فان امتنع حبسه حتى يفىء او يطلق وفيه خلاف
قوله تعالى وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ اية واحدة عزيمة الطلاق فى الحكم عندنا ان
يعزم ثم يتلفظ بالطلاق ومتى لم يتلفظ بالطلاق بعد مضى الاربعة اشهر فان المراة لا تبين منه الا ان تستعدى
فان استعدت ضرب الحاكم مدة اربعة اشهر ثم توقف بعد الاربعة اشهر فيقال له فئ او طلق فان لم يفعل
حبسه حتى يطلق ومثل هذا قال اهل المدينة غير انهم قالوا متى امتنع من الطلاق والفيء طلق عنه الحاكم
طلقة رجعية وقال اهل العراق الايلاء ان يحلف الا يجامعها اربعة اشهر فصاعدا فاذا مضت اربعة اشهر
فلم يقربها بانت منه بتطليقة لا رجعة له عليها وعليها عدة ثلث حيض يخطبها فى العدة ولا يخطبها غيره
فان فاء قبل الاربعة اشهر اى ان جامع كفر يمينه وهى امراته وقال الحسن وقتادة وابن مسعود وابراهيم وابن عباس
وحماد هو مضى اربعة اشهر قبل ان يفىء من غير عذر والعزم هو العقد على فعل شىء فى مستقبل الوقت والعزم
على الشىء هو ارادته اذا كانت متقدمة للفعل باكثر من وقت واحد ويكون متعلقه بفعل العازم ولا يدخل
بينها وبين الفعل سهو ولا نسيان يقال عزم عزما اذا عقد على ان يفعل الشىء واعتزم اعتزاما وعزمت عليك
لتفعلن اى اقسمت وعزم الراقى كانه اقسم على الداء ورجل ماضى العزم جاد فى امره وما لفلان عزيمة اى ما
يثبت على امر لتلونه منه وقوله فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل وعزائم القران التى يقرا على ذوى الافات
لما يرجى من البرء بها واصل الباب العزم على العقد على الشىء والطلاق حل عقدة النكاح بما يوجبه فى الشريعة
تقول طلقت تطلق طلاقا فهى طالق بلا علامة التانيث حكاه الزجاج وقال قوم لانه يخص المؤنث قال الزجاج
هذا ليس بشىء لان فى الكلام شيئا كثيرا يشترك فيه المذكر والمؤنث بلا علامة التانيث نحو قولهم بعير ضامر وناقة
ضامر وبعير ساعل وناقة ساعل وزعم سيبويه واصحابه ان هذا واقع على لفظ التذكير صفة للمؤنث لان
المعنى هى طالق حقيقة عندهم انه على جهة النسب نحو قولهم امراة مذكار ورجل مذكار ورجل مئناث وامراة مئناث
ومعناه ذات ذكران وذات اناث وكذلك مطفل ذات طفل وكذلك طالق ذات طلاق فان اجريته على الفعل
قلت طالقة قال الشاعر ايا جارتا بينى فانك طالقة كذاك امور الناس غاد وطارقة وتقول طلقها
تطلقها وتطلق تطلقا واطلق اطلاقا واستطلق استطلاقا وانطلق انطلاقا وطلقت المراة عند الولادة فهى
مطلوقة اذا تمخضت والطلق الشوط من الجرى والطلق قيد من قد وعقب تقيد به الابل ورجل طلق الوجه
بهلول ضحاك ويوم طلق اذا لم يكن فيه حر ولا قر والطليق الاسير يخلى عنه ورجل طلق اليدين سمح بالعطاء والطلق
الحبل الشديد الفتل يقوم قيام واصل الباب الانطلاق والطلاق لانطلاق المراة فيه على عقدة النكاح والطلاق
بعد الايلاء والايقاف يكون واحدة رجعية وبه قال سعيد بن المسيب وابن عمر وقال الحسن وابن مسعود و
ابن عباس يكون باينة **و** قوله فان الله سميع عليم فيه دلالة على الاخذ بالفىء او الطلاق لانه بمعنى ان الله
يسمع قوله ويعلم ضميره وقيل بل هو راجع الى يسمع ايلاءه ويعلم بنيته وكلاهما يحتمل فى اللغة على قول الزجاج
وحقيقة السميع هو من كان على صفة يجب لاجلها ان يدرك المسموعات اذا وجدت وهو يرجع الى كونه
لا آفة به والسامع هو المدرك والله تعالى يوصف فيما لم يزل بانه سميع ولا يوصف فيما لم يزل بانه سامع وانما

يوصف بانه سامع اذا وجدت المسموعات وانما ذكر عقيب الاول ان الله غفور رحيم لانه لما اخبر عن المولى
انه يلزمه الفىء او الطلاق بين انه ان فاء فان الله غفور رحيم بان يقبل رجوعه ولا يتبعه بعقاب ما ارتكبه وذكر
ههنا انه سميع عليم لما اخبر عنه بايقاع الطلاق وكان ذلك مما يسمع اخبر انه لا يخفى عليه وانه يسمعه لانه
على صفة يوجبادراكه لذلك وانه عالم ببيانه فلا الذى ذكر فى الاية الاولى يليق بهذه الاية ولا الذى ذكره ههنا
يليق هناك وذلك من عظيم فصاحة القران وجلالة مواقعه **قوله تعالى** وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ
قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ
أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ
وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ اية بلا خلاف القروء الطهر عندنا وبه قال زيد بن ثابت وعايشة وابن عمر وسالم واهل
الحجاز وروى عن ابن عباس وابن مسعود والحسن وبه قال اهل العراق ورووه عن على عليه السلام انه الحيض واصل القرء
يحتمل وجهين فى اللغة احدهما الاجتماع فمنه قرات القران لاجتماع حروفه ومنه قولهم ما قرات الناقة سلا
قط اى لم يجتمع رحمها على ولد قط قال عمرو بن كلثوم ذراعى عيطل ادماء بكر هجان اللون لم تقرا
جنينا ومنه اقرات النجوم اذا اجتمعت فى الافول فعلى هذا يقال اقراه المراة اذا حاضت فهى مقرئ
فى قول الاصمعى والاخفش والكسائى والفراء وانشدوا له قروء كقروء الحائض فتاويل ذلك الاجتماع الدم
فى الرحم ويجئ على هذا الاصل ان يكون القرء الطهر لاجتماع الدم فى جملة البدن هذا قول الزجاج والوجه
الثانى ان يكون اصل القرء وقت الفعل الذى يجرى على عادة فى قول ابى عمرو بن العلاء وقال هو
يصلح للحيض والطهر يقال هذا قارئ الرياح اى وقت هبوبها قال الشاعر شنئت العقر عقر بنى شليل
اذا هبت لقاريها الرياح اى لوقت شدة بردها وقال اخر رجا اياس ان تؤوب ولا ارى اياسا
لقرء الغائبين يؤوب اى لحين الغائبين فعلى هذا يكون القرء الحيض لانه وقت اجتماع الدم فى الرحم
على العادة المعروفة فيه ويكون الطهر لانه وقت ارتفاعه على عادة جارية فيه قال الاعشى فى الطهر
وفى كل عام انت جاشم غزوة تشد لاقصاها عزيم عزائكا مورثة مالا وفى الاصل رفعة
لما ضاع فيها من قروء نسائكا والذى ضاع ههنا الاطهار لانه بعد غيبته فضيع بها طهر النساء
فلا يطاهن والوقت الجارى فى الفعل على عادة راجع الى معنى الاجتماع وذلك لاجتماع الفعل مع الوقت
الدائر فالاجتماع اصل الباب واخذ القرء من الوقت رده الى الفرع وكلا الامرين يحتمل فى اللغة ومن خفف
الهمزة فى قروء قال قرو ومثله من يعمل سوء واستشهد اهل العراق اشياء يقوى ان المراد الحيض منها
قوله عليه السلام فى مستحاضة سالته دعى الصلاة ايام اقرائك واستشهد اهل المدينة بقوله فطلقوهن لعدتهن
اى طهر لم يجامع فيه كما يقال لغرة الشهر وتاوله غيرهم لاستقبال عدتهن وهى الحيض فان قيل لو كان
المراد فى الاقراء فى الاية الاطهار لوجب استيفاء الثلثة اطهار بكمالها كما ان من كانت عدتها بالاشهر وجب
عليها ثلثة اشهر على الكمال وقد اجمعنا على انه لو طلقها فى اخر يوم الطهر الذى ما قربها فيه انه لا يلزمها
اكثر من طهرين اخرين وذلك دليل على فساد ما قلتموه قلنا تسمى القران الكاملان وبعض الثالث ثلثة
اقراء كما تسمى الشهران وبعض الثالث ثلثة اشهر قال الله تعالى الحج اشهر معلومات وانما هو شوال وذو
القعدة وبعض ذى الحجة وروى عن عايشة انها قالت الاقراء الاطهار **و** قوله ولا يحل لهن ان يكتمن ما
خلق الله فى ارحامهن قيل فى معناه ثلثة اقوال احدها قال ابرهيم الحيض وثانيها قال قتادة الحبل و
ثالثها قال ابن عمر والحسن هو الحبل والحيض وهو الاقوى لانه اعم وانما لم يحل لهن الكتمان لظلم الزوج بمنعه
المراجعة فى قول ابن عباس وقال ابن عباس وقال قتادة لنسبة الولد الى غيره كفعل الجاهلية وانما قال
ثلثة قروء ولم يقل ثلثة اقرء على جمع القليل لانه لما كانت كل مطلقة يلزمها هذا دخله معنى الكثرة فاتى
ببنا الكثرة للاشعار بذلك فالقروء كثيرة الا انها ثلثة ثلثة فى القسمة ووجه اخر ان بناء الكثير فيه اغلب
فى الاستعمال لانه على قياس الباب فى جمع فعل الكثير فاما القليل فقياسه افعل دون افعال فصار بمنزلة

ما لا يعتد به فجاء بجمع قولهم ثلثة شسوع فاستغنى فيه ببناء الكثير عن القليل ووجه ثالث ان يذهب مذهب
الجنس نحو قولهم ثلثة كلاب يعنون ثلثة من الكلاب اذا اريد رفع الابهام والشرط بقوله ان كن يؤمن بالله و
اليوم الاخر معناه من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فهذه صفته فيما يلزمه لا انه يلزم المؤمن دون غيره وخرج
ذلك مخرج التهديد وبعولتهن احق بردهن يعنى ازواجهن احق برجعتهن وذلك يختص الرجعيات وان كان اول
الاية عاما فى جميع المطلقات الرجعية والباينة وسمى الزوج بعلا لانه عال على المراة بملكه لزوجيتها تقول
بعل يبعل بعولة وهو بعل و قوله اتدعون بعلا اى ربا لانه بمعنى من سميتموه باستعلاء الربوبية تخرصا و
قيل انه صنم والبعل النخل يشرب بعروقه لانه مستعل على شربه وبعل الرجل بامره اذا ضاق به ذرعا لانه علاه
منه ما ضاق به صدره وبعل الرجل فى معنى بطر لانه استعلى معظما وكبرا وامراة بعلة لا تحسن لبس الثياب
لان الحيرة يستعلى عليها فيدهشها وبعل الرجل يبعل بعلا اذا دهش دهشا و قوله ولهن مثل الذى عليهن
قال الضحاك لهن من حسن العشرة بالمعروف على ازواجهن مثل ما عليهن من الطاعة فيما اوجبه الله عليهن لهم
وقال ابن عباس لهن على ازواجهن من التصنع والتزين مثل ما لازواجهن عليهن وقال الطبرى لهن على
ازواجهن ترك مضارهن كما ان عليهن لازواجهن و قوله وللرجال عليهن درجة قيل معناه فضيلة منها
للطاعة ومنها ان يملك التخلية ومنها زيادة الميراث للمراة والجهاد هذا قول مجاهد وقتادة وقال ابن عباس
منزلة فى الاخذ عليها بالفضل فى المعاملة حتى قال ما احب ان استوفى منها جميع حقى ليكون لى عليها
الفضيلة وتقول رجل بين الرجلة اى القوة وهو ارجلهما اى اقواهما وفرس رجيل قوى على المشى والرجل
معروفة لقوتها على المشى ورجل من جراد اى قطعة منه تشبيها بالرجل لانها قطعة من الجملة والراجل الذى
يمشى على رجله وارتجل الكلام ارتجالا لانه قوى عليه من غير ركوب فكرة ولا روية وترجل النهار لانه قوى
ضياؤه بنزول الشمس الى الارض ورجل شعره اذا طوله لانه قوى بكثرته من غير ان يركب بعضه بعضا فيقل
فى راى العين والمرجل معروف واصل الباب القوة والدرجة المنزلة تقول درجت الشئ ادرجه درجا و
ادرجته ادراجا ودرج القوم قرنا بعد قرن اى فنوا وادرجه الله ادراجا لانه كطى الشئ منزلة بعد منزلة
والدرج سفيط للطيب لانه بمنزلة ما يدرج فيه ومدرجة الطريق قارعته واصل الباب الطى فالدرجة
منزلة من منازل الطى ومنه الدرجة التى يرتقى فيها وقيل ان فى الاية نسخا لان التى لم يدخل بها لا عدة
عليها بقوله يا ايها الذين امنوا اذا نكحتم المؤمنات الى قوله فما لكم عليهن من عدة تعتدونها ولان الحامل
عدتها وضع ما فى بطنها بقوله واولات الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن **قوله تع** اَلطَّلَاقُ مَرَّتَانِ
فَاِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ اَوْ تَسْرِيحٌ بِاِحْسَانٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ اَنْ تَاْخُذُوا مِمَّا اٰتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا اِلَّا اَنْ يَخَافَا
اَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللّٰهِ فَاِنْ خِفْتُمْ اَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللّٰهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ
اللّٰهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللّٰهِ فَاُولٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ اية بلا خلاف قرا حمزة وابو جعفر
الا ان يخافا بضم الياء والباقون بفتحها قيل فى معنى قوله الطلاق مرتان قولان احدهما ما قال ابن عباس ومجاهد
ان معناه البيان عن تفصيل الطلاق فى السنة وهو انه اذا اراد طلاقها فينبغى ان يطلقها فى طهر لم يقربها فيه
بجماع تطليقة واحدة ثم يتركها حتى تخرج من العدة حتى تحيض وتطهر ثم يطلقها ثانية والثانى ما قاله عروة
وقتادة ان معناه البيان عن عدد الطلاق الذى يوجب البينونة مما لا يوجبها وفى الاية بيان انه ليس بعد
التطليقتين الا الفرقة البائنة وقال الزجاج فى الاية حذف لان التقدير الطلاق الذى يملك فيه الرجعة مرتان
بدلالة قوله فامساك بمعروف او تسريح باحسان والمرتان معناه دفعتان وتقول مر يمر مرا واستمر استمرارا
وامر امرارا وتمرد تمردا ومرده يمرده تمريدا والمر خلاف الحلو ومنه المرارة لان فيها المرة والمرة مزاج من امزجة
البدن والمرة شدة الفتل لاستمراره على احكام والمرير الحبل المفتول وفى التنزيل ذو مرة فاستوى اى ذو
قوة وشدة والمر الذى يعمل به فى الطين واصل الباب المرور خلاف الوقوف وقوله فامساك بمعروف رفع
ومعناه فالواجب امساك عليه وكان يجوز النصب على فليمسك امساكا والامساك خلاف الاطلاق تقول امسك

امساكا وتمسك تمسكا وتماسك تماسكا وامتسك امتساكا ومسك تمسيكا واستمسك استمساكا وفلان
مسيك اى بخيل وما بفلان مسكة ولا تماسك اذا لم يكن فيه خير لانه مخل عن ضبط شئ من اموره والمسك
الاهاب لانه يمسك البدن باحتوائه عليه والمسك السوار وسمى باستمساكه فى اليد و قوله معروف اى
على وجه جميل سائغ فى الشريعة لا على وجه الاضرار بهن و قوله او تسريح باحسان قيل فيه قولان احدهما
انها الطلقة الثالثة وروى عن النبى صم ان رجلا ساله فقال الطلاق مرتان فاين الثالثة فاجابه او
تسريح باحسان وقال السدى والضحاك هو ترك المعتدة حتى تبين بانقضاء العدة وهو المروى عن ابى
جعفر وابى عبد الله ع والتسريح ماخوذ من السرح وهو الانطلاق تقول سرح تسريحا وسرح الماشية
فى الرعى سرحا اذا اطلقها ترعى والسرحان الذيب لانبعاثه السرح والسرحة الشجرة المرتفعة لانطلاقها فى جهة
الطول والمسرح المشط لاطلاق الشعر به وسرحت الماشية اذا انطلقت فى المرعى وسرحت العبد اذا اعتقته
والسراح الجراد لانطلاقه فى البلاد والسريحة القطعة من القد يشد بها نعال الابل وكل شئ قد دنتر
مستطيلا فهو سريح وروى ان هذه الاية نزلت فى ثابت بن قيس وزوجته وردت عليه حديقته وطلقها باذن
النبى صم رواه ابن جريج و قوله الا ان يخافا معناه الا ان يظنا وقال الشاعر اتانى كلام عن نصيب
بقوله وما خفت يا سلام انك عايبى يعنى ما ظننت وانشد الفراء اذا مت فادفنى الى جنب كرمة
تروى عظامى بعد موتى عروقها ولا تدفننى بالفلاة فاننى اخاف اذا ما مت ان لا اذوقها
ومن ضم الياء فتقديره الا ان يخافا على ان لا يقيما حدود الله وقال ابو عبيدة الا ان يخافا معناه يوقنا
فان خفتم فان ايقنتم وقال ابو على الفارسى خاف فعل يتعدى الى مفعول واحد وذلك المفعول تارة
يكون ان وصلتها واخرى غيرها فاما تعديته الى غير ان فنحو قوله تخافونهم كخيفتكم انفسكم وتعديته الى
ان كقوله تخافون ان يتخطفكم الناس وقوله ام يخافون ان يحيف الله عليهم ورسوله فان عديته الى مفعول
بان ضعفت العين او اجتلبت حرف الجر كقولك خوفت ضعفاء الناس قولهم وحرف الجر كقوله لو خاف الله عليه الجو ع
حرمه ومن ذلك قوله انما ذلكم الشيطان يخوف اولياءه فيخوف قد حذف معه مفعول يقتضيه تقديره يخوف
المؤمنين باوليائه فحذف المفعول والجار فوصل الفعل الى المفعول الثانى الا ترى انه لا يخوف اولياءه
على حد قولك خوفت اللص وانما يخوف غيرهم مما لا استنصار لديهم ومثله فاذا خفت عليه بمنزلة المحذوف من
قوله اولياءه فاذا كان تعدى هذا الفعل على ما وصفنا فقول حمزة الا ان يخافا مستقيم لانه لما بنى الفعل
للمفعول به اسند الفعل اليه فلم يبق شئ يتعدى اليه واما ان من قوله الا يقيما حدود الله فان الفعل
يتعدى اليه بالجار كما تعدى بالجار فى قوله لو خاف الله عليه حرمه وموضع ان فى الاية جر
بالجار المقدر على قول الخليل والكسائى ونصب فى قول سيبويه واصحابه لانه لما حذف الجار وصل الفعل
الى المفعول الثانى مثل استغفر الله ذنبا وامرتك الخير فقوله مستقيم على ما رايت فان قال قائل لو كان
يخافا كما قرا حمزة لكان ينبغى ان يكون فان خيفا قيل لا يلزمه هذا السؤال لمن خالفه فى قراءته لانهم قرؤا الا قد اخبره مع
ان يخافا ولم يقولوا فان خافا فهذا لا يلزمه لهؤلاء وليس يلزم الجميع هذا السؤال لامرين احدهما ان يكون
انصرف من الغيبة الى الخطاب كما قال الحمد لله ثم قال اياك نعبد وقال وما اتيتم من زكوة تريدون وجه الله
فاولئك هم المضعفون ونظاير ذلك كثيرة والاخر ان يكون الخطاب فى قوله فان خفتم مصروفا الى الولاة
والفقهاء الذين يقومون بامور الكافة وجاز ان يكون الخطاب للكثرة فى من جعله انصرافا من الغيبة
الى الخطاب لان ضمير الاثنين فى يخافا ليس يراد به اثنان مخصوصان وانما يراد ان كل من كان هذا شانه
فهذا حكمه واما من قرا بالفتح فالمعنى انه اذا خاف من كل واحد من الزوج والمراة الا يقيما حدود الله
حل الافتداء ولا يحتاج فى قولهم الى تقدير الجار لان الفعل يقتضى مفعولا يتعدى اليه كما اقتضى فى قوله
فلا تخافوهم وخافون ولا بد من تقدير الجار فى قراءة من ضم الياء لان الفعل قد اسند الى المفعول
فلا يتعدى الى المفعول الاخر الا بالجار قال ابو على فاما ما قاله الفراء فى قول حمزة الا ان يخافا من انه

اعتبر قراءة عبد الله الا ان يخافوا فلم ينصبه لان الخوف فى قول عبد الله واقع على ان وفى قراءة حمزة على
الرجل والمراة وحال الخوف التى معه الا يقيما حدود الله قال ابن عباس وعروة والضحاك هو نشوز المراة
بغضا للزوج وقال الشعبى هو نشوزها ونشوزه والذى روى عن ابى عبد الله انه اذا خافا ان يعصى
الله فيه بارتكاب محظور واخلال بواجب والا تطيعه فيما يجب عليها فحينئذ يحل له ان يخلعها ومثله
روى عن الحسن وقيل ان الخوف من الاخلال بالحقوق التى تجب لكل واحد منهما على صاحبه من حسن
العشرة وجميل الصحبة فان قيل كيف قال فلا جناح عليهما وانما الاباحة لاخذ الفدية قيل لانه لو خص
بالذكر لاوهم انها عاصية وان كانت الفدية له جائزة فبين الاذن لهما لئلا يوهم انه كالزنا المحرم على
الاخذ والمعطى وذكر الفراء وجهين احدهما انه قال هو كقوله يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وانما هو
من الملح دون العذب فجاز للاتساع وهذا هو الذى يليق بمذهبنا لانا الذى يبيح الخلع عندنا هو
ما لولاه لكانت المراة به عاصية والوجه الثانى على قوله ان ظهرت لصدقه بخمس وان اسرته بخمس وانما
على تزاوج الكلام كقوله فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه والثانى ليس بعدوان والفدية الجايزة فى الخلع
فعندنا ان كان البغض منها وحدها وخافا منها العصيان جاز ان ياخذ المهر فما زاد عليه وان كان منهما
فيكون دون المهر ورووا عن على عم فقط ولم يفصلوا وبه قال الربيع وعطا والزهرى والشعبى وقال
ابن عباس وابن عمر ورجاء بن حيوة وابرهيم ومجاهد انه يجوز الزيادة على المهر والنقصان ولم يفصلوا والاية
غير منسوخة عند اكثر المفسرين ابن عباس والحسن وجميع اهل العلم الا بكر بن عبد الله فانه زعم انها منسوخة
بقوله وان اردتم استبدال زوج مكان زوج الاية والخلع بالفدية على ثلثة اوجه احدها ان يكون المراة
عجوزا ودميمة فيضار بها ليفتدى بها فهذا لا يحل له الفدى لقوله وان اردتم استبدال زوج مكان زوج
الاية والثانى ان يرى الرجل امراته على فاحشة فيضار بها ليفتدى بخلعها فهذا يجوز وهو معنى قوله ولا
تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما اتيتموهن الا ان ياتين بفاحشة مبينة والوجه الثالث ان يخافا الا يقيما
حدود الله لسوء خلق او لقلة نفقة من غير ظلم او نحو ذلك فيجوز الفدية لهما جميعا على ما فصلناه واستدل
اصحابنا بهذه الاية على ان الطلاق الثلث بلفظ واحد لا يقع لانه قال مرتان ثم ذكر الثالثة على الخلاف
فى انها قوله او تسريح باحسان او قوله فان طلقها ومن طلق بلفظ واحد لا يكون اتى بالمرتين ولا بالثالثة
كما انه لو اوجب فى اللعان اربع شهادات ولو اتى بلفظ واحد لما وقع موقعه وكما لو رمى سبع حصيات
فى الجمار دفعة واحدة لم يكن مجزيا له فكذلك الطلاق ومتى ادعوا فى ذلك خبرا فعليهم ان يذكروه ليتكلم
عليه فاما مسائل الخلع وفروعه وشروطه فقد ذكرناها فى النهاية والمبسوط فلا معنى للتطويل بذكرها ههنا
لان المطلوب ههنا معانى القران وتاويله دون مسائل الفقه **قوله تعالى** فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّىٰ
تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ
اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ اية واحدة بلا خلاف قوله فان طلقها فلا تحل له من بعد المعنى فيه التطليقة الثالثة
على ما روى عن ابى جعفر وبه قال السدى والضحاك والزجاج والجبائى والنظام وقال مجاهد هو تفسير لقوله او
تسريح باحسان فانه التطليقة الثالثة وهو اختيار الطبرى وصفة الزوج الذى يحل المراة للزوج الاول ان يكون
بالغا ويعقد عليها عقدا صحيحا دائما ويذوق عسيلتها بان يطاها ويذوق هى عسيلته بلا خلاف بين اهل العلم
فلا تحل لاحد ان يتزوجها فى العدة واما العقود الفاسدة او عقود الشبهة فانها لا تحل للزوج الاول وفى وطيها
بعقد صحيح فى زمان يحرم عليه وطيها مثل ان يكون حائضا او محرمة او معتكفة فانها تحل للاول لان الوطى قد
حصل فى نكاح صحيح وانما حرم الوطى لامر ضار عليه هذا عند اكثر اهل العلم وقال مالك الوطى فى الحيض لا يحل
للاول وان وجب به المهر كله والعدة وموضع ان من فى قوله فلا جناح عليهما ان يتراجعا خفض وتقديره فى
ان يتراجعا عند الخليل والكسائى والزجاج وقال الفرا موضعه النصب واختاره الزجاج وباقى النحويين وقال الفرا
الخفض لا اعرفه وموضع ان الثانية فى قوله ان يقيما حدود الله نصب بلا خلاف بظنا وانما جاز حذف فى من يتراجعا

ولم يجز فى التراجع لانه انما جاز مع ان لطولها بالصلة كما جاز الذى ضربت زيد لطول الذى بالصلة ولم يجز
فى المصدر كما لم يجز فى اسم الفاعل نحو زيد ضارب عمرو تريد ضاربه و قوله فان طلقها الثانية يعنى به الزوج
الثانى وذلك يدل على ان الوطى بعقد الشبهة لا يحل للزوج الاول لان الطلاق لا يلحق نكاح شبهة والراجع
المذكور ههنا هو بعقد مستانف ومهر جديد بلا خلاف وقوله يبينها قرا المفضل عن عاصم بالنون على وجه
الاخبار من الله عن نفسه الباقون بالياء الكناية عن الله لقوم يعلمون انما خص العلم بذكر البيان وان كان بيانا
لغيرهم لانهم الذين ينتفعون ببيان الايات فصار غيرهم بمنزلة من لم يعتد به ويجوز ايضا ان يكون خصوا بالذكر
تشريفا لهم كما قال من كان عدوا لله وملئكته ورسله وجبريل وميكال والحدود المراد بها ما تقدم بيانها
من احكام الطلاق والايلاء والخلع وغير ذلك و قوله ان ظنا ان يقيما حدود الله لا يدل على وجوب الاجتهاد
فى الشريعة لانه لا يمتنع من تعلق احكام كثيرة فى الشرع بالظن وانما فيه دلالة على من قال لا يجوز ان يعمل فى شئ
من الدين الا على اليقين فاما الظن فلا يجوز ان يتعلق فيه شئ من الاحكام فالاية تبطل قوله و قوله فلا تحل
له حتى تنكح زوجا غيره يدل على ان النكاح بغير ولى جائز وان المراة يجوز لها العقد على نفسها لانه اضاف
العقد اليها دون وليها **قوله تعالى** وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ
بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِتَعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ
هُزُوًا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا
أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ اية واحدة بلا خلاف قوله فبلغن اجلهن معناه انقضى عدتهن بالاقراء او الاشهر او
الوضع والمعنى اذا بلغن قرب انقضاء عدتهن لان بعد انقضاء العدة ليس له امساكها والامساك ههنا
المراجعة قبل انقضاء العدة وبه قال ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة وقد يقال لمن دنا من البلد فلان
قد بلغ البلد المراد بالمعروف هذا الحق الذى يدعو اليه العقل والشرع للمعرفة بصحته بخلاف المنكر
الذى يزجر عنه العقل او السمع لاستحالة المعرفة بصحته فما يجوز المعرفة بصحته معروف وما لا يجوز المعرفة
بصحته منكر والمراد به ههنا ان يمسكها على الوجه الذى اباحه الله له من القيام ما يجب لها من النفقة وحسن
العشرة وغير ذلك لا يقصد الاضرار بها فقد بينا ان التسريح اصله ارسال الماشية فى المرعى ومنه قوله حين
تريحون وحين تسرحون و قوله ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا معناه لا تراجعوهن لا لرغبة فيهن بل لطلب الاضرار
بهن اما فى تطويل العدة او طلب المفاداة او غير ذلك لان ذلك غير جائز و قوله ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه
فالظلم الضرر الذى ليس لاحد ان يضر به و قوله ولا تتخذوا ايات الله هزوا يعنى ما ذكره من الاحكام فى
الطلاق بما يجوز فيه المراجعة وما لهم على النساء من التربص حتى يعرا او دفعوه مما ليس لهم عن ذلك وروى
عن ابى الدرداء وابى موسى الاشعرى انهم قالوا كان الرجل يطلق او يعتق ثم يقول انما كنت لاعبا فلذلك
قال رسول الله صلى الله عليه وآله من طلق لاعبا او اعتق لاعبا فقد جاز عليه و قوله واعلموا ان الله بكل شئ عليم
معناه التنبيه على انه لا يسقط الجزاء على عمل من اعمالهم لخفائه عنه لانه بكل شئ عليم والاجل هو انقضاء
مدة الانتظار والامساك ههنا المنع من الذهاب والتسريح الارسال بتركهن بانقضاء العدة **قوله تعالى**
وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ
بِالْمَعْرُوفِ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ
وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ اية واحدة بلا خلاف قال قتادة والحسن ان هذه الاية نزلت فى معقل بن
يسار حين عضل اخته ان ترجع الى الزوج الاول فانه كان طلقها وخرجت من العدة ثم ارادا ان يجتمعا بعقد
اخر على نكاح اخر فمنعه من ذلك فنزلت فيه الاية وقال السدى نزلت فى جابر بن عبد الله عضل بنت عم له
والوجهان لا يصحان على مذهبنا لان عندنا انه لا ولاية للاخ ولا لابن العم عليها وانما هى ولية نفسها
فلا تاثير لعضلها والوجه فى ذلك ان يحمل الاية على المطلقين لانه خطاب لهم بقوله واذا طلقتم النساء
نكاية قال لا تعضلوهن بان تراجعوهن عند قرب انقضاء عدتهن ولا رغبة لكم فيهن وانما يريدون الاضرار

بهن فان ذلك مما لا يسوغ فى الدين والشرع كما قال فى الاولى ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا ولا يطعن على ذلك
قوله ان ينكحن ازواجهن لانه لمعنى فيه من يصير ازواجهن كما انهم لابد لهم من ذلك اذا حملوا على الزوج الاول
لان بعد انقضاء العدة لا يكون زوجا ويكون المراد من كان ازواجهن فالهم الامثل ما عليهم ويجوز
ان يحمل العضل فى الاية على الحجر والحيلولة بينهن وبين التزويج دون ما يتعلق بالولاية لان العضل هو
الحبس وقيل ان العضل ماخوذ من المنع وقيل انه ماخوذ من الضيق قال اوس بن حجر

وليس اخوك الدائم العهد بالذى يذمك ان ولى ويرضيك مقبلا ولكنه النائى اذا كنت امنا
وصاحبك الادنى اذا الامر اعضلا

وتقول عضل المراة يعضلها عضلا اذا منعها من الزوج ظلما
وفى بعض اللغات يعضلها بكسر الضاد فى المضارع واعضل الداء الاطباء اذا اعياهم ان يقوموا به
لانه امتنع عليهم بشدته وهو داء عضال والامر المعضل الذى يغلب الناس لامتناعه بصعوبته وعضل
عليه اذا ضيقت عليه بما يحول بينه وبين ما يريد ظلما لانك منعته بالتضييق عليها مما يريد وعضلت المراة
بولدها اذا عسر ولادها وكذلك اعضلت واعسرت لان الولد امتنع من الخروج عسرا وفلان عضلة
من العضل اى داهية من الدواهى لانه امتنع بدهايته وعضل الوادى باهله اذا ضاق باهله وعضلة
الساق لحمة مكتنزة واصل الباب المنع وقيل اصله التضييق وموضع ان من قوله ان ينكحن ازواجهن جر عند
الخليل والكسائى وتقديره من ان ونصب عند غيرهما بالفعل وقوله ذلك يوعظ به انما قال بلفظ التوحيد
وان كان الخطاب للجميع لاحد ثلثة اوجه احدها ان ذا لما كان منهما يستعمل الكاف معه كثيرا صار بمنزلة
شئ واحد ولا يجوز على ذلك ايها القوم هذا غلامك قال الفراء توهم ان الكاف من ذا وانكر ذلك الزجاج
وقال ليس فى افصح اللغات بناء على توهم خطأ والوجه ما قلناه من التشبيه مما جعلت الكلمتان فيه بمنزلة
شئ واحد نحو ماذا انزل ربكم قالوا خيرا جعلتها وذا بمنزلة شئ واحد والوجه الثانى على تقدير ذلك ايها
القبيل والوجه الثالث ان يكون خطابا للرسول ه وقوله والله يعلم معناه انه يعلم من مصالح العباد ما لا
يعلمونه وقوله من كان منكم يؤمن بالله واليوم الاخر من فى موضع رفع بيوعظ وانما خص المؤمن بالوعظ
لاحد ثلثة اقوال احدها لانهم المشفقون بالوعظ فنسب اليهم كما قال هدى للمتقين وانما انت منذر من
يخشاها والثانى لانهم اولى بالاتعاظ الثالث انما يلزمه الوعظ بعد قبوله الايمان والاعتراف بالله تعالى

قوله تعالى وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ اَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ اَرَادَ اَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى
الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ اِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا
وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَاِنْ اَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ
فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَاِنْ اَرَدْتُمْ اَنْ تَسْتَرْضِعُوا اَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ اِذَا سَلَّمْتُمْ مَا اٰتَيْتُمْ
بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللّٰهَ وَاعْلَمُوا اَنَّ اللّٰهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ اية واحدة بلا خلاف قال ابن كثير
واهل البصرة وقتيبة لا تضار بتشديد الراء ورفعها وقرأ ابو جعفر بتخفيفها وسكون الباقون بتشديدها
وفتحها وقرأ ابن كثير ما اتيتم قصرا وكذلك لما اتيتم من ربا فى الروم قوله يرضعن اولادهن حولين
كاملين فى حكم الله الذى اوجبه على عباده فحذف لدلالة الكلام عليه الثانى لانه وقع موقع يرضعن صرفا
فى الكلام مع رفع الاشكال ولو كان خبرا لكان كذبا لوجود ما الوالدات يرضعن اولادهن اكثر
من حولين واقل منها وفى الاية بيان لامرين احدهما مندوب والثانى فرض فالمندوب هو ان يجعل
الرضاع تمام الحولين هى التى يستحق المرضعة الاجر فيهما ولا يستحق فيما زاد عليه وهو الذى بينه الله
تعالى بقوله فان ارضعن لكم فاتوهن اجورهن فيشا المدة التى يستحق فيها الاجرة عليها اوجبه الله
فى هذه الاية وتقول رضع يرضع ورضع يرضع رضاعة ورضعته امه رضاعا وارتضع ارتضاعا و
استرضع استرضاعا وراضعه رضاعا ومراضعة ولئيم راضع لانه يرضع لبن ناقته من لؤمه لئلا يسمع
الضيف صوت الحلب والراضعتان الثنيتان المتقدمتان الاسنان لانه يشرب عليهما اللبن واصل الباب الرضع

مص الثدى لشرب اللبن منه ومعنى حولين سنتان وهو ماخوذ من الانقلاب فى قولك حال الشئ عما
كان عليه يحول فالحول لانه انقلب عن الوقت الاول الى الثانى ومنه الاستحالة فى الكلام لانقلابه
عن الصواب وقيل اخذ من الانتقال من قولك تحول عن المكان وانما قال كاملين وان كانت التثنية تاتى
على استيفاء العدة لرفع التوهم وانه على طريقة التغليب كقولهم سرنا يوم الجمعة وان كان السير فى بعضه
وقد يقال اقمنا حولين وان كانت الاقامة فى حولين وبعض اخر فهو لرفع الابهام الذى يعرض فى الكلام
فان قيل هل يلزم فى كل مولود قيل فيه خلاف قال ابن عباس لا لانه يعتبر ذلك بقوله وحمله وفصاله
ثلثون شهرا فان ولدت المراة لستة اشهر فحولين كاملين وان ولدت لسبعة اشهر فثلثة وعشرون
شهرا وان ولدت لتسعة اشهر فاحد وعشرين شهرا تطلب بذلك التكملة لثلثين شهرا فى الحمل و
الفصال الذى سقط به الفرض وعلى هذا تدل اخبارنا لانهم رووا ان ما نقص عن احد وعشرين شهرا
فهو جور على الصبى وقال الثورى هو لازم فى كل ولد اذا اختلف والداه رجعا الى الحولين من غير
نقصان ولا زيادة ولا يجوز لهما غير ذلك والرضاع بعد الحولين لا حكم له فى التحريم عندنا وبه قال ابن
مسعود وابن عباس وابن عمر واكثر العلماء وروى عن عايشة ان رضاع الكبير يؤثر وقال ابو على الجبائى
لم يقم بهذا حجة ولا نزل له ظاهر القران وقوله وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف معناه انه
يجب على الاب طعام ام الولد وكسوتها ما دامت فى الرضاعة اللازمة اذا كانت مطلقة وبه قال الضحاك
والثورى واكثر المفسرين يقال كساه يكسوه كسوة اذا البسه الثياب واكتسى هو واكتسا اذا البس واكتست
الارض بالنبات اذا تغطت به وكسوته مدحا او ذما اذا اثنيت عليه او ذممته والكساء معروف واصل الباب
الكسوة اللباس وقوله لا يكلف نفس الا وسعها يدل على فساد قول المجبرة فى حسن تكليف ما لا يطاق لانه
اذا لم يجز ان يكلف مع عدم الجدة لم يجز ان يكلف مع عدم القدرة لانه انما لم يحسن فى الاول من حيث انه
لا طريق له الى اداء ما كلفه من غير جدة فكذلك لا سبيل له الى اداء ما كلف الى الطاعة مع عدم القدرة ولا
ينافى ذلك قوله فضلوا فلا يستطيعون سبيلا لانه ليس المراد نفى القدرة وانما معناه انه يثقل عليهم كما يقول
القايل لا استطيع انظر الى كذا معناه انه يثقل على ويقال كلف وجهه كلفا وبخده كلفا اى اثر والكلف بالشئ
الايلاع به لانه لزوم يظهر اثره عليه وكلف كلفا اذا احب وتكلف الامر تكلفا تحمله وكلفه تكليفا الزمه
واصل الباب الكلف ظهور الاثر وقوله لا تضار والدة بولدها اصله تضارر بكسر الراء الاولى وقيل بفتحها
واسكنت وادغمت فى الراء بعدها ومن فتحها بالتقاء الساكنين وهو الاقوى فيما قبله فتحة او الف نحو عض
ولا تضار زيدا وقال بعضهم لا يجوز الا تضار بفتح الراء الاولى لان المولود لا يصح منه مضارة لان
الافصح لو كان كذلك الكسر قال الرمانى غلط فى الاعتلال لان الاول فلانه ينقلب عليه فى تضارره اذ المضارة
من اثنين فى الحقيقة وان لم يسم الفاعل ولانه انما يرجع ذلك الى الزوج والمراة الاولى الولد فاما الافصح
فعلى خلاف ما ذكر لان الفتح لغة اهل الحجاز وبنى اسد وكثيرة من العرب وهو القياس لانه اذا جاز مده بالضم
للاتباع كانت الفتحة بذلك اولى لانها اخف ولانه يجوز مده بالفتح طلبا للخفة فاذا اجتمع الاتباع والاستخفاف
كان اولى وقوله ان الفتحة فى تضار هى الفتحة فى الراء الاولى دعوى منه لا دليل عليها ويدل على صحة
ما قلناه قوله من يرتد منكم ولا يضار كاتب كل ذلك بالفتح دون الكسر وانما قيل يضار والفعل من واحد لانه
لما كان معناه المبالغة كان بمنزلته من اثنين وذلك لانه بضيره ان رجع عليه منه ضرورة فكانه قيل لا تضار
والدة الزوج بولدها ولو قيل فى ولدها لجاز فى المعنى وكذلك فرض الوالد عن ابى جعفر وابى عبد الله عم
اى لا يترك جماعها خوف الحمل لاجل ولدها المرتضع ولا مولود له بولده يعنى لا تمتنع نفسها من الاب خوف
الحمل فيضر ذلك بالاب وقيل لا تضار والدة بولدها بان ينزع الولد منها ويسترضع امراة اخرى مع اجابتها
الى الرضاع باجرة المثل ولا مولود له اى لا يمتنع هى من الارضاع اذا اعطيت اجرة مثلها والاولى حمل
الاية على عموم ذلك وقيل معناه ان على الوالدة الا تضار بولدها فيما يجب عليها من تعاهده والقيام

بامره ورضاعه وغذائه وعلى الوالد الا يضار بولده فيما يجب عليه من النفقة عليه وعلى امه وفى حفظه و
تعاهده ﴿ وقوله وعلى الوارث مثل ذلك قال الحسن وقتادة والسدى الوارث للمولود وقال قبيصة بن ذويب
هو الوالد والاول اقوى فان قيل على كل وارث له ام على بعضهم قيل ذكر ابو على الجبائى ان على كل وارث
نفقة الرضاع الاقرب لاقرب يوخذ به واما النفقة ما بعد الرضاع فاختلفوا فعندنا يلزم الوالدين وان عليا
النفقة على الولد وان نزل ولا يلزم غيرهم وقال قوم يلزم العصبة دون الام والاخوة من الام ذهب اليه عمر
والحسن وقيل على الوارث من الرجال والنساء على قدر النصيب من الميراث ذكره قتادة وعموم الاية يقتضيه غير
انا خصصناه بدليل وقال ابو حنيفة وابو يوسف ومحمد على الوارث ممن كان ذا رحم محرم دون من كان ذا رحم
ليس بمحرم كابن العم وابن الاخت فاوجبوا على ابن الاخت ولم يوجبوه على ابن العم وان كان وارثه فى تلك الحال
وكذلك العمة وابن العم حكى ذلك ابو على الجبائى وابو القسم البلخى وقال سفيان وعلى الوارث اى الباقى من ابويه
وهذا مثل ما قلناه وقد روى فى اخبارنا ان على الوارث كائنا من كان النفقة وهو ظاهر القران وبه قال
قتادة واحمد واسحق والحسن وابرهيم والميراث تركة الميت تقول ورث يرث ارثا وورثه ميراثا وتوارثوا
توارثا وورّثه توريثا واورثه الحمى ضعفا والتراث الميراث وورث النار وورثها اذا حركت جمرها ليشتعل
لانه يظهر فيه النار عن الاول كظهور الميراث فى الثانى عن الاول وقوله مثل ذلك يعنى من النفقة وبه قال ابرهيم
وقال الضحاك من ترك المضارة والمفهوم من الكلام وعند اكثر العلماء الامران معا وهو اليق بالعموم و
قوله فان ارادا فصالا الفصال الفطام لانفصال المولود عن الاغتذاء بثدى امه الى غيره من الاقوات فان قيل
اى فصال ذا قبل الحولين او بعدهما قيل فصال الحولين لان الفرض معلوم به اذا تنازعا رجعا اليه فاما بعد
الحولين فلا يجب على واحد منهما اتباع الاخر فيه عائد وبه قال مجاهد وقتادة وابن شهاب وسفيان وابن زيد
وروى عن ابن عباس انه اذا تراضيا على الفصال قبله او بعده معنى فان لم يتراضيا رجعا الى الحولين واصل الباب
الفرق يقال فصل يفصل فصلا وفاصله مفاصلة وتفاصلوا تفاصلا واستفصلوا استفصالا وانفصل انفصالا
وفصّله تفصيلا وتفصّل تفصّلا وفواصل القلادة شذر بين نظم الذهب والفصل القضاء بين الحق والباطل
وهو الفيصل وفصيلة الرجل بنو ابيه لانفصالهم من اصل واحد والفصيل الواحد من اولاد الابل لانه فصل
عن امه والفصيل حائط قصير دون السور ﴿ وقوله فلا جناح عليهما يعنى لا حرج على قول ابن عباس وهو
مأخوذ من جنوح السلم اى الميل والجناح الميل عن الاستقامة وقوله اذا سلمتم ما اتيتم بالمعروف معناه
على قول مجاهد والسدى اجرة الام بمقدار ما ارضعت اجرة المثل وقال سفيان اجرة المسترضعة وقال ابن
شهاب سلمتم الاسترضاع وقال ابن جريج اجرة الام والظير وقوله ان تسترضعوا اولادكم معناه لاولادكم
وحذف اللام لدلالة الاسترضاع عليه من حيث انه لا يكون الا للاولاد ولا يجوز دعوت زيدا يريد لزيد لانه
يجوز ان يكون المدعو والمدعو له اذ معنى دعوت زيدا لعمرو خلاف دعوت زيدا فقط فلا يجوز للالتباس
ومن رفع لا تضار فعلى استيناف النفى وقال الكسائى والفراء هو منسوق على لا تكلف قال الرمانى هذا غلط
لان النسق بلا انما هو على اخراج الثانى مما دخل فيه الاول نحو ضربت زيدا لا عمرا فاما ان يقوم زيد لا
يقعد عمرو فلا يجوز على النسق ولكن يرفع على استيناف النفى بلا فكذلك لا تضار مستانف فى اللفظ
متصل فى المعنى وفى الاية دلالة على ان الولادة لستة اشهر يصح لانه اذا ضم الى الحولين كان ثلثين شهرا
وروى عن على (ع) وابن عباس ذلك ﴿ وقوله وان تصبروا وتتقوا لا يضركم انما جاز بالرفع فى موضع الجزم
للاتباع وليس ذلك فى لا تضار والوسع الطاقة ماخوذ من سعة المسلك الى الغرض فيمكن لذلك ولو
ضاق لا يعجز عنه والسعة فيه بمنزلة القدرة فلذلك قيل الوسع بمعنى الطاقة ﴿ وقوله وتشاور والتشاور
ماخوذ من الشور وهو اجتناء العسل تقول شرت العسل وانا اشوره شورا واشرته اشارة اذا اجتنيته
من مكانه والمشورة استخراج الرأى من المستشار لانها يجتنى منه وشاوره مشاورة واشار عليه
اشارة واستشار استشارة واستشار العسل اذا اجتناه واشار الى الشىء اشارة اذا اومى اليه والمشيرة

الاعنات

الاصبع الذى تسمى السبابة لانه يشار بها الشباب وغيره والشارة الهيئة واللباس الحسن لانه مما
يشار اليه لحسنه والتشوير استخراج سير الدابة كالامتحان ﴿ قوله تعالى ﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ
وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ
عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ اية واحدة بلا خلاف هذه
الاية ناسخة لقوله والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا وصية لازواجهم متاعا الى الحول غير اخراج
وان كانت مقدمة عليه فى التلاوة وعدة كل متوفى عنها زوجها اربعة اشهر وعشر سواء كانت
مدخولا بها او غير مدخول حرة كانت او امة فان كانت حبلى فعدتها ابعد الاجلين من وضع الحمل
او مضى الاربعة اشهر وعشرة ايام وهو المروى عن على (ع) ووافقنا فى الامة الاصم وخالف باقى الفقهاء
فى ذلك وقالوا عدتها نصف عدة الحرة شهران وخمسة ايام واليه ذهب قوم من اصحابنا وقالوا فى
عدة الحامل انها بوضع الحمل وان كان بعد على المغتسل وروى ذلك عن عمر وابى مسعود البدرى و
ابى هريرة وعندنا ان وضع الحمل يختص عدة المطلقة والذى يجب على المعتدة فى عدة الوفاة اجتنابه فى قول
ابن عباس وابن شهاب الزينة والكحل بالاثمد وترك النقلة عن المنزل وقال الحسن فى احدى الروايتين عن ابن
عباس ان الواجب عليها الامتناع من الزوج لا غير وعندنا ان جميع ذلك واجب وقوله والذين رفع بالابتداء
ويتوفون منكم فى صلة الذين ويذرون ازواجا عطف عليه وخبر الذين قيل فيه اربعة اقوال اولها ان
يكون الجملة على تقدير والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا ازواجهم يتربصن الثانى على تقدير يتربصن
بعدهم ازواجهم الثالث ان يكون الضمير فى يتربصن لما عاد الى مضاف فى المعنى كان بمنزلته على تقدير يتربص
ازواجهم هذا قول الزجاج والاول قول ابى العباس والثانى قول الاخفش نظير قول الزجاج ان تقول
اذا مات وخلف ابنتين يرثان الثلثين المعنى يرث ابنتاه الثلثين الرابع ان يعدل عن الاخبار عن الاول
لان المعنى عليه والفائدة فيه ذهب اليه الكسائى والفراء وانكر ذلك ابو العباس والزجاج لانه لا يكون
مبتدأ لا خبر له ولا خبر الا عن مخبر عنه وانشد الفراء ﴿ لعلى ان مالت بى الريح ميلة ﴿ على ابن ابى ذبان
ان يتندما ﴿ المعنى لعل ابن ابى ذبان ان يتندم وهذا يجوز على حذف ان يتندم لاجلى وقال ابيض
نحن بما عندنا وانت بما عندك راض والرأى مختلف وقال ابو عبيدة نظير الاية قول شداد بن عنتر
فمن يك سائلا عنى فانى ﴿ وجروة لا ترود ولا تعار ﴿ جروة اسم فرسه وانما حذف الخبر من الاول لان
خبر الثانى يدل عليه لانه اراد فانى حاضر وفرسى حاضرة لا ترود ولا تعار فدل بقوله لا ترود ولا
تعار على انها حاضرة يتوعد وتهدد فى قول ابى العباس ﴿ وقوله يذرون يتركون ولا ماضى له
تركا وتقول ذره تركا وكذلك يدع ليس له ماض وعلة فى ذلك انهم كرهوا الواوات فى اول الكلام حتى
انهم لم يلحقوها او على جهة الزيادة اصلا ففى رفض ودد دليل على الكراهة لها اصلية وليس يلى الضعف
الا الاتباع فلما ضعفت اصلية امتنعت زيادة فان قيل كيف قال وعشرا بالتانيث وانما العدة على الايام و
الليالى ولذلك لم يجز ان تقول عندى عشر من الرجال والنساء قيل لتغليب الليالى على الايام اذا اجتمعت
فى التاريخ وغيره لان ابتداء شهور الاهلة الليالى عند طلوع الهلال فلما كانت الاوائل غلبت لان الاوائل
اقوى من الثوانى وقال الشاعر ﴿ اقامت ثلثا بين يوم وليلة ﴿ وكان النكير ان تضيف وتجأرا
معنى تضيف تميل وحكى الفراء صمنا عشرا من شهر رمضان ولو اضاف الى الايام فقال عشرة ايام لم يجز الا
التذكير وانما جاز فى الاول لانه بمعنى عشر من رمضان وقع العمل فى نهاره وقوله فاذا بلغن اجلهن يقال اجله
تاجيلا اذا اخره والآجل نقيض العاجل وتاجل تاجلا واستاجله استيجالا واجلوا مالهم يأجلونه اجلا اذا
حبسوه فى المرعى لانهم اخروه فيه والاجل غاية الوقت فى محل الدين وغيره لتاخره الى ذلك الوقت واجل
الشىء يأجل فهو آجل نقيض العاجل لتاخره عن وقت غيره وفعلته من اجل كذا اى لعاقبة كذا وهى متاخرة
عن وقت الفعل الذى دعت اليه والاجل القطيع من بقر الوحش وجمعه آجال وقد تأجل الصوار اى صار

قطيعا التأخر بعضه عن بعض واجل عليهم شرا اجلا اى نجاه ونجته لانهم اعقبهم شرا وهو متأخر عن وقت فعله
والآجلة الآخرة والعاجلة الدنيا والماجلة شبه حوض واسع يرجل فيه ماء البئر اياما ثم يفجر فى الزرع وهو
بالفارسية كرجه وذلك لتأخر الماء فيه وقوله والله بما تعملون خبير فالخبير العالم لانه عالم بمخبر الخبر والخبار
الارض السهلة فيها حجرة وحفار واخبرت بالشئ اخبارا لانه تسهيل لطريق العلم به واستخبره استخبارا وتخبر تخبرا
وخبره تخبيرا واخبره اخبارا وتخبر القوم بينهم خبرة اذا اشتروا شاة فذبحوها واقتسموا لحمها والشاة خبيرة
والخبر المزادة العظيمة والمخابرة ان يزرع على النصف او الثلث ونحوه والاكار الخبير والمخابرة المواكرة وذلك
لتسهيل الزراعة واصل الباب السهولة وقوله فاذا بلغن اجلهن اى عليه هذه المدة وهى الاربعة اشهر و
عشرا فلا جناح عليكم فيما فعلن فى انفسهن بالمعروف اى لا جناح عليكم ان تتركوهن اذا انقضت هذه المدة ان
يتزوجن وان يتزين زينة لا ينكر مثلها وهو معنى قوله بالمعروف **قوله تعالى** وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ
بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا
إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ
يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ اية فى الكوفى قال ابن عباس التعريض
المباح فى العدة هو قول الرجل اريد التزوج واحب امراة من حالها ومن امرها وشانها فيذكر بعض الصفة
التى هى عليها هذا قول ابن عباس وقال القاسم بن محمد وعامر يقول انك لنافقة وانك لمعجبة جميلة وان
قضى الله شيئا كان والخطبة الذكر الذى يستدعى به الى عقدة النكاح والخطبة الوعظ المتسق على ضرب
من التاليف وقيل الخطبة ما له اول واخر مثل الرسالة والخطبة للحال نحو الجلسة والقعدة تقول خطب
المراة يخطبها خطبة لانه خاطب فى عقد النكاح وخطب خطبة لانه خاطب بالزجر والوعظ على ضرب من التاليف
اللفظ المخصوص وخاطب مخاطبة وخطابا وتخاطبوا تخاطبا والخطب الامر العظيم والخطبان الحنظل الذى
يشتد خضرته حتى يستحيل الى الغبرة والصفرة واصل الباب الخطاب والفرق بين التعريض والكناية ان
التعريض تضمين الكلام دلالة على شئ ليس فيه ذكر له والكناية العدول عن الذكر الاخص بالشئ الى ذكر
يدل عليه فالاول كقول القائل ما اقبح البخل يعرض بان المخاطب بخيل ولعن الله الملحدين يعرض له بالالحاد
والثانى كقولك زيد ضربته كنيت عنه بالهاء المذكورة فى ضربته وقوله او اكننتم فى انفسكم فالاكنان اسرار
العزم على النكاح دون اظهاره على قول ابن زيد ومجاهد وقال قوم هو معنى التعريض بالخطبة ان شئت
اظهرته وان شئت اضمرته وتقول كننت الشئ اذا سترته اكنه كنا وكنونا واكننته اكنانا اذا اضمرته لانك
سترته فى نفسك واستكن الرجل واكتن اذا صار فى كن لانه صار فيما يستره والكنانة الجعبة غير انها صغيرة
يتخذ للنبل والكنة امراة الابن او ابن الاخ والجمع كنائن وسمى الكانون كانونا لانه يحتاج اليه فى وقت
الاكنان من البرد ومنه قوله كانهن بيض مكنون وفيها ما تكن صدورهم وما تعلنون واصل الباب الكن
الستر والفرق بين الاكنان والكن ان الاكنان الاضمار فى النفس ولا يقال كننته فى نفسى وقيل كننته
معناه صنته كما قال كانهن بيض مكنون وقوله لا تواعدوهن سرا قال الحسن وابرهيم وابو مجلز السر
المنهى عنه ههنا الزنا وقال ابن عباس وسعيد بن جبير والشعبى هو العهد على الامتناع من تزوج غيره
وقال مجاهد هو ان تقول لها لا تفوتينى بنفسك فانى ناكحك وقال ابن زيد هو اسرار عقدة النكاح
فى العدة والسر فى اللغة على ثلثة اوجه الاخفاء فى النفس والشرف فى الحسب يقال فلان فى سر قومه اذا كان
فى شرفهم وصميمهم والجماع فى الفرج قال الشاعر الا زعمت بسباسة اليوم اننى كبرت والا يشهد
السر امثالى وقال رؤبة فعف عن اسرارها بعد العسق ولم يضعها بين فرك وعشق
العسق اللصوق وقال الحطيئة ويحرم سر جارتهم عليهم ويأكل جارهم انف القصاع وقوله الا
ان تقولوا قولا معروفا يعنى التعريض الذى اباحه الله تعالى والا بمعنى لكن لان ما قبله هو المنهى عنه وما بعده
هو المأذون فيه وتقديره ولكن قولوا قولا معروفا وقوله ولا تعزموا عقدة النكاح تقديره على عقدة

النكاح وحذف على لدلالة العزم عليه لانه لا يكون الا على معزوم عليه كما قيل ضرب الظهر والبطن اى على
الظهر والبطن والعقد الشد تقول عقد يعقد عقدا واعقدت العسل اعقادا واعتقد صحة الامر اعتقادا
وتعاقدوا على الامر تعاقدا وعاقده معاقدة وعقد كلامه تعقيدا وتعقد تعقدا وانعقد انعقادا و
عقد العبد لانه كعقد الحبل فى التوثيق والعقد السمط من الجوهر والعقد الرمل المتداخل وعقد اليمين
خلاف اللغو وناقة عاقد اى لاقح لانها يعقد بطنها فيظهر انها قد لقحت وقوله حتى يبلغ الكتاب اجله معناه
انقضاء العدة بلا خلاف والكتاب الذى يبلغ اجله هو القران ومعناه فرض الكتاب اجله ويجوز ان يكون
الكتاب نفسه هو الفرض ذكره الزجاج ووجه ثالث ان يكون ذلك على وجه التشبيه بكتاب الدين ذكره الجبائى
وقوله والله غفور حليم قد بينا ان الحلم من الله هو امهال العقوبة المستحقة وقال ابو على الجبائى هو كل
فعل يضاد حدوث العقوبة فى الانسان وهو من الانسان ترك العقاب والله تعالى لا يجوز عليه الترك فهو ما
وصفنا من نعمه التى تضاد عقوبته **قوله تعالى** لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا
لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ
اية بلا خلاف قرا حمزة والكسائى وخلف تماسوهن بضم التاء وبالف ههنا موضعان وموضع فى الاحزاب وقرا
ابو جعفر واهل الكوفة الا ابا بكر وابن ذكوان قدره بفتح الدال فى الموضعين الباقون باسكانها المفروض فيها
داخلة فى دلالة الاية وان لم يذكر لان التقدير ما لم تمسوهن ممن قد فرضتم لهن او لم تفرضوا لهن فريضة لان
او تنبئ عن ذلك لانه لو كان على الجمع لكان بالواو والفريضة المذكورة فى الاية الصداق بلا خلاف لانه يجب
بالعقد للمراة فهو فرض لوجوبه بالعقد والمتعة التى لم يدخل بها ولا يسمى لها صداق على قدر الرجل والمراة
قال ابن عباس والشعبى والربيع خادم او كسوة او رزق وهو المروى عن ابى جعفر وابى عبد الله وقيل مثل نصف
صداق مثل المراة المنكوحة حكى ذلك عن ابى حنيفة واصحابه وفى وجوب المتعة لكل مطلقة خلاف قال الحسن و
ابو العالية المتعة لكل مطلقة الا المختلعة والمبارئة والملاعنة وقال سعيد بن المسيب المتعة التى لم يسم لها صداق
خاصة وهو المروى عن ابى جعفر وابى عبد الله ع وقد روى ايضا انها لكل مطلقة وذلك على وجه الاستحباب
والمتعة التى لم يدخل بها ولم يعرض لها يجبر عليها السلطان وهو قول اهل العراق وقال اهل المدينة وشريح
يؤمر بها ولا يجبر عليها والموسع الغنى فى سعة من ماله الغنى به والمقتر الذى فى ضيق لفقره تقول اقتر الرجل
اقتارا اذا اقل فهو مقتر اى مقل وقترت الشئ اقتره قترا واقترته اقتارا وقترته تقتيرا اذا ضيقت الانفاق
منه والقتار دخان الشحم على النار ونحوه لغلبته بالاضافة الى بقيته والقتر الغبار والقترة ما يغشى الوجه
من غبار الموت والكرب لانه كالقتار او كالغبار يغشى الوجه وفى التنزيل ترهقها قترة والقتير مسامير
الدروع لقلتها وصغرها والقتير ابتداء الشيب لقلته ويجوز ان يكون مشبها بالدخان اول ما يرتفع و
القترة ناموس الصائد لانها كالقتار باخفائه اياها ورجل قاتر حسن الاخذ من ظهر البعير لا يعقره لقلة
ما ياخذ منه واصل الباب الاقلال وابن قترة حية خبيثة لا ينجو سليمها والمتوفى عنها زوجها اذا لم يفرض
لها صداق عليها العدة بلا خلاف ولها الميراث اجماعا وقال الحسن والضحاك واكثر الفقهاء لها صداق
مثلها وحكى الجبائى عن بعض الفقهاء انه لا مهر لها وهو الذى يليق بمذهبنا ولا نص لاصحابنا فيها و
يحتمل نصب متاعا وجهين احدهما ان يكون حالا من قدره لانه معرفة والعامل فيه الظرف والثانى
على المصدر والعامل فيه ومتعوهن ويحتمل نصب حقا وجهين احدهما ان يكون حالا من بالمعروف حقا
والعامل فيه معنى عرف حقا الثانى على التاكيد لجملة الخبر كانه قيل اخبركم به حقا كانه قيل ايجابا على
المحسنين وانما خص التى لم يدخل بها بالذكر فى رفع الجناح دون المدخول بها بالذكر واحكمها واحد
لامرين احدهما لازالة الشك فى الحرج على هذا المطلق والثانى لان له ان يطلق اى وقت شاء وليس كذلك
حكم المدخول بها لانه يجب ان يطلقها للعدة وقدره على تقدير اعطوهن قدر الموسع كما يقال اخذ
صدقاتهن لكل اربعين شاة بالرفع والنصب قال الشاعر فى تسكين الدال وما حب جلى فى حديد

مجاشع مع القدر الا حاجة لي اريدها   وقال آخر   الا بالقوم للنوائب والقدر وللأمر يأتي المرء
من حيث لا يدري   قال ابو زيد قدر القوم امرهم يقدرونه قدرا وهذا قدر هذا اي مثله وقدر
الله الرزق يقدره وروى الشكوني يقدره قدرا وقدرت الشيء بالشيء اقدره قدرا وقدرت على
الامر اقدر عليه قدرة وقدورا وقدارة ونسأل الله خير القدر وقال ابو الصقر هذا قدر هذا واحمل
قدر ما تطيق قال ابو الحسن هما لغتان هو القدر والقدر وخذ منه بقدر كذا وقدر كذا لغتان منه وقوله [يقال]
فسالت اودية بقدرها وقدرها ومن قرأ تمسوهن بلا الف فلقوله تعالى ولم يمسسني بشر فانه جاء على فعل
وكذلك قوله لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان ومن قرأ تماسوهن بالف فلان فاعل وفعل قد يراد بكل
واحد منهما ما يراد بالاخر نحو طارقت النعل وعاقبت اللص ولا يلزم على ذلك في اية الظهار من قبل ان
يتماسا لان المماسة محرمة في الظهار على كل واحد من الزوجين للاخر فلذلك لم يجز الا قبل ان يتماسا وفي
الاية دليل على ان العقد بغير مهر صحيح لانه لو لم يصح لما جاز فيه الطلاق ولا وجبت المتعة **قوله تعالى**
وَاِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ اَنْ تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ اِلَّا اَنْ يَعْفُونَ
اَوْ يَعْفُوَا الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَاَنْ تَعْفُوا اَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ اِنَّ
اللهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ اية واحدة بلا خلاف روي عن سعيد بن المسيب ان هذه الاية ناسخة لحكم المتعة
في الاية الاولى قال البلخي وهذا ليس بصحيح لان الاية الاولى تضمنت حكم من لم يدخل بها ولم يسم لها مهرا
اذا طلقها وهذه تضمنت حكم التي فرض لها صداق اذا طلقت قبل الدخول واحد الحكمين غير الاخر والذي
قاله سعيد بن المسيب متوجه على ما قدمناه في الاية من ان دليلها يتناول التي فرض لها المهر وان حملنا قوله
ومتعوهن على عمومه لزم ان تمتع كل مطلقة وان سمي لها مهر فاذا قلنا لا متعة للمفروض لها الصداق
فلا يلزم نسخ الاية او تخصيصها ان تزلنا منها وقال جميع اهل التاويل انه اذا طلق الرجل من سمى لها
مهرا معلوما قبل ان يدخل بها فانه يستقر لها نصف المهر وان كانت ما قبضت شيئا وجب عليه تسليم نصف
المهر وان كانت قبضت جميع المهر وجب عليها رد نصفه ويستقر لها النصف الاخر والنصف هو سهم من
اثنين تقول نصفه ينصفه وانتصف انتصافا ونصفه تنصيفا وانتصفه انتصافا وتناصفوا تناصفا
وناصفه مناصفة وتنصف تنصفا والنصف المراة بين المسنة والحدثة لانها على نصف المسنة والناصف
الخادم هو ينصف المولى اي يخدمه لانه يعطيهم النصف من نفسه قهرا وذلا والانصاف لانه كالنصف
في العدل والنصيف الخمار لانه كالنصف في انه وسط بين الصغير والكبير ويقال له نصيفه ومنصف الطريق
وسطه والمنصف من الشراب الذي طبخ حتى ذهب نصفه والنصيف مكيال لانه على النصف بالتعديل بين الكبير
والصغير وقوله الا ان يعفون معناه ان يصح عفوها من الحرائر البالغات غير المولى عليها لفساد عقلها
فتترك ما يجب لها من نصف الصداق وهو قول ابن عباس ومجاهد وجميع اهل العلم وقوله او يعفو الذي
بيده عقدة النكاح قال مجاهد والحسن وعلقمة انه الولي وهو المروي عن ابي جعفر وابي عبد الله ع غير انه
لا ولاية لاحد عندنا الا للاب والجد على البكر غير البالغ فاما من عداهما فلا ولاية له الا بتولية منها وروي
عن علي ع وسعيد بن المسيب وشريح وحماد وابراهيم وابي حنيفة وابن شبرمة انه الزوج وروي ذلك ايضا في
اخبارنا غير ان الاول اظهر وهو المذهب وفيه خلاف بين الفقهاء ذكرناه في الخلاف وقوينا ما اخترناه هناك
والالف واللام في قوله عقدة النكاح بدل من الاضافة فمن جعل الزوج قال تقديره الذي بيده عقدة
نكاحه ومن جعل الولي قال تقديره الذي بيده عقدة نكاحها ومثله قوله تعالى فان الجنة هي الماوى في
معناه هي ماواه وقال النابغة   لهم شيمة لم يعطها الله غيرهم   من الناس والاحلام غير عوازب
معناه واحلامهم غير عوازب ومن جعل العفو للزوج قال له ان يعفو عن جميع نصفه ومن جعله للولي قال
اصحابنا له ان يعفو عن بعضه وليس له ان يعفو عن جميعه فان امتنعت المراة من ذلك لم يكن لها ذلك اذا
اقتضت المصلحة ذلك عن ابي عبد الله واختار الجبائي ان يكون المراد به الزوج قال لانه ليس للولي ان يهب

مال المراة وقوله وان تعفوا اقرب للتقوى خطاب للزوج والمراة قال لانه ليس للولي ان يهب مال المرا
وقوله وان تعفوا اقرب للتقوى خطاب للزوج والمراة جميعا في قول ابن عباس وقيل للزوج وحده عن
الشعبي وانما جمع لانه لكل زوج وقول ابن عباس اقوى لانه العموم وانما كان العفو اقرب للتقوى من
وجهين احدهما لانه اتقاء ظلم كل واحد صاحبه بما يجب من حقه الثاني انه ادعى الى اتقاء معاصي الله للرغبة
فيما رغب فيه من العفو عما له وقوله فنصف ما فرضتم رفع على عليكم نصف ما فرضتم وكان يجوز ان ينصب
في العربية على فادوا نصف ما فرضتم وقوله ولا تنسوا الفضل بينكم الواو مضمومة لانها واو الجمع و
قياسها ان تكون مع ضم ما قبلها فاذا لم يوصل اليه جعل الضم منها وكان يجوز فيها الكسر ومثله اشتروا
الضلالة على ضعف فيه وقد مضى ذكره والذي يوجب المهر كاملا الجماع وهو المراد بالمسيس وقال اهل
العراق وهو الخلوة التامة اذا اغلق الباب وارخى الستر وقد روى ذلك اصحابنا غير ان هذا تعتبر في حق
الثيب **قوله تعالى** حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلٰوةِ الْوُسْطٰى وَقُومُوا لِلّٰهِ قَانِتِينَ اية الحفظ ضبط
الشيء في النفس ثم يشبه به ضبطه بالمنع من الذهاب والحفظ خلاف النسيان تقول حفظ حفظا وحافظ
محافظة وحفاظا واحتفظ به احتفاظا وتحفظ تحفظا واستحفظ استحفاظا واحفظه احفاظا اذا اغضبه
لانه حفظ عليه ما يكرهه ومنه الحفيظة الحمية والحافظ خلاف المضيع والحفيظ الموكل بالشيء لانه وكل
به ليحفظه واهل الحفاظ اهل الذمام ومنه قوله وما ارسلناك عليهم حفيظا ومعنى الاية الحث على مراعاة
الصلوات ومواقيتهن والا يقع فيها تضييع وتفريط وقوله والصلوة الوسطى هي العصر فيما روي
عن النبي ص وعلي ع وابن عباس والحسن وقال زيد بن ثابت وابن عمر انها الظهر وهو المروي عن ابي جعفر
وابي عبد الله ع وقال قبيصة بن ذويب هي المغرب وقال جابر بن عبد الله هي الغداة وفيه خلاف بين
الفقهاء ذكرناه في الخلاف وروي عن ابن عمر انه قال هي واحدة من الخمس غير متميزة وقال
الحسين بن علي المغربي المعني فيها صلاة الجماعة لان الوسط العدل فلما كانت صلاة الجماعة افضلها
خصت بالذكر وهذا وجه مليح غير انه لم يذهب اليه احد من المفسرين فمن جعلها العصر قال لانها بين
صلاتي النهار وصلاتي الليل وانما خص عليها لانها وقت شغل الناس في غالب الامر ومن قال انها
الظهر قال لانها وسط النهار وقيل هي اول صلاة فرضت فلها بذلك فضل ومن قال هي المغرب فلانها
وسط في الطول والقصر من بين الصلوات فهي اول صلاة الليل الذي رغب في الصلاة فيه واما من
قال هي الغداة قال لانها بين الظلام والضياء وصلوة لا تجمع مع غيرها وقد جمع النبي ص بين الظهر
والعصر بعرفة وجمع بين المغرب والعشاء بالمزدلفة فهذه متواخية وتلك مفردة وقوله وقوموا لله
قانتين قال ابن عباس والحسن معناه طائعين وقال عبد الله بن مسعود ساكتين لانهم نهوا بذلك
عن الكلام في الصلاة وقال مجاهد معناه خاشعين فنهوا عن العبث والتلفت في الصلوة وقال ابن
عباس في رواية داعين ولذلك قال هي صلاة الصبح لانه لا صلوة فرض فيها قنوت الا هي وعن ابي جعفر
وابي عبد الله ع مثل ذلك الا انهما قالا القنوت في كل ركعتين قبل الركوع واصل القنوت الدوام على
امر واحد وقيل اصله الطاعة وقيل اصله الدعاء في حال القيام وقال الرماني والوجه الاول احسن يعرف
في الباب لان المداوم على الطاعة قانت وكذا المداوم في صلاته على السكوت الا عن الذكر المشروع له
وكذلك المداوم ويقال فلان يقنت عليه اي يدعو عليه دائما والصلوة الوسطى مخفوضة بالعطف على
الصلوات وكان يجوز النصب على الصلوة الوسطى فخصوها بالمحافظة ومن حمل الصلوة الوسطى
على صلوة الجماعة جعل قوله على الصلوة على عمومه ومن حملها على واحدة من الصلوات على الخلاف
فيه اختلفوا فمنهم من قال اراد بقوله على الصلوات ما عدا هذه الصلواة والا كان يكون عطف الشيء
على نفسه ومنهم من قال لا يمتنع ان يريد بالاول جميع الصلوات وخص هذه بالذكر تعظيما لها وتاكيدا
لفضلها **قوله تعالى** فَاِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا اَوْ رُكْبَانًا فَاِذَا اَمِنْتُمْ فَاذْكُرُوا اللّٰهَ كَمَا عَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا

تعلمون آية معنى قوله فرجالا اي على ارجلكم لان الراجل هو الكائن على رجله واقفا كان او ماشيا و
واحد الرجال راجل وجمعه رجال مثل تاجر وتجار وصاحب وصحاب وقائم وقيام وواحد الركبان راكب
وجمعه ركبان وركاب كفارس وفرسان وتقول ركب يركب ركوبا واركبه اركابا وارتكب ارتكابا وتراكب
الشيء تراكبا وتركب تركبا وركبه تركيبا واستركب استركابا وكل شيء علا شيئا فقد ركبه وركبه الدين
ونحوه والركبة معروفة والركوب البدن لها وركبه البعير في يده والركاب المطي وركاب السرج لانه يركب
والركبان اصلا الفخذين اللذين عليهما لحم الفرج لركوبه اياهما وفرس اركب والانثى ركباء اذا عظمت
ركبتهما وهو عيب واركب المهر اذا امكن ان يركب ورجل مركب الذي يغزو على فرس غيره والراكبة
فسيلة تتعلق بالنخلة لا تبلغ الارض وركبت الرجل اركبه ركبا اذا ضربته بركبتك والركوب كل دابة تركب
ومنه قوله فمنها ركوبهم واصل الباب الركوب العلو على الشيء والعامل في قوله فرجالا محذوف وتقديره
فصلوا رجالا او ركبانا وصلوة الخوف من العدو ركعتين كيف توجه انما يجعل السجود اخفض من الركوع
في قول ابرهيم والضحاك فان لم يستطع فليكتف بتكبيرتين وروى ان عليا عم صلى ليلة الهرير خمس
صلوات بالايماء وقيل بالتكبير وان النبي صلى يوم الاحزاب ايماء وروى انه قضاها بعد ان فاتت
بالليل وقال ابن عباس والحسن يجوز في صلوة الخوف ركعة واحدة وقال الحسن وقتادة وابن زيد يجوز ان
يصلي الخائف ماشيا وقال اهل العراق لا يصلي ماشيا لان المشي عمل والذي نقوله ان الخائف ان صلى منفردا
صلوة شدة الخوف صلى ركعتين يومي ايماء ويكون سجوده اخفض من ركوعه وان لم يتمكن كبر عن كل
ركعة تكبيرة وهكذا صلوة شدة الخوف اذا صلوها جماعة وان صلوا جماعة غير صلوة شدة الخوف
فقد بينا الخلاف فيه وكيفية فعلها في خلاف الفقهاء والذكر في الآية قيل في معناه قولان احدهما انه
الصلوة اي فصلوا صلوة الامن كما علمكم الله هذا قول الحسن وابن زيد الثاني اذكروه بالثناء عليه والحمد
له كما علمكم ما لم تعلموا من امر دينكم وغير ذلك من اموركم والاولى حمل الآية على عمومها في الامرين

قوله تعالى وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ
غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ آية
واحدة بلا خلاف قرأ نافع وابن كثير والكسائي وابو بكر عن عاصم وصية بالرفع الباقون بالنصب هذه
الآية منسوخة الحكم بالآية المتقدمة وهي قوله والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن
بانفسهن اربعة اشهر وعشرا بلا خلاف في نسخ العدة الا ابا حذيفة فانه قال العدة اربعة اشهر
وعشرا وما زاد الى الحول يثبت بالوصية والنفقة فان امتنع الورثة من ذلك كان لها ان تتصرف في
نفسها فاما حكم الوصية فعندنا باق لم ينسخ وان كان على وجه الاستحباب وحكي عن ابن عباس والحسن
وقتادة ومجاهد انها منسوخة باية الميراث وقد بينا فساد قولهم لا وصية لوارث فاما اية الميراث فلا
تنافي الوصية فلا يجوز ان يكون ناسخة لها وقد مضى الكلام في خبر الدين في الآية المتقدمة فلا وجه
لاعادته ومن نصب وصية فانه يحتمل قوله وصية امرين احدهما فليوصوا وصية لازواجهم فينتصب على
المصدر الثاني كتب الله عليهم وصية لازواجهم فينتصب على انه مفعول به والمصدر المنصوب يدل على
فعل الامر الماخوذ منه اما دلالته على فعله فلانه مشتق منه واما دلالته على الامر منه فلغلبة الباب
عليه في الامر فاما دلالته على كتب فلان ما امر الله به فقد كتبه والنصب يدل على الامر به والرفع يحتمل
ثلثة اوجه احدها فعليهم وصية لازواجهم الثاني فلازواجهم وصية كما تقول لزيد مال الثالث كتب
عليهم وصية لازواجهم وقال بعضهم لا يجوز غير الرفع لانه لا يمكن الوصية بعد الوفاة لان الفرض
كان لهن اوصى او لم يوص قال الرماني وهذا غلط لان المعنى والذين يحضرهم الوفاة منكم فلذلك قال
يتوفون على لفظ الحاضر الذي يتطاول على نحو قوله الذين يصلون فليعرضوا عن الذكر فيما يشغلهم منكم
فاما قوله الفرض كان لهن فان لم يوصوا فقال قتادة والسدي انما كان لهن بالوصية على انه لو كان

على

على ما زعم لم يكن ان يوجبه الله على الورثة ان فرط الزوج في الوصية وقوله متاعا الى الحول نصب
والعامل فيه احد امرين احدهما جعل الله لهن ذلك متاعا لان ما قبله دل عليه والثاني متعوهن متاعا
وقوله غير اخراج نصب باحد شيئين احدهما بان يكون صفة لمتاع والثاني ان يكون مصدرا كانه قيل
لا اخراجا قال الفراء هو كقولك جئتك عن رغبة اليك فكانه قال متعوهن مقاما في مساكنهن فيكون مصدرا
وقع موقع الحال ويجوز ان يكون بمعنى الاقامة في مساكنهن وقال الحسن والسدي قوله فان خرجن فلا جناح
عليكم فيما فعلن في انفسهن بالمعروف دليل على سقوط النفقة والسكنى بالخروج لانه انما جعل لهن ذلك
بالاقامة الى الحول فان خرجن قبله بطل الحق الذي وجب بالاقامة وانما يحتاج الى هذا التخريج من يوجب
النفقة للمعتدة عن الوفاة فاما من قال لا نفقة لها ولا سكنى فلا يحتاج الى ذلك وهو مذهبنا لان المتوفى
عنها زوجها لا نفقة لها واذا قلنا القران لا ينسخ بالسنة قلنا النفقة ههنا على وجه الاستحباب او انها تثبت
بالوصية لانا بينا ان الوصية غير منسوخة **قوله تعالى** وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ
آية بلا خلاف قال سعيد بن المسيب الآية منسوخة بقوله فنصف ما فرضتم وعندنا انها مخصوصة بتلك ان نزلتا
معا وان كانت تلك متاخرة فالامر على ما قال سعيد بن المسيب انها منسوخة لان عندنا لا تجب المتعة الا
للتي لم يدخل بها ولم يسم لها مهر وان سمى لها مهر فلها ما سمى وان لم يدخل بها فان فرض لها مهر كان
لها نصف مهرها ولا متعة لها في الحالين فلا بد من تخصيص هذه الآية وقال سعيد بن جبير وابو العالية و
الزهري المتعة واجبة لكل مطلقة وبه قال ابو حنيفة وقال الحسن هي للمطلقة التي لم يدخل بها ولم يفرض
لها صداق مثل ما قلناه وقال عطا ومجاهد هي للمدخول بها وحكى ابو علي للمطلقة البائنة وانما كرر
ذكر المتعة ههنا وقد تقدم ذكرها قبل هذه الآية لانه ذكر في غيرها خاصا وذكر فيها عاما فدخل فيه
الامة وغيرها والمتعة في الموضع الذي يجب على قدر الرجل بظاهر الآية لانه قال وعلى الموسع قدره
مثلها وان كان فوق قدره حكاه البلخي وقوله بالمعروف معناه بالمعروف صحته لانه عدل بين الافراط و
التقصير وقال الضحاك على قدر الميسرة وانما خص المتاع بالمتقين وان كان واجبا على الفاسقين تشريفا لهم
بالذكر اختصاصا وجعل غيرهم على وجه التبع كما قال هدى للمتقين وقيل لانه اخرج الكلام مخرج من لا يعتد
بغيرهم لاحتقارهم وجلالة المتقين بالتقوى ولانه اذا وجب على المتقين فهو واجب على جميع المتعبدين لان
التقوى واجب على المكلفين وهذا انما يدل على انه واجب بشريطة التقوى فاما اذا وجب على التقي والفاجر
فالجواب هو الاول وقوله حقا على المتقين نصب على المصدر ووقع موقع الحال والعامل فيه بالمعروف كانه
قيل عرف حقا ويجوز ان يكون العامل فيه الظرف ويجوز ان يعمل فيه معنى الجملة كانه قيل احق ذلك حقا و
كان يجوز ان يرفع على انه صفة المتاع والمتاع النفقة مقدار ما يقيم في العدة على قول الجبائي وعلى ما
قلناه مقدار ما يوصي به لها بالمعروف الذي لا يضر بباقي الورثة **قوله تعالى** كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ
لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ آية التشبيه بقوله كذلك يبين الله وقع على البيان الذي تقدم في الاحكام والحجاج والمواعظ
والاداب وغير ذلك مما يحتاج الناس الى علمه والعمل عليه في امر دينهم ودنياهم شبه البيان الذي ياتي
بالبيان الماضي والبيان هو الادلة التي يفرق بها بين الحق والباطل وعبر عنه بانه فعل يظهر به امر على طريقة
حسنة وليس كلما يظهر به غيره ما لا يأتيه وقد يكون ذلك بكلام فاسد يفهم به المراد فلا يستحق صفة بيان
والآية هي العلامة فيما كان من الامور العظيمة لان في الآية تفخيما ليس في العلامة وقوله لعلكم تعقلون
معناه لكي تعقلوا آيات الله بالبيان عنها والعقل مجموع علوم ضرورية يميز بها بين القبيح والحسن ويمكن
معها الاستدلال بالشاهد على الغائب **قوله تعالى** أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ
الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ
آية واحدة بلا خلاف معنى الم تر الم تعلم لان الرؤية مشتركة بين العلم وهي رؤية القلب وبين رؤية العين وقيل
في معنى قوله وهم الوف قولان احدهما ان معناه الكثرة فكانه وهم اكثر الناس ذهب اليه ابن عباس و

الضحاك

الضحاك والحسن وقال ابن زيد معناه هم موتلفوا القلوب لم يخرجوا عن تباغض ومن قال المراد به العدد الكثير اختلفوا فقال ابن عباس كانوا اربعين الفا وقال قوم اربعة الاف وقال آخرون ثمانية الاف وقال السدي بضعة وثلثون الفا والذي يقتضيه الظاهر انهم اكثر من عشرة الف لان بناء فعول للكثير وهو ما زاد على العشرة فاما ما نقص فيقال فيه الاف على وزن افعال نحو عشرة الاف ولا يقال عشرة الوف وقال الحسن واكثر المفسرين كانوا فروا من الطاعون الذي وقع بارضهم وقال الضحاك فروا من الجهاد ومعنى الاية الحض على الجهاد بانه لا ينفع من الموت فرار من امر الله لانه يجوز ان يعجله على جهة العقاب كما عجله لهؤلاء للاعتبار وفي الاية دليل على من انكر عذاب القبر والرجعة معا لان الاحياء في القبر وفي الرجعة مثل احياء هؤلاء الذين احياهم للعبرة وقوله فقال لهم الله موتوا قيل في معناه قولان احدهما ان معناه اماتهم الله كما يقال قالت السماء فهطلت وقلت براسي كذا وقلت بيدي وذلك لما كان القول في الاكثر استفتاحا للفعل كالقول الذي هو تسمية وما جرى مجراها مما كان يستفتح به الفعل صار معنى قالت السماء فهطلت اي استفتحت الهطلان وصار بمنزلة استفتاح الافعال فلذلك صارت اماتتهم بمنزلة استفتاح الافعال الثاني ان يكونوا احياهم عند قول سمعته الملائكة لضرب من العبرة ويجوز عندنا ان يكونوا احيوا في غير زمان نبي وقالت المعتزلة لا يجوز ان يكون ذلك الا في زمان نبي لان المعجزة لا يجوز ظهورها الا الدلالة على صدق نبي يكون له آية وقد بينا فساد ذلك في غير موضع وانه يجوز المعجزات على يدي من الصادقين من الائمة والاولياء وان لم يكونوا انبياء وروي عن ابن عباس انه مر بهم نبي فدعا الله تعالى فاحياهم وقوله ان الله لذو فضل على الناس انما ذكره واتصل بما تقدم لانه لما ذكر النعمة عليهم بما اتاهم من الاية العظيمة في نفسهم ليلزموا سبيل الهدى ويتجنبوا طرق الردى ذكر عند ذلك ما له على الناس من الانعام مع ما هم عليه من الكفران **قوله تعالى** وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ آية بلا خلاف قيل فيمن يتوجه اليه هذا الخطاب فيه قولان احدهما انه متوجه الى الصحابة بعد ما ذكرهم بحال من فر من الموت فلم ينفعه الفرار وحضهم على الجهاد لئلا يسلكوا سبيلهم في الفرار من الجهاد كما فر اولئك من الديار والثاني الخطاب الذي جرى ذكرهم على تقدير وقيل لهم قاتلوا في سبيل الله والقول الاول اظهر لان الكلام على وجه لا محذوف فيه وقوله واعلموا ان الله سميع عليم معناه ههنا انه سميع لما يقوله المنافق عليم بما يجنه المنافق فاحذروا حاله وقيل سميع لما يقوله المتعلل عليم بما يضمره فاياكم والتعلل بالباطل وقيل سميع لقولكم ان قلتم كقول من قبلكم عليم بضمايركم وسبيل الله الذي امر بالقتال فيها قيل في دين الله لاعزازه والنصرة له وقيل في طاعة الله وقيل في جهاد اعداء المؤمنين والقتل نقض البنية التي يحتاج اليها الحيوة والقتال هو تعرض كل واحد منهما للقتل والفرق بين سميع وسامع ان سامعا يقتضي وجود المسموع وسميع لا يدل عليه وانما معناه انه من كان على صفة لاجلها يسمع المسموعات اذا وجدت ولذلك يوصف تعالى فيما لم يزل بانه سميع ولا يوصف بانه سامع الا بعد وجود المسموعات **قوله تعالى** مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ آية واحدة بلا خلاف قرأ ابو عمرو ونافع وحمزة والكسائي فيضاعفه بالرفع وقرأ عاصم بالالف والنصب وقرأ ابن كثير فيضعفه بالتشديد والرفع وقرأ ابن عامر بالتشديد والنصب والقرض الذي دعا الله اليه قال ابن زيد هو في الجهاد وقال غيره في البر من النفل والقرض هو قطع جزء من المال بالاعطاء على ان يرد بدله منه وقوله يقرض الله مجاز في اللغة لان حقيقته ان يستعمل في الحاجة وفي هذا الموضع يستحيل ذلك فلذلك كان مجازا وقد يستعمل القرض في غير الحاجة قال امية بن ابي الصلت

لا تخلطن خبيثات بطيبة ... واخلع ثيابك منها وانج عريانا

كل امرئ سوف يجزى قرضه حسنا ... او سيئا ومدينا كالذي دانا

فهذا يبين ان القرض من غير عوز وقال آخر

واذا جوزيت قرضا فاجزه ... انما يجزي الفتى غير الجمل

والقرض القطع بالناب قرض يقرض قرضا اذا قطع الشيء بنابه وقرّض تقريضا وتقرض تقرضا واقرضه المال اقراضا والقرض ما اعطيته لتكافا او يرد بعينه واقترض اقتراضا واستقرض

استقراضا وتقارضا الثناء اذا اثنى كل واحد منهما على صاحبه وكذلك قارضه الثناء وانقرضوا انقراضا اذا هلكوا والدنيا قروض اي يتقارضها الناس بينهم بالمكافاة وقرض الشيء يقرضه قرضا والشعر قريض ومنه قوله تقرضهم ذات اليمين وذات الشمال اي يقطعهم بمرورها عليهم والمقراض الجلم الصغير وقراضات الثوب ما ينفيه الجلم وقوله فيضاعفه من رفع عطفه على قوله يقرض ومن نصب فعلى جواب الاستفهام بالفاء والاختيار الرفع لان فيه معنى الجزاء وجواب الجزاء بالفاء لا يكون الا رفعا ويضاعفه اكثر في الاستعمال وانما شدد ابو عمرو يضعف لها العذاب ضعفين ولم يشدد فيضاعفه لان المضاعفة عنده لما لا يتحدد والتضعيف للمحدود وتقول ضعفت القوم اضعفهم ضعفا اذا كثرتهم فصرت مع اصحابك على الضعف منهم وضعف الشيء مثلاه في المقدار واضعفت الشيء اضعافا وضعفته تضعيفا وضاعفته مضاعفة وهو الزيادة على اصل الشيء حتى يصير مثلين او اكثر وتضاعف الشيء تضاعفا وضعف ضعفا والضعف خلاف القوة لانه قطع القوة عن التمام وضعف الشيء مثله في المقدار اذا زيد عليه فكل واحد منهما ضعف والتضعيف تكرير الحرف واستضعفت الرجل استضعافا واصل الباب الضعف وهو زيادة المثل وقوله والله يقبض ويبسط قال الحسن وابن زيد في الرزق وحكى الزجاج انه يقبض الصدقات ويبسط الجزاء عليها عاجلا وآجلا عليها والقبض خلاف البسط والقبض ضم الكف على الشيء قبضه قبضا وتقبض عنه تقبضا اذا اشمأز منه لانه ضم نفسه عن الانبساط اليه وانقبض انقباضا وقبضت الرجل تقبيضا اذا اعطيته لانضمام كفه على ما اخذه ورجل قبيض اذا كان منكمشا سريعا لجمعه للاسراع وراع قبضة اذا كان لا ينفسح في رعيه لانقباضه والتقبض التشنج وقبض الانسان اذا مات والملك قابض الارواح والبسط خلاف القبض تقول بسط يبسط بسطا وانبسط انبساطا وبسطه تبسيطا وتبسط تبسطا والبساط بكسر الباء ما بسطته والبساط بفتح الباء الارض الواسعة وناقة بسط معها ولدها للانبساط والبسطة الفضيلة في الجسم او المال ونحو ذلك وزاده بسطة في العلم والجسم وكتبه قبسطه بالصاد وبسط بالسين لان القلب على الساكن اقوى منه على المتحرك ومعنى من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا التلطف في الاستدعاء الى اعمال البر والانفاق في سبل الخير وجهلت اليهود لما نزلت هذه الاية فقالوا الله يستقرض منا فنحن اغنياء وهو فقير الينا فانزل الله تعالى لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء ذكره الحسن والهاء في قوله واليه ترجعون عائدة الى الله ومعناه الى الله ترجعون في الآخرة وقيل الى التراب الذي خلقكم منه ذكره قتادة **قوله تعالى** أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ آية واحدة بلا خلاف قرأ نافع عسيتم بكسر السين والباقون بفتحها الملأ الجماعة الاشراف من الناس وروي ان رجلا من الانصار قال يوم بدر ان قتلنا الا عجائز صلعا فقال النبي ص اولئك الملأ من قريش لو رأيتهم في انديتهم لهبتهم ولو امروك لاطعتهم ولاحتقرت فعالك عند فعالهم وتقول ملأت الاناء املأه ملأ اذا ترعته لانه يجتمع فيه ما لا يكون معه مزيد عليه وامتلأ امتلاء اذا طفح وما لأت الرجل اذا عاونته ممالأة وتمالؤا على امر اذا تعاونوا وملؤ الرجل ملاءة فهو مليء بالامر اذا امكنه القيام به ووفاه ملأى والانثى مليئة والجمع ملاء والملأ الجماعة من الناس يجتمعون للمشاورة والجمع الاملاء قال الشاعر

وقالت لنا الاملاء من كل معشر ... وخير اقاويل الرجال سديدها

والاملاء الريطة واصل الباب الامتلاء وهو الاجتماع فيما لا يحتمل المزيد ومنه شابه ملء العين اي قد اجتمع له من الحسن في العين ما ليس عليه مزيد والملأ الخلق لان جميع افعال صاحبه يجري عليه وقال السدي ان النبي ع الذي قالت له بنو اسرائيل ما حكاه يقال شمعون سمته امه بذلك لان الله سمع دعاها فيه وقال قتادة هو يوشع بن نون وقال وهب بن منبه هو شمويل وهو المروي عن ابي

جعفرؑ وكان سبب سؤالهم هذا استذلال الجبابرة لهم من الملوك الذين كانوا فى زمانهم اياهم على قول
وهب والربيع وقال السدى قتال العمالقة وانما سألوا ملكا ليكون امرا عليهم تنتظم به كلمتهم وتجتمع
امورهم ويستقيم حالهم فى جهاد عدوهم واكثر النحويين على الجزم فى نقاتل مع النون وقالوا لا يجوز
غير الجزم واجاز الزجاج الرفع على ضعف فيه على تقدير فانا نقاتل فى سبيل الله ولو كان بالياء لجاز الرفع
على ان يكون صفة للملك والجزم على الجواب كما قال فهب لى من لدنك وليا يرثنى بالجزم والرفع ولو كان
نقاتل معه لحسن الرفع ايضا لعائد الذكر ولا يجوز على الحذف لانه لا يحذف العائد من حرف الا اضافة فى الصلة
وهو من الصفة ابعد لا يجوز ان يقول الذى مررت زيد تريد به ودخلت ان فى قوله ما لنا الا نقاتل فى
سبيل الله واسقطت فى قوله ما لكم لا تؤمنون بالله لاحد ثلثة اشياء اولها دخلت ان لتدل انه فيه معنى
ما منعنا من ان نقاتل كما دخلت الباء فى خبر هل لما تضمنت معنى ما قال الفرزدق يهجو جريرا ويذكر ان
اباه كان ينكح اتانا يقول اذا قلولى عليها واقردت لا هل اخو عيش لذيذ بدائم معنى قلولى علاها
ومعنى اقردت ذلت واما سقوطها فى الموضع الآخر فعلى الاصل كانه قيل ما لنا غير مقاتلين كما قال فما
لهم عن التذكرة معرضين هذا قول الفراء الثانى ان يكون ان زائدة فى قول الاخفش وهو ضعيف لانه
لا يجوز الحمل على الزيادة الا لضرورة الثالث على حذف الواو كانه قال وما لنا ولان نقاتل كما قالوا اياك ان
تتكلم بمعنى اياك وان تتكلم قال الرمانى وهذا ليس بالوجه لانه لا يحكم احد بالحذف ولا بالزيادة الا عند
الضرورة قال الشاعر فتح بالسرائر فى اهلها واياك فى غيرهم ان يتوخا فالاية مستغنية عن الواو
مثل البيت سواء قال قول الشاعر فاياك المحاين ان تحينا فانما هو على احذر المحاين لا على اضمار ان
وقال المبرد فيه وجه آخر وهو ان يكون جحدا ويكون تقديره ما لنا نترك القتال وعلى الوجه الاول لما استفهام
وانما جاز ما لك ان يقوم ولم يجز ما لك ان قمت لان المنع انما يكون على الاستيناف تقول منعه ان يقوم و
لا يجوز ان يقول منعه ان قام كذا قال الفراء فى الكلام حذف وتقديره وما لنا الا نقاتل فى سبيل الله وقد
اخرجنا من ديارنا وابنائنا فسأل فبعث ويحث عليهم القتال فلما كتب تولوا وانما وجب ان يكون محذوفا لان
الكلام لا يدل عليه الا من جهة الذكر له او الحذف منه فاما ما يدل عليه الكلام من غير جهة الذكر له او الحذف
منه فليس بمحذوف نحو قد عرف زيد فانه يدل على انه عرفه عارف وليس بمحذوف لانه لم يدل عليه من جهة
الذكر له ولا الحذف منه وعسيتم بكسر السين لغة والفتح اكثر وقوله الا قليلا لا يجوز فيه الرفع لانه استثناء
بعد موجب وكذلك قوله فشربوا منه الا قليلا لا يجوز فيه الرفع **قوله تعالى** وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ اِنَّ اللّٰهَ قَدْ
بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوٓا اَنّٰى يَكُوْنُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ اَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ
الْمَالِ قَالَ اِنَّ اللّٰهَ اصْطَفٰىهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهٗ بَسْطَةً فِى الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللّٰهُ يُؤْتِىْ مُلْكَهٗ مَنْ يَّشَآءُ وَاللّٰهُ
وَاسِعٌ عَلِيْمٌ آية واحدة بلا خلاف قال السدى ووهب بن منبه انما انكروا ان يكون طالوت ملكا لانه لم يكن من سبط
النبوة ولا سبط المملكة بل كان من اجمل سبط فى بنى اسرائيل وقوله ان الله اصطفاه معناه اختاره فى قول ابن
عباس وابن زيد واصله الصفوة من الادناس وقوله وزاده بسطة فى العلم والجسم قيل فى معناه قولان قال
الحسن زيادة فى العلم وعظيما فى الجسم وقال الجبائى كان اذا قام الرجل فبسط يده وافعالها نال راسه يقال
جسم يجسم جسامة يعنى ضخم ضخامة ورجل جسيم عظيم الخلق وجسمه تجسيما وتجسم تجسما وهو اجسم منه اى
اضخم واصل الباب الضخم والجسم هو الذاهب فى الجهات الثلث الطول والعرض والعمق وانما لم يصرف طالوت
وصرف جاموس اذا سمى به وان كانا اعجميين فى قول الزجاج لانه لما كان يدخله الالف واللام نكرة نحو
قولهم الجاموس وكلما عرب فى حال التنكير فانه لا يبعد بالعجمة فيه لانه بمنزلة ما اصله عربى فاما ما عرب فى حال
تعريفه فليس كذلك لانه لم يستعمل الا احد الحالين دون الاخرى فثقل لذلك وقوله والله واسع عليم
قيل فى معناه ثلثة اقوال احدها واسع الفضل فحذف كما حذف فى قولهم فلان كبير اى كبير القدر والثانى
واسع بمعنى موسع اى يوسع على من يشاء من نعمه كما جاء اليم بمعنى مؤلم والثالث واسع بمعنى ذو سعة نحو

عيشة راضية اى ذات رضى وهم ناصب اى ذو نصب تامر ولابن اى ذو تمر وذو لبن ويجئ باب فى فاعل بمعنى
ذو كذا وقوله عليم اى عليم بمن ينبغى ان يؤتيه الفضل اما للاستصلاح واما للامتحان قال البلخى وفى
الآية دلالة على فساد قول من قال بان الامامة وراثة لان الله تعالى رد عليهم ما انكروه من التمليك عليهم من
ليس من اهل النبوة ولا المملكة وبين انه يجب بالعلم والقوة لا بالوراثة وقال اصحابنا فيها دلالة على ان
من شرط الامام ان يكون اعلم رعيته وافضلهم فى خصال الفضل لان الله تعالى علل تقديمه عليهم بكونه اعلم
واقوى فلولا انه شرط والا لم يكن له معنى **قوله تعالى** وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ اِنَّ اٰيَةَ مُلْكِهٖٓ اَنْ يَّاْتِيَكُمُ التَّابُوْتُ
فِيْهِ سَكِيْنَةٌ مِّنْ رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ اٰلُ مُوْسٰى وَاٰلُ هٰرُوْنَ تَحْمِلُهُ الْمَلٰٓئِكَةُ اِنَّ فِىْ ذٰلِكَ لَاٰيَةً لَّكُمْ اِنْ
كُنْتُمْ مُّؤْمِنِيْنَ آية قال الحسن وجه الآية فى التابوت ان الملائكة كانت تحمله بين السماء والارض يرونه
عيانا وقال ابن عباس ووهب ان الله انتزعه من ايدى اعدائهم الذين نهبوه منهم فرده عليهم تحمله الملائكة
وقيل ان التابوت كان فى ايدى اعداء بنى اسرائيل من العمالقة الذين غلبوهم عليه على قول ابن عباس ووهب
وروى ذلك عن ابى عبد الله ؑ وقال قتادة كان فى برية التيه خلفه هناك يوشع بن نون وقال وهب بن منبه
كان مقدار التابوت نحوا من ثلث اذرع فى ذراعين وروى عن على ؑ انه قال السكينة التى كانت فيه ريح هفافة لها
وجه كوجه الانسان وقال مجاهد لها راس كراس الهرة وروى ذلك فى اخبارنا وقال وهب روح من الله تكلمهم
بالبيان عند وقوع الاختلاف وقال عطا كان فيه آية يسكنون اليها والسكينة مصدر وقع موقع الاسم نحو
القضية والبقية والعزيمة واخذه من معنى السكون لان نفوسهم تسكن اليه والبقية التى ترك آل موسى وآل
هرون قال ابن عباس وقتادة والسدى انها عصا موسى ورضاض الالواح وهو المروى عن ابى جعفر ؑ وقال
ابو جعفر التابوت هو الذى وضعت ام موسى فيه موسى حين القته فى اليم واقوى هذه الاقوال ان يحمل على
انه كان فيه ما يسكنون اليه ويجوز ان يكون ذلك عصا موسى والرضاض وغير ذلك مما اختلفوا فيه بعد ان
يكون فيه ما تسكن النفس اليه لانه تعالى بين ان فيه سكينة وهى فعيلة من السكون ولا يقطع بشىء من ذلك الا
بدليل يوجب العلم وقال الحسن كان فيه التورية وشىء من ثياب موسى وفى التابوت لغتان فلغة جميع العرب الا
الانصار التابوت بالتاء والانصار تقول التابوه بالهاء ويقال بقى بقاء وابقاه ابقاء واستبقاه استبقاء
وتبقاه تبقيا وتباقى تباقيا وباقاه مباقاة ومنه بقايا الخراج واصل الباب البقاء خلاف الفناء وقوله تحمله
الملائكة تقول حمل يحمل حملا واحتمل احتمالا وتحامل تحاملا وتحمل تحملا وحمله تحميلا وحامله محاملة و
انحمل انحمالا واستحمل استحمالا والحمل من الضان الخروف والحمل السحاب الكثير الماء والحمل ما فى البطن
والحمل ما على الظهر والحمالة علاقة السيف والمحمل الذى يركبه الناس والحمالة الدية يحملها قوم عن قوم
والحميل الكفيل والحميل الغريب لانه يحمل على القوم وليس منهم وحميل السيل غثاؤه وامرأة حامل حبلى لحملها
الولد وحملت فلانا على فلان اذا ارشته عليه لانك حملته على مكروهه والحمولة الابل لانها يحمل عليها الاثقال
واصل الباب الحمل كون الشىء على الشىء وقوله ان كنتم مؤمنين معناه ان كنتم مصدقين ولا يجوز ان يكونوا
على تثبيت الايمان لهم لانهم قد كفروا حين ردوا على نبيهم وقيل ان كنتم مؤمنين كما تزعمون **قوله تعالى**
فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوْتُ بِالْجُنُوْدِ قَالَ اِنَّ اللّٰهَ مُبْتَلِيْكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّىْ وَمَنْ لَّمْ يَطْعَمْهُ
فَاِنَّهٗ مِنِّىْٓ اِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهٖ فَشَرِبُوْا مِنْهُ اِلَّا قَلِيْلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهٗ هُوَ وَالَّذِيْنَ اٰمَنُوْا
مَعَهٗ قَالُوْا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوْتَ وَجُنُوْدِهٖ قَالَ الَّذِيْنَ يَظُنُّوْنَ اَنَّهُمْ مُّلٰقُوا اللّٰهِ كَمْ مِّنْ فِئَةٍ
قَلِيْلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيْرَةً بِاِذْنِ اللّٰهِ وَاللّٰهُ مَعَ الصّٰبِرِيْنَ آية واحدة بلا خلاف قرأ غرفة بالفتح ابن كثير
وابو عمرو ونافع الباقون بالضم وهما لغتان وقوله فلما فصل معناه قطع والفصل القطع يقال فصل اللحم
عن العظم اى قطعه فبان عنه وفصل الصبى فصالا اذا قطعه عن اللبن وقول فصل اى يفصل بين الحق و
الباطل والجنود جمع جند قال السدى كانوا ثمانين الف مقاتل والاجناد جمع القلة وجند الجنود تجنيدا اى
جمعهم والجند الارض الغليظة وكل صنف من الخلق جند على حدة وفى الحديث الارواح جنود مجندة واصل الباب

الجند الغليظ من الارض قوله ان الله مبتليكم بنهر فمعنى الابتلاء ههنا تمييز الصادق من الكاذب في قوله
على قول الحسن وقال وهب بن منبه السبب الذى لاجله ابتلوا بالنهر شكايتهم قلة المياه وخوفا التلف من
العطش والنهر الذى ابتلوا به قال ابن عباس والربيع وقتادة هو نهر بين الاردن وفلسطين وروى عن
ابن عباس ايضا انها نهر فلسطين وقوله فمن شرب منه الهاء عايدة على النهر في اللفظ وهو في المعنى الماء
وقوله فليس منى معناه ليس على دينى ولا من اهل ولايتى وحذف ودلت من عليه ويقال طعم الماء كما يقال
طعم الطعام وانشدوا   وان شئت لم اطعم نقاخا ولا بردا   والغرفة بالفتح المرة من الغرف والغرفة بالضم
ملء الكف من الماء فالغرفة اسم للماء المغروف والغرفة اسم للفعل وقال بعضهم الاختيار الضم لانه لو
جاء على معنى المرة لكان اغترافة وهذا ليس بشئ لانه اذا كان المعنى واحدا جاز اغترافة لانه الاصل وجاز
غرفة لانه اخف وكلاهما حسن ويقال غرف يغرف غرفا واغترف اغترافا والمغرفة الآلة التى يغرف بها وغرو
غروف اى كبير والغريفاء في الاجمة لانه يغرف من بين القصب ومزادة غرفية مدبوغة بالغرف وهو جنس
من الدباغ والغريف شجر مجتمع من اى شجر كان والغرفة العلية واصل الباب الغرف وقال ابن عباس وقتادة
والربيع من استكثر من ذلك الماء عطش ومن لم يشرب الا غرفة روى وقال الفراء والحسن وقتادة والربيع
الذين جازوا النهر مع طالوت كان مثل عدد اهل بدر وهم ثلثمائة وبضعة عشر وهم المؤمنون خاصة وقال
ابن عباس والسدى جاوزه الكافر والمؤمن الا ان الكافرين انخزلوا عنهم وبقى المؤمنون على عدد اهل بدر
وهذا اقوى لقوله تع فلما جاوزه هو والذين امنوا معه فلما راوا كثرة جنود جالوت قال الكفار منهم
لا طاقة لنا اليوم بجالوت وقال المؤمنون حينئذ الذين عدتهم عدة اهل بدر كم من فئة قليلة غلبت فئة
كثيرة باذن الله قال البلخى ويجوز ان يكون كلهم مؤمنين غير ان بعضهم اشد ايقانا واقوى اعتقادا
وهم الذين قالوا كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله وتقول جاوزه الشئ يجوزه اذا قطعه و
اجازه اجازة اذا استصوبه والشئ يجوز اذا لم يمنع منه دليل واجاز فلان اجتيازا واستجاز فعل كذا
استجازة وتجوز في كلامه تجوزا وتجاوز عن ذنبه تجاوزا وجاوزه في الشئ مجاوزة وجوزه تجويزا
وجوز كل شئ وسطه مشبه بجاز الطريق وهو وسطه الذى يجاز فيه وقيل هذا اشتقاق الجوزاء لانها تعترض
جوز السماء اى وسطها واما الجوز المعروف فهو دخيل معرب والجواز الصك للمسافر والمجاز في الكلام لانه خروج
عن الاصل الى ما يجوز في الاستعمال واصل الباب الجواز المرور من غير شئ يصد عنه التجاوز عن الذنب لانه المرور
عليه بالصفح وقوله قال الذين يظنون قيل فيه ثلثة اقوال احدها قال الذين يستيقنون ذهب اليه السدى
قال دريد بن الصمة فقلت لهم ظنوا بالفى مدجج سراتهم في الفارسى المسرد اى ايقنوا وقيل انه استعارة فيما يكفى
فيه الظن حتى يلزم العمل فكيف المعرفة فجاء على وجه المبالغة في تاكد لزوم العمل الثانى يحدثون نفوسهم و
هو اصل الظن لان حديث النفس بالشئ قد يكون مع الشك ومع العلم الا انه قد كثر على ما كان مع الشك الثالث
يظنون انهم ملاقوا الله بالقتل في تلك الوقعة وقوله كم من فئة الفئة الطايفة من الناس والجمع فئين وفئات
ولا يجوز في جمع الآحاد لان نقص حلة منه اوله وليس كذلك الفئة وما نقص من اوله يجرى في الباب على
اطراد بمنزلة عين المنقوص فاما فئة ومائة وثبة وعزة فان النقص فيه على غير اطراد كما يكون في عدة
وصلة وزنة وصفة وجهة وتقول فاوت راسه بالسيف فاوة فأوا اذا قطعته وانفاء الشئ انفاء اذا
تقطع واصل الباب القطع فمنه الفئة لانهم قطعة من الناس وقوله غلبت تقول غلب يغلب غلبا وغالبه
مغالبة وتغالبوا تغالبا وتغلب تغلبا وغلبه تغليبا واشد اغلب اذا كان غليظ العنق ورجل اغلب كذلك
لانه من امارة الغلبة والغلباء العشباء اذا كثر لانه تغلب على غيره بكثرته واصل الباب الغلبة القهر وقوله
باذن الله معناه بنصر الله على قول الحسن لان الله اذا اذن في القتال نصر فيه على الوجه الذى اذن فيه
ويجوز فيكم الجر والنصب ان كان على معنى الخبر في قول الفراء وفي الاية حذف الا انه ما يقتضى عليه وهو
فاتاهم التابوت بالصفة التى وصف وبها فصدقوا الا ان قوله فصل طالوت بالجنود يعد تلك المنازعة

منهم بتعيان الاية لهم فانقادوا لاجلها **قوله تع** وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ
عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ اية بلا خلاف البروز الظهور للقتال ومنه
البراز وهى الارض الفضاء تقول برز يبرز بروزا وبارزه مبارزة وتبارزوا تبارزا وبرز تبريزا وتبرز
تبرزا ورجل برزوا امراة برزة اى ذو عفة وفضل الظهور ذا ليها والجموع الجنود التى تعد للقتال
واحدها جند ماخوذ من الجند وهو الغلظ وقوله ربنا افرغ فالافراغ صب السيال على جهة الاخلاء منه
المكان واصله الخلو وانما قيل افرغ علينا صبرا تشبيها بتفريغ الاناء من جهة انه نهاية ما توجبه الحكمة
كما انه نهاية ما في الواحد من الانية وتقول فرغ يفرغ فراغا وافرغ افراغا وفرغ تفريغا وتفرغ
تفرغا واستفرغ استفراغا وافرغت افراغا اذا صببت عليك الماء وقوله سنفرغ لكم ايها الثقلان
معناه سنعمل لانه عمل مجرد من غير شاغل ومنه قوله واصبح فؤاد ام موسى فارغا اى خاليا من الصبر و
الفرغ مفرغ الدلو وهو خرقه الذى ياخذ الماء لانه يفرغ منه الماء وافرغ علينا صبرا اى صبه ودرهم
مفرغ اى مصبوب في قالب وضربة فريغة واسعة وفرغ الاناء وفرغ الرجل من عمله واصل الباب الفراغ
الخلو وقوله وثبت اقدامنا تثبيت الاقدام يكون بشيئين احدهما بتقوية قلوبهم والثانية بالقاء
الرعب في قلوب اعدائهم حتى يظهر منهم الجود في قتالهم وقيل باختلاف كلمتهم حتى يقع التخاذل منهم وكذلك
الصبر لانه من فعل العبد كما ان الثبوت في الحرب من فعله لانه يجازى عليه فاما النصر ففعل الله تع والصبر
حبس النفس عما تنازع اليه من الفعل وههنا حبسها عما تنازع اليه من الفرار من القتال والتثبيت تمكين
الشئ في مكانه يلزمه مراده وقد يقال ثبت يثبت ثبوتا واثبته اثباتا وتثبت تثبتا واستثبت استثباتا
وثبته تثبيتا ورجل ثبت المقام اذا كان شجاعا لا يبرح موقفه وطعنه فاثبت فيه الرمح اى نفذ فيه لانه
يلزم فيه واثبت حجته اذا اقامها والقول الثابت الصحيح الذى يلزم العمل عليه ومنه قوله يثبت الله الذين امنوا
بالقول الثابت اى يؤديهم به ليلزموا طريق الحق فيه وفلان ثبت اى ثقة مامون فيما روى واثبت الحسنات
في الدفتر لانك ضبطه واصل الباب اللزوم وقوله فانصرنا النصر هو المعونة على العدو ويكون ذلك باشياء
منها زيادة القوة ومنها الرعب من الملاقاة ومنها الاطلاع على العورة ومنها تخيل الكثرة ومنها القاء
الكلمة التى تقع بلطف في اعطاء النصر والفرق بين النصر واللطف ان كل نصر من الله فهو لطف وليس كل
لطف نصرا لان اللطف يكون في احد طاعة بدلا من معصية وقد يكون في فعل طاعة من النوافل واما العصمة
فلا تكون الا من معصية **قوله تع** فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَ
الْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ
عَلَى الْعَالَمِينَ اية قرأ نافع وابان عن عاصم دفاع الله الباقون دفع بلا الف في الاية حذف وتقديره فاستجاب
لهم ونجم فهزموهم بنصره لهم لان ذكر الهزيمة بعد سؤال النصرة دليل على انه كان على معنى الاجابة والهزم
الدفع تقول هزم القوم في الحرب يهزمهم هزما اذا دفعهم بالقتال هزيمة وانهزموا انهزاما و
تهزم السقاء اذا يبس فتصدع لانه قاع بعضه على بعض والاهتزام الذبح تقول العرب اهتزموا شاتكم
قبل ان تهزل فتهلك لدفع ضياعها بتذكيتها والهزمة دفع الشئ بقوة حتى يتخلى عن موضعه في
الجسد وفعره هزمة جبرئيل لاسمعيل عم والمهزام خشبة يحرك بها الجمر لانها يرفع بها بعضه عن بعض
وهزيم الرعد صوته واصابتهم هازمة من هوازم الدهر اى داهية كاسرة لانها كهازمة الجيش في البلية
وهزمت عليك اى عطفت عليك فالاول ان يكون القوم هزموهم حقيقة لانهم سنوا الهزيمة بان فعلوا
ما الجاؤهم اليها وقال الجبائى ذلك مجاز لانهم لم يفعلوا هزيمتهم كما يقال اخرجه من منزله اذا الجاه الى
الخروج ولم يفعل خروجه وهذا ليس بصحيح لانه ليس معنى هزمه فعل هزيمته فيكون اذا صرف عن ذلك
الى معنى غيره يكون مجازا في العبارة بل معناه ما قلناه وقوله باذن الله يحتمل امرين احدهما بامر الله
والثانى بعلم الله وقيل ان سبب قتل داود جالوت كان ان جالوت طلب البراز فخرج اليه داود فرماه

بجر مقلاع فوقع بين عينيه وخرج من قفاه فاصاب جماعة كثيرة من اهل عسكره فقتلهم وانهزم القوم عن
آخرهم ذكر ذلك وهب بن منبه وغيره من المفسرين ﴿و﴾ قوله وآتاه الله الملك والحكمة قيل في معناه قولان احدهما
انه جمع له الملك والنبوة في حال واحدة والآخر انه خصه من علم السمع بحكمة لم يؤتها غيره وقوله وعلمه مما يشاء
معناه انه علمه امور الدين وما يشاء من امور الدنيا منها صنعة الدرع وعمل السرد ذكره الزجاج والطبري فان
قيل ما الفائدة في قوله وعلمه مما يشاء اذا كنا لا ندري ما الذي شاء من ذلك قيل هو نعم وان لم يشرح لنا
ما علمه فقد بين لنا انه خصه من العلم بعد علم الدين بما لم يؤته غيره لان غيره من المؤمنين انما نعلم ما دله الله
عليه من امر دينه ودنياه وكان داود مساويا لهم في ذلك ان لم يكن اكثرهم علما فيه لانه كان مؤمنا مثلهم وكان
معهم في امورهم فلما بين لنا انه آتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء بعد قتل جالوت علمنا انه كان خصه
بما ذكره من الملك والحكمة وخصه منه بما لم يخص به احدا سواه ﴿و﴾ قوله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض
لفسدت الارض قيل في معناه ثلثة اقوال احدها يدفع الله بالبر عن الفاجر الهلاك هذا قول علي ع وهو
المروي عن ابي جعفر محمد بن علي ع وبه قال مجاهد الثاني يدفع باللطف للمؤمن والرغبة فلولا الفاجر ان يعم
الارض الفساد الثالث قال الحسن والبلخي يزع الله بالسلطان ما لا يزع بالقرآن لانه يمنعه على دفع الاشرار
عن ظلم الناس لانه يريد منه المنع من الظلم والفساد كان مؤمنا او فاسقا واصل الدفع الصرف عن الشيء دفع
دفعا ودافع مدافعة ودفاعا واندفع اندفاعا وتدافع تدافعا وتدفع تدفعا ودفعه تدفيعا واستدفع
استدفاعا والضيف المدفع لتدافع الحي به لاحتقاره الدفاع السيل لتدافع بعضه على بعض والدفعة انه فاع
الشيء جملة ورجل مدفع اي عن نسبه وقال الحسن لم يكن داود نبيا قبل قتله جالوت لانه لا يجوز ان يتراس من ليس
بنبي على نبي لانه قلب ما يوجبه تدبير الحكماء لان النبي يوثق بظاهره وباطنه ولا يجري الا بالحق ولا يدعوا
الا الى حق وليس كذلك من ليس بنبي من اهل العقل ومن قرأ دفاع بالف فوجهه ان الله لما اعان اولياء
على مدافعة اعدائهم حتى هزموهم حسن اضافة الدفاع اليه لما كان من معونته وارادته له وفي الآية دلالة
على فساد قول المجبرة انه ليس لله على الكافر نعمة لانه قال ان الله لذو فضل على الناس فعم الجميع بالنعمة
ولم يخص ولكن اكثر الناس لا يشكرون ويفسد به ايضا قولهم في الارادة وان جميع ما اعطى الله الكفار انما هو
ليكفروا لا ليؤمنوا وما روي ان طالوت هم بقتل داود لما راى ان وجوه الناس اقبلت عليه بقتله جالوت
رواية شاذة فان صحت دلت على ان طالوت لم يكن نبيا ولا اماما لان النبي والامام لا بد ان يكون معصوما
قوله تعالى ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ الآيات المذكورة في هذه الآية
المراد بها ما تقدم ذكره من اماتة الوف من الناس دفعة واحدة بخلاف ما جرت به العادة ثم احياهم في مقدار ساعة
ومن تمليك طالوت وقد كان من الخاملين الذين لا ينقاد لهم النفوس بما جعله له من الآية علما على تمليكه ومن
نصرة اصحاب طالوت مع قلة عددهم وضعفهم على جالوت وجنوده مع قوتهم وكثرة عددهم وشدة بطشهم
حتى قهروهم واستعلوا عليهم وكل ذلك مما لا يقدر عليه غير الله تعالى فهو دلالة عليه ﴿و﴾ قوله وانك لمن
المرسلين قوله تعالى به وتنقيته على وجوه منها ما في الاحياء بما تقدم من الدلالة على النبوة ومنها انه يجب التصديق
بتلك الامور لنبوته ع ومنها انه اوحي اليه به كما اوحي الى المرسلين لانه سنة الله عز وجل في مثله ومنها
الاستدعاء الى القيام بما ارسل به بعد قيام الحجة عليه ومنها انه كما نصب تلك الآيات جعلك من المرسلين
لما في ذلك من الحكمة التي تدعوا الى صلاح المكلفين وانما صارت الاخبار به دلالة على النبوة من
جهة انها اخبار عن عيون لم تشهدها ولا خالط اهل المعرفة بها ومتى قال قائل انه اخذها عن اهل العلم
بالاخبار فان قوله يبطل لانه لو كان كذلك لم يتكتم لخروجه عن العادة كخروج ان يصير انسان من اعلم
الناس بصناعة لم يشهدها ولا خالط اهلها ولان في انبيائهم من يثبت معجزة من غير تلك الجهة وهو المنع من
الاذاعة مع توفر الاسباب الداعية الى الحديث به ولا نشره وهذا مما لا يقدر عليه الا الله تعالى والرسالة
بجمل جملة من الكلام لها فائدة الى المقصود بالدلالة والحق هو وقوع الشيء موقعه الذي هو له من غير

بجبرهم

تغيير عنه بما لا يجوز فيه والتلاوة ذكر الكلمة بعد الكلمة من غير فاصلة لان التالي للشيء يليه من غير فصل
بغيره والاصل التلو وهو ايقاع الشيء بعد الشيء الذي يليه **قوله تعالى** ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ
عَلَىٰ بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ
الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَٰكِنِ اخْتَلَفُوا
فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ آية واحدة بلا
خلاف انما ذكر الله تعالى تفضيل بعضهم على بعض لامور منها ان لا يغلط غالط منهم فيسوي بينهم في الفضل
كما استووا في الرسالة وثانيها ان يبين ان تفضيل محمد ص كتفضيل من مضى من الانبياء بعضهم على بعض و
ثالثها ان الفضيلة قد يكون بعد اداء الفريضة والمراد بالفضيلة المذكورة ههنا ما خص كل واحد منهم
من المنازل الجليلة التي هي اعلى من منزلة غيره نحو كلامه لموسى بلا سفير وارساله محمدا ص الى الكافة من الناس
المكلفين والجن المتعبدين هذا قول مجاهد ويحتمل فضلناهم باعمالهم التي استحقوا بها الفضيلة على
غيرهم والفرق بين الابتداء بالفضيلة وبين المحاباة ان المحاباة اختصاص البعض بالنفع على ما توجبه
الشهوة دون الحكمة وليس كذلك الابتداء بالفضيلة لانه قد يكون للمصلحة التي لولاها لفسد التدبير و
ادى الى حرمان الثواب للجميع فمن حسن النظر لهذا الانسان تفضيل غيره عليه اذا كان في ذلك مصلحة له فهذا
وجه يدعوا اليه الحكمة وليس كالوجه الاول الذي انما يدعوا اليه الشهوة ﴿و﴾ قوله وايدناه بروح القدس
معناه قويناه والروح جبرئيل والقدس الله على قول الحسن وقال ابن عباس روح القدس الاسم الذي
كان يحيي به الموتى والضمير في قوله من بعدهم عايد على الرسل وقال قتادة والربيع على عيسى وموسى ع
وجاز بلفظ الجميع لان ذكرهم قد يغني عن ذكر المتبعين لهم كما يقال خرج الامير فانكوا في العدو نكاية عظيمة
﴿و﴾ قوله ولو شاء الله ما اقتتلوا اخبار عن قدرته على الجائهم على الامتناع من الاقتتال او بان يمنعهم من
ذلك هذا قول الحسن وغيره وجملته انه اخبر انه قادر على ان يحول بينهم وبين الاقتتال بالالجاء او الاضطرار
ومثله ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعا فان جميع ذلك دلالة على
مقدرته عليهم ولا يدل قوله ولو شاء الله ما اقتتلوا على انه قد شاء اقتتالهم لانه اذا احتمل الكلام وجهين
احدهما يجوز عليه والآخر لا يجوز عليه وجب حمله على ما يجوز عليه دون ما لا يجوز عليه فلذلك كان تقدير
الكلام ولو شاء الله امتناعهم بالالجاء ما اقتتلوا ونظيره قول القائل ولو شاء السلطان الاعظم لم يشرب
النصارى الخمر في سلطانه ولا نكح المجوس الامهات والابنات وليس في ذلك دليل على انه قد شاءه وانما
كرر قوله ولو شاء الله ما اقتتلوا لاختلاف المعنى فمعنى الاول لو شاء الله ما اقتتلوا قتالهم ويجوز ان
يكون لتاكيد البينة على هذا المعنى وقال قوم الاول معناه لو شاء الله ما اقتتل المحقون والمبطلون بان
يحول بينهم وبينهم والثاني لو شاء الله ما اقتتل المحقون فيما بينهم والمبطلون فيما بينهم **قوله تعالى**
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَ
الْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ آية واحدة قرا ابو عمرو وابن كثير لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة بالنصب فيها
اجمع الباقون بالضم قوله يا ايها الذين آمنوا خطاب للمؤمنين بامرهم بالانفاق مما رزقهم والانفاق
المامور به على وجه الفرض ههنا الزكوة وغيره دون النفل لان ظاهر الامر الايجاب في قول الحسن قال
لانه مقرون بالوعيد وقال ابن جريج يدخل في الخطاب الزكوة والتطوع وهو اقوى لانه اعم وبه قال
البلخي وليس في الآية وعيد على ترك النفقة وانما فيها اخبار عن عظم اهوال يوم القيمة وشدائدها و
قوله من قبل ان ياتي يوم يعني يوم القيمة لا بيع فيه البيع هو استبدال المتاع بالثمن تقول باع يبيع بيعا
وابتاع ابتياعا واستباع استباعة وبايعه مبايعة وتبايعوا تبايعا والبيع نقيض الشراء والبيع ايضا
الشراء لانه تارة عقد على الاستبدال بالثمن وتارة على الاستبدال بالمتاع والبيعة الصفقة على ايجاب البيع
والبيعة الصفقة على ايجاب الطاعة والبيعان البايع والمشتري والبيعة كنيسة النصارى وجمعها بيع وقوله

لا خلة فالخلة خالص المودة والخلل الانفراج بين الشيئين وخللته بالخلال اخله خلا اذا شككته به واختل حاله اختلالا لا انحرافه بالفقر وخلل الطرق تخللا اذا قطع فرجة بعد فرجة واخل به اخلالا وخاله تخالا اذا صافاه المودة والخل معروف لتخلله بحدته ولطفه فيما ينساب عنه والخل الرجل الخفيف الجسم والخل الطريق في الرمل والخل عرق في العنق يتصل بالراس والخليل الخالص المودة من الخلة لانه من تخلل الاسرار بينهما وقيل لانه يمتنع من الشوب في المودة بالنقيصة والخليل ايضا المحتاج من الخلة والخلة جفن السيف وفي فلان خلة اي خصلة والخلة خلاف الحمض لانه مرعى يتخلله الماشية للاغتذاء به وخلل اصابعه تخليلا وقوله تعالى فترى الودق يخرج من خلاله وقوله فجاسوا خلال الديار والخلال البلح واصل الباب الخلل الانفراج

وقوله ولا شفاعة وان كان على لفظ العموم فالمراد به الخصوص بلا خلاف لان عندنا قد يكون شفاعة في اسقاط الضرر وعند مخالفينا في الوعيد قد يكون في زيادة المنافع فقد اجمعنا على ثبوت شفاعة و انما ننفي نحن الشفاعة قطعا عن الكفار ومخالفونا عن كل مرتكب كبيرة اذا لم يتب منها وقوله والكافرون هم الظالمون انما ذم الله تعالى الكافر بالظلم وان كان الكفر اعظم منه لامرين احدهما للدلالة على ان الكافر قد ضر نفسه بالخلود في النار فقد ظلم نفسه والاخر انه لما نفى البيع في ذلك اليوم والخلة والشفاعة قال و ليس ذلك بظلم منا بل الكافرون هم الظالمون لانهم عملوا ما استحقوا به حرمان الثواب **قوله تعالى** اللّٰهُ لا إِلٰهَ إِلّا هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ لا تَأخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ لَهُ ما فِي السَّمٰواتِ وَما فِي الأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ ما بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَما خَلْفَهُمْ وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلّا بِما شاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمٰواتِ وَالأَرْضَ وَلا يَؤُدُهُ حِفْظُهُما وَهُوَ العَلِيُّ العَظِيمُ اية واحدة الله رفع بالابتداء ولا اله الا هو الحي القيوم خبره والكلام مخرجه مخرج النفي ان يصح اله سوى الله وحقيقته الاثبات لاله واحد هو الله كانه قيل الله الاله دون غيره وارتفع هو في لا اله الا هو على احد وجهين احدهما بالابتداء كانه قال ما اله الا الله والثاني ان يكون بدلا كانه قال ما اله ثابتا الا الله ويجوز في العربية لا اله الا الله بالنصب على الاستثناء وغيره دلالة على الامر باخلاص العبادة لله تعالى والحي هو من كان على صفة لا يستحيل معها كونه عالما قادرا وان شئت قلت هو من كان على صفة يجب لاجلها ان يدرك المدركات اذا وجدت والقيوم اصله قيووم على وزن فيعول الا ان الياء الساكنة اذا كانت بعدها واو متحركة قلبت ياء وادغمت فيها قياسا مطردا والقيام اصله قيوام على وزن فيعال وقيل في معنى القيوم اربعة اقوال احدها قال الحسن انه القائم على كل نفس بما كسبت حتى يجازيها بعملها من حيث هو عالم لا يخفى عليه شيء منه الثاني قال سعيد بن جبير انه معناه الدائم الوجود الثالث قال قتادة معناه القائم بتدبير خلقه الرابع قال قوم انه معناه العالم بالامور من قولهم فلان يقوم هذا الكتاب اي هو عالم به وكل هذه الوجوه يحتمل وقال امية بن ابي الصلت

لم تخلق السماء والنجوم   والشمس معها قمر يقوم
قدره المهيمن القيوم   والحشر والجنة والجحيم
الا لامر شانه عظيم

وقوله لا تاخذه سنة ولا نوم فالسنة النوم بلا خلاف قال عدي بن الرقاع

وسنان اقصده النعاس فرنقت   في عينه سنة وليس بنائم

فالسنة الثقلة من النعاس تقول وسن فلان وسنا اذا اخذته سنة النعاس وقد علته وسنة ورجل وسنان ووسن وامراة وسنانة ووسنى واصل الباب النعاس والنوم الاستثقال في النوم تقول نام ينام نوما وانا نائم وقوم نيام ونوم تنويما وتناوم تناوما و واستنام اليه اذا استانس اليه واطمان الى ناحيته لان حاله معه كحال النائم في المكان الانس به واصل الباب النوم خلاف اليقظة وقوله ما في السموات وما في الارض معناه ان احدا ممن له شفاعة لا يشفع الا بعد ان ياذن الله له في ذلك ويامره به فاما ان يبتدئ احد بالشفاعة من غير اذن كما يكون فيما بيننا فليس ذلك لاحد وقوله يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم قال ابن جريج ومجاهد والسدي معناه ما مضى من الدنيا وما خلفهم من الاخرة وقوله ولا يحيطون بشيء من علمه معناه من معلومه كقول القائل اللهم اغفر لنا علمك فينا فاذا ظهرت اية يقولون قدرة الله اي مقدور الله وقوله وسع كرسيه قال ابن عباس كرسيه علمه

وهو المروي عن ابي جعفر ع وابي عبد الله ع وقال الحسن الكرسي هو العرش وقيل هو سرير دون العرش وقد روي ذلك عن ابي عبد الله ع وقيل اصل ملكه وكل ذلك محتمل اما العلم فلانه يقال للعلماء الكراسي لانهم المعتمد كما يقال هم اوتاد الارض وهم للاصل الذي يعتمد عليه ويقال لكل اصل يعتمد عليه كرسي قال الشاعر

تحف بهم بيض الوجوه وعصبة   كراسي بالاحداث حين تنوب

اي علماء بحوادث الامور وقال اخر

نحن الكراسي لا تعد هوازن   امثالنا في النائبات ولا اسد

وقال اخر

ما لي بامرك كرسي لعالمه   وهل بكرسي يعلم الغيب مخلوق

وكل شيء تراكب فقد تكارس تكارسا ومنه الكراسة لتراكب بعض ورقها على بعض قال العجاج

يا صاح هل تعرف رسما مكرسا   قال نعم اعرفه وابلسا

اي تكادس عليه التراب فغطاه والكرس البعر والبول اذا تلبد بعضه على بعض والاكادس الجموع الكثيرة لا واحد له لانه بكثرته بمنزلة ما تراكب بعضه على بعض ورجل كروس شديد الراس لان تضاعف القوى كتراكب الشيء بعضه على بعض والكرياس كنيف في اعلى السطح بقناة الى الارض لتراكب بعض ابنيته على بعض وسمي الكرسي به لذلك لتركيب بعض على بعض ويقال كرسي الملك من مكان كذا الى مكان كذا اي ملكه تشبيها بالكرسي المعروف وكرس يكرس كرسا واكرس اكراسا وتكارس تكارسا وتكرس تكرسا وكرسه تكريسا واصل الباب الكرس تراكب الشيء بعضه على بعض والوجه في خلق الكرسي اذا قلنا انه جسم هو ان الله تعبد بحمله الملائكة والتعبد عنده كما تعبد البشر بزيارة ولم يخلقه ليجلس عليه كما تقول المجسمة واختاره الطبري لانه عز و جل يتعالى عن ذلك لان ذلك من صفات الاجسام ولو احتاج الى الجلوس عليه لكان جسما ومحدثا وقد ثبت قدمه وقوله ولا يؤوده حفظهما اي لا يثقله والهاء في يؤوده راجعة الى الله وقيل انها عائدة الى الكرسي والاود مصدر آده يؤوده اودا وايادا اذا اثقله وجهده وادت العود فانا اوده اودا فاد ومعناه عجته فانعاج لانه اعتمد عليه بالثقل حتى مال والاود والاوداء على وزن اعوج وعوجاء والمعنى واحد والجميع الاود بوزن العوج واصل الباب الثقل وقوله وهو العلي العظيم فالعلي يعني بالاقتدار ونفوذ السلطان ويقال علي بالاقتدار ولا يقال رفيع لان الرفعة من المكان والعلو منقول الى معنى الاقتدار يوضح ذلك قولهم على قرنه بمعنى اقتدر ولا يقال ارتفع عليه بمعنى اقتدر وكذلك استعلى عليه بالحجة ولا يقال ارتفع عليه بالحجة وتقول علا يعلو علوا وعلي علاء وعلى تعلية واستعلى استعلاء وتعلى تعليا وتعالى تعاليا واعتلى اعتلاء وعالى معالاة والعلو بضم العين وكسرها نقيض السفل والعلو التجبر ومنه قوله تعالى ان فرعون علا في الارض اي تجبر لانه طلب الاستعلاء على الناس بالسلطان والقهر والله العالي والمتعالي اي القادر القاهر لانه عال بالاقتدار لانه لا يعجزه شيء و العالية القناة المستقيمة لاستمرارها في جهة العلو وفلان من علية الناس اي من اشرافهم لانه على بشرفه والعلية الغرفة واصل الباب العلو والعظيم معناه عظيم الشان بانه قادر لا يعجزه شيء وعالم لا يخفى عليه شيء فلا نهاية لمقدوره ومعلومه وقال قوم العظيم بمعنى المعظم كما قالوا في الخمر العتيقة معتقة والاول اقوى لان على هذا كان يجب ان لا يوصف بانه عظيم فيما لم يزل وقد علمنا خلافه **قوله تعالى** لا إِكْراهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللّٰهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالعُرْوَةِ الوُثْقىٰ لا انْفِصامَ لَها وَاللّٰهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ اية واحدة قيل في معنى قوله لا اكراه في الدين اربعة اقوال اولها قال الحسن وقتادة والضحاك انها في اهل الكتاب خاصة الذين يؤخذ منهم الجزية الثاني قال السدي وابن زيد انها منسوخة بالايات التي امر فيها بالحرب نحو قوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وقوله فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب الثالث قال ابن عباس وسعيد بن جبير انها نزلت في بعض ابناء الانصار وكانوا يهودا فاريد اكراههم على الاسلام الرابع قيل لا اكراه في الدين اي لا تقولوا لمن دخل فيه بعد حرب انه دخل مكرها لانه اذا رضي بعد الحرب وصح اسلامه فليس بمكره فان قيل كيف تقولون لا اكراه في الدين وهم يقتلون عليه قلنا المراد بذلك لا اكراه فيما هو دين في الحقيقة لان ذلك من افعال القلوب اذا فعل لوجه وجوبه فاما

مايكره عليه من اظهار الشهادتين فليس بدين كما ان من اكره على كلمة الكفر لم يكن كافرا وقوله قد تبين الرشد من الغى معناه قد ظهر بكثرة الحجج والايات الدالة لانضمام ما اتى الرسول منه الى ما فى الفعل منه والالف واللام فى قوله فى الدين يحتمل امرين احدهما ان يكون مثل قوله فان الجنة هى المأوى بمعنى هى مأواه فكذلك لا اكراه فى الدين اى فى دينه لانه قد تقدم ذكر الله كانه قال لا اكراه فى دين الله والثانى لتعريف دين الاسلام والغى ضد الرشد تقول غوى يغوى غيا وغواية اذا سلك خلاف طريق الرشد وغوى اذا خاب قال الشاعر

ومن يغو لا يعدم على الغى لائما اى من يخب وغوى الفصيل يغوى غيا اذا قطع عن اللبن حتى يكاد يهلك وقوله رب بما اغويتنى يحتمل امرين احدهما خيبتنى الثانى بما حكمت بغوايتى ومنه قوله اغويناهم كما غوينا تبرأنا اليك والاصل الغى سلوك طريق الهلاك وقوله ومن يكفر بالطاغوت قيل فيه خمسة اقوال احدها ما روى عن عمر ومجاهد وقتادة انه الشيطان الثانى قال سعيد بن جبير هو الكاهن الثالث قال ابو العالية هو الساحر والرابع قال قوم هم مردة الجن والانس الخامس قال بعضهم هى الاصنام واصل طاغوت من الطغيان ووزنه فعلوت نحو جبروت وتقديره طغيوت الا ان لام الفعل قلبت الى موضع العين كما قيل صاعقة وصاقعة ثم قلبت الفا لوقوعها فى موضع حركة وانفتاح ما قبلها ومعنى يؤمن بالله يصدق بالله و قوله فقد استمسك بالعروة الوثقى فالعروة الوثقى الايمان بالله عن مجاهد وجرى ذلك مجرى المثل لحسن البيان باخراج ما لا يقع به الاحساس الى ما يقع والعروة عروة الدلو ونحوه لانها متعلقة وعروت الرجل اعروه عروا اذا الممت به متعلقا بسبب منه واعترانى هم يعتريه اذا تعلق به وعرته الحمى تعروه اذا علقت به وعراه يعروه اذا تحلل لعروة واصل الباب التعلق وقال الازهرى العروة كل نبات له اصل ثابت كالشيح والقيصوم وغيره شبهت عرى الاشياء فى لزومها وقوله لا انفصام لها اى لا انقطاع لها فى قول السدى والانكسار والانفصام والانصداع والانقطاع نظاير قال اعشى بنى ثعلبة ومبسمها عن شتيت النبات عراميس ولا منقصم وانفصم انفصاما اذا انصدع وقصمته اقصمه قصما اذا اصدعته من غير ان يكسره و اصل الباب الفصم كصدع الزجاج **قوله تع** اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ اية معنى ولى الذين امنوا نصيرهم ومعينهم فى كل ما بهم اليه الحاجة مما فيه صلاح لهم وفى دينهم ودنياهم وانما يوصف بالولى من كان اولى بغيره والحق بتدبيره ومنه الوالى لانه يلى القوم بالتدبير والامر والنهى ومنه المولى من فوق لانه يلى امر العبد بسد الخلة وما به اليه الحاجة ومنه المولى من اسفل لانه يلى امر المالك بالطاعة والمولى ابن العم لانه يلى امره بالنصرة لتلك القرابة وولى اليتيم لانه يلى امرها له بالحفظ له والقيام عليه والولى فى الدين وغيره لانه يلى امره بالنصرة والمعونة لما توجبه الحكمة والمعاقدة لجميع هذه المواضع الاولى والاحق ملحوظ فيه وولى اذا ادبر عن الشئ لانه زال عن ان يليه بوجهه واستولى على الشئ اذا احتوى عليه لانه وليه بالقهر والله تع يتولى المؤمنين على ثلثة اوجه يتولاهم بالمعونة على اقامة الحجة ويتولاهم بالنصرة لهم فى الحرب حتى يغلبوا ويتولاهم بالمثوبة على الطاعة و قوله يخرجهم من الظلمات الى النور ومعناه من ظلمات الكفر الى نور الايمان لان الكفر كالظلمة فى المنع من ادراك الحق كما ان الظلمة مانعة من ادراك البصر وقال قتادة يخرجهم من ظلمة الضلالة الى نور الهدى وهذا قريب من الاول ووجه اخراج الله تع المؤمنين من ظلمات الكفر والضلال الى نور الايمان بالهداية لهم اليه ونصب الادلة لهم وترغيبهم فيه وفعله بهم من الالطاف ما يقوى دواعيهم الى الايمان فاذا اختاروا هم الايمان فكان الله اخرجهم منها ولم يجز ان يقال انه اخرج الكفار من الظلمات الى النور من حيث دلهم على الايمان ودعاهم اليه ورغبهم فيه كما فعل بالمؤمنين لانهم لم يختاروا الايمان فلم يجز ان يقال انه اخرجهم منه لانه توهم انهم فعلوا الايمان وقوله والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات انما اضاف اخراجهم من النور الذى هو الايمان الى الكفر الى الطاغوت لما كان ذلك باغوائهم ودعائهم وانما كفروا

عند ذلك فاضاف ذلك اليهم فهو عكس الاول فان قيل كيف يخرجونهم من النور وما دخلوا فيه قلنا عنه جوابان احدهما ان ذلك يجرى مجرى قولهم اخرجنى والدى من ميراثه ولم يدخل فيه وانما ذلك لانه لو لم يفعل ما فعل لدخل فيه فهو لذلك بمنزلة الداخل فيه الذى اخرج منه قال الغنوى فان تكن الايام احسن مرة الى فقد عادت لهن ذنوب ولم يكن لها ذنوب قبل ذلك والوجه الثانى قال مجاهد انه فى قوم ارتدوا عن الاسلام والاول اليق بمذهبنا لان عندنا لا يجوز ان يرتد المؤمن على الحقيقة وانما قال يخرجونهم على لفظ الجمع فان كان الطاغوت واحدا لانه فى معنى جمع كما قال العباس بن مرداس فقلنا اسلموا انا اخوكم فقد برئت من الاحن الصدور وانما جاز ذلك فى الخفض لان كل واحد يقوم مقام الاخر فصار ذكر واحد ينوب عن جميعه فاما ما يميز بالحلقة وصار بمنزلة الاشياء المختلفة فقياسه ان يجمع كرجل ورجال وانما حسن فى الطاغوت لان جميعه يجرى مجرى واحد فى الضلال وفى الاية دليل على فساد قول المجبرة فى المخلوق والارادة لانه تعالى نسب الاخراج من نور الهدى الى ظلمة الكفر والضلال الى الطاغوت منكرا لتلك الحال ولو لم يكن لينكر شيا اراده ولا يعيب شيا فعله تعالى الله عن ذلك **قوله تع** أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ اية قرأ انا احيى وامیت باثبات الالف اذا كان بعدها همزة مضمومة او مفتوحة[١٢] اهل المدينة فان كان بعدها همزة مكسورة حذفوها اجماعا قال مجاهد وقتادة والربيع ان المحاج لابرهيم كان نمرود بن كنعان وهو اول من تجبر فى الارض بادعاء الربوبية وقوله الم تر الى دخلت الى الكلام للتعجب من حال الكافر المحاج بالباطل كما يقولون اما ترى الى فلان كيف يصنع وفيه معنى هل رايت كفلان فى صنيعه كذا وانما دخلت الى لهذا المعنى من بين حروف الجر لان الى لما كانت نهاية صارت بمنزلة هل انتهت رؤيتك الى من هذه صفته ليدل على بعد وقوع مثله على التعجب منه لان التعجب انما يكون مما استبهم سببه مما لم يجر عادة به وقد صارت الى ههنا بمنزلة كاف التشبيه من حروف الاضافة لما بينا من العلة اذ كان ما ندر مثله كالذى يبعد وقوعه و قوله ان آتيه الله الملك معناه اعطاه والهاء فى اتاه قال الحسن وابو على انها كناية عن المحاج لابرهيم وقال ابو حذيفة والبلخى انها عائدة الى ابرهيم فان قيل كيف يجوز ان يؤتى الله الكافر الملك قيل الملك على وجهين احدهما يكون بكثرة المال واتساع الحال فهذا يجوز ان ينعم الله عز وجل به على احد من مؤمن وكافر كما قال فى قصة بنى اسرائيل وجعلكم ملوكا واتاكم ما لم يؤت احدا من العالمين والثانى ملك بتمليك الامر والنهى والتدبير لامور الناس فهذا لا يجوز ان يجعل الله لاهل الضلال لما فيه من الاستفساد بنصب من هذا سبيله للناس لانه لا يصح مع علمه بفساده ارادة الاستصلاح به كما يصح منا فيمن لا يعلم باطن حاله ممن يؤمن علينا ومن قال الهاء كناية عن ابرهيم تم لم يتوجه عليه السؤال لانه تع لم يؤت الكافر الملك وانما اتى نبيا مرسلا و قوله اذ قال ابرهيم ربى الذى يحيى ويميت معناه يحيى الميت ويميت الحى فقال الكافر عند ذلك انا احيى واميت يعنى احييه بالتخلية من الحبس من وجب عليه القتل واميت بالقتل من شئت ممن هو حى وهذا جهل منه لانه اعتمد فى المعارضة على العبارة فقط دون المعنى عادلا عن وجه الحجة بفعل الحيوة للميت او الموت للحى على سبيل الاختراع كما يفعله الله تع من احياء من قتل او مات ودفن وذلك معجز لا يقدر عليه سواه فقال ابرهيم ان الله يأتى بالشمس من المشرق فات بها من المغرب ولم يكن ذلك انتقالا من ابرهيم من دليل الى دليل اخر من وجهين احدهما ان ذلك يجوز من كل حكيم بعد تمام ما ابتدأ به من الحجاج وعلامة تمامه ظهوره من غير اعتراض عليه بشبهة لها تاثير عند التامل والتدبر لموقعها من الحجة المعتمد عليها الثانى ان ابرهيم انما قال ذلك ليتبين ان من شان من يقدر على احياء الاموات واماتة الاحياء ان يقدر على اتيان الشمس من المشرق فان كنت قادرا على ذلك فات بها من المغرب فبهت الذى كفر وانما فعل ذلك لانه لو تشاغل معه بانى اردت اختراع الحياة والموت من غير سبب ولا علاج لاشتبه

على كثير ممن حضر فعدل الى ما هو اوضح واكشف لان الانبياء عم انما بعثوا للبيان والايضاح وليست امورهم مبنية على بناء الخصمين اذا تحاجا وطلب كل واحد غلبة خصمه فلذلك فعل ابرهيم عم ما فعل وقد روى عن ابى عبد الله عم ان ابرهيم قال له احيى من قتلته ان كنت صادقا ثم استظهر عليه بما قال والشمس معروفة و جمعها شموس وقد شمس يومنا يشمس شموسا فهو شامس اذا اشتد شمسه وكذلك اشمس وشمس الفرس شماسا فهو شموس اذا اشتد نفوره لانه كاشتداد الشمس فى اليوم ما يكون من زيادة حرها وتوقدها و شمس فلان اذا اشتدت حدا وته قال الشاعر شمس العداوة حتى يستقاد لهم واعظم الناس احلاما اذا قدروا والشمسة فى القلادة وغيرها دايرة مشرقة كالشمس وشمس الشى تشميسا اذا القاه فى الشمس وتشمس تشمسا اذا قعد فى الشمس وقوله فبهت الذى كفر معناه تحير عند الانقطاع بما بان من ظهور الحجة فان قيل هلا قال ابرهيم فليات ربك بها من المغرب قلنا عن ذلك جوابان احدهما انه لما علم بما دعى الايات منه انه لو اقترح ذلك لفعل الله ذلك فتزداد فضيحته عدل عن ذلك ولو قال ذلك لاقترح لاتى الله الشمس من المغرب تصديقا لابرهيم عم والجواب الثانى انه تم خذله عن التلبيس والشبهة وفى بهت ثلث لغات بهت على لفظ القران وبهت وبهت على وزن ظرف وحذر وحكى بهت على وزن ذهب والبهت الحيرة عند استيلاء الحجة لانها كالحيرة للمواجهة بالكذب لان تحير المكذب فى مذهبه كتحير المكذوب عليه ومنه قوله اتاخذونه بهتانا واثما مبينا كانه قال اتاخذونه ادعاء للكذب فيه وفى ابرهيم خمس لغات ابرهيم ابراهام وابراهم وابراهم وابرهم باسقاط الياء وتعاقب الحركات الثلث عليه وقوله والله لا يهدى القوم الظالمين لا يعارض قوله واما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى لان الهدى يتصرف على وجوه واصله وهو الدلالة على الطريق المؤدى الى البغية والله تع قد هدى جميع المكلفين بان دلهم على طريق الحق وخص المؤمنين فى هدايتهم لهم بالمعونة على سلوك طريق الحق لانه بمنزلة الدلالة على طريق الحق والله تع لا يهدى بالمعونة على بلوغ البغية فى افساد القوم الظالمين وفى الاية دلالة على قول من يقول المعارف ضرورة لانها لو كانت ضرورة لما حاج ابرهيم الكافر ولا ذكر له الدلالة على اثبات الصانع وفيها دلالة على فساد التقليد و حسن المحاجة والجدال لانه لو كان ذلك غير جائز لما فعل ابرهيم ذلك **قوله تع** اوكالذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها قال انى يحيى هذه الله بعد موتها فاماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوما او بعض يوم قال بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر الى حمارك ولنجعلك اية للناس وانظر الى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحما فلما تبين له قال اعلم ان الله على كل شى قدير اية واحدة قرا حمزة والكسائى وخلف ويعقوب و الكسائى عن ابى بكر يتسن بحذف الهاء وفى الوقف باثباتها بلا اختلاف قرا ابن عامر واهل الكوفة ننشزها بالزاى الباقون بالراء وقرا حمزة والكسائى قال اعلم بهمزة موصولة الباقون بقطعها هذه الاية معطوفة على الاية الاولى وتقديره ارايت كالذى حاج ابرهيم فى ربه وكالذى مر على قرية وموضع الكاف نصب به ومعناه التعجب منه لان كلما خرج فى بابه بعظمه عن حد نظايره مما يتعجب منه نحو ما اجهله اى قد خرج بعظم جهله عن حد نظايره وكذلك لو قلت هل رايت كزيد لجاهل لدللت على مثل الاول فى التعجب لما بينا الا انه ما اصله صيغة موضوعة للتعجب وليس كذلك هل رايت لانها فى الاصل للاستفهام نحو قولك هل رايت فى الدنانير مثل هذا الدينار فهذا استفهام محض لا تعجب فيه لان امثاله كثير فلم يخرج بعظم حاله عن حد نظايره كما خرج الاول بعظم جهله وقيل الكاف زايدة للتوكيد كما زيدت فى ليس كمثله شى والاول الوجه لانه لا يحكم بالزيادة الا الضرورة وقال قتادة والربيع الذى مر على قرية هو عزير وروى ذلك عن ابى عبد الله وقال وهب بن منبه هو ارميا وهو المروى عن ابى جعفر عم وقال ابن اسحق هو الخضر والقرية التى مر عليها قال وهب بن منبه وقتادة والربيع هى بيت المقدس لما خربه بخت نصر وقال ابن زيد هى القرية التى خرج منها الالوف حذر الموت وقوله وهى خاوية معناه خالية وقال ابن عباس والربيع والضحاك

خواب قال قوم معناه وهى قائمة على اساسها وقد وقع سقفها واصل الخوا الخلاء قال الراجز يبدوا خوا الارض من خوليه والخواء الفرجة بين الشيئين يخلو ما بينهما وخوت الدار فهى خاوية تخوى خواء اذا باد اهلها يخلوها منهم والخوى الجوع خوى يخوى خوى يخلو البطن من الغذاء والتخوية التفريج بين العضدين والجنبين يخلو ما بينهما بتباعدهما والتخوية تمكين البعير لنفسه فى بروكه لانه تخصيص الارض يخلوها مما يمنع من تمكنه واخوى النجم سقوطه من غير مطر بخلوه من المطر خوى النجم واخوى وخوى المنزل اذا تهدم لانه يتهدم يخلو من اهله واصل الباب الخلو **و** قوله على عروشها يعنى على ابنيتها ومنه وما كانوا يعرشون اى يبنون ومنه عريش مكة ابنيتها وخيامها وكل بناء عرش عرش يعرش ويعرش عرشا اذا بنى والعرش البيت وجمعه عروش لارتفاع ابنيته والعرش السرير لارتفاعه على غيره وعرش الرجل قوام امره وعرش البيت سقفه لارتفاعه والتعريش جعل الخشب تحت الكرم ليمتد عليه تقول عرشته تعريشا وعرشته اعرشه عرشا وذلك لارتفاعه فى امتداده على الخشب الذى تحته والتعريش دفع الحمار ذنبه شاحيا فاه على عانته عرش تعريشا والعريش ظلة من شجر او نحوه لارتفاعه على ما يستره وعرش البئر طيها بالخشب بعد طيها بالحجارة والعرشان من الفرس اخر شعر العرف لارتفاع العرف على العنق وثل عرشه اذا قتله واصل الباب الارتفاع والقرية اصلها من قريت الماء اذا جمعته سميت بذلك لاجتماع الناس فيها للاقامة بها **و** قوله انى يحيى هذه الله بعد موتها معناه كيف وذلك يدل على ان انى وقوله فاتوا حرثكم انى شئتم معناه كيف شئتم دون ما قاله بعضهم من ان معناه حيث شئتم لان معناه هيهنا لا يكون الا على كيف ولقائل ان يقول ان اللفظ مشترك وانما يستفاد بحسب مواضعه وقال الزجاج معناه من اين فى الموضعين **و** قوله فاماته الله مائة عام ثم بعثه قال ابو على لا يجوز ان يكون الذى اماته ثم احياه نبيا لان الله تع عجبه منه ولولا ذلك لجاز ان يكون نبيا على انه شك فى ذلك قبل البلوغ لحال التكليف ثم نبى فيما بعده وعلى هذا لا يمتنع ان يكون نبيا فيما تقدم والاول اقوى واقرب ويجوز هذه الاية ان يكون فى غير زمان نبى وقال الجبائى لا يجوز ذلك لان المعجزات لا تجوز الا للانبياء لانها دالة عليهم فلو وقعت المعجزة فى غير زمن نبى لم يكن وقوعها دليلا على النبوة وهذا ليس بصحيح عندنا لان المعجزات تدل على صدق من ظهرت على يده و ربما كان نبيا وربما كان اماما او وليا لله وما روى ان الحياة جعلت فى عينيه اولا ليرى كيف يحيى الله الموتى لا يجوز لان الراى هو الانسان بكماله غير انه يجوز ان يكون اول ما نفخ فيه الروح عيناه وتكون الحياة قد وجدت فى جميع الروح ولم يحصل فى البدن من الروح الا ما فى العينين دون ما فى البدن وقوله مائة عام معناه مائة سنة والعام جمعه اعوام وهو حول ياتى بعد شتوة وصيفة لان فيه سبحا طويلا بما يمكن من التصرف فيه والعوم السباحة عام فى الماء يعوم عوما اذا سبح والسفينة تعوم فى جريها والابل يعوم فى سيرها لانها تسبح فى السير بجريها والاعتيام اصطفاء خيار مال الرجل لانه يجرى فى اخذه له شيا بعد شى كالسابح فى الماء الجارى واعتام الموت النفوس اولا اولا لانه يجرى فى احدها حالا بعد حال كجرى السابح فى الماء واصل الباب السبح **و** قوله ثم بعثه يعنى احياه وقوله كم لبثت موضع نصب بلبثت كانه قيل امائة سنة لبثت او اقل او اكثر فقال لبثت يوما او بعض يوم لان الله تع اماته فى اول النهار واحياه بعد مائة سنة فى اخر النهار فقال يوما ثم التفت فراى بقية من الشمس فقال او بعض يوم واللبث المكث لبث لبثا فهو لابث وتلبث تلبثا اذا تمكث ولبثه تلبيثا واصل الباب المكث **و** قوله فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه معناه لم تغيره السنون وقيل كان زاده عصيرا وتينا وعنبا فوجد العصير حلوا والتين والعنب كما جنيا لم يتغير او هو ماخوذ من السنة والاصل فيه على قولهم سانيته مساناة اذا عاملته سنة سنة ان يكون فى الوصل لم يتسن نحو لم يتعد والاصل الواو بدليل قولهم سنوات فاذا وقف جاء بها السكت ويجوز ان يكون على قولهم سانهت وسنهات واكريت مسانهة والهاء على هذا اصلية مجزومة بلم ولا يجوز ان يكون من الاسن لانه لو كان منه لقيل لم يتاسن قال الزجاج لا يجوز ان يكون من قوله من حماء مسنون لان معنى

سنون منصوب على سنن الطريق قال الشاعر   ليست بسنهاء ولا رجبية   ولكن عرايا في السنين الجوائح
فجعل الهاء اصلية والسنهاء النخلة القديمة لانه قد مرت عليها سنون كثيرة وانما علم بانه مات مائة سنة بشيئين
احدهما باخبار من اراه المعجزة في نفسه وحماره وطعامه وشرابه من تقطع اوصاله ثم اتصال بعضها الى بعض حتى
رجع الى حالة التي كان عليها في اول امره والاخر بالايات الدالة على ذلك لما رجع الى وطنه فراى ولد ولده شيوخا
وقد كان خلف اباهم شبابا الى غير ذلك من الامور التي تغيرت والاحوال التي تقلبت مع تظاهر الاخبار عما
يشل عنه انه كان في مائة سنة وقوله ولنجعلك اية للناس قيل بعث واولاده واولاد اولاده شيوخ وروى عن علي ع
ان عزيرا خرج من اهله وامراته حامل وله خمسون سنة فاماته الله مائة سنة ثم بعثه فرجع الى اهله ابن
خمسين سنة وله ابن له مائة سنة فكان ابنه اكبر منه وذلك من ايات الله وقيل ليتعظ انه ويتعظ الناس به
فيكون الاعتبار عاما ودخلت الواو في الكلام لاتصال اللام بفعل محذوف كانه قال ولنجعلك اية للناس
فعلنا ذلك لان الواو لو سقطت اتصلت اللام بالفعل المتقدم وقوله وانظر الى حمارك فالحمار يقال
للوحشي والاهلي لان الحمرة اغلب على الوحشي ثم صار لكل حمار تشبيها بالوحشي والحمرة لون احمر تقول احمر احمرارا
واحمار احميرارا والمحمر فرس هجين لانه كالحمار في التقصير وحمارة القيظ شدة حره وحمار السرج الذي يركبه
السرّاج وحمر فو الفرس يحمر حمرا اذا انتن والحمارة حجارة عريضة توضع على اللحد لركوب التراب عليها كالحمار
وجمعها حماير وما يخفى على الاسود والاحمر اي العرب والعجم لان السواد اغلب على لون العرب كما الحمرة اغلب
على العجم وموت احمر شديد مشبه بحمرة النار في شدة الايقاد وعيش احمر شديد واصل الباب الحمرة ومنه الحمرة
طاير كالعصفور لانه تغلب عليه الحمرة وقوله وانظر الى العظام كيف ننشرها فمن قرأ بالراء غير المعجمة ذهب الى
النشور وهو الحياة بعد الموت نشر الميت اذا عاش ونشره الله وانشره اذا احياه ومنه قوله ثم انشاناه خلقا
اخر وقوله ثم اذا شاء انشره والنشر خلاف الطي يقال نشرت الثوب وغيره انشره نشرا وانتشر انتشارا ونشر
اذاعه الحديث والنشر الرايحة الطيبة وربما قيل في الخبيثة والنشر حتّ العود بالمنشار والنشر نبات الربيع قن
النشر اكتساء البازي ريشا واسعا طويلا والنشرة عن المريض الرقية حتى يفيق والناشر حوض كتابة الغلما
على المعلم ينشرونه عليه اي يرونه اياه وذلك لبسط الكتاب بين يديه واصل الباب الانبساط ومن قرأ بالزاء
فمعناه يرفع بعضها الى بعض واصل النشوز الارتفاع فمنه النشز المرتفع من الارض ومنه نشوز المرأة رفعها
عن طاعة زوجها وقوله ثم نكسوها لحما معناه نغطيها باللحم كما نغطي باللباس وانما قيل ذلك لاجل التفضيل
الذي كان عليه فوصله الله عز وجل حتى صار كجزء منه قال الجعدي   فالحمد لله اذ لم ياتني اجلي
حتى اكتسيت من الاسلام سربالا   فجعل الاسلام غطاء للكفر كما يجعل غطاء المعصية   قوله فلما تبين
له اي ظهر قال اعلم فمن قطع الهمزة جعل ذلك اخبارا عن نفسه ومن وصلها احتمل امرين احدهما ان يكون ذلك
امرا من الله له والثاني ان يكون تذكيرا للنفس بالواجب واخرجه مخرج الامر لها كانه قال يا ايها الانسان وفي
الاية دليل على بطلان قول من قال المعارف ضرورة لانه لما شاهد اداه الله الايات التي استبصر بها ولو كان
مضطرا الى المعرفة بالله وما يجوز عليه وما لا يجوز لم يحتج الى دليل يعلم به ما هو مضطر اليه وكان يقال
ان عند الموت لم يحصل له المعارف الضرورية كما يحصل لمن لا يريد الله اعادته الى التكليف فتكون الاماتة
كالنوم والمعلوم خلافه **قوله تعالى** وَإِذْ قَالَ إِبْرٰهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ
بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ
جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ اية واحدة بلا خلاف قرأ حمزة وخلف فصرهن
بكسر الصاد والباقون بضمها العامل في قوله واذ يحتمل ان يكون احد شيئين احدهما ما قال الزجاج واذكر
اذ قال والثاني الم تر اذ قال عطفا على الم تر الى الذي حاج ابرهيم في ربه وقيل في سبب سؤال ابرهيم ان
يريه كيف يحيي الموتى ثلثة اقوال احدها قال الحسن وقتادة والضحاك وابو عبد الله الصادق ع انه راى جيفة
قد تمزقها السباع تاكل منها سباع البر وسباع الهواء ودواب البحر فسال الله تع ان يريه كيف يحييه وقال

ابن اسحق كان سبب ذلك المنازعة بنمرود له في الاحياء وتوعده اياه بالقتل ان لم يحيي الله الميت بحيث يشاهده
ولذلك قال ليطمئن قلبي اي انه لا يقتلني الجبار وقال قوم انما سال ذلك لقومه كما سال موسى الرؤية لقومه
وقال قوم انما سئله لانه احب ان يعلم ذلك علم عيان بعد ان كان عالما به من جهة الاستدلال وهو اقوى الوجوه
وقال قوم انما سئل ذلك لانه كان شاكا فيه وروي فيه رواية فهذا باطل لان الشك في ان الله قادر على
احياء الموتى كفر لا يجوز على الانبياء لانه تع لا يجوز ان يبعث الى خلقه من هو جاهل بما يجوز عليه وما لا يجوز
والذي تبين ذلك ان الله تع لما قال له اولم تؤمن فقرره انه قال ابرهيم بلى ولكن ليطمئن قلبي فبين انه
عارف بذلك مصدق به وانما سال تخفيف المحنة بمقاساة الشبهات ودفعها عن النفس والالف في قوله
اولم تؤمن الف ايجاب كما قال الشاعر   الستم خير من ركب المطايا   واندى العالمين بطون راح
اي قد امنت لامحالة فلم تسال اذا فقال ليطمئن قلبي وقوله ليطمئن قلبي معناه ليزداد يقينا الى يقينه وهو
قول الحسن وقتادة وسعيد بن جبير والربيع ومجاهد ولا يجوز ليطمئن قلبي بالعلم بعد الشك لكنه قد اضطر
به لما بيناه ولكن يجوز ان يطلب علم البيان بعد علم الاستدلال وقيل معناه ليطمئن قلبي بان لا يقتلني الجبار
ويقال اطمان يطمئن اطمينانا اذا تواطوا والمطمئن من الارض ما انخفض وتطامن واطمان اليه اذا وثق
به لسكون نفسه اليه ولتوطي حاله بالامان عنده واصل الباب التوطية وقوله قال فخذ اربعة من الطير قيل
انها الديك والطاووس والغراب والحمام امر ان يقطعها ويخلط ريشها بدمها ويجعل على كل جبل منهن
جزءا هذا قول مجاهد وابن جريج وابن زيد وابن اسحق والطير معروف يقال طار يطير طيرانا واطاره اطارة
وطيره تطييرا وتطاير تطايرا وطايره مطايرة واستطار استطارة فاما تطير تطيرا فمن الطيرة لانه زجر
الطير بما يكره وتطاير الشيء اذا تفرق في الهواء وطائر الانسان عمله الذي تقلده من خير او شر لانه كطائر
الزجر في البركة او الشوم قال الله تع وكل انسان الزمناه طائره في عنقه والمطير ضرب من الوشي لان
عليه تماثيل الطيور وفجر مستطير اي منتشر في الافق كانتشار الطيران وغبار مستطار وكذا كلام العرب للفرق
وفرس مطار وهو الحديد الفؤاد لانه طيار في جريه واصل الباب الطيران وقوله فصرهن فمن قرأ
بضم الصاد احتمل معنيين احدهما يقطعهن على قول ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن ومجاهد وقال توبة بن الحمير
فادنت لي الاسباب حتى بلغتها   بنهضي وقد كان ارتقاي يصورها   اي يقطعها والثاني ان معناه اضممهن
اليك على قول عطا وابن زيد من صاره يصوره صورا اذا امالة قال المعلى العبدي   وجاءت خلعة دهس صفايا
يصور عنوقها احوى زنيم   معناه ان هذه الغنم يعطف عنوقها هذا التيس الاحوى ومن قال بالكسر احتمل ذلك
ايضا الوجهين الذين ذكرناهما في الضم وقال بعض بني سليم   وفرع يصير الجيد وحف كانه   على الليت قنوان
الكروم الدوالج   معناه يميل الجيد واذا كان بمعنى قطعهن فاليك من صلة خذ واذا كان بمعنى املهن يجوز ان
يكون اليك متعلقا عليه ويجوز ان يكون متعلقا بصرهن وهو الاقوى على قول سيبويه لانه اقوى كذا قال ابو على
الفارسي واذا كان بمعنى املهن فلا بد من تقدير محذوف وهو ان يقول املهن اليك وقطعهن ثم اجعل على كل
جبل منهن جزءا والصور العطف يقال صاره يصوره صورا اذا عطفه قال الشاعر   وما يقبل الاحياء
من حب خندف   ولكن اطراف الرماح يصورها   والصور التقطيع صاره يصوره والصور ميل لانه انقطاع
الى الشيء بالميل اليه ومنه الصورة لتقطيعها بالتاليف على بعض الامثلة صور يصور تصويرا وتصور تصورا
والصوار القطيع من بقر الوحش لانقطاعه بالانفراد عن غيره والصور النخل الصغار والصور قرن ينفخ فيه
لاجتماع الصورة به ويجوز للانقطاع اليه بالدعاء اليه والصور جمع صورة والصوار النفحة من المسك و
اصل الباب القطع وقال الفراء صاره يصيره بمعنى قطعه من المقلوب من صراه يصريه وانشد   يقولون ان
الشام يقتل اهله   فمن لي ان لم اته بخلود   تعرب اباي فهلا صراهم   من الموت ان لم يذهبوا وجدودي
قال المبرد لا يجوز ذلك لان سيبويه قال ان كل واحد من اللفظين اذا تصرف في بابه لم يكن احدهما اصلا للاخر نحو
جذب يجذب جذبا فهو جاذب وجبذ يجبذ جبذا فهو جابذ فلذلك لما تصرف صاره يصيره صيرا كما ينصرف

صراه يصريه صريا لم يكن احدهما اصلا للآخر ولكن المقلوب نحو قسي كان بابه على تاخير السين نحو قوس واقواس وقويس وقوله ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا قال ابن عباس والحسن وقتادة انها كانت اربعة وقال ابن جريج والسدي كانت سبعة وقال مجاهد والضحاك كل جبل على العموم بحسب الامكان كانه قيل كل فرقة على جبل يمكن التفرقة عليه وروى عن ابي جعفر وابي عبد الله ع انها كانت عشرة وفي رواية اخرى انها كانت سبعة والفرق بين الجزء والسهم عنهما ان السهم من الجملة ما انقسمت عليه وليس كذلك الجزء نحو الاثنين وهو سهم من العشرة لانها تنقسم عليه وليس كذلك الثلثة وهو جزء منها لانه بعض لها فان قيل كيف اجيب ابرهيم الى آيات الآخرة دون موسى في قوله رب ارني انظر اليك قيل عنه جوابان احدهما انه سأل آية لا يصح معها بقاء التكليف من وقوع الضرورة التي لا يعترضها الشكوك بوجه من الوجوه وابرهيم انما سأل في شيء خاص يصح معه التكليف والقول الآخر ان الاحوال قد تختلف فيكون الاصلح الاصوب في بعض الاوقات الاجابة وفي وقت آخر المنع فيما لم يتقدم فيه اذن فان قيل كيف قال ثم ادعهن ودعاء الجماد قبيح قلنا انما اراد بذلك الاشارة اليها والايماء لتقبل عليه اذا احياه الله فاما من قال انه جعل على كل جبل طيرا ثم دعاها فبعيد لان ذلك لا يفيد ما طلبه لانه انما طلبها يعلم به كونه قادرا على احياء الموتى وليس في مجيء طير حي بالايماء اليه ما يدل عليه وفي الكلام حذف فكانه قال فقطعهن واجعل على كل جبل منهن جزءا فان الله يحييهن فاذا احياهن فادعهن يأتينك سعيا فيكون الايماء اليها بعد ان صارت احياء لان الايماء الى الجماد لا يحسن فان قيل اذا احياها الله كفى ذلك في باب الدلالة فلا معنى لدعائها لان دعاء البهائم قبيح قلنا وجه الحسن في ذلك انه يشير اليها فتسعى الى ذلك دعاء ليأتي اليه فيتحقق كونها احياء ويكون ذلك ابهر في باب الاعجاز وقال الطبري معنى الدعاء ههنا الاخبار عن تكوينها احياء كما قال كونوا قردة خاسئين وقوله ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين والجبل وتد من اوتاد الارض معروف وجبل فلان على كذا اي طبع عليه واجبل القوم اجبالا اذا صاروا في الجبال وتجبلوا اذا دخلوا ودجل وجبلة اذا كان غليظ الجسم لانه كالجبل في الغلظ والجبلة الامة من الناس واجبل الحافر اذا افضى الى صلابة لا يمكنه الحفر فيه ومنه اجبل الشاعر اذا صعب عليه القول والجزء بعض الجزء جزأته تجزئة اذا بعضته والجزء الاجتزاء بالرطب عن الماء وجزأت الوحشية جزءا الاكتفائها بالجزء الذي في الرطب منه والجزاه نصاب السكين واصل الباب الجزء البعض **قوله تع** مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ آية واحدة بلا خلاف هذه الآية متصلة بقوله من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا وما بينهما الاعتراض بالاستدعاء الى الحق بما امر الله بالحجج والعبر التي ذكرها من احياء الموتى لابرهيم ومن محاجة الذي ادعى انه رب العباد الى غير ذلك مما تقدم ذكره مع البيان وعنه وقال الربيع والسدي الآية تدل على ان النفقة في سبيل الله بسبع مائة ضعف لقوله سبع سنابل فاما غيرها فالحسنة بعشرة وقد بينا فيما تقدم ان ابواب البر كلها من سبيل الله فيمكن ان يقال ذلك عام في جميع ذلك والذي ذكرناه مروي عن ابي عبد الله ع واختار الجبائي فان قيل هل راى في سنبلة مائة حبة حتى يضرب المثل بها قيل عنه ثلثة اجوبة اولها ان ذلك متصور فشبه لذلك وان لم ير كما قال امرؤ القيس

ومسنونة زرق كانياب اغوال

وقال تع طلعها كانه رؤس الشياطين الثاني انه قد راى ذلك في سنبل الدخن الثالث ان السنبلة تنبت مائة حبة فقيل فيها على ذلك المعنى كما يقال في هذه الحبة حب كثير والاول هو الوجه والوعد بالمضاعفة لمن انفق في سبيل الله في قول ابن عباس وقال الضحاك ولغيرهم من المطيعين وقوله انبتت فالنبت الحشيش وكلما ينبت من الارض يقال فيه نبت نبتا ونباتا وانبته الله انباتا ونبته تنبيتا قال تع والله انبتكم من الارض نباتا على تقدير فنبتم نباتا وانه لحسن النبت والمنبت الاصل فلان في منبت صدق اي في اصل كريم لانه يخرج منه كما يخرج النبات والينبوت شجر الخشخاش وانبت الغلام اذا راهق واستبان شعر عانته والسنبلة على وزن فنعلة لقولهم اسبل الزرع بمعنى سنبل اذا صار فيه السنبل والاصل فيه الاسبال وهو ارسال الستر ونحوه فمنه اسبل الزرع لانه استرسل بالسنبل كما يسترسل الستر في الاسبال فيطول لانه

صار فيه حب مستور كما يستر بالاسبال فاما السبيل الطريق فلانه يرسل فيه المارة والمائة عدد معروف وجمع على مئين ومئون ويقال امات الغنم اذا بلغت مائة وامأيتها انا اي وفيتها مائة والثاني المئية بين القوم مائيت بينهم امامي اذا دبت بينهم بالشر وقوله واسع عليم معناه واسع المقدرة لا يضيق عنه ما شاء من الزيادة عليم بمن يستحق الزيادة على قول ابن زيد ويحتمل ان يكون المراد واسع الرحمة لا يضيق عن مضاعفة عليم بما كان من النفقة **قوله تع** الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ آية بلا خلاف الذين رفع بالابتداء وينفقون خبره واموالهم نصب لانه مفعول به والانفاق اخراج الشيء عن الملك وقوله في سبيل الله قال ابن زيد هو الجهاد وقال الجبائي ابواب البر كلها وهو الصحيح عندنا والمروي عن ابي عبد الله ع ثم لا يتبعون ما انفقوا منا فالمن هو ذكر ما ينغص المعروف كقول القائل احسنت الى فلان ونعشته واغنيته وما اشبه ذلك مما ينغص النعمة واصل المن القطع ومنه قولهم حبل منين اي ضعيف لانه مقطع ومنيته اي قطعته ومنه قوله لهم اجر غير ممنون اي غير مقطوع وسمي ما يكدر النعمة والمعروف بانه منه لانه قطع الحق الذي يجب به والمنة النعمة العظيمة سميت بذلك لانها تجل عن قطع الحق بها لعظمها ومنه قوله يمنون عليك ان اسلموا قل لا تمنوا على اسلامكم بل الله يمن عليكم ان هديكم للايمان انتم عليكم والمنة القوة في القلب والمن الذي يقع من السماء والمن الذي يوزن به لانه يقطع على مقدار مخصوص وقوله ولا اذى فهو نحو قوله انت ابدا فقير ومن ابلاني بك واراحني الله منك وما اشبه ذلك مما يؤذي قلب المعطى وقوله لهم اجرهم عند ربهم والاجر هو النفع المستحق بالعمل ولا خوف عليهم فالخوف يوقع الضرر الذي لا يومن وقوعه ولا هم يحزنون فالحزن الغم الذي يغلظ على النفس ومنه الحزن الارض الغليظة وقيل في معناه قولان احدهما لا خوف عليهم لفوت الاجر والثاني لا خوف عليهم لاهوال الآخرة وقيل لا تدل ليل على ان الوعد بشروط صحيح لانه مفهوم الكلام لان تقديره في المعنى ان لم يتبعوا ما انفقوا منا ولا اذى فلهم من الاجر كذا وليس في الآية ما يدل على صحة القول بالاحباط اصلا لان الوعد متى كان مشروطا بان لا يتبع بالمن والاذى فمتى اتبع بهما لم يحصل الشرط الذي يوجب استحقاق الثواب فلم يحصل شيء اصلا ثم احبط وانما كان هذا يلتبس لو ثبت استحقاقهم بنفس الانفاق فاذا اتبع بالمن احبط ذلك وهذا ليس في الآية وروي عن النبي ص انه قال المنان بما يعطي لا يكلمه الله ولا ينظر اليه ولا يزكيه وله عذاب اليم وقال الضحاك لان يمسك ماله خير له من ان ينفقه ثم يتبعه منا واذى **قوله تع** قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ آية بلا خلاف القول المعروف معناه ما كان حسنا جميلا لا وجه فيه من وجوه القبح وهو لان يقول للسائل قولا معروفا يرد عليه حسنا من غير صدقة تعطيها اياه وقال الحسن هو قول المحسن لا عتراف التقبل به وتقبله اياه دون انكاره له والمغفرة ههنا قيل في معناها ثلثة اقوال اولها ستر الخلة على السائل الثاني قال الحسن المغفرة له بالعفو عن ظلمه الثالث قال الجبائي معناه اي سلامته من المعصية لان حالها كحال المغفرة في الامان من العقوبة وقوله والله غني حليم فالغني هو الحي الذي ليس بمحتاج ومعناه ههنا غني عن كل شيء من صدقة وغيرها وانما دعاكم اليها لينفعكم بها وقال الرماني الغني الواسع الملك فالله غني لانه مالك لجميع الاشياء لانه قادر عليها لا يتعذر عليه شيء منها والغنى ضد الحاجة تقول غني يغنى غنا واغناه اغناء واستغنى استغناء وغني غناء وتغنى تغنيا والغناء ممدود الصوت الحسن ويقال اغنيه واغاني والغنا الكفاية للغنى به عن غيره والمغنى المنزل غني بالدار اذا قام بها ومنه قوله كان لم تغن بالامس والغانية الشابة المتزوجة لغناها بزوجها عن غيره وهي ايضا العفيفة لغناها بعفتها والغنية الاستغناء والحلم الامهال بتاخير العقوبة للاناة ولو وقع موقع حليم حميد او عليم لما حسن لانه تم لما نهاهم ان يتبعوا الصدقة بالمن بين انهم ان خالفوا ذلك فهو غني عن طاعتهم حليم في ان لا يعاجلهم بالعقوبة **قوله تع** يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ

عَلَيْهِ تُرَابٌ فَاَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلٰى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللّٰهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ
اية بلا خلاف ضرب الله تعم هذه الاية مثلا لعمل المنافق والمنان جميعا فانهما اذا فعلا فعلا لغير وجه الله
او قرنا الانفاق بالمن والاذى فانهما لا يستحقان عليه ثوابا وشبه ذلك بالصفا الذى ازال المطر ما عليه من
التراب فانه لا يقدر احد على رد ذلك التراب عليه فكذلك اذا دفع المنان صدقته وقرن بها المن فقد اوقعها على وجه
لا طريق له الى استدراكه وتلافيه لوقوعه على الوجه الذى لا يستحق عليه الثواب فان وجوه الافعال تابعة
للحدوث فاذا فاتت فلا طريق الى تلافيها وليس فيها ما يدل على ان الثواب الثابت المستقر يزول بالمن فيما بعد
ولا بالرياء الذى يحصل فيما يتجدد فليس فى الاية ما يدل على ما قالوه وقوله رئاء الناس انما جمع بين همزتين
ولم يجمع فى ذوائب جمع ذؤابة لوقوع الف فى الجمع بين الهمزتين فلم يجز ذوائب فاما الواحد فاجتمع لخفته
وهما ايضا مفتوحان فهو اخف لها وقوله كالذى ينفق ماله رئاء الناس يدخل فيه المؤمن والكافر
اذا اخرجا الانفاق للرياء وقوله ولا يؤمن بالله واليوم الاخر صفة للكافر خاصة مثله كمثل صفوان يعنى
الحجارة الصلبة عليه تراب فالتراب والترب واحد يقال ترب الرجل اذا افتقر لانه لصق بالتراب للفقر ومنه
قوله مسكينا ذا متربة لانه قعد على التراب للفقر واترب الرجل اذا استغنى لانه كثر ماله حتى صار كالتراب
والترب الذى ينشأ معك وقيل فيه اقوال منها للعبهم بالتراب اذ هم صبيان اقران ومنها لانهما خرجا الى
عفر التراب فى وقت من الزمان ومنها لانهما على الاشتباه كالتراب وقوله عربا اترابا اى اشباه امثال
والتريبة عظام الصدر واحدها تريبة قيل لانها متشابهة كالاتراب وكتشابه التراب ومنه قوله من بين
الصلب والترائب وقوله فاصابه وابل فالوابل المطر الشديد الواقع يقال وبلت السماء تبل وبلا اذا
اشتد وقع المطر وقوله فاخذناه اخذا وبيلا اى شديدا والوبيل المرعى الوخيم والوبال سوء العاقبة
والموبل المغلظ الفليح والوبيلة الحزمة من الحطب لانها مشدودة والوبيل العصا الغليظة والوابلة طرف
العضد فى الكتف واصل الباب الشدة والصفوان واحده صفوانة قيل مرجان ومرجانة وسعدان وسعدانة
قال الكسائى جمع صفوان صُفِىٌّ وانكر ذلك المبرد وقال انما هو صفاء وصفىّ مثل عصا وعصىّ وقفا وقفىّ
وكذلك ذكوان صِفوان بكسر الصاد انما هو جمع صفا نحو خرب وخربان وورل وورلان وقال معنى صفا
صفوان واحد وقوله فتركه صلدا فالصلد الحجر الاملس الصلب قال الشاعر ولست بجلب جلب ريح
وقرة ولا بصفا صلد عن الخير معزل وقال روبة لما رأتنى خلق المموه براق اصلاد الجبين الاجله
والصلد الذى لا ينبت شيا من الارض لانه كالحجر الصلد والصلد البخيل وصلد الزند صلودا اذا لم يور
نارا وفرس صلود اذا ابطا عرقه وقد صلود اذا ابطأ غليها واصل الباب ملاسة فى صلابة ويقال صلد
يصلد صلدا فهو صلد وقوله والله لا يهدى القوم الكافرين معناه انه لا يهديهم الى طريق الجنة على
وجه الاثابة لهم ويحتمل لا يهديهم بمعنى لا يقبل اعمالهم كما يقبل اعمال المهتدين من المؤمنين لان اعمالهم
لا يقع على وجه بها المدح **قوله تعالى** وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ اَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللّٰهِ وَتَثْبِيتًا
مِنْ اَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ اَصَابَهَا وَابِلٌ فَاٰتَتْ اُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَاِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللّٰهُ
بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ اية قرأ عاصم وابن عامر ربوة بفتح الراء الباقون بضمها وقرأ ابن كثير وابو عمرو ونافع
اكلها باسكان الكاف الباقون بالتثقيل وهذا مثل ضربه الله لمن انفق ماله ابتغاء مرضاة الله اى طلبا لرضاه
قوله وتثبيتا من انفسهم بقوة اليقين والبصيرة فى الدين فى قول ابن زيد والسدى وابى صالح والشعبى الثانى
قال الحسن ومجاهد معناه انهم يتثبتون اى يضعون صدقاتهم الثالث قال ابو على معناه توطينا لنفوسهم
على الثبوت على طاعة الله واعترض على قول الحسن ومجاهد بانه لم يقل تثبتا وهذا ليس بشىء لانه لا يجوز ان
يقول القائل ثبتوا انفسهم تثبيتا اذا كانوا كذلك فهم يتثبتون اين يضعون الصدقات وقوله كمثل جنة بربوة
انما خصت بالربوة لانها اذا كانت بربوة فنبتها احسن وريعها اكثر كما قال الاعشى ما روضة من رياض
الحزن معشبة خضراء جاد عليها مسبل هطل نخص بها الحزن لما بيناه والربو الزيادة يقال ربا الشىء يربوا

اذا زاد واصابه ربو اذا اصابه نفس فى جوفه لزيادة النفس على عادته والربوة العلو من الارض لزيادته
على غيره بارتفاعه والربا فى المال المعاملة على ان ياخذ اكثر مما يعطى للزيادة على ما يقرض يقال ربا المال
يربو اربا واربى صاحبه فهو مرب واصل الباب الزيادة وفى الربوة ثلث لغات فتح الراء وضمها وكسرها
وفيها اربع لغات اخر رباوة ورباوة ورباوة ورباً فذلك سبع لغات وقال ابن عباس والضحاك والحسن ومجاهد
والسدى والربيع الربوة الارض المرتفع من الارض فاتت اكلها فالفرق بين الاكل والاكل ان الاكل بالفتح المصدر
والاكل بالضم الطعام الذى يوكل ضعفين يعنى مثلين فى قول الزجاج لان ضعف الشىء مثله زائدا عليه و
ضعفاه مثلاه زائدين عليه وقال قوم ضعف الشىء مثلاه وقوله فطل قال الحسن والضحاك والربيع وقتادة
هو اللين من المطر وانما ذكر الطل ههنا لتشبيه اضعاف النفقة به كثرت او قلت اذ كان خيرها لا يختلف على حال
فى قول الحسن وقتادة وانما قيل لما مضى فان لم يصبها وابل فطل لان فيه اضمار كان كانه قيل فان يكن لم
يصبها وابل فطل ومثله قد اعتقت عبدين فان لم اعتق اثنين فواحدا بقيمتهما والمعنى ان اكن لم اعتق
قال الشاعر اذا ما انتسبنا لم تلدنى لئيمة ولم تجدى من ان تقرى بها بدا كانه قال ان اكن لم تلدنى
لئيمة والطل المطر الصغار القطر يقال اطلت السماء فهى مطلة وروضة طلة ندية والطل ابطال الدم بان لا
يثار بصاحبه طل دمه فهو مطلول لانه بمنزلة ما جاء عليه الطل واذهبه كانه قيل غسله والطل والطلل
ما شخص من الدار لانه كموضع الندى بالطل لعمارة الناس له خلاف المستوى والقفر لان الخصب حيث يكون
الابنية وصار الطلل اسما لكل شخص والاطلال الاشراف على الشىء والطل الشحم ما بالناقة طل اى ما بها
طرق وطلة الرجل امرأته واصل الباب الطل المطر وقوله والله بما تعملون بصير معناه عالم بافعالكم
فيجازيكم بحسبها وفى ذلك ترغيب وترهيب **قوله تعالى** اَيَوَدُّ اَحَدُكُمْ اَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَاَعْنَابٍ
تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْاَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَاَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَاَصَابَهَا اِعْصَارٌ
فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذٰلِكَ يُبَيِّنُ اللّٰهُ لَكُمُ الْاٰيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ اية واحدة بلا خلاف معنى قوله ايود احدكم
ان تكون له جنة التقدير على مثل ضربه الله فى الحسرة بسلب النعمة فقيل هو مثل للمرائى فى النفقة لانه ينتفع بها
عاجلا وينقطع عنه اجلا احوج ما يكون اليه هذا قول السدى وقال مجاهد هو مثل المفرط فى طاعة الله بملاذ
الدنيا يحصل فى الاخرة على الحسرة العظمى وقال ابن عباس هو مثل للذى يختم عمله بفساد وقوله ايود احدكم
ان تكون له جنة فاتى بمستقبل ثم عطف عليه بماض فى قوله واصابه الكبر قال الفراء يجوز ذلك فى يود لانها
يتلقى مرة بان ومرة بلو فجاز ان يقدر احداهما مكان الاخرى لاتفاق المعنى فكانه قال ايود احدكم لو كانت
له جنة من نخيل واعناب واصابه الكبر قال الرمانى وعندى انه قد دل بان على الاستقبال وبتضمين الكلام
معنى لو على التمنى كانه قيل ايحب ذلك متمنيا له والتمنى يقع على الماضى والمستقبل الا ترى انه يصح ان يتمنى
ان كان له ولد ويصح ان يتمنى ان يكون له ولد والمحبة لا يقع الا على المستقبل لانه لا يجوز ان يقال احب
ان كان لى ولد والفرق بين المودة والمحبة ان المودة قد تكون بمعنى التمنى نحو قولك اود لو قدم زيد
بمعنى اتمنى لو قدم ولا يجوز احب لو قدم وقوله ان تكون له جنة فالجنة البستان الكثير الشجر لان الشجر يجنه
بكثرته فيه والنخل معروف وقيل انه ماخوذ من نخل المنخل لاستخلاصه كاستخلاص اللباب بالنخل والنخل
والنخيل جمع نخلة وهى شجرة التمر وقوله كانهم اعجاز نخل خاوية وقوله كانهم اعجاز نخل منقعر فذكر
على اللفظ وانث على المعنى والنخل نخل الدقيق نخلته نخلا ومنه المنخل لانه آلة النخل والنخالة معروفة
والنخل نخل السماء بالثلج او ما صغر من القطر والانتخال الاختيار والتنخل التخير واصل الباب النخل الدقيق
والعنب ثمر الكرم معروف ورجل عانب وعنب والعناب معروف والعنابة ما تقطعه الخائنة مشبه بالعنب
فى التعلق ورجل عناب عظيم الانف مشبه بعنقود العنب فى التعلق والعظم واصل الباب العنب وقوله من
تحتها الانهار وتحت نقيض فوق وفى الحديث لا تقوم الساعة حتى يظهر التحوت اى الذين كانوا تحت
اقدام الناس لا يشعر بهم ذلا والانهار جمع نهر وهو المجرى الواسع من مجارى الماء قال الشاعر

ويجوز احب ان يكون لى ولد صح

ملكت بها كفي فانهرت فتقها   يرى قايم من دونها ماوراءها   معناه وسعت فتقها كالنهر وقوله منها
من كل الثمرات فالثمرة طعام الناس من الشجر و قوله واصابه الكبر فالاصابة الوقوع على المقصود والمراد
ههنا لحقه الكبر والكبر حال زايدة على مقدار اخر والمراد ههنا الشيخوخة والفرق بين الكبير والكثير مضمن بعدد
وليس كذلك الكبير نحو دار واحدة كبيرة ولا يجوز كثيرة والذرية الولد من الناس والضعفاء جمع ضعيف والضعف
نقصان القوة وقوله فاصابها اعصار فيه نار فاحترقت فالعصر عصر الثوب ونحوه من كل شيء رطب عصرته اعصره
عصرا فهو معصور وعصير واعتصرته اعتصارا وتعصر تعصرا وعصره تعصيرا وانعصر انعصارا والعصر
الدهر وفي التنزيل والعصر ان الانسان لفي خسر والعصر العشي ومنه صلاة العصر لانها تعصر اي يؤخر كما يؤخر
الشيء بالتعصر فيه والعصر النجاة من الحرب ومنه قوله تعالى فيه يغاث الناس وفيه يعصرون لانه كعصر الثوب
في الخروج من حال الى حال والعصر العطية والاعتصار الالتجاء والمعتصر الملجا والاعصار غبار يلتف بين
السماء والارض كالتفاف الثوب في المعصر والمعصر فوق الكاعب والمعصرات السحاب ومنه قوله وانزلنا
من المعصرات ماء ثجاجا والعصرة الدية يقال هولاء موالينا عصرة اي دية واصل الباب عصر الثوب والاحراق
احراق النار احرقته بالنار فاحترق احراقا وحرقته تحريقا وتحرق تحرقا والحرق حك البعير احد نابيه بالاخر يكون
وعيدا وتهديدا من فحول الابل لالتهابه غضبا كالتهاب الاحراق والحرق حك الحديدة بالمبرد حرقت الحديد
احرقها حرقا اذا بردتها للتفريق بالاحراق والحرق قطع عصبة في الورك لا يلتئم كما لا يرجع ما احرق يقال حرق
الورك فهو محروق والحرق الثوب يقع فيه الحرق من دق القصار لانه كالاحراق بالنار في انه لا يرجع الى
الحال ومنه ريش حرق لانه كالمنقطع بالاحراق والحراق ما اقتبست به النار للاحراق والحرقة ما يجد
من حدة لانه كالاحراق بالنار والحراقات سفن يتخذ منها مرامي نيران يرمى بها العدو في البحر واصل
الباب الاحراق والفكر جولان القلب بالخواطر يقال افكر افكارا وفكر تفكيرا وتفكر تفكرا ورجل فكير
كثير الفكر و قوله فاحترقت فالاحتراق افتراق الاجزاء بالنار والبيان هو الدلالة على ما بيناه فيما مضى و
قال الرماني البيان اظهار المعنى بما يتميز به من غيره على جهة الصواب ولا يقال اللحن من الكلام بيان وان
فهم به المراد لان البيان على الاطلاق ممدوح واللحن عيب لكن يقال لقد ابان عن مراده مجازا **قوله تعالى**
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ
مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ اية هذا خطاب
للمومنين دون ساير الناس وقال الحسن وعلقمة كل شيء في القران يا ايها الذين امنوا فانما انزل بالمدينة
وكلما فيه يا ايها الناس انزل بمكة و قوله انفقوا من طيبات ما كسبتم يدخل فيه الزكوة المفروضة وغيرها
من انواع النفقة وقال عبيدة السلماني والحسن هي مختصة بالزكوة وقال الجبائي هي في المتطوع لان
الفرض من الصدقة له مقدار من القيمة ان قصر كان دينا عليه الى ان يوديه على التمام فاما اذا كان مال
المزكي كله رديا فجاز له ان يعطي منه ولا يدخل فيما نهى عنه لان تقديره ما جعله الله للفقير في مال الغني
تقدير حصة الشريك فليس لاحد الشريكين ان ياخذ الجيد ويعطي صاحبه الردي لما فيه من الوكس فاذا
استوى في الرداءة جاز له اعطاء الردي لانه حينئذ لم يبخسه حقا هو له كما يبخسه في الاول و قوله ولا
تيمموا الخبيث منه تنفقون روي عن علي ع والبراء بن عازب والحسن وقتادة انها نزلت لان بعضهم كان ياتي
بالحشف فيدخله في تمر الصدقة فنزلت فيه الاية قال ابن زيد الخبيث الحرام والاول اقوى لانه قال انفقوا من
طيبات ما كسبتم ومما اخرجنا لكم من الارض ثم قال ولا تيمموا الخبيث يعني من الذي كسبتم اذا اخرجه الله من
الارض والحرام وان كان خبيثا فليس من ذلك بعينه انه يمكن ان يراد به ذلك لانه لا ينافي السبب وروي عن ابي
عبد الله ع انها نزلت في اقوام لهم اموال من ربا الجاهلية كانوا يتصدقون منه فنهى الله عن ذلك وامر
بالصدقة من الحلال ويقوي الوجه الاول قوله ولستم باخذيه الا ان تغمضوا فيه والاغماض لا يكون في شيء
ردي يتسامح في اخذه دون ما هو حرام وفي الفقهاء من استدل بهذه الاية على ان الرقبة الكافرة لا يجزي

في الكفارة وضعفه قوم فقالوا العتق ليس بانفاق والاولى ان يكون ذلك صحيحا لان الانفاق يقع على
كل ما يخرج لوجه الله عتقا كان او غيره والتيمم التعمد تيممت الشيء تيمما ومنه قوله فتيمموا صعيدا طيبا
اي تعمدوا وقال خفاف   فعمدا على عين تيممت مالكا   وقال اخر يممته الرمح شزرا ثم قلت له هذي
المروءة لا لعب الزحاليق واليم لجة البحر لانه يتعمد به البعيد من الارض ويم الرجل اذا غرق في البحر ويم الساحل
اذا طما عليه اليم البحر فغلب عليه واليمامة واليمام الحمام الطورانية يتعمد الى اوكارها بحسن هدايتها وقال الخليل
اممته قصدت امامه ويممته تعمدته من اي جهة كان وقال غيره هما سواء والخبيث الردي من كل شيء خبث
خبثا وتخبث تخبثا وتخابث تخابثا وخبثه تخبيثا والخبثة الريبة وخبث الفضة ما نفاه الكير لانه ينفي الردي
واصله الرداءة و قوله ولستم باخذيه الا ان تغمضوا فيه انما فتحت ان في قول الفراء من اجل لا اذ وقعت
عليها وهي في موضع خفض في الاصل عنده ان لان الكلام في معنى الجزاء وهو ان اغمضتم بعض الاغماض
اخذتموه ومثله الا ان يخافا الا يقيما حدود الله وانكر ذلك ابو العباس وقال ان هذه التي بمعنى المصدر
مفتوحة على كل حال وذلك نحو ان تاتيني خير لك وانما المعنى ولستم باخذيه الا لاغماضكم فيه والاغماض في
البيع الحط من الثمن لعيب فيه اغمض اغماضا وذلك لاخفاء بعض الثمن بالحط له والغموض الخفاء غمض
يغمض غموضا فهو غامض والتغميض اطباق الجفن والغمض للعين والغمض المطمئن من الارض خفي تغيب
من فيه واصل الباب الخفاء وقيل في معنى الا ان تغمضوا فيه قولان قال البراء بن عازب الا ان تتساهلوا
فيه وقال ابن عباس والحسن وقتادة الا ان تحطوا من الثمن فيه وقال الزجاج ولستم باخذيه الا بوكس
فكيف تعطونه في الصدقة قال الطرماح ابن حكيم   لم يفتنا بالوتر قوم وللضيم   رجال يرضون
بالاغماض   اي بالوكس   قوله واعلموا ان الله غني حميد ههنا معناه انه غني عن صدقاتكم وانما
دعاكم اليها لنفعكم فاما حميد ففيه ثلثة اقوال احدها انه مستحق للحمد على نعمه الثاني موجب الحمد على
طاعته والثالث قال الحسن معناه مستحمد الى خلقه بما يعطون من النعم لعباده اي مستدع لهم الى ما يوجب
لهم الحمد وحميد في هذا الموضع اليق من حليم كما ان حليما اليق بالاية المتقدمة من حميد لما بيناه وانما قلنا
ذلك لانه لما امرهم بالانفاق من طيب ما كسبوه بين انه غني عن ذلك وانه يحمدهم على ما يفعلونه اذا فعلوه
على ما امرهم به ومعناه انه يجازيهم عليه **قوله تعالى** **الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ**
يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ اية واحدة بلا خلاف معنى الاية الوعد من الشيطان
انكم متى اخرجتم من اموالكم الصدقة واديتم الزكوة الواجبة عليكم في اموالكم افتقرتم ويامركم ايضا
بالفحشاء من المعاصي وترك طاعته والله تعالى يعد بالمغفرة منه والستر عليكم والصفح عن العقوبة و
فضلا يعني ويعدكم ان يخلف عليكم خيرا من صدقتكم ويتفضل عليكم ويسبغ عليكم في ارزاقكم قال ابن
عباس اثنان من الله واثنان من الشيطان فاللذان من الشيطان الوعد بالفقر والامر بالفحشاء واللذان
من الله المغفرة على المعاصي والفضل في الرزق والفقر الحاجة وهو ضد الغنى يقال افقره الله افقارا
وافتقر افتقارا وتفاقر تفاقرا لان الفقر بمنزلة كسر الفقار في تعذر المراد والفقار عظام منتظمة في
النخاع تسمى خرز الظهر واحدها فقرة والافقار اعارة الدابة لتركب ثم ترد والافقار دنو الصيد والفاقرة
الداهية لانها تكسر الفقار ومنه قوله تظن ان يفعل بها فاقرة واصل الباب الفقار خرز الظهر وتقول وعدته
الخير ووعدته بالخير والاصل فيه تعديته بغير حرف الاضافة الا انه كثر استعماله في التعدي بحرف الاضافة
حتى صار اصلا فيه لكثرته وامرته بالخير اكثر في الكلام وانما يجوز امرته الخير في الشعر و قوله والله واسع
عليم حكى البلخي انه بغير واو في مصاحف اهل الشام ولم يقرا به احد فان صح فهو دلالة على نقصان الحروف من كثير
من القران على ما اختلفوا فيه والفرق بين الوعد والوعيد ان الوعيد في الشر خاصة والوعد بالتقييد للخير
والشر معا غير انه اذا اطلق لم يكن الا في الخير وكذلك اذا ابهم التقييد كقولك وعدته باشياء لانه بمنزلة المطلق
وحد الوعد هو الخبر بفعل الخير في المطلق والوعيد هو الخبر بفعل الشر والامر هو قول القائل لمن هو دونه

افعل مع ارادة المأمور به فان انضم اليه الزجر في الاخلال به كان مقتضيا للايجاب ﴿ قال ابن مسعود للشيطان
لمة وللملك لمة ومثله روى عن ابي عبد الله (ع) فلمة الشيطان وعده بالفقر وامره بالفاحشة ولمة الملك امره بالانفاق
ونهيه عن المعصية وقال ابو مسلم والازهري الفحشاء البخل والفاحش البخيل قال طرفة   عقيلة مال الفاحش
المتشدد   وقال الحسين بن علي المغربي والذي يقوي قولهما ما انشده ابو عبيدة لراحل من طي   فلا اخذ المجد
كابرا   ليس بفحاش يضن لزادا   قال الرماني والله ما قاله بعيد والفحشاء المعاصي في غلبة الاستعمال
ومعنى البيت الذي انشده ان الفاحش هو سيء الرد لسؤاله وضيفانه وذلك من البخل لا محالة قال كعب
اخي يا اخي لا فاحش عند بيته   ولا برم عند اللقاء هيوب   فتلخيص معنى الاية ان الشيطان يحملكم على
ان تؤدوا في الصدقة ردي المال يخوفكم الفقر باعطاء الجيد والفقر والفقر لغتان ويعدكم الفقر معناه
بالفقر فحذف الباء وعدى الفعل فنصب قال   امرتك الخير فافعل ما امرت به   فقد تركتك ذا مال وذا نشب
وقوله والله واسع عليم معنى واسع انه يعطي من سعة مقدوره انه عليم حيث يضع ذلك ويعلم الغيب والشهادة
قوله تعالى يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو
الْأَلْبَابِ آية قرأ يعقوب ومن يؤت بكسر التاء والباقون بالفتح قيل في معنى الحكمة في الاية وجوه قال ابن عباس
وابن مسعود هو علم القرآن ناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه ومقدمه ومؤخره وحلاله وحرامه وامثاله
وقال ابن زيد هو علم الدين وقال السدي هو النبوة وقال مجاهد الاصابة وقال ابراهيم النخعي الفهم وقال
الربيع الخشية وقال قوم هو العلم الذي تعظم منفعته وتجل فائدته وهو جميع ما قالوه وقال قتادة والضحاك
وفي رواية عن مجاهد هو القرآن والفقه وهو المروي عن ابي عبد الله (ع) وانما قيل للعلم حكمة لانه يمتنع به
من القبيح لما فيه من الدعاء الى الحسن والزجر عن القبيح وقال الجبائي هو ما آتاه الله انبياءه واممهم من كتبه
واياته ودلالاته التي يدلهم بها على معرفتهم به وبدينه وذلك تفضل منه يؤتيه من يشاء وقوله وما يذكر الا
اولوا الالباب وكل مكلف ذو لب لانه لا يطلق عليهم هذه الصفة لما فيها من المدحة فلذلك عقد التذكر بهم
وهم الذين يستعملون ما توجبه عقولهم من طاعة الله في كلما امر به ودعا اليه ويؤت جزم بمن والجواب
فقد اوتي خيرا كثيرا ومن قرأ يؤت بكسر التاء على ما روي عن يعقوب ذهب الى ان معناه ومن يؤته الحكمة
وانما حذف الهاء في الصلة ويكون من على هذا المعنى الذي لا معنى الجزاء **قوله تعالى** وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ
نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ آية بلا خلاف ما في قوله وما انفقتم
بمعنى الذي وما بعده من صلتها والعائد اليها الهاء في قوله فان الله يعلمه لانها لا يجوز ان يعود على النفقة
لانها مؤنثة ولا على النفقة والنذر لان ذلك يوجب التثنية والمراد بالانفاق ههنا ما يخرجه في طاعة الله
واجباتها ومندوباتها وقوله او نذرتم من نذر فالنذر هو عقد الشيء على النفس فعل شيء من البر بشرط
ولا ينعقد ذلك الا بقوله لله علي كذا ولا يثبت بغير هذا اللفظ واصل النذر الخوف لانه يعقد ذلك على
نفسه خوف التقصير في الامر ومنه نذر الدم العقد على سفكه للخوف من مضرة صاحبه قال الشاعر
هم ينذرون دمي وانذر ان لقيت بان اشدا   ومنه الانذار الاعلام بموقع العدو للخوف منه ليتقى يقال
نذرت النذر انذره نذرا وجمعه نذور وقوله فان الله يعلمه معناه يجازي عليه لانه عالم به فدل بذكر العلم
على تحقيق الجزاء ايجازا للكلام وقوله وما للظالمين من انصار وعيد للظالمين وهم الفاعلون لضرر يستحق
عليه الذم والمراد بالظالمين ههنا الذين كانوا انفاقهم على غير الوجه المأذون لهم فيه من رياء او ضرار
او شقاق او من مال المغصوب او ماخوذ من غير وجهه وسمي ذلك ظلما لانه وضع فيه في غير موضعه والانصار
جمع نصير مثل شريف واشراف وباب فعيل ان يجمع على فعلاء مثل عليم وعلماء وكريم وكرماء وقد ورد فيه
فعال مثل ضير ونصار والنصير هو المعين على العدو وعلى هذا لا تدل الاية على انه لا شفاعة لمرتكبي الكبائر
لان احدا لا يقول ان لهم معينا على عدوهم بل انما نقول لهم من يسأل في بابهم على وجه التضرع ولا يسمى ذلك
نصرة على حال **قوله تعالى** إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ
لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ آية واحدة بلا خلاف قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي

وخلف

وخلف فنعما بفتح النون وكسر العين وقرأ ابن كثير وورش ويعقوب وحفص والاعشى والبرجمي بكسر النون و
العين وقرأ اهل المدينة الا ورشا وابو عمرو وابو بكر الا الاعشى والبرجمي بكسر النون وسكون العين وكذلك
في النساء في قوله نعما يعظكم به وقرأ ابن عامر وحفص ويكفر بالياء والرفع وقرأ اهل المدينة وحمزة والكسائي
وخلف عن ابي بكر بالنون والجزم والباقون بالنون والرفع قال ابو علي الفارسي المعنى في قوله ان تبدوا الصدقات
فنعما هي ان في نعم ضمير الفاعل وما في موضع نصب وهي تفسير الفاعل المضمر قبل الذكر والتقدير نعم شيئا ابداؤها
فالابداء هو المخصوص بالمدح الا ان المضاف حذف واقيم المضاف اليه الذي هو ضمير الصدقات مقامه فالمخصوص
بالمدح هو الابداء بالصدقات لا الصدقات تدل على ذلك قوله وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم اي
الاخفاء خير لكم فكما ان هو ضمير الاخفاء وليس بالصدقات كذلك ينبغي ان يكون ضمير الابداء مرادا وانما كان
الاخفاء والله اعلم خيرا لانه ابعد من ان يشوبه الصدقة مراءاة للناس وتصنيع لهم فيخلص لله تعالى ولم يكن المسلمون
اذ ذاك ممن يسبق اليهم ظنة في منع واجب والفرق بين الصدقة والزكوة ان الزكوة لا تكون الا فرضا والصدقات
قد تكون فرضا وقد تكون نفلا واختلفوا في الصدقة التي اخفاؤها افضل فقال ابن عباس وسفيان اخفاؤها
الجبائي انها صدقة التطوع لانها ابعد من الرياء فاما الصدقة الواجبة فاظهارها عندهم افضل لانه ابعد
من التهمة وقال يزيد بن ابي حبيب الصدقات على اهل الكتاب اظهارها اولى وعلى المسلمين اخفاؤها افضل
وقال الحسن وقتادة الاخفاء في كل صدقة من زكوة وغيرها افضل وهو الاقوى لانه عموم الاية وعليه تدل
اخبارنا وقد روي عن ابي عبد الله (ع) ان الاخفاء في النوافل افضل وقال ابو القاسم الابداء خير والمفسرون
على خلافه والاخفاء هو الستر يقول اخفيت الشيء اخفيه اخفاء اذا سترته والخفي الاظهار خفيته اخفيه خفيا
اذا اظهرته لانه اظهار ما يخفى قال الشاعر   فان تدفنوا الداء لا نخفه   وان تبعثوا الحرب لا نقعد
والخفاء الغطاء والخوافي من ريش الطائر ما دون القوادم لانها يخفيها والخفية عرين الاسد لانه يختفي فيها
تقول اختفى اختفاء وخفي يخفى وتخفى تخفيا واستخفى استخفاء واصل الباب الستر والابداء والاظهار
والاعلان نظائر وضد الاية الاخفاء والاخفاء والاسرار والاغماض نظائر تقول بدا الشيء يبدو اذا
ظهر وابديته اذا اظهرته وضعف النحويون بأجمعهم قراءة ابي عمرو وقالوا لا يجوز اسكان العين مع الادغام
وانما هو اخفاء يظن السامع انه اسكان وانما لم يجز الاسكان مع الادغام لانه جمع بين ساكنين في غير حروف
المد واللين في نحو دابة وغير ذلك وقد انشد سيبويه في الجمع بين ساكنين مثل اجتماعهما في نعما قول الشاعر
كانه بعد كلال الزاجر   ومسحه عقاب كاسر   وانكره اصحابه ومن رفع يكفر عطفه على موضع ما بعد الفاء
ومن جزم فعلى موضع الفاء ومثل الاول قوله ومن يضلل الله فلا هادي له ويذرهم ونظير الثاني فاصدق
واكن فمن اختار الجزم فلانه ابين في الاتصال بالجزاء ومن رفع فلانه اشكل بما دخلته الفاء اذ كانت انما
دخلت لاستقبال الكلام بعدها وان كان في معنى الجواب ومن قرأ بالياء فمعناه ويكفر الله وقوله من سيئاتكم
دخلت من للتبعيض لانه انما يكفر بالطاعة غير التوبة الصغائر وهذا على مذهب من يقول بالصغائر والاحباط فاما
على مذهبنا فانما كان كذلك لان اسقاط العقاب بكله تفضل فله ان يتفضل باسقاط بعضه دون بعض فلو لم
يدخل من لكان دالا انه يسقط جميع العقاب وقال قوم من زائدة والذي ذكرناه اولى لانه لا حاجة بنا الى الحكم
بزيادتها مع امكان حملها على فائدة والله بما تعملون خبير معناه انه تعالى بما تعملونه في صدقاتكم من اخفائها
واعلانها عالم خبير به لا يخفى عليه شيء من ذلك فيجازي على جميعه بحسبه وقد روي عن النبي (ص) انه قال لابن
العاص نعما بالمال الصالح للرجل الصالح فاختار ابو عبيد لاجل هذه الرواية قراءة ابي عمرو وقال الزجاج
هذه رواية غير مضبوطة ولا يجوز عند البصريين ذلك لان فيه جمعا بين ساكنين من غير حرف مد ولين وفي
نعم ثلث لغات نعم ونعم ونعما **قوله تعالى** لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا
مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنْفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا
تُظْلَمُونَ آية واحدة قيل في وجه اتصال هذه الاية بما قبلها قولان احدهما ما قاله ابن عباس وسعيد بن جبير
وقتادة ليس عليك هداهم بمنع المشركين الاقرباء من الصدقة ليدخلوا في الاسلام فعلى هذا معناه الاباحة

الثاني

الثانى قال الحسن وابو على الجبائى والزجاج ليس عليك هداهم بالحمل على النفقة فى وجوه البر فعلى هذا معناه التسلية والتقدير ليس عليك ان تهدى الناس الى نيل الثواب والجنة وانما عليك ان تهديهم الى الايمان بان تدلهم عليه لانه عليه السلام كان يغتم اذا لم يؤمنوا ولم يقبلوا منه لعلمه بما يصيرون اليه من العقاب فسلاه الله بهذا القول وانه لا ينبغى ترك مواساة ذوى القربى من اهل الشرك ليدخلوا فى الاسلام فيكون بذلك مبيحا للصدقة المندوبة عليهم وقال ابن عباس وابن الحنفية وسعيد بن جبير نزلت هذه الاية لانهم كانوا يتقون الصدقة على المشركين حتى نزلت ليس عليك هداهم وقوله ولكن الله يهدى من يشاء انما علق الهداية بالمشية لمن كان فى المعلوم انه يصلح باللطف وليس كل احد يصلح به فلذلك جاء الاختصاص بالمشية وقال ابو على الجبائى الهداية فى الاية هو الى طريق الجنة وذلك يختص المؤمنين المستحقين للثواب وهو اول اختيار البلخى وابن الاخشاد والزجاج واكثر اهل العلم وقوله وما تنفقوا من خير فلانفسكم وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله معناه فلهذا يجب الا تمنوا بالصدقة والانفاق اذ كان لانفسكم من حيث هو ذخر لكم ولابتغاء وجه الله الذى هو يوفر به الجزاء لكم فهو من كل وجه عايد عليكم وليس كتمليك الله لعباده اذ نفعه راجع عليهم كيف تصرفت الحال بهم فلذلك افترق ذكر العطية منه تع والعطية من غيره ومعنى قوله الا ابتغاء وجه الله الا ابتغاء رضوان الله واستدل بذلك على حسن باطن المعنيين بالاية وانهم كانوا ينفقون لوجه الله خالصا وقيل معناه وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله فكيف يضيع سعيكم وانفاقكم وقيل فى ذكر الوجه قولان احدهما تحقيق الاضافة اليه لان ذكره يزيل الابهام انه له او لغيره لانك اذا خصصت ذكر الوجه ومعناه التبيين دل على انك اردت الاختصاص وازالة الابهام ورفع الاشراك وتحقيق الاضافة والثانى لانه اشرف الذكرين فى الصفة لانك اذا قلت فعلته لوجه زيد فهو اشرف فى الذكر من فعلته له لان وجه الشئ فى الاصل اشرف ما فيه ثم كثر حتى صار يدل على شرف الذكر فى الصفة فقط من غير تحقيق وجه الا ترى انك تقول وجه هذا الامر كذا وهذا وجه الرأى وهذا وجه الدليل فلا يريد تحقيق الوجه وانما يريد اشرف ما فيه من اجل شدة ظهوره وشدة بيانه **قوله تع** لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ اية واحدة قرأ حمزة وعاصم وابن عامر يحسبهم بفتح السين الباقون بكسرها قال مجاهد والسدى الفقراء المذكورون فى الاية هم فقراء المهاجرين وقال ابو جعفر ع نزلت فى اصحاب الصفة والعامل فى اعراب الفقراء محذوف وتقديره النفقة للفقراء وقد تقدم ما يدل عليه وقال بعضهم هو مردود على اللام الاولى فى قوله وما تنفقوا من خير فلانفسكم قال الرمانى هذا لا يجوز لان بدل الشئ من غيره لا يكون الا والمعنى يشتمل عليه وليس كذلك ذكر النفس ههنا لان الانفاق لها من حيث هو عايد عليها وللفقراء من حيث هو واصل اليهم وليس من باب ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا لان الامر لازم للمستطيع خاصة ولا يجوز ان يكون العامل فيه تنفقوا لانه لا يفصل بين العامل والمعمول فيه بما ليس منه كما لا يجوز كانت الحمى تاخذ وقوله الذين احصروا فالاحصار منع النفس عن التصرف لمرض او حاجة او مخافة والحصر هو منع الغير وليس كالاول لانه منع النفس وقال قتادة وابن زيد منعوا انفسهم من التصرف فى التجارة للمعاش خوفا العدو من الكفار وقال السدى منعهم الكفار والخوف منهم ولو كان الامر على ما ذكر لكان حصروا لان الذى يمنعه العدو محصور والذى يمنع نفسه محصر ويحسبهم بفتح السين وكسرها لغتان ومعناه يظنهم ولا يعرف حالهم اغنياء من التعفف وقوله لا يستطيعون ضربا فى الارض ليس معناه انهم لا يقدرون وانما معناه انهم الزموا انفسهم امر الجهاد فمنعهم ذلك من التصرف كقولك امرنى الوالى ان اقيم فما اقدر ان ابرح معناه الزمت نفسى طاعته لا انى لا اقدر عليه وتقول ضربت فى الارض ضربا ومضربا اذا سرت فيها وضرب الجرح اذا الم ضربانا وضربا وضرب الفحل الناقة اذا طرقها ضرابا والضريب الجليد تقول ضربت الارض وجلدت رواه الكسائى وقوله تعرفهم بسيماهم فالسيما العلامة وقال مجاهد معناه ههنا التخشع وقال السدى والربيع علامة الفقر

واصل سيما الارتفاع لانها علامة رفعت للظهور ومنه السوم فى البيع وهو الزيادة فى مقدار الثمن للارتفاع فيه عن الحد ومنه سوم الخسف للتوقع فيه بتحميل ما يشق ومنه سوم الماشية ارسالها فى المرعى وقوله لا يسألون الناس الحافا لا يدل على انهم كانوا يسألون غير الحاف فى قول الفراء والزجاج والبلخى والجبائى وانما هو كقولك ما رأيت مثله وانت لم ترد ان له مثلا ما رأيته وانما تريد انه ليس له مثل فيرى وقال الزجاج معناه لم يكن سؤال فيكون الحاح كما قال امرؤ القيس

على لاحب لا يهتدى بمناره ... اذا سافه العود الديافى جرجرا

والمعنى لا منار به فيهتدى بها وانما وجهوه على ذلك لان فى الكلام دليلا عليه لانه تع وصفهم بالتعفف والمعرفة بسيماهم دون الافصاح بسؤالهم لانهم لو افصحوا به لم يحسبهم الجاهل اغنياء لانه انما يجهل ما ينال بالاستدلال وانما جاز هذا الاختصاص بالذكر لان المعنى نفى صفة الذم عنهم وقوله الحافا قال الزجاج هو مأخوذ من اللحاف لاشتماله على وجوه الطلب فى المسئلة كاشتمال اللحاف فى التغطية وقال غيره لانه يلزم لزوم اللحاف فى غير وقته وفى الاية دلالة على فساد قول المجبرة فى الاستطاعة لانه تع اذا عذر من لا يستطيع للمخافة كان من لا يستطيع لعدم القدرة اعذر وقوله وما تنفقوا من خير فان الله به عليم معناه يجازيكم عليه كما قال وما تنفقوا من خير يعلمه الله **قوله تع** الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ اية ذكر ابن عباس ان هذه الاية نزلت فى على بن ابى طالب ع كانت معه اربعة دراهم فانفقها على هذه الصفة بالليل والنهار وفى السر والعلانية وهو المروى عن ابى جعفر وابى عبد الله ع وروى عن ابى ذر والاوزاعى انها نزلت فى النفقة على الخيل فى سبيل الله وقيل هى فى كل من انفق ماله فى طاعة الله على هذه الصفة واذا قلنا انها نزلت فى على ع فحكمها سار فى كل من فعل مثل فعله وله فضل الاختصاص بالسبق الى ذلك ونزول الاية من جهته وقيل فى قسمة الاموال فى الانفاق على الليل والنهار والاسرار والاعلان افضل من الانفاق على غيره لذلك الوجه قولان قال ابن عباس ان هذا كان يعمل به حتى نزل فرض الزكوة فى براءة والثانى ان الافضل هو انفاق هذه الصفة التى وصفها الله وهو الاقوى لانه الظاهر وقال الرمانى ومن لا يعرض المعتزلة لا يجب هذا الوعد الا ان تكسب صاحبها الكبيرة من الجرم كما لا يجب ان ارتد عن الايمان الى الكفر وانما يجب لمن اخلصها مما يفسق بها وهذا عندنا ليس بصحيح لان القول بالاحباط باطل ومقارفة الكبيرة بعد فعل الطاعة لا يحبط ثواب الطاعة بحال وانما يستحق بمعصيته العقاب ولله فيه المشية فاما الارتداد فعندنا ان المؤمن على الحقيقة لا يجوز ان يقع منه كفر ومتى وقع ممن كان على ظاهر الايمان ارتداد علمنا انه ما كان يظهره لم يكن ايمانا على الحقيقة وانما قلنا ذلك لانه لو كان ايمانا لكان مستحقا به الثواب الدايم فاذا ارتد فيما بعد استحق بارتداده عقابا دائما فيجتمع له استحقاق الثواب الدايم والعقاب الدايم وذلك خلاف الاجماع وقوله الذين رفع بالابتداء وما بعده صلة له وخبره فلهم اجرهم عند ربهم وانما دخل الفاء فى خبر الذين لان فيها معنى الجزاء لانه يدل على ان الاجر من اجل الانفاق فى طاعة الله ولا يجوز ان يقال زيد فله درهم لانه ليس فيه معنى الجزاء وانما دخل فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ونصب لا ريب فيه لاجل تكرير لا فى جواب اذا م كذا قال الشاعر

وما صرمتك حتى قلت معلنة ... لا ناقة لى فى هذا ولا جمل

فاما لا ريب فيه فجواب هل من ريب فيه فقيل لا ريب فيه على عموم النفى كما ان السؤال على استغراق الجنس بمن فالاعتماد فى احدهما على عموم النفى وفى الاخر على اشتمال النفى على شيئين قد توهم اثبات احدهما والانفاق اخراج ما كان من المال عن الملك ولهذا لا يصح فى صفة الله تع الانفاق وهو موصوف بالاعطاء لعباده ما شاء من نعمه لان الاعطاء ايصال الشئ الى الاخذ له والسر اخفاء الشئ فى النفس فاما اخفاؤه فى خباء فليس بسر فى الحقيقة ومنه السرار والمسارة لان كل واحد منهما يخفى الشئ عن غيره الا عن صاحبه والعلانية نقيض السر وهو اظهار الشئ وابرازه من النفس **قوله تع** الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَوا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَوا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَوا فَمَنْ

جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وامره الى الله ومن عاد فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون آية اصل الربا الزيادة من قولهم ربا الشيء يربو ربوا اذا زاد والربا هو الزيادة على رأس المال في نسيئة او مماثلة وذلك كالزيادة على مقدار الدين للزيادة في الاجل او كاعطاء درهم بدرهمين او دينار بدينارين والمنصوص عن النبي صلى الله عليه وآله تحريم التفاضل في ستة اشياء الذهب والفضة والحنطة والشعير والتمر والملح وقيل الزبيب فقال النبي صلى الله عليه وآله فيها مثلا بمثل يدا بيد من زاد او استزاد فقد اربى هذه الستة اشياء لا خلاف في حصول الربا فيها وباقي الاشياء عند الفقهاء مقيس عليها وفيها خلاف بينهم وعندنا ان الربا في كل ما يكال او يوزن اذا كان الجنس واحدا منصوص عليه والربا محرم متوعد عليه كبيرة بلا خلاف بهذه الآية وبقوله يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا ان كنتم مؤمنين فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله وقوله لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس قال ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن ومجاهد وقتادة ان قيامهم على هذه الصفة يكون يوم القيمة اذا قاموا من قبورهم ويكون ذلك امارة لاهل الموقف على انهم اكلة الربا وقوله يتخبطه الشيطان مثل عند ابي علي الجبائي لا حقيقة على وجه التشبيه بحال من تغلب عليه المرة السوداء فتضعف نفسه ويلج الشيطان باغوائه عليه فيقع عند تلك الحال ويحصل به الصرع من فعل الله ونسب الى الشيطان مجازا لما كان عند وسوسته وكان ابو الهذيل وابن الاخشاذ يجيزان ان يكون الصرع من فعل الشيطان في بعض الناس دون بعض قالا لان الظاهر من القرآن يشهد به وليس في العقل ما يمنع منه وقال الجبائي لا يجوز ذلك لان الشيطان خلق ضعيف لم يقدره الله على كيد البشر بالقتل والتخبيط ولو قوي على ذلك لقتل المؤمنين الصالحين والداعين الى الخير لانهم اعداؤه ومن اشد الاشياء عليهم وفي ذلك نظر واصل الخبط الضرب على غير استواء خبطه يخبطه خبطا والخبط ضرب البعير الارض بيديه والتخبط المس بالجنون او التخبيل لانه كالضرب على غير استواء في الادهاش والخبطة البقية من طعام او ماء او غيره لانه كالصبة من الدلو وهي الخبطة به والخبط ورق تعلفه الابل والخباط داء كالجنون لانه اضطراب في العقل كاضطراب في الضرب والخبطة كالزكمة لانها تضرب بالانحدار على اضطراب والخباط سمة في الفخذ لانها تضرب فيه على اضطراب ومعنى قوله ذلك بانهم قالوا انما البيع مثل الربا ان المشركين قالوا الزيادة على رأس المال بعد مصيره على جهة الدين كالزيادة عليه في ابتداء البيع وذلك خطأ لان احدهما محرم والآخر مباح وهو ايضا منفصل منه في العقد لان الزيادة في احدهما لتأخير الدين وفي الآخر لاجل البيع والفرق بين البيع والربا ان البيع ببدل لان الثمن فيه بدل المثمن والربا ليس كذلك وانما هو زيادة من غير بدل للتأخير في الاجل او زيادة في الجنس وقد احل الله البيع وحرم الربا و قوله فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف قال ابو جعفر من ادرك الاسلام وتاب مما كان عمله في الجاهلية وضع الله عنه ما سلف وقال السدي له ما اكل وليس عليه رد ما سلف فاما ما لم يقبض بعد فلا يجوز له اخذه وله رأس المال وقال الطبري الموعظة التذكير والتخويف الذي ذكره الله وخوفهم به من آي القرآن واوعدهم عليه اذا اكلوا الربا من انواع العقاب وقوله وامره الى الله معناه بعد مجيء الموعظة والتحريم وبعد انتهاء آكله الى الله ثم عصمته وتوفيقه ان شاء عصمه عن اكله وثبته في انتهائه عنه وان شاء خذله ويحتمل ان يكون اراد فله ما سلف يعني من الربا المأخوذ دون العقاب الذي استحقه و قوله وامره الى الله معناه في جواز العفو عنه ان لم يتب كل شيء تقدمته اماما لك فهو سلف والسلوف التقدم يقال سلف يسلف سلوفا ومنه الامم السالفة اي الماضية والسالفة اعلى العنق والاسلاف الاعطاء قبل الاستحقاق تقول اسلفته المال اسلافا وسلافة الخمر صفوها لانه اول ما يخرج من عصيرها والسلفة جلد رقيق يجعل بطانة للخفاف وسلف الرجل المتزوج باخت امرأته والسلفة ما تتخذه المرأة لتتحف به زائرا واصل الباب التقدم و قوله ومن عاد فالعود هو الرجوع تقول عاد يعود عودا اذا رجع وعيادة المريض المصير اليه لتعرف خبره والعود من عيدان الشجر لانه يعود اذا قطع ومنه العود الذي يتبخر به والعود المسن من الابل والمعاد كل شيء اليه المصير والآخرة معاد الناس اي مرجع وقوله لراد له

الى

المعاد يعني مكة بان يفتحها عليه والاعادة فعل الشيء ثانية وهو المبدئ المعيد والعادة تكرر الشيء مرة بعد مرة وتعود الخير عادة والعيد كل يوم مجمع عظيم لانه يعود في السنة او في الاسبوع والعائدة الصلة لانها تعود بنفع على صاحبها واصل الباب الرجوع تقول عاد عودا واعتاد اعتيادا واستعاد استعادة وعود تعويدا وتعود تعودا وعاود معاودة ومعنى الآية ومن عاد لاكل الربا بعد التحريم وقال ما كان يقوله قبل مجيء الموعظة من ان البيع مثل الربا فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون لان ذلك لا يصدر الا من كافر لان مستحل الربا كافر بالاجماع فلذلك توعده بعذاب الابد والخلود والوعيد في الآية يتوجه الى من اربى وان لم ياكله وانما ذكر الله الذين ياكلون الربا لانها نزلت في قوم كانوا ياكلونه فوصفهم بصفتهم و حكمها سار في جميع من اربى والآية الاخرى التي ذكرناها وتبين معناها فيما بعد تبين ما قلناه وعليه ايضا الاجماع وقيل في علة تحريم الربا ان فيه تعطيل المعايش والاجلاب والمتاجر اذا وجد المربي من يعطيه دراهم وفضلا بدراهم وقال ابو عبد الله عليه السلام انما شدد في تحريم الربا لئلا يمتنع الناس من اصطناع المعروف قرضا او رفدا وانما ذكر الموعظة ههنا وانثها في قوله قد جاءتكم موعظة من ربكم لامرين احدهما ان كل تانيث ليس بحقيقي جاز فيه التذكير والتانيث فجاء القرآن بالوجهين معا والثاني انه ذكر ههنا لوقوع الفصل بين الفعل والفاعل بالضمير وانث في الموضع الذي لم يفصل والربا محرم في النقد والنسيئة بلا خلاف وكان بعض من تقدم يقول لا ربا الا في النسيئة والذي كان يربي به اهل الجاهلية ان يؤخروا الدين عن محله الى محل آخر بزيادة فيه وهذا حرام بلا خلاف ومسائل البيع الصحيح منها والفاسد وفروعها بيناها في النهاية والمبسوط وكذلك مسائل الصرف فلا نطول بذكرها في هذا الكتاب **قوله تعالى** يَمْحَقُ اللّٰهُ الرِّبٰا وَيُرْبِي الصَّدَقٰاتِ وَاللّٰهُ لٰا يُحِبُّ كُلَّ كَفّٰارٍ أَثِيمٍ آية واحدة المحق نقصان الشيء حالا بعد حال محقه الله يمحقه محقا فانمحق و امتحق اي هلك وتلف بذهابه حالا بعد حال والمحاق آخر الشهر لامحاق الهلال فيه والشيء محيق بمعنى ممحوق واصل الباب المحق فان قيل بأي شيء يمحق الله الربا ويربي الصدقات قلنا يمحقه بان ينقصه حالا بعد حال وقال البلخي محقه في الدنيا بسقوط عدالته والحكم بفسقه وتسميته بالفسق و قوله ويربي الصدقات معناه يزيدها بما يثمر المال في نفسه وبالاجر عليه وذلك بحسب الانتفاع بها وحسن النية منها ووجه زيادته على المستحق بالعمل تفضل بالوعد به وقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله ان الله يقبل الصدقة ولا يقبل منها الا الطيب ويربيها لصاحبها كما يربي احدكم مهره او فصيله حتى ان اللقمة لتصير مثل احد وذلك قوله يمحق الله الربا ويربي الصدقات و قوله والله لا يحب كل كفار اثيم انما لم يقل كل كافر مع دخول الكفار في الكافر لان كل كافر وليس كل كافر كفارا والدلالة على ان مستحل الربا في قوله انما البيع مثل الربا مع انه كافر كفار وجود للدلالة على صفات الذم اذ قد يتوهم ان الكفار من استكثر من كفر نعمة الانسان لا يبلغ به استحقاق العقاب ويجوز ان يكون من باب الاختصاص لعظم المنزلة في الامر الذي تعلق به الذكر والاثيم هو المتمادي في الاثم والآثم الفاعل للاثم وانما قال لا يحبه ولم يقل يبغضه لانه اذا لم يحب المكلف فهو يبغضه فقوله لا يحبه الله من صفات الذم كما ان قوله لم ينصف في المعاملة من صفات الذم **قوله تعالى** إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّٰالِحٰاتِ وَأَقٰامُوا الصَّلٰوةَ وَآتَوُا الزَّكٰوةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلٰا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلٰا هُمْ يَحْزَنُونَ آية واحدة ان قيل اذا كان الثواب يستحق بخلوص الايمان فلم يشرط غيره من الخصال قلنا لم يذكر ذلك ليكون شرطا في استحقاق الثواب على الايمان وانما بين ان كل خصلة من هذه الخصال يستحق بها الثواب ونظير ذلك ما ذكره في آية الوعيد في قوله والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق اثاما يضاعف له العذاب يوم القيمة ويخلد فيه مهانا فانما بين ان كل خصلة من هذه الخصال يستحق بها العقاب لان من المعلوم ان من دعا مع الله الها آخر لا يحتاج الى شرط عمل آخر يستحق العقاب وان كان الوعيد انما يتوجه على مجموع تلك الخصال لكان فيه تسهيل لكل واحد منها وليس التقييد في آيتي الوعيد يجري مجرى قوله والذين

يؤمنون

يرمون المحصنات ثم لم ياتوا باربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة وقيل ان هذا معلق بحكم يجب بوجوه
دير نقطع بارتفاعه بالاجماع وليس كذلك ذكر هذه الخصال وهذه الاية تدل على ان افعال الجوارح ليست
من الايمان وان الايمان هو التصديق بما وجب لانها لو كانت من الايمان لكان قوله ان الذين امنوا قد
اشتمل عليها فلا معنى لذكرها بواو العطف اذ لا يعطف الشيء على نفسه فان قيل ذلك يجري مجرى قوله الذين
كفروا وصدوا عن سبيل الله وقوله الذين كفروا وكذبوا باياتنا قلنا والخلاف في هاتين كالخلاف في تلك
لانا لا نقول ان التكذيب بالايات هو الكفر بنفسه وانما نقول هو دلالة على الكفر وكذلك الصد عن سبيل
الله كما نقول ان قول النبي ص فلان كافر يدل على كفره وان لم يكن ذلك كفرا وقال قوم من المرجئة ان الوعد
بهذه الخصال يدل على بطلان التحابط لانه تعالى ضمن الثواب بنفس فعل هذه الخصال ولم يشترط الا يأتي بما
يحبطها فان قيل لا بد ان يكون ذلك مشروطا كما ان الوعيد على الكفر لا بد ان يكون مشروطا بارتفاع
التوبة منه لان كل واحد من الامرين انما يستحق بخلوه مما ينافيه واذا اتبع تكبيره فلم يخلص كما لم يخلص
ما اتبع بتوبة قلنا انما شرطنا الوعيد على الكفر بعدم التوبة لمكان الاجماع لا لان التوبة تسقط العقاب
على الكفر وانما وعد الله تع تفضلا باسقاط العقاب على المعاصي بالتوبة منها وليس مثل ذلك موجودا في
اية الوعد لانه ليس على شرط انتفاء الكبيرة اجماع والعمل هو التغيير للشيء بالاحداث لما وقع فيه فاذا قيل عمل
فلان الصالحات كان معناه احدثها واذا قيل عمل الموازين والخوض والسروج والصفر وغير ذلك كان المراد
انه احدث فيها ما يتغير به صورتها **قوله تع** يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ
الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ اية واحدة ذكر السدى وابن جريج وعكرمة ان هذه الاية نزلت في بقية من الربا
كانت للعباس ومسعود وعبد يا ليل وحبيب وربيعة بني عمرو بن عمير وروى عن ابي جعفر ع ان الوليد بن
المغيرة كان يربي في الجاهلية وكان بقي له بقايا على ثقيف فاراد خالد بن الوليد المطالبة بها بعد ان اسلم
فنزلت هذه الاية في المنع من ذلك ومعنى ذروا ما بقي من الربا ظاهره تحريم ما بقي دينا من الربا وايجاب اخذ
راس المال دون الزيادة على جهة الربا وقوله ان كنتم مؤمنين قيل فيه قولان احدهما من كان مؤمنا فهذا
حكمه والثاني اذ كنتم مؤمنين والاول هو الاقوى ومعنى ذروا اتركوا ولم يستعمل منه وذر ولا واذر لكراهة
الواو مبتداة لانها لم تزد اولا في كلامهم كزيادة اختيها الياء والهمزة قال الخليل اذا التقت واوان في
اول الكلمة اشبه نباح الكلب فرفضوا ذلك الا فيما هو عارض لا يعتد به فاستعملوا يذر لانه لا تظهر فيه الواو
مثل يدع فاما وعد فجاء على الاصل فان قيل لم جاز وصف المبهم بالموصول ولم يحسن بالمضاف فجاز ان يقول
يا ايها الذين امنوا ولم يحسن يا ايها غلام زيد قلنا لان المبهم حقه ان يوصف بالجنس المعرف بالالف واللام
لانه اذا عرض فيه تنكير بطل لدلالته على الجنس فاحتيج الى وصفه بالجنس لذلك فان قيل هلا جاز يا ايها غلام
الرجل كما جاز نعم غلام الرجل اذ المضاف الى الجنس يقوم مقام الجنس قيل لانه لا يجوز في الاسماء التامة ان تكون
ثلثة اسماء بمنزلة اسم واحد منها وقد جعل يا ايها الرجل بمنزلة اسمين ضم احدهما الى الاخر نحو حضرموت ليكون
بذلك اشد اتصالا بالموصوف من ساير الصفات فلم يجز في المضاف لما يجب له من شدة الاتصال وجاز في نعم
لانه على الانفصال **قوله تع** فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ
أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ اية قرأ فآذنوا من الرباعي ممدودة حمزة وعاصم من آذنت اي اعلمت
الباقون فاذنوا والتقدير في قوله فان لم تفعلوا يعني ترك ما بقي من الربا وتجنب ما بقي من الربا لان ما تقدم
دل عليه وقال ابن عباس وقتادة والربيع من عامل بالربا استتابه الامام فان تاب والا قتله وقال البلخي لو
اجتمع اهل قرية على اظهار المعاملة بالربا لكان على الامام محاربتهم وان كانوا محرمين له ولو فعل الواحد
بعد الواحد والاكثر منكر لفعله لم يقتل الواحد لكن يقام عليه من الحكم ما يستحقه وعندنا انه يؤدبه الامام
ثلث مرات بما يرتدع معه عن فعل مثله فان عاد رابعا قتله ومعنى قوله فآذنوا ممدودا اعلموا غيركم ومن
قرأ بالقصر فهو من اذنت به اذنا اذا علمت به وقوله بحرب من الله فالحرب القتال والحرب الشدة والحربة

التي

التي يطعن بها من آلة الحرب والتحريب التحريش لانه حمل على ما هو كالحرب من الاذى والمحراب مقام الامام لانه
كموضع الحرب في شدة التحفظ والحرباء المسمار الذي يجمع حلقتي الدرع والحرباء دويبة اكبر من العظاءة لانه
ينتصب على الشجرة كمصلوب اخذ من الحرب لشدة طلبه للشمس يدور معها كيفما دارت واصل الباب الشدة
و معنى قوله وان تبتم يعني من الربا لان الكلام يدل عليه فلكم رؤس اموالكم لا تظلمون باخذ الزيادة
على راس المال ولا تظلمون بالنقصان وروى في الشواذ لا تظلمون ولا تظلمون والمعنى واحد لان فيه
تقديم وتاخير وموضع لا تظلمون نصب على الحال وتقديره فلكم رؤس اموالكم غير ظالمين ولا مظلومين
قوله تع وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ
معنى قوله وان كان ذو عسرة اي من غرمائكم ان كان معسرا وارتفع ذو عسرة لاحد وجهين احدهما
حذف الخبر وتقديره وان كان ذو عسرة غريما لكم الثاني ان تكون كانت التامة المكتفية باسمها وتقديره
وان وقع ذو عسرة او وجد ذو عسرة وكان يجوز وان كان ذا عسرة على تقدير وان كان الذي عليه الدين
ذا عسرة وروى ذلك في قراءة ابي **و** قوله فنظرة معناه فعليكم نظرة وهل الانظار واجب في كل دين او في
دين الربا فقط قيل فيه ثلثة اقوال اولها قال شريح وابرهيم في دين الربا خاصة وقال ابن عباس والضحاك
والحسن في كل دين وهو قول ابي جعفر وابي عبد الله ع الثالث الاية يجب في دين الربا وبالقياس في كل دين
واستدل على انه يجب في كل دين بانه لا يخلو ان يجب في ذمته او في رقبته او عين ماله فلو كان في رقبته لكان
اذا مات بطل وجوبه ولو كان في عين ماله لكان اذا هلك بطل وجوبه فصح انه في ذمته ولا سبيل له عليه في
غيره لك من حيث لو نحوه وقرأ نافع ميسرة بضم السين الباقون بفتحها وهما لغتان ومعناه الى ان يوسع
عليه وقال ابو جعفر ع الى ان يبلغ خبره الامام فيقضي عنه من سهم الغارمين اذا كان انفقه في معروف
و قوله وان تصدقوا خير لكم معناه على المعسر بما عليه من الدين خير لكم وقيل ان معناه وان تصدقوا
بجميع المال على الفقراء والاول اليق بما تقدم وروى عن ابن عباس وعمر ان اخر ما نزل من القران آي الربا
وروى عن مجاهد ميسره بالهاء في الوصل مضافا الى الهاء ولم يجز ذلك البصريون لانه ليس في الكلام مفعل
والاعسار الذي يجب فيه الانظار قال الجبائي التعذر بالاعدام او بكساد المتاع ونحوه وروى عن ابي
عبد الله ع هو اذا لم يقدر على ما يفضل عن قوته وقوت عياله على الاقتصاد وروى عن عطا فناظره
وهو شاذ وهو مصدر نحو قوله ليس لوقعتها كاذبة وتظن ان يفعل بها فاقرة وكذلك العاقبة
قوله تع وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ اية واحدة
قرأ ابو عمرو وحده ترجعون بفتح التاء والباقون بضمها قال ابن عباس وعطية والسدي هذه الاية اخر
ما نزل من القران وقال جبرئيل ع ضعها في راس الثمانين والمائتين من البقرة وقيل في معنى ترجعون فيه الى
الله قولان احدهما ترجعون فيه الى جزاء الله الثاني ترجعون فيه الى ملك الله لنفعكم وضركم دون غيره
ممن كان ملككم اياه في دار الدنيا وقوله ثم توفى كل نفس ما كسبت قيل فيه وجهان احدهما توفى جزاء ما كسبت
من الاعمال الثاني توفى بما كسبت من الثواب والعقاب لان الكسب على وجهين كسب العبد لفعله وكسبه لما ليس
من فعله ككسبه المال **و** قوله وهم لا يظلمون معناه لا ينقصون ما يستحقونه من الثواب ولا يزاد عليهم فيما
يستحقونه من العقاب والاية تدل على ان الجزاء لا يكون الا على الكسب لانه لو كان خاصا لجرى مجرى توفى كل
نفس ما قالت وليس معنيه كذلك لانه عام فيما يجازى به العبد وموضع ثم توفى كل نفس ما كسبت نصب بانه
عطف على صفة يوما الا انه حذف منه فيه لدلالة الاول عليه **قوله تع** يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ
بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ
وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا
أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ
لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى

ولا

وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْأَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَى أَجَلِهِ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ
اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَى أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ
جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ
وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ آية واحدة قرأ حمزة وحده ان تضل احداهما بكسر الالف
الباقون بفتحها وقرأ ابن كثير وابو عمرو فتذكر بالتخفيف والنصب وقرأ حمزة بالتشديد والرفع وقرأ تجارة
حاضرة بالنصب عاصم الباقون بالرفع قوله اذا تداينتم معناه تعاملتم بدين وانما قال بدين وان كان تداينتم
افادة لامرين احدهما انه على وجه التاكيد كما تقول ضربته ضربا والثانى ان تداينتم يكون بمعنى تجازيتم من
الدين الذى هو الجزاء فاذا قال بدين اختص بالدين خاصة الى اجل مسمى معناه معلوم و قوله فاكتبوه
ظاهره الامر بالكتابة واختلفوا فى مقتضاه فقال ابو سعيد الخدرى والشعبى والحسن هو مندوب اليه وقال
الربيع وكعب هو على الفرض والاول اصح لاجماع اهل عصرنا على ذلك ولقوله تعالى فان امن بعضكم بعضا فليؤد
الذى اؤتمن امانته ومفهوم فان امنه فيما الدين يامنه وقال ابن عباس هذه الاية فى السلم خاصة وقال غيره
حكمها فى كل دين من سلم او تاخير ثمن فى بيع وهو الاقوى لاية العموم فاما القرض فلا مدخل له فيه لانه
لا يجوز مؤجلا و قوله ولا ياب كاتب ظاهره النهى عن الامتناع من الكتابة والنهى يقتضى تحريم الامتناع
وقال عامر الشعبى هو فرض على الكفاية كالجهاد وهو اختيار الرمانى والجبائى وجوز الجبائى ان ياخذ
الكاتب والشاهد الاجرة على ذلك وعندنا لا يجوز ذلك والورق الذى يكتب فيه على صاحب الدين دون
من عليه الدين ويكون الكتاب فى يده لانه له وقال السدى واجب على الكاتب فى حال فراغه وقال مجاهد و
عطا هو واجب وقال الضحاك نسخها قوله ولا يضار كاتب ولا شهيد و قوله ان يكتب كما علمه الله فليكتب
يعنى الكاتب وليملل الذى عليه الحق امر لمن عليه الحق بالاملال وهو والاملاء بمعنى تقول امليت عليه
واملات عليه بمعنى واحد و قوله وليتق الله ربه معناه لا يملل الا الحق الذى عليه والاملال المراد
به الندب لانه لو املا غيره واشهد هو كان جايزا بلا خلاف و قوله ولا يبخس منه شيئا اى لا ينقص منه
شيئا والبخس النقص ظلما وقد بخسه حقه يبخسه بخسا اذا نقصه ظلما ومنه قوله تعالى ولا تبخسوا الناس
اشياءهم اى لا تنقصوهم ظالمين لهم ومنه قوله وشروه بثمن بخس اى ناقص عن حقه والبخس فقء العين لانه
ادخال نقص على صاحبها وتباخس القوم فى البيع اذا تغابنوا و قوله فان كان الذى عليه الحق سفيها
قال مجاهد السفيه الجاهل وقال السدى الصغير واصل السفه الخفة من ذلك قول الشاعر
مشين كما اهتزت رماح تسفهت اعاليها مر الرياح النواسم اى استخفتها الرياح وقال الشاعر
نخاف ان يسفه احلامنا فيجهل الدهر مع الحالم اى تخف احلامنا فالسفيه الجاهل لانه خفيف
العقل بنقصه و قوله او ضعيفا قال مجاهد والشعبى هو الاحمق وقال الطبرى هو العاجز عن الاملاء
بالعى او بالخرس او لا يستطيع ان يمل قال ابن عباس هو العى الاخرس وقيل المجنون والهاء فى قوله وليه
عايدة الى السفيه فى قول الضحاك وابن زيد الذى يقوم مقامه وقال الربيع ترجع الى ولى الحق والاول
اقوى واذا اشهد الولى على نفسه فلا يلزمه المال فى ذمته بل يلزم ذلك فى مال المولى عليه و قوله و
استشهدوا شهيدين من رجالكم يعنى من رجالكم الاحرار المسلمين دون الكفار والعبيد فى قول مجاهد و
الحرية ليست عندنا شرطا فى قبول الشهادة وانما الاسلام شرط مع العدالة وبه قال شريح والبتى وابو
ثور ومثله قوله وانكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم و قوله فان لم يكونا رجلين فرجل
وامراتان يحتمل رفعه امرين احدهما فليكن رجل وامراتان الثانى فليشهد رجل وامراتان الثالث
فالشاهد رجل وامراتان الرابع فرجل وامراتان يشهدون وكل ذلك حسن وكان يجوز ان ينصب رجلا
وامراتين بمعنى واستشهدوا رجلا وامراتين و قوله ان تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى يحتمل
وجهين احدهما قال الربيع والسدى والضحاك واكثر المفسرين انه من الذكر الذى هو ضد النسيان

وقال

وقال سفيان بن عيينة هو من الذكر ومعناه ان تجعلها كذكر من الرجال ومعنى ان تضل لان تضل ومن
اجل ان فان قال لم قال ان تضل وانما الاشهاد للاذكار لا للضلال قيل عنه جوابان احدهما قال سيبويه
انه لما كان الضلال سبب الاذكار قدم لذلك وجاز لتعلق كل واحد منهما بالاخر فى حكم واحد فصار
بمنزلته ما وقع الاشهاد للمراتين من اجل الضلال كما وقع من اجل الاذكار وكثير ا فى السبب والمسبب ان
يحمل كل واحد منهما على الاخر ومثله اعددت الخشبة ان يميل الحائط فادعمه وانما اعددته فى الحقيقة للدعم
ولكن حمل عليه الميل لانه سببه الثانى قال الفراء انه بمعنى الجزاء على ان تذكر احداهما الاخرى ان ضلت لانه
لما قدمت ان اتصلت بما قبلها من العامل فانفتحت ومثله يعجبنى ان سال السائل فيعطى وانما يعجبك الاعطاء
دون المسئلة ومثله قوله ولولا ان تصيبهم مصيبة بما قدمت ايديهم فيقولوا ربنا ومعناه ولولا ان يقولوا
ان اصابتهم مصيبة وانما قدم واخر قال الرمانى قول سيبويه فى هذا اقوى لما فى الثانى من الدعوى
لاخراج الجزاء الى المصدر لغير فائدة وانكر بعضهم قراءة حمزة إن تضل بكسر الهمزة وقال الرمانى لا معنى
لهذا الانكار لان عليها اجماع الامة وتسليم القراءة بها ولها وجه صحيح فى العربية وقال ابو على الفارسى
ان حمزة جعل ان للجزاء والفاء فى قوله فتذكر جواب الجزاء ويكون موضع وجوابه رفعا بكونهما وصفا
للمنكورين وهما المراتان فى الآية و قوله فرجل وامراتان خبر ابتداء محذوف وتقديره فمن يشهد رجل
وامراتان وانفتحت اللام فى هذه القراءة لالتقاء الساكنين وموضعها الجزم ولو كسرت لكان جائزا
وقال قوم غلط سفيان بن عيينة فى تاويله لان احدهما اذا نسيت لم يجعلها الاخرى ذكرا وهذا ليس بشئ
لان المعنى تذكرها تصير معها بمنزلة الذكر لان بعدهما من النسيان اذا اجتمعا بمنزلة بعد الذكر فان
قيل فلم قال فتذكر احداهما الاخرى فكرر لفظ احداهما ولو قال فتذكرها الاخرى لقام مقامه مع
اختصاره قيل قال الحسين بن على المغربى ان تضل احداهما يعنى احدى الشهادتين اى تضيع بالنسيان
فتذكر احدى المراتين الاخرى لئلا يتكرر لفظ احداهما بلا معنى يؤيد ذلك انه يسمى ناسى الشهادة
ضالا ويجوز ان يقال ضلت الشهادة اذا ضاعت كما قال تعالى قالوا ضلوا عنا اى ضاعوا منا ويحتمل
ان يكون انما كرر لئلا يفصل بين الفعل والفاعل بالمفعول فان ذلك مكروه غير جيد فعلى هذا يكون
احداهما الفاعلة والاخرى مفعولا بها و قوله ولا ياب الشهداء اذا ما دعوا قيل فى معنى ما دعوا اليه
ثلثة اقوال احدها لاثبات الشهادة فى الكتاب وتحملها ذهب اليه ابن عباس وقتادة والربيع الثانى قال
مجاهد وعامر وعطا ذلك اذا دعوا لاقامتها الثالث فى رواية عن ابن عباس والحسن وابى عبد الله ع
لاقامتها واثباتها وهو اعم فائدة وقال الطبرى لا يجوز الا اذا دعوا لاقامتها لانه قبل ان يشهدوا
لا يوصفون بانهم شهداء وهذا باطل لانه تعالى قال واستشهدوا شهيدين من رجالكم فسماهما شاهدين
قبل اقامة الشهادة و قوله ولا تساموا ان تكتبوه صغيرا او كبيرا الى اجله فالسام الملل سئم يسام
ساما اذا مل من الشئ وضجر منه قال زهير سئمت تكاليف الحياة ومن يعش ثمانين حولا لا ابا لك
يسام والصغير خلاف الكبير صغر الشئ يصغر صغرا وصغره تصغيرا واستصغره استصغارا وتصاغر
تصاغرا وصغر يصغر صغرا وصغارا اذا رضى بالضيم لانه رضى باستصغاره وتصاغرت اليه نفسه ذلا
ومهانة والاصغار حنين الناقة الخفيض والاكبار حنينها الكبير والهاء فى قوله اجله يحتمل ان يكون
عايدة الى اجل الدين وهو الاقوى والثانى الى اجل الشاهد اى الوقت الذى تجوز فيه الشهادة
و قوله ذلكم اقسط عند الله معناه اعدل والقسط العدل تقول اقسط اقساطا فهو مقسط اذا عدل
ومنه قوله ان الله يحب المقسطين والقسط الحصة تقول اخذ فلان قسطه اى حصته وقد تقسطوا
الشئ بينهم اى قسموه على القسط اى على العدل وكل مقدار وقسط لانه عدل غيره بالمساواة له و
القسوط الجور لانه عدول عن الحق قسط يقسط قسوطا فهو قاسط اذا جار عن الحق و قوله تعالى واما
القاسطون فكانوا لجهنم حطبا والرجل القسطاء التى فى ساقها اعوجاج لعدوله عن الاستقامة و قوله

واقوم

واقوم للشهادة معناه اصح لها مأخوذ من الاستقامة وقوله وادنى الا ترتابوا اى اقرب الا تشكوا بان ينكر من عليه الحق وقيل بالا ترتابوا بالشاهد ان يضل ﴿و﴾ قوله الا ان تكون تجارة حاضرة فمن رفع احتمل رفعه امرين احدهما ان تكون كان تامة بمعنى وقع فيكون اسم كان ويحتمل ان يكون ناقصة ويكون اسمها والخبر تديرونها ومن نصبه معناه ان تكون التبايع تجارة او التجارة تجارة ﴿و﴾ قوله واشهدوا اذا تبايعتم قال الضحاك الاشهاد فرض فى التبايع وبه قال اصحاب الظاهر واختاره الطبرى وقال الحسن والشعبى هو ندب وهو الصحيح وبه قال جميع الفقهاء وقوله ولا يضار اصله يضارر بكسر الراء عند الحسن وقتادة وعطاء وابن زيد وقيل المضارة هو ان يشهد الشاهد بما لم يستشهد فيه ويكتب الكاتب بما لم يمل عليه ذهب اليه الحسن وطاوس وهو الاقوى بدلالة قوله وان تفعلوا يعنى المضارة فانه فسوق بكم اى معصية فى قول ابن عباس ومجاهد والضحاك ومن ردها الشاهد وهو مشغول فانه لا يكون فاسقا بلا خلاف وقال ابن مسعود ومجاهد بفتح الراء ومعناه لا يدعى الكاتب والشاهد وهو مشغول على وجه الاضرار به ومعنى قوله صغيرا او كبيرا معناه هو فى العادة صغير جرت العادة بكتب مثله ولا يريد بذلك ما قدره حبة او قيراط لان ذلك لم تجر العادة بكتب مثله والاشهاد عليه وليس فى الاية ما يدل على انه لا يجوز الحكم بالشاهد واليمين لان الحكم بالشاهد والمرأتين او بالشاهدين لا يمنع من قيام الدلالة على وجوب الحكم بالشاهد مع اليمين ولا يكون ذلك نسخا لذلك لانه وليس بمناف للمذكور فى الاية والحكم بالشاهد والمرأتين تختص بما يكون مالا او المقصود به المال فاما الحدود التى هى حق الله وحقوق الادميين وما يوجب القصاص فلا يحكم فيها بشهادة رجل وامرأتين وكذلك عندنا فى الشاهد واليمين حكم الشاهد والمرأتين سواء وقد بسطنا مسائل الشهادات وفروعها وما يقبل منها وما لا يقبل واحكام شهادة النساء والعبيد وغير ذلك فى كتابنا النهاية والمبسوط فلا معنى للتطويل بذكرها ههنا ﴿و﴾ قوله واتقوا الله معناه اتقوا معاصيه وعقابه وقوله ويعلمكم الله معناه يعلمكم ما فيه صلاح دينكم ودنياكم وما ينبغى لكم فعله وما يحرم عليكم والله عليم بذلك وبما سواه من المعلومات فلذلك قال بكل شئ عليم وقال ابو على الفارسى ان تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى لا يكون متعلقا بقوله واستشهدوا شهيدين من رجالكم ان تضل احداهما ولكن يتعلق ان بفعل مضمر دل عليه هذا الكلام لان قوله فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان يدل على قولك واستشهدوا رجلا وامرأتين متعلق ان انما هو بهذا الفعل المدلول عليه قال ويجوز ان يتعلق ان باحد ثلثة اشياء احدها المضمر الذى دل عليه قوله واستشهدوا شهيدين الثانى الفعل الذى هو فليشهد رجل وامرأتان الثالث الفعل الذى هو خبر المبتداء وتقديره فرجل وامرأتان يشهدون فيكون يشهدون خبر المبتداء قال وقوله ممن ترضون من الشهداء فيه ذكر يعود الى الموصوفين الذين هم فرجل وامرأتان ولا يجوز ان يكون فيه ذكر لشهيدين المتقدم ذكرهما لاختلاف اعراب الموصوفين الا ترى ان شهيدين منصوبان ورجل وامرأتان اعرابهم الرفع فاذا كان كذلك علمت ان الوصف الذى هو ظرف انما هو وصف لقوله فرجل وامرأتان دون من تقدم ذكرهما من الشاهدين والشرط وجزاؤه وصف للمرأتين لان الشرط والجزاء جملة يوصف بها كما يوصل بها فى قوله الذين ان مكناهم الاية واما احدى فهو مؤنث الواحد والواحد الذى مؤنثه احدى انما هو اسم وليس يوصف ولذلك جاء احدى على بناء لا يكون للصفات ابدا كما كان الذى هو مذكره كذلك وقال احمد بن يحيى قالوا هو احدى الاحد وواحد الاحدين وواحد الاحاد وانشد عدونى الثعلب فيما عددوا حتى استثاروا بى احدى الاحد ليثا هزبرا ذا سلاح معتدى ﴿و﴾ قوله الا ان تكون تجارة حاضرة استثناء من جملة ما امر الله بكتابته والاشهاد عليه عند التبايع فاستثنى منه يدا بيد فانه لا يحتاج الى الكتابة ولا الاشهاد عليه والاول يحتاج اليه على خلاف فى كونه ندبا او وجوبا ذكرناه وقيل فى البقرة خمسمائة حكم وفى هذه الاية اربعة عشر حكما اولها قوله يا ايها الذين امنوا اذا تداينتم بدين الى اجل مسمى فاكتبوه والثانى وليكتب بينكم كاتب بالعدل الثالث ولا يأب كاتب ان يكتب

كما علمه الله والرابع وليملل الذى عليه الحق وهو اقراره اذا املاه الخامس وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيئا اى لا يخون ولا ينقصه السادس فان كان الذى عليه الحق سفيها او ضعيفا او لا يستطيع ان يمل هو اى لا يحسن فليملل وليه بالعدل السابع واستشهدوا شهيدين من رجالكم والثامن فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء ان تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى التاسع ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا والعاشر ولا تسأموا ان تكتبوه صغيرا او كبيرا الى اجله اى لا تضجروا والحادى عشر ذلكم اقسط عند الله واقوم للشهادة وادنى الا ترتابوا الا ان تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح الا تكتبوها الثانى عشر واشهدوا اذا تبايعتم الثالث عشر ولا يضار كاتب ولا شهيد الرابع عشر وان تفعلوا فانه فسوق بكم وقال قوم فيها احد وعشرون حكما اذا تداينتم حكم فاكتبوه حكم ولا يبخس حكم فان كان الذى عليه الحق سفيها حكم او ضعيفا حكم او لا يستطيع حكم فليملل وليه حكم بالعدل حكم واستشهدوا شهيدين حكم فرجل وامرأتان حكم ممن ترضون من الشهداء حكم ولا يأب الشهداء حكم ولا تسأموا حكم الا ان تكون تجارة حاضرة حكم واشهدوا اذا تبايعتم حكم ولا يضار كاتب حكم ولا شهيد حكم ﴿قوله تعالى﴾

وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ

اية بلا خلاف قرأ ابو عمرو وابن كثير فرهن على وزن فعل الباقون فرهان على فعال الرهن مصدر رهنت الشئ ارهنه رهنا وارهنته ارهانا والاول افصح قال الشاعر فى ارهنت

فلما خشيت اظافيره ... نجوت وارهنته مالكا

وقال الازهرى ارهنت فى الشئ اذا سلفت فيه قال الشاعر

عيدية ارهنت فيها الدنانير

وارهنته اربهانا وتراهنوا تراهنا وراهنه مراهنة واسترهنه استرهانا والانسان رهين عمله وكل شئ يحتبس غيره فهو رهينة ومرتهنه واصل الباب الرهن حبس الشئ بما عليه وواحد الرهن رهان وهو جمع الجمع نحو ثمار وثمر فى قول الكسائى والفراء وقال ابو عبيدة واحده رهن نحو سقف وسقف وقيل لا يعرف فى الاسماء فعل وفعل غير هذين وزاد بعضهم قلب النخلة وقلب فاما رهان فهو جمع رهن وهو على القياس نحو حبل وحبال وفعل وفعال وكبش وكباش وانما اختار ابو عمرو فرهن لانه موافق لخط المصحف ولغلبة الاستعمال فى الرهان فى الخيل واختاره الزجاج ايضا ومن اختار رهان فلاطراده فى باب الجمع وكل حسن وارتفع فرهن بانه خبر ابتداء محذوف تقديره فالوثيقة رهن ويجوز فعليه رهن ولو قرئ فرهنا بالنصب بمعنى فارهنوا رهنا جاز فى العربية ولكن لم يقرأ به احد وشاهد الرهن قول قعنب بن ام صاحب

بانت سعاد وامسى دونها عدن ... وغلقت عندها من قبلك الرهن

ومن شرط صحة الرهن ان يكون مقبوضا لقوله فرهان مقبوضة فان لم يقبض لم ينعقد الرهن ومسائل الرهن ذكرناها فى النهاية والمبسوط مستوفاة فلا فائدة للتطويل بذكرها ههنا ويجوز اخذ الرهن فى الحضر مع وجود الكاتب لما روى ان النبى صلى الله عليه واله اشترى طعاما نساء وارهن فيه درعا وقوله عليه السلام لا يغلق الرهن معناه ان يقول الراهن ان جئتك بفكاكه الى شهر والا فهو لك بالدين وهذا باطل بلا خلاف ﴿و﴾ قوله ولا تكتموا الشهادة يعنى بعد تحملها ومن يكتمها فانه اثم قلبه انما اضاف الى القلب مجازا لانه محل الكتمان والا فالاثم هو الحى وقوله فان امن بعضكم بعضا معناه ان ائتمنه فلم يقبض منه رهنا فليؤد الذى اؤتمن امانته يعنى الذى عليه الدين وليتق الله ربه ان يظلمه او يخونه والله بما تعملون عليم بما تسرونه وتكتمونه ودل قوله فان امن بعضكم بعضا على ان الاشهاد والكتابة فى المداينة ليس بواجب وانما هو على جهة الاحتياط وقد روى عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما فان لم تجدوا كتابا يعنى ما تكتبون فيه من طرس او غيره والمشهور هو الاول الذى حكيناه عن قراء اهل الامصار وحكى عن بعضهم انه قرأ فانه اثم قلبه بالنصب فان صح فهو من قولهم سفهت نفسك واثمت قلبك ﴿قوله تعالى﴾

لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ

وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ آية واحدة بلا خلاف قرأ فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء بالرفع عاصم وابن عامر على الاستيناف في قول المبرد ويجوز ان يكون محمولا على تاويل يحاسبكم لانه لو دخلته الفاء كان رفعا فيكون فيه على هذا معنى الجواب وقرأ الباقون على الجزم عطفا على يحاسبكم وهو جواب الشرط وكان يجوز ان يقرأ فيغفر بالنصب على مصدر الفعل الاول وتقديره ان يكن محاسبة فيغفر لمن يشاء وروى ذلك عن ابن عباس واللام في قوله لله لام الملك ومعناه ان لله تصريف السموات والارض وتدبيرهما لقدرته على ذلك وليس لاحد منعه منه وانما ذكر قوله وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه لان المعنى فيه كتمان الشهادة و يحتمل ان يريد جميع الاحكام التي تقدمت في السورة خوفهم الله من العمل بخلافها وقال قوم هذه الآية منسوخة بقوله لا يكلف الله نفسا الا وسعها ورووا في ذلك خبرا ضعيفا وهذا لا يجوز لامرين احدهما ان الاخبار التي لا تتضمن معنى الامر والنهي والاباحة لا يجوز نسخها وهذا خبر محض خال من ذلك الثاني لا يجوز تكليف نفس ما ليس في وسعها على وجه فينسخ ويجوز ان تكون الآية الثانية بينت الاولى وازالت توهم من صرف ذلك الى غير وجهه فلم يضبط الرواية فيه وظن ان ما يخطر للنفس وتحدث نفسه به مما لا يتعلق بتكليفه فان الله يؤاخذه به والامر بخلاف ذلك وانما المراد بالآية ما بيناه ولها الامر والنهي من الاعتقادات والارادات وغير ذلك مما هو مستور عنا فاما ما لا يدخل في التكليف فخارج عنه لدلالة العقل ولقوله تجوز لهذه الامة عن نسيانها وما حدثت به انفسها وقوله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء معناه ممن يستحق العقاب بانه ان شاء عاقبه وان شاء عفا عنه وذلك يقوي جواز العفو عقلا وانما يقطع على عقاب بعض العصاة الدليل وهم الكفار عندنا فاما من عداهم فلا دليل يقطع به على انهم معاقبون لا محالة والآيات التي يستدلون بها نبين الوجه فيها اذا انتهينا اليها ان شاء الله **قوله تعالى** آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ آية قرأ حمزة والكسائي وخلف وكتابه الباقون وكتبه على الجمع فمن وحد احتمل وجهين احدهما ان يكون اراد به القرآن لا غير والثاني ان يكون اراد جنس الكتاب فيوافق قراءة من قرأ على الجمع في المعنى وقرأ يعقوب لا يفرق بالياء ردا على الرسول وحسب الباقون بالنون ردا على الرسول والمؤمنين وهذا اليق بسياق الآية وقوله لا نفرق بين احد من رسله معناه يقولون ذلك على الحكاية كما قال والملائكة باسطوا ايديهم اخرجوا اي يقولون اخرجوا والمعنى انا لا نؤمن ببعضهم ونكفر ببعض كما فعل اليهود والنصارى وقوله سمعنا واطعنا تقديره سمعنا قوله واطعنا امره وقبلنا ما سمعنا لان من لا يقبل ما يسمع يقال له اصم كما قال تعالى صم بكم عمي فهم لا يعقلون وانما حذف لدلالة الكلام عليه لانهم مدحوا به وكان اعترافا منهم بما يلزمهم مثل ما قبله وقوله غفرانك نصب على انه نزل من الفعل الماخوذ منه كانه قيل اللهم اغفر لنا غفرانك فاستغنى بالمصدر عن الفعل في الدعاء فصار بدلا منه معاقبا له وقال بعضهم معناه نسألك غفرانك والاول اقوى لانه على الفعل الذي اخذ منه اولى من حيث كان يدل عليه بالتضمين نحو حمدا وشكرا اي احمد حمدا و اشكر شكرا واجاز الزجاج والفراء غفرانك بالرفع بمعنى غفرانك بغيتنا وانشد الزجاج

ومن يغترب عن قومه لا يزل يرى   مصارع مظلوم مجرا ومسحبا
وتدفن منه الصالحات وان يسئ   يكن ما اساء النار في راس كبكبا

وقوله واليك المصير معناه والى جزائك المصير فجعل مصيرهم الى جزائه مصيرا اليه كقول ابراهيم اني ذاهب الى ربي سيهدين ومعناه الى ثواب ربي او الى ما امرني به ربي **قوله تعالى** لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ آية في هذه الآية دلالة واضحة على بطلان مذهب المجبرة في تجويزهم تكليف الله العبد ما لا يطيقه لانه صريح بانه لا يكلفهم الا ما يطيقونه لان الوسع هو ما يتسع به قدرة الانسان وهو فوق المجهود واستفراغ القدرة يقول القائل ليس هذا في وسعي اي لا اقدر

عليه وان قدرتي لا تتسع لذلك ومن قال معناه لا يكلف الله نفسا الا ما يحل لها من قولهم لا يسعك هذا اي لا يحل لك ان تفعله كان ذلك خطأ لانه لو قال لعبده انا لا آمرك الا بما اطلقت لك ان تفعله كان ذلك خطأ وعيا لان نفس امره اطلاق وكانه قال انا لا اطلق لك الا ما اطلق ولا آمرك الا بما آمرك وقوله لها ما كسبت معناه لها ثواب ما كسبت من الطاعات وعليها جزاء ما كسبت من المعاصي والقبائح ويجوز ايضا ان يسمي الثواب والعقاب كسبا من حيث حصلا بكسبه وقوله لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطأنا انما جاز الرغبة اليه تعالى في ذلك وان علمنا انه لا يؤاخذ بذلك ولم يجز ان يقول لا تجر علينا لامرين احدهما ان قوله لا تجر علينا يدل على تسخط الداعي وليس كذلك لا تؤاخذنا ان نسينا لان الانسان قد يتعرض للنسيان فيقع منه الفعل الذي فيه جناية على النفس ويحسن الاعتذار بالنسيان فيجري الدعاء مجرى الاعتذار اذا قال العبد لسيده لا تؤاخذني بكذا فاني نسيته فليحسن الاعتذار وحسن الدعاء به والثاني ان نسينا بمعنى تركنا لشبهة دخلت علينا والنسيان بمعنى الترك معروف نحو قوله نسوا الله فنسيهم اي تركوا عبادته فترك ثوابهم وقال الجبائي معناه ما تركناه لخطاء في التاويل واعتقدنا صحته لشبهة وهو فاسد فاما لا تجر علينا فلا يقال الا لمن اعتيد منه الجور ولا يجوز ان يؤاخذ احدا بما نسيه عند اكثر اهل العدل الا ما يحكى عن جعفر بن مبشر من ان الله تعالى يؤاخذ الانبياء بما يفعلونه من الصغاير على وجه السهو والنسيان لعظم اقدارهم وقال كان يجوز ان يؤاخذ الله العبد بما يفعله ناسيا او ساهيا ولكن تفضل بالعفو في قوله لا يكلف الله نفسا الا وسعها ذكر ذلك البلخي وهذا غلط لانه كما لم يجز تكليف فعله ولا تركه لم يجز ان يؤاخذ به ولا تشبه ذلك المتولد الذي لا يصح تكليفه بعد وجود سببه لانه يجوز ان يتمه بان يتعمد سببه وليس كذلك ما يفعله على جهة السهو والنسيان وقوله ولا تحمل علينا اصرا قيل في معنى الاصر قولان احدهما لا تحمل علينا عهدا فنعجز عن القيام به ذهب اليه ابن عباس وقتادة و مجاهد الثاني قال الربيع ومالك معناه لا تحمل علينا ثقلا والاصر في اللغة الثقل قال النابغة

يا مانع الضيم ان يغشى سراتهم   والحامل الاصر عنهم بعدما غرقوا

وكلما عطفك على شيء فهو اصر من عهد او رحم وجمعه آصار تقول اصره ياصره اصرا والاسم الاصر قال الحطيئة

عطفوا علي بغير آصرة   فقد عظم الاواصر

وقال النابغة

يا بن الحواضن والحاضنات   اتنقض اصرك حالا فحالا

اي عهدك والايصر حبيل قصير يشد به   في اسفل الخباء الى وتد لانه يعطف به والآصرة صلة الرحم للعطف بها و الماصر حبل على طريق او نهر تحبس به السفن او السابلة لتؤخذ منهم العشور وكل آصر اي حبس من ينتهي اليه لكثرته والاصار كساء يحتش فيه لانه يعطف فيه الحشيش واصل الباب العطف والاصر الثقل لانه يعطف حامله بثقله عليه وقوله لا تحملنا ما لا طاقة لنا به قيل فيه قولان احدهما ما يثقل علينا من نحو ما كلف بني اسرائيل من قتل انفسهم وبتيه اربعين سنة وغير ذلك كما يقول القائل لا اطيق النظر الى فلان ولا اسمع كلامه الثاني ما لا طاقة لنا به من العذاب في دار الدنيا وقوله انت مولانا معناه انت ولينا اي اولى بالتصرف فينا و قال الحسن هذا على وجه التعليم للدعاء ومعناه قولوا ربنا لا تؤاخذنا والثاني انه على وجه الحكاية اي يقولون ربنا والفرق بين اخطأ وخطئ ان اخطأ قد يكون على وجه الاثم وغير الاثم فاما خطئ فاثم لا غير قال الشاعر

والناس يلحون الامير اذا هم   خطئوا الصواب ولا يلام المرشد

سورة آل عمران مائتا آية في الكوفي

روى عن ابن عباس وقتادة ومجاهد وجميع المفسرين ان هذه السورة مدنية وقيل ان من اولها الى راس نيف وستين آية نزلت في قصة وفد نجران لما جاؤوا يحاجون النبي صلى الله عليه وآله في قول ابن اسحاق والربيع بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ الٓمٓ اللهُ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ آيتان في الكوفي وآية واحدة فيما عداه وقرأ ابو جعفر والاعشى والبرجمي الم بسكون الميم الله بقطع الهمزة وقرأ عمر بن الخطاب الحي القيام وهي لغة اهل الحجاز ويقولون في الصواغ صياغ الباقون قيوم وانما فتحت الميم من الم الله لاحد امرين احدهما استثقالا للكسر بعد

الياء الساكنة فصرفها الى الفتح لانه اخف كما فعلوا فى كيف واين وقال الزجاج والفرّاء التى عليها حركة الهمزة وهى الفتحة من قولك الله وقال المبرّد هذا لا يجوز لانها الف وصل تسقط فى الدرج فلا يجوز ذلك كما لا يجوز فى ان الكافرون الفتح على القاء حركة الهمزة قال الفراء والفرق بين ذلك وبين الهجاء انه لما كان ينوى به الوقف قوى بما بعده الاستيناف فكانت الهمزة فى حكم الثبات كما كانت فى انصاف البيوت نحو قول الشاعر ولا يبادر فى الشتاء وليدنا   القدر ينزلها بغير جعال   واجاز الاخفش الكسر وخالفه الزجاج وقال لا يجوز لان قبل الهمزة ياء ساكنة قبلها كسرة فلم يجز غير الفتح كما لا يجوز فى كيف ويمكن الفرق بينهما بان كيف موصولة وهذا مفصول لجاز ان ينوى به الوقف وقد بيّنا معنى الله وهو انه الذى تحق له العبادة وقوله لا اله الا هو معناه لا تحق العبادة سواه وانما كان كذلك لانه الذى يقدر على اصول النعم التى يستحق بها العبادة ولان نعمة كل منعم فرع على نعمه فصار لا تحق العبادة سواه والحى هو الذى لا يستحيل لما هو عليه من الصفة كونه عالما قادرا قال الرمّانى والعالم مدرك لمعلومه والمدرك هو المتبين للشئ على ما هو به من اىّ وجه صح تبينه فالرائى مدرك وكذلك العالم الا انه قد كثرت صفة الادراك على ما طريقه الاحساس من العباد وهذا القول منه يدل على انه كان يذهب مذهب البغداديّين فى ان وصف القديم بانه مدرك يرجع الى كونه عالما من ان يكون له صفة زايدة وهذا بخلاف مذهب شيخنا اى علىّ والبصريّين والقيّوم قيل فى معناه قولان احدهما القائم بتدبير عباده فيما يضرهم وينفعهم وهو قول مجاهد والربيع والزجاج بدلالة قوله قائما بالقسط وقائم على كل نفس بما كسبت الثانى حكى عن محمد بن جعفر بن الزبير واختاره الجبائى انه الدائم واصل الوصف بقيوم الاستقامة فعلى قول مجاهد يكون لاستقامة التدبير وعلى القول الآخر لاستقامة الصفة بالوجود من حيث لا يجوز عليه التغيير بوجه من الوجوه كما يجوز على ما يحوّل ويبدّل وتقول هذا معنى قائم فى النفس اى موجود على الاستقامة دون الاضطراب واصل قيّوم قيووم على وزن فيعول فقلبت الواو الاولى ياء لان ما قبلها ياء ساكنة وادغمت نحو سيّد وميّت ولا يجوز ان يكون وزنه فعولا لانه لو كان كذلك لكان قووما فوصف الله تعـ بالحى القيوم يتضمن انه يستحق العبادة من حيث ان هذه الصفة دلّت على انه القادر على ما يستحق به العبادة دون غيره لان صفة قيّوم صفة مبالغة لا تجوز الا لله على المعنيين معا من معنى الموجود او عموم الخلق بالتدبير **قوله تعـ** نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ اية قيل فى معنى قوله نزل عليك الكتاب بالحق وجهان احدهما بالصدق فى اخباره وجميع لالاته التى تقوم مقام الخبر فى تعلقها بمدلولها على ما هو به ففى جميع ذلك معنى التصديق والثانى بالحق اى بما توجبه الحكمة من الانزال كما اتى بما يوجبه الحكم من الارسال وهو حق من الوجهين و قوله مصدقا لما بين يديه نصب على الحال ومعناه لما قبله من كتاب ورسول فى قول مجاهد وقتادة والربيع وجميع المفسرين وانما قيل لما قبله لما بين يديه لانه ظاهر له كظهوره لما بين يديه وذلك لموافقته ما تقدم الخبر به وقيل فى معنى مصدّقا ههنا قولان احدهما مصدّقا لما بين يديه وذلك لموافقته ما تقدم الخبر به وفيه اية تدل على صحة نبوة النبى صلعم من حيث لا يكون ذلك الا من عند علام الغيوب الثانى مصدّقا انه يخبر بصدق الانبياء فيما اتوا به خلاف من يؤمن ببعض ويكفر ببعض والتورية ماخوذة من قولهم ورى الزند يرى اذا ظهر به النار كما يقدح بالزناد فالاصل الظهور فهى تورية لظهور الحق وقيل فى وزنها ثلثة اقوال احدها قال البصريون تورية فوعلة فقلبت الواو الاولى تاء لئلا يجتمع واوان فى اول الكلمة نحو حوقل ودوخل والثانى قال الكوفيون تفعلة على وزن تفعلة وتنفلة وهو قليل جدا لا يكاد يعرف تفعلة فى الكلام الثالث قال بعضهم هو تفعلة الا انه صرف الى الفتح استثقالا للكسر فى المعتل وهو بناء يكثر نحو توفية وتوقية وتوصية وما اشبه ذلك قال الزجاج وهذا ردئ لانه يجئ منه فى توفية توفاة وهذا لا يجوز والانجيل ماخوذ من النجل وهو الاصل وقال الزجاج وزنه افعيل من النجل باجماع اهل اللغة فسمى انجيلا لانه اصل من اصول العلم **قوله تعـ** مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ

² لكان

ذُو انْتِقَامٍ قوله من قبل اى من قبل انزال الكتاب فلما قطعه عن الاضافة بناه على الضم وقوله هدى للناس اى بيانا ودلالة لهم وفى ذلك دلالة على ان الله تعـ هدى الكافر الى الايمان كما هدى المؤمن بقوله للناس بخلاف ما تقوله المجبرة ان الله ما هدى الكافر وموضع هدى نصب على الحال من الكتاب و قوله وانزل الفرقان يعنى به القران وانما كرر ذلك لما اختلف دلالة الصفات وان كانت الموصوف واحد لان لكل صفة منها فايدة غير الاخرى لان الفرقان هو الذى يفرق به بين الحق والباطل فيما يحتاج اليه من امور الدين فى الحجج والاحكام وذلك كله فى القران وقيل اراد بالفرقان النصر ووصفه بالكتاب يفيد ان من شانه ان يكتب وقد بيّنا ذلك للنظاير فى الشعر وغيره فيما تقدّم و قوله ان الذين كفروا بايات الله لهم عذاب شديد قرن بالوعيد لما بين الله الحجج الدالة على توحيده وصفاته اعقب ذلك بوعيد من خالف فى ذلك وجحده ليتكامل به التكليف و قوله والله عزيز ذو انتقام معناه انه قادر لا يتمكن احد من منعه من عذاب من يريد عذابه لانه عزيز ذو انتقام وانما كان منيعا لانه قادر لنفسه لا يعجزه شئ واصل عزيز الامتناع ومنه ارض عزاز ممتنعة السكون لصعوبتها ومنه قولهم من عزّ بزّ اى من غلب سلب لان الغالب يمنع من الضيم والنقمة العقوبة نقم ينقم نقما ونقمة ويقال نقمت ونقمت عليه اى ادنت له عقوبة وانتقم منه انتقاما اى عاقبه عقابا واصل الباب العقوبة ومنه النقمة خلاف النعمة **قوله تعـ** إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ اية لما ذكر الله تعـ الوعيد على الاخلال بمعرفته مع نصب الادلة على توحيده وصفاته اقتضى ان يذكر انه لا يخفى عليه شئ فى الارض ولا فى السماء فيكون فى ذلك تحذير من الاغترار بالاستسرار بمعصيته لان المجازى لا تخفى عليه خافية فجرى ذلك الموضوع بذكر التوحيد فى اول السورة لانه من الصفات الدالة على ما لا تحق الا له فان قيل لم قال لا يخفى عليه شئ فى الارض ولا فى السماء ولم يقل لا يخفى عليه شئ على وجه من الوجوه اذ كان اشد مبالغة قيل ليعلمنا ان الغرض علم ما يستسرّ به فى الارض وفى السماء ولان الافصاح بذكر ذلك اعظم فى النفس واهول فى الصدر مع الدلالة على انه عالم بكل شئ الا انه على وجه التصرف فى العبارة عن وجوه الدلالة فان قيل لم قال لا يخفى عليه شئ ولم يقل عالم بكل شئ فى الارض والسماء قيل لان الوصف بانه لا يخفى عليه شئ يدل على انه يعلمه من كل وجه يصح ان يعلم منه مع ما فيه من التصرف فى العبارة وانما قلنا لا يخفى عليه شئ من حيث كان عالما لنفسه والعالم للنفس يجب ان يعلم كلما يصح ان يكون معلوما وما يصح ان يكون معلوما لا نهاية له فوجب ان يكون عالما به وانما يجوز ان يعلم الشئ من وجه دون وجه ويخفى عليه شئ من وجه دون وجه من كان عالما يعلم يستفيده العلم حالا بعد حال فاما من كان عالما لنفسه فلا يجوز ان يخفى عليه شئ بوجه من الوجوه **قوله تعـ** هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ اية واحدة التصوير جعل الشئ على صورة لم يكن عليها والصّورة هيئة يكون عليها الشئ بالتاليف والفرق بين الصورة والصيغة ان الصيغة عبارة عما وضع فى اللغة لتدل على امر من الامور وليس كذلك الصورة لان دلالتها على جعل جاعل قياسيّة والارحام جمع رحم واصله الرحمة وذلك لانها مما يتراحم به ويتعاطف يقولون وصلتك رحم واصل الصورة الميل يقولون صاره يصوره اذا اماله فهى صورة لانها مايلة الى بنية بالشبه لها و قوله كيف يشاء معناه كيف يريد والمشية هى الارادة ومعنى يصوّركم فى الارحام كيف يشاء من ذكر او انثى او ابيض او اسود او تام او ناقص الى غير ذلك مما يختلف به الصّور وفيه حجة على النصارى فى ادّعائهم الهية المسيح وذلك ان الله تعـ صوره فى الرّحم كما شاء فهو لذلك عبد مربوب و قوله لا اله الا هو العزيز الحكيم معناه انه تعـ لما ذكر ما يدل عليه من قوله هو الذى يصوّركم فى الارحام كيف يشاء ذكر الدّليل والمدلول عليه وانما ذكر العزيز الحكيم تحذيرا بعد ذكر الدليل ليعلم انه عزيز لا يتهيأ لاحد منعه من عقوبة من يريد عقابه حكيم فى فعل العقاب وفى جميع افعاله **قوله تعـ** هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ

منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تاويله وما يعلم تاويله الا الله والراسخون في العلم يقولون امنا به
كل من عند ربنا وما يذكر الا اولوا الالباب قوله هو الذي انزل عليك الكتاب يعني القران منه ايات
محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات فالمحكم هو ما علم المراد بظاهره من غير قرينة تقترن اليه ولا دلالة
تدل على المراد به لوضوحه نحو قوله ان الله لا يظلم الناس شيئا وقوله لا يظلم مثقال ذرة لانه لا يحتاج في معرفة
المراد به الى دليل والمتشابه ما لا يعلم المراد بظاهره حتى يقترن به ما يدل على المراد منه نحو قوله واضله الله
على علم فانه يفارق قوله واضلهم السامري لان اضلال السامري قبيح واضلال الله بمعنى حكمه بان العبد ضال
ليس بقبيح بل هو حسن واختلف اهل التاويل في المحكم والمتشابه على خمسة اقوال فقال ابن عباس المحكم الناسخ
والمتشابه المنسوخ الثاني قال مجاهد المحكم ما لم يشتبه معناه والمتشابه ما اشتبهت معانيه نحو قوله وما يضل
به الا الفاسقين ونحو قوله والذين اهتدوا زادهم هدى الثالث قال محمد بن جعفر بن الزبير والجبائي ان
المحكم ما لا يحتمل الا وجها واحدا والمتشابه ما يحتمل وجهين فصاعدا الرابع قال ابن زيد ان المحكم هو الذي
لم تتكرر الفاظه والمتشابه هو المتكرر الالفاظ الخامس ما روي عن جابر ان المحكم ما يعلم تعيين تاويله و
المتشابه ما لا يعلم تعيين تاويله نحو قوله يسئلونك عن الساعة ايان مرسيها وقوله هن ام الكتاب معناه اصل
الكتاب الذي يستدل به على المتشابه وغيره من امور الدين وقيل في توحيد ام الكتاب قولان احدهما انه قدر
تقدير الجواب على وجه الحكاية كانه قيل ما ام الكتاب فقيل هن ام الكتاب كما يقال من نظير زيد فيقال نحن
نظيره الثاني ان يكون ذلك مثل قوله وجعلنا ابن مريم وامه اية بمعنى الجميع اية ولو اريد ان كل واحد
منهما اية على التفصيل لقيل ايتين فان قيل لم انزل في القران المتشابه وهلا انزله كله محكما قيل للحث على النظر
الذي يوجب العلم دون الاتكال على الخبر من غير نظر وذلك انه لو لم يعلم بالنظر ان جميع ما ياتي به الرسول
حق يجوز ان يكون الخبر كذبا وبطلت دلالة السمع وفائدته فلحاجة العباد الى النظر للوجه الذي بيناه
انزل الله متشابها ولولا ذلك لما بان منزلة العلماء وفضلهم على غيرهم لانه لو كان كله محكما لكان من
يتكلم باللغة العربية عالما به ولا كان يشتبه على احد المراد به فيتساوى الناس في علم ذلك على ان المصلحة
معتبرة في انزال القران فما انزله متشابها لان المصلحة اقتضت ذلك وبما انزله محكما فلمثل ذلك والمتشابه
في القران يقع فيما اختلف الناس فيه من امور الدين من ذلك قوله تعالى ثم استوى على العرش فاحتمل في اللغة
ان يكون كاستواء الجالس على السرير واحتمل ان يكون بمعنى الاستيلاء نحو قول الشاعر ثم استوى
بشر على العراق من غير سيف ودم مهراق واحد الوجهين لا يجوز عليه تعالى لقوله ليس كمثله شيء و
قوله لم يكن له كفوا احد والاخر يجوز عليه فهذا من المحكم الذي يرد اليه المتشابه ومن ذلك قوله ربنا ولا تحملنا
ما لا طاقة لنا به فاحتمل ظاهره تكليف المشاق واحتمل تكليف ما لا يطاق واحدهما لا يجوز عليه تعالى لا يكلف
الله نفسا الا وسعها فرددنا اليه المتشابه ومن ذلك قوله قل كل من عند الله فرددنا الى المحكم الذي هو قوله
ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون ومن ذلك
قوله وما تشاؤن الا ان يشاء الله متشابه وبين المراد بالمحكم الذي هو قوله وما الله يريد ظلما للعالمين
ومن ذلك اعتراض الملحدين في باب النبوة بما يوهم المناقضة كقوله قل ائنكم لتكفرون بالذي خلق الارض
في يومين وتجعلون له اندادا ذلك رب العالمين وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر
فيها اقواتها في اربعة ايام سواء للسائلين ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللارض
ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين فقضيهن سبع سموات في يومين فقال اليومان والاربعة
واليومان ثمانية ثم قال هو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام فتوهموا ان ذلك مناقضة و
ليس الامر على ما ظنوه لان ذلك يجري مجرى قول القائل سرنا من البصرة الى بغداد في عشرة ايام وسرنا
الى الكوفة في خمسة عشر يوما فالعشرة داخلة في الخمسة عشر ولا يضاف فيقال عشرة وخمسة عشر خمسة و
عشرون يوما كان فيها السير فكذلك خلق الله الارض في يومين وقضيهن سبع سموات في يومين وتمم

خلقهن في ستة ايام وتقديره خلق الارض في يومين من غير تتميم وجعل فيها رواسي وما تم به خلقها
في اربعة ايام فيها اليومان الاولان كما يقال الجبل الدور في شهرين وفرغ منهن في اربعة اشهر فيكون المحكم
قد ابان عن معناه انه على جهة خلق الارض في يومين من غير تتميم وليس على وجه التضاد على ما ظنوه فان
قيل كيف يكون المحكم حجة مع جواز تقييده بما في العقل وفي ذلك امكان كل مبطل ان يدعيه فتذهب فائدة
الاحتجاج بالمحكم قلنا لا يجب ذلك من قبل ان التقييد بما في العقل انما يجوز فيما كان ردا الى تعارف من جهة
العقول دون ما لا يتعارف في العقول بل يحتاج الى مقدمات لا يتعارفها العقلاء من اهل اللغة والمراعى
في ذلك ان يكون هناك تعارف من جهة العقل تقتضيه الحكمة دون عادة او تعارف شيء لان الحجة في الاول دون
الثاني ومن جهة الالتباس في ذلك دخل الغلط على كثير من الناس فان قيل كيف عددتم من جملة المحكم قوله ليس
كمثله شيء مع الاشتباه فيه بدخول الكاف قلنا انما انه محكم لان مفهومه ليس مثله شيء على وجه من الوجوه دون
ان يكون عند احد من اهل التاويل ليس مثل مثله شيء بدخول الكاف وان اشتبه على بعض الناس لم دخلت فلم
يشتبه عليه المعنى الاول الذي من اجله كان محكما وقد حكينا فيما مضى عن المرتضى ره علي بن الحسين الموسوي انه قال
الكاف ليست زائدة وانما نفى ان يكون لمثله مثل فاذا ثبت ذلك علم انه لا مثل له لانه لو كان له مثل لكان له
امثال فكان يكون لمثله مثل فاذا لم يكن له مثل دل على انه لا مثل له غير ان هذا تدقيق في المعنى فصير الاية
على هذا متشابهة لان ذلك معلوم بالادلة وقد يكون الشيء محكما من وجه ومتشابها من وجه كما يكون معلوما
من وجه ومجهولا من وجه فصح التحير به من وجه المعلوم دون المجهول واخر لا ينصرف لانه معدول عن الالف
واللام وهو صفة وقال الكسائي لانه صفة قال المبرد هذا غلط وقال لبد صفة وكذلك حطم وهما منصرفان
قال الله تعالى اهلكت مالا لبدا وحكي عن ابي عبيدة انه قال لم ينصرفوا اخر لان واحده لا ينصرف في معرفة
ولا نكرة قال المبرد وهذا غلط لانه يلزم ان لا يصرف غضابا وعطاشا لان واحده غضبان وعطشان و
هو لا ينصرف وقوله فاما الذين في قلوبهم زيغ يعني ميل يقال زاغ اذا ازاغه الله ازاغة اي اماله قال تعالى فلما
زاغوا ازاغ الله قلوبهم ومنه قوله لا تزغ قلوبنا والتزايغ التمايل في الاسنان والمعنى ان الذين في قلوبهم
ميل عن الحق اما بشك او جهل فان كليهما زيغ يتبعون ما تشابه منه ومعناه يحتجون به في باطلهم ابتغاء
الفتنة ومعناه طلبا للفتنة وابتغاء تاويله والتاويل التفسير واصله المرجع والمصير من قولهم آل امره الى
كذا يؤول اولا اذا صار اليه واولته تاويلا اذا صيرته اليه وقوله واحسن تاويلا قيل معناه احسن جزاء
لان امر العباد يؤول الى الجزاء واصل الباب المصير وما يعلم تاويله يعني تفسيره الا الله والراسخون في العلم
يعني الثابتون فيه تقول رسخ الشيء رسوخا اذا ثبت في موضعه وارسخته ارساخا كما ان الحبر يرسخ في
الصحيفة ورسخ الغدير اذا ذهب ماؤه فنضب فهو ثابت وحده من غير ماء واصل الباب الثبوت وقال الربيع
نزلت هذه الاية في وفد نجران لما حاجوا النبي ص في المسيح فقالوا اليس هو كلمة الله وروح منه فقال بلى
فقالوا حسبنا فانزل الله تعالى فاما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ثم انزل ان مثل عيسى عند الله
كمثل ادم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون وقال قتادة بل كل من احتج بالمتشابه لباطله داخل فيه فمنهم الحرورية و
السبائية وغيرهم وقوله ابتغاء الفتنة قال السدي الفتنة ههنا الشرك وقال مجاهد اللبس وقيل الضلال
عن الحق وهو اعم فائدة واصل الفتنة التخليص من قولهم فتنت الذهب بالنار اذا خلصته فالذي يبتغي الفتنة
يبتغي التخليص الى الضلال بما يورده من الاشياء وقوله وما يعلم تاويله الا الله قيل في معناه قولان احدهما
ما يعلم تاويل جميع المتشابه الا الله لان فيه ما يعلم الناس وفيه ما لا يعلمه الناس من نحو تعيين الصغيرة عند
من قال بها ووقت الساعة وما بيننا وبينها من المدة هذا قول عائشة والحسن ومالك واختاره الجبائي واكثر
المتاولين وعندهم ان الوقف على قوله الا الله ويكون قوله والراسخون في العلم يقولون امنا به مستانفا
والتاويل على قولهم معناه المتاول كما قال تعالى هل ينظرون الا تاويله يوم ياتي تاويله يعني الموعود به الوجه
الثاني ما قاله ابن عباس والربيع ومجاهد وما يعلم تاويله الا الله والراسخون في العلم يعلمونه قائلين امنا

به كما قال الشاعر   والريح تبكى شجوه والبرق يلمع فى الغمامه   يعنى والبرق ايضا يبكيه لامعا فى غمامة و
قوله كل من عند ربنا حذف المضاف من كل عند البصريين لانه اسم دال على المضاف فكثر فى الكلام فلا يجيزون
انا كلا فيها على الصفة ويجيزه الكوفيون لانه انما حذف عندهم لدلالته على المضاف فقط اسما كان او صفة
وانما بنى قبل على الغاية ولم يبن كل وان حذف من كل واحد منهما المضاف لان قبل ظرف يعرف وينكر ففرق
بين ذلك بالبناء الذى يدل على تعريفه بالمضاف والاعراب الذى يدل على تنكيره بالانفصال وليس
كذلك كل لانه معرفة فى الافراد دون نكرة فاما ليس غير فمشبهة بحسب لما فيه من معنى الامر **قوله تعـ**
رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ايه هذه حكاية
عن الراسخين فى العلم الذين ذكرهم فى الاية الاولى القائلين امنا به كل من عند ربنا القائلين ربنا
لا تزغ قلوبنا وقيل فى معنى لا تزغ قلوبنا قولان احدهما لا تزغ قلوبنا عن الحق بمنع اللطف الذى
يستحق معه ان ينسب قلوبنا الى الزيغ والثانى قال ابو على معناه لا تزغ قلوبنا عن الثواب بعد ان دعوتنا
اليه ودللتنا عليه ولا يجوز ان يكون المراد لا تزغ قلوبنا عن الايمان لانه تعـ كما لا يامر بالكفر كذلك لا
يزيغ عن الايمان فان قيل هلا جاز على هذا ان يقولوا ربنا لا تظلمنا ولا تجر علينا قلنا لان فى تجر علينا
تسخط السائل لاستعماله فيمن جرت عادته بالجور وليس كذلك لا تزغ قلوبنا على معنى سؤال اللطف وان
كان لا يجوز فى حكمته تعـ منع اللطف كما لا يجوز فعل الجور وذلك بمنزلة سؤال الملئكة فى قولهم فاغفر
للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم ربنا وادخلهم جنات عدن التى وعدتهم والله لا يجوز
عليه خلف الوعد كما لا يجوز عليه فعل الجور ويبين ذلك قوله فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم ومعناه فلما
مالوا عن الحق نسب الله قلوبهم الى الزيغ لما كانت عليه وانما اضاف الزيغ الى القلب وان كان المراد به الجملة
لان القلب اشرف الاعضاء وهو محل السرور والغم فلذلك خص بالذكر و قوله وهب لنا من لدنك رحمة فالهبة
مصدر وهبه يهبه هبة فهو واهب والشئ موهوب وتواهب الناس بينهم تواهبا واستوهبه استيهابا و
اصل الباب الهبة وهى تمليك الشئ من غير مثامنة والهبة والنحلة والصلة نظاير ومعنى من لدنك من عندك
وفى لدن خمس لغات لدن ولدن بضم اللام والدال ولدن بفتح اللام وتسكين الدال وكسر النون ولد
بحذف النون **قوله تعـ** رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ايه بلا خلاف
معنى الاية ربنا انك جامع الناس لا ريب فيه للجزاء ان الله لا يخلف الميعاد فى وعد ولا وعيد فاغفر لنا فان قيل
هل فى قوله ان الله لا يخلف الميعاد متصل بالدعاء على جهة الحكاية او استيناف قلنا عنه جوابان احدهما
انه متصل بالدعاء لان حمل الكلام على الاتصال اذا صح المعنى اولى من حمله على الانفصال لان الاتصال
اقرب الى التشاكل وابعد من التنافر والثانى انه على الاستيناف لانه لو كان على الاتصال لقال انك لا تخلف
الميعاد فاختار ابو على الجبائى هذا الوجه واجاز الزجاج الامرين وقد يجوز حمل الكلام تارة على المخاطبة
وتارة على الغيبة تصرفا فى الكلام كما قال حتى اذا كنتم فى الفلك وجرين بهم بريح طيبة والاية دالة على انه
لا يخلف وعده ولا وعيده ولا ينافى ذلك ما يجوزه من العفو عن فساق اهل الملة لانه انما يجوز العفو عنه
اذا عفا كشف لك عندنا انه ما عناه بالخطاب وانما الممنوع منه ان يعنيه بالخطاب بانه لا يعفو عنه ثم يعفو فيكون
ذلك خلفا فى الوعيد وذلك لا يجوز عليه تعـ والميعاد والوعد اذا اطلقا تناولا الخير والشر يبين ذلك قوله و
نادى اصحاب الجنة اصحاب النار ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا ولا يجوز ان
يقال وعد بالخير ما وعد بالشر فيجوز واللام فى قوله ليوم لا ريب فيه معناه فى يوم وانما جاز ذلك لما دخل
الكلام من معنى اللام وتقديره جامع الناس للجزاء فى يوم لا ريب فيه فلما حذف لفظ الجزاء دخلت على ما يليه
فاغنيت عن فى لان حروف الاضافة متواخية لما يجمعها من معنى الاضافة وقد كان يجوز فتح ان فى قوله ان الله
لا يخلف على تقدير جامع الناس ليوم لا ريب فيه لان الله لا يخلف الميعاد ولم يقرأ به **قوله تعـ** إِنَّ الَّذِينَ
كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ ايه واحدة بلا خلاف

ان قيل كيف تتصل هذه الاية بما قبلها قلنا اتصال الوعيد بالدعاء للاخلاص منه خوفا من استحقاق المتوعد
به والفرق بين لن تغنى عنهم من الله لا يدل على الوعيد وبين لن تغنيهم عنهم الله شيئا ان لن تغنيهم عن الله لا يدل
على الوعيد كما يدل لن تغنى عنهم من الله لان تقديره من عذاب الله ومعنى من هيهنا يحتمل امرين قال ابو
عبيدة معناها عند وقال المبرد من هيهنا على اصلها لابتداء الغاية وتقديره لن تغنى عنهم غنا ابتدا
الشئ الذى خلقه ولا يكون الغنا الا منه فمن هذه تقع على ما هو اول الغنا واخره والوقود الحطب والوقود
اللهب وهو ايقاد النار والغنى ضد الحاجة ومعنى لن تغنى عنهم من الله انه ان يكون شئ يبقى الحاجة الى
الله تعـ بل الحاجة باقية على كل حال **قوله تعـ** كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ
اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ايه بلا خلاف الداب العادة يقال داب يداب دابا ودابا اذا اعتاد الشئ
وتمرن عليه قال امرؤ القيس   كدابك من ام الحويرث قبلها   وجارتها ام الرباب بمأسل   اى كعادتك
من ام الحويرث ومعنى قوله كداب ال فرعون كعادتهم فى التكذيب بالحق وقيل فى الكفر وقيل فى قبح الفعل وقيل
فى تكذيب الرسل وكل ذلك متقارب فى المعنى وقال قوم معناه كداب ال فرعون فى عقاب الله اياهم على ما سلف
من ذنوبهم ومعاصيهم والكاف فى قوله كداب ال فرعون متصلة بمحذوف وتقديره عادتهم كداب ال فرعون
وموضع الكاف رفع لانها فى موضع خبر الابتداء ولا يجوز ان يعمل فيها كفروا لان صلة الذين قد انقطعت بالخبر
وهو لن تغنى عنهم اموالهم ولا اولادهم ولكن يجوز نصبه بوقود النار لان فيه معنى الفعل على تقدير تتقد
النار باجسامهم كما تتقد باجسام ال فرعون فهذا تقديره فى المعنى و قوله فاخذهم الله بذنوبهم يعنى عاقبهم
الله بذنوبهم وسمى المعاقبة مؤاخذة لانها اخذ بالذنب والاخذ بالذنب عقوبة والذنب والجرم واحد تقول
اذنب يذنب اذنابا فهو مذنب والذنب التلو للشئ ذنبه يذنبه ذنبا اذا تلاه والذنوب الدلو لانها تالية
للحبل فى الجذب والذنوب النصيب لانه كالدلو فى الانقسام قال الشاعر   لنا ذنوب ولكم ذنوب   فان ابيتم
فلنا قليب   والذنوبى الفرس الوافر شعر الذنب واصل الباب التلو فالذنب الجرم لما يتلوه من استحقاق الذم
كما قيل العقاب لانه يستحق عقيب الذنب **قوله تعـ** قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَ
بِئْسَ الْمِهَادُ ايه قرأ اهل الكوفة الا عاصما سيغلبون ويحشرون بالياء فيهما الباقون بالتاء من اختار التاء
فلقوله قد كان لكم اية فى فئتين فاجرى جميعه على الخطاب ومن اختار الياء فللتصرف فى الكلام والانتقال من خطاب
المواجه الى الخبر بلفظ الغايب وقيل ان الخطاب لليهود والاخبار عن عبدة الاوثان لان اليهود اظهروا
الشماتة بما كان من المشركين يوم احد فقيل لهم سيغلبون يعنى المشركين وعلى هذا لا يجوز الا بالياء وقيل
التاء فى عموم الفريقين ومثله قال زيد المال ماله وقال المال مالى وقل له ستخرج وسيخرج وكلاهما جائز
حسن وقال ابن عباس وقتادة وابن اسحق ان هذه الاية نزلت لما هلكت قريش يوم بدر فجمع النبى صـ اليهود
بسوق قينقاع فدعاهم الى الاسلام وحذرهم مثل ما نزل بقريش من الانتقام فقالوا لسنا كقريش الاغمار
الذين لا يعرفون القتال لئن حاربتنا لتعرفن البأس فانزل الله قل للذين كفروا سيغلبون ويحشرون الاية
ومعنى وبئس المهاد قال مجاهد بئس ما مهدوا لانفسهم وقال الحسن معناه بئس القرار وقيل بئس الفراش
الممهد لهم وقال البلخى لا يجوز الوعد والوعيد بغير شرط لان فيه اياسا من الايمان او الكفر وذلك بمنزلة الصد
عنه وتاول الاية على حذف الشرط فكانه قال وبئس المهاد لمن مات على كفره غير تائب منه وقال الرمانى وهذا
لا يصح من قبل ان السورة متدلة على معنى الوعد بغير شرط يوجب الشك فلو كان فى قطع الوعيد اياس بمنزلة
الصد عن الايمان لكان فى قطع الوعد امان ما يوجب الاتكال عليه دون ما يلزم من الاجتهاد والذى
يخرجه من ذلك ان العقاب من اجل الكفر كما ان الثواب من اجل الايمان وهذا ليس بشئ لان للبلخى ان يشرط
الوعد بالثواب بانتفاء ما يبطله من الكباير كما انه شرط الوعيد بالعقاب بانتفاء ما يزيله من التوبة فقد
سوى بين الامرين وقال البلخى والجبائى قوله وبئس المهاد مجاز كما قيل للمرض شر وان كان خيرا من جهة
انه حكمة وصواب فقيل لجهنم بئس المهاد لعظيم الالام لان اصل نعم وبئس الحمد والذم الا انه كثر استعماله

في المنافع والمضار حتى سقط عنه اسم مجاز وان كان متغيرا عن اصله وفي الاية دلالة على صحة نبوة النبي صلعم
لانها تضمنت الخبر عما يكون من غلبة المؤمنين للمشركين وكان الامر على ما قال ولا يكون ذلك على الاتفاق
وكما انه بين اخبارا كثيرة من الاستقبال فكان كما قال فكما ان كل واحد منهما كان معجزا لانه من علام الغيوب
اختص به الرسول ليبينه من سائر الناس كذلك هذه الاية **قوله تعالى** قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا
فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ
مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ اية واحدة قرأ اهل المدينة وابان عن عاصم وابن شاهي
عن حفص ترونهم بالتاء الباقون بالياء من قرأ بالياء فلان الخطاب لليهود والخبر عن غيرهم ممن حضر
بدرا ومن قرأ بالتاء وجه الخطاب الى الجميع الاية العلامة والدلالة على صدق النبي صلعم والفئة الفرقة
من فاءت راسه بالسيف اذا فلقته وقال ابن عباس هٰهنا هم المؤمنون من اهل بدر ومشركو قريش
وبه قال الحسن ومجاهد **و** قوله فئة يحتمل ثلثة اوجه من الاعراب الرفع على الاستيناف بتقدير منهم
فئة كذا واخرى كذا ويجوز الجر على البدل ويجوز النصب على الحال كقول كثير وكنت كذي رجلين
رجل صحيحة ورجل رمى فيها الزمان فشلت انشد بالرفع والجر وقال ابن مفرغ وكنت كذي رجلين
رجل صحيحة ورجل رماها صائب الحدثان فاما التي صحت فازد شنوءة واما التي شلت فازد
عمان وقال اخر اذا مت كان الناس نصفين شامت واخر مثن بالذي كنت اصنع ولا يجوز
ان تقول مررت بثلثة صريع وجريح بالجر لانه لم يستوف العدة ولكن يجوز بالرفع على تقدير منهم صريع ومنهم
جريح فان قلت مررت بثلثة صريع وجريح وسليم جاز فيه الرفع والجر فان زدت فيه اقتتلوا جاز فيه الاوجه
الثلثة ولم يقرأ الا بالرفع وقال ابن مسعود والحسن الفئة المسلمة هي التي كانت ترى الكافرة مثليهم وقال
السدي راى المشركون المسلمين مثلي عددهم لانهم كانوا ثلثمائة وبضعة عشر فرأوهم اضعاف ذلك وهذا
يحمل على قراءة من قرأ بالياء فاما من قرأ بالتاء فلا يحتمل ذلك الا ان يكون الخطاب لليهود الذين ما حضروا
وهم المعنيون بقوله قل للذين كفروا وهم يهود بني قينقاع فكانه قيل لهم ترون المشركين مثلي المسلمين مع
ان الله ظفرهم بهم فلا تغتروا بكثرتكم واختار البلخي هذا الوجه واختلفوا في عدة المشركين يوم بدر فروي
عن علي عم وابن مسعود انهم كانوا الفا وقال عروة بن الزبير وقتادة والربيع كانوا بين تسعمائة الى الالف
واما عدة المسلمين فثلثمائة وبضعة عشر في قول قتادة والربيع واكثر المفسرين وهو المروي عن ابي جعفر
وابي عبد الله عم ومعنى يرونهم مثليهم يحتمل وجوها احدها ما روي عن ابن مسعود وغيره من اهل العلم ان
الله قلل المشركين يوم بدر في اعين المسلمين لتقوى قلوبهم فرأوهم مثلي عدتهم وقال الفراء يحتمل ثلثة
امثالهم كما يقول القائل الى الف واحتاج الى مثليه اي مضافا اليه لا بمعنى بدلا منه فكذلك ترونهم مثليهم
مضافا اليهم فذلك ثلثة امثالهم وانكر هذا الوجه الزجاج لمخالفته لظاهر الكلام وما جاء في الاية الاخرى
في الانفال من تقليل الاعداد فان قيل كيف يصح تقليل الاعداد مع حصول الرؤية وارتفاع الموانع وهل
هذا الا ما تقوله المجبرة قلنا انه يجوز ان يكون بحضرتنا اشياء يدرك بعضها دون بعض بحسب ما يفعل فينا من
الادراك وهذا عنده تاسفسطة تسيل في المشاهدات فلا يحتمل ان يكون التقليل في اعين المؤمنين بان
يظنوهم قليلي العدد لانهم ادركوا بعضهم دون بعض لان العلم بما يدركه الانسان جملة غير العلم بما يدركه
مفصلا ولهذا اذا راينا جيشا كبيرا وجمعا عظيما ندرك جميعهم ونتبين اطرافهم ومع هذا نشك في اعدادهم
حتى يقع الخلف بين الناس في حزر عددهم فعلى هذا يكون تاويل الاية وقد ذكر الفراء عن ابن عباس انه
قال راى المسلمون المشركين مثليهم في الحزر ستمائة وكان المشركون سبعمائة وخمسين فاما قوله في الانفال و
اذ يريكموهم اذ التقيتم في اعينكم قليلا ويقللكم في اعينهم فلا تنافي في هذا لان هذه اية للمسلمين اخبرهم بها
وتلك اية لاهل الكفر حجة عليهم على انك تقول في الكلام اني لارى كثيركم قليلا اي يهونون علي لاني ارى
الثلثة اثنين ذكره الفراء وهو جيد وقيل الوجه في تقليل الكفار في اعين المؤمنين ان يكون اقوى لقلوب المؤمنين

فلا يفزعوا ولا يفشلوا ويجترؤا عليهم فاما الوجه في تقليل المؤمنين في اعين الكفار اذ رأوهم قليلين
استهانوا بهم واستحقروهم فلم ياخذوا اهبتهم ولم يستعدوا كل الاستعداد فيظفر بهم المؤمنون وهو
جيد ايضا وقال البلخي انما قال مثليهم وهم كانوا ثلثة امثالهم لانه اقام الحجة عليهم بانهم وان كانوا ثلثة امثالهم
فلم يخرجوا من ان يكونوا مثليهم والمعتمد ما قلناه اولا وقوله والله يؤيد بنصره من يشاء فالايد القوة
ومنه قوله داود ذا الايد وتقول ادته ابيده ايدا كقولك بعته ابيعه بيعا بمعنى قويته وايدته اؤيده
تاييدا والنصر المعونة على الاعداء وهو على وجهين نصر بالغلبة ونصر بالحجة ولو هزم قوم من المؤمنين
لجاز ان يقال هم المنصورون بالحجة ومحمودو العاقبة وان سر عدوهم بظفر العاجل والاية التي ذكرها
الله تعالى كانت في الفئتين من وجهين احدهما غلبة القليل العدد في نفسه للكثير في ذلك بخلاف ما يجري
به العادة بما امدهم الله به من الملئكة وقوى به نفوسهم من تقليل العدة والثاني بالوعد المتقدم ما
بالغلبة لاحدى الطائفتين لا محالة **و** قوله ان في ذلك لعبرة لاولي الابصار معناه لاولي العقول كما
يقال له بصر بالامور وليس المراد بالابصار الحواس التي يشترك فيها سائر الحيوان والعبرة الاية تقول
اعتبرت بالشيء عبرة واعتبارا والعبور النفوذ عبرت النهر اعبره عبورا اذا قطعته والمعبرة السفينة التي يعبر
فيها والعبارة الكلام يعبر بالمعنى الى المخاطب والعبارة تفسير الرؤيا والتعبير وزن الدنانير وغيرها و
العبرة الدمعة من العين واصل الباب العبور النفوذ **قوله تعالى** زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ
وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَاعُ
الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ اية واحدة بلا خلاف قيل في المزين لحب الشهوات ثلثة اقوال
قال الحسن زينه الشيطان لانه لا احد اشد ذما لها من خالقها الثاني ما قاله الزجاج انه زينه الله بما جعل في
الطباع من المنازعة كما قال تعالى انا جعلنا ما على الارض زينة لها الثالث ما قاله ابو علي انه زين الله عز
وجل ما يحسن منه وزين الشيطان ما يقبح منه والشهوات جمع شهوة وهي توقان النفس الى الشيء يقال
اشتهى يشتهي شهوة واشتهاء وشهاه تشهية وتشهى تشهيا والشهوة من فعل الله تعالى لا يقدر عليها
احد من البشر وهي ضرورية فينا لانه لا يمكننا دفعها عن انفسنا والقناطير جمع قنطار واختلفوا في
مقدار القنطار فقال معاذ بن جبل وابن عمر وابي بن كعب وابو هريرة هو الف ومائتا اوقية وقال ابن
عباس والحسن والضحاك هو الف ومائتا مثقال وروي عن الحسن ايضا انه الف دينار واثنا عشر الف
درهم وقال قتادة ثمانون الفا من الدراهم او مائة رطل وقال مجاهد وعطا سبعون الف دينار وقال
ابو نصر هو ملء مسك ثور ذهبا وبه قال الفراء وهو المروي عن ابي جعفر وقال الربيع ابن انس هو المال
الكثير ومعنى المقنطرة المضاعفة على قول قتادة وقال الفراء هي تسعة قناطير وقيل هي كقولك دراهم
مدرهمة اي مجعولة كذلك وقال السدي مضروبة دنانير او دراهم والقنطرة البناء المعقود للعبور
والقنطر الداهية واصل الباب القنطرة المعروفة والقنطار لانه مال عظيم كالقنطرة والذهب والفضة
معروفان وتقول فضضته تفضيضا وفض الجمع يفضه فضا اذا فرقه ومنه قوله لانفضوا من حولك و
فضضت الختام ثم كسرته ولا يفضض الله فاك اي لا يكسره وافتضضت الماء اذا شربته واصل الباب التفرق
و الخيل الافراس سميت خيلا لاختيالها في مشيها والاختيال من التخيل لانه يتخيل به صاحبه في صورة من
هو اعظم منه كبرا والخيال كالظل لانه يتخيل به صورة الشيء تقول خلت زيدا اخال خيلا اذا خشيته لانه
يتخيل الى النفس انه هو والاخيل الشقراق وهو طائر الغالب عليه الخضرة مشرب حمرة لانه يتخيل مرة خضرة
ومرة حمرة واصل الباب التخيل التشبه بالشيء ومنه اخال عليه الامر يخيل اذا اشتبه عليه فهو مخيل وقوله
المسومة قيل في معناه اربعة اقوال قال سعيد بن جبير وابن عباس والحسن والربيع هي الراعية وقال مجاهد
وعكرمة والسدي هي الحسنة وقال ابن عباس في رواية وقتادة المعلمة وقال ابن زيد هي المعدة للجهاد
فمن قال هي الراعية فمن قولهم اسمت الماشية وسومتها اذا رعيتها وسامت فهي سائمة اذا كانت راعية

ومنه تسيمون اى ترعون ومن قال الحسنة فمن السيما معقود ويقال فيه سيميا ايضا وهو الحسن قال الشاعر
غلام رماه الله بالحسن يافعا له سيمياء لا يشق على البصر ومن قال المعلمة فمن السيما التى هى العلامة
كقوله تعالى يعرف المجرمون بسيماهم ومن قال المعدة للجهاد فهو راجع الى العلامة لانها معدة بالعلامة
واصل الباب العلامة وقوله والانعام فهى الابل والبقر والغنم من الضان والمعز ولا يقال للجنس منها
على الانفراد نعم الا الابل خاصة لانه غلب عليها فى التفصيل والجملة والحرث الزرع وقوله ذلك متاع
الحيوة الدنيا فالمتاع ما يستمتع به مدة ثم يفنى وقوله والله عنده حسن المآب فالمآب المرجع من آب
يؤوب اوبا وايابا طويلة وما با اذا رجع وتأوّب تأوّبا اذا ترجع واوّبه تاويبا اذا رجعه واصل الباب الاوب
الرجوع قوله تعالى قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذٰلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللّٰهِ وَاللّٰهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ آية واحدة بلا خلاف قرأ عاصم
وحده فى رواية ابى بكر ورضوان بضم الراء الباقون بكسرها فالضم لغة قيس وتميم والكسر لغة اهل الحجاز قيل
فى اخر الاستفهام بقوله اؤنبئكم قولان احدهما ان اخره عند قوله بخير من ذلكم ثم استأنف للذين اتقوا الثانى
عند قوله عند ربهم ثم استأنف جنات على تقدير الجواب كانه قيل ما هو ذلك الخير فقيل هو جنات ومثله قل اؤنبئكم
بشر من ذلكم النار اى هى النار ويجوز فى اعراب جنات فى العربية الرفع والجر فالجر على ان يكون اخر الكلام عند
ربهم ولا يجوز الجر على الوجه الاخر للفصل باللام كما لا يجوز امرت لك بالفين ولاخيه مائتين حتى تقول بمائتين
ولو قدمت فقلت ومائتين لاخيه جاز ولا يجوز النصب فى جنات على موضع الباء فيما لم يكن الباء فيه زايدة كما لا
يحسن مررت برجل زيدا ويحسن خشنت بصدره وصدره زيدا لان الباء زايدة ولا يجوز ان يكون زايدة فى بخير لان
نبأت لا يجوز الاقتصار فيه على المفعول الثانى دون الثالث لانه بمعنى اعلمت ولا يجوز اعلمت زيدا اخاك حتى تقول
خيرا من عمرو او نحوه وقد تقدم تفسير الجنات والانهار وقوله خالدين نصب على الحال ومعنى تاويل قوله وازواج
مطهرة فلا معنى لاعادته والرضا والرضوان معنى واحد ومعنى قوله للذين اتقوا يعنى ما حرم عليهم فى قول الحسن
فان قيل ما تقولون انتم لانكم تقولون ان من لا يتقى جميع ما حرم عليه اذا كان عارفا بالله ومصدقا بجميع ما وجب
عليه موعود له بالجنة قلنا نقول ان هذه الاية تدل على ان من اتقى جميع ما حرم عليه فله الجنة وما وعد بها من
غير ان يقرن بها شئ من استحقاق العقاب قطعا ومن ليس معه الا التصديق بجميع ما وجب عليه وقد اخل بكثير
من الواجبات او ارتكب كثيرا من المحظورات فانا نقطع على استحقاقه الثواب مع استحقاقه للعقاب ويجوز فعل
العقاب به ويجوز العفو عنه مع القطع على وجوب الثواب له ففارق المتقى على ما تراه قوله تعالى الَّذِينَ
يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ آية بلا خلاف موضع الذين يحتمل ثلثة وجوه
من الاعراب الجر والرفع والنصب فالجر للاتباع للذين اتقوا والرفع على تقدير هم الذين يقولون والنصب على
المدح وتقديره اعنى وقوله فاغفر لنا ذنوبنا فالمغفرة هى الستر للذنب برفع التبعة والذنب والجرم بمعنى
واحد وانما الفرق بينهما من جهة الاصل لان اصل الذنب الاتباع فالذنب ما يتبع عليه العبد من قبيح عمله كالتبعة
والجرم اصله القطع فالجرم القبيح الذى ينقطع به عن الواجب والفرق بين القول والكلام ان القول فيه معنى
الحكاية وليس كذلك الكلام وقوله وقنا عذاب النار قيل فى معنى هذه المسئلة قولان احدهما مسئلة الله ما
هو من حكمه نحو قوله فاغفر للذين تابوا والفائدة فى هذا الدعاء المتعبد بما فيه مصلحة للعباد الثانى مسئلته
عز وجل ما لا يجوز ان يعطيه العبد الا بعد المسئلة لانه لا يكون لطفا الا بعد المسئلة وعلى مذهبنا وجه حسن السؤال
ان العفو تفضل من الله لا يجب عند التوبة ويجوز ايضا العفو مع عدم التوبة فيكون وجه السؤال اغفر لنا
ذنوبنا وقنا عذاب النار ان متنا مصرين ولم نتب قوله تعالى الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ
وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ الصابرين نصب على المدح وكذلك باقى الصفات ويجوز ان يكون جرا صفات للذين
اتقوا ومعنى الصابرين الحابسين نفوسهم بمنعها عما حرم الله تعالى عليها فالصابر الممدوح هو الحابس نفسه
عن جميع معاصى الله والمقيم على ما اوجب عليه من العبادات والصادقين هم المخبرون بالشئ على ما هو به

وهى

وهى ايضا صفة مدح والقانتين قال قتادة هم المطيعون وقال الزجاج هم الدائمون على العبادة لان اصل
القنوت الدوام والمنفقين الذين يخرجون ما اوجب الله عليهم من الزكوات وغيرها من الحقوق ويدخل فى ذلك
المتطوعون بالانفاق فيما رغب الله فى الانفاق فيه والمستغفرين بالاسحار قال قتادة هم المصلون بالاسحار
وقال انس بن مالك هم الذين يسألون المغفرة وهو الاظهر والاول جايز ايضا لانه قد تطلب المغفرة بالصلاة كما
يطلب بالدعاء والاسحار جمع سحر وهو الوقت الذى قبل طلوع الفجر واصله الخفاء وسمى السحر لخفاء الشخص
فيه ومنه السحر لخفاء سببه ومنه السحر الرية لخفاء موضعها والمسحر الذى يأكل الطعام لخفاء مسالكه وروى
عن ابى عبد الله ان من استغفر الله سبعين مرة فى وقت السحر فهو من اهل هذه الاية قوله تعالى شَهِدَ اللّٰهُ
أَنَّهُ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ حقيقة الشهادة
الاخبار بالشئ عن مشاهدة او ما يقوم مقام المشاهدة ومعنى شهد الله انه اخبر بما يقوم مقام الشهادة من
الدلالات الواضحة والحجج اللائحة على وحدانيته من عجيب خلقه ولطيف حكمته فيما خلق وقال ابو عبيدة معنى
شهد الله قضى الله انه لا اله الا هو والملئكة شهود واولوا العلم وحكى عمرو بن عبيد عن الحسن وروى ذلك فى
تفسيرنا ان فى الاية تقديما وتاخيرا وتقديرها شهد الله انه لا اله الا هو قائما بالقسط اى بالعدل وشهد الملئكة
انه لا اله الا هو قائما بالقسط وشهد اولوا العلم انه لا اله الا هو قائما بالقسط واولوا العلم هم المؤمنون وقرأ
ابو المهلب عم محارب بن دثار شهداء الله على وزن فعلاء جمع شهيد نصب على الحال برده على ما قبله من الكلام
كانه قال الذين يقولون ربنا اننا امنا شهداء الله انه لا اله الا هو وهى جايزة غير انها شهادة لم يوافق عليها
احد من قراء الامصار ذكر ذلك البلخى وان الاولى والثانية تحتمل اربعة اوجه من العربية فتحهما جميعا وكسرهما
جميعا وفتح الاولى وكسر الثانية وكسر الاولى وفتح الثانية فمن فتحهما اوقع الشهادة على ان الثانية وحذف حرف
الاضافة من الاولى وتقديره شهد الله انه لا اله الا هو ان الدين عند الله الاسلام وقال ابو على الفارسى
يجوز ان يكون نصبها على البدل من شيئين احدهما من قوله انه لا اله وتقديره شهد الله ان الدين عند الله
الاسلام ويجوز بدل الشئ من الشئ وهو هو والثانى ان يكون بدل الاشتمال لان الاسلام يشتمل على التوحيد
والعدل وغير ذلك ومن كسرهما اعترض بالاولى للتعظيم لله عز وجل به كما قيل البيل ان الحمد وكسر الثانية على
الحكاية لان فى معنى شهيد معنى قال وقال المؤرخ شهد بمعنى قال بلغة قيس عيلان الثالث من فتح الاولى و
كسر الثانية وهو اجودها وعليه اكثر القراء اوقع الشهادة على الاولى واستانف الثانية وهو احسن الوجوه
واظهرها الرابع من كسر الاولى فعلى الاعتراض ثم فتح الثانية بايقاع الشهادة عليها وهو المروى عن ابن
عباس وقيل فى نصب قائما قولان احدهما انه حال من اسم الله على تقدير شهد الله قائما بالقسط الثانى على
الحال من هو وتقديره لا اله الا هو قائما بالقسط وقال مجاهد معنى قائما بالقسط اى قائما بالعدل كما تقول قائماً ٢
بالتدبير اى يجريه على الاستقامة فكذلك يجرى التدبير على الاستقامة والعدل فى جميع الامور قوله تعالى
إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللّٰهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ
يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللّٰهِ فَإِنَّ اللّٰهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ آية قرأ ان الدين بفتح الهمزة الكسائى وحكى ذلك عن ابن مسعود الباقون
بكسرها وقد بينا الوجه فيه معنى الدين ههنا الطاعة فمعناه ان الطاعة لله عز وجل هى الاسلام قال الاعشى
هو دان الرباب اذ كرهوا الدين دراكا بغزوة وصيال ومعناه ذللهم للطاعة اذ كرهوا الطاعة والدين
الجزاء من قولهم كما تدين تدان اى كما تجزى تجزى ومنه قوله مالك يوم الدين اى يوم الجزاء وسميت الطاعة
دينا لانها للجزاء ومنه الدين لانه كالجزاء فى وجوب القضاء والاسلام اصله السلم فاسلم معناه دخل فى السلم
كقولهم اقحط بمعنى دخل فى القحط واربع دخل فى الربيع واصل السلم السلامة لانه انقياد على السلامة ويصلح
ان يكون اصله التسليم لانه تسليم لامر الله والتسليم من السلامة لانه تادية الشئ على السلامة من الفساد
والنقصان فالاسلام هو تادية الطاعات على السلامة من الادغال والاسلام والايمان عندنا وعند
المعتزلة بمعنى واحد غير ان عندهم ان فعل الواجبات من افعال الجوارح من الايمان وعندنا ان افعال الجوارح

من افعال

من افعال الجوارح من الايمان وعندنا ان افعال الواجبات من افعال القلوب التي هي التصديق من الايمان
فاما افعال الجوارح فليست من الايمان وان كانت واجبة وقد بيّنا ذلك فيما مضى وسنبيّنه ان شاء الله والاسلام
يفيد الانقياد لكل ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم من العبادات الشرعية وترك النكير عليه والاستسلام له فاذا قلنا دين
المؤمن هو الايمان وهو الاسلام فالاسلام هو الايمان ونظير ذلك قولنا الانسان والانسان حيوان على
الصورة الانسانية فالحيوان على الصورة الانسانية بشر ❁ قوله وما اختلف الذين اوتوا الكتاب قال الربيع
المراد بالكتاب التورية وقال محمد بن جعفر بن الزبير هو الانجيل وقال الجبائي خرج مخرج الجنس ومعناه كتب
الله المتقدمة التي بيّن فيها الحلال والحرام والاختلاف ذهاب احد النفسين الى خلاف ما ذهب اليه الآخر فهذا
الاختلاف في الاديان فاما الاختلاف في الاجناس فهو امتناع احد الشيئين ان يسد مسد الآخر فيما يرجع الى ذاته و
البغي طلب الاستعلاء بالظلم واصله من بغيت الحاجة اذا طلبتها وليس في الآية ما يدل على ان الذين اختلفوا بغيا
كانوا معاندين لان البغي قد يحمل على العدول عن طريق العلم كما يحمل على عناد اهل العلم ولانه قد تقع الخلف
بينهم وان كانوا باجمعهم مبطلين كاختلاف اليهود والنصارى في المسيح فنسبه النصارى الى الالهية واليهود
الى الفرية والعامل في بغيا بينهم يحتمل امرين احدهما اختلف هذا المذكور وتقديره وما اختلف فيه بغيا
بينهم الا الذين اوتوه من بعد ما جاءهم العلم هذا قول الاخفش وقال الزجاج نصبه محذوف دل عليه اختلف
المذكور وتقديره اختلفوا بغيا بينهم ❁ قوله ومن يكفر بآيات الله معناه من يجحد بآيات الله يعني ادلته
وبيناته فان الله سريع الحساب والآخر سريع الحساب الجزاء **قوله تع** فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ
لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ ءَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا
فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ آية بلا خلاف المعنى بقوله فان حاجوك نصارى نجران على قول
جميع المفسرين فان قيل لم قال ومن اتبعن ولم يؤكد الضمير فلم يقل اسلمت انا ولا يجوز ان يقول القائل قمت
وزيد الا بعد ان يقول قمت انا وزيد قيل انما جاز هيهنا لطول الكلام فصار طوله عوضا من تاكيد الضمير
المتصل ولو قال اسلمت وزيد لم يحسن حتى يقول اسلمت انا وزيد فاذا قال اسلمت اليوم بانشراح صدري ومن
جاء معي حسن ان قيل ما الحجة في قوله فقل اسلمت وجهي لله قلنا فيه وجهان احدهما انه اراد الزامهم على
ما اقروا به من ان الله خالقهم اتباع امره في ان لا تعبدوا الا اياه فلذلك قال اسلمت وجهي لله اي انقدت لامره
في اخلاص التوحيد له الثاني انه ذكر الاصل الذي يلزم جميع المكلفين الاقرار به لانه لا ينتقض فيما يحتاج الى
العمل عليه في الدين الذي هو طريق النجاة من العذاب الى النعيم ومعنى قوله وجهي يريد نفسه وانما اضاف
الاسلام الى الوجه لانه لما كان وجه الشيء اشرف ما فيه ذكر به لانه ليدل على شرف الذكر ومثله كل شيء
هالك الا وجهه اي الا هو ❁ قوله وقل للذين اوتوا الكتاب يعني اليهود والنصارى والاميين الذين لا كتاب
لهم على قول ابن عباس وغيره من اهل التاويل وهم مشركو العرب كما قال هو الذي بعث في الاميين رسولا
منهم وقال النبي الامي اي الذي لا يكتب وانما قيل لمن لا يكتب امي لانه نسب الى ما عليه الامة في الخلقة لانهم
خلقوا لا يكتبون شيئا وانما يستفيدون الكتابة ❁ قوله ومن اتبعن من حذف الياء اجتزاء بالكسرة وانما حذفها
حمزة والكسائي وعاصم وحذف الياء في اواخر الآي احسن لانها تشبه القوافي ويجوز في وسط الآي ايضا
واحسنها ما كان قبلها نون مثل قوله ومن اتبعن فان لم يكن نون فانه يجوز ايضا نحو قولك هذا غلام وما اشبه
ذلك والاجود ان تقول هذا غلامي وان شئت اسكنت الياء وان شئت فتحتها ❁ قوله ءاسلمتم امر في صورة
الاستفهام وانما كان كذلك لانه بمنزلة طلب الفعل والاستدعاء اليه فذكر ذلك للدلالة على الامر من غير تصريح
به ليتقرر المامور به بما يلزمه فيه كما تقول لمن توصيه بما هو اعود عليه اقبلت هذا ومعناه اقبل ومثله قوله تعالى
فهل انتم منتهون معناه انتهوا واقروا به وتقول لغيرك هل انت كاف عنا ومعناه اكفف ويقول القائل لغيره
اين انت ومعناه اثبت مكانك لا تبرح ❁ قوله فان اسلموا فقد اهتدوا معناه اهتدوا الى طريق الحق وان
تولوا معناه كفروا ولم يقبلوا واعرضوا عنه فانما عليك البلاغ ومعناه عليك البلاغ فقط دون الا يتولوا

لانه ليس عليك الا يتولوا ❁ قوله والله بصير بالعباد ومعناه هيهنا لا يفوته شيء من اعمالهم التي يجازيهم بها
لانه بصير بهم اي عالم بهم وبسرائرهم وظواهر اعمالهم لا يخفى عليه خافية وقيل معناه يعلم ما يكون منك في
التبليغ ومنهم في الايمان والكفر **قوله تع** إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ
وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ آية واحدة قرأ حمزة وتصيروا
يقاتلون الذين يامرون بالف لان في مصحف عبد الله وقاتلوا والاجود ما عليه الجماعة قوله ان الذين
يكفرون معناه يجحدون آيات الله يعني حججه وبيناته ويقتلون النبيين روى ابو عبيدة بن الجراح قال قلت
يا رسول الله اي الناس اشد عذابا يوم القيمة قال رجل قتل نبيا او رجلا امر بمعروف ونهى عن منكر ثم قرأ
رسول الله ويقتلون الذين يامرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب اليم ثم قال يا ابا عبيدة قتلت بنو
اسرائيل ثلثة واربعين نبيا من اول النهار في ساعة واحدة فقام مائة رجل واثنا عشر رجلا من عباد بني اسرائيل
فامروا من قتلهم بالمعروف ونهوهم عن المنكر فقتلوا جميعا من آخر النهار في ذلك اليوم وهو الذي ذكره الله و
استدل الرماني بذلك على جواز انكار المنكر مع خوف القتل وبالخبر الذي رواه الحسن عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال افضل
الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر يقتل عليه وقال عمرو بن عبيد لا نعلم عملا من اعمال البشر افضل من القيام
بالقسط يقتل عليه وهذا الذي ذكروه غير صحيح لان من شرط انكار المنكر الا يكون فيه مفسدة والا يؤدي الى
قتل المنكر ومتى ادى ذلك الى قتله فقد انتفى عنه الشرطان معا فيجب ان يكون قبيحا والاخبار التي رووها
اخبار آحاد لا يعترض بها على ادلة العقول على انه لا يمتنع ان يكون الوجه فيها وفي قوله ويقتلون الذين
يامرون بالقسط هو من غلب على ظنه ان انكاره لا يؤدي الى مفسدة يحسن منه ذلك بل وجب وان تعقب فيها
بعد القتل لانه ليس من شرطه ان يعلم ذلك بل يكفي فيه غلبة الظن ❁ قوله بغير حق لا يدل على ان قتل النبيين
يكون بحق بل المراد بذلك ان قتلهم لا يكون الا بغير حق كما قال ومن يدع مع الله الها آخر لا برهان له به
والمعنى ان ذلك لا يكون عليه برهان كما قال امرؤ القيس   على لاحب لا يهتدى بمناره   اذا سافه
العود الديافي جرجرا   وتقول لا خير عنده يرجى وانت تريد لا خير عنده اصلا وكذلك اراد امرؤ
القيس انه لا منار هناك فيهتدى به قال ابو ذؤيب   متفلق انساؤها عن قانئ كالقرط صاو غبره لا يرضع
اي ليس له بقية لبن فيرضع ومعنى صاو في البيت صوتا يابس النخلة ❁ قوله ويقتلون الذين يامرون بالقسط
من الناس معناه الذين يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر ❁ قوله فبشرهم بعذاب اليم انما خاطبهم بذلك
وان كان الخبر عن اسلافهم من حيث رضوا هم بافعالهم فاجملوا معهم على تقدير فبشر اخلافهم بان العقاب لهم
كما لاسلافهم فان قيل لم جاز ان يقول ان الذي يقوم فيكرمك ولم يجز ليت الذي يقوم فيكرمك قلنا لان
دخول الفاء لشبه الجزاء لان الذي يحتاج الى صلة فصلتها فامتعت مقام الشرط فلذلك دخل الفاء في الجواب
كما دخل في جواب الشرط وليت يبطل معنى الجزاء وليس كذلك ان لانها بمنزلة الابتداء **قوله تع** أُولَئِكَ
الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ آية بلا خلاف حبوط العمل عندنا هو
ايقاعه على خلاف الوجه المامور به فاذا وقع كذلك لم يستحق عليه الثواب فجاز لذلك ان يقال احبط عمله
ومتى اوقعه على الوجه المنهي عنه استحق مع ذلك العقاب وليس المراد بذلك بطلان ما يستحق عليه من
المدح والثناء ولا بطلان الثواب بما يستحق من العقاب لان الثواب اذا ثبت فلا يزول على وجه ما يستحق
صاحبه من العقاب لانه لا تنافي بين المستحقين ولا تضاد واما حبوطها في الدنيا فلانهم لم ينالوا بها
مدحا ولا ثناء واصل الحبوط ماخوذ من قولهم حبطت بطون الماشية اذا فسدت من اكل الربيع فعلى ما
حررناه انما تبطل الطاعة حتى يصير بمنزلة ما لم تفعل اذا وقعت على وجه خلاف الوجه المامور به وعند المعتزلة
ومن خالفنا في ذلك ان احدهما يبطل صاحبه اذا كان ما يستحق عليه من الثواب والعقاب اكثر مما يستحق على
الآخر فانه يبطل الاقل على خلاف بينهم في انه يحبط على طريق الموازنة او غير الموازنة قال الرماني والفرق
بين حبوط الفريضة وحبوط النافلة ان النافلة من الفاسق لا بد عليها من منفعة عاجلة لان الله رغب

فيها ان اقام على فسقه او لم يقم والترغيب من الحكيم لا يكون الا لمنفعة فاما المرضية من الفاسق فلا انتقاص المضرة التى كان يستحقها على ترك المضرة وهذا على مذهبنا لا يصح على ما فصلناه ولا على مذهب شيوخه لان المستحق على النوافل لا يكون الا ثوابا والثواب لا يصح فعله فى دار التكليف فكيف يصح ما قاله وقوله وما لهم من ناصرين يدل على انه تعم لا ينصر كافرا لانه لو نصره لكان اعظم ناصر والله تعم نفى على وجه العموم ان يكون لهم ناصر ولان مفهوم الكلام انه لا ينفعهم نصر لكفرهم **قوله تعم** أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ اية بلا خلاف معنى الم تر الم تعلم الى الذين اوتوا معناه الذين اعطوا نصيبا اى حظا وانما قيل اوتوا نصيبا منه لانهم يعلمون بعض ما فيه من الكتاب قال ابن عباس والزجاج والجبائى انه التورية دعى اليها اليهود فابوا لعلمهم بلزوم الحجة لهم بما فيه من الدلالة على نبوة نبينا صم وتصديقه والثانى قال الحسن وقتادة دعوا الى القران لان ما فيه موافق ما فى التورية فى اصول الديانة واركان الشريعة وفى الصفة التى تقدمت البشارة بها والحكم الذى دعوا الى الكتاب يحتمل ثلثة اشياء احدها ان يكون نبوة النبى صم والثانى ان يكون امر ابرهيم فان دينه الاسلام والثالث ان يكون حدا من الحدود لانهم نازعوا فى ذلك وليس فى القران دليل على تعيين ذلك وانما هو محتمل لكل واحد منها والفرق بين الدعاء الى الشئ والامر به ان الامر له صيغة مخصوصة وفيه زجر عن المخالفة عند من قال انه يقتضى الايجاب والدعاء قد يكون بالخبر وغيره من الدلالات على معنى الخبر وانما دعوا الى المحاكمة لتظهر الحجة فابوا الا المخالفة والحكم هو الخبر الذى يفصل الحق من الباطل بامتناعه من الالتباس وهو مأخوذ من الحكمة وهو الخبر الذى توجبه صحة الحكمة وانما يقال الحكم بالباطل لانه جعل موضع الحق باطلا بدلا منه وقولهم ليس هذا حكم كذا معناه ليس هذا حقه فانما دعوا الى كتاب الله ليفصل الحق من الباطل فيما اختلفوا فيه ومعنى قوله يتولى فريق منهم وهم معرضون فالتولى عن الشئ هو الاعراض عنه فليس على وجه التكرار لان معناه يتولى عن الداعى وهو معرض عما دعا اليه لانه قد كان يمكنه ان يتولى عنه وهو متأمل لما دعا اليه فلما لم يفعل كان العيب له الزم والذم على ما فعل اعظم **قوله تعم** ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ اية بلا خلاف الايام المعدودات قيل فيها قولان احدهما هى الايام التى عبدوا فيها العجل وهى اربعون يوما ذكره قتادة والربيع والحسن الآن الحسن قال سبعة ايام والثانى قال الجبائى ارادوا اياما منقطعة لانقضاء العذاب فيها وانقطاعه وقوله وغرهم فى دينهم فالغرور الاطماع فيما لا يصح غره يغره غرورا فهو مغرور واغتره اغترارا والغرور الشيطان لانه يغر الناس والغار الغافل لانه كالمغتر والغرارة الدنيا لانها تغر اهلها والغر الغمر الذى لم يجرب الامور ومصدره الغرارة لان من شانه ان يقبل الغرور والغرر الخطر الذى يقدم فيه على ما لا ينبغى لانه كحال الغرور فى الطمع المذموم والغرارة الوعاء لانها تغر بعظمها وخفاء ما فيها والغر اثار طى الثوب اطوه على غره اى على اثار طيه والغرغرة الترغر فى الحلق والغرغرة حكاية صوت الراعى والغرنوق الطائر فرخ غره يغره غرا اذا زقه وذلك لانه كالغرغرة فى الحلق والغرة الجبهة واصل الباب الغرور والاطماع فى غير مطمع و قوله ما كانوا يفترون فالافتراء الكذب وفرى فلان كذبا يفريه فريا والفرى الشق فريت الاديم فريا وفرية مفرية مشقوقة وقد تفرى بجوزها اى تشقق والفرى الامر العظيم لانه يشق على النفس واصل الباب الفرى الشق ومنه الافتراء لانه يشق على النفس والافتراء الذى غرهم قيل فيه قولان احدهما قولهم نحن ابناء الله واحباؤه فى قول قتادة وقال مجاهد غرهم قولهم لن تمسنا النار الا اياما معدودات وليس فى الاية ما يدل على خلاف ما نذهب اليه من جواز العفو واخراج المعاقبين من اهل الملة من النار من حيث ان الله ذم هؤلاء بانه لا يمسهم النار الا اياما معدودات وذلك انا لا نقول ان الايام التى يعاقب فيها الفاسق بعدد ايام عصيانه بل انما نقول ان عقاب من ثبت دوام ثوابه لا يكون الا منقطعا وان لم يحط العلم مقداره والله تعم عاب اهل الكتاب بذلك من حيث قطعوا على ما قالوه وحكموا به وذلك بخلاف ما قلنا. **قوله تعم** فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ وَ

وُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ اية بلا خلاف كيف موضوعة للسؤال عن الحال ومعناها ههنا التنبيه بصيغة السؤال عن حال من يساق الى النار وفيه بلاغة واختصار شديد لان تقديره اى حال يكون حال من اغتر بالدعاوى الباطلة حتى اداه ذلك الى الخلود فى العقوبة ونظيره قول القائل انا اكرمك وان لم تجئنى فكيف اذا جئتنى معناه فكيف اكرامى لك اذا جئتنى والتقدير كيف حالهم اذا جمعناهم لانه خبر ابتداء محذوف وقوله ليوم لا ريب فيه معناه لجزاء يوم واللام يدل على هذا التقدير ولو قال جمعناهم فى يوم لما دل على ذلك ومثله جئته ليوم الخميس اى لما يكون فى يوم الخميس وقال الفراء معناه فى يوم و قوله ووفيت كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون قيل معناه قولان احدهما وفيت كل نفس ما كسبت من ثواب وعقاب الثانى ما كسبت من ثواب وعقاب بمعنى جلبت بعملها من الثواب والعقاب كما تقول كسب فلان المال بالتجارة والزراعة فان قال كيف قال وفيت كل نفس ما كسبت وما كسبت لا نهاية له لانه دائم وما لا نهاية له لا يصح فعله قلنا معناه انه توفى كل نفس ما كسبت حالا بعد حال فاما ان يفعل جميع المستحق فمحال لكن لا ينتهى الى حد ينقطع ولا يفعل فيما بعده وهم لا يظلمون معناه لا يبخسون فلا يبخس المحسن جزاء احسانه ولا يعاقب مسئ فوق جزائه **قوله تعم** قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ اية واحدة قيل فى زيادة الميم فى اللهم قولان احدهما قال الخليل انها عوض من ياء التى هى اداة للنداء بدلالة انه لا يجوز ان يقول غفر اللهم لى ولا يجوز ايضا مع باقى الكلام والثانى ما قاله الفراء انها الميم فى قولك يا الله امنا بخير فلقيت الهمزة وطرحت حركتها على ما قبلها ومثله هلم وانما هى هل ام قال وما قاله الخليل لا يجوز لان الميم انما تزاد مخففة فى مثل فم وابنم ولانها قد اجتمعت مع يا فى قول الشاعر وما عليك ان تقولى كلما سبحت او صليت يا اللهما اردد علينا شيخنا مسلما قال الرمانى لا يفسد قول الخليل بما قاله لانها عوض من حرفين فشددت كما قيل وضربتن لما كانت النون عوضا من حرفين فى ضربتمو وذهبتمو فاما قمتن وذهبن فعوض من حرف واحد واما البيت فانما جاز فيه لضرورة الشعر واما هل فلا تدخل على ام يوجه من الوجوه والاصل فيها انها للتنبيه دخلت على لم فى قول الخليل وقوله مالك الملك اكثر النحويين على انه منصوب بانه منادى مضاف وتقديره يا مالك الملك وقال الزجاج يحتمل هذا ويحتمل ايضا ان يكون صفة من اللهم لان اللهم مناد والميم فى اخره عوض من يا فى اوله ثم وصفه بعد ذلك كما تقول يا زيد ذا الجمة ومعنى الاية قيل فيه اربعة اقوال احدها ان الملك ههنا النبوة ذكره مجاهد وقال الزجاج مالك العباد وما ملكوا وقال قوم مالك امر الدنيا والاخرة والرابع انه قاصد لا يجوز الا له من انه مالك كل ملك و قوله تؤتى الملك من تشاء تقديره من تشاء او تؤتيه وتنزع الملك ممن تشاء ان تنزعه كما تقول خذ ما شئت واترك ما شئت ومعناه ما شئت ان تتركه والنزع قلع الشئ عن الشئ نزع ينزع نزعا ومنه قوله والنازعات غرقا قال ابو عبيدة هى النجوم تنزع اى تطلع والنزع الشبه للقوم نزع الى اخواله اى نزع اليهم بالشبه فصار واحدا منهم يشبههم والنزاع الحنين الى الشئ والمنازعة الخصومة والنزوع عن الشئ الترك له والنزع ذهاب الشعر عن مقدم الراس والمنزعة الة النزع واصل الباب النزع القلع وقال البلخى والجبائى لا يجوز ان يعطى الله الملك للفاسق لانه تمليك الامر العظيم من السياسة والتدبير مع المال الكثير لقوله لا ينال عهدى الظالمين والملك من اعظم العهود ولا ينافى ذلك قوله الم تر الى الذى حاج ابرهيم فى ربه ان اتيه الله الملك لامرين احدهما قال مجاهد الهاء كناية عن ابرهيم والملك المراد به النبوة والتدبير وان اتيه الله ابرهيم النبوة والثانى ان يكون المراد بالملك المال دون السياسة والتدبير فان قيل ما الفرق بين تمليك الكافر العبيد والاماء وبين تمليكه السياسة والتدبير لان لا يجعل للجاهل ان يسوس العالم وهذا الذى ذكره البلخى بعينه يستدل به على الامام يجب ان يكون معصوما ولا يكون فى باطنه كافرا ولا فاسقا فان قيل ان ذلك عادة وجاز ان يكلفنا الله اختياره على ظاهر العدالة فاذا بان فسقه انخلعت امامته وانما لا يجوز ان يختار الله تعم من فى باطنه فاسق لانه يعلم البواطن لما جاز منا ان نختاره

قلنا عن ذلك جوابان احدهما ان الامام عندنا الله تعالى يختاره فوجب ان يكون مامون الباطن على ما قلناه وما الفرق بين ان يختار من في باطنه فاسق وبين ان يكلفنا ذلك مع علمه بانا لا نختار الا الفاسق والجواب الثاني انه اذا كانت علة الحاجة الى الامام ارتفاع العصمة فلو كان الامام غير معصوم لاحتاج الى امام آخر وادى ذلك الى التسلسل وذلك باطل ❁ وقوله بيدك الخير معناه انك قادر على الخير وانما خص الخير بالذكر وان كان بيده كل شيء من خير او شر لان الغرض ترغيب العبد وانما يرغب في الخير دون الشر وقال الحسن وقتادة هذه الآية نزلت جوابا لما سأل الله النبي صلى الله عليه وآله ان يجعل لامته ملك فارس والروم فانزل الله الآية **قوله تعالى** تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ آية بلا خلاف قرأ بتشديد الياء من الميت نافع وحمزة والكسائي وحفص الباقون بالتخفيف الايلاج الادخال يقال اولجه ايلاجا وولج ولوجا ومنه قوله حتى يلج الجمل في سم الخياط والوليجة بطانة الرجل لانه يطلعه على داخل امره ومنه قوله ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة والتولج كناس الظبي لانه يدخله لياوي اليه والولجة شيء يكون بين يدي فناء القوم لانه مدخل الى افنائهم واصل الباب الدخول وقيل في معنى الآية قولان احدهما ما روي عن ابن مسعود وابن عباس ومجاهد والحسن وقتادة والسدي والضحاك وابن زيد انه يجعل ما نقص من احدهما زيادة في الآخر وقال الجبائي معناه يدخل احدهما في الآخر باتيانه بدلا منه في مكانه ❁ وقوله ويخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي قيل في معناه قولان احدهما يخرج الحي من النطفة وهي ميتة والنطفة من الحي وكذلك الدجاجة من البيضة والبيضة من الدجاجة هذا قول عبد الله بن مسعود ومجاهد والضحاك والسدي وقتادة وابن زيد الثاني ما قاله الحسن وروي ذلك عن ابي جعفر وابي عبد الله عليهما السلام انه اخراج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن والفرق بين تخفيف الياء وتشديدها ان الميت بالتخفيف الذي قد مات وبالتثقيل الذي لم يمت قال المبرد ولا خلاف بين علماء البصريين انهما سواء وانشد لابن الرعلاء الغساني ليس من مات فاستراح بميت انما الميت ميت الاحياء انما الميت من يعيش كئيبا كاسفا باله قليل الرجاء فجمع بين اللغتين وانما كرر في عدة مواضع في القرآن لما فيه من عظم المنفعة وجزيل الفائدة ❁ وقوله بغير حساب قيل فيه ثلاثة اقوال اولها قال الحسن والربيع بغير نقصان لانه لا نهاية لما في مقدوره فما يوجد منه لا ينقصه ولا هو على حساب جزء من كذا وكذا جزءا منه فهو بغير حساب التجزئة الثاني بغير حساب التقتير كما يقال فلان ينفق بغير حساب لان من عادة المقتر ان لا ينفق الا بحساب ذكره الزجاج الثالث ما قاله الجبائي ان معناه بغير حساب الاستحقاق لانه تفضل وذلك لان النعيم منه بحساب ومنه بغير حساب فاما العقاب فجميعه بحساب **قوله تعالى** لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ آية واحدة قال الفراء والحسن ومجاهد تقية وبه قرأ يعقوب الباقون تقاة وامال تقاة الكسائي وقرأ حمزة ونافع بين بين الباقون بالتفخيم وهو الاجود لان فيه حرفا مستعليا وهو القاف ومن امال ليؤذن ان الالف منقلبة من الياء معنى قوله لا يتخذ المؤمنون نهي للمؤمنين ان يتخذوا الكافرين اولياء يعني انصارا وكسر الذال لالتقاء الساكنين ولو رفع لكان جائزا بمعنى لا ينبغي لهم ان يتخذوا ❁ وقوله من دون المؤمنين من لابتداء الغاية وتقدير الآية لا تجعلوا ابتداء الولاية مكانا دون المؤمنين لان مكان المؤمن الاعلى ومكان الكافر الادنى كما تقول زيد دونك ولست تريد انه في موضع مستفل وانك في موضع مرتفع لكن جعلت الشرف بمنزلة الارتفاع والخسة كالاستفال وفي الآية دلالة على انه لا يجوز ملاطفة الكفار وقال ابن عباس نهى الله سبحانه المؤمنين ان يلاطفوا الكفار وقال تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا وقال لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله وقال فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين وقال واعرض عن الجاهلين وقال تعالى يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وقال تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا

اليهود والنصارى اولياء بعضهم اولياء بعض ومن يتولهم منكم فانه منهم وكل ذلك يدل على انه ينبغي ان يعاملوا بالغلظة والجفوة دون الملاطفة والملاينة الا ما وقع من النادر لعارض من الامر ووجه اتصال هذه الآية بما قبلها انه تعالى لما بين عظيم آياته بما في مقدوره مما لا يقدر عليه سواه دل على انه ينبغي ان تكون الرغبة فيما عنده وعند اوليائه من المؤمنين دون اعدائه الكافرين فنهى عن اتخاذهم اولياء دون اهل التقوى الذين سلكوا طريق الهدى والولي هو الاولى وهو ايضا الذي يلي امر من ارتضى فعله بالمعونة والنصرة ويجري على وجهين احدهما المعين بالنصرة والآخر المعان فمن ذلك قوله الله ولي الذين آمنوا اي معينهم بنصرته والمؤمن ولي الله اي معان بنصرة الله وقوله ومن يفعل ذلك يعني من اتخذ الكافرين اولياء فليس من الله في شيء اي ليس هو من اولياء الله الصالحين والله بريء منه الا ان تتقوا منهم تقاة فالتقية الاظهار باللسان خلاف ما ينطوي عليه القلب للخوف على النفس اذا كان ما يبطنه هو الحق فان كان ما يبطنه باطلا كان ذلك نفاقا ❁ وقوله تقاة اصله وقاة فابدلت الواو المضمومة تاء استثقالا لها لانهم يفرون منها الى الهمزة تارة والى التاء اخرى فاما التاء فلقربها من الواو مع انها من حروف الزيادة واما الهمزة فلانها نظيرتها في الطرف الآخر من مخارج الحروف مع حسن زيادتها اولا ووزن تقاة فعلة مثل تؤدة وتخمة وتكاة وهي مصدر اتقى تقاة وتقية وتقوى واتقاء والتقية عندنا واجبة عند الخوف على النفس وقد روي رخصة في جواز الافصاح بالحق عندها روى الحسن ان مسيلمة الكذاب اخذ رجلين من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله فقال لاحدهما اتشهد ان محمدا رسول الله قال نعم قال افتشهد اني رسول الله قال نعم ثم دعا بالآخر فقال اتشهد ان محمدا رسول الله قال نعم فقال له افتشهد اني رسول الله قال اني اصم قالها ثلاثا كل ذلك يقول فيقول ذلك فضرب عنقه فبلغ ذلك فقال اما هذا المقتول فمضى على صدقه ويقينه واخذ بفضله فهنيئا له واما الآخر فقبل رخصة الله فلا تبعة عليه فعلى هذا التقية رخصة والافصاح بالحق فضيلة وظاهر اخبارنا يدل على انها واجبة وخلافها خطأ ❁ وقوله ويحذركم الله نفسه يعني اياه فوضع نفسه مكان اياه ونفسه يعني هنا به واضافه الى نفسه على وجه الاختصاص والتحقيق كما لو حققه بصفته بان يقول يحذركم الله المجازي لكم ❁ وقوله والى الله المصير معناه الى جزاء الله المصير اي المرجع **قوله تعالى** قُلْ إِنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ آية واحدة وجه اتصال هذه الآية بما قبلها انه لما تقدم النهي عن اتخاذ الكفار اولياء خوفوا من الاعلان بخلاف الاظهار فيما هو اعلم بان الله تعالى يعلم الاسرار كما يعلم الاعلان والصدر معروف والصدر اعلى مقدم كل شيء والصدر الانصراف عن الماء بعد الري تقول صدرت الابل عن الماء فهي صادرة والمصدر الحوض الذي تصدر عنه الابل والتصدير حزام الرحل لميله الى الصدر والصدار شبيه بالبقيرة تلبسها المرأة لانه قميص يغطي الصدر وما حاذاه وكذلك الصدرة واصل الباب الصدر المعروف ❁ وقوله يعلمه الله جزم لانه جواب الشرط وان كان الله يعلمه كان او لم يكن ومعناه يعلمه كائنا ولا يصح وصفه بذلك قبل ان يكون والمعنى وما تفعلوا من خير يجازه الله عليه لانه يعلمه فلا يذهب عليه شيء منه وانما قال ويعلم ما في السماوات وما في الارض ليذكر بمعلومات الله على التفصيل ليعلم الضمير وانما رفعه على الاستئناف ❁ وقوله والله على كل شيء قدير معناه التحذير من عقاب من لا يعجزه شيء اصلا من حيث انه قادر على كل شيء يصح ان يكون مقدورا له **قوله تعالى** يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ آية بلا خلاف قيل في انتصاب يوم ثلاثة اوجه احدها انه منصوب بيحذركم الله اي يحذركم نفسه يوم تجد الثاني بالمصير وتقديره والى الله المصير يوم تجد الثالث اذكر يوم تجد ❁ وقوله ما عملت معنى ما ههنا الذي لانه عمل فيها تجد ويكون في موضع نصب ويحتمل ايضا ان يكون مع ما بعدها بمنزلة المصدر وتقديره يوم تجد كل نفس عملها بمعنى جزاء عملها ❁ وقوله وما عملت يجوز ان يكون ما بمعنى الذي ويقوى

ذلك وقوله تودّ بالرفع ويجوز ان يكون بمعنى الجزاء وتودّ على هذا يحتمل ان يكون مفتوحا او مكسورا و
الرفع جائز على ضعف ومعنى تجد النفس عملها يحتمل امرين احدهما جزاء عملها من الثواب والعقاب الثاني
تجد بيان عملها بما ترى من صحائف الحسنات والسيئات وحكم الاية جاز على فريقين وليّ الله وعدوّه فاحدهما
يرى حسناته والاخرى يرى سيئاته ويحتمل ايضا ان يكون قسما وكلّا لمن جمع بين الطاعة والمعصية فان من جمع بينهما
فانه يرى استحقاقه للعقاب على معاصيه حاصلا فانه يودّ ايضا انه لم يكن فعلها والامد الغاية التى ينتهى اليها
قال الطرماح كل حى مستكمل مدة العمر وموْدٍ اذا انقضى امده اى غاية اجله فان قيل كيف يتصل التحذير بالرافة
قيل قال الحسن ان من رافته بهم ان حذّرهم نفسه وقد بيّنا ان معنى قوله ويحذّركم الله نفسه عذابه وفسرنا معنى
رؤف فيما مضى وان معناه رحيم بعباده **قوله تعالى** قُلْ اِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللّٰهَ فَاتَّبِعُوْنِى يُحْبِبْكُمُ اللّٰهُ وَيَغْفِرْ
لَكُمْ ذُنُوْبَكُمْ وَاللّٰهُ غَفُوْرٌ رَحِيْمٌ اية قيل ان هذه الاية نزلت فى قوم من اهل الكتاب قالوا نحن الذين نحب ربنا
فجعل الله تصديقه لذلك اتباع رسوله هذا قول الحسن وابن جريج وقال محمد بن جعفر بن الزبير انها نزلت فى
وفد نجران من النصارى والمحبة هى الارادة الا انها تضاف الى المراد تارة والى متعلق المراد اخرى نحو ان تقول
احبّ زيدا واحبّ اكرام زيد ولا تقول فى الارادة ذلك لانك تقول اريد اكرام زيد ولا تقول اريد زيدا وانما
كان كذلك لقوة تصرف المحبة فى موضع مثل الطباع الذى يجرى مجرى الشهوة فعوملت تلك المعاملة فى
الاضافة ومحبة الله للعبد هى ارادته لثوابه ومحبة العبد لله هى ارادته لطاعاته **و** قوله فاتبعونى ليس راس اية
فيه بلا خلاف لانها فى وسط اية وحذف من قوله فاتقوا الله واطيعون لانها راس اية ينوى بها الوقف
لتشاكل رؤس الاى لان سبيل الفواصل سبيل القوافى وقيل احببت فلانا فهو محبوب فجاء مفعول الاستغناء
به عن حببت حتى صار ذلك مهملا وقد جاء على الاصل قال عنترة   ولقد نزلت فلا تظنى غيره   منى بمنزلة
المحبّ المكرم   وقد حكى الزجاج عن الكسائى حببته من الثلاثى واجاز القراءة بفتح التاء غير انه قال هذه لغة
قد ماتت **و** قوله ويغفر لكم لا يجوز فى القياس ادغام الراء فى اللام كما جاز ادغام اللام فى الراء فى هل رايت
لان الراء مكررة ولا يدغم الزائد فى الناقص لاخلاله به وقياسها فى ذلك قياس الضاد لانه يجوز هل ضربت
بالادغام ولا يجوز انقض له الا بالاظهار لما فى الضاد من الاستطالة وقال الزجاج روى عن ابى عمرو ادغام
الراء فى اللام وغلط عليه لانه خطاء فاحش باجماع علماء النحويين الموثوق بهم واجاز الفراء ادغامها فى
اللام كما يجوز ادغام الباء فى الميم **قوله تعالى** قُلْ اَطِيْعُوا اللّٰهَ وَالرَّسُوْلَ فَاِنْ تَوَلَّوْا فَاِنَّ اللّٰهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِيْنَ
اية بلا خلاف قال محمد بن جعفر بن الزبير نزلت هذه الاية فى وفد نجران وفيها دلالة على بطلان مذهب المجبرة
لانه قال لا يحب الكافرين ومعنى لا يحبهم لا يريد ثوابهم من اجل كفرهم فاذن لا يريد كفرهم لانه لو اراده لم
يكن نفى محبته لكفرهم والطاعة اتباع الداعى فيما دعا اليه بامره وارادته ولذلك قد يكون الانسان مطيعا
للشيطان فيما يدعوه اليه وان لم يقصد ان يطيعه لانه اذا مال مع ما يجده فى نفسه من الدعاء الى المعصية فقد
اطاع الداعى اليها فان قيل ما الفرق بين الطاعة وموافقة الارادة قيل موافقة الارادة قد تكون طاعة
وقد تكون غير طاعة اذا لم يقع موقع الداعى الى الفعل كنحو ارادتى لان يتصدق زيد بدرهم من غير ان
يشعر بذلك فلا يكون بفعله مطيعا لى ولو فعله من اجل ارادتى لكان مطيعا وكذلك لو احس بدعائى الى
ذلك فمال معه **و** قوله ان الله لا يحب الكافرين معناه انه يبغضهم ولا يريد ثوابهم فدل بالنفى على الاثبات
وكان ذلك ابلغ لانه لو قال انه يبغضهم لجاز ان يتوهم انه يبغضهم من وجه ويحبهم من وجه كما يعلم الشئ
من وجه ويجهل من وجه فاذا قيل لا يعلمه لم يحتمل الوجوه **قوله تعالى** اِنَّ اللّٰهَ اصْطَفٰى اٰدَمَ وَنُوْحًا وَاٰلَ
اِبْرٰهِيْمَ وَاٰلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِيْنَ اية واحدة معنى اصطفى اختار واجتبى واصله من الصفوة وهذا من
حسن البيان الذى يمثل فيه المعلوم بالمرئى وذلك ان الصافى هو النقى من شائب الكدر فيما يشاهد فمثل
به خلوص هؤلاء القوم من الفساد لما علم الله ذلك من حالهم لانهم كخلوص الصافى من شائب الادناس فان
قيل بماذا اختارهم اباختيار دينهم او بغيره قيل فيه ثلثة اقوال احدها بمعنى انه اختار دينهم واصطفاه كما

قال

قال واسئل القرية وهذا قول الفراء وقال الزجاج واختاره الجبائى انه باختيارهم للنبوة على عالمى زمانهم
الثالث قال البلخى بالتفضيل على غيرهم بما رتبهم عليه من الامور الجليلة لما فى ذلك من المصلحة والاصطفاء
هو الاختصاص بحال خالصة من الادناس ويقال ذلك على وجهين يقال اصطفاه لنفسه اى جعله خالصا له
يختص به والثانى اصطفاه على غيره اى اختصه بالتفضيل على غيره وهو معنى الاية فان قيل كيف يجوز
اختصاصهم بالتفضيل قبل العمل قيل اذا كان فى المعلوم ان صلاح الخلق لا يتم الا بتقديم الاعلام لذلك
بما قدّم من البشارة بهم والاخبار بما يكون من حسن افعالهم والتشويق اليهم بما يكون من جلالتهم الى غيره من
الايات التى تشهد لهم والقوى فى العقول والافهام التى كانت لهم وجب فى الحكمة تقديم ذلك لما فيه من
حسن التدبير فان قيل من ال ابرهيم قيل قال ابن عباس والحسن هم المؤمنون الذين على دينه فيكون بمعنى
اختصهم بميزة كانت منهم على عالمى زمانهم وقيل ال عمران هم ال ابرهيم كما قال ذرية بعضها من بعض فهم
موسى وهرون ابنا عمران وقال الحسن ال عمران المسيح لان امه مريم بنت عمران وفى قراءة اهل البيت وال محمد
على العالمين وقالوا ايضا ان ال ابرهيم هم ال محمد الذين هم اهله وقد بينا فيما مضى ان الال بمعنى الاهل
والاية تدل على ان الذين اصطفاهم معصومون منزّهون لانه لا يختار ولا يصطفى الا من كان كذلك ويكون
ظاهره وباطنه واحدا فاذا يجب ان يختص الاصطفاء بال ابرهيم وال عمران من كان مرضيا معصوما سواء
كان نبيا او اماما **قوله تعالى** ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللّٰهُ سَمِيْعٌ عَلِيْمٌ وزن ذرية فعلية مثل قمرية
ويحتمل ان يكون على وزن فعلولة واصله ذرّورة الا انه كره التضعيف فقلبت الراء الاخيرة ياء فصار ذروية
وقلبت الواو للياء التى بعدها ياء وادغمت احداهما فى الاخرى فصار ذرية قال الزجاج والاول اجود و
اقيس ويحتمل نصبها وجهين احدهما ان يكون حالا والعامل فيها اصطفى والثانى ان يكون على البدل من
مفعول اصطفى ومعنى قوله بعضها من بعض اى فى الاجتماع على الصواب قال الحسن والمؤمنون والمؤمنات
بعضهم من بعض فى الاجتماع على الهدى وبه قال قتادة الثانى قال الجبائى وغيره انه فى التناسل اذ جميعهم
ذرية ادم ثم ذرية نوح ثم ذرية ابرهيم وهو المروى عن ابى عبد الله ع لانه قال الذين اصطفاهم الله بعضهم
من نسل بعض **و** قوله والله سميع عليم قيل فيه قولان احدهما انه سميع لما تقوله الذرية عليم بما تضمره
فلذلك فضلها على غيرها لما فى معلومه من استقامتها فى قولها وفعلها والثانى سميع لما تقوله امراة
عمران من قولها انى نذرت لك ما فى بطنى محررا عليم بما تضمره ليدلّ على انه لا يضيع لها شئ من جزاء عملها
وبيّنه ذلك على استحسان ذلك منها لان قول القائل قد علمت ما فعلت يجرى فى الوعد والوعيد معا
على حد واحد **قوله تعالى** اِذْ قَالَتِ امْرَاَةُ عِمْرَانَ رَبِّ اِنِّىْ نَذَرْتُ لَكَ مَا فِىْ بَطْنِىْ مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىْ اِنَّكَ
اَنْتَ السَّمِيْعُ الْعَلِيْمُ اية واحدة بلا خلاف امراة عمران المذكورة فى الاية هى ام مريم بنت عمران ام المسيح
وقيل ان اسمها كانت حنّة واذ تدل على ما مضى وقيل فيما يتعلق به اذ اربعة اقوال احدها قال الاخفش و
المبرد انه اذكر اذ قالت الثانى قال الزجاج انه متعلق باصطفى ال عمران اذ قالت الثالث يتعلق بسميع عليم
اذ قالت فيعمل فيه معنى الصفتين على تقدير مدرك لنيّتها وقولها اذ قالت ذكره الرمانى الرابع قال ابو
عبيدة ان اذ زائدة فلا موضع لها من الاعراب وهذا خطاء عند البصريين **و** قوله نذرت لك ما فى بطنى
محررا فالنذر قد بيناه فيما مضى وهو قول القائل لله على كذا وكذا وقيل فى معنى محررا ثلثة اقوال احدها
قال الشعبى معناه مخلصا للعبادة وقال مجاهد خادما للبيعة وقال محمد بن جعفر بن الزبير عتيقا من الدنيا
لطاعة الله ومعنى محرر فى اللغة يحتمل امرين احدهما معتوق من الحرية تقول حررته تحريرا اذا اعتقته اى
جعلته حرا الثانى من تحرير الكتاب وهو اخلاصه من الفساد والفساد واصل الباب الحرارة لان الحر يحمى
فى مواضع الانفة فالحر يخلص من الاضطراب كما يخلص حرارة النار الذهب ونحوه من شائبة الفساد وهو
نصب على الحال من ما وتقديره نذرت لك الذى فى بطنى محررا والعامل فيه نذرت **و** قوله فتقبّل منى
فاصل التقبل المقابلة وذلك للاعتداد بالشئ فيما يقابل بالجزاء عليه وتقبل الصنيع مشبه بتقبل الهدية

من جهة

من جهة اخذه دون رده و قوله انك انت السميع العليم معناه السميع لما اقول العليم بما انوى فلهذا اصح التقبل لى **قوله تعالى** فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ اية بلا خلاف قرأ والله اعلم بما وضعت ابن عامر وابو عمرو عن عاصم ويعقوب بمعنى قولى فلما وضعتها قالت رب انى وضعتها انثى قيل فيه قولان احدهما الاعتذار من العدول عن النذر لانها انثى الثانى الذكر فى السؤال لها بانها انثى وذلك ان عيب الانثى اقطع وهوانها اسرع وسعيها اضعف وعقلها انقص فقدمت ذكر الانثى ليصح القصد لها فى السؤال على هذا الوجه و قوله وليس الذكر كالانثى اعتذار بان الانثى لا تصلح لما يصلح له الذكر وانما كان يجوز لهم التحرير فى الذكور دون الاناث لانها لا تصلح لما يصلح له الذكر من التحرير لخدمة المسجد المقدس لما يلحقها من الحيض والنفاس والصيانة عن التبرج للناس وقال قتادة لم يكن التحرير الا للغلمان فيما جرت به العادة والهاء فى قوله وضعتها يحتمل ان يكون كناية عن ما فى قوله نذرت لك ما فى بطنى وجاز ذلك لوقوع ما على مؤنث ويحتمل ان يكون كناية عن معلوم قد دل عليه الكلام واصل الوضع الحط وضعه يضعه وضعا ووضعت بمعنى ولدت اى وضعت الولد ومنه الموضع مكان الوضع والتواضع خلاف التكبر لانه وضع العبد من نفسه والضعة الخانة لانها تضع من قدر صاحبها والوضيعة ذهاب شئ من راس المال والمواضعة المواهبة فى التبايع لوضع ما يتفق عليه فى ذلك والايضاع فى السير الرفق فيه لانه حط عن شدة الاسراع ومنه قوله تعالى ولاوضعوا خلالكم واصل الباب الحط فان قيل هل يجوز ان يقول والله اعلم بان الجسم محدث من زيد العالم به كما قالت والله اعلم بما وضعت قيل لا يجوز لان علم كل واحد منهما يجوز ان ينقلب عند الخلاف وليس كذلك بانه يعلم الله وافعل من كذا انما يقال للمبالغة فى الصفة ومن ضم التاء جعل ذلك من كلام ام مريم على وجه التسبيح والانقطاع اليه تعالى كما يقول القائل قد كان كذا وكذا وانت تعلم لا على وجه الاعلام بل على ما قلناه واسكان التاء اجود لامرين احدهما ان قولها انى وضعتها انثى قد اغنى عن ذلك والثانى انه كان يجب ان يقول وانت اعلم لانها تخاطب الله تعالى و قوله وانى اعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم قيل فى معناه قولان احدهما الاستعاذة من طعن الشيطان للطفل الذى له يستهل صارخا فوقاها الله عز وجل وولدها عيسى منه بحجاب على ما رواه ابو هريرة عن النبى ص الثانى قال الحسن انها استعاذت من اغواء الشيطان والرجيم بمعنى المرجوم بالشبهة واصل الرجم الرمى بالحجارة رجم يرجم رجما والرجم القذف بالغيب لانه رمى بالغيب ومنه لارجمنك واهجرنى مليا والرجم الاخبار عن الظن لانه رمى بالخبر عن يقين ومنه رجما بالغيب والرجوم النجوم لان من شانها ان يرمى بها الشياطين ومنه قوله وجعلناها رجوما للشياطين والرجام القبور التى عليها الحجارة والمراجمة المباراة فى الكلام والعمل لرمى كل واحد من النفسين صاحبه بما يكيده واصل الباب الرمى **قوله تعالى** فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ اية واحدة بلا خلاف قرأ اهل الكوفة كفلها بالتشديد الباقون بالتخفيف والتخفيف اليق بقوله ايهم يكفل مريم وقرأ اهل الكوفة الا ابا بكر زكريا مقصورا الباقون بالمد ونصب زكريا مع المد ابو بكر الباقون بالرفع قوله فتقبلها ربها بقبول حسن معناه رضيها فى النذر الذى نذرته بالاخلاص للعبادة فى بيت المقدس ولم يقبل قبلها انثى فى ذلك المعنى وانما جاء مصدر تقبلها على القبول دون التقبل لان فيه معنى قبلت وقال ابو عمرو لا نظير للقبول فى المصادر بفتح فاء الفعل والباب كله مضموم الفاء كالدخول والخروج وقال سيبويه جاءت خمسة مصادر على فعول قبول ووضوح وطهور وولوع ووقود الا ان الاكثر فى وقود الضم اذا اريد المصدر واجاز الزجاج فى القبول الضم و قوله وانبتها نباتا حسنا معناه انشاها انشاء حسنا فى غذائها وحسن تربيتها والكفل تضمن مؤنة الانسان كفلته اكفله كفلا فانا كافل اذا تكفلت مؤنته ومنه وكفلها زكريا ومن قرأ بالتثقيل فمعناه كفلها الله

زكريا والكفيل الضامن والكفل مؤخر العجز والكفل من الرجال الذى يكون فى مؤخر الحرب همته الفرار والكفل النصيب و منه قوله يؤتكم كفلين من رحمته وقوله ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها واصل الباب التاخر فمنه الكفالة الضمان وفى زكريا ثلث لغات المد والقصر وقد قرئ بهما وزكرى بالياء المشددة واحكامها مختلفة فى الجمع والتثنية فمن مد قال فى التثنية زكرياوان وفى الجمع زكرياوون ومن قصر قال فى التثنية زكريان وفى الجمع زكريون والذى بالياء زكريان فى التثنية وزكريون فى الجمع وزكريا بالمد لا يجوز صرفه لان فيه الف التانيث ومن قال لانه اعجمى معرفة يلزمه اذا نكر ان يصرفه وهذا لا يجوز واما زكرى فانه ينصرف لانه بياء النسب خرج الى شبه العربى كما خرج مدائنى الى شبه الواحد على قول المبرد و المحراب مقام الامام من المسجد واصله اكرم موضع فى المجلس واشرفه قال عيسى بن زيد العبادى

كدمى العاج فى المحاريب او كالبيض فى الروض زهره مستنير

وقيل هو المكان العالى ذكره الزجاج قال الشاعر

ربة محراب اذا جئتها لم القها او ارتقى سلما

وقوله وجد عندها رزقا فالرزق هو ما للانسان للانتفاع به على وجه ليس لاحد منعه منه وقيل انه كان فاكهة الصيف فى الشتاء وفاكهة الشتاء فى الصيف فى قول ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدى وقال الحسن وابن اسحق وقال لم تلقم ثديا قط وانما كان ياتيها رزقها من الجنة وهذه تكرمة من الله تعالى لها وعندنا يجوز فعل ذلك بالاولياء والصالحين وان لم يكونوا انبياء ومن منع منه قالوا فيه قولين احدهما ان ذلك كان اية لدعوة زكريا لها بالرزق فى الجملة و الثانى قال قوم هو تاسيس لنبوة المسيح والاول قول الجبائى واختار وجها اخر ان يكون الله تعالى سخرها بعض عباده ان ياتيها به بلطفه على مجرى العادة ولا يكون معجزا وهذا خلاف جميع اقوال المفسرين لانهم كلهم قالوا لما راى زكريا ذلك قال الذى يقدر على ان ياتى مريم بالرزق يقدر ان يخلق الولد من امراة عاقر فهنالك سأله ان يرزقه ولدا ويحتمل ايصال قوله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب بما تقدم من وجهين احدهما ان يكون حكاية لقول مريم والثانى ان يكون استينافا من الله الاخبار به والاولى ان يكون على الاستيناف لانه ليس من معنى الجواب عما سئلت عنه فى شئ وقال الحسن هو على الحكاية و قوله بغير حساب معناه بغير حساب الاستحقاق على العمل لانه تفضل يبتدئ الله به من يشاء من خلقه ويحتمل ان يكون المراد بغير تقتير كما يحسب الذى يخاف الاملاق وقد بينا فيما مضى معنى انى وان معناه من اين لك وقال قوم معناه كيف لك والاول اظهر **قوله تعالى** هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ اية واحدة معنى هنا لك عند ذلك والاصل فيه الظرف من المكان نحو ايته هنا وهنالك وهناك والفصل بينهما القرب والبعد فهنا للقريب وهنالك للبعيد وهناك لما بينهما وقال الزجاج ويستعمل فى الحال كقوله من ههنا قلت كذا اى من هذا الوجه وفيه معنى الاشارة كقولك ذا وذاك وزيدت اللام لتاكيد التعريف لان الاصل فى زيادتها التعريف الا انها كسرت لالتقاء الساكنين كما كسرت فى ذلك ولا يجوز اعرابها لان فيها معنى الحرف ومعنى الاية عند ذلك الذى راى من فاكهة الصيف فى الشتاء وفاكهة الشتاء فى الصيف على خلاف ما جرت به العادة طمع فى رزق الولد من العاقر على خلاف مجرى العادة فسأل ذلك زكريا وان كان عالما بانه تعالى يقدر على خلق الولد من العاقر وان لم يجر به العادة فانه كان يجوز ان لا يفعل ذلك لبعض التدبير فلما راى خرق العادة بخلق الفاكهة فى غير وقتها قوى ظنه انه يفعل ذلك اذا اقتضت المصلحة وقوى فى نفسه ما كان علمه كما ان ابرهيم وان كان عالما بانه تعالى يقدر على احياء الميت سأل ذلك مشاهدة لتاكد معرفته وتزول عنه خواطره وقال الجبائى ان الله تعالى كان اذن له فى المسئلة وجعل وقته الذى اذن له فيه الوقت الذى راى فيه المعجزة الظاهرة فلذلك دعا و قوله قال رب هب لى من لدنك ذرية طيبة فالهبة تمليك الشئ من غير ثمن تقول وهب يهب فهو واهب والشئ موهوب وتواهبوا الامر بينهم تواهبا واستوهبه استيهابا وقوله من لدنك معناه من عندك وانما بنى ولم يبن عند لانه استبهم استبهام الحروف لانه لا يقع فى جواب اين كما يقع عنده فى قوله اين زيد فتقول عندك ولا تقول لدنك ذرية تقع على الجمع والواحد وقيل ان المراد ههنا

واحد لقوله فهب لى من لدنك وليا واما بمعنى الجمع فمثل قوله ذرية من حملنا مع نوح وقوله طيبة قال السدى
معناه مباركة وانما انث طيبة وهو سأل ولدا ذكرا على تانيث الذرية كما قال الشاعر   ابوك خليفة
ولدته اخرى   وانت خليفة ذاك الكمال   وقال اخر   فما تزدرى من حية جبلية   سكات اذا ما عض
ليس بادردا   فجمع التانيث والتذكير فى بيت واحد مرة على اللفظ ومرة على المعنى وانما يجوز هذا فى اسماء
الاجناس دون الاعلام نحو طلحة وحمزة وعنترة لا يجوز ان يقول جاءت طلحة من قبل ان التذكير الحقيقى يغلب
على تانيث اللفظ فاما قوله   وعنترة الفلحاء جاء ملاما   كانك فندن من عماية اسود   فانما اراد شفة
عنترة فحذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه و قوله انك سميع الدعاء معناه سامع الدعاء بمعنى قابل
الدعاء ومنه قول القائل سمع الله لمن حمده اى قبل الله دعاه واصل السمع ادراك المسموع وانما قيل
للقائل سامع لان من كان اهلا ان يسمع منه فهو اهل ان يقبل منه خلاف من لا يعتد بكلامه فكلامه بمنزلة
ما لم يسمع **قوله تع** فَنَادَتْهُ الْمَلٰئِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّى فِى الْمِحْرَابِ اَنَّ اللّٰهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيٰى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ
مِنَ اللّٰهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِيْنَ اية واحدة بلا خلاف قرأ حمزة والكسائى وخلف فناداه الملئكة
على التذكير والامالة الباقون على التانيث فالاول على المعنى والثانى على اللفظ وقرأ حمزة وابن عامر ان
الله بكسر الهمزة على الحكاية الباقون بفتحها على اعمال المناداة وتقديره نادته بان الله وقرأ حمزة والكسائى
يبشرك بفتح الياء وتخفيف الشين وضمها الباقون بضم الياء وتشديد الشين وقال السدى الذى نادى
زكريا جبريل وحده فعلى هذا يكون ذهب مذهب الجمع كما يقولون ذهب فى السفن وانما خرج فى سفينة وخرج
على البغال وانما ركب بغلا واحدا وقال غيره ناداه جماعة من الملئكة كانه قبل النداء جاء من قبل الملئكة
وانما جاز ذلك لعادة جارية نحو قولهم ناداه اهل العسكر وناداه اهل البلد و قوله وهو قائم يصلى جملة
فى موضع الحال و قوله ان الله يبشرك فى بشره من البشرى ثلث لغات بشره يبشره وبشره يبشره بشرا و
ابشره ابشارا عن ابى العباس وقرأ حميد يبشرك من ابشر وكل ذلك لظهور السرور فى بشرة الوجه وقيل
ان المثقل من البشارة والمخفف من السرور والمعنيان متقاربان وانشد الاخفش   واذا لقيت الباهشين
الى الندى   غبرا اكفهم بقاع ممحل   فاعنهم وابشر بما بشروا به   واذا هم نزلوا بضنك فانزل   قال الزجاج
هذا على بشر يبشر اذا فرح واصل هذا كله ان بشرة الانسان تنبسط عند السرور و قوله بيحيى قال قتادة سمى
يحيى لان الله تع احياه بالايمان سماه الله بهذا الاسم قبل مولده و قوله مصدقا نصب على الحال من يحيى بكلمة
يعنى المسيح ع فى قول ابن عباس ومجاهد وقتادة والربيع والضحاك والسدى وجميع اهل التاويل الا ما حكى عن
ابى عبيدة انه قال بكلمة اى بكتاب الله كما يقولون انشدنى فلان كلمة فلان اى قصيدته وان طالت وانما سمى
المسيح كلمة الله لامرين احدهما انه كان بكلمة الله من غير اب من ولد ادم والثانى لان الناس يهتدون به فى الدين
كما يهتدون بكلام الله و قوله وسيدا يعنى مالكا لمن يجب عليه طاعته ومن ذلك سيد الغلام يعنى مالكه ولا
يقال سيد الثوب بمعنى مالك الثوب لانه لا يتصور هناك وجوب طاعته واصله السواد الشخص فقيل سيد القوم
بمعنى مالك السواد الاعظم وهو الشخص الذى تجب طاعته لمالكه وهذا اذا قيل مضافا او مقيدا فاما اذا
اطلق فلا ينبغى الا لله تع لانه المالك لجميع الخلق وقيل معناه ههنا وسيدا فى العلم والعبادة فى قول قتادة
وقال الجبائى معناه وسيدا للمؤمنين بالرياسة لهم وقال الضحاك سيدا فى الحلم والتقى وقيل سواد الانسان
الشخص لانه يستتر به لستره سواد الظلمة كما تقدم وقوله وحصورا معناه الممتنع من الجماع ومنه قيل للذى
يمتنع ان يخرج مع ندمائه شيئا للنفقة حصور قال الاخطل   وشارب مربح بالكاس نادمنى   لا بالحصور
ولا فيها بسوار   يعنى معربد   ويقال للذى يكتم سره حصور ويقال الحصر فى قراءته اذا امتنع بالانقطاع
فيها ومنه حصر العدو ومنعهم الناس من التصرف وقال عبد الله الحصور العنين وقال سعيد بن المسيب انما
كان معه مثل هدبة الثوب وقال الحسن وقتادة هو الذى لا ياتى النساء وهو المروى عن ابى عبد الله ع
وقال بعضهم هو الذى لا يابى الا ياتى النساء وقوله ونبيا من الصالحين من ههنا للتبيين لصفته ليس

المراد به التبعيض لان النبى لا يكون الا صالحا **قوله تع** قَالَ رَبِّ اَنّٰى يَكُوْنُ لِىْ غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِىَ
الْكِبَرُ وَامْرَأَتِىْ عَاقِرٌ قَالَ كَذٰلِكَ اللّٰهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ان قيل لم راجع هذه المراجعة مع ما بشره الله تع بانه
يهب له ذرية طيبة وبعد ان سأل ذلك قيل انما راجع ليعرف على اى حال يكون ذلك ايرده الى حال الشباب وامرأته
ام مع الكبر فقال الله تع كذلك الله يفعل ما يشاء اى على هذه الحال وتقديره كذلك الامر الذى انت عليه يفعل
الله ما يشاء هذا قاله الحسن وقيل فيه وجه اخر وهو انه قال على وجه الاستعظام لمقدور الله والتعجب الذى يحدث
الانسان عند ظهور اية عظيمة من ايات الله كما يقول القائل كيف سمحت نفسك باخراج الملك النفيس من يدك تعجبا
من جوده واعترافا بعظمه وقال بعضهم ان ذلك انما كان للوسوسة التى خالطت قلبه من قبل الشيطان حتى خيلت
اليه ان النداء كان من غير الملئكة وهذا لا يجوز لان النداء كان على وجه الاعجاز على عادة الملك فيما ياتى به
من الوحى عن الله والانبياء ع لا يجوز عليهم تلاعب الشيطان بهم حتى يختلط عليهم طريق الافهام فلا يعرفوا نداء
ملك من نداء شيطان او انسان والغلام هو الشاب من الناس يقال غلام بين الغلومية والغلومة والغلمة و
الاغتلام شدة طلب النكاح والغيلم منبع الماء من الابار لانه طلب الظهور وغلم الاديم جعله فى غم ليتفسخ عنه
صوفه لانه طلب لتقطعه و قوله وقد بلغنى الكبر انما قال وقد بلغنى الكبر والمراد بلغت الكبر لان الكبر بمنزلة
الطالب له فهو ياتيه بحدوثه فيه والانسان ايضا ياتيه بمرور السنين عليه كما يقول القائل يقطعنى الثوب وانما
هو يقطع الثوب ولا يجوز ان تقول بلغنى البلد بمعنى بلغت البلد لان البلد لا ياتيه اصلا و قوله وامرأتى
عاقر فالعاقر من النساء التى لا تلد يقال امرأة عاقر ورجل عاقر وقال عامر بن الطفيل   لبئس الفتى ان كنت
اعور عاقرا   جبانا فما عذرى لدى كل محضر   وذلك لانه كالذى حدث به عقر يقعده عما يحاول من الامور
عقر كل شئ اصله وعقر الحوض مؤخره والعقر دية فرج المرأة اذا غصبت نفسها وبيضة العقر اخر بيضة و
العقر الجرح والعقر محلة القوم والعقار معروف والعقار الخمر والمعاقرة ادمان شربها مع اهلها واصل
الباب العقر الذى هو اصل كل شئ فعقر العاقر لانقطاع اصل النسل **قوله تع** قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِّىْ اٰيَةً
قَالَ اٰيَتُكَ اَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلٰثَةَ اَيَّامٍ اِلَّا رَمْزًا وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيْرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِىِّ وَالْاِبْكَارِ والاية
العلامة وانما سأل العلامة والاية لوقت الحمل الذى سأل ربه ليتعجل السرور به فى قول الحسن فجعل الله
تعالى ايته فى امساك لسانه فلم يقدر ان يكلم الناس الا ايماء من غير افة حدثت فى لسانه كما يقال فى غيرها ثلث
ليال سويا هذا قول الحسن وقتادة والربيع واكثر المفسرين وفى وزن اية ثلثة اقوال احدها فعلة الا انه
شذ من جهة اعلال العين مع كون اللام حرف علة وانما القياس فى مثله اعلال اللام نحو حياة ونواة فى
نظيرها راية وطاية وشذ ذلك للاشعار بقوة اعلال العين الثانى فعلة اية الا انها قلبت كراهية التضعيف
نحو طائى فى طيئ الثالث فاعلة منقوصة وهذا ضعيف لانهم صغروها اييية ولو كانت فاعلة لقالوا اوية
الا انه يجوز على ترخيم التصغير نحو نطيمة والرمز الايماء بالشفتين وقد يستعمل فى الايماء بالحاجبين والعينين
واليدين والاول اغلب قال جوية بن عائذ   كان تكلم الابطال رمزا   وغمغمة لهم مثل الهدير
يقال منه رمز يرمز رمزا وترمز ترمزا ويقال ارتمز اذا تحرك واصله الحركة وقال مجاهد الرمز تحريك
الشفتين وقال قتادة الرمز الاشارة و قوله واذكر ربك كثيرا معناه انه لما منع من كلام الناس عرف
انه لا يمنع من الذكر لله والتسبيح له وذلك اعظم الاية وابين المعجزة و قوله وسبح معناه ههنا صل يقال
فرغت من سبحتى اى من صلاتى واصل التسبيح التعظيم لله وتنزيهه عما لا يليق به والعشى حين زوال الشمس الى
غروب الشمس فى قول مجاهد قال الشاعر   فلا الظل من برد الضحى يستطيعه   ولا الفئ من برد العشى
تذوق   والعشاء من لدن غروب الشمس الى ان يولى صدر الليل والعشا طعام العشى والعشا ضعف العين
والتعاشى التعامى لانه يمشى مشى من هو فى ظلمة لا يبصر واصل الباب الظلمة والابكار من حين طلوع
الفجر الى وقت الضحى واصله التعجيل بالشئ يقال ابكر ابكارا وبكر يبكر بكورا وقال عمر بن ابى ربيعة
امن ال نعم انت غاد فمبكر   وقال جرير   الا بكرت سلمى فجد بكورها   وشق العصا بعد اجتماع اميرها

ويقال في كل شيء تقدم بكر ومنه الباكورة اول ما يجيء من الفاكهة **قوله تعالى** وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ آية واحدة العامل في اذ يحتمل ان يكون احد شيئين احدهما سميع عليم اذ قالت امراة عمران واذ قالت الملائكة يكون عطفا على اذ الاولى الثاني اذكر اذ قالت لان المخاطب في حال تذكير وتعريف و قوله اصطفاك على نساء العالمين يحتمل وجهين قال الحسن وابن جريج على عالمي زمانها وهو قول ابي جعفر لان فاطمة سيدة نساء العالمين وروي عن النبي صلعم انه قال فضلت خديجة على نساء امتي كما فضلت مريم على نساء العالمين وقال ايضا ع حسبك من نساء العالمين باربع مريم بنت عمران وآسية امراة فرعون وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد صلعم الثاني ما قاله الزجاج واختاره الجبائي ان معناه اختارك على نساء العالمين بحال جليلة من ولادة المسيح ع و قوله وطهرك في معناه قولان احدهما قال الحسن ومجاهد طهرك من الكفر والثاني ذكره الزجاج ان معناه طهرك من سائر الادناس الحيض والنفاس وغيرهما وانما كرر لفظ اصطفاك لان معنى الاول اصطفاك بالتفريغ لعبادته بما لطف لك حتى انقطعت الى طاعته وصرت متوفرة على اتباع مرضاته ومعنى الثاني اصطفاك بالاختيار لولادة نبيه عيسى ع على قول الجبائي وقال ابو جعفر ع اصطفاها اولا من ذرية الانبياء وطهرها من السفاح والثاني اصطفاها لولادة عيسى من غير فحل وفي ظهور الملائكة لمريم قالوا قولين احدهما ان ذلك معجزة لزكريا ع لان مريم لم تكن نبية لقوله تعالى وما ارسلنا من قبلك الا رجالا يوحى اليهم والثاني ان يكون ذلك برهانا لنبوة عيسى ع كما كان ظهور الشهب والغمامة وغير ذلك معجزة للنبي ع قبل بعثته فالاول قول الجبائي والثاني قول ابن الاخشاد ويجوز عندنا ان يكون ذلك معجزة لها وكرامة وان لم تكن نبية لان اظهار المعجزات عندنا يجوز على يد الاولياء والصالحين لانها انما تدل على صدق من ظهرت على يده سواء كان نبيا او اماما او صالحا على انه يحتمل ان يكون الله تعالى قال ذلك لمريم على لسان زكريا ع وقد يقال قال الله لها وان كان بواسطة كما تقول قال الله للخلق كذا وكذا وان كان على لسان النبي ع ولا يحتاج مع ذلك الى ما قالوه **قوله تعالى** يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ آية واحدة بلا خلاف قيل في معنى قوله اقنتي ثلاثة اقوال احدها قال سعيد بن جبير ان معناه اخلصي لربك العبادة الثاني قال قتادة معناه اديمي الطاعة الثالث قال مجاهد اطيلي القيام في الصلاة واصل القنوت الدوام على الشيء و قوله واسجدي واصل السجود الانخفاض الشديد للخضوع قال الشاعر

فكلتاهما خرت واسجد راسها ... كما سجدت نصرانية لم تحنف

وكذلك القول في الركوع الا ان السجود اشد انخفاضا وغلب تقليبا فيما مضى حقيقته وانما قدم ذكر السجود في الاية على الركوع لان البنية بالتاخير والتقدير اركعي واسجدي لان الواو لا توجب الترتيب لانها نظيرة التثنية اذا اتفقت الاسماء والصفات تقول جاءني زيد وعمرو ولو جمعت بينهما في الخبر لقلت جاءني الزيدان و قوله مع الراكعين فيه قولان احدهما ان معناه افعلي مثل فعلهم الثاني قال الجبائي اي في صلاة الجماعة **قوله تعالى** ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ آية ذلك اشارة الى الاخبار عما تقدم من القصص وفيه احتجاج على المشركين من حيث انه جاء بما لا يعلم الا من اربعة اوجه اما مشاهدة الحال او قراءة الكتب او تعليم بعض العباد او يوحي من الله وقد بطل الاوجه الثلاثة للعلم بانها لم تكن حاصلة للنبي ع فصح انه على الوجه الرابع يوحي من الله تعالى والايحاء هو القاء المعنى الى صاحبه فقوله نوحيه اليك اي نلقي معناه اليك والايحاء الارسال الى الانبياء تقول اوحى الله اليه اي ارسل اليه ملكا والايحاء الالهام ومنه قوله تعالى واوحى ربك الى النحل اي الهمها و قوله بان ربك اوحى لها معناه القى اليها معنى ما اراد فيها قال العجاج

اوحى لها القرار فاستقرت

والايحاء الايماء قال الشاعر

فاوحت الينا والانامل رسلها

ومنه قوله فاوحى اليهم ان سبحوا بكرة وعشيا اي اشار اليهم والوحي الكتاب يقال وحى يحي وحيا اي كتب لانه يلقي المعنى الى صاحبه قال رؤبة

لقدر كان وحاه الواحي ... في سور من ربنا موحية

وقال اخر

من رسم آثار كوحي الواحي

واصل الباب القاء المعنى الى صاحبه وقوله واوحيت الى الحواريين اي القيت اليهم والهمتهم الهاما ومنه قوله وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم اي يلقون اليهم وقوله واوحي الي هذا القران اي القي الي والغيب خفاء الشيء عن الادراك تقول غاب عني كذا يغيب غيبا والغائب نقيض الحاضر و قوله وما كنت لديهم اذ يلقون اقلامهم ايهم يكفل مريم قيل فيه قولان احدهما التعجب من حرصهم على كفالتها لفضلها ذكره قتادة لانه قال فتشاح القوم عليها فقال زكريا انا اولى لان خالتها عندي وقال القوم نحن اولى لانها بنت امامنا لان عمران كان امام الجماعة الثاني التعجب من تدافعهم لكفالتها لشدة الازمة التي لحقتهم حتى وفق لها خير الكفلاء بها زكريا ع وفي الاية حذف وتقديرها اذ يلقون اقلامهم لينظروا ايهم يكفل مريم اي ايهم احق بكفالتها والاقلام معناها ههنا القداح وذلك انهم القوها ملقاة الجرية فاستقبلت عصا زكريا جرية الماء مصعدة وانحدرت اقلام الباقين فقرعهم زكريا في قول الربيع وكان ذلك معجزة له ع والقلم الذي يكتب به والقلم الذي يجال بين القوم كل انسان وقلمه وهو القدح والقلم قص الظفر قلمته تقليما ومقالم الرمح كعوبه والقلامة هي المقلومة عن طرف الظفر واصل الباب قطع طرف الشيء وقوله وما كنت لديهم اذ يختصمون فيه دلالة على انهم قد بلغوا في التشاح عليها الى حد الخصومة وفي وقت التشاح قولان احدهما حين ولادتها وحمل امها اياها الى الكنيسة تشاحوا في الذي يحضنها ويكفل تربيتها وهو الاكثر وقال بعضهم انه كان ذلك بعد كبرها وعجز زكريا عن تربيتها واذ الاولى متعلقة بقوله وما كنت لديهم اذ يلقون اقلامهم والثانية بقوله يختصمون على قول الزجاج **قوله تعالى** إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ آية عند الجميع العامل في اذ يحتمل امرين احدهما وما كنت لديهم اذ قالت الملائكة الثاني يختصمون اذ قالت الملائكة ان الله يبشرك فالتبشير اخبار المرء بما يسر به من الامر سمي بذلك لظهور السرور في بشرته وجهه عند اخباره بما يسره لان اصله البشرة وهي ظاهر الجلد و قوله بكلمة منه وهو المسيح سماه الله كلمة على قول ابن عباس وقتادة وذلك يحتمل ثلاثة اوجه سمي بذلك لانه كان بكلمة الله من غير والد وهو قوله كن فيكون الثاني لان الله تعالى بشر به في الكتب السالفة كما تقول الذي يخبرنا بامر يكون قد جاء بي قومي وكلامي فمن البشارة في التوراة اتانا الله من سيناء واشرق من ساعير واستعلن من جبال فاران وساعير هو الموضع الذي بعث منه المسيح ع الثالث لان الله يهدي به كما يهدي بكلمته والقول الثاني مما قيل في الكلمة انها بمعنى البشارة كانه قيل ببشارة منه ولد اسمه المسيح والتاويل الاول اقوى لقوله انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه ولانه معلوم من دين المسلمين ان كلمة الله المسيح ع وانما ذكر الضمير في اسمه وهو عائد الى الكلمة لانه واقع على مذكر فاذا ذكر ذهب الى المعنى واذا انث ذهب الى اللفظ وقيل في تسمية المسيح مسيحا قولان احدهما قال الحسن وسعيد لانه مسح بالبركة وقال آخرون لانه مسح بالتطهير من الذنوب وقال الجبائي سمي بذلك لانه مسح بدهن زيت بورك فيه وكانت الانبياء يتمسح به فان قيل يجب على ذلك ان يكون الانبياء كلهم يسمون مسيحا قال لا يمتنع ان يختص بذلك بعضهم وان كان المعنى في الجميع حاصلا كما قالوا في ابرهيم خليل الله واصله ممسوح عدل عن مفعول الى فعيل و قوله وجيها نصب على الحال ومعنى الوجيه الكريم على من يسأله لانه لا يرده لكرم وجهه عنده خلاف من يبذل وجهه بالمسألة فيرد يقال منه وجه الرجل يوجه وجاهة وله جاه عند الناس وجاهة اي منزلة رفيعة قوله ومن المقربين معناه الى ثواب الله وكرامته وكذلك التقرب الى الله انما هو التقرب الى ثوابه وكرامته وفي الاية دلالة على تكذيب اليهود في الفرية على ام المسيح وتكذيب النصارى في ادعاء الالهية على ما ذكره محمد ابن جعفر بن الزبير وغيره **قوله تعالى** وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ آية موضع ويكلم الناس في المهد نصب على الحال عطفا على وجيها ومكلما وكذلك عطف عليه وكهلا بالنصب ويجوز عطف الفاعل على الفعل لتقاربهما في معنيهما قال الشاعر

بات يغشيها بعضب باتر ... يقصد في اسوقها وجائر

اي ويجور وقال آخر

يا ليتني علقت غير خارج ... قبل الصباح ذات خلق بارج

ام صبي قد حبا او دارج

اي او دارج ويجوز في قوله وكهلا ان يكون معطوفا على الظرف من قوله

في المهد والمهد مضجع الصبي في رضاعه في قول ابن عباس مأخوذ من التمهيد والكهل من كان فوق حال
الغلومة ودون الشيخوخة ومنه اكتهل النبت اذا طال وقوي ومنه الكاهل فوق الظهر الى ما يلي العنق
والمرأة كهلة قال الراجز ولا اعود بعدها كريا أمارس الكهلة والصبيا وقيل الكهولة
بلوغ اربع وثلثين سنة وقال مجاهد الكهل الحليم واصل الباب العلو فالكهل العالي سنا والعالي منزلته ووجه
كلامه في المهد تبرئة لامه مما قرفت به وجلالة له بالمعجزة التي ظهرت فيه فان قيل فما معنى وكهلا وليس بمنكر
الكلام من الكهل قيل فيه ثلثة اوجه احدها يكلمهم كهلا بالوحي الذي يأتيه من قبل الله الثاني انه يبلغ
حال الكهل في السن وفي ذلك ايضا اعجاز لكون المخبر على ما اخبر به الثالث ان المراد به الرد على النصارى
بما كان منه من التقلب في الاحوال لانه مناف لصفة الاله فان قيل كيف جحدت النصارى كلام المسيح في المهد
وهو معجزة عظيمة قلنا لان في ذلك ابطال مذهبهم لانه قال اني عبد الله فاستمروا على تكذيب من اخبر انه
شاهده كذلك وفي ظهور المعجزة في تلك الحال قيل فيه قولان احدهما انها كانت مقرونة بنبوة المسيح لانه
كمل عقله في تلك الحال حتى عرف الله بالاستدلال ثم اوحى اليه بما تكلم به هذا قول ابي علي الجبائي وقال ابن
الاخشاذ ان كل ذلك كان على جهة التأسيس لنبوته والتمكين لها بما يكون الا عليها وبشارة متقدمة
لها ويجوز عندنا الوجهان ويجوز ايضا ان يكون ذلك معجزة لمريم تدل على براءة ساحتها مما قرفت به على ما
بينا جوازه فيما مضى **قوله تعالى** قَالَ رَبِّ اَنّٰى يَكُوْنُ لِىْ وَلَدٌ وَّلَمْ يَمْسَسْنِىْ بَشَرٌ قَالَ كَذٰلِكِ اللّٰهُ يَخْلُقُ
مَا يَشَآءُ اِذَا قَضٰٓى اَمْرًا فَاِنَّمَا يَقُوْلُ لَهٗ كُنْ فَيَكُوْنُ اية واحدة ان قيل كيف سألت مريم عن خلق الولد من
غير مسيس مع انها لا تنكر ذلك في مقدور الله تعالى قلنا فيه وجهان احدهما انها استفهمت أيكون ذلك و
هي على حالتها من غير بشر ام على مجرى العادة من بشر كما يقول القائل كيف تبعث بفلان في هذا السفر
وليس معه ما يركبه معناه لانه قوي ام هناك مركوب الثاني ان في البشرية التعجب مما خرج عن المعتاد
فتعجبت من عظم قدرة الله كما يقول القائل عند الآية يراها ما اعظم الله وكما يقول القائل لغيره كيف
تهب ضيعتك وهي اجل شئ لك وليس يشك في هبته وانما يتعجب من جوده **و قوله** قال كذلك الله حكاية
ما قال لها الملك وقوله كن فيكون قيل في معناه قولان احدهما انه على جهة المثل لان منزلته جميع ما يريد
احداثه من جسم او عرض كثر ذلك او قل فانما هو بمنزلة قول القائل كن في انه يكون بغير علاج ولا معاناة
ولا تكلف سبب ولا اداة ولا شغل ببعض عن بعض ولا انتهاء فيه الى حد لا يمكن ضعفه ولا زيادة عليه
الثاني ان معناه ان الله تعالى جعل كن علامة للملئكة فيما يريد احداثه لما فيها من اللطف والاعتبار ويمكن
الدلالة على الامور المقدورة لله تعالى وقول من قال ان قوله كن سبب الحوادث التي يفعلها الله تعالى فاسد من
وجوه احدها ان القادر بقدرة يقدر على ان يفعل من غير سبب فالقادر للنفس بذلك اولى ومنها ان كن محدث
فلو احتاج الى كن اخرى لتسلسل وذلك فاسد ولو استند ذلك الى كن قديمة لوجب قدم المكون لانه
كان يجب ان يكون عقيبه لان الفاء توجب التعقيب وذلك يودي الى قدم المكونات ومنها انها لو ولدت
لولدت من فعلنا كالاعتماد وانما استعمل القديم لفظة الامر فيما ليس بامر ها هنا ليدل بذلك على ان
فعله بمنزلة فعل المأمور في انه لا كلفة على الامر فكذلك هذا لا كلفة على الفاعل وذلك على عادة العرب
في جعلهم وقوع الشئ عقيب الارادة بمنزلة الجواب عن السؤال قال الشاعر وقالت لنا العينان
سمعا وطاعة وحدرتا كالدر لما تثقب فجعل انحدار الدمع قولا على الوجه الذي بيناه **و قوله**
كن فيكون ههنا لا يجوز فيه الا الرفع لانه لا يصلح ان يكون جوابا للام في كن لان الجواب يجب بوجود الاول
نحو ائتني فاكرمك وقم فاقوم معك ولا يجوز قم فيقوم لانه بتقدير قم فانك ان تقم نقم وهذا لا معنى له
ولكن يجوز الرفع على الاخبار انه سيقوم ويجوز في قوله انما امرنا لشئ اذا اردناه ان يقول له كن فيكون
النصب لانه معطوف على ان يقول كانه قيل ان يقول فيكون **قوله تعالى** وَيُعَلِّمُهُ الْكِتٰبَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرٰىةَ
وَالْاِنْجِيْلَ قرأ اهل المدينة وعاصم ويعقوب ويعلمه بالياء والباقون بالنون فمن قرأ بالياء حمله على

يخلق ما يشاء ويعلمه ومن قرأ بالنون حمله على قوله نوحيه اليك والنون افخم في الاخبار لان الياء حكاية
عن الملك ومعنى قوله ويعلمه الكتاب قال ابن جريج الكتابة بيده وقال ابو علي كتابا اخر غير التورية والانجيل
نحو الزبور او غيره فان قيل لم افرد التورية والانجيل بالذكر مع دخولهما في الحكمة قيل انما افردهما بالذكر
تنبيها على فضلهما مع جلالة موقعهما كما قال وملئكته ورسله وجبريل وميكال وموضع ويعلمه من الاعراب
يحتمل ان يكون نصبا بالعطف على وجيها ويحتمل ان يكون له موضع من الاعراب لانه عطف على جملة لا
موضع له وهي قوله كذلك الله يخلق ما يشاء وقال بعضهم هو عطف على نوحيه اليك قال الرماني هذا
لا يجوز لانه يخرجه من معنى البشارة به لمريم وانما هو محمول على مشاكلته لا على جهة العطف عليه وعلى
اهل الكوفة التورية والانجيل ولم يبعد وان رسولا الى بني اسرائيل لتنكب الاستيناف بان المفتوحة واستيناف
بذكر المنصوب كثير في الكلام واما اهل المدينة فانما طلبوا تمام صفة المسيح لان تقديره ومعلما كذا و
رسولا الى كذا **قوله تعالى** وَرَسُوْلًا اِلٰى بَنِىْٓ اِسْرَآءِيْلَ اَنِّىْ قَدْ جِئْتُكُمْ بِاٰيَةٍ مِّنْ رَّبِّكُمْ اَنِّىْٓ اَخْلُقُ لَكُمْ
مِّنَ الطِّيْنِ كَهَيْـَٔةِ الطَّيْرِ فَاَنْفُخُ فِيْهِ فَيَكُوْنُ طَيْرًا بِاِذْنِ اللّٰهِ وَاُبْرِئُ الْاَكْمَهَ وَالْاَبْرَصَ وَاُحْىِ الْمَوْتٰى
بِاِذْنِ اللّٰهِ وَاُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَاْكُلُوْنَ وَمَا تَدَّخِرُوْنَ فِىْ بُيُوْتِكُمْ اِنَّ فِىْ ذٰلِكَ لَاٰيَةً لَّكُمْ اِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِيْنَ اية
قرأ اهل المدينة ويعقوب طائرا باذن الله الباقون طيرا وهو الاجود لانه اسم جنس وطائر صفة وقرأ نافع
وحده اني اخلق بكسر الهمزة الباقون بفتحها يحتمل نصب قوله ورسولا وجهين احدهما بتقدير ويجعله رسولا
فحذف لدلالة البشارة عليه والثاني ان يكون نصبا على الحال عطفا على وجيها لانه في ذلك الوقت يكون
رسولا بمعنى انه يرسل رسولا وقال الزجاج وجها ثالثا بمعنى يكلمهم رسولا في المهد باني قد جئتكم باية من
ربكم ولو قرئت اني بالكسر قد جئتكم كان صوابا والمعنى يقول اني قد جئتكم باية من ربكم اي بعلامة تدل
على ثبوت رسالتي وموضع اني اخلق يحتمل ان يكون خفضا ورفعا فمن قرأ بالخفض فعلى البدل من اية
بمعنى جئتكم باني اخلق لكم من الطين والرفع اريد به الاية اني اخلق من الطين وجائز ان يكون اني اخلق لكم
مخبرهم بهذه الاية ما هي اي اقول لكم اني اخلق لكم من الطين كهيئة الطير والمراد بالخلق التقدير دون الاحداث
يقال في التفسير انه صنع من الطين كهيئة الخفاش ونفخ فيه فصار طائرا وجاز ان يقول فيه للفظ الطين و
قال في موضع اخر فينفخ فيها فيكون طائرا باذني للفظ الهيئة والطين معروف ومنه طنت الكتاب طينا اي
جعلت عليه طينا لاختمه وطينت البيت تطيينا والطيانة حرفة الطيان والطينة قطعة من طين يختم بها الصك
ونحوه والهيأة الحال الظاهرة هاء فلان يهاء هيئة ومن قرأ هيئت معناه تهيأت لك فاما هيت لك فهلم لك
والهيئ الحسن الهيئة من كل شئ والمهاياة امر يتهايا عليه القوم فيتراضون به **و قوله** فانفخ فيه النفخ معروف
تقول نفخ ينفخ نفخا وانتفخ انتفاخا ونفخه نفخا والنفاخة للماء والنفخة نحو الورم في البطن والنفخة نفخة
الصور يوم القيمة والمنفاخ كير الحداد واصل الباب نفخ الريح التي تخرج من الفم ومعنى نفخ فيه يعني نفخ
فيه الروح وهو جسم رقيق كالريح وهو غير الحياة لان الجسم انما يحيا بما يفعله الله تعالى فيه من الحياة لان
الاجسام كلها متماثلة يحيي الله منها ما يشاء وانما قيد قوله كن فيكون طيرا باذن الله ولم يقيد قوله
اخلق من الطين كهيئة الطير بذكر اذن الله لينبه بذكر الاذن انه من فعل الله دون عيسى واما التصوير
والنفخ ففعله لانه مما يدخل تحت مقدور القدر وليس كذلك انقلاب الجماد حيوانا فانه لا يقدر على ذلك
احد سواه تعالى **و قوله** واحيي الموتى باذن الله على وجه المجاز اضافه الى نفسه وحقيقته ادعو الله باحياء
الموتى فيحييهم الله فيحيون باذنه **و قوله** وابرئ الاكمه فالبرء والشفاء والعافية نظائر في اللغة والاكمه
الذي يولد اعمى في قول قتادة وابي علي وقال الحسن والسدي هو الاعمى والكمه عند العرب العمى كمه يكمه
كمها قال سويد بن ابي كاهل كمهت عيناه حتى ابيضتا فهو يلحى نفسه لما نزع والابرص معروف
و قوله وانبئكم بما تاكلون وما تدخرون في بيوتكم اي اخبركم واعلمكم بالذي تاكلونه فيكون ما بمعنى
الذي ويحتمل ان يكون ما نعما بعدها بمنزلة المصدر ويكون تقديره اخبركم باكلكم والاول اجود لقوله

وما تدخرون ويحتمل ان يكون المراد ايضا وادّخاركم والادّخار الافتعال من الذخر ذخرت اذخر ذخرا وادّخر
ادّخارا واصل الباب الذخر وهو خبء الشئ للتأبية وانما ابدلت الدال من الذال فى تدّخرون لتعديل الحروف
اوبعكت الدال من الذال بوجهين الجهر واختلاف المخرج فعدل ذلك بالدال لانها موافقة للتاء بالمخرج ابدلت
والدال بالجهر فلذلك كان الاختيار وكان يجوز تذدخرون بالذال على الاصل ونظير ذلك فى التعديل بين
الحروف وازدجر من اضطر واصطبر لموافقة الطاء للضاد والصاد بالاستعلاء والاطباق ولم يجز ادغام
الزاى فى الدال لانها من حروف الصفير ولكن يجوز مزّجر ولم يدغم الضاد فى الطاء لان فيها استطالة والمجهور
من الحروف كل حرف اشبع الاعتماد عليه فى موضعه ومنع النفس ان يجرى معه والمهموس كل حرف اضعف
الاعتماد عليه فى موضعه وجرى معه النفس وقوله ان فى ذلك لاية لكم ان كنتم مؤمنين وان كانت اية للجميع لان
معناه ان كنتم مؤمنين بالله اذ كان لا يصحّ العلم بمدلول المعجزة الا لمن امن بالله لان العلم بالمرسل قبل العلم
بالرسول وانما يقال هى اية للجميع بان يقدموا قبل ذلك الاستدلال على التوحيد وايضا بان من استحق صفة
بانه مؤمن من علم ان ذلك من ايات الله عزوجل **قوله تعـ** وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُمْ
بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ اية واحدة ومصدّقا نصب على الحال
وتقديره قد جئتكم مصدّقا لان اول الكلام يدل عليه ونظيره جئته بما يحب ومعرفا له وليس عطفا على وجيها
ولا رسولا لقوله لما بين يدىّ ولم يقل لما بين يديه وقوله ولاحل لكم بعض الذى حرم عليكم فانما احل لهم
لحوم الابل والثروب واشياء من الطير والحيتان مما كان محرما فى شرع موسى ع ولم يحل لهم جميع ما كان محرما
عليهم من الظلم والغصب والكذب والعبث وغير ذلك فلذلك قال بعض الذى حرم عليكم وبمثل هذا قال قتادة
والربيع وابن جريج ووهب بن منبه واكثر المفسرين وقال ابو عبيدة اراد كل الذى حرم عليكم واستشهد على
ذلك بقول لبيد تراك امكنة اذا لم ارضها او يعتلق بعض النفوس حمامها قال معناه او يعتلق
نفسى حمامها وانكر الزجاج تاويله وقال هو خطاء من وجهين احدهما ان البعض لا يكون بمعنى الكل والاخر
انه لا يجوز تحليل المحرمات اجمع لانه يدخل فى ذلك الكذب والظلم والكفر قال ومعنى البيت او يعتلق نفسى حمامها
كما يقول القائل بعضنا يعرفك يريد انا اعرفك وهذا ايضا انما هو تبعيض صحيح ووجه الاية ما ذكره ابو على و
جماعة من المفسرين ان قوما من اليهود حرّموا على نفوسهم اشياء ما حرّمها الله عليهم فجاء بتحليل ذلك قال
الرمّانى تاويل الاية على ما قالوه لكنه لا يمتنع ان يوضع البعض فى موضع الكل اذا كانت هناك قرينة تدل عليه
كما يجوز وضع الكل فى موضع البعض بقرينة قوله ولاحلّ لكم معطوف على معنى الكلام الاول لان معناه
جئتكم لاصدق ما بين يدىّ من التورية ولاحل لكم كما يقول القائل جئته معتذرا ولاجتلب عطفه والاحلال
هو الاطلاق فى الفعل بتحسينه والتحريم هو حظر الفعل بتقبيحه والفرق بين التصديق والتقليد ان التصديق
لا يكون الا فيما يبرهن عند صاحبه والتقليد يكون فيما لم يتبرهن ولهذا لم يكن مقلدين للنبى ع وان كنا مصدّقين
له **قوله تعـ** إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ اية قوله ان الله ربى وربكم
استيناف كلام لانه راس اية وعليه جميع العلماء وكان يجوز ان تفتح الهمزة على قوله وجئتكم بان الله
ربىّ وربكم والفرق بين قوله ان الله ربىّ وربكم وقوله ربنا ان الاول اكدّ فى اقراره بالربوبية لانه
ذكر على التفصيل فهو ابعد من الغلط فى التاويل لان القائل ان يقول المذكر قد يجوز فى الجملة على التغليب
كما يغلّب التذكير على التانيث فى الجملة دون التفصيل والربوبية هى تنشية الشئ حالا بعد حال حتى يبلغ
حدّ الكمال فى التربية فلما كان الله تعـ مالكا لانشاء العالم كان ربّا ولا تطلق هذه الصفة الا عليه تعالى
لان اطلاقها يقتضى الملك لجميع الخلق فاما اجراؤها على غيره فعلى وجه التقييد كقولك ربّ الدار ورب
الضيعة وقالوا فى وصف قوم من العلماء هم ارباب البيان يراد به شدة اقتدارهم عليه وقوله هذا صراط
مستقيم فالاستقامة استمرار الشئ فى جهة واحدة ونظيرها الاستواء خلاف الاعوجاج فلذلك قيل للطريق
المؤدّى الى المراد الموصل الى الحق طريق الاستقامة لانه يفضى بصاحبه الى غرضه وقد استوفينا معناه

فى سورة الحمد وقد يوصف الدليل بانه طريق مستقيم لانه يؤدى الى الحق اليقين وفى الاية حجة على
النصارى بما قاله المسيح مما تقرون به انه فى الانجيل من نحو هذا الكلام لان فيه اذهب الى الهى والهكم
كقوله ههنا ان الله ربى وربكم **قوله تعـ** فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ
الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ اية الاحساس هو الوجود بالحاسة احسّ
يحسّ احساسا والحسّ القتل لانه يحسّ بالمرد منه وقوله اذ تحسونهم باذنه والحسّ العطف لاحساس الرقة على صاحبه
والاصل فيه ادراك الشئ من جهة الملابسة ومعنى الاية فلما علم عيسى منهم الكفر قال من انصارى الى الله
والانصار جمع نصير مثل شريف واشراف وشهيد واشهاد وانما لم يحمل على ناصر لانه يجب ان يحمل على نظيره
من فعيل وافعال وقوله الى الله قيل فيه ثلثة اقوال احدها من اعوانى على هؤلاء الكفار الى معونة الله اى
مع معونة الله فى قول السدى وابن جريج وانما جاز ان يكون الى بمعنى مع لما دخل الكلام من معنى الاضافة
ومعنى المصاحبة ونظيره الذود الى الذود ابل اى مع الذود ومثله ولا تاكلوا اموالهم الى اموالكم اى مع
اموالكم فاما قولك قدم زيد ومعه مال فلا يجوز فيه الى وكذلك قدم الى اهله لا يجوز فيه مع لاختلاف المعنى
الثانى قال الحسن من انصارى فى السبيل الى الله لانه دعاهم الى سبيل الله الثالث قال الجبائى من انصارى
لله كما قال هل من شركائكم من يهدى الى الحق قل الله يهدى للحق ووجه ذلك ان الغرض يصلح فيه اللام على
طريق العلة والى طريق النهاية فان قيل عيسى انما بعث بالوعظ دون الحرب لم استنصر عليهم قلنا للحماية من
الكافرين الذين ارادوا قتله عند اظهار الدعوة فى قول الحسن ومجاهد وقال اخرون يجوز ان يكون طلب
النصرة للتمكين من اقامة الحجة وانما قاله ليتميز الموافق من المخالف وقوله قال الحواريون اختلفوا فى
تسميتهم حواريين على ثلثة اقوال قال سعيد بن جبير سمّوا به لنقاء ثيابهم الثانى قال ابن جريج عن ابى
ارطاة انهم كانوا قصّارين يبيّضون الثياب الثالث قال قتادة والضحاك لانهم خاصة الانبياء يذهب الى نقاء
قلوبهم كنقاء الابيض بالتحوير وقد روى عن النبى ع انه قال الزبير ابن عمتى وحوارىّ من امتى واصل الحوارى
الحور وهو شدة البياض ومنه الحوارى من الطعام لشدة بياضه ومنه الاحور والحوراء لنقاء بياض العين
ومنه الحواريات نساء الانصار لبياضهن قال ابو جلدة اليشكرى فقل للحواريات يبكين غيرنا
ولا تبكنا الا الكلاب النوابح وقال بعض بنى كلاب ولكنه القى زمام قلوصه ليحيا كريما او
يموت حواريا اى ناصرا لرفاقه غير خاذل لهم والمحور الحديدة التى تدور عليها البكرة لانها تصقل
حتى تبيض وحاد يحور اذا رجع لانقلابه فى الطريق الذى جاء فيه كانقلاب المحور بالتحوير وفى الاية حجة على
من زعم ان المسيح والذين امنوا به كانوا نصارى فبين الله تعـ انهم كانوا مسلمين كما بين ذلك فى قصة ابرهيم
حيث قال ما كان ابرهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما **قوله تعـ** رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَ
اتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ اية واحدة بلا خلاف هذا حكاية لقول الحواريين حيث قالوا امنا
بالله واشهد بانا مسلمون قالوا ربنا ومعناه يا ربنا ونصبه لانه نداء مضاف امنّا اى صدقنا وانما لم يقل ربّ
العباد امنّا للاختصاص بما انعم به عليهم من الايمان الذى اجابوا اليه دون غيرهم ممن عدل عنه وانما قال ربنا
امنا على لفظ الخطاب ولم يعدل الى لفظ الغائب فكان ابلغ فى التعظيم كما تقول السمع والطاعة للملك فيكون افخم
من ان يقال لك ايها الملك لان المشاهدة اغنت عن التصريح بالخطاب فصار كالاستدلال لم مع الغنى عنه وليس
كذلك استعماله مع الحاجة اليه لانه لا يدل على ابتداء له فان قيل لم حذف يا من يا ربنا امنّا ولم يحذف من يا عبادى
لا خوف عليكم قلنا حذف للاستغناء عن تنبيه المدعو وليس كذلك الثانى لانه بشارة للعباد ينبغى ان يمدّ بها
لان سماعها مما يسرّه وقوله واتبعنا الرسول فالاتباع سلوك طريقة الداعى على الاجابة الى ما دعا اليه وليس كل
اجابة اتباعا لان اجابة الدعاء يجوز على الله تعـ ولا يجوز عليه الاتباع وقوله فاكتبنا مع الشاهدين قيل فى
معناه قولان احدهما اثبت اسماءنا مع اسمائهم لنفوز بمثل ما فازوا وننال من الكرامة مثل ما نالوا ونستمتع
بالدخول فى جملتهم والانضواء اليهم الثانى يصل ما بيننا وبينهم بالخلة على التقوى والمودة على سلوك طريق

خ ل حريث ابن حلزه صح

الهدى وتجنب طريق الردى وعلى هذا يكونون فيه بمنزلة من كتب عليهم وحقيقة الشاهد المخبر بالشئ عن مشاهدة
وقد يتصرف فيه فيقال البرهان شاهد بحق اى هو بمنزلة المخبر به عن مشاهدة ويقال لهذا شاهد اى معد للشهادة
والمراد فى الاية الشاهدين بالحق المنكرين للباطل **قوله تعـ** وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللّٰهُ وَاللّٰهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ اية
قيل فى معنى الاية قولان احدهما قال السدى مكروا بالمسيح بالحيلة عليه لقتله ومكر الله بردهم بالخيبة لالقائه
شبه المسيح على غيره الثانى مكروا باضمار الكفر ومكر الله بمجازاتهم عليه بالعقوبة والمكر وان كان قبيحا
فانما اضافه تعـ الى نفسه لمزاوجة الكلام كما قال فمن اعتدى عليكم فاعتدوا بمثل ما اعتدى عليكم والثانى
ليس باعتداء وانما هو جزاء وهذا احد وجوه البلاغة لانه على اربعة اقسام احدها المزاوجة نحو ومكروا
ومكر الله والثانى المجانس نحو قوله يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار الثالث المطابق نحو قوله
ماذا انزل ربكم قالوا خيرا بالنصب على مطابقة الجواب للسؤال والرابع المقابل نحو قوله وجوه يومئذ
ناضرة الى ربها ناظرة ووجوه يومئذ باسرة تظن ان يفعل بها فاقرة قال الشاعر   واعلم وايقن
ان ملكك زائل   واعلم بان كما تدين تدان   اى كما تجزى تجزى والاول ليس بجزاء واصل المكر
الالتفاف فمنه المكر ضرب من الشجر مثل الدغل ونحوه لالتفافه والممكورة من النساء الملتفة والمكر
طين احمر شبيه بالمغرة ثوب ممكور اذا صبغ بذلك الطين والمكر الاحتيال على العبد لالتفاف المكروه عليه
وحد المكر خب يختدع به العبد لايقاعه فى الضر والفرق بين المكر والحيلة ان الحيلة قد تكون لاظهار ما
تعسر من الفعل من غير قصد الى الاضرار بالعبد والمكر حيلة على العبد توقعه فى مثل الوهق **قوله تعـ**
إِذْ قَالَ اللّٰهُ يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ
فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ اية العامل
فى اذ يحتمل احد امرين احدهما قوله ومكروا ومكر الله اذ قال والاخر اذكر اذ قال يا عيسى وعيسى فى موضع الضم
لانه منادى مفرد لكن لايبين فيه لانه منقوص وعيسى لاينصرف لاجتماع العجمة والتعريف على قول الزجاج لانه
حمل الالف على حكم الملحق بجرجح ولم يحملها على التانيث فاما الالف فى ذكريا فلا يكون الا للتانيث لانه
لامثال له فى الاصول واذا عرب جرى على قياس كلامهم فى ان الالف الزايدة لاتخلو ان يكون للتانيث
او للالحاق فاذا بطل احدهما صح انها للاخر وانما وجب ذلك لانه يجرى مجرى الاعراب بالعوامل فاما
الاشتقاق فلا يجب لانه تصريفه من اصل المشتق وليس العربى باصل للعجمى وذلك نحو العيس وهو بياض الابل
والعوس وهو السياسة لوكان عربيا لصلح اخذه من احد الاصلين واذا اخذ من احدهما امتنع من الاخر ولذلك
اذا اخذ من العجمى امتنع من العربى و قوله انى متوفيك قيل فى معناه ثلثة اقوال احدها انى قابضك برفعك
من الارض الى السماء من غير وفاة موت فى قول الحسن وابن جريج وابن زيد الثانى متوفيك وفاة نوم فى قول
ابن عباس ووهب بن منبه والثالث ان فيه تقديما وتاخيرا ومعناه انى رافعك ومتوفيك فيما بعد ذكره الفراء
وقوله ورافعك قيل فى معناه قولان احدهما رافعك الى السماء فجعل ذلك رفعا اليه للتفخيم واجراه على طريق
التعظيم والاخر مصيرك الى كرامتى كما يقال رفع الى السلطان ورفع الكتاب الى الديوان وقال ابرهيم انى
ذاهب الى ربى وانما ذهب من العراق الى الشام وانما اراد الى حيث امرنى ربى بالمضى اليه و قوله ومطهرك
قيل فيه قولان احدهما مطهرك باخراجك من بين اوجاسهم لان كونه فى جملتهم بمنزلة التنجيس له بهم وان كان عليه السلام
طاهرا فى كل حال وانما ذلك على ازالته عن مجاورة الانجاس والثانى قال ابو على تطهيره منعه من كفر يفعلونه
بالقتل الذى كانوا هموا به لان ذلك نجس طهره الله منه و قوله وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا
الى يوم القيمة يحتمل ان يكون جعلهم فوقهم بالحجة والبرهان ويحتمل ان يكون ذلك بالعز والغلبة وقال الحسن
وقتادة والربيع المعنى بهذه الاية الايمان وما جاء به دون الذين كذبوه اوكذبوا عليه وقال ابن زيد المعنى
به النصارى وهم فوق اليهود من حيث كانوا اليهود اذل منهم الى يوم القيمة ولهذا زال الملك عنهم وان كان
ثابتا فى النصارى فى بلاد الروم وغيرها فهم اعز منهم وفوقهم وقال الجبائى فيه دلالة على انه لايكون لليهود

مملكة الى يوم القيمة كما للروم والوجه الاول اقوى لانه اظهر اذا كان على جهة الترغيب فى الحق وقوله ثم الى
مرجعكم فاحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون وجه اتصاله بالكلام كانه قال اما الدنيا فانتم فيها على هذه
الحال واما الاخرة فيقع فيها التوفية الحقوق على التمام والكمال وانما عدل عن الغيبة الى الخطاب فى قوله
ثم الى مرجعكم لتغلب الحاضر على الغائب لما دخل معه فى المعنى كما تقول بعض الملوك قد بلغنى عن اهل بلد
كذا جميل فاحسن اليكم معشر الرعية **قوله تعـ** فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ اية واحدة بلا خلاف معنى قوله فاما تفصيل المجمل على قوله فيجازى
العباد اما المؤمن فبالثواب واما الكافر فبالعقاب و قوله فاعذبهم فالعذاب استمرار الالم لان اصله
استمرار الشئ فمنه العذوبة لاستمرارها العذب فى الحلق ومنه العذبة لاستمرارها بالحركة وقوله شديدا
فالشدة صعوبة بالانتقام والقوة عظم القدرة فالشدة نقيض الرخاوة والقوة نقيض الضعف فشدة
العذاب قد تكون بالتضعيف وقد تكون بالتجنيس و قوله فى الدنيا والاخرة فعذابهم فى الدنيا اذلالهم
بالقتل والاسر والسبى والخسف والجزية وكلما فعل على وجه الذلة والاهانة وفى الاخرة عذاب الابد والفرق
بين الاخرة والانتهاء ان الاخرة قد تكون بعد العمل فاما الانتهاء فجزء منه لايكون بعد كماله هذا اذا طلق
فان اضيف فقيل اخر العمل فمعناه انتهاء العمل و قوله وما لهم من ناصرين فالنصرة هى المعونة على العدو
خاصة والمعونة هى زيادة فى القوة وقد تكون على العدو وغير العدو **قوله تعـ** وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللّٰهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ اية واحدة بلا خلاف قرا فيوفيهم بالياء
حفص ورويس الباقون بالنون فان قيل لم كرر الوعد هنهنا وقد ذكر فى غير هذا الموضع من القران
قلنا ليس ذلك بتكرير فى المعنى لان معنى ذلك فامنوا بك يا عيسى وعملوا الصالحات فيما دعوتهم اليه من
الهدى لانه تفصيل ما اجمل فى قوله ثم الى مرجعكم فاحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون و قوله وعملوا الصالحات
ليس بتقييد للوعد بكل واحدة من الخصلتين على الخلاف فايدة الصفتين وفى الاية دلالة على بطلان قول
مذهب المجبرة فى ان الله تعـ يريد الظلم لانه قال لايحب الظالمين واذا لم يحب الظالم لم يحب فعل الظلم لانه انما لم
يحب الظالم لظلمه والمحبة هى الارادة وفى الاية دلالة على انه لايجازى المحسن بما يستحقه المسيئ ولا المسيئ بما
يستحقه المحسن لان ذلك ظلم ومعنى التوفية فى الاية مساواة مقدار الاستحقاق لان المقدار لايخلو ان يكون مساويا وما
او زايدا او ناقصا والزيادة على مقدار الاستحقاق لايجوز لانه لايجوز ان يعطى ثواب العمل من ليس بعامل لكن
يجوز الزيادة على وجه التفضل فاما التوفية فواجبة فى الحكمة والنقصان لايجوز لانه ظلم وفى الاية دلالة على
بطلان القول بالتحابط لانه تعـ وعد بتوفية الاجور ولم يشرط الاحباط فوجب حمل الكلام على ظاهره **قوله تعـ**
ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ اية واحدة ذلك اشارة الى الاخبار عن عيسى وزكريا ويحيى و
عن الحواريين واليهود من بنى اسرائيل وهو فى موضع نصب بما تقدم ونتلوه عليك لما فيه من الاية لمن تذكر
فى ذلك واعتبر به والذكر وان كان محكما فانما وصفه بانه حكيم من حيث لما كان ما فيه من الدلالة بمنزلة الناطق
بالحكمة حسن وصفه بانه حكيم من هذه الجهة كما وصفت الدلالة بانها دليل لما فيها من البيان وذلك لانه بمنزلة
الناطق بالبيان وموضع نتلوه من الاعراب يحتمل امرين احدهما ان يكون رفعا بانه خبر ذلك والثانى لايكون
له موضع لانه صلة ذلك وتقديره الذى نتلوه عليك من الايات ويكون موضع من الايات رفعا بانه خبر ذلك
ذكره الزجاج وانشدوا فى مثله   عدس ما لعباد عليك امارة   امنت وهذا تحملين طليق   بمعنى والذى
تحملين طليق وقيل فى معنى قوله نتلوه عليك قولان احدهما نكلمك به ويكون وضع نتلوه موضع نكلم كما تقول
القائل انشأ زيد الكتاب وتلاوة غيره فالتلاوة يكون اظهار الكلام على جهة الحكاية الثانى نتلوه عليك
بامر جبريل ان نتلوه عليك على قول الجبائى والذكر حصول ما به يظهر المعنى للنفس ويكون كلاما وغير
كلام من بيان او خاطر على البال وليس اذا ظهر الشئ للنفس دل على صحته لان الضدين قد يظهران للنفس
ولا يجوز صحتهما معا **قوله تعـ** إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللّٰهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ اية

قال ابن عباس والحسن وقتادة هذه الاية نزلت فى وفد نجران السيد والعاقب قالا للنبى ص هل رايت ولدا من غير ذكر فانزل الله تعالى الاية والمثل ذكر سائر يدل على ان سبيل الثانى سبيل الاول فذكر الله ادم بان انشأه من غير والد يدل على ان سبيل الثانى سبيل الاول فى باب الامكان والقدرة وفى ذلك دلالة على من حرم النظر لان الله تعالى احتج به على المشركين ولا يجوز ان يدلهم الا بما فيه دليل فقياس خلق عيسى من غير ذكر كقياس خلق ادم بل هو فيه اوجب لانه فى ادم من غير انثى ولا ذكر ومعنى خلقه انشأه ولا موضع له من الاعراب لانه لا يصلح ان يكون صفة لادم من حيث هو نكرة ولا يكون حالا له لانه ماض فهو متصل فى المعنى غير متصل فى اللفظ من علامات الاتصال من اعراب ومرتبة كالصلة و قوله كن فيكون قد بينا معناه فيما مضى وانه اخبار عن سرعة الفعل وتيسره من غير مشقة ولا ابطاء وقيل انه يفعله عند قوله كن ويكون ذلك علامة للملائكة على ما يريد الله انشاءه وقوله فيكون رفع لا يجوز فيه النصب على جواب الامر فى كن لان جواب الشرط غيره فى نفسه او معناه نحو ايتنى فاكرمك وايتنى فحسن الى فهذا يجوز لان تقديره فانك ان تاتنى يحسن الى ولا يجوز ان يكون بالنصب لان تقديره كن فانك ان تكن فهذا لا يصح لان الجواب هو الشرط على معناه ولكن يجوز فى الرفع على فهو يكون **قوله تعالى** اَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ اية الحق رفع بانه خبر ابتداء محذوف وتقديره ذلك الاخبار فى امر عيسى الحق من ربك فحذف لتقدم ذكره واغنى شاهد الحال عن الاشارة اليه كما تقول الهلال اى هذا الهلال و قوله فلا تكن من الممترين يحتمل امرين احدهما ان يكون خطابا للنبى ص والمراد به غيره كما قال يا ايها النبى اذا طلقتم النساء والاخر فلا تكن من الممترين ايها السامع للبرهان من المكلفين كائنا من كان والامتراء الشك ومثله المرية واصله الاستخراج مرى الضرع يمريه مريا اذا استخرج اللبن منه بمسحه ليدر وكذلك الريح تمرى السحاب مريا فالامتراء شك كحال المستخرج لما لا يعرف وانما قال الحق من ربك ولم يقتصر على قوله ذلك الحق فلا تكن من الممترين لان فى هذه الاية دلالة على انه الحق لانه من ربك ولو قال ذلك الحق فلا تكن من الممترين لان فى هذه الاية دلالة على انه الحق لانه من ربك ولو قال ذلك الحق فلا تكن لم يفد هذه الفائدة والفرق بين قوله فلا تكن من الممترين وبين قوله فلا تكن ممتريا ان ذلك ابلغ فى النهى لانه اشارة الى قوم قد عرفت حالهم فى النقص والعيب **قوله تعالى** فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ اية بلا خلاف الهاء فى قوله فيه يحتمل ان تكون عائدة الى احد امرين احدهما الى عيسى فى قوله ان مثل عيسى عند الله فى قول قتادة الثانى ان تكون عائدة على الحق فى قوله الحق من ربك والذين دعاهم النبى ص فى المباهلة نصارى نجران ولما نزلت الاية اخذ النبى ص بيد على وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام ثم دعا النصارى الى المباهلة فاحجموا عنها واقروا بالذلة والجزية ويقال ان بعضهم قال لبعض ان باهلتموه اضطرم الوادى نارا عليكم ولم يبق نصرانى ولا نصرانية الى يوم القيمة وروى ان النبى ص قال لاصحابه مثل ذلك ولا خلاف بين اهل العلم بالسير انهم لم يجيبوا الى المباهلة وتعالوا اصله من العلو يقال منه تعاليت اتعالى تعاليا اذا جئت واصله المجيء الى الارتفاع الا انه كثر فى الاستعمال حتى صار لكل مجيء وصار تعالى بمنزلة هلم وقيل فى معنى الابتهال قولان احدهما الالتعان بهله الله اى لعنه وعليه بهلة الله الثانى نبتهل معناه ندعو بهلاك الكاذب قال لبيد

نظر الدهر اليهم فابتهل   اى دعا عليهم بالهلاك كاللعن

وهو المباعدة من رحمة الله عقابا على معصيته فلذلك لا يجوز ان يلعن من ليس بعاص من طفل وبهيمة او نحو ذلك قال ابو بكر الرازى الاية تدل على ان الحسن والحسين ابناه وان ولد البنت ابن على الحقيقة وقال ابن ابى علان فيها دلالة على ان الحسن والحسين كانا مكلفين فى تلك الحال لان المباهلة لا يجوز الا مع البالغين واستدل اصحابنا بهذه الاية على ان امير المؤمنين ع كان افضل الصحابة من وجهين احدهما ان موضوع المباهلة ليتميز المحق من المبطل وذلك لا يصح ان يفعل الا بمن هو مأمون الباطن مقطوعا على صحة عقيدته افضل الناس عند الله والثانى انه ص جعله مثل نفسه بقوله وانفسنا وانفسكم لانه اراد بقوله ابناءنا الحسن والحسين ع بلا خلاف وبقوله

ونساءنا

ونساءنا اراد به فاطمة ونفس عليا ع لانه لم يحضر غيرهما بلا خلاف واذا جعله مثل نفسه وجب الا يدانيه احد فى الفضل ولا يقاربه ومتى قيل لهم انه دخل فى المباهلة الحسن والحسين ع مع كونهما غير بالغين وغير مستحقين للثواب وان كانا مستحقين للثواب لم يكونا افضل الصحابة قال لهم اصحابنا ان الحسن والحسين ع كانا بالغين مكلفين لان البلوغ وكمال العقل لا يفتقر الى شرط مخصوص ولذلك تكلم عيسى فى المهد بما دل على كونه مكلفا عاقلا وقد حكيت ذلك عن امام من ائمة المعتزلة مثل ذلك وقالوا ايضا عن اصحابنا انهما كانا افضل الصحابة بعد ابيهما وجدهما لان كثرة الثواب ليس بموقوف على كثرة الافعال فصغر سنهما لا يمنع من ان يكون معرفتهما وطاعتهما لله واقرارهما بالنبى ص وقع على وجه يستحق به من الثواب ما يزيد على ثواب كل من عاصرهما سوى جدهما وابيهما وقد فرغنا الكلام فى ذلك واستقصيناه فى كتاب الامامة **قوله تعالى** إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ اية ان قيل لم قال ان هذا لهو القصص مع قيام الحجة وشهادة المعجزة له قلنا معناه البيان عن ان مخالفتهم له بعد وضوح امره يجرى مجرى العناد فيه وكذلك قوله وما من اله الا الله والقصص الخبر الذى تتابع فيه المعانى واصله اتباع الاثر وفلان يقص اثر فلان اى يتبعه و قوله وما من اله الا الله دخول من فيه تدل على عموم النفى لكل اله غير الله ولو قال ما اله الا الله لم يفد ذلك وانما افادت من هذا المعنى لان اصلها لابتداء الغاية فدلت على استغراق النفى لابتداء الغاية الى انتهائها ولا يجوز جر اسم الله على وجه البدل من اله لان ذلك لا يحسن فى الكلام لان من لا يدخل فى الايجاب وما بعد الا هنا ايجاب ولا يدخل ايضا على المعرفة للعموم ولكن يجوز الا رفعه على الموضع كانه قيل ما لكم اله الا الله وما لكم مستحق للعبادة الا الله قال الشاعر

ابنى لبينى لستم بيد   الا يد ليست لها عضد

انشده بالجر فعلى هذا يجوز ما جاءنى من رجل الا زيد وليس هو وجه الكلام ولكنه يتبعه وان لم يصلح اعادة العامل فيه كما يقال اختصم زيد وعمرو ولا يجوز واختصم عمرو و قوله وان الله لهو العزيز الحكيم معناه لا احد يستحق اطلاق هذه الصفة الا هو فوصل ذلك بذكر التوحيد فى الالهية لانه حجة على صحته من حيث لو كان اله اخر لبطل اطلاق هذه الصفة وموضع هو من الاعراب يحتمل امرين احدهما ان يكون فصلا وهو الذى تسميه الكوفيون عمادا فلا يكون له موضع من الاعراب لانه فى حكم الحرف ويكون القصص خبر ان والاخر ان يكون اسما موضعه رفع بالابتداء والقصص خبره والجملة خبر ان **قوله تعالى** فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ اية التولى عن الحق هو اعتقاد خلافه بعد ظهوره لانه كالادبار عنه بعد الاقبال وتولى عنه خلاف تولى اليه والاصل واحد كما ان رغب عنه خلاف رغب فيه وهو الزوال بالوجه عن جهته الى غيره فاصل التولى كون الشيء يلى غيره من غير فصل بينه وبينه فقيل تولى عنه اى ذال عن جهته و قوله فان الله عليم بالمفسدين انما خص المفسدين بانه عليم بهم على جهة التهديد لهم والوعيد بما يعلمه مما وقع من افسادهم كما يقول القائل انا اعلم بشر فلان وما يجرى اليه من الفساد والافساد ايقاع الشيء على خلاف ما توجبه الحكمة وهو ضد الاصلاح لانه ايقاع الشيء على مقدار ما توجبه الحكمة والفرق بين الفساد والقبيح ان الفساد تغيير عن المقدار الذى تدعو اليه الحكمة بدلالة ان نقيضه الصلاح فاذا قصر عن المقدار او افرط لم يصلح فاذا كان على المقدار صلح وليس كذلك القبيح لانه ليس فيه معنى المقدار وانما القبيح ما تزجر عنه الحكمة كما ان الحسن ما تدعو اليه الحكمة **قوله تعالى** قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ اية واحدة قيل فيمن نزلت هذه الاية ثلثة اقوال احدها ذكره الحسن والسدى وابن زيد ومحمد بن جعفر بن الزبير انهم نصارى نجران والثانى قال قتادة والربيع وابن جريج انهم يهود المدينة وقد روى ذلك اصحابنا ووجه هذا القول انهم اطاعوا الاحبار طاعة الارباب فسلكوا بهم طريق الضلال يدل على ذلك قوله عز وجل اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله وروى عن ابى عبد الله ع انه قال ما عبدوهم من دون الله وانما حرموا لهم حلالا واحلوا

لهم

ونساءكم فاطمة ع ويقول وانفسنا

لهم حراما فكان ذلك اتخاذا لاربابٍ من دون الله الثالث ذكره ابو علي الجبائي انها في الفريقين من اهل الكتاب على ظاهر الكلام و قوله الى كلمة سواء فسوا اسم وليس بصفة وانما جرّ سواء بتقدير ذات سواء في قول الزجاج وكان يجوز نصبه على المصدر و موضع ان لا خفض على البدل من كلمة وقال الرمّاني انّما اجراه على الاول وهو الثاني هاهنا ولا يجوز في مثل قولك مررت برجل سواء عليه الخير والشر غير الرفع لامرين احدهما ان رفع الثاني بتقدير محذوف كانه قال هي لا نعبد الا الله فيكون سواء من صفة الكلمة في اللفظ والمعنى ويجوز ان يكون موضعه خفضا على البدل من الكلمة وتقديره تعالوا الا نعبد الا الله وكذلك الجاء ما لا يصلح للاول على الاستيناف نحو الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد وكذلك ام حسب الذين اجترحوا السيّئات ان نجعلهم كالذين امنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم الثاني ان يقع بمعنى المصدر في موضع الصفة الجارية بتقدير كلمة مستوٍ بيننا وبينكم فيها الامتناع من عبادة غير الله وانما جاز لانه لا يتغير معنى الكلمة فصار بمنزلة اضمار الكلمة والفرق بين كلمة عدل وكلمة سواء معنىً مستوية ان عدل بمعنى عادلة فيما يكون منها كما تقول رجل عدل اي عادل فامّا كلمة مستوية فمستقيمة كما يقال الرجل مستوٍ في نفسه غير مايل عن جهته فلذلك الفسّر سواء على الوجهين فكان يجوز في العربية الجزم في لا نعبد الا الله على طريق النهي كقولك ليتني وقت ياتي الناس لا يجي في غيره لك من الاوقات ويجوز فيه الرفع ايضا بمعنى الحكاية على ان تقول لا نعبدُ الا الله واجاز الفراء الجزم عطفا على موضع ان لا لانها في موضع جواب الامر على تقدير تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبدُ الا الله ولا نشرك به شيئا كما تقول تعالوا لا نفعل الاخير و هذا لا يجوز عند البصريين لان ان لا توافق معنى الجواب كالفاء في قوله فاصّدق واكن من الصالحين كما يوافقه اذا في قوله وان تصبهم سيئة بما قدمت ايديهم اذا هم يقنطون واللام في قوله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون انما اتصل بما قبله على تقدير فابلوا اعراضهم عن الحق بخلافه للانكار عليهم وتجديدا لاقراره عند صدّهم اي قيموا على اسلامكم وقولوا لهم اشهدوا بانا مسلمون مقيمون على الاسلام **قوله تعـ** يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ اية واحدة روى عن ابن عباس والحسن وقتادة والسدى ان احبار يهود ونصارى نجران اجتمعوا عند رسول الله صلعم فتنازعوا في ابرهيم فقالت اليهود ما كان الا يهوديّا وقالت النصارى ما كان الا نصرانيّا فانزل الله تعـ هذه الاية و قوله لم تحاجون فالحجاج والمحاجة واحد وهو الجدال اما بحجة او شبهة وقد يسمى الجدال بايهام الحجة حجاجا وعلى ذلك كان اهل الكتاب في ادّعائهم لابرهيم لانهم اوهموا صحة الدّعوى من غير سلوك لطريق الهدى ولا تعلق بما يظن به صحة المعنى وامّا الحجة فهو البيان الذي يشهد لصحة المقالة وهي والدلالة بمعنى واحد والفرق بين الحجاج والجدال ان الحجاج يتضمن اما بحجة او شبهة او ايهام في الحقيقة لان اصله من الجدل وهو شدة الفتل و قوله افلا تعقلون معناه افلا تعقلون فساد هذه الدعوى اذ العقل يمنع من الاقامة على دعوى بغير حجة فكيف بما قد علم وظهر فساده بالمناقضة وفي ذلك دلالة على ان الغافل لا يعذر في الاقامة على الدعوى من غير حجة لما فيه من البيان عن الفساد والانتقاض ولان العقل طريق العلم فكيف يضل عن الرشد من قد جعل له اليه السبيل **قوله تعـ** هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ اية واحدة قرا اهل المدينة وابو عمرو ها انتم بتخفيف الهمزة حيث وقع والباقون بتحقيقها وكلهم اثبت الالف قبل الهمزة الا ابن عامر عن قنبل فانه حذفها هاء للتنبيه وانما نبههم على انفسهم وان كان الانسان لا ينبّه على نفسه وانما ينبه على ما اغفله من حاله لان المراد به التنبيه لهم بذكرهم يعلمون على ما لا يعلمون فلذلك خرج التنبيه على النفس والمراد على حال النفس ولو جاء على الاصل لكان لا بد من ذكر النفس للبيان ففيه مع ذلك ايجاز وقد كثر التنبيه في هذا ولم يكثر في ها انت لان ذا مبهم من حيث يصلح لكل حاضر والمعنى فيه على واحد بعينه مما يصلح له فقوي بالتنبيه لتحريك النفس على طلبه بعينه وليس كذلك انت لانه لا يصلح

لكل حاضر في الجملة وانما هو للمخاطب ان قيل اين خبر انتم في ها انتم قيل يحتمل امرين احدهما حاججتم على ان يكون هؤلاء نابعا عطف بيان والثاني ان يكون الخبر هؤلاء على معنى الاء بمعنى الذين وما بعده صلة له فان قيل ما الذي حاجّوا فيه مما لهم به علم قلنا اما الذي لهم به علم فما وجدوه في كتبهم لانهم يعلمون انهم وجدوه منها واما الذي ليس لهم به علم فشأن ابرهيم على قول السدى وابي علي و قوله والله يعلم يعني شأن ابرهيم وكلما ليس عليه دليل لانه علام الغيوب العالم بغير تعليم وانتم لا تعلمون ذلك فينبغي ان تلتمسوا حقه من طلبه من جهة عالم به قال ابو علي الفارسي وجه قراءة ابن كثير انه ابدل من الهمزة هاء والتقدير ا انتم فابدل من همزة الاستفهام هاء وذلك جائز قال ولا يجوز على هذا ان يكون هاء للتنبيه وحذف الالف منها في مثل هلمّ لان الحذف انما يجوز اذا كان فيها تضعيف **قوله تعـ** مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اية ذكر الحسن وقتادة وعامر وهو المروى عن ابي جعفر ع ان اليهود قالت كان ابرهيم يهوديا وقالت النصارى كان نصرانيا فاكذبهم الله في ذلك بانزال هذه الاية فان قيل هل كان الله تعبّد باليهوديّة والنصرانية ثم نسخها ام لا قلنا كان الذي تعبد الله به شرع موسى ثم شرع عيسى ثم نسخها فاما اليهوديّة والنصرانية فصفتا ذم قد دل القران والاجماع على ذلك لان موسى لم يكن يهوديا وعيسى لم يكن نصرانيا لقوله تعـ ان الدّين عند الله الاسلام واليهودية ملة محرفة عن شرع موسى وكذلك النصرانية ملة محرفة عن شرع عيسى وقيل في اصل الصفة بيهود قولان احدهما انهم ولد يهودا والاخر انه مأخوذ من هاد يهود اذا رجع وفي النصارى قولان احدهما انه مأخوذ من ناصرة قرية بالشام والاخر انه من نصر المسيح وكيف تصرفت الحال فقد صارتا صفتي ذم تجريان على فرقتين ضالتين فان قيل ان كان ابرهيم لم يكن يهوديا ولا نصرانيا لان التورية والانجيل انزلا بعده فيجب ان لا يكون مسلما لان القران ايضا انزل بعده قلنا لا يجب ذلك لان التورية والانجيل انزلا من بعده من غير ان يكون فيهما ذكر له بانه كان يهوديا او نصرانيا والقران انزل من بعده وفيه الذكر له بانه كان حنيفا مسلما وقيل في معنى الحنيف قولان احدهما المستقيم الدّين لان الحنف هو الاستقامة في اللغة وانما سمّي من كان معوج الرجل احنف على طريق التفاول كما قيل للضرير انه بصير والثاني ان الحنيف هو المايل الى الحق في الدين فيكون مأخوذا من الحنف في القدم وهو الميل فان قيل هل كان ابرهيم على جميع ما نحن عليه الان من شرع الاسلام قلنا هو عم كان مسلما وان كان على بعض شريعتنا الان في شرعنا تلاوة الكتاب في صلاتنا وما انزل القران الا على نبيّنا وانما قلنا انه مسلم باقامته بعض الشريعة لان اصحاب النبي صلعم كانوا مسلمين في الابتداء قبل استكمال الشرع وقد سمّاه الله تعـ مسلما فلا مرية تبقى بعد ذلك **قوله تعـ** إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ اية واحدة معنى قوله ان اولى الناس بابرهيم للذين اتبعوه وهذا النبيّ اي احقهم بنصرته بالمعونة او الحجة لان الذين اتبعوه في زمانه تولوه بالنصرة على عدوّه حتى ظهر امره وعلت كلمته وساير المؤمنين يتولونه بالحجة بما كان عليه من الحق وتبرئته من كل عيب فالله تعـ وليّ المؤمنين لانه يولّيهم النصرة والمؤمن وليّ الله لهذا المعنى بعينه وقيل لانه يولّيهم صفات التعظيم ويجوز لانهم يتولون نصرة ما امر به من الدين وقيل والله ولي المؤمنين لانه يتولى نصرهم والمؤمنون اولياء الله لانهم يتولون نصر دينه الذي امرهم به واولى الذي هو بمعنى افعل من غيره لا يجمع ولا يثنى لانه يتضمن معنى الفعل والمصدر على تقدير يزيد فضله على فضل في افضل منه ومعنى قولنا هذا الفعل اولى من غيره اي بان يفعل وقولنا زيد اولى من غيره معناه انه على حال هو بها احق من غيره و قوله للذين اتبعوه فالاتباع جريان الثاني على طريقة الاول من حيث هو عليه كالمدلول الذي يتبع الدليل في سلوك الطريق او في التصحيح لانه ان صح الدليل صح المدلول عليه لصحته وكذلك المأموم الذي يتبع الامام فان قيل لم فصّل ذكر النبي صلعم من ذكر المؤمنين قلنا يحتمل امرين احدهما انه بمعنى والذين امنوا به فتقدم ذكره ليدخل في الولاية ويعود اليه الكناية والثاني ان اختصاصه بالذكر بالحال العليا في الفضل **قوله تعـ** وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ

الكتاب لو يضلونكم وما يضلون الا انفسهم وما يشعرون معنى ودّت تمنّت واذا كانت بمعنى التمني فهي
تصلح للماضي والحاضر والمستقبل فلذلك جاز بلو وليس كذلك المحبة والارادة لانهما لا يتعلقان الا بالمستقبل
فلا يجوز ان يكون بمعنى اراد لو يضلونكم كما يجوز ودّ لو يضلونكم لان الارادة تجري مجرى الاستدعاء الى
الفعل ومجرى العلة في ترتيب الفعل فاما التمني فهو تقدير شئ في النفس يستمتع بتقريره والفرق بين
ودّ لو يضله وبين ودّ ان يضله ان ان للاستقبال وليس كذلك لو ۞ وقوله لو يضلونكم فالاضلال الاهلاك
بالدخول في الضلال واصل الضلال الهلاك من قوله ائذا ضللنا في الارض اي هلكنا وقوله وما يضلون الا
انفسهم قيل فيه قولان احدهما ان المؤمنين لا يقبلون ما يدعونهم اليه من ترك الاسلام الى غيره من الاديان
فيحصل عليهم حينئذ الاثم والوبال والاستدعاء الى الضلال والثاني وما يضلون الا انفسهم بفعل الضلال
كما يقال ما اهلك الا نفسه اي لا يعتد بهلاك غيره في عظم هلاكه والفرق بين اضله عن الطريق وبين اخرجه
عن الطريق ان اضله عنه يكون بالاستدعاء الى غيره دون فعل الضلال واخرجه عنه قد يكون بفعل الخروج
منه والفرق بين الاضلال والاستدعاء الى الضلال ان الاضلال لا يكون الا اذا قبل المدعو فاما الاستدعاء
الى الضلال فيكون قبل المدعو ام لم يقبل وحقيقة الاضلال الدعاء الى الضلال الذي يقبله المدعو فلهذا
بعضهم انه لا يصح اضلال احد بغيره وانما يقال ذلك على وجه المجاز ذهب الى انه يفعل فعل الضلال في
غيره لانه لا يوصف بانه مضل لغيره الا اذا اضل المدعو باغوائه قال الرماني وهذا غير صحيح لانه يذم
بالاستدعاء الى الضلال الذي يقبله المدعو اكثر مما يذم بالاستدعاء الى الضلال الذي لا يقبله المدعو
فلذلك فرق بين الاستدعائين فوصف احدهما بالاضلال ولم يوصف الاخر **قوله تع** يا اهل الكتاب لم
تكفرون بآيات الله وانتم تشهدون اية واحدة بلا خلاف قوله يا اهل نصب لانه منادى مضاف وقوله لم
اصله لما لانها ما التي للاستفهام دخلت عليها اللام وانما حذفت لاتصالها بحرف الاضافة مع وقوعها طرفا
تدل عليها الفتحة وكذلك قياسها مع ساير حروف الاضافة مثل فيم تبشرون وعم يتساءلون وانما حذفت الالف
منها في الاستفهام ولم يحذف منها في الصلات لان الطرف اقوى على التغيير من وسط الاسم كما يقوى على التغيير
بالاعراب والتنوين والالف في الصلة بمنزلة حرف في وسط الاسم لانه لا يتم الا بصلته وليس كذلك الاستفهام
لان الالف فيه منتهى الاسم ولم اصلها لما وهي مخالفة عند البصريين لكم على ما قاله الكسائي ان اصلها كما
لان كم مخالفة لما في اللفظ والمعنى اما في اللفظ فلانه كان يجب ان يبقى الفتح ليدل على الالف كما بقيت في لم
ونحوه والامر بخلافه واما في المعنى فلان كم سؤال عن العدد وما سؤال عن الجنس فليست منها في شئ ولا
لكاف التشبيه في كم معنى ويلزمه في حتى ان يكون اصلها ما الا انهم زادوا التاء لانه تغيير من غير دليل
فاذا لم يمنع في احدهما لم يمنع في الاخر وانما بنى على نظيره في حذف الالف فلذلك يلزمه ان يبنى على نظيره في
زيادة التاء قبل الالف نحو رهبوتى خير من رحموتى قال الزجاج قول الكسائي في هذا لا يعرج عليه وقوله
لم تكفرون بآيات الله معناه لم تجحدون ايات الله وانتم تشهدون قيل في معناه قولان احدهما وانتم تشهدون
بما يدل على صحتها من كتابكم الذي فيه البشارة بها في قول قتادة والربيع والسدي والثاني وانتم تشهدون
بمثلها من ايات الانبياء التي تقرون بها والشهادة الخبر بالشئ عن مشاهدة اما المخبر به واما لما يظهر به ظهوره
بالمشاهدة فاذا شهد بالاقرار فهو مشاهدة المخبر به واذا شهد بالملك فهو بظهوره ظهوره بالمشاهدة و
انما قيل شهد بالباطل لانه يخبر عن مشاهدة في دعواه ۞ وقوله وانتم تشهدون فيه حذف وتقديره وانتم
تشهدون ما عليكم فيه الحجة فحذف للايجاز مع الاستغناء عنه بالتوبيخ الذي تضمنه الكلام والحجة في ذلك
من وجهين احدهما الاقرار بما فيه من البشارة من الكتاب والثاني الاقرار بمثله من الايات **قوله تع** يا اهل
الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وانتم تعلمون اية بلا خلاف قيل في معنى قوله لم
تلبسون الحق بالباطل ثلثة اقوال احدها بتحريف التورية والانجيل في قول الحسن وابن زيد الثاني قال
ابن عباس وقتادة باظهار الاسلام وابطان النفاق وفي قلوبهم من اليهودية والنصرانية لانهم

تداعوا الى اظهار الاسلام في صدر النهار والرجوع عنه في اخره لتشكيك الناس فيه الثالث بالايمان
بموسى وعيسى والكفر بمحمد صلعم والحق الذي كتموه في قول الحسن وغيره من المفسرين هو ما وجدوه من
صفة النبي صلعم والبشارة به في كتبهم على وجه العناد من علمائهم ۞ وقوله وانتم تعلمون فيه حذف وتقديره
وانتم تعلمون الحق لان التقريع قد دل على انهم كتموا الحق وهم يعلمون انه حق ولو كتموه وهم لا يعلمون
انه حق لم يلايم معنى التقريع الذي دل على انهم كتموا الحق وهم يعلمون انه حق لم يلايم معنى التقريع الذي
دل عليه الكلام وقيل ايضا وانتم تعلمون الامور التي يصح بها التكليف والاول اصح لما بيناه من الدلالة
على الكتمان فان قيل اذا كانوا يعلمون الحق في الدين فقد صح كونهم معاندين فلم ينكر مذهب اصحاب
المعارف الذين يقولون ان كل كافر معاند قلنا هذا في قوم مخصوصين يجوز على مثلهم الكتمان فاما الخلق
الكثير فلا يصح ذلك منهم كما يجوز الكتمان على القليل ولا يجوز على الكثير فيما طريقه الاخبار وعلى ان في الاية
ما يدل على فساد قول اصحاب المعارف وهو الاخبار بانهم كتموا الحق الذي علموا فلو اشترك الناس فيه لما صح
الكتمان كما لا يصح فيما يعلمونه من المشاهدات والضروريات لاشتراكهم في العلم به ۞ وقوله وتكتموا الحق
رفع لانه معطوف على قوله تلبسون وكان يجوز النصب فتقول وتكتموا الحق على الصرف كما لو قلت لم
تقوم وتقعد كان جائزا اي لم تجمع الفعلين وانت مستغن باحدهما عن الاخر **قوله تع** وقالت طايفة
من اهل الكتاب امنوا بالذي انزل على الذين امنوا وجه النهار واكفروا اخره لعلهم يرجعون
اية الطايفة الجماعة وقيل في اصلها قولان احدهما انه كالرفقة التي من شانها ان تطوف البلاد في السفر الذي
يقع عليه الاجتماع والاخر انها جماعة يستوي بها حلقة يطاف حولها وانما دخلت هاء التانيث فيها لمعنى
المضاعفة اللازمة كما دخلت في الجماعة لان في اصل التانيث معنى التضعيف من اجل انه مركب على التذكير وفي
قوله امنوا بالذي انزل على الذين امنوا وجه النهار واكفروا اخره ثلثة اقوال اولها اظهروا الايمان لهم
في اول النهار وارجعوا عنه في اخره فانه احرى ان ينقلبوا عن دينهم الثاني امنوا بصلاتهم الى بيت المقدس
في اول النهار واكفروا بصلاتهم الى الكعبة في اخره ليرجعوا بذلك عن دينهم الثالث اظهروا الايمان في صدر
النهار بما سلف لكم من الاقرار بصفة محمد صلعم ثم ارجعوا في اخره لتوهموهم انه كان وقع عليكم غلط في صفته
والوجه الاول قول اكثر اهل العلم ووجه النهار هو اوله عند جميع المفسرين كقتادة والربيع ومجاهد
وانما سمي اول النهار بانه وجهه لانه احسنه لانه اول ما يواجه منه كما يقال لاول الثوب وجه الثوب
الثاني لانه كالوجه في انه اعلاه واشرف ما فيه قال ربيع ابن زياد من كان مسرورا بمقتل مالك
فليات نسوتنا بوجه نهار وقيل في معنى البيت انه كان من عادتهم ان لا تنوح نساؤهم على قتلاهم الا بعد
ان يوخذ بثاره فاراد الشاعر ان يبين انهم اخذوا بثاره ما لذلك ان النساء ينحن عليه ولذلك قال في البيت
الذي بعده يجد النساء حواسرا يندبنه وقوله لعلهم يرجعون فيه حذف وتقديره لعلهم يرجعون
عن دينهم في قول ابن عباس والحسن وقتادة ومجاهد **قوله تع** ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم
قل ان الهدى هدى الله ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم او يحاجوكم عند ربكم قل ان الفضل
بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم اية قال الحسن القائلين لا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم هم يهود
خيبر ليهود المدينة وقال قتادة والربيع والسدي وابن زيد هم بعض اليهود لبعض وقيل في معنى الاية ثلثة
اقوال احدها قال الحسن ومجاهد اعرض بقوله قل ان الهدى هدى الله وتقديره ولا تؤمنوا الا لمن تبع
دينكم ولا تؤمنوا ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم ولا تؤمنوا ان يحاجوكم به عند ربكم لانه لا حجة لهم وقال
ابو علي الفارسي وتقديره ولا تصدقوا بان يؤتى احد مثل ما اوتيتم الا لمن تبع دينكم الثاني قال السدي
وابن جريج هو على الاتصال بالهدى دون الاعتراض والمعنى قل ان الهدى هدى الله ان لا يؤتى
احد مثل ما اوتيتم ايها المسلمون كقوله يبين الله لكم ان تضلوا وان لا يحاجوكم عند ربكم لانه لا حجة
لهم الثالث قال الكسائي والفراء او يحاجوكم به عند ربكم بمعنى حتى يحاجوكم به عند ربكم على التبعيد

كما يقال لا يلتقى معما وتقوم الساعة الرابع قال ابو على قل ان الهدى هدى الله فلا تجحدوا ان يؤتى
احد مثل ما اوتيتم الخامس قال الزجاج ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم لئلا تكون طريقا لعبدة الاوثان الى
تصديقه السادس او يحاجوكم به عند ربكم ان اعترفتم به فيلزمكم العمل به منهم لاقراركم بصحته وفى دخول
اللام فى قوله الا لمن قيل فيه قولان احدهما ان يكون زائدة كاللام فى قوله ردف لكم اى ردفكم بمعنى لا تصدقوا
الا من تبع دينكم قال المبرد انما يسوغ ذلك على تقدير المصدر بعد تمام الكلام فاما قام لزيد بمعنى قام زيد فلا
يجوز لانه لا يحمل على التاويل الا بعد التمام والقول الاخر لا تعترفوا بالحق الا لمن تبع دينكم فدخل للتعدية
وقال ابو على الفارسى لا يجوز ان يتعلق اللام فى قوله لمن تبع دينكم بقوله ولا تؤمنوا الا انه قد تعلق به
حرف الجر فى قوله بان يؤتى كما لا يتعلق مفعولان بفعل واحد فان قيل لم جاز حذف لا من قوله تعا ان يؤتى
احد مثل ما اوتيتم على قول من قال ذلك قلنا الدلالة عليها كالدلالة فى جواب القسم نحو والله اقوم
اى لا اقوم قال امرؤ القيس فقلت يمين الله ابرح قاعدا ولو قطعوا راسى لديك واوصالى
اى لا ابرح والدليل عليه فى الاية اتصاله بالغرض فى اختصاص اهل الايمان فلا يبتعد فى المعنى الا على ان لا
يؤتى احد مثل ما اوتيتم وكذلك يبين الله لكم ان تضلوا الا ان البيان لا يكون طريقا الى الضلال وقال المبرد
تقديره كراهة ان تضلوا وكراهة ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم فحمله على الاكثر لان حذف المضاف واقامة المضاف
اليه مقامه اكثر من حذف لا و قوله والله واسع عليم معناه واسع الرحمة عليم بالمصلحة فمن صلح له ذلك عن غيرهم
فهو يؤتيه تفضلا عليه قوله تعا يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ اية الاختصاص انفراد
بعض الاشياء بمعنى دون غيره كالانفراد بالملك والفعل او العلم او السبب والطلب وغير ذلك ويصح الانفراد
بالنفس وغير النفس وليس كذلك الاختصاص لانه نقيض الاشتراك والانفراد نقيض الازدواج والفرق بين الاختصاص
والخاصة ان الخاصة يحتمل الاضافة وغير الاضافة لانها نقيض العامة فاما الاختصاص فلا يكون الا على الاضافة
لانه اختصاص بكذا دون كذا وقيل فى معنى الرحمة ههنا قولان احدهما قال الحسن ومجاهد والربيع والجبائى
انها النبوة وقال ابن جريج هى القران والاسلام ووجه هذا القول انه يختصهم بالاسلام بما لهم من اللطف
فيه وفى الاية دلالة على ان النبوة ليست مستحقة بالافعال لانها لو كانت جزاء لما جاز ان يقول يختص بها من يشاء
كما لا يجوز ان يختص بعقابه من يشاء من عباده فان قيل اللطف مستحق وهو يختص به من يشاء من عباده قلنا لانه
قد يكون لطفا على وجه الاختصاص دون الاشتراك وليس كذلك الثواب و قوله والله ذو الفضل العظيم
فالفضل الزيادة عن الاحسان واصله على الاطلاق الزيادة يقال فى بدنه فضل اى زيادة والفاضل الزائد
على غيره فى خصال الخير فاما التفضيل فزيادة النفع على مقدار الاستحقاق ثم كثر استعماله حتى صار لكل نفع
قصد به فاعله ان ينفع صاحبه قوله تعا وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ
مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ
سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ اية بلا خلاف قرا ابو عمرو يؤده اليك باسكان الهاء
الباقون باشباعها قال الزجاج هذا غلط من الراوى كما غلط فى بارئكم باسكان الهمزة وانما كان ابو عمرو يختلس
الحركة فيما رواه الضباط عنه كسيبويه وغيره وانما لم يجز حذف الحركة كما لم يجز فى هذا غلام فاعلم لانه لما حذف
الياء تركت الكسرة لتدل عليه والقنطار قد ذكرنا الخلاف فى مقداره فانه على قول الحسن الف ومائتا مثقال و
فى قول ابى نضرة ملء مسك ثور ذهبا وقيل سبعون الفا عن مجاهد وعن ابى صالح انه مائة رطل والفرق بين
تأمنه بقنطار وتأمنه على قنطار ان معنى الباء الصاق الامانة ومعنى على استعلاء الامانة وهما يتعاقبان فى
هذا الموضع لتقارب المعنى كما يقال مررت به ومررت عليه و قوله الا ما دمت عليه قائما قيل فى معناه قولان
احدهما الا ما دمت عليه قائما بالتقاضى والمطالبة فى قول قتادة ومجاهد وقال السدى الا ما دمت عليه قائما
بالاجتماع معه والملازمة ومعناه الا ما دمت عليه قائما على راسه ودمت ودمت لغتان مثل مت ومت لكن
من كسر الدال والميم قال فى المستقبل تدام وتمات وهى لغة ازد السراة ومن ما ودهم و قوله ذلك بانهم قالوا

ليس علينا فى الاميين سبيل قيل فى معناه قولان احدهما قال قتادة والسدى قالت اليهود ليس علينا فيما اصبنا
من اموال العرب سبيل لانهم مشركون وقال الحسن وابن جريج لانهم تحولوا عن دينهم الذى عاهدناهم عليه
وادعوا انهم وجدوا ذلك فى كتابهم و قوله وهم يعلمون معناه يعلمون هذا الكذب على الله تعمدوا فيقدمون
عليه والحجة قائمة عليهم فيه وقال قوم قوله ومن اهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار يؤده اليك يعنى النصارى
لانهم لا يستحلون اموال من خالفهم وعنى بقوله ومنهم من ان تأمنه بدينار اليهود لانهم يستحلون
مال كل من خالفهم فى حل السبت وعلى هذا يسقط سؤال من يقول اى فائدة فى ذكر ذلك لان من المعلوم فى
كل حال من كل امة ان فيها من يؤدى الامانة وفيها من لا يؤديها فلا فائدة فى ذلك فان هذا ميز بين الفريقين
ومن قال بالاول يمكنه ان يقول فائدة الاية القطع على ان فيهم هؤلاء وهؤلاء وسائر الناس يجوز الا
يكون فيهم الا احد الفريقين فذلك فائدة بينة ويمكن ايضا ان يكون الفائدة ان هؤلاء لا يؤدون الامانة
لاستحلالهم ذلك بقوله ذلك بانهم قالوا ليس علينا فى الاميين سبيل وسائر الفرق وان كان منهم من لا يؤدى
الامانة لا نعلم انه يستحلها وذلك فائدة قوله تعا بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ اية
الهاء فى قوله بعهده يحتمل ان يكون عائدة على اسم الله فى قوله ويقولون على الله الكذب ويحتمل ان تكون
عائدة على من فى قوله بلى من اوفى بعهده لان العهد يضاف الى الفاعل والمفعول تقول هذا عهد فلان
الذى عهده اليه وهذا عهد فلان الذى عهده الحجر ووفى واوفى لغتان فاهل الحجاز يقولون اوفيت
واهل نجد يقولون وفيت و قوله بلى يحتمل معنيين احدهما الاضراب عن الاول على وجه الانكار للاول وعلى
هذا الوجه من التحقيق يكون مكتفية نحو قولك ما قدم فلان فتقول بلى اى بلى قد قدم وقال الزجاج بلى ههنا وقف
تام لانهم لما قالوا ليس علينا فى الاميين سبيل قيل بلى اى بلى عليهم سبيل والثانى الاضراب عن الاول والاعتماد
على البيان الثانى وعلى هذا الوجه لا يكون مكتفية نحو ان تقول قد قدم زيد حسنا لغوا من القول بلى
لو كان متيقنا لعمل على قوله فكذلك الاية تدل على ما تقدم على ادعائهم خلاف الصواب فى الفتوى فقيل
بلى للاضراب عن الاول والاعتماد على بيان الثانى والفرق بين بلى ونعم ان بلى جواب النفى نحو قوله الست
بربكم قالوا بلى فاما ازيد فى الدار فجوابه نعم او لا وانما جاز امالة بلى لمشابهتها الاسم من وجهين احدهما
انه يوقف عليها فى الجواب كما يوقف على الاسم نحو من رايت من النساء فيقول حبلى وكذلك اذا قال الست
زيد فى الدار فقلت بلى و لانها على ثلثة احرف وهى اصل العدة التى يكون عليها الاسم ولذلك خالفت
لا فى الامالة وانما قال فان الله يحب المتقين ولم يقل فان الله يحبه فيرد العامل الى اللفظ لابانة الصفة
التى يحب بها محبة الله وان كان فيه معنى فان الله يحبه قوله تعا إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَ
أَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ اية واحدة اختلفوا فى سبب نزول هذه الاية فقال مجاهد وعامر الشعبى
انها نزلت فى رجل حلف يمينا فاجرة فى تنفيق سلعته وقال ابن جريج انها نزلت فى الاشعث بن قيس وخصم له
فى ارض قام ليحلف عند رسول الله فنزلت الاية فنكل الاشعث واعترف بالحق ورد الارض وقال عكرمة نزلت
فى جماعة من اليهود حيى بن اخطب وكعب بن الاشرف وابى رافع وكنانة بن ابى الحقيق وقال الحسن كتبوا كتابا
بايديهم ثم حلفوا انه من عند الله فيما ادعوا من انه ليس علينا فى الاميين سبيل وعهد الله هو ما يلزم الوفاء
به ويستحق بنقضه الوعيد وهو ما اخذه على العبد واوجبه عليه بما جعل فى عقله من قبح تركه وذلك فى كل
واجب عليه فانه يلزم بنقضه الوعيد الا ان يتوب ويجتنب الكبير والعهد هو العقد الذى تقدم به الى
العبد بما يجده فى عقله من الزجر عن خلاف الحق والدعاء الى التمسك به والعمل عليه وانما وصف ما اشتروه
من عرض الدنيا بانه ثمن قليل مما قرن به الوعيد لامرين احدهما لانه قليل فى جنب ما يؤدى اليه من العقاب
والتنكيل والثانى هو انه مع كونه قليلا الاقدام فيه على اليمين مع نقض العهد عظيم و قوله ولا خلاق
لهم معناه لا نصيب وافر لهم وقيل فى اصل الخلاق قولان احدهما الخلق التقدير فيوافق معناه لان النصيب

او فى بعهده

الوافر من الخير بالتقدير لصاحبه يكون نصيبا له والاخر من الخلق لانه نصيب مما يوجبه الخلق الكريم و
قوله ولا يكلمهم الله قيل في معناه قولان احدهما لا يكلمهم بما يسرهم بل بما يسوءهم وقت الحساب لهم لان
الغرض انما هو الوعيد فلذلك تبعه معنى لا يكلمهم بما يسرهم انظاهر قوله ثم ان علينا حسابهم انه
يكلمهم بما يسوءهم في محاسبته لهم هذا قول ابي علي الثاني لا يكلمهم اصلا وتثبت لمحاسبته بكلام الملئكة لهم
بامر الله اياهم فيكون على العادة في احتقار انسان عن ان يكلمه الملك لنقصان المنزلة و قوله ولا ينظر اليهم
اي لا يرحمهم كما يقول القائل لغيره انظر الي يريد ارحمني وفي ذلك دلالة على ان النظر مع تعديته بحرف الى
لا تفيد الرؤية لانه لا يجوز حملها في الاية على انه لا يراهم بلا خلاف و قوله ولا يزكيهم معناه لا يحكم
بزكايهم دون ان يكون معناه لا يفعل الايمان الذي هو الزكاء لهم لانهم في ذلك والمؤمنين سواء فلو
اوجب ما زعمت المجبرة لكان لا يزكيهم ولا يزكي المؤمنين ايض في الاخرة وذلك باطل **قوله تعا** وَإِنَّ مِنْهُمْ
لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ
وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ اية وان منهم الكناية بالهاء والميم راجعة على اهل الكتاب في
قوله من اهل الكتاب من ان تامنه بقنطار في قول جميع المفسرين الحسن وغيره وقوله يلوون السنتهم قال مجاهد
وقتادة وابن جريج والربيع معناه يحرفونه بالتغيير والتبديل واصل اللي الفتل من قولك لويت يده اذا فتلتها
قال الشاعر   لوى يده الله الذي هو غالبه   ومنه لويت العود اذا ثنيته وقال الاخر
فلو كان في ليلى شذى من خصومة   للويت اعناق الخصوم الملاويا   ومنه لويت الغريم اذا مطلته
ليا وليانا اذا مطلته حقه قال الشاعر   تطيلين لياني وانت مليئة   واحسن يا ذات الوشاح التقاضيا
فقيل لتحريف الكلام بقلبه عن وجهه لي للسان به لانه فتله عن جهته و قوله لفريقا نصب لانه اسم ان واللام
لام التاكيد ويجوز دخولها على اسم ان اذا كان مؤخرا فان قدم لم يجز دخولها عليه لا تقول ان لزيدا في
الدار وانما امتنع ذلك لئلا يجتمع حرفا التاكيد لان ان للتاكيد واللام للتاكيد ايض فلم يجز الجمع بينهما
لئلا يتوهم اختلاف المعنى كما لم يجز دخول التعريف على التعريف والتانيث على التانيث فاما قولهم جاءني
القوم كلهم اجمعون فكل تاكيد للقوم واجمعون تاكيد لكل و قوله لتحسبوه من الكتاب معناه لتظنوه و
الفرق بين حسبت وزعمت ان زعمت يحتمل ان يكون يقينا او ظنا وحسبت لا يحتمل اليقين اصلا و قوله السنتهم
جمع لسان على التذكير كحمار واحمرة ويقال السن على التانيث كعناق واعنق وقوله وما هو من عند الله
دلالة على ان المعاصي ليست من عند الله بخلاف ما تقوله المجبرة ولا من فعله لانها لو كانت من فعله لكانت
من عنده وليس لهم ان يقولوا انها من عنده خلقا وفعلا وليست من عنده انزالا ولا امرا وذلك انها لو كانت
من عنده فعلا او خلقا لكانت من عنده على اكد الوجوه فلم يجز اطلاق النفي بانها ليست من عند الله و
كما لا يجوز ان يكون من عند الله من وجه من الوجوه لاطلاق النفي بانه ليس من عند الله فوجب العموم فيها
باطلاق النفي فان قيل اليس الايمان عندكم من عنده ومع ذلك ليس من عنده من كل الوجوه فهلا جاز مثل
ذلك في تاويل الاية قيل لا يجوز ذلك لان اطلاق النفي يوجب العموم وليس كذلك اطلاق الاثبات الا ترى
انك تقول ما عندي طعام فانما نفي القليل والكثير وليس كذلك اذا قلت عندي طعام لانه لا يجب ان يكون
عندك جميع الطعام فبان الفرق بين النفي والاثبات **قوله تعا** مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَ
الْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ
تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ اية واحدة قرا ابن كثير ونافع وابو عمرو تعلمون مخففا الباقون
بالتشديد روي عن ابن عباس انه قال سبب نزول هذه الاية ان قوما من اليهود قالوا للنبي ص اتدعونا
الى عبادتك كما دعا المسيح النصارى فنزلت الاية و قوله لبشر فانه يقع على القليل والكثير وهو بمنزلة المصدر
مثل الخلق وغيره تقول هذا بشر وهؤلاء بشر كما تقول هذا خلق وهؤلاء خلق وانما وقع المصدر على
القليل والكثير لانه جنس الفعل كما وقع في اسماء الاجناس كالماء والتراب ونحوه وقوله ان يؤتيه الله

الكتاب معناه اعطيه الكتاب والحكم والنبوة ان يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله ولكن تقول
لهم كونوا ربانيين وحذف يقول لدلالة الكلام عليه ومعناه في قول الحسن علماء فقهاء وقال سعيد بن جبير
حكماء اتقياء وقال ابن ابي رزين حكماء علماء وقال الزجاج معناه معلمي الناس وقال غيره مدبري امر
الناس في الولاية بالاصلاح وفي اصل رباني قولان احدهما الرباني وهو الذي يرب امر الناس بتدبيره له
واصلاحه اياه يقال رب امره يربه ربابة وهو رباني اذا دبره واصلحه ونظيره نعس ينعس فهو نعسان و
اكثر ما يجيء فعلان من فعل يفعل نحو عطش يعطش فهو عطشان فيكون العالم ربانيا لانه بالعلم يدبر الامر
ويصلحه الثاني انه مضاف الى علم الرب تعالى وهو علم الدين الذي امر به الا انه غير في الاضافة ليدل على
هذا المعنى كما قيل بحراني وكما قيل للعظيم الرقبة رقباني وللعظيم اللحية لحياني وكما قيل لصاحب القصب قصباني
فكذلك صاحب علم الدين الذي امر به الرب رباني ومن قرأ بالتخفيف اراد بما كنتم تعلمونه انتم ومن قرأ
بالتشديد اراد تعلمونه لسواكم و قوله وبما كنتم تدرسون يقوي قراءة من قرأ بالتخفيف والتشديد اكثر
فايدة لانه يفيد انهم علماء وانهم يعلمون غيرهم والتخفيف لا يفيد اكثر من كونهم عالمين وانما دخلت الباء
في قوله بما كنتم تعلمون لاحد ثلاثة اشياء احدها كونوا معلمي الناس بعلمكم كما تقول انفعوهم بمالكم الثاني
كونوا ممن يستحق ان يطلق له صفة عالم بعلمه على جهة المدح له باخلاصه مما يحبطه الثالث كونوا ربانيين في
علمكم ودراستكم ووقعت الباء في موضع في **قوله تعا** وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا
أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ اية قرأ عاصم وحمزة وابن عامر ولا يامركم بنصب الراء الباقون برفعها
فمن نصب عطف على ما عملت فيه ان على تقدير ما كان لبشر ان يؤتيه الله كذا ولا يامركم بكذا ومن رفع استانف
الكلام لانه بعد انقضاء الاية وتمامها وفي الاية دلالة على ان الانبياء لا يجوز ان يقع منهم ما ذكره دون ان
يكون ذلك اخبارا عن انه لا يقع منهم لانها خرجت مخرج التنزيه للنبي عن ذلك كما قال ما كان لله ان يتخذ من ولد
ومعناه لا يجوز ذلك عليه وكذلك قوله ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله يدل على ان ذلك غير جائز عليه
ولو جاز ان يحمل على نفي الوقوع دون الامتناع لجاز ان يحمل على التحريم دون الانتفاء لان اللفظ يصلح له لولا
ما قارنه من ظاهر التعظيم للانبياء والتنزيه لهم عن الدعاء الى الفساد واعتقاد الضلال ويجب حمل الكلام
على ظاهر الحال الا ان يكون هناك ما يقتضي صرفه عن ظاهره على انه لو حمل على النفي لما كان فيه تكذيب
للمخالف والاية خرجت مخرج التكذيب لهم في دعواهم ان المسيح امرهم بعبادته والالف في قوله ايامركم الف انكار
واصلها الاستفهام وانما استعملت في الانكار لانه مما لو اقر به المخاطب لظهرت فضيحته وبان سقوطه فلذلك
جاء الكلام على السؤال وان لم يكن الغرض تعرف الجواب وانما لم تجز العبادة الا لله تعالى لانها تستحق باصول
النعم من خلق القدرة والحياة والعقل والشهوة وغير ذلك مما لا يقدر عليه سواه وليس في الاية ما يدل
على ان في افعال الجوارح كفرا الا ان قوله ايامركم بالكفر معناه الامر باعتقاد ان الملائكة والنبيين ارباب
وذلك كفر لا محالة ولم يجر في الاية لتوجيه العبادة اليهم ذكر فاما من عبد غير الله فانا نقطع على ان فيه كفرا
هو الجحد بالقلب لان نفس هذا الفعل كفر فسقطت شبهة المخالف **قوله تعا** وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ
لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ
وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ اية قرأ نافع لما
اتيناكم على الجمع الباقون على التوحيد بالتاء وقرأ حمزة لما بكسر اللام الباقون بفتحها التقدير واذكروا
اذ اخذ الله ميثاق النبيين لان اذ لما مضى ومعنى اخذ الميثاق من النبيين بنصرة من لم يلحقوه ولم يدركوا
زمانه هو انهم ينصرونه بتصديقه عند قومهم ويامروهم بالاقرار به كما قيل انما اخذ الله ميثاق النبيين
الماضين بتصديق محمد ص هذا قول علي ع وعبد الله بن عباس ره وقتادة والسدي وقال طاوس
اخذ الميثاق الاول من الانبياء لتؤمنن بالاخر وروي عن ابي عبد الله ع انه قال تقديره واذ اخذ الله
ميثاق امم النبيين بتصديق نبيها والعمل بما جاءهم به وانهم خالفوهم فيما بعد وما وفوا به وتركوا

كثيرا من شريعته وحرفوا كثيرا منه وقوله لما اتيتكم من كتاب قيل في معنى ما في لما وجهان احدهما انها بمعنى
الذى وتقديره الذى اتيتكموه من كتاب ليفعلن لاجله كذا الثانى انها بمعنى الجزاء وتقديره لان اتيتكم
شيا من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول لتؤمنن به لاجله وتقديره اى شئ اتيتكم ومهما اتيتكم ويكفى جواب
القسم من جواب الجزاء كقوله لئن اشركت ليحبطن عملك وفى معنى من قولان احدهما انها للتبيين لما كقولك
ما عندك من ورق وعين الثانى ان تكون زايدة وتقديره الذى اتيتكم كتاب وحكمة فيكون فى موضع خبر ما
وانكر هذا القول اكثر النحويين لان من لا تزاد الا فى غير الواجب من نحو النفى والاستفهام والجزاء والاول
اصح لانه لا يجوز ان يحكم بزيادة حرف او لفظ مع امكان حمله على فايدة واللام فى قوله لما لام الابتداء واللام
فى قوله لتؤمنن به لام القسم كما تقول لعبد الله والله لتأتينه وقال قوم اللام الاول خلف من القسم بجاب
بجوابه نحو لمن قدم ما احسن ولمن اتاك لأتيته وانكر هذا القائل ان يكون الثانية تاكيد اللاولى لوقوع ما
ولا فى جوابها كما يقع فى جواب القسم والقول الاول اصح لان فيه اقصاحا بالقسم نحو لزيد والله ما ضربته
والقول الثانى صواب على تقدير اخر وان يكون اللام خلفا من القسم كافيا منه فلا يحتاج الى ذكره معه
ومن ذكره معه لم يجعله خلفا منه لانه اضعف منه والخلف اقوى من الدال الذى ليس بخلف لانه بمنزلة الاصل
الموضوع للمعنى يفهم به من غير واسطة ومن كسر اللام فى قوله لما يحتمل امرين احدهما ان يكون على التقديم
والتاخير والثانى بمعنى اخذ الله ميثاقهم لذلك وقال بعضهم القراءة بالكسر لا يجوز لانه ليس كل شئ
اوتى الكتاب وهذا غلط من وجهين احدهما انه اوتى الكتاب لعلمه به مهتديا بما فيه وان لم ينزل عليه والاخر
انه يجوز ذلك على التغليب بالذكر فى الجملة لانه بمنزلة من اوتى الكتاب بما اوتى من الحكم والنبوة فان قيل لم لا يجوز
ان يكون لما اتيتكم من كتاب وحكمة بمعنى ليبلغن ما اتيتكم من كتاب وحكمة ثم يحذف قيل لانه لا يجوز الحذف
فى الكلام من غير دليل ينبئ عن المراد ومن زعم ان الدليل على حذف الفعل لام القسم فقد غلط لانها لام
الابتداء التى تدخل على الاسماء نحو لمن يتبعك منهم لاملأن جهنم منكم اجمعين وقيل فى معنى قوله واخذتم على
ذلكم اصرى قولان احدهما وقبلتم على ذلك عهدى والثانى واخذتم على ذلكم اصرى من المتبعين لكم كما يقال
اخذت بيعتى اى قبلتها واخذتها على غيرك بمعنى عقدتها على غيرك والاصر العقد وجمعه اصار واصله العقد
ومنه المآصر لانه عقد يحبس به عن النفوذ الا باذن ومنه الاصر الثقل لانه عقد يثقل القيام به ومنه قولهم
ما للآصرة ناصرنى عليك اى عاطفة تعطفنى عليك من عقد جوار او نحوه و قوله فاشهدوا معناه فاشهدوا
على اممكم بذلك وانا معكم من الشاهدين عليكم وعليهم روى ذلك عن على بن ابى طالب عليه السلم **قوله تعالى**
فَمَنْ تَوَلّٰى بَعْدَ ذٰلِكَ فَاُولٰٓئِكَ هُمُ الْفَاسِقُوْنَ اية التولى عن الايمان بالنبى صلعم كفر بلا خلاف وانما قال
فاولئك هم الفاسقون ولم يقل الكافرون لان تقديره الكلام فاولئك هم الفاسقون فى كفرهم اى المتمردون
فيه بخروجهم الى الافحش منه وذلك ان اصل الفسق الخروج عن امر الله الى حال توبقه فلذلك قيل للخارج عن
امر الله الى افحش منازل الكفر فاسق وموضع هم من الاعراب يحتمل امرين احدهما ان يكون رفعا بانه مبتدا ثان
والفاسقون خبره والجملة خبر اولئك والاخر انه لا موضع له لانه فصل جاء ليؤذن ان الخبر معرفة او ما قارب
المعرفة ويسمى الكوفيون ذلك عمادا و قوله فمن تولى وان كان شرطا وجزاء فى المستقبل فان الماضى يدخل
فيه من وجهين احدهما ان يكون تقديره فمن يصح انه تولى كما قال ان كان قميصه قد من قبل فصدقت اى ان
يصح ان قميصه قد من قبل فصدقت الاخر مساواة الماضى للمستقبل فيدخل فى دلالته وانما جاء جواب الجزاء بالفاء
ولم يجز بثم لان الثانى يجب بوجوب الاول بلا فصل فلذلك جاء بالفاء دون ثم للتراخى بين الشيئين وذلك
نحو قولك ان تاتنى فلك درهم فوجوب الدرهم بالاتيان عقيبه بلا فصل وانما جاز وقوع الماضى موقع المستقبل
فى الجزاء ولم يجز فى قام زيد غدا لان حرف الجزاء لما كان يعمل فى الفعل قوى على نقله من الماضى الى الاستقبال
وليس كذلك غد وما اشبهه مما يدل على الاستقبال لانه نظير الفعل فى الدلالة من غير عمل يوجب القوة
فلذلك جرى على المناقضة **قوله تعالى** اَفَغَيْرَ دِيْنِ اللّٰهِ يَبْغُوْنَ وَلَهٗٓ اَسْلَمَ مَنْ فِى السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ طَوْعًا

وَكَرْهًا وَاِلَيْهِ تُرْجَعُوْنَ اية قرأ اهل البصرة وحفص يبغون بالياء الباقون بالتاء وقرأ يعقوب وحفص
واليه يرجعون بالياء وكسر يعقوب الجيم وفتح الياء فمن قرأ بالياء اراد الاخبار عن اليهود وغيرهم من المشركين
والتاء لجميع المكلفين ومن قرأ بالتاء فيهما فعلى الخطاب فيهما قوله افغير دين الله عطف جملة على جملة مثله
لو قيل اوغير دين الله يبغون الا ان الفاء تثبت كانه قيل ابعد تلك الايات غير دين الله تبغون اى تطلبونه
و قوله وله اسلم من فى السموات والارض طوعا وكرها قيل فى معناه ستة اقوال اولها قال ابن عباس
اسلم من فى السموات والارض بحالة الناطقة عنه الدالة عليه عند اخذ الميثاق عليه الثانى قول ابى
العالية ومجاهد ان معناه اسلم اى بالاقرار بالعبودية وان كان فيهم من اشرك فى العبادة كقوله ولئن
سألتهم من خلقهم ليقولن الله وقوله ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله ومعناه
ما ركب الله فى عقول الخلايق من الدعاء الى الاقرار له بالربوبية لينبهوا على ما فيه من الدلالة الثالث
قال الحسن وله اسلم من فى السموات والارض طوعا وكرها قال اكره اقوام على الاسلام وجاء اقوام طائعين
الرابع قال قتادة اسلم المؤمن طوعا والكافر كرها عند موته كما قال فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا
واختاره البلخى ومعناه التخويف لهم من التنازع بهذه سبيله الخامس قال عامر الشعبى والزجاج والجبائى
ان معناه استسلم بالانقياد والذلة كما قال تعالى قالت الاعراب امنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا اى
استسلمنا ومعناه الاحتجاج به وسادسها قال الفراء والازهرى انما قال طوعا وكرها لان فيهم من اسلم
ابتداء رغبة فى الاسلام ومنهم من اسلم بعد ان قوتل وحورب فسمى ذلك كرها مجازا وان كان الاسلام وقع
عنده طوعا و قوله طوعا وكرها نصب على انه مصدر وقع موقع الحال وتقديره طائعا او كارها كما تقول
اتانى ركضا اى راكضا ولا يجوز ان يقول اتانى كلاما اى متكلما لان الكلام ليس بضرب من الاتيان والركض
ضرب منه قوله اليه ترجعون معناه تردون اليه للجزاء فايا كم ومخالفة الاسلام فيجازيكم بالعقاب قال الله
تعالى ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الاخرة من الخاسرين وروى عن ابى عبد الله عم انها
نزلت فى الحرث بن سويد بن الصامت وكان ارتد بعد قتله المجذر بن زياد البلوى غدرا فى الاسلام وهرب
وحديثه مشروح ثم ندم فكاتب قومه سلوا رسول الله صلعم هل لى توبة فنزلت الايات الى قوله الا الذين تابوا
فرجع فاسلم **قوله تعالى** قُلْ اٰمَنَّا بِاللّٰهِ وَمَآ اُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ اُنْزِلَ عَلٰٓى اِبْرٰهِيْمَ وَاِسْمٰعِيْلَ وَاِسْحٰقَ وَيَعْقُوْبَ
وَالْاَسْبَاطِ وَمَآ اُوْتِىَ مُوْسٰى وَعِيْسٰى وَالنَّبِيُّوْنَ مِنْ رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ اَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهٗ
مُسْلِمُوْنَ اية قيل فى تاويل هذه الاية قولان احدهما ان معناها الانكار على الكفار ما ذهبوا اليه من
الايمان ببعض النبيين دون بعض فامر الله تعالى النبى صلعم والمؤمنين ان يقولوا انا نؤمن بجميع النبيين ولا
نفرق بين احد منهم الثانى ان معناها موافقة ما تقدم الوعد به من ايمان النبى الامى بجميع من تقدم من
النبيين على التفصيل وقال له فى اول الاية قل خطابا للنبى صلعم فجرى الكلام على التوحيد وما بعده على الجمع
وقيل فى ذلك قولان احدهما ان المتكلم قد يخبر عن نفسه بلفظ الجمع للتفخيم كما قال تعالى ولقد خلقناكم ثم صورناكم
ثم قلنا للملئكة اسجدوا لادم والثانى انه اراد دخول الامة فى الخطاب الاول والامر بالاقرار ويجوز ان يقال
فى الواحد المتكلم فعلنا ولا يجوز للواحد المخاطب فعلتم والفرق بينهما ان الكلام بالجملة الواحدة يصح بجماعة
مخاطبين ولا يصح الكلام بالجملة الواحدة بجماعة متكلمين فلذلك جاز فى فعلنا فى الواحد للتفخيم لانه لا يصح
ان يكون خطابا للجماعة فلم يصرف عنهم بغير قرينة لما يدخله من الالباس فى مفهوم العبارة و قوله وما انزل
علينا فى الاخبار عن المسلمين انما جاز ذلك ان كان قد انزل على النبى صلعم لان التقدير انزل علينا على لسان
نبينا كما تقول امرنا به ونهينا على لسان نبينا ومثل ذلك ما قاله فى سورة البقرة من قوله قولوا امنا بالله و
ما انزل الينا وقال بعضهم لا يجوز ان يكون ذلك الا اخبارا عن النبى صلعم الذى انزل عليه وهذا غلط لان الاية
الاخرى تشهد ببطلانه فان قيل ما معنى قوله ونحن له مسلمون بعد الاقرار بالايمان على التفصيل قيل معناه
ونحن له مستسلمون بالطاعة فى جميع ما امر به ودعا اليه ولان اهل الملل المخالفة تعرف بصفة مؤمن و

ينتفي من صفة مسلم **قوله تعالى** ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ آية واحدة الابتغاء الطلب تقول بغى فلان كذا اى طلبه ومنه بغى فلان على فلان اذا طلب الاستعلاء عليه ظلما ومنه البغي الفاجرة لطلبها الزنى ومنه ينبغي كذا لانه حقيق بالطلب والاسلام هو الاستسلام لامر الله بطاعته فيما دعا اليه فكل ذلك اسلام وان اختلف فيه الشرائع وتفرقت المذاهب لان مبتغيه دينا ناج ومبتغي غيره دينا هالك والايمان والاسلام واحد لان من يبتغي غير الاسلام دينا فهو مبطل كما ان من يبتغي غير الايمان دينا فهو مبطل وذلك كمن يبتغي غير عبادة الاله دينا فهو كافر ومن يبتغ غير عبادة الخالق دينا فهو كافر ومن يبتغ غير الاله هو الخالق وقال عكرمة ان قوما من اليهود قالوا نحن المسلمون فانزل الله تعالى ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ﴾ فامرهم بالخروج الى الحج الذي هو من فرض الاسلام فقعدوا عنه وبان انسلاخهم من الاسلام لمخالفتهم له فانزل الله تعالى ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين فالخسران ذهاب راس المال ويقال خسر نفسه اى اهلك نفسه وقيل خسر عمله اى بطل عمله بان اوقعه على وجه يقبح لا يستحق عليه الثواب وكل واحد منهما كذهاب راس المال **قوله تعالى** ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ آية قال الحسن نزلت هذه الآية في اهل الكتاب الذين كانوا يؤمنون بالنبي قبل مبعثه بما يجدونه في كتبهم من صفاته ودلائله فلما بعثه الله جحدوا ذلك وانكروه وقال مجاهد والسدي نزلت في رجل من الانصار يقال له الحرث بن سويد ارتد عن الاسلام ثم تاب وحسن اسلامه فقبل الله اسلامه بقوله الا الذين تابوا فيما بعد تمام الآية وكذلك روي عن ابي عبد الله ع وقيل نزلت في قوم ارادوا من النبي ع ان يحكم لهم بالاسلام وفي قلوبهم الكفر فاطلعه الله على سرائرهم وما في ضمائرهم و قوله كيف اصلها الاستفهام والمراد بها ههنا الانكار ان تقع هذه الهداية من الله تعالى وانما دخل كيف معنى الانكار مع ان اصلها الاستفهام لان المسئول يسأل عن اغراض مختلفة فقد يسئل للتعجيز عن اقامة البرهان وقد يسئل للتوبيخ مما يظهر من معنى الجواب في السؤال وقد يسأل لما يظهر فيه من الانكار فالاصل فيه الاستفهام لكن من شأن العالم اذا اورد مثل هذا ان يصرف الى غير الاستعلام الا انه يراد من المسئول طلب الجواب فان قيل كيف خص هؤلاء المذكورون بمجيء البينات مع انها قد جاءت كل مكلف للايمان قيل عنه جوابان احدهما لان البينات التي جاءتهم هي ما في كتبهم من البشارة بالنبي ع الثاني للتبعيد من حال الهداية والتخصيص لتجويزها في هذه الفرقة و قوله والله لا يهدي القوم الظالمين فالهداية ههنا يحتمل ثلثة اشياء اولها سلوك طريق اهل الحق المهتدين بهم في المدح لهم والثناء عليهم الثاني في اللطف الذي يصلح به من حسنت نيته وكان الحق معتمده وهو ان يحكم لهم بالهداية الثالث في ايجاب الثواب الذي يستحقه من خلصت طاعته ولم يحبطها بسوء عمله فان قيل كيف اطلق قوله والله لا يهدي القوم الظالمين مع قوله فاما ثمود فهديناهم قلنا لانه لا يستحق اطلاق الصفة بالهداية الا على جهة المدحة كقوله اولئك الذين هدى الله فاما بالتقييد فيجوز لكل مدلول الى طريق الحق اليقين وليس في الآية ما يدل على صحة الاحباط للايمان ولا احباط المستحق عليه من الثواب لانه لم يجر لذلك ذكر و قوله كفروا بعد ايمانهم يعني بعد اظهارهم الايمان وشهادتهم ان الرسول حق وان كانوا في باطنهم منافقين وليس فيها انهم كانوا في باطنهم مؤمنين مستحقين للثواب فزال ذلك بالكفر فلا متعلق بذلك في صحة الاحباط **قوله تعالى** ﴿أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ آية ان قيل اذا كان لعن الملائكة والناس اجمعين تابعا للعن الله فهلا اقتصر عليه في الذكر قيل الوجه في ذلك انه لا يوهم ان لعنهم لا يجوز الا لله عز وجل كما لا يجوز ان يعاقبهم الا الله او من يأمره بذلك وليس في قوله والناس اجمعين دلالة على انه يجوز للكافر ان يلعن نفسه لان لعنه لنفسه دعاء عليها بالابعاد من رحمة الله وذلك يوجب رغبته فيما دعا به ولا يجوز لاحد ان يرغب في ان يعاقبه الله لان ذلك ينافي الزجر به والتحذير منه واما رغبة المؤمن في ان يعاقب الله الكافر فجائز وحسن لانه لا ينافي في زجره بل هو ابلغ في زجره فان قيل لم قال والناس اجمعين ومن وافق الكافر في مذهبه لا يرى

لعنه قيل عن ذلك ثلثة اجوبة احدها ان له ان يلعنه وانما لا يفعله لجهله بانه يستحق اللعن ويصح منه معرفة الله ومعرفة استحقاق اللعن لكل كافر فحينئذ يعلم ان له ان يلعنه وانما لا يصح ان يلعن الكافر مع اعتقاده انه لا يستحق اللعن لانه لو صح ذلك لادى الى ان يصح ان يلعن نفسه لمشاركته له فيما استحق به اللعن وقد بينا فساده والثاني ان ذلك في الآخرة لان بعضهم يلعن بعضا وقد استقرت عليهم لعنة الجميع وان كانت على التفريق والثالث ان يحمل لفظ الناس على الخصوص فيحمل على ثلثة فصاعدا فلذلك قال اجمعين وكان يجوز ان يرفع والملائكة والناس اجمعون لان الاول تقديره عليهم ان يلعنهم الله فيحمل الثاني على معنى الاول كما قال الشاعر

هل انت باعث دينار لحاجتنا او عبد رب اخا عون بن مخراق

والاتباع اجود ليكون الكلام على نسق واحد وانما ذكر وعيد الكفار ههنا مع كونه مذكورا في مواضع كثيرة في القرآن للتأكيد وتغليظا في الزجر لانه لما جرى ذكر الكافر عقبه بذلك بلعنه ووعيده كما اذا جرى ذكر المؤمن عقبه بذلك بالرحمة ليكون ارغب له في فعل الطاعة والتمسك بالايمان **قوله تعالى** ﴿خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ آية الخلود في اللغة هو طول المكث ولذلك يقال خلده في السجن وخلد الكتاب في الديوان وقيل للاثافي خوالد ما دامت في موضعها فاذا زالت لا تسمى خوالد والفرق بين الخلود والدوام ان الخلود يقتضي في كون لذلك خلد في الحبس ولا يقتضي ذلك الدوام ولذلك جاز وصفه تعالى بالدوام دون الخلود الا ان خلود الكفار المراد به التأبيد بلا خلاف بين الامة وقوله فيها الهاء راجعة الى اللعنة ومعنى خلودهم فيها استحقاقهم لها دائما مع ما توجبه من اليم العقاب فاما من ليس بكافر من فساق اهل الصلاة فلا يتوجه اليه الوعيد بالخلود لانه لا يستحق الا عقابا منقطعا به مع ثبوت استحقاقه للثواب الدائم لانه لو كان كذلك لادى الى اجتماع استحقاق الثواب الدائم والعقاب الدائم لشخص واحد والاجماع بخلافه والاحباط عندنا باطل فلا يمكن ان يقال يحبط احدهما الآخر وانما حسن العقاب الدائم على المعاصي المنقطعة كما حسن الثواب الدائم على الطاعة المنقطعة فلا يجوز ان يستحق الدوام على الاصغر ولا يستحق على الاكثر فلما كانت نعم الله تعالى اعظم النعم كانت معاصيه اعظم المعاصي وكانت طاعته اصغر منها وايضا فانه يحسن الذم الدائم على المعاصي المنقطعة فالعقاب يجري مجراه و قوله لا يخفف عنهم العذاب فالتخفيف هو تغيير الشيء عن حال الصعوبة الى السهولة وهو تسهيل ما فيه كلفة ومشقة واصله من خفة الجسم ضد ثقله ومنه تخفيف المحنة معناه تسهيلها و قوله ولا هم ينظرون معناه لا يمهلون وانما نفى انظارهم للانابة لما علم من حالهم انهم لا ينيبون كما قال ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه على ان التقية ليست واجبة وان علم انه لو بقاه لتاب وتاب عند اكثر المتكلمين ومن قال يجب تبقيته متى علم انه لو بقاه لآمن فجوابه هو الاول وقيل في الفرق بين الانظار والامهال ان الانظار تأخير العبد لينظر في امره والامهال تأخيره لتسهيل ما يتكلفه من عمله **قوله تعالى** ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ آية ان قيل اذا كانت التوبة من الذنب لا تصلح الا بعد فعله فلم قال من بعد ذلك قيل فائدته انه يفيد معنى تابوا منه لان توبتهم من غيره لا تنفع في التخلص منه كما لا تنفع التوبة من الكبير في التخلص من الصغير فاما من قال ان التوبة من معصية لا تصح مع الاقامة على معصية اخرى فانه يقول ذلك على وجه التأكيد فان قيل اذا كانت التوبة وحدها تسقط العقاب وتحصل الثواب فلم شرط معها الاصلاح قيل الوجه في ذلك ازالة الايهام لئلا يعتقد انه اذا حصل الايمان والتوبة من الكفر لا يضر معه شيء من افعال القبائح كقوله ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم اجر غير ممنون فذكر مع الايمان عمل الصالحات لازالة الايهام بان من كان مؤمنا في الحكم لم يضره مع ذلك ما عمله من المعاصي وقبول التوبة واجب لانها طاعة واستحقاق الثواب بها ثابت عقلا فاما سقوط العقاب عندها فانما هو تفضل من الله ولولا ان السمع ورد بذلك والا فلا دلالة في العقل على ذلك و قوله فان الله غفور رحيم دخلت الفاء لشبهه بالجزاء اذا كان الكلام قد تضمن معنى ان تابوا فان الله غفور رحيم اى يغفر لهم وليست في موضع خبر الذين لان الذين في موضع نصب بالاستثناء من الجملة الاولى التي هي قوله

اولئك عليهم لعنة الله الاية وذكر المغفرة فى الاية دليل على ان اسقاط العقاب بالتوبة تفضل لانه لو كان واجبا لما استحق بذلك الاثم بانه غفور لانه لا يقال هو غفور الا فيما له المؤاخذة فاما ما لا يجوز المؤاخذة به فلا يجوز تعليقه بالمغفرة **قوله تع** إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ اية بلا خلاف قيل فى معنى هذه الاية اربعة اقوال احدها قال ابن عباس هى فرقة ارتدت ثم عزمت على اظهار التوبة على جهة التورية فاطلع الله نبيه على ذلك بانزال هذه الاية وقال ابو العالية لم تقبل توبتهم من ذنوب اصابوها مع الاقامة على كفرهم وقال قتادة هم اليهود امنوا بموسى وكفروا بعيسى ثم ازدادوا كفرا بمحمد صلعم فلن تقبل توبتهم عند حضور موتهم وقال الحسن هم اليهود والنصارى كفروا بالنبى صلعم فلن تقبل توبتهم التى كانت فى حال ايمانهم فان قيل لم لم تقبل التوبة من هذه الفرقة قيل لانها كفرت بعد ايمانها ثم ازدادت كفرا الى انقضاء اجلها فحصلت على ضلالتها فلم تقبل منها التوبة الاولى فى حال كفرها بعد ايمانها ولا التوبة الثانية فى حال ايجابها وقيل انما لم تقبل توبتهم لانهم لم يكونوا فيها مخلصين بدلالة قوله واولئك هم الضالون وقال الطبرى انه لا يجوز تاويل من قال لن تقبل توبتهم عند حضور موتهم قال لانه لا خلاف بين الامة ان الكافر اذا اسلم قبل موته بطرفة عين فى ان حكمه حكم المسلمين فى وجوب الصلاة عليه ومواريثه ودفنه فى مقابر المسلمين واجراء جميع احكام الاسلام عليه ولو كان اسلامه غير صحيح لما جاز ذلك وهذا الذى قاله ليس بصحيح لانه لا يمتنع ان يتعبد باجراء احكام الاسلام عليه وان كان اسلامه على وجه من الالجاء لا يثبت معه استحقاق الثواب عليه كما انا تعبدنا باجراء احكام الاسلام على المنافقين وان كانوا كفارا وانما لم يجز قبول التوبة فى حال الالجاء اليه لان فعل الملجأ كفعل المكره فى سقوط الحمد والذم وقد قال الله تعالى وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال انى تبت الان وقال فلما راوا باسنا قالوا امنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا فاما اذا عاد فى الذنب فلا يعود اليه العقاب الذى سقط بالتوبة لانه اذا تاب منه صار بمنزلة ما لم يعمله فلا يجوز عقابه عليه كما لا يجوز عقابه على ما لم يعمله سواء قلنا ان سقوط العقاب عند التوبة كان تفضلا او واجبا وقد دل السمع على وجوب قبول التوبة وعليه اجماع الامة وقال تعالى وهو الذى يقبل التوبة عن عباده ويعفوا عن السيئات وقال غافر الذنب وقابل التوب وغير ذلك من الاى **قوله تع** إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ افْتَدَى بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ اية الملء اصل الملأ وهو تطفيح الاناء ومنه الملأ الاشراف لانهم يملؤن العين هيبة وجلالة ومنه رجل ملئ بالامر وهو املأ به من غيره والملء اسم للمقدار الذى يملأ والملأ بفتح الميم مصدر ملأت الاناء ملأ ومثله الرعى بكسر الراء النبات وبفتح الراء مصدر رعيته قال الزجاج ومن قال هما سواء فقد غلط و قوله ذهبا نصب على التمييز والتمييز على ضربين تمييز المقادير وتمييز الاعداد وكله مستحق للنصب لاشتغال العامل بالاضافة وما قام مقامها من النون الزائدة فجرى ذلك مجرى الحال فى اشتغال العامل بصاحبها ومجرى المفعول فى اشتغال العامل عنه بالفاعل ومثل ذلك عندى ملء زق عسلا وقدر نحى سمنا و قوله ولو افتدى به فالفدية البدل من الشئ فى ازالة الاذية ومنه قوله وفديناه بذبح عظيم لانه بدل منه فى ازالة الذبح عنه ومنه فداء الاسير بغيره لانه بدل منه فى ازالة القتل والاسر عنه وقيل فى معنى الافتداء ههنا قولان احدهما البيان عن ان ما كلفه فى الدنيا يسير فى جنب ما يبذله فى الاخرة من الفداء الكثير لو وجد اليه السبيل قال قتادة يجاء بالكافر يوم القيمة فيقال له ارايت لو كان لك ملء الارض ذهبا الكنت تفتدى به فيقول نعم فيقال لقد سئلت ايسر من ذلك فلم تفعل والثانى ما حكاه الزجاج انه لو افتدى به فى دار الدنيا مع الاقامة على الكفر لم يقبل منه وقيل فى دخول الواو فى قوله ولو افتدى به قولان قال قوم هى زائدة اجاز ذلك الفراء والمعنى لو افتدى به قال الزجاج وهذا غلط لان الكلام يجب حمله على فائدة اذا امكن ولا يحمل على الزيادة والثانى انها دخلت لتفصيل نفى القبول بعد الاجمال وذلك ان قوله فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا قد تم وجوه القبول بالنفى

ثم اتى بالتفصيل لئلا يتطرق عليه سوء التاويل ولو قيل مجردا ولم يكن قد تم النفى وجوه القبول فقد دخلت لو ولهذه الفائدة من نفى التفصيل بعد الجملة فاما الواو فى قوله وليكون من الموقنين فانها عاطفة على محذوف فى التقدير والمعنى وكذلك نرى ابرهيم ملكوت السموات والارض ليعتبر وليكون من الموقنين **قوله تع** لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ اية واحدة قيل فى معنى البر قولان احدهما البر من الله بالثواب فى الجنة الثانى البر بفعل الخير الذى يستحقون به الاجر وقال السدى وعمرو بن ميمون البر الجنة فان قيل كيف قال لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون والفقير لا يجب عليه الصدقة وينال الجنة وان لم ينفق قلنا الكلام خرج مخرج الحث على الصدقة الا انه على ما يصح ويجوز من امكان النفقة فهو مقيد بذلك فى الجملة الا انه اطلق الكلام للمبالغة فى الترغيب فيه ويجوز لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون فى سبل الخير من الصدقة من وجوه الطاعة وقال الحسن هو الزكوة الواجبة وما فرض تعالى فى الاموال الخاصة والاولى ان تحمل الاية على الخصوص بان تقول هى متوجهة الى من يجب عليه اخراج شئ اوجبه الله عليه دون من لم يجب عليه ويكون ذلك ايضا مشروطا بان لا يعفوا الله عنه على مذهبنا فى جواز العفو او يقول لن تنالوا البر الكامل الواقع على اشرف الوجوه حتى تنفقوا مما تحبون و قوله فان الله به عليم انما جاء على جهة جواب الشرط وان كان الله يعلمه على كل حال لامرين احدهما لان فيه معنى الجزاء فتقديره وما تنفقوا من شئ فان الله يجازيكم به قل او كثر لانه عليم به لا يخفى عليه شئ منه الثانى فانه يعلمه الله موجودا على الحد الذى يفعلونه من حسن النية او قبحها والفرق بين البر والخير ان البر هو النفع الواصل الى الغير مع القصد الى ذلك والخير يكون خيرا وان وقع عن سهو وضد البر العقوق وضد الخير الشر فبذلك يتبين الفرق بينهما ووجه اتصال هذه الاية بما قبلها انه تعالى لما ذكر فى الاية الاولى فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا ولو افتدى به وصل ذلك بقوله لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون لئلا يؤدى امتناع غنا الفدية الى الفتور فى الصدقة وما جرى مجراها من وجوه الطاعة **قوله تع** كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ اية واحدة وجه اتصال هذه الاية بما تقدم انه تعالى لما ذكر الانفاق مما يحب من جملة ما يحب الطعام فذكر حكمه وانه كان مباحا حلالا لبنى اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه وكان سبب نزول هذه الاية ان اليهود انكروا تحليل النبى صلعم لحوم الابل فبين الله تعالى انها كانت محللة لابرهيم وولده الى ان حرمها اسرائيل على نفسه وحاجهم بالتورية فلم يحضروا على احضار التورية لعلمهم بصدق النبى عم فيما اخبر انه فيها وكان اسرائيل وهو يعقوب بن اسحق بن ابرهيم نذر ان برأ من النساء ان يحرم احب الطعام والشراب اليه وهو لحوم الابل والبانها فلما برأ وفى الله بنذره وقال ابن عباس والحسن ان اسرائيل اخذه وجع العرق الذى يقال له النساء فنذر ان شفاه الله ان يحرم العروق ولحم الابل وهو احب الطعام اليه فان قيل كيف يجوز للانسان ان يحرم على نفسه شيئا وهو لا يعلم ما له فيه من المصلحة مما له فيه المفسدة قلنا يجوز ذلك اذا اذن الله له فى ذلك واعلمه وكان الله اذن لاسرائيل فى هذا النذر فلذلك نذر وفى الناس من استدل بهذه الاية على انه يجوز للنبى ان يجتهد فى الاحكام لانه اذا كان اعلم ورايه افضل كان اجتهاده احق وهذا الذى ذكروه ان جعل دليلا على انه كان يجوز ان يتعبد النبى بالاجتهاد كان صحيحا وان جعل دليلا على انه كان متعبدا به فليس فيه دليل عليه لانا قد بينا ان اسرائيل ما حرم ذلك الا باذن الله فمن اين ان ذلك كان محرما له من طريق الاجتهاد فاما من منع من جواز تعبد النبى صلعم بالاجتهاد بان ذلك يؤدى الى جواز مخالفة امته له اذا اداهم الاجتهاد الى خلاف اجتهاده فقد ابعد لانه لا يمتنع ان يجتهد النبى الاجتهاد الى خلاف ما ادى اجتهاد الامة اليه فوجب اتباعه ولا يلتفت الى اجتهاد مخالفه كما ان الامة يجوز ان يجمع على حد من اجتهاد وان لم يجز مخالفتها فبطل قول الفريقين **قوله تع** فَمَنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ الافتراء اقتراف الكذب واصله قطع ما يقدر من الاديم يقال فرى الاديم يفريه فريا اذا قطعه فقيل للكذب الفرية

لانه يقطع به على التقدير من غير تحقيق فان قيل كيف قال افترى على الله الكذب وعلى الاستعلاء فما
معناها ههنا قلنا معناها اضافة الكذب اليه من جهة انه امر بما لم يامر به الله فاوجب ما لم يوجبه وكذب عليه
بخلاف كذب له لان كذب عليه يفيد انه كذب فيما يكرهه وكذب له قد يجوز فيما يريده فان قيل كيف قيد وعيد المفتري
على الله الكذب بمن بعد ذلك وهو يستحق الوعيد بالكذب عليه على كل حال قلنا المراد به البيان انه يلزم من بعد
اقامة الحجة على العبد فيه لانه لو كذب على الله عز وجل فيما ليس بمحجوج فيه لجرى مجرى كذب الصبي الذي لا يستحق
الوعيد به وانما وصف المفتري على الله كذبا بانه ظالم من حيث كان ظالما لنفسه ولمن استدعاه الى مذهبه فيما
يكذب به لان ذلك الكذب يستحق به العقاب والظلم والجور واحد وان كان اصلهما مختلفا لان اصل الظلم
النقصان للحق والجور العدول عن الحق ولذلك قيل في ضد الظلم الانصاف وفي ضد الجور العدل و
الانصاف هو اعطاء الحق على التمام **قوله تعـ** قُلْ صَدَقَ اللّٰهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ اِبْرٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ
مِنَ الْمُشْرِكِينَ اية معنى قوله قل صدق الله البيان عن ان الخبر بان كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل الا ما حرم
اسرائيل على نفسه صدق لان الله تعـ اخبر به و قوله فاتبعوا فالاتباع الحاق الثاني بالاول لما له به من
التعلق فالقوة للاول والثاني يستمد منه فهم يلحقون بابرهيم عم لتمسكهم بملته والتابع ثان متدبر بتدبير
الاول متصرف بتصريفه في نفسه والصحيح ان شريعة نبينا ناسخة لشريعة كل من تقدم من الانبياء وان نبينا
لم متعبدا بشريعة من تقدم وانما وافقت شريعته شريعة ابرهيم فلذلك قال الله تعـ فاتبعوا ملة ابرهيم والا يكن
فالله تعـ هو الذي اوحى بها اليه واوجبها عليه وكانت شريعة له فان قيل اذا كانت الشرايع بحسب المصالح
فكيف رغب في شريعة الاسلام بانها ملة ابرهيم قلنا لان المصالح اذا وافقت ما تميل اليه النفس ويتقبله العقل
بغير كلفة كانت احق بالرغبة كما انها اذا وافقت الغنى بدلا من الفقر كانت اعظم في النعمة وكان المشركون يميلون
الى اتباع ملة ابرهيم فلذلك خوطبوا بذلك و الحنيف المستقيم الدين الذي على شريعة ابرهيم في حجه ونسكه
وطيب ماكله وتلك الشريعة هي الحنيفية واصل الحنف الاستقامة وانما وصف المايل القدم احنف تفاؤلا
بها وقيل اصله الميل وانما قيل الحنيف بمعنى المايل الى الحق فيما كان عليه ابرهيم من الشرع **قوله تعـ**
اِنَّ اَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ اية بلا خلاف اول الشيء ابتداؤه
ويجوز ان يكون المبتدأ له ويجوز ان لا يكون له اخر لان الواحد اول العدد ولا نهاية لاخره ونعيم اهل
الجنة له اول ولا اخر له فعلى هذا انما كان اول بيت لانه لم يكن قبله بيت يحج اليه وروي عن علي عم انه قال اول
بيت وضع للعبادة البيت الحرام وقد كانت قبله بيوت كثيرة وقيل اول بيت عبد فيه وطلب به البركة مكة
وقال مجاهد لم يوضع قبله بيت وانما دحيت الارض من تحتها وبه قال قتادة وروى اصحابنا ان اول شيء
خلق الله من الارض موضع الكعبة ثم دحيت الارض من تحتها وبكة قيل معناه ثلثة اقوال احدها قال ابن
شهاب وضمرة بن ربيعة بكة هو المسجد ومكة الحرم كله تدخل فيه البيوت وهو قول ابي جعفر عم وقال
ابو عبيدة بكة هي بطن مكة وقال مجاهد هي مكة واصل بكة من البك وهو الزحم تقول بكه يبكه بكا
اذا زحمه وتباك الناس بالموضع اذا ازدحموا فبكة مزدحم الناس للطواف وهو ما حول الكعبة من
داخل المسجد الحرام ومنه البك دق العنق لانه فكه بشدة زحمة فقيل سميت بكة لانها تبك اعناق الجبابرة
اذا الحدوا فيها بظلم لم يمهلوا واما مكة فقال الزجاج يجوز ان يكون اشتقاقها كاشتقاق بكة وابدلت
الميم من الباء كقولهم ضربة لازب ولازم ويجوز ان يكون من قولهم امتك الفصيل ما في ضرع الناقة اذا
مص مصا شديدا حتى لا يبقى منه شيا فسميت مكة بذلك لازدحام الناس فيها قال والاول احسن ويقال
مك المشاش مشا اذا تمشش بغيه ونصب قوله مباركا يحتمل امرين احدهما ان يكون حالا من الضمير الذي فيه
الثاني على الظرف من بكة على معنى الذي استقر ببكة مباركا وعلى هذا القول لا يكون قد وضع قبله بيت
كما يجوز في التقدير الاول و قوله وهدى للعالمين معناه انه دلالة لهم على الله من حيث هو المدبر لهم بما
لا يقدرون عليه من امن الوحش فيه حتى يجتمع الكلب والظبي فلا يعدوا عليه وحتى يانس الطير فلا يمتنع

منه

منه كما يمتنع من غيره الى غير ذلك من الامارات البينة فيه مع البركة التي يجدها من حج اليه مع ما له من الثواب
الجزيل عليه واصل البركة الثبوت من قولك برك بركا وبروكا اذا ثبت على حاله فالبركة ثبوت الخير بنموه و
تزيده ومنه البراكاء الثبوت في الحرب ومنه البركة شبه حوض تمسك الماء لثبوته فيه ومنه قول الناس
تبارك الله لثبوته لم يزل ولا يزال وحده ومنه البرك الصدر لثبوت الحفظ فيه **قوله تعـ** فِيهِ اٰيَاتٌ بَيِّنَاتٌ
مَقَامُ اِبْرٰهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ اٰمِنًا وَلِلّٰهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ اِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ
فَاِنَّ اللّٰهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ اية قرا اهل الكوفة الا ابا بكر حج البيت بكسر الحاء الباقون بفتحها فمن فتح اراد
المصدر الجاري على فعله ومن كسر اراد الاسم الايات الذي بمكة اشياء منها ما قال مجاهد في مقام ابرهيم
وهو اثر قدميه داخلة في حجر صلد بقدرة الله تعـ ليكون ذلك علامة يهتدي بها ودلالة يرجع اليها مع
غيره للعز الايات التي فيه من امن الخائف وامحاق الجمار على كثرة الرامي وامتناع الطير من العلو عليه و
استشفاء المريض من مائه ومن تعجيل العقوبة لمن انتهك فيه حرمة على عادة كانت جارية ومن اهلاك اصحاب
الفيل لما قصدوا لتخريبه وروي عن ابن عباس انه قرا اية بينة مقام ابرهيم فجعل مقام ابرهيم هو الاية والاول
عليه القراء والمفسرون وقوله مقام ابرهيم رفع بانه خبر ابتداء محذوف وتقديره هي مقام ابرهيم وغير مقام
ابرهيم وقيل التقدير منها مقام ابرهيم و قوله ومن دخله كان امنا قيل فيه قولان احدهما الدلالة على ما
عطف عليه قلوب العرب في الجاهلية من امن من جنى جناية ثم لاذ بالحرم ومن تبعة تلحقه او مكروه ينزل به فاما
في الاسلام فمن جنى فيه جناية اقيم عليه الحد الا القاتل فانه يخرج منه فيقتل في قول الحسن وقتادة وعندنا
انه اذا قتل في الحرم قتل فيه الثاني انه خبر والمراد به الامر ومعناه ان من وجب عليه حد فلاذ بالحرم والتجا
اليه فلا يبايع ولا يشارى ولا يعامل حتى يخرج من الحرم فيقام عليه الحد في قول ابن عباس وابن عمر وهو
المروي عن ابي عبد الله وابي جعفر عم واجمعت الصحابة على ان من كانت له جناية في غيره ثم عاذ به انه لا يؤخذ
بتلك الجناية فيه واجمعوا ايضا ان من اصاب الحد فيه انه يقام عليه الحد فيه وانما اختلفوا فيما به يخرج ليقام
عليه الحد وروي عن ابي جعفر عم انه قال من دخله عارفا بجميع ما اوجب الله عليه كان امنا في الاخرة من اليم
العقاب الدايم والسبيل الذي يلزم بها الحج قال ابن عباس وابن عمر هي الزاد والراحلة وقال ابن الزبير و
الحسن ما يبلغه كاينا ما كان وفيه خلاف بين الفقهاء ذكرناه في الخلاف وعندنا هو وجود الزاد والراحلة
ونفقة من يلزمه نفقته والرجوع الى كفاية عند العود اما من مال او ضياع او عقار او صناعة او حرفة مع
الصحة والسلامة وزوال الموانع وامكان المسير و قوله ومن كفر معناه من جحد فرض الحج فلم يره واجبا
في قول ابن عباس والحسن والضحاك فاما من تركه وهو يعتقد فرضه فانه لا يكون كافرا وان كان عاصيا و
في الاية دلالة على فساد مذهب المجبرة ان الاستطاعة مع الفعل لان الله تعـ اوجب الحج على المستطيع ومن
لا يستطيع فلا يجب عليه وذلك لا يكون الا قبل فعل الحج وقال قوم معنى ومن كفر يعني ترك الحج والسبب في ذلك
انه لما نزل قوله ومن يبتغ غير الاسلام دينا قالت اليهود نحن المسلمون فانزل الله هذه الاية فامرهم بالحج
ان كانوا صادقين فامتنعوا فقال الله تعـ ومن ترك من هؤلاء فهو كافر والله غني عن العالمين **قوله
تعالى** قُلْ يَا اَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِاٰيَاتِ اللّٰهِ وَاللّٰهُ شَهِيدٌ عَلٰى مَا تَعْمَلُونَ اية قوله يا اهل
الكتاب خطاب لليهود والنصارى وانما اجرى عليهم اهل الكتاب مع انهم لا يعملون به ولم يجر مثل ذلك في
اهل القران حتى يقال فيمن لا يعمل بالقران انه من اهل القران لامرين احدهما ان القران اسم خاص لكتاب
الله فاما الكتاب فيجوز ان يراد به يا اهل الكتاب المحرف عن جهته والاخر الاحتجاج عليهم بالكتاب لاقرارهم
به كانه قيل يا من يقر بانه من اهل كتاب الله لم تكفر بايات الله وايات الله المراد بها ههنا معجزات نبينا محمد صلعم
التي كانت له والعلامات التي وافقت صفته مما تقدمت البشارة وخاطبهم الله في هذه بان قال لهم لم تكفرون
بايات الله على وجه التلطف في استدعائهم الى الحق وتوجيه الخطاب اليهم وقال في موضع اخر يا اهل الكتاب لم
تكفرون على وجه الاهانة لهم لصدهم عن الحق بتوجيه الخطاب الى غيرهم وانما جاء لفظ التوبيخ في الاية على

لفظ

لفظ الاستفهام لانه كسؤال التعجيز عن اقامة البرهان فكذلك سؤال التوبيخ سؤال بتعجيز عن اقامة العذر كانه قيل هات العذر في ذلك ان امكنك كما قيل له هات البرهان ان كنت محقا في قولك ومذهبك واصل لم لما وحذفت الالف في الاستفهام منها ولم يحذف في الخبر لانها في الاستفهام طرف يقوى فيه التغيير قياسا على حروف الاعراب ونحوها واما الخبر فانها تقع وسطا اذا كانت موصولة لان تمامها اخر صلتها والجزاء يجرى مجرى الصلة لان ما فيه عاملة **قوله تعالى** يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ آية بلا خلاف قوله لم تصدون معناه لم تمنعون لان الصد المنع وقيل في كيفية صدهم عن سبيل الله قولان احدهما انهم كانوا يغرون بين الاوس والخزرج بتذكيرهم الحروب التي كانت بينهم حتى تدخلهم العصبية وحمية الجاهلية فينسلخوا عن الدين هذا قول زيد بن اسلم وقال الاية في اليهود خاصة وقال الحسن الاية في اليهود والنصارى معا ومعناها لم تصدون بالتكذيب بالنبي صلى الله عليه وآله وان صفته ليست في كتبهم ولا تقدمت البشارة به عندهم **و** قوله من امن موضعه النصب بانه مفعول تصدون **و** قوله تبغونها عوجا الكناية راجعة الى السبيل ومعناه تطلبون لها عوجا يعني عدولا عن طريق الحق وهو الضلال كانه قال تبغونها ضلالا والعوج بفتح العين فهو ميل كل شئ منتصب نحو القناة والحائط وبكسر العين انما هو الميل عن الاستواء في طريق الدين وفي القول وفي الارض ومنه قوله لا ترى فيها عوجا وقال عبد بني الحسحاس

بغال وما تبغيه حتى وجدته ... كانك قد واعدته امس موعدا

اي طلبك وما تطلبه هذا في بغيت الحاجة فاما بغى عليه فمعناه تطاول بظلمه له وتقول ابغني كذا بكسر الهمزة اي اطلبه لي واذا قلنا ابغني بفتح الهمزة فمعناه اعني على طلبه ومثله احملني واحملني والمسني والمسني واحلبني واحلبني اي اعني على الحلب واصل ذلك البغي لحيرانه حذفت اللام لكثرة الاستعمال **و** قوله وانتم شهداء قيل فيه قولان احدهما انتم شهداء على بطلان صدكم عن دين الله ويكون الاية مختصة بقوم معاندين لانهم جحدوا ما علموه ويجوز ان يكون في الجميع لاقرارهم بانه لا يجوز الصد عن دين الله فلذلك صح ما الزموا الثاني وانتم شهداء اي عقلاء كما قال تعالى او القى السمع وهو شهيد اي وهو عاقل وذلك لانه يشهد الدليل الذي يميز به الحق من الباطل فيما يتعلق بالدين ويؤدي اليه **قوله تعالى** يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ آية قال زيد بن اسلم والسدي ان هذه الاية نزلت في الاوس والخزرج لما اغرى قوم من اليهود بينهم ليفتنوهم عن دينهم وقوله ان تطيعوا فالطاعة موافقة الارادة الجاذبة للفعل بالترغيب فيه والاجابة موافقة الارادة الداعية الى الفعل ولذلك يجوز ان يكون الله تعالى مجيبا للعبد اذا فعل ما دعا العبد به ولم يجز ان يكون مطيعا له ويا حرف النداء وايّ هو المنادى وها للتنبيه وهو اسم مبهم يحتاج ان يوصف ويجوز ان يوصف بالواحد والجميع لشدة ابهامه من حيث لا يوقف عليه دون ما يوضحه ولم يجز مثل ذلك في هذا وان كان اسما مبهما لانه يدخله التثنية والجمع نحو هؤلاء وهذان وليس كذلك اي فان قيل لم جاز صفة المبهم بالموصول ولم يجز بالمعطوف قيل لان الموصول بمنزلة اسم واحد لنقصانه عن التمام الا بصلته فعومل لذلك معاملة المفرد وليس كذلك المعطوف لانه اسم تام فلذلك لم يجز يا ايها الطويل والقصير على الصفة وجاز يا ايها الذي اكرم زيدا على الصفة ويجوز يا ايها الطويل والقصير على ان يكون القصير قد سموا ايض ويجوز ان يقول يا هذا وتقف عليه ولا يجوز ان تقول يا ايها وتقف وان كانا مبهمين لا يحتاجان الى صلة لان اي وصلة الى نداء ما فيه الالف واللام كما ان الذي وصلة الى صفة المعرفة بالجملة ولذلك جاز النصب في يا هذا الكريم ولم يجز في يا ايها الكريم ومعنى الاية النهي عن طاعة الكفار وبيان ان من اطاعهم يدعوه ذلك الى الارتداد عن دينه بعد ان كان مؤمنا ووجوهه كافرا **قوله تعالى** وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ آية روى عن ابن عباس ان سبب نزول هذه الاية انه كانت بين الاوس والخزرج حرب في الجاهلية كل شهر فبينما هم جلوس اذ ذكروا ما كان بينهم حتى غضبوا فقام بعضهم الى بعض بالسلاح

فنزلت هذه الاية وما بعدها وقال الحسن نزلت في مشركي العرب وكيف موضوعة للاستفهام ومعناها ههنا التعجب وانما استعملت في ذلك لانها طلب للجواب عما حمل على الفساد فيما لا يصح فيه الاعتذار والتعجب هو حدوث ادراك ما لم يكن يقدر لخفاء سببه وخروجه عن العادة في مثله ولذلك لم يجز في صفة القديم ولكن يجوز في وصفه بتعجيب العباد من بعض الامور وصيغة التعجب في اللغة ما افعله وافعل به الا انه قد يجئ كلام متضمن بمعنى التعجب وان لم يكن في الاصل مما وضع له **و** قوله وفيكم رسوله خطاب للذين عاصروه فاما اليوم فقد قال الزجاج يجوز ان يقال فينا رسول الله ويراد به ان آثاره قائمة فينا واعلامه ظاهرة وذلك بمنزلة لو كان موجودا فينا **و** قوله ومن يعتصم بالله معناه يمتنع والعصم المنع تقول عصمه يعصمه عصما ومنه قوله لا عاصم اليوم من امر الله اي لا مانع والعصم الاوعال لامتناعها بالجبال والمعصم لانه يمتنع والعصام الحبل والسبب لانه يعتصم به **قوله تعالى** يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ آية بلا خلاف ذكر ابن عباس وطاوس ان هذه الاية محكمة غير منسوخة وقال قتادة والربيع والسدي وابن زيد هي منسوخة بقوله فاتقوا الله ما استطعتم وهو المروي عن ابي جعفر وابي عبد الله عليهما السلام لانهم ذهبوا الى انه يدخل فيه القيام بالقسط في حال الخوف والامن وانكر ابو علي الجبائي نسخ الاية وذلك لان من اتقى جميع معاصيه فقد اتقى الله حق تقاته ومثل هذا لا يجوز ان ينسخ لانه اباحة لبعض المعاصي قال الرماني والذي عندي انه اذا وجه على اتقوا الله حق تقاته بان تقوموا له بالحق في الخوف والامن لم يدخل عليه ما ذكره ابو علي وهذا صحيح لانه لا يمتنع ان يكون اوجب عليهم ان يتقوا الله على كل حال ثم اباح ترك الواجب عند الخوف على النفس كما قال الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان وانكر البلخي ايضا نسخ الاية وقال لان في ذلك ايجاب الامر بما لا يستطاع قال الرماني وهذا ايضا لا يلزم لان ما استطعتم انما هو من غير تحمل مشقة بتحريم التقية وقيل في معنى قوله حق تقاته قولان احدهما قال ابن مسعود والحسن وقتادة ان يطاع فلا يعصى ويشكر فلا يكفر ويذكر فلا ينسى وهو المروي عن ابي عبد الله عليه السلام وقال الجبائي هو ان يتقي جميع معاصيه وظاهر الاية يقتضي انه خطاب للمؤمنين خاصة ويجوز ان يحمل من جهة المعنى على جميع المكلفين على التغليب لانه معلوم انه يجب عليهم مثل ذلك مثل ما يجب على المؤمنين من اتقاء جميع معاصي الله **و** قوله تقاته هو من وقيت قال الزجاج يجوز فيه ثلثة اوجه تقاه ووقاه واقاه وحمله على قياس وجوه واجوه وان كان هذا المثال لم يجئ منه شئ على الاصل نحو تخمة وتكاة وتقاة غير انه حمله على الاكثر من نظايره وجعل اختصاص هذا البناء في الاستعمال لا يمنع من حمله على نظيره في القياس لان بازاء قوة الاستعمال قوة النظير في الباب **و** قوله ولا تموتن الا وانتم مسلمون معناه لا تتركوا الاسلام وانما قال فلا تموتن بلفظ النهي عن الموت من حيث ان الموت لا بد منه فكانه قال كونوا على الاسلام فاذا ورد عليكم الموت صادفكم على الاسلام فالنهي في الحقيقة عن ترك الاسلام لئلا يهلكوا بالانقطاع عن التمكين منه بالموت الا انه وضع كلام موضع كلام على جهة تصرف الابدال لحسن الاستعارة وزوال اللبس لانه لما كان يمكنهم ان يفارقوه بالاسلام فرك الاسلام صار بمنزلة ما قد دخل في امكانهم ومثله قولهم لا اريتك ههنا اي لا تكونن ههنا فان من كان ههنا رايته الا ان هذا خرج مخرج النهي لغير المنهي عنه فتباعد عن الاصل فالاول احسن لانه اعدل وروي عن ابي عبد الله عليه السلام وانتم مسلّمون بالتشديد ومعناه الا وانتم مستسلمون لما اتى به النبي صلى الله عليه وآله ومنقادون له **قوله تعالى** وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ آية معنى قوله واعتصموا امتنعوا بحبل الله واستمسكوا به اي بعهد الله لانه سبب النجاة كالحبل الذي يتمسك به للنجاة من بئر ونحوها ومنه الحبل الامان لانه سبب النجاة ومنه قوله الا بحبل من الله وحبل من الناس ومعناه بامان قال الاعشى

واذا تجوزها حبال قبيلة ... اخذت من الاخرى اليك حبالها

ومنه الحبل الحمل في البطن واصله الحبل المفتول قال ذو الرمة

هل حبل خرقاء بعد اليوم مرموم ام هل لها اخر الايام تكليم وفي معنى قوله بحبل الله قولان قال ابو سعيد الخدرى عن النبي صلعم انه كتاب الله وبه قال ابن مسعود وقتادة والسدى وقال ابن زيد حبل الله دين الله اى دين الاسلام وقوله جميعًا منصوب على الحال والمعنى اعتصموا بحبل الله مجتمعين على الاعتصام به وقوله ولا تفرقوا اصله ولا تتفرقوا فحذفت احدى التائين لاجتماع المثلين والمحذوفة الثانية لان الاولى علامة الاستقبال وهو مجزوم بالنهى وعلامة الجزم سقوط النون وقال ابن مسعود وقتادة معناه ولا تفرقوا عن دين الله الذى امر فيه بلزوم الجماعة والايتلاف على الطاعة وقال الحسن معناه ولا تفرقوا عن رسول الله و قوله واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء معناه ماكان بين الاوس والخزرج من الحروب التى تطاولت مائة وعشرون سنة الى ان الف الله بين قلوبهم بالاسلام وزالت تلك الاحقاد هذا قول ابن اسحق وقال الحسن هو ماكان من مشركى العرب من الطوايل و قوله وكنتم على شفا حفرة من النار ومعنى الشفا الحرف لان شفا الشئ حرفه ويثنى شفوان لانه من الواو وجمعه اشفا ولا يجوز فيه الامالة وانما قال فانقذكم منها وان لم يكونوا فيها لانهم كانوا بمنزلة من هو فيها من حيث كانوا مستحقين لدخولها وانما انقذهم النبى عم بدعائهم الى الاسلام ودخولهم فيه فصاروا بمنزلة الخارج منها واصل الاخ ان الاخ مقصده مقصد اخيه وكذلك فى الصداقة ان تكون ارادة كل واحد منهما موافقة للاخر يقولون يتوخا فلان شأن فلان اى يقصده فى سيره ويقولون خذ على هذا الوخى اى على هذا القصد و قوله كذلك يبين الله لكم اياته الكاف فى موضع نصب والمعنى مثل البيان الذى تلى عليكم يبين الله لكم اياته لعلكم تهتدون معناه لتهتدوا وتكونوا على رجاء هداية والهاء فى قوله فانقذكم منها كناية عن الحفرة فترك شفا وردت الكناية على الحفرة ومثل ذلك قول العجاج طول الليالى اسرعت فى نقضى طوين طولى وطوين عرضى فترك الطول واخبر عن الليالى فان قالوا اذا كان الله هو الذى الف بين قلوبهم وانقذهم من النار فقد صح ان افعال الخلق فعل له وخلق من خلقه قيل لا يجب ذلك لانا نقول ان النبى صلعم الف بين قلوب العرب وانقذهم من النار ولا يجب من ذلك ان يكون افعالهم افعالا للنبى عم ولا مشاركا لهم ومعنى الف بين قلوبهم وانقذهم من النار انه دعاهم الى الايمان وبين لهم وهداهم ورغبهم وحذرهم فلما كان اسلامهم ونجاتهم بمعونته ودعاءه كان هو المؤلف لقلوبهم والمنقذهم من النار على هذا المعنى لانه صنع افعالهم واحدثها فان قيل فقد فعل الله مثل ذلك بالكافرين هلا قلتم انه الف بينهم قلنا لا نقول ذلك وان كان فعله بهم فى الابتداء مثل الذى فعل بالمؤمن لانه لم يوجد منهم ايمان فلا يجوز اطلاق ذلك عليهم ولما وجد من المؤمن ذلك جاز اضافة ذلك الى الله تعم وجرى ذلك مجرى قوله هدى للمتقين انه اضيف الى المتقين من حيث اهتدوا به وان كان هداية للكافرين ايضا ويجوز ان يقال الف الله بين الكفار فلم يأتلفوا وانقذهم فلم يستنقذوا فيقيد ذلك كما قال واما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى ولا يجوز ان يقال هدى الله ثمود ويسكت ومثل ذلك لو ان انسانا اعطاء ولدين له مالا وامرهما بالتجارة وبين لهما وجوه المكاسب فكسب احدهما مالا واستغنى وضيع الاخر فافتقر جاز ان يقال ان فلانا اغنى ولده الغنى ولا يجوز ان يقال اغنى ولده الفقير على انا لا نقول ان الله تعم فعل بالكافر جميع ما فعل بالمؤمن لان الذى سوى بينهما ما يتعلق بازاحة العلة فى التكليف من الاقدار والاعلام والدلالة وما به يتمكن من فعل الايمان فاما الالطاف التى يفعلها الله بالمؤمن بعد ايمانه التى علمها له بعد الايمان ولم يعلمها للكافر فلا تقول انه فعلها بالكافر مثلها ولا يمتنع ان يكون هذه الزيادة من الالطاف مشروطة بحال الايمان فالاطلاق لا يصح على كل حال

قوله تعم وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ اُمَّةٌ يَدْعُونَ اِلَى الْخَيْرِ يَاْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاُولٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ اية قوله ولتكن امر واللام لام الامر وانما سكنت مع الواو ولم يكن لام الاضافة لان تسكين لام الامر يؤذن بعملها انه الجزم وليس كذلك لام الاضافة ولم تسكن مع ثم لان ثم بمنزلة كلمة منفصلة

و قوله منكم امة من ههنا للتبعيض على قول اكثر المفسرين لان الامر بانكار المنكر والامر بالمعروف متوجه الى فرقة منهم غير معينة لانه فرض على الكفاية فاى فرقة قامت به سقط عن الباقين وقال الزجاج لتكن ولتكن جميعكم ومن دخلت لتخص المخاطبين من بين ساير الاجناس كما قال فاجتنبوا الرجس من الاوثان وقال الشاعر اخو رغايب يعطيها ويسلبها يابى الظلامة منه النوفل الزفر لانه وصفه باعطاء الرغايب والنوفل الكثير الاعطاء للنوافل والزفر الذى يحمل الاثقال فعلى هذا الامر بالمعروف والنهى عن المنكر من فرض الاعيان لا يسقط بقيام البعض عن الباقين وهو الذى اختاره الزجاج وبه قال الجبائي واختاره والامة فى اللغة تنقسم خمسة اقسام احدها الجماعة والثانى القامة والثالث الاستقامة والرابع النعمة والخامس القدوة والاصل فى ذلك كله القصد من قولهم امه يؤمه اما اذا قصده فالجماعة سميت امة لاجتماعها على مقصد واحد والامة القدوة لانه يأتم به الجماعة والامة النعمة لانها المقصد الذى هو البغية والامة القامة لاستمرارها فى العلو على مقصد واحد والمعروف هو الفعل الحسن الذى له صفة زايدة على حسنه وربما كان واجبًا او ندبا فان كان واجبا فالامر به واجب وان كان ندبا فالامر به ندب والمنكر هو القبيح فالذى عنه كله واجب والانكار هو اظهار كراهة الشئ لما فيه من وجه القبح ونقيضه الاقرار وهو اظهار تقبل الشئ من حيث هو صواب حسن والامر بالمعروف والنهى عن المنكر واجبان بلا خلاف واكثر المتكلمين يذهبون الى انه من فروض الكفايات ومنهم من قال انه من فروض الاعيان وهو الصحيح على ما بيناه واختلفوا فقال جماعة ان طريق وجوب انكار المنكر العقل لانه كما يجب كراهته وجب المنع منه اذا لم يمكن قيام الدلالة على الكراهة والا كان تاركه بمنزلة الراضى به وقال اخرون وهو الصحيح عندنا ان طريق وجوبه السمع واجمعت الامة على ذلك ويكفى المكلف الدلالة على كراهته من جهة الخبر وما جرى مجراه وقد استوفينا ما يتعلق بذلك فى شرح جمل العلم فان قيل هل يجب فى انكار المنكر حمل السلاح قلنا نعم اذا احتيج اليه بحسب الامكان لان الله تعم قد امر به فاذا لم ينجع فيه الوعظ والتخويف ولا التناول باليد وجب حمل السلاح لان الفريضة لا تسقط مع الامكان الا بزوال المنكر الذى لزم به الجهاد الا انه لا يجوز ان يقصد القتال الا وغرضه انكار المنكر واكثر اصحابنا على ان هذا النوع من انكار المنكر لا يجوز الاقدام عليه الا باذن سلطان الوقت ومن خالفنا جوز ذلك من غير الاذن مثل الدفاع عن النفس سواء وقال البلخى انما يجوز لساير الناس ذلك اذا لم يكن امام ولا من نصبه فاما مع وجوده فلا ينبغى لاحد ان يفعل ذلك الا عند الضرورة و قوله واولئك هم المفلحون معناه هم الفايزون بثواب الله والخلاص من عقابه

قوله تعم وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاُولٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ اية قال الحسن والربيع المعنى بهذا التفرق فى الاية اليهود والنصارى فكانه قال يا ايها المؤمنون لا تكونوا كالذين تفرقوا يعنى اليهود والنصارى و قوله من بعد ما جاءهم البينات معناه من بعد ما نصبت له الادلة والايات لذلك على عناد الجميع لان قيام البينات انما يعلم بها الحق اذا نظر فيها واستدل بها على الحق فان قيل اذا كان التفرق فى الدين هو الاختلاف فيه فلم ذكر الوصفان قلنا لان معنى تفرقوا يعنى بالعداوة واختلفوا فى الديانة فمعنى الصفة الاولى مخالف لمعنى الصفة الثانية وفيمن نفى القياس والاجتهاد من استدل بهذه الاية على المنع من الاختلاف جملة فى الاصول والفروع واعترض من خالف فى ذلك بان قال لا يدل ذلك على فساد الاختلاف فى مسائل الاجتهاد كما لا يدل على فساد الاختلاف فى المسائل المنصوص عليها كاختلاف حكم المسافر والمقيم فى الصلاة والصيام وغير ذلك من الاحكام لان جميعه مدلول على صحته اما بالنص عليه واما بالرضى به وهذا ليس بشئ لان لمن خالف فى ذلك ان يقول الظاهر يمنع من الاختلاف على كل حال الا ما اخرجه الدليل وما ذكره اخرجناه بالاجماع فالاجود فى الطعن ان يقال وقد دل الدليل على وجوب التعبد بالقياس والاجتهاد قلنا انه يخص ذلك الاية ويصير الكلام فى صحة ذلك وفساده فالاستدلال بالاية اذا صح على نفى الاجتهاد وقوله جاءهم البينات

انما حذفت منه علامة التانيث اذا تقدم فكذلك لا يلحقه علامة التانيث لشبهها علامة التثنية والجمع
قوله تعـ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ
فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ اية بلا خلاف العامل فى قوله يوم قوله عظيم وتقديره عظيم عذابهم
يوم تبيض وجوه ولا يجوز ان يكون العامل فيه عذاب موصول قد فصل صفته بينه وبين معموله لكن
يجوز ان تعمل فيه الجملة لانها فى معنى يعذبون يوم تبيض وجوه كما تقول المال لزيد يوم الجمعة فالعامل
الفعل والجملة خلف منه والمعنى بهذه الاية الذين كفروا بعد ايمانهم وقيل فيهم اربعة اقوال احدها قال
الحسن الذين كفروا بعد اظهار الايمان بالنفاق الثانى قال قتادة الذين كفروا بالارتداد الثالث قال
ابى بن كعب اراد جميع الكفار لاعراضهم عما يوجبه الاقرار بالتوحيد حين اشهدهم الله على انفسهم الست
بربكم قالوا بلى شهدنا الرابع ذكره الزجاج وابو على الجبائى الذين كفروا من اهل الكتاب بالنبى ص بعد
ايمانهم به اى بنعته وصفته قبل مبعثه وهذا الوجه والوجه الاول يليق بمذهبنا فى الموافاة فاما الارتداد
عن الايمان الحقيقى فلا يجوز عندنا على ما مضى فى غير موضع فان قيل اذا كان الذين اسودت وجوههم كفارا
والذين ابيضت وجوههم مؤمنين هلا دل ذلك على انه لا واسطة بين الكفر والايمان من الفسق قلنا لا يجب
ذلك لان ذكر اسوداد الوجوه وابيضاضها لا يمنع ان يكون هناك وجوه اخر مغبرة او نحوها من الالوان
المشعرة او يكون ادخلوا فى جملة الكفار الذين اسودت وجوههم على التغليب لاعظم الصنفين كما يغلب المذكر
على المؤنث وليس ذكر اليوم بانه تسود فيه وجوه وتبيض وجوه بمانع من ان يكون فيه وجوه عليها الغبرة كما ان
القائل اذا قال هذا يوم يعفو فيه السلطان عن قوم ويعاقب فيه قوما لا يدل على انه ليس هناك من لا يستحق واحدا من
الامرين على ان الاية تدل على ان الذين اسودت وجوههم هم المرتدون لانه قال اكفرتم بعد ايمانكم وليس كل الكفار
هذه صورتهم جاز لنا اثبات فاسقين مثل ذلك وليس قوله يوم تبيض وجوه وتسود وجوه يجرى مجرى قوله
واذا بشر احدهم بالانثى ظل وجهه مسودا لان ذلك انما ذكر على وجه المثل كانه قال حال الذى يبشر بالانثى بمنزلة
حالة من اسود وجهه لما حدث فيه من التغير وان لم يسود فى الحقيقة وصرفنا عنه لذلك دليل وليس فى هذه الاية
ما يدلنا على العدول عن ظاهرها وجواب اما فى قوله فاما الذين اسودت محذوف وتقديره فاما الذين اسودت
وجوههم فيقال لهم اكفرتم بعد ايمانكم فحذف لدلالة اسوداد الوجوه على حال التوبيخ حتى كانه ناطق به وقد
يحذف القول فى مواضع كثيرة استغناء بما قبله من البيان كقوله ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم
ربنا ابصرنا وسمعنا فارجعنا اى يقولون ربنا لدلالة تنكيس الرأس من المجرم على سؤال الاقالة وقيل فى
قوله تع واذ يرفع ابرهيم القواعد من البيت واسمعيل ربنا تقبل منا معناه يقول ربنا تقبل منا ومثله فى الملائكة
يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم اى يقولون سلام عليكم ونظاير ذلك كثيرة جدا **قوله تعـ** وَأَمَّا
الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ان قيل لم ذكر تعـ حال الكافرين وحال المؤمنين
ولم يذكر حال الفاسقين قلنا ليقابل اسوداد الوجوه لابيضاض الوجوه بالعلامتين وحال الفاسقين من
موقوفة على دلالة اخرى واية اخرى ۝ قوله ففى رحمة الله قيل فى معناه قولان احدهما انهم فى ثواب الله وان
الرحمة هى الثواب والثانى انهم فى ثواب رحمة الله فحذف كما قال واسئل القرية ذكره الزجاج والاول اجود لان
الرحمة ههنا هى الثواب اذا صح حمل الكلام على ظاهره من غير حذف كان اولى من تقدير محذوف منه من غير ضرورة
والاية تدل على ان ثواب الله تفضل لان رحمة الله انما هى نعمته وكل نعمة فانه يستحق بها الشكر وكان نعمة تفضلا
ولو لم يكن تفضلا لم يكن نعمة وقيل فى وجه كونه تفضلا قولان احدهما انما كان تفضلا لان سببه الذى هو
التكليف تفضل والثانى انه تفضل لانه بمنزلة ايجاز الوعد فى انه تفضل مستحق لان المبتدئ به قد كان له ان لا
يفعله فلما فعله وجب عليه الوفاء به لانه لا يجوز الخلف وهو مع ذلك تفضل لانه جر اليه تفضل واختار
الرمانى هذا الوجه وانما كرر الظرف فى قوله ففى رحمة الله هم فيها خالدون لامرين احدهما للتاكيد والثانى
للبيان عن صحة الصفتين انهم فى رحمة الله وانهم فيها خالدون وكل واحدة قائمة بنفسها **قوله تعـ**

تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ اية بلا خلاف قال الفراء معنى تلك
ايات الله نتلوها عليك اى مواعظه وحججه وعبره نتلوها اى نقرأها عليك والفرق بين تلك وهذه ان
تلك اشارة الى ما هو بعيد فجازت الاشارة بها اليه لانقضاء الاية وصلح هذه لقربها فى التلاوة ولو كانت بعيدة
لم يصلح احدهما مكان الاخر وانما قال ايات الله نتلوها عليك بالحق فقيده بالحق لانه لما حقق الوعيد بانه واقع
لا محالة نفى عنه حال الظلم كعادة اهل الخير ليكون الانسان على بصيرة فى سلوك الضلال لمع الهلاك او الهدى مع
النجاة ومعنى نتلوها عليك بالحق اى معاملتى حق ويحتمل ان يكون المراد نتلوها المعنى الحق لان معنى التلاوة
حق من حيث يتعلق معتقدها بالشئ على ما هو به والفرق بين تلوت عليه وتلوت لديه ان عليه يدل على افراد
التلاوة لان معنى عليه استعلاء الشئ فهى تنبئ عن استعلائه بالظهور للنفس كما يظهر لها بعلو الصوت وليس
كذلك لديه لان معناه عنده وفى الاية دلالة على فساد قول المجبرة ان الله تع يريد الظلم لانه لو اراد ظلم
بعضهم لبعض لكان قد اراد ظلمهم وكذلك لو اراد ظلم الانسان لغيره لجاز ان يريد ان يظلمه هو لانه لا فرق بينهما
فى القبح ويدل ايضا على انه لا يفعل ظلمهم لانه لا يفعل ما لا يريده ۝ قوله وما الله يريد ظلما للعالمين فيه نفى
لارادة ظلمهم على كل حال بخلاف ما يقولونه **قوله تعـ** وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ
الْأُمُورُ اية وجه اتصال هذه الاية بما قبلها وجه اتصال الدليل بالمدلول عليه لانه لما قال وما الله يريد ظلما
للعالمين وصله بذكر غناه عن الظلم اذ الغنى عنه العالم بقبحه ومعناه لا يجوز وقوعه منه ۝ قوله والى الله
ترجع الامور لا يدل على ان الامور كانت ذاهبة عنه لامرين احدهما لانها بمنزلة الذاهبة بهلاكها وفنائها
ثم اعادتها لانه تع يعيدها للجزاء على الاعمال والعوض على الالام والثانى لانه قد ملك العباد كثيرا من التدبير
فى الدنيا فيزول جميع ذلك فى الاخرة ويرجع اليه كله ۝ قوله ولله ما فى السموات معناه ولله ما فى السموات
والملك هو ما له ان يتصرف فيه ولا يجوز ان يقول مكان ذلك ولله خلق ما فى السموات لان ذلك يدخل فيه
معاصى العباد والله تع منزه عنها والاية خرجت مخرج التعظيم لله تع وذكر عظيم المدح وفى وقوع المظهر موقع
المضمر فى قوله والى الله ترجع الامور فيه قولان احدهما ليكون كل واحد من الكلامين يكتفيا بنفسه والثانى
لان المظهر فى اسم الله تع افخم من الذكر من المضمر وصفته ملكه موضع تفخيم وليس كقول الشاعر
لا ارى الموت يسبق الموت شئ نغص الموت ذا الغنى والفقيرا لان البيت مفتقر الى الضمير والاية مستغنية
عنه وانما احتاج البيت اليه لان الخبر الذى هو جملة لا يتصل بالمخبر عنه الا بضمير يعود اليه وما تقع على
ما يعقل وما لا يعقل اذا ذهب به مذهب الجنس فما يعقل داخل فيه حقيقة ولو قال بدلا منه ولله من فى
السموات بلفظة من لما دخل فيه الا العقلاء او الكل على جهة التغليب دون الحقيقة **قوله تعـ** كُنْتُمْ خَيْرَ
أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ
لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ اية واحدة وجه اتصال هذه الاية بما قبلها اتصال
المدح على الفعل الذى تقدم به الامر لانه قد تقدم ايجاب الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ثم مدح على قبوله و
التمسك به ويجوز ايضا ان يكون اتصال التعظيم لله تع بمدح المطيعين له فى الاشياء التى بينت لانهم بلطف الله تع
اطاعوا ۝ قوله كنتم خير امة انما لم يقل انتم لامرين احدهما قال الحسن ان ذلك لما قد كان فى الكتب المتقدمة
ما يسمع من الخير فى هذه الامة من جهة البشارة وقال نحن اخرها واكرمها على الله وكذلك روى عن النبى ص انه
قال انتم تتمون سبعين امة انتم خيرها واكرمها على الله فهو موافق لمعنى انتم خير امة الا انه ذكر كنتم لتقدم
البشارة به ويكون التقدير كنتم خير امة فى الكتب الماضية فحققوا ذلك بالافعال الجميلة الثانى ان كان زائدة
ودخولها وخروجها بمعنى الا ان فيها تاكيد وقوع الامر لا محالة لانه بمنزلة ما قد كان فى الحقيقة كما قال و
اذكروا اذ انتم قليل وفى موضع اخر واذكروا اذ كنتم قليلا فكثركم ونظيره قوله وكان الله غفورا رحيما لان
مغفرته المستانفة كالماضية فى تحقيق الوقوع لا محالة الثالث ان كان تامة ههنا ومعناه حدثتم خير امة و
يكون خير امة نصبا على الحال والرابع كنتم خير امة فى اللوح المحفوظ والخامس كنتم مذ انتم ليدل على انهم

كذلك مدأول امرهم واختلف المفسّرون فى المعنى بقوله كنتم خير امة فقال قوم هم الذين هاجروا مع النبى صلى الله عليه وسلم ذكر
ابن عباس وعمر بن الخطاب والسّدى وقال عكرمة نزلت فى ابن مسعود وسالم مولى ابى حذيفة وابى بن كعب ومعاذ
ابن جبل وقال الضحاك هم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة وقال مجاهد معناه كنتم خير امة اذا فعلتم ما تضمنته
الاية من الامر بالمعروف والنهى عن المنكر والايمان بالله والعمل بما اوجبه وقال الربيع معناه كنتم خير امة
لانه لم يكن امة اكثر استجابة فى الاسلام من هذه الامة فان قيل لم قيل للحسن معروف مع ان القبيح ايضا يعرف انه
قبيح ولا يجوز ان يطلق عليه اسم معروف قلنا لان القبيح بمنزلة ما لا يعرف لخموله وسقوطه والحسن بمنزلة النبيه
الذى يعرف بجلالته وعلو قدره ويعرف ايضا بالملابسة الظاهرة والمشاهدة فاما القبيح فلا يستحق هذه
المنزلة و قوله ولو امن اهل الكتاب لكان خيرا لهم معناه لو صدقوا بالنبى صلى الله عليه وسلم و قوله منهم المؤمنون يعنى معترفون
بما دلت عليه كتبهم فى صفة نبينا صلى الله عليه وسلم والبشارة به وقيل انها تناولت من امن منهم كعبد الله بن سلام واخيه و
غيرهما و قوله واكثرهم الفاسقون يعنى من لم يؤمن منهم وانما وصفهم بالفسق دون الكفر الذى هو
اعظم لان الغرض الاشعار بانهم خرجوا بالفسق عما يوجبه كتابهم من الاقرار بالحق فى نبوة النبى صلى الله عليه وسلم واصل
الفسق الخروج ووجه اخر وهو انهم فى الكفار بمنزلة الفساق فى العصاة بخروجهم الى الحال الفاحشة التى هى
اشنع وافظع من حال من لم يتقدم اليه ذكر فيه وليس فى الاية ما يدل على ان الاجماع حجة على ما بيناه فى اصول
الفقه وتلخيص الشافى وجملته ان هذا الخطاب لا يجوز ان يكون المراد به جميع الامة لان اكثرها بخلاف هذه
الصفة بل فيها من يامر بالمنكر وينهى عن المعروف ومتى كان المراد بها بعض الامة فنحن نقول ان فى الامة من
هذه صفته وهو من دل الدليل على عصمته فمن اين انا لو فرضنا فقدهم لكان اجماعهم حجة واستوفينا ههنا
ما تقتضيه الاسولة والجوابات فلا نطول بذكره ههنا **قوله تعالى** لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِن يُقَاتِلُوكُمْ
يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ اية وجه اتصال هذه الاية بما قبلها اتصال البشارة بالغلبة بما تقدم من الامر
بالمجاهدة لانه قد تقدم الامر بانكار المنكر فالفريضة اللازمة اذا لم يترك الا بالمجاهدة والاذى المذكور فى الاية هو
ان يسمعوا منهم كذبا على الله يدعونهم به الى الضلالة فى قول الحسن وقتادة يقول اهل الحجاز اذيت اذا
اسمعته كلاما يثقل عليه وقال البلخى والطبرى الاستثناء منقطع ههنا لان الاذى ليس من الضرر فى شئ وهذا
ليس بصحيح لانه اذا امكن حمله على الاستثناء الحقيقى لم يجز حمله على المنقطع والمعنى فى الاية لن يضروكم الا ضررا
يسيرا فالاذى وقع موقع المصدر الاول واذا كان الاذى ضررا فالاستثناء متصل والمنقطع لا يكون فيه الثانى
مخصصا للاول كقولك ما فى الدار احد الا حمارا وكقولك ما زاد الا ما نقص وما نفع الا ما ضر و قوله وان يقاتلوكم
جزم لانه شرط ويولوكم جزم لانه جزاء و قوله ثم لا ينصرون رفع على الاستيناف ولم يعطف ليجرى الثانى على مثال
الاول لان سبب التولية القتال وليس كذلك منع النصر لان سببه الكفر والرفع اشكل برؤس الاى المتقدمة و
هو مع ذلك عطف جملة على جملة وفى الاية دلالة على النبوة لوقوع مخبرها على ما تضمنته قبل وقوع مخبرها لان
يهود المدينة من بنى قريظة وبنى النضير وبنى قينقاع ويهود خيبر الذين حاربوا النبى صلى الله عليه وسلم والمسلمين ما قاتلوهم قط
الا ولوا الادبار منهزمين **قوله تعالى** ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ
وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنبِيَاءَ
بِغَيْرِ حَقٍّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ اية بلا خلاف قال الحسن المعنى بقوله ضربت عليهم الذلة اليهود
اذلهم الله عز وجل فلا عز لهم ولا منعة وادركتهم هذه الامة وان المجوس لتجبيهم الجزية وضربت مأخوذ من
الضرب وانما قيل ضربت لانها تثبت عليهم كما تثبت بالضرب كما اخذت منه الضريبة لانها تثبت على صاحبها
كما تثبت الضرب و قوله اينما ثقفوا اى اينما وجدوا يقال ثقفته اى وجدته ولقيته فان قيل كيف جاز
عقابهم على ما لم يفعلوه من قتل الانبياء وانما فعله اسلافهم دونهم قلنا عنه جوابان احدهما انهم عوقبوا
على رضاهم بذلك واجرى عليهم صفة القتل لعظم الجرم فى رضاهم به فكانهم فعلوه على نحو يذبح ابناءهم
وانما امر به والثانى ان يكون الصفة تعم الجميع فيدخلوا فى الجملة ويجرى عليهم الوصف على التغليب كما يغلب

المذكر على المؤنث اذا اجتمعا فكذلك غلب القاتل على الراضى و قوله الا بحبل من الله فالحبل هو العهد
من الله وعهد من الناس على وجه الذمة وغيرها من وجوه الامان فى قول ابن عباس والحسن ومجاهد و
قتادة والسّدى والربيع وسمى العهد حبلا لانه يعقد به الامان كما يعقد بالحبل من حيث يلزم به الشئ
كما يلزم بالحبل وقال الاعشى   فاذا تجوزها حبال قبيلة   اخذت من الاخرى اليك حبالها
والعامل فى الباء من قوله الا بحبل من الله ويحتمل ان يكون العامل محذوفا والمعنى الا ان تعتصموا بحبل
من الله على قول الفراء وانشد   راتنى بحبليها فصدّت مخافة   وفى الحبل روعاء الفؤاد فروق
اراد راتنى اقبلت بحبليها فحذف العامل فى الباء وقال اخر   فرّبت الخطو يحسب من رآنى   ولست مقيدا
انى بقيد   قال الرمانى ما ذكره الرمانى ضعيف من وجهين احدهما حذف الموصول وذلك لا يجوز عند البصريين
فى شئ من الكلام لانه اذا احتاج الى صلة تبيّن عنه فالحاجة الى البيان عنه بذكره اشد وانما يجوز حذف الشئ
للاستغناء بدلالة غيره عليه فلو دل دليل على الحذف مع صلته لانه معها بمنزلة شئ واحد والوجه الاخر ان الكلام
اذا صح معناه من غير حذف لم يجز تاويله على الحذف و قوله الا بحبل قيل فى هذا الاستثناء قولان احدهما انه
منقطع لان الذلة لازمة لهم على كل حال فجرى مجرى قوله وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا الا خطا فعامل
الاعراب موجود والمعنى على الانقطاع ومثله لا يسمعون فيها لغوا الا قيلا سلاما وكل انقطاع فيه فانما
هو لازالة الايهام الذى فيه يلحق الكلام فقوله لا يسمعون فيها لغوا قد يتوهم انه من حيث لا يسمعون فيها
كلاما فقيل لذلك الا سلاما وكذلك وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا قد يتوهم انه لا يقتل مؤمن مؤمنا على
وجه فقيل لذلك الا خطا وكذلك ضربت عليهم الذلة قد يتوهم انه من غير جواز موادعة فقيل الا بحبل من الله
الثانى ان الاستثناء متصل لان عز المسلمين عز لهم بالذمة وهذا لا يخرجه من الذلة فى نفسهم و قوله و
باؤا بغضب من الله اى رجعوا بغضب الله الذى هو عقابه ولعنه و قوله وضربت عليهم المسكنة قيل اريد
بالمسكنة الذلة لان المسلمين لا يكون الا ذليلا فسمى الذليل مسكينا وقيل لان اليهود ابدا يتفاقرون وان
كانوا اغنياء لما وما هم الله به من الذلة وقد بينا فيما تقدم ان قوله ويقتلون الانبياء بغير حق لا يدل
على ان قتلهم يكون بحق وانما المراد ان قتلهم لا يكون الا بغير حق كما قال ومن يدع مع الله الها اخر
لا برهان له به والمراد ان ذلك لا يكون الا بغير برهان وكقول امرئ القيس   على لاحب لا يهتدى بمناره
ومعناه لا منار هناك فيهتدى به و قوله يعتدون قد بينا فيما تقدم معنى الاعتداء وهو ان معناه
تجاوز الحد مأخوذ من العدوان **قوله تعالى** لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ
اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ اية قال ابن عباس وقتادة وابن جريج سبب نزول هذه الاية انه لما اسلم عبد
الله ابن سلام وجماعة معه قالت احبار يهود ما امن بمحمد الا اشرارنا فانزل الله تعالى ليسوا سواء الى قوله و
اولئك من الصالحين فان قيل لم ذكر مع سواء احد الفريقين دون الاخر ولا يجوز مثله ان يقول سواء على
قيامك حتى يقول ام قعودك قلنا عنه جوابان احدهما انه محذوف لدلالة ما تقدم من الكلام عليه كما قال
ابو ذويب   عصيت اليها القلب انى لامرها   مطيع فما ادرى ارشد طلابها   ولم يقل ام غى
لان الكلام يدل عليه لانه كان يهواها فما يبالى ارشد ام غى طلابها وقال اخر   اراك فلا ادرى اهم
هممته   وذو الهم قدما خاشع متضائل   ولم يقل ام غيره لان حاله فى التغير ينبئ ان الهم غيره ام غيره تما
يجرى مجراه وهذا قول الفراء وضعّفه الزجاج وقال ليس بنا حاجة الى تقدير محذوف لان ذكر اهل الكتاب
قد جرى فى قوله يكفرون بايات الله ويقتلون الانبياء فتبيّن ان فيهم غير المؤمنين فلا يحتاج ان يقال وامة
غيرها ثم الثانى ان يكون ليسوا سواء منهم الجواد والشجاع فعلى القول الاول يكون رفع امة على معنى
الفعل وتقديره لا يستوى امة هادية وامة ضالة وعلى القول الثانى يكون رفعها بالابتداء وقال الطبرى
لا يجوز الاقتصار فى سواء على احد المذكورين دون الاخر وانما يجوز فى ما ادرى وما ابالى قال الرمانى و
هذا غلط لانه ذهب عليه الفرق بين الاقتصار والحذف لان الحذف لا بد فيه من خلف يقوم مقامه والاقتصار

قصيب

قال على ابن عيسى ما ذكره الفراء

ليس كذلك لانه كالاقتصار على احد المفعولين في اعطيت وحذفه في حسبت مرتحلا اي لنا والخلف فيه دلالة الحال فاما اعطيت زيدا فلا محذوف فيه لانه ليس معه خلف يقوم مقامه و قوله قائمة فيه اربعة اقوال قال الحسن وابن جريج معناه عادلة وقال ابن عباس وقتادة والربيع معناه ثابتة على امر الله وقال السدي معناه قائمة بطاعة الله وقال الاخفش والزجاج معناه ذو امة مستقيمة وهذا ضعيف لانه عدول عن الظاهر في امة و الحذف لا دلالة عليه و قوله اناء الليل قيل في واحده قولان احدهما اني مثل نحي والثاني اني مثل معي وحكى الاخفش انو والجمع اناء قال الشاعر حلو ومر كعطف القدح مرته بكل اني حذاه الليل ينتعل ودوي ينتشر وقال الحسن والربيع وعبد الله بن كثير معناه ساعات الليل وقال ابن مسعود يريد صلاة العتمة لان اهل الكتاب لا يعلمونها وقال الثوري عن منصور هو الصلاة بين المغرب والعشاء وقال السدي يعني جوف الليل و قوله وهم يسجدون فيه قولان احدهما السجود المعروف في الصلاة الثاني قال الفراء والزجاج معناه يصلون وبه قال البلخي وغيره لان القراءة لا يكون في السجود ولا في الركوع وهذا ترك للظاهر و عدول عنه ومعنى الاية يتلون ايات الله اناء الليل وهم مع ذلك يسجدون فليست الواو حالا وانما هي عطف جملة على جملة والضمير في قوله ليسوا عائد على اهل الكتاب لتقدم ذكرهم وقال ابو عبيدة هو على لغة اكلوني البراغيث ومثله قوله عموا وصموا كثير منهم وقال الشاعر رأين الغواني الشيب لاح بعارضي فاعرضن عني بالخدود النواضر قال الرماني وهذا غلط لان هذه اللغة ردية في القياس والاستعمال اما القياس فلان الجمع عارض والعارض لا يؤكد علامته لانه بمنزلة ما لا يعتد به في ساير ابواب العربية وليس كالثابت للزومه فقدم له العلامة لتؤذن به قبل ذكره ومع ذلك فجايز تركها فيه فكيف بالعارض ولزوم الفعل للفاعل يغني عن التثنية والجمع فيه فلا يدخل جمع على جمع كما لا يدخل تعريف على تعريف واما الاستعمال فلان اكثر العرب على خلافه **قوله تعالى** يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَٰئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ اية واحدة هذه الاية فيها صفة الذين ذكرهم في الاية التي قبلها في قوله امة قائمة يتلون ايات الله اناء الليل وهم يسجدون فاضاف الى ذلك انهم مع ذلك يصدقون بالله واليوم الاخر ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر وقد بينا ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان وانه ليس طريق وجوبهما العقل وانما طريق وجوبهما السمع وعليه اجماع الامة وانما الواجب بالعقل كراهة المنكر فقط غير انه اذا ثبت بالسمع وجوبه فعلينا ازالة المنكر بما يقدر عليه من الامور الحسنة دون القبيحة لانه لا يجوز ازالة قبيح بقبيح اخر وليس لنا ان نترك احدا يعمل بالمعاصي اذا امكننا منعه منها سواء كانت المعصية من افعال القلوب مثل اظهار المذاهب الفاسدة او من افعال الجوارح ثم ننظر فان امكننا ازالته بالقول فلا نزيد عليه وان لم يمكن الا بالمنع من غير اضرار لم نزد عليه فان لم يتم الا بالدفع بالحرب فعلناه على ما بيناه فيما تقدم وان كان عند اكثر اصحابنا هذا الجنس موقوف على السلطان او اذنه في ذلك وانكار المذاهب الفاسدة لا يكون الا باقامة الحجج والبراهين والدعاء الى الحق وكذلك انكار اهل الذمة فاما الانكار باليد فمقصود على من يفعل شيئا من معاصي الجوارح او يكون باغيا على امام الحق فانه يجب علينا قتاله ودفعه حتى تفيء الى الحق وسبيلهم سبيل اهل الحرب فان الانكار عليهم باليد والقتال حتى يرجعوا الى الاسلام او يدخلوا في الذمة و قوله ويسارعون في الخيرات يحتمل امرين احدهما انهم يبادرون اليها خوف الفوات بالموت والثاني يعملونها غير متثاقلين فيها لعلمهم بجلالة موقعها وحسن عاقبتها والفرق بين السرعة والعجلة ان السرعة هي التقدم فيما يجوز ان يتقدم فيه وهي محمودة وضدها الابطاء وهو مذموم والعجلة هي التقدم فيما لا ينبغي ان يتقدم فيه وهي مذمومة وضدها الاناة وهي محمودة **قوله تعالى** وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ تُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ اية بلا خلاف قرأ اهل الكوفة الا ابا بكر بالياء فيهما الباقون بالتاء الا ابا عمرو فانه كان يخير ووجه القراءة بالياء ان يكون كناية عمن تقدم ذكره من اهل الكتاب ليكون الكلام على طريقة واحدة ووجه التاء ان يخلطهم بغيرهم من المكلفين ويكون خطابا للجميع في ان حكمهم واحد وانما جوزي بما ولم يجاز بكيف لان

ما امكن من كيف لانها تكون معرفة ونكرة لانها للجنس وكيف لا تكون الا نكرة لانها للحال والحال لا تكون الا نكرة لانها للفايدة و قوله فلن يكفروه مجاز كما ان الصفة لله بانه شاكر مجاز وحقيقته انه يثيب على الطاعة ثواب الشاكر على النعمة فلما استعير للثواب الشكر واستعير لنقيضه من منع الثواب الكفر لان الشكر في الاصل هو الاعتراف بالنعمة مع ضرب من التعظيم والكفر ستر النعمة من المنعم عليه بتضييع حقها ومعنى الاية فلن منعوا ثوابه وسمي منع الجزاء كفرا لانه بمنزلة الجحد له بستره لان اصل الكفر الستر ولذلك قيل لجاحد نعم الله ومن جرى مجراه في الامتناع من القيام بحقها كافر لكافر هو المضيع لحق نعمة الله بما يجري مجرى الجحود و قوله والله عليم بالمتقين انما خص المتقين بالذكر لان الكلام اقتضى ذكر جزاء المتقين فدل على انه لا يضيع شيء من عملهم لان المجازي به عليم وان هم امر الفجار تعويلا على ما ذكره في غيره من اي الوعيد **قوله تعالى** إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ اية لما ذكر تعالى ان عمل المتقين لن يضيع وانهم يجازون به استانف حكم الكافر وبين انه لن يغني عنهم اموالهم ولا اولادهم شيئا من الله وانما خص الاموال والاولاد بالذكر فانهم لا يغنون عن الكافر شيئا وان كان لا يغني عنهم غير هؤلاء ايضا شيئا لانهما معتمدهما يقع به الاعتداد ومما يعول عليه الانسان ويرجوه للشدائد ويفيد النفي العام لانه اذا لم يغن عنه من هو حقيق بالغناء لمنع من لا يعجزه شيء فغناء من دونه ابعد و قوله واولئك اصحاب النار انما سموا اصحاب النار للزومهم فيها كما يقال هؤلاء اصحاب الصحراء اذا كانوا ملازمين لها وقد يقال اصحاب العقار بمعنى ملاكه واصحاب الرجل اتباعه واعوانه واصحاب العالم يعني به الاخذون عنه والمتعلمون عنه فالاضافة مختلفة ومعنى لن تغني عنهم اي لن تدفع عنهم ضرر الولاء نزل به ولو قال اغناه كذا عن كذا افاد ان احد الشيئين ضاد به الامن الاخر في نفي الحاجة والغنى الاختصاص بما ينفي الحاجة فان اختص بمال ينفي الحاجة فذلك غنى وكذلك الغنى بالجاه والاصحاب وغيره لذلك فاما الغنى في صفات الله فاختصاصه بكونه قادرا على وجه لا يعجزه شيء وقولنا فيه انه غني معناه انه لا يجوز عليه الحاجة واصل النار النور وهو مصدر والنار جنس تجري مجرى الوصف في تضمنه معنى الاصل وزيادة عليه لانها جسم لطيف فيه حرارة ونور ومنه امراة نوار اي نافرة عن الشر عفيفة لانها كالنار في الامتناع ومنه المنار الاعلام لانها كالنور في البيان ومنه المنارة التي يسرج عليها **قوله تعالى** مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَٰذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ اية قيل ان هذه الاية نزلت في ابي سفيان واصحابه يوم بدر لما تظاهروا على النبي صلى الله عليه وآله في الانفاق و قيل بل نزلت في نفقة المنافقين مع المؤمنين في حروب المشركين على وجه النفاق للمؤمنين والمثل الشبه الذي يصير كالعلم لكثرة استعماله فيما مشبه به فلما كان انفاق المنافق والكافر ضائعا ويستحق عليه العقاب والذم اشبه الحرث المهلك فلذلك ضرب به المثل وفي الاية حذف وتقديرها مثل اهلاك ما ينفقون كمثل اهلاك ريح فيها صر اصابت حرث قوم ظلموا انفسهم فحذف الاهلاك لدلالة اخر الكلام عليه وفيه تقدير اخر مثل ما ينفقون كمثل مهلك ريح فيكون تشبيه ذلك الانفاق بالمهلك من الحرث بالرياح و الريح جمعه رياح ومنه الروح لدخول الريح الطيبة على النفس وكذلك الارتياح والترويح الراحة من التعب لانه بمنزلة الروح الذي يدخل على النفس بزوال التعب ومنه الاستراحة والمراوحة لانها تجلب الريح ومنه الروح لانها كالريح في اللطافة ومنه الرائحة لان الريح تحملها الى الحس ومنه المراح لانه رجوع كالريح للاستراحة و قوله فيها صر قال ابن عباس والحسن وقتادة والربيع و السدي وابن زيد والضحاك هو البرد واصله الصوت من الصرير وقال الزجاج الصر صوت لهب النار التي كانت في تلك الريح ويجوز ان يكون الصر صوت الريح الباردة الشديدة وذلك من صفات الشمال فانها توصف بان لها قعقعة و قوله وما ظلمهم الله نفي للظلم عن الله تعالى يعني في نفي استحقاقهم للثواب واستحقاقهم للعقاب وان ذلك ليس بظلم منه تعالى ولكن انفسهم يظلمون

بذلك عنا نما وصفهم بانهم ظلموا انفسهم لامرين احدهما ان ظلمهم اقتضى هلاك حرثهم عقوبة لهم
لانه لو هلك على جهة الابتلاء والمحنة لم يعتد بعاجل المضرة للعوض الموفى عليه في العاقبة الثانى
ان يكونوا ظلموا انفسهم بان زرعوا فى غير موضع الزرع او فى غير وقت الزرع فجاءت الريح
فاهلكته تاديبا من الله لهم فى وضع الشئ غير موضعه الذى هو حقه **قوله تع** يٰٓاَيُّهَا الَّذِيْنَ
اٰمَنُوْا لَا تَتَّخِذُوْا بِطَانَةً مِّنْ دُوْنِكُمْ لَا يَاْلُوْنَكُمْ خَبَالًا وَدُّوْا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاۗءُ مِنْ اَفْوَاهِهِمْ
وَمَا تُخْفِيْ صُدُوْرُهُمْ اَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْاٰيٰتِ اِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُوْنَ اية بلا خلاف ذكر ابن عباس والحسن ان
قوما من المؤمنين خافوا بعض المشركين من اليهود والمنافقين المودة لما كان بينهم فى الجاهلية فنهاهم الله
تعالى عن ذلك بهذه الاية والبطانة معناها ههنا خاصة الرجل الذين يستبطنون امره وينمون دخلاوى
لا تجعلوا من هذه صفته من غير المؤمنين والبطن خلاف الظهر فمنه بطانة الثوب خلاف ظهارته لانها تلى
بطنه وبطانة الرجل خاصته لانه بمنزلة ما يلى بطنه من ثيابه فى القرب منه ومنه البطنة وهو امتلاء البطن
بالطعام والبطان حزام البعير لانه يلى بطنه و قوله من دونكم يحتمل وجهين احدهما ان يكون دخلت
للتبعيض والتقدير لا تتخذوا بعض المخالفين فى الدين بطانة والثانى ان يكون دخولها للتبيين الصفة
كانه قيل لا تتخذوا بطانة من المشركين وهو اعم واولى لانه لا يجوز ان يتخذ مؤمن كافرا بطانة على
حال وقال بعضهم ان من زائدة وهذا ليس بجيد لانه لا يجوز ان يحكم بالزيادة مع صحة حملها على الفايدة
و قوله لا يالونكم خبالا معناه لا يقصرون فى امركم خبالا من قولهم ما الوت فى الحاجة جهدا ولا الو فى
هذا الامر الوا اى لا اقصر جهدا وقال الشاعر جهراء لا تالوا اذا هى اظهرت بصرا ولا من عيلة
تغنينى اى لا تقصر بصرا لا يبصر لانها جهراء تطلب للفلا تجده ومنه الالية اليمين ومنه قوله ولا ياتل
اولوا الفضل منكم معناه لا يقصر وقيل لا يحلف والاصل التقصير والخبال معناه النكال فاصله الفساد ومنه
فى قوايمه خبل وخبال اى فساد من جهة الاضطراب ومنه الخبل الجنون لانه فساد العقل ورجل مخبل الراى اى
فاسد الراى ومنه الاستخبال لطلب اعارة المال لفساد الزمان و قوله ودوا معناه احبوا ما عنتم معناه
ادخال المشقة عليكم وقال السدى معناه ودوا ضلالكم عن دينكم لان المحل بالضلال مشقة وقيل معناه
ودوا ان يفتنوكم فى دينكم اى يحملوا على المشقة ذكره ابن جريج واصل العنت المشقة عنت الرجل عنتا اذا دخلت
عليه المشقة ومنه اكمة عنوت اى صعبة المسالك المشقة السلوك فيها وفلان يعنت فلانا اى يحمله على المشقة
الشديدة فيما يطالبه به ومنه قوله تعالى ولو شاء الله لاعنتكم وموضع ودوا يحتمل ان يكون نصبا
لانه صفة لبطانة ويجوز ان يكون له موضع من الاعراب لانه استيناف جملة و قوله قد بدت البغضاء من
افواههم اى ظهر منها ما يدل على البغض وما تخفى صدورهم اكبر قد بينا لكم الايات يعنى العلامات
ان كنتم تعقلون يعنى موضع نفعه لكم ومبلغ عايدته عليكم وقيل معناه ان كنتم تعقلون الفصل بين
ما يستحقه الولى والعدو **قوله تع** هٰٓاَنْتُمْ اُولَاۗءِ تُحِبُّوْنَهُمْ وَلَا يُحِبُّوْنَكُمْ وَتُؤْمِنُوْنَ بِالْكِتٰبِ كُلِّهٖ
وَاِذَا لَقُوْكُمْ قَالُوْٓا اٰمَنَّا وَاِذَا خَلَوْا عَضُّوْا عَلَيْكُمُ الْاَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوْتُوْا بِغَيْظِكُمْ اِنَّ اللّٰهَ عَلِيْمٌ
بِذَاتِ الصُّدُوْرِ اية بلا خلاف هذا خطاب للمؤمنين عليهم الله تعالى ان منافقى اهل الكتاب لا يحبونهم
وانهم هم يحبون هؤلاء المنافقين بالبر والنصيحة كما يفعل المحب وان المنافقين على ضد ذلك فاعلمهم
الله ما يسره المنافقون فى باطنهم وذلك من ايات النبى صلعم قال الفراء العرب اذا جاءت الى اسم مكنى
قد وصف بهذا وهذان وهؤلاء فرقوا بين ها وبين ذا فجعلوا المكنى منهما فى جهة التقريب لا غير
يقولون اين انت فيقول القائل ها انا ذا ولا يكادون يقولون ها انا ومثله فى التثنية والجمع
ومثله قوله ها انتم اولاء تحبونهم وربما اعادوها فوصلوها بذا وهذان وهؤلاء فيقولون
ها انت هذا قائما وها انتم هؤلاء قال تع ها انتم هؤلاء جادلتم فان كان الكلام على غير
تقريب او كان على خبر يكتفى كل واحد منهما بصاحبه بلا فعل والتقريب لا بد فيه من فعل لنقصانه

واجوا ان يفرقوا بين معنى التقريب وبين معنى الاسم الصحيح قال الازهرى يحتمل اولا ان يكون منادى
كانه قال يا اولاء وقال نحاة البصريين ها للتنبيه وانتم مبتداء واولاء خبره وتحبونهم حال وقال الفراء
تحبونهم خبر وقال الزجاج يجوز ان يكون اولاء بمعنى الذين وتحبونهم صلة ويكون التقدير الذين
تحبونهم ويجوز ان يكون حالا بمعنى ها انتم اولاء محبين لهم ويكون انتم مبتداء واولاء خبره وتحبونهم
حالا والمعنى انظروا الى انفسكم محبين لهم ولا يجوز ان تقول ها قومك اولاء كما جاز
ها انتم اولاء لان المضمر احق بها التى للتنبيه لانه كالمبهم فى عموم ما يصلح له وليس كذلك الظاهر
وقال الفراء انما ذاك على جهة التقريب فى المضمر والاعتماد على غيره فى الخبر قال الحسن بن على المغربى
الا يعنى به المنافقين كما تقول ما انت زيدا تحبه ولا يحبك وهذا مليح غير انه يحتاج ان يقدر عاملا
فى اولاء ينصبه يفسره قوله تحبونهم لانه مشغول لا يعمل فيما قبله كقوله والقمر قدرناه فيمن نصبه واولاء
للرجال وللنساء اولات وهو مبنى على الكسر وكان الاصل السكون الالف قبلها ساكنة فحرك
لالتقاء الساكنين على اصل الكسرة و قوله وتؤمنون بالكتاب كله الكتاب واحد فى موضع الجمع لانه اريد به
الجنس كما يقال كثر الدرهم فى ايدى الناس ويحتمل ان يكون مصدرا من قولك كتبت كتابا والمراد بالكتاب
ههنا كتب الله التى انزلها على انبيائه وفى افراده ضرب من الايجاز واشعار بالتفصيل فى الاعتقاد لانهم
يؤمنون بها فى الجملة والتفصيل من حيث يؤمنون بما انزل على ابرهيم وموسى وعيسى ومحمد صلعم وساير الانبياء
و قوله واذا لقوكم قالوا امنا معناه اذا لقوكم قالوا صدقنا واذا خلوا مع انفسهم عضوا عليكم الانامل
من الغيظ فالعض بالاسنان ومنه العض علف الامصار لان له مضغة فى العض يسمن عليها المال ومنه رجل
عض اذا كان الخصم لانه يعض بالخصومة وكذلك رجل عض فحاش لانه يعض بالفحش والانامل اطراف الاصابع
فى قول قتادة والربيع واصلها النمل المعروف فهو مشبه به فى الرقة والتصرف بالحركة ومنه رجل نمل اى
نمام لانه ينقل الاحاديث كنقل النملة فى الخفاء والكثرة وواحد الانامل انملة قال الزجاج ولم يات على
هذا المثال ما يعنى به الواحد الا شذ فاما الجمع فكثير نحو افلس واكعب و قوله قل موتوا بغيظكم معناه الامر
بالدعاء عليهم وان كان لفظه لفظ الامر كانه قال قل اماتكم الله بغيظكم وفيه معنى الذم لهم لانه لا يجوز
ان يدعا عليهم هذا الدعاء الا وقد استحقوه بقبيح ما اتوه **قوله تع** اِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَاِنْ
تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَّفْرَحُوْا بِهَا وَاِنْ تَصْبِرُوْا وَتَتَّقُوْا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُھُمْ شَيْـــًٔا اِنَّ اللّٰهَ بِمَا تَعْمَلُوْنَ مُحِيْطٌ اية بلا خلاف
قرا ابو عمرو ونافع وابن كثير لا يضركم خفيفة الباقون مشددة الراء وهما لغتان ضاره يضيره وضره يضره
ضرا بمعنى واحد قوله ان تمسسكم حسنة فالمراد بالحسنة ههنا ما انعم الله عليهم به من الالفة والغلبة
باجتماع الكلمة والمراد بالسيئة المحنة باصابة العدو منهم لاختلاف الكلمة وما يؤدى اليه من
الفرقة هذا قول الحسن وقتادة والربيع وابن جريج و قوله وان تصبروا وتتقوا يعنى تتقوا الله
باتباع معاصيه وفعل طاعاته لا يضركم كيدهم فالكيد المكر الذى يغتال به صاحبه من جهة
حيلة عليه ليقع فى مكروه به واصله المشقة تقول رايت فلانا يكيد بنفسه اى يقاسى المشقة
فى سياق المنية ومنه المكايدة لا براده ما فيه المشقة والمكيدة الحيلة لايقاع ما فيه المشقة
و قوله لا يضركم مبنى على الضم نحو مد ولو فتح او كسر لكان جايزا فى العربية وزعم بعضهم
انه رفع على حذف الفاء بتقدير فلا يضركم وانشد فان كان لا يرضيك حتى تردنى
الى قطرى لا اخالك راضيا وهذا ضعيف لان الحذف انما يجوز لضرورة الشعر والقران لا
يحمل على ضرورة الشعر و قوله ان الله بما تعملون محيط معناه عالم به من جميع

هذا هو

الجزء الثالث من كتاب التبيان في تفسير القرآن تصنيف سيدنا الشيخ الجليل الفقيه ابي جعفر محمد بن الحسن بن علي الطوسي حشره الله تعالى مع نبيه واوصيائه من اهل بيته

بسم الله الرحمن الرحيم وبه ثقتي

قوله تعالى واذ غدوت من اهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال والله سميع عليم آية قال ابن عباس وقتاده والربيع والسدي وابن اسحق وهو قول ابي جعفر ع كان غدو النبي ص مبوئا للمؤمنين يوم احد وقال الحسن ومجاهد كان يوم الاحزاب التبوئة اتخاذ المواضع لصاحبه واصلها اتخاذ منزل تسكنه تقول بوأته منزلا ابوئه تبوئة ومنه المباءة المراح لانه رجوع الى المستقر المتخذ وابأت الابل ابيئها اباءة اذا رددتها الى المباءة ومنه بوء بالذنب اي رجع به محتملا له وقوله والله سميع عليم قيل فيه ثلثة اقوال احدها انه تهدد والمراد سميع لما يقول المنافقون عليم بما يضمرون الثاني سميع لما يقوله النبي ص للمؤمنين عليم بما يضمره تزكية له ص الثالث سميع ما يقوله المشيرون عليك عليم بما يضمرونه لانهم اختلفوا فمنهم من اشار بالخروج ومنهم من اشار بالمقام وفيه تزكية للزاكي وتهدد للغاوي ومعنى تبوئ المؤمنين مثل تبوئ للمؤمنين حذف اللام كما قال ردف لكم ويجوز ردفكم فاذا عدا فمعناه ترتب المؤمنين على مواضعهم وقلعه واذا لم تعد فمعناه تتخذ لهم مواضع ومثله قول الشاعر

استغفر الله ذنبا لست محصيه رب العباد اليه الوجه والعمل

ومعناه من ذنب والعامل في اذ محذوف وتقديره واذكر اذ غدوت من اهلك فحذف لدلالة الكلام عليه ولا يجوز ان يكون العامل غدوت لانه مضاف اليه بمنزلة الصلة له قوله تعالى اذ همت طائفتان منكم ان تفشلا والله وليهما وعلى الله فليتوكل المؤمنون آية التقدير واذكر اذ همت طائفتان منكم ان تفشلا وقال الزجاج العامل في اذ همت ان تفشلا والمعنى كانت التبوئة في ذلك الوقت والطائفتان هما بنو سلمة وبنو حارثة حيان من الانصار في قول ابن عباس وجابر بن عبد الله والحسن وقتاده ومجاهد والربيع والسدي وابن اسحق وابن زيد وابي جعفر وابي عبد الله ع وقال الجبائي هما قوم من المهاجرين والانصار والفشل الجبن في قول ابن عباس يقول فشل يفشل فشلا والجبن ليس من فعل الانسان وتحقيقه على هذا همتا بحال الفشل لانه وضع كلام موضع كلام وليس في الآية ان همهما بالفشل كان معصية لانه قد يكون من غير عزم على حال الفشل بل بحديث النفس به ومن قال كان معصية قال هي صغيرة لقوله والله وليهما وروي عن جابر بن عبد الله انه قال فينا نزلت وما احب انها لم تكن لقوله والله وليهما وكان سبب همهم بالفشل في قول السدي وابن جريج ان عبد الله بن ابي بن سلول دعاهما الى الرجوع الى المدينة عن لقاء المشركين يوم احد فهما به ولم يفعلاه وقال ابو علي بل كان ذلك باختلافهم في الخروج الى العدو او المقام حتى هموا بالفشل والتاء مدغمة في الطاء في قوله اذ همت طائفتان لانهما من مخرج فصارت بمنزلة تمام مثلها نحو همت تفعل ومثله وقالت طائفة ويجوز ايضا ادغام الطاء في التاء الا انه تبقى الاطباق نحو احطت بما لم تحط والاول احسن قوله تعالى ولقد نصركم الله ببدر وانتم اذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون آية هذه الآية نزلت في وصف ما من الله تعالى على المؤمنين من النصر والامداد بالملئكة وظفر المؤمنين بالمشركين مع قلة المؤمنين

وقوة

وقوة المشركين فانه روي عن ابن عباس ره انه قال كان المهاجرون يوم بدر سبعة وسبعين رجلا والانصار مائتين وستة وثلثين رجلا الجميع ثلثمائة وثلثة عشر رجلا وكان المشركون نحوا من الف رجل وبدر ماء بين مكة والمدينة وقال الشعبي سمي بدرا لان هناك ماء لرجل يسمى بدرا فسمي الموضع باسم صاحبه وقال الواقدي عن شيوخه انما هو اسم للموضع كما يسمى كل بلد باسم يخصه من غير ان ينقل اليه اسم صاحبه وقوله وانتم اذلة جملة في موضع الحال والذلة الضعف عن المقاومة وضدها العزة وهي القوة على الغلبة ويقال للجمل المنقاد من غير صعوبة ذلول لانقياده انقياد الضعيف فاما الذليل فانما ينقاد على مشقة ومنه تذليل الطريق ونحوه وهو توطئته والاصل فيه الضعف عن المقاومة وقوله اذلة جمع ذليل وفعيل قياسه ان يجمع على فعلاء اذا كان صفة مثل ظريف وظرفاء وكريم وكرماء وعليم وعلماء وشريك وشركاء فجمع على افعلة كراهية التضعيف فعدل الى جمع الاسماء نحو قفيز واقفزة فقيل ذليل واذلة وعزيز واعزة ووصفهم الله بانهم اذلة لانهم كانوا ضعفاء قليلي العدة قليلي العدد وروي عن بعض السلف الصالح انه قرأ وانتم ضعفاء قال ولا يجوز وصفهم بانهم اذلة وفيهم رسول الله ص وكان صاحب راية رسول الله يوم بدر امير المؤمنين علي بن ابي طالب ع وصاحب راية الانصار سعد بن عباده وقوله فاتقوا الله معناه اتقوا معاصيه واعملوا بطاعته ويجوز ان يكون المراد اتقوا عقاب الله بترك المعاصي والعمل بطاعته لان اصل الاتقاء هو الحجز بين الشيئين بما يمنع من وصول احدهما الى الآخر كما تقول اتقاه بالترس وغيره ووجه ادخال هذه الآية وهي متعلقة بقصة بدر بين قصة احد ان الله تعالى وعد المؤمنين النصر يوم احد ان صبروا وثبتوا وان يمدهم بالملئكة كما نصرهم يوم بدر وامدهم بالملئكة فلما لم يصبروا وتركوا مراكزهم اصاب العدو منهم ما هو معروف قوله تعالى اذ تقول للمؤمنين الن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلثة آلاف من الملائكة منزلين آية بلا خلاف قرأ ابن عامر وحده منزلين بتشديد الزاي الباقون بالتخفيف التقدير اذكروا اذ تقول للمؤمنين الن يكفيكم ربكم وفيه اخبار ان النبي ص قال لقومه الن يكفيكم يوم بدر بان امدكم بثلثة آلاف من الملئكة منزلين ثم قال بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملئكة مسومين يعني يوم احد وقال ابن عباس والحسن وقتاده والربيع وغيرهم ان الامداد بالملئكة كان يوم بدر وقال ابن عباس لم يقاتل الملئكة ع الا يوم بدر وكانوا في غيره من الايام عدة ومددا وقال الحسن كان جميعهم خمسة آلاف وقال غيره كانوا ثمانية آلاف وقوله الن يكفيكم فالكفاية مقدار سد الخلة تقول كفاه يكفيه كفاية فهو كاف اذا قام بالامر واستكفيته امرا فكفاني واكتفى به اكتفاء وكفاك هذا الامر اي حسبك والفرق بين الاكتفاء والاستغناء ان الاكتفاء هو الاقتصار على ما ينفي الحاجة والاستغناء الاتساع فيما ينفي الحاجة فلذلك يوصف تعالى بانه غني بنفسه لاتساع مقدوره من حيث كان قادرا لنفسه لا يعجزه شيء وقوله ان يمدكم فالامداد هو اعطاء الشيء حالا بعد حال والمعنى في الآية ان الله اعطاهم القوة في انفسهم ثم زادهم قوة بالملئكة والمد في السير هو الاستمرار عليه وامتد بهم السير اذا طال واستمر ومددت الشيء اذا جذبته والمد زيادة الماء يقول مد الماء وامد الجرح وامددت العسكر والمادة زيادة مستمرة والمدة اوقات مستمرة الى غاية والمداد ما يكتب به والمد مكيال مقداره ربع الصاع قوله تعالى بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملئكة مسومين آية قرأ ابن كثير وابو عمرو وعاصم مسومين بكسر الواو والباقون بفتحها والقراءة بالكسر اقوى لان الاخبار وردت بانهم سوموا خيلهم بعلامة جعلوها عليها وقال ابن عباس والحسن وقتاده ومجاهد والضحاك كانوا اعلموا بالصوف في نواصي الخيل واذنابها وروى هشام عن عروة قال نزلت الملئكة يوم بدر على خيل بلق وعليهم عمائم صفر وقال السدي وغيره من اهل التأويل معنى مسومين معلمين ومن قرأ بالفتح اراد معنى مرسلين من الابل السائمة يعني المرسلة في المرعى والسيما العلامة قال الله تعالى سيماهم في وجوههم من اثر السجود فالتسويم العلامة قال الشاعر

مسومين بسيما النار انفسهم لا مهتدين ولا بالحق راضينا

واصل الباب السوم في المرعى وهو الاستمرار فيه فمنه السيما لانهم كانوا يعلمونها اذا ارسلت في المرعى لئلا

تخلط

لئلا تختلط ومنه السوم في البيع ومنه سوم الريح استمرارها في هبوبها ومنه سوم الخسف لانه استمرار
في الزام الشر وقوله من فورهم قال ابن عباس والحسن وقتاده والربيع والسدي وابن زيد معناه من وجههم
وقال مجاهد والضحاك وابو صالح من غضبهم فعلى القول الاول انما هو فور الانتداب لهم وهو ابتداؤه
وعلى القول الثاني فور الغضب هو غليانه واصل الفور فور القدر وهو غليانها عند شدة الحما فمنه فورة
الغضب لانه كفور القدر بالحما ومنه جاء فلان على الفور اي على اشد الحمى لفعله قبل ان تبرد نفسه ومنه
فارت العين بالماء اي جاشت به ومنه الفواره لانها تفور بالماء كما تفور القدر بما فيها فان قيل كيف قال
في الاية الاولى ان الامداد بثلثة الاف وفي هذه بخمسة الاف وهذا ظاهر التناقض قلنا لا تناقض في ذلك لان
في الاية الاولى وعد الله المؤمنين على لسان نبيه بان يمدهم بثلثة الاف منزلين ثم قال بلى ان تصبروا وتتقوا
يعني تصبروا على الجهاد والقتال وتتقوا معاصي الله ويأتوكم من فورهم هذا يعني ان رجعوا اليكم لان
الكفار في غزاة احد بعد انصرافهم ندموا لم لم يغيروا على المدينة وهموا بالرجوع فاوحى الله تعالى الى نبيه
ان يأمر اصحابه بالتهيئ للرجوع اليهم وقال لهم ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله ثم قال ان تصبروا
على الجهاد وواجهتم الكفار امدكم الله بخمسة الاف من الملئكة مسومين فاخذوا في الجهاد فبلغ ذلك قريشا
فخافوهم ان يكون قد التأم اليهم من كان تأخر عنهم وانضم اليهم خبرهم فدسوا نعيم بن مسعود الاشجعي
حتى قصدهم بتعظيم امر قريش واسرعوا والقصة معروفة ولذلك قال قوم من المفسرين ان جميعهم ثمانية الاف
وقال الحسن جميعهم خمسة الاف منهم الثلثة الاف المنزلين على ان الظاهر تقتضي ان الامداد بثلاثة الاف كان يوم
بدر لان قوله اذ تقول للمؤمنين متعلق بقوله ولقد نصركم الله ببدر اذ تقول للمؤمنين الن يكفيكم ان يمدكم
ربكم بثلثة الاف من الملئكة منزلين ثم استانف حكم يوم احد فقال بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم
يعني رجعوا عليكم بعد انصرافهم امدكم بخمسة الاف من الملئكة مسومين والقصة في ذلك معروفة على ما بينا
وعلى هذا لا تنافي بينهما وهذا قول البلخي رواه عن عمرو بن دينار عن عكرمة قال لم يمدوا يوم احد ولا بملك
واحد فان قيل لم لم يمد والملئكة في سائر الحروب قلنا ذلك تابع للمصلحة فاذا علم الله المصلحة في امدادهم
امدهم قوله تعالى وَمَا جَعَلَهُ اللّٰهُ اِلَّا بُشْرٰى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهٖ وَمَا النَّصْرُ اِلَّا مِنْ عِنْدِ اللّٰهِ
الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ اية الهاء في قوله وما جعله الله عائدة على ذكر الامداد والوعد فيعود على معلوم بالدلالة
عليه غير مذكور باسمه لان يمدكم يدل على الذكر للامداد ومثله اذ عرض عليه بالعشي الصافنات
الجياد فقال اني احببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب اي الشمس وقال لبيد

حتى اذا القت يدا في كافر   واجن عورات الثغور ظلامها

اي القت الشمس فرد الضمير الى معلوم ليس بمذكور وقال قوم ان الضمير راجع الى الامداد نفسه والاول
اقوى لان البشرى في صفات الانزال وذلك يليق بذكر الامداد والفرق بين قوله ولتطمئن قلوبكم به وبين
قوله واطمينانا لقلوبكم ان الوعد في احدهما الطمينان وفي الاخر سبب الاطمينان فهو اشد في تحقيق الكلام من
اجل دخول اللام وقوله وما النصر الا من عند الله معناه انه لا حاجة لا نمة في المعونة وان امدهم بالملئكة
فانهم لا يستغنون عن معونته طرفة عين في تقوية قلوبهم وخذلان عدوهم بضعف قلوبهم الى غير ذلك من
الامور التي لا قوام لهم الا بها ولا متكل لهم الا عليها فان قيل كيف قال وما النصر الا من عند الله وقد ينصر
المؤمنون بعضهم بعضا وبعض المشركين بعضا قلنا لان نصر بعض المؤمنين بعضا من عند الله لانه بمعونته
وحسن توفيقه واما نصر المشركين بعضهم لبعض فلا يعتد به لانه يخذل لان الله من حيث ان عاقبته الى شر مآل
من العقاب الدائم وقوله العزيز الحكيم معناه ههنا العزيز في انتقامه من الكفار بايدي المؤمنين الحكيم في
تدبيره للعالمين ليعلمهم بان حربهم للمشركين يجري على اعزاز الدين والحكمة في تدبير المكلفين ومعنى
العزيز المنيع باقتداره قوله تعالى لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا اَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ
اية قوله ليقطع طرفا من الذين كفروا الثاني بقوله ولقد نصركم الله ببدر ليقطع طرفا الثالث ذلك

ع فعلان يتصل بثلثة اشياء احدها وما النصر الا من عند الله ليقطع طرفا من الذين ٢

التدبير

التدبير ليقطع طرفا واليوم الذي قطع فيه الطرف من الذين كفروا هو يوم بدر بقتل صناديدهم ورؤسهم
وقادتهم الى الكفر في قول الحسن والربيع وقتادة وقال السدي هو يوم احد قتل منهم ثمانية عشر رجلا و
انما قال ليقطع طرفا منهم ولم يقل ليقطع وسطا منهم لانه لا يوصل الى الوسط منهم الا بعد قطع الطرف
ومثله قاتلوا الذين يلونكم والمراد بالاية ليقطع قطعة منهم وقوله او يكبتهم فالكبت الخزي ومعناه او
يخزيهم في قول الربيع وقتادة وقال الخليل الكبت صرع الشيء على وجهه كبتهم الله فانكبتوا وحقيقة
الكبت شدة وهن يقع في القلب فربما صرع الانسان لوجهه للخور الذي يدخله وقوله فينقلبوا اي فيرجعوا
خائبين الخائب المنقطع عما امل ولا يكون الخيبة الا بعد الامل لانها امتناع نيل ما امل واليأس قد يكون
قبل الامل ويكون بعده واليأس والرجاء نقيضان يتعاقبان كتعاقب الخيبة والظفر يقال خاب يخيب خيبة و
خيبه الله تخييبا والخيبة حرمان المراد قوله تعالى لَيْسَ لَكَ مِنَ الْاَمْرِ شَيْءٌ اَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ اَوْ يُعَذِّبَهُمْ
فَاِنَّهُمْ ظَالِمُونَ اية بلا اختلاف روي عن انس بن مالك وابن عباس والحسن وقتاده والربيع انه لما كان
من المشركين يوم احد من كسر رباعية النبي صلعم وشجه حتى جرت الدماء على وجهه قال كيف يفلح قوم نالوا
هذا من نبيهم وهو مع ذلك حريص على دعائهم الى ربهم فنزلت هذه الاية فاعلمه الله انه ليس اليه فلاحهم
وانه ليس اليه الا ان يبلغ الرسالة ويجاهد حتى يظهر الدين وكان الذي كسر رباعيته وشجه في وجهه
عتبة بن ابي وقاص فدعا عليه الا يحول عليه الحول حتى يموت كافرا فمات كافرا قبل حول الحول وقيل
انه هم بالدعاء عليهم فنزلت الاية تسكينا له فكف عن ذلك قال ابو علي الجبائي انه استاذن ربه يوم
احد في الدعاء عليهم فنزلت الاية فلم يدع عليهم بعذاب الاستيصال وانما لم يؤذن فيه لما كان في المعلوم
من توبة بعضهم وانابته فلم يجز ان يقنطوا عن التوبة بعذاب الاستيصال فان قيل كيف قال ليس لك من
الامر شيء مع ان له ان يدعوهم الى الله ويؤدي اليهم ما امره بتبليغه قيل لان معناه ليس لك من الامر
شيء في عقابهم واستيصالهم حتى يقع انابتهم فجاء الكلام على الايجاز لان المعنى مفهوم لدلالة الحال
عليه وايضا فانه لا يعتد بما له في تدبيرهم مع تدبير الله لهم فكانه قال ليس لك من الامر شيء على وجه من
الوجوه وقوله او يتوب عليهم قيل في معناه قولان احدهما او يلطف لهم بما يقع معه توبتهم فيتوب عليهم
بلطفه لهم والاخر او يقبل توبتهم اذا تابوا كما قال تعالى غافر الذنب وقابل التوب ولا تصح هذه الصفة الا لله
عز وجل لانه يملك الجزاء بالثواب والعقاب فان قيل كيف قال او يعذبهم مع ما في المعلوم من ان بعضهم يؤمن
قيل لانهم يستحقون ذلك باجرامهم بمعنى انه لو فعل بهم لم يكن ظلما وان كان لا يجوز ان يقع لوجه اخر يجري
مجرى تبقيتهم لاستصلاح غيرهم وقيل في نصب او يتوب عليهم وجهان احدهما انه بالعطف على ليقطع
طرفا من الذين كفروا او يكبتهم او يتوب عليهم او يعذبهم ويكون ليس لك من الامر شيء اعتراضا بين المعطوف
والمعطوف عليه كما تقول ضربت زيدا فافهم ذاك وعمرا الثاني ان يكون او بمعنى الا ان كانه قال ليس لك
من الامر شيء الا ان يتوب الله عليهم او يعذبهم فيكون امرك تابعا لامر الله برضاك بتدبيره فيه قال امرؤ القيس

فقلت لها   لا تبك عينك انما   نحاول ملكا او نموت فنعذرا

اراد الا ان نموت او حتى نموت قوله تعالى وَلِلّٰهِ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَمَا فِي الْاَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ
وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللّٰهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ اية بلا اختلاف عموم قوله ولله ما في السموات وما في
الارض يقتضي ان له تعالى ملك ما في السموات وما في الارض وان له التصرف فيهما كيف شاء وبلا دافع و
لا مانع غير انه لا بد من تخصيص هذا العموم من حيث انه تنزه عن الصاحبة والولد على كل وجه والوجه ما
قلناه وانما ذكر لفظ ما لانها اعم من من لانها يتناول ما يعقل وما لا يعقل لانها تفيد الجنس ولو قال
من في السموات ومن في الارض لم يدخل فيه الا العقلاء الا ان يحمل على التغليب وذلك ليس بحقيقة و
قوله يغفر لمن يشاء دليل على ان حسن العفو عن مستحق العقاب وان لم يتب لانه لم يشرط فيه التوبة وقوله
ويعذب من يشاء يعني ممن يستحق العذاب لان من لا يستحق العذاب لا يشاء عذابه لانه ظلم يتعالى الله عن ذلك

وفي

وفي ذلك دلالة على جواز العفو بلا توبة لانه علق عذابه بمشيته فدل على انه لو لم يشأ لكان له ذلك ولا يلزم على ما قلناه الشك في جواز غفران عقاب الكفار لان ذلك اخرجناه من العموم بدلالة اجماع الامة على انه لا يغفر الشرك وبقوله ان الله لا يغفر ان يشرك به ولولا ذلك لكنا نجوز العفو عنهم ايضا ووجه اتصال هذه الاية بما قبلها انه لما قال ليس لك من الامر شيء عقبه بذلك بان الامر كله لله في السموات والارضين قوله تعالى يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ اية لما ذكر الله تعالى ان له عذاب من يشاء والعفو عمن يشاء وصل ذلك بالنهي عما لو فعلوه لاستحقوا عليه العقاب وعذبوا عليه وهو الربا والربا المنهي عنه قال عطا ومجاهد هو ربا الجاهلية وهو الزيادة على اصل المال بالتاخير عن الاجل الحال ويدخل فيه كل زيادة محرمة في المعاملة من جهة المضاعفة ووجه تحريم الربا هو المصلحة التي علمها الله تعالى وقيل فيه وجوه على وجه التقريب منها للفصل بينه وبين البيع ومنها انه يدعو الى العدل ويحض عليه ومنها انه يدعو الى مكارم الاخلاق بالاقراض وانظار المعسر من غير زيادة وهذا الوجه روي عن ابي عبد الله عم وقوله اضعافا مضاعفة قيل في معناه ههنا قولان احدهما للمضاعفة بالتاخير اجلا بعد اجل كلما اخر عن اجل الى غيره زيد عليه زيادة على المال الثاني اضعافا فامضاعفة اي يضاعفون في اموالكم وقيل في تكرير تحريم الربا ههنا مع ما تقدم في قوله واحل الله البيع وحرم الربا وغير ذلك قولان احدهما للتصريح بالنهي عنه بعد الاخبار بتحريمه لما في ذلك من تصريف الخطاب وشدة التحذير منه الثاني لتاكيد النهي عن هذا الضرب منه الذي يجري على الاضعاف المضاعفة وقوله واتقوا الله معناه اتقوا معاصيه وقيل اتقوا عذابه بترك معاصيه لعلكم تفلحون لكي تنجحوا بادراك ما تاملونه وتفوزوا بثواب الجنة لان لعل وان كان للشك فان ذلك لا يجوز على الله تعالى وقد بينا ذلك نظائره فيما مضى قوله تعالى وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ايتان بلا خلاف فان قيل كيف قال واتقوا النار التي اعدت للكافرين وعندكم يجوز ان يدخلها الفساق وعند المعتزلة كلهم يدخلها الفساق قطعا فهلا قال اعدت للجميع قلنا اما على ما نذهب اليه ففائدة ذلك انها اعدت للكافرين قطعا وذلك غير حاصل في الفساق لانا نجوز العفو عنهم ومن قال اعدت للفساق قال اضيفت الى الكافرين لانهم احق بها وان كان الجميع يستحقونها لان الكفر اعظم المعاصي فاعدت للكافرين ويكون غيرهم من الفساق تبعا لهم في دخولها فان قيل على هذا هل يجوز ان يقال ان النار اعدت لغير الكافرين من الفاسقين قلنا عن ذلك اجوبة احدها قال الحسن يجوز ذلك لانه من الخاص الذي معه دلالة على العام كما قال يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فاما الذين اسودت وجوههم اكفرتم بعد ايمانكم وليس كل من دخل النار كفر بعد ايمانه ومثله قوله كلما القي فيها فوج سألهم خزنتها الم ياتكم نذير وليس كل الكفار يقول ذلك ومنه قوله فكبكبوا فيها هم والغاوون وجنود ابليس اجمعون قالوا وهم فيها يختصمون تالله ان كنا لفي ضلال مبين اذ نسويكم برب العالمين وليس كل الكفار سووا الشياطين برب العالمين والثاني انه لا يقال اعدت لغيرهم من الفاسقين لان اعدادها للكافرين من حيث كان عقابهم هو المعتمد وعقاب الاخرين له تبع كما قال وجنة عرضها السموات والارض اعدت للمتقين ولا خلاف انه يدخلها الاطفال والمجانين الا انهم تبع للمتقين لانه لولاهم لم يدخلوها ولا يقال ان الجنة اعدت لغير المتقين الثالث ان تكون هذه النار نارا مخصوصة فيها الكفار خاصة دون الفساق وان كان هناك نار اخرى يدخلها الفساق كما قال لا يصليها الا الاشقى الذي كذب وتولى وكما قال ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار وهذا قول ابي علي واستدل البلخي بهذه الاية على ان الربا كبيرة لان تقديره واتقوا النار التي اعدت للكافرين ان ياكلوا الربا فيستحقونها والاجماع حاصل على ان الربا كبيرة فلا يحتاج الى هذا التاويل لان الاية يمكن ان يقول قائل انها بمعنى الزجر والتحذير عن الكفر فقط وقوله اعدت فالاعداد هو تقديم عمل الشيء لغيره مما هو

متاخر عنه وقد قدم فعل النار ليصلاها الكفار والاعداد والايجاد والتهيئة والتقدمة متقاربة المعنى وقوله واطيعوا الله والرسول امر بالطاعة لله ورسوله والوجه في الامر بالطاعة لله ورسوله مع ان العقل دال عليه يحتمل امرين احدهما ان يكون ذلك تاكيدا لما في العقل كما وردت نظايره كقوله ليس كمثله شيء ولا تدركه الابصار وغير ذلك والثاني لاتصاله بامر ربا الذي لا يجب الطاعة فيه الا بالسمع لانه ليس مما يجب تحريمه عقلا كما يجب تحريم الظلم بالعقل فان قيل اذا كانت طاعة الرسول طاعة الله فما وجه التكرار قلنا عنه جوابان احدهما المقصد بها طاعة الرسول فيما دعا اليه مع المقصد لطاعة الله تعالى الثاني ليعلم ان من اطاعه فيما دعا اليه كمن اطاع الله فيسارع الى ذلك بامر الله والطاعة موافقة الارادة الداعية الى الفعل بطريق الرغبة والرهبة ولذلك لا يصح ان يجيب الله تعالى عبده وان لم يصح منه ان يطيعه لان الاجابة انما هي موافقة الارادة مع القصد الى موافقتها على حد ما وقعت من المريد وقوله لعلكم ترحمون يحتمل امرين احدهما الرجاء وقد بينا ذلك نظائره والثاني ان معناه ينبغي للعباد ان يعملوا بطاعة الله على الرجاء للرحمة بدخول الجنة لئلا يزلوا فيستحقوا الاحباط والعقوبة او يوقعوها على وجه لا يستحق به الثواب بل يستحق به العقاب وفيها معنى الشك لكنه للعباد دون الله تعالى وقيل في وجه اتصال هذه الاية بما قبلها قولان احدهما الاتصال الامر بالطاعة بالنهي عن اكل الربا اضعافا مضاعفة كانه قال واطيعوا الله فيما نهاكم عنه من اكل الربا وغيره لتكونوا على سبيل الهدى الثاني قال ابن اسحق انه معاتبة للذين عصوا رسول الله صم لما امرهم بما امرهم به يوم احد من لزوم مراكزهم فخالفوا واشتغلوا بالغنيمة الا طائفة منهم قتلوا وكان ذلك سبب هزيمة اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله قوله تعالى وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ اية قرأ نافع وابن عامر سارعوا بلا واو والباقون بالواو وكذلك هي في مصاحف اهل الشام بلا واو وفي مصاحف اهل العراق بالواو والمعنى واحد وانما الفرق بينهما استيناف الكلام اذا كان بلا واو ووصلها بما تقدم اذا قرئ بواو لانه يكون عطفا على ما تقدم وفي هذه الاية الامر بالمبادرة الى مغفرة الله باجتناب معصيته والى الجنة التي عرضها السموات والارض بفعل طاعته واختلفوا في قوله عرضها عرض السموات والارض فقال ابن عباس والحسن معناه عرضها كعرض السموات السبع والارضين السبع اذا ضم بعض ذلك الى بعض واختاره الجبائي والبلخي وانما ذكر العرض بالعظم دون الطول لانه يدل على ان الطول اعظم وليس كذلك لو ذكر الطول بدلا من العرض ومثل الاية قوله ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة ومعناه الا كبعث نفس واحدة وقال الشاعر

كان غديرهم بجنوب سلى ... نعام قاق في بلد قفار

اي غدير نعام

وقال اخر

حسبت بغام راحلتي عناقا ... وما هي ويب غيرك من عناق

اي صوت عناق

وقال ابو مسلم معناه ثمنها لو بيعت كثمن السموات والارض لو بيعا كما يقال عرضت هذا المتاع للبيع والمراد بذلك عظم مقدارها وجلالة قدرها وانه لا يساويها شيء وان عظم وهذا مليح غير ان فيه تعسفا شديدا فان قيل اذا كانت الجنة عرضها السموات والارض فاين يكون النار الجواب انه روي عن النبي صم انه لما سئل عن ذلك فقال سبحان الله اذا جاء النهار فاين الليل وهذه معارضة فيها اسقاط المسئلة لان القادر على ان يذهب بالليل حيث شاء قادر على ان يذهب بالنهار حيث شاء وروي انه سئل عن ذلك ابن عباس وغيره من الصحابة فان قيل فان الجنة في السماء كيف يكون لها هذا العرض قيل لن يراد فيها يوم القيمة ذكره ابو بكر احمد بن علي على تسليم انها في السماء ويجوز ان تكون الجنة مخلوقة في غير السموات والارض وفي الناس من قال ان الجنة والنار ما خلقتا بعد وانما يخلقهما الله على ما وصف وقال البلخي المراد بذلك وصفها بالسعة والعظم كما يقول القائل في دار واسعة هذه دنيا وغرضه بذلك وصفها بالكبر وقوله اعدت للمتقين يعني المتقين المطيعين لله ورسوله لاجتنابهم المعاصي وفعلهم

الطاعات ويجوز لاحتجازهم بالطاعة من العقوبة وانما اضيفت الى المتقين لانهم المقصودون بها وان
دخلها الاطفال والمجانين فعلى وجه التبع وكذلك حكم الفساق لو عفى عنهم وفيمن تكلم في اصول الفقه
من استدل بقوله وسارعوا الى مغفرة على ان الامر يقتضي الفور دون التراخي لانه تعالى امر بالمسارعة
والمبادرة الى مغفرة وذلك يقتضي التعجيل ومن خالف في تلك قال المسارعة الى ما يقتضي الغفران فاجمع
وهي التوبة ووجوبها على الفور فمن اين ان جميع المامورات كذلك قوله تعالى الَّذِينَ يُنْفِقُونَ
فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ
الْمُحْسِنِينَ اية الذين في موضع الجر لانه صفة المتقين فذكر الله صفاتهم التي تعلو بها درجاتهم
منها انهم يتقون عذاب الله بفعل طاعته والانتهاء عن معصيته وانهم ينفقون في السراء والضراء
وقد بينا فيما تقدم معنى الانفاق وقيل في معنى السراء والضراء قولان احدهما قال ابن عباس في اليسر
والعسر فكانه قال في السراء بكثرة المال والضراء بقلته الثاني في حال السرور وحال الاغتمام اى لا
يقطعهم شيء من ذلك عن انفاقه في وجوه البر فيدخل فيه اليسر والعسر وانما خصا بالذكر في التاويل الاول لان
السرور بالمال يدعوا الى الضن به كما يدعو ضيقه الى التمسك به خوف الفقر لانفاقه وقوله تعالى والكاظمين
الغيظ اى المتجرعين له فلا ينتقمون ممن يدخل عليهم الضرر بل يصبرون على ذلك ويتجرعونه واصل الكظم
شد راس القربة عن ملئها تقول كظمت القربة اذا ملأتها ماء ثم شددت راسها وفلان كظيم ومكظوم اذا كان
ممتليا حزنا ومنه قوله وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم اى ممتلي حزنا وكذلك اذا امتلأ غضبا لم ينتقم و
كظم البعير الناقة اذا لم تجتر والكظامة القناة التي تجري تحت الارض سميت بذلك لامتلائها بالماء كامتلاء
القربة المكظومة ويقال اخذ بكظمه اى بمجرى نفسه لانه موضع الامتلاء بالنفس وكظامة الميزان المسمار الذي
يدور فيه اللسان لانه يشده ويعتمد عليه والفرق بين الغيظ والغضب ان الغضب ضد الرضا وهو ارادة العقاب
المستحق بالمعاصي ولعنه وليس كذلك الغيظ لانه هيجان الطبع بتكره ما يكون من المعاصي ولذلك يقال غضب
الله على الكفار ولا يقال اغتاظ منهم وروى عن النبي صلعم انه قال ما من جرعة يتجرعها الرجل والانسان اعظم
اجرا من جرعة غيظ في الله وفي الاية دلالة على جواز العفو عن العاصي وان لم يتب لانها دلت على الترغيب في
العفو من غير ايجاب له باجماع المسلمين وقوله والله يحب المحسنين معناه يريد اثابتهم وتنعيمهم والمحسن يحتمل
امرين احدهما من هو منعم على غيره على وجه عار من وجوه القبيح ويحتمل ان يكون مشتقا من الافعال الحسنة
التي منها الاحسان الى الغير وغير ذلك من وجوه الطاعات والقربات قوله تعالى وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا
فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ
يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ اية بلا خلاف
قوله والذين يحتمل ان يكون موضعه جرا بالعطف على المتقين فيكون من صفتهم ما تضمنه على قول
الحسن ويحتمل ان يكون رفعا على الاستيناف ويكون عطف جملة على جملة فيكون من صفة فرقة غير الاولى
ويجوز ان يرجع الى الاولى في الموضع على المدح وقوله اذا فعلوا فاحشة يحتمل ان يكون اراد غير الظلم و
لذلك عطف عليه بقوله او ظلموا انفسهم حتى لا يكون تكرارا وقال الرماني اراد بالفاحشة الكبيرة و
بالظلم انفسهم الصغيرة وقال مجاهد هما ذنبان واصل الفاحشة الفحش وهو الخروج الى عظم القبح في العقل
او راى العين فيه وكذلك قيل للطويل المفرط انه لفاحش الطول وافحش فلان في كلامه اذا افصح بذكر الفحش
وقال جابر والسدي الفاحشة ههنا الزنا او ما جرى مجراه من الكبير وقوله ذكروا الله في معناه قولان احدهما
ذكروا وعيد الله فيكون من التذكر بعد النسيان والمدح على انهم تعرضوا للتذكر والاخر انهم ذكروا الله
بان قالوا اللهم اغفر لنا ذنوبنا فانا تبنا نادمين عليها مقلعين عنها وقال ابن مسعود وعطا ابن ابي رباح
كانت بنو اسرائيل اذا اذنب الواحد منهم ذنبا اصبح مكتوبا على بابه كفارة ذنبك جدع اذنك جدع انفك
فسهل الله ذلك على هذه الامة بان جعل توبتها الاستغفار بدلا منه منة منه تعالى وقوله ومن يغفر الذنوب

الا الله الرفع محمول على المعنى وتقديره وهل يغفر الذنوب الا الله او هل احد يغفر الذنوب الا الله
فان قيل كيف قال ومن يغفر الذنوب الا الله وقد يغفر بعضنا لبعض اسائته اليه قلنا عنه جوابان احدهما
انه اراد بذلك غفران الكبائر العظام لان الاسائة من بعضنا لبعض صغيرة بالاضافة الى ما يستحق من جهته
والثاني انه لا يغفر الذنب الذي يستحق عليه العقاب الا الله تعالى وقوله ولم يصروا على ما فعلوا فالاصرار
هو المقام على الذنب من غير اقلاع منه بالتوبة في قول قتادة وقال الحسن هو فعل الذنب من غير توبة و
الاول اقوى لانه نقيض التوبة واصله الشد من الصرة والصر شدة البرد والاصرار انما هو ارتباط الذنب
بالاقامة عليه وما قاله الحسن هو في حكم الاصرار وقوله وهم يعلمون ههنا يحتمل امرين احدهما وهم
يعلمون الخطيئة ذاكرين لها غير ساهين ولا ناسين قال الجبائي والله عز وجل يغفر للعبد ما نسيه من
ذنوبه وان لم يتب منه بعينه كما يغفر له ما تاب منه لانه قد فعل في حال النسيان جميع ما عليه والثاني
وهم يعلمون الحجة في انها خطيئة واما من اجتهد في الاحكام فاخطا على مذهب من يقول الاجتهاد فلا اثم
عليه وكذلك من تزوج بذات محرم من الرضاع او النسب وهو لا يعلم او غير ذلك فلا اثم عليه بلا خلاف
لانه لم يعلم ذلك فاقدم عليه ولا يلزم على ذلك ان يكون الكافر معذورا بكفره اذا لم يعلم قبيحا لان
الكافر له طريق الى العلم به وكذلك يقول ان من اسلم في دار الحرب وخرج فاستحل في طريقه الخمر ولحم
الخنزير قبل ان يعلم تحريمها من الشرع فلا اثم عليه لانه في تلك الحال لا طريق له الى العلم بقبحه قوله تعالى
أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا
وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ اية واحدة قوله اولئك اشارة الى من تقدم وصفهم من المتقين الذين ينفقون
في السراء والضراء ويكظمون الغيظ ويعفون عن الناس واذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا الله
فاستغفروا لذنوبهم فقال هؤلاء لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وقد مضى تفسير ذلك اجمع
فيما مضى ثم قال ونعم اجر العاملين يعني ما وصفه من الجنات وانواع الثواب والمغفرة بستر الذنب حتى
تصير كانها لم تعمل في زوال العار بها والعقوبة بها والله تعالى متفضل بذلك لانا بينا ان اسقاط العذاب
عند التوبة تفضل منه تعالى فاما استحقاق الثواب بالتوبة فواجب عقلا لا محالة لانه لو لم يكن مستحقا
لذلك لقبح تكليفه التوبة لما فيها من المشقة والكلفة قوله تعالى قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا
فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ اية معنى قوله قد خلت من قبلكم سنن اى سنن
من الله تعالى في الامم السالفة اذا كذبوا رسله وجحدوا انبوتهم بالاستيصال والاجتياح كعاد وثمود وقوم
صالح وقوم لوط الذين اهلكهم الله بانواع العذاب من الاستيصال وبقيت لهم آثار في الديار فيها اعظم
الاعتبار والاتعاظ على قول الحسن وابن اسحق فامر الله ان يسيروا في الارض ويتعرفوا اخبارهم وما نزل
بهم ليتعظوا بذلك وينتهوا عن مثل ما فعلوه وقال الزجاج معناه قد خلت من قبلكم اهل سنن في الشر و
السنة الطريقة المجعولة ليقتدى بها فمن ذلك سنة رسول الله صلعم وقال لبيد من معشر سنت لهم اباؤهم
ولكل قوم سنة وامامها وقال سليمان بن قتة وان الالى بالطف من ال هاشم تاسوا فسنوا للكرام التاسيا
سنة الله عز وجل الاهلاك للامم الضالة بهذه المنزلة واصل السنة الاستمرار في جهة سن الماء سنا اذا صبه
حتى يفيض من الاناء وسنه بالمسن اذا امره عليه لتحديده وفلان مسنون الوجه اى مستطيله وقوله من حمأ
مسنون قيل معناه متغير لاستمرار الزمان به حتى تغير ومنه السن واحد الاسنان لاستمرارها على منهاج
والسنان لاستمرار الطعن به والسنن استمرار الطريق والخلو الانفراد فمنه الخلاء لانفراد المكان ومنه التخلية
لانفراد الشيء بها عن صاحبه ومنه الخلية من النوق التي خلا ولدها بذبح او موت لانفرادها عنه والخلية
من السفن التي تخلي تسير في نفسها ومنه الخلا مقصور الحشيش اختليته اذا قطعته لانفراده بالقطع ومنه
الخلاوة ومن ذلك المخالاة المخادعة لانفراد صاحبها بمن يخاليه بوهم التخصص به فمعنى خلت انفردت بالهلاك
دون من بعدهم وقوله فانظر كيف كان عاقبة فالعاقبة هو ما يؤدي اليها السبب المتقدم وليس كذلك الاخرة

لانه قد كان يمكن ان يجعل هي الاولى في العدة للمكذبين يريد به الجاحدين البعث والنشور والثواب والعقاب الدافعين لمن يخبر بذلك بالرد والتكذيب فجازاهم الله تعالى في الدنيا بعذاب الاستيصال ولهم في الآخرة عظيم النكال قوله تعالى **هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين** آية اجماعا قال الحسن وقتادة قوله هذا اشارة الى القرآن ووصفه بانه بيان لانه دلالة للناس وحجة لهم والبيان هو الدلالة وقال ابن اسحق هو اشارة الى ما تقدم ذكره في قوله قد خلت من قبلكم سنن الآية اي هذا الذي عرفتكم بيان للناس وهو اختيار البلخي والطبري والفرق بين البيان والهدى على ما قال الرماني ان البيان اظهار المعنى للنفس كائنا ما كان والهدى بيان لطريق الرشد ليسلك دون طريق الغي والموعظة ما يلين القلب ويدعو الى التمسك بما فيه من الزجر عن القبيح والدعاء الى الجميل وقيل الموعظة هو ما يدعو بالرغبة والرهبة الى الحسنة بدلا من السيئة والهدى المذكور في الآية يحتمل معنيين احدهما ان يكون عبارة عن اللطف الذي يدعو الى فعل الطاعة بدلا من المعصية لانه بمنزلة الارشاد والآخر الدلالة على طريق الرشد وانما اضيف الى المتقين وان كان هدى لجميع المكلفين لانهم المنتفعون به دون غيرهم ولا يجوز ان يقال القرآن هدى وموعظة للفاجرين الا بتفسير وبيان لان في ذلك ايهاما لانتفاعهم به فان قيد بانه دلالة لهم وداع لهم الى فعل الطاعة وذكر ما يزيل الايهام كان جائزا وينبغي ان يتبع في ذلك ما ورد به القرآن قوله تعالى **ولا تهنوا ولا تحزنوا وانتم الاعلون ان كنتم مؤمنين ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الايام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين** آيتان قرأ اهل الكوفة الا حفصا قرح بضم القاف الباقون بفتحها والفرق بينهما ان القرح بفتح القاف الجراح والقرح بالضم الم الجراح على قول اكثر المفسرين وقيل هما لغتان وقال ابن عباس والحسن والربيع القرح ما اصاب المسلمين يوم احد واصاب المشركين يوم بدر وقال الزهري وقتادة وابن ابي نجيح هذه الآية نزلت تسلية للمسلمين لما نالهم يوم احد من القتل والجراح وكان سبب نزول الآية ما قدمناه ذكره من ان الله تعالى اراد ان يرعب الكفار فامر المسلمين ان يتبعوا المشركين على ما بهم من الجراح والالم وحثهم على ذلك ونهاهم عن الوهن والحزن ووصفهم بانهم الاعلون ان تمسكوا بالايمان لان المشركين كانوا هموا بالعود الى المدينة والغارة فيها فلما بلغهم عزيمة المسلمين على تتبعهم خافوهم وقال بعضهم لبعض يوشك ان يكون انضم اليهم من كان قعد عنهم واعانهم احلافهم من بني قريظة والنضير فدسوا نعيم بن مسعود الاشجعي وبذلوا له عشر قلايص على ان يثبط المسلمين عن تتبعهم ويقول انهم تجمعوا وانضم اليهم حلفاؤهم وهم يريدونكم ولا طاقة لكم بهم واسرعوا المسير الى مكة فاوحى الله بذلك الى النبي صلى الله عليه وآله واعلمه ما قالوا لنعيم فلما قال لهم نعيم ما قال قال المسلمون حسبنا الله ونعم الوكيل وفيهم نزلت الآية الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم الى قوله والله ذو فضل عظيم وما بعده وانما قال ان كنتم مؤمنين مع انهم كانوا مؤمنين للبيان عن ان الايمان يوجب تلك الحال وتقديره ان من كان مؤمنا يجب عليه الا يهن ولا يحزن لثقته بالله ويحتمل ايضا ان يكون معناه ان كنتم مصدقين بوعدي لكم بنصرتي اياكم حتى تستعلوا على عدوكم وتظفروا بهم والوهن الضعف وهو يهن وهنا فهو واهن اذا ضعف واوهنه يوهنه ايهانا ووهن توهنا ووهنه توهينا والوهن ساعة تمضي من الليل والواهن عرق مستبطن حبل العاتق الى الكتف وقوله وانتم الاعلون جملة في موضع الحال كانه قال لا تحزنوا عالين اي منصورين على عدوكم ويحتمل ان لا يكون لها موضع من الاعراب لانها اعتراض بوعد مؤكد وتقديره ولا تهنوا ولا تحزنوا ان كنتم مؤمنين وانتم مع ذلك الاعلون واصل الاعلون الاعلوون فحذفت احدى الواوين استثقالا وهي الاصلية وبقيت واو الجمع لانها لمعنى فاما في التثنية فتقول انتما الاعليان فتقلب الواو ياء ولا تحذفها لانه ليس هنا ضرورة وقوله ان يمسسكم فالمس هو اللمس بعينه وقيل الفرق بينهما ان اللمس لصوق باحساس

والمس لصوق فقط قال ابن عباس معناه ان يصبكم وقوله وتلك الايام نداولها بين الناس قال الحسن وقتادة والربيع والسدي وابن اسحق نصرفها مرة لفرقة ومرة عليها والدولة الكرة لفرقة بنيل المحبة وادال الله فلانا من فلان اذا جعل الكرة له عليه وقال العجاج ان الارض سيدال منا كما ادلنا منها ونداولها انما هو بتخفيف المحنة تارة وتشديدها اخرى بدليل ان الله لا يحب الظالمين ولو كانت المداولة بالنصر لا محالة للمؤمنين تارة وللكافرين تارة لكان يحبهم من حيث هو ناصرهم والعامل في قوله وليعلم الله يحتمل امرين احدهما ان يكون محذوفا يدل عليه اول الكلام وتقديره وليعلم الله الذين آمنوا نداولها الثاني ان يعمل فيه نداولها الذي في اللفظ وتقديره نداولها بين الناس لضروب من التدبير وليعلم الله الذين آمنوا وخبر ليعلم يحتمل امرين احدهما ان يكون محذوفا وتقديره وليعلم الله الذين آمنوا متميزين بالايمان من غيرهم ولا يكون على هذا يعلم بمعنى يعرف لانه ليس المعنى على تعرف الذوات بل المعنى على ان يعلم تميزها بالايمان والثاني وليعلم الله الذين آمنوا بما يظهر من صبرهم على جهاد عدوهم اي يعاملهم معاملة من يريد ان يعرفهم الله بهذه الحال وقال ابو علي معناه وليصبروا فعبر عن الصبر بالعلم وقال البلخي وليعلم الله ايمانكم موجودا اي تفعلونها فيعلمه الله كذلك ومعنى قوله ويتخذ منكم شهداء فيه قولان احدهما قال الحسن وقتادة وابن اسحق ليكرم بالشهادة من قتل يوم احد الثاني ويتخذ منكم شهداء على الناس بما يكون منهم من العصيان لما لكم فيه من التعظيم والتبجيل هذا قول البلخي والجبائي والاول اقوى لانه في ذكر القتل فان قيل لم جعل الله مداولة الايام بين الناس وهلا كانت ابدا لاولياء الله دون اعدائه قلنا ذلك تابع للمصلحة وما تقتضيه الحكمة ان تكون تارة في شدة وتارة في رخاء فيكون ذلك داعيا لهم الى فعل الطاعة واحتقار الدنيا الفانية المنتقلة من قوم الى قوم حتى يصير الغني فقيرا والفقير غنيا والنبيه خاملا والخامل نبيها فتقل حينئذ الرغبة فيها والحرص على جمعها ويقوى الحرص على غيرها مما نعيمه دائم وسروره غير منقطع والله لا يحب الظالمين معناه لا يريد منافعهم وعلى مذهبنا ينبغي ان يكون ذلك مخصوصا بالكفار لانهم اذا كانوا مؤمنين فلهم ثواب والله تعالى لا بد ان يريد فعل ذلك بهم ويحتمل ان يكون المراد بذلك لا يحب الظالمين اذا كانوا مؤمنين محبة خالصة لا يشوبها ارادة عقابهم لان ذلك يختص من لا عقاب عليه قوله تعالى **وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين** آية قيل في معنى قوله وليمحص الله اربعة اقوال احدها قال ابن عباس ومجاهد والسدي ليبتلي ويمحق الكافرين ينقصهم في قول ابن عباس وقال غيره يهلكهم وقال الفراء معنى وليمحص الله يعني ذنوب المؤمنين وقال الزجاج يخلصهم من الذنوب وهذا قريب من قول الفراء وقال الرماني معناه وليمحص الله الذين آمنوا ينجيهم من الذنوب بالابتلاء ويهلك الكافرين بالذنوب عند الابتلاء واصل التمحيص التخليص في قول ابي العباس يقول محصت الشيء امحصه محصا اذا خلصته وقال الخليل المحص الخلوص من العيب محصته محصا اي خلصته من كل عيب ومحص الحبل اذا ذهب وبره يمحص وحبل محص اي ملص ومحص الظبي يمحص اذا عدا عدوا شديدا محصا وتمحصت محص قوائم الفرس اي تخلص من الرهل ويقول اللهم محص عنا ذنوبنا اي اذهبها عنا لانه تخليص الحسنات بتكفير السيئات ويقال محص الفرس اذا ذهب شحم الردي وبقي لحمه وقوته بالضمور واصل المحق فناء الشيء حالا بعد حال ولهذا دخله معنى النقصان وامحق الشيء امحاقا والمحاق آخر الشهر اذا امحق الهلال فلم ير لذهاب ضوئه حالا بعد حال وامتحق الشيء وتمحق اذا ذهبت بركته بنقصانه حالا بعد حال ومحقه تمحيقا وانما قابل بين التمحيص والمحق لان محص هؤلاء باهلاك ذنوبهم نظير محق اولئك باهلاك انفسهم وهذه مقابلة في المعنى وقيل في تمحيص المؤمنين بالمداولة قولان احدهما لما في تخليتهم مع تمكين الكافرين منهم من التعريض للصبر الذي يستحقون به عظيم الاجر ويحط كثيرا من الذنوب الثاني لما في ذلك من اللطف الذي يعصم من اقتراف المعصية قوله تعالى **ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين** آية بلا خلاف قرأ الحسن

ويعلم الصابرين بكسر الميم الباقون بفتحها ووجه قراءة الحسن انه عطف على ولما يعلم الله كانه قال ولما يعلم الله ويعلم الصابرين وقوله ام حسبتم معناه احسبتم ان تدخلوا الجنة وقيل معنى ام معنى بل على جهة الانكار لان يحسبوا ذلك الحسبان كما يقال قد حصلت على الخلاف ام تتوهم الاهمال والفرق بين لم ولما ان لما جواب لقول القائل قد فعل فلان يريد به الحال فجوابه لما فعل واذا قال فعل فجوابه لم يفعل فلما كانت لما مؤكدة بحرف كانت جوابا لما هو مؤكد بحرف وايضا فانه يجوز الوقف على لما في مثل ان يقول القائل قد جاء فلان فيجيبه اخر فيقول لما اى لما يجئ ولا يجوز ذلك في لم ومعنى ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم اى لما يعلم الله جهادكم يعني انهم لا يدخلون الجنة الا بفعل الجهاد لانه من اعظم اركان الشرع وقوله ويعلم الصابرين نصب على الصرف عن العطف اذ ليس المعنى على نفي الثاني والاول وانما هو على نفي اجتماع الثاني والاول نحو قولهم لا يسعني شيء ويعجز عنك قال الشاعر

لا تنه عن خلق وتاتي مثله عار عليك اذا فعلت عظيم

وانما جاز ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم على معنى نفي الجهاد دون العلم لما فيه من الايجاز في انتفاء جهاد لانه لو كان لعلمه وتقديره ولما يكن المعلوم من الجهاد الذي وجب عليكم لان المعنى مفهوم لا يشتبه قوله تعالى **وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ اَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَاَيْتُمُوهُ وَاَنْتُمْ تَنْظُرُونَ** اية قال الحسن ومجاهد والربيع وقتادة والسدي كانوا يتمنون الموت بالشهادة بعد بدر قبل احد فلما راوه يوم احد اعرض كثير منهم عنه فانهزموا فعاتبهم الله على ذلك وقوله فقد رايتموه فيه حذف ومعناه رايتم اسباب الموت لان الموت لا يرى كما قال الشاعر

ومحلما يمشون تحت لوائه والموت تحت لواء ال محلم

اى اسباب الموت وقال البلخي معنى رايتموه اى علمتم وانتم تنظرون اسباب الموت من غير ان يكون في الاول حذف فان قيل هل يجوز ان يتمنى قتل المشركين لهم لينالوا منزلة الشهادة قلنا لا لان قتل المشركين لهم معصية ولا يجوز تمني المعاصي كما لا يجوز ارادتها ولا الامر بها واذا ثبت ذلك فتمنيهم الشهادة بالصبر على الجهاد الى ان يقتلوا وقال الجبائي انما تمنوا الموت دونا لقتل اذا كانوا مجاهدين قال الازهري قوله رايتموه وانتم تنظرون معناه وانتم بصراء كما يقول القائل رايت كذا وليس في عينك سوء والفرق بين التمني والارادة ان الارادة من افعال القلوب والتمني هو قول القائل ليت كان كذا او ليت لم يكن كذا وقوله وانتم تنظرون بعد قوله فقد رايتموه يحتمل امرين احدهما ان يكون تاكيدا للرؤية كما تقول رايته عيانا ورايته بعيني وسمعته باذني لئلا يتوهم رؤية القلب وسمع العلم والثاني ان يكون معناه وانتم تتاملون الحال في ذلك كيف هي لان النظر هو تقليب الحدقة الصحيحة نحو المرئي طلبا للرؤية وليس معناه الرؤية على وجه الحقيقة قوله تعالى **وَمَا مُحَمَّدٌ اِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ اَفَاِنْ مَاتَ اَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى اَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللّٰهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللّٰهُ الشَّاكِرِينَ** اية بلا خلاف قال ابن عباس وقتادة والضحاك ومجاهد ان سبب نزول هذه الاية انه لما ارجف بان النبي صلى الله عليه وآله قتل يوم احد واشيع ذلك قال اناس لو كان نبيا ما قتل وقال اخرون نقاتل على ما قاتل عليه حتى نلحق به وكان سبب انهزامهم وتضعضعهم اخلال الرماة بمكانهم من فم الشعب وكان النبي صلى الله عليه وآله نهاهم عن الاخلال به وحذرهم من الانصراف عن الشعب مخافة ان يخرج منه كمين عليهم فلما انهزم المشركون في الجولة الاولى فتبعهم المسلمون وتواقعوا في غنايمهم فقال الموكلون بالشعب يغنمون ولا نغنم فقال لهم رئيسهم الله الله لا تفعلوا فان النبي صلى الله عليه وآله امرنا الا نبرح فلم يقبلوا منه وانصرفوا وثبت رئيسهم مع اثني عشر رجلا فقتلوا وخرج عليهم خالد بن الوليد في مائتي فارس من الشعب وكان كامنا فيه وكان ذلك سبب هزيمة المسلمين واصابة رباعية النبي صلى الله عليه وآله وجرح وجهه وكان الذي جرحه وكسر رباعيته عتبة بن ابي وقاص وقيل ان عبد الله بن قمية ضربه على حبل عاتقه ومضى الى المشركين وقال قتلت محمدا واشاع ذلك فانزل الله هذه الاية فان قيل كيف دخل الاستفهام على الشرط وانما هو كغيره من الانقلاب والتقدير انقلبون ان مات او قتل قيل لانه لما انعقد الشرط به صار جملة واحدة وخبرا واحدا بمنزلة تقديم الاسم قبل

الفعل في الذكر اذا قيل ازيد قام وكذلك التقديم في القسم والاكتفاء بجواب الشرط من جواب القسم كما قال الشاعر

حلفت له ان تدلج الليل لا يزل اما مك بيت من بيوتي سائر

اى حلفت له لا يزال امامك بيت واجاز الفراء في مثله افان مات او قتل تنقلبون بالرفع والجزم ومعنى انقلبتم على اعقابكم اى ارتددتم كفارا بعد ايمانكم لان الرجوع عن الحق الى الباطل بمنزلة رجوع القهقري في القبح والتنكيل بالنفس فجرى كالمثل في هذا المعنى والالف في قوله افان الف انكار بصورة الف استفهام لان بالتقدير به يظهر ما فيه من المنكر فلذلك اخرج مخرج الاستفهام مع ان معناه الانكار ومثله اتختار الفساد على الصلاح والخطا على الصواب وقوله افان مات او قتل يدل على ان الموت غير القتل لانه لو كان هو اياه لما عطف به عليه لان الشيء لا يعطف على نفسه والقتل هو نقض بنية الحيوة والموت في الناس من قال هو معنى يضاد الحيوة وفيهم من قال هو افساد البنية التي تحتاج الحيوة اليها بفعل معان فيه تضاد المعاني التي تحتاج اليها الحيوة وقوله ومن ينقلب على عقبيه اى من يرتد ويرجع عن الاسلام فلن يضر الله شيئا لانه لا يجوز عليه المضار بل مضرته عائدة عليه لانه يستحق العقاب الدائم وقوله وسيجزي الله الشاكرين معناه يثيب الله الشاكرين على شكرهم لنعم الله واعترافهم بها ووجه اتصال هذا بما قبله اتصال الوعد بالوعيد لان قوله فلن يضر الله شيئا دليل على معنى الوعيد لان معناه انما يضر نفسه باستحقاقه العقاب وسيجزي الله الشاكرين بما يستحقونه من الثواب وقوله تعالى **وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ اَنْ تَمُوتَ اِلَّا بِاِذْنِ اللّٰهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْاٰخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ** اية بلا خلاف قيل في السبب الذي اقتضى ذكر قوله وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله قولان احدهما التسلية عما يلحق النفس بموت النبي صلى الله عليه وآله من جهة انه باذن الله عز وجل الثاني للحض على الجهاد من حيث لا يموت احد الا باذن الله تعالى وقوله الا باذن الله يحتمل امرين احدهما الا بعلمه والثاني الا بامره وقال ابو علي الاية يدل على انه لا يقدر على الموت غير الله كما لا يقدر على ضده من الحيوة الا الله ولو كان من مقدور غيره لم يكن باذنه لانه عاص لله في فعله وقوله كتابا مؤجلا نصب على المصدر لفعل محذوف دل عليه اول الكلام مع العلم بان كلما يكون فقد كتبه الله فتقديره كتب الله ذلك كتابا مؤجلا ويجوز ان يدل على الفعل المحذوف مصدره المنتصب به وقوله ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها قيل في معناه ثلثة اقوال احدها من عمل للدنيا لم نحرمه ما قسمنا له فيها من غير حظ في الاخرة في قول ابن اسحق اى فلا يغتر بحاله في الدنيا من اراد بجهاده ثواب الدنيا اى النصيب من الغنيمة في قول ابي علي الجبائي الثالث من يرد ثواب الدنيا بالتعرض له بعمل النوافل مع مواقعة الكبائر جوزي بها في الدنيا من غير حظ في الاخرة لاحباط عمله بفسقه على مذهب من يقول بالاحباط ومن يرد بعمله ثواب الاخرة نؤته اياها ومن في قوله منها يكون زائدة ويحتمل ان يكون للتبعيض لانه يستحق الثواب على قدر عمله وانما كرر قوله وسنجزي الشاكرين ها هنا وفي الاية الاولى لامرين احدهما للتاكيد ليتمكن المعنى في النفس الثاني وسنجزي الشاكرين من الرزق في الدنيا عن ابن اسحق لئلا يتوهم ان الشاكر يحرم ما يعطاه الكافر مما قسم له في الدنيا وقال الجبائي وفي الاية دلالة على ان اجل الانسان انما هو اجل واحد وهو الوقت الذي يموت فيه لانه لا يقتطع بالقتل عن الاجل الذي اخبر الله انه اجل لموته وقال ابن الاخشاد لا دليل فيه على ذلك لان للانسان اجلين اجل يموت فيه لا محالة واجل هو موهبة من الله تعالى له ومع ذلك فلن يموت الا عند الاجل الذي جعله الله اجلا لموته والاقوى الاول لان الاجل عبارة عن الوقت الذي يحدث فيه الموت والقتل وبالتقدير لا يكون الشيء اجلا كما لا يكون بالتقدير ملكا وقد بينا في شرح الجمل للمستوفى قوله تعالى **وَكَاَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا اَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّٰهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللّٰهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ** اية بلا خلاف قرا ابن كثير كائن على وزن كاعن الباقون كاين مشددة على وزن كعين ومعناهما واحد وهو بمعنى كم

قال جرير: وكائن بالاباطح من صديق — يراني لو اصبت هو المصابا
وقال آخر: وكائن رددنا عنكم من مدجج — يجيء امام الالف يردي مقنعا
ومثل المشدد قول الشاعر: كأين في المعاشر من اناس — اخوهم فوقهم وهم كرام

واصل كأين اي دخلت عليها كاف التشبيه كما ان اصل كذا ذا دخلت عليها كاف التشبيه وانما غيرت في اللفظ لتغيرها في المعنى لانها نقلت الى معنى كم في التكثير ومن خفف فلكراهية التضعيف كما خفف لا سيما وقرا اهل الكوفة وابن عامر قاتل الباقون قتل من قرا قتل نفى الوهن عمن بقي ومن قرا قاتل نفاه عمن ذكر وقوله ربيون قيل في معناه اقوال احدها قال ابن عباس والحسن علماء فقهاء وقال مجاهد وقتادة جموع كثيرة وقال الاخفش هم منسوبون الى الرب ومعناه المتمسكون بعبادة الله وقال غيره منسوبون الى علم الرب وقال الزجاج الربو عشرة الف وهو المروي عن ابي جعفر (ع) وارتفاعه يحتمل امرين احدهما على مذهب الحسن انه لم يقتل نبي قط في معركة ترتفع بانه لم يسم فاعله في قتل وعلى مذهب ابن اسحق وقتادة والربيع والسدي رفع بالابتداء فقدم عليه الخبر بمعنى قتل ومعه ربيون كثير فعلى هذا يكون النبي المقتول والذين معه لا يهنون وذلك ان يوم احد كان ارجف بان النبي (ص) قتل فبين الله تعالى انه لو قتل لما اوجب ذلك ان تهنوا وتضعفوا كما لم يهن من كان مع الانبياء بقتلهم وهو المروي عن ابي جعفر (ع) والوهن هو الضعف وانما قال فما وهنوا وما ضعفوا من حيث ان الوهن انكسار الجد بالخوف ونحوه والضعف نقصان القوة وقوله وما استكانوا معناه ما اظهروا الضعف وقيل معناه ما خضعوا لانه يسكن لصاحبه ليفعل به ما يريد فلم يهنوا بالخوف ولا ضعفوا بنقصان العدة ولا استكانوا بالخضوع وقال ابن اسحق فما وهنوا بقتل نبيهم ولا ضعفوا عن عدوهم ولا استكانوا لما اصابهم في الجهاد عن دينهم وقال الزجاج معنى ما وهنوا ما فتروا وما ضعفوا وما جبنوا عن قتال عدوهم وما استكانوا ما خضعوا وقال الازهري الاستكانة اصلها من الكينة وهي الحالة السيئة يقال بات بكينة يعني بنية سوء وبجيبة سوء اي بحال سوء وقوله والله يحب الصابرين معناه يريد ثواب من صبر في جنبه في امتثال امره والقيام بواجباته التي من جملتها الجهاد في سبيل الله قوله تعالى وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ آية هذا اخبار عن الربيين الذين ذكرهم في الآية الاولى بانهم كانوا يقولون في اكثر احوالهم ربنا اغفر لنا ذنوبنا لانه من المعلوم انهم قد كانوا يقولون اقوالا غير هذا لكن لما كان هذا هو الاكثر لم يعتد بذلك وقيل معناه وما كان قولهم حين قتل نبيهم الا هذا القول انقطاعا الى الله وطلبا للمغفرة وقوله اغفر لنا ذنوبنا اي استرها علينا بترك عقابنا ومجازاتنا عليها واسرافنا في امرنا فالاسراف هو مجاوزة المقدار الذي يقتضيه الحكمة والاسراف مذموم كما ان الاقتار مذموم كما قال تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط وكما قال والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما والاسراف والافراط بمعنى وضدهما التقصير والتقتير وقيل الاسراف مجاوزة الحق الى الباطل بزيادة او نقصان والاول اظهر واصل الاسراف مجاوزة الحد يقال سرفت القوم اذا جاوزتهم وانت لا تعرف مكانهم وسرفت الشيء اذا نسيته لانك جاوزته الى غيره بالسهو عنه ويقال اصنع من سرفة وهي دويبة صغيرة تنقب الشجر وتبني فيه بيتا ان قيل كيف قوبل الذنوب بالاسراف في الامر قلنا قال الضحاك هو بمنزلة اغفر لنا الصغير والكبير من خطايانا وقولهم نصب بانه خبر كان والاسم ان قالوا وانما اختير ذلك لان ما بعد الايجاب معرفة فهو احق بان يكون الاسم كقول الشاعر

وقد علم الاقوام ما كان داءها — بثهلان الا الخزي ممن يقودها

ويجوز الرفع على انه اسم كان وقد قرئ به في الشواذ ومثله قوله ما كان حجتهم الا ان قالوا وما كان جواب قومه الا ان قالوا وقوله وثبت اقدامنا اي عنا والطف لنا بما نثبت معه اقدامنا وان كان ثبوت القدم من فعل العباد لكن لما كان بلطفه ومعونته جاز نسبته اليه مجازا قوله تعالى

فآتاهم

فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ آية قوله فآتاهم الله يعني من تقدم ذكره من الربيين الذين وصفهم وقال الجبائي يعني به المسلمين الذين صفتهم ما تقدم ذكره اي اعطاهم الله ثواب الدنيا قال قتادة والربيع هو نصرهم على عدوهم حتى ظفروا بهم وقهروهم وثواب الآخرة الجنة وزاد ابن جريج الغنيمة ويجوز ان يكون ما آتاهم الله في الدنيا من الظفر والنصر واخذ الغنيمة ثوابا مستحقا لهم على طاعاتهم لان في ذلك تعظيما لهم وتبجيلا ولذلك يقول ان المدح على افعال الطاعة والتسمية بالاسماء الشريفة بعض الثواب ويجوز ان يكون الله تعالى اعطاهم ذلك تفضلا منه تعالى او لما لهم فيه من اللطف فيكون تسميته بانه ثواب مجازا وحد الثواب هو النفع الخالص المستحق الذي يقارنه تعظيم وتبجيل والعوض هو النفع المستحق الخالي من تعظيم وتبجيل والتفضل هو النفع الذي ليس بمستحق ولا معه تعظيم وتبجيل وانما جاز تأخير الثواب المستحق مع ثبوت الاستحقاق له عقيب الطاعة لامرين احدهما قال ابو علي لانه يوفر عليه ما يفوته في زمان التكليف الى حين الثواب وقال الرماني لانه اذا اخر عظم ما يستحقه بالتأخر على ما كان لو قدم لانه اذا استحق مثلا مائة جزء عاجلا فاذا اخر استحق مائة وعشرة او مائة وجزء وقيل في وجه حسن تأخيره انه لو كان عقيب الطاعة لادى الى ان يكون المكلف ملجأ الى فعل الطاعة لان المنافع الكثيرة تلجئ الى الفعل كما ان دفع المضار العظيمة تلجئ الى مثله وذلك ينافي التكليف وقوله والله يحب المحسنين اي يريد ثوابهم وتعظيمهم وتبجيلهم والفرق بين الاحسان والانعام ان الاحسان قد يكون انعاما بان يكون نفعا للمفعول به وقد يكون احسانا بان يكون فعلا حسنا ومن القسم الاخير يقال هو تعالى محسن بفعل العقاب ولا يقال محسن من القسم الاول ويقال هو محسن بفعل الثواب على الوجهين معا قوله تعالى يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ آيتان بلا خلاف هذا خطاب للمؤمنين حذرهم الله من ان يطيعوا الكفار وبين انهم ان اطاعوهم ردوهم كافرين والمعني بالذين كفروا قيل فيهم قولان احدهما قال الحسن وابن جريج انهم اليهود والنصارى اي ان تستنصحوهم وتقبلوا آراءهم يردوكم خاسرين وقال السدي اراد ان تطيعوا ابا سفيان واصحابه يرجعوكم كافرين والطاعة موافقة الارادة المرغبة في الفعل بالترغيب ينفصل من الاجابة وان كان موافقة الارادة حاصلة وفي الناس من قال الطاعة هي موافقة الامر والاول اصح لان من فعل ما يقتضي العقل وجوبه او حسنه يقال انه مطيع لله وان لم يكن هناك امر على ان من امتثل الامر انما سمي مطيعا لموافقة الارادة المرغبة من حيث ان الامر لا يكون امرا الا بارادة المأمور به والطاعة يكون بمتابعة الواجب والندب معا لان الارادة تتناولهما وقوله ان تطيعوا جزم بانه شرط وقوله يردوكم جزم بانه جواب الشرط وقوله فتنقلبوا جزم بالعطف عليه وقوله خاسرين نصب على الحال وقوله بل الله تحقيقه بل الاضراب عن الاول الى الثاني سواء كانا موجبين او نفيين او احدهما موجبا والآخر نفيا تقول جاء زيد بل عمرو وما جاء زيد بل عمرو لم يجئ وما اتى زيد بل خالد فان قيل كيف عطف ببل وهي لا تشرك الثاني مع الاول في المعنى قلنا لان الاضراب عن الاول كالبدل ولذلك وجب العطف بالاشتراك في الاعراب كما يجب في البدل غير ان البدل لم يحتج الى حرف لان الثاني هو الاول او في تقدير ما هو كالاول ولكن للاستدراك ايضا وهو يقتضي نفيا اما متقدما او متأخرا كقولك ما جاءني زيد لكن عمرو وجاء زيد لكن عمرو لم يأت وبهذا فارقت بل وقوله بل الله كان يجوز النصب في الله قال الفراء على معنى اطيعوا الله مولاكم لانه قبله ان تطيعوا ثم اضرب عن الاول واوجب الثاني بل اطيعوا الله مولاكم والرفع يحتمل ان يكون على الابتداء ومولاكم خبره ويحتمل ان يكون مولاكم مبتدأ والله خبره وقد تقدم عليه ومعنى مولاكم اي هو اولى بطاعتكم ونصرتكم وقيل معناه وليكم بالنصرة بدلالة قوله وهو خير الناصرين والاصل فيه ولي الشيء الشيء من غير فصل بينه وبينه فالولاية ابلاء النصرة ويجوز ان يتولى فعل النصرة وان لم يكلها الى غيره لان من فعل شيئا فقد

تولى

تولى فعله فان قيل كيف قال وهو خير الناصرين مع انه لا يعتد بنصر غير الله مع نصرته قيل معناه انه
ان اعتد بنصرة غير الله فنصرة الله خير منها لانه لا يجوز ان يغلبه غيره يجوز ان يغلب وان نصرنا لثقة
بنصرة الله تحصل ولا تحصل بنصرة غيره قوله تعالى سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا
بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ آية بلا خلاف ذكر
ابن اسحق انه لما قال المسلمين ما نالهم يوم احد بمخالفة الرماة امر نبيهم صلى الله عليه وسلم وكان من ظهور المشركين
عليهم ما كان عرفهم الله عز وجل الحال في ذلك ثم وعدهم بالنصر لهم والخذلان لاعدائهم بالرعب
وذكر السدي ان ابا سفيان واصحابه همّوا بالرجوع بعد احد لاستيصال المسلمين عند انفسهم فالقى
الله الرعب في قلوبهم حتى انقلبوا خائبين عقوبة على شركهم بالله ما لم ينزل به سلطانا يعني برهانا
فالسلطان معناه ههنا الحجة والبرهان واصله القوة فسلطان الملك قوته والسلطان البرهان
لقوته على دفع الباطل والسلطان التوكيل على المطالبة بالحق لانه تقوية عليه والتسليط على الشيء التقوية
عليه مع الاغراء به والسلاطة حدة اللسان مع شدة الصخب للقوة على ذلك مع اثبات فعله والسليط
الزيت لقوة اشتعاله بجلته والالقاء حقيقته في الاعيان كقوله والقى الالواح واستعمل في الرعب مجازا
ومثل قوله والقيت عليك محبة مني وقوله ومأواهم النار اي مستقرهم وفي الاية دلالة على فساد
التقليد لانه لا برهان مع صاحبه على صحة مذهبه فكل من قال بمذهب لا برهان عليه فمبطل بدلالة الاية
وقوله وبئس مثوى الظالمين فالمثوى المنزل واصله الثوآء وهو طول الاقامة ثوى يثوى ثواء اذا
طال مقامه واثواني فلان مثوى اي انزلني منزلا ورب البيت ام مثواه والمثوى الضيف لانه مقيم مع
القوم وانما قيل لجهنم بئس مثوى الظالمين وبئس للذم كما ان نعم للحمد لامرين احدهما ان الضرر تنفر
منه النفس كما ينفر العقل من القبح فجرى التشبيه على وجه المجاز هذا قول ابي علي وقال البلخي لان الذم
يجري على النقص كما يجري على القبح حقيقة فيهما نحو قولهم الاخلاق المحمودة والاخلاق المذمومة وروي
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال نصرت بالرعب مسيرة شهر وقد رعبته رعبا اي افزعته والاسم الرعب ورعبت
الاناء اذا ملأته فهو مرعوب قوله تعالى وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى
إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَ
مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى
الْمُؤْمِنِينَ آية ذكر ابن عباس والبراء بن عازب والحسن وقتادة والسدي والربيع وابن اسحق ان الوعد
المذكور في الاية كان يوم احد لان المسلمين كانوا يقتلون المشركين قتلا ذريعا حتى اخل الرماة بمكانهم الذي
امرهم النبي صلى الله عليه وسلم بملازمته فحينئذ حمل خالد بن الوليد من وراء المسلمين وتراجع المشركون وقتل من المسلمين
سبعون رجلا ثم هزموا وقد نادى مناد قتل محمد ثم من الله على المسلمين فرجعوا وقويت نفوسهم ونزل
الخذلان بعدوهم حتى ولوا عنهم ومعنى تحسونهم تقتلونهم والحس هو القتل على وجه الاستيصال قال جرير

تحسهم السيوف كما تسامى ... حريق النار في الاجم الحصيد

واصله الاحساس ومنه قوله هل تحس منهم من احد وقوله فلما احس عيسى منهم الكفر اي وجد من جهة
الحاسة وحسه يحسه اذا قتله لانه ابطل حسه بالقتل والتحسس طلب الاخبار وفي التنزيل يا بني اذهبوا
فتحسسوا من يوسف واخيه وذلك لانه طلب لها بحاسة السمع والمحسة التي ينفض بها التراب عن الدابة
لانه يحس بها من جهة حكها لجلده وقوله باذنه معناه بعلمه ويجوز ان يكون المراد بلطفه لان اصل الاذن
الاطلاق في الفعل فاللطف تيسير له كما ان الاذن كذلك الا ان اللطف تدبير يقع معه الفعل لا محالة اختيارا
كما يقع في اصل الاذن اختيارا قال ابو علي قوله اذ تحسونهم يعني يوم بدر حتى اذا فشلتم يوم احد من بعد
ما اريكم ما تحبون يوم بدر والاولى ان يكون هذا حكاية عن يوم احد على ما بيناه وقوله حتى اذا فشلتم
معناه جبنتم عن عدوكم وكعتم وتنازعتم في الامر يعني اختلفتم من بعد ما اريكم ما تحبون معناه انهم

اعطوا النصر فخالفوا فيما قيل لهم من لزوم فم الشعب واختلفوا فعوقبوا بان ديل عليهم في قول
الحسن وقوله منكم من يريد الدنيا اي منكم من قصده الغنيمة في حربكم ومنكم من يريد الاخرة اي
بثبوته في موضعه بقصده بجهاده الى ما عند الله في قول ابن مسعود وابن عباس والربيع فان قيل
اين جواب حتى اذا قلنا فيه قولان احدهما انه محذوف وتقديره امتحنتم والاخر على زيادة الواو والتقدير
والله خير وتقديره حتى اذا تنازعتم في الامر فشلتم في قول الفراء كما قال فلما اسلما وتله للجبين و
ناديناه ان يا ابرهيم ومعناه ناديناه والواو زائدة ومثله حتى اذا فتحت ياجوج وماجوج واقترب و
معناه اقترب ومثله قوله حتى اذا جاؤها وفتحت وانشد حتى اذا قملت بطونكم ورأيتم ابناكم شبوا و
قلبتم ظهر المجن لنا ان اللئيم العاجز الخب والبصريون لا يجيزون زيادة الواو ويتاولون جميع ما
استشهد به على الحذف لانه ابلغ في الكلام واحسن من جهة الايجاز وقوله ثم صرفكم عنهم قيل في اضافة
انصرافهم الى الله مع انه معصية قولان احدهما انهم كانوا فريقين منهم من عصى بانصرافه ومنهم
من لم يعص لانهم قلوا بعد انهزام تلك الفرقة فانصرفوا باذن الله بان التجأوا الى احد لان الله انما
اوجب ثبات المائة للمأتين فاذا نقصوا لا يجب عليهم ذلك وجاز ان يذكر الفريقان في الجملة بانه صرفهم
وبانه عفا عنهم ويكون على ما بيناه في التفصيل هذا قول ابي علي وقال البلخي ثم صرفكم عنهم معناه
لم يأمركم بمعاودتهم من فورهم ليبتليكم بالمظاهرة في الانعام عليكم والتخفيف عنكم وقوله ولقد
عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين اذ تصعدون فاذ تصعدون متعلق بقوله ولقد عفا في
قول الزجاج وقال الجبائي قوله ولقد عفا عنكم خاص لمن لم يعص بانصرافه والاولى ان يكون عاما
في جميعهم لانه لا يمتنع ان يكون الله عفا لهم عن هذه المعصية وقال البلخي معناه ولقد عفا عنكم بتبعهم
بعد ان كان امرهم بالتتبع لهم فلما بلغوا حمراء الاسد عفاهم من ذلك ولا يجوز ان يكون صرفهم
فعل الله لانه قبيح والله تعالى لا يفعل القبيح قوله تعالى إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ
يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا
تَعْمَلُونَ آية التقدير اذكروا اذ تصعدون ويجوز ان يكون متعلقا بقوله ولقد عفا عنكم اذ تصعدون
والقراء كلهم على ضم التاء من الاصعاد وقرأ الحسن بفتح التاء والعين من الصعود وقيل الاصعاد
في مستوى الارض والصعود في ارتفاع يقال اصعدنا من مكة اذا ابتدأنا السفر منها وكذلك اصعدنا
من الكوفة الى خراسان على قول الفراء والمبرد والزجاج ووجه ذلك ان الاصعاد ابعاد في الارض كالابعاد
في الارتفاع وعلى ذلك تاويل تصعدون اي اصعدوا في الوادي يوم احد عن قتادة والربيع وقال ابن
عباس والحسن انهم صعدوا في احد في الجبل فرارا فيجوز ان يكون ذلك بعد ان اصعدوا في الوادي وقوله
ولا تلوون على احد معناه لا تعرجون على احد وقوله والرسول يدعوكم في اخراكم قال ابن عباس
والسدي والربيع ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يدعوهم فيقول ارجعوا الي عباد الله ارجعوا انا رسول الله وقوله
فاثابكم غما بغم في معناه قولان احدهما انه انما قيل في الغم ثواب لان اصله ما يرجع من الجزاء
على الفعل طاعة كان او معصية ثم كثر في جزاء الطاعة كما قال الشاعر

واراني طربا في اثرهم ... طرب الواله او كالمختبل

فعلى هذا يكون الغم عقوبة لهم على فعلهم وهزيمتهم والثاني ان يكون وضع الشيء مكان غيره كما قال
فبشرهم بعذاب اليم اي ضعه موضع البشارة كما قال الشاعر

اخاف زيادا ان يكون عطاؤه ... اداهم سودا او محدرجة سمرا

اراد بقوله سودا قيودا وقيل في معنى قوله غما بغم قولان احدهما غما على غم كما يقال نزلت ببني فلان
وعلى بني فلان وقال قتادة والربيع الغم الاول القتل والجراح والثاني الارجاف بقتل محمد صلى الله عليه وسلم والقول
الثاني غما بغم اي مع غم كما يقال ما زلت بزيد حتى فعل اي مع زيد وقال الحسن غما يوم احد بعد غم

يوم بدر اى كلّه للاستصلاح وان اختلفا للحال و قال الحسين بن علي المغربي معنى غمّا بغمّ يعني غمّ المشركين بما ظهر من قوّة المسلمين على طلبهم على حمراء الاسد فجعل هذا الغمّ عوض غمّ المسلمين بما نيل منهم و قوله لكيلا تحزنوا على ما فاتكم معناه ما فاتكم من الغنيمة ولا ما اصابكم من الهزيمة في قول ابن زيد واللّام في قوله لكيلا تحزنوا على ما فاتكم يحتمل ان يكون متعلّقا بقوله عفا عنكم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ويحتمل ان يتعلّق باثابكم غمّا بغمّ لكيلا تحزنوا على ما فاتكم من الغنيمة ولا ما اصابكم من الشدّة في طاعة الله لانّ ذلك يؤدّيكم الى مضاعفة الغمّ عليكم و قوله والله خبير بما تعملون فيه تحذير بانّه لا يخفى عليه شئ من اعمال العباد قوله تعالى ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُعَاساً يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلّٰهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ اية بلا خلاف قرا حمزة والكسائي تغشى بالتّاء الباقون بالياء فمن قرا بالتّذكير اراد النّعاس و من انّث اراد الامنة ومثله الم يك نطفة من منيّ يمنى وانّ شجرة الزّقّوم طعام الاثيم كالمهل يغلي بالتّاء والياء وقرا ابو عمرو وحده انّ الامر كلّه بالرّفع الباقون بالنّصب وجه الرّفع انّه على الابتداء كما قال وكلّ اتوه داخرين ويكون لله خبره لانّه لمّا وقع الامر في الجواب اديّت صورته في الاسم ثمّ جاءت الفائدة في الخبر ولانّه نقيض بعض فكما يجوز الرّفع في بعض يجوز في كلّ نحو انّ الامر بعضه لزيد والنّصب على انّه تاكيد للامر وامنة منصوب لانّه مفعول به ونعاسا بدل لامنة والنّعاس هو الامنة وهذه الامنة التّي ذكرها الله في هذه الاية نزلت يوم احد في قول عبد الرّحمن بن عوف وابي طلحة والزّبير بن العوّام و قتادة والرّبيع وكان السّبب في ذلك توعّد المشركين لهم بالرّجوع فكانوا تحت الحجف متهيّئين للقتال فانزل الله تعالى الامنة على المؤمنين فناموا دون المنافقين الّذين ازعجهم الخوف بان يرجع الكفّار عليهم او يغيروا على المدينة لسوء الظّنّ فطيّر عنهم النّوم على ما ذكره ابن اسحق وابن زيد وقتادة والرّبيع و قوله يغشى طائفة منكم يعني النّعاس يغشى المؤمنين وطائفة قد اهمّتهم القرّاء على الرّفع والواو واو الحال كانّه قال يغشى النّعاس طائفة في حال ما اهمّت طائفة منهم انفسهم ورفعه بالابتداء والخبر يظنّون و يصلح ان يكون الخبر قد اهمّتهم انفسهم والجملة في موضع الحال ولا يجوز النّصب على ان يجعل واو العطف كما يقول ضربت زيدا وعمرا كلّمته والتّقدير واهمّت طائفة اهمّتهم انفسهم و قوله يقولون هل لنا من الامر من شئ قيل في معناه قولان احدهما قال الحسن اخرجنا كرها ولو كان الامر الينا ما خرجنا وذلك من قيل عبد الله بن ابيّ بن سلول ومعتب بن قشير على قول الزّبير بن العوّام وابن جريج والاخر اى ليس لنا من الظّفر شئ كما وعدنا على وجه التّكذيب بذلك يخفون في انفسهم ما لا يبدون لك اى من الشّكّ والنّفاق وتكذيب الوعد بالاستعلاء على اهل الشّرك ذكره الجبائي و قوله وليبتلي الله ما في صدوركم يحتمل امرين احدهما ليعاملكم معاملة المبتلي المختبر لكم مظاهرة في العدل عليكم واخرج مخرج كلام المختبر لهذه العلّة لانّه تعالى عالم بالاشياء قبل كونها فلا يبتلي ليستفيد علما والثّاني ليبتلي اولياء الله ما في صدوركم الّا انّه اضيف الابتلاء الى الله عزّ وجلّ تفخيما لشانه و قوله قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الّذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم يحتمل امرين احدهما لو تخلّفتم لخرج منكم الّذين كتب عليهم القتل ولم يكن لينجيهم قعودكم عن ابي علي الثّاني لو تخلّفتم لخرج المؤمنون ولم يتخلّفوا بتخلّفكم ذكره البلخي و لا يوجب ذلك ان يكونوا المشركون غير قادرين على ترك القتال من حيث علم الله منهم ذلك وكتبه لانّه كما علم انّهم لا يختارون ذلك بسوء اختيارهم علم انّهم قادرون ولو وجب ذلك لوجب ان لا يكون تعالى قادرا على ما علم انّه لا يفعله وذلك كفر بالله قوله تعالى إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى

الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ اية روى عن عمر بن الخطّاب وقتادة والرّبيع انّ المعنيّ بالتّولّي في هذه الاية هم الّذين ولّوا الدّبر عن المشركين باحد و قال السّدّي هم الّذين هربوا الى المدينة في وقت الهزيمة و قوله انّما استزلّهم الشّيطان ببعض ما كسبوا قيل في الكسب الّذي اداهم الى الفرار الّذي قرفوا قولان احدهما محبّتهم للغنيمة مع حرصهم على تبقية الحيوة وفي ذلك الوجه عمّا يؤدّي الى الفتور فيما يلزم من الامور على قول الجبائي والثّاني ذكره الزّجّاج استزلّهم بذكر خطايا سلفت لهم فكرهوا القتل قبل اخلاص التّوبة منها والخروج من المظلمة فيها و قوله ولقد عفا الله عنهم يحتمل امرين احدهما قال ابن جريج وابن زيد حلم عنهم اذ لم يعاجلهم بالعقوبة به ليدلّ على عظم تلك المعصية والاخر عفا لهم تلك الخطيئة لتدلّ على انّهم قد اخلصوا التّوبة و قوله انّ الله غفور حليم فحلمه تعالى عنهم هو امهالهم بطول المدّة بترك الانتقام مع ما فعل بهم من ضروب الانعام واصل الحلم الاناة وهي ترك العجلة فالامهال بفعل النّعمة بدلا من النّقمة كالاناة بترك العجلة ومنه الحلم في النّوم لانّ حال السّكون و الدّعة كحال الاناة ومنه الحلمة راس الثّدي لخروج اللّبن الّذي يحلم الصّبي وذكر البلخي انّ الّذين بقوا مع النّبيّ ص يوم احد فلم ينهزموا ثلثة عشر رجلا خمسة من المهاجرين علي ع وابو بكر وطلحة و عبد الرّحمن بن عوف وسعد بن ابي وقّاص والباقون من الانصار فعلي وطلحة لا خلاف فيهما والباقون فيهم خلاف واما عمر فروي عنه انّه قال رايتني اصعد في الجبل كانّي اروى وعثمان انهزم فلم يرجع الّا بعد ثلث فقال له النّبيّ ص لقد ذهبت فيها عريضة وفي الاية دليل على فساد قول المجبرة من انّ المعاصي من الله لانّه نسب ذلك في الاية الى استزلال الشّيطان قوله تعالى يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ اية هذا خطاب متوجّه الى المؤمنين الّذين نهاهم الله ان يكونوا مثل الّذين كفروا وقالوا لاخوانهم وهم عبد الله بن ابيّ بن سلول واصحابه في قول السّدّي ومجاهد اذا ضربوا في الارض اى سافروا فيها لتجارة او طلب معيشة في قول ابن اسحق والسّدّي فاصله الضّرب باليد وقيل الاصل في الضّرب في الارض الايغال في السّير او كانوا غزّى جمع غاز كما قالوا شاهد وشهّد وقائل وقوّل قال رؤبة

فاليوم قد نهنهني تنهنهي ... واوّل حلم ليس بالمسفّه ... وقوّل الّا ده فلا ده

ويجوز فيه غزاة كقاض وقضاة وغزّاء ممدود كضارب وضرّاب وكاتب وكتّاب ويجوز قالوا لاخوانهم اذا ضربوا في الارض ولا يجوز اكرمتك اذا زرتني على ان توقع اذا موضع اذ لامرين احدهما لانّه متّصل بلا تكونوا كهؤلاء اذا ضرب اخوانكم في الارض الثّاني لانّ الّذي اذا كان مبهما غير موقّت يجري مجرى ما في الجزاء فيقع الماضي فيه موقع المستقبل نحو انّ الّذين كفروا ويصدّون عن سبيل الله معناه يكفرون ويصدّون ومثله الّا من تاب وليس معناه الّا من يتوب ومثله كثير ويجوز لا اكرم الّذي اكرمك اذا زرته لابهام الّذي ولا يجوز لا اكرم هذا الّذي اكرمك اذا زرته لتوقيت الّذي من اجل الاشارة اليه بهذا ولانّه دخله معنى كلّما ضربوا في الارض فلا يصلح على هذا المعنى الّا اذا دون اذ

قال الشّاعر ... وانّي لاتيكم تشكّر ما مضى ... من الامر واستيجاب ما كان في غد

اى ما يكون في غد وهذا قول الفرّاء واللّام في قوله ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم متعلّقة بلا تكونوا كهؤلاء الكفّار في هذا القول منهم ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم دونكم والثّاني قالوا ذلك ليجعله حسرة على لام العاقبة وهذا قول ابي علي والحسرة عليهم في ذلك من وجهين احدهما الخيبة فيما املوا من الموافقة لهم من المؤمنين فلمّا لم يقبلوا منهم كان ذلك حسرة في قلوبهم والاخر ما فاتهم من عزّ الظّفر والغنيمة و قوله والله يحيي ويميت معناه ههنا الاحتجاج على من خالف امر الله في الجهاد طلبا للحيوة

وهربا من الموت لان الله تعالى اذا كان هو الذى يحيى ويميت لم ينفع الهرب من امره بذل للخوف الموت و
طلب الحيوة والله بما يعملون بصير اى مبصر ويحتمل ان يكون بمعنى عليم وفيه تهديد لان معناه ان الله يجازى
كلا منهم بعمله ان خيرا فخيرا وان شرا فشرا قوله تعالى وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِى سَبِيلِ اللّٰهِ اَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ
اللّٰهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ اية ان قيل كيف قال لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون مع تفاوت
ما بينهما الا ترى انه لا يحسن ان يقول الانسان للدرة خير من البعرة قيل انما جاز ذلك لان الناس يؤثرون
حال الدنيا على الاخرة حتى انهم متركون الجهاد فى سبيل الله محبة للدنيا والاستكثار منها وما جمعوا فيها
فان قيل اين جواب الجزاء بان قيل استغنى عنه بجواب القسم فى قوله لمغفرة من الله ورحمة خير وقد
اجتمع شيئان كل واحد منهما يحتاج الى جواب فكان جواب القسم اولى بالذكر لان له صدر الكلام
مما يذكر فى حشوه فان قيل لم شرط لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون وهو خير كيف تصرفت الحال
قلنا لانه لا يكون لمغفرة بالتعرض للقتل فى سبيل الله خيرا من غير ان يقع التعرض لذلك لاستحالة
استحقاقها بما لم يكن منه لانه لم يفعل فان قيل لم جاز جواب القسم مع الماضى فى الجزاء دون المستقبل
فى نحو قولهم لئن قتلتم لمغفرة خير قلنا لان حرف الجزاء اذا لم يعمل فى الجواب لم يحسن ان يعمل فى الشرط
لان الغاه من احدهما يوجب الغاه من الاخر كما ان اعماله فى احدهما يوجب اعماله فى الاخرة لئلا يتنافى
الكلام بالتفاوت ان قيل لم اعملت ان ولم تعمل لو وكل واحدة منهما تعقد الفعل بالجواب قلنا لان ان تنقل
الفعل نقلين فى الاستقبال فى الجزاء وليس كذلك لو لانها للماضى ان قيل كيف وجب بالتعرض للقتل
المغفرة وانما يجب بالتوبة قلنا لانه يجب به تكفير الصغيرة مع انه لطف فى التوبة من الكبيرة ومعنى الاية
ان المنافقين كانوا يثبطون المؤمنين عن الجهاد على ما تقدم شرحه فى هذه السورة فبين الله تعالى لو انكم
ان قتلتم او متم من غير ان تقتلوا المغفرة من الله ورحمته لو نهما خير مما يجمعون من حطام الدنيا والبقاء
فيها وانتفاعكم فى هذه الدنيا لان جميع ذلك الى زوال قوله تعالى وَلَئِنْ مُتُّمْ اَوْ قُتِلْتُمْ لَاِلَى اللّٰهِ
تُحْشَرُونَ اية اللام فى قوله ولئن متم او قتلتم يحتمل امرين احدهما ان يكون خلفا من القسم ويكون اللام
فى قوله لالى الله جوابا كقولك والله ان متم او قتلتم لتحشرون الى الله والثانى ان يكون مؤكدة
لما بعدها كما تؤكد ان ما بعدها ويكون الثانية جوابا للقسم محذوف والنون مع لام القسم فى فعل
المضارع لا بد فيها لان القسم احق بالتاكيد من كلما تدخله النون من جهة ان ذكر القسم دليل انه من
مواضع التاكيد فاذا جازت فى غيره من الامر والنهى والاستفهام والعرض والجزاء مع ما ذكر كان فى
القسم قد انبا انه من مواضع التاكيد لزمت فيه لانه احق بها من غيره والفرق بين لام القسم ولام الابتداء
ان لام الابتداء تصرف الاسم اليه فلا يعمل فيه ما قبلها نحو قد علمت لزيد خير منك وقد علمت
بان زيدا ليقدم وليس كذلك لام القسم لانها لا تدخل على الاسم ولا تكسر لها لام ان نحو قد علمت
ان زيدا ليقومن ويلزمها النون فى المستقبل والفرق بين او وام ان ام استفهام وفيها معادلة الالف
نحو ازيد فى الدار ام عمرو وليس ذلك فى او ولهذا اختلف الجواب فيهما فكان فى ام بالتعيين وفى او بنعم او لا ومعنى
الاية الحث على الجهاد وترك التقاعد ويقال ان الله يحشر العباد ليجزى كل واحد على ما يستحقه المحسن على احسانه
والمسيئ على اسائته سواء قتل او مات كيف تصرفت به الحال قوله تعالى فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللّٰهِ لِنْتَ لَهُمْ
وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى
الْاَمْرِ فَاِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّٰهِ اِنَّ اللّٰهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ اية قوله فبما رحمة من الله معناه فبرحمة
وما زائدة باجماع المفسرين ذهب اليه قتادة والزجاج والفراء وجميع اهل التاويل ومثله قوله عما قليل
ليصبحن نادمين فجائت ما مؤكدة للكلام وسبيل دخولها لحسن النظم كدخولها لاتزان الشعر وكل ذلك للتاكيد
ليتمكن المعنى فى النفس فجرى مجرى التكرير قال الحسن بن على المغربى عندى ان معنى ما اى وتقديره فباى
رحمة من الله وهذا ضعيف ورحمة مجرورة بالباء ولو رفعت كان جائزا على تقدير فبما هو رحمة والمعنى ان

لينك لهم مما يوجب دخولهم فى الدين لانك تاتيهم بالحجج والبراهين مع لين خلق ولو كنت فظا غليظ القلب
لانفضوا من حولك فالفظ الجافى والغليظ القلب القاسى يقال فيه فظظت تفظ فظاظة فانت فظ وهو
على وزن فعل الا انه ادغم كصب واصل الفضاضة الجفوة ومنه الفظاظة ومنه الفظاظ خشونة الكلام
والافتظاظ شرب ماء الكرش لجفائه على الطباع وقوله فظا غليظ القلب انما جمع بين الصفتين مع اتفاقهما
فى المعنى لازالة التوهم ان الفاظة فى الكلام دون ما ينطوى عليه القلب من الحال وهو وجه من وجوه
التاكيد اذ يكون لازالة الغلط فى التاويل ولتمكين المعنى فى النفس بالتكرير وما يقوم مقامه وقوله و
شاورهم فى الامر امر من الله تعالى لنبيه ان يشاور اصحابه يقال شاورت الرجل مشاورة وشوارا او ما يكون
عن ذلك اسمه المشورة وبعضهم يقول المشورة وفلان حسن الشورة والصورة اى حسن الهيئة واللباس
وانه لشير صير وحسن الشارة والشوار متاع البيت ومعنى شاورت فلانا اى اظهرت ما عندى فى الراى
وما عنده وشرت الدابة اشورها اذا امتحنتها فعرفت هيئتها فى سيرها وقيل فى وجه مشاورة النبى صلعم
اياهم مع استغنائه بالوحى عن تعرف صواب الراى من العباد ثلثة اقوال احدها قال قتاده والربيع وابن
اسحق ان ذلك على وجه التطييب لنفوسهم والتالف لهم والرفع من اقدارهم اذ كانوا ممن يوثق بقوله و
يرجع الى رايه والثانى قال سفيان بن عيينه وجه ذلك ليقتدى به امته فى المشاورة ولا يرونها منزلة
نقيصة كما مدحوا بان امرهم شورى بينهم الثالث قال الحسن والضحاك انه للامرين للاجلال الصحابة واقتداء
الامة به فى ذلك واجاز ابو على الجبائى ان يستعين برايهم فى بعض امور الدنيا وقال قوم وجه ذلك ان
يمتحنهم فيتميز الناصح فى مشورته من الغاش النيه وقوله فاذا عزمت فتوكل على الله فالتوكل على الله
هو تفويض الامر اليه للثقة بحسن تدبيره واصله الاتكال وهو الاكتفاء فى فعل ما يحتاج اليه بمن يسند اليه
ومنه الوكالة لانها عقد على الكفاية بالنيابة والوكيل هو المتكل عليه بتفويض الامر اليه ان الله
يحب المتوكلين معناه يريد ثوابهم على توكلهم واسنادهم امورهم الى الله تعالى قوله تعالى اِنْ يَنْصُرْ
كُمُ اللّٰهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِى يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللّٰهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ
اية بلا خلاف معنى هذه الاية الترغيب فى طاعة الله التى يستحق بها النصرة والتحذير من معصيته التى
يستحق بها خذلانه مع ايجاب التوكل عليه الذى يؤمن معه ان يكلهم الى انفسهم فيهلكوا ولانه اذا نصره الله
فلا احد يقدر على مغالبته واذا خذله فلا احد يقدر على نصرته بعده ومن فى قوله فمن ذا الذى ينصركم من بعده
معناها التقرير بالنفى فى صورة الاستفهام اى لا ينصركم احد من بعده كما يقول من يعدل لك ان فعل الامام
وانما تضمن حرف الاستفهام مع النفى لان جوابه يجب ان يكون بالنفى فصار ذكره يغنى عن ذكر جوابه وكان
ابلغ لتقرير المخاطب فيه قال ابو على الجبائى وفى الاية دليل على ان من غلبه اعداء الله من الباغين لم ينصره
الله لانه لو نصرهم لما غلبوه وذلك بحسب ما فى المعلوم من مصالح العباد مع تعريض المؤمنين لمنازل الابرار
بالصبر على الجهاد مع خوف القتل من حيث لم يجعل على امان من غلبة الفجار وهذا انما هو فى النصر بالغلبة
فاما النصر بالحجة فان الله تعالى ينصر المؤمنين من حيث هداهم الى طريق الحق بما نصب لهم من الادلة الواضحة
والبراهين النيرة ولولا ذلك لما حسن التكليف قال البلخى المؤمنون منصورون ابدا ان غلبوا فهم المنصورون
بالغلبة وان غلبوا فهم المنصورون بالحجة قال الجبائى والنصر بالغلبة ثواب لانه لا يجوز ان ينصر الله الظالمين
من حيث لا يريد استعلاهم بالظلم على غيرهم وقال ابن الاخشاد ليس بثواب كيف تصرفت الحال لان الله قد امرنا
ان ننصر الفئة المبغى عليها وقال البلخى لا يجوز ان ينصر الله الكافر على وجه فاما الخذلان فعقاب بلا خلاف
والخذلان هو الامتناع من المعونة على العدو فى وقت الحاجة اليها لانه لو امتنع انسان من معونة بعض الملوك
على عدوه مع استغنائه عنها لم يكن خاذلا وكذلك سبيل المؤمن المغلوب فى بعض الحروب ليس يحتاج الى المعونة
مع الاستغناء بها بدلا من الاستصلاح فلذلك لم يكن ما وقع به على جهة الخذلان قوله تعالى وَمَا
كَانَ لِنَبِيٍّ اَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغْلُلْ يَاْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ ثُمَّ تُوَفّٰى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ

قرا ابن كثير وابن عمرو وعاصم يغلّ بفتح الياء وضمّ الغين الباقون بضمّ الياء وفتح الغين فمن قرا بفتح
الياء وضمّ الغين فمعناه ماكان لنبيّ ان يخون يقال من الغنيمة غلّ يغلّ اذا خان فيها ومن الخيانة اغلّ يُغلّ
قال النمر بن تولب جزا الله عنّا جمرة ابنة نوفل جزاء مُغِلّ بالامانة كاذب

بما سألت عنّي الوشاة ليكذبوا — عليّ وقد اوليتها في النوائب

الخيانة غلّ يغِلّ ومن قرا بضمّ الياء وفتح الغين اراد وماكان لنبيّ ان يخوّن اي ينسب اليه الخيانة
ويحتمل ان يكون اراد ماكان لنبيّ ان يخان بمعنى يسرق منه ويكون تخصيص النبيّ بذلك تعظيما للذنب
قال ابو علي الفارسي لا يكاد يقال ماكان لزيد ان يُضرب فهذه حجّة من قرا بفتح الياء وقال ابن عبّاس
وسعيد بن جبير سبب نزول هذه الاية ان قطيفة حمرا افقدت يوم بدر من المغنم فقال بعضهم لعلّ النبيّ صم
اخذها وقال الضّحاك انما لم يقسم للطلايع من المغنم فعرّفه الله الحكم وروى عن الحسن انّه قال معنى
يُغَلّ يخان وقال بعضهم هذا غلط لانّه لا يجوز ان يخان احد نبيّا كان او غيره فلا معنى للاختصاص
وهذا الطعن ليس بشيء لانّ وجه اختصاصه بالذكر لعظم خيانته على خيانة غيره كما قال اجتنبوا الرجس من الاوثان
وان وجب اجتناب جميع الانجاس وقد يجوز ان يخصّ النبيّ بالذكر لانّه القائم بامر الغنايم فيكون بمنزلة ماكان
لاحد ان يغلّ واصل الغلول هو الغلل وهو دخول الماء في خلل الشجر تقول انغلّ الماء في اصول الشجر
ينغلّ انغلالا فالغلول الخيانة لانها تجري في الملك على خفى من غير الوجه الّذي يحلّ كالغلل وانّما خصّت
الخيانة بالصفة دون السرقة لانّه يجري اليها بسهولة لانّها مع عقد الامانة ومنه الغِلّ الحقد لانّ العداوة
يجري به في النفس كالغلل ومنه الغلّ ومنه الغليل حرارة العطش والغلّة لانها تجري في الملك من جهات مختلفة
والغِلالة لانّها شعار تحت البدن والغلالة مسمار الدرع وقوله ومن يغلل يات بما غلّ يوم القيمة قيل
في معناه قولان احدهما ياتي به حاملا له على ظهره كما روى عن النبيّ صم انه كان اذا غنم مغنما بعث مناديا
الا لا يغلّنّ احد مخيطا فما دونه الا لا يغلّنّ احد بعيرا فياتي به على ظهره له رغاء الا لا يغلّنّ احد فرسا فياتي
به يوم القيمة على ظهره له حمحمة في قول ابن عبّاس وابي هريرة وابي حميد الساعدي وعبد الله بن انيس و
ابن عمر وقتادة وذلك ليفتضح به على رؤس الاشهاد قال البلخي يجوز ان يكون ما تضمّنه الخبر على وجه المثل
كان الله تعـ اذا فضحه يوم القيمة جرى ذلك مجرى ان يكون حاملا له وله صوت الثاني ياتي به يوم القيمة
لانّه لم يكفر عنه كما تكفّر الصغاير فهو يعاقب عليه وفي الاية دلالة على فساد قول المجبرة انّ الله تعالى
لو عذب الانبياء والمؤمنين لم يكن ظلما لهم لانّه قد بيّن انّه لو لم يوفّها ما كسبت لكان ظلما لها قوله تعـ
أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللّٰهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللّٰهِ وَمَأْوٰهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ اية بلا خلاف
قيل في معنى الاية ثلثة اقوال احدها قال الحسن والضّحاك معناها افمن اتّبع رضوان الله في ترك الغلول كمن باء
بسخط من الله في فعل الغلول وهو اختيار الطبري قال لانّه اشبه بما تقدّم الثاني قال ابن اسحق افمن اتّبع رضوان
الله في العمل بطاعته على ما كره الناس كمن باء بسخط من الله في العمل بمعصيته على ما احبّوا الثالث قال الزجّاج
وابو علي افمن اتّبع رضوان الله بالجهاد في سبيله كمن باء بسخط من الله بالفرار منه رغبة عنه وسبب نزولها
انّ النبيّ صم لمّا امر بالخروج الى احد قعد عنه جماعة من المنافقين فانزل الله فيهم هذه الاية ورضوان الله
بكسر الراء وضمّها لغتان وقرأ بالضمّ حفص عن عاصم على ما حكيناه عنه فالضمّ على وزن الكفران والكسر
على وزن حسبان وباء معناه رجع يقول باء بذنبه يبوء بوءًا اذا رجع به وبوّأته منزلا اي هيّأته لانّه يرجع اليه لانّه
مأواه والبواء قتل الجاني بمن قتله والسخط من الله هو ارادة العقاب بمستحقّه ولعنه وهو مخالف للغيظ لانّ
الغيظ هو هيجان الطبع وانزعاج النفس ولا يجوز اطلاقه على الله تعـ والمصير هو المرجع والفرق بينهما انّ
المرجع هو انقلاب الشيء الى حال قد كان عليها والمصير انقلاب الشيء الى خلاف الحال التي هو عليها نحو مصير
الطين خزفا ولم يرجع خزفا لانّه لم يكن قبل ذلك خزفا فامّا مرجع الفضّة خاتما فصحيح لانّه قد كان قبل خاتما وامّا
مرجع العباد الى الله فلانّهم ينقلبون الى حال لا يملكون فيها لانفسهم شيئا كما كانوا قبل ما ملكوا قوله

تعالى هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللّٰهِ وَاللّٰهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ اية قيل معنى قوله هم درجات عند الله
انّ تقديره المؤمنون ذوو درجة رفيعة عند الله والكفّار ذوو درجة خسيسة وقيل في معناه قولان
احدهما اختلاف مراتب كلّ فريق من اهل الثواب والعقاب لانّ النار ادراك لقوله انّ المنافقين في الدرك
الاسفل من النار والجنّة طبقات بعضها اعلى من بعض كما روى انّ اهل الجنّة ليرون اهل علّيّين كما يُرى
النجم في افق السماء والثاني اختلاف مرتبتي اهل الثواب والعقاب بما لهؤلاء من النعيم والكرامة ولاولئك
من العذاب والمهانة وعبّر عن ذلك بالدرجات مجازا فان قيل كيف قال هم درجات واي لهم درجات قيل
لانّ اختلاف اعمالهم قد ميّزهم بمنزلة المختلفي الذوات كاختلاف مراتب الدرجات لتبعيدهم من استواء الاحوال
فجاء هذا على وجه التجوّز كما قال ابن هرمة انشده سيبويه

أَنَصْبٌ للمنيّةِ تعتريهم — رجالي ام هُمُ دَرَجُ السيول

وقوله والله بصير بما يعملون معناه عليم وفيه تحذير من ان يتّكل على الاسرار في عماله ظنّا بانّ ذلك يخفى
على الله لانّ اسرار العباد عند الله علانية وفيه توثيق بانّه لا يضيع للعامل لو به شيء لانّه لا يخفى عليه جميعه و
اصل الدرجة الرتبة فمنه الدرج لانّه يطوى رتبة بعد رتبة يقال ادرجه ادراجا والدرجان مشي الصبي لتقارب
الرتب درج يدرج درجا ودرجانا والدرج معروف والترقي في العلم درجة بعد درجة اي منزلة بعد منزلة
كالدرجة المعروفة فان قيل هلّا كان القران كلّه حقيقة ولم يكن فيه شيء من المجاز فانّ الحقيقة احسن من المجاز قلنا
ليس الامر على ذلك فانّ المجاز في موضعه اولى واحسن من الحقيقة لما فيه من الايجاز من غير اخلال بمعنى وهي
المبالغة بالاستعارة التي لا ينوب عنها بها الحقيقة لانّ قولهم اذ هو الشمس ضياء ابلغ في النفوس من قولهم
هو كالشمس ضياء وكذلك الجزاء بالجزاء احسن من الجزاء بالابتداء لانّه ادلّ على تقابل المعنى بتقابل
اللفظ فكذلك هم درجات اولى وابلغ من هم اهل درجات للايجاز من غير اخلال قوله تعالى لَقَدْ مَنَّ
اللّٰهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ اِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ اَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ اٰيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ
وَالْحِكْمَةَ وَاِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ اية قوله لقد منّ الله معناه انعم الله واصل المنّ القطع
منّه يمنّه منّا اذا قطعه ولهم اجر غير ممنون اي غير مقطوع والمنّ النعمة لانّه يقطع بها عن البليّة ويقول القائل
منّ عليّ بكذا اي استنقذني به ممّا انا فيه والمنّ تكدير النعمة لانّه قطع لها عن وجوب الشكر عليها والمنّة القوّة
لانّه يقطع بها الاعمال وفي تخصيص المؤمن بذكر هذه النعمة وان كانت نعمة على جميع المكلّفين قيل فيه من
حيث انّها على المؤمنين اعظم منها على الكافرين لانّها نعمة عليهم من حيث هي نفع في نفسها وفيما يؤدّي
اليه من الايمان بها والعمل بما يوجبه احكامها فالمؤمن يستحقّ اضافتها اليه من وجهين لما بيّنّاه من حالها
ونظير ذلك قد بيّنّاه مثل قوله هدى للمتّقين وغير ذلك وانّما اضافه الى المتّقين من حيث انّهم المنتفعون
بها دون غيرهم وقوله اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم قيل فيه ثلثة اقوال احدها من انفسهم ليكون ذلك
شرفا لهم فيكون ذلك داعيا لهم الى الايمان الثاني من انفسهم لسهولة تعلّم الحكمة عليهم لانّه بلسانهم الثالث
من انفسهم ليتيسّر عليهم علم احواله من الصدق والامانة والعفّة والطهارة وقال الزجّاج من عليهم اذ بعث
فيهم رسولا من انفسهم من الامّيّين لا يتلو كتابا ولا يخطّ بيمينه فنشا بين قوم يخبرونه ويعرفونه بالصدق
والامانة وانّه لم يقرا كتابا ولا لقنه فتلا عليهم اقاصيص الامم السالفة فكان ذلك من ادلّ دليل على صدقه فيما اتى
به وقوله يتلو عليهم اياته معناه يقرأ عليهم ما انزل عليه من ايات القران ويزكّيهم يحتمل ثلثة اوجه احدها
يشهد لهم بانّهم ازكياء في الدين فيصيروا بهذه المنزلة الرفيعة في الخلق الثاني يدعوهم الى ما يكونون به
ازكياء سالكين سبيل المهتدين الثالث قال الفرّا ياخذ منهم الزكوة التي يطهّرهم بها وقوله ويعلّمهم الكتاب
والحكمة يعني القران وهو الحكمة وانّما كرّره بواو العطف لامرين احدهما قال قتادة الكتاب القران والحكمة
السنّة والثاني لاختلاف فائدة الصفتين وذلك انّ الكتاب ذكر للبيان انّه ممّا يكتب ويخلّد ليبقى على وجه
الدهر والحكمة البيان عمّا يحتاج اليه من طريق المعرفة وقوله وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين يعني انّهم

كانوا كفارا وكفرهم هو ضلالهم فانقذهم الله بالنبي صلى الله عليه وسلم قوله تعالى أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ
أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ اية واحدة
انما دخلت الواو في ولما اصابتكم لعطف جملة على جملة الا انه تقدمها الف الاستفهام لان له صدر الكلام وانما يتصل
الواو الثاني بالاول ليدل على تعلقه به في المعنى وذلك انه وصل التقريع على الخطيئة بالتذكير بالنعمة لفرقة واحدة
والمصيبة التي اصابت المسلمين هو ما اصابهم يوم احد فانه قتل منهم سبعون رجلا وكانوا هم اصابوا من
المشركين يوم بدر مثليها فانهم كانوا قتلوا من المشركين سبعين واسروا منهم سبعين في قول قتادة و
الربيع وعكرمة والسدي فقال الزجاج لانهم اصابوا يوم احد منهم مثليهم ويوم بدر مثلهم فقد اصابوا
مثليهم وهذا ضعيف لانه خلاف لاهل السير لانه لا خلاف انه لم يقتل من المشركين مثل من قتل من المسلمين بل
قتل منهم نفر يسير فحمله على ما قاله ترك الظاهر وقوله حكاية عن المسلمين انى هذا اى من اين هذا وقوله قل
هو من عند انفسكم قيل فيه ثلثة اقوال قال قتادة والربيع لانهم اختلفوا في الخروج من المدينة للقتال يوم احد
وكان دعاهم النبي صلى الله عليه وسلم الى ان يتحصنوا بها ويدعوا المشركين الى ان يقصدوهم فيها فقالوا كنا نمتنع من ذلك في
الجاهلية ونحن في الاسلام وانت يا رسول الله نبينا احق بالامتناع واعز و الثاني روى عن علي عليه السلام وعبيدة
السلماني ان الحكم كان في اسرى بدر القتل فاختاروا هم الفداء وشرط عليهم انكم ان قبلتم الفدا قتل منكم في
القابل بعدتهم فقالوا رضينا فانا ناخذ الفداء وننتفع به واذا قتل منا فيما بعد كنا شهداء وهو المروي عن
ابي جعفر عليه السلام الثالث لخلاف الرماة يوم احد لما امرهم به النبي صلى الله عليه وسلم من ملازمة موضعهم وقوله ان الله على كل شي
قدير معناه ههنا انه على كل قدير يقدر بكم باحسن التدبير من النصر مع طاعتكم وتركه مع المخالفة الى ما وقع
به النهي وهذا جواب لقولهم انى هذا وقد تقدم الوعد بالنصرة وفي الاية دلالة على فساد مذهب المجبرة بان
المعاصي كلها من فعل الله لانه تعالى قال بل هو من عند انفسكم ولو لم يكن فعلوه لما كان من عند انفسهم كما
انه لو فعله الله لكان من عنده قوله تعالى وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ
اية قوله وما اصابكم يوم التقى الجمعان يعني يوم احد وما دخل عليهم من المصيبة بقتل من قتل من المؤمنين
وقوله فباذن الله قيل في معناه قولان احدهما بعلم الله ومنه قوله فاذنوا بحرب من الله معناه اعلموا و
منه قوله واذان من الله اى اعلام ومنه اذناك ما منا من شهيد يعني اعلمناك والثاني انه تخلية الله التي
يقوم مقام الاطلاق في الفعل برفع الموانع والتمكين من الفعل الذي يصح معه التكليف ولا يجوز ان يكون
المراد به بامر الله لانه خلاف الاجماع لان احدا لا يقول ان الله يامر المشركين بقتل المؤمنين ولا انه يامر
بشي من القبائح ولان الامر بالقبيح قبيح لا يجوز ان يفعله الله ويمكن ان يحمل مع تسليم انه بامر الله بان يكون
ذلك مصروفا الى المنهزمين المعتدين بعد اخلال من اخل بالشعب وضعفهم عن مقاومة عدوهم وان حمل
على الجميع امكن ان يكون ذلك بعد تفرقهم وتبدد شملهم وانفساد نظامهم لان عند ذلك اذن الله في
الرجوع والانحياز بنفوسهم وقوله وليعلم المؤمنين ليس معناه ان الله يعلم عند ذلك ما لم يكن عالما
به لانه تعالى عالم بالاشياء قبل كونها وانما معناه وليتميز المؤمنون من المنافقين الا انه اجرى على المعلوم
لفظ العلم مجازا على المظاهرة في المجازاة لعقول على ما يظهر من الفعل من جهة انه ليس يعاملهم بما في
معلومه انه يكون منهم ان يقوا بل يعاملهم معاملة من كان لا يعلم ما يكون منهم حتى يظهر ليكونوا على
غاية الثقة بان الله انما يجازي بحسب ما وقع من الاحسان او الاساءة فان قيل هل يجوز ان يقول القائل
المعاصي تقع باذن الله كما قال لما اصابكم ايقاع المشركين بكم باذن الله قلنا لا يجوز ذلك لان الله تعالى
انما خاطبهم بذلك على وجه التسلية للمؤمنين فدل ذلك على ان الاذن المراد به التمكين ليتميز وا ويظهر
الطاعة منهم وليس كذلك قولهم المعاصي باذن الله لانه لما عرى من تلك القرينة صار بمعنى اباحة الله
والله تعالى لا يبيح المعاصي لانها قبيحة ولان اباحتها يخرجها من معنى المعصية والفاء انما دخلت في قوله
فباذن الله لان خبر ما التي بمعنى الذي يشبه جواب الجزاء لانه معلق بالفعل في الصلة كتعليقه بالفعل

في الشرط كقولك الذي قام فمن اجل انه كريم اى لاجل قيامه صح انه كريم ومن اجل كرمه قام وقد قيل
ان ما هي بمعنى الجزاء ولا يصح ههنا لان الفعل بمعنى المضي قوله تعالى وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَ
قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ
أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ اية بلا
خلاف قوله وليعلم الذين نافقوا عطف على قوله وليعلم المؤمنين وقيل في خبر ليعلم قولان احدهما
انه مكتف بالاسم لانه بمعنى ليعرف المنافقين الثاني انه محذوف وتقديره وليعلم المنافقين متميزين من
المؤمنين و قوله وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله روى ان القائل لهم ذلك كان عبد الله بن عمرو بن حرام
يذكرهم الله ويحذرهم ان يخذلوا نبيه عند حضور عدوه في قول ابن اسحق والسدي و قوله او ادفعوا
قيل في معناه قولان احدهما قال السدي وابن جريج ادفعوا بتكثير سوادنا ان لم تقاتلوا معنا الثاني قال
ابن عون الانصاري معناه رابطوا بالقيام على الخيل ان لم تقاتلوا معنا و قوله قالوا لو نعلم قتالا لا
لا تبعناكم قال ابن اسحق والسدي ان القائل لذلك عبد الله بن ابي بن سلول واصحابه انخزل يوم احد بثلاث
مائة نفس قال لهم علام نقتل انفسنا ارجعوا بنا وقالوا للمؤمنين لا يكون بينكم قتال ولو علمنا انه يكون
قتال لخرجنا معكم واضمروا في باطنهم عداوة النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين فقال الله تعالى هم للكفر يومئذ اقرب
منهم للايمان لانهم بهذا الاظهار الى الكفر اقرب منهم للايمان اذ كانوا قبل ذلك في ظاهر احوالهم الى
الايمان اقرب حتى هتكوا انفسهم عند من كانت تخفى عليه حالهم من المؤمنين الذين كانوا يحسنون الظن
بهم وليس المراد ان بينهم وبين المؤمنين قربا يوجب دخول لفظة افعل بينهم وانما هو مثل قول القائل
وهو صادق لمن هو كاذب انا اصدق منك وان لم يكن بينهما مقاربة في الصدق و قوله يقولون بافواههم
ما ليس في قلوبهم انما ذكر الافواه وان كان القول لا يكون الا بالافواه لامرين احدهما للتاكيد من حيث
يضاف القول الى الانسان على جهة المجاز فيقال قد قال كذا اذا قاله غيره ورضي به وكذلك يكتبون الكتاب
بايديهم اى يتولونه على غير جهة الامر به والثاني لانه فرق بذكر الافواه بين قول اللسان وقول الكتاب
و قوله والله اعلم بما يكتمون يعني اعلم من الكافرين الذين قالوا لا يكون قتال وما كتموه في نفوسهم من
النفاق قوله تعالى الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنفُسِكُمُ
الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ اية موضع الذين يحتمل على ثلثة اوجه من الاعراب احدها ان يكون نصبا على
البدل من الذين نافقوا الثاني الرفع على البدل من الضمير في يكتمون الثالث الرفع على خبر الابتداء
وتقديره هم الذين قالوا لاخوانهم والمعنى بهذا الكلام والقائلون لهذا القول عبد الله بن ابي واصحابه
من المنافقين قالوه في قتلى يوم احد من اخوانهم على قول جابر بن عبد الله وقتادة والسدي والربيع
و قوله قل فادرءوا عن انفسكم الموت ان كنتم صادقين معناه ادفعوا قال الشاعر

يقول اذا دارأت لها وضيني ... اهذا دينه ابدا وديني

فان قيل كيف يلزمهم دفع الموت عن انفسهم بقولهم انهم لو لم يخرجوا لم يقتلوا قيل لان من علم الغيب في
السلامة من القتل يجب ان يمكنه ان يدفع عن نفسه الموت فليدفعه فهو اجدى عليه فان قيل كيف كان
هذا القول منهم كذبا مع انه اخبار على ما جرت به العادة قلنا لانهم لا يدرون لعلهم لو لم يخرجوا
لدخل المشركون عليهم في ديارهم فقتلوهم هذا قول ابي علي وقال غيره معنى ان كنتم صادقين اى محقين
في تثبيطكم من الجهاد فرارا من القتل قوله تعالى وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ
أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ اية بلا خلاف ذكر ابن عباس وابن مسعود وجابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال لما اصيب اخوانكم باحد جعل الله ارواحهم في حواصل طير خضر ترد انهار الجنة وتاكل من ثمارها
قال البلخي وهذا ضعيف لان الارواح جماد لا حيوة فيها ولو كانت حية لاحتاجت الى ارواح اخر وادى
الى ما لا يتناهى فضعف الخبر من هذا الوجه وفي الناس من قال ان تاويل الاية اخبار عن صفة حال الشهداء

فی الجنة من حیث فسد القول بالرجعة وهذا لیس بشیء لانه خلاف الظاهر ولان احدا من المؤمنین لا یحسب ان الشهداء
فی الجنة اموات وایضا فقد وصفهم الله بانهم احیاء فرحون فی الحال لان نصب فرحین هو علی الحال وقوله لم
یلحقوا بهم من خلفهم یؤکد ذلک لانهم فی الاخرة قد لحقوا بهم ومعنی الایة النهی عن ان یظن احد ان المقتولین
فی سبیل الله اموات والخطاب للنبی والمراد به جمیع المکلفین کما قال یا ایها النبی اذا طلقتم النساء وانه ینبغی
ان یعتقد انهم احیاء عند ربهم یرزقون فرحین بما اتیهم الله وبهذا قال الحسن وعمرو بن عبید وواصل بن عطا
واختاره الجبائی والرمانی واکثر المفسرین وقال بعضهم وذکره الزجاج المعنی ولا تحسبنهم امواتا فی دینهم بل هم
احیاء فی دینهم کما قال او من کان میتا فاحییناه الایة وقال البلخی معناه لا تحسبنهم کما یقول الکفار انهم
لا یبعثون بل یبعثون وهم احیاء عند ربهم یرزقون فرحین وقال قوم ان ارواحهم تسرح فی الجنة وتلتذ
بنعیمها فهم احیاء عند ربهم وقوله عند ربهم قیل فی معناه قولان احدهما انهم بحیث لا یملک لهم احد نفعا
ولا ضرا الا ربهم ولیس المراد به القرب المسافة لان ذلک من صفة الاجسام وذلک مستحیل علیه تعالی والوجه
الاخر عند ربهم احیاء من حیث یعلمهم کذلک دون الناس ذکره ابو علی وقوله بل احیاء رفع علی انه خبر
الابتداء وتقدیره بل هم احیاء ولا یجوز فیه النصب بحال لانه کان یصیر المعنی بل احسبنهم احیاء والمراد بل
اعلمهم احیاء فان قیل لم لا یجوز ان یکون المعنی بل احیاء علی معنی انهم بمنزلة الاحیاء کما یقال لمن خلف خلفا
صالحا او ثناء جمیلا ما مات فلان بل هو حی قلنا لا یجوز ذلک لانه انما جاز هذا بقرینة دلت علیه من حصول
العلم بانه میت فانصرف الکلام الی انه بمنزلة الحی ولیس کذلک الایة لان احیاء الله لهم فی البرزخ جایز مقدور
والحکمة تجیزه فان قیل الیس فی الناس من انکر الحدیث من حیث ان الروح عرض لا یجوز ان یتنعم قیل هذا لیس
بصحیح لان الروح جسم رقیق هوائی مأخوذ من الریح والدلیل علی ذلک ان الروح تخرج من البدن وترد الیه
وهی الحساسة الفعالة دون البدن ولیست من الحیوة فی شیء لان ضد الحیوة الموت ولیس کذلک الروح هذا
قول الرمانی سؤاله وجوابه وفی الایة دلیل علی ان الرجعة الی دار الدنیا جایزة لاقوام مخصوصین لانه تعالی
اخبر ان قوما ممن قتلوا فی سبیل الله ردهم الله احیاء کما کانوا فاما الرجعة التی یذهب الیها اهل التناسخ
ففاسدة والقول بها باطل لما بیناه فی غیر موضع وذکرنا جملة منه فی شرح جمل العلم فمن اراده وقف علیه من هناک
ان شاء الله وقال اکثر المفسرین الایة مختصة بقتلی احد وقال ابو جعفر ع وکثیر من المفسرین انها تتناول قتلی
بدر واحد معا قوله تعالی ﴿فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ
خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ایة قوله فرحین نصب علی الحال من یرزقون وهو اولی من
رفعه علی بل احیاء لان النصب ینبئ عن اجتماع الرزق والفرح فی حال واحدة ولو رفع علی الاستیناف لکان
جایزا وقال الفراء یجوز نصبه علی القطع عن الاول وقوله بما اتیهم الله من فضله معناه بما اعطاهم الله من ضروب
نعمه ومعنی یستبشرون ای یسرون بالبشارة واصل الاستفعال طلب الفعل فالمستبشر بمنزلة من طلب السرور فی
البشارة فوجده واصل البشارة من البشرة وذلک لظهور السرور بها فی بشرة الوجه ومنه البشر لظهور
بشرته ومعنی قوله ویستبشرون بالذین لم یلحقوا بهم ای هم بمنزلة من قد بشر فی صاحبه بما یسر به ولاهل
التاویل فیه قولان احدهما قال ابن جریج وقتادة یقولون اخواننا یقتلون کما قتلنا فیصیبون من کرامة الله
ما اصبنا والاخر انه توتی الشهید بکتاب فیه ذکر من یقدم علیه من اخوانه یبشر به لذلک فیستبشر کما یستبشر اهل الغایب
بقدومه فی الدنیا ذکره السدی وقال الزجاج معناه انهم لم یلحقوا بهم فی الفعل الا ان لهم فضلا عظیما بتصدیقهم
وایمانهم لحقت ذلک والحقت غیره مثل علمت واعلمت وقیل لحقت والحقت لغتان بمعنی واحد مثل بان و
ابان وعلی ذلک ان عذابک بالکفار ملحق ای لاحق علی هذا اکثر نقاد الحدیث وروی بعض الثقات ملحق
بنصب الحاء ذکره البلخی وقوله الا خوف علیهم ولا هم یحزنون قیل فی موضع ان قولان احدهما انه خفض بالباء
وتقدیره بان لا خوف هذا قول الخلیل والکسائی والزجاج الثانی ان یکون موضعه نصبا علی انه لما حذف حرف
الجر نصب بالفعل کما قال الشاعر امرتک الخیر ای بالخیر فی قول غیرهم وهو القیاس عند البصریین

قوله تعالی ﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ایة قرأ الکسائی و
ان الله بکسر الالف الباقون بفتحها علی معنی وبان الله ورجح هذه القراءة ابو علی الفارسی والکسر علی
الاستیناف وفی قراءة عبد الله والله لا یضیع اجر المؤمنین وهو یقوی قراءة من قرأ بالکسر قوله یستبشرون
یعنی هؤلاء الذین قتلوا فی سبیل الله الذین وصفهم بانهم یرزقون فرحین بما اتیهم الله من فضله وانهم
یستبشرون بالذین لم یلحقوا بهم من خلفهم فوصفهم ههنا بانهم یستبشرون بنعمة من الله وفضل وفضل
الله وان کان هو النعمة قیل فی تکراره ههنا قولان احدهما لانها لیست نعمة مضیقة علی قدر الکفایة من
غیر مضاعفة السرور واللذة والاخر للتاکید لتمکین المعنی فی النفس والمبالغة والنعمة هی المنفعة التی
یستحق بها الشکر اذا کانت خالیة من وجوه القبح لان المنفعة علی ضربین احدهما منفعة اغترار وحیلة
ومنفعة خالصة من شایب الاساءة والنعمة تعظم بفعل غیر المنعم کنعمة الرسول علی من دعاه الی الاسلام
فاستجاب له لان دعاه له تقع من وجهین احدهما حسن النیة فی دعائه الی الحق لیستجیب له والاخر قصده
الدعاء الی حق من یعلم انه یستجیب له المدعو وانما یستدل بفعل غیر المنعم علی موضع النعمة فی الجلالة و
عظم المنزلة وقوله وان الله لا یضیع اجر المؤمنین وان کانوا هم علموا ذلک فانما ذکر الله انهم یستبشرون
بذلک لان ما یعلمونه فی دار التکلیف یعلمونه بدلیل وما یعلمونه بعد الموت یعلمونه ضرورة وبینهما
فرق واضح لان مع العلم الضروری یتضاعف سرورهم ویشتد اغتباطهم قوله تعالی ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا
لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ ایة واحدة
ذکر ابن اسحق وعباس والسدی وابن اسحق وابن جریج وقتاده ان سبب نزول هذه الایة ان ابا سفیان صخر بن حرب
واصحابه لما انصرفوا عن احد ندموا وقال بعضهم لبعض لا محمدا قتلتم ولا الکواعب اردفتم فارجعوا فاغیروا
علی المدینة واسبوا ذراریهم وقیل ان بعضهم قال لبعض انکم قتلتم عدوکم حتی اذا لم یبق الا الشرید ترکتموهم
ارجعوا فاستاصلوهم فرجعوا الی حمراء الاسد وسمع بهم النبی ص فدعا اصحابه الی الخروج وقال لا یخرج معنا
الا من حضرنا امس للقتال ومن تاخر عنا فلا یخرج معنا وروی انه اذن لجابر وحده فی الخروج وکان خلفه
ابوه علی بنات له یقوم بهن فاعتل بعضهم بان قال بنا جراح والام فانزل الله تعالی ان یمسسکم قرح فقد مس
القوم قرح مثله وقیل نزلت فیهم ایضا ولا تهنوا فی ابتغاء القوم ان تکونوا تألمون فانهم یألمون کما تألمون
وترجون من الله ما لا یرجون ثم استجابوا علی ما بهم الی اتباعهم والقی الله الرعب فی قلوب المشرکین
فانهزموا من غیر حرب وخرج المسلمون الی حمراء الاسد وهی علی ثمانیة امیال من المدینة وموضع الذین
یحتمل ثلثة اوجه من الاعراب الجر علی ان یکون نعتا للمؤمنین والرفع علی الابتداء وخبر الذین الجملة والنصب
علی المدح وقوله من بعد ما اصابهم القرح معناه من بعد ما نالهم الجراح واصله الخلوص من الکدر و
منه ماء قراح ای خالص والقراح من الارض ما خلص طینه من السبخ وغیره والقریحة خالص الطبیعة واقترحت
علیه کذا ای اشتهیته علیه لخلوصه علی ما تتوق نفسه الیه کانه قال استخلصتم وفرس قارح ای طلع نابه
لخلوصه ببلوغ تلک الحال عن نقص الصغار وکذلک الناقة فارح ای حامل فالقرح الجراح لخلوص المه الی
النفس واجاب واستجاب بمعنی واحد وقال قوم استجاب طلب الاجابة واجاب فعل الاجابة وقوله للذین احسنوا
فالاحسان هو النفع الحسن والافضال النفع الزائد علی اول المقدار وقوله واتقوا معناه اتقوا معاصی
الله اجر عظیم معناه ههنا الذین فعلوا الحسن الجمیل من طاعة النبی ص والانتهاء الی قوله وقوله منهم معناه
تبیین الصفة لا التبعیض قوله تعالی ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ
فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ ایة بلا خلاف اعراب الذین کاعراب الذین فی الایة
الاولی لانها نعت لموصوف واحد وهم الذین استجابوا لله والرسول وقیل فی المعنی بقوله الناس الاول
ثلثة اقوال اولها قال ابن عباس وابن اسحق انهم رکب دسهم ابو سفیان الی المسلمین لیجبنوهم عند منصرفهم
من احد لما ارادوا الرجوع الیهم وقال السدی هو اعرابی ضمن له جعل علی ذلک وقال الواقدی هو نعیم بن

مسعود الاشجعي وهو قول ابي جعفر وابي عبد الله ع وقوله ان الناس قد جمعوا لكم المعني به ابو سفيان
واصحابه في قول اكثر المفسرين وقال مجاهد انما كان ذلك في بدر الصغرى وهي سنة اربع وكانت احد في
سنة ثلث من الهجرة وانما جبر بلفظ الجميع عن الواحد في قوله قال لهم الناس لامرين احدهما ان تقديره جاء
القول من قبل الناس فوضع كلام موضع كلام ذكره الرماني والثاني ان الواحد يقوم مقام الناس
لان الانسان اذا انتظر قوما فجاء واحد منهم قد يقال جاء الناس اما لتفخيم الشان واما لابتداء الاتيان
وقوله فاخشوهم حكاية عن قول نعيم بن مسعود للمسلمين يعني اخشوا ابا سفيان واصحابه فبين الله تعالى
ان ذلك القول زادهم ايمانا وثباتا على دينهم واقامة على نصرة نبيهم وقالوا عند ذلك حسبنا الله و
نعم الوكيل ومعناه كافينا الله واصله من الحساب لان الكفاية بحسب الحاجة وبحساب الحاجة ومنه الحسبان
وهو الظن والوكيل الحفيظ وقيل هو الولي واصله القيام بالتدبير والمتولي للشيء قائم بتدبيره والحافظ
له يرجع الى هذا المعنى ومعنى الوكيل في صفات الله المتولي للقيام بتدبير خلقه لانه مالكهم رحيم بهم و
الوكيل في صفة غيره انما يعقد بالتوكيل وقال قوم من المفسرين ان هذا التخويف من المشركين كان في السنة
المقبلة لان ابا سفيان لما انصرف يوم احد قال موعدكم البدر في العام المقبل فقال النبي ص لمن حضره قولوا
نعم فلما كان العام المقبل خرج النبي ص باصحابه وكان ابو سفيان كره الخروج فدس من يخوف النبي ص و
اصحابه فلم يسمعوا منهم وخرجوا الى بدر فلما لم يحضر احد من المشركين رجعوا وكانوا صادفوا هناك تجارة
اشتروها فربحوا فيها وكان ذلك نعمة من الله وروى ذلك ابو الجارود عن ابي جعفر ع قوله تعالى فَانْقَلَبُوا
بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ اية بلا
خلاف الانقلاب والرجوع والمصير واحد وقد فرق بينهما بان الانقلاب هو المصير الى ضد ما كان قبل ذلك كانقلاب
الطين خزفا ولم يكن قبل ذلك خزفا والرجوع هو المصير الى ما كان قبل ذلك وقوله بنعمة من الله وفضل قيل في معناه
قولان احدهما ان النعمة العافية والفضل التجارة والسوء القتل في قول السدي ومجاهد وقال الزجاج النعمة
ههنا الثبوت على الايمان في طاعة الله وفضل الربح في تجارتهم لانه روي انهم اقاموا في الموضع ثلثة ايام
فاشتروا ادما وزبيبا فربحوا فيه وقال قوم ان اقل ما يفعله الله بالخلق فهو نعمة وما زاد عليه فهو الموصوف
بانه فضل والفرق بين النعمة والمنفعة ان النعمة لا يكون نعمة الا اذا كانت حسنة لانه يستحق بها الشكر ولا يستحق
الشكر بالقبيح والمنفعة قد يكون حسنة وقد يكون قبيحة مثل ان يغصب ما لا ينتفع به وان كان قبيحا وقوله لم
يمسسهم سوء موضعه نصب على الحال وتقديره فانقلبوا بنعمة من الله وفضل سالمين والعامل فيه فانقلبوا
والمعني بالاية الذين امرهم الله تعالى بتتبع المشركين الى حمراء الاسد فلما بلغوا اليها وكان المشركون اسرعوا في
المضي الى مكة رجع المسلمون من هناك من غير ان يمسهم قتل ولا جراح غانمين سالمين وقد امتثلوا ما امرهم الله
تعالى به واتبعوا رضوانه والله ذو فضل عظيم اي ذو احسان عظيم على عباده ديني ودنياوي قوله تعالى إِنَّمَا
ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ اية معنى الاية انما
ذلك التخويف الذي كان من نعيم بن مسعود من فعل الشيطان وباغوائه وتسويله يخوف اولياءه المؤمنين
قال ابن عباس ومجاهد وقتادة يخوف المؤمنين بالكافرين وقال الزجاج وابو علي الفارسي وغيرهما من اهل
العربية ان تقديره يخوفكم اولياءه اي من اوليائه بدلالة قوله فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين اي ان كنتم
مصدقين بالله فقد اعلمتكم اني انصركم عليهم فقد سقط عنكم الخوف ومثله قوله لينذر باسا شديدا من لدنه
ومعناه لينذركم باسا والتقدير لينذركم بباس شديد فلما حذف الجار نصبه وقيل ان يخوف يتعدى الى مفعولين
لانك تقول خفت زيدا وخوفت زيدا عمرا ويكون في الاية حذف احد المفعولين كما قلناه في قولهم فلان يعطي
الدراهم ويكسو الثياب وقال بعضهم هذا لا يشبه الاية لانه انما اجاز حذف المفعول الثاني في اعطى الدراهم
لانه لا يشتبه ان الدراهم هي التي اعطيت والاية تشتبه الحال في من المخوف ومن المخوف وقال قوم يخوف اولياءه
اي انما خاف المنافقون ومن لا حقيقة لايمانه وقال الحسن والسدي يخوف اولياءه المنافقين ليقعدوا عن قتال المشركين

ويخوف يتعدى الى مفعولين كما يتعدى يعطي لان اصله خاف زيد القتال وخوفته القتال كما تقول عرف زيد
اخاك وعرفته اخاك فان قيل كيف يكون الاولياء على المفعول الثاني وانما التخويف من الاولياء لغيرهم قيل
ليس التقدير هكذا وانما هو على خاف المؤمنون اولياء الشيطان وهو خوفهم اولياءه قال الرماني وغلط
من قدر التقدير الاول وقوله فلا تخافوهم يعني لا تخافوا المشركين وانما قال ذلك وهي انما يشار بها الى
ما هو بعيد لانه اراد ذلك القول تقدم من المخوف لهم من قوله ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم قوله تعالى
وَلَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا
فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ اية بلا خلاف قرأ نافع في جميع القران يحزنك بضم الياء الا قوله لا يحزنهم
الفزع الاكبر الباقون بفتح الياء في جميع القران وقرا ابو جعفر عكس ما قرا نافع فانه فتح في جميع القران الا
قوله لا يحزنهم فانه ضم الياء وحكى البلخي عن ابن ابي محيصن الضم في الجميع قال سيبويه تقول فتن الرجل وفتنته و
حزن وحزنته وزعم الخليل انك حيث قلت فتنته وحزنته لم ترد ان تقول جعلته حزينا وجعلته فاتنا كما انك حين
قلت دخلته جعلته داخلا ولكن اردت ان تقول جعلت فيه حزنا وفتنة فقلت فتنته كما قلت كحلته اي جعلت فيه
كحلا ودهنته جعلت فيه دهنا فجئت بفعلته على حدة ولم ترد بفعلته ههنا نفس قوله حزن وفتن ولو اردت
ذلك لقلت احزنته وافتنته وفتن من فتنته مثل حزن من حزنته قال وقال بعض العرب افتنت الرجل واحزنته
اذا جعلته حزينا وفاتنا فغيره الى افعل هذا حكاه ابو علي الفارسي حجة لنافع وقال قوله لا يحزنهم انما ضم على
خلاف اصله لعله اتبع اثرا او احب الاخذ بالوجهين والمعني بقوله الذين يسارعون في الكفر على قول مجاهد
وابن اسحق المنافقون وفي قول ابي علي الجبائي قوم من العرب ارتدوا عن الاسلام فان قيل كيف قال يريد
الله ان لا يجعل لهم حظا في الاخرة والارادة لا يتعلق بالا يكون الشيء وانما يتعلق بما يصح حدوثه قلنا عنه
جوابان احدهما قال ابن اسحق يريد الله ان يحبط اعمالهم بما استحقوه من المعاصي والكبائر الثاني ان الله
يريد ان يحكم بحرمان ثوابهم الذي عرضوا له بتكليفهم وهو الذي يليق بمذهبنا لان الاحباط عندنا ليس
بصحيح فان قيل كيف قال يريد الله وهذا اخبار عن كونه مريدا في حال الاخبار وارادة الله تعالى لعقابهم
يكون يوم القيمة وتقدمها على وجه يكون عزما وتوطينا للنفس ولا يجوز عليه تعالى قلنا عنه جوابان احدهما
قال ابو علي معناه انه سيريد في الاخرة حرمانهم الثواب لكفرهم الذي ارتكبوه والثاني ان الارادة متعلقة
بالحكم بذلك وذلك حاصل في حال الخطاب وقال الحسن يريد بذلك فيما حكم من عدله وقوله يسارعون في
الكفر اي يبادرون اليه والسرعة وان كانت محمودة في كثير من المواضع فانها مذمومة في الكفر والعجلة
مذمومة على كل حال الا في المبادرة الى الطاعات وقيل ان العجلة هي تقديم الشيء قبل وقته وهي مذمومة
على كل حال والسرعة فعل لم يتاخر فيه شيء عن وقته ولا يقدم قبله ثم بين تعالى انهم لمسارعتهم الى الكفر
لا يضرون الله شيئا لان الضرر يستحيل عليه وانما يضرون انفسهم بان يفوتوا انفسهم الثواب و
يستحقوا العظيم من العقاب ففي الاية تسلية للنبي ص عما ينالهم من الغم باسراع قوم الى الكفر بان وبال
ذلك عائد عليهم ولا يضرون الله شيئا قوله تعالى إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ
شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ استانف الله تعالى بهذه الاية الاخبار بان من اشترى الكفر بالايمان بمعنى استبدل
الكفر بالايمان وقد بينا فيما مضى ان تسميته ذلك شراء مجاز لكن لما فعلوا الكفر بدلا من الايمان شبه ذلك
بشرى السلعة بالثمن وبين ان من فعل ذلك لا يضر الله شيئا لان مضرته عائدة عليه على ما بيناه وانما كرر
لن يضروا الله في هذه الاية لانه ذكر في الاية الاولى على طريقة العلة لما يجب من التسلية عن المسارعة
الى الضلالة وذكر في هذه الاية على وجه العلة لاختصاص المضرة للعاصي دون المعصي والفرق بين المضرة
والاساءة ان الاساءة لا يكون الا قبيحة والمضرة قد تكون حسنة اذا كانت لطفا او مستحقة او فيها نفع
يوفي عليها او دفع ضرر اعظم منها كفعل العقاب وضرب الصبي للتاديب وغير ذلك وقوله شيئا نصب على
انه وقع موقع المصدر وتقديره لن يضروا الله شيئا من الضرر ويحتمل ان يكون نصبا بحذف الباء كانه قال

بشئ مما بصرته كما يقول القائل ما ضررت زيدا شيئا من نقص مال ولا غيره قوله تعالى ولا تحسبن الذين كفروا انما نملي لهم خير لانفسهم انما نملي لهم ليزدادوا اثما ولهم عذاب مهين اية واحدة بلا خلاف قرا حمزة ولا تحسبن بالتاء وفتح السين الباقون بالياء وهو الاقوى لان حسبت يتعدى الى مفعولين وان على تقدير مفعولين لان قوله انما نملي لهم خير لانفسهم سد مسد المفعولين لانه لا يعمل في انما الا ما يتعدى الى مفعولين نحو حسبت وظننت واخواتهما وحسبت يتعدى الى مفعولين او مفعول يسد مسد المفعولين نحو حسبت ان زيدا منطلق وحسبت ان يقوم عمرو فقوله انما نملي لهم خير لانفسهم سد مسد المفعولين اللذين يقتضيهما تحسبن وكسر ان مع القراءة بالياء ضعيف وقرئ به ووجهه ذلك قال ابو علي الفارسي ان ان يتلقى بها القسم كما يتلقى بلام الابتداء ويدخل كل واحد منهما على الابتداء والخبر فكسر ان بعد تحسبن وعلق عنها الحسبان كما يعلق باللام فكانه قال لا تحسبن الذين كفروا للاخرة خير لهم ومن قرا بالتاء فعلى البدل كقوله هل ينظرون الا الساعة ان تاتيهم بغتة وكما قال الشاعر

فما كان قيس هلكه هلك واحد ولكنه بنيان قوم تهدما

وقال الفراء يجوز ان يكون عمل فيه تحسبن مقدرة تدل عليها الاولى وتقديره ولا تحسبن الذين يبخلون يحسبون انما نملي وهكذا في قوله هل ينظرون ويجوز كسر انما مع التاء في تحسبن وهو وجه الكلام ليكون الجملة في موضع الخبر نحو حسبت زيدا انه كريم غير انه لم يقرا به احد من السبعة وقوله انما نملي لهم ليزدادوا اثما معنى اللام ههنا لام العاقبة وليست لام الغرض كانه قال ان عاقبة امرهم ازدياد الاثم كما قال فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا وكما قال وجعل لله اندادا ليضل عن سبيله وكقوله لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لاخوانهم اذا ضربوا في الارض الى قوله ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم وما قالوا ذلك ليكون حسرة وانما كان عاقبته كذلك وقال الشاعر

وام سماك فلا تجزعي فللموت ما تلد الوالدة وقال آخر اموالنا لذوي الميراث نجمعها

ودورنا لخراب الدهر نبنيها وقال وللمنايا تربي كل مرضعة وللخراب يجد الناس بنيانا

وقالوا لدوا للموت وابنوا للخراب ويقول القائل ما تزيد موعظتي الاشرا وما اداها عليك الا وبالا ولا يجوز ان يحمل ذلك على لام الغرض والارادة لوجهين احدهما ان ارادة القبيح قبيحة ولا يجوز ذلك عليه تعالى والثاني لو كانت اللام لام الارادة لكان الكفار مطيعين لله من حيث فعلوا ما اراده الله وذلك خلاف الاجماع وقد قال الله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وقال وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله وقال ابو الحسن الاخفش والاسكافي في الاية تقديم وتاخير وتقديره ولا تحسبن الذين كفروا انما نملي لهم ليزدادوا اثما انما نملي لهم خير لانفسهم وهذا ضعيف لانه كان يجب لو كان على التقديم والتاخير ان يكون انما الاخيرة مفتوحة الهمزة لانها مفعول تحسبن على هذا القول وان تكون الاولى مكسورة لانها مبتداة في اللفظ والتقديم والتاخير لا يغير الاعراب عن استحقاقه وذلك خلاف ما عليه جميع القراء فانهم اجمعوا على كسر الثانية والاكثر على فتح الاولى ويمكن ان يقال نصرة لابي الحسن ان يكون التقدير ولا تحسبن الذين كفروا قائلين انما نملي لهم ليزدادوا اثما بل فليعلموا انما نملي لهم خير لانفسهم فيكون الحسبان قد علق ولم يعمل ويكون انما الثانية كسرت لانها بعد القول ويكون في موضع نصب بالقول المقدر ويكون انما الاولى منصوبة بالعلم المقدر الذي بيناه وعلى هذا يجوز ان يكون الوعد عاما ويكون الوعيد المذكور مشروطا بالمقام على الكفر وعلى الوجه الاول الذي حملنا اللام على العاقبة لا بد من تخصيصها بمن علم منه انه لا يؤمن لانه لو كان فيهم من يؤمن لما توجه اليهم هذا الوعيد المخصوص وقال البلخي معناه لا تحسبن الذين كفروا ان املاءنا لهم رضاء بافعالهم وقبول لها بل هو شر لهم لانا نملي لهم وهم يزدادون اثما يستحقون به عذابا اليما ومثله ولقد ذرانا لجهنم كثيرا من الجن والانس اي ذرانا كثيرا من الخلق سيصيرون الى جهنم بسوء افعالهم وما في قوله انما يحتمل امرين احدهما ان يكون بمعنى الذي والتقدير ان الذي نمليه خير لانفسهم والاخر ان يكون ما نملي بمنزلة الاملاء فيكون مصدرا واذا كانت كذلك فلا يحتاج الى عائد

يعود اليها والاملاء طول المدة فنملي لهم معناه نطول اعمارهم ومنه قوله واهجرني مليا اي حينا طويلا ومنه قولهم عشت طويلا وتمليت حبيبا والملا الدهر والملوان الليل والنهار لطول تعاقبهما واملاء الكتاب وانما انكر تعالى ان يكون الاملاء خيرا لهم وان كانت نعمة دنياوية من وجهين احدهما قال الجبائي اراد خيرا من القتل في سبيل الله كشهداء احد الثاني قال البلخي لا تحسبن ان ذلك خير استحقوه بفعلهم اي لا تغتروا بذلك فتظنوا انه لمنزلة لهم لانهم كانوا يقولون انه تعالى لو لم يرد ما هم عليه لم يمهلهم قوله تعالى ما كان الله ليذر المؤمنين على ما انتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء فآمنوا بالله ورسله وان تؤمنوا وتتقوا فلكم اجر عظيم اية بلا خلاف قرا حمزة والكسائي يميز بالتشديد الباقون بالتخفيف يقال مازه يميزه وميزه يميزه لغتان ومعنى الاية لم يكن الله ليدع المؤمنين على ما انتم عليه فلا يميز المؤمن من المنافق والكافر حتى يميز الخبيث من الطيب وقيل في معنى الخبيث ههنا قولان احدهما قال مجاهد وابن اسحق وابن جريج هو المنافق قالوا كما ميز المؤمن من المنافق يوم احد بالامتحان على ما مضى شرحه الثاني قال قتادة والسدي حتى يميز المؤمن من الكافر وسبب نزول الاية ما قاله السدي ان المشركين قالوا ان كان محمد صادقا فليخبرنا من يؤمن منا ومن يكفر فانزل الله هذه الاية وقال قوم ان كان الله يعلم المنافقين فما حاجته الى اختبارهم فانزل الله تعالى انه يميزهم وذلك يكون تارة باختبارهم وتارة بتعيينهم والتمييز بين الكافر وبين المؤمن او المنافق والمؤمن بالامتحان والاختبار في تكليف الجهاد ونحوه مما يظهر به حالهم وينكشف ضمائرهم وقيل بالدلالات والعلامات التي يستدل بها عليهم من غير نص على اعلامهم فان قيل هل اطلع الله نبيه على الغيب قلنا عن ذلك جوابان احدهما قال السدي لا ولكنه اجتباه فجعله رسولا وقال ابن اسحق ولكن الله اجتبى رسوله باعلامه كثيرا من الغايات وهذا هو الاليق بالاية وقال الزجاج قوله ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء سببه ان قوما قالوا هلا جعلنا الله انبياء فاخبر الله تعالى انه يجتبي من رسله من يشاء ومن في الاية لتبيين الصفة لا للتبعيض لان الانبياء كلهم مجتبون قوله تعالى ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيمة ولله ميراث السموات والارض والله بما تعملون خبير قرا حمزة ولا تحسبن بالتاء المعجمة من فوق الباقون بالياء وهو الاقوى لان عليه اكثر القراء فمن قرا بالتاء فالتقدير على قراءته ولا تحسبن بخل الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم وجاز حذف البخل مع الفصل لدلالة يبخلون عليه كما يقال من كذب كان شرا له والمعنى كان الكذب شرا له قال الشاعر

اذا نهي السفيه جرى اليه وخالف والسفيه الى خلاف

ومعناه خالف الى السفه قال الزجاج انما يكون هو وهما وهم وانا وانت ونحن فصولا مع الافعال التي تحتاج الى اسم وخبر ولم يذكر سيبويه الفصل مع الابتداء والخبر قال ولو تاول متاول قوله الفصل ههنا انه يدل على انه جائز في المبتداء والخبر كان جائزا قال والقراءة بالياء عندي هو الاجود ويكون الاسم محذوفا قال والقراءة بالتاء لا تمتنع مثل قوله وسئل القرية وتقديره ولا تحسبن بخل الباخلين خيرا ووجه اتصال هذه الاية بما قبلها ما قاله السدي ان المعنى بخلوا ان ينفقوا في سبيل الله كما بخلوا بمنع الزكوة وقيل انها نزلت في اهل الكتاب بخلوا ان يبينوه للناس على قول ابن عباس والاول اظهر لان اكثر المفسرين على انها نزلت في مانعي الزكوة وهو قول ابي جعفر ع وقوله هو خيرا لهم فلفظة هو فصل بين الاسم والخبر على تقدير ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله البخل هو خيرا لهم فيمن قرا بالياء وقوله سيطوقون ما بخلوا به يوم القيمة قيل في معناه قولان احدهما روي ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وآله انه شجاع اقرع يطوقونه وهو المروي عن ابي جعفر ع وقال ابرهيم النخعي انهم يطوقون طوقا من نار وقال ابو علي هو كقوله يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لانفسكم وقال البلخي معناه سيجازون كانهم طوقوا وقوله ولله ميراث السموات

والارض معناه انّه يبطل ملك كلّ مالك الّا ملك الله فيصير كالميراث لصحّة الملك الثّانى بعد زوال الاوّل
وان لم يكن فى صفات الله على جهة الانتقال لانّه لم يزل مالكا عزّ وجلّ والبخل هو منع الواجب لانّه تم
ذمّ به وتوعّد عليه واصله فى اللّغة مشقّة الاعطاء وانّما يمنع الواجب لمشقّة الاعطاء قوله تعالى
لَقَدْ سَمِعَ اللّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا اِنَّ اللّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ اَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ
الْاَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ اية بلا خلاف قرا حمزة وحده سيكتب بضمّ الياء
الباقون بالنّون ذكر الحسن وقتادة انّ الّذين نسبوا الله تعالى الى الفقر وانفسهم الى الغناء هم قوم من
اليهود لمّا نزل قوله من ذا الّذى يقرض الله قرضا حسنا قالوا انّما يستقرض الفقير من الاغنياء فهو
فقير ونحن اغنياء والقائل لذلك حيّ بن اخطب وفنحاص اليهودى وقال ابو على الجبّائى هم قوم من
اليهود وانّما قالوا ذلك من جهة ضيق الرّزق وقيل انّهم قالوا ذلك تمويها على ضعفائهم لا انّهم
اعتقدوا انّ الله فقير على الحقيقة وقيل انّهم عنوا بذلك اله محمّد الّذى يدّعى انّه رسوله دون من
يعتقدون هم انّه الله على الحقيقة فان قيل كيف الحكاية عنهم بانّهم قالوا ذلك وانّما قالوه على جهة الالزام
دون الاعتقاد قلنا لانّه الزام باطل من حيث لا يوجبه الاصل الّذى الزموا عليه لانّه انّما قال من ذا الّذى
يقرض الله قرضا حسنا على وجه التّلطّف فى الاستدعاء الى الطّاعة وحقيقته انّه منزلة ما ينفقون فى وجوه
البرّ كمنزلة القرض الّذى يرجع اليكم ويضاعف به الاجر لكم مع انّهم اخرجوا ذلك مخرج الاخبار عن اعتقاد
وفى الاية دلالة على انّ الرّضا بقبيح الفعل يجرى مجراه فى عظم الجرم لانّ اليهود الّذين وصفوا بقتل الانبياء
لم يتولّوا ذلك فى الحقيقة وانّما ذمّوا به لانّهم بمنزلة من تولّاه فى عظم الاثم وقوله سنكتب ما قالوا قيل فى معناه
قولان احدهما انّه يكتب فى صحائف اعمالهم لانّه اظهر فى الحجّة عليهم واحرى ان يستحيوا من قراءة ما اثبت من
فضائحهم على قول الجبّائى الثّانى قال البلخى سيحفظ ما قالوا حتّى يجازوا به اى هو بمنزلة ما قد كتب فى انّه لا يضيع
منه شئ والاوّل اظهر وقوله وذوقوا عذاب الحريق يعنى المحرق والفائدة فيه ان يعلم انّه عذاب بالنّار الّتى
تحرق وهى الملتهبة لانّ ما لم يلتهب لا يسمّى حريقا وقد يكون العذاب بغير النّار وقوله ذوقوا يفيد انّكم لا
تتخلّصون من ذلك كما يقول القائل ذق هذا البلاء يعنى انّك لست بناج منها قوله تعالى ذٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ
اَيْدِيكُمْ وَاَنَّ اللّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ اية قوله ذلك اشارة الى ما تقدّم ذكره من قوله ونقول ذوقوا
عذاب الحريق ذلك بما قدّمت ايديكم ومعناه ما جنيتموه على انفسكم فانّ الله لا يظلم احدا من عبيده ولا يبخسهم
حقّهم وفيها دلالة على بطلان مذهب المجبّرة لانّها تدلّ على انّه لو وقع العقاب من غير جرم سلف من العبد
لكان ظلما وذلك بخلاف ما يذهبون اليه من انّ الله تعالى يعذّب الاطفال من غير جرم فان قيل لم نفى كثرة الظّلم
على وجه لا يدخل فيه القليل وهلّا نفى على وجه العموم كقوله لا يظلم مثقال ذرّة وكقوله لا يظلم النّاس
شيئا وقوله ولا يظلمون فتيلا ونقيرا قيل لانّه خرج مخرج الجواب لمن توهّم مذهب المجبّرة فدلّ على انّه لو كان
على ما يذهبون اليه لكان ظلّاما للعبيد وما هو بظلّام لهم فان قيل لم اضيف التّقديم الى ايديهم وانّما
هو لهم فى الحقيقة قيل لانّه اذا اضيف على هذه الطّريقة كان ابعد من توهّم الفساد فى معنى الاضافة اذ قد
يضاف الفعل الى الانسان على معنى انّه امر به ودعا اليه كما قال يذبّحون ابناءهم واذا ذكرت اليد دلّ على تولّى
الفعل نحو قوله اولم يروا انّا خلقنا لهم ممّا عملت ايدينا انعاما وانّ الله انّما فتح انّ لانّه معطوف على ما عملت
فيه الباء وتقديره وبانّ الله ليس بظلّام للعبيد اى ذلك العذاب بما سلف من الاجرام وبامتناع ظلم الله للعباد
فموضع انّ جرّ وموضع الباء فى قوله بما رفع لانّها فى موضع خبر ذلك وهى متّصلة بالاستقرار كانّه قيل ذلك
مستقرّ بما قدّمت ايديكم كما يقول القائل عقابك بما كسبت يداك قوله تعالى اَلَّذِينَ قَالُوا اِنَّ اللّهَ عَهِدَ
اِلَيْنَا اَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتّٰى يَاْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَاْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِى بِالْبَيِّنَاتِ
وَبِالَّذِى قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ اِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ اية المعنى بقوله الّذين قالوا هم الّذين وصفهم الله
بقوله لقد سمع الله قول الّذين قالوا انّ الله فقير الّذين قالوا انّ الله عهد الينا والّذين فى موضع خفض

ردّا على قوله الّذين قالوا انّ الله فقير ومعنى قولهم انّ الله عهد الينا اى اوصانا فى كتبه وعلى السن
انبيائه الّا نصدّق لرسول فيما يقوله من انّه جاء به من عند الله من امر ونهى وغير ذلك والعهد العقد الّذى يتقدّم
به للتّوثّق وهو كالوصيّة وقوله حتّى يأتينا بقربان تاكله النّار معناه حتّى يجيئنا بما يتقرّب به العبد الى الله من
صدقة وبرّ والقربان مصدر على وزن عدوان وخسران يقول قرّبت قربانا وامّا قوله تاكله النّار فلانّ اكل النّار
ما قرّبه احدهم لله فى ذلك الزّمان كان دليلا على قبول الله له ودلالة على صدق المقرّب فيما ادّعاه انّه حقّ فيما
نوزع فيه فى قول ابن عبّاس والضّحاك فقال الله تعالى لنبيّه ص قل لهم يا معشر من يزعم انّ الله عهد اليه الّا يؤمن
لرسول حتّى ياتيه بقربان تاكله النّار قل قد جاءكم رسل من الله من قبل يعنى جاء اسلافكم بالبيّنات يعنى بالحجج
الدّالّة على صدق نبوّتهم وحقيقة قولهم وبما ادّعيتم انّه يدلّ على تصديق من اتى به والاقرار بنبوّته من اكل
النّار قربانه فلم قتلتموه ان كنتم صادقين يعنى فلم قتلتموهم وانتم مقرّون بانّ الّذين جاؤكم به من ذلك حجّتهم عليكم
ان كنتم صادقين فيما عهد اليكم ممّا ادّعيتموه واضاف القتل اليهم وان كان اسلافهم تولّاه لانّهم رضوا
بافعالهم فنسب ذلك اليهم كما بيّناه فيما تقدّم فى قوله ويقتلون النّبيّين بغير الحقّ فاراد الله ان يعلم المؤمنين انّ
هؤلاء معاندون متعنّتون والّا فهم عالمون بصفات النّبيّ ص وما ذكره الله تعالى فى التّورية وانّه صادق فيما
يدّعيه وانّما لم ينزّل الله ما طلبوه لانّ المعجزات تابعة للمصالح وليست على الاقتراحات والتّعنّت فان قيل هلّا
قطع الله عذرهم بالّذى سالوا من القربان الّذى تاكل النّار قيل له لا يجب ذلك لانّ ذلك اقتراح فى الادلّة
على الله والّذى يلزم من ذلك ان يزيح علّتهم بنصب الادلّة على ما دعاهم الى معرفته قوله تعالى فَاِنْ كَذَّبُوكَ
فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ جَاؤُا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ اية واحدة قرا ابن عامر وحده
وبالزّبر وكذلك هو فى مصاحف اهل الشّام الباقون بحذف الباء فمن حذف فلانّ واو العطف اغنت عن
تكرار العامل ومن اثبتها فانّما كرّر العامل تاكيدا وكلاهما جيّدان وهذه الاية فيها تسلية للنّبيّ ص عمّا
كان يصيبه من الاذى من اليهود واهل الشّرك بتكذيبهم ايّاه بان قال فقد كذّب اسلافهم من رسل الله
من جاءهم بالبيّنات والحجج القاطعة والادلّة الواضحة والزّبر جمع زبور وهو الكتاب وكلّ كتاب فيه حكمة
فهو زبور ومنه قول امرئ القيس

لِمَنْ طَلَلٌ اَبْصَرْتُهُ فَشَجَانِى كَخَطِّ زَبُورٍ فى عَسِيبِ يَمَانِ

ويقال زبرت الكتاب اذا كتبته فهو مزبور وزبرت الرّجل ازبره اذا زجرته والزّبرة القطعة العظيمة من الحديد
ومنه قوله اتونى زبر الحديد والزّبير الحمأة والزّبرة مجتمع الشّعر على كتف الاسد وزبرت البئر اذا احكمت
طيّها بالحجارة فهو مزبور وما لفلان زبر اى عقل والكتاب المراد به التّورية والانجيل لانّ اليهود كذّبت
عيسى وما جاء به من الانجيل وحرّفت ما جاء به موسى من صفة النّبيّ ص وبدّلت عهده اليهم فيه والنّصارى
ايضا جحدت ما فى الانجيل من نعته وغيّرت ما امرهم فيه به وقوله المنير معناه الّذى ينير فينير الحقّ لمن اشتبه عليه
وهو حجّة له وانّما هو من النّور والاضاءة يقال قد انار لك هذا الامر بمعنى اضاء لك وينير انارة فهو
منير هذا قول الحسن وابن جريج والضّحاك واكثر المفسّرين فان قيل لم جمع بين الزّبر والكتاب ومعناهما واحد
قلنا لانّ اصلهما مختلف فهو زبور لما فيه من الزّجر عن خلاف الحقّ وهو كتاب لانّه ضمّ الحروف بعضها الى
بعض وسمّى زبور داود لكثرة ما فيه من المواعظ والزّواجر فان قيل كيف قال فان كذّبوك فقد كذّب رسل
من قبلك وهم ان لم يكذّبوه ايضا فقد كذّب رسل من قبله قلنا لانّ المعنى فقد جروا على عادة من قبلهم
فى تكذيب انبيائهم الّا انّه ورد على وجه الايجاز كما تقولون ان احسنت الىّ فقد طال ما احسنت قوله تعالى
كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَاِنَّمَا تُوَفَّوْنَ اُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَاُدْخِلَ الْجَنَّةَ
فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيٰوةُ الدُّنْيَا اِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ اية بلا خلاف لا يجوز ان يجعل ما فى انّما بمعنى الّذى
وترفع اجوركم لانّ يوم القيمة يصير من صلة توفّون وتوفّون من صلة الّذين فلا ياتى ما فى الصّلة بعد
اجوركم واجوركم خبر ومعنى الاية انّ مصير هؤلاء المفترين على الله من اليهود المكذّبين برسوله الّذين وصفهم
ومصير غيرهم من جميع الخلق اليه تعالى من حيث حتم الموت على جميعهم فقال لنبيّه ص لا يحزنك قولهم وتكذيبهم و

وافتراء من افترى منهم على الله وعليك وتكذيب من تقدمك من الرسل فان مرجعهم الى وافي كل نفس منهم جزاء عمله فقال توفون اجوركم يعني اجور اعمالكم ان خيرا فخيرا وثوابا وان شرا فشرا وعقابا وهو نصب على انه مفعول به وقوله فمن زحزح عن النار ومعناه نحي عن النار وابعد منها وادخل الجنة فقد فاز اي نجا وظفر بنعيم الكرامة وكل من لقي ما يغتبط به فقد فاز ومعنى فاز تباعد من المكروه ولقي ما يحب والمفازة مهلكة وانما سموها مفازة اي منجاة كما سموا اللديغ سليما والاعمى بصيرا وظاهر الاية يدل على ان كل نفس تذوق الموت وان كانت مقتولة على قول الرماني ونحن وان قلنا ان الموت غير القتل فلا بد ان نقول ان المقتول يختار الله ان يفعل فيه الموت اذا كانت في فعله مصلحة وقوله وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور ومعناه وما لذات الدنيا وشهواتها وما فيها من زينتها الا متعة متعكموها الغرور والخداع المضمحل الذي لا حقيقة له عند الاختبار والامتحان لانكم تلتذون بما متعكم الغرور من دنياكم ثم هو عايد عليكم بالفجايع والمصايب فلا تركنوا اليها ولا تسكنوا فانما هي غرور وانما انتم منها في غرور وقال عكرمة متاع الغرور القوارير وهي في الاصل كل متاع لا بقاء له وانما وصفت الحيوة الدنيا بانها متاع الغرور مع كشفها عن حالها لانها بمنزلة من يغتر بالمحبوب في بذل ما فيه الفرح والسرور ليوقع في بلية تؤدي الى هلكة مبالغة في التحذير منها على ما بيناه وفي الاية دلالة على ان اقل نعيم من الاخرة خير من نعيم الدنيا باسرها ولذلك قال عم موضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها واستدل بهذه الاية على ان القتل هو الموت على الحقيقة ومنهم من قال في المقتول موت وقتل وللمخالف ان يقول يمكن ان يكون الاية مخصوصة بمن يموت ولا يقتل كما قال كل نفس بما كسبت رهينة وهي مختصة بالعقلاء البالغين ويمكن ان يكون المراد كل نفس تعدم الحيوة فيكون ذلك على وجه الاستعارة ذكره البلخي وقوله ذائقة الموت مجاز لان الموت لا يذاق في الحقيقة لان ذلك مشهور في كلامهم يقولون ذاق الموت وشرب بكاس المنون لانه بمنزلة ما يذاق بذوق شدايده والفرق بين الذوق وادراك الطعم ان الذوق تقريب جسم المذوق الى حاسة الذوق والادراك للطعم هو وجدانه وان لم يكن هناك احساس ولذلك يوصف تعالى بانه مدرك للطعم ولا يوصف بانه ذايق له ويقولون ذقته فلم اجد له طعما اي لا بس في فلم احس له طعما قوله تعالى لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ اية قوله لتبلون معناه لتختبرن اي يوقع عليكم المحن وتلحقكم الشدائد في انفسكم واموالكم من قبل الكفار نحو ما نالهم من الشدائد في انفسهم يوم احد ونحو ما كان الله يفعل بهم من الفقر وشدة العسر وانما فعله ليصبروا فسماه بلوى مجازا لان حقيقته لا يجوز عليه تع لانها التجربة في اللغة ويتعالى الله عن ذلك لانه عالم بالاشياء قبل كونها وانما فعله ليتميز المحق منكم من غيره هذا قول ابي علي الجبائي وقال البلخي معناه لتبلون بالعبادات في انفسكم كالصلوة والصيام وغيرهما وفي اموالكم من الانفاق في سبيل الله والزكوات ليتميز المطيع من العاصي واللام لام القسم والنون دخلت مؤكدة وضمت الواو لسكونها وسكون النون ولم تنصب لانها واو الجمع فرقا بينها وبين واو الاعراب يقال للواحد لتبلين يا رجل وللاثنين لتبليان ويفتح اليا في لتبلين في الواحد عند سيبويه لسكونها وسكون النون وفي قول غيره تبنى على الفتح لضم النون اليها كما يبنى ما قبل هاء التانيث وللمراة لتبلين وللمراتين لتبليان وللنساء لتبلينان زيدت الالف لاجتماع النونات وقوله ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا يعني ما سمعوه من اليهود ومن كفار مكة وغيرهم من تكذيب النبي عم ومن الكلام الذي يغمهم ويكرههم ثم بين بقوله وان تصبروا وتتقوا انكم ان صبرتم على ذلك وتمسكتم بالطاعة ولم تجزعوا عنده جزعا يبلغ الاثم فان ذلك من عزم الامور ومعناه من حزم الامور اي مما بان رشده وصوابه ووجب على العاقل العزم عليه واذى مقصور ويكتب بالياء يقال اذي ياذى اذًا اذا سمع ما يسوءه

وقد اذاني فلان يؤذيني ايذاء وتاذيت به تاذيا وقال عكرمة وغيره ان هذه الايات كلها نزلت في فنحاص اليهودي سيد بني قينقاع حين كتب النبي صلعم اليه يستمده فقال فنحاص قد احتاج ربكم ان نمده وهو القائل ان الله فقير ونحن اغنياء ونزلت فيه ايضا لا تحسبن الذين يبخلون بما اتيهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم وقال الزهري الاية نزلت في كعب بن الاشرف وكان يهجو النبي صلعم والمؤمنين ويحرض المشركين عليهم حتى قتله محمد بن مسلمة غيلة والبلوى الذي ابتلوا به قال الحسن هو فرايض الدين من الجهاد في سبيل الله والنفقة في طاعة الله والتمسك بما يجب لله في كل ما امر به ودعا اليه قوله تعالى وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ اية بلا خلاف قرا ابن كثير وابو عمرو وابو بكر عن عاصم ليبيننه للناس ولا يكتمونه بالياء فيهما الباقون بالتاء فيهما فمن قرا بالياء فلانهم غيب ومن قرا بالتاء حكى المخاطبة التي كانت في وقت اخذ الميثاق ولتبيننه لجماعة الرجال وللواحد بفتح النون والمعنى به اذكروا اذ اخذ الله منهم الميثاق ليبيننّ امر نبوة النبي صلعم ولا يكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم اي رموا به في قول ابن عباس ولم يعملوا به وان كانوا مقرين ويقال لمن يطرح الشيء ولا يعبا به رميته بظهر قال الفرزدق

تميم بن قيس لا تكونن حاجتي بظهر ولا يعيى علي جوابها

اي لا تتركنها لا تعبا بها فاخبر الله تعالى عما حمل اليهود الذين كانوا رؤسا على كتمان امر النبي صلعم فقال واشتروا به ثمنا قليلا اي قبلوا على ذلك الرشا وقامت لهم بذلك رياسة اكتسبوها فذلك حملهم على الكفر بما يخفونه ثم ذم تعالى افعالهم بقوله فبئس ما يشترون لان ما يكون عاقبته الهلاك والعقاب الدائم وان كان نفعا عاجلا فهو بئس الشيء وقال ابن عباس وسعيد بن جبير وعكرمة والسدي وابن جريج ان المعني بهذه الاية فنحاص اليهودي واصحابه الذين كتموا امر النبي صلعم وما بينه الله في التورية وقال قتادة وعبد الله بن مسعود هذا ميثاق اخذه الله على اهل العلم كافة فمن علم شيئا فليعلمه واياكم وكتمان العلم فان كتمانه هلاك وقال الجبائي المعني بالاية اليهود والنصارى وقال الحسن لتبيننه ولا تكتمونه معناه لتتكلمن بالحق ولتصدقنه بالعمل والميثاق الذي ذكره الله في الاية هو الايمان التي اخذها عليهم انبياؤهم ليبينن ما في كتبهم من الاخبار والايات الدالة على نبوة النبي صلعم ولا تكتمونه والهاء في ليبيننه عايدة على محمد صلعم في قول سعيد بن جبير والسدي فيعود على معلوم غير مذكور وقال الحسن وقتادة هي عايدة على الكتاب فيدخل فيه بيان امر النبي صلعم لانه في الكتاب قوله تعالى لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ اية بلا خلاف قرا اهل الكوفة ويعقوب لا تحسبن بالتاء وفتح الباء وقرا ابن كثير وابو عمرو بالياء وضم الباء الباقون بالياء وفتح الباء وتحسبنهم الاخير بالتاء بلا خلاف قال ابو علي من قرا بالياء لم يوقع يحسبن على شيء والذين رفع بانه فاعل لا يحسبن قال ووجه قراءة ابن كثير وابي عمرو في ان لم يعديا حسبت الى مفعوليه ان يحسب في قوله فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب لما جعل بدلا من الاول وعدي الى مفعوليه استغني بها في تعدية الاول اليهما كما استغني في قوله باي كتاب او باية سنة ترى حبهم عارا علي وتحسب فاكتفى بتعدية احد الفعلين الى المفعولين عن تعدية الاخر اليهما فان قال قائل كيف يستقيم تقدير البدل وقد دخلت الفاء بينهما ولا يدخل بين البدل والمبدل منه الفاء والجواب ان الفاء زائدة يدل على ذلك انها لا يجوز ان يكون التي تدخل على الخبر لان ما قبل الفاء ليس بمبتدا فيكون الفاء خبره ولا يكون العاطفة لان المعنى لا تحسبن الذين يفرحون بما اتوا ويحبون انفسهم بمفازة من العذاب فاذا كان ذلك لم يجز تقدير العطف لان الكلام لم يستقل بعد فيستقيم فيه تقدير العطف واما قوله فلا تحسبنهم فان فعل الفاعل الذي هو يحسبون تعدى الى ضميره وحذفت واو الضمير لدخول النون الثقيلة وقوله بمفازة من العذاب في موضع المفعول الثاني وفيه ذكر المفعول الاول وفعل الفاعل في هذا الباب يتعدى الى ضميره نفسه نحو ظننتني اخاه لان هذه الافعال لما كانت تدخل على الابتداء

والخبر اشبهتا انّ واخواتها في دخولهنّ على الابتداء والخبر كدخول هذه الافعال عليهما وذلك قولك ظننتني ذاهبا كما تقول انّي ذاهب ولو قلت اظنّ نفسي تفعل لم يجز كما يجوز ظننتني فاعلا وقال ابو سعيد الخدري وابي وهب والزجاج المعني بهذه الاية قوم من اهل الكتاب دخلوا على النبي ص وخرجوا من عنده فذكروا لمن كان وراهم في ذلك لو وفقا للنبي ص قد اتاهم باشياء قد عرفوها فحمدهم من شاهدهم من المسلمين على ذلك واظهروا خلاف ما ابطنوا واقاموا فيما بعد على الكفر فاعلم الله نبيّه انّهم ليسوا بمفازة اي ليسوا ببعد من العذاب وقيل معناه ليسوا بمنجاة من العذاب ووقعت فلا تحسبنّهم مكرّرة لطول القصّة كما يقولون لا تظننّ زيدا اذا جاءك وكلّمك بكذا وكذا فلا تظننّه صادقا فيعيد فلا تظننّه توكيدا واعلاما انّ ذلك تعلّق بالاوّل ولو لم يكرّر كان جائزا لكن مع التاكيد اوضح وقوله ويحبّون ان يحمدوا بما لم يفعلوا قال البلخي انّهم قالوا نحن ابناء الله واحبّاؤه واهل الصوم والصلوة وليسوا باولياء الله ولا احبّاؤه ولا اهل الصلوة والصيام ولكنّهم اهل شرك ونفاق وهو المروي عن ابي جعفر ع وقال قوم يحبّون ان يحمدوا على انّهم ابطلوا امر محمد ص وكذبوا ما ابطلوه ولا لهم قدرة على ذلك وروي عن ابن عباس وسعيد انّ الاية نزلت في اليهود حيث كانوا يفرحون باجلال الناس لهم ونسبتهم اياهم الى العلم وقال الضحاك والسدي نزلت في اليهود حيث فرحوا بما اثبتوا من تكذيب النبي ص وقال سعيد بن جبير فرحوا بما اتى الله آل ابرهيم وقال ابن عباس انّ النبي ص سالهم عن شيء فكتموه ففرحوا بكتمانهم واقوى هذه الاقوال ان يكون قوله لا تحسبنّ الذين يفرحون يعني بها من اخبر الله عنهم انّه اخذ ميثاقهم ليبيّننّ للناس امر محمد ص ولا يكتمونه لانّ قوله لا تحسبنّ الذين يفرحون في سياق الخبر عنهم وشبيه بقصّتهم مع انّ اكثر اهل التاويل عليه وقال الجبائي الاية في المنافقين لانّهم كانوا يعطون المؤمنين شيئا يستعينون به على الجهاد لا على وجه القربة الى الله بل على وجه الريا ويفرحون بذلك ويريدون مع ذلك ان يحمدوا على ذلك ويعتقدوا انّهم فعلوه لوجه القربة فقال لا تحسبنّ الذين يفرحون بما اتوا ويحبّون ان يحمدوا بما لم يفعلوا بمنزلة المؤمنين الذين يفعلون الافعال لله على وجه القربة اليه وقال فلا تحسبنّهم مع ذلك بمنجاة من العذاب بل لهم عذاب اليم يعني ولم يحسبان الثاني متعلّق بغير ما تعلّق به الاوّل فلذلك كرّر فان قيل اين خبر لا تحسبنّ الاولى قلنا عنه جوابان احدهما بمفازة من العذاب لانّها مكرّرة لطول الكلام وقيل الفاء زائدة على هذا وهو قول الزجاج الثاني انّ الخبر محذوف كانّه قال ناجين ودلّ الخبر الاخير عليه فان قيل كيف يجوز ان يذمّ بالفرح وليس من فعل الانسان قلنا ذمّ بالتعرّض له على جهة الاشر والبطر كما قال لا يحبّ الفرحين قوله تعالى وَلِلّٰهِ مُلْكُ السَّمٰوٰاتِ وَالْاَرْضِ وَاللّٰهُ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْرٌ اية بلا خلاف معنى الاية الاخبار من الله تعالى بانّه مالك ما في السموات وما في الارض بمعنى انّه يملك تدبيرهما وتصريفهما على ما شاء من جميع الوجوه ليس لغيره الاعتراض عليه في ذلك وانّه المقتدر على جميع ذلك وهو على كلّ شيء قدير وفي الاية تكذيب لمن قال انّ الله فقير ونحن اغنياء ولانّ من ملك ما في السموات والارض لا يكون فقيرا وفي قوله والله على كلّ شيء قدير تنبيه على انّه قادر على اهلاك من يقول هذا القول جهلا منه وعنادا لكنّه يحلم عنه ويؤخّر عذابه لضرب من المصلحة وقوله على كلّ شيء قدير خرج مخرج المبالغة وهو اخصّ من قوله بكلّ شيء عليم لانّ افعال العباد لا توصف بالقدرة عليها وفرّق الرمّاني بين ان يقال هو قادر على افعال العباد وبين قادر على فعلهم فقال قادر عليها يحتمل ما لا يحتمل قادر على فعلهم لانّه يفيد انّه قادر على تصريفه كما يقولون فلان قادر على هذا الحجر اي قادر على دفعه ووضعه وفلان قادر على نفسه اي قادر على ضبطها ومنعها ممّا تنازع اليه فعلى هذا جاز ان يقال انّه قادر على افعال العباد بمعنى انّه قادر على المنع منها والتمكين منها دون ما يستحيل من القدرة على ايجادها قوله تعالى اِنَّ فِيْ خَلْقِ السَّمٰوٰاتِ وَالْاَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَاٰيَاتٍ لِاُولِي الْاَلْبَابِ اية في هذه الاية دلالة على وجوب النظر والفكر والاعتبار بما يشاهد من الخلق والاستدلال

على الله تعالى ومدح لمن كانت صفته هذه وردّ على من انكر وجوب ذلك وزعم انّ الايمان لا يكون الّا تقليدا بالخبر لانّه تعالى اخبر عمّا في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار من الدلالات عليه وعلى وحدانيّته لانّ من فكّر في السموات وعظمها وعجائب ما فيها من النجوم والافلاك ومسير ذلك على التقدير الذي يسير عليه وفكّر في الارض وما فيها من ضروب المنافع وفي اختلاف الليل والنهار ومجيئها بالاوقات والازمنة التي فيها المصالح واتّساق ذلك وانتظام بعضها الى بعض وحاجة بعضها الى بعض حتّى لو عدم شيء منه لم يتمّ ما سواه علم انّ ذلك لا يكون الّا من مدبّر قادر عليم حكيم واحد لانّه لو كان قادرا ولم يكن عالما بالعواقب لما اغنت القدرة شيئا ولو كان عالما غير حكيم في فعله لما اغنى العلم شيئا ولو كانا اثنين ما انتظم تدبير ولا تمّ خلق ولعلا بعضهم على بعض كما قال تعالى لو كان فيهما الهة الّا الله لفسدتا فكيف ينسب الى الفقر من كان جميع ما في السموات والارض بيده ام كيف يكون غنيّا من كان رزقه بيد غيره اذا شاء رزقه واذا شاء حرمه ويدلّ على انّ خالق الجسم لا يشبهه لانّه لو اشبهه لكان محدثا مثله ويدلّ على انّه قديم لانّه لو كان محدثا لاحتاج الى محدث ولادّى ذلك الى ما لا يتناهى ويدلّ ايضا على انّه قادر على جميع الاجناس لانّ من قدر على الجسم يقدر على ساير الاجناس ووجه الدلالة من خلق السموات والارض على الله هو انّ الانسان اذا فكّر ورأى عظمها وثقل الارض ووقوفها على غير عمد يقلّها وحركة السموات حولها على شيء يعمدها علم انّ الممسك لذلك هو الذي لا يشبه الاجسام ولا المحدثات لانّه لو اجتمع جميع الخلق على ان يمسكوا جسما خفيف المقدار ويقلّوه في الجوّ من غير ان يدعموه لما قدروا عليه فعلم حينئذ انّ الذي يقدر عليه مخالف لجميع الاشياء وعلم ايضا انّها لو كانت السموات والارض معتمدة على غيرها لكان ذلك الغير يحتاج الى ما يعتمد عليه وفي ذلك اثبات ما لا يتناهى من الاجسام وذلك محال فهذا احد وجوه دلالة السموات والارض وهو احد ما قال انّ في ذلك لايات لاولي الالباب ووجه الدلالة من اختلاف الليل والنهار هو انّ جميع الخلق لو اجتمعوا على ان يأتوا بالليل بدلا من النهار او النهار بدلا من الليل او ينقصوا او يزيدوا من احدهما في الاخر لما قدروا عليه كما قال قل أرأيتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا الى يوم القيمة من اله غير الله يأتيكم بضياء افلا تسمعون قل أرأيتم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا الى يوم القيمة من اله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه افلا تبصرون ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله الاية وقوله لاولي الالباب معناه لذوي العقول واللبّ العقل سمّي به لانّه خير ما في الانسان واللبّ من كلّ شيء خيره وخالصه فان قيل فما وجه الاحتجاج بخلق السموات على الله ولم يثبت بعد انّها مخلوقة قيل عنه ثلثة اجوبة اوّلها على تقدير اثبات كونها مخلوقة قبل الاستدلال به لانّ الحجّة به قامت عليه من حيث انّها لم تنفكّ عن المعاني المحدثة الثاني انّ الغرض ذكرها بوجه صحّة الذي تقدّم ثمّ يرقى من ذلك الى تصحيح ما يقتضيه على مراتبه كالسؤال عن الدلالة على النبوّة فيقع الجواب بذكر المعجزة دون ما قبلها من الرتبة الثالث انّ تعاقب الضياء والظلام يدلّ على حدوث الاجسام قوله تعالى اَلَّذِيْنَ يَذْكُرُوْنَ اللّٰهَ قِيَامًا وَّقُعُوْدًا وَّعَلٰى جُنُوْبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُوْنَ فِيْ خَلْقِ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هٰذَا بَاطِلًا سُبْحٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ اية بلا خلاف موضع الذين خفض لانّه نعت لاولي الالباب اي فهؤلاء يستدلّون على توحيد الله بخلقه السموات والارض وانّهم يذكرون الله في جميع احوالهم قياما وقعودا وهو نصب على الحال وقوله وعلى جنوبهم اي ومضطجعين وانّما عطف على قياما وقعودا لانّ معناه يدلّ على الحال لانّ الظرف يكون حالا للمعرفة كما يكون نعتا للنكرة لانّه من الاستقرار كما تقول مررت برجل على الحائط اي مستقرّا على الحائط ومررت برجل في الدار مثله كما يقول انا اصير الى فلان ماشيا وعلى الخيل ومعناه وراكبا كما قال اذا مسّ الانسان الضرّ دعانا لجنبه او قاعدا او قائما ومعناه مضطجعا او قائما او قاعدا فبيّن تعالى انّ هؤلاء المستدلّين على حقيقة توحيد الله يذكرون الله في ساير الاحوال وقال قوم يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم اي يصلّون على قدر امكانهم

فى صحتهم وسقمهم وهو المروى فى اخبارنا ولانا فى بين التأويلين لانه لايمتنع ان يصفهم بانهم يتفكرون
فى خلق السموات والارض فى هذه الاحوال ومع ذلك يصلون على هذه الاحوال فى اوقات الصلوات
وهو قول ابن جريج وقتادة وقوله ربنا ما خلقت هذا باطلا انما قال هذا ولم يقل هذه ولا هؤلاء لانه
اراد به الخلق كانه قال ما خلقت هذا الخلق باطلا اى يقولون ربنا ما خلقت هذا باطلا بل خلقته دليلا
على وحدانيتك وعلى صدق ما انتهت انبياؤك لانهم ياتون ما يعجز عنه جميع الخلق وقوله سبحانك معناه
براءة لك من السوء وتنزيها لك من ان يكون خلقتهما باطلا قال الشاعر

اقول لما جاءنى فخره سبحان من علقمة الفاخر وقال آخر سبحانه ثم سبحانا يعود له وقبلنا سبح الجودى والجمد

وقوله فقنا عذاب النار اى فقد صدقنا رسلك بان لك الجنة والنار فقنا عذاب النار ووجه اتصال قوله
فقنا عذاب النار بما قبله قيل فيه قولان احدهما كانه قال ما خلقت هذا باطلا بل تعريضا للثواب بدلا من
العقاب فقنا عذاب النار بلطفك الذى نتمسك معه بطاعتك الثانى اتصال الدعاء الذى هو طاعة
لله بالاعتراف الذى هو طاعة له وفى الاية دلالة على ان الكفر والضلال وجميع القبائح ليست خلقا
لله لان هذه الاشياء كلها باطلة بلا خلاف وقد نفى الله تعالى بحكايته عن اولى الالباب الذين رضى
اقوالهم بانه لا باطل فيما خلقه فيجب بذلك القطع على ان القبائح كلها من فعل غيره وانه لا يجوز اضافتها
اليه تعالى قوله تعالى رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ اية
وهذه ايضا حكاية عن اولى الالباب الذين وصفهم بانهم ايضا يقولون ربنا انك من تدخل النار فقد
اخزيته اى من ناله عذاب النار وما فيها من الذل والمهانة فهو المخزى وقال ابن جريج وقتادة وانس
بن مالك وسعيد بن المسيب لاخزاء يكون بالتأبيد فيها وقال جابر بن عبد الله ان المخزى يكون بالدخول
فيها روى عن عمرو بن دينار وعطا انه قال وما اخزاه من احرقه بالنار ان دون ذا لخزيا وهذا هو الاقوى
لان الخزى انما هو هتك المخزى وفضيحته ومن عاقبه الله على ذنوبه فقد فضحه وذلك هو الخزى ولا
ينافى ذلك ما نذهب اليه من جواز العفو عن المذنبين لانه تعالى اذا عفا عن العاصى لا يكون اخزاه وان
ادخله النار ثم اخرجه منها بعد استيفاء العقاب فعلى قول من قال الخزى يكون بالدوام لا يكون اخزاه ومن
قال يكون بنفس الدخول له ان يقول ان ذلك وان كان خزيا فليس مثل خزى الكفار وما يفعل بهم
من دوام العقاب وعلى هذا يحمل قوله يوم لا يخزى الله النبى والذين امنوا معه وقوله وما للظالمين من انصار
معناه ليس للظالمين من يدفع عنهم على وجه المغالبة ولا ينافى ذلك الشفاعة فى اهل الكبائر لان الشفاعة
هى مسئلة وخضوع وضرع الى الله تعالى وليست من النصرة فى شئ وقوله ثم يخرجون من النار بعدما يصيرون
حمما وفحما صريح بوقوع العفو عن مرتكبى الكبائر وتأول الرمانى الخبر تأويلين احدهما انه لولا الشفاعة
لوقعوا كبيرة يستوجبون بها الدخول فيها فيخرجون بالشفاعة على هذا الوجه كما يقال اخرجتنى من السلعة
اذا كان لولا مشورته لدخل فيها بابتياعه اياها الثانى لولا الشفاعة لدخلوها بما معهم من الصغيرة ثم
اخرجوا عنها الى الجنة والاول فاسد لانه مجاز والثانى ليس بمذهب لاحد من القائلين بالوعيد لان الصغيرة
يقع مكفرة لا عقاب عليها فكيف يدخل بها النار قوله تعالى رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ
أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ اية بلا خلاف
فهذه الاية ايضا حكاية عمن تقدم وصفهم بانهم اولوا الالباب غير ذلك من الاوصاف التى مضت بانهم
يقولون ربنا اننا سمعنا مناديا ينادى للايمان واختلفوا فيمن المنادى هيهنا فقال محمد بن كعب القرظى و
قتادة هو القران وقال ابن جريج وابن زيد هو رسول الله صلعم وهو الذى اختاره الجبائى واختار الطبرى
الاول قال لانه ليس كل احد سمع قول النبى صلعم ولا راه ولا عاينه وسمع دعاءه الى الله تعالى والقران سمعه
من راه ومن لم يره كما قال تعالى مخبرا عن الجن انهم قالوا سمعنا قرانا عجبا يهدى الى الرشد وهذا الذى ذكره
ليس بطعن لانه اذا بلغه دعوة النبى صلعم جاز ان يقول سمعنا مناديا وان كان فيه ضرب من التجوز وقال

قتادة سمعوا دعوة من الله فاجابوها واحسنوا فيها وصبروا عليها وقوله سمعنا مناديا يعنى نداء
مناد لان المنادى لا يسمع وقوله للايمان معناه الى الايمان كما قال الحمد لله الذى هدانا لهذا ومعناه
الى هذا قال الراجز

اوحى لها القرار فاستقرت وشدها بالراسيات الثبت

يعنى اوحى اليها ومنه قوله بان ربك اوحى لها اى اليها فمعنى الاية ربنا اننا سمعنا داعيا يدعوا
الى الايمان والتصديق بك والاقرار بوحدانيتك واتباع رسولك واتباع امره ونهيه فصدقنا بذلك
يا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا ومعناه استرها علينا ولا تفضحنا بها فى القيمة على رؤس الاشهاد بعقوبتك
لكن كفرها عنا وكفر عنا سيئاتنا معناه امحها بفضلك ورحمتك ايانا وتوفنا مع الابرار معناه واقبضنا
اليك اذا قبضتنا فى جملة الابرار واحشرنا معهم والابرار جمع بر وهم الذين بروا الله بطاعتهم اياه حتى
ارضوه فرضى عنهم وقال الحسن هم الذين لا يؤذون الذر واصل البر الاتساع فالبر الواسع من الارض
خلاف البحر والبر صلة الرحم والبر العمل الصالح والبر الحنطة والابرار على الخصم الزيادة عليه وابتر من
اصحابه اذا انفرد منهم فان قيل اذا كان النداء انما هو تنبيه المنادى ليقبل بوجهه على المكلم له فما معنى
ربنا قلنا الاصل فى النداء تنبيه المنادى ثم استعمل فى استفتاح الدعاء اقتضاء للاجابة واعترافا
بالتفضل ولا يجوز فتح ان بعد ربنا بايقاع النداء عليه لان بعده لا يكون الا جملة ولا يقع فيه مفرد
لانه لا يجوز ربنا ادخالك النار من اخزيته لانه ابتداء لا خبر له فان قيل ما معنى قوله وكفر عنا وقد اغنى
عنه قوله فاغفر لنا قلنا عنه جوابان احدهما اغفر لنا ذنوبنا ابتداء بلا توبة وكفر عنا ان تبنا والثانى
اغفر لنا بالتوبة ذنوبنا وكفر عنا باجتناب الكبائر السيئات لان الغفران قد يكون ابتداء ومن سبب و
التكفير لا يكون الا عند فعل من العبد وقوله ان امنوا يحتمل ان امرين احدهما ان يكون بمعنى اى على ما
ذكره الرمانى والثانى ان يكون الناصبة للفعل لانه لا يقع فى مثله دخول الباء نحو بان امنوا و قوله
رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ اية بلا خلاف فهذه ايضا
حكاية عمن تقدم وصفهم بانهم يقولون اعطنا ما وعدتنا على لسان رسلك من الثواب ولا تخزنا
والمخزى فى اللغة المذل المحقور بامر قد لزمه بحجة يقول اخزيته اى الزمته حجة اذللته معها والخزى
والانقماع والارتداع متقاربة المعنى والخزاية شدة الاستحياء وقوله انك لا تخلف الميعاد استئناف
كلام ولذلك كسرت ان والمعنى انك وعدت الجنة لمن امن بك وانك لا تخلف الميعاد فان قيل ما وجه
مسئلتهم الله ان يؤتيهم ما وعدهم والمعلوم ان الله ينجز وعده ولا يجوز عليه الخلف فى الميعاد قيل
عن ذلك اجوبة احدها ما اختاره الجبائى والرمانى ان ذلك على وجه الانقطاع اليه والتضرع له و
التعبد له كما قال رب احكم بالحق وقوله لا تحملنا ما لا طاقة لنا به وامثال ذلك كثيرة والثانى قال قوم
ان ذلك خرج مخرج المسئلة ومعناه الخبر وتقدير الكلام ربنا اننا سمعنا مناديا ينادى للايمان
ان امنوا بربكم فامنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الابرار لتوفينا ما وعدتنا
به على رسلك ولا تخزنا يوم القيمة لانهم علموا ان ما وعد الله به فلا بد من ان ينجزه والثالث
قال قوم معناه المسئلة والدعاء بان يجعلهم ممن اتاهم ما وعدهم من الكرامة على السن رسله لا انهم
كانوا قد استحقوا منزلة الكرامة عند الله فى انفسهم ثم سئلوه ان يؤتيهم ما وعدهم بعد علمهم باستحقاقهم
عند انفسهم لانه لو كان كذا لكانوا زكوا انفسهم وشهدوا لها انهم ممن قد استوجب كرامة الله وثوابه
ولا يليق ذلك بصفة اهل الفضل من المؤمنين والرابع قال قوم انما سئلوا ذلك على وجه الرغبة منهم
اليه تعالى ان يؤتيهم ما وعدهم من النصر على اعدائهم من اهل الكفر واعلاء كلمة الحق على الباطل فعجل
ذلك لهم لانه لا يجوز ان يكونوا مع ما وعدهم الله به غير واثقين ولا على غير يقين ان الله لا يخلف الميعاد
فرغبوا اليه فى تعجيل ذلك ولكنهم كانوا وعدوا النصر ولم يوقت لهم فى ذلك وقت فرغبوا اليه تعالى
فى تعجيل ذلك لهم لما لهم فيه من السرور بالظفر وهو اختيار الطبرى وقال الاية مختصة بمن هاجر من اصحاب

البني ص من وطنه واهله عفادقا لاهل الشرك بالله الى رسول الله ص وغيرهم من اتباع رسول الله ص
الذين رغبوا اليه تعالى في تعجيل نصرهم على اعدائهم وعلموا انه لا يخلف الميعاد ذلك غير انهم
سألوا التعجيل وقالوا لا صبر لنا على اناتك وحلمك قوى ذلك بما بعد هذه الاية من قوله فاستجاب
لهم ربهم اني لا اضيع عمل عامل منكم من ذكر او انثى بعضكم من بعض فالذين هاجروا واخرجوا من ديارهم
واوذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا الايات بعدها وذلك لا يليق الا بما ذكره ولا يليق بالاقاويل التي قبله
والى هذا اومى البلخي لانه قال في الاية الاخرى انها والتي بعدها في الذين هاجروا الى النبي ص وفي الاية
دلالة على انه يجوز ان يدعوا العبد بما يعلم انه يفعله مثل ان يقول رب احكم بالحق وقوله فاغفر لنا ذنوبنا
خلاف ما يقوله المجبرة ولا يلزم على ذلك جواز التعبد بان يدعوا بما يعلم انه لا يكون مثل ان يقول لا يظلم
لان في ذلك تحكما على فاعله وتجرا عليه في تدبيره ولو سوى بينهما كان جائزا كما قلنا في قوله لا تحملنا ما لا
طاقة لنا به على احد الوجهين وقوله انك لا تخلف الميعاد فيه اعتراف بانه لا يخلف الميعاد بعد الدعاء
بالايجاز لئلا يتوهم عليهم تجويز الخلف على الله تع قوله تعالى فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ إِنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ
عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا
فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ اية بلا خلاف قرأ حمزة والكسائي وخلف وقتلوا و
قاتلوا بتقديم المفعولين على الفاعلين الباقون قاتلوا وقتلوا بتقديم الفاعلين على المفعولين وشدد
التاء من قتلوا ابن كثير وابن عامر وقرأ عمر بن عبد العزيز وقتلوا بلا الف وقتلوا وقال الطبري القراءة
بتقديم المفعولين لا يجوز وهذا خطأ ظاهر لان من اختار تقديم اسم الفاعلين على المفعولين وجه قراءة
ان القتال قبل القتل ومن قدم المفعولين على الفاعلين وجه قراءته يحتمل امرين احدهما ان يكون المعطوف
بالواو يجوز ان يكون اولا في المعنى وان كان مؤخرا في اللفظ لان الواو لا يوجب الترتيب وهي بخلاف الفاء
في هذا المعنى وهكذا اختلافهم في سورة التوبة والثاني ان يكون لما قتل منهم قاتلوا ولم يهنوا ولم يضعفوا
لمكان من قتل منهم كما قال تع فما وهنوا لما اصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب
الصابرين وقوله فاستجاب لهم ربهم اني اي باني وحذف الباء ولو قرئ بكسر الهمزة كان جائزا على تقدير قال
لهم اني لا اضيع عمل عامل منكم ومعنى قوله فاستجاب اجابهم ربهم يعني الداعين بما تقدم وصف الله اياهم
واجاب واستجاب بمعنى قال الشاعر وداع دعا يا من يجيب الى الندا فلم يستجبه عند ذاك مجيب
اي لم يجبه باني لا اضيع عمل عامل منكم من ذكر او انثى من زائدة كما يقال كان من الحديث ومن الامر ومن القصة
ومن ههنا احسن لان حرف النفي قد دخل في قوله لا اضيع وقال قوم من ههنا ليست زائدة لانها دخلت لمعنى
ولا يصلح الكلام الا بها لانها للترجمة والتفسير عن قوله منكم بمعنى لا اضيع عمل عامل منكم من الذكور والاناث
قالوا ولا يكون من زائدة الا في موضع جحد وقوله لا اضيع عمل عامل منكم لم يدركه الجحد لانك لا تقول لا
اضرب غلام رجل في الدار ولا في البيت فيدخل ولا لانه لم يناله الجحد ولكن من مفسرة وقوله لاكفرن عنهم
سيئاتهم معناه لاذهبنها واسقط عقابها وهذه الاية والتي قبلها في قول البلخي نزلت في المتبعين للنبي ص
والمهاجرين معه ثم هي في جميع من سلك سبيلهم واتبع اثارهم من المسلمين وقوله لاكفرن عنهم سيئاتهم اي
لاغطينها وامحونها واحطنها عنهم بما نالهم من الم الهجرة والجهاد واحتمال تلك الشدائد في جنب الله و
حمل السيئات على الصغائر وقوله ثوابا من عند الله نصب على المصدر ذكر على وجه التاكيد لان معنى ولادخلنهم
جنات تجري من تحتها الانهار لاثيبنهم ومثله كتاب الله عليكم لان قوله حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم معناه كتب
الله عليكم وكتاب الله عليكم مؤكد ومثل ذلك صنع الله الذي لان قوله وترى الجبال تحسبها جامدة وهي
تمر مر السحاب فقد علم منه ان ذلك صنع وقوله من ذكر او انثى روي انه قيل لرسول الله ص ما بال الرجال يذكرون
ولا نذكر النساء في الهجرة فانزل الله هذه الاية روى ذلك عن مجاهد وعمرو بن دينار ويقال ان القائل لرسول

الله ص كانت ام سلمة رض وقوله بعضكم من بعض قال ابو علي يحتمل امرين احدهما ان يريد بقوله بعضكم
العاملين من بعض يعني بعض العمل الذي امر به والثاني ان يكون عنى بقوله بعضكم من بعض ان ذكور
المؤمنين واناثهم مستوون في ان لا يضيع الله لاحد منهم عملا وان يجازيهم على طاعاتهم فاناث المؤمنين
بعض المؤمنين وكذلك ذكورهم فبعضهم كبعض في هذا الباب وقال الطبري بعضكم من بعض معنى الذين
يذكرونني قياما وقعودا وعلى جنوبهم من بعض في النصرة والملة والدين وحكم جميعكم فيما افعل بكم حكم
احدكم في اني لا اضيع عمل عامل ذكر منكم ولا انثى والاضاعة الاهلاك ضاع الشيء يضيع اذا هلك و
اضاعه اضاعة وضيعه تضييعا ومنه الضيعة القرية وقوله فالذين هاجروا واخرجوا من ديارهم يعني الذين
هاجروا قومهم من اهل الكفر في الله الى اخوانهم المؤمنين واخرجوا من ديارهم هم المهاجرون الذين
اخرجهم المشركون من مكة واوذوا في سبيلي يعني اوذوا في طاعتي وعبادتي وديني وذلك هو سبيل الله
وقاتلوا يعني في سبيل الله وقتلوا فيها لاكفرن عنهم سيئاتهم يعني لامحونها عنهم ولاتفضلن عليها
بعفوي ورحمتي ولاغفرنها لهم وذلك يدل على ان اسقاط العقاب تفضل على كل حال ولادخلنهم جنات
تجري من تحتها الانهار ثوابا يعني جزاء لهم على اعمالهم والله عنده حسن الثواب معناه ان عنده من حسن
الجزاء على الاعمال ما لا يبلغه وصف واصف مما لا عين رات ولا خطر على قلب بشر قوله تعالى لَا يَغُرَّنَّكَ
تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ايتان بلا خلاف
هذا خطاب للنبي ص وقيل في معناه قولان احدهما ان ذلك على وجه التاديب والتحذير لان النبي لا يجوز عليه
المعاصي لكان التحذير من الله والتخويف كما قال لئن اشركت ليحبطن عملك الثاني ان الخطاب وان توجه
اليه فالمراد به جميع المؤمنين وتقديره لا يغرنكم ايها المؤمنون ما ترون ان قوما من الكفار كانوا
يتجرون ويربحون في الاسفار التي كانوا يسافرونها ويسلمون فيها لكونهم في الحرم فاعلم الله تع ان
ذلك مما لا ينبغي ان يغبطوا به لان ماويهم ومصيرهم بكفرهم الى النار ولا خير بعده النار وقوله
متاع قليل معناه ذلك الكسب والربح الذي يربحونه متاع قليل وسماه متاعا لانهم متعوا به في
الدنيا والمتاع النفع الذي تتعجل به اللذة اما بوجود اللذة او بما يكون به اللذة نحو المال الجليل و
الملك وغير ذلك من الاولاد والاخوان ووصفه بالقلة لسرعة زواله وانقطاعه وذلك بالتقليل بالاضافة
الى نعيم الاخرة والمهاد الموضع الذي يسكن فيه الانسان ويفترشه ووصفه بانه بئس المهاد على ضرب
من المجاز لما فيه من انواع العذاب لان الذم انما هو على الاساءة كقولك بئس الرجل هذا قول ابي علي
الجبائي وقال البلخي هو حقيقة لانه على وجهين احدهما من جهة انصرافه الى النقص والاخرى من جهة الاساءة
وهو معنى قول السدي وقتادة واكثر المفسرين والغرور ايهام حال السرور فيما الامر بخلافه في المعلوم
وليس كل ايهام غرورا لانه قد يتوهمه مخوفا فيحذر منه فلا يقال غره والفرق بين الغرور والخطر ان الغرور
قبيح لانه ترك الحزم فيما يمكن ان يتوثق منه والخطر قد يحسن على بعض الوجوه لانه من العظم من قولهم
رجل خطير اي عظيم وبني المضارع مع النون الشديدة لانه بمنزلة ضم اسم الى اسم للتاكيد قوله تعالى
لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِنْ عِنْدِ
اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ اية قرأ ابو جعفر لكن بتشديد النون وفتحها ههنا وفي الزمر
وقرأ ابو عمرو والكسائي وحمزة في اكثر الروايات للابرار وللابرار وللفجار بالامالة الباقون بالتفخيم
الامالة في فتحة الراء حسنة لان الراء المكسورة تغلب المفتوحة كما غلبت المستعلي في قولهم قارب و
طارد وقادر فيمن اماله فاذا غلبت المستعلي فان تغلب الراء المفتوحة اولى لانه لا استعلاء في الراء
وانما هو حرف من مخرج اللام فيه تكرير ومن لم يمل فلان كثيرا من الناس لا يميل شيئا من ذلك لما اخبر الله
تعالى عما للكفار من سوء العاقبة وانواع العذاب بشر المؤمنين بما اعد لهم من الجزاء عند الله وجزيل
الثواب فقال لكن الذين اتقوا ربهم بفعل الطاعات وترك المعاصي لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين

فيها نزلا من عند الله يعني ثوابا من عند الله وهو نصب على المصدر على وجه التاكيد لان خلودهم فيها انزالهم فيها كانه قال نزلوها نزلا وهو معنى انزلوها انزالا ويحتمل ان يكون نصبا على التفسير كقولك هو لك هبة وواحد الابرار بار مثل صاحب واصحاب ويجوز ان يكون بر وابرار على فعل وافعال تقول بررت والدي فانا بر واصله برر لكن ادغمت الراء للتضعيف وقوله وما عند الله خير يعني من الجزاء والكرامة وحسن المآب خير للابرار مما يتقلب فيه الذين كفروا لان ما يتقلبون فيه زايل فان قليل وما عند الله دائم غير زايل وقد بينا معنى لكن فيما مضى وانها للاستدراك بها خلاف المعنى المتقدم من اثبات بعد نفي او نفي بعد اثبات فقوله لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد يتضمن معنى فما لهم كبير نفع فجاء على ذلك لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات وقوله تجري من تحتها الانهار معناه تجري من تحت شجرها ويقال انها تجري معلقة من غير اخدود وها روى خالد عن عبد الله بن مسعود انه قال ما من نفس برة ولا فاجرة الا والموت خير لها وقوله في الفاجرة ان الموت خير لها يعني اذا كانت تدوم على فجورها قوله تعالى وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ اية بلا خلاف اختلفوا فيمن نزلت هذه الاية فقال جابر بن عبد الله وسعيد بن المسيب وقتادة وابن جريج ان النبي صلعم لما بلغه موت النجاشي دعا له واستغفر له وصلى عليه وقال للمؤمنين صلوا عليه فقالوا انصلي على رجل ليس بمسلم وقال قوم منافقون نصلي على علج بنجران فنزلت هذه الاية فالصفات التي فيها صفات النجاشي وقال ابن زيد وفي رواية عن ابن جريج وابن اسحق انها نزلت في جماعة من اليهود وكان اسلموا منهم عبد الله بن سلام ومن معه وقال مجاهد انها نزلت في كل من اسلم من اهل الكتاب من اليهود والنصارى وهو اولى لانه عموم الاية ولا دليل يقطع به على ما قالوه على انها لو انزلت في النجاشي او من ذكره لم يمنع ذلك من حملها على عمومها في كل من اسلم من اهل الكتاب لان الاية قد تنزل على سبب وتكون عامة في كل من يتناوله وانما خصوا بالوعيد ليبين ان جزاء اعمالهم موفر عليهم لا يضرهم كفر من كفر منهم فتاويل الاية وان من اهل الكتاب التورية والانجيل لمن يؤمن بالله اي يصدق بالله ويقر بوحدانيته وما انزل اليكم ايها المؤمنون من كتابه ووحيه على لسان نبيه محمد صلعم وما انزل اليهم يعني الى اهل الكتاب من الكتب خاشعين يعني خاضعين بالطاعة مستكينين له بها متذللين قال ابن زيد الخاشع المتذلل الخائف لا يشترون بايات الله ثمنا قليلا معناه لا يحرفون ما انزل الله في كتبه من اوصاف محمد صلعم فيبدلونه ولا غير ذلك من احكامه وحججه لغرض من الدنيا خسيس يعطونه على التبديل وابتغاء الرياسة على الجهال كما فعله غيرهم ممن وصفه بقوله تعالى اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى وقال اولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالاخرة لكن ينقادون للحق ويعملون بما امرهم الله به مما انزل اليهم وينتهون عما نهاهم عنه ثم قال اولئك يعني هؤلاء الذين يؤمنون بالله وما انزل اليكم وما انزل اليهم لهم اجرهم عند ربهم يعني لهم عوض اعمالهم وثواب طاعاتهم فيما يطيعونه فيها مذخور عند ربهم حتى يوفيهم يوم القيمة ان الله سريع الحساب وصفه بالسرعة لانه لا يؤخر الجزاء عمن يستحقه لطول الحساب لانه لا يخفى عليه شيء من اعمالهم قبل ان يعملوها وبعد ان عملوها فلا حاجة به الى احصاء عدد فيقع في الاحصاء ابطاء وقال الجبائي لانه قادر على ان يكلمهم في حال واحدة كل واحد بكلام يخصه لانه قادر لنفسه وخاشعين نصب على الحال ويمكن ان يكون حالا من الضمير في يؤمن وهو عائد الى قوله لمن يؤمن بالله ويمكن ان يكون حالا من قوله اليهم وقال الحسن الخشوع الخوف اللازم للقلب من الله واصل الخشوع السهولة والخشعة سهولة الرمل كالربوة والخاشع من الارض الذي لا يهتدى له لان الرمل يعفي آثاره ومنه قوله خاشعا ابصارهم وخشعت الاصوات للرحمن والخاشع الخاضع ببصره والخشوع التذلل خلاف التصعب قوله تعالى يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ اية بلا خلاف اختلفوا في تاويل

هذه الاية فقال قوم معنى اصبروا اثبتوا على دينكم وصابروا الكفار ورابطوهم يعني في سبيل الله ذهب اليه الحسن وقتادة وابن جريج والضحاك وقال اخرون معناها اصبروا على دينكم وصابروا الوعد الذي وعدتكم به ورابطوا عدوي وعدوكم ذهب اليه محمد بن كعب القرظي وقال اخرون اصبروا على الجهاد وصابروا عدوكم ورابطوا الخيل عليه ذهب اليه زيد بن اسلم وقال اخرون رابطوا الصلوات اي انتظروها واحدة بعد واحدة لان المرابطة لم تكن حينئذ وهذا مروي عن علي عم ذهب اليه ابو سلمة بن عبد الرحمن وجابر بن عبد الله وابو هريرة والاولى ان تحمل الاية على عمومها في الصبر على كل ما هو من الدين فعلا كان او تركا واصل الرباط ارتباط الخيل للعدو والربط الشد ومنه قولهم ربط الله على قلبه بالصبر ثم استعمل في كل مقيم في ثغر يدفع عمن وراءه من اراده بسوء فينبغي ان يحمل قوله رابطوا ايضا على المرابطة لما قلناه لانه العرف في استعمال الخبر وعلى انتظار الصلوة واحدة بعد اخرى وقوله واتقوا الله معناه اتقوا ان تخالفوه فيما يامركم به لكي تفلحوا بنعيم الابد وتنجحوا بطاعتكم من الثواب الدائم وروى عن ابي جعفر عم انه قال اصبروا على المصائب وصابروا على عدوكم ورابطوا عدوكم وانما جمع بين اصبروا وصابروا مع ان المصابرة من الصبر للبيان عن تفصيل الصبر الذي يعانيه في الذكر لان المصابرة صبر على جهاد العدو يقابل صبره لان المفاعلة بين اثنين وانما وصف اي بالموصول ولم يوصف بالمضاف لان الذي يجري مجرى الجنس لان فيه الالف واللام بمنزلة قوله يا ايها المؤمنون ولا يجوز يا ايها اخو زيد لانه لا يصح فيه الجنس

سورة النساء مائة وست وسبعون اية كوفي وخمس وسبعون بصري ومدني وهي مدنية كلها

وقد روى عن بعضهم انه قال كلما في القران من قوله يا ايها الناس نزل بمكة والاول قول قتادة ومجاهد وعبد الله بن عياش بن ابي ربيعة وقال بعضهم ان جميعها نزلت بالمدينة الا اية واحدة وهي قوله ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها فانها نزلت بمكة حين اراد النبي صلعم ان ياخذ مفاتيح الكعبة من عثمان بن طلحة ويسلمها الى عمه العباس قوله يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا اية بلا خلاف قرا اهل الكوفة تسالون به بتخفيف السين الباقون بتشديدها وقرا حمزة وحده والارحام بجر الميم الباقون بفتحها فمن قرا من اهل الكوفة تسالون به بالتخفيف فوجهه ان اصله تتساءلون فحذف احدى التائين وهي الاصلية لان الاخرى للمضارعة وانما حذفوها لاستثقالهم اياها في اللفظ فحذفت لان الكلام غير ملتبس ومن شدد ادغم احدى التائين في السين لقربها مكانه هذه من هذه ومعنى تساءلون به تطلبون حقوقكم به والارحام القراءة المختارة عند النحويين النصب في الارحام على تقدير واتقوا الارحام او يكون معطوفا على موضع به ذكره ابي علي الفارسي فاما الخفض فلا يجوز عندهم الا في ضرورة الشعر كما قال الشاعر انشده سيبويه

فاليوم قربت تهجونا وتشتمنا ... فاذهب فما بك والايام من عجب

فجر والايام عطفا على موضع الكاف في بك وقال اخر ... نعلق في مثل السواري سيوفنا ... وما بينها والكعب غوط نفانف

فعطف بالكعب على الهاء والالف في بينها وهو ظاهر على مكني وقال اخر

وان الله يعلمني ووهبا ... وانا سوف نلقاه سوانا

فعطف ووهبا على الياء في يعلمني ومثل ذلك لا يجوز في القران والكلام قال المازني لان الثاني في العطف شريك للاول فان كان الاول يصلح ان يكون شريكا للثاني جاز وان لم يصلح ان يكون الثاني شريكا له لم يجز قال فكما لا تقول مررت بزيد وكذلك لا تقول مررت بك وزيد وقال ابو علي الفارسي لان المخفوض حرف متصل غير منفصل فكانه كالتنوين في الاسم فقبح ان يعطف باسم يقوم بنفسه على اسم لا يقوم بنفسه ويفسد من جهة المعنى من حيث ان اليمين بالرحم لا يجوز لان النبي صلعم قال لا تحلفوا بابائكم فكيف تساءلون به وبالرحم على هذا وقال اسمعيل بن اسحق الحلف بغير الله امر عظيم وان ذلك خاص لله تعالى وهو المروي في اخبارنا وقال ابرهيم النخعي وغيره انه

من قولهم نشدتك بالله وبالرحم وقال ابن عباس والسدي وعكرمة والحسن والربيع والضحاك وابن جريج و
ابن زيد وقتادة المعنى والارحام فصلوها وهذه الاية خطاب لجميع المكلفين من البشر وقوله اتقوا ربكم فيه
وعظ بان يتقي عصيانه بقبول ما امر به وارتكاب ما هي عنه وحذر من قطع الارحام لما اراد من الوصية بالاولاد
والنساء والضعفاء فاعلمهم انهم جميعا من نفس واحدة فيكون ذلك داعيا لهم الى لزوم امره وحدوده في
ورثتهم ومن يخلفون بعدهم وفي النساء والايتام عطفا لهم عليهم ثم اخبر تعالى انه خلق الخلق من نفس واحدة
فقال الذي خلقكم من نفس واحدة والمراد بالنفس ههنا ادم عند جميع المفسرين السدي وقتادة ومجاهد
وغيرهم وقوله وخلق منها زوجها يعني حوا روي انها خلقت من ضلع من اضلاع ادم ذهب اليه اكثر المفسرين
وقال ابو جعفر خلقها من فضل الطينة التي خلق منها ادم ولفظ النفس مؤنث بالصيغة ومعناها التذكير ههنا
ولو قيل نفس واحد لجاز وبث منهما رجالا كثيرا ونساء معنى بث نشر يقال بث الله الخلق ومنه قوله كالفراش
المبثوث وذلك يدل على بث وبعض العرب يقول ابث الله الخلق ويقال بثثتك سري وابثثتك سري لغتان و
قوله ان الله كان عليكم رقيبا اي حافظا يقول رقب يرقب رقابا وانما قال كان عليكم ولفظ كان يفيد الماضي
لانه اراد انه كان حفيظا على من تقدم زمانه من عهد ادم وولده الى زمان المخاطبين وانه كان عالما بما صدر
منهم لم يخف عليه منه شئ والرقيب الحافظ في قول مجاهد وقال ابن زيد الرقيب العالم والمعنى متقارب يقال
رقب يرقب رقوبا ورقبا ورقبة قال ابو داود كمقاعد الرقباء للضرباء ايديهم نواهد وقيل في معنى الذي
تسالون به قولان احدهما قال الحسن ومجاهد وابرهيم من قولهم اسئلك بالله والرحم فعلى هذا يكون عطفا
على موضع به كانه قال وتذكرون الارحام في التساول الثاني قال ابن عباس وقتاده ومجاهد والضحاك
والربيع وابن زيد وهو المروي عن ابيجعفر ع واتقوا الارحام ان تقطعوها فعلى هذا يكون معطوفا على
اسم الله تع ووجه النعمة في الخلق من نفس واحدة انه اقرب الى ان يتعطفوا ويامن بعضهم بعضا و
يحامي بعضهم عن بعض ولا يانف بعضهم من بعض لما بينهم من القرابة والرجوع الى نفس واحدة لان
النفس الواحدة ههنا ادم باجماع المفسرين الحسن وقتادة والسدي ومجاهد وجاز في نفس واحدة
لان حوا من ادم على ما بيناه فرجع الجميع الى ادم وانما انث لنفس والمراد بها ادم لان لفظ
النفس مؤنثة وان عنى بها مذكر كما قال الشاعر

ابوك خليفة ولدته اخرى وانت خليفة ذاك الكمال

فانث على اللفظ وقد حكينا عن اكثر المفسرين ابن عباس ومجاهد والحسن وقتادة والسدي وابن اسحق
ان حوا خلقت من ضلع من اضلاع ادم وروى عن النبي صلعم انه قال المراة خلقت من ضلع وانك ان اردت
ان تقيمها كسرتها وان تركتها وفيها عوج استمتعت بها وروى عن ابيجعفر ع ان حوا خلقت من فضل طينة
ادم ع قوله تعالى وَاٰتُوا الْيَتَامٰى اَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيْثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَاْكُلُوْا اَمْوَالَهُمْ اِلٰى
اَمْوَالِكُمْ اِنَّهٗ كَانَ حُوْبًا كَبِيْرًا اية بلا خلاف هذا خطاب لاوصياء اليتامى امرهم الله بان يعطوا اليتامى
اموالهم اذا بلغوا الحلم وانس منهم الرشد وسماهم يتامى بعد البلوغ وايناس الرشد مجازا لان النبي صلعم
قال لا يتم بعد احتلام كما قالوا في النبي صلعم انه يتيم ابيطالب بعد كبره يعنون انه رباه وقوله ولا تتبدلوا
الخبيث بالطيب معناه لا تستبدلوا ما حرمه الله عليكم من اموال اليتامى بما احله الله لكم من اموالكم و
اختلفوا في صفة التبديل فقال بعضهم كان اوصياء اليتامى ياخذون الجيد من مال اليتيم والرفيع منه و
يجعلون مكانه الردي الخسيس ذهب اليه ابرهيم النخعي والسدي وابن المسيب والزهري والضحاك فقال
قوم معناه ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب بان تتعجلوا الحرام قبل ان ياتيكم الرزق الحلال الذي قدر لكم ذهب
اليه ابو صالح ومجاهد وقال ابن زيد معناه ما كان اهل الجاهلية يفعلونه من انهم لم يكونوا يرزقون النساء
ولا الصغار بل ياخذه الكبار واقوى الوجوه الوجه الاول لانه ذكر عقيب مال اليتامى وان حمل على عموم
النهي عن التبدل بكل ما لحرام كان قويا وقوله ولا تاكلوا اموالهم الى اموالكم يعني اموال اليتامى مع

اموالكم والتقدير لا تضيفوا اموالهم الى اموالكم فتاكلوها جميعا فاما خلط مال اليتيم بمال نفسه اذا لم
يظلمه فلا باس به بلا خلاف قال الحسن لما نزلت هذه الاية كرهوا مخالطة اليتامى فشق ذلك عليهم فشكوا ذلك الى
رسول الله فانزل الله ويسئلونك عن اليتامى قل اصلاح لهم خير وان تخالطوهم فاخوانكم والله يعلم المفسد
من المصلح وهو المروي عن ابيجعفر وابيعبدالله ع وقوله انه كان حوبا كبيرا يعني ان اكلكم اموال اليتامى مع
اموالكم حوب كبير اي اثم كبير في قول ابن عباس ومجاهد والهاء في قوله انه دالة على اسم الفعل الذي هو
الاكل والحوب الاثم يقال حاب يحوب حوبا وحيابة والاسم الحوب وقرا الحسن حوبا ذهب الى المصدر ويقال تحوب
فلان من كذا اذا تحرج منه ويقال نزلنا بحوبة من الارض وبحيبة من الارض يعني بموضع سوء وحكى الفراء
عن بني اسد ان الحائب القاتل وقال الشاعر

اِنَّ ما تطيع ابن عبس انها رحم حبتم بها فاناختكم بجعجاع

اي اثمتم والحوبة الحزن والتحوب التحزن والتحوب التاثم والتحوب الصياح الشديد والحوباء الروح و
الكبير العظيم قوله تعالى وَاِنْ خِفْتُمْ اَلَّا تُقْسِطُوْا فِي الْيَتَامٰى فَانْكِحُوْا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنٰى وَ
ثُلٰثَ وَرُبٰعَ فَاِنْ خِفْتُمْ اَلَّا تَعْدِلُوْا فَوَاحِدَةً اَوْ مَا مَلَكَتْ اَيْمَانُكُمْ ذٰلِكَ اَدْنٰى اَنْ لَّا تَعُوْلُوْا وَاٰتُوا
النِّسَاءَ صَدُقٰتِهِنَّ نِحْلَةً فَاِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوْهُ هَنِيْٓئًا مَّرِيْٓئًا ايتان و
اختلف المفسرون في سبب نزول هذه الاية على ستة اقوال اولها ما روي عن عايشة انها قالت نزلت في اليتيمة
التي تكون في حجر وليها فيرغب في مالها وجمالها ويريد ان ينكحها بدون صداق مثلها فنهوا ان ينكحوهن
الا ان تقسطوا لها صداق مهر مثلها وامروا ان ينكحوا ما طاب مما سواهن من النساء الى الاربع فان خفتم
الا تعدلوا فواحدة من سواهن او ما ملكت ايمانكم ومثل هذا ذكر في تفسير اصحابنا وقالوا انها متصلة بقوله
ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم في الكتاب في يتامى النساء اللاتي لا تؤتونهن
ما كتب لهن وترغبون ان تنكحوهن فان خفتم الا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء الاية
وبه قال الحسن والجبائي والمبرد والثاني قال ابن عباس وعكرمة ان الرجل منهم كان يتزوج الاربع
والخمس والست والعشر ويقول ما يمنعني ان اتزوج كما تزوج فلان فاذا فني ماله مال على مال اليتيم
فانفقه فنهاهم الله تع ان يتجاوزوا الاربع ان خافوا على مال اليتيم وان خافوا من الاربع ايضا ان يقتصروا على
واحدة الثالث قال سعيد بن جبير والسدي وقتادة والربيع والضحاك واحدى الروايات عن ابن عباس قالوا كانوا
يشددون في اليتامى ولا يشددون في النساء وينكح احدهم النسوة فلا يعدل بينهن فقال الله كما تخافون الا تعدلوا في اليتامى فخافوا في
النساء فانكحوا واحدة الى الاربع فان خفتم الا تعدلوا فواحدة والرابع قال مجاهد ان خفتم الا تقسطوا في اليتامى
معناه ان تحرجتم من ولاية اليتامى واكل اموالهم ايمانا وتصديقا فكذلك فتحرجوا من الزنا وانكحوا النكاح المباح
من واحدة الى اربع فان خفتم الا تعدلوا فواحدة والخامس قال الحسن ان خفتم الا تقسطوا في اليتيمة المرباة في حجركم
فانكحوا ما طاب لكم من النساء مما احل لكم من يتامى قراباتكم مثنى وثلاث ورباع فان خفتم الا تعدلوا فواحدة او
ما ملكت ايمانكم وبه قال الجبائي وقال الخطاب متوجه الى اولياء اليتيمة اذا اراد ان يتزوجها اذا كان هو وليها
كان له ان يزوجها قبل البلوغ ولا ان يتزوجها والسادس قال الفراء المعنى ان كنتم تتحرجون من مواكلة اليتامى
فاحرجوا من جمعكم بين اليتامى ثم لا تعدلون بينهن وقوله فانكحوا ما طاب لكم جواب لقوله وان خفتم الا تقسطوا
على قول من قال ما رويناه اولا عن عايشة وابي جعفر ومن قال تقديره ان خفتم الا تقسطوا في اليتامى فكذلك
فخافوا في النساء والجواب قوله فانكحوا ما طاب لكم من النساء والتقدير فان خفتم الا تقسطوا في اموال اليتامى
فتعدلوا فيها فكذلك فخافوا الا تقسطوا في حقوق النساء فلا تتزوجوا منهن الا من تامنون معه الجور مثنى و
ثلاث ورباع وان خفتم ايضا من ذلك فواحدة فان خفتم من الواحدة فما ملكت ايمانكم فترك ذكر قوله فكذلك فخافوا
الا تقسطوا في حقوق النساء لدلالة الكلام عليه وهو قوله فان خفتم الا تعدلوا فواحدة او ما ملكت ايمانكم ومعنى
الا تقسطوا اي لا تعدلوا ولا تنصفوا فالاقساط هو العدل والانصاف والقسط هو الجور ومنه قوله واما
القاسطون فكانوا لجهنم حطبا وقد بيناه فيما مضى واليتامى جمع لذكران اليتامى واناثهم في هذا المعنى وقال

الحسين بن علي المغربي معنى ما طاب اي بلغ من النساء كما يقال طابت الثمرة اذا بلغت قال والمراد المنع من تزويج اليتيمة قبل البلوغ لئلا يجري عليها الظلم فان البالغة تختار لنفسها وقيل معنى ما طاب لكم من النساء من احل لكم منهن دون من حرم عليكم وانما قال ما طاب ولم يقل من طاب وان كان من لما يعقل وما لما لا يعقل لان المعنى انكحوا الطيب اي الحلال هذه العدة لانه ليس كل النساء حلالا لان الله حرم كثيرا منهن بقوله حرمت عليكم امهاتكم الاية هذا قول الفراء وقال مجاهد فانكحوا النساء نكاحا طيبا وقال المبرد ما ههنا للجنس كقول القائل ما عندك فيقول رجل او امراة فالمعنى بقوله ما طاب الفعل دون اعيان النساء واشخاصهن لان الاعيان لا تحرم ولا تحلل وانما يتناول التحريم والتحليل التصرف فيها وجرى ذلك مجرى قول القائل خذ من رقيقي ما اردت اذا اراد خذ منهم ارادتك ولو اراد خذ الذي تريد لم يجز الا ان يقول خذ من رقيقي من اردت وكذلك قوله او ما ملكت ايمانكم معناه او ملك ايمانكم ومعنى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فلينكح كل واحد منكم مثنى وثلاث ورباع كما قال والذين يرمون المحصنات ثم لم ياتوا باربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة معناه فاجلدوا كل واحد منهم ثمانين جلدة وقوله مثنى وثلاث ورباع بدل مما طاب وموضعه النصب وتقديره اثنين اثنين وثلاثا وثلاثا واربعا اربعا الا انه لا ينصرف لعلتين احدهما انه معدول عن اثنين واثنين ثلاث ثلاث في قول الزجاج وقال غيره لانه معدول ولانه نكرة والتنكير اصل للاشياء وقال غيرهم هو معرفة وهذا فاسد عند البصريين لانه صفة للنكرة في قوله اولي اجنحة مثنى وثلاث ورباع والمعنى اولي اجنحة ثلثة ثلثة واربعة اربعة وقال الفراء لانه معدول لانه يقع على الذكر والانثى ولانه مضاف الى ما يضاف اليه الثلثة فكان لامتناعه من الاضافة كان فيه الالف واللام قال الشاعر

وَلٰكِنَّمَا اَهْلِي بِوَادٍ اَنِيسُهُ ... ذِئَابٌ تَبَغَّى النَّاسَ مَثْنَى وَمَوْحَدُ

وعن قال انه اسم للعدد معرفة استدل بقول تميم بن ابي مقبل

تَرَى النُّعَرَاتِ الزُّرْقَ تَحْتَ لَبَانِهِ ... اُحَادَ وَمَثْنَى اَصْعَقَتْهَا صَوَاهِلُهْ

وهي معرفة وقد يجي منكرا مصروفا كما قال الشاعر

فَلَمَّا بِهِ مِنْ بَيْنِ مَثْنَى وَمَوْحَدٍ ... بِاَرْبَعَةٍ مِنْكُمْ وَآخَرَ خَامِسِ

وترك الصرف اكثر قال صخر

اَلَيْسَ مَنَتْ لَكَ اَنْ تُلَاقِيَنِي الْمَنَايَا ... اُحَادَ اُحَادَ فِي شَهْرٍ حَلَالِ

وقد يقع هذه الالفاظ على الذكر والانثى فوقوعها على الانثى مثل الاية التي نحن في تفسيرها ووقوعها على الذكر قوله اولي اجنحة مثنى وثلاث ورباع لان المراد به الجناح وهو مذكر ويقال احاد وموحد وثنى ومثنى وثلاث ومثلث ورباع ومربع ولم يسمع فيما زاد عليه مثل خماس ولا المخمس ولا السداس والسباع الا بيت للكميت فانه يروى في العشرة عشار وهو قوله

فَلَمْ يَسْتَرِيثُوكَ حَتَّى رَمَيْتَ ... فَوْقَ الرِّجَالِ خِصَالًا عُشَارًا

يريد عشرا وقال صخر السلمي في ثنا وموحد

وَلَقَدْ قَتَلْتُكُمْ ثُنَاءً وَمَوْحَدًا ... وَتَرَكْتُ مُرَّةَ مِثْلَ اَمْسِ الدَّابِرِ

ولم يرد انه قتل الثلثة وانما اراد انه قتل نفرا كثيرا منهم واحدا بعد واحد واثنين بعد اثنين وقوله فواحدة نصب على انه مفعول به والتقدير فان خفتم الا تعدلوا فيما زاد على الواحدة فانكحوا واحدة ولو رفع كان جائزا وقد قرا ابو جعفر المدني وتقديره فواحدة كافية او فواحدة مجزية كما قال فان لم يكونا رجلين فرجل وامراتان ومن استدل بهذه الاية على ان نكاح التسع جائز فقد اخطا لان ذلك خلاف الاجماع وايضا فالمعنى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى ان امنتم الجور واما ثلاث ان لم تخافوا ذلك ورباع ان امنتم ذلك فيهن بدلالة قوله فان خفتم الا تعدلوا فواحدة لان معناه فان خفتم في الثنتين فانكحوا واحدة ثم قال فان خفتم ايضا في الواحدة فما ملكت ايمانكم على ان مثنى لا يصح الا لاثنين اثنين او اثنتين اثنتين على التفريق في قول الزجاج فتقدير الاية فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث بدلا من مثنى ورباع بدلا من ثلاث ولو قيل بالواو لظن انه ليس لصاحب مثنى ثلاث ولا لصاحب الثلاث رباع ومن استدل بقوله فانكحوا على وجوب التزويج من حيث ان الامر يقتضي الايجاب فقد اخطا لان ظاهر الامر وان اقتضى الايجاب فقد ينصرف عنه بدليل وقد قام الدليل على ان التزويج ليس بواجب على ان الغرض

بالاية النهي عن العقد على من يخاف الا يعدل بينهن والتقدير وان خفتم الا تقسطوا في اليتامى فتحرجتم منهم فكذلك فتحرجوا في النساء فلا تنكحوا الا ما امنتم به الجور فيه منهن مما احللته لكم منهن من الواحدة الى الاربع وقد يرد بصورة الامر ما يراد النهي والتهديد كقوله فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر وقال ليكفروا بما اتيناهم فتمتعوا فسوف تعلمون والمراد بذلك كله التهديد والزجر فكذلك معنى الاية النهي وتقديرها فلا تنكحوا الا ما طاب لكم من النساء على ما بيناه وقوله ذلك ادنى الا تعولوا اشارة الى العقد على الواحدة مع الخوف من الجور فيما زاد عليها او الاقتصار على ما ملكت ايمانكم ومعنى ادنى اقرب الا تعولوا وقيل في معنى الا تعولوا ثلثة اقوال احدها وهو الاقوى والاصح ان معناه الا تجوروا ولا تميلوا يقال منه عال الرجل يعول عولا وعيالة اذا مال وجار ومنه عول الفرائض لان سهامها اذا زادت دخلها النقص قال ابو طالب بميزان قسط وزنه غير عائل وقال ابو طالب ايضا

بِمِيزَانِ قِسْطٍ لَا يَخِيسُ شَعِيرَةً ... لَهُ شَاهِدٌ مِنْ نَفْسِهِ غَيْرُ عَائِلِ

وروى لا ينقل شعيرة وبهذا قال ابرهيم وعكرمة والحسن ومجاهد وقتادة وابو مالك والربيع بن انس والسدي وابن عباس واختاره الطبري والجبائي وقال قوم معناه الا تفتقروا وهذا خطاء لان الحاجة يقال منه عال الرجل يعيل عيلة اذا احتاج كما قال الشاعر

فَمَا يَدْرِي الْفَقِيرُ مَتَى غِنَاهُ ... وَمَا يَدْرِي الْغَنِيُّ مَتَى يَعِيلُ

اي متى يفتقر وقال ابن زيد معناه الا تكثر عيالكم وهذا ايضا خطا لان المراد لو كان ذلك لما اباح التوحد وما شاء من ملك الايمان لان اباحة كل ما ملكت اليمين ازيد في العيال من اربع حرائر على ان من كثرة العيال يقال اعال يعيل فهو معيل اذا كثر عياله وعال العيال اذا مانهم ومنه قوله عم ابدا بمن تعول وحكى الكسائي قال سمعت كثيرا من العرب يقول عال الرجل يعول اذا كثر عياله وقوله واتوا النساء صدقاتهن نحلة صدقاتهن جمع صدقة يقال هو صداق المراة وصدقة المراة وصدقة المراة وصداق المراة والفتح اقلها ومن قال صدقة المراة قال صدقاتهن كما تقول غرفة وغرفات ويجوز صدقاتهن بضم الصاد وفتح الدال وصدقاتهن ذكره الزجاج ولا يقرا من هذه الا ما قرئ به صدقاتهن لان القراءة سنة متبعة وقوله نحلة نصب على المصدر ومعناه قال بعضهم فريضة وقال بعضهم ديانة كما يقال فلان ينتحل كذا وكذا اي يدين به ذكره الزجاج وابن خالويه قال بعضهم هي نحلة من الله لهن ان جعل على الرجل الصداق ولم يجعل على المراة شيئا من الغرم وذلك نحلة من الله تعالى للنساء ويقال نحلت الرجل اذا وهبت له نحلة ونحلا ونحل جسمه ونحل اذا دق وسمي النحل نحلا لان الله نحل الناس منها العسل الذي يخرج من بطونها والنحلة عطية عليك على غير جهة المثامنة والنحلة الديانة والمنحول من الشعر ما ليس لمن ينسب اليه واختلفوا في المعني بقوله واتوا النساء فقال ابن عباس وقتادة وابن جريج وابن زيد واختاره الطبري والجبائي والرماني والزجاج المراد به الازواج امرهم الله تعالى باعطاء المهر اذا دخل بها كملا اذا سمى لها فاما غير المدخول بها اذا طلقت فان لها نصف المسمى وان لم يكن سمى فلها المتعة على ما بيناه فيما مضى وقال ابو صالح هذا خطاب للاولياء لان الرجل منهم كان اذا زوج ايمة اخذ صداقها دونها فنهاهم الله عن ذلك وانزل هذه الاية وروى هذا ابو الجارود عن ابي جعفر عم وذكر المعتمر عن سليمان عن ابيه قال زعم حضرمي ان اناسا كانوا يعطي هذا الرجل اخته وياخذ اخت الرجل ولا ياخذون كبير مهر فنهى الله عن ذلك وامر باعطاء صدقاتهن واول الاقوال اقوى لان الله تعالى ابتدا ذكر هذه الاية بخطاب الناكحين النساء ونهاهم عن ظلمهن والجور عليهم ولا ينبغي ان يترك الظاهر من غير حجة ولا دلالة وقوله فان طبن لكم عن شيء منه نفسا اختلفوا فيمن المخاطب به فقال عكرمة وابرهيم وعلقمة وقتادة وابن عباس وابن جريج وابن زيد الخطاب متوجه الى الازواج لان اناسا كانوا ياثمون ان يرجع احدهم في شيء مما ساق الى امراته فانزل الله هذه الاية وقال ابو صالح المعني به الاولياء لانه حمل اول الاية ايضا عليهم على ما حكيناه عنه والاول هو الاولى

لانا بينا ان الخطاب متوجه الى الازواج الناكحين فكذلك اخر الاية ومعنى فان طبن لكم عن شيء منه نفسا ان طابت لكم انفسهن بشيء ونصبه على التمييز كما يقولون ضقت بهذا الامر ذرعا وقررت به عينا والمعنى ضاق به ذرعي وقرت به عيني كما قال الشاعر

اذا التيار ذو العضلات قلنا ... اليك اليك ضاق بها ذراعا

وانما هو على ذرعا وذراعا لان المصدر والاسم يدلان على معنى واحد فنقل صفة الذراع الى رب الذراع ثم اخرج الذراع مفسرة لموقع الفعل ولذلك وحد النفس لما كانت مفسرة لموقع الخبر والنفس المراد به الجنس يقع على الواحد والجمع كما قال الشاعر بها جيف الحسرى فاما عظامها ... فبيض واما جلدها فصليب ولم يقل فجلودها ولو قال فان طبن لكم عن شيء منه انفسا لجاز وكذلك ضقت به اذرعا وذرعا فاما قوله بالاخسرين اعمالا فانما جمع لئلا يوهم انه عمل يضاف الى الجميع كما يضاف الفعل الى جماعة اذا رضوا به ومالؤا عليه ومثل الاية انت حسن وجها فالفعل للوجه فلما نقل الى صاحب الوجه نصب الوجه على التمييز وقوله فكلوه هنيئا مريئا فهنيئا مأخوذ من هنات البعير بالقطران وذلك اذا جرب فعولج به كما قال الشاعر

متبذلا تبدو محاسنه ... يضع الهناء مواضع النقب

فالهنيء شفاء من المرض كما ان الهناء شفاء من الجرب ومعنى كلوه هنيئا مريئا اي دواء شافيا يقال منه هنأني الطعام ومرأني اذا صار لي دواء وعلاجا شافيا وهنيني ومريني بالكسر وهي قليلة ومن قال هنا يقول في المستقبل يهنأني ويمرأني ومن يقول هنأني يقول يهنئني ويمرئني فاذا افردوا قالوا امرأني هذا الطعام ولا يقولون اهنأني والمصدر منه هناء ومرأ وقد مرؤ هذا الطعام مرأ ويقال هنأت القوم اذا علتهم وهنات فلانا المال اذا وهبته له اهنأه هنأ ومنه قولهم انما سميته هانئا لتهنأ اي لتعطي ومعنى قوله فان طبن لكم عن شيء منه يعني من المهر ومن ليست للتبعيض وانما معناه لتبيين الجنس كما قال فاجتنبوا الرجس من الاوثان ولو وهبت له المهر كله لجاز وكان حلالا بلا خلاف واستدل ابو علي بهذه الاية على ان لولي اليتيمة الذي هو غير الاب ان يزوج اليتيمة او يتزوجها قبل ان تحيض ويكمل عقلها فانه قال الخطاب في قوله وان خفتم الا تقسطوا في اليتامى متوجه الى الاولياء الذين كانوا يتحرجون من العقد على اليتامى اللاتي لهم عليهن ولاية خوفا من الجور فقال الله لهم ان خفتم من العقد على اربع فعلى ثلث او اثنتين او واحدة او ما ملكت ايمانكم من سواهن ثم امرهم باعطائهن المهر فقال فان طبن لكم يعني الازواج الذين هم الاولياء عن شيء من ذلك فكلوه هنيئا مريئا وهذا الذي قاله ليس بصحيح لانه لا يسلم له اولا انه خطاب للاولياء فما الدليل على ذلك ثم ان عندنا وعند الشافعي ليس لاحد من الاولياء ان يزوج الصغيرة الا الاب خاصة فكيف يسلم له ما قاله ومن قال يجوز ذلك قال يكون العقد موقوفا على بلوغها ورضاها فان لم ترض كان لها الفسخ فعلى كل حال لا يصح ما قاله قوله تعالى وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا اية قرأ نافع وابن عامر قيما بغير الف اختلف اهل التأويل فيمن المراد بالسفهاء المذكورين في الاية فقال ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن والسدي والضحاك ومجاهد وقتادة وابو مالك انهم النساء والصبيان وهو الذي رواه ابو الجارود عن ابي جعفر ع وقال سعيد بن جبير والحسن وقتادة في رواية اخرى عنهما انهم الصبيان الذين لم يبلغوا فحسب وقال ابن مالك معناه لا تعط ولدك السفيه مالك فيفسد الذي هو قيامك وقال ابن عباس في رواية اخرى انها نزلت في السفهاء وليس لليتامى في ذلك شيء وبه قال ابن زيد وقال ابو موسى الاشعري ثلثة يدعون فلا يستجيب الله لهم رجل كانت له امرأة سيئة الخلق فلم يطلقها وقال اللهم خلصني منها ورجل اعطى ماله سفيها وقد قال الله ولا تؤتوا السفهاء اموالكم ورجل له على غيره مال فلم يشهد عليه وقد روي عن ابي عبد الله ع ان السفيه شارب الخمر ومن جرى مجراه وقال المعتمر بن سليمان عن ابيه قال زعم حضرمي ان المراد به النساء خاصة وروي ذلك عن مجاهد والضحاك وابن عمر والاولى حمل الاية على عمومها في المنع من اعطاء المال السفيه سواء

كان

كان رجلا او امرأة بالغا او غير بالغ والسفيه هو الذي يستحق الحجر عليه لتضييعه ماله ووضعه في غير موضعه لان الله تعالى قال عقيب هذه الاوصاف وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم اموالهم فامر الاولياء بدفع الاموال الى اليتامى اذا بلغوا واونس منهم رشد وقد يدخل في اليتامى الذكور والاناث فوجب حملها على عمومها فاما من حمل الاية على النساء خاصة فقوله ليس بصحيح لان فعيلة لا يجمع فعلاء وانما يجمع فعائل وفعيلات كغريبة وغرائب وغريبات وقد جاء فقيرة وفقراء ذكره الرماني فاما الغرباء فجمع غريب وقوله اموالكم التي جعل الله لكم قياما وارزقوهم فيها واكسوهم اختلفوا في معناه فقال ابن عباس وابو موسى الاشعري والحسن وقتادة ومجاهد وحضرمي معناه لا تؤتوا يا ايها الرشداء السفهاء من النساء والصبيان على ما ذكرناه من اختلافهم اموالكم التي جعل الله لكم يعني اموالكم التي تملكونها فتسلطوهم عليها فيفسدوها ويضيعوها ولكن ارزقوهم انتم منها ان كانوا ممن يلزمكم نفقته واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفا وقال السدي معناه لا تعط امرأتك وولدك مالك فيكونوا هم الذين ينفقون ويقومون عليك واطعمهم من مالك واكسهم وبه قال ابن عباس وابن زيد وقال سعيد بن جبير يعني باموالكم اموالهم كما قال ولا تقتلوا انفسكم قال هم اليتامى لا تؤتوهم اموالهم وارزقوهم منها واكسوهم والاولى حمل الاية على الامرين لان عمومه يقتضي ذلك فلا يجوز ان يعطى السفيه الذي يفسد المال ولا اليتيم الذي لم يبلغ ولا الذي بلغ ولم يونس منه الرشد ولا ان يوصى الى سفيه ولا يخص بعض دون بعض وانما يكون اضافة مال اليتيم الى من له القيام بامرهم على ضرب من المجاز او لانه اراد لا تعطوا الاولياء ما يخصهم لمن هو سفيه ويجري ذلك مجرى قول القائل لواحد يا فلان اكلتم اموالكم بالباطل فيخاطب الواحد بخطاب الجميع ويريد به انك واصحابك او قومك اكلتم ويكون التقدير في الاية ولا تؤتوا السفهاء اموالكم التي بعضها لكم وبعضها لهم فيضيعوها وقوله التي جعل الله لكم قياما معناه ما جعله قوام معايشكم ومعايش سفهائكم التي بها تقومون قياما وقيما وقواما بمعنى واحد واصل القيام القوام فقلبت الواو ياء للكسرة التي قبلها كما قالوا صمت صياما وحلت حياء ومنه فلان قوام اهله وقيام اهله ومنه قوام الامر وملاكه وهو اسم والقيام مصدر وهذا التأويل قال ابو مالك والسدي وابن عباس والحسن ومجاهد وابن زيد وقوله وارزقوهم منها واكسوهم اختلفوا في تأويله فمن قال عنى بقوله ولا تؤتوا السفهاء اموالكم يعني اموال اولياء السفهاء فانهم قالوا معناه وارزقوا ايها الناس سفهاءكم من نسائكم واولادكم من اموالكم طعامهم وما لا بد لهم منه ذهب اليه مجاهد والسدي وغيرهم ممن تقدم ذكره ومن قال ان الخطاب للاولياء بان لا تؤتوا السفهاء اموالهم يعني اموال السفهاء حمل قوله وارزقوهم منها واكسوهم على انه من اموال السفهاء يعني ما لا بد منه من مؤنهم وكسوتهم واذا حملنا الاية على عمومها على ما بيناه فالتقدير وارزقوا ايها الرشداء من خاص اموالكم من يلزمكم النفقة عليه مما لا بد منه من مؤنه وكسوته ولا تسلموا اليه اذا كان سفيها فيفسد المال ويا ايها الاولياء انفقوا على السفهاء من اموالهم التي لكم الولاية عليهم منها قدر ما يحتاجون اليه من النفقة والكسوة وقوله وقولوا لهم قولا معروفا قال مجاهد وابن جريج قولوا لهم يعني للنساء والصبيان وهم السفهاء قولا معروفا في البر والصلة وقال ابن زيد ان كان السفيه ليس من ولدك ولا يجب عليك نفقته فقل له قولا معروفا مثل عافانا الله واياك بارك الله فيك وقال ابن جريج معناه يا معاشر ولاة السفهاء قولوا قولا معروفا للسفهاء وهو ان صلحتم ورشدتم سلمنا اليكم اموالكم وخلينا بينكم وبينها فاتقوا الله في انفسكم واموالكم وما اشبه ذلك مما هو واجب عليكم ويحثكم على الطاعة وينهاكم عن المعصية وقال الزجاج معناه علموهم مع اطعامكم اياهم وكسوتكم اياهم امر دينهم وفي الاية دلالة على جواز الحجر على اليتيم اذا بلغ ولم يونس منه الرشد لان الله تعالى منع من دفع المال الى السفهاء وقد بينا ان المراد به اموالهم على بعض الاحوال وفي الاية دلالة على وجوب الوصية اذا كان الورثة سفهاء لان ترك الوصية بمنزلة اعطاء المال في حال الحياة الى من هو سفيه وانما

سمى

سمى الناقص العقل لم يكن عاصيًا لان السفه هو خفة الحلم ولذلك سمى الفاسق سفيها لانه لا وزن له عند اهل العلم فثقل الوزن وخفته كناية عن كبر القدر وصغره ** قوله تعالى وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا الاية** بلا خلاف هذا خطاب لاولياء اليتامى امر الله تعالى بان يختبروا عقول اليتامى فى افهامهم وصلاحهم فى اديانهم واصلاحهم اموالهم وهو قول قتادة والحسن والسدى ومجاهد وابن عباس وابن زيد وقد بينا ان الابتلاء معناه الاختبار فيما مضى ** وقوله حتى اذا بلغوا النكاح معناه حتى يبلغوا الحد الذى يقدر على مجامعة النساء وينزل وليس المراد الاحتلام لان فى الناس من لا يحتلم او يتأخر احتلامه وهو قول اكثر المفسرين مجاهد والسدى وابن عباس وابن زيد فمنهم من قال اذا كمل عقله واونس منه الرشد سلم اليه ماله وهو الاقوى ومنهم من قال لا يسلم اليه حتى يكمل له خمس عشرة سنة وان كان عاقلا لان هذا حكم شرعى وبكمال العقل يلزمه المعارف لا غير ** وقال اصحابنا حد البلوغ اما بلوغ النكاح او الانبات فى العانة او كمال خمس عشرة سنة ** وقوله فان انستم منهم رشدا معناه فان وجدتم منهم رشدا وعرفتموه وهو قول ابن عباس يقول انست من فلان خيرا اى ايناسا وانست به انسا اذا الفته وفى قراءة عبد الله فان احستم يعنى احسستم اى وجدتم والاصل فيه ابصرتم ومنه قوله انس من جانب الطور نارا اى ابصر ومنه اخذ انسان العين وهو حدقتها التى يبصر بها الرشد فقال السدى وقتادة معناه عقلا ودينا وصلاحا وقال ابن عباس معناه صلاحا فى الدين واصلاحا للمال وقال مجاهد والشعبى معناه العقل قال لا يدفع الى اليتيم ماله وان اخذ بلحيته وان كان شيخا حتى يونس منه رشد العقل ** وقال ابن جريج صلاحا وعلما بما يصلحه والاقوى ان يحمل على ان المراد به العقل واصلاح المال على ما قال ابن عباس والحسن وهو المروى عن ابى جعفر عليه السلام للاجماع على ان من يكون كذلك لا يجوز عليه الحجر فى ماله وان كان فاجرا فى دينه فاذا كان ذلك اجماعا فكذلك اذا بلغ وله مال فى يد وصى ابيه او فى يد حاكم قد ولى ماله وجب عليه ان يسلم اليه ماله اذا كان عاقلا مصلحا لماله وان كان فاسقا فى دينه وفى الاية دلالة على جواز الحجر على العاقل اذا كان مفسدا فى ماله من حيث انه اذا كان عند البلوغ يجوز منعه المال اذا كان مفسدا له فكذلك فى حال كمال العقل اذا صار بحيث يفسد المال جاز الحجر عليه وهو المشهور فى اخبارنا ومن الناس من قال لا يجوز الحجر على العاقل ذكرنا فى الخلاف ** وقوله فادفعوا اليهم اموالهم ولا تأكلوها اسرافا وبدارا فهو خطاب لاولياء اليتيم امرهم الله تعالى اذا بلغ اليتيم واونس منه الرشد على ما فسرناه ان يسلم اليه ماله ولا يبخسه عنه ** وقوله ولا تأكلوها اسرافا معناه بغير ما اباحه الله لكم ** وقال الحسن والسدى الاسراف فى الاكل واصل الاسراف تجاوز الحد المباح الى ما لم يبح وربما كان ذلك فى الافراط وربما كان فى التقصير غير انه اذا كان فى الافراط يقال منه اسرف يسرف اسرافا واذا كان فى التقصير يقال سرف يسرف سرفا يقال مررت بكم فسرفتكم يريد فسهوت عنكم واخطاتكم كما قال الشاعر

اعطوا هنيدة يحدوها ثمانية ... ما فى عطائهم منّ ولا سرف

يعنى لا خطاء فيه يريد انهم يصيبون مواضع العطاء فلا يخطونها ** وقوله وبدارا ان يكبروا فالبدار والمبادرة مصدران فنهى الله تعالى اولياء اليتامى ان يأكلوا اموالهم اسرافا بغير ما اباح الله لكم اكله ولا مبادرة منكم بلوغهم وايناس الرشد منهم حذرا ان يبلغوا فيلزمكم تسليمه اليهم به قال ابن عباس وقتادة والحسن والسدى وابن زيد واصل البدار الامتلاء ومنه البدر القمر لامتلائه نورا والبدرة لامتلائها بالمال والبيدر لامتلائه بالطعام وموضع ان نصب بالمبادرة والمعنى لا تأكلوها مبادرة كبرهم ** وقوله ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف يعنى من كان غنيا من ولاة اموال اليتامى فليستعفف بماله عن اكلها وبه قال ابن عباس وابرهيم ** وقوله ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف قال عبيدة معناه القرض وهو

المروى عن ابى جعفر عليه السلام الا انه قال فاذا دفعتم اليهم اموالهم فاشهدوا عليهم ومن كان فقيرا فاختلفوا فى الوجه الذى يجوز له اكل مال اليتيم به اذا كان فقيرا وهو المعروف فقال سعيد بن جبير وعبيدة السلمانى وابو العالية وابو وائل والشعبى ومجاهد وعمر بن الخطاب هو ان يأخذه قرضا على نفسه فيما لا بد له منه ثم يقضيه وبينا انه المروى عن ابى جعفر عليه السلام وقال الحسن وابرهيم ومكحول وعطاء بن ابى رباح يأخذ ما يسد الجوعة ووارى العورة ولا قضاء عليه ولم يوجبوا اجرة المثل لان اجرة المثل ربما كان اكثر من قدر الحاجة والظاهر فى اخبارنا ان له اجرة المثل سواء كان قدر كفايته او لم يكن وسئل ابن عباس عن ولى يتيم له ابل هل له ان يصيب من البانها فقال ان كنت تلوط حوضها وتهنا جرباها فاصبت من رسلها غير مضر بنسل ولا ناهك فى الحلب معنى تلوط حوضها تطينه وتهنا جرباها معناه تطليها بالهناء وهو الخضخاض ذكره الازهرى والرسل اللبن والنهك المبالغة فى الحلب واختلفوا فى هل للفقير من ولى اليتيم ان يأكل من ماله هو وعياله فقال عمرو بن عبيد ليس له ذلك لقوله فليأكل بالمعروف فخصه بالاكل وقال الجبائى له ذلك لان قوله بالمعروف يقتضى ان يأكل هو وعياله على ما جرت به العادة فى امثاله وقال ان كان المال واسعا كان له ان يأخذ قدر كفايته له ولمن يلزمه نفقته من غير اسراف وان كان قليلا كان له اجرة المثل لا غير وانما لم يجعل له اجرة المثل اذا كان المال كثيرا لانه ربما كان اجرة المثل اكثر من نفقته بالمعروف وعلى ما قلناه من ان له اجرة المثل سقط هذا الاعتبار ** وقوله فاذا دفعتم اليهم اموالهم فاشهدوا عليهم خطاب لاولياء اليتيم اذا دفعوا اموال اليتيم اليهم ان يحتاطوا لانفسهم بالاشهاد عليهم لئلا يقع منهم جحود ويكونوا ابعد من التهمة وسواء كان ذلك فى ايديهم او استقرضوه دينا على نفوسهم فان الاشهاد يقتضيه الاحتياط وليس بواجب ** وقوله كفى بالله حسيبا معناه كفى الله والباء زائدة وقال السدى معناه شهيدا ههنا وقيل معناه وكفى بالله كافيا من الشهود ولان احسبنى معناه كفانى والمعنى وكفى بالله شهيدا فى الثقة بايصال الحق الى صاحبه والمحسب من الرجال المرتفع النسب والحسب المكفى وولى اليتيم المأمور بابتلائه هو الذى جعل اليه القيام به من وصى او حاكم او امين ينصبه الحاكم واجاز اصحابنا الاستقراض من مال اليتيم اذا كان مليا وفيه خلاف ** قوله تعالى لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا ** اية بلا خلاف اختلفوا فى سبب نزول هذه الاية فقال قتادة وابن جريج وابن زيد ان اهل الجاهلية كانوا يورثون الذكور دون الاناث فنزلت هذه الاية ردا لقولهم وقال الزجاج كانت العرب لا تورث الا من طاعن بالرماح وذاد عن الحريم والمال فنزلت هذه الاية ردا عليهم وبين ان للرجال نصيبا مما ترك الوالدان والاقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون مما قل منه او كثر نصيبا مفروضا يعنى حظا مفروضا قال الزجاج مفروضا نصب على الحال وقال غيره هو اسم فى موضع المصدر كقولك قسما واجبا وفرضا لازما ولو كان اسما ليس فيه معنى المصدر لم يجز نحو قولك عندى حق درهما ويجوز لك عندى درهم هبة مقبوضة واصل الفرض الثبوت والفرض الحز فى سية القوس حيث يثبت الوتر والفرض ما اثبته على نفسك من هبة او صلة والفرض ايجاب الله عز وجل على العبد ما يلزمه فعله لانه ثابت عليه والفرض جند يفترضون والفرض ما اعطيت من غير قرض لثبوت تمليكه والفرض ضرب من التمر والفارض المسنة والفرضة حيث ترفأ السفن من النهر وكل ضخم فارض والفرق بين الفرض والوجوب ان الفرض هو الايجاب غير ان الفرض يقتضى فارضا فرضه وليس كذلك الواجب لانه قد يجب الشئ فى نفسه من غير ايجاب موجب ولذلك صح وجوب الثواب والعوض على الله تعالى ولم يجز فرضه عليه واصل الوجوب الوقوع يقال وجب الحايط وجوبا فهو واجب اذا وقع وسمعت وجبة اى وقعة كالهدة ومنه وجبت جنوبها اى وقعت لجنوبها ووجب الحق وجوبا اذا وقع سببه كوجوب رد الوديعة وقضاء الدين ووجوب شكر المنعم ووجوب الاجر وانجاز الوعد ووجب القلب وجيبا اذا خفق من فزع وقعة كالهدة وفى الاية دليل على بطلان القول بالعصبة لان الله تعالى فرض الميراث بالرجال والنساء فلو جاز ان يقال النساء لا يرثن فى موضع لجاز لاخرين ان يقولوا والرجال

لا يرثون والخبر المدّعى في العصبة خبر واحد لا يترك له عموم القران لانه معلوم والخبر مظنون وقد بيّنّا
ضعف الخبر في كتاب تهذيب الاحكام فمن اراده وقف عليه من هناك وفي الاية ايضا دلالة على ان الانبياء
يورّثون لانه تعالى عمّ الميراث للرجال والنساء ولم يخصّ نبيا من غيره وكما لا يجوز ان يقال النبي لا يرث لانه
خلاف الاية فكذلك لا يجوز ان يقال لا يورّث لانه خلافها والخبر الذي يروون انه قال نحن معاشر الانبياء
لا نورّث ما تركناه صدقة خبر واحد وقد بيّنّا ما فيه في غير موضع وتاوّلناه بعد تسليمه قوله تعالى وَإِذَا
حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُوا الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا اية بلا
خلاف هذه الاية عندنا محكمة وليست منسوخة وهو قول ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن وابرهيم و
مجاهد والشعبي والزهري ويحيى بن يعمر والسدّي والبلخي والجبائي والزجاج واكثر المفسرين والفقهاء
وقال سعيد بن المسيّب وابو مالك والضحاك هي منسوخة وارزاق من حضر قسم الميراث من هذه الاصناف ليس
بواجب بل هو مندوب اليه وهو الذي اختاره الجبائي والبلخي والرمّاني وجعفر بن مبشّر واكثر الفقهاء و
المفسرين وقال مجاهد هو واجب حق لازم ما طابت به انفس الورثة وكل من ذهب الى انها منسوخة قال ان
الرزق ليس بواجب ولكن للمن قال انها في الوصيّة واختلفوا فيمن المخاطب بقوله فارزقوهم فقال اكثر
المفسرين ان المخاطب بذلك الورثة امروا بان يرزقوا المذكورين اذا كانوا لا سهم لهم في الميراث وقال اخرون
انها متوجّهة الى من حضرته الوفاة واراد الوصيّة فانه ينبغي له ان يوصي لمن لا يرث من هولاء المذكورين
بشيء من ماله وروى هذا القول الاخير عن ابن عباس وعبد الله بن عبد الرحمن بن ابي بكر وسعيد بن المسيّب
واختار الطبري هذا الوجه والوجه الاول روي عن ابن عباس وعبد الله بن الزبير وابي موسى الاشعري و
ابن سيرين والحسن وسعيد بن جبير قال سعيد بن جبير ان كان الميّت اوصى لهم بشيء انفذت وصيّته وان كان الورثة
كبارا ارضخوا لهم وان كانوا صغارا قال وليّهم اني لست املك هذا المال وليس لي انما هو للصغار فذلك قوله
وقولوا لهم قولا معروفا وبه قال السدّي وابن عباس واختلفوا فيمن المامور بقوله المعروف فقال سعيد
بن جبير امر الله ان يقول الوليّ الذي لا يرث للمذكورين قولا معروفا ويقول ان هذا القوم غيّب او يتامى
صغار ولكم فيه حق ولسنا نملك ان نعطيكم منه وقال قوم المامورون بذلك الرجل الذي يوصي في ماله
والقول المعروف ان يدعو لهم بالرزق والغناء وما اشبه ذلك وروي عن ابن عباس وسعيد بن المسيّب و
ابن زيد ان الاية في الوصيّة على ان يوصوا للقرابة ويقولوا لغيرهم قولا معروفا ومن قال انها على
الوجوب قال لا يعطى من مال اليتيم شيئا ويقول قولا معروفا ذهب اليه ابن عباس وسعيد بن جبير و
الحسن والسدّي وروى ابن علية عن عبيدة انه ذبح شاة من مال اليتيم وقسمه بينهم وقال كنت احب
ان يكون من مالي لولا هذه الاية وعمل ابن سيرين في مال اليتيم ما عمل عبيدة واقوى الاقوال ان يكون الخطاب
متوجّها الى الورّاث البالغين لان فيه امرا بالرزق لمن حضر ولم يخاطب الله من لا يملك ان يخرج من ماله غيره
شيئا فكان الله تعالى حثّ هولاء ورغّبهم في ان يجعلوا للحاضرين شيئا مما يحصّهم ويقولوا لهم قولا معروفا
فيصير ردّا جميلا من غير انف ولا تضجر وكذلك لو قلنا انها متوجّهة الى الموصي لكان محمولا على انه يستحب
له ان يوصي لهولاء بشيء من ماله ما لم يزد على الثلث فان لم يختر ذلك قال لهم قولا جميلا لا يأثمون منه و
لا يغتمّون به وفي الاية حجة على المجبرة لانه تعالى قال فارزقوهم وفيه دلالة على ان الانسان يرزق غيره على
معنى التمليك وان الله لا يرزق حراما لانه لو رزقه لخرج برزقه اياه من ان يكون حراما ومثله قوله وهو
خير الرازقين قوله تعالى وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا
اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا اية بلا خلاف قيل في معنى الاية اربعة اقوال احدها النهي عن الوصيّة بما يجحف
بالورثة ويضرّ بهم هذا قول ابن عباس في بعض الروايات وسعيد بن جبير والحسن وقتادة والسدّي والضحاك
ومجاهد الثاني قال الحسن كان الرجل يكون عند الميّت يقول اوص باكثر من الثلث من مالك فنهاه الله عن ذلك
الثالث روي عن ابن عباس انه خطاب لولي مال اليتيم يامره باداء الامانة فيه والقيام بحفظه كما لو خاف على

مخلفيه اذا كانوا ضعافا واجب ان يفعل بهم الرابع قال مقسم هي في حرمان ذوي القربى ان يوصي لهم بان
يقول الحاضر للموصي لا توص لاقاربك ووفّر على ورثتك والذريّة على وزن فعليّة منسوبة الى الذرّ
ويجوز ان يكون اصلها ذرّورة لكن الراء ابدلت ياء وادغمت الواو فيها وهي بضمّ الذال ويجوز فيها الكسر
وقد قرئ به في الشواذ ومن كسر الذال فلكسرة الراء كما قالوا في عتيّ عتيّ وعصيّ وضعاف جمع ضعيف و
ضعيفة كقولك ظريف وظريفة وظراف وخبيث وخباث ويجمع ايضا ضعفاء واصل الضعاف من الضعف وهو
النقص في القوّة ومنه المضاعف لانها يبقى الضعف ومنه الضِعف وقوله فليتقوا الله يعني فليتقوا صنعا
وليقولوا قولا سديدا وهي السليم من خلل الفساد وذلك الحق بالدعاء الى العدل في القسم بما لا يجحف
بالورثة ولا يحرم ذوي القربى واصل السديد من سدّ الخلل تقول سدّدته تسديدا سدّا والسداد الصواب
والسداد بكسر السين من قولهم فيه سداد من عوز وسدّد السهم اذا قوّمه والسدّ الردم والسدّ في الانف
ومعنى الاية انه ينبغي للمومن الذي لو ترك ذرية ضعافا بعد موته خاف عليهم الفقر والضياع ان يخشى
على ورثة غيره من الفقر والضياع ولا يقول لمن يحضر وصيّته ان يوصي بما يضرّ بورثته وليتق الله في ذلك
وليتق الاضرار بورثة المومن وليقل قولا سديدا ولذلك نهى النبي صلى الله عليه وآله ان يوصي باكثر من الثلث وقال والثلث
كثير وقال لسعد لان تدع ورثتك اغنياء احبّ اليّ من ان تدعهم عالة يتكففون الناس بايديهم قوله تعالى
إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا اية
قرا ابن عامر وابو بكر عن عاصم وسيصلون بضمّ الياء الباقون بفتحها والفتح اقوى لقوله لا يصليها الا
الاشقى وقوله الا من هو صال الجحيم ومن ضمّ الياء ذهب الى اصلاه الله اذا احرقه بالنار انما علّق الله تعالى الوعيد
في الاية لمن ياكل اموال اليتامى ظلما لانه قد ياكله على وجه الاستحقاق بان ياخذ منه اجرة المثل على ما قلنا
او ياكل منه بالمعروف على ما فسّرناه او ياخذه قرضا على نفسه فان قيل اذا اخذه قرضا على نفسه او اجرة
المثل فلا يكون اكل مال اليتيم وانما اكل مال نفسه قلنا ليس الامر على ذلك لانه يكون اكل مال اليتيم لكنه
على وجه الزم عوضه في ذمته او استحقه بالعمل في ماله فلم يخرج بذلك من استحقاق الاسم بانه مال اليتيم
ولو سلّم ذلك لجاز ان يكون المراد بذلك ضربا من التاكيد وبيانا لانه لا يكون اكل مال اليتيم الا ظلما و
نصب ظلما على المصدر وتقديره ان من اكل مال اليتيم فانه يظلمه ظلما وقوله انما ياكلون في بطونهم نارا
قيل في معناه وجهان احدهما ما قال السدّي من ان اكل مال اليتيم ظلما يبعث يوم القيمة ولهب النار يخرج
من فيه ومن مسامعه ومن اذنيه وانفه وعينيه يعرفه من راه باكل مال اليتيم الثاني انه على وجه المثل من
حيث ان فعل ذلك يصير الى جهنم فيمتلي بالنار اجوافهم عقابا على ذلك الاكل منهم كما قال الشاعر

وانّ الذي اصبحتم تحلبونه   دم غير انّ اللون ليس باحمرا

يصف قوما اخذوا الابل في الدية يقول فالذي تحلبون من البانها ليس لبنا انما هو دم القتيل وقوله و
سَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا فالصلا لزوم النار للاحراق او التسخن والانضاج يقال صلي بالنار يصلى صلا بالقصر

قال العجاج   وَصَالِيَاتٍ لِلصَّلَا صُلِيّ   ويقال الصلاء بالكسر والمدّ

قال الفرزدق   وقاتل كلب الحيّ عن نار اهله   ليربض فيها والصلا متكنّف

صلي بالنار اصطلاء واصليته النار اصلاء اذا القيته فيها وفي التنزيل فسوف نصليه نارا والصالي بالشر الواقع فيه واصطلى

قال الشاعر   لم اكن من جناتها علم الله   واني بحرّها اليوم صالي

ومنه شاة مصليّة اي مشويّة والسعير بمعنى مسعورة مثل كف خضيب بمعنى مخضوبة والسعر اشعال النار
يقول سعرتها اسعرها سعرا ومنه قوله واذا الجحيم سعّرت واستعرت النار في الحطب استعارا واستعرت الحرب
والشر استعارا ومنه سعر السوق لاستعاره في النفاق واكل مال اليتيم على وجه الظلم وغصبه متساويان
في توجّه الوعيد اليه ولا يدلّ على مثل ذلك في غير مال اليتيم لان الزواجر عن مال اليتيم اعظم وقال الجبائي
هما سواء ومن غصب من مال اليتيم خمسة دراهم فان الوعيد يتوجّه اليه وقال الرماني لا يتوجّه اليه لان

أقل المال لما آدهم وقال الجبائي يلزمه كما يلزم مانع الزكوة وقال الرماني هذا ليس بصحيح لانه يجوز ان يكون منع الزكوة اعظم وما قلناه اولا اولى لانه اولى بعموم الآية وقوله لا يسمى المال الا ما اداهم دعوى محضة لا برهان عليها قوله تعالى يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا آية بلا خلاف قرا ابن عامر وابن كثير وابو بكر عن عاصم يوصى بفتح الصاد الباقون بكسرها وهو الاقوى لقوله مما ترك ان كان له ولد فقدم ذكر الميت وذكر المفروض ما ترك ومن فتحها فلانه ليس لميت معين وانما هو شايع في الجميع وقيل في سبب نزول هذه الآية قولان احدهما قال السدى وابن عباس ان سبب نزولها ان القوم لم يكونوا يورثون النساء والبنات والبنين الصغار ولم يورثوا الا من قاتل وطاعن فانزل الله الآية واعلمهم كيفية الميراث وقال عطا عن ابن عباس وابن جريج عن مجاهد عن ابن عباس انهم كانوا يورثون الولد وللوالدين الوصية فنسخ الله ذلك وقال محمد بن المكندر عن جابر قال كنت عليلا مدنفا فعاده النبي ص ونضح الماء على وجهه فافاق وقال يا رسول الله كيف اعمل في مالي فانزل الله الآية وروى عن ابن عباس انه قال كان المال للولد والوصية للوالدين والاقربين فنسخ بهذه الآية وهذه الآية عامة في كل ولد يترك الميت وان المال بينهم للذكر مثل حظ الانثيين وكذلك الحكم البنت والبنتين لها النصف ولهما الثلثان على كل حال الا من خصه الدليل من الرق والكفر والقتل فانه لا خلاف ان الكافر والمملوك والقاتل عمدا لا يرثون وان كان القاتل خطأ ففيه الخلاف وعندنا يرث من المال دون الدية فاما المسلم فانه عندنا يرث الكافر وفيه خلاف ذكرناه في مسائل الخلاف والعبد لا يورث لانه لا يملك شيئا والمرتد لا يرث وميراثه لورثته المسلمين وهذا قول علي ع وقال سعيد بن المسيب نرثهم ولا يرثونا وبه قال معاوية والحسن وعبد الله بن معقل ومسروق وقوله ع لا يتوارث اهل ملتين معناه لا يرث كل واحد منهما صاحبه فانا نقول المسلم يرث الكافر والكافر لا يرث المسلم فلم يثبت حقيقة التوارث بينهما ومعنى يوصيكم الله فرض عليكم لان الوصية من الله فرض كما قال ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ذلكم وصاكم به يعني فرض عليكم ذكره الزجاج و انما لم يعد قوله يوصيكم الى مثل فينصبه لانه كالقول في حكاية الجملة بعده والتقدير قال الله في اولادكم للذكر مثل حظ الانثيين ولان الغرض بالآية الفرق بين الموصى به والموصى له في نحو اوصيت زيدا بعمرو وقوله فان كن نساء فوق اثنتين فالظاهر يقتضي ان البنتين لا يستحقان الثلثين وانما يستحق الثلثان اذا كن فوق اثنتين لكن اجمعت الامة ان حكم البنتين حكم من زاد عليهما من البنات فتركنا له الظاهر وقال ابو العباس المبرد واختاره اسمعيل بن اسحق القاضي ان في الآية دليلا على ان للبنتين الثلثين لانه اذا قال للذكر مثل حظ الانثيين وكان اول العدد ذكرا وانثى فللذكر الثلثان وللانثى الثلث علم من ذلك ان للبنتين الثلثين واعلم الله ان ما فوق البنتين لهن الثلثان وحكى الزجاج عمن قال ذلك معلوم بقوله يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة ان امرؤ هلك ليس له ولد وله اخت فلها نصف ما ترك فجعل للاخت النصف كما جعل للبنت النصف ثم قال فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان فاعطيت البنتين الثلثان كما اعطيت الاختان الثلثين واعطى جملة الاخوات الثلثين فكذلك جملة البنات وذكر عن ابن عباس ان البنتين بمنزلة البنت وانما استحق الثلثين الثلاث البنات فصاعدا وحكى النظام في كتاب النكت عن ابن عباس ان للبنتين نصفا وقيراطا قال لان للبنت الواحدة النصف وللثلاث بنات الثلثين فينبغي ان يكون للبنتين ما بينهما ثم يشتركان في النصف وقيراط بالسوية وقوله وان كانت واحدة فلها النصف يدل على ان فاطمة ع كانت مستحقة للميراث لانه عام في كل بنت والخبر المدعى في ان الانبياء لا يورثون خبر واحد لا يترك له عموم الآية

لانه معلوم لا يترك بمظنون وقوله ولابويه لكل واحد منهما السدس مما ترك ان كان له ولد ليس في ذلك خلاف وكذلك ان كان واحد من الابوين مع الولد كان له السدس بالتسمية بلا خلاف ثم ينظر فان كان الولد ذكرا كان الباقي للولد واحدا كان او اكثر بلا خلاف وكذلك ان كانوا ذكورا واناثا فالمال بينهم للذكر مثل حظ الانثيين وان كانت بنتا كان لها النصف ولاحد الابوين السدس والباقي عندنا يرد على البنت واحد الابوين على قدر سهامهما ايهما كان لان قرابتهما سواء ومن خالفنا يقول ان كان احد الابوين ابا كان الباقي له لانه عصبة وان كانت اما ففيهم من يقول بالرد على البنت وعلى الام ومنهم من يقول الباقي لبيت المال وانما رددنا عليهما لقوله واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض وههنا هما متساويان لان البنت تتقرب بنفسها الى الميت فكذلك احد الابوين والخبر المدعى في ان ما ابقت الفرايض فلاولى عصبة ذكر خبر ضعيف بيناه وجهه في تهذيب الاحكام لا يخص به عموم القرآن وقوله فان لم يكن له ولد وورثه ابواه فلامه الثلث فمفهومه ان الباقي للاب ليس فيه خلاف فان كان في الفريضة زوج كان له النصف وللام الثلث بالظاهر وما بقي فللاب ومن قال للام ثلث ما يبقى فقد ترك الظاهر وبمثل ما قلناه قال ابن عباس فان كان بدل الزوج زوجة كان الامر مثل ذلك للزوجة الربع وللام الثلث والباقي للاب وبه قال ابن عباس وابن سيرين قوله فان كان له اخوة فلامه السدس ففي اصحابنا من يقول انما يكون لها السدس اذا كان هناك اب لان التقدير فان لم يكن له ولد وورثه ابواه فلامه الثلث فان كان له اخوة وورثه ابواه فلامه السدس ومنهم من قال ان لها السدس مع وجود الاخوة سواء كان هناك اب او لم يكن وبه قال جميع الفقهاء غير انا نقول ان كان هناك اب كان الباقي للاب وان لم يكن اب كان الباقي ردا على الام ولا يرث احد من الاخوة والاخوات مع الام شيئا سواء كانوا من قبل اب وام او من قبل اب او من قبل ام على حال لان الام اقرب منهم بدرجة ولا يحجب عندنا من الاخوة الا من كان من قبل الاب والام او من قبل الاب فاما من كان من قبل الام فحسب فانه لا يحجب على حال ولا يحجب اقل من اخوين او اخ واختين او اربع اخوات فاما الاختان فلا يحجبان على حال وخالفنا جميع الفقهاء في ذلك فاما الاخوات فلا خلاف انه يحجب بهما الام عن الثلث الى السدس الا ما قال ابن عباس انه لا يحجب باقل من ثلثة لقوله اخوة والثلاث اقل الجمع وحكى عن ابن عباس ايضا ان ما يحجب الاخوة من سهم الام من الثلث الى السدس يأخذه الاخوة دون الاب وذلك خلاف ما اجمعت الامة عليه لانه لا خلاف ان احدا من الاخوة لا يستحق مع الابوين شيئا وانما قلنا ان اخوة بمعنى اخوين للاجماع من اهل العصر على ذلك وايضا فانه يجوز وضع لفظ الجمع في موضع التثنية اذا اقترنت به دلالة كما قال ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما ويقول القائل ضربت الرجلين ارؤسهما ومن اخويك ظهورهما فان قيل لم حجب الاخوة الام من غير ان يرثوا مع الاب قلنا فائدة معونة للاب لانه يقوم بنفقتهم ونكاحهم دون الام وهذا بعينه رواه اصحابنا وهو دال على ان الاخوة من الام لا يحجبون لان الاب لا يلزمه نفقتهم على حال وقوله لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا معناه لا تعلمون انهم اقرب لكم نفعا في الدين والدنيا والله يعلمه فاقسموه على ما بينه من يعلم المصلحة فيه وقال بعضهم الاب يجب عليه نفقة الابن اذا احتاج اليها وكذلك الابن يجب عليه نفقة الاب مع الحاجة فهما في النفع في هذا الباب سواء ولا تدرون ايهم اقرب نفعا وقيل لا تدرون ايكم يموت قبل صاحبه فينتفع الآخر بماله فان قيل كيف قدم الوصية على الدين في هذه الآية وفي التي بعدها مع ان الدين يتقدم عليها بلا خلاف قلنا لان او لا توجب الترتيب وانما هي لاحد الشيئين فكانه قال من بعد احد هذين مفردا او مضموما الى الآخر كقولهم جالس الحسن او ابن سيرين اي جالس احدهما مفردا او مضموما الى الآخر ويجب البداءة بالدين لانه مثل الوديعة التي يجب ردها على صاحبها فكذلك الدين وجب رده اولا ثم يكون هذه الوصية ثم الميراث ومثل ما قلناه اختاره الجبائي والطبري وهو المعتمد عليه في تأويل الآية وقوله فريضة من الله نصب على الحال من قوله لابويه وتقديره فلهؤلاء الورثة ما ذكرنا مفروضا ففريضة مؤكدة لقوله يوصيكم الله هذا قول الزجاج وقال غيره هو نصب على المصدر من قوله يوصيكم الله في اولادكم للذكر مثل حظ الانثيين فرضا مفروضا وقال غيره يجوز ان يكون نصبا على التمييز من قوله فلامه السدس

فريضة كما تقول هو لك صدقة او هبة والثلث والربع والسدس يجوز فيه التخفيف والتثقيل والتخفيف لثقل الضمة وقال قوم الاصل فيها التخفيف وانما تثقل للاتباع قال الزجاج هذا خطأ لان الكلام وضع على الايجاز بالتخفيف عن التثقيل وقوله ان الله كان عليما حكيما فيدخل في معناه ثلثة اقوال احدها قال سيبويه كان القوم شاهدوا علما وحكمة ومغفرة وتفضلا فقيل لهم ان الله كان عليما حكيما لم يزل على ما شاهدتم عليه والثاني قال الحسن كان الله عليما بالاشياء قبل حدوثها حكيما فيما يقدره ويدبره منها الثالث قال بعضهم الخبر عن هذه الاشياء بالمضي كالخبر بالاستقبال والحال لان الاشياء عند الله على كل حال فيما مضى وما يستقبل وانما قال في تثنية الاب والام ابوان تغليبا للفظ الاب ويقال ايضا للام ابة ولا يلزم على ذلك ان يقال في ابن وابنة ابنان لانه يوهم فان لم يوهم جاز ذلك ذكره الزجاج قوله تعالى وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ آيتان بلا خلاف قوله ولكم نصف ما ترك ازواجكم ان لم يكن لهن ولد لا خلاف ان للزوج نصف ما يترك الزوجة اذا لم يكن لها ولد فان كان لها ولد فله الربع ايضا بلا خلاف سواء كان الولد منه او من غيره وان كان ولد لا يرث لكونه مملوكا او كافرا او قاتلا فلا يحجب الزوج من النصف الى الربع ووجوده كعدمه وكذلك حكم الزوجة لها الربع اذا لم يكن للزوج ولد على ما قلناه في الزوجة سواء فان كان له ولد كان لها الثمن وما تستحقه الزوجة ان كانت واحدة فهو لها وان كن ثنتين او ثلثا او اربعا لم يكن لهن اكثر من ذلك بلا خلاف ولا يستحق الزوج اقل من الربع في حال من الاحوال ولا الزوجة اقل من الثمن على وجه من الوجوه ولا يدخل عليهما النقصان وكذلك الابوان لا ينقصان في حال من الاحوال من السدسين لان العول عندنا باطل على ما بيناه في مسائل الخلاف وكل من ذكر الله له فرضا فانما يستحقه اذا اخرج من التركة الكفن والدين والوصية فان استغرق الدين المال لم تنفذ الوصية ولا ميراث وان بقي نفذت الوصية ما لم يرد على ثلث ما يبقى بعد الدين فان زادت ردت الى الثلث وقوله وان كان رجل يورث كلالة او امرأة وله اخ او اخت يعني من الام بلا خلاف وكلالة نصبه يحتمل امرين احدهما على انه مصدر وقع موقع الحال ويكون كان تامة وتقديره يورث متكلل النسب كلالة والثاني بان يكون خبر كان ذكره الرماني والبلخي وتقديره فان كان رجل اسم كان ويورث صفته وكلالة خبره والاول هو الوجه لان يورث هو الذي اقتضى ذكر الكلالة كما تقول يورث هذا الرجل كلالة بخلاف من يورث ميراث الصلب ويورث كلالة عصبة وغير عصبة واختلفوا في معنى الكلالة فقال ابو بكر وعمر وابن عباس وابن زيد وقتادة والزهري و ابن اسحق هو ما عدا الوالد والولد وروى عن ابن عباس في رواية اخرى ان الكلالة ما عدا الوالد وورث الاخوة من الام السدس مع الابوين وهذا خلاف اجماع اهل الاعصار وقال ابن زيد الميت يسمى كلالة وقال جابر وابن زيد من عدا الوالد والولد من الورثة يسمى كلالة فعلى هذا يسمى الزوج والزوجة كلالة وقال قوم الكلالة هو الميت الذي لا ولد له ولا والد وعندنا ان الكلالة هم الاخوة والاخوات فمن ذكر في هذه الاية هو من كان من قبل الام ومن ذكر في اخر السورة فهو من قبل الاب والام او من قبل الاب واصل الكلالة الاحاطة ومنه الاكليل لاحاطته بالرأس ومنه الكل لاحاطته بالعدد والكلالة لاحاطتها باصل النسب الذي هو الولد والوالد ومنه الكلال لانه تعب قد احاط وقال ابو مسلم اصلها من كل اذا اعيا فكانه تناول الميراث من بعد على كلال واعياء وقال الحسين بن علي المغربي اصله عندي ما تركه الانسان وراء ظهره مأخوذا من الكلالة وهي مصدر الاكل وهو الظهر وقال قرأت على ابي اسامة في كتاب الجيم لابي عمرو الشيباني تقول العرب لاي فلان اكلة على وزن اظلة اي ولاي ظهره قال وهذا الاسم تعرفه العرب وتخبر به عن جملة النسب والوراثة قال عامر بن الطفيل

واني وان كنت ابن فارس عامر ... وفي السر منها والصريح المهذب

فما سودتني عامر عن كلالة ... ابى الله ان اسمو بام ولا اب

هكذا انشده الرازي في كتابه وينشد عن وراثة وقال زياد بن زيد العذري

ولم ارث المجد التليد كلالة ... ولم يان مني فترة لعقيب

والكل الثقل ويقولون لابن الاخ ومن يجري مجراه ممن يعال على وجه التبرع هذا كلي ومن قال ان الاب لا يدخل في الكلالة استدل بقول الشاعر

ان ابا المرء احمى له ... ومولى الكلالة لا يغضب

فافرد الاب من الكلالة

ولا خلاف ان الاخوة والاخوات من الام يتساوون في الميراث وقوله وصية نصب على المصدر بقوله يوصيكم الله وصية وقال الفراء نصب بقوله ولكل واحد منهما السدس وصية كما يقول لك درهمان نفقة الى اهلك و الاول اعم فائدة واولى وقوله والله عليم حليم معناه ههنا عليم بمصالح خلقه حليم باهمال من يعصيه فلا يغتر مغتر باهماله وقوله وان كان رجل يورث كلالة او امرأة ثم قال وله اخ او اخت ولم يقل لهما كما يقول من كان له اخ او اخت فليصله ويجوز فليصلها ويجوز فليصلهما فالاول يرد الكناية الى الاخ والثاني على الاخت والثالث عليهما كل ذلك حسن وقوله غير مضار نصب على الحال يعني يوصي بذلك غير مضار وقال الزجاج يجوز ان يكون نصبا على انه مفعول به وحكى البلخي عن ابي عبيدة وذكره الزجاج يورث بكسر الراء وقال ومعناه من ليس بولد ولا والد ومن نصب الراء اراد المصدر ومسائل المواريث وفروعها بسطناها في النهاية والمبسوط واوجزناها في الايجاز في الفرائض لا نطول بذكرها ههنا الكتاب غير انا نعقد ههنا جملة تدل على المذهب فنقول الميراث يستحق بسببين نسب وسبب فالسبب الزوجية والولاء والولاء على ثلثة اقسام ولاء العتق وولاء تضمن الجريرة وولاء الامامة ولا يستحق الميراث بالولاء الا مع عدم ذوي الانساب والميراث بالزوجية ثابت مع جميع الوراث سواء ورثوا بالفرض وبالقرابة ولا ينقص الزوج عن الربع في حال ولا يزاد على النصف والزوجة لا تزاد على الربع ولا ينقص من الثمن على وجه والميراث بالنسب يستحق على وجهين بالفرض والقرابة فالميراث بالفرض لا يجتمع فيه الا من كانت قرباه واحدة الى الميت مثل البنت او البنات مع الوالدين او احدهما فانه متى انفرد واحد منهم اخذ المال كله بعضه بالفرض والباقي بالرد واذا اجتمعوا اخذ كل واحد منهم ما سمي له ورد الباقي عليهم ان فضل على قدر سهامهم وان نقص لمزاحمة الزوج او الزوجة لهم كان النقص داخلا على البنت او البنات دون الابوين او احدهما ودون الزوج والزوجة ولا يجتمع مع الاولاد ولا مع الوالدين ولا مع احدهما احد ممن يتقرب بهما كالكلالتين فانهما لا يجتمعان مع الاولاد ذكورا كانوا او اناثا ولا مع الوالدين ولا مع احدهما ابا كان او اما بل يجتمع كلالة الاب وكلالة الام فكلالة الام ان كان واحدا كان له السدس وان كانوا اثنين فصاعدا كان لهم الثلث لا ينقصون منه والباقي لكلالة الاب فان زاحمهم الزوج او الزوجة دخل النقص على كلالة الاب دون كلالة الام ولا يجتمع كلالة الاب والام مع كلالة الاب خاصة فان اجتمعا كان المال لكلالة الاب والام دون كلالة الاب ذكرا كان او انثى او ذكورا او اناثا ومن يورث بالقرابة دون الفرض لا يجتمع الا من كانت قرباه واحدة واسبابه ودرجته متساوية فعلى هذا لا يجتمع مع الولد للصلب ولد الولد ذكرا كان ولد الصلب او انثى لانه اقرب بدرجة وكذلك لا يجتمع مع الابوين ولا مع احدهما من يتقرب بهما من الاخوة والاخوات والجد والجدة على حال ولا يجتمع الجد والجدة مع الولد للصلب ولا مع ولد الولد وان نزلوا ويجتمع الابوان مع ولد الولد وان نزلوا لانهم بمنزلة الولد للصلب اذا لم يكن ولد للصلب والجد والجدة يجتمعان مع الاخوة والاخوات لانهم في درج والجد من قبل الاب بمنزلة الاخ من قبله والجدة من قبله بمنزلة الاخت من قبله والجد من قبل الام بمنزلة الاخ من قبلها والجدة من قبلها بمنزلة الاخت من قبلها واولاد الاخوة والاخوات يقاسمون الجد والجدة لانهم بمنزلة ابائهم ولا يجتمع مع الجد والجدة من يتقرب بهما من العم والعمة والخال والخالة ولا الجد الاعلى ولا الجدة العليا وعلى هذا يجري جملة المواريث فان فروعها لا تنحصر وفيما ذكرناه تنبيه على ما لم نذكره واما المسائل التي اختلف قول الصحابة فيها فقد ذكرناها

في خلاف الفقهاء فلا وجه لذكرها ههنا لانه يطول به الكتاب قوله تعالى تِلْكَ حُدُودُ اللّٰهِ وَمَنْ
يُطِعِ اللّٰهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنّٰاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهٰارُ خٰالِدِينَ فِيهٰا وَذٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ وَمَنْ
يَعْصِ اللّٰهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نٰاراً خٰالِداً فِيهٰا وَلَهُ عَذٰابٌ مُهِينٌ آيتان بلا خلاف قرا
نافع وابن عامر ندخله بالنون في الموضعين الباقون بالياء فمن قرا بالياء فلان ما تقدم لفظ الغائب ومن قرا
بالنون عدل عن خطاب الغائب الى الاخبار عن الله بنون العظمة كما قال بل الله مولكم وقال بعده سنلقي فعدل
عن الغائب قال الفراء والزجاج معنى تلك هذه كانه قال هذه حدود الله واختلفوا في معنى الحدود فقال السدي
تلك شروط الله وقال ابن عباس تلك طاعة الله وقال قوم تلك فرائض الله وامره وقال قوم تلك تفصيلات الله
لفرائضه وهو الاقوى لان اصل الحد هو الفصل ماخوذا من حدود الدار التي يفصلها من غيرها فمعنى الاية هذه
القسمة التي قسمها الله لكم والفرائض التي فرضها لاحيائكم من امواتكم حدود الله يعني فصول بين طاعة الله
ومعصيته على ما قال ابن عباس والمعنى تلك حدود طاعة الله وانما اختصر لوضوح المعنى للمخاطبين فان قيل
اذا كان ما تقدم ذكره دل على انها حدود الله فما الفائدة في هذا القول قلنا عنه جوابان احدهما للتاكيد والثاني
ان الوجه في اعادته ما علق به من الوعد والوعيد الصريح فان قيل لم خصت الطاعة في قسمة الميراث بالوعد
مع انه واجب في كل طاعة اذا فعلت لوجه الوجوب قلنا للبيان عن عظم موقع هذه الطاعة مع التذكير
بما يستحق عليها ترغيبا فيها بوعد مقطوع وقوله يدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها نصب على
الحال قال الزجاج والتقدير يدخلهم مقدرين الخلود فيها والحال يستقبل فيها كما تقول مررت برجل معه باز
صائدا به غدا اي يقدر الصيد به غدا وقوله وذلك الفوز العظيم معناه الفلاح العظيم فوصفه بانه عظيم
ولم يتبين بالاضافة الى ماذا لان المراد به انه عظيم بالاضافة الى منفعة الخيانة في التركة من حيث كان امر الدنيا
حقيرا بالاضافة الى امر الاخرة وقوله ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده معناه يعصي الله فيما بينه من
الفرائض واموال اليتامى ويتعد معناه يتجاوز ما بين له يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين وخالدا نصب
على احد وجهين احدهما ان يكون حالا من الهاء في يدخله والاخر ان يكون صفة لنار في قول الزجاج كقولك
زيد مررت بدار ساكن فيها على حذف الضمير والتقدير ساكن هو فيها لان اسم الفاعل اذا جرى على غير من هو
له لم يتضمن الضمير كما يتضمنه الفعل لو قلت يسكن فيها واستدلت المعتزلة بهذه الاية على ان فساق اهل الصلوة
مخلد في النار ومعاقب لا محالة وهذا لا دلالة لهم فيه من وجوه لان قوله ويتعد حدوده اشارة الى من يتعدى جميع
حدود الله ومن كان كذلك فعندنا يكون كافرا وايضا فلا خلاف ان الاية مخصوصة بصاحب الصغيرة وان كان
فعل المعصية وتعدى حدا فانه خارج منها فان جاز لهم اخراج الصغيرة منها بالدليل جاز لنا ان نخرج من يتفضل
الله عليه بالعفو او يشفع فيه النبي صلعم وايضا فان التائب لا بد من اخراجه من هذه الاية لقيام الدلالة على وجوب قبول
التوبة فكذلك يجب ان يشترط من يتفضل الله باسقاط عقابه فان قالوا قبول التوبة واجب والعفو ليس بواجب
قلنا قبول التوبة واجب اذا حصلت وكذلك سقوط العقاب واجب اذا حصل العفو فان قالوا يجوز ان لا يختار الله
العفو قلنا وكذلك يجوز الا يختار العاصي التوبة فان جعلوا الاية دالة على ان الله لا يختار العفو جاز لغيرهم
ان يجعل الاية دالة على ان العاصي لا يختار التوبة على ان هذه الاية معارضة بايات كثيرة في وقوع العفو
كقوله ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء على ما سنبينه فيما بعد وقوله ان الله يغفر الذنوب جميعا وقوله وان ربك
لذو مغفرة للناس على ظلمهم فان شرطوا في اياتنا التوبة شرطنا في اياتهم ارتفاع العفو والكلام في ذلك
مستقصى في الوعيد لا نطول بذكره ههنا الكتاب ويمكن مع تسليم ذلك ان نحمل الاية على من يتعدى الحدود مستحلا
لها فانه يكون كافرا وبينا ولد الوعيد على ان عند كثير من المرجئة العموم لا صيغة له فمن اين ان من يفيد جميع
العصاة وما المنكر ان يكون الاية مختصة بالكفار قوله تعالى وَاللّٰاتِي يَأْتِينَ الْفٰاحِشَةَ مِنْ نِسٰائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا
عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتّٰى يَتَوَفّٰاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللّٰهُ لَهُنَّ
سَبِيلاً آية بلا خلاف قال اكثر المفسرين كالضحاك وابن زيد والجبائي والبلخي والزجاج ومجاهد وابن عباس و

قتادة والسدي ان هذه الاية منسوخة لانه كان الفرض الاول ان المراة اذا زنت وقامت عليها البينة بذلك
اربعة شهود ان يحبس في البيت ابدا حتى يموت ثم نسخ ذلك بالرجم في المحصنين والجلد في البكرين واللاتي جمع
التي وكذلك اللواتي قال الشاعر: من اللواتي والتي واللاتي زعمن اني كبرت لداتي
ويجمع اللاتي باثبات التاء وبحذفها قال الشاعر: من اللاي لم يحججن يبغين حسبة ولكن ليقتلن البري المغفلا
وقوله او يجعل الله لهن سبيلا قيل في معنى السبيل ثلثة اقوال قال ابن عباس وعبد الله بن كثير انه الجلد للبكر
جلد مائة وللثيب المحصن الرجم واذا جلد البكر فانه ينفى سنة عندنا وبه قال الحسن وقتادة وفيه خلاف
ذكرناه في الخلاف وقال الجبائي النفي يجوز من طريق اجتهاد الامام واما من وجب عليه الرجم فانه يجلد اولا
ثم يرجم عند اكثر اصحابنا وبه قال الحسن وقتادة وعبادة بن الصامت وجماعة ذكرناهم في الخلاف وفي
اصحابنا من يقول ذلك يختص الشيخ والشيخة فاذا لم يكونا كذلك فليس عليهما غير الرجم واكثر الفقهاء على
انهما لا يجتمعان وثبوت الرجم معلوم من جهة التواتر على وجه لا يختلج فيه شك وعليه اجماع الطائفة بل
اجماع الامة ولم يخالف فيه الا الخوارج وهم لا يعتد بخلافهم وقوله ياتين الفاحشة يعني بالفاحشة وحذف
الباء كما يقولون اتيت امرا عظيما اي بامر عظيم وتكلمت كلاما قبيحا اي بكلام قبيح وقال ابو مسلم واللاتي
ياتين الفاحشة قال هما المراة تخلوا بالمراة في الفاحشة المذكورة عنهن او يجعل الله لهن سبيلا فالتزويج
والاستغناء بالحلال وهذا قول مخالف للاجماع ولما عليه المفسرون فانهم لا يختلفون ان الفاحشة المذكورة
في الاية الزنا وان هذا الحكم منسوخ وهو المروي عن ابي جعفر وابي عبد الله عم ولما نزل قوله الزانية والزاني
قال النبي صلعم قد جعل الله لهن سبيلا البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام والثيب بالثيب الجلد ثم الرجم قوله تعالى
وَاللَّذَانِ يَأْتِيٰانِهٰا مِنْكُمْ فَآذُوهُمٰا فَإِنْ تٰابٰا وَأَصْلَحٰا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمٰا إِنَّ اللّٰهَ كٰانَ تَوّٰاباً رَحِيماً
اية بلا خلاف قرا ابن كثير واللذان بتشديد النون وكذلك هذان وفذانك وافقه ابو عمرو في فذانك
الباقون بالتخفيف قال ابو علي من شدد النون فوجهه انه عوض من الحذف الذي لحق الكلمة لان قولهم ذا
حذف لامها وقد حذفت الياء من اللذان في التثنية لان اصله اللذيان فعوض عن ذلك التشديد وفي العرب
من يقول اللذ بلا ياء وفي التثنية اللذا وفي الجمع الذين وللمراة التي واللتا واللات بلا ياء وطي تقول
مكان الذي ذو ومكان التي ذات والمعني بقوله اللذان فيه ثلثة اقوال اولها قال الحسن وعطا الرجل والمراة
وقال السدي وابن زيد هما البكران من الرجال والنساء وقال مجاهد هما الرجلان الزانيان قال الرماني
قول مجاهد لا يصح لانه لو كان كذلك لم يكن للتثنية معنى لانه انما يجي الوعد والوعيد بلفظ الجمع لانه
لكل واحد منهم او بلفظ الواحد لدلالته على الجنس الذي يعم جميعهم واما التثنية فلا فائدة فيها قال
والاول اظهر قال ابو مسلم هما الرجلان يخلوان بالفاحشة بينهما وروي عن النبي صلعم انه قال السحاق زنا
النساء بينهن ومباشرة الرجل للرجل زناء ومباشرة المراة المراة زناء قال ولا يعرف في كلام العرب
جمع بين الذكر والانثى في لفظ التذكير الا اذا تقدمه ما يدل عليه كقوله ان المسلمين والمسلمات ثم قال
اعد الله لهم والى هذا التاويل في معنى الرجلين ذهب اهل العراق فلا يحدون للوطي وهذا قول بعيد
والذي عليه جمهور المفسرين ان الفاحشة الزنا وان الحكم المذكور في الاية منسوخ بالحد المفروض في سورة
النور ذهب اليه الحسن ومجاهد وقتادة والسدي وابن زيد والضحاك والبلخي والجبائي والطبري والزجاج وغيرهم
وبعضهم قال نسخها الحدود بالرجم او الجلد وقوله فاذوهما قيل في معناه قولان احدهما قال ابن عباس هو
التعيير باللسان والضرب بالنعال وقال قتادة والسدي ومجاهد هو التعيير والتوبيخ فان قيل كيف ذكر الاذى
بعد الحبس قلنا فيه ثلثة اوجه احدها قال الحسن ان هذه الاية انزلت اولا ثم امر بان يوضع في التلاوة بعد
فكان الاذى اولا ثم الحبس بعد ذلك نسخ الحبس بالجلد او بالرجم الثاني قال السدي انه في البكرين خاصة
دون الثيبين والاولى في الثيبين دون البكرين والثالث قال الفراء هذه الاية نسخت الاولى قال ابو علي الجبائي
في الاية دلالة على نسخ القران بالسنة لانها نسخت بالرجم او الجلد والرجم ثبت بالسنة ومن خالف في ذلك يقول

هذه الاية نسختها بالجلد فى الزنا واضيف اليه الرجم زيادة لا نسخا فلم يثبت نسخ القران بالسنة فاما الاذى المذكور فى الاية فليس بمنسوخ فان الزانى يوذى بعنف ويوبخ على فعله ويذم وانما لا يقتصر عليه فرند فى الاذى اقامة الحد عليه وانما نسخ الاقتصار عليه قوله تعالى اِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللّٰهِ لِلَّذِيْنَ يَعْمَلُوْنَ السُّوْءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوْبُوْنَ مِنْ قَرِيْبٍ فَاُولٰئِكَ يَتُوْبُ اللّٰهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللّٰهُ عَلِيْمًا حَكِيْمًا اية واحدة التوبة هى الندم على القبيح مع العزم على ان لا يعود الى مثله فى القبح وفى الناس من قال يكفى الندم على ما مضى من القبيح والعزم على ان لا يعود الى مثله والاول اقوى لاجماع الامة على انها اذا حصلت على ذلك الوجه اسقطت العقاب واذا حصلت على الوجه الثانى ففى سقوط العقاب عنها خلاف وقد ذكر الله تعم فى هذه الاية ان التوبة انما يقبلها ممن يعمل السوء بجهالة وقيل فى معنى بجهالة اربعة اقوال احدها قال مجاهد وقتادة وابن عباس وعطا وابن زيد هو ان يفعلوها على جهة المعصية لله تعم لان كل معصية لها جهالة لا نه يدعوا اليها الجهل ويزينها للعبد وان كانت عمدا الثانى بجهالة اى بحال كحال الجهالة التى لا يعلم صاحبها ما عليه فى فعلها من المضرة الثالث قال الفراء معنى بجهالة اى لا يعلمون كنه ما فيه من العقوبة كما يعلم الشئ ضرورة الرابع بجهالة اى وهم يجهلون انها ذنوب ومعاصى اختاره الجبائى قال يفعلونها بجهالة اما بتاويل يخطئون فيه او بان يفرطون فى الاستدلال على قبحها قال الرمانى هذا ضعيف لانه بتاويل بخلاف ما اجمع عليه المفسرون قال ابو العالية ان اصحاب رسول الله صم كانوا يقولون كل ذنب اصابه عبد فبجهالة وقال قتادة اجمع اصحاب رسول الله صم على ذلك وايض فانه يوجب ان من علم انها ذنوب ان لا يكون له توبة لان قوله انما التوبة يفيد انها لهؤلاء دون غيرهم وظاهر الاية يدل على ان الله يقبل التوبة من جميع المعاصى كفرا كان او قتلا او غيرهما من المعاصى ويقويه ايض قوله والذين لا يدعون مع الله الها اخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله الا بالحق الى قوله الا من تاب فاستثنى من القتل كما استثنى من الزنا والشرك وحكى عن الحسن انه قال لا يقبل الله توبة القاتل وروى انه انما قال ذلك لرجل كان عزم على قتل رجل على ان يتوب فيما بعد فاراد صده عن ذلك وقوله فاولئك يتوب الله عليهم بعد قوله ثم يتوبون من قريب معناه ان الله يقبل توبتهم اذا تابوا وانابوا وقوله من قريب حث على ان التوبة يجب ان يكون عقيب المعصية خوفا من الاخترام وليس المراد بذلك انها لو تاخرت لما قبلت وقال الزجاج معناه ثم يتوبون قبل الموت لان ما بين الانسان وبين الموت قريب والتوبة مقبولة قبل اليقين بالموت وقال الحسن والضحاك وابن عمر القريب ما لم يعاين الموت وقال علي وقد قيل له فان عاد قال يغفر الله له ويتوب مرارا قيل الى متى قال حتى يكون الشيطان هو المحسور وقال السدى وابن عباس فى حال الصحة قبل الموت وقوله وكان الله عليما حكيما معناه ههنا وكان الله عليما بتوبتهم ان تابوا واصرارهم ان اصروا حكيما فى مواخذتهم ان لم يتوبوا وروى عن النبى صم انه قال لما هبط ابليس قال وعزتك وعظمتك لا افارق ابن ادم حتى يفارق روحه جسده فقال الله وعزتى وعظمتى لا احجب التوبة عن عبدى حتى يغرغر قوله تعالى وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِيْنَ يَعْمَلُوْنَ السَّيِّاٰتِ حَتّٰى اِذَا حَضَرَ اَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ اِنِّىْ تُبْتُ الْاٰنَ وَلَا الَّذِيْنَ يَمُوْتُوْنَ وَهُمْ كُفَّارٌ اُولٰئِكَ اَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا اَلِيْمًا اية واحدة اخبر الله تعم فى هذه الاية انه لا يقبل التوبة من الذى يعمل المعاصى حتى اذا حضره الموت قال انى تبت الان واجمع اهل التاويل على ان الاية تناولت عصاة اهل الصلوة الا ما حكى عن الربيع انه قال انها فى المنافقين وهذا غلط لان المنافقين كفار وقد بين الله الكفار بقوله ولا الذين يموتون وهم كفار وقال الربيع ايض ان الاية منسوخة بقوله ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وهذا خطأ لان النسخ لا يدخل فى الخبر الذى يجرى هذا المجرى ومن جوز العفو بلا توبة يمكنه ان يقول ان التوبة التى وعد الله باسقاط العقاب عندها قطعا متى حصلت فى هذا الوقت لا يسقط العقاب ولا يمنع ذلك من ان يتفضل الله باسقاط العقاب ابتداء بلا توبة كما لو خرج من دار الدنيا من غير توبة اصلا لم يمنع ذلك من جواز العفو عنه فليس فى الاية ما ينافى القول بجواز العفو من غير توبة وقال جميع المفسرين كابن عباس وابن عمر وابرهيم وابن زيد وغيرهم ان الذين يحضرون لا تقبل لهم توبة غير ان الذين

يحضرون الميت لا يعرفون تلك الحال معرفة يمكن بها الاشارة اليها فان قيل فلم لم يقبل التوبة فى الاخرة قيل لرفع التكليف وحصول الالجاء الى فعل الحسن دون القبيح والملجا لا يستحق بفعله ثوابا ولا عقابا لانه يجرى مجرى الاضطرار وحكى الرمانى عن قوم انهم قالوا بتكليف اهل الاخرة وان التوبة انما لم يجب قبولها لان صاحبها هناك فى مثل حال المتعوذ بها الا المخلص فيها وهذا خطاء لان الله تعم يعلم اسرارهم كما يعلم اعلانهم وقوله اولئك اعتدنا لهم عذابا اليما معناه اعددنا وقال قوم التاء بدل من الدال وقال اخرون هو افعلنا من العتاد ومعناه اعددنا وعتاد الرجل عدته وهو الاصل والشئ العتيد هو المعد والعتيدة طبلة معدة للطيب ومعنى اعداد العذاب لهم انما هو بخلق النار التى هى مصيرهم والاليم بمعنى المولم وليس فى الاية ما يمنع من جواز العفو عن مرتكبى الكباير بلا توبة لان قوله اولئك يحتمل ان يكون راجعا الى الكفار لانه جرى ذكر الكفار وهم اقرب الى اولئك من ذكر الفساق ويحتمل ان يكون التقدير اعتدنا لهم عذابا ان لم نشا العفو عنهم ويكون الفايدة فيه اعلامهم ما يستحقونه من العذاب والايا منوا ان يفعل بهم ذلك وان كان تعالى يعلم هل يعفو او لا يعفو قوله تعالى يٰاَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا لَا يَحِلُّ لَكُمْ اَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضُلُوْهُنَّ لِتَذْهَبُوْا بِبَعْضِ مَا اٰتَيْتُمُوْهُنَّ اِلَّا اَنْ يَّاْتِيْنَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوْهُنَّ بِالْمَعْرُوْفِ فَاِنْ كَرِهْتُمُوْهُنَّ فَعَسٰى اَنْ تَكْرَهُوْا شَيْئًا وَّيَجْعَلَ اللّٰهُ فِيْهِ خَيْرًا كَثِيْرًا اية بلا خلاف قرا بفاحشة مبينة بفتح الياء ابن كثير وابو بكر عن عاصم الباقون بالكسر وهو الاقوى لانه لا يقصد الى اظهارها وقرا حمزة والكسائى كرها بضم الكاف هنا وفى التوبة والاحقاف وافقهما فى الاحقاف عاصم وابن عامر الا الحلوانى ويعقوب الكره والكره لغتان مثل الشهد والشهد والضعف والضعف والفقر والفقر هذا الخطاب متوجه الى المومنين نهاهم الله ان يرثوا النساء كرها واختلفوا فى معنى ذلك فقال الزهرى والجبائى وغيرهما وروى ذلك عن ابى جعفر عم هو ان يحبس الرجل المراة عنده لا حاجة له اليها وينتظر موتها حتى يرثها فنهى الله تعم عن ذلك وقال الحسن ومجاهد معناه ما كان يعمله اهل الجاهلية من ان الرجل اذا مات وترك امراته قال وليه ورثت ماله فان شاء تزوجها بالصداق الاول ولا يعطيها شيئا وان شاء زوجها واخذ صداقها وروى ذلك ابو الجارود عن ابى جعفر وقال مجاهد اذا لم يكن الولى ابنها قال ابو مجلز وكان الولى بالميراث اولى بها من ولى نفسها وقوله ولا تعضلوهن قيل فيمن عنى بهذا النهى اربعة اقوال احدها قال ابن عباس وقتادة والسدى والضحاك هو الزوج امره الله بتخلية السبيل اذا لم يكن له فيها حاجة ولا يمسكها اضرارا بها حتى يفتدى ببعض مالها والثانى قال الحسن هو الوارث نهى عن منع المراة من التزويج كما يفعل اهل الجاهلية على ما بيناه والثالث قال مجاهد المراد الولى الرابع قال ابن زيد المطلق يمنعها من التزويج كما كانت تفعل قريش فى الجاهلية ينكح الرجل منهم المراة الشريفة فاذا لم توافقه فارقها على ان لا يتزوج الا باذنه فيشهد عليها بذلك ويكتب كتابا فاذا خطبها خاطب فان اعطته وارضته اذن لها وان لم يعطه عضلها فنهى الله عن ذلك والاول اظهر الاقاويل والعضل هو التضييق بالمنع من التزويج واصله الامتناع يقال عضلت الدجاجة ببيضتها اذا عسرت عليها ومنه العضلة لصلابتها ومنه الداء العضال اذا لم يبرء وعضل الفضا بالجيش الكثير اذا لم يمكن سلوكه وقوله الا ان ياتين بفاحشة مبينة قيل فيه قولان قال الحسن وابو قلابة والسدى يعنى الزنا وقالوا اذا اطلع منها على ريبة فله اخذ الفدية والثانى قال ابن عباس والضحاك وقتادة هو النشوز والاولى حمل الاية على كل معصية لان العموم يقتضى ذلك وهو المروى عن ابى جعفر عم واختاره الطبرى وقوله وعاشروهن بالمعروف قال السدى معناه خالطوهن وخالقوهن من العشرة التى هى المصاحبة بما امركم الله به من المصاحبة باداء حقوقهن التى اوجبها على الرجال او تسريح باحسان وقوله فان كرهتموهن فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا يعنى فى امساكهن على كره منكم خيرا كثيرا من ولد يرزقكم او عطفكم عليهن بعد الكراهية وبه قال ابن عباس ومجاهد والهاء فى فيه يحتمل ان ترجع الى الشئ فى قوله ان تكرهوا شيئا ويحتمل ان يكون راجعة الى الذى يكرهونه وقوله ولا تعضلوهن يحتمل ان يكون جزما بالنهى ويحتمل ان يكون نصبا بالعطف على قوله لا يحل لكم ان ترثوا النساء

كرهاً ولا تعضلوهن وفي قراءة عبد الله ولا ان تعضلوهن باثبات ان وقيل في سبب نزول هذه الاية ان ابا قيس بن الاسلت لما مات عن زوجته كبيشة بنت معن بن عاصم اراد ابنه ان يتزوجها فجاءت الى النبي صلى الله عليه وآله فقالت يا نبي الله لا انا ورثت زوجي ولا انا تركت فانكح فنزلت هذه الاية ذكره ابو جعفر عليه السلام وغيره قوله تعالى وَإِنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا اخذ مال المرأة وان كان محرماً على كل حال من غير امرها فانما خص الله تعالى الاستبدال بالنهي لان مع الاستبدال قد يتوهم جواز الاسترجاع من حيث ان الثانية تقوم مقام الاولى فيكون لها ما اعطته الاولى فبين الله تعالى ان ذلك لا يجوز والمعنى ان اردتم تخلية المرأة سواء استبدل مكانها او لم يستبدل وقوله وآتيتم احداهن قنطاراً معناه ليس ما آتيتموهن من مهورهن موقوفاً على تمسككم بهن دون تخليتهن فيكون اذا اردتم الاستبدال جاز لكم اخذه بل هو تمليك صحيح لا يجوز الرجوع فيه والمراد بذلك ما اعطى المرأة مهراً لها ويكون دخل بها فاما اذا لم يدخل بها وطلقها جاز له ان يسترجع نصف ما اعطاها فاما ما اعطاها على وجه الهبة فظاهر الاية يقتضي انه لا يجوز له الرجوع في شيء منه لكن علمنا بالسنة ان ذلك سائغ له وان كان مكروهاً والقنطار المال الكثير واختلفوا في مقداره فقال بعضهم هو ملء جلد ثور ذهباً وقال آخرون هو دية الانسان وغير ذلك من الاقوال التي قدمنا ذكرها فيما مضى واصله مأخوذ من القنطرة ومنه القنطر الداهية لانها كالقنطرة في عظم الصورة واحكام البنية ويقال قنطر في الامر يقنطر اذا عظمه بتكثير الكلام فيه من غير حاجة اليه وقوله أتأخذونه بهتاناً قيل في معناه قولان احدهما يعني بهتاناً ظلماً كالظلم بالبهتان وقيل بطلاناً كبطلان البهتان الثاني بهتاناً اي بان تبهتوا انكم ملكتموه لتستوجبوه واصل البهتان الكذب الذي يواجه به صاحبه على وجه المكابرة واصله التحير ومنه قوله فبهت الذي كفر اي تحير عند انقطاع حجته فالبهتان كذب يحير صاحبه ونصب بهتاناً على انه حال في موضع المصدر والمعنى أتأخذونه مباهتين وآثمين وقوله مبيناً اي ظاهراً لا شك فيه قوله تعالى وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا اية بلا خلاف وقيل في نسخ هذه الاية والتي قبلها ثلاثة اقوال احدها انها محكمة ليست منسوخة لكن للزوج ان يأخذ الفدية من المختلعة لان النشوز منها فالزوج في حكم المكره لا المختار للاستبدال ولا تنافي في حكم الايتين فلا يحتاج الى نسخ احداهما بالاخرى الثاني قال بكر بن عبد الله المزني هي محكمة وليس للزوج لاجل ظاهرها ان يأخذ من المختلعة شيئاً ولا من غيرها الثالث قال ابن زيد والسدي هي منسوخة بقوله الا ان يخافا الا يقيما حدود الله فان خفتم الا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به وقيل في معنى الافضاء قولان قال ابن عباس ومجاهد والسدي هو كناية عن الجماع الثاني انه الخلوة وان لم يجامع فليس له ان يسترجع نصف المهر وانما يجوز ذلك فيمن لم يدخل بها بالخلوة معها وكلاهما قد رواه اصحابنا واختلفوا فيه والاول هو الاقوى والافضاء الى الشيء هو الوصول اليه بالملابسة له قال الشاعر

بلى وثأى افضى الى كل كتبة ... بدا سيرها من ظاهر بعد باطن

اي وصل البلى والفساد الى الخرز والفضاء السعة فضا يفضو فضواً وفضاء اذا اتسع ومنه تمر فضا مفضوض اي مختلط وقوله واخذن منكم ميثاقاً غليظاً قيل في معناه اربعة اقوال احدها قال الحسن وابن سيرين والضحاك وقتادة والسدي والفراء وهو المروي عن ابي جعفر عليه السلام انه قوله امساك بمعروف او تسريح باحسان وقال مجاهد وابن زيد هو كلمة النكاح التي يستحل بها الفرج الثالث قول النبي صلى الله عليه وآله اخذتموهن بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله الرابع قال قتادة كان يقال للناكح في صدر الاسلام الله عليك لتمسكن او لتسرحن باحسان وهذا الكلام وان كان ظاهره الاستفهام فالمراد به التوبيخ والتهديد كما يقول القائل لغيره كيف تفعل هذا وانا غير راض به على وجه التهديد له قوله تعالى وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا اية قيل في معنى الاية قولان احدهما قال ابن عباس وقتادة وعطاء وعكرمة انه حرم

عليهم ما كان اهل الجاهلية يفعلونه من نكاح امرأة الاب والثاني ان يكون ما نكح بمنزلة المصدر والتقدير ولا تنكحوا نكاح آبائكم اي مثل نكاح آبائكم فعلى هذا يدخل فيه النهي عن حلائل الآباء وكل نكاح كان لهم فاسداً وهو اختيار الطبري وقال ان هذا الوجه اجود لانه لو اراد حلائل الآباء لقال لا تنكحوا من نكح آباؤكم وهذا ليس بطعن لانه ذهب به مذهب الجنس كما يقول القائل لا تأخذ ما اخذ ابوك من الاماء فيذهب به مذهب الجنس ثم يفسره بمن وقوله الا ما قد سلف معناه الا لكن وكذلك كل استثناء منقطع كقول القائل لا تبع من متاعي الا ما بعت اي لكن ما بعت فلا جناح عليك فيه وقيل في معنى الاية قولان احدهما الا ما قد سلف فانكم لا تؤاخذون به الثاني حكاه بعضهم الا ما قد سلف فدعوه فهو جائز لكم قال البلخي وهذا لا يجوز بالاجماع والهاء في قوله انه كان فاحشة يحتمل ان يكون عائدة الى النكاح بعد النهي ويحتمل ان يكون عائدة على النكاح الذي كان عليه اهل الجاهلية قبل ولا يكون ذلك الا وقد قامت عليهم الحجة بتحريمه من جهة الرسل فالاول اختاره الجبائي وهو الاقوى ويكون الا ما قد سلف فالسلامة منه الاقلاع عنه بالتوبة والانابة قال البلخي وليس كل نكاح حرمه الله زنا لان الزنا هو فعل مخصوص لا يجري على طريقة لازمة وسنة جارية ولذلك لا يقال للمشركين في الجاهلية اولاد زنا ولا لاولاد اهل الذمة والمعاهدين اولاد زنا اذا كان ذلك عقداً بينهم يتعارفونه والمقت هو بغض عن امر قبيح ركبه صاحبه هو مقيت وقد مقت الى الناس مقاتة ومقته الناس مقتاً فهو ممقوت وقيل ان ولد الرجل من امرأة ابيه كان يسمى المقتي قال المبرد كان زائدة والتقدير انه فاحشة وقال الزجاج هذا ليس بصحيح لانها لو كانت زائدة لم تعمل كما قال الشاعر

فكيف اذا حلفت ديار قوم ... وجيران لنا كانوا كرام

لما كانت زائدة لم تعمل في الخبر قال الرماني هي كقوله وكان الله غفوراً رحيماً فدخلت كان لتدل على انه قبل تلك الحال كذا وقال الجبائي معناه انه كان فيما مضى ايضاً فاحشة ومقتاً وكان قد قامت الحجة عليهم بذلك وكل من عقد عليها الاب من النساء يحرم على الابن دخل بها الاب او لم يدخل بلا خلاف فان دخل بها الاب على وجه السفاح فهل تحرم على الابن ففيه خلاف وعموم الاية يقتضي بانها تحرم عليه لان النكاح يعبر به عن الوطي كما يعبر به عن العقد فيجب ان يحمل عليهما وامرأة الاب وان علا تحرم على الابن وان نزل بلا خلاف وقوله وساء سبيلاً اي قبح ذلك السبيل الذي سلكوه سبيلاً وهو نصب على التمييز قوله تعالى حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا اية بلا خلاف في الناس من اعتقد ان هذه الاية وما يجري مجراها كقوله حرمت عليكم الميتة مجملة لا يمكن التعلق بظاهرها في تحريم شيء وانما يحتاج الى بيان قالوا لان الاعيان لا تحرم ولا تحل وانما يحرم التصرف فيها والتصرف يختلف فيحتاج الى بيان التصرف المحرم دون التصرف المباح والاقوى انها ليست مجملة لان المجمل هو ما لا يفهم المراد بعينه بظاهره وليست هذه الاية كذلك لان المفهوم من ظاهرها تحريم العقد عليهن والوطي دون غيرهما من انواع الفعل فلا يحتاج الى البيان مع ذلك وكذلك قوله حرمت عليكم الميتة المفهوم الاكل والبيع دون النظر اليها او دميها وما جرى مجراها كيف وقد تقدم هذه الاية ما يكشف عن ان المراد ما بيناه من قوله ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم فلما قال بعده حرمت عليكم امهاتكم كان المفهوم ايضاً تحريم نكاحهن وقد استوفينا ذلك في العدة في اصول الفقه فلا نطول بذكره ههنا قال ابن عباس حرم الله في هذه الاية سبعاً بالنسب وسبعاً بالسبب فالمحرمات من النسب الامهات ويدخل في ذلك امهات الامهات وان علون وامهات الآباء مثل ذلك والبنات ويدخل في ذلك بنات الاولاد واولاد البنين واولاد البنات وان نزلن والاخوات سواء كن لاب وام او لاب او لام وكذلك العمات والخالات وان علون من جهة الاب كن او من جهة الام وبنات الاخ وبنات الاخت وان نزلن والمحرمات بالسبب الامهات من الرضاعة

والاخوات ايضا من الرضاعة وكل من تحرم بالسبب كذا يحرم مثله بالرضاع لقوله عم يحرم من الرضاع ما يحرم
من النسب وامهات النساء يحرمن بنفس العقد وان لم يدخل بالبنت على قول اكثر الفقهاء وبه قال ابن عباس
والحسن وعطا وقالوا هي مبهمة وخصوا التقييد بقوله وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن
ورووا عن علي عم وزيد بن ثابت انه يجوز العقد على الام ما لم يدخل بالبنت وجعلوا قوله من نسائكم اللاتي دخلتم
بهن راجعا الى جميع من تقدم من امهات النساء والربائب والربائب جمع ربيبة وهي بنت الزوجة من غيره ويدخل
فيه اولادها وان نزلن وسميت بذلك لتربيته اياها ومعناها مربوبة نحو قتيلة في موضع مقتولة ويجوز ان تسمى
ربيبة سواء تولى تربيتها وكانت في حجره او لم يكن لانه اذا تزوج بامها سمي هو رابها وهي ربيبته والعرب
تسمي الفاعلين والمفعولين بما يقع بهم ويوقعونه يقولون هذا مقتول وهذا ذبيح وان لم يقتل بعد و
لم يذبح اذا كان يراد قتله او ذبحه وكذلك يقولون هذه اضحية لما اعد للتضحية وكذلك هذه قتوبة وحلوبة
اي مما تقتب وتحلب فمن قال انه لا يحرم بنت الزوجة الا اذا تربت في حجره فقد اخطا على ما قلناه ويقال للزوج
المراة ربيب ابن امراته يعني به رابه نحو شهيد بمعنى شاهد وخبير بمعنى خابر وعليم بمعنى عالم وقوله من نسائكم
اللاتي دخلتم بهن قال المبرد اللاتي دخلتم بهن نعت للنساء اللواتي من امهات الربائب لا غير قال لاجماع
الناس على ان الربيبة تحل اذا لم يدخل بامها وان من اجاز ان يكون قوله من نسائكم اللاتي دخلتم بهن هو لامهات
نسائكم فيكون معناه امهات نسائكم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فيخرج ان يكون اللاتي دخلتم بهن لامهات
الربائب قال الزجاج لان الخبرين اذا اختلفا لم يكن نعتهما واحدا لا يجيز النحويون مررت بنسائك وهربت من نساء
زيد الظريفات على ان يكون الظريفات نعتا لهؤلاء النساء وهؤلاء النساء وقال من اعتبر الدخول بالنساء
لتحريم امهاتهن تحتاج ان يقدر اعني فيكون التقدير وامهات نسائكم اعني اللاتي دخلتم بهن وليس بنا الى
ذلك حاجة والدخول المذكور في الاية قيل فيه قولان احدهما قال ابن عباس هو الجماع واختاره الطبري الثاني
قال عطا وما جرى مجراه من المسيس وهو مذهبنا وفيه خلاف بين الفقهاء وقوله وحلائل ابنائكم الذين
من اصلابكم يعني نساء البنين للصلب دخل بهن البنون او لم يدخلوا ويدخل في ذلك اولاد الاولاد من البنين
والبنات وانما قال من اصلابكم لئلا يظن ان امراة من يتبنى به تحرم عليه وقال عطا نزلت الاية حين نكح النبي صم
امراة زيد بن حارثة فقال المشركون في ذلك فنزلت وحلائل ابنائكم الذين من اصلابكم وقال وما جعل ادعياءكم
ابناءكم وقال ما كان محمد صم ابا احد من رجالكم فاما حلائل الابناء من الرضاعة فمحرمات بقوله عم يحرم من
الرضاع ما يحرم من النسب انما سميت المراة حليلة لامرين احدهما لانها تحل معه في فراش الثاني لانه يحل له
وطيها وقوله وان تجمعوا بين الاختين فيه تحريم الجمع بينهما في عقد واحد وتحريم الجمع بينهما في الوطي
بملك اليمين فاذا وطي احدهما لم تحل له الاخرى حتى يخرج تلك من ملكه وهو قول الحسن واكثر المفسرين والفقها
وروي عن ابن عباس انه اجاز الجمع بينهما بملك اليمين وتوقف فيهما علي وعثمان وباقي الصحابة حرموا الجمع
بينهما وروي عن علي عم انه قال حرمتهما اية واحلتهما اخرى وانا انهى عنهما نفسي وولدي فغلب التحريم ومن اجاز
الجمع بينهما في الوطي بملك اليمين على ما يذهب اليه داود وقوم من اهل الظاهر فقد اخطا في الاختين وكذلك في
الربيبة وام الزوجة لان قوله وامهات نسائكم يدخل فيه المملوكة والمعقود عليها وكذلك قوله من نسائكم
اللاتي دخلتم بهن يتناول الجميع وكذلك قوله وان تجمعوا بين الاختين عام في الجميع على كل حال في العقد
والوطي وانما اخرجنا جواز ملكهما بدليل الاجماع ولا يعارض ذلك قوله او ما ملكت ايمانكم لان الغرض
بهذه الاية مدح من يحفظ فرجه الا عن الازواج او ملك الايمان فاما كيفية ذلك فليس فيه ويمكن الجمع
بينهما بان يقال او ما ملكت ايمانكم الا على وجه الجمع بين الام والبنت او الاختين والسيا بعد قوله ولا
تنكحوا ما نكح اباؤكم وهي امراة الاب سواء دخل بها او لم يدخل ويدخل في ذلك نساء الاجداد وان علوا
من قبل الاب والام بلا خلاف وقوله الا ما قد سلف استثناء منقطع وتقديره لكن ما سلف لا يؤاخذكم
الله به وليس المراد ان ما سلف حال النهي يجوز استدامته بلا خلاف وقيل ان الا بمعنى سوا وقوله وان

تجمعوا ان في موضع الرفع والتقدير حرمت عليكم هذه الاشياء والجمع بين الاختين وكل من حرمه الله في هذه
الاية فانما هو على وجه التابيد مجتمعات ومنفردات الا الاختين فانهما تحرمان على وجه الجمع دون الانفراد
ويمكن ان يستدل بهذه الاية على انه لا يصح ان يملك واحدة من ذوات الانساب المحرمات لان التحريم عام
وبقوله عم يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب على انه لا يصح ملكهن من جهة الرضاع وان كان فيه خلاف واما
المراة التي وطيها بلا تزويج ولا بملك فليس في الاية ما يدل على انه يحرم وطي امها وبنتها لان قوله وامهات
نسائكم وقوله من نسائكم اللاتي دخلتم بهن يتضمن اضافة الملك اما بالعقد او بملك اليمين فلا يدخل فيه من وطي
من لا يملك وطيها غير ان قوما من اصحابنا الحقوا ذلك بالموطوءة بالعقد والملك بالسنة والاخبار المروية في
ذلك وفيه خلاف بين الفقهاء واما الرضاع فلا يحرم عندنا الا ما كان خمس عشرة رضعة متواليات لا يفصل
بينهن برضاع امراة اخرى او رضاع يوم وليلة او ما انبت اللحم وشد العظم وفي اصحابنا من حرم بعشر رضعات
ومتى دخل بين الرضاع رضاع امراة اخرى بطل حكم ما تقدم وحرم الشافعي بخمس رضعات ولم يعتبر التوالي و
حرم ابو حنيفة بقليله وكثيره وهو اختيار البلخي وفي اصحابنا من ذهب اليه واللبن عندنا للفحل ومعناه اذا ارضعت امراة
بلبن فحل لها صبيانا كثيرين من امهات شتى فانهم جميعهم يصيرون اولاد الفحل ويحرمون على جميع اولاده الذين
ينتسبون اليه ولادة ورضاعا ويحرمون على اولاد المرضعة الذين ولدتهم فاما من ارضعته بلبن غير هذا
الفحل فانهم لا يحرمون عليهم وكذلك ان كان للرجل امراتان فارضعتا صبيين لاجنبيين حرم التناكح بين
الصبيين وخالف في هذه ابن علية ولا يحرم من الرضاع عندنا الا ما وصل الى الجوف من الثدي من المجرى
المعتاد الذي هو الفم فاما ما يوجر به او يسعط او ينشق او يحقن به او يحلب في عينه فلا يحرم بحال ولبن الميتة
لا حرمة له في التحريم وفي جميع ذلك خلاف ولا يحرم من الرضاع الا ما كان في مدة الحولين فاما ما كان بعده
فلا يحرم بحال فاما الجمع بين المراة وعمتها وخالتها فمحرم بالسنة ويجوز عندنا نكاح العمة والخالة على المراة
ونكاح المراة على العمة والخالة ولا يجوز الا برضاء العمة والخالة وخالف فيه جميع الفقهاء والمحرمات بالنسب و
من يحرم بالسبب على وجه التابيد يسمون مبهمات لانه يحرم من جميع الجهات ماخوذ من البهيم الذي لا يخالط
معظم لونه لون اخر يقال فرس بهيم لا شية فيه وبقرة بهيم والجمع بهم وقوله ان الله كان غفورا رحيما اخبار انه
كان غفورا حيث لم يؤاخذهم بما فعلوه من نكاح المحرمات وانه عفى لهم عما سلف ولا يدل على انه ليس بغفور
فيما بعد لان ذلك معلوم بدلالة اخرى وفي الناس من قال كان زائدة وقد بينا ان هذا ضعيف لانها تكون
عبثا ولغوا وذلك لا يجوز قوله تعالى وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ
وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَٰلِكُمْ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ
فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ
عَلِيمًا حَكِيمًا اية بلا خلاف قرا الكسائي المحصنات ومحصنات بكسر الصاد حيث وقع الا قوله والمحصنات من النساء
ههنا فانه فتح الصاد وقرا اهل الكوفة الا ابو بكر وابو جعفر واحل لكم بضم الهمزة وكسر الحاء الباقون بفتحهما
وقرا اهل الكوفة الا حفصا احصن بفتح الهمزة والصاد الباقون بضم الهمزة وكسر الصاد قيل في معنى قوله و
المحصنات من النساء الا ما ملكت ايمانكم ثلثة اقوال احدها وهو الاقوى ما قاله علي عم وابن مسعود وابن عباس
وابو قلابة وابن زيد عن ابيه ومكحول والزهري والجبائي ان المراد به ذوات الازواج الا ما ملكت ايمانكم من
سبي من كان لها زوج وقال بعضهم مستدلا على ذلك بخبر ابي سعيد الخدري ان الاية نزلت في سبي اوطاس و من
خالفهم ضعف هذا الخبر بان سبي اوطاس كانوا عبدة الاوثان دخلوا في الاسلام الثاني قال ابي بن كعب وجابر بن
عبد الله وانس بن مالك وابن مسعود في رواية اخرى عنه وسعيد بن المسيب والحسن وابرهيم ان المراد به ذوات
الازواج الا ما ملكت ايمانكم ممن قد كان لها زوج لان بيعها طلاقها وقال ابن عباس طلاق الامة ست بيعها
طلاقها وبيعها وعتقها وهبتها وميراثها وطلاقها وحكي عن علي عم وعمر وعبد الرحمن بن عوف ان النبي خاصة
طلاقها قالوا لان النبي صم خير بريرة بعد ان اعتقها عايشة ولو بانت بالعتق لما صح وزعم هؤلاء ان طلاقها

كطلاق الحرة الثالث قال ابو العالية وعبيدة وسعيد بن جبير وعطا واختاره الطبري ان المحصنات العفايف الا ما ملكتم ايمانكم بالنكاح او بالثمن ملك استمتاع بالمهر والبينة او ملك استخدام بثمن الامة واصل الاحصان المنع وسمى الحصن حصنا لمنعه من اراده من عدو والدرع الحصينة اى المنيعة والحصان الفحل من الافراس لمنعه صاحبه من الهلاك والحصان العفيفة من النساء لمنعها فرجها من الفساد ومنه قوله التي احصنت فرجها وكذلك احصنها الزوج وبناء حصين ممنع وحصنت المراة تحصن حصانة والحاصن العفيفة قال العجاج

وحاصن من حاصنات ملس　　من الاذى ومن قراف الوقس

وقال ابو على الفارسي قال سيبويه حصنت المراة حصنا وهي حصان مثل جبنت جبنا فهي جبان وقالوا حصنا كما قالوا علما قال الازهري يقال للرجل اذا تزوج احصن فهو محصن كقولهم الفج فهو ملفج اذا اعدم واقتر واسهب فهو مسهب اذا اكثر الكلام وكلام العرب كله على افعل فهو مفعل بكسر العين مثل اسمع فهو مسمع واعرب فهو معرب وافصح فهو مفصح الا ما ذكرناه والاحصان على اربعة اقسام احدها يكون بالزوجية كقوله والمحصنات من النساء والثاني بالاسلام كقوله فاذا احصن فان اتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات والثالث بالعفة كقوله والذين يرمون المحصنات ثم لم ياتوا باربعة شهداء والرابع يكون بالحرية كقوله والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم وقوله كتاب الله عليكم يحتمل نصبه وجهين احدهما ان يكون مصدرا جرى على غير فعله وفيه معناه كانه قال حرم الله ذلك كتابا من الله او كتب كتابا كما قال صنع الله الذي اتقن كل شيء فنصبه بقوله وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب فكان ذلك دلالة على انه قد صنعها فنصب على انه مصدر وقال الشاعر　　ورضت فذلت صعبة اى اذلال

لان معنى رضت اذللت　قال الزجاج ويجوز ان يكون منصوبا على جهة الامر ويكون عليكم مفسرا والمعنى الزموا كتاب الله الثاني على الاغراء والعامل محذوف لان عليكم لا تعمل فيما قبله وانشد

يا ايها المايح دلوى دونكا　　انى رايت الناس يحمدونكا

والمعنى هذا دلوى دونكا وهو معنى قول الزجاج وقوله واحل لكم ما وراء ذلكم ان تبتغوا باموالكم قيل في معناه اربعة اقوال احدها قال عبيدة السلماني والسدي احل لكم ما دون الخمس ان تبتغوا باموالكم على وجه النكاح الثاني قال عطا احل لكم ما وراء ذوات المحارم من اقاربكم الثالث قال قتادة ما وراء ذلكم ما ملكت ايمانكم الرابع ما وراء ذوات المحارم الى الاربع ان تبتغوا باموالكم نكاحا او بملك يمين وهذا الوجه اولى لانه حمل الاية على عمومها في جميع ما ذكر الله ولا تنافي بين هذه الاقوال ومن فتح الهمزة حمله على اقرب المذكورين في قوله كتاب الله عليكم ومن ضم حمله على حرمت وموضع ان تبتغوا نصب ويحتمل نصبه على وجهين احدهما على البدل منها والثاني على حذف اللام من لان تبتغوا ومن قرأ بالضم جاز عنده الرفع والنصب وقوله محصنين اى عاقدين التزويج غير مسافحين عافين للفروج قال مجاهد والسدي معناه غير زانين واصله صب الماء يقول سفح الدمع اذا صبه وسفح الجبل اسفله لانه مصب الماء ومنه وسافح اذا زنا لصبه الماء باطلا وقال الزجاج المسافح والمسافحة الزانيان غير ممتنعين من احد فاذا كانت تزنى بواحد فهي ذات خدن فحرم الله الزنا على كل حال على السفاح واتخاذ الصديق وقوله فما استمتعتم به منهن قال الحسن ومجاهد وابن زيد هو النكاح وقال ابن عباس والسدي هو المتعة الى اجل مسمى وهو مذهبنا لان لفظ الاستمتاع اذا اطلق لا يستفاد به في الشرع الا العقد المؤجل الا ترى انهم يقولون فلان يقول بالمتعة وفلان لا يقول بها ولا يريدون الا العقد المخصوص ولا ينافي ذلك بقوله والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم لانا نقول ان هذه زوجة ولا يلزم ان يلحقها جميع احكام الزوجات من الميراث والطلاق والايلاء والظهار واللعان لان احكام الزوجات تختلف الا ترى ان المرتدة تبين بغير طلاق وكذلك المرتد عندنا والكتابية لا ترث واما العدة فانه يلحقها عندنا ويلحق بها الولد فلا شناعة بذلك ولو لم يكن زوجة لجاز ان يضم ما ذكر في هذه السورة الى ما في تلك الاية لانه لا تنافي بينهما ويكون التقدير الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم او ما استمتعتم به

منهن وقد استقام الكلام وروى عن ابن مسعود وابن عباس وابى بن كعب وسعيد بن جبير انهم قراوا فما استمتعتم به منهن الى اجل مسمى وذلك تصريح بما قلناه على انه لو كان المراد به عقد النكاح الدائم لوجب لها جميع المهر بنفس العقد لانه قال فاتوهن اجورهن يعني مهورهن عند اكثر المفسرين وذلك غير واجب بلا خلاف وانما يجب الاجر بكماله في عقد المتعة وفي اصحابنا من قال قوله اجورهن يدل على انه اراد المتعة لان المهر لا يسمى اجرا بل سماه الله صدقة ونحلة وهذا ضعيف لان الله سمى المهر اجرا في قوله فانكحوهن باذن اهلهن واتوهن اجورهن وقال والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب اذا اتيتموهن اجورهن ومن حمل ذلك كله على المتعة كان مرتكبا لما يعلم خلافه ومن حمل لفظ الاستمتاع على الانتفاع فقد ابعد لانه لو كان كذلك لوجب ان لا يلزم من لا ينتفع بها شيء من المهر وقد علمنا انه لو طلقها قبل الدخول للزمه نصف المهر وان خلا بها خلوة تامة لزمه جميع المهر عند كثير من الفقهاء وان لم يلتذ ولم ينتفع واما الخبر الذي يروونه ان النبي صلعم نهى عن المتعة فهو خبر واحد لا يترك له ظاهر القران ومع ذلك يختلف لفظه وروايته فتارة يروون انه نهى عنها في عام خيبر وتارة يروون انه نهى عنها في عام الفتح وقد طعن ايضا في طريقه بما هو معروف وادل دليل على ضعفه قول عمر متعتان كانتا على عهد رسول الله صلعم انا انهى عنهما واعاقب عليهما فاخبر ان هذه المتعة كانت على عهد رسول الله صلعم وانه الذي نهى عنها لضرب من الراى فان قالوا انما نهى لان النبي صلعم كان نهى عنها قلنا لو كان كذلك لكان يقول متعتان كانتا على عهد رسول الله صلعم فنهى عنهما وانا انهى عنهما ايضا فكان يكون اكد في باب المنع فلما لم يقل ذلك دل على ان التحريم لم يكن صدر عن النبي صلعم وصح ما قلناه وقال الحكم بن عتيبة قال على عم لولا ان عمر نهى عن المتعة ما زنا الا شقى وذكر البلخي عن وكيع عن اسمعيل بن ابي خالد عن قيس بن ابي حازم عن عبد الله بن مسعود قال كنا مع النبي صلعم ونحن شباب فقلنا يا رسول الله الا نستخصى قال لا ثم رخص لنا ان ننكح المراة بالثوب الى اجل وقوله ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة قال الحسن وابن زيد اى تراضيتم به من حط بعض الصداق او تاخيره او هبة جميعه وقال السدي وقوم من اصحابنا معناه لا جناح عليكم فيما تراضيتم به من استيناف عقد اخر بعد انقضاء المدة التي تراضيتم عليها فتزيدها في الاجر وتزيدك في المدة وفي الاية دلالة على جواز نكاح المراة على عمتها وخالتها لان قوله واحل لكم ما وراء ذلكم عام في جميعهن ومن ادعى نسخه فعليه الدلالة وما يروى من قوله لا ينكح المراة على عمتها ولا خالتها خبر واحد لا ينسخ به القران ولو كان معلوما لما جاز ان ينسخ به القران عند اكثر الفقهاء لان نسخ القران لا يجوز عندهم بالسنة وادعاؤهم الاجماع على الخبر غير مسلم لانا نخالف فيه وقوله ان الله كان عليما حكيما معناه عليما بما يصلح امر الخلق حكيما فيما فرض لهم من عقد النكاح الذي به حفظت الاموال والانساب قال البلخي والاية دالة على ان نكاح المشركين ليس بزنا لان قوله والمحصنات من النساء انما كان المراد به ذوات الازواج من اهل الحرب بدلالة قوله الا ما ملكت ايمانكم بسبيهن ولا خلاف انه لا يجوز وطي المسبية الا بعد استبرائها بحيضة قوله تعالى وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَانْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ اية بلا خلاف قرا اهل الكوفة الا حفصا فاذا احصن بضم الهمزة وكسر الصاد الباقون بفتحهما وقرا المحصنات بكسر الصاد الكسائي وحده قوله ومن لم يستطع منكم طولا معناه من لم يجد منكم طولا وقيل في معنى الطول قولان احدهما قال ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد وقتاده والسدي وابن زيد هو الغنى وهو المروي عن ابي جعفر عم والثاني قال ربيعة وجابر وعطا وابرهيم انه الهوى قال اذا هوى الامة فله ان يتزوجها وان كان ذا يسار وقال الحسن والشعبي لا يجوز ذلك والقول الاول هو الصحيح وعليه اكثر الفقهاء والطول الغناء وهو ماخوذ من الطول خلاف القصر فشبه الغنى به لانه ينال به معالي الامور وقولهم ليس فيه طايل اى لا ينال به شيء من الفوائد والتطول الافضال بالمال والتطاول على الناس الترفع

عليهم وكذلك الاستطالة ويقول طال فلان طولا اي كانه فضل عليه في القدرة وقد طال التطول لك في طيلك
اي طالت مدتك قال الشاعر   انا محيوك فاسلم ايها الطلل   وان بليت وان طالت بك الطيل
والطول الحبل وفي الاية دلالة على انه لا يجوز نكاح الامة الكتابية لانه قيد جواز العقد على الاماء اذا كن
مؤمنات وهو قول مالك بن انس ومجاهد وسعيد بن عبد العزيز وابي بكر بن عبد الله بن ابي مريم والحسن والطبري
وقال ابو ميسرة وابو حنيفه واصحابه يجوز ذلك لان التقييد هو على جهة الندب دون التحريم والاول اقوى لانه
الظاهر وما قالوه عدول عنه ومنهم من قال لان التاويل من فتياتكم المؤمنات دون المشركات من عبدة الاوثان
بدلالة الاية التي في المائدة وهو قوله تعالى والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم وهذا ليس بشيء لان الكتابية
لا تسمى مؤمنة ومن اجاز العقد على الكتابية له ان يقول اية المائدة مخصوصة بالحرائر منهن دون الاماء وظاهر
الاية يقتضي ان من وجد الطول من مهر الحرة و نفقتها ولا يخاف العنت لا يجوز له تزويج الامة وانما يجوز العقد
عليها مع عدم الطول والخوف من العنت وهو مذهب الشافعي غير ان اكثر اصحابنا قالوا ذلك على وجه الافضل
لا انه لو عقد عليها وهو غني كان العقد باطلا وبه قال ابو حنيفه وقوى ذلك بقوله ولامة مؤمنة خير من
مشركة الا ان من شرط صحة العقد على الامة عند اكثر الفقهاء الا يكون عنده حرة وهكذا عندنا الا ان ترضى
الحرة بان يتزوج عليها امة فان اذنت كان العقد صحيحا عندنا ومتى عقد عليها بغير اذن الحرة كان العقد
على الامة باطلا وروى اصحابنا ان الحرة تكون بالخيار بين ان يفسخ عقد الامة او يفسخ عقد نفسها والاول
اظهر لانه اذا كان العقد باطلا لا يحتاج الى فسخه فاما تزويج الحرة على الامة فجايز وبه قال الجبائي وفي الفقهاء
من منع منه غير ان عندنا لا يجوز ذلك الا باذن الحرة فان لم تعلم الحرة بذلك كان لها ان تفسخ نكاحها او نكاح
الامة وفي الناس من قال في عقده على الحرة طلاق الامة وقوله من فتياتكم المؤمنات فالفتى الشاب والفتاة
الشابة والفتاة الامة وان كانت عجوزة لانها كالصغيرة في انها لا توقر توقير الكبيرة والفتوة حال الحداثة
ومنه الفتيا يقول افتى الفقيه لانه يسئله في حادثة وقوله والله اعلم بايمانكم بعضكم من بعض قيل في معناه قولان
احدهما كلكم ولد ادم والثاني كلكم على الايمان ويجوز ان يكون الامة افضل من الحرة واكثر ثوابا عند الله
وفي ذلك تسلية لمن يعقد على الامة اذا جوز ان يكون اكثر ثوابا عند الله مع اشتراكهم بانهم ولد ادم و
فيه الصرف عن التغاير بالانساب ومن كره نكاح الامة قال لان الولد عندنا يلحق بالحرية في كلا الطرفين
وقوله فانكحوهن باذن اهلهن اي اعقدوا عليهن باذن اهلهن وفيه دلالة واضحة على انه لا يجوز نكاح
الامة بغير اذن وليها الذي هو مالكها وقوله واتوهن اجورهن معناه اعطوا مالكهن مهورهن لان مهر
الامة لسيدها بالمعروف وهو ما وقع عليه العقد والتراضي وقوله محصنات غير مسافحات يعني بالعقد عليهن
دون السفاح معهن ولا متخذات اخدان وقد بينا الفرق بين الخدن والسفاح فيما مضى والخدن هو الصديق
يكون للمرأة يزني بها سرا كذا كان في الجاهلية والسفاح ما ظهر منه وكان فيهم من يحرم ما ظهر من الزنا و
لا يحرم ما خفي منه ذكر ذلك ابن عباس وغيره من المفسرين وخدن الرجل وخدينه صديقه وقوله فاذا احصن
من قرأ بالضم فالمعنى تزوجن ذكر ذلك ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد وقتاده ومن فتح الهمزة قال معناه
اسلمن روي ذلك عن عمر وابن مسعود والشعبي وابرهيم والسدي وقال الحسن يحصنها الزوج ويحصنها الاسلام
وهو الاولى لانه لا خلاف انه يجب عليها نصف الحد اذا زنت وان لم يكن ذات زوج كما ان عليها ذلك وان
كان لها زوج لانه وان كان لها زوج لا يجب عليها الرجم لانه لا يتبعض فكان عليها نصف الحد خمسين جلدة
على ان قوله فعليهن نصف ما على المحصنات يعني نصف ما على الحرائر وليس المراد به ذوات الازواج والاحصان
المذكور للامة التزويج والمذكور للمحصنات الحرية وبينا انه يعبر به عن الامرين وقال بعضهم اذا زنت الامة
قبل ان تتزوج فلا حد عليها وانما عليها نصف الحد اذا تزوجت بظاهر الاية وقوله ذلك لمن خشي العنت منكم
فالعنت معناه ههنا الزنا في قول ابن عباس وسعيد بن جبير وعطية العوفي والضحاك وابن زيد وقال قوم
هو الضرر الشديد في الدين او الدنيا ماخوذا من قوله ودوا ما عنتم والاول اقوى وقوله وان تصبروا خير

لكم يعني عن نكاح الاماء في قول ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد وقتاده وعطية واكثر عنو تصعبنا لمرضى
ومتى اجتمع عند الرجل حرة وامة كان للحرة يومان وللامة يوم وعندنا ان بيع الامة طلاقها الا ان
يشاء المشتري امضاء العقد وكذلك الهبة وكل ما ينتقل به الملك من الميراث والسبي وغيره فاما عتقها فانه
يثبت به لها الخيار كما ثبت لبريرة ومتى كانت تحت الزوج الحر او عبد لغيره لم يكن للمولى التفرقة بينهما فان
كانا جميعا له كان التفرقة الى المولى واستدلت الخوارج على بطلان الرجم بهذه الاية قالوا لما قال الله
فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب وكان الرجم لا يمكن تبعيضه دل على انه لا اصل له وعلى ما بيناه
من ان المراد فعليهن نصف ما على الحرائر دون ذوات الازواج يسقط هذا السؤال ويدل على ان الاحصان
يعبر به عن الحرية زايدا على ما تقدم قوله في اول الاية ومن لم يستطع منكم طولا ان ينكح المحصنات المؤمنات
فمما ملكت ايمانكم ولا شك انه اراد الحرة او العفايف لان التي لها زوج لا يمكن العقد عليها وجد طولها او لم
يجد وقوله والذين يرمون المحصنات يدل عليه ايضا لان المراد به المسلمة الحرة سواء كانت ذات زوج او لم
يكن بلا خلاف والرجم معلوم من دين المسلمين بالتواتر فانهم لا يختلفون انه رجم ماعز بن مالك الاسلمي ورجم
يهوديا ويهودية وعليه جميع الفقهاء من عهد الصحابة الى يومنا هذا فخلاف الخوارج لا يلتفت اليه وفي
الناس من قال ان قوله ان ينكح المحصنات المراد به الحرائر دون ان يكون مختصا بالعفايف لانه لو كان مختصا
بالعفايف لما جاز العقد على من ليس كذلك لان قوله الزاني لا ينكح الا زانية او مشركة الى قوله وحرم ذلك
على المؤمنين منسوخ بالاجماع وبقوله فانكحوا ما طاب وبقوله وانكحوا الايامى ويمكن ان يخص بالعفايف
على الافضل دون الوجوب وقوله فعليهن معناه لازم لهن نصف ما يلزم المحصنات دون ان يكون ذلك واجبا
عليهن وقوله وان تصبروا في موضع رفع والتقدير والصبر عن نكاح الامة خير لكم وفي الاية تقديم وتاخير
لان التقدير ومن لم يستطع منكم طولا ان ينكح المحصنات المؤمنات فمما ملكت ايمانكم اي فلينكح مما ملكت ايمانكم
من فتياتكم المؤمنات بعضكم من بعض والله اعلم بايمانكم ذكره الطبري وهو جيد مليح قوله تعالى يُرِيدُ اللّٰهُ
لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللّٰهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ اية بلا خلاف اللام في
قوله ليبين لكم للنحويين فيه ثلثة اقوال اولها قال الكسائي والفراء والكوفيون ان معناها ان وانما يجوز
ذلك في اردت وامرت لانها تطلب الاستقبال لا يجوز اردت ان قمت ولا امرت ان قمت فلما كانت ان في سائر
الافعال تطلب الاستقبال استوثقوا له باللام وربما جمعوا بين اللام وكي لتاكيد الاستقبال قال الشاعر

اردت لكيما لا ترى لي عثرة   ومن ذا الذي يعطى الكمال فيكمل

وقال الفراء ربما جاء مع غير الارادة والامر انشدني ابو الجراح

اخاول اعداي بما قال ام رجا   فيضحك مني او ليضحك صاحبه

ومعناه رجا ان يضحك ومثله وامرنا لنسلم وفي موضع اخر وامرت ان اكون اول من اسلم وربما جمعوا بين اللام
وكي وان قال الشاعر   اردت لكيما ان تطير بقربتي   فيتركها شنا ببيداء بلقع
ولا يجوز في الظن ان تقع اللام بمعنى ان لان الظن يصلح معه الماضي والمستقبل نحو ظننت ان قمت وظننت ان تقوم
ولا يجوز ظننت لتقوم بمعنى ظننت ان تقوم الثاني قال الزجاج لا يجوز ان تقع اللام بمعنى ان واستشهد
بقول الشاعر   اردت لكيما يعلم الناس انها   سراويل سعد والوفود شهود
فلو كانت بمعنى ان لم يدخل على كي كما لا تدخل ان على كي قال الرماني ولقايل ان يقول ان هذه لام الاضافة
مردودة الى اصلها فلا يجب في موقع ان موقعها ومذهب سيبويه واصحابه ان اللام دخلت في هذا على تقدير
المصدر اي ارادته للبيان لكم نحو قوله ان كنتم للرؤيا تعبرون وردف لكم بعض الذي تستعجلون ومعناه
ان كنتم تعبرون الرؤيا قال كثير   اريد لانسى ذكرها فكانما   تمثل لي ليلى بكل سبيل
اي ارادتي لهذا الثالث ضعف هذين الوجهين بعض النحويين بان جعل اللام بمعنى ان لم يقم به حجة قاطعة وحمله على
المصدر يقتضي جواز ضربت لزيد بمعنى ضربت زيدا وهذا لا يجوز ولكن يجوز في التقديم نحو لزيد ضربت

وللرؤيا تعبرون لان عمل الفعل فى التقديم يضعف كعمل المصدر فى التاخير ولذلك لم يجز الا فى المتصرف فاما ردف لكم فعلى تاويل ردف ما ردف لكم وعلى ذلك يريد ما يريد لكم وكذلك قوله وامرنا لنسلم اى امرنا بما امرنا لنسلم فهى تجرى بهذا على اصولها وقياس بابها وقال قوم معناه يريد الله هذا من اجل ان يبين لكم كما قال وامرت لاعدل بينكم معناه وامرت بهذا من اجل ذلك وانما لم يجز ان يراد الماضى لامرين احدهما ان الارادة لاستدعاء الفعل ومحال ان يستدعى ما قد فعل كما انه محال ان يؤمر بما قد وقع لانه لا يحسن ان يقول افعل امس واريد امس والثانى ان بالارادة يقع الفعل على وجه دون وجه من حسن او قبح او طاعة او معصية وذلك محال فيما مضى ﴿و﴾ قوله ويهديكم سنن الذين من قبلكم قيل فيه قولان احدهما يهديكم سنن الذين من قبلكم من اهل الحق لتكونوا على الاقتداء بهم فى اتباعه لما لكم فيه من المصلحة الثانى سنن الذين من قبلكم من اهل الحق وغيرهم لتكونوا على بصيرة فيما يفعلون او يجتنبون من طرايقهم وفى الاية دلالة على بطلان مذهب المجبرة لان الله تعالى بين انه يريد ان يتوب على العباد وهم يزعمون انه يريد منهم الاصرار على المعاصى ﴿و﴾ قال ابو على الجبائى فى الاية دلالة على ان ما ذكر فى الايتين من تحريم النكاح او تحليله قد كان على من قبلنا من الامم لقوله تعالى ويهديكم سنن الذين من قبلكم اى فى الحلال والحرام قال الرمانى لا يدل ذلك على اتفاق الشريعة وان كنا على طريقتهم فى الحلال والحرام كما لا يدل عليه وان كنا على طريقتهم فى الاسلام وهذا هو الاقوى قوله تعالى وَاللّٰهُ يُرِيدُ اَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ اَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا اية معنى الاية الاخبار من الله تعالى انه يريد من المواجهين بها ان يتوب عليهم بمعنى ان يقبل توبتهم عما سلف من اثامهم و تجاوزه عما كان منهم فى الجاهلية من استحلالهم ما هو حرام عليهم من حلايل الاباء والابناء وغير ذلك مما كانوا يستحلونه وهو حرام عليهم ان قيل لم كرر قوله والله يريد ان يتوب عليكم مع ما تقدم من قوله يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم قلنا عنه جوابان احدهما انه لما قال فى الاول وتقديره يريد الله ليتوب عليكم اتى فى الثانى بان ليزول الابهام انه يريد ليتوب ولا يريد ان يتوب علينا والاخر انه بين ان ارادته منا خلاف ارادة اصحاب الاهواء لنا لنكون على بصيرة من امرنا وجاء الثانى على التقابل بان الله يريد شيئا ويريدون خلافه والمعنى بقوله ويريد الذين يتبعون الشهوات قيل فيه اربعة اقوال الاول قال ابن زيد كل مبطل لانه يتبع شهوة نفسه فى باطله الثانى قال مجاهد يعنى به الزناة الثالث قال السدى هم اليهود والنصارى الرابع اليهود خاصة لانهم يحلون نكاح الاخت من الاب والاول اقوى لانه اعم فائدة واوفق لظاهر اللفظ وقوله ان تميلوا ميلا عظيما معناه ان تعدلوا عن الاستقامة بالاستكثار من المعصية وذلك ان الاستقامة هى المؤدية الى الثواب والفوز بالسلامة من العقاب واما الميل عن الاستقامة فيؤدى الى الهلاك واستحقاق العقاب فان قيل ما معنى ارادتهم الميل بهم قيل قد يكون ذلك لعداوتهم وقد يكون لتمام الانس بهم فى المعصية فبين الله ان ارادته لهم خلاف ارادتهم منهم وليس فى الاية ما يدل على انه لا يجوز على اتباع داعى الشهوة فى شىء البتة لانه لا خلاف ان اتباع الشهوة فيما اباحه الله تعالى جائز وانما المحظور من ذلك ما يدعوا الى محرم لكن لا يطلق لصاحبه بانه متبع للشهوة لان الاطلاق يفيد اتباع الشهوة فيما حرم عليه قوله تعالى يُرِيدُ اللّٰهُ اَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْاِنْسَانُ ضَعِيفًا اية بلا خلاف معنى قوله يريد الله ان يخفف عنكم ههنا اى فى نكاح الاماء لان الانسان خلق ضعيفا فى امر النساء هذا قول مجاهد وطاوس و زيد واصل التخفيف خفة الوزن و التخفيف على النفس بالتيسير كخفة الحمل بخفة الوزن ومنه الخفافة لنعامة السريعة لانها تسرع اسراع الخفيف الحركة والخفوف السرعة ومنه الخف الملبوس لانه يخف به التصرف ومنه خف البعير والمراد بالتخفيف ههنا تسهل التكليف بخلاف التصعب فيه فتحليل نكاح الاماء تيسير بدلا من تصعيب وكذلك جميع ما يسره الله لنا احسانا منه الينا ولطفا بنا فان قيل هل يجوز التثقيل فى التكليف مع خلق الانسان ضعيفا عن القيام به بدلا من التخفيف قيل نعم اذا امكنه القيام به وان كان فيه مشقة كما ثقل التكليف على بنى اسرائيل فى قتل انفسهم غير ان الله لطف بنا فكلفنا ما يقع به صلاحنا بدلا من فسادنا وفى الاية دلالة على فساد قول المجبرة ان الله يكلف عبادا

ما لا يطيقون لان ذلك مناف لارادة التخفيف عنهم فى التكليف من حيث انه غاية التثقيل وقوله وخلق الانسان ضعيفا اى يستميله هواه قوله تعالى يَا اَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا اَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ اِلَّا اَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا اَنْفُسَكُمْ اِنَّ اللّٰهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا اية واحدة بلا خلاف قرا اهل الكوفة تجارة نصبا الباقون بالرفع فمن رفع ذهب الى ان معناه الا ان يقع تجارة ومن نصب معناه الا ان يكون الاموال تجارة او اموال تجارة وحذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه ويكون الاستثناء منقطعا ويجوز ان يكون التقدير الا ان يكون التجارة تجارة كما قال الشاعر اذا كان يوما ذا كواكب اشنعا وتقديره اذا كان اليوم يوما ذا كواكب ذكره ابو على النحوى وقال الرمانى التقدير الا ان يكون الاموال تجارة ولم يبين والقول ما قال ابو على لان الاموال ليست تجارة ومن شان خبر كان ان يكون هو اسمها فى المعنى وقيل الرفع اقوى لانه ادل فى الاستثناء على الانقطاع فان التحريم لاكل المال بالباطل على الاطلاق وفى الناس من زعم انه نصبه على قول الشاعر اذا كان طعنا بينهم وعناقا اى اذا كان الطعن طعنا قال الرمانى وهذا ليس بقوى لان الاضمار قبل الذكر ليس يكثر فى مثل هذا وان كان جايزا فالرفع يغنى عن الاضمار فيه و فى معنى قوله لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل قولان احدهما قال السدى بالربا والقمار والبخس والظلم وهو المروى عن ابى جعفر عليه السلام الثانى قال الحسن بغير استحقاق من طريق الاعواض وكان الرجل يتحرج ان ياكل عند احد من الناس بعد ما نزلت هذه الاية الى ان نسخ ذلك بقوله فى سورة النور ليس عليكم جناح ان تاكلوا من بيوتكم الى قوله جميعا او اشتاتا والاول اقوى لان ما اكل على وجه مكارم الاخلاق فليس هو اكلا بالباطل وقيل معناه التخاون ولذلك قال بينكم وقوله الا ان تكون تجارة عن تراض منكم فيه دلالة على بطلان قول من حرم المكاسب لانه تعالى حرم اكل الاموال بالباطل واحله بالتجارة على طريق المكاسب مثل قوله واحل الله البيع وحرم الربوا وقيل فى معنى التراضى بالتجارة قولان احدهما امضاء البيع بالتفرق او بالتخاير بعد العقد فى قول شريح وابن سيرين والشعبى لقوله عليه السلام البيعان بالخيار ما لم يتفرقا او يكون بيع خيار وربما قالوا او يقول احدهما للاخر اختر وهو مذهبنا الثانى امضاء البيع بالعقد على قول مالك بن انس وابى حنيفة وابى يوسف ومحمد بعلة رده الى عقد النكاح ولا خلاف انه لا خيار فيه بعد الافتراق وقيل معناه اذا تغابنوا فيه مع التراضى فانه جايز وقوله ولا تقتلوا انفسكم قيل فيه ثلثة اقوال احدها قال عطا والسدى وابو على الجبائى والزجاج لا يقتل بعضهم بعضا من حيث كانوا اهل دين واحد فهم كالنفس الواحدة كما يقول القائل قتلنا ورب الكعبة ومعناه قتل بعضنا لانه صار كالقتل لهم ومثله قوله اذا دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم الثانى قال البلخى فيه نهى عن قتل نفسه فى حال غضب او ضجر والاول اقوى لانه اكثر واغلب وايضا فانه اذا حرم عليه قتل غيره من اهل دينه لانه بمنزلة قتل نفسه فقد حرم عليه قتل نفسه الثالث قال قوم معناه لا تقتلوا انفسكم بان تهلكوها بارتكاب الاثام والعدوان فى اخذ المال بالباطل وغيره من ارتكاب المعاصى ان تستحقون بها العقاب ﴿و﴾ روى عن ابى عبد الله عليه السلام ان معناه لا تخاطروا بنفوسكم فى القتال فتقاتلون من لا تطيقونه ﴿و﴾ قوله ان الله كان بكم رحيما قال ابن عباس كان صلة والمعنى ان الله غفور رحيم ويحتمل ان يكون المراد ان الله كان بكم رحيما حيث كلفكم الامتناع من اكل المال بالباطل الذى يؤدى الى العقاب وحرم عليكم قتل نفوسكم التى حرمها عليكم ويعلم انه رحيم فيما بعد بدليل اخر قوله تعالى وَمَنْ يَفْعَلْ ذٰلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذٰلِكَ عَلَى اللّٰهِ يَسِيرًا اية بلا خلاف قيل فى تعليق الوعيد والاشارة بقوله ومن يفعل ذلك عدوانا وظلما الاية اربعة اقوال اولها وهو اقواها انه على اكل الاموال بالباطل وقتل النفس بغير حق والوعيد بكل واحد من الخصلتين لان الوعيد ذكر عقيب ذكر النهى عن الامرين وهو اختيار الطبرى الثانى قال عطا هو على قتل النفس المحرمة خاصة الثالث على فعل كل ما نهى الله عنه من اول السورة الرابع انه راجع الى قوله يا ايها الذين امنوا لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها لان ما قبله مقرون بالوعيد وقوله وكان ذلك على الله يسيرا معناه انه قادر على انجاز الوعيد لا يمكن صاحبه الامتناع منه ولا الهرب منه فيتعذر الايقاع به فيجب ان تنزلوا الوعيد منزلته وتكونوا على بصيرة فيه غير مغترين بامر يصرف عنه

وانما قيد قوله ومن يفعل ذلك عدوانا وظلما لان من وقع منه قتل النفس على وجه السهو والخطا في خلاف
المراد لم يتناوله الوعيد وكذلك اذا اكل من اموال الناس على وجه مباح لم يتوجه اليه الوعيد والعدوان
تجاوز ما امر به والظلم ان ياخذه على غير وجه الاستحقاق واصله وضع الشئ في غير موضعه وفي المرجئة من
قال انما قيد بذلك لان المراد من استحل اكل المال بالباطل واستحل ايضا قتل النفوس وذلك لا يكون الا كافرا
فلذلك هدده بالوعيد المخصوص فاما اذا فعل ذلك محرما له فانه يجوز ان يعفو الله عنه فلا يدينا وله الوعيد
قطعا على كل حال ولو لم يحمل الاية على المستحلين لامكننا ان نخص الاية بمن لا يعفو الله عنه كما انهم لا بد لهم
ان يخصوها بمن لم يتب من ذلك ولا تكون معصية صغيرة فليس في الاية ما يمنع من القول بجواز العفو و
انما قال وكان ذلك على الله يسيرا وان كان يسيرا عليه الان وفي مستقبل الاوقات ليعلم ان الاوقات متساوية في
ذلك على كل حال ولا يجوز ان يقال قياسا على ذلك وكان الله قديما لان قولنا قديم اغنى عن كان اذا لم يختص
بالحال بل افاد الوجود في الازل فلا معنى لادخال كان فيه واليسير السهل يقال يسر الشئ اذا سهل فهو يسير
وعسر فهو عسر اذا لم يتسهل قوله تعالى اِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ
مُدْخَلًا كَرِيمًا اية قرا نافع وابو بكر عن عاصم مدخلا بفتح الميم الباقون بضمها وهو الاقوى لانه من ادخلوا
والاخر جائز لان فيه معنى فيدخلون وليس كقول الشاعر

الحمد لله ممسانا ومصبحنا … بالخير صبحنا ربي ومسانا

ويروى بفتح الميم فيهما انشده البلخي في البيت لانه ليس فيه فعل ولكن قد تحكى بالفتح على التشبيه بالاول ويحتمل
ان يكون من قرا بفتح الميم اراد مكانا كريما كما قال في مقام كريم وقرا المفضل عن عاصم يكفر ويدخلكم بالياء فيهما
الباقون بالنون وهو الاجود لانه وعد على وجه الاستيناف فالاحسن الا يعلق بالاول من جهة ضمير الغايب و
اختاره الاخفش ومن قرا بالياء رده الى ذكر الله في قوله ان الله كان بكم رحيما والمعاصي وان كانت كلها عندنا
كبائر من حيث كانت معصية لله تع فانا نقول ان بعضها اكبر من بعض ففيها اذا كبير بالاضافة الى ما هو اصغر منه
وقال ابن عباس كلما نهى الله عنه فهو كبير وقال سعيد بن جبير كلما اوعد الله عليه النار فهو كبير ومثله قال
ابو العالية ومجاهد والضحاك وعند المعتزلة ان كل معصية توعد الله تع عليها بالعقاب وثبت ذلك عن
النبي صم او كان بمنزلة ذلك او اكبر منه فهو كبير وما ليس ذلك حكمه فانه يجوز ان يكون صغيرا ويجوز ان يكون
كبيرا ولا يجوز ان يعين الله الصغاير لان في تعيينها الاغراء بفعلها فمن المعاصي المقطوع على كونها كباير
قذف المحصنات وقتل النفس التي حرم الله والزنا والربا والفرار من الزحف في قول ابن عباس وسعيد بن
جبير والحسن والضحاك ومثله عن ابي عبد الله ع وزاد وعقوق الوالدين والشرك وانكار الولاية وقال
ابن مسعود كلما نهى الله عنه من اول السورة الى راس الثلثين فهو كبير وروى عن النبي صم انه قال عقوق
الوالدين وشهادة الزور كبير فعلى مذهب المعتزلة من اجتنب الكباير وواقع الصغاير فان الله يكفر الصغاير
عنه ولا يحسن مع اجتناب الكباير عندهم المؤاخذة بالصغاير ومتى اخذه بها كان ظالما وعندنا انه يحسن
من الله تع ان يؤاخذ العاصي باي معصية فعلها ولا يجب عليه اسقاط عقاب معصية لمكان اجتناب ما هو اكبر
منها غير انا نقول انه تع وعد تفضلا منه ان من اجتنب الكبائر فانه يكفر عنه ما سواها بان يسقط عقابها عنه
تفضلا ولو اخذه بها لم يكن ظالما ولم يعين الكباير التي اذا اجتنبها كفر ما عداها لانه لو فعل ذلك لكان فيه
اغراء بما عداها وذلك لا يجوز في حكمته تع وقوله ان تجتنبوا كبائر معناه من تركها جانبا والمدخل الكريم هو
الطيب الحسن المكرم بنفي الافات والعاهات عنه قوله تعالى وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللّٰهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلٰى بَعْضٍ
لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْئَلُوا اللّٰهَ مِنْ فَضْلِهِ اِنَّ اللّٰهَ كَانَ بِكُلِّ
شَيْءٍ عَلِيمًا اية بلا خلاف قرا ابن كثير والكسائى وسلوا بغير همزة وكذلك كلما كان امر للمواجه في جميع القران
الباقون بالهمزة ولم يختلفوا في وليسئلوا واما اتفقوا لانه امر لغايب قال ابو علي الفارسي كلاهما جيدان ترك
الهمزة واثباتها وقيل في سبب نزول هذه الاية ان ام سلمة قالت يا رسول الله لا نغزو مع الرجال ولنا نصف

الميراث يا ليت كنا رجالا فكنا نقاتل معهم فنزلت هذه الاية في قول مجاهد وقال الزجاج قال الرجال ليتنا
كنا فضلنا في الاخرة على النساء كما فضلنا عليهن في الدنيا وبه قال السدي والتمني هو قول القائل ليته كان كذا
لما لم يكن وليت لم يكن كذا لما كان وفي الناس من قال هو معنى في القلب وقال الرماني هو ما يجب على جهة
الاستمتاع به ومن قال هو معنى في القلب قال ليس هو من قبيل الشهوة ولا من قبيل الارادة لان الارادة
لا تتعلق الا بما يصح حدوثه والتمني قد يتعلق بما مضى والشهوة ايضا كالارادة في انها لا تتعلق بما مضى
وظاهر الخطاب يقتضي تحريم تمني ما فضل الله به بعضنا على بعض وقال الفراء هو على جهة الندب و
الاستحباب والاول هو حقيقة التمني والذي قلناه هو قول اكثر المفسرين ووجه تحريم ذلك انه يدعوا
الى الحسد وايضا فهو من دنايا الاخلاق وايضا فان تمني الانسان لحال غيره قد يؤدي الى تسخط ما قسم الله
له ولا يجوز لاحد ان يقول ليت مال فلان لي وانما يحسن ان يقول ليت مثله لي وقال البلخي لا يجوز للرجل
ان يتمنى ان كان امراة ولا للمراة ان تتمنى لو كانت رجلا بخلاف ما فعل الله لان الله لا يفعل من الاشياء
الا ما هو اصلح فيكون قد تمنى ما ليس باصلح او ما يكون مفسدة ويمكن ان يقال ان ذلك يحسن بشرط ان لا يكون
مفسدة كما يقول في حسن السؤال سواء وقوله وللرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن قيل
في معناه ثلثة اقوال احدها ان لكل واحد حظا من الثواب على حسب ما كلفه الله من الطاعات بحسن تدبيره فمتى
فعل ذلك استحق به علو المنزلة فلا تتمنوا خلاف هذا التدبير لما فيه من حرمان الحظ الجزيل الثاني ان لكل احد
انما له جزاء ما اكتسب فلا يضيعه بتمني ما لغيره مما يؤدي الى ابطال عمله فكانه قيل لا تضيع ما هو لك بتمني
ما لغيره هي والثالث ان لكل فريق من الرجال والنساء نصيبا مما اكتسب من نعيم الدنيا بالتجارات والزراعات
وغير ذلك من انواع المكاسب فينبغي ان يقنع ويرضى بما قسم الله له وروى عن ابن عباس انه قال ذلك في الميراث
للرجال نصيب منه وللنساء نصيب منه والاجوبة الاول اقرب لان الميراث ليس مما يكتسبه الرجال والنساء
انما هو شئ يورثهم الله تع والاية تضمنت ان لهم نصيبا مما اكتسبوا وذلك لا يليق الا بما تقدم وقوله واسئلوا
الله من فضله معناه ان احتجتم الى ما لغيركم فاسئلوا الله ان يعطيكم مثل ذلك من فضله بشرط ان لا يكون مفسدة
لكم ولا لغيركم لان المسئلة لا يحسن الا كذلك وقال سعيد بن جبير واسئلوا الله العبادة وبه قال السدي ومجاهد
وقوله ان الله كان بكل شئ عليما معناه انه قسم الارزاق على ما علمه من الصلاح للعباد بدلا من الفساد
فينبغي ان ترضوا بما قسمه وتسئلوه من فضله غير منافسين لغيركم في عطيته قوله تعالى وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا
مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْاَقْرَبُونَ وَالَّذِيْنَ عَقَدَتْ اَيْمَانُكُمْ فَاٰتُوْهُمْ نَصِيْبَهُمْ اِنَّ اللّٰهَ كَانَ
عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا اية بلا خلاف قرا اهل الكوفة عقدت بغير الف الباقون بالف فمن قرا بالف
قال لان المعاقدة تدل على عقد الحلف باليمين من الفريقين وقال بعضهم انه يغني عن ذلك جميع الايمان
قال الرماني هذا خطاء لانها قد تجمع لردها على احد الفريقين الحالف بها قال ابو علي الفارسي الذكر الذي
يعود من الصلة الى الموصول ينبغي ان يكون منصوبا فالتقدير والذين عاقدتهم ايمانكم فجعل الايمان في اللفظ
هي المعاقدة والمعنى على الحالفين الذين هم اصحاب الايمان فالمعنى والذين عاقدت حلفهم ايمانكم فحذف
المضاف واقام المضاف اليه مقامه فعاقدت اشبه بهذا المعنى لان لكل نفس من المعاقدين يمينا على المحالفة
ومن قال عقدت ايمانكم كان المعنى عقدت حلفهم ايمانكم فحذف الحلف واقام المضاف اليه مقامه والاولون
حملوا الكلام على المعنى حيث كان من كل واحد من الفريقين يمين ومن قال عقدت حمل على اللفظ لفظ الايمان
لان الفعل لم يسند الى اصحاب الايمان في اللفظ وانما اسند الى الايمان ومعنى الاية جعلنا الميراث لكل من
هو مولى الميت والموالي المذكورون في الاية قال ابن عباس ومجاهد وقتادة وابن زيد هم العصبة وقال
السدي هم الورثة وهو اقواها والتقدير ولكلكم جعلنا ورثة مما ترك الوالدان والاقربون ثم استانف
والذين واصل الموالي من ولي الشئ يليه ولاية وهو الاتصال للشئ بالشئ من غير فاصل والمولى على وجوه
فالمولى المعتق والمولى المعتق والمولى العصبة والمولى ابن العم والمولى الحليف والمولى الولي والمولى الاولى

بالشئ والاحق فالمعتق مولى النعمة بالعتق والمعتق لانه مولى النعمة والمولى الورثة لانهم اولى بالميراث والمولى الحليف لانه يلى المحالف امره بعقد اليمين والمولى ابن العم لانه يلى النصرة لتلك القرابة والمولى الولى لانه يلى بالنصرة وفى التنزيل ذلك بان الله مولى الذين امنوا وان الكافرين لا مولى لهم اى لا ناصر لهم و هو ناصر المؤمنين والمولى السيد لانه اولى بمن يسوده قال الاخطل

فاصبحت مولاها من الناس كلهم ... واحرى قريش ان تهاب وتحمدا

والمولى الاولى والاحق ومنه قوله عم ايما امراة نكحت بغير اذن مولاها فنكاحها باطل اى بغير اذن من هو اولى بها واحق وقال الفضل بن العباس فى المولى بمعنى ابن العم

مهلا بنى عمنا مهلا موالينا ... لا تظهرن لنا ما كان مدفونا

والمراد بقوله والذين عاقدت ايمانكم قيل فيه ثلثة اقوال احدها قال سعيد بن جبير وقتاده وعامر والضحاك انهم الحلفاء والثانى قال الحسن وسعيد بن المسيب هم رجال كانوا يتبنون على عادة الجاهلية ليجعل لهم نصيب من الوصية ثم هلكوا فذهب نصيبهم بهلاكهم الثالث فى رواية اخرى عن ابن عباس وابن زيد انهم قوم اخا بينهم رسول الله صم والاول اقوى واظهر فى اقوال المفسرين وقال ابو مسلم اراد به العقد المصاهرة والمناكحة وقال ابو على الحليف لم يؤمر له بشئ اصلا لانه عطف على قوله ترك الوالدان والاقربون اى وترك الذين عاقدت ايمانكم فاتوا كلا نصيبه من الميراث وهذا ضعيف لانه يفيد التكرار لان قوله الوالدان والاقربون عام فى كل احد وعلى ما قال المفسرون يكون قوله ولكل جعلنا موالى مما ترك الوالدان اذا كانوا مناسبين له ثم استانف حكم الحلفاء فقال فاتوهم نصيبهم فان قيل بماذا يتصل قوله مما ترك الوالدان وما العامل فيه قيل فيه قولان احدهما يتصل بموال على جهة الصفة والعامل الاستقرار كانه قال موالى مما خلفا الوالدان والاقربون والذين عاقدت ايمانكم من الورثة الثانى يتصل بمحذوف والتقدير موالى يعطون مما ترك الوالدان والاقربون والذين عاقدت ايمانكم فى الميراث وقال ابو على الجبائى تقديره ولكل شئ مما ترك الوالدان والاقربون وارث من الميراث قال الرمانى وهذا لا يجوز لانه فصل بين الصفة والموصوف بما عمل فى الموصوف نحو لكل رجل جعلت درهما فقير والنصيب الذى امر به للحليف قيل فيه قولان احدهما قال ابن عباس والحسن وسعيد بن جبير وقتاده وعامر والضحاك انه نصيب على ما كانوا يتوارثون بالحلف فى الجاهلية ثم نسخ ذلك بقوله واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض الثانى فى رواية اخرى عن ابن عباس ومجاهد وعطا و السدى انه النصيب من النصرة والنصيحة دون الموارثة فعلى هذا الاية غير منسوخة وروى عنه انه قال لا حلف فى الاسلام فاما ما كان فى الجاهلية فلم يزده الاسلام الا شدة وقوله ان الله كان على كل شئ شهيدا اى شاهدا وذلك دال على انه عالم به لانه لا يشهد الا بما علم قوله تعالى الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما انفقوا من اموالهم فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله واللاتى تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن فى المضاجع واضربوهن فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا ان الله كان عليا كبيرا اية بلا خلاف قرا ابو جعفر المدنى بما حفظ الله بالنصب ومعناه بالذى حفظ الله ويحتمل ان يكون معناه بحفظ الله وهو ضعيف لانه يكون حذف الفاعل وهو ضعيف وسبب نزول هذه الاية ما قال الحسن وقتاده وابن جريج والسدى ان رجلا لطم امراته فجاءت الى النبى صم تلتمس القصاص فنزلت الاية الرجال قوامون على النساء والمعنى الرجال قوامون على النساء بالتاديب والتدبير لما فضل الله الرجال على النساء فى العقل والراى وكان الزهرى يقول ليس بين الرجل وامراته قصاص فيما دون النفس ويقال رجل قيم وقوام وقيام ومعناه انهم يقومون بامر المراة بالطاعة لله ولهم وقوله فالصالحات قانتات قال قتادة وسفيان معنى قانتات مطيعات لله ولازواجهن واصل القنوت دوام الطاعة ومنه القنوت فى الوتر لطول القيام وقوله حافظات للغيب بما حفظ الله معناه قال قتاده وعطا وسفين حافظات لما غاب عنه ازواجهن من ماله وما يجب من رعايته وحاله وما يلزم من صيانتها نفسها له وبما حفظ الله قال عطا والزجاج اى بما حفظهن

الله فى مهورهن والزام الزوج النفقة عليهن وقال بعضهم معناه والله اعلم بالشئ الذى يحفظ امر الله ودين الله وقوله واللاتى تخافون قيل فيه قولان احدهما تعلمون لان خوف النشز للعلم بموقعه فلذلك جاز ان توضع مكان تعلم كما قال الشاعر

ولا تدفننى بالفلاة فاننى ... اخاف اذا ما مت ان لا اذوقها

وقال اخر

اتانى كلام عن نصيب يقوله ... وما خفت يا سلام انك عائبى

وقال الفرا معناه ما ظننت ومنه قوله عم امرت بالسواك حتى خفت ان ادرد الثانى الخوف الذى هو خلاف الامن كانه قال تخافون نشوزهن لعلمكم بالاحوال المؤذنة به ذكره محمد بن كعب فى معنى النشوز ههنا قال ابن عباس والسدى وعطا وابن زيد انه معصية الزوج واصله الترفع على الزوج بخلافه ماخوذ من قولهم هذا على نشز من الارض اى ارتفاع يقال نشزت المراة تنشز وتنشز قرئ بهما وقيل اذا انشزوا فانشزوا فالنشوز يكون من قبل المراة خاصة والشقاق منهما وقوله فعظوهن اى خوفوهن بالله فان رجعن والا فاهجروهن فى المضاجع وقيل فى معناه ثلثة اقوال قال ابن عباس وعكرمة والضحاك والسدى هجر الكلام وقال سعيد بن جبير هو هجر الجماع وقال مجاهد والشعبى وابرهيم هو هجر المضاجعة وهو قول ابى جعفر وقال يحول ظهره اليها وقال بعضهم اهجروهن اربطوهن بالهجار من قولهم هجر الرجل البعير اذا ربطه بالهجار وقال امرؤ القيس

رات هلكا بنجاف الغبيط ... فكادت تجد لذاك الهجارا

وهذا تعسف فى التاويل ويضعفه قوله فى المضاجع ولا يكون الرباط فى المضجع واما الضرب فانه غير مبرح بلا خلاف قال ابو جعفر هو بالسواك والمضاجع جمع مضجع واصله الاستلقاء يقال ضجع ضجوعا و اضطجع اضطجاعا اذا استلقى للنوم واضجعته اذا وضعت جنبه بالارض فكل شئ املته فقد اضجعته قوله فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن اى لا تطلبوا تقول بغيت الضالة اذا طلبتها قال الشاعر

يصيف الموت بغاك وما تبغيه حتى وجدته

كانك قد واعدته امس موعدا واصل الهجر الترك عن قلى تقول هجرت فلانا اى تركت كلامه عن قلى والهجر القبيح من الكلام لانه مهجور والهجار حبل يشد به البعير لانه يهجر به التصرف والهاجرة نصف النهار لانه وقت يهجر فيه العمل وقوله ان الله كان عليا كبيرا اى متعاليا عن ان يكلف الا بالحق ومقدار الطاقة وقد قيل معناه انه قادر عليه قاهر له وليس المراد به علو المكان لان ذلك يستحيل عليه تعالى والكبير السيد يقال السيد القوم كبيرهم والمعنى فان استقمن لكم فلا تطلبوا العلل فى ضربهن وسوء معاشرتهن فان الله تعالى قادر على الانتصاف لهن قوله تعالى وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما ان الله كان عليما خبيرا اية بلا خلاف قوله وان خفتم فى معناه قولان احدهما ان علمتم والثانى الخوف الذى هو خلاف الامن وهو الاصح لانه لو علم الشقاق يقينا لم يحتج الى الحكمين فان اريد به الظن كان قريبا مما قلناه والشقاق الخلاف والعداوة واشتقاقه من الشق وهو الجزء البائن ومنه اسم المتشاقين لان كل واحد منهما فى شق اى فى ناحية ومنه المشقة فى الامر لانه يشق على النفس فامر الله متى خيف ذلك بين الزوجين ان يبعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها والحكم القيم بما يسند اليه والمامور ببعث الحكمين قيل فيه قولان احدهما قال سعيد بن جبير والضحاك واكثر الفقهاء وهو الظاهر فى اخبارنا انه السلطان الذى يترافعان اليه والثانى قال السدى انه الرجل والمراة وقيل ايهما كان ناب عن الاخر وهو اختيار الطبرى واختلف الفقهاء فى الحكمين هل هما وكيلان او هما حكمان فعندنا انهما حكمان وقال قوم هما وكيلان واختلفوا هل للحكمين ان يفرقا بالطلاق ان راياه ام لا فعندنا ليس لهما ذلك الا بعد ان يستامراهما او كان اذن لهما فى الاصل فى ذلك وبه قال الحسن وقتاده وابن زيد عن ابيه ومن قال هما وكيلان قال لهما ذلك ذهب اليه سعيد بن جبير والشعبى والسدى وابرهيم وشريح ورووه عن على عم وقوله ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما معناه يوفق الله بينهما والضمير فى بينهما عائدا على الحكمين والمعنى ان ارادا اصلاحا فى امر الزوجين يوفق الله بينهما وبه قال ابن عباس وسعيد بن جبير والسدى واصل التوفيق الموافقة وهى

المساواة فى امر من الامور والتوفيق هو اللطف الذى يتفق عنده فعل الطاعة والتوفيق بين نفسين هو
الاصلاح بينهما والاتفاق فى الجنس والمذهب المساواة بينهما والاتفاق فى الوقوع كرهيته من غير دوام
المساواة بينهما نادرا و قوله ان الله كان عليما خبيرا يعنى بما يريد الحكمان من الاصلاح او الافساد وقيل معناه
انه عالم بما تعبدكم به لعلمه بما فيه صلاحكم فى دينكم ودنياكم وشقاق بينهما انما اضافه الى البين لان البين
قد يكون اسما كما قال لقد تقطع بينكم فيمن قرأ بالرفع قوله تعالى وَاعْبُدُوا اللهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَ
بِالْوَالِدَيْنِ اِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبٰى وَالْيَتَامٰى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبٰى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ
بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ اَيْمَانُكُمْ اِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا اية هذا خطاب
لجميع المكلفين امرهم الله بان يعبدوه وحده ولا يشركوا بعبادته شيئا سواه وبالوالدين احسانا نصب على المصدر
وتقديره واحسنوا الى الوالدين احسانا ويحتمل ان يكون نصبا على تقدير واستوصوا بالوالدين احسانا لان
قوله اعبدوا الله بمنزلة استوصوا بعبادة الله وان تحسنوا الى ذى قرباهم والى اليتامى الذين لا اب لهم
والمساكين وهم الفقراء والجار ذى القربى يعنى الجار القريب واصل الجار العدول لجاوره مجاورة وجوارا
فهو مجاور له وجار له لعدوله الى ناحيته فى مسكنه والجور الظلم لانه عدول عن الحق ومنه جار السهم اذا
عدل عن قصده وجار عن الطريق اذا عدل عنه واستجار بالله لانه يسئله العدول به عن النار وجوار الذمة
لانه عدول بها الى ناحية صاحبها والجار الجنب اصل الجنب التنحية جنبت فلانا عن كذا فتجنب اى نحيته و
منه قوله واجنبنى وبنى ان نعبد الاصنام والجانبان الناحيتان لتنحى كل واحدة عن الاخرى ومنه جنبا
الانسان وكل حيوان والاجناب التارك للشئ والجار الجنب معناه الغريب الاجنبى لتنحيه عن القرابة قال
علقمة بن عبدة فلا تحرمنى نائلا عن جنابة فانى امرؤ وسط القباب غريب
اى عن غربة وقال ابن عباس ومجاهد وقتاده والضحاك وابن زيد الجار ذى القربى القريب فى النسب والجار الجنب
الغريب اى عن غربة وروى عن النبى صم انه قال الجيران ثلثة جار له ثلثة حقوق حق الجوار وحق القرابة وحق
الاسلام وجار له حقان حق الجوار وحق الاسلام وجار له حق الجوار المشرك من اهل الكتاب والصاحب بالجنب قيل
فى معناه ثلثة اقوال احدها قال ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن ومجاهد وقتاده والسدى والضحاك هو
الرفيق الثانى قال عبد الله بن مسعود وعلى عم وابرهيم وابن ابى ليلى الزوجة الثالث قال ابن زيد وابن عباس
فى رواية اخرى عنه انه المنقطع اليك رجاء رفدك وقيل انه فى جميع هؤلاء وهو اعم فائدة وقال الزجاج
الجار ذى القربى الذى يقاربك ويعرفك وتعرفه والجار الجنب البعيد وروى ان حد الجوار الى اربعين دارا وروى
الى اربعين ذراعا وابن السبيل معناه صاحب الطريق وقيل فى المراد به ههنا قولان احدهما قال مجاهد والربيع
انه المسافر الثانى قال قتاده والضحاك انه الضيف وقال اصحابنا يدخل فيه الفريقان وما ملكت ايمانكم يعنى
المماليك من العبيد والاماء امر الله بالاحسان الى هؤلاء اجمع وقوله ان الله لا يحب من كان مختالا فالمختال هو
الصلف التياه والاختيال هو التطاول وانما ذكره الله ههنا وذمه لانه اراد بذلك من يختال فيانف من قراباته
وجيرانه اذا كانوا فقراء لكبره وتطاوله فاما الاختيال فى الحرب فممدوح لان فى ذلك تطاولا على العدو واستخفافا
به واصل المختال من التخيل وهو التصور فالمختال لانه يتخيل بحاله مرح البطر ومنه الخيل لانها تختال فى مشيها
اى تتبختر والخيال لانه يتخيل به صاحبه والاخيل الشقراق لانه يتخيل فى لونه الخضرة من غير خلوصها والخال الحشم
وخلته راكبا خيلانا اى تخيلته والخال المختال والخال اخ الام والفخور هو الذى يعدد مناقبه كبرا وتطاولا
واما الذى يعددها اعترافا بالنعم فيها فهو شكور غير فخور وروى عن المفضل عن عاصم انه قرأ والجار الجنب
بفتح الجيم قال ابو الحسن هو لغة فى الجنب قال الراجز الناس جنب والامير جنب يعنى ناحية قال ابو على الفارسى يحتمل
امرين احدهما ان يريد الناحية والتقدير وذى الجنب فحذف المضاف لان المعنى مفهوم لان الناحية لا تكون هى الجار
والثانى ان يكون وصفا مثل ضرب وندب وفسل فهذا وصف جرى على موصوف قوله تعالى اَلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَ
يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا اٰتٰهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا اية قرأ حمزة

والكسائى ههنا وفى الحديد بالبخل بفتح الباء والخاء الباقون بضم الباء وتسكين الخاء فمن نصب قال
لانه مصدر بخل يبخل بخلا الباب كله هكذا ومن اختار الضم وتسكين الخاء فلانه نقيض الجود فحمل على وزنه فهما
لغتان وحكى لغة ثالثة بالبخل بفتح الباء وسكون الخاء وقوله الذين يحتمل ان يكون موضعه نصبا من وجهين
ورفعا من وجهين فاحد وجهى النصب ان يكون بدلا من من فى قوله لا يحب من كان والثانى على الذم واحد وجهى
الرفع على الاستيناف بالذم ويكون خبره ان الله لا يظلم والاية الثالثة عطفا عليها والثانى على البدل من الضمير
فى فخور والبخل اصله مشقة الاعطاء وقالوا فى معناه ههنا قولان احدهما انه منع الواجب لانه اسم ذم لا يطلق
الا على مرتكب كبيرة والثانى هو منع ما لا ينفع منعه ولا يضر بذله ومثله الشح وضده الجود والاول اليق بالاية
لانه تعالى نفى محبته عمن كان بهذه الصفة وذلك لا يليق الا بمنع الواجب قال الرمانى معناه منع الاحسان لمشقة
الطباع ونقيضه الجود وهو بذل الاحسان لانه مما تشتهيه الطباع وقال ابن عباس ومجاهد والسدى وابن زيد
ان الاية نزلت فى اليهود اذ بخلوا باظهار ما علموه وكتموه من صفة محمد صم وقال الجبائى والبلخى الاية فى كل من
كان بهذه الصفة وانما ذكروا بالكفر لكتمانهم نعمة الله عليهم والامر بالبخل بينا وله الوعيد كما ان فعل البخل
بينا وله الوعيد وقيل معنى يكتمون ما اتيهم الله من فضله يجحدون اليسار والثروة اعتذارا فى البخل وقوله
واعتدنا قد فسرناه فيما مضى وهو ان معناه اعددناه وجعلناه ثابتا لهم وللكافرين يعنى الجاحدين ما انعم
الله عليهم عذابا مهينا اى يهينهم ويذلهم قوله تعالى وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ اَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا
يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْاٰخِرِ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا اية بلا خلاف قوله والذين
عطف على الذين فى الاية الاولى واعرابه يحتمل ما قلناه فى الاية الاولى سواء وقال الزجاج وغيره المعنى
بهذه الاية المنافقون وقال مجاهد المعنى بها اليهود والاول اقوى واظهر لان الرياء ضرب من النفاق وواو
العطف يقوى ذلك لانه لو اراد الموصوفين فى الاية الاولى لقال الذين ينفقون اموالهم رئاء الناس مع انه
قد ورد عطف للصفات بالواو لموصوف واحد على ما بيناه فيما مضى غير ان الاجود ما قلناه فذم الله تعالى
بهذه الاية من ينفق ماله رئاء الناس دون ان ينفقه لوجهه وطلب رضاه ولا يؤمن بالله اى لا يصدق به ولا
باليوم الاخر الذى فيه الثواب والعقاب ثم قال ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا معناه من قبل من الشيطان
والطاعة فيما يدعوه اليه فبئس القرين قرينه والقرين اصله الاقتران ومنه قرن الثور لاقتران بعض ببعض
والقرن اهل العصر من الناس وقرنة الشئ حرفه والقرن المقاوم فى الحرب وما كان له مقرنين اى مطيقين
والقرين الصاحب المالوف قال عدى بن زيد عن المرء لا تسئل وابصر قرينه فان القرين بالمقارن يقتدى
ويمكن الانسان الانفكاك من مقارنة الشيطان بالمخالفة له فلا يعتد بالمقارنة وقال ابو على لا يمكن ذلك
لانه يقرن به الشيطان فى النار فلا يمكنه الانفكاك منه وقوله فساء قرينا نصب على التفسير كقوله ساء مثلا
وتقديره ساء مثلا مثل الذين ويقول نعم رجلا وتقديره نعم الرجل رجلا قوله تعالى وَمَاذَا عَلَيْهِمْ
لَوْ اٰمَنُوا بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْاٰخِرِ وَاَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللهُ وَكَانَ اللهُ بِهِمْ عَلِيمًا اية واحدة بلا خلاف
معنى قوله وماذا عليهم الاية الاحتجاج على المتخلفين عن الايمان بالله واليوم الاخر بما عليهم فيه ولهم وذلك انه يجب
على الانسان ان يحاسب نفسه فيما عليه وله فاذا ظهر له ما عليه فى فعل المعصية من استحقاق العقاب اجتنبها وما
له فى تركها من استحقاق الثواب عمل فى ذلك من الاختيار له والانصراف عنه وفى ذلك دلالة على بطلان قول المجبرة
فى ان الكافر لا يقدر على الايمان لان الاية نزلت على انه لا عذر للكفار فى ترك الايمان ولو كانوا غير قادرين لكان
فيه اوضح العذر لهم ولما جاز ان يقال وماذا عليهم لو امنوا بالله لانهم لا يقدرون عليه كما لا يجوز ان يقال لاهل
النار ماذا عليهم لو خرجوا منها الى الجنة من حيث لا يقدرون عليه لا يجدون السبيل اليه ولذلك لا يجوز ان يقال
للعاجز ماذا عليه لو كان صحيحا ولا للفقير ماذا عليه لو كان غنيا وموضع ذا يحتمل من الاعراب وجهين احدهما ان
يكون رفعا لانه فى موضع الذى وتقديره ما الذى عليهم لو امنوا الثانى لا موضع له لانه مع ما بمنزلة اسم واحد
وتقديره واى شئ عليهم لو امنوا بالله ففى الاية تقريع على ترك الايمان بالله واليوم الاخر وتوبيخ على الانفاق

تمادٍ فهم الله في غير ابواب البر وسبيل الخير على وجه الاخلاص دون الرياء وقوله وكان الله بهم عليما معناه
ههنا ان الله بهم عليم يجازيهم بما يسرون من قليل او كثير فلا ينفعهم ما ينفقونه على جهة الرياء قوله تعالى
إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا اية بلا خلاف
قرا وان تك حسنة بالرفع ابن كثير ونافع الباقون بالنصب فمن نصب معناه وان تك زنة الذرة حسنة او وان
تك فعلته حسنة ومن رفع ذهب الى ان كان تامة وتقديره وان تحدث حسنة واصل تك تكون فحذفت الضمة للجزم
والواو لسكونها وسكون النون لكثرة الاستعمال وقد ورد القرآن باثباتها قال الله تعالى ان يكن غنيا
او فقيرا فاجتمع في النون انها ساكنة وانها تشبه حروف اللين فحذفت لكثرة الاستعمال كما قالوا لا ادر
ولم ابل والاجود لم ابال ولا ادري ويؤت بغير ياء سقطت الياء للجزم بالعطف على يضاعفها ولدن
في موضع خفض وفيها لغات يقال لد ولدن ولدا ولدا والمعنى واحد ومعناه من قبله ولدن لما يليك
وعند يكون لما يليك ولما بعد منك تقول عندي مال وان كان ببلد وبينه بعد فاذا اضفته الى نفسك
قلت من لدني ومن لدنا زدت فيها نونا اخرى وادغموا الاولى منها ليسلم سكون النون ومثله قالوا
فيمن اذا اضافوه قالوا مني ومنا وقرا ابن كثير وابن عباس يضعّفها مشددة الباقون يضاعفها من
المضاعفة الظلم هو الالم الذي لا نفع فيه يوفي عليه ولا دفع مضرة اعظم منه عاجلا ولا اجلا ولا
هو مستحق ولا هو واقع على وجه المدافعة واصله وضع الشيء في غير موضعه وقيل اصله الانتقاص
من قوله ولم تظلم منه شيئا اي لم ينقص والظلم انتقاص الحق والظلمة انتقاص النور بذهابه والظلم الثلج
لانتقاصه بالجمود وشبه به ماء الاسنان وفي المثل من اشبه اباه فما ظلم وسقاء مظلوم اذا شرب منه
قبل ان يدرك والظليم ذكر النعام لانه يضع الشيء في غير موضعه يحضن غير بيضه واصل المثقال الثقل
فالمثقال مقدار الشيء في الثقل والثقل ما ثقل من متاع السفر والمثقل الذي اثقله المرض والثقيل البطيء
في عمله فمثقال ذرة مقدار ذرة في الزنة والذرة النملة الحمراء في قول ابن عباس وابن زيد وهي اصغر النمل
وهي من ذررت الشيء اذره ذرا اذا بددته سحوقا وفي الاية دلالة على ان منع الثواب ظلم لانه لو لم يكن ذلك ظلما
لما كان لهذا الكلام معنى على هذا الترتيب وفيه ايضا دلالة على انه قادر على الظلم لانها صفة تعظيم وتنزيه
عن فعل ما يقدر عليه من الظلم ولو لم يكن قادرا عليه لما كان فيه مدح غير انه وان كان قادرا عليه فانه لا يفعله
لعلمه بقبحه وبانه غني عنه ولانه لو فعل لكان ظالما لان الاشتقاق يوجب ذلك وهو منزه عنه ثم قوله تعالى
فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا اية كيف لفظها لفظ الاستفهام
ومعناها ههنا التوبيخ والتقريع فكيف يكون حال هؤلاء يوم القيمة وحذف لدلالة الكلام عليه والعامل
في كيف الابتداء المحذوف لان التقدير كيف حالهم على ما بيناه وانما جاز خروج كيف عن الاستفهام الى التوبيخ
لانه يقتضي اقرار العبد على نفسه بما كان من قبيح عمله كما يقتضي الجواب في الاستفهام ولا يجوز ان يكون العامل
في كيف جئنا لاضافة اذا اليه والمضاف اليه لا يعمل فيما قبله كما لا يعمل الصلة فيما قبل الموصول لانه من تمام الاسم
والشهادة يقع يوم القيمة من كل نبي بانه بلغ قومه ما يقوم به عليهم الحجة وانه ادى ما تقوم به الحجة عليها
من مراد الله هذا قول عبد الله وابن جريج والسدي وقال الجبائي يشهد عليهم باعمالهم وقال الزجاج والطبري
يشهد لهم وعليهم بما عملوه ووجه حسن الشهادة ما في ذلك من اقامة الحجة عليهم فيستحيون عند تصور تلك الحال
من خزي ذلك المقام وفي ذلك اكبر الاتعاظ وروي عن ابن مسعود انه قرا على النبي صلعم سورة النساء فلما بلغ فكيف
اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا فاضت عيناه وقوله وجئنا بك يعني محمدا صلعم على هؤلاء
يعني على امته وقال السدي ان امة نبينا تشهد للانبياء بالاداء والتبليغ ويشهد النبي لامته بتصديقهم في
تلك الشهادة كما قال وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا
قوله تعالى يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا
اية بلا خلاف قرا حمزة والكسائي تسوى مفتوحة التاء خفيفة السين وقرا نافع وابن عامر بفتح التاء وتشديد

السين الباقون بضم التاء وتخفيف السين وقال الطبري الاختيار فتح التاء لموافقته لقوله يا ليتني كنت ترابا
ولم يقل كونت وقال الرماني هذا ليس بشيء لان التمني فيه معنى الفعل ولضم التاء بين وليس كذلك الاخر لانه
بمنزلة التمني لان يكون معدوما لم يوجد قط قال ابو علي من قرا بضم التاء اراد لو جعل هو والارض سواء ومن فتح
التاء اراد تتسوى وانما ادغم التاء في السين قال وفي هذا تجوز لان الفعل مسند الى الارض وليس ذلك المراد
لانه لا فائدة لهم ان تصير الارض مثلهم وانما ودوا ان يتسووا هم بها لا يتسوى بهم ومن فتح التاء وخفف السين اراد
هذا غير انه حذف احدى التاءين وهي الاصلية دون التي للمضارعة ومعنى الاية الاخبار من الله تعالى ان الكفار
يوم القيمة يودون لعلمهم بما يصيرون اليه من العذاب والخلود في النار انهم لن يبعثوا وانهم كانوا والارض سواء
وروي في التفسير ان البهائم يوم القيمة تصير ترابا فيتمنى عند ذلك الكفار انهم صاروا كذلك ترابا وهذا لا
يجوز الا من قال ان العوض منقطع فاما من قال هو دائم لم يصح هذا الخبر وقوله وعصوا الرسول ضموا الواو
لانها واو الجمع وحركت لالتقاء الساكنين وقوله لو استطعنا كسرت على اصل الحركة لالتقاء الساكنين وانما ضم
الواو الجمع الضم لانها لما منعت ما لها من ضم ما قبلها جعلت الضمة عند الحاجة الى حركتها فيها والعامل في يومئذ
يود الذين وانما عمل في يومئذ ما بعد اذ ولم يجز مثل ذلك في اذا جئنا من كل امة لانه اضيف يوم الى اذ بطلت اضافة
الى الجملة وجاء التنوين ليدل على تمام الاسم يبين ذلك قوله من عذاب يومئذ ببنيه وقوله ولا يكتمون الله حديثا
لا ينافي قوله والله ربنا ما كنا مشركين لانه قيل في معنى الاية سبعة اقوال احدها قال الحسن ان الاخرة مواطن فموطن
لا تسمع الا همسا اي صوتا خفيا وموطن يكذبون فيقولون ما كنا نعمل من سوء والله ربنا ما كنا مشركين وموطن
يعترفون بالخطايا ان يسئلون الله ان يردهم الى دار الدنيا الثاني قال ابن عباس ان قوله ولا يكتمون الله حديثا
داخل في التمني بعد ما نطقت جوارحهم بفضيحتهم فكانهم لما راوا المؤمنين دخلوا الجنة كتموا فقالوا والله ما
كنا مشركين فختم الله افواههم وانطق جوارحهم بما فعلوه ثم تمنوا ان يكونوا تسوى بهم الارض ولا يكتمون الله
حديثا فتمنوا الامرين وقال الفراء تقديره يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم
الارض ويودون لا يكتمون الله حديثا الثالث قال ابو علي انه لا يعتد بكتمانهم لانه ظاهر عند الله لا يخفى
عليه شيء منه الرابع لم يقصدوا الكتمان لانهم انما اخبروا على ما توهموا ولا يخرجهم من ان يكونوا كذبوا
والخامس قال بعضهم ان قوله انظر كيف كذبوا على انفسهم انما معناه اوجبوا العذاب بمثل حال الكاذب في
الاقرار كما يقال كذب عليك الحج قال الشاعر كذب العتيق وماء شن بارد ان كنت سائلتي غبوقا فاذهبي
وقال الرماني هذا التاويل ضعيف لانه يجري مجرى اللغز السادس قال الحسن بن علي المغربي

تمنوا ان يكونوا عدما وتم الكلام ثم استانف

فقال ولا يكتمون الله حديثا اي لا تكتمه جوارحهم وان كتموه هم السابع قال البلخي ولا يكتمون الله حديثا
على ظاهره لا يكتمون الله شيئا لانهم ملجئون الى ترك القبائح والكذب وقوله ما كنا مشركين اي عند انفسنا
لانهم كانوا يظنون في الدنيا ان ذلك ليس بشرك من حيث يقربهم الى الله تعالى ثم قوله تعالى يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا
وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا
صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا اية بلا خلاف قرا حمزة والكسائي
او لمستم النساء بغير الف الباقون لامستم بالف فمن قرا لامستم بالف قال معناه الجماع وهو قول علي عم وابن
عباس ومجاهد وقتادة وابو علي الجبائي واختاره ابو حنيفة ومن قرا بلا الف اراد اللمس باليد وغيرها بما
دون الجماع ذهب اليه ابن مسعود وعبيدة وابن عمر والشعبي وابرهيم وعطا واختاره الشافعي والصحيح عندنا
هو الاول وهو اختيار الجبائي والبلخي والطبري وغيرهم والملامسة واللمس معناهما واحد لانه لا يلمسها
الا وهي تلمسه وقيل ان الملامسة بمعنى اللمس كما قيل عافاه الله وعاقبت اللص وقيل في سبب نزول هذه الاية قولان
احدهما قال ابرهيم انها نزلت في قوم من الصحابة اصابتهم جراح والثاني قال عائشة نزلت في قوم من الصحابة اعوزهم

الماء وظاهر الخطاب متوجه الى المؤمنين كلهم بان لا يقربوا الصلوة وهم سكارى يعني في حال سكرهم يقال
قرب يقرب متعد وقرب يقرب لازم وقرب الماء يقربه اذا ورده وقيل في معنى السكر المذكور في الاية قولان
احدهما قال ابن عباس ومجاهد وقتادة وابرهيم انه السكر من الشراب وقال مجاهد والحسن وقتادة نسخها تحريم
الخمر الثاني قال الضحاك هو سكر النوم خاصة واصل السكر من السكر وهو سد مجرى الماء فقال سكره يسكره
واسم الموضع السكر والسكر لانسداد طريق المعرفة به سكر يسكر سكرا واسكره اسكارا وسكرة الموت غشيته
فان قيل كيف يجوز نهي السكران في حال سكره مع زوال عقله وكونه بمنزلة الصبي والمجنون قلنا عنه جوابان
احدهما انه قد يكون سكران من غير ان يخرج من نقص العقل الى ما لا يحتمل الامر والنهي الثاني انما هو عن
التعرض للسكر مع ان عليهم صلوة يجب ان يؤدوها في حال الصحو وقال ابو علي فيه جواب ثالث وهو ان
النهي انما دل على ان عليهم ان يعيدوها ان صلوها في حال السكر فان قيل كيف يسوغ تاويل من ذهب الى
ان السكران مكلف ان تنهى عن الصلوة في حال سكره مع ان عمل المسلمين على خلافه لان من كان مكلفا
تلزمه الصلوة قلنا عنه جوابان احدهما انه منسوخ والاخر انه نهي عن الصلوة مع الرسول ص في جماعة وقوله
ولا جنبا الا عابري سبيل يقال رجل جنب اذا اجنب ورجل جنب اي غريب ولا يثنى ولا يجمع وجمع اجنابا اي
غرباء وانما نصب لانه عطف على قوله وانتم سكارى وهي جملة في موضع الحال وقيل في معناه قولان احدهما
قال علي ع وابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد والحكم وابن كثير وابن زيد الا مسافرين فلكم ان تتيمموا الثاني
قال ابن عباس في رواية اخرى وجابر والحسن وسعيد بن جبير وابرهيم والزهري وعطا والجبائي ان معناه لا
تقربوا مواضع الصلوة من المساجد الا مجتازين وهو قول ابي جعفر وحذف لدلالة الكلام عليه وهو الاقوى
لانه تعالى بين حكم الجنب في اخر هذه الاية اذا عدم الماء فلو حملناه على ذلك لكان تكرارا وانما اراد ان يبين حكم
الجنب في دخول المساجد في اول الاية وحكمه اذا اراد الصلوة مع عدم الماء في اخرها وقوله وان كنتم مرضى او
على سفر فالمرض الذي يجوز معه التيمم مرض الجراح والكسير وصاحب القروح اذا خاف من مس الماء في قول ابن
مسعود والضحاك والسدي وابرهيم ومجاهد وقتاده وقال الحسن وابن جبير هو المرض الذي لا يستطيع معه
تناول الماء ولا يكون هناك من يناوله وكان الحسن لا يرخص للجريح التيمم والمروي عن ابي جعفر وابي عبد الله ع
جواز التيمم عند جميع ذلك وقوله او على سفر او جاء احد منكم من الغائط يعني الحدث المخصوص واصله المطمئن
من الارض يقال غايط وغيطان والتغوط كناية عن الحدث في الغايط والغوطة موضع كثير الماء والشجر بدمشق
وقوله او لامستم النساء قد فسرناه وعندنا المراد به الجماع وقوله فتيمموا صعيدا طيبا فالتيمم التعمد ومثله التأمم
قال الاعشى **تيممت قيسا وكم دونه — من الارض من مهمه ذي شزن**
يعني تعمدت وقال سفيان معنى تيمموا تعمدوا وتحروا والصعيد وجه الارض من غير نبات ولا شجر في قول ابن زيد
قال ذو الرمة **كانه بالضحى ترمي الصعيد به — دبابة في عظام الراس خرطوم**
ومنه قوله فتصبح صعيدا زلقا فبين ان الصعيد قد يكون زلقا والصعدات الطرقات قال الزجاج لا اعلم خلافا
بين اهل اللغة بان الصعيد وجه الارض سواء كان عليه تراب او لم يكن وهذا يدل على ما نقوله من ان التيمم يجوز
بالحجارة سواء كان عليها تراب او لم يكن وطيبا اي طاهرا وقال سفيان يعني حلالا واصل الصعيد من الصعود
وهو ما تصعد على وجه الارض من ترابها والاصعاد في الماء بخلاف الانحدار والصعود عقبة يشق صعودها ومنه
قوله سارهقه صعودا وقيل انه جبل في النار يؤخذ بصعوده والصعدة هي القناة التي نبتت مستوية لانها تصعد
في نباتها على استقامة والصعداء تنفس بتوجع وقوله فامسحوا بوجوهكم وايديكم قيل في صفة التيمم ثلثة اقوال
احدها ضربة للوجه وضربة لليدين الى المرفقين ذهب اليه ابن عمر والحسن والشعبي والجبائي واكثر الفقهاء وبه
قال قوم من اصحابنا الثاني ضربة للوجه وضربة لليدين الى الزندين ذهب اليه عمار بن ياسر ومكحول واختاره
الطبري وهو مذهبنا اذا كان التيمم بدلا من الجنابة وان كان بدلا من الوضوء فيكفيه ضربة واحدة يمسح بها الوجه الى طرف
الانف واليدين الى الزندين الثالث قال ابو اليقظان والزهري انه الى الابطين وقال قوم انه جائز ان يضرب بيديه على

الرمل فيمسح بهما وجهه وان لم يعلق بهما شيء وبه نقول ويجوز للجنب ان يتيمم عندنا وعند اكثر الفقهاء واهل
العلم وبه قال عمار بن ياسر ورواه عن النبي ص وروي عن عمر وبن مسعود وابرهيم انه لا يجوز للجنب ان يتيمم
لقوله ولا جنبا الا عابري سبيل وقد بينا نحن ان المراد بذلك النهي عن دخول المساجد فكانه قال ولا تقربوا
المساجد للصلوة وانتم سكارى ولا جنبا الا عابري سبيل لان من لم يكن له طريق غير المسجد او اضطر الاحتلام
في المسجد جاز له ان يجتاز فيه ولا يلبث فيه والسكران الذي زال عقله لا تصح صلوته ويجب عليه قضاؤها
ولا يصح منه شيء من العقود ولا رفعها كالنكاح والطلاق والعتاق والبيع والشراء وغير ذلك وقضاء
الصلوة يلزمه اجماعا واما ما يلزم به الحدود والقصاص فعندنا ان جميع ذلك يلزمه ان سرق قطع وان
قذف جلد وان زنا حد وغير ذلك لاجماع الفرقة المحقة على ذلك ولعموم الاية المتناولة لذلك ولا يلزم
على ذلك تكليف من قطع رجله بفعله الصلوة قائما لان ذلك تكليف ما لا يطاق وايجاب قضاء الصلوة على
السكران ليس كذلك وكذلك اقامة الحدود لان ذلك تابع للشرع وفيه خلاف ويجوز ان يصلي صلوات الليل
والنهار عندنا بتيمم واحد وهو كالوضوء في هذا الباب ما لم يحدث او يتمكن من استعمال الماء وبه قال الحسن
وعطا وابو حنيفة واصحابه وقال ابن عمر والشعبي وقتادة وابرهيم والشافعي يجب التيمم لكل صلوة ورووا
ذلك عن علي ع وذلك عندنا محمول على الاستحباب ولا يجوز التيمم عندنا الا عند تضيق الوقت والخوف من
فوته واختار ذلك البلخي وقال الشافعي لا يجوز الا بعد دخول الوقت وقال ابو حنيفة يتيمم اي وقت شاء و
ان كان قبل الوقت فهو كالوضوء ومسائل التيمم استوفيناها في المبسوط والنهاية لا نطول بذكرها ههنا
وقوله ان الله كان عفوا غفورا اي يقبل منكم العفو ويغفر لكم لان قبوله التيمم بدلا من الوضوء تسهيل
علينا وقيل يعفو بمعنى يصفح عنكم الذنوب يغفرها اي يسترها عليكم قوله تعالى **اَلَمْ تَرَ اِلَى الَّذِيْنَ
اُوْتُوا نَصِيْبًا مِنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُوْنَ الضَّلٰلَةَ وَيُرِيْدُوْنَ اَنْ تَضِلُّوا السَّبِيْلَ وَاللّٰهُ اَعْلَمُ بِاَعْدَائِكُمْ
وَكَفٰى بِاللّٰهِ وَلِيًّا وَكَفٰى بِاللّٰهِ نَصِيْرًا** ايتان في الكوفي جعلوا السبيل اخر الاولى واية واحدة في غير
الكوفي ذكر ابن عباس وقتاده وعكرمة ان الاية نزلت في قوم من اليهود وكانوا يستبدلون الضلالة بالهدى
لتكذيبهم بالنبي ص بدلا من التصديق به مع قيام الحجة عليهم بما ثبت من صفته عندهم فكانهم اشتروا الضلالة
بالهدى وقال ابو علي الجبائي وغيره كانت اليهود تعطي احبارها كثيرا من اموالهم على ما كانوا يصفونه لهم فجعل
ذلك اشتراء منهم وقال الزجاج كانوا ياخذون الرشا ووجه اتصال هذه الاية بما قبلها التاكيد للاحكام
التي يجب العمل بها بالتحذير ممن يدعو الى خلافها ويكذب بها وقوله الم تر قال الزجاج معناه الم تخبر في
جميع القران وقال غيره الم تعلم وقال الرماني معناه رؤية البصر والمرئي هو الذين وانما دخلت الى لان
الكلام يتضمن معنى التعجب كقولك الم تر الى زيد ما اكرمه تقديره الم تر عجبا بانتهاء رؤيتك الى زيد ثم بين
ذلك بقوله ما اكرمه ومثله قوله الم تر الى ربك كيف مد الظل كانه قال الم تر عجبا بانتهاء رؤيتك الى
تدبير ربك كيف مد الظل قال ومن فسره على الم تخبر الم تعلم فانما ذهب الى ما يؤول المعنى اليه لان الخبر
والعلم لا يصلح فيهما الى كما يصلح مع الرؤية وقوله ويريدون ان تضلوا السبيل معناه يريد هؤلاء اليهود
ان تضلوا معشر المؤمنين اي تزلوا عن قصد الطريق ومحجة الحق فتكذبوا بمحمد فيكونون ضلالا وفي ذلك
تحذير للمؤمنين ان يستنصحوا احدا من اعداء الاسلام في شيء من امورهم لدينهم ودنياهم ثم بين تعالى انه
اعلم منكم بعداوة اليهود لكم ايها المؤمنون فانتهوا الى طاعتي وامتثال اوامري فيما نهيتكم عنه من استنصاحهم
في دينكم فاني اعلم بباطنهم منكم وما هم عليه من الغش والحسد والعداوة وقيل معناه والله يجازيهم على
عداوتهم كقولك اني اعلم ما تفعل اي اجازيك عليه وقوله وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا معناه ان ولاية
الله لكم ونصرته اياكم يغنيكم عن غيره من هؤلاء اليهود ومن جرى مجراهم ممن تطمعون في نصرته ودخلت الباء
في قوله بالله لاحد امرين احدهما للتاكيد لان الاسم في كفى الله كان يتصل اتصال الفاعل فلما دخلت الباء
صار يتصل اتصال المضاف واتصال الفاعل ليعلم ان الكفاية منه ليست كالكفاية من غيره في المرتبة

وعظم المنزلة فضوعف لفظها لمضاعفة معناها الثانى لانه دخله معنى اكتفوا بالله ذكره الزجاج و موضعه رفع بلا خلاف والعداوة الابعاد من حال النصرة وضدها الولاية وهى التقرب من حال النصرة واما البغض فهو ارادة الاستخفاف والاهانة وضدها المحبة وهى ارادة الاعظام والكرامة والكفاية بلوغ الغاية فى مقدار الحاجة كفى يكفى كفاية فهو كاف والاكتفاء الاجتزاء بشئ دون شئ ومثله الاستغناء والنصرة الزيادة فى القوة للغلبة ومثلها المعونة وضدها الخذلان ولا يكون ذلك الا عقوبة لان منع المعونة مع الحاجة عقوبة قوله تعالى مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ۝ اية بلا خلاف قيل فى معنى قوله من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه قولان احدهما قال الفراء والزجاج والرمانى ان يكون تبيينا للذين وتواضيبا من الكتاب ويكون العامل فيه اوتوا وهو فى صلة الذين ويجوز الا يكون فى الصلة كما يقول انظر الى النفر من قومك ما صنعوا الثانى ان يكون على الاستيناف و التقدير من الذين هادوا فريق يحرفون الكلم كما قال ذو الرمة

فظلوا ومنهم دمعه سابق له ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ واخر يثنى دمعة العين بالمهل

وانشد سيبويه

وما الدهر الا تارتان فمنهما ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ اموت واخرى ابتغى العيش اكدح

وقال اخر

لو قلت ما فى قومها لم تيثم ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ يفضلها فى حسب وميسم

اى احد يفضلها وقال النابغة

كانك من جمال بنى اقيش ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ يقعقع خلف رجليه بشن

يريد كانك جمل من جمال بنى اقيش قال الفراء المحذوف من والتقدير من الذين هادوا من يحرفون الكلم كما يقولون منا يقول ذاك ومنا لا يقوله قال والعرب تضمر من فى مبتدا الكلام بمن لان من بعض لما هى منه كما قال وما منا الا له مقام معلوم وقال وان منكم الا واردها وانشد بيت ذى الرمة الذى قدمناه قال ولا يجوز اضمار من فى شئ من الصفات على هذا المعنى الا فى من لما قلناه وضعف البيت الذى انشدناه وهى لغة هو لو قلت ما فى قومها لم تيثم وهى لغة هوازن وتاثم رواية اخرى وقال انما جاز فى فى لانك تجد فى تقارع معنى من لانه بعضها اضيف لانك تقول فينا الصالحون وفينا دون ذلك كانك قلت منا ولا يجوز فى الدار يقول ذاك وتريد من يقول ذاك لانه انما يجوز اذا اضفت فى الى جنس المتروك وقال ابو العباس والزجاج ما قاله الفراء لا يجوز لان من تحتاج الى صلة او صفة تقوم مقام الصلة فلا يحسن حذف الموصول مع بقاء الصلة كما لا يحسن حذف بعض الكلمة وانما قال من الذين هادوا لانه ليس جميع اليهود حرفوا وانما حرف احبارهم وعلماؤهم وقوله يحرفون الكلم عن مواضعه يعنى يغيرونها عن تاويلها والكلم جمع كلمة وقال مجاهد يعنى بالكلم التورية وقوله سمعنا وعصينا يعنى اليهود يقول سمعنا قولك يا محمد ويقولون سرا عصينا وقوله واسمع غير مسمع اخبار من الله تعالى عن اليهود الذين كانوا حوالى المدينة فى عصره لانهم كانوا يسبون رسول الله صلى الله عليه وآله ويؤذونه بالقبيح من القول ويقولون له اسمع منا غير مسمع كما يقول القائل لغيره اذا سبه بالقبيح اسمع لا اسمعك الله ذكره ابن عباس وابن زيد وقال مجاهد والحسن ان تاويل ذلك اسمع غير مقبول منك اى غير مجاب وقوله وراعنا ليا بالسنتهم قيل فيه ثلثة اقوال احدها ان هذه اللفظة كانت سبا فى لغتهم فاعلم الله نبيه ذلك ونهاهم عنها الثانى انها كانت تجرى منهم على وجه الاستهزاء والسخرية الثالث انها كانت تجرى منهم على حد الكبر كما يقول القائل انصت لكلامنا وتفهم عنا وانما راعنا من المراعاة التى هى المراقبة وقوله ليا بالسنتهم يعنى تحريكا منهم السنتهم بتحريفهم لمعناه الى المكروه واصل اللى الفتل تقول لويت العود الويه ليا ولويت الغريم اذا مطلته واللوى من الرمل مقصور مسترقه ولواء الجيش ممدود واللوية ما تتحف به المراة ضيفها لتلوى بقلبه اليها والوى بهم الدهر اذا افناهم ولوى البقل اذا اصفر ولم يستحكم يبسه واللسان الة الكلام واللسان اللغة ومنه قوله وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ولسن فلان فلانا

اذا اخذه بلسانه ورجل لسن بين اللسن ولسان الميزان ولسان القوم متكلمهم وشئ ملسن اذا كان طرفه كطرف اللسان وقوله وطعنا فى الدين فالاصل الطعن بالرمح ونحوه والطعن باللسان كالطعن بالرمح ومنه تطاعنوا فى الحرب واطعنوا مطاعنة وطعانا وطعن يطعن ويطعن طعنا وقوله ولو انهم قالوا يعنى هؤلاء اليهود سمعنا يا محمد قولك واطعنا امرك وقبلنا ما جئتنا به واسمع منا وانظرنا بمعنى انتظرنا نفهم عنك ما تقول لنا لكان خيرا لهم واقوم يعنى اعدل واصوب فى القول ماخوذ من الاستقامة ومنه قوله واقوم قيلا بمعنى واصوب وقوله ولكن لعنهم الله بكفرهم يعنى ابعدهم الله من ثوابه ثم اخبر تعالى فقال فلا يؤمنون فى المستقبل الا قليلا منهم فانهم امنوا وقال البلخى معناه لا يؤمنون الا ايمانا قليلا كما قال الشاعر

فالفيته غير مستعتب ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ولا ذاكر الله الا قليلا

يريد الا ذاكرا قليلا وسقط التنوين من ذاكر لاجتماع الساكنين وقال ابو روق الا قليلا ايمانهم قولهم الله خالقنا ورازقنا وليس لعن الله لهم بمانع لهم من الايمان وقد تقدم عليه لانه انما لعنهم الله لما كفروا فاستحقوا ذلك ولو تركوا الكفر وامنوا لزال عنهم استحقاق اللعن قوله تعالى يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ۝ اية هذه الاية خطاب لاهل الكتاب اليهود والنصارى امرهم الله بان يؤمنوا بالنبى صلى الله عليه وآله وما انزل عليه من القران وغيره من الاحكام مصدقا لما معهم من التورية والانجيل اللذين تضمنا صفة النبى صلى الله عليه وآله وصحة ما جاء به من قبل ان نطمس وجوها فنردها على ادبارها وقيل فى معناه اربعة اقوال احدها قال ابن عباس وعطية العوفى فى معناه نمحو اثارها حتى تصير كالقفا ونجعل عيونها فى قفاها فتمشى القهقرى الثانى قال الحسن ومجاهد والضحاك وابن ابى نجيح والسدى ورواه ابو الجارود عن ابى جعفر ان معناه نطمسها عن الهدى فنردها على ادبارها فى ضلالتها ذما لها بانها لا تصلح ابدا وهم وان كانوا فى الضلالة فى الحال فتوعدهم بانهم متى لم يؤمنوا بالنبى صلى الله عليه وآله ازدادوا بذلك ضلالا الى ضلالتهم وايأسا لهم ان يؤمنوا فيما بعد الثالث قال الفراء واختاره البلخى والحسين بن على المغربى ان معناه نجعل فى وجوههم الشعر كوجوه القرود الرابع قال قوم معناه ان نردهم الى الشام من الحجاز الذى هو مسكنهم وهو اضعفها لوجوه لانه ترك للظاهر وخلاف اقوال المفسرين والادبار جمع دبر فان قيل كيف يجوز تاويل من قال نجعلها كالاقفاء وهذا لم يجر على ما توعد به قيل عنه جوابان احدهما لانه امن جماعة من اولئك الكفار كعبد الله بن سلام وثعلبة بن سعنة و اسد بن سعنة واسد بن عبيد ومخيريق وغيرهم واسلم كعب فى ايام عمر حين سمع هذه الاية فاما من لم يؤمن منهم فانه يفعل به ذلك فى الاخرة على انه تعالى قال او نلعنهم والمعنى انه يفعل احدهما وقد لعنهم الله بذلك وقوله كما لعنا اصحاب السبت يعنى المسخ الذى جرى عليهم ذكره البلخى والجواب الثانى ان الوعيد يقع بهم فى الاخرة لان الله تعالى لم يذكر انه يفعل بهم ذلك فى الدنيا تعجيلا للعقوبة ذكره البلخى ايضا والجبائى والطمس هو الدثور وهو عفو الاثر والطامس والداثر والدارس بمعنى واحد وطمست اعلام الطريق تطمس طموسا اذا دثرت قال كعب بن زهير

من كل نضاخة الذفرى اذا عرقت ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ عرضتها طامس الاعلام مجهول

والعين التى هى الجادة عبارة عن الشق بين الجفنين والادبار جمع دبر واصله من الدبر يقولون دبره يدبره دبرا فهو دابر اذا صار خلفه والدبر خلاف القبل والدابر التابع ومنه قوله والليل اذ ادبر اى تبع النهار فاما ادبر فمعناه ولى والدبور الريح لانها تدبر الكعبة الى جهة المشرق والدبار الهلاك ودابرة الطائر الاصبع التى من خلف والدبر النحل والدبر المال الكثير والتدبير لانه احكام ادبار الامور وهى عواقبها وقوله او نلعنهم كما لعنا اصحاب السبت قال السدى وقتادة والحسن معناه نمسخهم قردة وانما كنى عنهم بقوله او نلعنهم بعد ان خاطبهم بقوله يا ايها الذين لامرين احدهما التصرف فى الخطاب والانتقال من مواجهة الى كناية كما قال حتى اذا كنتم فى الفلك فخاطب ثم قال وجرين بهم فكنى والثانى ان يعود الضمير

على اصحاب الوجوه لانه بمنزلة المذكور وقوله وكان امر الله مفعولا قيل في معناه قولان احدهما ان كل
امر من امور الله من وعد او وعيد او مخبر خبر فانه يكون على ما اخبر به ذكره الجبائي والثاني ان معناه و
كان امر الله مفعولا اي الذي يأمر به بقوله كن وذلك يدل على ان كلامه محدث وقال البلخي معناه انه اذا
اراد شيئا من طريق الاجبار والاضطرار كان واقعا لا محالة لا يدفعه دافع كقبض الارواح وقلب الارض
وارسال الحجارة والمسخ وغير ذلك فاما ما يأمر به على وجه الاختيار فقد يقع وقد لا يقع ولا يكون في ذلك
مغالبة له لانه تعالى لو اراد الجاءه الى ما امره به لقدر عليه قوله تعالى إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ
مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا آية واحدة بلا خلاف قال الفرا
قوله ان يشرك في موضع النصب وتقديره ان الله لا يغفر الشرك قال ويحتمل ان يكون موضع الجر وتقديره
لا يغفر الذنب مع الشرك وقال قوم الفرق بين قوله ان الله لا يغفر ان يشرك به وبين قوله ان الله لا يغفر
الشرك به من وجهين احدهما ان ان تدل على الاستقبال والاخر ذكره الرماني انها تدل على وجه الفعل في
الارادة ونحوها اذ كان قد يريد الانسان الكفر مع ظنه انه ايمان كما يريد النصارى عبادة المسيح ولا يجوز
ارادته ان يكفر مع التوهم انه ايمان وكذلك يريد الضر مع التوهم انه نفع ولا يجوز ارادته ان يضر مع التوهم
انه نفع وكذلك الامر بالخطأ مع التوهم انه صواب ولا يجوز امره ان يخطئ مع التوهم انه صواب وهذا عندي
ليس بصحيح لان الشرك مذموم على كل حال سواء علمه فاعله كذلك او لم يعلم الا ترى ان النصارى يستحقون
اللعنة والبراءة على ما يعتقدونه من التثليث وان اعتقدوا هم صحته فالفرق الاول هو الجيد وظاهر الاية
يدل على ان الله تعالى لا يغفر الشرك اصلا لكن اجمعت الامة على انه لا يغفره مع عدم التوبة فاما اذا تاب منه
فانه يغفره وان كان عندنا غفرانه الشرك مع التوبة تفضلا وعند المعتزلة هو واجب وفي هذه الاية من اكبر
ما دل على ان الله تعالى يعفو عن المذنبين من غير توبة ووجه الدلالة منها انه نفى ان يغفر الشرك الا مع التوبة
واثبت انه يغفر ما دونه فيجب ان يكون مع عدم التوبة لانه ان كان ما دونه لا يغفره الا مع التوبة فقد صار
ما دون الشرك مثل الشرك فلا معنى للنفي والاثبات وكان ينبغي ان يقول ان الله لا يغفر المعاصي الا
بالتوبة الا ترى انه لا يحسن ان يقول الحكيم انا لا اعطي الكثير من مالي تفضلا واعطي القليل اذا استحق
علي لانه كان يجب ان يقول انا لا اعطي شيئا من مالي الا اذا استحق علي كيف وفي الاية ذكر العظيم الذي
هو الشرك وذكر ما هو دونه والفرق بينهما بالنفي والاثبات فلا يجوز الا يكون بينهما فرق من جهة المعنى
فان قيل نحن نقول انه يغفر ما دون الشرك من الصغائر من غير التوبة قلنا هذا فاسد من وجهين احدهما انه
تخصيص لان ما دون الشرك يقع على الكبير والصغير والله تعالى اطلق انه يغفر ما دونه فلا يجوز تخصيصه من
غير دليل الثاني ان الصغائر تقع محبطة فلا يجوز المؤاخذة بها عند الخصم وما هذا حكمه لا يجوز تعليقه بالمشيئة
وقد علق الله تعالى غفران ما دون الشرك بالمشيئة لانه قال لمن يشاء فان قيل تعليقه بالمشيئة تدل على انه لا يغفر
ما دون الشرك قطعا قلنا المشيئة دخلت في المغفور له فيما لا يغفر بل الظاهر يقتضي انه يغفر ما دون الشرك قطعا
لكن لمن يشاء من عباده وبذلك تسقط شبهة من قال القطع على غفران ما دون الشرك من غير توبة اغراء بالقبيح
الذي هو دون الشرك لانه انما يكون اغراء لو قطع على انه يغفره لكل احد فاما اذا علق غفرانه لمن يشاء
فلا اغراء لانه لا احد الا وهو يجوز ان يغفر له كما يجوز ان يؤاخذ به فالزجر حاصل على كل حال ومتى عارضوا
هذه الاية بايات الوعيد كقوله ومن يظلم منكم نذقه عذابا كبيرا وقوله ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده
يدخله نارا خالدا فيها وقوله ان الفجار لفي جحيم كان لنا ان نقول العموم لا صيغة له فمن اين لكم ان المراد به جميع
العصاة ثم نقول نحن نخص اياتكم بهذه الاية ونحملها على الكفار فمتى قالوا لنا بل نحن نحمل اياتكم على اصحاب
الصغائر فقد تعارضت الايات ووقفنا وجوزنا العفو بمجرد العقل وهو غرضنا وقد استوفينا ما في ذلك
في الاصول في باب الوعيد من اراده وقف عليه من هناك وقوله ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما معناه من
يشرك بالله فقد كذب لانه يقول ان عبادته يستحقها غير الله وذلك افتراء وكذب وقوله اثما عظيما نصب على المصدر

مكانه قال افترى واثم اثما عظيما لان افترى بمعنى اثم فلذلك نصبه المصدر به وقال ابن عمر لما نزل قوله ان
الله يغفر الذنوب جميعا ظن قوم انه تعالى يغفر الشرك ايضا فانزل الله هذه الاية وقال ابن عمر ما كنا نشك معشر
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله في قاتل المؤمن وآكل مال اليتيم وشاهد الزور وقاطع الرحم حتى نزلت هذه الاية فامسكنا
عن هذه الشهادة وهذا يدل على ان الصحابة كانت تقول بما نذهب اليه من جواز العفو عن فساق اهل الملة
من غير توبة بخلاف ما يذهب اصحاب الوعيد من المعتزلة والخوارج وغيرهم قوله تعالى أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ
يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا آية بلا خلاف قد فسرنا معنى الم تر الى الذين
فيما مضى وان معناه الم تعلم في قول اكثر اهل العلم واللغة وقال بعضهم معناه الم تخبر وفيه سؤال على
وجه الاعلام ومعناه اعلم قصتهم الم ينته علمك الى هؤلاء الذين يزكون انفسهم وقيل في معناه قولان
احدهما قال الحسن والضحاك وقتاده وابن زيد وهو المروي عن ابي جعفر انهم اليهود والنصارى في قولهم نحن
ابناء الله واحباؤه وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى تلك امانيهم قال الزجاج اليهود
جاؤا الى النبي صلى الله عليه وآله باولادهم الاطفال فقالوا يا محمد على هؤلاء ذنوب فقال لا فقالوا كذلك نحن ما نعمل
بالليل يغفر بالنهار وما نعمل بالنهار يغفر بالليل فقال الله تعالى بل الله يزكي من يشاء وقال مجاهد وابو مالك
كانوا يقدمون نبيهم في الصلوة ويقولون هؤلاء لا ذنب لهم وقال ابن عباس كانوا يقولون اطفالنا يشفعون
لنا عند الله الثاني روي عن عبد الله بن مسعود انه تزكية الناس بعضهم بعضا لينالوا به شيئا من الدنيا فاخبر الله تعالى انه الذي يزكي من يشاء وتزكيتهم انفسهم هو ان يقولوا نحن ازكياء والزكا النمو يقال
زكا الزرع يزكو وزكا الشيء اذا نما في الصلاح وقوله ولا يظلمون فتيلا قال الزجاج لا يظلمون مقدار فتيل
فيكون نصبه على انه مفعول ثان كقولك ظلمته حقه اي انتقصته حقه قال الرماني ويحتمل ان يكون نصبا على التمييز
كقولك تصببت عرقا وقيل في معنى الفتيل هيهنا قولان احدهما هو قول ابن عباس في رواية وقول عطا ابن ابي
رباح ومجاهد وقتاده والضحاك وعطية انه الذي في شق النواة وقال الحسن الفتيل ما في بطن النواة والنقير
ما في ظهرها والقطمير قشرها الثاني ما فتلت بين اصبعيك من الوسخ في رواية اخرى عن ابن عباس وابي مالك
والسدي والفتل لي الشيء يقال فتلت الحبل افتله فتلا وانفتل فلان في صلوته والفتيلة معروفة وناقة فتلاء
اذا كان في ذراعيها فتل عن الجنب والفتيل في معنى المفتول ووجه اتصال قوله ولا يظلمون فتيلا بما قبله انه
لما قال بل الله يزكي من يشاء نفى عن نفسه الظلم لئلا يظن ان الامر بخلافه قوله تعالى انْظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى
اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَفَىٰ بِهِ إِثْمًا مُبِينًا آية بلا خلاف النظر هو الاقبال على الشيء بالبصر ومن ذلك النظر بالقلب
لانه اقبال على الشيء بالقلب وكذلك النظر بالرحمة ونظر الدهر الى الشيء اذا اهلكه والنظر الى الشيء بالمسرة و
النظر اليه بالتأميل له والانتظار الاقبال على الشيء بالتوقع له والانظار التأخير الى وقت والاستنظار سؤال
الانظار والمناظرة اقبال كل واحد على الاخر بالمحاجة والنظير مثل الشيء لاقباله على نظيره بالمماثلة والفرق بين
النظر بالعين وبين الرؤية ان الرؤية هي ادراك المرئي والنظر انما هو الاقبال بالبصر نحو المرئي ولذلك قد
ننظر ولا نراه كما يقولون نظرت الى الهلال فلم اره ولذلك يجوز ان يقال في الله انه راء ولا يجوز ان يقال
ناظر وقوله كيف يفترون فالافتراء والاختلاق متقاربان والفرق بينهما ان الافتراء هو القطع على كذب اخبر
به والاختلاق قد يكون بالخبر به لان الفري القطع والخلق التقدير وافتراؤهم الكذب على الله هيهنا المراد به تزكيتهم
لانفسهم بانا ابناء الله واحباؤه وانه لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى ذكره ابن جريج وقوله وكفى
به اثما مبينا معناه تعظيم اثمه وانما يقال كفى به في العظم على جهة المدح او الذم كقولك كفى بحال المؤمن نبلا
وكفى بحال الكافر اثما كانه قيل ليس يحتاج الى حال اعظم منه في المدح او الذم كما يقال ليس يحتاج الى اكثر مما
به ويحتمل ان يكون معناه كفى هذا اثما اي ليس يقصر عن منزلة الاثم قوله تعالى أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا
مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَٰؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا
سَبِيلًا آية بلا خلاف قيل في المعني بهذه الاية قولان احدهما قال ابن عباس وقتاده هم جماعة من اليهود منهم

حى بن اخطب وكعب بن الاشرف وسلام بن ابى الحقيق والربيع بن الربيع قالوا لقريش انتم اهدى سبيلا ممن امن
بمحمد الثانى قال عكرمة ان المعنى به كعب بن الاشرف لانه قال هذا القول وسجد لصنمين كانا لقريش وقيل فى معنى الجبت
والطاغوت خمسة اقوال احدها قال عكرمة انهما صنمان وقال ابو على هؤلاء جماعة من اليهود امنوا بالاصنام
التى كانت تعبدها قريش والعرب مقاربة لهم ليعينوهم على محمد صلعم الثانى قال ابن عباس الجبت الاصنام والطاغوت
تراجمة الاصنام الذين يتكلمون بالتكذب عنها الثالث ان الجبت الساحر والطاغوت الشيطان قال ابن زيد وقال
مجاهد الجبت السحر والرابع قال سعيد بن جبير وابو العالية الجبت الساحر والطاغوت الكاهن الخامس فى رواية عن
ابن عباس والضحاك ان الجبت حى بن اخطب والطاغوت كعب بن الاشرف لانهما جاءا الى مكة فقال لهما اهل مكة
انتم اهل الكتاب واهل العلم القديم فاخبرونا عنا وعن محمد صلعم فقالا ما انتم وما محمد قالوا نحن ننحر الكوماء
ونسقى اللبن على الماء ونفك العناة ونصل الارحام ونسقى الحجيج ومحمد صنبور قطع ارحامنا واتبعه سراق
الحجيج بنو غفار فقالا انتم خير منه واهدى سبيلا فانزل الله هذه الاية وقال الزجاج والفراء والبلخى هما كل
معبود من دون الله ووزن طاغوت فعلوت على وزن رهبوت قال الخليل هو من طغا وقلبت اللام الى موضع العين
كما قيل لاث فى لايث وشاك فى شايك وهذا تغيير لا يقاس عليه لكنه يحمل على النظير والجبت لا تصريف له فى اللغة
العربية وقيل هو الساحر بلغة حبش عن سعيد بن جبير السبيل المذكور فى الاية هو الدين وانما سمى سبيلا لانه
كالسبيل الذى هو الطريق فى الاستمرار عليه ليؤدى الى الغرض المطلوب ونصبه على التمييز كقولك هو احسن منك
وجها واجود منك ثوبا لانك فى قولك هذا اجود منك قد ابهمت الشئ الذى فضلته به الا ان تريد ان جملته اجود
من جملتك فتقول هذا اجود منك وتمسك قوله تعالى اولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد
له نصيرا اية بلا خلاف قوله اولئك اشارة الى الذين ذكرهم فى الاية الاولى وقال قتادة لما قال كعب بن الاشرف وحى بن
اخطب هؤلاء اهدى من الذين امنوا سبيلا وهما يعلمان انهما كاذبان انزل الله هذه الاية اولئك الذين لعنهم
الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا فالوعيد فيهما على ما تقدم من القول على جهة العناد لانها اشارة الى
ما تقدم من صفتهم الدالة على عنادهم اولئك لفظ جمع وواحده ذا فى المعنى كما قالوا نسوة فى جماعة من النساء
وللواحدة امراة وغلب على الاء هاء التى للتنبيه وليس ذلك فى اولئك لان فى حرف الخطاب تنبيها للمخاطب اذ كان
الكاف انما هو حرف لحق لتنبيه المخاطب فصار معاقبا للهاء التى للتنبيه فى اكثر الاستعمال واللعنة الابعاد من
رحمة الله عقابا على معصيته فلذلك لا يجوز لعن البهائم ولا من ليس بعاقل من المجانين والاطفال لانه سؤال
العقوبة لمن لا يستحقها فمن لعن حية او عقربا او نحو ذلك مما لا معصية له فقد اخطا لانه سأل الله عز وجل ما لا
يجوز فى حكمته فان قصد بذلك الابعاد لا على وجه العقوبة كان ذلك جائزا فان قيل كيف قال فلن تجد له نصيرا
مع تناصر اهل الباطل على باطلهم قلنا عنه جوابان احدهما فلن تجد له نصيرا ينصره من عقاب الله الذى يحله به بما
قد اعده له لان الذى يحصل عليه وما سواه يضمحل عنده الثانى فلن تجد له نصيرا لانه لا يعتد بنصرة ناصر له مع خذلان
الله اياه قوله تعالى ام لهم نصيب من الملك فاذا لا يؤتون الناس نقيرا اية وجه اتصال هذه الاية بما قبلها
اتصال الصفة بالبخل والصفة بالحسد بالجهل لان قوله الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت
والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء اهدى من الذين امنوا سبيلا يدل على انهم حسدوا المؤمنين و
انهم يعملون اعمال الجاهلين الا ان الكلام خرج مخرج الاستفهام للتوبيخ والتقريع بتلك الحال وجاءت ام
ههنا غير معادلة للالف لتدل على اتصال الثانى بالاول والمعنى بل الهم نصيب من الملك وتسمى ام هذه المنقطعة
عن الالف لانها بخلاف المتصلة بها على المعادلة ومثله الم تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين ام يقولون افتريه
وقال بعضهم ان الالف محذوفة لان ام لا يجئ مبتداة على تقدير اهم اولى بالنبوة ام لهم نصيب من الملك فيلزم الناس
طاعتهم وهذا ضعيف لان حذف الالف انما يجوز فى ضرورة الشعر باجماع ولا ضرورة فى القران واذا لم يعمل فى يؤتون
لانها اذا وقعت بين الفاء والفعل جاز ان تقدر متوسطة فتلغى كما تلغى ارى اذا توسطت او تاخرت لان النية به
التاخير والتقدير ام لهم نصيب من الملك فلا يؤتون الناس نقيرا اذا وكذلك اذا كان معها واو نحو واذا لا يلبثون

خلافا للاخفش ويجوز ان تقدر مستانفة فيعمل مع حرف العطف واذا لا تعمل الا بشروط اربعة ان تكون جواب الكلام
وان تكون مبتداة فى اللفظ ولا يكون ما بعدها متعلقا بما قبلها ويكون الفعل بعدها مستقبلا ومتى نقص
واحد من هذه الشروط لم تعمل وقوله لا يؤتون الناس اخبار من الله تعالى عن لؤمهم وبخلهم اى لا يؤتونهم
نقيرا وقيل فى معنى النقير ههنا ثلثة اقوال قال ابن عباس وقتادة والسدى وعطا والضحاك وابن زيد انه
النقطة التى فى ظهر النواة وقال مجاهد هو الحبة التى فى بطن النواة وفى رواية اخرى عن ابن عباس ان
النقير ما نقر الرجل باصبعه كما ينقر الدرهم والنقر النكت ومنه المنقار لانه ينقر به والناقور الصور لان
الملك ينقر فيه بالنفخ المصوت والنقرة حفرة فى الارض وغيرها والنقير خشبة تنقر وينبذ فيها والمناقرة
مراجعة الكلام وانتقر اختص كما يختص بالنقر واحدا واحدا والمنقر المقلع عن الشئ لانه كما يقلع فى النقر
ثم يعود اليه ومعنى ام لهم نصيب من الملك ما ادعته اليهود ان الملك يعود اليهم وقوله فاذا لا يؤتون
الناس يعنى العرب وذكر الزجاج فى معناه وجهين احدهما بل لهم نصيب لانهم كانوا اصحاب بساتين واموال
وكانوا فى غاية البخل والثانى انهم لو اعطوا الملك ما اعطوا الناس نقيرا من بخلهم اختاره البلخى وبه قال
السدى وابن جريج قوله تعالى ام يحسدون الناس على ما اتيهم الله من فضله فقد اتينا ال ابرهيم
الكتاب والحكمة واتيناهم ملكا عظيما اية المعنى بقوله ام يحسدون الناس قيل فيه ثلثة اقوال احدها
قال ابن عباس ومجاهد والضحاك والسدى وعكرمة انه النبى صلعم وهو قول ابى جعفر ع وزاد فيه وآله الثانى
قال قتاده هم العرب محمد صلعم واصحابه لانه قد جرى ذكرهم فى قوله يقولون للذين كفروا هؤلاء اهدى
من الذين امنوا سبيلا ذكره الجبائى والفضل المذكور فى الاية قيل فيه قولان احدهما قال الحسن وقتادة وابن
جريج النبوة وهو قول ابى جعفر ع قال وفى آله الامامة الثانى قال ابن عباس والضحاك والسدى ما اباحه الله
للنبى من نكاح تسعة والحسد تمنى زوال النعمة عن صاحبها لما يلحق من المشقة فى نيله لها والغبطة تمنى مثل
النعمة لاجل السرور بها لصاحبها ولهذا كان الحسد مذموما والغبطة غير مذمومة وقيل ان الحسد من افراط
البخل لان البخل منع النعمة لمشقة بذلها والحسد تمنى زوالها لمشقة نيل صاحبها لها فالعمل فيها على المشقة
بنيل النعمة ثم قال فقد اتينا ال ابرهيم الكتاب والحكمة واتيناهم ملكا عظيما فما حسدوهم على ذلك فكيف
حسدوا محمدا وآله ما اعطاهم الله اياه والملك المذكور فى الاية ههنا قيل فيه ثلثة اقوال احدها قال ابن
عباس هو ملك سليمان وبه قال عطية العوفى الثانى قال السدى هو ما احل لداود من النساء تسع وتسعون
امراة ولسليمان مائة لان اليهود عابت النبى صلعم بكثرة النساء فبين الله ان ذلك واكثر منه كان فى ال ابرهيم
الثالث قال مجاهد والحسن انه النبوة وقال ابو جعفر انه الخلافة فمن اطاعهم اطاع الله ومن عصاهم عصا
الله قوله تعالى فمنهم من امن به ومنهم من صد عنه وكفى بجهنم سعيرا اية بلا خلاف الضمير فى قوله فمنهم
من امن يحتمل ان يكون عائدا الى احد امرين احدهما قال مجاهد والزجاج والجبائى ان من اهل الكتاب من امن
بمحمد صلعم لتقدم الذكر فى يا ايها الذين اوتوا الكتاب امنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم الثانى فمن امة ابرهيم من
امن بابرهيم ومنهم من صد عنه كما انكم فى امر محمد صلعم كذلك وليس فى ذلك توهين لامره كما ليس فيه توهين
لامر ابرهيم واتصال الكلام على هذا الوجه ظاهر وعلى الوجه الاول تقديره وقع هذا كله فمنهم من امن
به ومنهم من صد عنه وقال قوم فمنهم من امن بداود وسليمان ومنهم من صد عنه وليس فى الاية دلالة
على ان ما تقدم من الوعيد انما صرف عنهم لايمان هذا الفريق لانه قال فى الاخرة يوم تبيض وجوه وتسود
وجوه وقال بعضهم فيه دلالة على ذلك ولذلك قال وكفى بجهنم سعيرا اى ان كان صرف بعض العقاب فكفى
بجهنم استعارا بالعذاب وسعير بمعنى مسعورة وترك لاجل الصرف التانيث للمبالغة فى الصفة كما قالوا كف خضيب و
لحية دهين وتركت علامة التانيث لانها لما كان دخولها فيما ليست له للمبالغة نحو رجل علامة كان سقوطها
فيما هى له للمبالغة فحسن هذا التقابل فى الدلالة والسعر ايقاد النار ومنه قوله واذا الجحيم سعرت واستعرت
النار والحرب والشر استعارا واسعرتها اسعارا وسعرتها تسعيرا والسعر سعر المتاع وسعروه تسعيرا وذلك

لاستعار السوق بحالها في البيع والساعور كالتنور في الارض والمسعور الذي قد ضربته السموم والعطش ودخلت الباء في قوله كفى بجهنم لتأكيد الاختصاص لانه يتعلق به من وجهين وجه الفعل في كفى جهنم كقولك كفى الله ووجه الاضافة في الكفاية بجهنم وعلى ذلك قيل كفى بالله للدلالة على ان الكفاية تضاف اليه من وكد الوجوه وهو وجه الفعل ووجه المصدر قوله تعالى إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا آية بلا خلاف اخبر الله تعالى في هذه الاية ان من جحد معرفته وكذب انبياءه ودفع الايات التي تدل على توحيده وصدق نبيه انه سوف نصليه نارا والتدل على ان ذلك يفعله بهم في المستقبل ولم يكن دخولها للشك لانه تعالى عالم بالاشياء لا يخفى عليه امر من الامور ومعنى نصليه نارا نلزمه اياها تقول اصليته النار اذا القيته فيها وصليته صليا اذا اشتويته وشاة مصلية اي مشوية والصلا الشواء وصلى فلان بشر فلان وصلى برجل سوء وقوله كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها قيل فيه ثلثة اقوال قال الرماني ان الله يجدد لهم جلودا غير الجلود التي احترقت وتعدم المحترقة على ظاهر القران من انها غيرها لانها ليست بعض الانسان قال قوم هذا لا يجوز لانه يكون عذب من لا يستحق العذاب قال الرماني لا يؤدي الى ذلك لان ما يراد لايلام ولا هو بعض لما يألم وانما هو شيء يوصل به الألم الى المستحق له وقال الجبائي لا يجوز ان يكون المراد ان يزاد جلدا على جلده كلما نضجت لانه لو كان كذلك لوجب ان يملأ جسد كل واحد من الكفار جهنم اذا ادام الله العقاب لانه كلما نضجت تلك الجلود زاد الله جلدا اخر فلا بد ان ينتهي الى ذلك والجواب الثاني اختاره البلخي والجبائي والزجاج ان الله تعالى يجددها بان يردها الى الحالة التي كانت عليها غير محترقة كما يقال جئتني بغير ذلك الوجه وكذلك اذا جعل قميصه قباء جاز ان يقال جاء بغير ذلك اللباس او غير خاتمه فصاغه خاتما اخر جاز ان يقال هذا غير ذلك الخاتم وهذا هو المعتمد عليه والثالث قال قوم ان التبديل انما هو للسرابيل التي ذكرها الله في قوله سرابيلهم من قطران فاما الجلود فلو عذبت ثم اوجدت لكان فيه تفتير عنهم وهذا بعيد لانه ترك للظاهر وعدول بالجلود الى السرابيل ولا يقول ان الله تعالى يعدم الجلود بل على ما قلناه يجددها ويطريها بما تفعل فيها من المعاني التي تعود الى حالتها فاما من قال ان الانسان غير هذه الجملة وانه هو المعذب فقد تخلص من هذا السؤال ويقوي ما قلناه ان اهل اللغة يقولون ابدلت الشيء بالشيء اذا ازلت عينا بعين كما قال الراجز   عزل الامير بالامير المبدل
وبدلته بالتشديد اذا غيرت هيئته والعين واحدة يقولون بدلت جبتي قميصا اذا جعلتها قميصا ذكره المغربي وقال البلخي ويحتمل وجها اخر وهو ان يخلق الله لهم جلدا اخر فوق جلودهم فاذا احترق التحتاني اعاده الله وهكذا يتعقب الواحد الاخر قال ويحتمل ان يخلق الله لهم جلدا لا يألم يعذبهم فيه كما يعذبهم في سرابيل القطران فان قيل كيف قال ليذوقوا العذاب مع انه دائم لانهم قيل لان احساسهم في كل حال كاحساس الذائق في تجدد الوجدان من غير نقصان لان من استمر على الاكل لا يجد الطعم كما يجد الطعم من يذوقه وقوله ان الله كان عزيزا حكيما معناه انه قادر قاهر لا يمتنع عليه انجاز ما توعد به او وعد وحكيم في فعله لا يخلف وعيده ولا يفعل الا قدر المستحق به فينبغي للعاقل ان يتدبر ذلك ويكون حذره منه على حسب علمه به ولا يغتر بطول الامهال والسلامة من تعجيل العقوبة قوله تعالى وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا آية بلا خلاف لما ذكر الله تعالى في الاية الاولى ما توعد به الكفار والجاحدين لاياته تعالى وعد في هذه الاية المصدقين به تعالى والعاملين الاعمال الصالحات وهي الحسنات التي هي طاعات لله وصالح يجري على وجهين احدهما على من يعمل الطاعة الثاني على نفس العمل ويقال رجل صالح ومعناه ذو عمل صالح و يقال عمل صالح فيجري عليه الوصف بانه صالح ووعدهم بان سيدخلهم جنات وهي جمع جنة وهي البستان التي يجنه الشجر تجري من تحتها الانهار وفيه محذوف لان التقدير تجري من تحتها مياه الانهار لان الماء هو الجاري دون الانهار غير انه يعرف الاستعمال سقط عنه اسم مجاز كما سقط في قولهم هذا شعر امرئ القيس

وان كان المراد انه حكاية عنه فاما قوله واسئل القرية مجاز لا محالة لانه لا بد فيه من تقدير اهلها وقوله خالدين فيها ابدا لهم فيها ازواج مطهرة يعني من النفاس والحيض ومن جميع الاقذار والادناس والطهارة نقيض النجاسة والنجاسة في الاصل هي ما كان نتنا نحو الجيف وغيرها وشبه به النجاسة الحكم تبعا للشريعة كما يقال في الخمر انها نجسة وقوله وندخلهم ظلا ظليلا فالظل اصله الستر من الشمس قال رؤبة كل موضع يكون فيه الشمس فتزول عنه فهو ظل وفيء وما سوى ذلك فظل لا يقال فيه فيء والظل الليل لانه كالستر من الشمس والظلة السترة وظل يفعل كذا اذا فعله نهارا لانه في الوقت الذي يكون للشمس ظل والاظلال الدنو لان الشيء بدنوه كانه قد القى عليك ظله والاظل باطن منسم البعير لان المنسم يستره والظليل هو الكنين لانه لا شمس فيه ولا سموم قال الحسن ربما كان ظل ليس بظليل لانه يدخله الحر والسموم فلذلك وصف ظل الجنة بانه ظليل و منه قوله وظل ممدود لانه ليس كل ظل ممدودا وروي ان في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها وهي شجرة الخلد وقيل انما قال ظلا ظليلا فرقا بينه وبين ظل ذي ثلث شعب لا ظليل ولا يغني من اللهب وقيل يدخلهم ظلا ظليلا في الموقف حيث لا ظل الا ظل عرشه قوله تعالى إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا آية بلا خلاف قيل في المعنى بهذه الاية ثلثة اقوال اولها ما قال ابن عباس وابي بن كعب والحسن وقتادة وهو المروي عن ابي جعفر وابي عبد الله ع ان كل مؤتمن على شيء يلزمه رده الثاني قال زيد بن اسلم ومكحول وشهر بن حوشب ان المراد به ولاة الامر وهو اختيار الجبائي وروى ذلك عن ابي جعفر ايضا وابي عبد الله ع وقالوا امر الله الائمة كل واحد منهم ان يسلم الامر الى من بعده وعلى الوجه الاول يدخل هذا فيه لان ذلك من جملة ما ائتمنه الله عليه ولذلك قال ابو جعفر ان اداء الصلوة والزكوة والصوم والحج من الامانة ويكون الامر للامر باداء الامانة من الغنائم والصدقات وغير ذلك مما يتعلق به حق الرعية الثالث قال ابن جريج نزلت في عثمان بن طلحة امر الله تعالى نبيه ان يرد اليه مفاتيح الكعبة والمعتمد هو الاول وان كان الخبر روي انه سبب نزول الاية غير انه لا يقتصر عليه تقول اديت الشيء اؤديه تادية وهو المصدر الحقيقي ولو قلت اديت اداء كان جائزا يقام الاسم مقام المصدر ويقال ادوت للصيد ادوا اذا ختلته لتصيده وادى اللبن يأدي اذا حمض وقوله واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل امر الله تعالى الحكام بين الناس ان يحكموا بالعدل لا بالجور ان الله نعما يعظكم به معناه نعم الشيء شيئا يعظكم الله به من اداء الامانة وكتب نعما موصولة لانها بمنزلة الكافة في انما وربما غير انها في نعما اسم يعود اليه الضمير في به فتقديره نعم شيئا يعظكم به او نعم وعظا يعظكم به ولا يجوز اسكان العين مع الميم في نعما لانه جمع بين ساكنين ولكن يجوز اختلاس الحركة من غير اشباع الكسرة كالاختلاس في يامركم وبارئكم وعلى هذا تحمل قراءة ابي عمرو وقال الزجاج اجتماع الساكنين فيه ينكره جميع البصريين والسميع هو من كان على صفة يجب لاجلها ان يسمع المسموعات اذا وجدت والبصير من كان على صفة يجب لاجلها ان يبصر المبصرات اذا وجدت والسامع هو المدرك للمسموعات والمبصر هو المدرك للمبصرات ولذلك يوصف تعالى فيما لم يزل بانه سميع بصير ولا يوصف بانه سامع مبصر الا بعد وجود المبصرات والمسموعات وقوله ان الله كان سميعا بصيرا اخبار انه كان سميعا بصيرا فيما مضى وذلك يرجع الى كونه حيا لا آفة به فاذا كان لا يجوز خروجه عن كونه حيا فلا يجوز خروجه عن كونه سميعا بصيرا قوله تعالى يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا آية بلا خلاف هذا خطاب من الله تعالى للمؤمنين يامرهم ان يطيعوه ويطيعوا رسوله ويطيعوا اولي الامر منهم فالطاعة هي امتثال الامر فطاعة الله هي امتثال اوامره والانتهاء عن نواهيه وطاعة الرسول كذلك امتثال اوامره وطاعة الرسول ايضا هي طاعة الله لانه تعالى امر بطاعة رسوله فمن اطاع الرسول فقد اطاع الله

كما قال من يطع الرسول فقد اطاع الله فامّا المعرفة بانه رسول فمعرفة بالرسالة ولا يتم ذلك الا بعد المعرفة بالله وليست احديهما هي الاخرى وطاعة الرسول واجبة في حياته وبعد وفاته لان بعد وفاته يلزم اتباع سنته لانه دعا اليها جميع المكلفين الى يوم القيمة كما انه رسول اليهم اجمعين فامّا اولوا الامر فللمفسرين فيه تاويلان احدهما قال ابو هريره وفي رواية عن ابن عباس وميمون بن مهران والسدّي والجبائي والبلخي و الطبري انهم الامراء والثاني قال جابر بن عبد الله وفي رواية اخرى عن ابن عباس ومجاهد والحسن وعطا وابي العالية انهم العلماء وروى اصحابنا عن ابي جعفر وابي عبد الله ع انهم الائمة من ال محمد صم فلذلك اوجب الله تعالى طاعتهم بالاطلاق كما اوجب طاعة رسوله وطاعة نفسه كذلك ولا يجوز ايجاب طاعة احد مطلقا الا من كان معصوما مأمونا منه السهو والغلط وليس ذلك بحاصل في الامراء ولا العلماء وانما هو واجب في الائمة الذين دلت الادلة على عصمتهم وطهارتهم فامّا من قال المراد به العلماء فقوله بعيد لان قوله واولي الامر معناه اطيعوا من له الامر وليس ذلك للعلماء فان قالوا يجب علينا طاعتهم اذا كانوا محقّين فاذا عدلوا عن الحق فلا طاعة لهم علينا قلنا هذا تخصيص لعموم ايجاب الطاعة لم يدل عليه دليل وحمل الاية على العموم فيمن يصح ذلك فيه اولى من تخصيص الطاعة بشئ دون شئ كما لا يجوز تخصيص وجوب طاعة الرسول وطاعة الله في شئ دون شئ وقوله فان تنازعتم في شئ فردوه الى الله والرسول فمعنى الرد الى الله هو الى كتابه والرد الى رسوله هو الرد الى سنته وقول مجاهد وقتاده وميمون بن مهران والسدي والرد الى الائمة يجري مجرى الرد الى الله والرسول ولذلك قال في اية اخرى ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولانه اذا كان قولهم حجة من حيث كانوا معصومين حافظين للشرع جروا مجرى الرسول في هذا الباب وقوله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الاخر اي تصدقون بهما ذلك خير واحسن تاويلا ذلك اشارة الى الرد الى الله والى الرسول واحسن تاويلا قال قتاده والسدي وابن زيد احمد عاقبة وقال مجاهد معناه احسن جزاء وهو من آل يؤول اذا رجع والمآل المرجع والعاقبة مآل لانها بمنزلة ما تفرقت عنه الاشياء ثم رجعت اليه ويقول الى هذا يؤول الامر اي يرجع وقال الزجاج احسن من تاويلكم انتم اياه من غير رد الى اصله من كتاب الله وسنة نبيه وهذا هو الاقوى لان الرد الى الله والرسول والائمة المعصومين احسن من تاويل بغير حجة واستدل جماعة بهذه الاية على ان الاجماع حجة بان قالوا انما اوجب الله الرد الى الكتاب والسنة بشرط وجود التنازع فدل على انه اذا لم يوجد التنازع لا يجب الرد ولا يكون كذلك الا وهو حجة وهذا ان استدل به مع فرض ان في الامة معصوما حافظا للشرع كان صحيحا وان فرضوا مع عدم المعصوم كان باطلا لان ذلك استدلال بدليل خطاب لان تعليق الحكم بشرط اوصفة لا يدل على ان ما عداه بخلافه عند اكثر المحصّلين فكيف يعتمد عليه هٰهنا على انهم لا يجمعون على شئ الا عن كتاب وسنة فكيف يقال اذا اجمعوا لا يجب عليهم الرد الى الكتاب والسنة وهم قد ردوا اليهما على ان ذلك يلزم في كل جماعة وان لم يكونوا جميع الامة اذا اتفقوا على شئ الا يجب عليهم الرد الى الكتاب والسنة لان قوله فان تنازعتم يتناول جماعة ولا يستغرق جميع الامة فعلم بذلك فساد الاستدلال بما قالوه وقد بيّنا الكلام على ذلك مستوفا في العدّة في اصول الفقه قوله تعالى أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا اية بلا خلاف عجّب الله تعالى نبيه صم في هذه الاية ممن يزعم انه امن بما انزل على محمد صم وما انزل من قبله بان قال الم ينته علمك الى هؤلاء الذين ذكرنا وصفهم يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت وقد امرهم الله ان يكفروا به وقال الحسن والجبائي نزلت الاية في قوم منافقين احتكموا الى الاوثان بضرب القداح وقد بيّنا معنى الطاغوت فيما تقدم وقيل في معناه هٰهنا قولان احدهما انه كاهن تحاكم اليه رجل من المنافقين ورجل من اليهود هذا قول الشعبي وقتاده وقال السدي اسمه ابو برده الثاني قال ابن عباس ومجاهد والربيع والضحاك انه كعب بن الاشرف رجل من اليهود فاختار المنافق التحاكم الى

الطاغوت وهو رجل يهودي وقيل كعب بن الاشرف لانه يقبل الرشوة واختار اليهودي التحاكم الى محمد نبينا صم لانه لا يقبل الرشوة ومعنى الطاغوت ذو الطغيان على جهة المبالغة في الصفة فكل من يعبد من دون الله فهو طاغوت وقد تسمى به الاوثان كما تسمى بانها رجس من عمل الشيطان ويوصف به كل من طغى فان حكم بخلاف حكم الله تعالى غير راض بحكمه تعالى وروي عن ابي جعفر وابي عبد الله ع ان الاية في كل من يتحاكم الى من يحكم بخلاف الحق وزعمت يحتاج الى اسم وخبر وانهم في الاية نايب عن الاسم والخبر لانها على معنى الجملة ومخرج المفرد وليس بمنزلة ظننت ذلك لانه على معنى المفرد ومخرج المفرد لان قوله زعمت انه قائم يفيدها يفيد هو قائم وكذلك ظننت ذاك لانه يدل دلالة الاشارة الى ما تقدم علمه عند المخاطب وقوله ويريد الشيطان ان يضلهم ضلالا بعيدا يدل على بطلان قول المجبرة ان الله تعالى يفعل المعاصي ويريدها لان الله تعالى نسب اضلالهم الى انه بارادة الشيطان على وجه الذم لهم فلو اراد تعالى ان يضلهم بخلق الضلال فيهم لكان ذلك اوكد وجوه الذم في اضلالهم واصل الضلال الهلاك بالعدول عن الطريق المؤدي الى البغية لانه ضد الهدى الذي هو الدلالة على الطريق المؤدي الى البغية وله تصرف كثير يرجع الى هذه النكتة ذكرناه فيما مضى واضله الله معناه سماه الله ضالا او حكم عليه به كما يقال اكفره بمعنى سماه بالكفر ولا يجوز ان يقال اكفره الله بمعنى انه دعاه الى الكفر لانه منزه عن ذلك فتعالى الله عن ذلك علوا كبيرا قوله تعالى وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا اية قال ابن جريح الداعي الى حكم الرسول هو المسلم الذي يدعو المنافق الى حكم الرسول صم وقال قتاده هو يهودي دعا المنافق الى حكم الرسول لعلمه انه لا يجوز في الحكم وتعالوا اصله من العلو وهو تفاعل منه كقولك توافقوا فاذا قلت لغيرك تعال فمعناه ارتفع علي وان كان في انخفاض من الارض لانه جعله كالرفيع بكونه فيه ويجوز ان يكون اصله للمكان العالي حتى صار لكل مكان وقوله يصدون عنك صدودا قيل في سبب صد المنافقين عن النبي صم قولان احدهما لعلمهم بانه لا يأخذ الرشا على الحكم وانه يحكم بمر الحق والثاني لعداوتهم للدين وصددت لا اصل فيه الا يتعدى لانك تقول صددت عن فلان اصد بمعنى اعرضت عنه ويجوز صددت فلانا عن فلان بالتعدي لانه دخله معنى منعته عنه ومثله رجعت انا ورجعت غيري لانه دخله معنى رددته فلذلك جاز رجعته وصدودا نصب على المصدر على وجه التاكيد للفعل كقوله وكلم الله موسى تكليما ومعنى ذلك انه ليس ذلك على بيان كالكلام بل كلمه في الحقيقة وقيل في معنى تكليما انه كلمه تكليما شريفا عظيما ويمكن مثله في الاية ويكون تقديره رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا عظيما قوله تعالى فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا اية قيل في موضع كيف من الاعراب قولان احدهما انه رفع بتقدير فكيف صنيعهم اذا اصابتهم مصيبة بما قدمت ايديهم كانه قال الاساءة صنيعهم بالجرأة في كذبهم ام الاحسان بالتوبة في جرمهم الثاني انه نصب بتقدير كيف يكونون امصرين ام تائبين يكونون ويجوز الرفع على معنى كيف بك كانه قال اصلاح ام فساد بك كذا وقيل في معنى المصيبة في الاية قولان احدهما ذكره الزجاج ان بعض المنافقين اظهر انه لا يرضى بحكم رسول الله صم فقتله عمر ثم جاء اخوانه من المنافقين يطالبون بدمه يحلفون ان اردنا الا احسانا وتوفيقا كذبا وزورا الثاني ان اصابتهم نقمة من الله لم ينيبوا تائبين من المعصية بل يزدادون جراة بحلفهم كاذبين بالله عز وجل وقال الحسين بن علي المغربي الاية نزلت في عبد الله بن ابي وما اصابه من الذل لرجعتهم من غزوة بني المصطلق وهي غزوة المريسيع حين نزلت سورة المنافقين فاضطر الى الخشوع والاعتذار وذلك مذكور في تفسير سورة المنافقين ومصيبة الموت لما تضرع الى رسول الله صم في الاقالة والاستغفار واستوهبه ثوبه ليتقي به النار يقولون ما اردنا الا توفيقا اي بكلامه بين الفريقين المتنازعين في غزوة بني المصطلق فاعرض عنهم ايئاسا منهم وعظهم ابجابا للحجة عليهم وقل لهم في انفسهم قولا بليغا فيه دلالة على فضل البلاغة وحث على اعتمادها وقوله ان اردنا الا احسانا وتوفيقا معناه قيل فيه قولان احدهما اي ما اردنا بالمطالبة

بدم صاحبنا الا احساناً الينا وما وافق الحق فى امرنا الثانى ما اردنا بالعدول عنك فى المحاكمة الا توفيقاً بين الخصوم واحساناً بالتقريب فى الحكم دون الحمل على مر الحق كل ذلك كذب منهم وافك ان قيل كيف يقتضى الانتقام منهم الاعتذار لما سلف من جرمهم قلنا عنه جوابان احدهما للتقريع بتعجيل العقاب على ما ارتكبوا من الاثام الثانى ان الانتقام متى يكون اقتضاء النبى صم واذلاله اياهم وتخويفه بالنفى والقتل ان لم ينتهوا عن قبائحهم هذا قول الجبائى والحلف القسم ومنه الحلف لتحالفهم فيه على الامر وحليف الجود ونحوه لانه كالحلف فى اللزوم واحلف الغلام اذا فادنا البلوغ قوله تعالى أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا اية اولئك اشارة الى المنافقين الذين تقدم وصفهم وانما قال يعلم ما فى قلوبهم وان كان معلوماً ذلك بدلالة العقل لامرين احدهما تاكيداً لما علمناه والثانى انه يفيد انه لا يغنى عنهم كتمان ما يضمرونه شيئاً من العقاب لان الله يعلم ما فى قلوبهم من النفاق وكذلك كلما ذكره الله مما هو معلوم عند المخاطب انما الفائدة فى مقارنته بما ليس بمعلوم على جهة الاحتجاج به او غيره من الوجوه وقوله فاعرض عنهم وعظهم جمع بين معنى الاعراض والاقبال وقيل فى معناه ثلثة اوجه احدها فاعرض عنهم بعداوتك لهم وعظهم الثانى فاعرض عن عقابهم وعظهم الثالث قال الجبائى اعرض عن قبول الاعتذار منهم وقوله وقل لهم فى انفسهم قولاً بليغاً قال الحسن القول البليغ الذى امر به فى الاية ان يقول ان اظهرتم ما فى قلوبكم قتلتكم فهذا يبلغ من نفوسهم كل مبلغ وقال الجبائى خوفهم بمكاره تنزل بهم فى انفسهم ان عادوا لمثل ما فعلوه ويجوز ان يكون المراد ازجرهم عما هم عليه بابلغ الزجر واصل البلاغة البلوغ يقول بلغ الرجل بالقول يبلغ بلاغة فهو بليغ اذا كان بعبارته يبلغ كثيرها فى قلبه ويقال احمق بلغ وبليغ ومعناه انه احمق يبلغ حيث يريد وقيل معناه قد بلغ فى الحماقة وفى الاية دلالة على فضل البلاغة وانها احد اقسام الحكمة لما فيها من بلوغ المعنى الذى يحتاج الى التفسير باللفظ الوجيز مع حسن الترتيب قوله تعالى وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا اية بلا خلاف ما فى قوله وما ارسلنا نافية فلذلك ادخل من رسول لان من لا تزاد فى الايجاب وزيادتها توذن باستغراق الكلام كقولك ما جاءنى من احد والتقدير فى الاية وما ارسلنا رسولاً الا ليطاع فيتمثل ما يامر به والذى اقتضى ذكر طاعة الرسول اعراض هؤلاء المنافقين الذين تحاكموا الى الطاغوت عن طاعته وهم يزعمون انهم يؤمنون به حتى كانه قد قيل لهم من الايمان ان لا تطيعوه فى كل ما يدعوكم اليه فبين الله تعالى انه كغيره من الرسل الذى ما ارسل الا ليطاع وقوله باذن الله معناه بامر الله الذى دل به على وجوب طاعتهم والاذن على وجوه يكون بمعنى اللطف كقوله وما كان لنفس ان تؤمن الا باذن الله ومنها الامر مثل هذه الاية ومنها التخلية نحو وما هم بضارين به من احد الا باذن الله وقوله ولو انهم اذ ظلموا انفسهم معناه اذ بخسوها حقها بادخال الضرر عليها بفعل المعصية من استحقاق العقاب وتفويت الثواب بفعل الطاعة وموضع انهم رفع والمعنى لو وقع مجيئهم فى وقت ظلمهم مع استغفارهم لوجدوا الله تواباً رحيماً ولو موضوعة للفعل لما فيها من معنى الجزاء تقول لو كان كذا لكان كذا ولا يقع بعدها الا ان وانما اجيز فى ان خاصة ان يقع بعدها لانها كالفعل فى افادة معنى الجملة وفتحت ان لانها مبنية على لو بترتيبها على نحو ترتيبها بعد العامل فيها وفى الاية دلالة على بطلان مذهب المجبرة من ان الله تعالى يريد ان يعصى الانبياء قوم ويطيعهم اخرون لانه تعالى بين انه ما ارسلهم الا ليطاعوا واللام لام الغرض ومعناه الارادة من المبعوث اليهم ان يطيعوا وذلك خلاف مذهبهم وفيها ايضاً دلالة على ان من كان مرتكباً لكبيرة يجب ان يستغفر الله فان الله سيتوب عليه ويقبل توبته ولا ينبغى لاحد ان يستغفر مع كونه مصراً على المعصية بل ينبغى ان يتوب بنيته على ما فعل ويعزم على ان لا يعود الى مثله ثم يستغفر باللسان ليتوب الله عليه وقوله لوجدوا الله يحتمل امرين احدهما لوجدوا مغفرة الله لذنوبهم ورحمته اياهم والثانى لعلموا الله تواباً رحيماً والوجدان قد يكون بمعنى العلم فاما الوجدان بمعنى الادراك فلا يجوز عليه تعالى انه تعالى

غير مدرك فى نفسه وذكر الحسن فى هذه الاية ان اثنى عشر رجلاً من المنافقين اجتمعوا على امر من النفاق وائتمروا به فيما بينهم فاخبره الله بذلك وقد دخلوا على رسول الله فقال رسول الله ان اثنى عشر رجلاً من المنافقين اجتمعوا على امر من النفاق وائتمروا به فيما بينهم فليقم اولئك فليستغفروا ربهم وليعترفوا بذنوبهم حتى اشفع لهم فلم يقم احد فقال رسول الله صم الا تقومون مراراً ثم قال قم يا فلان وانت يا فلان فقالوا يا رسول الله نحن نستغفر الله ونتوب اليه فاشفع لنا قال الان انا كنت فى اول امركم اطيب نفساً بالشفاعة وكان الله تعالى اسرع الى الاجابة اخرجوا عنى فاخرجوا عنه حتى لم يرهم قوله تعالى فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا قيل فى معنى دخول لا فى اول الكلام قولان احدهما انها رد لكلام كانه قيل لا الامر كما تزعمون من الايمان وهم على تلك الحال من الخلاف ثم استونف قوله وربك لا يؤمنون حتى الثانى انها توطية للنفى الذى ياتى فيما بعده لانه اذا ذكر فى اول الكلام واخره كان اوكد واحسن لان النفى له صدر الكلام وقد اقتضى القسم ان يذكر فى الجواب وقيل فى سبب نزول هذه الاية قولان احدهما انها نزلت فى الزبير ورجل من الانصار تخاصما الى النبى صم فى شراج من الحرة كانا يسقيان منه نخلاً لهما فقال النبى صم اسق يا زبير ثم ارسل الى جارك فغضب الانصارى وقال يا رسول الله ان كان ابن عمتك فتلون وجه رسول الله حتى عرف ان قد ساءه ثم قال يا زبير احبس الماء الى الجدر والى الكعبين ثم خل سبيل الماء فنزلت الاية وقال ابو جعفر صم كانت الخصومة بين الزبير وحاطب بن ابى بلتعة روى ذلك عن ام سلمة وذهب اليه عمر بن شبة والواقدى وقال قوم وهو اختيار الطبرى انها نزلت فى المنافق واليهودى الذين احتكما الى الطاغوت قال لان سياقة الكلام بهذا اشبه وقوله فيما شجر بينهم معناه فيما وقع بينهم من الاختلاف يقول شجر يشجر شجراً وشجوراً وشاجره فى الامر اذا نازعه فيه مشاجرة وشجاراً وتشاجروا فيه تشاجراً وكل ذلك لتداخل كلام بعضهم فى بعض كتداخل الشجر بالتفافه وفى الاية دلالة على فساد مذهب المجبرة لانه اذا وجب الرضا بفعل النبى صم فالرضا بفعل الله تعالى اولى ولو كان خلق الكفر والمعاصى لوجب على الخلق الرضا به وذلك خلاف الاجماع وقيل فى معنى الحرج قولان احدهما قال مجاهد هو الشك وقال الضحاك الاثم واصل الحرج الضيق فكانه قال الضيق شك او اثم وكلاهما يضيق الصدر ومعنى الاية ان هؤلاء المنافقين لا يؤمنون حتى يحكموا النبى صم فيما وقع بينهم من الاختلاف ثم لا يجدوا حرجاً مما قضى به اى لا يضيق صدورهم به ويسلموا لما يحكم به لا يعارضونه بشىء فحينئذ يكونون مؤمنين وتسليماً مصدر مؤكد والمصادر المؤكدة بمنزلة ذكرك للفعل ثانياً كانك قلت سلمت تسليماً ومن حق التوكيد ان يكون محققاً لما تذكره فى صدر كلامك فاذا قلت ضربت ضرباً فمعناه احدثت ضرباً احققه حقاً ولا شك فيه ومثله فى الاية انهم يسلمون من غير شك يدخلهم فيه وقال ابو جعفر لما حكم النبى صم لليهودى على خصمه لوى شدقه وقال لمن سال عمن حكم له فقال لمن يقضى لابن عمته فتعجب اليهودى وقال انا امنا بموسى فاذنبنا ذنباً فامرنا الله تعالى بان نقتل انفسنا فقتلناها فاجلت عن سبعين الف قتيل وهؤلاء يقرون بمحمد ويطؤن عقبه ولا يرضون بقضيته فقال ثابت بن الشماس لو امرنى الله ان اقتل نفسى لقتلتها فانزل الله ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم الى قوله الا قليل منهم يعنى ابن الشماس ذكره السدى قوله تعالى وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا اية بلا خلاف قرا ابن عامر وحده الا قليلاً بالنصب كذلك هو فى مصاحف اهل الشام الباقون بالرفع وقيل ان النصب قرءه ابى فمن رفع فعلى البدل من المضمر كانه قال ما فعله الا قليل منهم وهذا يجوز فى النفى دون الاثبات لانه لا يجوز ان يقول فعله الا قليل منهم لان الفعل ليس للقليل فى الاثبات كما هو لهم فى النفى وقال الكسائى ارتفع بالتكرار والمعنى ما فعلوه ما فعله الا قليل ومن نصب فانه قال الاستثناء بعد تمام الكلام لان قوله ما فعلوه كلام تام كما ان قولك فعل القوم كلام تام فاستثنى بعده ولم يجعل ما بعد الا عليه الاعتماد والوجه الرفع لان الفعل لهم فهو ادل على

المعنى وقرا ابن كثير ونافع وابن عامر والكسائى ان اقتلوا بضم النون وبضم الواو فى قوله او اخرجوا
وقرا عاصم وحمزة بكسرهما كسر النون وضم الواو ابو عمرو فمن ضمهما فلان الثالث مضموم اتبع الضمة
الضمة ومن كسرهما فعلى اصل الحركة لالتقاء الساكنين وابو عمرو ضم الواو تشبيها بواو اشتروا الضلالة
ولا تنسوا الفضل بينكم ومعنى قوله ولو انا كتبنا عليهم اى لو انا الزمناهم واوجبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم
او اخرجوا من دياركم اى لو كتبنا عليهم ذلك كما اوجبنا على قوم موسى وقتلوا انفسهم واخرجهم الى
التيه ما فعله هؤلاء للمشقة التى فيه مع انه كان ينبغى ان يفعلوه لما لهم فيه من الحظ لانا لم يكن لنامرهم به
الا لما يقتضيه الحكمة وما فيه من المصلحة مع تسهيلنا تكليفهم وتيسيرنا عليهم فما يقعدهم عنه مع تكامل
اسباب الخير فيه وسهولة طريقه ولو فعلوا ما يوعظون به اى ما يامرون به لكان خيرا لهم واشد تثبيتا
وقيل فى معناه قولان احدهما ان البصيرة اثبت من اعتقاد الجهالة لما يعترى فيها من الحيرة واضطراب النفس
الذى يتميز من حال المعرفة بسكون النفس اليه الثانى ان اتباع الحق اثبت منفعة لان الانتفاع بالباطل
يضمحل بما يعقبه من المضرة وعظيم الحسرة فالاول لاجل البصيرة والثانى لاجل دوام المنفعة وقال البلخى
معنى الاية انه لو فرض الله عليهم قتل انفسهم كما فرض على قوم موسى عندما التمسوا ان يتوب عليهم او
الخروج من ديارهم ما فعلوه فاذ لم نفرض عليهم ذلك فليفعلوا ما امروا به مما هو اسهل عليهم منه فان
ذلك خير لهم واشد تثبيتا لهم على الايمان وفى الدعاء اللهم ثبتنا على ملة رسولك ومعناه اللهم الطف
لنا ما نثبت معه على التمسك بطاعة رسولك والمقام على ملته قوله تعالى وَاِذًا لَاٰتَيْنَاهُمْ مِنْ لَدُنَّا اَجْرًا
عَظِيمًا وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ايتان بلا خلاف قيل ان اذا دخلت ههنا ليدل على معنى الجزاء وكانه
قال ولو انهم فعلوا ما يوعظون به لاتيناهم من لدنا اجرا عظيما جزاء على فعلهم اذا جواب وجزاء وهى تقع متقدمة و
متاخرة ومتوسطة وانما تعمل متقدمة خاصة الا ان يكون الفعل بعدها للحال نحو اذا اظنك خارجا وتلغى اذن عن
العمل من بين اخواتها لانها تشبه اظن فى الاستدراك بها تقول زيد فى الدار اظن فيستدرك بها بعد ما مضى صدر
الكلام على اليقين وكذلك يقول القائل انا اجيئك فتقول وانا اكرمك اذن اردت ان تقول وانا اكرمك ثم استدركه
باذن ولدن مبنية ولم تبن عند لانها اشد ابهاما اذا كانت تقع فى الجواب نحو ابن زيد فتقول عند عمرو فلا يقع
لدن هذا الموضع فجرت لشدة الابهام مجرى الحروف ومعنى لدنا ههنا من عندنا وانما ذكر من لدنا تاكيدا للاختصاص
بانه ما لا يقدر عليه الا الله لانه قد يؤتى بما يجريه على يد غيره وقد يؤتى بما يختص بفعله وذلك اشرف له واعظم
فى النعمة به ولانه متحف بما لا يقدر عليه غيره وقوله ولهديناهم معناه ولفعلنا من اللطف بهم ما يثبتون معه على
الطاعة ولزوم الاستقامة وانما لم يفعل بهم هذا اللطف مع الحال التى هم عليها لانه يخرج من معنى اللطف حتى
يصيروا بمنزلة من لا لطف له على وجه ومثله اهدنا الصراط المستقيم اى ثبتنا بلطفك على الصراط المستقيم وقال ابو
على معناه لاخذناهم على طريق الجنة فى الاخرة قال ولا يجوز ان يكون المراد بالهداية ههنا الارشاد الى الدين
لانه تعم وعد بهذا من يكون مؤمنا مطيعا ولا يكون كذلك الا وقد اهتدى فان قيل لم جاز ان يمنعوا اللطف لسوء
فعلهم ولم يجز ان يمنعوا السوء فعل غيرهم اذ قد صاروا بمنزلة من لا لطف لهم قلنا لانهم يؤتون فى معاصيهم من
قبل انفسهم ولا يجوز ان يؤتوا فيها من قبل غيرهم ولو جاز ذلك لجاز ان يقتطعوا عن التوبة بالقتل فيكونوا
قد اتوا فى معاصيهم من قبل المقتطع لهم ويكون التخلية فيه بمنزلة الاماتة والواجب فى هذا ان يمنع غير هذا المكلف
من سوء الفعل الذى فيه ارتفاع اللطف فان كان لطف هذا المكلف متعلقا بفعل غيره وقد علم انه لا يفعله
لم يحسن تكليف هذا المكلف لانه ان منع هذا من الايمان فسد وان ترك وسوء الفعل فسد واللام فى قوله و
لهديناهم صراطا مستقيما لام الجواب التى يقع فى جواب لو كما يقع فى جواب القسم كما قال امرؤ القيس

حلفت لها بالله حلفة فاجر ... لناموا فما ان من حديث ولا صال

والفرق بين لام الجواب ولام الابتداء ان لام الابتداء لا يدخل الا على الاسم المبتدا الا فى باب ان خاصة فانها
تدخل على الفعل لمضارعته الاسم بين ذلك قولك قد علمت ان زيدا ليقوم وقد علمت ان زيدا ليقومن فتكسر

ان الاولى وبفتح الثانية وقوله صراطا نصب على انه مفعول ثان لانه فى معنى مفعول كسوته ثوبا اى
فاكتسى ثوبا فكذلك ولهديناهم فاهتدوا صراطا قوله تعالى وَمَنْ يُطِعِ اللّٰهَ وَالرَّسُولَ فَاُولٰئِكَ مَعَ
الَّذِينَ اَنْعَمَ اللّٰهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ اُولٰئِكَ رَفِيقًا
ذٰلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللّٰهِ وَكَفٰى بِاللّٰهِ عَلِيمًا ايتان لما جرى ذكر الطاعة فيما تقدم والحض عليها اقتضى
ذكر طاعة الله وطاعة الرسول والوعد عليها وقيل انه وعد بامر مخصوص على الطاعة من مرافقة
النبيين ومن ذكر معهم وهو اعم فائدة ومعنى قوله فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين انه يستمتع
برؤية النبيين وزيارتهم والحضور معهم فلا ينبغى ان يتوهم من اجل انهم فى اعلا عليين انه لا يراهم
وقال الحسن وسعيد بن جبير ومسروق وقتاده والربيع والسدى وعامر ان سبب نزول هذه الاية ان
بعض الناس توهم ذلك فحزن له وسال النبى صلى الله عليه وسلم عن ذلك فانزل الله الاية وقيل فى معنى الصديق قولان
احدهما المداوم على ما يوجبه التصديق بالحق الثانى ان الصديق هو المتصدق بما يخلص له من عمل البر و
الاول اظهر والشهداء جمع شهيد وهو المقتول فى سبيل الله وفى تسميته شهيدا قولان احدهما لانه قام
بشهادة الحق حتى قتل فى سبيل الله والاخر انه من شهداء الاخرة بما ختم له من القتل فى سبيل الله وليست الشهادة
هى القتل لانها معصية ولكنها حال المقتول فى اخلاص القيام بالحق لله مقرا به وداعيا اليه وقيل الشهادة
هى الصبر على ما امر الله به من قتال عدوه والانقياد له فاما الصبر على الالم بترك الانين فليس بممنوع منه بل هو
مباح اذا لم يقل ما يكرهه الله وقال الجبائى الشهداء جمع شهيد وهم الذين جعلهم الله شهداء فى الاخرة فهم
عدول الاخرة وهذا على مذهبه بعيد لان اهل الجنة كلهم عدول عنده لان من ليس بعدل لا يدخل الجنة و
الله تعالى وعد من يطيعه ويطيع رسوله بانه يحشره مع هؤلاء فينبغى ان يكونوا غير الموعودين والا يصير تقديره
انهم مع نفوسهم والصالح من استقامت نفسه بحسن عمله والمصلح المقوم لعمل بحسنه ويقال الله يصلح فى
تدبير عباده بمعنى انه يحسن تدبير عباده ولا يوصف بانه صالح وحسن اولئك رفيقا نصب على التمييز ولذلك
لا يجمع وهو فى موضع رفقاء وقيل انه لم يجمع لان المعنى حسن كل واحد منهم رفيقا كما قال يخرجكم طفلا وقال
الشاعر

نصبن الهوى ثم ارتمين قلوبنا ... باعين اعداء وهن صديق

ومن قال رفيقا نصب على التمييز قال لانه قد يسمع حسن اولئك من رفقاء وكرم زيد من رجل وقال قوم هو
نصب على الحال فانه قد تدخل من فى مثله فاذا سقطت من فالحال هو الاختيار لانه بين اسماء الصفات كاسماء
الاجناس ويكون التوحيد لما دخله من معنى حسن كل واحد منهم مرافقا ونظيره لله دره فارسا اى حال
الفروسية والرفيق مشتق من الرفق فى العمل وهو الارتفاق فيه ومنه الترفق فى السير ونحوه ومنه المرافقة
والمرفق من اليد بكسر الميم لانه يرتفق به ويقال ايضا فى العمل نحو قوله ويهيئ لكم من امركم مرفقا اى رفقا
يصلح به امركم والمرفق بفتح الميم من مرافق الدار والرفقة الجماعة فى السفر لارتفاق بعضهم ببعض وقوله ذلك الفضل
اشارة الى الثواب بالكون مع النبيين والصديقين والتقدير ذلك هو الفضل من الله وهو وان كان مستحقا فلم
يخرج من ان يكون تفضلا لان سببه الذى هو التكليف تفضل والفضل هو الزايد على المقدار الا انه قد كثر
على ما زاد من الانتفاع وكل ما يفعله تعالى فهو فضل وتفضل وافضال لانه زايد على مقدار الاستحقاق الذى يجرى
على طريق المساواة وقوله وكفى بالله عليما انما ذكر ليعلم انه لا يضيع عنده شئ من جزاء الاعمال من حيث كان تعالى
عالما به وبما يستحق عليه وتقديره وكفى بالله عليما بكنه الجزاء على حقه وتوفير الحظ فيه ودخلت الباء فى اسم الله
زائدة للتوكيد والمعنى كفى الله ووجه التاكيد ان اتصال الاسم بالفعل من جهة بنائه عليه وجه من وجوه الاتصال
واتصاله بالباء وجه اخر من وجوه الاتصال فاذا اجتمعا كان اوكد ووجه اخر هو ان معناه اكتفى العباد بالله وفيه
وجه ثالث وهو انه توطية لباب سر بزيد واكرم بزيد من جهة ان موضعه رفع وفيه حرف من حروف الجر والكفاية
مقدار مقاوم للحاجة ولا يخلو المقدار من ان يكون فاضلا او مقصرا او كافيا فهذه الاقسام الثلثة متقابلة
قوله تعالى يَا اَيُّهَا الَّذِينَ اٰمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ اَوِ انْفِرُوا جَمِيعًا اية هذا خطاب للمؤمنين

الذين صدقوا بالله وبرسوله ومعناه ايقنوا بالله ورسوله امرهم الله ان ياخذوا حذرهم وقيل في معناه قولان احدهما قال ابو جعفر وغيره خذوا اسلحتكم فسمى السلاح حذرا لان به يتقي الحذر الثاني احذروا عدوكم باخذ السلاح كما يقال للانسان خذ حذرك بمعنى احذر والحذر والحذر لغتان مثل الاذن والاذن والمثل والمثل ثم امرهم بان ينفروا والنفور الفزع نفر ينفر نفورا اذا فزع ونفر اليه اذا فزع من امر اليه والمعنى انفروا الى قتال عدوكم ومنه النفر جماعة يفزع الى مثلها والنفير الى قتال العدو ونفر الحاج يوم الثاني والثالث من التشريق لانهم يفزعون الى الاجتماع للرجوع الى الاوطان والمنافرة المحاكمة للفزع اليها فيما يختلف فيه وقيل انما كانت لانهم يسئلون الحاكم ايّنا اعزّ نفرا ونفرة تنفيرا ونافره منافرة وتنافروا تنافرا واستنفره استنفارا وقوله ثبات قال ابن عباس ومجاهد والضحاك وقتادة والسدي ان معناه انفروا فرقة بعد فرقة وفرقة في جهة وفرقة في جهة او انفروا جميعا اي من غير تفرق بالاوقات والجهات والثبات جمع ثبة وهي جماعة في تفرقة اي ياتون متفرقين وقال ابو جعفر الثبات السرايا والجميع العسكر قال ابو ذويب

فلمّا اجتلاها بالايام تحيزت ثبات عليها ذلها واكتيابها

يصف العاسل وتدخينه على النحل والإيام بكسر الهمزة على وزن لجام الدخان وجمع ثبة على ثبين ايضا قال زهير

وقد اغدوا على ثبة كرام نشاوى واجدين لما نشاء

وانما جاز ان يجمع ثبة ثبون وان كان هذا الجمع يختص ما يعقل للعوض من النقص الذي لحقه لان اصله ثبين ومثله عضين وسنين وعزين فان صغرت قلت ثبيات وسنيات لان النقص قد زال وقيل ان الثبة عصبة منفردة من عصب ويقول ثبيت على الرجل اثني تثبية اذا اثنيت عليه وذكرت محاسنه في حال حياته وتصغير ثبة ثبية فاما ثبة الحوض فهي وسطه الذي يثوب اليه الماء وهي من ثاب يثوب لان تصغيرها ثويبة

قوله تعالى ﴿وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا﴾ اية قال الحسن ومجاهد وقتادة وابن جريج وابن زيد نزلت هذه الاية في المنافقين الذين كانوا يثبطون الناس عن الجهاد فاذا اصابتهم مصيبة فيه من قتل او هزيمة قالوا قول الشامت بهم في تلك الحال قد انعم الله علينا اذ لم نكن معهم شهيدا اي حضورا وقال ابو جعفر من يتمنى التاخر عن جماعة المسلمين لا يكونوا الا كفارا فقوله وان منكم لمن ليبطئن خطاب للمؤمنين وانما اضاف المنافقين اليهم لامرين احدهما ان من عداد كم وفي دخلا ئكم الثاني اي منكم في الحال الظاهرة او حكم الشريعة من حقن الدم ونحو ذلك من الموارثة والمناكحة واللام الاولى لام الابتداء بدلالة دخولها على الاسم والثانية لام القسم بدلالة دخولها على الفعل مع نون التاكيد وتقديره ان منكم لمن حلف بالله ليبطئن وانما جاز صلة من باء القسم ولم يجز بالامر والنهي لان القسم خبر يوضح الموصول كما يوضح الموصوف في قولك مررت برجل لنكرمنه لانه خصصه بوقوع الاكرام به في المستقبل من كل رجل غيره وليس كذلك الامر في قولك مررت برجل اضربه لانه لا يتخصص بالضرب في الامر كما تخصص في الخبر قال الفراء يدخل اللام في النكرات وفي من وما والذي فاذا جئت بالمعرفة الموقتة لم يجز ادخال اللام فيها لا تقول ان عبد الله ليقومن وان زيدا ليذهبن لان زيدا وعبد الله لا يحتاجان الى صلة والابطاء اطالة مدة العمل لقلة الانبعاث وضده الاسراع وهو قصر مدة العمل للتبريز فيه والاناة اطالة الاحكام الذي لا سبيل اليه الا بالتثبت فيه وضدها العجلة وقصر المدة من غير احكام الصنعة يقول بطؤ في مشيته يبطؤ بطاء اذا ثقل وتباطأ تباطيا وبطأه تبطيا واستبطأ استبطاء وابطأ ابطاء اذا تاخر

قوله تعالى ﴿وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُن بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَا لَيْتَنِي كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ اية بلا خلاف المعنى بهذه الاية المنافقون الذين وصفهم الله بانهم يفرحون بتاخرهم عن المؤمنين اذا اصيبوا او هزموا فاخبر عنهم انه اذا اصاب المؤمنين فضل من الله ان يظفروا او يهزموا العدو وانهم يتمنون الكون معهم فيفوزوا فوزا عظيما وانما ذمهم الله بهذا التمني لاحد امرين احدهما لانهم قالوه على وجه ايثار الغنيمة على حال المؤثر من جهة الله لشكهم في الجزاء من الله الثاني قال قتادة

وابن جريج انهم قالوا ذلك على جهة الحسد للمؤمنين والاصابة ملابسة المرمي لما وقع به الرمية فاذا قيل اصاب مطلقا فمعناه اصاب الغرض ويجوز ان يتمنى فقال لم يصب يعني الغرض وان اصاب غيره وقوله كان لم يكن بينكم وبينه مودة قيل فيه ثلثة اقوال احدها انه اعتراض بين القول والتمني ولا يكون له موضع من الاعراب وتقديره ليقولن يا ليتني كنت معهم فافوز فوزا عظيما كان لم يكن بينكم وبينه مودة الثاني ان يكون اعتراضا وموضعه التقديم وتقديره فان اصابتكم مصيبة قال قد انعم الله علي اذ لم اكن معهم شهيدا كان لم يكن بينكم وبينه مودة واختار هذا الوجه ابو علي النحوي الثالث ان يكون في موضع على موضع الحال كما تقول مررت بزيد كان لم يكن بينك وبينه معرفة فضلا عن مودة والزجاج اجاز الوجه الثلثة وفي معنى الاية قولان قال الجبائي المعنى ليقولن لهؤلاء الذين اقعدهم عن الجهاد كان لم يكن بينكم وبينه اي وبين محمد صلى الله عليه وآله مودة فيخرجكم لتاخذوا من الغنيمة ليبغضوا اليهم رسول الله صلى الله عليه وآله الثاني انه يقول قول الممنوع بالعداوة وانما اتى من جهله بتلك الحال وهو الاظهر والمعنى كانه لم يعاقدكم على الايمان ولم يظهر لكم مودة على حال تخاطبون بذلك من اقعدوه عن الخروج ثم يقول من قبل نفسه يا ليتني كنت معهم وقال الحسين بن علي المغربي المعنى ليس يتمنون الكون معكم في الخير والشر كاهل المودة وانما يتمنون ذلك عند الغنيمة كالبعداء يذمهم بسوء العهد مع سوء الدين وانما نصب جواب التمني بالفاء لانه مصروف عن العطف محمول على تاويل المصدر وتقديره يا ليتني كان لي حضور معهم ففوز ولو كان على العطف لكان يا ليتني كنت معهم ففزت وقرأ ابو جعفر وحفص ورويس والبرجمي كان لم تكن بالتاء لان لفظ المودة مؤنثة ومن قرأ بالياء فلان التانيث ليس بحقيقي ومع ذلك قد وقع فصل بين الفعل والفاعل

قوله تعالى ﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ اية لما اخبر الله تعالى في الاية الاولى ان قوما من المنافقين يثبطون المؤمنين عن جهاد العدو والقتال في سبيل الله حث في هذه الاية على الجهاد بان قال لا تلتفتوا الى تثبيط المنافقين وقاتلوا في سبيل الله بايعين للدنيا بالاخرة اذ لكم بذلك عظم الاجر واكبر الحظ وقال الزجاج فليكن من الذين يقاتلون في سبيل الله او ممن كان بينه وبينكم عقد مودة ومعنى يشرون الحيوة الدنيا بالاخرة يبيعون الحيوة الدنيا بالاخرة وبيعهم اياها بالاخرة هو استبدالهم اياها بالاخرة ببذلهم انفسهم واموالهم في سبيل الله وبتوطينهم انفسهم على الجهاد في طاعة الله يقال شريت بمعنى بعت واشتريت ابتعت ويشرون يبيعون في قول الحسن والسدي وابن زيد وجميع اهل اللغة قال يزيد بن مفرغ وشريت بردا ليتني من بعد برد كنت هامة وبرد اسم غلام وشريت بمعنى بعته وفي الاية حذف والتقدير يشرون الحيوة الدنيا بالحيوة الاخرة كانه قال يبيعون الحيوة الفانية بالحيوة الباقية ويجوز يبيعون الحيوة الدنيا بنعيم الاخرة ثم قال ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل او يغلب فالوعد على القتال لا على القتل والغلبة وقوله فيقتل عطف على يقاتل ولذلك جزمه والجواب قوله فسوف نؤتيه وانما قال او يغلب لان الوعد على القتال حتى ينتهي الى تلك الحال لانه اعظم الجهاد وعليه اعظم الاجر والاجر العظيم هو اعلى اثمان العمل وذلك ان ثمن العمل على ثلثة اوجه ثمن اعلى وثمن ادنى وثمن اوسط بينهما فالله تعالى يثيب من عليه بالثمن الاعظم الاعلى فلذلك حسن وصف الاجر بالعظم من غير تفصيل لانه كان لا ثمن اعظم مما يثيب الله عليه في ذلك العمل

قوله تعالى ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا﴾ اية معنى قوله وما لكم اي شئ لكم ولا تقاتلون في موضع الحال كانه قال اي شئ لكم تاركين اي في حال ترك القتال مع هذه الامور التي تقتضي الحرص على الجهاد اي لا عذر لكم الا تقاتلوا في سبيل الله ومثله قوله فما لهم عن التذكرة معرضين وقوله والمستضعفين خفض بالعطف على ما عملت فيه في وتقديره وفي المستضعفين

وقيل في معناه قولان احدهما وعن المستضعفين فوقع في موقع عن فاذا ذكرت عن فلم في الاذى عنهم اذ
كانت لما عدا الشئ واذا ذكرت في فلان القتال مضمن لهم لخلاصهم اذ كانت في للوعاء الثاني ان يكون
على محذوف وتقديره وفي اعزاز المستضعفين وقد قال المبرد هو عطف على اسم الله بتقدير وبسبيل المستضعفين
من الرجال والنساء والولدان جمع ولد على مثال خرب وخربان وبرق وبرقان وورل وورلان مثل ولد
وولدان وهو من ابنية الكثير والاغلب على بابه فعال نحو جبال وجمال وقوله الذين يقولون ربنا اخرجنا من هذه القرية
الظالم اهلها قال ابن عباس والحسن وابن ابي نجيح والسدي ومجاهد وابن زيد انها مكة لان اهل مكة كانوا قد اجتهدوا
ان يفتنوا قوما من المؤمنين عن دينهم والاذى لهم وكانوا مستضعفين في ايديهم وقال تعالى مالكم لا تسعون في خلاصهم
وهم يسمون كل مدينة قرية وانما جاز ان يجرى صفة ظالم على الاول وهو في المعنى للثاني لانها قوية في العمل لقربها
من الفعل متمكنة من الوصف بانها يصرف تصرفه في التانيث والتذكير والتثنية والجمع خلاف باب افعل منك
فلذلك جاز مررت برجل ظالم ابوه ولم يجز مررت برجل خير منه ابوه والولي القيم بالامر حتى يستنقذهم من ايدي اعدائهم
لانه يتولى الامر بنفسه ولا يكله الى غيره وحكى ابو علي ان منهم سلمة بن هشام والوليد بن الوليد وعياش بن ابي
ربيعة وابو جندل بن سهيل وانما قال الظالم اهلها وان كان فيهم الولدان لا ينطقون تغليبا للاكثر كقولك قال اهل
البصرة وان كان قولا لبعضهم قوله تعالى الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل
الطاغوت فقاتلوا اولياء الشيطان ان كيد الشيطان كان ضعيفا اية بلا خلاف اخبر الله تعالى في هذه الآية
ان الذين صدقوا بالله ورسوله يقاتلون في سبيل الله وفي معنى سبيل الله قولان احدهما طاعة الله لانها تؤدي
الى ثواب الله في جنته التي اعدها لاوليائه الثاني قال ابو علي انه دين الله الذي شرعه النبي يؤدي الى ثوابه ورحمته
وتقديره في نصرة دين الله ثم قال والذين كفروا يعني الذين جحدوا آيات الله الدالة على توحيده ونبوة نبيه
يقاتلون في سبيل الطاغوت وقد فسرنا فيما مضى فقال قوم هو الشيطان وقال اخرون هم ما عبد من دون الله
والاول قول الحسن والشعبي والثاني حكاه الزجاج وقال ابو العالية هو الكاهن وهو يؤنث ويذكر قال الله تعالى يريدون
ان يتحاكموا الى الطاغوت وقد امروا ان يكفروا به فذكره وقال والذين اجتنبوا الطاغوت ان يعبدوها فانث قال ابو
عبيدة هو ههنا في موضع جماعة كما قال حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير والمراد به الجنس وقوله فقاتلوا اولياء
الشيطان يقوي قول من قال المراد بالطاغوت الشيطان وقوله كان ضعيفا انما دخلت ههنا مؤكدة لتدل على ان الضعف
لكيد الشيطان لازم في جميع الاوقات فيما مضى والحال والمستقبل وليس هو عارضا في حال دون حال والكيد السعي في فساد
الحال على وجه الاحتيال يقول كاده يكيده كيدا فهو كائد له اذا عمل في ايقاع الضرر به على وجه الحيلة عليه وانما وصف
تعالى كيد الشيطان بالضعف لامرين احدهما لضعف نصرته لاوليائه بالاضافة الى نصرة الله المؤمنين ذكره الجبائي و
قال الحسن اخبرهم انهم سيظهرون عليهم فلذلك كان ضعيفا الثاني لضعف دواعي اوليائه الى القتال بانها من جهة
الباطل اذ لا بصيرة لهم وانما يقاتلون بما يدعوا اليه الشبهة والمؤمنون يقاتلون بما تدعوا اليه الحجة قوله تعالى
الم تر الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة فلما كتب عليهم القتال اذا
فريق منهم يخشون الناس كخشية الله او اشد خشية وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا اخرتنا
الى اجل قريب قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولا يظلمون فتيلا اية بلا خلاف قرا ابن كثير و
حمزة والكسائي وخلف والحلواني عن هشام ولا تظلمون بالتاء الباقون بالياء فمن قرا بالياء حمل الكلام على لفظ
الغيبة ومن قرا بالتاء فعلى المواجهة وقيل في سبب نزول هذه الاية قولان احدهما قال ابن عباس والحسن وعكرمة
وقتادة والسدي انها نزلت في ناس من الصحابة استاذنوا النبي ص قال ابن عباس منهم عبد الرحمن بن عوف وهم بمكة
في قتال المشركين فلم ياذن لهم فلما كتب عليهم القتال وهم بالمدينة قال فريق منهم ما حكاه الله في الاية فان قيل كيف
يجوز ذلك والله تعالى يقول كفوا ايديكم واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة فامرهم باقامة الصلوة وايتاء الزكوة ولم
تكن الزكوة فرضت بمكة قيل قد قال البلخي في ذلك انه يجوز ان يكون قوم من المنافقين عرضوا على رسول الله ص
ذلك والاقوى عندي ان يكون الله قال ذلك على وجه الندب والاستحباب دون الزكوة المقدرة على وجه مخصوص

الثاني قال مجاهد نزلت في اليهود وهي الله هذه الامة ان يصنعوا مثل صنيعهم قوله الم تر معناه الم ينته علمك
الى هؤلاء تعجبا منهم لذلك لو قال الم تر هؤلاء او الم تعلم هؤلاء لم يظهر فيه معنى التعجب منهم كما يظهر بالى لانها
تؤذن بحال بعيدة قد لا ينتهي اليها لبعدها لما فيها من العجب الذي يقع بها الذين قيل لهم كفوا ايديكم يعني حين
طلبوا القتال وقيل لهم اقتصروا على اقامة الصلوة وايتاء الزكوة فلما كتب عليهم القتال يعني الجهاد اذا فريق
منهم يعني جماعة يخشون الناس كخشية الله قال الحسن هو من صفة المؤمنين لما طبعوا عليه من البشرية والخوف
لا على وجه كراهة المخالفة وقال ابو علي هو من صفة المنافقين لانهم كانوا كذلك حرصا منهم على الدنيا والبقاء
فيها والاستكثار منها وقال يخشون القتل من قبل المشركين كما يخشون الموت من قبل الله وقوله او اشد
خشية ليس معنى او ههنا الشك لان ذلك لا يجوز عليه تعالى وقيل في معناها قولان احدهما انها دخلت للابهام
على المخاطب والمعنى انهم على احدى الصفتين وهذا اصل او وهو معنى واحد على الابهام الثاني على طريق
الاباحة نحو قولك جالس الحسن او ابن سيرين ومعناه ان قلت يخشون الناس كخشية الله فانت مصيب وان قلت
تخشونهم اشد من ذلك فانت مصيب لانه قد حصل لهم مثل تلك الخشية وزيادة وقولهم لم كتبت علينا القتال
معناه لم الزمتنا واوجبت علينا لولا اخرتنا معناه هلا اخرتنا الى اجل قريب وهو الى ان نموت باجالنا
فاعلمهم الله تعالى ان متاع الدنيا قليل وان الاخرة خير لاهل التقى واعلمهم ان اجالهم لا تخطيهم ولا
يظلمون فتيلا اي لا يبخسون هذا القدر وكيف ما زاد عليه والفتيل ما تفتله بيدك من الوسخ ثم تلقيه في
قول ابن عباس وقيل هو ما في شق النواة لانه كالخيط المفتول في شق النواة قوله تعالى اينما تكونوا يدرككم
الموت ولو كنتم في بروج مشيدة وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وان تصبهم سيئة
يقولوا هذه من عندك قل كل من عند الله فمال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا اية
بلا خلاف اعلمهم الله تعالى في هذه الاية ان الاجال لا تخطيهم ولا تنفعهم الخشية من القتل ولو كانوا في بروج
مشيدة وايما كانوا من المواضع ادركهم الموت بمعنى اصابهم واينما كتبت موصولة وفي قوله ان ما كنتم
توعدون مفصولة لان الاولى زائدة والثاني بمعنى الذي ففصلت هذه كما تفصل الاسماء ووصلت تلك
كما توصل الحروف وقيل في معنى البروج ثلثة اقوال احدها قال مجاهد وابن جريج هي القصور الثاني قال
السدي والربيع هي قصور في السماء باعيانها وقال الجبائي هي البيوت التي تكون فوق الحصون واصل البروج
الظهور يقال تبرجت المراة اذا اظهرت محاسنها والبرج في العين اتساعها لظهورها بالاتساع والمشيدة
المزينة بالجص وهو الشيد قال الجبائي معناه المجصصة وقال الزجاج وغيره معناه المطولة في ارتفاع وقال
قوم المشدد والمخفف سواء الا من جهة تكثير الفعل وقال اخرون المشيدة بالتشديد المطولة والمشيدة بالتخفيف
المطلية بالجص والنورة والشيد رفع البناء يقول شاد بناءه يشيده شيدا اذا رفعه والشيد الجص لانه مما يرفع
به البناء ويجوز اشاد الرجل بناءه فاما في الذكر فيقول اشاد بذكره لا غير اذا رفع منه وقوله وان تصبهم حسنة
يقولوا هذه من عند الله وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك حكاية عن المنافقين وصفة لهم في قول
الحسن وابي علي وابي القاسم وقال الزجاج قيل هو في صفة اليهود وغيرهم قال الفراء وذلك ان اليهود لما
قدم النبي ص المدينة فكان اذا زكت ثمارهم واخصبوا قالوا هذا من عند الله فاذا اجدبوا وخاست ثمارهم
قالوا هذا لشؤم محمد ص وفي معنى الحسنة والسيئة ههنا قولان قال ابن عباس وقتادة وابو العالية هو
السراء والضراء والبؤس والرخاء والنعمة والمصيبة والخصب والجدب وقال الحسن وابن زيد هو النصر
والهزيمة وقوله من عندك قيل في معناه قولان قال ابن زيد معناه بسوء تدبيرك والثاني قال الجبائي و
البلخي والزجاج اي بشؤمك الذي لحقنا بك كما حكى عن قوم موسى وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه
فامر الله تعالى نبيه ان يقول ان جميع ذلك من عند الله ثم قال فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا قال
الفراء مال كثرت في الكلام حتى توهموا ان اللام متصلة بما وانها حرف واحد ففصلوا اللام مما خفضت في بعض
المواضع ووصلوها في بعض المواضع والاتصال الوجه والوقف على اللام لا يجوز لانها لام الخفض والمعنى

اى شئ لهؤلاء القوم لا يفقهون حديثا اى لا يفهمون معناه يقول فقه الرجل يفقه فقها والاسم الفقه و
صار بعرف الاستعمال علما على علم الفقهاء من علوم الدين وفقه الرجل يفقه فقها اذا صار فقيها وافقهته
افهمته والتفقه تعلم الفقه وتفاقه اذا تعاطى ليرى انه فقيه وليس كذلك ومثله تعالم وقيل معنى الحديث
هو القرآن لانهم يبعدون منه باعراضهم عنه وكفرهم به ولا يفهمون ان ما ذكرناه من السراء او الضراء
والشدة والرخاء على ما وصفناه قوله تعالى ما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة فمن
نفسك وارسلناك للناس رسولا وكفى بالله شهيدا اية بلا خلاف قال الزجاج هذا خطاب للنبى
صلى الله عليه وآله والمراد به الامة كما قال يا ايها النبى اذا طلقتم النساء فان المراد به الامة وقال قوم
المخاطب به الانسان كانه قال لما اصابك ايها الانسان فى قول قتادة والجبائى وقيل فى معنى الحسنة والسيئة
ههنا قولان احدهما قال ابن عباس والحسن الحسنة ما اصابه يوم بدر من الظفر والغنيمة والسيئة ما اصابه
يوم احد من كسر رباعيته ص والهزيمة وقال الجبائى معناهما النعمة والمصيبة ويدخل فى النعمة نعمة الدنيا
والدين وفى المصيبة مصائب الدنيا والدين الا ان احدهما فى عمل العبد للطاعة وما جر اليه ذلك العمل
والاخر من عمل العبد للمعصية وما جر اليه عمله لها وهذا يوافق الاول الذى حكيناه عمن تقدم والثانى ان
الحسنة والسيئة الطاعة والمعصية ذكره ابو العالية وابو القاسم ويكون المعنى ان الحسنة التى هى الطاعة
باقدار الله وترغيبه فيها ولطفه لها والسيئة بخلافه على وجه العقوبة له على المعاصى المتقدمة وسماه
سيئة كما قال وجزاء سيئة سيئة مثلها والتقدير ما اصابك من ثواب حسنة فمن الله لانه الذى عرضك للثواب
واعانك عليها وما اصابك من عقاب سيئة فمن نفسك لانه تعالى نهاك عنها وزجرك عن فعلها فلما ارتكبتها
كنت الجانى على نفسك وانما احتاج الى التقدير لان ما اصابك ليس هو ما اصبته ويجوز ان يكون المراد بالسيئة
ما يصيبهم فى دار الدنيا من المصائب لانه يجوز ان يكون ذلك عقابا او بعض ما يستحقونه وقوله فمن نفسك
معناه فبذنبك فى قول الحسن وقتادة والسدى وابن جريج والضحاك قال البلخى مصيبة هى كفارة
ذنب صغير او عقوبة ذنب كبير ويحتمل ان يكون المراد او تاديب وقع لاجل تفريط فان قيل
كيف عاب قول المنافقين فى الاية الاولى لما قالوا اذا اصابتهم حسنة انها من عند الله و
اذا اصابتهم سيئة قالوا هذه من عندك وقد اثبت مثله فى هذه الاية قلنا عنه جوابان احدهما
ان ذلك على وجه الحكاية والتقدير يقولون ما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة
فمن نفسك ويكون يقولون محذوفا لدلالة سياق الكلام عليه الثانى ان معناهما مختلف لان الاولى
عند اكثر اهل العلم ان المراد به النعمة والمصيبة من الله تعالى وفى الاية الثانية المراد به الطاعة
والمعصية فلما اختلف معناهما لم يتناقضا ويكون وجه ذكر هذه الاية عقيب الاولى الا يظن
ظان ان الطاعات والمعاصى من فعل الله لما قال فى الاية الاولى قل كل من عند الله وفى الاية
دلالة على فساد مذهب المجبرة لانه تعالى قال فمن نفسك فاضاف المعصية الى العبد ونفاها عن نفسه
تعالى ولو كانت من خلقه لكانت منه على كل الوجوه ولا ينافى ذلك قوله فى الاية الاولى كل من
عند الله لانا بينا وجه التاويل فيه قال الرمانى وفى الاية دلالة على انه تعالى لا يفعل الالم الا على
وجه اللطف او العقاب دون العوض فقط لان المصائب اذا كانت كلها من قبل ذنب العبد فهى اما
عقوبة واما من قبل تاديب المصلحة وقوله وارسلناك للناس رسولا معناه من الحسنة ارسالك يا محمد
صلى الله عليه وآله ومن السيئة خلافك يا محمد وكفى بالله شهيدا لك وعليك والمعنى وكفى
الله وقوله ما اصابك من حسنة معنى من هنا للتبيين ولو قال ان اصابك من حسنة كانت
زائدة لا معنى لها ورسولا نصب بارسلناك وانما ذكره تاكيدا لان ارسلناك دل
دل على انه رسول وشهيدا نصب على التمييز لانك اذا قلت كفى الله ولم تبين فى اى
شئ الكفاية كنت مبهما وقوله وما اصابك من سيئة فمن نفسك دخلت الفاء فى الجواب

لان

لان معنى من وادخل من على السيئة لان ما نفى ومن يحسن ان زاد فى النفى مثل ما جاءنى من احد قوله تعالى من يطع الرسول فقد
اطاع الله ومن تولى فما ارسلناك عليهم حفيظا اية بين الله تعالى بهذه الاية ان طاعة الرسول طاعة الله وانما كان كذلك لان
طاعة الرسول بامر الله فهى طاعة لله على الحقيقة وبارادته وان كانت ايضا طاعة للنبى من حيث وافقت ارادته المستدعية للفعل فاما الامر
الواحد فلا يكون من آمرين كما لا يكون فعل واحد من فاعلين وقوله ومن تولى اى اعرض ولم يطع فما ارسلناك عليهم حفيظا وقيل فى
معناه ثلثة اقوال احدها قال ابن زيد حافظا لهم من التولى حتى يسلموا والثانى حافظا لاعمالهم التى يقع الجزاء عليها لان الله تعالى
هو المجازى عليها الثالث قال ابو على حافظا لهم من المعاصى حتى لا يقع قال ابن زيد هذا اول ما بعث كما قيل ان عليك الا البلاغ ثم امر فيما بعد بالجهاد
ووجه جواب الجزاء فى قوله فما ارسلناك عليهم حفيظا من المعاصى حتى لا يقع فى قول ابى على وعلى القول الآخر لانك لم ترسل عليهم حفيظا
لاعمالهم التى يقع الجزاء عليها فتخاف ان لا تقوم بها وفى الاية دلالة ان الرسول لا يامر بالخطا لان الله تعالى جعل طاعته طاعة نفسه والله
لا يامر بالخطاء بلا خلاف ووجه اتصال هذه الاية بما قبلها انه لما ذكر الحسنة التى هى نعمة من الله بين ان منها ارسال نبى الله ثم بين ان
منها طاعة الرسول التى هى طاعة الله فهو فى ذكر نعم الله مجملة ومفصلة وفيها تسلية للنبى ص فى تولى الناس عنه وعن الحق الذى جاء به
مع تضمنها تعظيم شانه بكون طاعته طاعة الله قوله تعالى ويقولون طاعة فاذا برزوا من عندك بيت طائفة منهم غير الذى تقول
والله يكتب ما يبيتون فاعرض عنهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا اية بلا خلاف قرا ابو عمرو بادغام التاء فى الطاء وبه قرا
حمزة والباقون بالاظهار وبفتح التاء وفرق الكسائى بين بيت طائفة فاظهر فى فعل وادغم فى الاسم اذا قال تبييت طائفة قال المبرد
والزجاج لا وجه لذلك بل هما سواء وانما حسن ادغام التاء فى الطاء لقرب مخرجيهما ولم يجز ادغام الطاء فى التاء لما فيها من الاطباق
وكذلك يجوز ادغام الباء فى الميم فى يكتب ما يبيتون ولا يجوز ادغام الميم فى الباء نحو لا اقسم بهذا البلد لانه يخل باذهاب
الغنة فى ذلك ولا يخل بها فى الاول ويحتمل رفع طاعة وجهين احدهما امرنا طاعة والثانى منا طاعة قال الزجاج الاول احسن
لانه اجمع ويجوز طاعة نصبا على معنى نطيع طاعة ولم يقرا به ومن القائلون لهذا القول قيل فيه قولان قال الحسن والسدى
والضحاك هم المنافقون الثانى انهم الذين حكى عنهم انهم يخشون الناس كخشية الله او اشد خشية وقوله فاذا برزوا من عندك
يعنى خرجوا من عندك بيت طائفة منهم يعنى دبر جماعة منهم ليلا قال المبرد التبييت كل شئ دبر ليلا وقال الجبائى معناه دبروه
فى بيوتهم وهذا بعيد لا وجه له فى اللغة قال الرمانى وفيه معنى الاخفاء فى النفس وكذلك لا يوصف تعالى به قال عبيدة بن
همام اتونى فلم ارض ما بيتوا وكانوا اتونى لامر نكر لانكح ايمهم منذرا وهل ينكح العبد حر لحر ومعنى بيت طائفة منهم
غير الذى يقول على وجه التكذيب فى قوله والله يكتب ما يبيتون فيه قولان الاول نكتبه فى اللوح المحفوظ ليجازوا به الثانى
قال الزجاج يكتب بان ينزله اليك فى الكتاب ثم امر الله نبيه بالاعراض عنهم والا يسميهم باعيانهم ابقاء عليهم وستر
امورهم الى ان يستقر امر الاسلام وامره بان يتوكل عليه وكفى بالله وكيلا يعنى حفيظا لما يجب تفويضه اليه من التدبير
واصل الوكيل القائم بما فوض اليه فى التدبير ومعنى بيت اضمر واصله احكام الامر ليلا من البيات قوله تعالى افلا يتدبرون
القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا اية هذه الاية تدل على اربعة اشياء احدها على بطلان
التقليد وصحة الاستدلال فى اصول الدين لانه حث ودعا الى التدبر وذلك لا يكون الا بالفكر والنظر والثانى يدل على
فساد مذهب من زعم ان القرآن لا يفهم معناه الا بتفسير الرسول له من الحشوية والمجبرة لانه تعالى حث على تدبره ليعلموا
به الثالث يدل على انه لو كان من عند غير الله لكان على قياس كلام العباد من وجود الاختلاف فيه الرابع يدل على ان
المتناقض من الكلام ليس من فعل الله لانه لو كان من فعله لكان من عنده لا من عند غيره والتدبر هو النظر فى عواقب الامور و
اصله الدبر والتدابر التقاطع لان كل واحد يولى الاخر دبره بعداوته له ودبر القوم يدبرون دبارا اذا هلكوا لانهم يذهبون
فى جهة الادبار عن الغرض وادبر القوم اذا ولى امرهم عن الرشد والدبر النحل والدبر المال الكثير والتدبير اصلاح الامر لعاقبته
وفى الحديث لا تدابروا اى لا تكونوا اعداء والفرق بين التدبر والتفكر ان التدبر تصرف القلب بالنظر فى العواقب والتفكر
تصرف القلب بالنظر فى الدلائل والاختلاف هو امتناع احد الشيئين ان يسد مسد الاخر فيما يرجع الى ذاته كالسواد الذى لا يسد مسد
البياض وكذلك الذهاب فى الجهات المختلفة جهة الخلف والقدام واليمين والشمال وقيل فى معنى الاختلاف ههنا ثلثة اقوال قال
ابو على من جهة بليغ ومرذول وقال الزجاج الاختلاف فى الاخبار بما يسرون الثالث قال قتادة وابن زيد اختلاف تناقض من جهة
حق وباطل والاختلاف على ثلثة اضرب اختلاف تناقض واختلاف تفاوت واختلاف تلاوة وليس فى القرآن اختلاف تناقض
ولا اختلاف تفاوت لان اختلاف التفاوت هو فى الحسن والقبح والخطاء والصواب ونحو ذلك مما يدعو اليه الحكمة او يصرف

عنه

عنه واما اختلاف التلاوة فهو ما تلاءم في الحسن فكله صواب وكله حق وهو كاختلاف وجوه القراءات واختلاف مقادير الآيات والسور واختلاف الاحكام في الناسخ والمنسوخ ومن اختلاف التناقض ما يدعوا فيه احد الشيئين الى فساد الآخر وكلاهما باطل نحو مقدارين وصف احدهما بانه اكبر من الآخر ووصف الآخر بانه اصغر منه وكلاهما باطل اذ هو مساو له ومن الناس من قال انتفاء التناقض عن القرآن انما يعلم انه دلالة على انه من فعل الله لما اخبرنا الله تعالى بذلك ولولا انه تعالى اخبر بذلك كان لقائل ان يقول انه يمكن ان يتحفظ متحفظ في كلامه ويهذبه تهذيبا لا يوجد فيه شيء من التناقض وعلى هذا لا يمكن ان يجعل ذلك جهة اعجاز القرآن قبل ان يعلم صحة السمع وصدق النبي ص قوله تعالى «اذا جاءهم امر من الامن او الخوف اذاعوا به ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان الا قليلا» آية اخبر الله تعالى عن المنافقين الذين تقدم وصفهم بانهم اذا جاءهم امر من الامن والخوف وهو ما كان يرجف به من الاخبار في المدينة اما من قبل عدو يقصدهم او بظهور المؤمنين على عدوهم وهلاك بعض اعدائه وهو الامن والاول الخوف اذاعوا به وتحدثوا من غير ان يعلموا صحته فكره تعالى ذلك لان من فعل هذا لا يخلو كلامه من الكذب ولما يدخل على المؤمنين به من الخوف ومعنى اذاعوا به اعلنوه وافشوه في قول ابن عباس والحسن وقتادة وابن جريج واصله اشاعة الخبر في الجماعة يقال اذاعه اذاعة واذاعوا به قال الشاعر

اذاع به في الناس حتى كأنه ... بعلياء نار اوقدت بثقوب

واصل الاذاعة التفريق قال تبع لما ورد المدينة

ولقد شربت على براجم شربة ... كادت بباقية الحياة تذيع

اي تفرق وبراجم ماء بالمدينة كان يشرب منه فتشبث بحلقه علقة وذاع الخبر ذيعا وذيوعا ورجل مذياع لا يستطيع كتمان خبر واذاع الناس بما في الحوض اذا شربوه وكذلك اذاعوا بالمتاع اذا ذهبوا به واذاعت السراط هاده والاذاعة والاشاعة والافشاء والاعلان والاظهار نظاير وضده الكتمان والاسرار والاخفاء ثم قال «ولو ردوه الى الرسول» يعني لو ردوه الى سنته والى اولي الامر منهم قال ابو جعفر هم ائمة المعصومين وقال ابن زيد والسدي وابو علي هم امراء السرايا والولاة وكانوا يسمعون باخبار السرايا ما لا يتحققونه فيشيعونه ولا يسألون اولي الامر وقال الحسن وقتادة وابن جريج وابن نجيح والزجاج هم اهل العلم والفقه الملازمين للنبي ص لانهم لو سألوهم عن حقيقته فارجعوا به لعلموا به قال الجبائي هذا لا يجوز لان اولي الامر من له الامر على الناس بولاية والاول اقوى لانه تعالى بين انهم لو ردوه الى اولي العلم علموه والرد الى من ليس بمعصوم لا يوجب العلم لجواز الخطاء عليه بلا خلاف سواء كانوا امراء السرايا او العلماء وقوله «يستنبطونه» قال ابن عباس وابو العالية معناه يتجسسونه وقال الزجاج يستخرجونه والاستنباط والاستخراج والاستدلال والاستعلام نظاير واصل الاستنباط الاستخراج يقال لكل ما استخرج حتى يقع عليه رؤية العيون او معرفة القلب قد استنبط والنبط الماء الذي يخرج من البئر اول ما تحفر وانبط فلان اي استنبط الماء من طين حر ومنه اشتقاق النبط لاستنباطهم العيون والضمير في قوله منهم يحتمل ان يعود الى احد امرين احدهما وهو الاظهر انه عايد الى اولي الامر والآخر الى الفرقة المذكورة من المنافقين او الضعفة وقوله «ولولا فضل الله عليكم ورحمته» معناه لولا اتصال مواد الالطاف من جهة الله لاتبعتم الشيطان الا قليلا وقيل فيما وقع الاستثناء منه اربعة اقوال احدها لاتبعتم الشيطان الا قليلا منكم فانه لم يكن يتبع الشيطان ويكون الفضل ههنا بالنبي ص والقرآن في قول الضحاك وهو اختيار الجبائي الثاني لاتبعتم الشيطان الا قليلا من الاتباع ويكون الفضل على جملة اللطف لان ذلك لم يكن يزكو ابدا احد منهم الثالث قال الحسن وقتادة وذكره الفراء لعلمه الذين يستنبطونه منهم الا قليلا الواقع قال ابن عباس وابن زيد اذاعوا به الا قليلا قال المبرد لان العلم بالاستنباط في الناس اقل وليس كذلك الاذاعة وغلط الزجاج النحويين في ذلك وقال كل هذه الاقوال جائزة وقال قوم حكاه الطبري ان مخرجه الاستثناء وهو دليل الجمع والاحاطة والمعنى انه لولا فضل الله لم ينج احد من الضلالة فجعل قوله الا قليلا دليلا على الاحاطة كما قال الطرماح يمدح يزيد بن المهلب

قليل المثالب والقادحة

والمعنى انه لا مثالب قوله تعالى «فقاتل في سبيل الله لا تكلف الا نفسك وحرض المؤمنين عسى الله ان يكف بأس الذين كفروا والله اشد بأسا واشد تنكيلا» آية بلا خلاف هذا خطاب للنبي ص خاصة امره الله ان يقاتل في سبيل الله وحده بنفسه وقوله «لا تكلف الا نفسك» معناه لا تكلف الا فعل نفسك لانه لا ضرر عليك في فعل غيرك فلا تهتم بتخلف المنافقين عن الجهاد فعليهم ضرر ذلك وليس المراد لا يأمر احدا بالجهاد وانما اراد ما قلناه الا ترى انه قال «وحرض المؤمنين» على القتال يعني حثهم على الجهاد وفي ذلك دلالة على انه لا يجوز ان يؤاخذ الله الاطفال بكفر آبائهم ويؤيده قوله «ولا تزر وازرة وزر اخرى» لان مفهوم هذا الكلام انه لا يجوز ان تؤخذ بذنب غيرك والفاء في قوله «فقاتل في سبيل الله» قيل في معناه

قولان احدهما ان يكون جوابا لقوله «ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل او يغلب فسوف نؤتيه اجرا عظيما» هكذا ذكره الزجاج لانه محمول على المعنى من حيث دل على معنى ان اردنا الفوز فقاتل الثاني ان يكون متصلا بقوله «وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله» فقاتل في سبيل الله كذا ذكره الزجاج ووجهه لا حظ لك في ترك القتال فتتركه ثم وضع فقاتل موضع فتتركه وقوله «وحرض المؤمنين» معناه حثهم «عسى الله ان يكف» قال الحسن والبلخي والزجاج ان عسى من الله واجب ووجه ذلك ان اطماع الكريم ايجاب وانما الاطماع تقوية احد الامرين على الآخر دون قيام الدليل على التكافؤ في الجواز وخرج عسى في هذا من معنى الشك كخروجها في قول القائل اطع ربك في كل ما امرك به ونهاك عنه عسى ان تفلح بطاعتك ومعنى «ان يكف بأس الذين كفروا» ان يمنع شدة الكفار ثم قال «والله اشد بأسا واشد تنكيلا» فالبأس الشدة في كل شيء ومعنى التنكيل قال الحسن وقتادة هو العقوبة وقال ابو علي الجبائي هو الشهرة بالامور الفاضحة ونكل به وشنعه به وندد به نظاير واصله النكول وهو الامتناع للخوف نكل عن اليمين وغيرها ينكل نكولا والنكال ما يمتنع به من الفساد خوفا من مثله من العذاب والنكل القيد قوله تعالى «من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها وكان الله على كل شيء مقيتا» آية قيل في معنى الشفاعة ههنا قولان احدهما قال ابو علي الشفاعة الحسنة الدعاء للمؤمنين والشفاعة السيئة الدعاء عليهم لان اليهود كانت تفعل ذلك فتوعدهم الله تعالى عليه وقال الحسن ومجاهد وابن زيد الشفاعة هي مسألة الانسان في صاحبه ان يناله خير بمسألته وقال الازهري معناه من يشفع شفاعة حسنة من يزد عملا الى عمل من الشفع الزيادة سئل ثعلب عن اشتقاق الشفعة فقال الزيادة هو ان يشفعك فيما تطلبه حتى تضمه الى ما عندك فتشفعه اي تزيده بها ان كان واحدا فضممت اليه ما زاد صار شفعا وعندنا ان حقيقة الشفاعة هي المسألة في اسقاط الضرر وانما يستعمل في مسألة المنافع مجازا الا ان احدا لا يقول انا نشفع في النبي ص اذا سألنا الله ان نزيد في كراماته ولو كان الامر على ما قاله الحسن ومجاهد لكنا شافعين فيه ووجه اتصال هذا الكلام بما تقدم انه لما قيل لا تكلف الا نفسك عقب ذلك بان لك مع هذا في دعاء المؤمنين الى الحق ما للانسان في شفاعة صاحبه بخير يصل اليه لئلا يتوهم ان العبد من اجل انه لا يؤخذ بعمل غيره لا يتزيد فعله بعمل غيره الثاني الشفاعة بصير الانسان شفعا لصاحبه في جهاد عدوه من الكفار والكفل قال الحسن وقتادة هو الوزر وهو قول ابي جعفر وقال السدي والربيع وابن زيد هو النصيب ومنه قوله «يؤتكم كفلين من رحمته» واصله الكفل المركب الذي يهيأ كالسرج للبعير من كساء او خرق او نحوه حول السنام وانما قيل كفل واكتفل البعير لانه لم يستعمل الظهر كله وانما استعمل نصيبا منه وقال الازهري الكفل الذي لا يحسن ركوب الفرس واصله الكفل وهو ردف العجز ومنه الكفالة بالنفس وبالمال والكفل المثل والمقيت قيل في معناه خمسة اقوال قال السدي وابن زيد والكسائي هو المقتدر الثاني قال ابن عباس واختاره الزجاج انه الحفيظ الثالث قال مجاهد هو الشهيد الرابع المقيت الحسيب عنه والخامس قال الجبائي هو المجازي كانه قال وكان الله على كل شيء من الحسنات والسيئات مجازيا واصل المقيت القوت فانه يقوته قوتا اذا اعطاه ما يمسك رمقه والمقيت المقتدر لاقتداره على ما يمسك رمقه يقال منها قات الرجل يقيت اقاتة حكاه الكسائي وينشد للزبير بن عبد المطلب عم النبي ص

وذي ضغن كففت النفس عنه ... وكنت على مساءته مقيتا

فهذه لغة قريش وقال كثير

وماذا الغنا عن نوال ناله ... ولا انه مقيت على وداى مقتدر

فاما قول اليهودي

ألي الفضل ام علي اذا حوسبت ... اني على الحساب مقيت

قيل معناه موقوف اي كان من يحتاج الى القوت موقوف على مسألته ويحتمل معنى مقيت اي مقتدر على الحساب بتوجيهه الى انه لي او علي بحسب عملي وقال ابن كثير المقيت المواظب وهو القائم على كل شيء بالتدبير واقوى الوجوه معنى المقتدر بدلالة البيت الذي للزبير بن عبد المطلب قوله تعالى «واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها او ردوها ان الله كان على كل شيء حسيبا» آية بلا خلاف هذا خطاب من الله تعالى لجميع المكلفين يأمرهم اذا دعا لهم انسان بطول الحياة والبقاء والسلامة ان يحيوهم باحسن من ذلك او ردوا عليهم مثله قال النحويون احسن ههنا صفة لا ينصرف لانه على وزن افعل وهو صفة والمعنى حيوا بتحية احسن منها والتحية مفعلة من حييت ومعناها ههنا السلام قال السدي وابن جريج وعطا وابراهيم انه اذا سلم عليك واحد من المسلمين فسلم عليه باحسن مما سلم عليك او رد عليه مثل ما قال فاذا اذا قال السلام عليك فقل انت وعليك ورحمة الله او يقول السلام كما قال لك وقال قتادة وابن عباس وابن وهب فحيوا باحسن منها اهل الاسلام او ردوها على اهل الكفر والاول اقوى لانه روي عن النبي ص انه قال اذا سلم عليكم اهل الكتاب فقولوا وعليكم وقال الحسن وجماعة من متقدمي المفسرين ان السلام تطوع والرد فرض لقوله «واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها او ردوها» وظاهر ذلك امر يقتضي الايجاب وقوله «ان الله كان على كل شيء حسيبا» قيل في معنى الحسيب قولان احدهما قال مجاهد وابن ابي نجيح معنى حسيب حفيظ

وقال قوم معناه ههنا الكافي من قولهم احسبني الشيء يحسبني احسابا بمعنى كفاني ومنه قولهم حسبي كذا او كذا اي كفاني وقال بعضهم الحسيب
في هذا الموضع فعيل من الحساب الذي هو بمعنى الاحصاء يقال منه حاسب فلانا على كذا او كذا وفلان حاسبه على كذا وكذا وهو
حسيبه وذلك اذا كان صاحب حسابه قال الزجاج معناه انه يعطي كل شيء من العلم والحفظ والجزاء مقدار ما يحسبه اي يكفيه فمنه قوله
عطاء حسابا اي كافيا وسمي الحساب حسابا لانه يعلم به ما فيه كفاية وذكر الحسن انه دخل على النبي صلى الله عليه وآله رجل فقال السلام عليكم و
رحمة الله فقال النبي صلى الله عليه وآله وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته فدخل الثالث فقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فقال النبي صلى الله عليه وآله
وعليكم فقال بعضهم كيف ذلك يا رسول الله كيف فقال النبي ص الاولان ابقيا من التحية فرددتهما وهذا لم يبق منها شيئا
فرددت ما قال قوله تعالى اللّٰه لا اله الا هو ليجمعنكم الى يوم القيمة لا ريب فيه ومن اصدق من الله حديثا آية بلا
خلاف قد بينا فيما تقدم معنى الله وهو الذي تحق له العبادة وانه من كان قادرا على خلق اصول النعم التي يستحق بها
العبادة وليس هو عبادة عمن يستحق العبادة لانه لو كان كذلك لما كان تعالى الها فيما لم يزل واذا ثبت انه موصوف به فيما لم
يزل دل على ان المراد ما قلناه واذا ثبت ذلك فقد بين تعالى بهذه الآية انه لا يستحق العبادة سواه وقوله ليجمعنكم الى يوم
القيامة اللام في ليجمعنكم لام القسم كقولك والله ليجمعنكم وقيل في معناه قولان احدهما ليبعثنكم من بعد مماتكم ويحشركم
جميعا الى موقف الحساب الذي يجازي فيه كلا بعمله ويقضي فيه بين اهل طاعته ومعصيته الثاني قال الزجاج معناه ليجمعنكم
في الموت وفي قبوركم وقوله لا ريب فيه معناه لا شك فيما اخبركم به من قوله انه جامعكم يوم القيمة وقيل في تسمية ذلك اليوم بالقيمة
قولان احدهما ان الناس يقومون من قبورهم الثاني انهم يقومون للحساب قال الله تعالى يوم يقوم الناس لرب العالمين و
قوله ومن اصدق من الله حديثا تقرير في صورة الاستفهام ومعناه لا احد اصدق من الله في الخبر الذي يخبر به من حيث
لا يجوز عليه الكذب في شيء من الاشياء لانه لا يكذب الا محتاج يجتلب به نفعا او يدفع به ضررا او هما يستحيلان عليه تعالى
فاذا يستحيل عليه الكذب انما يجوز ذلك على من سواه فلذلك كان تعالى اصدق القائلين ونصب حديثا على التمييز كما تقول
من احسن من زيد فهما او خلقا قوله تعالى فما لكم في المنافقين فئتين والله اركسهم بما كسبوا اتريدون ان تهدوا
من اضل الله ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا آية بلا خلاف خاطب الله تعالى بهذه الآية المؤمنين فقال ما شأنكم ايها
المؤمنون في اهل النفاق فرقتين مختلفتين والله اركسهم بما كسبوا يعني بذلك والله ردهم الى احكام اهل الشرك في اباحة
دمائهم وسبي ذراريهم بما كسبوا يعني بما كذبوا الله ورسوله وكفروا بعد اسلامهم والاركاس الرد ومنه قول امية
ابن ابي الصلت فاركسوا في حميم النار انهم كانوا عصاة وقالوا الافك والزورا قال الفراء يقال اركسهم وركسهم
وقد ذكر انها في قراءة عبد الله وابي والله ركسهم بغير الف وفيمن نزلت هذه الآية قيل فيه خمسة اقوال احدها قال
قوم نزلت في اختلاف اصحاب رسول الله ص في الذين تخلفوا عن رسول الله يوم احد وانصرفوا الى المدينة وقالوا لرسول الله
واصحابه لو نعلم قتالا لاتبعناكم ذكر ذلك زيد بن ثابت والثاني قال مجاهد وابو جعفر والفراء انها نزلت في اختلاف
كانت بين اصحاب رسول الله ص في قوم كانوا قدموا المدينة من مكة واظهروا للمسلمين انهم مسلمون ثم رجعوا الى مكة لانهم
استوخموا المدينة واظهروا لهم الشرك ثم سافروا ببضائع المشركين الى اليمامة فاراد المسلمون ان يأخذوهم وما معهم
فاختلفوا وقال قوم لا نفعل لانهم مؤمنون وقال آخرون هم مرتدون فانزل الله فيهم الآية الثالث قال ابن عباس
وقتادة والضحاك بل كان اختلافهم في قوم من اهل الشرك كانوا اظهروا الاسلام بمكة وكانوا يعينون المشركين على المسلمين
فقال قوم دماؤهم واموالهم حلال وقال آخرون لا بل هو حرام الرابع قال السدي نزلت في قوم كانوا بالمدينة ارادوا
الخروج عنها نفاقا وقالوا للمؤمنين اصابنا جدب وخصاصة فنخرج الى الظهر حتى نتماثل ونرجع فقال قوم هم منافقون و
قال آخرون هم مؤمنون والخامس قال ابن زيد بل نزلت في اختلاف اصحاب رسول الله ص في قصة اهل الافك عبد الله بن ابي
واصحابه لما تكلموا في عايشة وقوله فئتين يحتمل نصبه امرين احدهما قال بعض البصريين هو نصب على الحال كقولك ما لك
قائما ومعناه ما لك في حال القيام وقال الفراء هو نصب على فعل ما لكم ولا تبالي كان المنصوب في ما لك معرفة او نكرة
ويجوز ان يقول ما لك الساير معنا لانه كالفعل الذي ينصب بكان واظن وما اشبههما قال وكل موضع صلحت فيه فعل
ويفعل من المنصوب جاز نصب المعرفة والنكرة كما ينصب كان واظن لانهما نواقص في المعنى وان ظننت انهن تامات واختلفوا
في معنى اركسهم فقال ابن عباس معناه ردهم وفي رواية اخرى عنه اوقعهم وقال قتادة اهلكهم وقوله اتريدون ان تهدوا

من اضل الله ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا معناه اتريدون ايها المؤمنون ان تهدوا الى الله الاسلام من اضله
الله ويحتمل معنيين احدهما ان من وجده الله ضالا او سماه بانه ضال وحكم به من حيث ضل بسوء اختياره والثاني اضله الله بمعنى
خذلهم ولم يوفقهم كما وفق المؤمنين لانهم كما عصوا وخالفوا استحقوا هذه الخذلان عقوبة لهم على معصيتهم فتزيد من
الدفاع عن قتالهم مع ما حكم الله بضلالهم وخذلانهم وقال الجبائي المعنى ومن يعاقبه الله على معاصيه فلا تجد له طريقا الى الجنة
وطعن على الاول من قول البغدادي بين ان المراد به التسمية والحكم بان قالوا لو اراد ذلك لقال ومن ضلل الله وهذا ليس
بشيء لانهم يقولون اكفرته وكفرته واكرمته وكرمته اذا سميته بالكفر او الكرم قال الكميت فطائفة قد اكفروني بحبكم وطائفة قالوا
مسيء ومذنب ويحتمل ان يكون المراد وجدهم ضلالا كما قال الشاعر هبوني امرأ منكم اضل بعيره اي وجده ضالا لانه قال لهم ابليس
قال ويريد الشيطان ان يضلهم ضلالا بعيدا اترى ان الشيطان يخلق فيهم الضلالة بل انما اراد يدعوهم اليها ولا خلاف
ان الله تعالى لا يدعو الى الضلالة ويقوي قول من قال المراد به التسمية قوله اتريدون ان تهدوا من اضل الله وانما ارادوا ان
تسموهم مهتدين لانهم كانوا يزعمون انهم مؤمنون فرد الله عليهم فقال لا تختلفوا في هؤلاء وقولوا باجمعكم انهم منافقون
ولم يكونوا يدعونهم الى الايمان فخالفهم اصحابهم فعلم ان الصحيح ما قلناه ثم اخبر تعالى فقال ومن يضلل الله يعني من خذله
فلن تجد له سبيلا يا محمد ولا طريقا ومن قال من المجبرة ان قوله اركسهم بما كسبوا يدل على انه اوقعهم في النفاق فقولهم
باطل لانه قال بما كسبوا فبين انه فعل بهم ذلك على وجه الاستحقاق وذلك لا يليق الا بما قدمناه لانه لو اوقعهم في المعصية
تقدمت لكان يجب ان يكون اوقعهم فيها لمعصية اخرى وذلك يؤدي الى ما يتناهى او ينتهي الى معصية ابتداهم بها وذلك
بيناه وقوله بما كسبوا والفئة الفرقة من الناس مأخوذ من فايت رأسه اذا شققته والفاء والشعب من شعاب الجبل والركس
الرد الى الحالة الاولى ومنه قيل للعذرة والروث ركس وقوله تعالى ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء فلا
تتخذوا منهم اولياء حتى يهاجروا في سبيل الله فان تولوا فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم ولا تتخذوا منهم
وليا ولا نصيرا آية اخبر الله تعالى في هذه الآية عن هؤلاء المنافقين انهم يودون ويتمنون ان تكفروا اي تجحدوا
وحدانية الله تعالى وتصديق نبيكم كما جحدوهم فتكونون سواء يعني مثلهم كفارا تستوون انتم وهم بالكفر بالله ثم نهاهم
ان يتخذوا منهم اولياء ويستنصحوهم بل ينبغي ان يتهموهم ولا ينتصحوهم ولا يستنصروهم ولا تتخذوا منهم وليا ناصرا
ولا خليلا مصافيا حتى يهاجروا في سبيل الله ومعناه حتى يخرجوا من دار الشرك ويفارقوا اهلها المشركين في سبيل
الله يعني في ابتغاء دين الله وهو سبيله فيصيروا عند ذلك مثلكم لهم ما لكم وعليهم ما عليكم وهو قول ابن عباس ثم
قال فان تولوا يعني هؤلاء المنافقين عن الاقرار بالله ورسوله وعن الهجرة من دار الشرك ومفارقة اهله فخذوهم
ايها المؤمنون واقتلوهم حيث وجدتموهم اي اين اصبتموهم من ارض الله ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا يعني ولا
تتخذوا منهم خليلا ولا ناصرا ينصركم على اعدائكم وهو قول ابن عباس والسدي قوله تعالى الا الذين يصلون الى قوم
بينكم وبينهم ميثاق او جاؤكم حصرت صدورهم ان يقاتلوكم او يقاتلوا قومهم ولو شاء الله لسلطهم عليكم
فلقاتلوكم فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم والقوا اليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا آية بلا خلاف
لما امر الله تعالى المؤمنين بقتال الذين لا يهاجرون عن بلاد الشرك حيث وجدوهم والا يتخذوا منهم وليا ولا نصيرا
استثنى من جملتهم من وصل منهم الى قوم بينكم وبينهم موادعة وعهد وميثاق فدخلوا فيهم وصاروا منهم ورضوا بحكمهم
وان لمن وصل اليهم ودخل فيهم راضيا بحكمهم حكمهم في حقن دمائهم بدخوله فيهم والمعنى بقوله الا الذين يصلون
بنو مدلج وكان سراقة بن مالك بن جعشم المدلجي جاء الى النبي ص بعد احد فقال له انشدك الله والنعمة واخذ منه الا تغزو
قومه فان اسلمت قريش اسلموا لانهم كانوا في عقد قريش فحكم الله فيهم ما حكم في قريش وحرم منهم ما حرم منهم ففيهم
نزلت هذه الآية على ما ذكره عمر بن شبة وقال ابو جعفر ع الى قوم بينكم وبينهم ميثاق قال هو هلال بن عويمر السلمي واثق
عن قومه الا تخيفنا يا محمد من اتانا ولا نخيف من اتاك وبمثل هذا التأويل قال السدي وابن زيد وعكرمة وقال ابو عبيدة
يصلون يعني ينتسبون اليهم والعرب تقول قد اتصل الرجل اذا انتمى الى قوم وقال الاعشى يذكر امرأة انتسبت الى
قومها اذا اتصلت قالت ابكر بن وائل وبكر سبتها والانوف رواغم وقد ضعف هذا الجواب لان تعيين الانتساب لو اوجب ان
يكون حكم المنتسب حكم من انتسب اليه ممن بينهم وبينهم ميثاق لوجب الا يقاتل النبي ص قريشا لما بينهم وبين المؤمنين من

الانتساب في حرمة الايمان اعظم من حرمة الموادعة فان قيل هذه الآية منسوخة قيل لعمري انها منسوخة لكن خلاف انها
نسخت بقوله في سورة براءة اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وبراءة نزلت بعد فتح مكة فكان يجب ان لا يقاتل قريشا على دخول
مكة وقد علمنا خلافه وقوله او جاؤكم حصرت صدورهم قال عمر بن شبة يعني بها اشجع فانهم قدموا المدينة في سبعمائة يقودهم
مسعود بن رخيلة فاخرج اليهم النبي (ص) احمال التمر ضيافة وقال نعم الشيء الهدية امام الحاجة وقال لهم ما جاء بكم قالوا
قرب دارنا منك وكرهنا حربك وحرب قومنا يعنون بني ضمرة الذين بينهم وبينهم عهد لقلتنا فيهم فنزلت الآية و
قوله جاؤكم حصرت صدورهم معناه قد حصرت لانه في موضع الحال والماضي اذا كان المراد به الحال فلا بد معه من قد كما
يقولون جاء فلان ذهب عقله والمعنى قد ذهب عقله وسمع الكسائي من العرب من يقول اصبحت نظرت الى ذات التنانير
بمعنى قد نظرت وانما جاز ذلك لان قد تدني الفعل من الحال وقرأ الحسن ويعقوب حصرة صدورهم منصوبا على الحال و
اجاز يعقوب الوقف بالهاء وهو صحيح في المعنى وقراءة القراء بخلافه ومعنى حصرت صدورهم ضاقت عن ان يقاتلوكم او يقاتلوا
قومهم وكل من ضاقت نفسه عن شيء من فعل او كلام يقال قد حصر ومنه الحصر في القراءة وما قلناه معنى قول السدي
وغيره وقوله ولو شاء الله لسلطهم عليكم مثل قوله ولو شاء الله لاعنتكم ومعناه الاخبار عن قدرته على ذلك لو شاء
لكنه لا يشاء ذلك بل يلقي في قلوبهم الرعب حتى يفزعوا ويطلبوا الموادعة والمسالمة ويدخل بعضهم في حلف من
بينكم وبينهم ميثاق وفي ذمتهم ثم قال فان اعتزلوكم يعني هؤلاء الذين امر بالكف عن قتالهم من المنافقين بدخولهم
في اهل عهدكم او بمصيرهم اليكم حصرت صدورهم فلم يقاتلوكم والقوا اليكم السلم يعني صالحوكم واستسلموا كما يقول
القائل اعطيتك قيادي والقيت اليك خطامي اذا استسلم له وانقاد لامره فكذلك قوله والقوا اليكم السلم يريد الصلح
وقال اكثر المفسرين البلخي والطبري والجبائي وغيرهم ان المراد به الاسلام قال الطرماح وذلك ان تميما غادرت سلما
للاسد كل حصان وعثة اللبد يعني استسلاما وقال فما جعل الله لكم عليهم سبيلا يعني اذا استسلموا اليكم فلا طريق لكم على
نفوسهم واموالهم قال الربيع السلم ههنا الصلح ثم نسخ ذلك بقوله فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين
حيث وجدتموهم الآية وبه قال عكرمة والحسن قالا نسخت هذه الآية الى قوله سلطانا مبينا وقوله في الممتحنة لا ينهاكم
الله عن الذين لم يقاتلوكم الى قوله الظالمون نسخت هذه الاربع آيات بقوله في براءة الآية التي تلوناها وبه قال قتادة وابن زيد
قوله تعالى ستجدون آخرين يريدون ان يأمنوكم ويأمنوا قومهم كلما ردوا الى الفتنة اركسوا فيها فان لم يعتزلوكم
ويلقوا اليكم السلم ويكفوا ايديهم فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم واولئكم جعلنا لكم عليهم سلطانا
مبينا آية بلا خلاف قيل في الذين نزلت فيهم هذه الآية ثلاثة اقوال احدها قال ابن عباس ومجاهد نزلت في ناس كانوا
يأتون النبي (ص) فيسلمون رياء ثم يرجعون الى قريش ويرتكسون في الاوثان يبتغون بذلك ان يأمنوا ههنا وههنا فامر
الله بقتالهم ان لم يعتزلوا ويصلحوا الثاني قال قتادة نزلت في حي كانوا بتهامة قالوا يا نبي الله لا نقاتلك ولا نقاتل
قومنا وارادوا ان يأمنوا قومهم ويأمنوا نبي الله فابى الله عليهم ذلك فقال كلما ردوا الى الفتنة يعني الى الكفر اركسوا
فيها يعني وقعوا فيها الثالث قال السدي نزلت في نعيم بن مسعود الاشجعي وكان يأمن في المسلمين بنقل الحديث بين النبي (ص)
والمشركين فنزلت هذه الآية وقال مقاتل نزلت في اسد وغطفان وقال ابو العالية معنى قوله كلما ردوا الى الفتنة اركسوا
فيها يعني كلما ابتلوا بها عموا فيها وقال قتادة كلما عرض لهم بلاء هلكوا فيه والفتنة في اللغة هي الاختبار والارتكاس
الرجوع فمعنى الكلام كلما ردوا الى الاختبار ليرجعوا الى الكفر والشرك رجعوا اليه وقوله فان لم يعتزلوكم ويلقوا اليكم
السلم ويكفوا ايديهم معناه وان لم يعتزلوكم ايها المؤمنون هؤلاء الذين يريدون ان يأمنوكم ويأمنوا قومهم وهم كلما
دعوا الى الشرك اجابوا اليه ويلقوا اليكم السلم يعني ولم يستسلموا اليكم فيعطوكم المقادة ويصالحوكم ويكفوا ايديهم عن
قتالكم فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم يعني حيث اصبتموهم ثم قال واولئكم جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا يعني حجة
ظاهرة وقال السدي وعكرمة السلطان الحجة وقال ابو علي نزلت في قوم كانوا يظهرون الاسلام فاذا اجتمعوا مع قريش
اظهروا لهم الكفر وهو قوله كلما ردوا الى الفتنة يعني الكفر اركسوا فيها يعني وقعوا فيها فما داموا مظهرين للاسلام
وكافين عن قتال المسلمين فلا يتعرض لهم ومتى لم يظهروا الاسلام وجب قتالهم على ما ذكره الله ثم قال قوم الآية
منسوخة وان من لم يحارب مع المؤمنين وجب قتاله واختار هو انها غير منسوخة قال لانه لا دليل على ذلك قوله تعالى

وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا الا خطأ ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة الى اهله
الا ان يصدقوا فان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة وان كان من قوم بينكم وبينهم
ميثاق فدية مسلمة الى اهله وتحرير رقبة مؤمنة فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين توبة من الله وكان
الله عليما حكيما آية بلا خلاف وقوله وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا الا خطأ معناه لم يأذن الله ولا اباح لمؤمن ان
يقتل مؤمنا فيما عهده اليه لانه لو اباحه واذن فيه ما كان خطأ والتقدير الا ان يقتله خطأ فان حكمه كذا على ما ذكره
من ذهب الى هذا قتادة وغيره وقوله الا خطأ استثناء منقطع في قول اكثر المفسرين وتقديره الا ان المؤمن قد يقتل المؤمن
خطأ وليس ذلك مما جعل الله له ومثله قول الشاعر من البيض لم تظعن بعيدا ولم تطأ على الارض الا ريط برد مرحل و
المعنى لم تطأ على الارض الا ان تطأ ذيل البرد من الارض وقد ذكرنا لذلك نظائر فيما مضى فلا نطول باعادتها وتقدير
الآية الا ان المؤمن قد يقتل المؤمن خطأ وليس ذلك مما جعل الله له وقال قوم الاستثناء متصل والمعنى لم يكن للمؤمن
ان يقتل متعمدا مؤمنا ومتى قتله متعمدا لم يكن مؤمنا فان ذلك يخرجه من الايمان ثم قال الا خطأ ومعناه ان قتله
له خطأ لا يخرجه من الايمان ثم اخبر تعالى بحكم من قتل من المؤمنين مؤمنا خطأ فقال ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة
مؤمنة ومعناه فعليه تحرير رقبة مؤمنة يعني مظهرة للايمان وظاهر ذلك يقتضي ان يكون بالغة ليحكم لها بالايمان
وذلك في ماله خاصة ودية مسلمة الى اهله يؤديها عاقلته الى اولياء المقتول على من لزمته دية قتلهم فيعفوا عنه
حتى يسقط عنهم وموضع ان من قوله الا ان يصدقوا نصب لان المعنى فعليه ذلك الا ان يصدقوا وقيل ان الآية
نزلت في عياش بن ابي ربيعة المخزومي اخي ابي جهل لامه كان اسلم وكان قد قتل رجلا مسلما بعد اسلامه وهو لا يعلم باسلامه
وهذا قول مجاهد وابن جريج وعكرمة والسدي وقالوا المقتول هو الحارث بن يزيد بن ابي نبيشة العامري ولم يعلم انه
اسلم وكان احد من رده عن الهجرة وكان يعذب عياشا مع ابي جهل قتله بالحرة بعد الهجرة وقيل قتله بعد الفتح وقد خرج
من مكة وهو لا يعلم باسلامه ورواه ابو الجارود عن ابي جعفر وقال ابن زيد نزلت في رجل قتله ابو الدرداء كانوا في
سرية فعدل ابو الدرداء الى شعب يريد حاجة فوجد رجلا من القوم في غنم له فحمل عليه بالسيف فقال لا اله الا الله فبدر
فضربه ثم جاء بغنمه الى القوم ثم وجد في نفسه شيئا فاتى رسول الله (ص) فذكر ذلك له فقال له النبي (ص) الا شققت
عن قلبه قال ما عسيت ان اجد هل هو الا دم او ماء فقال النبي (ص) فقد اخبرك بلسانه فلم تصدقه قال كيف بي يا رسول
الله قال فكيف بلا اله الا الله قال كيف يا رسول الله قال وكيف بلا اله الا الله حتى تمنيت ان يكون ذلك اليوم
مبتدأ ايماني ثم نزلت هذه الآية والذي ينبغي ان يعول عليه ان ما تضمنته الآية حكم من قتل خطأ ويجوز في
سبب نزول الآية كل واحد مما قيل وقال عطا كل رقبة ولدت في الاسلام فهي تجزي والاول اقوى لان المؤمن
على الحقيقة لا يطلق الا على بالغ عاقل مظهر للايمان ملتزم لوجوب الصوم والصلاة الا انه لا خلاف ان المولود
بين كافرين فانه لا يجزي بحال والدية المسلمة الى اهل القتيل هي المدفوعة اليهم موفرة غير منتقصة حقوق اهلها
منها الا ان يصدقوا معناه يتصدقوا فادغمت التاء في الصاد لقرب مخرجها وفي قراءة ابي الا ان يتصدقوا وقوله
فان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة يعني ان كان هذا القتيل الذي قتله المؤمن خطأ من
قوم هم اعداء لكم مشركون وهو مؤمن بين اظهرهم لم يهاجر فمن قتله فلا دية له وعليه تحرير رقبة مؤمنة لان الدية ميراث
واهله كفار لا يرثونه هذا قول ابراهيم وابن عباس والسدي وقتادة وابن زيد وابي عياض وقال آخرون بل عنى به
اهل الحرب من يقدم دار الاسلام فيسلم ثم يرجع الى دار الحرب فاذا مر بهم جيش من اهل الاسلام فهرب قومه واقام
ذلك المسلم فيهم فقتله المسلمون وهم يحسبونه كافرا ذكر ذلك عن ابن عباس في رواية اخرى وقوله وان كان من قوم
بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة الى اهله وتحرير رقبة مؤمنة معناه ان كان القتيل الذي قتله المؤمن خطأ من
قوم بينكم وبينهم ايها المؤمنون ميثاق اي عهد وذمة وليسوا اهل حرب لكم فدية مسلمة الى اهله يلزم عاقلة قاتله
وتحرير رقبة على القاتل كفارة لقتله واختلفوا في صفة هذا القتيل الذي هو من قوم بيننا وبينهم ميثاق اهو مؤمن
ام كافر فقال قوم هو كافر الا انه تلزم قاتله ديته لان له ولقومه عهدا ذهب اليه ابن عباس والزهري والشعبي وابراهيم
النخعي وقتادة وابن زيد وقال آخرون بل هو مؤمن فعلى قاتله دية يؤديها الى قومه من المشركين لانهم اهل ذمة

روى ذلك ايضاً عن ابرهيم والحسن وهو المروي في اخبارنا الا انهم قالوا يعطي ديته ورثته المسلمين دون الكفار والميثاق هو العهد وقد بيناه فيما مضى والمراد ههنا الذمة وغيرها من العهود وبه قال السدي والزهري وابن عباس والخطاء هو ان يريد شيئا فيصيب غيره وهو قول ابرهيم واكثر الفقهاء والدية الواجبة في قتل الخطاء مأة من الابل ان كانت العاقلة من اهل الابل بلا خلاف وان اختلفوا في اسنانها فقائل يقول هي ارباع خمس وعشرون حقة وخمس وعشرون جذعة وخمس وعشرون ابنة مخاض وخمس وعشرون بنت لبون روى ذلك عن علي ع وقال آخرون هي اخماس عشرون حقة وعشرون جذعة وعشرون بنت لبون وعشرون بنو لبون وعشرون بنت مخاض ذهب اليه ابن مسعود وروي الامرين معا اصحابنا وقال قوم هي ارباع غير انها ثلثون حقة وثلثون بنت لبون وعشرون بنت مخاض وعشرون بنو لبون روي ذلك عن عثمان وزيد بن ثابت قال الطبري هذه الروايات متكافئة والاولى التخيير ولا يحمل على العاقلة صلح ولا اقرار ولا ما كان دون الموضحة واما الدية من الذهب فالف دينار ومن الورق عشرة الف درهم وقال بعضهم اثنى عشر الفا والاول عندنا هو الاصح ودية عمد الخطأ مأة من الابل مغلظة اثلاثا وروي ارباعا ثلث بنت لبون وثلث حقة وثلث جذعة وتستأدي في سنتين ودية الخطاء في ثلث سنين ودية العمد اذا تراضوا بها في سنة واما دية اهل الذمة فقال قوم هي دية المسلم سواء ذهب اليه ابو بكر وعثمان وابن مسعود وابرهيم ومجاهد والزهري وعامر الشعبي واختاره الطبري وابو حنيفة واصحابه وقال قوم على النصف من دية المسلم ذهب اليه عمر ابن شعيب رواه عن عمر بن الخطاب وبه قال عمر بن عبد العزيز وقال قوم هي على الثلث من دية المسلم ذهب اليه سعيد بن المسيب والشافعي غير انها اربعة الف واختلاف الفقهاء قد ذكرناه في الخلاف واما دية المجوسي فلا خلاف انها ثمان مأة وكذلك عندنا دية اليهودي والنصراني فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين توبة من الله وكان الله عليما حكيما يعني فمن لم يجد الرقبة المؤمنة كفارة عن قتله المؤمن لاعسارة فعليه صيام شهرين متتابعين واختلفوا في معناه فقال قوم مثل ما قلناه ذهب اليه مجاهد وقال آخرون فمن لم يجد الدية فعليه صوم الشهرين عن الدية والرقبة وتاويل الاية فمن لم يجد رقبة مؤمنة ولا دية يسلمها الى اهلها فعليه صوم شهرين متتابعين ذهب اليه مسروق والاول هو الصحيح لان دية قتل الخطاء على العاقلة والكفارة على القاتل باجماع الامة على ذلك وصفة التتابع في الصوم ان تتابع الشهرين لا يفصل بينهما بافطار يوم وقال اصحابنا اذا صام شهرا وزيادة ثم افطر اخطأ جاز له البناء وقوله توبة من الله نصب على القطع ومعناه رجعة من الله لكم الى التيسير عليكم بتخفيفه عنكم ما خفف عنكم من فرض تحرير الرقبة المؤمنة بايجاب صوم الشهرين المتتابعين توبة وكان الله عليما حكيما معناه لم يزل الله عليما بما يصلح عباده فيما يكلفهم من فرائضه حكيما بما يقضي فيهم ويدبره وقال الجبائي انما قال توبة من الله تعالى بهذه الكفارة التي يلزمها بدل اعقاب القاتل مؤمن وذمة لانه يجوز ان يكون عاصيا في السبب وان لم يكن عاصيا في القتل من حيث انه رمى في موضع هو منهي عنه بان يكون رحمة وان لم يقصد القتل وهذا ليس بشيء لان الاية عامة في كل قاتل خطأ وما ذكره ربما اتفق في الاحاد والزام دية قتل الخطاء العاقلة ليس هو مؤاخذة البري بالسقيم لان ذلك ليس بعقوبة بل هو حكم شرعي تابع للمصلحة ولو خلينا والعقل لما اوجبناه وقيل ان ذلك على وجه المواساة والمعاونة قوله تعالى ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه واعد له عذابا عظيما آية بلا خلاف اخبر الله تعالى في هذه الاية ان من يقتل مؤمنا متعمدا يعني قاصدا الى قتله ان جزاءه جهنم خالدا فيها اي مؤبدا في جهنم وغضب الله عليه وقد بينا ان غضب الله هي ارادة عقابه والاستخفاف به ولعنه معناه ابعده من ثوابه ورحمته واعد له عذابا عظيما يعني لا يعلمون قدره مبلغه لكثرته واختلفوا في صفة قتل العمد فعندنا ان من قصد قتل غيره بما يقتل مثله في غالب العادة سواء كان بحديدة او حادة كالسلاح او مثقلة من حديد او خنق او سم او احراق او تغريق او موالات ضرب بالعصا حتى يموت او بحجارة ثقيلة فان جميع ذلك عمد يوجب القود وبه قال ابرهيم وعبيد بن عمير والشافعي واصحابه واختاره الطبري وقال قوم لا يكون قتل العمد الا ما كان بحديد ذهب اليه سعيد بن المسيب وابرهيم والشافعي في رواية اخرى وطاوس وابو حنيفة واصحابه غير ان عندنا انه اذا قتل بغير حديدة يستقاد منه بمثل ما قتل به فاما القتل شبيه العمد فهو ان يضربه بعصا او غيرها مما لم تجر العادة بحصول الموت عنده فاذا مات منه كان شبيه العمد وفيه الدية مغلظة في مال القاتل خاصة لا يلزم العاقلة وقد بينا اختلاف الفقهاء في مسائل الخلاف في هذه المسئلة واستدلت المعتزلة بهذه الاية على ان مرتكب الكبيرة مخلد في نار جهنم وانه اذا قتل

مؤمنا فانه يستحق الخلود ولا يعفا عنه بظاهر اللفظ ولنا ان نقول لم انكرتم ان يكون المراد بالاية الكفار ومن لا ثواب له اصلا فاما من هو مستحق للثواب فلا يجوز ان يكون مرادا بالخلود اصلا لما بيناه فيما مضى من نظائره وقد روى اصحابنا ان الاية متوجهة الى من يقتل المؤمن لايمانه وذلك لا يكون الا كافرا وقال عكرمة وابن جريج ان الاية نزلت في انسان بعينه ارتد ثم قتل مسلما فانزل الله تعالى فيه الاية لانه كان مستحلا لقتله على انه قد قيل ان قوله خالدا فيها لا يفهم من الخلود في اللغة الا طول اللبث فاما البقاء ببقاء الله فلا يعرف في اللغة ثم لا خلاف ان الاية مخصوصة بمن لا يتوب لانه ان تاب فلا بد من العفو عنه اجماعا او به قال مجاهد وقال ابن عباس لا توبة له ولا اذا قتله في حال الشرك ثم اسلم وتاب قبل به قال ابن مسعود وزيد بن ثابت والضحاك ولا يعترض على ما قلناه قول من يقول ان قاتل العمد لا يوفق للتوبة لان هذا القول ان صح فانما يدل على انه لا يختار التوبة ولا ينافي ذلك القول بانها لو حصلت لازالت العقاب واذا كان لا بد من تخصيص الاية واخراج التائبين عنها جاز لنا ان يخرج منها من يتفضل الله عليه بالعفو على ان ظاهر الاية يتضمن ان جزاءه جهنم ثم ان ذلك لا بد من حصوله وان العفو لا يجوز حصوله وهذا قول ابن مجلز وابي صلح ولا يدفع ذلك قوله وغضب الله عليه ولعنه واعد له عذابا عظيما لان ذلك اخبار عن انه مستحق لذلك ثم ابن حصوله لا محالة وقال الجبائي الجزاء عبارة عما يفعل وما لا يفعل لا يسمى جزاء الا ترى ان الاجير اذا استحق الاجرة على من استاجره لا يقال في الدراهم التي مع المستاجر انها جزاء عمله وانما يسمى بذلك اذا اعطاه اياها وهذا ليس بشيء لان الجزاء عبارة عن المستحق سواء فعل او لم يفعل الا ترى انا نقول جزاء من فعل الجميل ان يقابل عليه بمثله وان كان ما فعل بعد وانما يراد انه ينبغي ان يقابل بذلك ونقول من استحق عليه القود او حد من الحدود ان جزاء هذا ان يقتل او يقام عليه الحد ولو كان الامر على ما قالوه لوجب لا يكون الخلود في النار جزاء للكفار لانه لم يقع بعد ولا يصح ان يقع لان ما يوجد منه لا يكون الا متناهيا وانما لم يقل في الدراهم انها جزاء العمل لان ما يستحقه الاجير في الذمة لا يتعين في دراهم معينة وللمستاجر ان يعطيه منها ومن غيرها فلذلك لم يوصف هذه المعينة بانها جزاء للعمل ثم لنا ان نعارض بآيات الغفران كقوله ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وقوله ان الله يغفر الذنوب جميعا وقوله وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم واذا تعارضا وقفنا وبقينا على جواز العفو عقلا وقال الجبائي والبلخي الاية نزلت في اهل الصلوة لانه تعالى بين في الاية الاولى حكم قتل الخطاء من الدية والكفارة وذلك يختص اهل الصلوة ثم عقب ذلك بذكر قتل العمد منهم وهذا ليس بصحيح لان لزوم الدية في الخطاء يتناول المسلم والمعاهد واما الكفارات فان عندنا يلزمهم ايضا لانهم متعبدون بالشرايع ولو سلمنا ان الاية الاولى يختص المسلمين لم يلزم ان تختص الثانية بهم بل لا يمتنع ان يراد بها الكفار على وجه الخصوص او الكفار والمسلمين على وجه العموم غير انا قد علمنا انه لا يجوز ان يراد بها من هو مستحق الثواب لان الثواب دايم ولا يجوز مع ذلك ان يستحق العقاب الدايم مع ثبوت بطلان الاحباط لاجماع الامة على خلافه قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن القى اليكم السلم لست مؤمنا تبتغون عرض الحيوة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم فتبينوا ان الله كان بما تعملون خبيرا آية قرا اهل المدينة وابن عباس وخلف السلم بغير الف الباقون بالف وقرا اهل الكوفة الا عاصما فتثبتوا بالثاء من الثبوت في الموضعين ههنا وفي الحجرات الباقون فتبينوا من التبين وقرا ابو جعفر محمد بن علي ع على ما حكاه البلخي فمن قرا بالثاء من الثبوت فانما اراد التثبت الذي هو خلاف العجلة ومن قرا بالياء والنون اراد من التبين الذي هو النظر والكشف عنه حتى يصح المعنيان متقاربان لان المتثبت متبين والمتبين متثبت ومن قرا السلم بلا الف اراد الاستسلام ومنه قوله والقوا الى الله يومئذ السلم اي استسلموا وقوله ورجلا سلما اي مستسلما وروى ابان عن عاصم بكسر السين والمعنى خلاف الحرب ومن قرا بالف ذهب الى التحية ويحتمل ان يكون المراد لا تقولوا لمن اعتزلكم وكف قتالكم لست مؤمنا قال ابو الحسن يقولون انما فلان سلام اذا كان لا يخالط احدا خاطب الله تعالى بهذه الاية المؤمنين الذين اذا ضربوا في الارض يعني ساروا فيها للجهاد وان يتأنوا في قتال من لا يعلمون كفره ولا ايمانه وعن قتل من يظهر الايمان وان ظن به الكفر باطنا ولا يعجلوا حتى يتبين لهم امرهم فان منهم عن ان بادروا بما اقدموا على قتل مؤمن ولا يقتلوا من استسلم لهم وكف عن قتالهم واظهر انه اسلم والا يقولوا لمن هذه صورته لست مؤمنا فيقتلوه طلب عرض الحيوة الدنيا يعني متاع الحيوة الدنيا الذي

لا بقاء له فان عند الله مغانم كثيرة وفواضل جسيمة فهو خير لكم ان اطعتم الله فيما امركم به وانتهيتم عما نهيكم عنه واختلفوا
في سبب نزول هذه الاية فقال عمر بن شبة نزلت في مرداس رجل من غطفان غشيهم خيل المسلمين فاستعصم قومه في الجبل و
اسهل هو مسلماً مستسلماً فاظهر لهم اسلامه فقتلوه واخذوا ما معه وقال ابو عمر الواقدي وابن اسحق نزلت في عامر بن الاضبط
الاشجعي لقيته سرية لابي قتادة فسلم عليهم فشد محلم بن جثامة فقتله لاحنة كانت بينهم ثم جاء النبي ص وسئل ان يستغفر
له فقال النبي ص لا غفر الله لك وانصرف باكياً فما مضت عليه سبعة ايام حتى هلك فدفن ثم لفظته الارض فجاؤا الى
النبي ص واخبروه فقال ان الارض تقبل من هو شر من محلم صاحبكم لكن الله اراد ان يعظم من حرمتكم ثم طرحوه بين
صدفي جبل والقوا عليه الحجارة فنزلت الاية وقال ابن عباس لحق ناس رجلا في غنيمة له فقال السلام عليكم فقتلوه واخذوا
غنمه فنزلت الاية قال ابن عباس فكان الرجل يسلم في قومه فاذا غزاهم اصحاب النبي ص وهرب اصحابه وقف واظهر تحية الاسلام
السلام عليكم فيكفون عنه فلما خالف بعضهم وقتل من اظهر ذلك نزلت فيه الاية وبه قال السدي وقال قال الرجل السلام
عليكم اشهد ان لا اله الا الله وان محمداً رسول الله فشد عليه اسامة بن زيد وكان امير القوم فقتله فنزلت الاية و
قال قوم كان صاحب السرية المقداد وقال اخرون ابن مسعود وكل واحد من هذه الاسباب يجوز ان يكون صحيحاً ولا يقطع
بواحد منها بعينه والذي يستفاد من ذلك ان من اظهر الشهادتين لا يجوز لمؤمن من ان يقدم على قتله ولا اذا اظهر
ما يقوم مقامه من تحية الاسلام وقوله كذلك كنتم من قبل اختلفوا في معناه فقال قوم كما كان هذا الذي قتلتموه بعد ما
القى اليكم السلم مستخفياً من قومه بدينه خوفاً على نفسه منهم كنتم انتم مستخفين باديانكم من قومكم حذراً على انفسكم
فمن الله عليكم ذهب اليه سعيد بن جبير وقال ابن زيد معناه كما كان هذا المقتول كافراً فهداه الله كذلك كنتم
كفاراً فهديكم الله وبه قال الجبائي وقال المغربي معناه كذلك كنتم اذلاء احاداً اذا سار الرجل منكم وحده خاف ان
يختطف وقوله فمن الله عليكم قيل في معناه قولان احدهما قال سعيد بن جبير فمن الله عليكم باظهار دينه واعزاز اهله حتى
اظهرتم الاسلام بعد ما كنتم تكتمونه من اهل الشرك وقال السدي معناه تاب الله عليكم فتبينوا ان الله كان بما تعملون
خبيراً معناه انه كان عليماً بما تعملونه قبل ان تعملوه قال البلخي في الاية دلالة على ان المجتهد لا يضل لان النبي ص
لم يضلل مقداداً ولا تبرأ منه ومن قرأ لست مؤمناً بفتح الميم الثانية قال معناه لا تقولوا لمن استسلم لكم لسنا
نؤمنك وهو وجه حسن قوله تعالى لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى
وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا آيتان قرأ
اهل المدينة وابو كثير غير اولي الضرر نصباً الباقون بالرفع فمن رفع جعله نعتاً للقاعدين ومن نصبه فعلى الاستثناء وهو
اختيار ابي الحسن الاخفش بين الله بهذه الاية انه لا يستوي ومعناه لا يعتدل القاعدون يعني المتخلفون عن الجهاد في سبيل
الله من اهل الايمان بالله وبرسوله المؤثرون الدعة والرفاهية على مقاساة الحرب والمشقة بلقاء العدو والجهاد في سبيله الا
الضرر منهم بذهاب ابصارهم وغير ذلك من العلل التي لا سبيل لاهلها الى الجهاد للضرر الذي بهم والمجاهدون في سبيل الله
ومنهاج دينه ليكون كلمة الله هي العليا والمستفرغون وسعهم في قتال اعداء الله واعداء دينهم باموالهم انفاقاً لها فيما
يوهن كيد اعداء اهل الايمان وقال قوم ان قوله غير اولي الضرر نزل بعد قوله لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون
في سبيل الله ومنهاج دينه ليكون كلمة الله هي العليا والمستفرغون وسعهم في قتال اعداء الله واعداء دينهم باموالهم
انفاقاً لها فيما يوهن كيد اعداء اهل الايمان وقال قوم ان قوله غير اولي الضرر نزل بعد قوله لا يستوي القاعدون من المؤمنين
والمجاهدون في سبيل الله فجاء عمرو بن ام مكتوم وكان اعمى فقال يا رسول الله كيف وانا اعمى فما برح حتى نزل قوله غير
اولي الضرر ذكر ذلك البراء بن عازب وزيد بن ارقم وزيد بن ثابت وهو يقوي قراءة من قرأ بالنصب والقاعدون رفع بيستوي
ويستوي ههنا يقتضي فاعلين فصاعداً وقوله والمجاهدون معطوف عليه والتقدير لا يستوي القاعدون الا اولي الضرر
والمجاهدون وقال الفراء الرفع اجود لاتصال غير بقوله القاعدون والاستثناء كان يجب ان يكون بعد تمام الكلام
بقوله لا يستوي القاعدون والمجاهدون غير اولي الضرر قال ويجوز خفضه نعتاً للمؤمنين وما قرئ به والاول اقوى
ويحتمل النصب على الحال كقولك جاء زيد غير مريب فان قيل ايجوز ان يساوي اهل الضرر المجاهدين على وجه فان قلتم لا

فقد صاروا امثل من ليس من اولي الضرر قلنا يجوز ان يساووهم بان يفعلوا طاعات اخر يقوم مقام الجهاد فيكون ثوابهم
عليهم مثل ثواب الجهاد وليس كذلك من ليس باولي الضرر لانه قعد عن الجهاد فلا عذر وظاهر الاية يمنع من مساواته
على وجه وقال ابن عباس لا يستوي القاعدون من المؤمنين عن بدر والخارجين الى بدر ثم قال وفضل الله المجاهدين
باموالهم وانفسهم على القاعدين درجة قال ابن جريج وغيره معناه فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم درجة على القاعدين
من اهل الضرر ثم قال وكلا وعد الله الحسنى يعني وعد الله الحسنى المجاهدين باموالهم وانفسهم والقاعدين اولي الضرر
المراد بالحسنى ههنا الجنة في قول قتادة وغيره من المفسرين وبه قال السدي وقوله وفضل الله المجاهدين على القاعدين
اجراً عظيماً معناه فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين من غير اولي الضرر اجراً عظيماً وقوله
درجات منه ومغفرة ورحمة وكان الله غفوراً رحيماً قال قتادة معناه كما يقال الاسلام درجة والفقه درجة و
الهجرة درجة والجهاد في الهجرة درجة والقتل في الجهاد درجة وقال عبد الله بن زيد معنى الدرجات هي التسع درجات
التي درجها في سورة براءة وهي قوله ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب ان يتخلفوا عن رسول الله ص
ولا يرغبوا بانفسهم عن نفسه ذلك بانهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يطؤن موطئاً
يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلاً الى قوله ليجزيهم الله احسن ما كانوا يعملون قال هذه التسع درجات
وقال قوم المراد بالدرجات ههنا الجنة واختاره الطبري ومغفرة ورحمة وكان الله غفوراً رحيماً معناه لم
يزل الله غفاراً للذنوب صافحاً لعبيده عن العقوبة رحيماً بهم متفضلاً عليهم فان قيل كيف قال في اول الاية فضل الله
المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين درجة ثم قال في اخرها وفضل الله المجاهدين على القاعدين
اجراً عظيماً درجات وهذا ظاهر التناقض قلنا عنه جوابان احدهما ان في اول الاية فضل الله المجاهدين على
القاعدين اولي الضرر درجة وفي اخرها فضلهم على القاعدين غير اولي الضرر درجات ولا تناقض في ذلك لان قوله
وكلا وعد الله الحسنى يدل على ان القاعدين لم يكونوا عاصين مستخفين وان كانوا تاركين للفضل والثاني
قال ابو علي الجبائي اراد بالدرجة الاولى علو المنزلة وارتفاع القدر على وجه المدح لهم كما يقال فلان اعلى درجة
من فلان يريدون بذلك انه اعظم منزلة والثاني اراد الدرجات في الجنة التي تفاضل بها المؤمنون بعضهم على
بعض على قدر استحقاقهم ولا تنافي بينهما وقال الحسين بن علي المغربي انما كرر لفظ التفضيل لان الاول اراد
تفضيلهم في الدنيا على القاعدين والثاني اراد تفضيلهم في الاخرة بدرجات النعيم قوله تعالى اِنَّ الَّذِينَ تَوَفّٰهُمُ
الْمَلٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ اَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْاَرْضِ قَالُوٓا اَلَمْ تَكُنْ اَرْضُ اللّٰهِ وَاسِعَةً
فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَاُولٰٓئِكَ مَاْوٰىهُمْ جَهَنَّمُ وَسَآءَتْ مَصِيرًا اِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَآءِ وَالْوِلْدَانِ
لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا فَاُولٰٓئِكَ عَسَى اللّٰهُ اَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللّٰهُ عَفُوًّا غَفُورًا
ثلاث آيات هذه الاية نزلت في قوم اظهروا للنبي ص الاسلام بمكة فلما هاجر النبي ص وهاجر اصحابه فتنهم
اباؤهم عن دينهم فافتتنوا وخرجوا مع المشركين يوم بدر فقتلوا كلهم وقيل انهم كانوا خمسة نفر قال عكرمة
هم قيس بن الفاكه بن المغيرة والحرث بن زمعة بن الاسود بن اسد وقيس بن الوليد بن المغيرة وابو العاص بن منبه بن
الحجاج وعلي بن امية بن خلف وذكر ابو الجارود عن ابي جعفر ع مثله فانزل الله فيهم الايات وقال ان الذين
توفيهم الملائكة يعني قبض ارواحهم ظالمي انفسهم نصب على الحال يعني في حال هم فيها ظالموا نفوسهم
يعني بخسوها حقها من الثواب وادخلوا عليها العقاب بفعل الكفر وقالت لهم الملائكة فيم كنتم اي
في اي شيء كنتم من دينكم على وجه التقرير لهم والتوبيخ لفعلهم قالوا كنا مستضعفين في الارض
يستضعفنا[1] اهل الشرك بالله في ارضنا وبلادنا بكثرة عددهم وقوتهم ويمنعونا من الايمان بالله و
اتباع رسوله على جهة الاعتذار فقالت لهم الملائكة الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها يعني
فتخرجوا من ارضكم ودوركم وتفارقوا من يمنعكم من الايمان بالله وبرسوله الى ارض يمنعكم اهلها
من اهل الشرك فتوحدوه وتعبدوه وتتبعوا نبيه ثم قال تعالى فاولئك مأويهم جهنم يعني مسكنهم جهنم
وساءت يعني جهنم لاهلها الذين صاروا اليها مصيراً وسكناً ثم استثنى من ذلك المستضعفين الذين

١ يستضعفهم

استضعفهم المشركون من الرجال والنساء والولدان وهم الذين يعجزون عن الهجرة لاعسارهم وقلة حيلتهم ولا يهتدون سبيلا يعنى فى الخلاص من مكة وقيل معناه لا يهتدون لسوء معرفتهم بالطريق من ارضهم الى ارض الاسلام من جملة من اخبرانّ ماويهم ان يكون مأويهم جهنم للعذر الذى هم فيه ونصب المستضعفين بالاستثناء من الهاء والميم فى قوله مأويهم جهنم فقال تعالى فاولئك عسى الله ان يعفو عنهم يعنى لعل الله ان يعفو عنهم لما هم عليه من الفقر ويتفضل عليهم بالصفح عنهم فى تركهم الهجرة من حيث لم يتركوها اختيارا وكان الله عفوا غفورا ومعناه لم يزل الله ذا صفح بفضله عن ذنوب عباده بتركه عقوبتهم على معاصيهم غفورا ساترا عليهم ذنوبهم بعفوه لهم عنها قال ابن عباس كنت انا وامى من المستضعفين قال عكرمة وكان العباس منهم وكان النبى صلى الله عليه وآله يدعو فى دبر صلوة الظهر اللهم خلص الوليد وسلمة بن هشام وعياش بن ربيعة وضعفة المسلمين من ايدى المشركين الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا وبالجملة التى ذكرناها قال ابن عباس وعكرمة ومجاهد والسدى وقتادة والضحاك وابن وهب وابن جبير وقوله توفيهم يحتمل ان يكون فعلا ماضيا ويكون موضعه الفتح لان الماضى مبنى على الفتح والثانى ان يكون رفعا والمعنى تتوفيهم وقد حذف احدى التائين وقد بينا فيما مضى ان عسى من الله معناه الوجوب قال المغربى ذكر عسى ههنا تضعيف لامر عزهم كما يقول القائل ليث من اطاع الله سلم فكيف من عصاه ومثله قول الشاعر ولم تكافر نعمى نجا من السوليث نجا الشاكر والتوفى هو الاحصاء قال الشاعر ان بنى ادرم لبيوا من احد ليسوا الى قيس وليسوا من اسد ولا توفاهم قريش فى العدد بمعنى احصاهم والملائكة تتوفى وملك الموت يتوفى والله يتوفى وما يفعله ملك الموت والملائكة يجوز ان يضاف الى الله اذا فعلوه بامره وما تفعله الملئكة جاز ان يضاف الى ملك الموت اذا فعلوه بامره قوله تعالى ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الارض مراغما كثيرا وسعة ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع اجره على الله وكان الله غفورا رحيما آية اخبر الله تعالى فى هذه الآية ان من يفارق وطنه ويخرج من ارض الشرك واهله هربا بدينه الى ارض الاسلام واهلها والمهاجر فى سبيل الله يعنى فى منهاج دين الله وطريقه الذى شرعه لخلقه يجد فى الارض مراغما كثيرا يجد مجزوم لانه جواب الشرط والمراغم المضطرب فى البلاد والمذهب يقال منه راغم فلان قومه مراغما ومراغمة قال الفراء هما مصدران ومنه قول النابغة الجعدى كطود يلاذ باركانه عزيز المراغم والمهرب وقال الشاعر الى بلد غير دانى المحل بعيد المراغم والمهرب والمراغم مأخوذ من الرغام وهو التراب فى معنى راغمت فلانا هجرته ولم ابال رغم انفه اى وان لصق بالتراب نفه واختلف اهل التأويل فى معناه فقال ابن عباس المراغم التحول من ارض الى ارض وبه قال الضحاك والربيع والحسن وقتادة ومجاهد وقال السدى يعنى معيشة وقال ابن زيد يعنى مهاجرا وقال ابن عباس يعنى سعة فى الرزق وبه قال الربيع بن انس والضحاك وقال قتادة سعة من الضلالة الى الهدى وقال يزيد بن ابى حبيب ان اهل المدينة يقولون من خرج فاصلا من اهله يريد الغزو وجب سهمه لقوله ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله وقوله وسعة يحتمل امرين احدهما السعة فى الرزق الثانى السعة مما كان فيه من تضيق المشركين عليهم فى امر دينهم بمكة ثم اخبر تعالى ان من خرج مهاجرا من ارض الشرك فارا بدينه الى الله ورسوله وادركه الموت قبل بلوغه دار الهجرة وارض الاسلام فقد وقع اجره على الله يعنى ثواب عمله وجزاء هجرته عليه تعالى وكان الله غفورا يعنى ساترا على عباده ذنوبهم بالعفو عنهم رحيما بهم رفيقا وقيل فى سبب نزول الآية ان الله لما انزل ان الذين توفيهم الملئكة ظالمى انفسهم كتب المسلمون بالآيات وبعثوها الى اخوانهم من اهل مكة فخرج منها جماعة فقالوا لم يبق لنا عذر فهاجروا وقال سعيد بن جبير وعكرمة والضحاك والسدى وابن زيد وابن عباس ورواه ابو الجارود عن ابى جعفر عليه السلام انها نزلت فى ضمرة بن العيص بن ضمرة بن زنباع او العيص بن ضمرة وكان مريضا فامر اهله ان يفرشوا له على سريره ويحملوه الى رسول الله صلى الله عليه وآله قال ففعلوا فاتاه الموت بالتنعيم فنزلت فيه الآية وبه قال قتادة وقال قال ضمرة وانا اعرف الطريق ولى سعة فى المال اخرجونى فاخرج فمات وقال عمر بن شبة هو ابو امية ضمرة بن جندب الخزاعى وقال الزبير بن بكار هو خالد بن حزام اخو حكيم بن حزام خرج مهاجرا فمات فى الطريق قال عكرمة وخرج جماعة من مكة مهاجرين فلحقهم المشركون وفتنوهم عن دينهم فافتتنوا فانزل الله فيهم ومن الناس من يقول امنا بالله فاذا اوذى فى الله جعل فتنة الناس كعذاب الله وكتب بها المسلمون من المدينة اليهم ثم نزل فيهم ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا

ان ربك من بعدها لغفور رحيم قوله تعالى واذا ضربتم فى الارض فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلوة ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا آية بلا خلاف معنى قوله واذا ضربتم فى الارض اذا سرتم فيها فليس عليكم جناح يعنى حرج ولا اثم ان تقصروا من الصلوة يعنى من عددها فتصلوا الرباعيات ركعتين وظاهر الآية يقتضى ان التقصير لا يجوز الا اذا خاف المسافر لانه قال ان خفتم ان يفتنكم ولا خلاف اليوم ان الخوف ليس بشرط لان السفر المخصوص بانفراده سبب للتقصير وفى الظاهرية يقتضى ان التقصير جائز لا اثم فيه ويقتضى ذلك انه يجوز الاتمام وعندنا وعند كثير من الفقهاء ان فرض المسافر مخالف لفرض المقيم وليس ذلك قصرا لاجماع اصحابنا على ذلك ولما روى عن النبى صلى الله عليه وآله انه قال فرض المسافر ركعتان غير قصر واما الخوف بانفراده فعندنا يوجب القصر وفيه خلاف وقد روى عن ابن عباس ان صلوة الخائف قصر من صلوة المسافر وانها ركعة ركعة وقال قوم معنى قوله ليس عليكم جناح ان تقصروا يعنى من حدود الصلوة ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا وهو الذى رواه اصحابنا فى صلوة شدة الخوف وانه يصلى ايماء والسجود اخفض من الركوع فان لم يقدر فان التسبيح المخصوص يكفى عن كل ركعة ثم اخبر تعالى ان الكافرين يعنى الجاحدين لتوحيد الله ونبوة نبيه فقدا بانوا عداوتهم لكم بمنا صبتهم لكم الحرب على عبادتكم الله تعالى وتركهم عبادة الاوثان وفى قصر الصلوة ثلث لغات تقول قصرت الصلوة اقصرها وهى لغة القرآن وقصرتها تقصيرا واقصرتها اقصارا واختلف اهل التأويل فى قصر الصلوة فقال قوم هى قصر من صلوة الحاضر ما كان يصلى اربع ركعات اذن له فى قصرها فيصليها ركعتين ذهب اليه يعلى بن امية وعمر بن الخطاب وان يعلى قال لعمر كيف تقصر الصلوة وقد امنا فقال عمر عجبت مما عجبت منه فسألت النبى صلى الله عليه وآله عن ذلك فقال صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته وبه قال ابن جريج وقتادة وفى قراءة ابى واذا ضربتم فى الارض فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلوة ان يفتنكم الذين كفروا وحذف لا كما حذف فى قوله يبين الله لكم ان تضلوا معناه الا تضلوا وقال قوم القصر لا يجوز الا مع الخوف روى عن ذلك عن عايشة وسعد بن ابى وقاص وقال قوم عنى بهذه الآية قصر صلوة الخوف فى غير حال المسايفة وفيها نزلت ذهب اليه مجاهد وغيره وقال آخرون عنى بها قصر الصلوة صلوة الخوف فى حال غير شدة الخوف وعنى به قصر الصلوة من صلوة السفر لا من صلوة الاقامة لان صلوة السفر عندهم ركعتان تمام غير قصر كما قلناه ذهب اليه السدى وابن عمر وسعيد بن جبير وجابر بن عبد الله وكعب وكان من اصحاب النبى صلى الله عليه وآله قطعت يده يوم اليمامة وحذيفة بن اليمان وزيد بن ثابت وابن عباس وثعلبة بن زهدم اليربوعى وكان من الصحابة وابو هريرة وروى عن ابن عباس فى رواية اخرى ان القصر المراد به صلوة شدة الخوف يقصر من حدودها وتصليها ايماء وهو مذهبنا واما حد السفر الذى يجب فيه التقصير فعندنا انه ثمانية فراسخ وقال ابو حنيفة واصحابه مسيرة ثلثة ايام وقال الشافعى ستة عشر فرسخا ثمانية واربعين ميلا وقال قوم يجب فى قليل السفر وكثيره بينا الخلاف فيه فى كتاب الخلاف وانما قال فى الاخبار عن الكافرين انهم عدو ولم يقل اعداء لان لفظة فعول وفعيل يقع على الواحد والجماعة فتنت الرجل افتنه فهو مفتون لغة اهل الحجاز وتميم وربيعة واهل نجد كلهم واسد يقولون افتنت الرجل فهو فاتن وقد فتن فتونا اذا دخل فى الفتنة قوله تعالى واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلوة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا اسلحتهم فاذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ولتأت طائفة اخرى لم يصلوا فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم واسلحتهم ود الذين كفروا لو تغفلون عن اسلحتكم وامتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة ولا جناح عليكم ان كان بكم اذى من مطر او كنتم مرضى ان تضعوا اسلحتكم وخذوا حذركم ان الله اعد للكافرين عذابا مهينا آية واحدة بلا خلاف قوله واذا كنت فيهم معناه فى الضاربين فى الارض من اصحابك يا محمد صلى الله عليه وآله الخائفين عدوهم ان يفتنوهم فاقمت لهم الصلوة بحدودها وركوعها وسجودها ولم تقصرها القصر الذى يجب فى صلوة شدة الخوف من الاقتصار على الايماء فلتقم طائفة من اصحابك الذين كنت فيهم معك فى صلوتك وليكن سائرهم فى وجه العدو ولم يذكر ما ينبغى ان تفعله الطائفة غير المصلية لدلالة الكلام عليه وليأخذوا اسلحتهم قال قوم الفرقة المأمورة باخذ السلاح هى المصلية مع رسول الله صلى الله عليه وآله والسلاح مثل السيف يتقلد به والخنجر يشده الى درعه وكذلك السكين ونحو ذلك من سلاحه وهو الصحيح وقال ابن عباس الطائفة المأمورة باخذ السلاح هى التى بازاء العدو

دون المصلين فاذا سجدوا يعني الطائفة التي قامت معك مصلية بصلوتك وفرغت من سجودها فليكونوا من ورائكم يعني
فليصيروا بعد فراغهم من سجودهم مصافين للعدو وعندنا انهم يحتاجون ان يتموا صلوتهم ركعتين والامام قائم في الثانية
ثم ينصرفون الى موضع اصحابهم ويجيء الاخرون فيستفتحون الصلوة فيصلي بهم الامام الركعة الثانية ويطيل تشهده
حتى يقوموا فيصلوا بقية صلوتهم ثم يسلم بهم الامام ومن قال ان صلوة الخائف ركعة قال الاولون اذا صلوا ركعة
فقد فرغوا وكذلك الفرقة الثانية وروى ذلك ابو الجارود عن ابي جعفر ع وروى مسلمة عن ابي عبد الله ع وهذا
عندنا انما يجوز في صلوة شدة الخوف وفي الناس من قال ان النبي ع يسلم بهم ثم يقومون فيصلون تمام صلوتهم
وقد بينا اختلاف الفقهاء في مسائل الخلاف في صلوة الخوف وقوله وليأخذوا حذرهم واسلحتهم يعني الطائفة
الثانية ياخذون السلاح والحذر في حال الصلوة وذلك يبين ان المامورة باخذ السلاح في الاول هم المصلون
دون غيرهم وقوله ود الذين كفروا لو تغفلون عن اسلحتكم وامتعتكم معناه تمنى الذين كفروا لو تغفلون عن
اسلحتكم وامتعتكم وتشتغلون عن اخذها تاهبا للقتال وعن امتعتكم التي بها بلاغكم في اسفاركم فتسهون عنها
فيميلون عليكم ميلة واحدة معناه يحملون عليكم وانتم متشاغلون بصلوتكم عن اسلحتكم وامتعتكم حملة واحدة
فيصيبون منكم غرة فيقتلونكم ويستبيحون عسكركم وما معكم والمعنى لا تتشاغلوا باجمعكم بالصلوة عند موافقة
العدو فتمكنوا عدوكم من انفسكم واسلحتكم ولكن اقيموها على ما بينت وخذوا حذركم باخذ السلاح ومن عادة العرب
ان تقولوا ملنا عليهم يعني حملنا عليهم قال العباس بن عبادة بن نضلة الانصاري لرسول الله ليلة العقبة الثانية و
الذي بعثك بالحق ان شئت لنميلن غدا على اهل منى باسيافنا فقال رسول الله لم نؤمر بذلك يعني في ذلك الوقت وقوله
ولا جناح عليكم ان كان بكم اذى من مطر او كنتم مرضى ان تضعوا اسلحتكم وخذوا حذركم معناه لا حرج عليكم ولا اثم
ان كان بكم اذى من مطر يعني ان نالكم من مطر وانتم موافقوا عدوكم او كنتم مرضى يعني اعلاء او جرحى ان تضعوا اسلحتكم
اذا ضعفتم عن حملها لكن اذا وضعتموها فخذوا حذركم يعني احترسوا منهم ان يميلوا عليكم وانتم غافلون غارون ثم قال
ان الله اعد للكافرين عذابا مهينا يعني عذابا مذلا لا يبقون فيه ابدا وقيل وان كنتم مرضى نزلت في عبد الرحمن بن عوف وكان
جريحا ذكره ابن عباس واللام في قوله فلتقم لام الامر وهي تجزم الفعل ومن حقها ان يكون مكسورة اذا ابتدئ بها وبنو سليم
يفتحونها يقولون ليقم زيد كما تنصب تميم لام كي يقولون جئت لاخذ حقي فاذا اتصلت بما قبلها من الواو والفاء جاز تسكينها و
كسرها ذكره الفراء وقال طائفة اخرى ولم يقل اخرون ثم قال لم يصلوا فليصلوا معك ولم يقل فلتصل معك حملا للكلام
تارة على اللفظ واخرى على المعنى كما قال وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا ولو قال اقتتلتا لكان جائزا ومثله فريقا هدى
وفريقا حق عليهم الضلالة وفي قراءة ابي حق عليهم الضلالة ومثله نحن جميع منتصر ولم يقل منتصرون ومثله كثير وفي الاية دلالة
على نبوة النبي ع وذلك ان الاية نزلت والنبي ع بعسفان والمشركون بضجنان فصلى النبي ع باصحابه صلوة الظهر بتمام الركوع والسجود
فهم بهم المشركون ان يغيروا عليهم فقال بعضهم لهم صلوة اخرى احب اليهم من هذه يعنون العصر فانزل الله عليه الاية فصلى بهم العصر
صلوة الخوف ويقال انه كان ذلك سبب اسلام خالد بن الوليد لانه كان هم بذلك فعلم انه ما اطلع النبي ع على ما هموا به غير الله تعالى
فاسلم وفي الناس من قال ان حكم الصلوة الخوف اختص بالنبي ع وقال اخرون وهو الصحيح انه يجوز لغيره قوله تعالى فاذا قضيتم الصلوة
فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم فاذا اطمأننتم فاقيموا الصلوة ان الصلوة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا
اية معنى الاية انكم ايها المؤمنون اذا فرغتم من صلوتكم وانتم موافقوا عدوكم التي بيناها لكم فاذكروا الله قياما وقعودا اي
في حال قيامكم وفي حال قعودكم ومضطجعين على جنوبكم والجنب الجانب تقول نزلت جنبه اي جانبه بالتعظيم له والدعاء لانفسكم
بالظفر على عدوكم لعل الله ان يظفركم بهم وينصركم عليهم وذلك مثل قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا
الله كثيرا لعلكم تفلحون وهو قول ابن عباس واكثر المفسرين وقوله فاذا اطمأننتم فاقيموا الصلوة اختلفوا في تأويله فقال قوم
معناه اذا استقررتم في اوطانكم واقمتم في امصاركم فاقيموا الصلوة يعني اتموا الصلوة التي اذن لكم في قصرها في حال خوفكم
في سفركم وضربكم في الارض ذهب اليه مجاهد وقتادة وقال اخرون معناه اذا استقررتم بزوال الخوف من عدوكم وحدوث الامن
لكم فاقيموا الصلوة اي فاتموا حدودها بركوعها وسجودها ذهب اليه السدي وابن زيد ومجاهد في رواية اخرى فهو اختيار
الجبائي والبلخي والطبري واقوى التأويلين قول من قال اذا زال خوفكم من عدوكم وامنتم فاتموا الصلوة بحدودها غير قاصرين

بها عن شيء من حدودها لانه تعالى عرف عباده الواجب عليهم من فرض صلوتهم بهاتين الايتين في حالين احدهما حال شدة
الخوف اذن لهم فيها بقصر الصلوة على ما بيناه من قصر حدودها والاقتصار على الايماء والثاني حال غير شدة الخوف امرهم
فيها باقامة حدودها واتمامها على ما مضى من معاقبة بعضهم بعضا في الصلوة خلف امامهم لانه قال واذا كنت فيهم فاقمت
لهم الصلوة فلما قال فاذا اطمأننتم فاقيموا الصلوة كان معلوما انه يريد اذا اطمأننتم من الحال التي لم تكونوا فيها
مقيمين صلوتكم فاقيموا الصلوة بجميع حدودها غير قاصرين لها وقال ابن مسعود نزلت الاية في صلوة المرضى والظاهر
بغيره اشبه وقوله ان الصلوة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا اختلفوا في تأويله فقال قوم معناه ان الصلوة كانت
على المؤمنين فريضة مفروضة ذهب اليه عطية العوفي وابن عباس وابن زيد والسدي ومجاهد وهو المروي عن ابي جعفر ع
وابي عبد الله ع وقال اخرون كانت على المؤمنين فرضا واجبا ذهب اليه الحسن ومجاهد في رواية وابن عباس في رواية
وابو جعفر في رواية اخرى عنه والمعنيان متقاربان بل هما واحد وقال اخرون معناه كانت على المؤمنين موقوتا يعني منجما
يؤدونها في انجمها ذهب اليه ابن مسعود وزيد بن اسلم وقتادة وهذه الاقوال متقاربة لان ما كان مفروضا فهو واجب
وما كان واجبا اداؤه في وقت بعد وقت فمفروض منجم واختار الجبائي والطبري القول الاخير قال لان موقوتا مشتق من الوقت
فكانه قال هي عليهم فرض في وقت وجوب ادائها قوله تعالى ولا تهنوا في ابتغاء القوم ان تكونوا تألمون فانهم يألمون
كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون وكان الله عليما حكيما معنى قوله ولا تهنوا لا تضعفوا يقال وهن
فلان في الامر يهن وهنا ووهونا وقوله في ابتغاء القوم يعني في طلب القوم والقوم هم اعداء الله واعداء المؤمنين من اهل
الشرك ان يكونوا ايها المؤمنون تألمون مما ينالكم من الجراح منهم في الدنيا فانهم يعني المشركين يألمون ايضا مما
ينالهم منكم من الجراح والاذى مثل ما تألمون انتم من جراحهم واذاهم وترجون انتم ايها المؤمنون من الله
الظفر عاجلا والثواب اجلا على ما ينالكم منهم ما لا يرجون هم على ما ينالهم منكم يقول فانتم ان كنتم مؤمنين من
ثواب الله لكم على ما يصيبكم منهم بما هم مكذبون به فاولى واحرى ان تصبروا على حربهم وقتالهم منهم على قتالكم
وحربكم وهو قول قتادة والسدي ومجاهد والربيع وابن زيد وابن عباس وابن جريج وقال ابن عباس وعكرمة الاية
نزلت في اهل احد لما اصاب المسلمين ما اصابهم وصعد النبي ع الجبل وجاء ابو سفيان وقال يا محمد يوم لنا و
يوم لكم فقال رسول الله اجيبوه فقال المسلمون لا سواء لا سواء قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار فقال ابو سفيان
عزى لنا ولا عزى لكم فقال النبي ع قولوا الله مولانا ولا مولى لكم فقال ابو سفيان اعل هبل فقال النبي ع قولوا
الله اعلى واجل فقال ابو سفيان موعدنا وموعدكم بدر الصغرى ونام المسلمون وبهم الكلوم وفيهم نزلت ان يمسسكم
قرح فقد الاية وفيهم نزلت ان تكونوا تألمون فانهم يألمون كما تألمون لان الله تعالى امرهم على ما بهم من الجراح ان يتبعوهم
واراد بذلك ارهاب المشركين فخرجوا الى بعض الطريق وبلغ المشركين ذلك فاسرعوا حتى دخلوا مكة وقال بعضهم معنى و
ترجون من الله ما لا يرجون اي تخافون من جهته ما لا يخافون كما قال قل للذين امنوا يغفروا للذين لا يرجون ايام
الله بمعنى لا يخافون وقال قوم لا يعرف في كلام العرب الرجا بمعنى الخوف الا اذا كان في الكلام جحد سابق كما قال
ما لكم لا ترجون لله وقارا بمعنى لا تخافون لله عظمة وقال الشاعر لا ترتجي حين تلاقي الذائدا اسبعة لاقت معا او واحدا
وقال ابو ذؤيب الهذلي اذا لسعته النحل لم يرج لسعها وحالفها في بيت نوب عوامل قال الفراء نوب ونوب وهو النحل ولا يجوز
ان يقول رجوتك بمعنى خفتك وانما استعمل الرجاء امل لله تخاف الايتم وهي لغة حجازية قال الكسائي لم اسمعها الا بتهامة
ويذهبون معناها الى قولهم ما ابالي وما احفل قال الشاعر لعمرك ما ارجو اذا كنت مسلما على اي جنب كان لله مصرعي اي ما
ابالي وقوله كان الله عليما يعني بمصالح خلقه حكيما في تدبيره اياهم وتقديره احوالهم قوله تعالى انا انزلنا اليك الكتاب
بالحق لتحكم بين الناس بما اريك الله ولا تكن للخائنين خصيما واستغفر الله ان الله كان غفورا رحيما اية خاطب
الله بهذه الاية نبيه ع فقال انا انزلنا اليك يا محمد الكتاب يعني القران بالحق لتحكم بين الناس بما اراك الله يعني بما
اعلمك الله في كتابه ولا تكن للخائنين خصيما نهاه ان يكون لمن خان مسلما او معاهدا في نفسه او ماله خصيما يخاصم عنه ويدفع
من طالبه عنه بحقه الذي خانه فيه ثم امره بان يستغفر الله في مخاصمته عن الخائن ما لغيره ان الله كان غفورا رحيما
يصفح عن ذنوب عباده ويسترها عليهم ويترك مؤاخذتهم بها وعندنا ان الخطاب وان توجه الخطاب الى النبي ع من حيث

خاصم من داه على ظاهر الايمان والعدالة وكان في الباطن بخلافه فلم يكن ذلك معصية لانه ع منزه عن القبائح فانما ذكر ذلك على وجه التأديب له في ان لا يبادر في خاصم ويدفع عن خصم الا بعد ان يتبين الحق منه والمراد بذلك امته عليه السلام على انا لا نعلم ان ما روي في هذا الباب وقع من النبي ع لان طريقه الاحاد وليس يوجب النهي اليه بدلالة على انه وقع منه ذلك المنهي قال لئن اشركت ليحبطن عملك ولا يدل ذلك على وقوع الشرك منه وقال قوم من المفسرين انه لم يخاصم عن الخصم وانما هم به فعاتبه الله على ذلك والاية نزلت في بني ابيرق كانوا ثلثة اخوة بشر وبشير ومبشر وكان بشر يكنى ابا طعمة فنقبوا على عم قتادة بن النعمان واخذوا له طعاما وسيفا ودرعا فشكى ذلك الى ابن اخيه قتادة وكان قتادة بدريا فجاء الى رسول الله ص فذكر له القصة وكان معهم في الدار رجل يقال له لبيد بن سهل وكان فقيرا شجاعا مؤمنا فقال بنو ابيرق لقتادة هذا عمل لبيد بن سهل فبلغ لبيدا ذلك فاخذ سيفه وخرج اليهم وقال يا بني ابيرق اترمونني بالسرق وانتم اولى به منه وانتم المنافقون تهجون رسول الله وتنسبون الى قريش لتبيّنن ذلك او لاضعن سيفي فيكم فداروه وقالوا ارجع رحمك الله فانك بريء من ذلك وبلغهم ان قتادة مضى الى رسول الله ص فمشوا الى رجل من رهطهم يقال له اسير بن عروة وكان منطيقا لسنا فاخبروه فمشى اسير الى رسول الله ص في جماعة فقال يا رسول الله ان قتادة بن النعمان رمى جماعة منا اهل الحسب منا بالسرق واتهمهم بما ليس فيهم وجاء قتادة الى النبي ع فاقبل عليه النبي وقال عمدت الى اهل بيت حسب ونسب رميتهم بالسرق وعاتبه فاغتم قتادة ورجع الى عمه فقال ليتني مت ولم اكن كلمت رسول الله ص فقد قال لي ما كرهت فقال عمه الله المستعان فنزلت هذه الايات ومن يكسب خطيئة او اثما ثم يرم به بريئا يعني لبيد بن سهل حين رماه بنو ابيرق بالسرق فقد احتمل بهتانا واثما مبينا الى قوله وكان فضل الله عليك عظيما فبلغ ذلك بني ابيرق فخرجوا من المدينة ولحقوا بمكة وارتدوا فلم يزالوا بمكة مع قريش فلما فتح مكة هربوا الى الشام فانزل الله فيهم ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى الى اخر الايات ولما مضى الى مكة نزل على سلافة بنت سعد شهيد امرأة من الانصار وكانت ناكحا في بني عبد الدار بمكة فهجاها حسان فقال وقد انزلته بنت سعد واصبحت ينازعها جلد استها وتنازعه ظننتم بان يخفى الذي قد صنعتم وفينا نبي عنده الوحي واضعه فحملت رحله على راسها والقته بالابطح وقالت ما كنت تأتيني بخير اهديت الي شعر حسان ونزل فيه قوله ومن يشاقق الرسول هذا قول مجاهد وقتادة بن النعمان وابن زيد وعكرمة الا ان قتادة وابن زيد وعكرمة قالوا ان بني ابيرق طرحوا ذلك على يهودي يقال له زيد بن السمين فجاء اليهودي الى رسول الله ص وبمثله قال ابن عباس وقال ابن جريج هذه الايات كلها نزلت في ابي طعمة ابن ابي ابيرق الى قوله ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وقال رمى بالدرع في دار ابي مليك بن عبد الله الخزرجي فلما نزل القران لحق بقريش وقال الضحاك نزلت في رجل من الانصار استودع درعا فجحد صاحبها فخونه رجال من اصحاب النبي فغضب له قومه فاتوا نبي الله فقالوا اخونوا صاحبنا وهو امين مسلم فعذره النبي ع وكذب عنه وهو يرى انه بريء مكذوب عليه فانزل الله فيه الايات واختار الطبري هذا الوجه وقال لان الخيانة انما تكون في الوديعة فاما السارق فلا يسمى خائنا فحمله عليه اولى وكل ذلك جائز قوله تع ولا تجادل عن الذين يختانون انفسهم ان الله لا يحب من كان خوانا اثيما اية نهى الله تع نبيه ان يجادل عن الذين يختانون انفسهم بمعنى يخونون انفسهم فيجعلونها خونة بخيانتهم ما خانوا من الاموال وهم الذين تقدم ذكرهم من بني ابيرق فقال لا تخاصم عنهم فيما خانوا فيه ثم اخبر ان الله لا يحب من كان خوانا اثيما يعني من كان صنعته خيانة الناس في اموالهم اثيما يعني ماثوما وبمثله قال من تقدم من المفسرين قال قتادة وفيهم نزلت الايات الى قوله ومن يشاقق الرسول قوله تع يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم اذ يبيتون ما لا يرضى من القول وكان الله بما يعملون محيطا اية معنى يستخفون يكتمون فاخبر الله تعالى ان هؤلاء الخائنين يكتمون خيانتهم من الناس الذين لا يقدرون لهم على شيء الا ذكرهم بقبيح ما اتوه من فعلهم وتشنيع ما ركبوه اذا اطلعوا منهم على ذلك حياء منهم وحذرا من قبح الاحدوثة ولا يستخفون من الله الذي هو معهم يعني انه مطلع عليهم لا يخفى عليه شيء من امرهم وبيده العقاب والنكال وتعجيل العذاب فهو احق بان يستحيا منه واولى بان يعظم من ان يراهم حيث يكرههم اذ يبيتون ما لا يرضى من القول معناه حين يسوّون ليلا ما لا يرضى الله من القول فيغيرونه عن وجهه ويكونون فيه والتبييت هو كل كلام او امر اصلح ليلا واصله من فكرهم فيه ليلا قال الشاعر اتوني فلم

ارض ما بيتوا وكانوا اتوني بشيء نكر وحكى عن بعض طي ان التبييت في لغتهم التبديل وانشد الاسود بن عامر بن جوين الطائي في معاتبة رجل وبيّت قولي عند المليك قاتلك الله عبدا كنودا يعني بدلت قولي وروى عن الاعمش عن ابي رزين ان معنى يبيتون ما لا يرضى يؤلفون ما لا يرضى يعني في رمي البريء بجرم السقيم والمعنى متقارب لان التاليف والتسوية والتغيير عما هو عليه وتحويله عن معناه الى غيره واحد والمعني بالاية الرهط الذين مشوا الى رسول الله ص في مسألة المدافعة عن بني ابيرق والجدال عنه وكان الله بما تعملون محيطا يعني يعلم ما يعمله هؤلاء المستخفون من الناس ويبيتونه مما لا يرضى من القول وغيره من افعالهم محيطا بمعنى عالما محصيا لا يخفى عليه شيء منه حافظا لجميعه ليجازيهم عليه بما يستحقون قال الزجاج الذي بيتوه قولهم ان اليهودي سارق الدرع وعزمهم على ان يحلفوا انهم ما سرقوا وان يمينهم تقبل دون يمين اليهودي لانه مخالف الاسلام قوله تع ها انتم هؤلاء جادلتم عنهم في الحيوة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيمة ام من يكون عليهم وكيلا اية بلا خلاف ها انتم هاء للتنبيه واعيدت مع اولاء والمعنى ها انتم الذين جادلتم لان هؤلاء وهذا يكون في الاشارة للمخاطبين الى انفسهم بمنزلة الذين وقد يكون لغير المخاطبين بمنزلة الذين قال يزيد بن مفرغ نجوت وهذا تحملين طليق اي والذي تحملين طليق قال الزجاج هؤلاء بمعنى الذين لان المخاطب المواجه لا يحتاج الى الاشارة الى نفسه وقال المغربي هؤلاء كناية عن اللصوص الذين يجادل عنهم وهو غير اتم ولذلك حسن التكرير ومعنى الاية ها انتم الذين جادلتم والجدال اشد الخصومة ماخوذ من جدلت الحبل اذا احكمت فتله ورجل مجدول مجدول شديد والاجدل الصقر لانه اشد الطيور والمعنى يا معاشر من جادل عن بني ابيرق في الحيوة الدنيا والهاء والميم في عنهم كناية عن الخائنين فمن يجادل الله عنهم معناه من ذا يخاصم الله عنهم يوم تقوم الساعة يوم يقوم الناس من قبورهم الى محشرهم فيدافع عنهم ما الله فاعل بهم والمعنى انكم ان دافعتم في عاجل الدنيا فانهم سيصيرون في الاخرة الى من لا يدافع عنده عنهم احد فيما يفعل بهم من العذاب الاليم والنكال وقوله ام من يكون عليهم وكيلا معناه ومن ذا الذي يكون وكيلا على هؤلاء الخائنين يوم القيمة يتوكل عنهم في خصومة الله عنهم يوم القيمة وقد بينا ان الوكالة هي القيام بامر من يوكل له قوله تعالى ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما اية المعنى من يعمل ذنبا وهو السوء او يظلم نفسه باكتساب المعاصي التي يستحق بها العقوبة ثم يستغفر الله يعني يتوب اليه مما عمل من المعاصي ويراجعه يجد الله غفورا رحيما ومعناه يعلمه ساترا عليه ذنبه بصفحه له عن عقوبة جرمه رحيما به واختلفوا فيمن عني بهذه الاية فقال قوم عني به الخائنين الذين وصفهم في الايات الاولة وقال اخرون عني الذين كانوا يجادلون عن الخائنين قال قوم لهم ها انتم هؤلاء جادلتم عنهم في الحيوة الدنيا والاولى حمل الاية على عمومها في كل من عمل سوءا او ظلم نفسه وان كان سبب نزولها فيمن تقدم ذكره من الخائنين او المجادلين وبه قال اكثر المفسرين الطبري والبلخي والجبائي وابن عباس وعبد الله بن معقل وابو وائل وغيرهم قوله تع ومن يكسب اثما فانما يكسبه على نفسه وكان الله عليما حكيما المعنى من يأت ذنبا على عمد منه ومعرفة به فانما يجترح وبال ذلك الذنب وضره وخزيه وعاره على نفسه دون غيره من سائر خلق الله والمعنى ولا تجادلوا ايها الناس الذين يجادلون عن هؤلاء الخونة فانكم وان كنتم لهم عشيرة وقرابة فيما اتوه من الذنب ومن التبعة التي يتبعون بها فانكم متى دافعتم عنهم او خاصمتم بسببهم كنتم مثلهم فلا تدافعوا عنهم ولا تخاصموا وكان الله عليما حكيما يعني عالما بما تفعلون ايها المجادلون عن الخائنين انفسهم وغير ذلك من افعالهم وافعال غيرهم حكيما في افعاله من سياستكم وتدبيركم وتدبير جميع خلقه وقيل انها نزلت في بني ابيرق وفي الاية دلالة على انه لا يؤاخذ احدا بجرم غيره ولا يعاقب الاولاد بذنوب الاباء على ما يذهب اليه قوم من اهل الحشو ومثله قوله ولا تزر وازرة وزر اخرى قوله تع ومن يكسب خطيئة او اثما ثم يرم به بريئا فقد احتمل بهتانا واثما مبينا اية بلا خلاف الخطيئة والخطىء الاثم العمد تقول خطئ يخطأ اذا تعمد الذنب واخطأ يخطئ اذا لم يتعمد قال الزجاج لما سمى الله تع المعاصي بانها خطيئة ووصفها دفعة اخرى بانها اثم فصل بينهما ههنا حتى يدخل الجنسان فيه وقال غيره المعنى من يعمل خطيئة وهي الذنب واثما وهو ما لا يحل من المعصية وفرق بين الخطيئة والاثم لان الخطيئة قد يكون عمدا وغير عمد والاثم لا يكون الا عمدا فبين تع ان من يفعل خطيئة على غير عمد منه لها مما يلزمه فيه الغرامة وان لم يكن اثما فيه او اثما على عمد منه

جميع الاعصار على وجه الجمع دون اهل كل عصر لان العموم يقتضي ذلك فاذا خصوا باهل كل عصر خصصنا ببعض
اهل العصر على انه انما حرم اتباع غير سبيل المؤمنين فمن اين وجوب اتباع سبيلهم فلم لا يجوز ان يكون غير سبيلهم محظورا واتباع
واتباع سبيلهم موقوفا على الدليل ويجوز ان يكون ايضا محظورا امثله او مباحا او مندوبا فمن اين الوجوب مع احتمال
جميع ذلك على انه لو سلم جميع ذلك لكان يجب علينا اتباع سبيلهم اذا كانوا مؤمنين لانه هكذا اوجب فمن اين انهم
لا يخرجون عن كونهم مؤمنين ووجوب الاتباع تابع لكونهم مؤمنين فيحتاجون الى دليل اخر في انهم لا يخرجون
عن كونهم مؤمنين غير الاية على ان ظاهر الاية يتضمن ان من شاق الرسول واتبع غير سبيل المؤمنين يتناوله الوعيد
فمن اين انه اذا انفرد احدهما عن الاخر يتناوله الوعيد ونحن انما نعلم تناول الوعيد على مشاقة الرسول بانفرادها
بدليل غير الاية فعلى من خالفنا ان يقول ان اتباع غير سبيل المؤمنين يتناوله الوعيد بدليل غير الاية وقد استوفينا
ما في هذه الاية في اصول الفقه وغيره من كتبنا مشروحا لا نطول بذكره ههنا قوله تعالى إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ
يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا اية بلا خلاف اخبر الله
تعالى في هذه الاية انه لا يغفر الشرك وانه يغفر ما دونه وقد بينا الاستدلال بذلك على ما نذهب اليه من جواز
العفو عن مرتكبي الكبائر من اهل الصلوة وان لم يتوبوا فيما مضى فلا وجه لاعادته وقيل انه عني بهذه الاية ابا طعمة
الخاين حين اشرك ومات على شركه بالله غير ان الاية وان نزلت بسببه فعندنا وعند جميع الامة ان الله لا يغفر لمن
اشرك به بلا توبة لتناول العموم لهم فان قيل فعلى هذا من لم يشرك بالله بان لا يعبد معه سواه وان كان كافرا
بالنبي صلى الله عليه وآله من اليهود والنصارى ينبغي ان يكون داخلا تحت المشية لانه مما دون الشرك قلنا ليس الامر على ذلك لان كل
كافر مشرك لانه اذا جحد نبوة النبي صلى الله عليه وآله اعتقد ان ما ظهر على يده من المعجزات ليست من فعل الله ونسبها الى غيره وان
الذي صدقه بها ليس هو الله ويكون ذلك اشراكا معه على ان الله تعالى اخبر عنهم بانهم قالوا يعني النصارى المسيح ابن الله
وقالت اليهود عزير ابن الله وذلك هو الشرك بالله تعالى على انه لو لم يكونوا داخلين في الشرك لخصصناهم من جملة من
تناولتهم المشية لاجماع الامة على ان الله تعالى لا يغفر الكفر على وجه الا بتوبة وقوله وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ
ضَلَالًا بَعِيدًا يعني من يجعل في عبادته مع الله شريكا فقد ذهب عن طريق الحق وزال عن قصد السبيل ذهابا بعيدا
لانه باشراكه مع الله في عبادته فقد اطاع الشيطان وسلك طريقه وترك طاعة ربه قوله تعالى إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ
إِلَّا إِنَاثًا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا اية اختلفوا في تاويل هذه الاية على خمسة اقوال فقال ابو مالك والسدي
وابن زيد والزجاج ان المراد بذلك الهتهم واللات والعزى ومناة وساف ونايلة سماهن اناثا بتسمية المشركين اياها
باسماء الاناث الثاني قال ابن عباس وقتادة والحسن معناه ان يدعون من دونه الا اناثا يقول ميتا ليس فيه روح
قال الحسن الاناث كل شيء ميت ليس فيه روح مثل خشبة يابسة او حجر يابس وقال الزجاج لان الموات يخبر عنها
بلفظ التانيث كما يعبر عن المؤنث تقول الاحجار تعجبني ولا تقول يعجبونني الثالث قال الحسن في رواية اخرى ان اهل
الاوثان كانوا يسمون اوثانهم اناثا وكان لكل حي صنم يسمونها انثى الرابع قال مجاهد الاناث هي الاوثان وروى
عن عروة عن ابيه ان في مصحف عايشة الا اوثانا وروى عن ابن عباس انه كان يقراها الا أُثُنًا جمع وثن كانه جمع وثنا
وُثُنًا ثم قلب الواو همزة مضمومة مثل وجوه واجوه ووقتت واقتت وقرا بعضهم أُنُثًا جمع اناث مثل ثمار وثمر والقراءة
المشهورة اناثا وعليه القراء من اهل الامصار الخامس قال الحسين بن علي المغربي الا اناثا معناه ضعافا عاجزين لا قدرة
لهم يقولون سيفا نيث ومئناثة بالهاء ومئناث اي غير قاطع قال صخر الغي فتخبره بان العقل عندي جراز لا افل ولا انيث
وانث في امره اذا لان وضعف والانيث المخنث قال الكميت وشذبت عنهم شوك كل قتادة بفارس يخشاها الانيث المغمر
قال الازهري والاناث الموات وقوله وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا المعنى ان هؤلاء الذين يعبدون غير الله ليس
يعبدون الا الجمادات والا الشيطان المريد وهو المتمرد على الله في خلافه فيما امره به ونهاه عنه وهو ابليس وبه قال قتادة
واكثر المفسرين ويدعون معناه يعبدون لانهم اذا دعوا الله مخلصين فقد عبدوه ومثله قوله ادعوني استجب لكم اي
اعبدوني بدلالة قوله ان الذين يستكبرون عن عبادتي قال الزجاج المريد هو الخارج عن الطاعة يقال حايط ممرد اي
مملس وشجرة مرداء اذا تناثر ورقها ومنه سمي امرد لمن لا لحية له اي املس موضع اللحية ويقال مرد الرجل يمرد مرودا ومرادة

اذاعتا وخرج عن الطاعة قوله تعالى لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا اية معنى لعنه الله ابعده الله
من ثوابه واخزاه واقصاه والهاء في لعنه الله كناية عن الشيطان والتقدير وان يدعون الا شيطانا مريدا قد لعنه الله
وابعده من كل خير وقوله وقال لاتخذن يعني بذلك ان الشيطان المريد قال لربه عز وجل اذ لعنه لاتخذن من عبادك
نصيبا مفروضا يعني قسما معلوما وبه قال الضحاك واتخاذ الشيطان النصيب من عباد الله يكون باغوائه اياهم عن قصد
السبيل ودعائه اياهم الى طاعته وتزيينه لهم الضلال والكفر فمن اجابه في دعائه واتبعه فهو من نصيبه المعلوم وحظه المفروض
وانما اخبر بذلك ليعلم الذين شاقوا الرسول من بعد ما تبين له الهدى انهم من نصيب الشيطان الذي لعنه الله و
المفروض الموقت والمعنى ههنا ما افترضه عليهم من طاعته والفرض القطع والفريضة الثلمة تكون في النهر والفرض
كلما امر الله به والزمه وقوله وقد فرضتم لهن فريضة اي قطعة من المال وفرضت للرجل اذا جعلت له قطعة من مال
الفيء والفرض التمر قال الشاعر اذا اكلت سمكا وفرضا ذهبت طولا وذهبت عرضا وانما سمي التمر فرضا لانه يؤخذ
في فرايض الصدقة يقال سقاها بالفراض والفرض والفرض الحز يكون في المسواك يشد فيه الخيط والفرض في القوس
الحز يشد فيه الوتر قوله تعالى وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ
اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا
غُرُورًا أُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ثلث ايات قوله ولاضلنهم اخبار عن الشيطان المريد الذي
وصف صفته في الاية الاولى انه قال لربه لاتخذن من عبادك نصيبا مفروضا ولاضلنهم ومعناه ولاصدن النصيب
المفروض الذي اتخذه من عبادك عن محجة الهدى الى الضلال ومن الاسلام الى الكفر ولامنينهم ومعناه اوهمهم انهم
ينالون في الاخرة حظا لازيغنهم بما اجعل في انفسهم من الاماني عن طاعتك وتوحيدك الى طاعتي والشرك بي ولامرنهم
فليبتكن اذان الانعام يعني لامرن النصيب المفروض من عبادك بعبادة غيرك من الانداد والاوثان ينسكوا لها ويحرموا
ويحللوا ويشرعوا غير الذي شرعه الله لهم فيتبعوني ويخالفوك والتبتيك القطع تقول بتكت الشيء ابتكه بتكا اذا
قطعته وبتكه وبتك مثل قطعه وقطع وسيف باتك قاطع والمراد في هذا الموضع قطع اذن البحيرة ليعلم انها بحيرة
واراد الشيطان بذلك دعاءهم الى البحيرة فيستجيبون له ويعملون بها طاعة له قال قتادة البتك قطع اذان البحيرة
والسايبة لطواغيتهم وقال السدي كانوا يشقونها وبه قال عكرمة وقوله ولامرنهم فليغيرن خلق الله اختلفوا
في معناه فقال ابن عباس والربيع ابن انس عن انس انه الاخصاء وكرهوا الاخصاء في البهايم وبه قال سفيان
وشهر بن حوشب وعكرمة وابو صالح وفي رواية اخرى عن بن عباس فليغيرن دين الله وبه قال ابرهيم ومجاهد و
روي ذلك عن ابي جعفر وابي عبد الله عليهما السلام قال مجاهد كذب العبد يعني عكرمة في قوله انه الاخصاء وانما
هو تغيير دين الله الذي فطر الناس عليه في قوله فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين
القيم وهو قول قتادة والحسن والسدي والضحاك وابن زيد وقال قوم هو الوشم روي ذلك عن الحسن والضحاك
وابرهيم ايضا وعبد الله وقال عبد الله لعن الله الواشمات والموتشمات والمتفلجات المغيرات خلق الله وقال
الزجاج خلق الله تعالى الانعام لياكلوها فحرموها على انفسهم وخلق الشمس والقمر والحجارة مسخرة للناس
ينتفعون بها فعبدوها المشركون واقوى الاقوال قول من قال فليغيرن خلق الله بمعنى دين الله بدلالة قوله
فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ويدخل في ذلك جميع ما قاله المفسرين
لانه اذا كان ذلك خلاف الدين فالاية يتناوله ثم اخبر تعالى عن حال نصيب الشيطان المفروض الذين شاقوا
الله ورسوله من بعد ما تبين لهم الهدى فقال ومن يتبع الشيطان فيطيعه في معصية الله وخلاف امره فقد خسر
خسرانا مبينا معناه هلك هلاكا ظاهرا وبخس نفسه حظها خسرانا تبين عن عطبه وهلاكه لان الشيطان
لا يملك له نصرا من الله اذا اراد عقابه ثم اخبر تعالى عن الشيطان انه يعد من يتبعه ويمنيهم فيعدهم النصر ممن
ارادهم ويمنيهم الظفر على من ارادهم بمكروه ثم قال تعالى وما يعدهم الشيطان الا غرورا يعني باطلا وسماه غرورا
لانهم كانوا يظنون ان ذلك حق فلما بان لهم انه باطل كان غرورا وقوله اولئك ماويهم جهنم اشارة الى هؤلاء
الذين اتخذوا الشيطان وليا من دون الله ماويهم يعني مصيرهم الذين يصيرون اليه جهنم ولا يجدون عنها محيصا

يعني لا يجدون عنها معدلا اذا احصلوا فيها تقول حاص فلان عن هذا الامر يحيص حيصا وحوصا اذا عدل عنه ومنه حديث ابن عمر بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية كنت فيهم فلقينا المشركين فحصنا حيصة وقال بعضهم فجاضوا جيضة وهما بمعنى واحد غير انه لا يقرأ الا بالصاد والحاء وحصت احوص حوصا وحياصا اذا خطت يقال حص عين صقرك اى خط عينه والحوص في العين ضيق مؤخرها والخوص غورها قوله تعالى والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا وعد الله حقا ومن اصدق من الله قيلا آية لما ذكر الله تعالى حكم من يشاقق الرسول ويتبع غير سبيل المؤمنين وذكر ان من يشرك به لا يغفر له و بين حكم من يتبع الشيطان ويكون من نصيبه ذكر في هذه الآية حكم من يؤمن به ويوحده ويقر بنبيه ويصدقه ويضيف الى ذلك عمل الصالحات وانه سيدخلهم جنات تجري من تحتها الانهار ثوابا على اعمالهم وجزاء ايمانهم ويخلدهم فيها وخالدين نصب على الحال والمعنى ان هذه الحال ستدوم لهم وتتأبد وان ذلك وعد حق من الله لهم وقوله ومن اصدق من الله قيلا صورته صورة الاستفهام والمراد به التقرير والانكار والمعنى لا احد اصدق من الله قيلا اى قولا ووعدا لانه لا يجوز عليه خلف الميعاد ولا الاخلال بما يجب عليه من الثواب تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا قوله تعالى ليس بامانيكم ولا اماني اهل الكتاب من يعمل سوءا يجز به ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا آية في ليس ضمير والتقدير ليس الثواب بامانيكم ولا اماني اهل الكتاب والاماني يخفف ويثقل فيقال اماني واماني على وزن افاعيل وفعالل كقرا قير وقراقر واختلفوا فيمن عني بهذه الآية فقال مسروق تفاخر المسلمون واهل الكتاب فقال المسلمون نحن اهدى منكم وقال اهل الكتاب نحن اهدى منكم فانزل الله تعالى ليس بامانيكم ولا اماني اهل الكتاب من يعمل سوءا يجز به فقال اهل الكتاب نحن وانتم سواء فانزل الله تعالى ومن يعمل من الصالحات من ذكر او انثى وهو مؤمن فلج المسلمون ذهب الى ذلك قتادة والسدي والضحاك وابو صالح وقال مجاهد معنا ليس بامانيكم يعني اهل الشرك من قريش لانهم قالوا لا نبعث ولا نعذب وفي لا اماني اهل الكتاب في انهم خير من المسلمين ولا يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى ذهب اليه ابن زيد وهذا الوجه اقوى لانه لم يجر لاماني المسلمين ذكر وقد جرى ذكر اماني الكفار في قوله ولامنينهم يعني الذين يتخذهم الشيطان نصيبا مفروضا ويقوى ذلك ان الله تعالى قد وعد المؤمنين بقوله والذين آمنوا وعملوا الصالحات بادخال الجنة والخلود فيها وتلك غاية اماني المسلمين فكيف ينفي بعد ذلك امانيهم وقوله ومن يعمل سوءا يجز به اختلفوا في تأويله فقال قوم انه يريد بذلك جميع المعاصي صغائرها وكبائرها وان من ارتكب شيئا منها فان الله يجازيه عليها اما في الدنيا او في الآخرة ذهب اليه قتادة وعائشة ومجاهد وقال آخرون من يعمل سوءا من اهل الكتاب يجز به ذهب اليه الحسن قال كقوله وهل نجازي الا الكفور وبه قال ابن زيد والضحاك وهو الذي يليق بمذهبنا لانا نقطع على ان الكفار لا يغفر لهم على حال والمسلمون يجوز ان يغفر لهم ما يستحقونه من العقاب فلا يمكننا القطع على انه لا بد ان يجازي بكل سوء وقال قوم معنى السوء ههنا الشرك فمعنى الآية من يعمل الشرك يجز به ذهب اليه ابن عباس وسعيد بن جبير وروى ابو هريرة انه لما نزلت هذه الآية شقت على المسلمين فشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قاربوا وسددوا ففي كل ما يصاب به المسلم كفارة حتى النكبة ينكبها او الشوكة يشاكها وقيل لبعض الصحابة اليس تمرض الست تصيبك اللأواء قال بلى فهو ما تجزون به وقوله ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا معناه ولا يجد الذي يعمل سوءا من معاصي الله وخلاف امره وليا يلي امره وينصره ويحامي عنه ويدفع عنه ما ينزل به من عقوبة الله ولا نصيرا يعني ناصرا ينصره مما يحل به من عقاب الله واليم عذابه واستدلت المعتزلة على المنع من غفران معاصي اهل الصلوة بهذه الآية قالوا لانه تعالى بين انه يجازي على كل سيئة وذلك يمنع من جواز العفو قلنا قد تكلمنا على نظير ذلك فيما مضى بما يمكن اعتماده ههنا منها انا لا نسلم انها تستغرق جميع من فعل السوء بل في اهل التأويل من قال المراد به الشرك وهو ابن عباس وقد قدمناه ثم لا خلاف ان الآية مخصوصة لان التائب ومن كانت معصيته صغيرة لا يتناوله العموم فاذا جاز لهم تخصيص الفريقين جاز لنا ان نخص من يتفضل الله عليه بالعفو وهذا واضح وقد بينا الجواب عما يزاد على ذلك من الاسولة بما فيه كفاية فيما مضى وفي كتاب

شرح الجمل لا نطول بذكره ههنا قوله تعالى ومن يعمل من الصالحات من ذكر او انثى وهو مؤمن فاولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا آية قرأ ابن كثير وابو عمرو وابو بكر الا الكسائي وابو جعفر وروح يدخلون بضم الياء وفتح الخاء ههنا وفي مريم والمؤمن وافقهم رويس الا في هذه السورة وعد الله تعالى بهذه الآية جميع المكلفين من الذكور والاناث اذا عملوا الاعمال الصالحات وهم مؤمنون مقرون بتوحيد الله وعدله مصدقون بنبيه صلى الله عليه وسلم عاملون لما اتى به انه يدخلهم الجنة ويثيبهم فيها ولا يبخسهم شيئا مما يستحقونه من الثواب وان كان مقدار نقير في الصغر وهي النقطة التي في ظهر النواة وقيل منها نبتت النخلة ومن ضم الياء وفتح الخاء فلانه قال ولا يظلمون فضم الياء ليزدوج الكلام ولانهم لا يدخلونها حتى يدخلوها ومن فتح الياء فلانهم اذا ادخلوا الجنة فقد دخلوها فان قيل ظاهر الآية يقتضي انه لا يثيب الا من آمن وعمل الصالحات فمن انفرد بالايمان لا يستحق الثواب وكذلك من فعل بعض الصالحات قلنا ظاهر العموم مخصوص بلا خلاف لانه لو آمن بالله واليوم الآخر واخترم عقيبه لا خلاف انه يدخل الجنة فكذلك اذا اخل ببعض الصالحات او ارتكب معصية فانا نعلم دخوله الجنة بدليل آخر على ان من في قوله من الصالحات يقتضي انه لو فعل بعض الصالحات لادخل الجنة لانها للتبعيض وانما يقتضي الاستغراق اذا حملت على ان معناها بيان الصفة فاذا احتمل الظاهرها قلناه سقطت المعارضة فاما من قال ان من زائدة فلا يعول على قوله لانه اذا امكن حمل الكلام على فائدة لم يجز ان يحمل على الزيادة وبما قلناه في معنى النقير قال مجاهد وعطية والسدي وغيرهم قوله تعالى ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة ابراهيم حنيفا واتخذ الله ابراهيم خليلا آية قضى الله تعالى في هذه الآية للاسلام بالفضل على سائر الملل بقوله ومن احسن دينا ايها الناس وهو في صورة الاستفهام والمراد به التقرير والمعنى من احسن دينا واصوب طريقا واهدى سبيلا ممن اسلم وجهه لله يعني استسلم وجهه لله والوجه يراد ههنا نفسه وذاته كما قال كل شيء هالك الا وجهه فانقاد له بالطاعة ولنبيه صلى الله عليه وسلم بالتصديق وهو محسن يعني وهو فاعل للفعل الحسن مما امره الله به واتبع ملة ابراهيم حنيفا يعني واتبع الذي كان عليه ابراهيم وامر به بنيه من بعده واوصاهم به من الاقرار بتوحيده وعدله وتنزيهه عما لا يليق به حنيفا يعني مستقيما على منهاجه وسبيله وقد بينا فيما مضى معنى الحنيف فلا فائدة في اعادته وبمثل ذلك قال الضحاك وغيره من المفسرين وقوله واتخذ الله ابراهيم خليلا ومعنى الخليل يحتمل امرين احدهما المحبة مشتقا من الخلة بضم الخاء والمعنى اتخذ الله ابراهيم محبا ويكون خلة ابراهيم موالاته لاولياء الله ومعاداته لاعدائه وخلة الله له نصرته على من اراده بسوء مثل ما اراد نمرود من احراقه بالنار فانقذه الله منها واعلى حجته عليه وكما فعل بملك مصر حين راوده عن اهله وجعله اماما لمن بعده من عباده وقدوة لهم والثاني ان يكون ذلك مشتقا من الخلة التي هي الفقر بفتح الخاء كما قال زهير يمدح هرم بن سنان وان اتاه خليل يوم مسئلة يقول لا غائب مالي ولا حرم ويروى يوم مسغبة وهو الاظهر وانما انشد البلخي يوم مسئلة وهو بخلاف الروايات وقال آخر وان لم تسعفاني بحاجة الى آل ليلى مرة تخليلي اى لمحتاج وقيل انه اصاب اهل ناحية ابراهيم جدب فارتحل الى خليل له من اهل مصر يلتمس طعاما لاهله من قبله فلم يصب عنده حاجته فلما قرب من اهله مر بمفازة ذات رمل لينة فملأ غرايره من ذلك الرمل لئلا يغم اهله برجوعه بغير ميرة فيظنوا ان معه طعاما فحول الله تعالى ما في غرايره دقيقا فلما وصل الى اهله قام اهله ففتحوا الغرائر فوجدوا دقيقا فعجنوا منه فخبزوا فاستيقظ ابراهيم فسألهم من اين خبزوا فقالوا من الدقيق الذي جئت به من عند خليلك المصري فقال لا بل من عند خليلي الله عز وجل فسماه الله خليلا فهذا ما روى وهو من آيات الانبياء عليهم السلام فاما الاشتقاق فالخلة بضم الخاء الصداقة والخلة بفتح الخاء الحاجة واستعمل في الحاجة للاختلال الذي يلحق الفقير فيما يحتاج اليه والخلة بمعنى الصداقة فلان كل واحد منهما يسد خلل صاحبه في المودة والحاجة وقيل لانه يطلع على اسراره فكانه في خلل قلبه والخلل كل فرجة يقع في شيء والخلال هو ما يتخلل به لانه يتبع به الخلل بين الاسنان قال الشاعر ونظرن من خلل الستور باعين مرضى مخالطها السقام صحاح يعني نظرن من الفرج التي في الستور وقولهم للتخلة من خلال تأويله اني اخلي لك من رأيي او مما عندي عن خلة من خلال ومعنى اخلي اخلل فابدل من احدى اللامين ياء ويجوز ان يكون اخلي من الخلوة والخلو والخلل يرجعان الى معنى واحد والخل الطريق في الرمل اذا انفرجت منه فرجة فصارت طريقا والخل ما يؤكل معروف

واختار الفرا والبلخى ان يكون من الخلة التى هى الفقر قال ويخالف المحبة لان المحبة من الله لعبده هى الثناء عليه ومدحه له ولانه يجب الانسان ما ليس من جنسه ولا يخال الا ما هو من جنسه وعلى ما بيناه لا يمنع ذلك وان كان فيه بعض التجوز وقال الازهرى الخليل الذى خص بالمحبة يقال دعا فلان فخلل اى خص واختار الجبائى هذا الوجه وقال كل نبى فهو خليل الله لانه خصه بما لم يخص به غيره والخلة الخصلة وجمعها خلال وانما خص الله تعالى ابرهيم بانه خليله من الفقر وان كان الخلق كلهم فقراء الى رحمته تشريفا له بالنسبة اليه واختصاصه به من حيث انه فقير اليه لا يرجو لسد خلته سواه وخص ابرهيم من بين سائر الانبياء بانه خليل الله على المعنيين كما خص موسى بانه كليم الله ومحمد صلعم بانه حبيب الله وعيسى بانه روح الله ولا يلزم على ذلك تسمية عيسى بانه ابن الله لان هذه اللفظة لا يستعمل حقيقتها الا فيمن خلق من مائه او ولده على فراشه ومجازها فيمن يجوز ذلك فيه ولذلك لا يجوز ان يتخذ الشاب شيخا ابنا وان جاز ان يتبنى بصبى ولا يجوز ان يتخذ البهيمة ابنا لما لم يجز ان يكون مخلوقا من مائه على وجه والحنيفية التى امر الله نبيه بان يتبع ابرهيم فيها عشرة اشياء خمسة فى الرأس وخمسة فى الجسد فالتى فى الرأس المضمضة والاستنشاق والسواك وقص الشارب والفرق لمن يكون طويل الشعر والتى فى الجسد فالاستنجاء والختان وحلق العانة ونتف الابط وقص الاظفار وجميع ذلك مستحب الا الختان والاستنجاء فانهما واجبان وفيه خلاف ذكرناه فى الخلاف وقال الجبائى كما كان تعبد الله ابرهيم فانه تعبد به النبى صلعم وامته وزاده اشياء لم يتعبد بها ابرهيم وعموم الاية يقتضيه فاما وان كان ذلك شرعا لنبينا صلعم من حيث اعلمه الله ذلك وتعبده به بوحى من جهته قوله تعالى وَلِلّٰهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْاَرْضِ وَكَانَ اللّٰهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطًا اية لما ذكر الله تعالى انه اتخذ ابرهيم خليلا لطاعته وخلاصه له العبادة ومسارعته الى رضاه بين ذلك بفضله لا من حاجة الى خلته فقال له وكيف يحتاج الى خلته من له ما فى السموات والارض من قليل وكثير ملكا ومع ذلك مستغن عن جميع خلقه وجميع الخلق يحتاجون اليه فكيف يحتاج الى خلة ابرهيم لكنه اتخذه خليلا لمسارعته الى رضاه وامتثاله ما يأمره به وكان الله بكل شىء محيطا يعنى لم يزل الله عالما بجميع ما فعل عباده ان كان محسنا اثابه وان كان مسيئا عاقبه ان شاء قوله وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللّٰهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلٰى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ اَنْ تَنْكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَاَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامٰى بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَاِنَّ اللّٰهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا اية بلا خلاف المعنى يسئلك يا محمد اصحابك ان تفتيهم فى امر النساء والواجب لهن وعليهن واكتفى بذكر النساء من ذكر شانهن لدلالة الكلام على المراد قل الله يفتيكم فيهن يعنى قل يا محمد انه يفتيكم فيهن يعنى فى النساء وما يتلى عليكم فى الكتاب فى يتامى النساء اللاتى لا تؤتونهن ما كتب لهن واختلفوا فى اعراب ما يتلى قال الزجاج والفرا معا يحتمل ان يكون موضع ما رفعا والتقدير فى قول الزجاج والذى يتلى عليكم فى الكتاب ايضا يفتيكم فيه وقال الفرا تقديره الله يوصيكم فيهن وما يتلى عليكم وقالا جميعا يجوز ان يكون موضع ما خفضا بالعطف على فيهن الا ان الزجاج ضعف هذا وقال هذا بعيد لان عطف المظهر على المضمر لا يجوز وقال الفرا يجوز على تقدير فيهن وما يتلى عليكم واختلفوا فى تأويل وما يتلى عليكم فى الكتاب فى يتامى النساء اللاتى لا تؤتونهن ما كتب لهن فقال قوم الذى يتلى عليكم هو ايات الفرائض التى فى اول السورة روى ذلك سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان اهل الجاهلية لا يورثون المولود حتى يكبر ولا يورثون المرأة فانزل الله اية الميراث اول السورة وهو معنى اللاتى لا تؤتونهن ما كتب لهن وبه قال مجاهد وروى ذلك عن ابى جعفر ع وقال قوم كان الرجل تكون فى حجره اليتيمة بها دمامة ولها مال فكان يرغب عنها ان يتزوجها ويحبسها لمالها طمعا ان تموت فيرثها فنزلت الاية ذهب اليه عايشة وقتادة والسدى وابو مالك وابرهيم قال السدى كان جابر بن عبد الله الانصارى ثم السلمى له بنت عم عمياء ذميمة قد ورثت عن ابيها مالا فكان جابر يرغب عن نكاحها ولا ينكحها مخافة ان يذهب الزوج بمالها فسئل النبى صلعم عن ذلك وقال اترث اذا كانت عمياء فقال صلعم نعم فانزل الله فيه هذه الاية وقال قوم معناه يفتيكم فيهن وفيما يتلى عليكم فى اخر السورة من قوله يستفتونك قل الله يفتيكم فى الكلالة ذهب اليه ابن جبير وقال عايشة كان الرجل يكون فى حجره اليتيمة تشاركه فى ماله فيعجبه مالها وجمالها فيريد وليها ان

يتزوجها من غير ان يقسط فى صداقها فنهى الله عز ذلك فى قوله وان خفتم الا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا من غيرهن ما طاب لكم قالت وقوله وما يتلى عليكم هو ما ذكره فى اول السورة من قوله وان خفتم الا تقسطوا فعلى هذه الاقوال ما فى موضع خفض بالعطف على الهاء والنون فى قوله فيهن والتقدير قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم وعلى ما قال الفرا قل الله يفتيكم فيهن ما يتلى عليكم فى الكتاب وقال اخرون نزلت الاية فى قوم من اصحابه سالوه عن اشياء من امر النساء وتركوا المسئلة عن اشياء اخر كانوا يفعلونها فافتاهم الله فيما سئلوه عنه وفيما تركوا المسئلة عنه ذهب اليه محمد بن ابى موسى ويكون معنى قوله وما يتلى عليكم فى الاية التى بعدها وقيل هم اليتامى الصغار من الذكور والاناث وما بعدها قوله وان امرأة خافت من بعلها نشوزا او اعراضا والذى سئلوا عنه فاجيبوا فاما ما كتب الله لهن من الميراث فى اية الميراث واختار الطبرى ان يكون المراد به ايات الفرائض قال لان الصداق ليس مما كتب الله للنساء الا بالنكاح فما لم تنكح فلا صداق لها عند احد وقوله والمستضعفين من الولدان فى موضع جر وتقديره وفى المستضعفين من الولدان وقيل هم اليتامى الصغار من الذكور والاناث لانهم كانوا لا يورثون الصغار من الذكور حتى يبلغ وان تقوموا لليتامى والمعنى وفى ان تقوموا لليتامى بالقسط على ما قاله فى قوله وان خفتم ان لا تقسطوا فى اليتامى الاية فامرهم ان يؤتوا المستضعفين من الولدان حقوقهم من الميراث ولا يعدلوا فيهم ويعطوهم ما فرض الله لهم فى كتابه وبه قال السدى وابن زيد ومجاهد وابن عباس وقوله وترغبون ان تنكحوهن معناه ترغبون عن ان تنكحوهن وقال الحسن فى قوله والمستضعفين من الولدان قال يعنى فى يتامى النساء اللاتى لا تؤتونهن اى لا يأكلوا اموالهم الا بالقسط يعنى بالعدل وقال عبيدة السلمانى فيما رواه ابن سيرين عنه ان معنى ان تنكحوهن ترغبون فيهن وفى رواية ابن عون عن ابن سيرين يرغبون عنهن وقال الحسن ترغبون عنهن وكان عيينة بن حصن يقول يا محمد اتعطى الولدان المال وانما يأخذ المال من يقاتل ويحوز الغنيمة فنزلت قوله والمستضعفين من الولدان وقوله وما تفعلوا من خير فان الله كان به عليما المعنى مهما فعلتم ايها المؤمنون من عدل فى امر اليتامى التى امركم الله ان تقوموا فيهن بالقسط وانتهيتم فيه الى امره والى طاعته فان الله كان به عالما لم يزل وقيل معناه ان الله سيجازيكم عليه كما يقول القائل انا اعرف لك ما تفعله يعنى اجازيك عليه قوله تعالى وَاِنِ امْرَاَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا اَوْ اِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا اَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَاُحْضِرَتِ الْاَنْفُسُ الشُّحَّ وَاِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَاِنَّ اللّٰهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا اية قرا اهل الكوفة ان يصلحا بضم الياء وكسر اللام وسكون الصاد الباقون يصالحا بتشديد الصاد ومن شدد الصاد قال معناه يتصالحا ويكون قوله صلحا اسما لا مصدرا ومن قرأ بخلافه قال هو مصدر يقول الله تعالى وان امرأة خافت ومعناه علمت من بعلها اى من زوجها نشوزا يعنى استعلاء بنفسه عنها الى غيرها وارتفاعا بها عنها اما لبغضه واما لكراهة منه شيئا منها اما دمامتها واما سنها وكبرها او غير ذلك او اعراضا يعنى انصرافا بوجهه او ببعض منافعه التى كانت لها منه فلا جناح عليهما اى لا حرج عليهما ان يصالحا بينهما صلحا بان تترك المرأة له يومها او تضع عنه بعض ما يجب لها من نفقة او كسوة وغير ذلك تستعطفه بذلك وتستديم المقام فى حباله والتمسك بالعقد الذى بينها وبينه من النكاح ثم قال والصلح خير ومعناه والصلح بترك بعض الحق استدامة للحرمة وتمسكا بعقد النكاح خير من طلب الفرقة وقال بعضهم الصلح خير من النشوز والاعراض والاول اشبه هذا اذا كان بطيبة من نفسها فان لم يكن كذلك فلا يجوز له الا ما يسوغ فى الشرع من القيام بالكسوة والنفقة والقسمة والا يطلق وبهذه الجملة قال على عم وعمر وابن عباس وسعيد بن جبير وعايشة وعبيدة السلمانى وابرهيم والحكم وقتادة ومجاهد وعامر الشعبى والسدى وابن زيد وقال ابن عباس خشيت سودة بنت زمعة ان يطلقها رسول الله صلعم فقالت لا تطلقنى واجلسنى مع نسائك ولا تقسم لى فنزلت وان امرأة خافت من بعلها نشوزا او اعراضا وقال سعيد بن المسيب عن سليمان بن يسار ان رافع بن خديج كانت تحته امرأة قد علا من سنها قال ابو جعفر ع هى بنت محمد بن مسلمة فتزوج عليها شابة فاثر الشابة عليها فابت الاولى ان تقر على ذلك فطلقها تطليقة حتى اذا بقى من اجلها يسير قال ان شئت راجعتك وصبرت على الاثرة وان شئت تركتك حتى يخلوا اجلك ثم طلقها الثانية وفعل بها ما فعل اولا فقالت بل راجعنى واصبر على الاثرة فراجعها فذلك الصلح الذى بلغنا ان الله انزل فيه وان امرأة خافت الاية وقوله واحضرت الانفس الشح وان

تحسنوا وتتقوا فان الله كان بما تعملون خبيرا واختلفوا في تأويله فقال بعضهم واحضرت الانفس الشح
على انصبائهن من انفس ازواجهن واموالهن وايامهن منهم ذهب اليه ابن عباس وسعيد بن جبير وعطا وابن
جريج والسدي ويزعم انها نزلت في سودة بنت زمعة زوج رسول الله ص لانها كانت كبرت فاراد رسول الله ص ان
يطلقها فاصطلحا على ان يمسكها ويجعل يومها لعائشة فشحت بمكانها من رسول الله ص وقال آخرون واحضرت
انفس كل واحد من الرجل والمرأة الشح بحقه قبل صاحبه وهو اعم فيكون شح المرأة بترك حقها من النفقة والقسمة
وغير ذلك وشح الرجل انفاقه على التي لا يريدها وبذلك قال ابن وهب وابن زيد والشح افراط في الحرص على الشيء
يكون بالمال وبغيره من الاعراض يقال هو شحيح بمودتك اي حريص على دوامها ولا يقال في ذلك بخيل والبخل يكون
بالمال خاصة قال الشاعر لقد كنت في قوم عليك اشحة بفقدك الا ان من طاح طايح يودون لو خاطوا عليك جلودهم
وهل يدفع الموت النفوس الشحايح فان قيل قوله وان امرأة خافت ليس فيه ان الرجل نشز على امرأة والخوف ليس معه
يقين قلنا عنه جوابان احدهما ان الخوف في الآية بمعنى العلم وتقديره وان امرأة علمت والثاني انها لا تخاف النشوز
من الرجل الا وقد بدا منه ما يدل على النشوز والاعراض من امارات ذلك ودلايله وقوله وان امرأة خافت رفعت
المرأة بفعل مضمر دل عليه ما بعد الاسم وتقديره وان خافت امرأة خافت والتفرقة بين ان التي للجزاء والفعل الماضي
قال الزجاج هو جيد ولا يجوز ذلك في الفعل المستقبل لا تقول ان امرأة تخف لان ان لا تفصل بينها وبين ما يجزم
ويجوز ذلك في ضرورة الشعر قال الشاعر فمتى واغل ينبهم يحيوه ويعطف عليه كاس الساقي وانما جاز في الماضي
مع الاختيار لان ان غير عاملة في لفظه وان ام حروف الجزاء فجاز ان يفرق بينها وبين الفعل وغيرها ان يقبح فيه الفصل
مع الماضي والمستقبل لا تقول متى زيد جاءني اكرمه ويجوز ان تقول ان الله امكنني فعلت وقوله وان تحسنوا خطاب
للرجال يعني ان تفعلوا الجميل بالصبر على من تكرهون من النساء وتتقوا من الجور عليهن في النفقة والعشرة بالمعروف
فان الله عالم بذلك وكان عالما بما تعملون فيما قبل فيجازيكم على ذلك قوله تعالى ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين
النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة وان تصلحوا وتتقوا فان الله كان غفورا رحيما
آية بلا خلاف نفى الله تع في هذه الآية ان يقدر احد من عباده على التسوية بين النساء والازواج في حبهن والميل
اليهن حتى لا يكون ميله الى واحدة منهن الا مثل ما يميل الى الاخرى لان ذلك تابع لما فيه من الشهوة وميل الطبع و
ذلك من فعل الله تع ولا صنع للمخلوق فيه وان حرص على ذلك كل الحرص وليس يريد بذلك نفي القدرة على التسوية
بينهن في النفقة والكسوة والقسمة لانه لو كان كذلك لما امر الله تع بالتسوية في جميع ذلك لانه تعالى لا يكلف العبد
ما لا يطيقه كما قال لا يكلف الله نفسا الا وسعها وقال لا يكلف الله نفسا الا ما آتيها ولا يجوز المناقضة في كلامه
تعالى ولو حملنا على انه نفي الاستطاعة في التسوية بينهن في النفقة جاز ان يكون المراد به ان ذلك لا يخف عليكم بل
يثقل ويشق عليكم تسويتهن لميلكم الى بعضهن فاباح الله تع ع ورخص ان يفضل بعضهن على بعض فيما زاد على
الواجب من القسمة والنفقة ولا يواخذه بذلك وقوله فلا تميلوا كل الميل معناه فلا تعدلوا باهوائكم عمن لم تملكوا
محبته منهن كل الميل حتى يحملكم ذلك على ان تجوروا على صواحبها في ترك اداء الواجب لهن عليكم من حق القسمة والنفقة
والكسوة والعشرة بالمعروف فتذروها كالمعلقة يعني تذروا التي لا تميلون اليها كالمعلقة يعني كالتي هي لا ذات
زوج ولا هي ايم وبه قال مجاهد وعبيدة والحسن وابن عباس وقتادة وابن زيد والضحاك وسفيان والطبري و
الجبائي والبلخي وغيرهم وهو المروي عن ابي جعفر عليه السلام وابي عبد الله عليه السلام وروى ابو مليكة ان الآية نزلت في عائشة
وروى ابو قلابة عن رسول الله ص انه كان تقسم بين نسائه ويقول اللهم هذه قسمتي فيما املك فلا تلمني فيما تملك ولا
املك وقوله وان تصلحوا يعني في القسمة بين الازواج والتسوية بينهن في النفقة والكسوة والعشرة بالمعروف وتتركوا
الميل الذي نهيكم الله عنه من تفضيل واحدة على الاخرى في ذلك فان الله كان غفورا رحيما ستر عليكم ما مضى
منكم من الحيف في ذلك اذا تبتم ورجعتم الى الاستقامة والتسوية بينهن ويرحمكم بترك المواخذة على ذلك وكذلك
كان يفعل فيما مضى مع غيركم يعني في قبول التوبة وكل تائب مقلع نادم على ما فرط وروي عن علي عليه السلام انه كان له
امرأتان فكان اذا كان يوم واحدة لا يتوضأ في بيت الاخرى وروي عن جعفر بن محمد عن ابيه عن آبائه ان النبي صلى الله

عليه وآله كان يقسم بين نسائه في مرضه فيطاف بينهن وكان معاذ بن جبل له امرأتان ماتتا في الطاعون اقرع بينهما
ايتهما تدفن قبل الاخرى قوله تعالى وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته وكان الله واسعا حكيما آية المعنى ان الزوجين
اللذين تقدم ذكرهما متى ابى كل واحد منهما مصالحة الآخر فان تطالب المرأة بنصيبها من القسمة والنفقة والكسوة و
يمتنع الزوج من اجابتها الى ذلك لميله الى الاخرى ومحبته لها او لصغر سنها وجمالها ويتفرقا بالطلاق فان الله يغني
كل واحد منهما من سعته يعني من سعة فضله ورزقه وكان الله واسعا حكيما يعني كان لم يزل هكذا واسع الفضل على عباده
رحيما بهم فيما يدبرهم به وفي الآية دليل على ان الارزاق كلها بيد الله وهو الذي يتولاها لعباده وان كان ربما
اجراها على يدي من يشاء من عباده وقال ابن عباس كلا من سعته يعني من رزقه وهذه الجملة بها قال مجاهد وجميع
المفسرين قوله تع ولله ما في السموات وما في الارض ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم واياكم
ان اتقوا الله وان تكفروا فان لله ما في السموات وما في الارض وكان الله غنيا حميدا ولله ما في السموات
وما في الارض وكفى بالله وكيلا ان يشأ يذهبكم ايها الناس ويأت بآخرين وكان الله على ذلك قديرا من كان
يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والآخرة وكان الله سميعا بصيرا اربع آيات لما ذكر الله تع قوله وان
يتفرقا يغن الله كلا من سعته بين في هذه الآية بان له ملك ما في السموات وما في الارض لا يتعذر عليه اغناء كل واحد من
الزوجين عند التفرق وايناسه من وحشته ثم رجع الى توبيخ من سعى في امر بني ابيرق وتعنيفهم ووعيد من فعل فعل
المرتد منهم فقال ولقد وصينا اهل التورية والانجيل وهم الذين اوتوا الكتاب من قبلكم واياكم وامرناكم ايضا
ايها الخلق ان اتقوا الله والتقدير بان اتقوا الله واحذروا ان تعصوه وتخالفوا امره ونهيه وان تكفروا يعني
وان تجحدوا وصيته اياكم ايها المؤمنون فتخالفوها فان لله ما في السموات وما في الارض يعني له ملك ما فيهما
فلا يستضر بخلافكم وصيته ولا ان تكونوا امثال اليهود والنصارى بل تضرون انفسكم بما يحل بكم من عقابه و
غضبه وكان الله غنيا اي لم يزل غير محتاج الى خلقه وان الخلق هم المحتاجون اليه حميدا يعني مستوجبا عليكم بصنايعه
الحميدة اليكم والآلاء الجميلة فاستدعوا ذلك باتقاء معاصيه والمسارعة الى طاعته فيما يأمركم به وهذه الجملة
مروية عن علي عليه السلام وهو قول جميع المفسرين ثم قال ولله ما في السموات وما في الارض يعني له ملك ما فيهما
وهو القيم بجميعه والحافظ له لا يعزب عنه علم شيء ولا يؤده حفظه وتدبيره وكفى بالله وكيلا يعني كفى الله حافظا
فان قيل لم كرر قوله ولله ما في السموات وما في الارض في الآيتين احديهما عقيب الاخرى قلنا لاختلاف الخبرين من
الاول في الآية الاولى عن حاجة الخلق الى بارئه وغناه تعالى عن خلقه وفي الثانية حفظ الله تعالى اياهم و
علمه بهم وتدبيره لهم فان قيل هلا قال وكان الله غنيا حميدا وكفى به وكيلا قيل ما ذكره في الآية الاولى يصلح
ان يختم به وصف الله تع بالغناء وانه محمود ولم يذكر فيها ما يقتضي وصفه بالحفظ والتدبير فلذلك كرر قوله ولله
ما في السموات وقوله ان يشأ يذهبكم معناه ان يشاء الله ايها الناس ان يهلككم ويفنيكم ويأت بقوم آخرين غيركم
ينصرون نبيه محمدا ص ويوازرونه كان الله تع على ذلك قديرا فوبخ تع بهذه الآيات الخائنين الذين خانوا الدرع
وساعدوهم على ذلك ودافعوا عنهم وحذر اصحاب النبي ص ان يكونوا مثلهم وان يفعلوا فعل المرتد منهم في
ارتداده ولحاقه بالمشركين وبين ان من فعل ذلك لا يضر الا نفسه لانه المحتاج اليه تع وغناه عنه عز وجل
وعن جميع الخلق وروي عن النبي ص انه لما نزلت هذه الآية ضرب بيده على ظهر سلمان فقال هم قوم هذا رواه
ابو هريرة عن النبي ص ثم اخبر تع من كان ممن اظهر الايمان بمحمد ص من اهل النفاق الذين يبطنون الكفر ويظهرون
الايمان يريد ثواب الدنيا يعني عوض الدنيا باظهاره ما اظهره بلسانه في الايمان فعند الله ثواب الدنيا يعني جزاؤه
في الدنيا منها وثوابه فيها هو ما يأخذ من الفيء والغنيمة اذا شهد مع المسلمين الحرب وامنه على نفسه وماله و
ذريته واما ثوابه في الآخرة فنار جهنم وكان الله سميعا بصيرا يعني انه كان لم يزل على صفة يجب ان يسمع المسموعات
اذا وجدت ويبصر المبصرات اذا وجدت وهذه الصفة هي كونه حيا لا آفة به والصفة حاصلة له في الازل والآفات
مستحيلة عليه فوجب وصفه بانه سميع بصير وانما ذكر ذلك ههنا ليبين ان ما يقوله المنافقون اذا لقوا المؤمنين فان
الله يسمعه ويعلمه وهو قولهم انا مؤمنون بصيرا بما يضمرونه ويبطنون عليه من النفاق وموضع كان في قوله من كان

جزم لانه شرط والجواب لفاء وارتفعت يريد لانه ليس فيها حرف عطف كما قال من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم فيها وقال من كان يريد حرث الدنيا نؤته منها جزم لانه جواب الشرط قوله تعالى يا ايها الذين امنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم او الوالدين والاقربين ان يكن غنيا او فقيرا فالله اولى بهما فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا وان تلووا او تعرضوا فان الله كان بما تعملون خبيرا اية قرا ابن عامر وحمزة وان تلوا بضم اللام بعدها واو واحدة ساكنة الباقون بسكون اللام بواوين بعدها اولهما مضمومة حجة من قرأ بواو واحدة ان قال ان ولاية الشئ اقبال عليه وخلاف الاعراض عنه والمعنى ان تقبلوا او تعرضوا فان الله كان بما تعملون خبيرا فيجازي المحسن المقبل باحسانه والمسيئ المعرض باعراضه وتركه الاقبال على ما يلزمه ان يقبل عليه قال فلو قرأت بالواوين لكان فيه تكرار لان اللى كالاعراض الا ترى ان قوله لووا رؤسهم ورايتهم يصدون معناه اعراض منهم وترك الانقياد للحق ومثله ليا بالسنتهم معناه انحراف واخذ فيما لا ينبغي ان ياخذوا به وحجة من قرأ بالواوين من لوا ان تقول لا يمتنع ان يتكرر اللفظتان المختلفتان بمعنى واحد على وجه التأكيد كقوله فسجد الملائكة كلهم اجمعون وكقول الشاعر وهند اتى من دونها النأى والبعد وقول اخر والفى قولها كذبا ومينا وقالوا ايضا يجوز ان يكون تلوا كان اصله تلووا فان الواو التي هي عين همزت لانضمامها كما همزت في قوله ادؤر والقيت حركة الهمزة على اللام التي هي فاء فصار تلوا اجاز ذلك الزجاج والفرا وابو علي الفارسي ومعنى الاية ان الله تعالى لما حكى عن الذين سعوا الى رسول الله في امر بني ابيرق وقيامهم لهم بالعذر وذبهم عنهم من حيث كانوا اهل فقر وفاقة امر الله المؤمنين ان يكونوا قوامين بالقسط يعني بالعدل والقسط والاقساط العدل يقال اقسط الرجل اقساطا اذا عدل واتى بالقسط وقسط يقسط قسوطا اذا جار وقسط البعير يقسط قسطا اذا يبست يده ويد قسطاء اي يابسة شهداء لله وهو جمع شهيد ونصب شهداء على الحال من الضمير في قوله قوامين وهو ضمير الذين امنوا وقوله ولو على انفسكم يعني ولو كانت شهادتكم على انفسكم او على والديكم او على اقرب الناس اليكم فقوموا فيها بالقسط والعدل واقيموها على صحتها وقولوا فيها الحق ولا تميلوا فيها لغنى غني ولا لفقر فقير فتجوروا فان الله قد سوى بين الغني والفقير فيما الزمكم من اقامة الشهادة لكل واحد منهما بالعدل وهو تعالى اولى بهما واحق لانه مالكهما والقيم بهما دونكم وهو اعلم بما فيه مصلحة كل واحد منهما في ذلك وفي غيره من الامور كلها منكم فلا تتبعوا الهوى في الميل في شهادتكم اذا قمتم بها لغني او فقير الى احدهما فتعدلوا عن الحق اي تجوروا عنه وتضلوا ولكن قوموا بالقسط وادوا الشهادة على ما امركم الله عز وجل بادائها بالعدل لمن شهدتم عليه وله فان قيل كيف تكون شهادة الانسان على نفسه حتى يامر الله تعالى بذلك قلنا بان يكون عليه حق لغيره فيقر له ولا يجحده فادب الله تعالى المؤمنين ان يفعلوا ما فعله الذين عذروا بني ابيرق في سرقتهم ما سرقوا وخيانتهم ما خانوا واضافتهم ذلك الى غيرهم فهذا اختيار الطبري وقال السدي انها نزلت في النبي ص وقد اختصم اليه رجلان غني وفقير وكان ضلعه مع الفقير لظنه ان الفقير لا يظلم الغني فابى الله تعالى الا القيام بالقسط في امر الغني والفقير قال ان تكن غنيا او فقيرا فالله اولى بهما فهذا الوجه فيه بعد لانه لا يجوز على النبي ص في الحكم ان يميل الى احد الخصمين سواء كان غنيا او فقيرا لان ذلك ينافي عصمته وقال ابن عباس امر الله سبحانه المؤمنين ان يقولوا الحق ولو على انفسهم او ابائهم او ابنائهم ولا يحابوا غنيا لغناه ولا مسكينا لمسكنته وهذا اولى لانه اليق بالظاهر من غير عدول عنه وفي الاية دلالة على جواز شهادة الوالد لولده والولد لوالده وكل ذي قرابة لمن يقرب منه فقال ابن شهاب كان سلف المسلمين على ذلك حتى دخل الناس فيما بعدهم وظهرت فيهم امور حملت الولاة على اتهامهم فتركت شهادة من يتهم اذا كان من اقربائهم وجاز ذلك من الولد والوالد والاخ والزوج والمراة ومعنى قول ابن عباس قال قتادة وابن زيد وقوله فالله اولى بهما انما ثنى ولم يقل به لانه اراد فالله اولى بغناء الغني وفقر الفقير لان ذلك منه تعالى وقال قوم لم يقصد غنيا بعينه ولا فقيرا بعينه وهو مجهول وذلك حكمه جاز الرد عليه بالتوحيد والتثنية والجمع وفي قراءة ابي فالله اولى بهم وقال قوم او بمعنى الواو في هذا الموضع فلذلك ثنى وقال اخرون جاز تثنية قوله بهما لانهما قد ذكرا كما قيل وله اخ او اخت فلكل واحد

منهما وقيل جاز ذلك لانه اضمر فيه من كانه قال وله اخ او اخت ان يكون من خاصم غنيا او فقيرا بمعنى غنيين او فقيرين فالله اولى بهما وقوله فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا يحتمل ثلثة اوجه احدها لا تتبعوا الهوى في ان تعدلوا عن الحق فتجوروا بترك اقامة الشهادة بالحق والثاني ان يكون التقدير لا تتبعوا اهواء انفسكم هربا من ان تعدلوا في اقامة الشهادة والثالث فلا تتبعوا الهوى لتعدلوا كما يقال لا تتبع هواك لترضي ربك بمعنى انهاك عنه كيما ترضى ربك بتركه ذكره الفرا والزجاج وقوله وان تلووا او تعرضوا اختلفوا في تأويله فقال قوم معناه وان تلووا ايها الحكام في الحكم لاحد الخصمين على الاخر او تعرضوا فان الله كان بما تعملون خبيرا وجعلوا الاية على انها نزلت في الحكام ذهب اليه السدي على ما قال انها نزلت في النبي ص وروي عن ابن عباس انه قال هما الرجلان يجلسان بين يدي القاضي فيكون لي القاضي واعراضه لاحدهما على الاخر وقال اخرون معناه وان تلووا ايها الشهداء في شهادتكم فتحرفوها فلا تقيموها او تعرضوا عنها فتتركوها ذهب اليه ابن عباس ومجاهد وقال مجاهد معنى تلووا تبدلوا الشهادة او تعرضوا اي تكتموها وهو قول ابي جعفر ع وبه قال ابن زيد والضحاك والاولى التاويلين قول من قال انه لي الشهادة لمن شهد له وعليه بان يحرفها بلسانه او يتركها فلا يقيمها ليبطل بذلك شهادته واعراضه عنها هو تركها فامتناعه ان يشهد بها وسياق الاية يدل على ما قال ابن عباس وقوله فان الله كان بما تعملون خبيرا معناه انه كان عالما بما يكون منهم من اقامة الشهادة وتحريفها والاعراض عنها واللي هو المطل لما يجب من الحق قال الاعشى يلوينني ديني النهار واقتضي ديني اذا رقد النعاس الرقدا قوله تعالى يا ايها الذين امنوا امنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي انزل من قبل ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر فقد ضل ضلالا بعيدا اية قرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر والكسائي عن ابي بكر والكتاب الذي نزل والكتاب الذي أنزل بضم النون والهمزة وكسر الزاء الباقون بفتحهما من فتحهما حمله على قوله انا نحن نزلنا الذكر وقوله وانزلنا اليك الذكر ومن ضمهما حملهما على قوله ولتبين للناس ما نزل اليهم وقوله يعلمون انه منزل وكل جيد سائغ قيل في تأويل امره من امن ان يؤمن بالله ورسوله ثلثة اقوال احدها وهو المعتمد عليه عندنا واللائق بمذهبنا ان المعنى يا ايها الذين امنوا في الظاهر بالاقرار بالله ورسوله وصدقوهما امنوا بالله ورسوله في الباطن ليطابق باطنكم ظاهركم ويكون الخطاب خاصا بالمنافقين الذين كانوا يظهرون خلاف ما يبطنون والكتاب الذي نزل على رسوله هو القران امرهم بالتصديق به والكتاب الذي انزل من قبل يعني التورية والانجيل امرهم بالتصديق بهما وانهما من عند الله والثاني ما اختاره الجبائي والزجاج والبلخي ان يكون ذلك خطابا لجميع المؤمنين الذين هم مؤمنون على الحقيقة ظاهرا وباطنا امرهم الله تعالى ان يؤمنوا به في المستقبل بان يستديموا الايمان ولا ينتقلوا عنه لان الايمان الذي هو التصديق لا يبقى وانما يستمر بان يجدده الانسان حالا بعد حال وهذا ايضا وجه جيد الثالث ما اختاره الطبري من ان ذلك خطاب لاهل الكتاب اليهود والنصارى امرهم الله تعالى بان يؤمنوا بالنبي ص والكتاب الذي انزل عليه كما امنوا بما معهم من الكتب من التورية والانجيل ويكون قوله والكتاب الذي انزل من قبل اشارة الى ما معهم من الانجيل والتورية ويكون وجه امرهم بالتصديق بهما وان كانوا مصدقين بهما لاحد امرين احدهما ان التورية والانجيل اذا كان فيهما صفات النبي ص وما يبني عن صدق قوله وصحة نبوته من لم يصدق النبي ص ولم يصدق الكتاب الذي انزل معه لا يكون مصدقا بما معه لان في تكذيبه تكذيب ما معه من التورية والانجيل فيجب عليه ان يصدق النبي ص ويقر بما انزل عليه ليكون مصدقا بما معه ومعترفا به والثاني ان يكون متوجها الى اليهود الذين امنوا بالتورية دون الانجيل والقران فيكون الله امرهم بالاقرار بمحمد صلى الله عليه وآله وبما انزل عليه وبالكتاب الذي انزل من قبل يعني الانجيل وذلك لا يصح الا بالاقرار بعيسى ع ايضا وانه نبي من قبل الله وقوله ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر معناه ان من كفر بمحمد ص فيجحد نبوته ويجحد ما انزل الله عليه فكانه جحد جميع ذلك لانه لا يصح ايمان احد من الخلق الا بالايمان بما امره الله بالايمان به والكفر بشئ منه كفر بجميعه فكذلك قال ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر فعقب خطابه لاهل الكتاب في امره اياهم بالايمان بمحمد ص تهديدا لهم وان كانوا مقرين بوحدانية الله تعالى

والملائكة والكتب والرسل واليوم الاخر سوى محمد صلى الله عليه وآله وما جاء به من القرآن فبين لهم ان من
جحد محمداً نبوته لا ينفعه الايمان بشيء سواه ويكون وجوده وعدمه سواء وقوله فقد ضل ضلالاً بعيداً معناه
فقد ذهب عن قصد السبيل وجاز عن محجة الطريق الى المهالك ضلالاً اذهاباً وجوراً بعيداً قوله تعالى إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا
ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْراً لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلاً آية واحدة قيل
في المعنى بهذه الآية ثلثة اقوال قال قتادة عنى بذلك الذين آمنوا بموسى ثم كفروا بان عبدوا العجل ثم آمنوا يعني
النصارى بعيسى ثم كفروا به ثم ازدادوا كفراً بنبوة محمد ص وقال الزجاج والفراء آمنوا بموسى وكفروا بعزير ثم آمنوا
بعزير ثم كفروا بعيسى ثم ازدادوا كفراً بمحمد ص والثاني قال مجاهد وابن زيد يعني بذلك اهل النفاق انهم آمنوا ثم
ارتدوا ثم آمنوا ثم ارتدوا ثم ازدادوا كفراً بموتهم على كفرهم الثالث قال ابو العالية هم اليهود والنصارى اذنبوا
ذنباً في شركهم ثم تابوا فلم يقبل توبتهم ولو تابوا من الشرك لقبل منهم واقوى الاقوال عندنا قول مجاهد لان
المؤمن على الحقيقة عندنا لا يجوز ان يكفر لان الايمان يستحق عليه الثواب الدائم والكفر يستحق عليه العقاب
الدائم بلا خلاف فيهما والاحباط عندنا باطل فلو اجزنا الارتداد بعد الايمان الحقيقي لادى الى اجتماع استحقاق
الثواب الدائم والعقاب الدائم والاجماع بخلافه واختار الطبري الوجه الاول وقال الجبائي والبلخي يجوز ان يكون
الآية نزلت في قوم كانوا آمنوا ثم ارتدوا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفراً وقوله لم يكن الله ليغفر لهم معناه لم
يكن الله ليغفر لهم بالايمان الثاني الكفر المتقدم لانه لما ارتد فيما بعد دل على ان ما تقدم لم يكن ايماناً فلا يستحق
به غفران عقاب الكفر المتقدم وهو الذي اختاره الزجاج وقال البلخي والزجاج لم يكن الله ليغفر لهم اذا لم يتوبوا
منه وهذا الذي ذكروه لا يصح لان الكفر على كل حال ولو مرة واحدة لا يغفر الله الا بالتوبة فلا معنى لنفي الغفران
عن كفر بعد ايمان تقدمه كفر تقدمه ايمان وقوله ولا ليهديهم سبيلاً معناه لا يهديهم سبيل الجنة والثواب
فيها لانهم غير مستحقين له ويحتمل ان يكون المراد بذلك انه لا يلطف لهم فيما بعد بل يخذلهم عقوبة لهم على كفرهم
المتقدم ولا يجوز ان يكون المراد به انه لا ينصب لهم الدلالة لان نصب الادلة قد تقدم في التكليف الاول والمرتد
عندنا على ضربين احدهما لا يستتاب ويقتل على كل حال وهو من ولد على فطرة الاسلام بين مسلمين متى كفر فانه
يقتل على كل حال والآخر وهو من كان كافراً فاسلم ثم ارتد فانه يستتاب ثلثاً فان تاب والا قتل ولا يستتاب اكثر
من ذلك وبه قال علي عليه السلام وابن عمر وقال قوم يستتاب ابداً ذهب اليه ابرهيم وغيره واختاره الطبري والمرأة تستتاب
على كل حال فان تابت والا خلدت السجن ولا تقتل بحال وفي ذلك خلاف بين الفقهاء ذكرناه في الخلاف قوله تعالى
بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ
الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً آيتان بلا خلاف معنى قوله بشر المنافقين اجعل موضع بشارتهم لهم العذاب والعرب
تقول تحيتك الضرب وعقابك السيف اي بدلاً من ذلك قال الشاعر وخيل قد دلفت لها بخيل تحية بينهم
ضرب وجيع امر الله تعالى نبيه ان يبشر المنافقين بان لهم عذاباً اليماً وهو المؤلم الموجع على نفاقهم ثم وصف هؤلاء
المنافقين فقال الذين يتخذون اهل الكفر بالله وبنبيه اولياء يعني انصاراً واخلاء من دون المؤمنين يعني
من غيرهم ثم قال ايبتغون عندهم العزة معناه ايطلبون عندهم المنعة والقوة باتخاذهم اولياء من دون اهل
الايمان به تعالى ثم اخبر ان العزة باجمعها له تعالى وان هؤلاء الذين يطلبون من جهتهم العزة والمنعة لا منعة عندهم
بل النصرة والمنعة من عند الله الذي له العزة والمنعة الذي يعز من يشاء ويذل من يشاء واصل العزة الشدة ومنه
قيل للارض الصلبة الشديدة عزاز ويقال استعز على المريض اذا اشتد مرضه وتعزز اللحم اذا اشتد ومنه قيل عز علي
ان يكون كذا اي اشتد علي ومنه قولهم من عزبز اي من غلب سلب وقولهم عز الشيء معناه صعب وجوده واشتد
حصوله قوله تعالى وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ
حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذاً مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعاً آية قرأ
عاصم ويعقوب وقد نزل بفتح النون والزاي وتشديده الباقون بضم النون وكسر الزاي المنزل في الكتاب قوله تعالى
وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ الى قوله الظالمين اعلم الله تعالى

في هذه

في هذه الآية المؤمنين ان المنافقين يهزؤن بكتاب الله الذي هو القرآن وامرهم ان لا يقعدوا معهم حتى يخوضوا يعني
يأخذوا في حديث غير القرآن ثم قال انكم ان جالستموهم على الخوض في كتاب الله والهزء به فانتم مثلهم وانما
حكم بانهم مثلهم متى رضوا بما هم فيه ولم ينكروا عليهم مع القدرة على الانكار ولم يظهروا كراهية
فانهم متى كانوا راضين بالكفر كانوا كفاراً لان الرضا بالكفر كفر وفي الآية دلالة على وجوب انكار
المنكر مع القدرة على ذلك وزوال العذر وان من ترك ذلك مع القدرة عليه كان مخطياً آثماً
وكذلك فيها دلالة على انه لا يجوز مجالسة الفساق والمبتدعين من اي نوع كان وبه قال جماعة من المفسرين
ذهب اليه ابو وائل وابرهيم وعبد الله وقال ابرهيم من ذلك اذا تكلم الرجل في مجلس بكذب فيضحك منه جلساؤه
فسخط الله عليهم وبه قال عمر بن عبد العزيز وقيل انه ضرب صائماً كان قاعداً مع قوم يشربون الخمر وقال ابن عباس
امر الله بذلك الاتفاق ونهاهم عن الاختلاف والفرقة والمراء والخصومة وبه قال الطبري والجبائي والبلخي و
جماعة من المفسرين قال ابو علي الجبائي اما الكون بالقرب منهم بحيث يسمع صوتهم ولا يقدر على انكاره فليس
بمحظور وانما المحظور مجالستهم من غير اظهار كراهية لما يسمعه او يراه وقوله ان الله جامع المنافقين والكافرين
في جهنم جميعاً معناه ان الله يجمع الفريقين من اهل الكفر والنفاق في القيامة في النار والعقوبة فيها كما اتفقوا
في الدنيا على عداوة المؤمنين والموازرة عليهم قال الجبائي في الآية دلالة على بطلان قول الاصم ونفاة الاعراض
وقولهم انه ليس ههنا غير الاجسام لانه قال حتى يخوضوا في حديث غيره فاثبت غير ما كانوا فيه وذلك هو العرض
قوله تعالى الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ
قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ
عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً آية بلا خلاف الذين في موضع خفض لانه صفة للمنافقين والكافرين في قوله ان الله
جامع المنافقين والكافرين اخبر الله تعالى عن هؤلاء المنافقين انهم يتربصون بالمؤمنين اي ينتظرون بهم فان فتح
الله على المؤمنين فتحاً من عدوهم فافاء عليهم فيئاً من الغنائم قالوا لهم الم نكن معكم نجاهد عدوكم ونغزوهم
معكم فاعطونا نصيباً من الغنيمة فانا شهدنا القتال وان كان للكافرين نصيب اي حظ باصابتهم من المؤمنين
وليس المراد بذلك ان لهم نصيباً من الله لانه تعالى لم يجعل لهم غلبة المسلمين ولا اباح لهم شيئاً من اموالهم بل
حظر ذلك عليهم وقوله قالوا يعني قال المنافقون للكافرين الم نستحوذ عليكم بمعنى الم نغلب عليكم في قول السدي
وقال ابن جريج معناه الم نبين لكم انا على ما انتم عليه والاستحواذ الغلبة ومنه قوله استحوذ عليهم الشيطان فانساهم
ذكر الله ومعناه غلب عليهم يقال منه حاذ عليه يحوذ واستحاذ يستحيذ وحاذ يحيذ قال العجاج يصف ثوراً وكلاباً
يحوذهن وله حوذي وانشده ابو عبيد والاصمعي بالزاي يحوزهن وله حوزي والمعنيان متقاربان وقال لبيد
في صفة عير واتن على احاذ اذا اجتمعت واحوذ جانبيها واوردها على عوج طوال العوج الطوال القوائم وقيل هي
النخل الطوال معنى احوذ جانبيها لم يشذ منها شيء والاحوذي الجاد المنكمش الخفيف في اموره كلها وكان القياس
يقتضي ان يقول استحاذ لان الواو اذا كانت عين الفعل وكانت متحركة بالفتح وما قبلها ساكن نقلت حركتها
الى فاء الفعل وقلبوها الفاً اتباعاً لحركة ما قبلها كقولهم استحال واستبان واستنار واستعاذ بالله وههنا
تركت على الاصل وهي لغة القرآن وقوله ونمنعكم من المؤمنين يعني يقول المنافقون للكافرين منعنا المؤمنين منكم
بتخذيلنا اياهم واطلاعنا اياكم على اخبارهم وكوننا عيوناً لكم حتى انصرفوا عنكم وغلبتموهم وقوله فالله يحكم
بينكم يوم القيامة اخبار منه تعالى انه الذي يحكم بين الخلائق يوم القيامة ويفصل بينهم بالحق وينصر المؤمنين ولا
يجعل للكافرين على المؤمنين سبيلاً اي بالغلبة والقهر وان حملناه على دار الدنيا يمكن حمله على انه لا يجعل لهم
عليهم سبيلاً بالحجة وان جاز ان يغلبوهم بالقوة لكن المؤمنين منصورون بالحجة والدلالة وبالتأويل الاول
قال علي عليه السلام والسدي وابو مالك وابن عباس قال السدي السبيل ههنا الحجة وبالثاني قال الزجاج والجبائي
والبلخي وقال الجبائي ولو حملناه على الغلبة كان ايضاً صحيحاً لان غلبة الكفار للمؤمنين ليس مما فعله الله
لان ذلك قبيح والله لا يفعل القبيح وليس كذلك غلبة المؤمنين للكفار لانه حسن وطاعة فكان ذلك منسوباً

الى الله تع

الله تعالى قوله تعالى إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم وإذا قاموا إلى الصلوة قاموا كسالى يراؤن الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا آيتان قد بينا في أول البقرة معنى الخداع من المنافقين ومن الله تعالى وجملته أن الخداع من المنافقين اظهارهم الإيمان الذي حقنوا به دماءهم وأموالهم كما حقن المؤمنون على الحقيقة وقال الحسن والزجاج والازهري أن معناه يخادعون نبي الله فسماه خداعا لله للاختصاص كما قال ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله فسمى مبايعة النبي صلى الله عليه وسلم مبايعة لله للاختصاص لانه بامره ومعنى الخداع من الله يحتمل امرين احدهما ان يجازيهم على خداعهم فسمى الجزاء باسم الشيء للازدواج كما قال وجزاء سيئة سيئة مثلها والجزاء ليس بسيئة وقال ومكروا ومكر الله والله لا يمكر غير انه يجازي عليه والثاني ما حكم الله فيهم من منع دمائهم بما اظهروه من الايمان بلسانهم مع علمه بباطنهم واعتقادهم الكفر استدراجا منه لهم في الدنيا حتى يلقوه يوم القيمة فيوردهم بما ابطنوه نار جهنم وقال السدي يعطيهم الله نورا يوم القيمة يمشون به مع المسلمين كما كانوا في الدنيا ثم يسلبهم ذلك النور ويضرب بينهم بسور فذلك هو الخداع منه تعالى وبه قال ابن جريج والحسن وغيرهم من المفسرين على ما بيناه فيما مضى وقوله وإذا قاموا إلى الصلوة قاموا كسالى يراؤن الناس يعني ان المنافقين لا يعملون شيئا من اعمال العبادات التي اوجبها على المؤمنين على وجه القربة الى الله لانهم غير موقنين بها ولا ان لهم عليها ثوابا او عقابا وانما يفعلون ذلك ابقاء على انفسهم وحذرا من المؤمنين عليها ان يقتلوهم ويسلبوا اموالهم فهم اذا قاموا الى الصلوة قاموا كسالى اليها رياء للمؤمنين ليحسبهم المؤمنون منهم وليسوا منهم لانهم لا يعتقدون فرضها وبه قال قتادة وابن زيد وقوله ولا يذكرون الله الا قليلا انما وصف ما استثناه من ذكرهم لله بالقلة من حيث انهم لا يقصدون به وجه الله ولا التقرب اليه لا ان شيئا من ذكر الله يوصف بانه قليل بل يوصف جميعه بانه كثير قال الحسن وصفه بالقلة لانه كان لغير الله وقال قتادة لانه لم يقبله الله وكلما رده الله فهو قليل وما قبله فهو كثير وقال الجبائي لانهم اذا قاموا الى الصلوة لم يذكروا غير تكبيرة الاحرام وقوله مذبذبين في موضع نصب على الحال ومعناه انهم يقومون الى الصلوة يعني المنافقين مترددين لا الى هؤلاء يعني المؤمنين فيفعلون ما يفعلونه فيستحقون به الثواب ولا الى هؤلاء يعني الكفار فيجاهدون بالكفر بل بين ذلك يظهرون الايمان فيجري عليهم حكم اهله ويبطنون الكفر فيستحقون به عقاب اهله واصل التذبذب التحرك والاضطراب قال النابغة الم تر ان الله اعطاك سورة ترى كل ملك دونها يتذبذب وقال الحسن بن علي المغربي مذبذبين مطرودين من هؤلاء ومن هؤلاء من الذب الذي هو الطرد وصف الله تعالى هؤلاء المنافقين بالحيرة في دينهم وانهم لا يرجعون الى صحة فيه لا مع المؤمنين على بصيرة ولا مع الكفار على جهالة وقال ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مثلهم مثل الشاة العايرة بين الغنمين تتحير فتنظر الى هذه والى هذه لا تدري ايهما تتبع وبهذه الجملة قال السدي وقتادة ومجاهد وابن جريج وابن زيد وغيرهم من المفسرين وقوله ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا يحتمل امرين احدهما من يضله الله عن طريق الجنة فلن تجد له سبيلا الى طريق الجنة والثاني من يخذله بعقوبته على معاصيه عن طريق الرشاد والاسلام ولم يوفقه لحرمانه نفسه التوفيق بسوء اختياره فلن تجد له سبيلا يعني طريقا الى الحق يفضي اليه قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا الكافرين اولياء من دون المؤمنين اتريدون ان تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا آية هذا خطاب للمؤمنين نهاهم الله ان يتخذوا الكافرين اولياء وانصارا من دون المؤمنين فيكونون مثلهم في ركوب ما نهاهم الله عنه من موالاة اعدائه اتريدون ان تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا يعني حجة ظاهرة قال عكرمة كلما في القران من ذكر سلطان فمعناه حجة وبه قال مجاهد والزجاج وهو يذكر ويؤنث وقيل للامير سلطان لان معناه ذو الحجة ومعنى الاية النهي عن اتخاذ الكفار اولياء من دون المؤمنين فمن فعل ذلك فقد جعل لله على نفسه الحجة وتعرض لغضبه وعقابه وفي الاية دلالة على انه لا يجوز ان يبتدئ الله الخلق بالعذاب ولا يعاقب الاطفال بذنوب الاباء لانه لو كان ذلك سائغا لما قال للمؤمنين تجعلون لله عليكم سلطانا مبينا يعني باتخاذكم الكفار اولياء من دون المؤمنين لان ذلك دلالة على انه لو لم يكن له ذلك عليهم لانه لا كان له حجة على الخلق لولا معاصيهم ومخالفتهم له تعالى قوله تعالى ان المنافقين في الدرك

الاسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا الا الذين تابوا واصلحوا واعتصموا بالله واخلصوا دينهم لله فاولئك مع المؤمنين وسوف يؤت الله المؤمنين اجرا عظيما آيتان بلا خلاف قرأ اهل الكوفة الا ابا بكر الا العليمي الدرك بسكون الراء الباقون بفتحها وهما لغتان مثل نهر ونهر وشمع وشمع فمن فتح الراء قال في الجمع ادراك في القلة والكثرة ومن سكنها قال ثلثة ادرك وفي الكثير الدروك والتسكين لغة وليس يسكن من المفتوح لان مثل ذلك لا يجوز تسكينه فلا يسكن جمل وجبل وانما هما لغتان مثل شمع وشمع ونهر ونهر قالوا وبفتح الراء افصح سمع من العرب من يقول اعطني دركا اصل به حبلي يعني ما يصل به حبله الذي عجز عن بلوغ الركية ومعنى الاية الاخبار من الله ان المنافقين في الطبق الاسفل من النار قال عبد الله المنافقون في توابيت من حديد مغلقة عليهم في النار وبه قال ابو هريرة وابن عباس قال ابن جريج قال عبد الله بن كثير وابو عبيدة سمعنا ان جهنم ادراك منازل وليس يمتنع ان يجعل الله قوما من الكفار في الدرك الاسفل كفرعون وهامان وابي جهل فان هؤلاء اعظم كفرا من المنافقين وليس في اخبار الله ان المنافقين هناك ما يمنع ان يكون غيرهم فيه ايضا وان تفاضلوا في العقاب قال ابن جريج هذه الايات نزلت في عبد الله بن ابي واصحابه قال البلخي يجوز ان يكون للادراك منازل بعضها اسفل من بعض بالمسافة ويجوز ان يكون ذلك اخبارا عن بلوغ الغاية في العقاب والاهانة كما يقال بلغ فلان الى السلطان الحضيض و بلغ فلان العرش ويريدون بذلك علو المنزلة وانحطاطها لا المسافة وقوله ولن تجد لهم نصيرا معناه لا تجد يا محمد لهؤلاء المنافقين اذا جعلهم الله في اسفل طبقة من النار ناصرا ينصرهم فينقذهم من عذابه ويدفع عنهم اليم عقابه ثم استثنى فقال الا الذين تابوا فاستثنى منهم التائبين من نفاقهم اذا اصلحوا نياتهم واخلصوا الدين لله وتبرؤا من الالهة والانداد واعتصموا يعني تمسكوا بكتاب الله وصدقوا رسله فانهم اذا فعلوا ذلك فانهم يكونون مع المؤمنين في الجنة ومحل الكرامة ويسكنهم مساكنهم وما وعدهم من الجزاء على توبتهم وسوف يؤت الله المؤمنين اجرا عظيما فكان تقدير الاية ان الذين راجعوا الحق واقروا بوحدانية الله وتصديق رسوله وما جاء به من عند الله واصلحوا اعمالهم فعملوا بما امرهم الله به وادوا فرضه وانتهوا عما نهاهم وانزجروا عن معاصيه وتمسكوا بعهد الله وميثاقه فقطع انه تعالى يؤتي المؤمنين اي يعطيهم اجرا يعني ثوابا عظيما ودرجات في الجنة كما اعطى من مات على النفاق منازل في النار في اسفل طبقة منها وهذه الجملة معنى قول حذيفة بن اليمان وجميع المفسرين وسوف يؤت الله كتب في المصحف بلا ياء تخفيفا ومثله يوم يأت لا تكلم وقوله ما كنا نبغ وغير ذلك وكان الكسائي يثبت الياء في الوصل دون الوقف ثم رجع عنه وابو عمرو يثبتها في الوصل واهل المدينة يثبتونها في الحالين قوله تعالى ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وامنتم وكان الله شاكرا عليما آية خاطب الله تعالى بهذه الاية المنافقين الذين تابوا وامنوا واصلحوا اعمالهم فقال ان انتم تبتم الى الله وراجعتم الحق الواجب لله عليكم وشكرتموه على نعمه واخلصتم عبادته واعتصمتم به وتركتم رياء الناس وامنتم برسوله محمد صلى الله عليه وسلم وصدقتم به واقررتم بما جاء به من عند الله ما يصنع بعذابكم اي لا حاجة بالله الى عذابكم وجعلكم في الدرك الاسفل من جهنم لانه لا يجتلب بعذابكم نفعا ولا يدفع عن نفسه ضررا لانهما مستحيلان عليه وكان الله شاكرا يعني لم يزل الله مجازيا للشاكر على شكره في جميع عباده عليما بما يستحقونه على طاعاتهم من الثواب لا يضيع عنده شيء منه ولا يفوته شيء من معاصي من عصاه فيجازي بذلك من يشاء منهم على سوء افعالهم جزاء بما كسبوه وبه قال قتادة وغيره من المفسرين والشكر هو الاعتراف بالنعمة مع ضرب من تعظيم المنعم وذلك لا يجوز عليه تعالى وانما يجوز الشكر منه بمعنى الجزاء عليه كما قال ومكروا ومكر الله وجزاء سيئة سيئة مثلها والجزاء ليست سيئة ولكن اطلق ذلك لازدواج الكلام قوله تعالى لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم وكان الله سميعا عليما آية بلا خلاف القراء ضم الظاء في قوله الا من ظلم وكسر اللام وقرأ زيد بن اسلم والضحاك بن مزاحم ظلم بفتح الظاء واللام فمن ضم الظاء اختلفوا في تأويله فقال قوم معنى ذلك لا يحب الله ان يجهر احد بالدعاء على احد وهو الجهر بالسوء الا من ظلم فيدعو على ظالمه فانه تعالى لا يكره ذلك وفي ذلك انه رخص له فيه ذهب اليه ابن عباس وقتادة والحسن فمن على قول ابن عباس في موضع رفع لانه وجهه الى ان الجهر بالسوء في معنى الدعاء واستثنى المظلوم منه وقال الزجاج وجه الرفع ان يكون بدلا من احد وتقديره لا يحب الله ان يجهر احد بالسوء الا من

ظلم وقال الفراء تقديره لا يحب الله ان يجهر بالسوء الا المظلوم فلا حرج عليه في الجهر اما بان يدعو عليه او بان يخبر بما فعله به ويتضرر عليه وبه قال الجبائي قال ولا يجوز لمن ليس بمظلوم ان يذكر احدا بسوء لان الله تعالى امره بالستر عليه والكتمان وانما يجب عليه ان ينكر عليه فيما بينه وبينه على وجه لا يفضحه وانما جاز ذلك للمظلوم لانه خصم يجوز له ان يدعي على خصمه ما ظلمه فيه فان اقام بذلك بينة استوفى له حقه والا ابطل دعواه وقال بعض النحويين هذا خطاء في العربية لان من لا يجوز ان يكون رفعا بالجهر لانها في صلة ان ولم ينله المجد فلا يجوز العطف عليه لا يجوز ان يقول لا يعجبني ان يقوم الا زيد ويحتمل ان يكون من نصبا في تاويل ابن عباس وقوله لا يحب الله الجهر بالسوء من القول يكون كلاما تاما ثم قال الا من ظلم فلا حرج عليه فيكون من استثناء من الفعل وان لم يكن قبل الاستثناء شيء ظاهر يستثنى منه كما قال لست عليهم بمصيطر الا من تولى وكفر وكقولهم اني لاكره الخصومة والمراء اللهم الا رجلا يريد الله بذلك ولم يذكر فيه شيء من الاسماء ذكره الفراء وقال اخرون معناه لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم فيخبر بما نيل منه ذهب اليه مجاهد قال مجاهد هو الرجل ينزل بالرجل فلا يحسن اليه فقد رخص له ان يقول فيه وروى عن ابي عبد الله ع انه قال هو الضيف ينزل بالرجل فلا يحسن ضيافته جاز ان يقول ذلك فيه وقال اخرون الا من ظلم فانتصر من ظلمه فان ذلك قد اذن له فيه ذهب اليه السدي وهو المروي عن ابي جعفر ع ومن على هذا يكون في موضع نصب على انقطاعه من الاول ومن شان العرب ان تنصب ما بعد الا في الاستثناء المنقطع فالمعنى على هذه الاقوال سوى قول ابن عباس لا يحب الله الجهر بالسوء من القول لكن من ظلم فلا حرج عليه ان يخبر بما نيل منه او ينتصر ممن ظلمه ومن فتح الظاء قال تاويله لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم فلا باس ان يجهر له بالسوء من القول ذهب اليه ابن زيد قال يجهر له بالسوء حتى ينزع ومن على هذا القول في موضع نصب والمعنى لا يحب الله الجهر ان يجهر احد لاحد من المنافقين بالسوء من القول الا من ظلم منهم فاقام على نفاقه فانه لا باس بالجهر بالسوء من القول قال الزجاج وفيه وجه اخر لم يذكره النحويون وهو ان يكون الا من ظلم لكن الظالم اجهروا له بالسوء من القول وهو استثناء ليس من الاول وهذا الذي ذكره هو قول ابن زيد بعينه وقال الفراء موضع من نصب في القراءتين معا ويجوز الرفع على تقدير لا يحب الله ان يجهر بالسوء الا المظلوم وقال البلخي كان الضحاك يقول فيه تقديم وتاخير والتقدير ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وامنتم الا من ظلم بفتح الظاء ثم قال لا يحب الله الجهر بالسوء من القول على كل حال قال البلخي ويجوز ان يكون الا بمعنى الواو كانه قال لا يحب الله الجهر بالسوء ولا من ظلم فانه لا يحب الجهر بالسوء منه وقال قطرب يجوز ان يكون المراد به المكره في قوله الا من ظلم لانه اذا اكره على الجهر بالسوء من القول فلا شيء عليه والقراءة المعروفة اولى بالصواب لان هذه شاذة والتاويل فيه لا يحب الله ان يجهر احد لاحد بالسوء من القول الا من ظلم فلا حرج عليه ان يخبر بما اسيء اليه ويكون من في موضع نصب لانقطاعها عما قبلها فانه لا اسماء قبله يستثنى منها وهو مثل قوله لست عليهم بمصيطر الا من تولى وكفر وقوله وكان الله سميعا عليما يعني سميعا لما يجهرون من سوء القول لمن يجهرون له وغير ذلك من كلامكم واصواتكم عليما بما تخفون من سوء قولكم وكلامكم لمن تخفون له به فلا تجهرون به يحصي ذلك كله عليكم فيجازي على ذلك كل المسيء باساءته والمحسن باحسانه قوله تعالى ان تبدوا خيرا او تخفوه او تعفوا عن سوء فان الله كان عفوا قديرا اية هذا خطاب لجميع المكلفين يقول الله لهم ان تبدوا يعني ان تظهروا خيرا اي حسنا جميلا من القول لمن احسن اليكم شكرا على انعامه عليكم او تخفوه اي تتركوا اظهاره فلا تبدوه او تعفوا عن سوء معناه او تصفحوا عمن اساء اليكم عن اساءته فلا تجهروا له بالسوء من القول الذي اذنت لكم ان تظهروه وتجهروا به فان الله كان عفوا يعني لم يزل كان صفوحا عن خلقه يصفح لهم عن معاصيه قديرا يعني قادرا على الانتقام منهم وانما اراد بذلك انه مع صفحه قادر على الانتقام ليكون اعظم للمدح ليحث بذلك الخلق على العفو عمن اساء اليهم اذا قدروا على الانتقام منهم والمكافات لهم ولا يجهروا له بالسوء من القول مع القدرة عليه ويتادبوا في ذلك بادب الله تعالى وروى عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله ص ان الله عفو يحب العفو قوله تعالى ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله ويقولون

نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا اولئك هم الكافرون حقا واعتدنا للكافرين عذابا مهينا آيتان معنى الاية الاخبار من الله تعالى ان الذين يكفرون ومعناه يجحدون بالله ورسله من اليهود والنصارى ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله اي يكذبوا رسل الله الذين ارسلهم الى خلقه واوحى اليهم ويزعمون انهم كاذبون على الله وذلك معنى ارادتهم التفريق بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ومعناه انهم يقولون نصدق بهذا ونكذب بهذا كما فعلت اليهود صدقوا موسى ومن تقدمه من الانبياء وكذبوا عيسى ومحمدا ع وكما فعلت النصارى صدقت عيسى ومن تقدمه من الانبياء وكذبوا محمدا ع ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا يعني يريد المفرقون بين الله ورسله الزاعمون انهم يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض ان يتخذوا بين قولهم نؤمن ببعض ونكفر ببعض سبيلا يعني طريقا الى الضلالة التي احدثوها والبدعة التي ابتدعوها يدعون جهال الناس اليه ثم اخبر عن حالهم فقال اولئك هم الكافرون حقا اي هؤلاء الذين اخبر عنهم بانهم يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض وتفريقهم بين الله ورسله هم الكافرون حقا فاستيقنوا ذلك ولا ترتابوا انهم يفرقون بما زعموا انهم فيه متفرقون من الكتب والرسل فانهم يكذبون في دعواهم هذه لانهم لو كانوا صادقين في ذلك لصدقوا جميع رسل الله لانه لا يصح ان يكونوا عارفين بالله ورسوله مع جحودهم لنبوة بعض الانبياء على ما نذهب اليه في الموافات وعند من قال بالاحباط لا يمتنع ان يكونوا عارفين بالله وببعض رسله فاذا كفروا ببعضهم انحبط ما معهم من الثواب على ايمانهم وهذا لا يصح على مذهبنا في بطلان الاحباط فالصحيح اذا ما قلناه وقوله واعتدنا معناه اعددنا للكافرين يعني الجاحدين الذين ذكرهم ولغيرهم من اصناف الكفار عذابا في الاخرة مهينا يهينهم ويذلهم مخلدون في ذلك وقال قتادة والسدي ومجاهد نزلت في اليهود والنصارى وانما قال ان هؤلاء هم الكافرون حقا وان كان غيرهم ايضا كافرا حقا على وجه التاكيد لئلا يظن انهم ليسوا كفارا لقولهم نؤمن ببعض ونكفر ببعض وقيل انه قال ذلك استعظاما لكفرهم كما قال انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم الى قوله اولئك هم المؤمنون حقا وقد يكون مؤمنا حقا من لم يلحق هذه الخصال بلا خلاف قوله تعالى والذين امنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين احد منهم اولئك سوف نؤتيهم اجورهم وكان الله غفورا رحيما اية بلا خلاف قرا يؤتيهم بالياء حفص الباقون بالنون حجة حفص قوله سوف يؤت الله المؤمنين ومن قرا نؤتيهم بالنون فلقوله واتيناه اجره وقوله اولئك سنؤتيهم اجرا وغير ذلك من الاي لما ذكر الله تعالى حكم من فرق بين الله ورسله والايمان ببعض دون بعض وانهم الكافرون وانه اعد لهم العذاب المهين اخبر عقيبه عمن امن بالله ورسله وصدقهم واقر بنبوتهم ولم يفرقوا بين احد منهم بل امنوا بجميعهم فان الله تعالى سيؤتيهم اجورهم يعني سيعطيهم ثوابهم الذي استحقوا على ايمانهم بالله ورسله والاقرار بهم وانه يعطيهم جزاءهم على ذلك وكان الله غفورا رحيما ومعناه يغفر لمن هذه صفته ما سلف له من المعاصي والاثام ويسترها عليهم ويترك العقوبة عليها فانه لم يزل كان غفورا رحيما اي متفضلا عليهم بالهداية الى سبيل الحق موفقا لهم لما فيه خلاص رقابهم من عقاب النار قوله تعالى يسئلك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء فقد سالوا موسى اكبر من ذلك فقالوا ارنا الله جهرة فاخذتهم الصاعقة بظلمهم ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات فعفونا عن ذلك واتينا موسى سلطانا مبينا اية بلا خلاف هذا خطاب للنبي ص يقول الله تعالى يسئلك يا محمد اهل الكتاب يعني اليهود ان تنزل عليهم كتابا من السماء واختلفوا في الكتاب الذي سال اليهود محمدا ص ان ينزل عليهم من السماء فقال قوم سالوا ان ينزل عليهم كتابا من السماء مكتوبا كما جاء موسى بني اسرائيل بالتورية مكتوبة من عند الله في الالواح ذهب اليه السدي ومحمد بن كعب القرظي فانزل الله فيهم هذه الاية الى قوله على مريم بهتانا عظيما وقال اخرون بل سالوه ان ينزل عليهم كتابا خاصا لهم ذهب اليه قتادة وقال اخرون بل سالوا ان ينزل على رجال منهم باعيانهم كتبا بالامر بتصديقه واتباعه ذكر ذلك ابن جريج واختاره الطبري وقال الزجاج ذلك حين سالوا فقالوا لن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه وقال الجبائي كان سوالهم على وجه التعنت والافكان فيما انزل الله من القران دلالة واضحة على نبوته وقوله فقد سالوا موسى اكبر من ذلك فانه توبيخ من الله

تعالى سأل انزال الكتاب عليهم وتقريع منه لهم بقوله لنبيه (ص) يا محمد لا يعظمن عليك مسألتهم اياك ذلك فانهم
من جهلهم بالله عز وجل وجرأتهم عليه واغترارهم بحلمه لو انزلت عليهم الكتاب الذي سألوه لخالفوا امر الله كما
خالفوا بعد احياء الله اياهم من صعقتهم فعبدوا العجل واتخذوه الهاً فعبدوه من دون خالقهم وبارئهم
الذي اراهم قدرته وعظمته وسلطانه بما اراهم ثم قص من قصتهم وقصة موسى ما قص فقال فقد سألوا موسى
اكبر من ذلك يعني سأل اسلاف هؤلاء اليهود موسى (ع) اعظم مما سألوك فقالوا ارنا الله جهرة اي عياناً نعاينه وننظر اليه
وقد بينا معنى الجهرة فيما مضى وحكي عن ابن عباس انه قال فيه تقديم وتأخير وتقديره انهم قالوا جهرة ارنا الله وهو الذي
اختاره ابو عبيد وقال غيره اراد رؤية بالبصر ظاهرة منكشفة لان من علم الله فقد رآه وهو اختيار الزجاج لقوله
تعالى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة وقول ابن عباس يدل على انه كان يذهب الى استحالة الرؤية عليه تعالى
لان على تأويله بنفس سؤال الرؤية اخذتهم الصاعقة دون رؤية مخصوصة على ما يذهب اليه من قال بالرؤية وقوله
فاخذتهم الصاعقة بظلمهم يعني فصعقوا بظلمهم انفسهم عن سؤالهم موسى ان يريهم الله لان ذلك مما هو مستحيل
عليه تعالى وفي ذلك دلالة واضحة على استحالة الرؤية عليه تعالى واستعظام لتجويزها لانهم كانوا يكفرون به ويجحدونه
ولم ينزل عليهم الصاعقة فلما سألوا الرؤية انزلها عليهم وفي ذلك دلالة على ان اصل كل تشبيه تجويز الرؤية
عليه تعالى على قول ابي علي وقد بينا معنى الصاعقة فيما مضى فلا نطول باعادته وقوله ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم
البينات معناه ثم اتخذ هؤلاء الذين سألوا موسى ما سألوا من رؤية الله بعد ما احياهم وبعثهم من صعقتهم
العجل الذي كان السامري اضلهم به وقد بينا فيما مضى السبب الذي من اجله اتخذوا العجل وكيف كان امرهم وقوله
من بعد ما جاءتهم البينات معناه من بعد ما جاءت هؤلاء الذين سألوا موسى البينات من الله والدلالات
الواضحات بان الرؤية مستحيلة عليه ومنها اصعاق الله اياهم عند مسألتهم موسى ان يريهم ربهم جهرة
ثم احياؤه اياهم بعد مماتهم مع غيره من الآيات التي اراهم الله دلالة على ذلك فقال الله مقبحاً فعلهم وموضحاً
عن جهلهم ونقص عقولهم باقرارهم للعجل بانه الههم وهم يرونه عياناً وينظرون اليه فعكفوا على عبادته
مصدقين بالالهية ثم قال تعالى فعفونا عن ذلك ومعناه عفونا للذين عبدوا العجل عن عبادتهم بعد ان
اراهم الله آية على انهم لا يرون ربهم وقوله وآتينا موسى سلطاناً مبيناً معناه اعطينا موسى حجة ظاهرة
تبين عن صدقه وحقيقة نبوته وتلك الحجة هي الآيات التي آتاه الله اياها قوله ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم
وقلنا لهم ادخلوا الباب سجداً وقلنا لهم لا تعدوا في السبت واخذنا منهم ميثاقاً غليظاً آية اجماعاً قرأ
اهل المدينة لا تعدّوا بتسكين العين وتشديد الدال والجمع بين ساكنين بمعنى لا تعتدوا ثم ادغم التاء في الدال
فصارت دالاً مشددة مضمومة كما قرأ من قرأ يهدّي بتسكين الهاء وقووا ذلك بقوله ولقد علمتم الذين
اعتدوا منكم في السبت فجاء في هذه القصة افتعلوا وقال ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين وقرأ الباقون
بتسكين العين من عدوت في الامر اذا تجاوزت الحق فيه اعدو عدواً وعدواناً وعدواً قال ابو زيد عدا علي
اللص اشد العدو والعدو والعداء والعدوان اي سرقك وظلمك وعدت عينه عن ذلك اشد العدو وتعدو
وحجتهم قوله اذ يعدون في السبت في هذه القصة وقوله فاولئك هم العادون معنى قوله ورفعنا فوقهم الطور
يعني الجبل لما امتنعوا من العمل بما في التوراة وقبول ما جاءهم به موسى بميثاقهم يعني بما اعطوا الله من الميثاق
والعهد ليعملن بما في التوراة وقلنا لهم ادخلوا الباب سجداً يعني باب حطة حين امرهم الله ان يدخلوا فيه سجوداً
فدخلوا على استاههم يزحفون وقلنا لهم لا تعدوا في السبت اي لا تتجاوزوا في يوم السبت ما ابيح لكم الى ما حرم عليكم
قال قتادة امرهم الله ان لا يأكلوا الحيتان يوم السبت ولا يعرضوا لها واحل لهم ما عداه وقوله واخذنا منهم
ميثاقاً غليظاً يعني عهداً مؤكداً بانهم يعملون ما امرهم الله به وينتهون عما نهاهم الله عز وجل عنه وقد بينا فيما
مضى السبب الذي من اجله كانوا امروا بدخول الباب سجداً وما كان من امرهم في ذلك قال ابن عباس رفع الله
فوقهم الجبل فقيل لهم اما ان تأخذوا التوراة بما فيها او يلقى عليكم الجبل وقال ابو مسلم رفع الله الجبل فوقهم
ظلالاً لهم من الشمس بميثاقهم اي بعهدهم جزاء لهم على ذلك والاول قول اكثر المفسرين قوله تعالى فبما نقضهم ميثاقهم

وكفرهم بآيات الله وقتلهم الانبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم فلا
يؤمنون الا قليلاً وبكفرهم وقولهم على مريم بهتاناً عظيماً آيتان في قوله فبما نقضهم قولان احدهما
قال الفراء والزجاج وغيرهما ان ما زائدة وتقديره فبنقضهم والثاني انها بمعنى شيء وتقديره فبشيء ونقضهم
بدل منه وبجحودهم ومثله قوله مثلاً ما بعوضة وفيه القولان والتقدير فبنقض هؤلاء الذين وصفهم من اهل الكتاب
ميثاقهم يعني عهودهم التي عاهدوا الله عليها ان يعملوا بما في التوراة وكفرهم بآيات الله يعني جحودهم بآيات
الله وهي اعلامه وادلته التي احتج بها عليهم في صدق انبيائه ورسله وقتلهم الانبياء بغير حق يعني وقتلهم
الانبياء بعد قيام الحجة عليهم بصدقهم بغير حق يعني بغير استحقاق منهم لكبيرة اتوها ولا خطيئة استوجبوا
بها القتل وقتل الانبياء وان كان لا يكون الا بغير حق فانما اكده بقوله بغير حق ومعناه ما قدمنا القول
فيه انه لا يكون ذلك الا بغير حق كما قال ومن يدع مع الله الهاً آخر لا برهان له به والمعنى ان هذا لا يكون
عليه برهان ومثله قول الشاعر على لاحب لا يهتدى بمناره وانما اراد لا منار هناك يهتدى به وقد استوفينا ما
في ذلك فيما مضى وقولهم قلوبنا غلف تقديره يقولون قلوبنا عليها غشاوة واغطية لا نفقه ما تقول ولا نعقله
فاكذبهم الله في ذلك وقال الفراء والزجاج معناه قلوبنا اوعية للعلم فما لا نفقه ما تقول وقد بينا معنى
الغلف فيما مضى وقوله بل طبع الله عليها بكفرهم والمعنى كذبوا في قولهم قلوبنا غلف ما هي بغلف ولا عليها
اغطية بل طبع الله عليها بكفرهم وقد بينا معنى الطبع فيما مضى وهو انه السمة والعلامة وسم الله تعالى و
علم على قلوب قوم من الكفار الذين علم من حالهم انهم لا يؤمنون فيما بعد وجعل ذلك عقوبة لهم على
كفرهم الذي ارتكبوه في الحال تعرفها الملائكة وقوله فلا يؤمنون الا قليلاً معناه فلا يصدقون الا تصديقاً
قليلاً وانما وصفه بالقلة لانهم لم يصدقوا على ما امرهم الله به لكن صدقوا ببعض الانبياء وببعض الكتب
وكذبوا بالبعض فكان تصديقهم بما صدقوا به قليلاً لانهم وان صدقوا به من وجه فهم يكذبون به من وجه
آخر ويجوز ان يكون الاستثناء من الذين نفى الله عنهم الايمان فكأنه علم انه يؤمن منهم جماعة قليلة
فيما بعد فاستثناهم من جملة من اخبر عنهم انهم لا يؤمنون وبهذه الجملة قال جماعة المفسرين قتادة
وغيره واختلفوا في قوله فبما نقضهم هل هو متصل بما قبله من الكلام او منفصل منه فقال قتادة هو منفصل
وقال لما ترك القوم امر الله وقتلوا رسله وكذبوا بآياته ونقضوا ميثاقه طبع الله على قلوبهم بكفرهم
ولعنهم وقال قوم بل هو متصل بما قبله قالوا ومعناه فاخذتهم الصاعقة بظلمهم بنقضهم ميثاقهم وبكفرهم بآيات
الله وبقتلهم الانبياء بغير حق وبكذا وكذا اخذتهم الصاعقة فتبع الكلام بعضه بعضاً ومعناه مردود على
اوله وجوابه قوله فبظلم من الذين قالوا الزجاج هو بدل من قوله فبما نقضهم واختار الطبري الاول وانه منفصل
من معنى ما قبله والمعنى فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وبكذا وكذا لعناهم وغضبنا عليهم فترك ذكر
لعناهم لدلالة قوله بل طبع الله عليها بكفرهم على معنى ذلك من حيث كان من طبع على قلبه فقد لعن وسخط عليه
قال وانما قلنا ذلك لان الذين اخذتهم الصاعقة كانوا على عهد موسى والذين قتلوا الانبياء والذين
رموا مريم بالبهتان العظيم وقالوا قتلنا عيسى كانوا بعد موسى بدهر طويل ومعلوم ان الذين اخذتهم الصاعقة
لم يأخذهم عقوبة على رميهم مريم بالبهتان ولا لقولهم انا قتلنا المسيح فبان بذلك ان الذين قالوا هذه المقالة
غير الذين عوقبوا بالصاعقة وقوله وبكفرهم وقولهم على مريم بهتاناً عظيماً معناه وبكفر هؤلاء الذين وصفهم
وقولهم على مريم بهتاناً يعني رميهم لها بالزنا وهو البهتان وبفريتهم عليها لانهم رموها وهي بريئة بغير بينة
ولا برهان به بل بهتوها بباطل القول وهو قول ابن عباس والسدي والضحاك قوله تعالى وقولهم انا قتلنا المسيح
عيسى بن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وان الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم
به من علم الا اتباع الظن وما قتلوه يقيناً بل رفعه الله اليه وكان الله عزيزاً حكيماً آيتان هذه الآية
عطف على ما قبلها وتقديره فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الانبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف
وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله انزلنا بهم ما انزلنا من العذاب اوجبنا لهم من العقاب لان

اخبارهم انهم قتلوا المسيح يقيناً وما قتلوه كفر من حيث هو جراة على الله في قتل انبيائه ومن دل المعجزات على صدقه ثم كذبهم الله في قولهم انا قتلناه فقال وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم واختلفوا في كيفية التشبيه الذي شبه لليهود في امر عيسى فقال وهب بن منبه اتى عيسى ومعه سبعة عشر من الحواريين في بيت فاحاطوا بهم فلما دخلوا عليهم صيرهم الله كلهم على صورة عيسى فقالوا لهم سحرتمونا ليبرزن لنا عيسى او لنقتلنكم جميعاً فقال عيسى لاصحابه من يشري نفسه منكم اليوم بالجنة فقال رجل منهم انا فخرج اليهم فقال انا عيسى وقد صيره الله على صورة عيسى فاخذوه وقتلوه وصلبوه فمن ثم شبه لهم وظنوا انهم قد قتلوا عيسى وظنت النصارى مثل ذلك انه عيسى ورفع الله عيسى من يومه ذلك وبه قال قتادة والسدي وابن اسحق ومجاهد وابن جريج وان اختلفوا في عدد الحواريين ولم يذكر احد غير وهب ان شبهه القي على جميعهم بل قالوا القي شبهه على واحد ورفع عيسى من بينهم قال ابن اسحق وكان اسم الذي القي عليه شبهه سرجس وكان احد الحواريين ويقال ان الذي دلهم عليه وقال هذا عيسى احد الحواريين اخذ على ذلك ثلثين درهما وكان منافقاً ثم انه ندم على ذلك فاختنق حتى قتل نفسه وكان اسمه بودس زكريا بوطا وهو ملعون في النصارى وبعض النصارى يقول ان بودس زكريا بوطا هو الذي شبه لهم فصلبوه وهو يقول لست بصاحبكم انا الذي دللتكم عليه قال الطبرسي لا قوى قول ابن منبه وهو ان سبعة عشر القي على جماعتهم شبه عيسى لانه لو كان القي على واحد منهم مع قول عيسى ايكم يلقى عليه شبهي وله الجنة ثم راوا عيسى قد رفع من بين ايديهم لما اشتبه عليهم وما اختلفوا فيه وان جاز ان يشتبه على اعدائهم من اليهود الذين لم يكونوا يعرفونه لكن لما القي شبهه على جميعهم فكان جميعهم يرى كل واحد بصورة عيسى فلما قتل واحد منهم اشتبه الحال عليهم وهذا الذي ذكره قريب وقال الجبائي وجه التشبيه ان رؤساء اليهود اخذوا انساناً فقتلوه وصلبوه على موضع عال ولم يمكنوا احداً من الدنو منه فتغيرت حليته وتنكرت صورته وقالوا قتلنا عيسى ليوهموا بذلك على عوامهم لانهم كانوا احاطوا بالبيت الذي فيه عيسى فلما دخلوه كان رفع عيسى من بينهم فخافوا ان يكون ذلك سبباً لايمان اليهود به ففعلوا ذلك والذين اختلفوا غير الذين صلبوا من صلبوه وهم باقي اليهود فان قيل هل يجوز ان يلقي الله شبه زيد على عمرو حتى لا يفصل الناظر اليهما بينهما كما كان يفصل قبل القاء الشبه قيل ذلك مقدور لله بلا خلاف ويجوز ان يفعله عندنا تغليظاً للمحنة وتشديداً للتكليف وان كان ذلك خارقاً للعادة يجوز ان يجعل ذلك معجزة او كرامة لبعض اوليائه الصالحين والائمة المعصومين ع وعند المعتزلة لا يجوز ذلك الا على يدي الانبياء او في وقتهم لانه لا يجوز خرق العادة عندهم الا على يده وقد قيل ان اصحاب عيسى تفرقوا عنه حتى لم يبق غير عيسى وغير الذي القي شبهه عليه فلذلك اشتبه على النصارى فان قيل كيف يجوز من الخلق العظيم ان يخبروا بالشيء على خلاف ما هو به وقد علمنا كثرة اليهود والنصارى ومع كثرتهم اخبروا ان عيسى صلب وقتل فكيف يجوز ان يكونوا مع كثرتهم كذابين ولئن جاز هذا لم نثق بشيء من الاخبار اصلاً ويؤدي ذلك الى قول السمنية قلنا هؤلاء القوم دخلت عليهم الشبهة لان اليهود لم يكونوا يعرفون عيسى وانما اخبروا انهم قتلوا واحداً وقيل لهم انه عيسى فهم في ذلك صادقون وان لم يكن المقتول عيسى واما النصارى فاشتبه عليهم لانه كان القي شبهه على غيره فلما راوا من هو في صورته مقتولاً ظنوا انه عيسى فلم يخبر احد من الفريقين بما ظن ان الامر على ما اخبر به فلا يؤدي ذلك الى بطلان الاخبار بحال وقوله وان الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم الا اتباع الظن وما قتلوه يقيناً يعني به الذين احاطوا بعيسى واصحابه حيث ارادوا قتله لانهم كانوا قد عرفوا عدة من في البيت فلما دخلوا عليهم فقدوا واحداً منهم فالتبس عليهم امر عيسى بفقدهم واحداً من العدة وقتلوا من قتلوا على شك منهم في امر عيسى هذا على قول من قال لم يتفرق اصحابه حتى دخل عليهم اليهود واما من قال تفرقوا عنه فانه يقول اختلافهم كان بان عيسى هل كان فيمن بقي في البيت او كان في الذين خرجوا فاشتبه الامر عليهم قال الزجاج وجه اختلاف النصارى ان منهم من ادعى انه اله لا يقتل ومنهم من قال قتل فكذب الله الجميع وقوله الا اتباع الظن استثناء منقطع وتقديره لم يكن لهم بمن قتلوه علم

لكنهم اتبعوا ظنهم فقتلوه ظناً منهم انه عيسى ولم يكن به وقوله وما قتلوه يقيناً معناه وما قتلوا ظنهم الذي اتبعوا المقتول الذي قتلوه وهم يحسبونه عيسى يقيناً انه عيسى ولا انه غيره لكنهم كانوا منه على ظن وشبهة كما يقول القائل ما قتلت هذا الامر علماً وما قتلته يقيناً اذا تكلم فيه بالظن على غير يقين فالهاء في قتلوه عائدة على الظن وقال ابن عباس وجويبر وما قتلوا ظنهم يقيناً وحكى الزجاج عن قوم ان الهاء راجعة الى عيسى نفى الله عنه القتل على وجه التحقيق واليقين وقال السدي وما قتلوا امره يقيناً ان الرجل هو عيسى وقوله بل رفعه الله اليه يعني بل رفع الله المسيح اليه ولم يقتلوه ولم يصلبوه لكن الله رفعه وطهره من الذين كفروا وكان الله عزيزاً حكيماً معناه لم يزل الله عزيزاً منتقماً من اعدائه كانتقامه من الذين اخذتهم الصاعقة بظلمهم وكلعنه من نقض ميثاقه وفعل ما قصد الله حكيماً في افعاله وتدبيراته وتصريفه خلقه في قضائه واحذروا ايها السائلون محمداً ان ينزل عليكم كتاباً من السماء حلول عقوبته بكم كما حل باوائلكم الذين فعلوا فعلكم في تكذيبهم رسله وافترائهم على اوليائه وبه قال ابن عباس وقوله بل رفعه الله في القراء من ادغم اللام في الراء وعليه الاكثر وهو الاقوى لقرب مخرج اللام من مخرج الراء وهو اقوى من ادغام الراء في اللام لان في الراء تكريراً فهو يجري مجرى الحرفين ومن لم يدغم قال لانه من كلمتين وقال الفراء لا يجوز غير الادغام وقال سيبويه الادغام اجود وتركه جائز وهي لغة حجازية وقوله بل رفعه الله اليه معناه انه رفعه الى الموضع الذي يختص الله تعالى بالملك ولم يملك احداً منه شيئاً وهو السماء لانه لا يجوز ان يكون المراد انه رفعه الى مكان هو تعالى فيه لان ذلك من صفات الاجسام تعالى الله عن ذلك وعلى هذا يحمل قوله حكاية عن ابرهيم اني ذاهب الى ربي يعني الى الموضع الذي امرني به ربي ومثل قوله ومن يخرج من بيته مهاجراً الى الله ورسوله يعني مهاجراً الى الموضع الذي امره الله بالهجرة اليه قوله تعالى وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيمة يكون عليهم شهيداً آية معنى ان معنى ما النافية وموضعها الرفع وهي مثل قوله وان منكم الا واردها اي ما منكم احد الا واردها ومعنى الآية الاخبار منه تعالى بانه لا يبقى احد من اليهود الا ليؤمنن به يعني بعيسى قبل موته واختلفوا في الهاء الى من ترجع فقال قوم هي كناية عن عيسى كانه قال لا يبقى احد من اليهود الا يؤمن بعيسى قبل موت عيسى بان ينزله الله الى الارض اذا اخرج المهدي ع وانزله الله لقتل الدجال فتصير الملل كلها ملة واحدة وهي ملة الاسلام الحنيفية دين ابرهيم ع ذهب اليه ابن عباس وابو مالك والحسن وقتادة وابن زيد وذلك حين لا ينفعهم الايمان واختاره الطبري قال والآية خاصة لمن يكون في ذلك الزمان وهو الذي ذكره علي بن ابرهيم في تفسير اصحابنا وروى شهر بن حوشب عن محمد بن علي بن الحنفية ان الحجاج سئله عن هذه الآية وقال نرى اليهودي تضرب رقبته فلا يتكلم بشيء فقال حدثني محمد بن علي ان الله يبعث اليه ملكاً يضربه ويضرب راسه ودبره ويقول له كذبت عيسى فيؤمن ح ويقول كذبت عيسى ويعرف به فقال له الحجاج عمن فقال عن محمد بن علي فقال له جئت بها من عين صافية فقيل لشهر ما اردت بذلك قال اردت ان اغيظه وذكره البلخي مثل ذلك وضعف هذا الوجه الزجاج وقال الذين يبقون الى زمن نزول عيسى من اهل الكتاب قليل والآية تقتضي عموم ايمان اهل الكتاب اجمع قال الا ان يحمل على ان جميعهم يقول ان عيسى الذي ينزل لقتل الدجال نحن نؤمن به فعلى هذا يجوز واختار الوجه الثاني وقال قوم الهاء كناية عن الكتابي وتقديره انه لا يكون احد من اهل الكتاب يخرج من دار الدنيا الا ويؤمن بعيسى عند موته اذا زال تكليفه وتحقق الموت ولكن لا ينفعه الايمان ح ذهب اليه ابن عباس في رواية اخرى ومجاهد قال ابن عباس لو ضربت رقبته لم تخرج نفسه حتى يؤمن وبه قال عكرمة والضحاك وفي رواية عن الحسن وقتادة وقال قوم الهاء كناية عن محمد ع والتقدير وليس من اهل الكتاب الا من يؤمن بمحمد ع قبل موت الكتابي ذهب اليه عكرمة وطعن الطبري على هذا الوجه بان قال لو كان ذلك صحيحاً لما جاز اجراء احكام الكفار عليهم اذا ماتوا من ترك الصلوة عليهم ومنع المدافنة والموارثة وغير ذلك ووجب اجراء حكم الاسلام عليهم وهذا الذي ذكره ليس بشيء لان ايمانهم بمحمد ع انما يكون في حال زوال التكليف فلا حكم لذلك الايمان وذلك مثل ايمان فرعون حين غرق وقال امنت انه لا اله الا الذي امنت به بنو اسرائيل فقال الله تعالى له الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين فكذلك ايمان هؤلاء لا يعتد به وانما يضعف هذا الجواب من حيث انه لم يجر لمحمد ع

ذكر فيما تقدم ولا ههنا ضرورة موجبة لرد الكناية عليه وما هذه صورته لا يجوز الكناية عنه وانما قلنا في قوله حتى توارت بالحجاب انها كناية عن الشمس للضرورة لانه لا يحتمل سواها وقد جرى ذكر عشي والكناية فامكن ان يكون كناية عن كل واحد منهما فلا يجوز العدول عنه وقوله ويوم القيمة يكون عليهم شهيدا قال قتادة وابن جريج يكون عيسى عليهم شهيدا على انه قد بلغ رسالة ربه واقر على نفسه بالعبودية مكذبا من كذبه ومصدقا من صدقه وقوله فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا وَأَخْذِهِمُ الرِّبَوا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا آيتان هاتان الآيتان معطوفتان على ما تقدم قال الزجاج قوله فبظلم بدل من قوله فبما نقضهم ميثاقهم والعامل في الباء قوله حرمنا عليهم طيبات لما طال الكلام اجمل تعالى ما ذكره ههنا في قوله فبظلم واخبر انه حرم على اليهود الذين نقضوا ميثاقهم الذي واثقوا الله عليه وكفروا باياته وقتلوا انبياءه وقالوا البهتان على مريم وفعلوا ما فعلوا مما وصفه الله في كتابه طيبات من المآكل وغيرها وكانت لهم حلالا عقوبة لهم بظلمهم الذي اخبر الله عنه لانهم لما فعلوا ما فعلوا اقتضت المصلحة تحريم هذه الاشياء عليهم وهو قول مجاهد واكثر المفسرين وقوله وبصدهم عن سبيل الله كثيرا يعني بمنعهم عباد الله عن دينه وسبيله التي شرعها لعباده صدا كثيرا وكان صدهم عن سبيل الله بقولهم على الله الباطل وادعاؤهم ان ذلك عن الله وتبديلهم كتاب الله وتحريفهم معانيه عن وجوهه ومن اعظم ذلك جحدهم نبوة محمد ص وتركهم بيان ما قد علموا من امره لمن جهل امره من الناس وهو قول مجاهد وغيره وقوله واخذهم الربوا يعني ما فضل على رؤوس اموالهم بتأخيرهم له عن محله الى محل آخر وقد نهوا عنه يعني عن الربا واكلهم اموال الناس بالباطل يعني بغير استحقاق ولا استيجاب وهو ما كانوا ياخذونه من الرشا على الاحكام كما قال تع واكلهم السحت لبئس ما كانوا يعملون ومنه ما كانوا ياخذونه من اثمان الكتب التي كانوا يكتبونها بايديهم ويقولون هذا من عند الله وما اشبه ذلك من المآكل الخسيسة الخبيثة فعاقبهم الله تعالى على جميع ذلك بتحريم ما حرم عليهم من الطيبات وقوله واعتدنا للكافرين منهم عذابا معناه وجعلنا للظالمين انفسهم بكفرهم بالله وجحدهم رسوله محمدا صلى الله عليه وآله من هؤلاء اليهود العذاب الاليم وهو المؤلم الموجع يصلونها في الآخرة عدة لهم قال ابو علي حرم الله تعالى هذه الطيبات على الظالمين منهم عقوبة لهم على ظلمهم ومن لم يكن ظالما منهم نسخ منهم اما على لسان عيسى او على لسان محمد ص نبينا وهو ما حرمه من كل ذي ناب من السباع ومخلب من الطير وغير ذلك مما ذكره في قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما الى قوله ذلك جزيناهم ببغيهم فهذا البغي هو الظلم الذي ذكره ههنا قوله تعالى لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَوةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَوةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا آية استثنى الله تع من اليهود الذين وصف صفتهم فيما مضى من الآيات في قوله يسئلك اهل الكتاب الى ههنا من هداه الله لدينه ووفقه لرشده فقال لكن الراسخون وهم الذين رسخوا في العلم وثبتوا فيه وقد مضى معنى الرسوخ فيما مضى في العلم الذي جاء به الانبياء واحكام الله التي ادوها الى عباده المؤمنون بالله ورسوله منهم يؤمنون بالقرآن الذي انزله الله اليك يا محمد وبالكتب التي انزلها على من قبلك من الانبياء والرسل ولا يسئلونك ما يسئل هؤلاء الجهال منك انزال كتاب من السماء لانهم قد علموا صدق قولك بما قرأوا من الكتب التي انزلها على الانبياء ووصفك فيها وانه يجب عليهم اتباعك فلا حاجة بهم الى ان يسئلوك معجزة اخرى ولا دلالة غير ما علموا من امرك بالعلم الراسخ في قلوبهم وهو قول قتادة والمفسرين وقوله والمقيمين الصلوة اختلفوا هل هم الراسخون في العلم او غيرهم فقال قوم هم هم واختلف هؤلاء في اعرابه ومخالفته لاعراب الراسخين فقال قوم منهم هو غلط من الكاتب وانما هو لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون والمقيمون الصلوة ذكر ذلك حماد بن سلمة عن الزبير قال قلت لابان بن عثمان بن عفان ما شأنها كتبت لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون والمقيمين الصلوة فقال ان الكاتب لما كتب لكن الراسخون في العلم منهم الى قوله من قبلك قال ما اكتب قيل له اكتب والمقيمين الصلوة وروى عروة بن الزبير قال سئلت عايشة عن قوله والمقيمين الصلوة وعن قوله والصابئون وعن قوله ان هذان فقالت

يا ابن اختي هذا عمل الكتاب اخطأوا في الكتابة وفي مصحف ابن مسعود والمقيمون الصلوة وقال الفراء والزجاج وغيرهما من النحويين هو من صفة الراسخين لكن لما طال واعترض بينهما كلام نصب المقيمين على المدح وذلك سائغ في اللغة كما قال في الآيات التي تلوناها وفي قوله والموفون بعهدهم اذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وقال آخرون هو من صفة الراسخين في العلم ههنا وان كان الراسخون في العلم من المقيمين قالوا وموضع المقيمين خفض عطفا على ما في قوله يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك ويؤمنون بالمقيمين الصلوة والمعنى يؤمنون باقام الصلوة وقوله والمؤتون الزكوة قالوا اعطف على قوله والمؤمنون وقال آخرون المقيمون الصلوة هم الملائكة واقامتهم للصلاة تسبيحهم ربهم واستغفارهم لمن في الارض ومعنى الكلام والمؤمنون يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك وبالملائكة واختاره الطبري قال لانه في قراءة ابي كذلك وكذلك هو في مصحفه فلما وافق مصحفه مصحفنا دل على انه ليس بغلط وقال آخرون المعنى والمؤمنون يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك ويؤمنون بالمقيمين الصلوة وهم الائمة المعصومون والمؤتون الزكوة كما قال يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين وانكروا النصب على المدح قالوا وانما يجوز ذلك بعد تمام خبره قالوا وخبر الراسخين قوله اولئك سنؤتيهم اجرا عظيما فلا يجوز نصب المقيمين على المدح في وسط الكلام قبل تمام الخبر واختار الزجاج ذلك قال يجوز ان يقول مررت بزيد الكريم بالجر والنصب والرفع النصب على المدح والخفض على الصفة والرفع على تقدير هو الكريم وانشد في النصب على المدح بيت خرنق لا يبعدن قومي الذين هم سم العداة وآفة الجزر النازلين بكل معترك والطيبون معاقد الازر على معنى اذكر النازلين وهم الطيبون ولو نصب لكان جائزا وقال قوم المعنى لكن الراسخون في العلم منهم ومن المقيمين الصلوة قالوا فموضعه خفض وقال قوم المعنى يؤمنون بما انزل اليك والى المقيمين الصلوة وهذان الوجهان الاخيران ضعيفان عند النحويين لانه لا يكاد يعطف ظاهر على مكنى وقوله اولئك سنؤتيهم اجرا عظيما اشارة الى هؤلاء الذين وصفهم الله فاخبر انه سيعطيهم اجرا اي ثوابا وجزاء على ما كان منهم من طاعة الله واتباع امره في الخلود في الجنة وقيل من جملة الراسخين عبد الله بن سلام وابن يامين وابن صوريا واسد واسيد وثعلبة وسلام وغيرهم من علماء اليهود الذين آمنوا بالنبي ص قوله تعالى إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَهِيمَ وَإِسْمَعِيلَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا آية قرأ حمزة وخلف زبورا بضم الزاء الباقون بفتحها حيث وقعت من ضم الزاء احتمل ذلك وجهين احدهما ان يكون جمع زبر فاوقع على المزبور الزبر كما قيل ضرب الامير ونسج اليمن كما يسمى المكتوب الكتاب ثم جمع الزبر على زبور لوقوعه موقع الاسماء التي ليست مصادر كما يجمع الكتاب كتب فلما استعمل استعمال الاسماء قالوا زبور والوجه الآخر ان يكون جمع زبور بحذف الزيادة على زبور كما قالوا ظريف وظروف وكروان وكروان وورشان وورشان ونحو ذلك مما يجمع بحذف الزيادة يدل على قوة هذا ان التكسير مثل التصغير وقد اطرد هذا الحذف في ترخيم التصغير نحو ازهر وزهير وحارث وحريث وثابت وثبيت والجمع مثله في القياس وان كان اقل منه في الاستعمال ومن فتح الزاء اراد الكتاب المنزل على داود كما سمي المنزل على موسى التورية والمنزل على عيسى الانجيل والمنزل على محمد ص الفرقان قال الحسين بن علي المغربي زبور جمع زبور ومثله تخوم وتخوم وعذوب وعذوب قال ولا يجمع فعول بفتح الفاء على فعول بضم الفاء الا هذه الثلثة فيما عرفنا والزبر احكام العمل في البئر خاصة يقال بئر مزبورة اذا كانت مطوية بالحجارة ويقال ما لفلان زبر اي عقل وزبر الحديد قطعه واحدها زبرة وتقول زبرت الكتاب ازبره زبرا مثل ذبرته اذبره ذبرا بالذال المعجمة هذا خطاب من الله للنبي ص يقول الله انا اوحينا اليك يا محمد اي ارسلنا اليك رسلنا بالنبوة كما ارسلنا الى نوح وساير الانبياء الذين سميناهم لك من بعده والذين لم نسمهم لك وقيل ان هذه الآية نزلت على النبي ص لان بعض اليهود لما فضحهم الله بالآيات التي انزلها على رسوله ص من عند قوله يسئلك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء وما بعده فتلا ذلك عليهم رسول الله قالوا ما انزل الله على بشر من شيء بعد موسى فانزل الله هذه الآيات تكذيبا لهم واخبر نبيه والمؤمنين به انه قد انزل على من بعد موسى من الذين سماهم في هذه الآية وعلى من لم يسمهم وهو قول ابن عباس وقال آخرون بل قالوا ما انزل الله

الآيات التي قبل هذه في ذكرهم ما انزل الله على بشر من شيء لا على موسى ولا على عيسى ذهب اليه محمد بن كعب القرظي
وفيهم نزل قوله وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شيء والاسباط في ولد اسحق كالقبائل
في ولد اسمعيل وقد بعث منهم عدة رسل كيوسف وداود وسليمان وموسى وعيسى فيجوز ان يكون اراد بالوحي
اليهم الوحي الى الانبياء منهم كما تقول ارسلت الى بني تميم وان ارسلت الى وجوههم وليس يصح عندنا ان الاسباط
الذين هم اخوة يوسف كانوا انبياء قوله تعالى ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك
وكلم الله موسى تكليما آية بلا خلاف يحتمل نصب ورسلا امرين احدهما على قول الفراء انا اوحينا اليك كما اوحينا
الى نوح والى رسل قد قصصناهم عليك ورسل لم نقصصهم عليك فلما حذف الى نصب رسلا وقال الزجاج تقديره انه
لما قال انا اوحينا كان معناه ارسلناك رسولا عطف على ذلك فقال ورسلا وتقديره وارسلنا رسلا فعطف
الرسل على معنى الاسماء قبلها في الاعراب كما قال الشاعر اوجبت بالخبز له ميسرا والبيض مطبوخا معا والسكرا لم يرضه
ذلك حتى يسكرا والوجه الثاني ان يكون نصبا بفعل يفسره ما بعده ويتلوه وهو اختيار الزجاج وتقديره وقصصنا
عليك رسلا قد قصصناهم عليك كما قال والظالمين اعد لهم والتقدير واعد للظالمين اعد لهم عذابا اليما وقرأ
ابي ورسل بالرفع لما كان في الفعل عائد اليهم وهو قوله وقد قصصناهم عليك وقوله وكلم الله موسى تكليما نصب تكليما
على المصدر وفائدته وكلم الله موسى بلا واسطة خصوصا له من بين ساير الانبياء لان ساير الانبياء كلمهم الله
بواسطة الوحي وقيل انما قال ذلك ليعلم ان كلام الله من جنس هذا المعقول الذي يشقق منا التكليم على خلاف ما يقول
المبطلون وقيل انما اتى بالمصدر تاكيدا وقيل انما اراد بذلك تعظيم كلامه كانه قال كلم الله موسى تكليما شريفا
كما قال فغشيهم من اليم ما غشيهم يريد بذلك تعظيم ما غشيهم من الاهوال فاما قول من قال ان الله كلم موسى
باللغات كلها التي لم يفهمها فلما كان آخر شيء كلمه بكلام فهمه فان ذلك لا يجوز عليه تعالى لان خطاب من لا يفهم
خطابه عبث يجري مجرى قبح خطاب العربي بالزنجية والله يتعالى عن ذلك قال البلخي وفي الاية دلالة على ان كلام الله
محدث من حيث انه كلم موسى خاصة دون غيره من الانبياء وكلمه في وقت دون وقت ولو كان الكلام قديما ومن صفات
ذاته لم يكن في ذلك اختصاص ومن فصل بين التكليم والتكلم فقد ابعد لان المكلم لغيره لا يكون الا متكلما وان كان
يجوز ان يكون متكلما وان لم يكن مكلما فالمتكلم يجمع الامرين قوله تعالى رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس
على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما آية بلا خلاف نصب رسلا على القطع من اسماء الانبياء الذين ذكر اسماؤهم
مبشرين نصب على الحال والتقدير ارسلت هؤلاء الانبياء رسلا الى خلقي وعبادي مبشرين بثوابي من اطاعني وصدق
رسلي ومنذرين يعني مخوفين من عقابي من عصاني وخالف امري وكذب رسلي لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل
وقال ابو علي ذلك مخصوص بمن علم الله من حاله ان له في بعثة الانبياء لطفا لانه اذا كان كذلك متى لم يبعث اليهم نبيا
يعرفهم ما فيه لطفهم كان في ذلك اتم الحجة عليه تعالى وذلك يفسد قول من قال في مقدوره من اللطف ما لو فعله بالكافر
لآمن لانه لو كان الامر على ما قالوه لكان لهم الحجة بذلك على الله تعالى قائمة فاما من لم يعلم من حاله ان له في انفاذ
الرسل اليه لطفا فالحجة قائمة عليه بالعقل والادلة الدالة على توحيده وصفاته وعدله ولو لم تقم الحجة بالعقل ولا قامت
الا بانفاذ الرسل لفسد ذلك من وجهين احدهما ان صدق الرسل لا يمكن العلم به الا بعد تقدم العلم بالتوحيد
والعدل فان كانت الحجة لم تقم عليه بالعقل فكيف الطريق له الى معرفة النبي ص وصدقه والثاني انه لو كانت الحجة لا تقوم
الا بالرسول لاحتاج الرسول ايضا الى رسول آخر حتى تقوم عليه الحجة والكلام في رسوله كالكلام في هذا الرسول
ويؤدي ذلك الى ما لا يتناهى وذلك فاسد فمن استدل بهذه الاية على ان التكليف لا يصح بحال الا بعد انفاذ الرسل
فقد ابعد على ما قلناه وقوله وكان الله عزيزا حكيما معناه انه مقتدر على الانتقام ممن يعصيه ويكفر به لا يمنعه منه مانع
لعزته حكيم فيما امر به خلقه وفي جميع افعاله قوله تعالى لكن الله يشهد بما انزل اليك انزله بعلمه والملائكة يشهدون
وكفى بالله شهيدا آية قال الزجاج الرفع مع تخفيف لكن والنصب مع تشديده جائز لكن لم يقرأ بالتشديد احد ومعنى
لكن الله يشهد اي يبين ما تشهد به ويعلم مع ابانته انه حق والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيدا دخلت الباء
مؤكدة والمعنى اكتفوا بالله في شهادته والمعنى في الاية ان هؤلاء اليهود الذين سألوك ان تنزل عليهم كتابا من السماء

وقالوا لك ما انزل الله على بشر من شيء فقد كذبوا ليس الامر كما قالوا لكن الله يشهد بتنزيله ما انزله اليك من كتابه
ووحيه انزل ذلك اليك وهو عالم بانك خيرته من خلقه وصفوته من عباده يشهد لك بذلك ملائكته فلا يحزنك
تكذيب من كذبك وخلاف من خالفك وكفاك بالله شهيدا اي حسبك بالله شاهدا على صدقك دون ما
سواه قال ابن عباس نزلت هذه الاية في جماعة من اليهود كان النبي ص دعاهم الى اتباعه واخبرهم انهم يعلمون حقيقة
نبوته فجحدوا نبوته وانكروا معرفته فانزل الله فيهم هذه الاية تسلية للنبي ص وتعزية له عن تكذيب من كذبه ومن
استدل بهذه الاية على انه تعالى عالم بعلم فقد اخطأ لان قوله بعلمه معناه وهو عالم به ولو كان المراد بذلك ذاتا
اخرى لوجب ان يكون العلم آلة في الانزال كما يقولون كتبت بالقلم وقطعت بالسكين ونجرت بالفاس ولا خلاف
ان العلم ليس بآلة في الانزال وقال الزجاج معناه انزل القران الذي علمه فيه وهو اختيار الازهري قوله تعالى
ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله قد ضلوا ضلالا بعيدا آية المعنى ان الذين جحدوا نبوتك بعد
علمهم بها من اهل الكتاب الذين ذكر قصتهم وانكروا ان الله تعالى اوحى اليك وانزل كتابه عليك وصدوا عن
سبيل الله يعني عن الدين الذي بعثك به الى خلقه وهو الاسلام بقولهم للذين يسألونهم عن صحة نبوتك ما نجد صفة
محمد ص في كتبنا وادعاؤهم انه عهد اليهم ان النبوة لا تكون الا في ولد هارون ومن ذريته داود وما اشبه ذلك فقد
ضلوا ضلالا بعيدا يعني جاروا عن قصد الطريق جورا شديدا وزالوا عن المحجة التي هي دين الله الذي ارتضاه لعباده
وبعثك به الى خلقه وزالوا بعيدا بعدوا من الرشاد قوله تعالى ان الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم
ولا ليهديهم طريقا الا طريق جهنم خالدين فيها ابدا وكان ذلك على الله يسيرا آيتان هذا خبر من الله
تعالى بان الذين جحدوا رسالة محمد صلى الله عليه واله وكفروا بالله وجحدوه بجحودهم رسالة نبيه وظلموا نبيه
بتكذيبهم اياه ومقامهم على الكفر على علم منهم بظلمهم عباد الله وحسدا للعرب وبغيا على رسوله لم يكن الله
ليغفر لهم يعني لم يكن الله ليعفو عن ذنوبهم بترك عقابهم عليها لكنه تعالى يفضحهم بها عاجل ثناؤه بعقوبته
اياهم عليه ولا ليهديهم طريقا يعني لا يهديهم لطريق الجنة لان الهداية الى طريق الايمان قد سبقت و
قد عم الله ايضا بها جميع المكلفين ويحتمل ان يكون المراد لم يكن الله يفعل بهم ما يؤمنون عنده في المستقبل
عقوبة لهم على كفرهم الماضي واستحقاقهم حرمان ذلك وانه يخذلهم عن ذلك حتى يسلكوا طريق جهنم
ويكون المعنى لم يكن الله ليوفقهم للاسلام لكنه يخذلهم عنه الى طريق جهنم جزاء لهم على ما فعلوه من الكفر
خالدين فيها مقيمين ابدا وكان ذلك على الله يسيرا المعنى وكان تخليد هؤلاء الذين وصفت لكم صفتهم في
جهنم على الله يسيرا لانه تعالى اذا اراد ذلك به لم يقدر على الامتناع منه ولا يصعب عليه عقاب من يعصيه فلذلك
كان يسيرا عليه قوله تعالى يا ايها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم فآمنوا خيرا لكم وان تكفروا
فان لله ما في السموات والارض وكان الله عليما حكيما آية بلا خلاف خاطب الله بهذه الاية جميع الكفار
الذين لم يؤمنوا بالنبي ص من مشركي العرب وجميع اصناف الكفار وبين انه قد جاءهم الرسول يعني محمدا صلى الله عليه
واله بالحق من ربكم يعني بالاسلام الذي ارتضاه الله لعباده دينا من ربكم يعني من عند ربكم فآمنوا خيرا
لكم معناه صدقوه وصدقوا ما جاءكم به من عند ربكم من الدين فان الايمان بذلك خير لكم من الكفر وان
تكفروا اي تجحدوا نبوته وتكذبوا برسالته وبما جاء به من عند الله فان ضرر ذلك يعود عليكم دون الله تعالى
الذي له ملك السموات لا ينقص كفركم بما كفرتم به من امره وعصيانكم فيما عصيتموه فيه من ملكه وسلطانه شيئا
وكان الله عليما بما انتم صائرون اليه من طاعته او معصيته حكيما في امره اياكم ونهيه عما نهاكم عنه وفي غير ذلك
من تدبيره فيكم وفي غيركم من خلقه واختلفوا في نصب خيرا لكم فقال الخليل وجميع البصريين ان ذلك محمول على المعنى
لانك اذا قلت انته خيرا لك فانت تدفعه عن امر وتدخله في غيره كانك قلت انته وأت خيرا لك وادخل فيما هو خير لك
وانشد الخليل وسيبويه قول عمر بن ابي ربيعة فواعديه سرحتي مالك او الربا بينهما اسهلا وتقديره وأتي مكانا اسهلا
وقال الكسائي انتصب بخروجه من الكلام قال وهذا تفعله العرب في الكلام التام نحو قولك لتقومن خيرا لك وانته خيرا
لك فاذا كان الكلام ناقصا لم يجز غير الرفع تقول ان تنته خير لك وان تتق الله خير لك وان تصبروا خير لكم وقال

الفرّاء انتصب ذلك لانه متصل بالامر وهو من صفته الا ترى انك تقول انته هو خير لك فلما اسقطت هو اتصل بما قبله وهو معرفة فانتصب وقال ابو عبيدة انتصب ذلك على اضمار كان كانه قال فآمنوا يكن الايمان خيرا لكم قال وكذلك كل امر ونهي قال الفرّاء يلزم على ذلك ما يبطله الا ترى انك تقول اتق الله تكن محسنا ولا يجوز ان تقول اتق الله محسنا باضمار كان ولا يصلح ان تقول انصرنا اخانا وانت تريد تكن اخانا وقال قوم انتصب ذلك بفعل مضمر اكتفى في ذلك المضمر بقوله لا تفعل هذا وافعل خيرا واجازه في غير افعل فقال لا تفعل ذلك وافعل صلاحا لك قوله تعالى يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ايه واحده هذا خطاب من الله تعالى لاهل الكتاب الذي هو الانجيل وهم النصارى نهاهم الله تعالى ان يغلوا في دينهم بان يجاوزوا الحق فيه ويفرطوا في دينهم ولا يقولوا في عيسى غير الحق فان قولهم في عيسى انه ابن الله قول بغير الحق لانه تعالى لم يتخذ ولدا فيكون عيسى او غيره من خلقه ابنا له ونهاهم ان يقولوا على الله الا الحق وهو الاقرار بتوحيده وانه لا شريك له ولا صاحبة ولا ولد واصل الغلو في كل شيء مجاوزة حده يقال غلا فلان في الدين يغلو غلوا وغلا بالجارية عظمها ولحمها اذا اسرعت الشباب فجاوزت لداتها يغلو بها غلوا وغلاء قال الحرث بن خالد المخزومي خمصانة قلق موشحها رود الشباب غلا بها عظم وقوله انما المسيح عيسى بن مريم فاصل المسيح الممسوح نقل من مفعول الى فعيل سماه الله بذلك لتطهيره اياه من الذنوب وقيل مسح من الذنوب والادناس التي يكون في الآدميين كما يمسح الشيء من الاذى الذي يكون فيه وهو قول مجاهد وقال ابو عبيد هذه الكلمة عبرانية او سريانية مشيحا فعربت فقيل المسيح كما عرب سائر اسماء الانبياء في القرآن نحو اسمعيل واسحق وموسى وعيسى وقال قوم ليس هذا مثل ذلك لان اسمعيل واسحق وما اشبههما اسماء لا صفات والمسيح صفة ولا يجوز ان يخاطب العرب وغيرها من اجناس الخلق في صفة شيء الا بما يفهم فعلم بذلك انها كلمة عربية وقال ابرهيم المسيح الصدّيق واما المسيح الدجال فانه ايضا بمعنى الممسوح العين صرف من مفعول الى فعيل فمعنى المسيح في عيسى الممسوح البدن من الادناس والآثام ومعنى المسيح في الدجال الممسوح العين اليمنى او اليسرى كما يروى عن النبي صلعم في ذلك وقوله رسول الله اخبار منه تع ان المسيح رسله الله وجعله نبيا وقوله كلمته القاها الى مريم فانه يعني بالكلمة الرسالة التي امر الله ملئكته ان ياتي بها بشارة من الله تع لها التي ذكر في قوله قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه يعني برسالة منه وبشارة من عنده الله وقال قتادة والحسن هو قوله كن فكان واختار الطبري الاول وقال الجبائي ذلك مجاز وانما اراد بالكلمة انهم يهتدون بعيسى كما يهتدون بكلامه وكذلك يحيون به في دينهم كما يحيى الحي بالروح فلذلك سماه روحا وقوله القاها الى مريم فمعناه اعلمها بها واخبرها كما يقال القيت اليك كلمة حسنة بمعنى اخبرتك بها وكلمتك بها وقال الجبائي معنى القاها الى مريم خلقه في رحمها وقوله وروح منه اختلفوا فيه على ستة اقوال فقال قوم معناه ونفخة منه وسماه روحا لانه حدث عن نفخ جبرئيل في درع مريم بامر الله له بذلك ونسب الى الله لانه كان بامره وانما سمي النفخ روحا لانها ريح تخرج من الروح واستشهدوا على ذلك قول ذي الرمة واسمه غيلان في صفة نار نفخها فلما بدت كفنتها وهي طفلة بطلساء لم تكمل ذراعا ولا شبرا وقلت له ارفعها اليك واحيها بروحك واقتتها لها قيتة قدرا وظاهر لها من يابس الشخت واستعن عليها الصبا واجعل يديك لها سترا معنى احيها بروحك اي بنفخك وقال بعضهم معناه انه كان انسانا باحياء الله اياه بتكوينه بلا واسطة من جماع ونطفة على مجرى العادة وقال قوم قوله وروح منه معناه ورحمة منه كما قال في موضع وايدهم بروح منه ومعناه ورحمة منه قال فجعل الله عيسى رحمة على من اتبعه وامن به وصدقه لانه هداهم الى سبيل الرشاد وقال آخرون معنى ذلك وروح من الله خلقها فصورها ثم ارسلها الى مريم فدخلت في فيها فصيرها الله تع روح عيسى ذهب اليه ابو العالية عن ابي بن كعب وقال بعضهم ان معنى الروح ههنا القوة التي كان بها يحيي الموتى قال الراجز اذ عرج الليل بروح الشمس وقال قوم معنى الروح ههنا

جبرئيل قالوا والروح معطوفة به على ما في قوله من ذكر الله تع والمعنى ان القاء الكلمة الى مريم كان من الله ثم من جبرئيل وقوله فآمنوا بالله ورسله امر من الله اياهم بتصديق الله تعالى والاقرار بوحدانيته وتصديق رسله فيما جاؤا به من عند الله وفيما اخبرهم به ان الله لا شريك له ولا صاحبة له ولا ولد وقوله ولا تقولوا ثلثة انتهوا نهي لهم عن ان يقولوا الارباب ثلثة وانما رفع ثلثة بمحذوف دل عليه ظاهر الكلام وتقديره ولا تقولوا هم ثلثة وانما جاز ذلك لان القول حكاية ومثل ذلك قوله سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم وكذلك كل ما ورد من مرفوع بعد القول لا رافع معه ففيه اضمار اسم رافع لذلك الاسم ثم قال متوعدا لهم على عظيم قولهم الذي قالوه في الله انتهوا ايها القائلون الله ثالث ثلثة عما تقولون من الزوج والشريك بالله والانتهاء عن ذلك خير لكم من قوله لما لكم عند الله من العقاب العاجل لكم على قولكم ذلك ان اقمتم عليه ولم ترجعوا الى الحق ووجه النصب في انتهوا خيرا لكم ما قلناه في قوله آمنوا خيرا لكم فلا وجه لاعادته وقوله انما الله اله واحد معناه الاخبار من الله تع ان الذي يحق له العبادة واحد لان من كان له ولد لا يكون الها وكذلك من كان له صاحبة لا يجوز ان يكون الها معبودا ولكن الله الذي له الالوهية والعبادة اله واحد ومعبود واحد لا ولد له ولا والد ولا صاحبة ولا شريك ثم نزه تعالى نفسه وعظمها ورفعها عما قاله المبطلون الكافرون فقال سبحانه ان يكون له ولد ولفظة سبحان تفيد التنزيه عما لا يليق به من الولد والصاحبة لان من يملك ما في السموات والارض وما بينهما وله التصرف فيهما وفيهم عيسى وامه وهم عبيده وهو رازقهم وخالقهم وهم اهل الحاجة اليه والفاقة فكيف يكون المسيح ابنا له وهو مما في الارض او في السماء وهو تعالى يملك جميع ذلك وان يكون يحتمل ان يكون في موضع نصب لانه يصلح ان يقال عن ان يكون او من ان يكون فاذا حذف حرف الجر كانت في موضع نصب وكان الكسائي يقول هو في موضع خفض والاول قول الفرّاء وغيره وقوله وكفى بالله وكيلا معناه حسب ما في السموات وما في الارض بالله قيما ومدبرا ورازقا من الحاجة معه الى غيره ومعنى كفى بالله اكتفوا بالله وقد شبهت النصارى قولها انه ثلثة اقانيم جوهر واحد بقولنا سراج واحد ثم نقول انه ثلثة اشياء دهن وقطن ونار وللشمس انها شمس واحدة ثم نقول انها جسم وضوء وشعاع قال البلخي وهذا غلط لانا وان قلنا انه سراج واحد لا نقول هو شيء واحد ولا الشمس انها شيء واحد بل نقول هو اشياء على الحقيقة كما نقول عشرة واحدة وانسان واحد ودار واحدة وشهر واحد وهي اشياء متغايرة فان قالوا ان الله شيء واحد حقيقة كما انه اله واحد فقولهم بعد ذلك انه ثلثة مناقضة لا يشبه ما قلناه وان قالوا هو اشياء وليس بشيء واحد خلوا في قول المشبهة وتركوا القول بالتوحيد والعجب انهم يقولون ان الاب لا ابن والابن لا اب له ثم يزعمون ان الذي له ابن هو الذي لا اب له ويقولون ان من عبد الانسان فقد اخطا وضل ثم يزعمون ان المسيح اله انسان وانهم يعبدون المسيح وقد تكلمنا على ما نعقل من مذاهبهم في الاقانيم والاتحاد والنبوة في كتاب شرح الجمل بما لا مزيد عليه لا نطول بذكره ههنا قوله تعالى لَّن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا آية معنى لن يستنكف المسيح لم يانف واصله في اللغة من نكفت الدمع اذا نحيته باصبعك من خدك قال الشاعر فبانوا فلولا ما تذكر منهم من الحلف لم ينكف لعينيك مدمع فتاويل لن يستنكف لن ينقبض ولن يمتنع فمعنى الآية لن يستكبر المسيح ان يكون عبدا بمعنى من ان يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون ومعناه ولا يستنكف الملائكة ايضا ولا يانفون ولا يستكبرون من الاقرار لله بالعبودية والاذعان له بذلك المقربون الذين قربهم ورفع منازلهم على غيرهم من خلقه وقال الضحاك المقربون معناه انه قربهم الى السماء الثانية وقوله ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر معناه من يانف من عبادة الله ويتعظم عن التذلل والخضوع له والطاعة له من جميع خلقه فسيحشرهم ومعناه فسيبعثهم يوم القيمة جميعا يجمعهم لموعدهم عنده ومعنى اليه الى الموضع الذي لا يملك التصرف فيه سواه كما يقال صار امر فلان الى القاضي اي لا يملكه غير القاضي ولا بذلك المكان الذي فيه القاضي واستدل قوم بهذه الآية على ان الملائكة افضل من الانبياء قالوا لا يجوز ان يقول القائل لا يانف الامير ان يركب الي ولا غلامه وانما يجوز ان يقال لا يانف الوزير ان يركب الي ولا الامير فيعطف بالاعلى في الرتبة على الادون ولا يعطف بالادون على الاعلى وهذا الذي ذكروه لا دلالة فيه من وجوه احدها ان يكون هذا

القول متوجها الى قوم اعتقدوا ان الملائكة افضل من الانبياء فاجرى الكلام على اعتقادهم كما يقول القائل لغيره لا يستنكف ابي من كذا ولا ابوك وان كان القائل يعتقد ان اباه افضل الثاني انه لا تفاوت بين الانبياء والملائكة التفاوت البعيد كتفاوت الامير والحارس وما يجري مجرى ذلك ويجوز ان يقدم الفاضل ويؤخر المفضول الا ترى انك تقول لا يستنكف الامير فلان من كذا ولا الامير فلان وان كان الاول افضل والثالث انه انما اخر ذكر الملائكة لان جميع الملائكة اكثر ثوابا لا محالة من المسيح منفردا فمن اين ان كل واحد منهم افضل من المسيح او غيره من الانبياء قوله تعالى فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنْكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا آية اخبر الله تعالى في هذه الآية ووعد ان الذين يقرون بوحدانيته تعالى ويعترفون بربوبيته ويخضعون لعبادته ويعملون الاعمال الصالحة التي امر الله بها وبعث بها رسله انه يوفيهم اجورهم ومعناه يؤتيهم جزاء اعمالهم الصالحة وافيا تاما ويزيدهم من فضله يعني يزيدهم ما كان وعدهم به من الجزاء على اعمالهم الصالحة والثواب عليها من الفضل والزيادة هو ما لم يعرفهم مبلغه لانه تعالى وعد على الحسنة عشر امثالها من الثواب والزيادة على ذلك تفضل من الله عليهم وان كان كل ذلك من فضله الى عباده وقد روي ان الزيادة الى سبعين ضعفا والى سبعمائة والى الفين وكل ذلك جائز على ما يختاره الله ويفعله وقوله واما الذين استنكفوا واستكبروا معناه ان الذين يأنفون عن الاقرار بتوحيد الله ويتعظمون عن الاعتراف بعبوديته والاذعان له بالطاعة واستكبروا عن التذلل له وتسليم ربوبيته يعذبهم عذابا اليما اي مؤلما موجعا ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا وانما رفع ولا يجدون بالعطف على ما بعد فيعذبهم ولو جزم على موضع ما بعد الفاء كان جائزا يعني ولا يجد المستنكفون والمستكبرون لانفسهم وليا ينجيهم من عذابه وناصرا ينقذهم من عقابه قوله تعالى يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا آية بلا خلاف هذا خطاب من الله تعالى لجميع الخلق من الناس المكلفين من سائر اصناف الملل الذين قص قصصهم في هذه السورة من اليهود والنصارى والمشركين قد جاءكم يعني اتاكم حجة من الله تبرهن لكم عن صحة ما امركم به وهو محمد صلى الله عليه وآله جعله الله حجة عليكم وقطع به عذركم وانزلنا اليكم نورا مبينا يعني وانزلنا اليكم معه نورا مبينا يعني تبين لكم المحجة الواضحة والسبل الهادية الى ما فيه لكم النجاة من عذاب الله واليم عقابه وذلك النور هو القرآن الذي نزله الله على محمد صلى الله عليه وآله وهو قول مجاهد وقتادة والسدي وابن جريج وجميع المفسرين وانما سماه نورا لما فيه من الدلالة على ما امر الله به او نهى عنه والاهتداء به تشبيها بالنور الذي يهتدى به في الظلمات وفي الآية دلالة على ان كلام الله محدث لانه وصفه بالانزال فلو كان قديما لما جاز ذلك عليه قوله تعالى فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا آية هذا اخبار من الله ووعد منه لمن صدق الله واقر بوحدانيته واعترف بما بعث به نبيه محمدا صلى الله عليه وآله من اهل الملل واعتصم به وتمسك بالنور الذي نزله الى نبيه قال ابن جريج الهاء في به كناية عن القرآن فسيدخلهم في رحمة منه معناه سينالهم رحمته التي تنجيهم من عقابه وتوجب لهم ثوابه وجنته ويلحقهم بما الحق اهل الايمان به والتصديق لرسله ويهديهم اليه صراطا مستقيما يعني يوفقهم لاصابة فضله الذي تفضل به على اوليائه ويسددهم لسلوك منهج من انعم عليه من اهل طاعته واقتفاء آثارهم واتباع دينهم وذلك هو الصراط المستقيم وهو الاسلام الذي ارتضاه الله دينا لعباده ونصب صراطا مستقيما على القطع من الهاء في قوله اليه ويحتمل ان يكون المراد بقوله ويهديهم اليه يعني الى ثوابه قوله تعالى يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ آية آخر السورة روى البراء بن عازب قال آخر سورة نزلت كاملة براءة وآخر آية نزلت خاتمة سورة النساء يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة وقال جابر بن عبد الله نزلت في المدينة وقال ابن سيرين نزلت في مسير كان فيه رسول الله صلى الله عليه وآله واصحابه واختلفوا في سبب نزول هذه الآية فقال سعيد بن المسيب سأل عمر النبي صلى الله عليه وآله عن الكلالة فقال اليس قد بين الله ذلك قال فنزلت يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة وقال جابر بن عبد الله

اشتكيت وعندي تسع اخوات لي او سبع فدخل على النبي صلى الله عليه وآله فنفخ في وجهي فافقت فقلت يا رسول الله الا اوصي لاخواتي بالثلثين قال احسن قلت الشطر قال احسن ثم خرج وتركني فرجع الي فقال يا جابر اني لا اراك ميتا من وجعك هذا وان الله عز وجل قد انزل في الذي لاخواتك فجعل لهن الثلثين قال وكان جابر يقول انزلت هذه الآية في وقال قتادة ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله همهم شأن الكلالة فانزل الله عز وجل فيها هذه الآية معنى يستفتونك يسألونك يا محمد ان تفتيهم في الكلالة وحذف اقتصارا لما دل الجواب عليه والاستفتاء والاستقضاء واحد يقال قاضيته وفاتيته قال الشاعر تعالوا نفاتيكم أأعيا وفقعس الى المجد ادنى ام عشيرة حاتم هكذا انشده الحسين بن علي المغربي وقد فسرنا معنى الكلالة وذكرنا اختلاف العلماء في ذلك فاغنى عن الاعادة وقوله ان امرؤ هلك ليس له ولد قال السدي معناه مات ليس له ولد ذكر او انثى وله اخت يعني وللميت اخت لابيه وامه فلها نصف ما ترك فان لم يكن اخت لاب وام وكانت اختا لاب قامت مقامها والباقي عندنا رد على الاخت سواء كان هناك عصبة او لم يكن وقال جميع الفقهاء ان الباقي للعصبة وان لم يكن هناك عصبة وهم العم وبنو العم واولاد الاخ فمن قال الرد على ذوي الارحام رد على الاخت الباقي وهو اختيار الجبائي واكثر اهل العلم وقال زيد بن ثابت والشافعي وجماعة ان الباقي لبيت المال يرثه جميع المسلمين وقوله وهو يرثها ان لم يكن لها ولد يعني ان كانت الاخت هي الميتة ولها اخ من اب وام او من اب فالمال كله له بلا خلاف اذا لم يكن هناك ولد سواء كان ولدها ذكرا او انثى فان كان ولدها ذكرا فالمال له بلا خلاف ويسقط الاخ وان كانت بنتا كان لها النصف بالتسمية بلا خلاف والباقي رد عليها لانها اقرب دون الاخ ولان الله تعالى انما قال وهو يرثها يعني الاخ اذا لم يكن لها ولد والبنت بلا خلاف ومن خالف في تسمية البنت ولدا فقد اخطأ ذكر ذلك البلخي واستدل على ذلك بان قال لو مات وخلف بنتا وابوين ان للابوين الثلث مع قوله ولابويه لكل واحد منهما السدس ان كان له ولد وانما اراد الولد الذكر وهذا الذي ذكره خطأ لانه خلاف لاهل اللغة لانه لا خلاف في تسمية البنت بانها ولد ولانه قال يوصيكم الله في اولادكم ثم فسر الاولاد فقال للذكر مثل حظ الانثيين فلو كان الولد لا يقع على الانثى لكان المال بينهم بالسوية وذلك خلاف القرآن على انا نخالف في المسألة التي ذكرها فنقول للابوين السدسان وللبنت النصف والباقي رد عليهم على قدر سهامهم فنجعل الفريضة من خمسة ومن رد الباقي على الاب فانما يرده بالتعصيب لا لان البنت لا تسمى ولدا فبان بطلان ما قاله ومن خالفنا من الفقهاء في مسألة الاخ والبنت يقول الباقي للاخ لقوله عليه السلام ما ابقت الفرائض فلاولى عصبة ذكر وهذا الخبر عندنا ضعيف لانه رواية واحد وقد طعن على صحته ضعفه اصحاب الحديث بما ذكرناه في مسائل الخلاف وتهذيب الاحكام وغير ذلك من كتبنا وما هذه صفته لا يترك له ظاهر القرآن وقوله فان كانتا اثنتين يعني ان كانت الاختان اثنتين فلهما الثلثان وهذا لا خلاف فيه والباقي على ما بيناه من الخلاف في الاخت الواحدة عندنا رد عليها دون عصبتها ودون ذوي الارحام واذا كان هناك عصبة رد الفقهاء الباقي عليهم فان لم يكن رد على ذوي الارحام من قال بذلك فرد على الاختين لانهما اقرب ومن لم يقل بذلك رد على بيت المال فان كانتا احدى الاختين لاب وام والاخرى لاب فللاخت للاب والام النصف بلا خلاف والباقي رد عليها عندنا لانها تجمع السببين ولا شيء للاخت للاب لانها انفردت بسبب واحد وعند الفقهاء لها السدس تكملة الثلثين والباقي على ما بيناه من الخلاف وان كانوا اخوة رجالا ونساء يعني يكون الورثة اخوة رجالا ونساء للاب والام او للاب فللذكر مثل حظ الانثيين بلا خلاف فان كان الذكور منهم للاب والام والاناث للاب انفرد الذكور بجميع المال بلا خلاف وان كان الاناث للاب والام والذكور للاب كان للاناث الثلثان بالتسمية بلا خلاف والباقي عندنا رد عليهن لما بيناه من اجتماع السببين لهن وعند جميع الفقهاء ان الباقي للاخوة من الاب لانهم عصبة وقد قلنا ما عندنا في خبر العصبة ويمكن ان يحمل خبر العصبة مع تسليمه على من مات وخلف زوجا او زوجة واخا لاب وام واخا للاب او ابن اخ لاب وام او ابن اخ لاب او ابن عم لاب وام وابن عم لاب فان للزوج سهمه المسمى والباقي لمن يجمع كلالة الاب والام دون من تفرد بكلالة الاب وقوله يبين الله لكم ان تضلوا قال الفراء معناه لئلا تضلوا قال القطامي رأينا ما رأى البصراء فيها فآلينا عليها ان تباعا والمعنى ان لا تباعا وقال الزجاج والبصريون لا يجوز اضمار لا والمعنى يبين الله لكم كراهة ان تضلوا وحذف كراهة لدلالة الكلام عليه قالوا وانما جاز الحذف في قوله واسأل القرية والمعنى واسأل اهل القرية لانه بقي المضاف فدل على المحذوف فاما حذف لا وهي حرف جاء لمعنى النفي فلا يجوز لكن قد تدخل في الكلام مؤكدة وهي لغو كقوله لئلا يعلم

اهل الكتاب والمراد لئن يعلم ومثل قول الشاعر وما الوم البيض الّا تسخرا اذا رأين الشمط القفندرا والمعنى وما الوم البيض ان تسخرا ومثله قوله لا اقسم بهذا البلد ولا اقسم بيوم القيمة والمعنى اقسم ولا يجوز على القياس على ذلك ان تقول لا احلف عليك وتريد احلف عليك لان لا انما تلغى اذا مضى صدر الكلام على غير النفي فاذا بنيت الكلام على النفي فقد نقضت الايجاب وانما جاز الغاؤها في اول السورة لان القرآن كله كالسورة الواحدة الا ترى ان جواب الشيء فيه يقع وبينهما سور كما قال تعالى جوابا لقوله وقالوا يا ايها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون فقال ن والقلم وما يسطرون ما انت بنعمة ربك بمجنون وبينهما سور كثيرة ذكره الزجاج وقوله ان امرؤ هلك قال الفراء هلك في موضع جزم ومثله قوله وان احد من المشركين استجارك ولو كان موضعها يفعل كان جزما وقال الزجاج جاز مع ان تقديم الاسم قبل الفعل لان ان لا تعمل في الماضي ولانها ام الجزاء قال والتقدير ان هلك امرؤ هلك وانشد الفراء صعدة قد نبتت في حائر اينما الريح تميلها تمل فجزم تميلها تمل وقد حال بينها وبين اينما بالاسم وهي الريح وقال عمر سألت رسول الله صلى الله عليه وآله عن الكلالة فقال الم تسمع الآية التي انزلت في الصيف وفي خبر آخر تكفيك آية الصيف وقوله ان امرؤ هلك ليس له ولد وله اخت فلها نصف ما ترك يمنع ان تكون الاخت ترث مع البنت لانه شرط في ميراثها عدم الولد والبنت ولد بلا خلاف بين اهل اللغة وما روي عن النبي صلى الله عليه وآله ان الاخوات مع البنات عصبة خبر واحد لا يلتفت اليه لانه يخالف نص القرآن وبما قلناه قال ابن عباس لانه لم يجعل الاخوات مع البنات عصبة وموضع ان في قوله ان تضلوا نصب في قول الاكثر لاتصالها بالفعل وفي قول الكسائي خفض لان تقديره عنده لئلا تضلوا فان قيل ما وجه قوله اثنتين مع ان قوله فان كانتا قد دل على التثنين قيل يحتمل امرين احدهما ان يكون ذلك تأكيدا للمضمر كما يقول القائل فعلت انا والثاني ان يبين بذلك ان المطلوب في ذلك العدد لا غيره من الصفات من صغر او كبر او عقل او عدمه وغير ذلك من الصفات بل متى حصل العدد ثبت ما ذكره من الميراث وقوله والله بكل شيء عليم معناه عالم بكل شيء من مصالح عباده في قسمة مواريثهم وغيرها من جميع الاشياء لا يخفى عليه شيء من جميعه

سورة المائدة هي مدنية

في قول ابن عباس ومجاهد وقتادة وقال جعفر بن مبشر هي مدنية الا آية منها نزلت في حجة الوداع وهي قوله اليوم اكملت لكم دينكم وهي كلها مدنية بمعنى انها نزلت بعد الهجرة وقال الشعبي نزل قوله اليوم اكملت والنبي صلى الله عليه وآله واقف على راحلته في حجة الوداع وقال عبد الله بن عمر آخر سورة نزلت المائدة وهي مائة وعشرون آية كوفي واثنتان وعشرون في المدنيين وثلثة وعشرون بصري قوله تعالى يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ آية بلا خلاف هذا خطاب من الله تعالى للمؤمنين المعترفين بوحدانيته تعالى المقرين له بالعبودية المصدقين لرسوله صلى الله عليه وآله في نبوته وفيما جاء به من عند الله من شريعة الاسلام امرهم الله بايفاء العقود وهي العهود التي عاهدوها مع الله واوجبوا بها على انفسهم حقوقا والزموا نفوسهم بها فروضا امرهم الله تعالى بالاتمام بالوفاء والكمال لما لزمهم يقال اوفى بالعهد ووفى به واوفى لغة اهل الحجاز وهي لغة القرآن واختلف اهل التأويل في العقود التي امر الله تعالى بالوفاء بها في هذه الآية بعد اجماعهم على ان المراد بالعقود العهود فقال قوم هي العقود التي كان اهل الجاهلية عاقد بعضهم بعضا على النصرة والموازرة والمظاهرة على من حاول ظلمهم او بغاهم سوء وذلك هو معنى الحلف ذهب اليه ابن عباس ومجاهد والربيع بن انس والضحاك وقتادة والسدي وسفيان الثوري والعقود جمع عقد واصله عقد الشيء بغيره وهو وصله به كما يعقد الحبل اذا وصل به شيئا يقال منه عقد فلان بينه وبين فلان عقدا فهو يعقده قال الحطيئة

قوم اذا عقدوا عقدا لجارهم شدّوا العناج وشدّوا فوقه الكربا

وذلك اذا تواثقوا على امر وعاهده على عهد بالوفاء له بما عاقده عليه من امان او ذمة او نصرة او نكاح او غير ذلك قال قتادة هي عقود الجاهلية الحلف ويقال اعقدت العسل فهو عقيد ومعقد وروي بعضهم عقدت العسل والكلام واعقدت وقال آخرون هي العهود التي اخذ الله على عباده بالايمان به وطاعته فيما احل لهم او حرم عليهم روي ذلك عن ابن عباس وقال هو ما احل وحرم وما فرض وما حد في القرآن كله فلا تعدوا ولا تنكثوا ثم شدد فقال والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه الى قوله سوء الدار وبه قال ايضا مجاهد وقال قوم بل العقود التي يتعاقدها الناس بينهم ويعقدها المرء على نفسه

كعقد الايمان وعقد النكاح وعقد العهد وعقد البيع وعقد الحلف ذهب اليه عبد الله بن عبيدة وابن زيد وهو عبد الرحمن بن زيد بن اسلم عن ابيه وقال آخرون ذلك امر من الله لاهل الكتاب بالوفاء بما اخذ به ميثاقهم من العمل بما في التورية والانجيل في تصديق محمد صلى الله عليه وآله وما جاء به من عند الله ذكر ذلك ابن جريج وابو صالح وقال الجبائي اراد به الوفاء بالايمان فيما يجوز الوفاء به فاما ما كان يمينا بالمعصية فعليه حنثه وعليه الكفارة وعندنا ان اليمين في معصية لا تنعقد ولا كفارة في خلافها واقوى هذه الاقوال ما حكيناه عن ابن عباس ان معناه اوفوا بعقود الله التي اوجبها عليكم وعقدها فيما احل لكم وحرم والزمكم فرضه وبين لكم حدوده ويدخل في جميع ذلك ما قالوه الا ما كان عقدا على المعاونة على امر قبيح فان ذلك محظور بلا خلاف وقوله احلت لكم بهيمة الانعام اختلفوا في تأويل بهيمة الانعام في هذه الآية فقال قوم هي الانعام كلها الابل والبقر والغنم ذهب اليه الحسن وقتادة والسدي والربيع والضحاك وقال آخرون اراد بذلك اجنة الانعام التي توجد في بطون امهاتها اذا ذكيت الامهات وهي ميتة ذهب اليه ابن عمر وابن عباس وهو المروي عن ابي عبد الله والاولى حمل الآية على عمومها في الجميع والانعام جمع نعم وهو اسم للابل والبقر والغنم خاصة عند العرب كما قال تعالى والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون ثم قال والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ففصل جنس النعم من غيرها من اجناس الحيوان واما بهائمها فانها اولادها وقال الفراء بهيمة الانعام وحشها كالظباء وبقر الوحش والحمر الوحشية وانما سميت بهيمة الانعام لان كل حي لا يميز فهو بهيمة الانعام لانه ابهم عن ان يميز وقوله الا ما يتلى عليكم اختلفوا في المراد بقوله الا ما يتلى عليكم فقال بعضهم اراد بذلك احلت لكم اولاد الابل والبقر والغنم الا ما بين الله تعالى فيما يتلى عليكم بقوله حرمت عليكم الميتة والدم الآية ذهب اليه مجاهد وقتادة وقال هو الميتة وما لم يذكر اسم الله عليه وبه قال السدي وابن عباس وقال آخرون استثنى من ذلك الخنزير روي ذلك ايضا عن ابن عباس والضحاك والاول اقوى لان قوله الا ما يتلى عليكم يجب حمله على عمومه في جميع ما حرم الله تعالى في كتابه والذي حرمه هو ما ذكره في قوله حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به الى آخر الآية والخنزير وان كان محرما فليس من بهيمة الانعام فمتى حملناه عليه كان الاستثناء منقطعا ومتى خصصنا بالميتة والدم كان الاستثناء متصلا وان حملنا على الكل تكون علينا حكم الميتة ولما ذكر بعده فيكون الاستثناء ايضا حقيقة ومتصلا واختار الطبري تخصيص بالميتة والدم وما اهل لغير الله به قال الحسين بن علي المغربي الا ما يتلى معناه من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام وهذا الذي ذكره سهو منه لان الله تعالى نفى عن نفسه ان يكون جعل البحيرة والسائبة والوصيلة والحام فلا تكون المحرم واستثنى ههنا ما حرمه تعالى فلا يليق بذلك وقوله غير محلي الصيد وانتم حرم اختلفوا في تأويله فقال بعضهم معناه اوفوا بالعقود غير محلين الصيد وانتم حرم احلت لكم بهيمة الانعام ويكون فيه التقديم والتأخير فغير يكون منصوبا على هذا على الحال مما في قوله اوفوا بالعقود من ذكر الذين آمنوا وتقدير الكلام اوفوا ايها الذين آمنوا بعقود الله التي عقدها عليكم في كتابه لا محلين الصيد وانتم حرم وقال آخرون معنى ذلك احلت لكم بهيمة الانعام الوحشية من الظباء والبقر والحمر غير محلي الصيد غير مستحلين اصطيادهم وانتم حرم والا ما يتلى عليكم فغير على هذا منصوب على الحال من الكاف والميم اللتين في قوله احلت لكم بهيمة الانعام والتقدير احلت لكم يا ايها الذين آمنوا بهيمة الانعام لا مستحلي اصطيادها في حال احرامكم وقال آخرون معناه احلت لكم بهيمة الانعام كلها الا ما يتلى عليكم بمعنى الا ما كان منها وحشيا فانه صيد ولا يحل لكم وانتم حرم والتقدير على هذا احلت لكم بهيمة الانعام كلها الا ما بين لكم من وحشها غير مستحلي اصطيادها في حال احرامكم فيكون غير منصوبة على الحال في الكاف والميم في قوله الا ما يتلى عليكم ذهب الى ذلك الربيع والحرم جمع حرام وهو المحرم قال الشاعر

فقلت لها فيئي اليك فانني حرام واني بعد ذاك لبيب

اي واني ملب وقوله ان الله يحكم ما يريد معناه ان الله يقضي في خلقه ما يشاء من تحليل ما يريد تحليله وتحريم ما يريد تحريمه وايجاب ما يريد ايجابه وغير ذلك من احكامه وقضاياه فافعلوا ما امركم به وانتهوا عما نهيكم عنه وما في قوله الا ما يتلى عليكم في موضع نصب بالاستثناء وقال الفراء يجوز ان يكون موضعها الرفع كما تقول جاءني القوم الا زيدا والا زيد قال الزجاج وهذا لا يجوز الا ان يكون الا بمعنى

غير فيكون صفة فاما بمعنى الاستثناء فلا يجوز وقوله عليه السلام ذكوة الجنين ذكوة امه عندنا معناه انه اذا ذكيت الام وخرج الولد ميتا فقد اشعر او لم يشعر جاز اكله وبه قال الشافعي واهل المدينة وقال ابو حنيفة معناه انه يذكى كما تذكى امه وهو اختيار البلخي قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدي ولا القلائد ولا آمين البيت الحرام يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا واذا حللتم فاصطادوا ولا يجرمنكم شنآن قوم ان صدوكم عن المسجد الحرام ان تعتدوا وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان واتقوا الله ان الله شديد العقاب آية قرأ ابو بكر عن عاصم وابو جعفر واسمعيل والمسيبي شنآن بسكون النون الاولى في الموضعين الباقون بفتحها وقرأ ابن كثير وابو عمرو ان صدوكم بكسر الهمزة الباقون بفتحها هذا خطاب من الله تعالى للمؤمنين ينهاهم ان يحلوا شعائر الله واختلفوا في معنى شعائر الله على سبعة اقوال فقال بعضهم معناه لا تحلوا حرمات الله ولا تتعدوا حدوده وحملوا الشعائر على المعالم وارادوا بذلك معالم حدود الله وامره ونهيه وفرائضه ذهب اليه عطا وغيره وقال قوم معناه لا تحلوا حرم الله وحملوا شعائر الله على معالم حرم الله من البلاد ذهب اليه السدي وقال آخرون معنى شعائر الله مناسك الحج والمعنى لا تحلوا مناسك الحج فتضيعوها ذهب اليه ابن جريج ورواه عن ابن عباس وقال ابن عباس كان المشركون يحجون البيت ويهدون الهدايا ويعظمون حرمة المشاعر وينحرون في حجهم فاراد المسلمون ان يغيروا عليهم فنهاهم الله عن ذلك وقال مجاهد شعائر الله الصفا والمروة والهدي من البدن وغيرها كل هذا من شعائر الله وقال الفراء كانت عامة العرب لا يرى الصفا والمروة من الشعائر ولا يطوفون بهما فنهاهم الله عن ذلك وهو قول ابي جعفر عليه السلام وقال قوم معناه لا تحلوا ما حرم الله عليكم في احرامكم روي ذلك عن ابن عباس في رواية اخرى وقال الجبائي الشعائر العلامات المنصوبة للفرق بين الحل والحرم نهاهم الله ان يتجاوزوها الى مكة بغير احرام وقال الحسين بن علي المغربي المعنى لا تحلوا الهدايا المشعرة وهو قول الزجاج واختاره البلخي واقوى الاقوال قول عطا من ان معناه لا تحلوا حرمات الله ولا تضيعوا فرائضه لان الشعائر جمع شعيرة وهي على وزن فعيلة واشتقاقها من قولهم شعر فلان بهذا الامر اذا علم به فالشعائر المعالم من ذلك واذا كان كذلك وجب حمل الآية على عمومها فيدخل فيه مناسك الحج وتحريم ما حرم في الاحرام وتضييع ما نهى عن تضييعه واستحلال حرمات الله وغير ذلك من حدوده وفرائضه وحلاله وحرامه لان كل ذلك من معالمه فكان حمل الآية على العموم اولى وقوله ولا الشهر الحرام معناه ولا تستحلوا الشهر الحرام بقتالكم فيه اعداءكم من المشركين كما قال يسئلونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وهو قول ابن عباس وقتادة والشهر الحرام الذي عناه الله ههنا قال قوم هو رجب وهو شهر كانت مضر تحرم فيه القتال وقال قوم هو ذو القعدة ذكره عكرمة وقال ابو علي الجبائي هو اشهر الحرم كلها نهاهم الله عن القتال فيها وهو اليق بالعموم وبه قال البلخي وقوله ولا الهدي ولا القلائد فالهدي جمع واحده هدية واصله هدية وهو ما اهداه الانسان من بعير او بقرة او شاة او غير ذلك الى بيت الله تقربا به الى الله تعالى وطلبا لثوابه يقول الله لا تستحلوا ذلك فتغصبوه اهله عليه ولا تحولوا بينهم وبين ما اهدوا من ذلك الى بيت الله ان يبلغوه محله من الحرم ولكن خلوهم حتى يبلغوا به المحل الذي جعله عز وجل له وهو كعبته قال ابن عباس في الهدي يكون هديا قبل ان يقلد ما جعله على نفسه ان يهديه ويقلده وقوله ولا القلائد معناه ولا تحلوا القلائد واختلفوا في معناه فقال بعضهم عنى بالقلائد الهدي وانما كرره لانه اراد المنع من حل الهدي الذي لم يقلد والهدي الذي قلد وهو قول ابن عباس وقال آخرون يعني بذلك القلائد التي كان المشركون يتقلدونها اذا ارادوا الحج مقبلين الى مكة من لحاء السمر واذا خرجوا منها الى منازلهم منصرفين منها الى المشعر ذهب اليه قتادة وقال كان في الجاهلية اذا خرج الرجل من اهله يريد الحج تقلد من السمر فلا يعرض له احد واذا رجع تقلد قلادة شعر فلا يعرض له احد وقال عطا كانوا يتقلدون من لحاء شجر الحرم يأمنون به اذا خرجوا من الحرم وقال الفراء كان اهل الحرم يتقلدون بلحاء الشجر واهل غير الحرم يتقلدون بالصوف والشعر وغيرهما فنزلت لا تحلوا شعائر الله الآية وقال مجاهد هو اللحا

في رقاب الناس والبهائم امن لهم وهو قول السدي وقال ابن زيد انما عنى بالمؤمنين نهاهم ان ينزعوا شيئا من شجر الحرم يتقلدون به كما كان المشركون يفعلونه في جاهليتهم ذهب اليه عطا في رواية والربيع بن انس وقال ابو علي الجبائي القلائد هو ما قلده الهدي نهاهم عن حلها لانه كان يجب ان يتصدق بها قال ويحتمل ان يكون عبارة عن الهدي المقلد والاقوى ان يكون المراد بذلك النهي عن حل القلائد فيدخل فيه الانسان والبهيمة اذ هو نهي عن استحلال حرمة المقلد هديا كان ذلك او انسانا قوله ولا آمين البيت الحرام معناه ولا تحلوا قاصدين البيت الحرام يقال اممت كذا اذا قصدته وعمدته وبعضهم يقول يممته قال الشاعر انى كذاك اذا ما ساءني بلد يممت صدر بعيري غيره بلدا والبيت الحرام بيت الله بمكة وهو الكعبة وقوله يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا معناه يلتمسون ارباحا في تجارتهم من الله ورضوانا معناه وان ترضى عنهم منسكهم نهى الله تعالى ان يحل ويمنع من هذه صورته فاما من قصد البيت ظلما لاهله وجب صده ودفعه عنهم وقال ابو جعفر عليه السلام نزلت هذه الآية في رجل من بني ربيعة يقال له الحطم قال السدي اقبل الحطم بن هند البكري حتى اتى النبي صلى الله عليه وآله وحده وخلف خيله خارجة من المدينة فدعاه فقال الى ما تدعوا فاخبره وقد كان النبي صلى الله عليه وآله قال لاصحابه يدخل اليوم عليكم رجل من ربيعة يتكلم بلسان شيطان فلما اخبره النبي صلى الله عليه وآله قال انظروا لعلي اسلم ولي من اشاوره فخرج من عنده فقال رسول الله صلى الله عليه وآله لقد دخل بوجه كافر وخرج بعقب غادر فمر بسرح من سرح المدينة فساقه وانطلق به وهو يرتجز ويقول قد لفها الليل بسواق حطم ليس براعي ابل ولا غنم ولا بجزار على ظهر وضم باتوا نياما وابن هند لم ينم بات يقاسيها غلام كالزلم خدلج الساقين ممسوح القدم ثم اقبل من عام قابل حاجا قد قلد هديا فاراد رسول الله صلى الله عليه وآله ان يبعث اليه فنزلت هذه الآية ولا آمين البيت الحرام هذا قول ابن جريج وعكرمة والسدي وقال ابن زيد نزلت يوم الفتح في ناس يأمون البيت من المشركين يهلون بعمرة فقال المسلمون يا رسول الله انما هؤلاء مشركون مثل هؤلاء دعنا نغير عليهم فانزل الله تعالى الآية قال ابن عباس ذلك في كل من توجه حاجا وبه قال الضحاك والربيع بن انس واجمعوا على انه نسخ من حكم هذه الآية شيء الا ابن جريج فانه قال لم ينسخ منها شيء لانه لا يجوز ان يبتدأ المشركون في اشهر الحرم بالقتال الا اذا قاتلوا وهو المروي عن ابي جعفر ع وقال الشعبي لم ينسخ من المائدة غير هذه الآية وقال ابو ميسرة في المائدة ثمانية عشر فريضة ليس منها شيء منسوخ واختلفوا فيما نسخ منه فقال بعضهم نسخ جميعها ذهب اليه الشعبي وقال لم ينسخ من المائدة غير هذه الآية لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدي ولا القلائد وبه قال مجاهد قال نسختها قوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وبه قال قتادة والضحاك وحبيب بن ابي ثابت وابن زيد وقال آخرون نسخ منها قوله ولا الشهر الحرام آمين البيت الحرام ذكر ذلك عن ابن ابي عروبة عن قتادة وقال نسختها قوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وقوله ما كان للمشركين ان يعمروا مساجد الله وقوله انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام الآية في السنة التي نادى علي عليه السلام فيها بالاذان وبه قال ابن عباس وقال قوم لم ينسخ منها الا القلائد روي ذلك عن ابن ابي نجيح عن مجاهد واقوى الاقوال قول من قال نسخ منها ولا الشهر الحرام ولا القلائد ولا آمين البيت الحرام لاجماع الامة على انه تعالى احل قتال اهل الشرك في اشهر الحرم وغيرها من شهور السنة واجمعوا ايضا على ان مشركا لو قلد لحا جميع اشجار الحرم عنقه او ذراعيه لم يكن ذلك امانا له من القتل اذا لم يتقدم له امان وقوله ولا آمين البيت ظاهره يحتمل المسلم والمشرك لعموم اللفظ لكن خصصنا المشركين بقوله اقتلوا المشركين الآية ويحتمل ايضا ان يكون مخصوصا باهل الشرك وعليه اكثر المفسرين فان كان مخصوصا بهم فلا شك ايضا انه منسوخ بما قدمناه من الآية والاجماع وقوله يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا معناه يلتمسون و يطلبون الزيادة والارباح في التجارة ورضوان الله عنهم والا يحل بهم ما حل بغيرهم من الامم بالعقوبة في عاجل دنياهم وهو قول قتادة وقال هي للمشركين يلتمسون فضل الله ورضوانا بما يصلح لهم دنياهم وبه قال ابن عباس والربيع بن انس ومجاهد وفي الآية دلالة على جواز حمل المتاع للتجارة في الحج وقوله واذا حللتم فاصطادوا فاهل الحجاز يقولون حللت من الاحرام احل والرجل حلال وكذلك سعد بن بكر وكذا يقولون حرم الرجل فهو حرام اذا

صار محرما وقوم حرم واسد وقيس وتميم يقولون احل من احرامه فهو محل واحرم فهو محرم معناه اذا حللتم من احرامكم فاصطادوا الصيد الذي نهيتكم ان تحلوه وانتم حرم وهو بصورة الامر ومعناه الاباحة وتقديره لا حرج عليكم في اصطياده فاصطادوه ان شئتم لان السبب المحرم قد زال وهو قول جميع المفسرين مجاهد وعطا وابن جريج وغيرهم وقوله ولا يجرمنكم قال ابن عباس ولا يحملنكم شنآن قوم وهو قول قتادة واختلف اهل اللغة في تاويلها فقال الاخفش وجماعة من البصريين لا يحقن لكم مثل قوله لا جرم ان لهم النار ومعناه حق ان لهم النار وقال الكسائي والزجاج معناه لا يحملنكم وقال بعض الكوفيين معناه لا يحملنكم قال يقال جرمني فلان على ان صنعت كذا اي حملني عليه وقال الفرا معناه لا يكسبنكم شنآن قوم واستشهد الجميع بقول الشاعر ولقد طعنت ابا عيينة طعنة جرمت فزارة بعدها ان يغضبوا فمنهم من حمل قوله جرمت على ان معناه حملت ومنهم من حمله على ان معناه احقت الطعنة لفزارة الغضب ومنهم من قال معناه كسبت فزارة ان يغضبوا وقال المغربي معناه قطعت فزارة وليس من هذا في شيء وسمع الفرا من العرب من يقول فلان جريمة اهله اي كاسبهم وخرج يجرمهم اي يكسبهم والاقاويل متقاربة المعاني وقراءة القراء المعروفين لا يجرمنكم بفتح الياء من جرمته وقرا يحيى بن وثاب والاعمش يجرمنكم بضم الياء من اجرمته فهو مجرم وقيل هما لغتان والاولى افصح واعرف واجاز ابو علي الفارسي معنى جرم كسب قال وهو فعل يتعدى الى مفعولين مثل كسب يدل على ذلك قول الشاعر في صفة عقاب جريمة ناهض في راس نيق ترى لعظام ما جمعت صليبا معناه تكسب لفرخها جريمة ناهض يحتمل تقديرين احدهما جريمة قوت ناهض اي كاسب قوته كما قالوا ضارب قداح وضريب قداح وعريف وعارف والاخر ان تقدر حذف المضاف وتضيف جريمة الى ناهض والمعنى كاسب ناهض فجرم يستعمل في الكسب وما يرد من سعي الانسان عليه واما اجرم فمعناه اكتسب الاثم قال الله تعالى انا من المجرمين منتقمون وقال وقال فعلي اجرامي ومعناه فعلي عقوبة اجرامي او اثم اجرامي ومعنى لا يجرمنكم شنآن قوم لا تكتسبوا لبغض قوم عدوانا ولا تقتنوه فمن فتح ان اوقع النهي في اللفظ على الشنآن والمعني بالنهي المخاطبون كما قالوا لا ارينك ههنا ولا تموتن الا وانتم مسلمون وكذلك قوله لا يجرمنكم شقاقي ان يصيبكم فان يصيبكم المفعول الثاني واسماء المخاطبين المفعول الاول كما ان المفعول الاول في الاية الاخرى المخاطبون والثاني قوله ان تعتدوا ولفظ النهي واقع على الشقاق والمعني بالنهي المخاطبون قال الزجاج موضع ان الاولى نصب بانه مفعول له وتقديره لا يحملنكم بغض قوم لان صدوكم عن المسجد يعني النبي ص واصحابه لما صدوهم عن مكة وموضع ان الثانية مفعول به ومعناه لا يكسبنكم بغض قوم اي بغضكم قوما الاعتداء عليهم لصدهم عن المسجد الحرام وقوله شنآن قوم معناه بغض قوم في قول ابن عباس وقتادة وابن زيد وغيرهم يقول شنئت الرجل اشناه شنأ وشنآنا وشنانا ومشناة اذا ابغضته وذهب سيبويه الى ان ما كان من المصادر على فعلان لم يتعد فعله الا ان يشذ شيء نحو شنئته شنآنا ولا يجوز ان يكون شنئته يراد به حذف الجر كقول سيبويه في فرقته وحذرته ان اصله حذرت منه لان اسم الفاعل منه على فاعل نحو شاني وان شانئك هو الابتر وقال الشاعر بشانئك الضراعة والكلول قال ابو علي هذا يقوي انه مثل علم يعلم فهو عالم ونحوه من المتعدي واتصافان شنئت في المعنى بمنزلة ابغضت فلما كان معناه عدي كما عدي ابغضت كما ان الرفث لما كان بمعنى الافضاء عدي بالجار كما عدي الافضاء به وقال سيبويه قالوا لويته حقه ليانا على فعلان فيجوز على هذا ان يكون شنآن فيمن اسكن النون مصدرا كالليان فيكون المعنى لا يحملنكم بغض قوم كما لو فتح النون قال ابو عبيدة شنآن قوم بغضاء قوم وهي متحركة الحروف مصدر شنئت وبعضهم يسكن النون الاولى وانشد للاحوص وما العيش الا ما تلذ وتشتهي وان لام فيه ذو الشنان وفندا فحذف الهمزة قال ابو علي ويجوز ان يكون خففها وقال ابو عبيدة وشنئنا ايضا بمعنى اقررنا به وبوئنا به وانشد للعجاج زل بنو العوام عن ال الحكم وشنئوا الملك لملك ذي قدم وقال الفرزدق ولو كان هذا الامر في جاهلية شنئت به او غص بالماء شاربه قال ابو علي وقد جاء فعلان مصدرا ووصفا وهما جميعا قليلان فمما جاء مصدرا ما حكاه سيبويه من قولهم خمصان وندمان وانشد ابو زيد ما ظاهره ان يكون فعلان منه صفة وهو لما استمر بها شيحان مبتجح بالبين

عنك بها مولاك شنآنا وحكا ابو زيد في مؤنث شنآن شنآني ويقرب ان يكون شيحان فعلان وفي الحديث ثم اعرض واشاح قال ابو علي وترك صرف شيحان في البيت مع انه لا فعلى له ويجوز ان يكون لانه اسم علم ويجوز ان يكون على قول من يجوز ترك صرف ما ينصرف في الشعر فاما الشنآن قال ابو علي فعلان يجيء على ضربين احدهما اسم والاخر صفة فالاسم على ضربين احدهما ان يكون مصدرا كالنزوان والغليان والطوفان والغشيان وعامة ذلك يكون معناه التحرك والتقلب والاسم الذي ليس بمصدر نحو الورشان والعلجان واما مجيئه صفة فنحو الزفيان والقطوان والصميان وكبش اليان ونعجة اليانة وكباش الى ومثله حمار قطوان واتان قطوانة من قطا يقطو قطوا وقطوا اذا قارب بين خطوه ومن خفف النون ذهب الى انه مصدر مثل ليان ومعنى الاية لا يحملنكم بغض قوم اي بغضكم قوما لصدهم اياكم ومن اجل صدهم اياكم ان تعتدوا فاضيف المصدر الى المفعول وحذف الفاعل كقوله من دعاء الخير وسؤال نعجتك وقوله ان صدوكم من كسر الهمزة ذهب الى ان للجزاء يقوي ذلك ان في قراءة ابن مسعود ان يصدوكم فتح قيل كيف تكون للجزاء والصد ماض لانه كان سنة الحديبية من المشركين للمسلمين فما يكون ماضيا لا يكون شرطا قيل ذكر ابو علي ان الماضي قد يقع في الجزاء لا ان المراد بالماضي الجزاء لكن على انه ان كان مثل هذا الفعل فيكون اللفظ على ما مضى والمعنى على مثله كانه يقول ان وقع مثل هذا الفعل يقع منكم كذا وعلى ذلك حمل قول الشاعر اذا ما انتسبنا لم تلدني لئيمة ولم تجدي من ان تقري به بدا فانتفاء الولادة امر ماض وقد جعله جزاء والجزاء انما يكون بالمستقبل فكان المعنى لا تجدني مولود لئيم وجواب ان قد اغنى عنه ما تقدم من قوله لا يجرمنكم والمعنى ان صدوكم قوم عن المسجد الحرام فلا تكسبوا عدوانا ومن فتح الهمزة فلانه مفعول له والتقدير لا يجرمنكم شنآن قوم لان صدوكم عن المسجد الحرام ان تعتدوا فان الثانية في موضع نصب بانه المفعول الثاني وان الاولى منصوبة لانه مفعول له وقوله ان تعتدوا معناه ان تجاوزوا حكم الله فيهم الى ما نهاكم عنه وذكر انها نزلت في النهي عن الطلب بذحول الجاهلية ذهب اليه مجاهد وقال هذا غير منسوخ وهو الاولى وقال غيره هو منسوخ ذهب اليه ابن زيد وانما قلنا انه غير منسوخ لان معناه لا تعتدوا الحق فيما امرتكم به واذا احتمل ذلك لم يجز ان يقال هو منسوخ الا بحجة وقوله وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان ليس بعطف على ان تعتدوا فيكون في موضع نصب بل هو استيناف كلام امر الله تعالى الخلق بان يعين بعضهم بعضا على البر وهو العمل بما امرهم الله به واتقاء ما نهاهم عنه ونهاهم ان يعين بعضهم بعضا على الاثم وهو ترك ما امرهم به وارتكاب ما نهاهم عنه من العدوان ونهاهم ان يجاوزوا ما حد الله لهم في دينهم وفرض لهم في انفسهم وبه قال ابن عباس وابو العالية وغيرهما من المفسرين وقوله واتقوا الله ان الله شديد العقاب امر من الله ووعيد وتهديد لمن اعتدى حدوده وتجاوز امره يقول الله اتقوا الله ومعناه احذروا معاصيه وتعدي حدوده فيما امركم به ونهاكم عنه فتستوجبوا عقابه متى خالفتم وتستحقوا اليم عقابه ثم وصف عقابه بالشدة فقال ان الله شديد العقاب لمن يعاقبه من خلقه لانه نار لا يطفى حرها ولا يخمد جمرها ولا يسكن لهيبها نعوذ بالله منها قوله تعالى حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ آية بلا خلاف بين الله تعالى في هذه الاية ما استثناه في قوله احلت لكم بهيمة الانعام الا ما يتلى عليكم فهذا مما تلاه علينا فقال مخاطبا للمكلفين حرمت عليكم الميتة واصلها الميتة مشدد غير انه خفف ولو قرئ على الاصل كان جائزا الا انه لم يقرا به احد ههنا الا ابا جعفر المدني يقال ميت وميت بمعنى واحد وقال بعضهم الميت لما لم يمت والميت لما قد مات وهذا ليس بشيء لان ميت يصلح لما قد مات ولما سيموت قال الله تعالى انك ميت وانهم ميتون وقال الشاعر في الجمع بين اللغتين ليس من مات فاستراح بميت انما الميت ميت الاحيا فجعل الميت مخففا من الميت وقال بعضهم الميتة كل ما له نفس سائلة من دواب البر وطيره مما اباح الله اكلها اهليها ووحشيها فارقتها روحها بغير تذكية وقد

روى عن النبي صلى الله عليه وآله انه سمى الجراد والسمك ميتاً فقال ميتتان مباحان الجراد والسمك وقوله والدم تقديره وحرم عليكم الدم وقيل انهم كانوا يجعلون في المباعر ويشوونها ويأكلونها فاعلم الله تعالى ان الدم المسفوح اي المصبوب حرام فاما المتلطخ باللحم فهو كاللحم وما كان منه كاللحم مثل الكبد فهو مباح واما الطحال فهو محرم عندنا وقد روى كراهته عن علي عليه السلام وابن مسعود واصحابهما وعند جميع الفقهاء انه مباح وانما شرطنا في الدم المحرم ما كان مسفوحاً لانه تعالى بين ذلك في آية اخرى فقال او دماً مسفوحاً وقوله ولحم الخنزير معناه وحرم عليكم لحم الخنزير اهليه وبريه فالميتة والدم مخرجهما في الظاهر مخرج العموم والمراد بهما الخصوص ولحم الخنزير على ظاهره في العموم وكذلك كل ما كان من الخنزير حرام كلحمه من الشحم والجلد وغير ذلك وقوله وما اهل لغير الله به موضع ما رفع وتقديره وحرم عليكم ما اهل لغير الله به ومعنى اهل لغير الله به ما ذبح للاصنام والاوثان اي ذكر اسم غير الله عليه لان الاهلال رفع الصوت بالشيء ومنه استهلال الصبي وهو صياحه اذا سقط من بطن امه ومنه اهلال المحرم بالحج او العمرة اذا لبّى به قال ابن احمر يهل بالفرقد ركبانها كما يهل الراكب المعتمر فما تقرب به من الذبح لغير الله او ذكر عليه غير اسمه حرام وكل ما حرم اكله مما عددناه يحرم بيعه وملكه والتصرف فيه والخنزير يقع على الذكر والانثى وفي الآية دلالة على ان ذبائح من خالف الاسلام لا يجوز اكله لانهم يذكرون عليه اسم غير الله لانهم يعنون بذلك من ابد شرع موسى واتخذ عيسى ابناً وكذب محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وذلك غير الله فيجب ان لا يجوز اكل ذبيحته فاما من اظهر الاسلام ودان بالتجسيم والصورة وقال بالجبر والتشبيه او خالف الحق فعندنا لا يجوز اكل ذبيحته فاما الصلوة عليه ودفنه في مقابر المسلمين وموارثته فانه يجري عليه لان هذه الاحكام تابعة في الشرع لاظهار الشهادتين واما مناكحته فلا يجوز عندنا وقال البلخي حاكياً عن قوم انه لا يجوز اجراء شيء من ذلك عليهم وحكى عن آخرين انه يجري جميع ذلك عليهم لانها تجري على من اظهر الشهادتين دون المؤمنين على الحقيقة وكذلك اجريت على المجانين والاطفال فاما التسمية على الذبيحة فعندنا واجبة من تركها متعمداً لا يجوز اكل ذبيحته وان تركها ناسياً لم يكن به بأس وكذلك ان ترك استقبال القبلة متعمداً لم يحل اكل ذبيحته وان تركها ناسياً لم يحرم وفي ذلك خلاف بين الفقهاء ذكرناه في الخلاف والمنخنقة قال السدي هي التي تدخل رأسها بين شعبتين من شجرة فتختنق وتموت وقال الضحاك هي التي تختنق وتموت وقال قتادة هي التي تموت في خناقها وقال ابن عباس هي التي تختنق فتموت وحكى عن قتادة ان اهل الجاهلية كانوا يخنقونها ثم يأكلونها والاولى حمل الآية على عمومها في جميع ذلك وهي التي تختنق حتى تموت سواء كان في وثاقها او بادخال رأسها في موضع لا يقدر على التخلص او غير ذلك لان الله تعالى وصفها بانها المنخنقة ولو كان الامر على ما حكى عن قتادة لقال والمخنوقة وقوله والموقوذة يعني التي تضرب حتى تموت يقال وقذتها اقذها وقذاً واوقذتها اوقذها ايقاذاً اذا اثخنتها ضرباً قال الفرزدق شغارة تقذ الفصيل برجلها فطارة لقوادم الابكار وهو قول ابن عباس وقتادة والضحاك والسدي وقوله والمتردية يعني التي تقع من جبل او تقع في بئر او من مكان عال فتموت وهو قول ابن عباس وقتادة والسدي والضحاك ومتى وقع في بئر ولا يقدر على موضع ذكاته جاز ان تطعن وتضرب بالسكين في غير المذبح حتى يبرد ثم يؤكل وقوله والنطيحة يعني التي تنطح او تنطح فتموت والنطيحة بمعنى المنطوحة نقل من مفعول الى فعيل فان قيل كيف تثبت فيها الهاء وفعيل اذا كان بمعنى مفعول لا يثبت فيها الهاء مثل لحية دهين وعين كحيل وكف خضيب بلا هاء التأنيث في شيء من ذلك قيل اختلف في ذلك فقال بعض البصريين اثبت فيها الهاء اعني في النطيحة لانها جعلت كالاسم مثل الطويلة والطريقة فوجه هذا تأويل النطيحة الى معنى الناطحة ويكون المعنى حرمت عليكم الناطحة التي تموت من نطاحها وقال بعض الكوفيين انما يحذف الهاء من فعيلة بمعنى مفعول اذا كانت صفة لاسم قد تقدمها مثل كف خضيب وعين كحيل فاما اذا حذف الكف والعين والاسم الذي يكون فعيل نعتاً له واجتزوا بفعيل اثبتوا فيه هاء التأنيث ليعلم بثبوتها فيه انها صفة للمؤنث دون المذكر فيقول رأينا كحيلة وخضيبة واكيلة السبع فلذلك دخلت الهاء في النطيحة لانها صفة المؤنث والقول بان النطيحة بمعنى المنطوحة هو قول اكثر المفسرين ابن عباس وابو ميسرة والضحاك والسدي وقتادة لانهم اجمعوا على تحريم الناطحة

والمنطوحة اذا ماتا وقوله وما اكل السبع موضع ما رفع وتقديره وحرم عليكم ما اكل السبع بمعنى ما قتله السبع وهو قول ابن عباس والضحاك وقتادة وهو فريسة السبع وقوله الا ما ذكيتم معناه الا ما ادركتم ذكاته فذكيتموه من هذه الاشياء التي وصفها وموضع ما نصب بالاستثناء واختلفوا في الاستثناء الى ماذا يرجع فقال قوم يرجع الى جميع ما تقدم ذكره من قوله حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما اكل السبع الا ما لا يقبل الذكاة من الخنزير والدم وهو الاقوى وهو مذهب اكثر المفسرين وهو المروي عن علي عليه السلام وابن عباس قال وهو ان تدركه تتحرك اذنه او ذنبه او تطرف عينه وهو المروي عن ابي جعفر وابي عبد الله عليهما السلام وبه قال الحسن وقتادة وابراهيم وطاووس وعبيد بن عمير والضحاك وابن زيد وقال آخرون هو مستثنى من التحريم لا من المحرمات لان الميتة لا ذكاة لها ولا الخنزير قالوا والمعنى حرمت عليكم الميتة والدم وما بعدهما سوى ما ذكيتم مما احله الله لكم بالتذكية فانه حلال لكم ذهب اليه مالك وجماعة من اهل المدينة والجبائي وسئل مالك عن الشاة يخرق جوفها السبع حتى يخرج امعاؤها فقال لا ارى ان تذكى ولا تؤكل اي شيء يذكى منها وقال كثير من الفقهاء انه يراعى ان يلحق وفيه حيوة مستقرة فيذكى ويجوز ان يؤكل واما ما يعلم انه لا حياة فيه مستقرة فلا يجوز بحال واختار الطبري الاول وقال كل ما ادرك ذكاته مما ذكر من طير او بهيمة قبل خروج نفسه ومفارقة روحه جسده فحلال اكله اذا كان مما احله الله لعباده واختار البلخي والجبائي الاول فان قيل فما وجه تكرير قوله وما اهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة وجميع ما عدد تحريمه في هذه الآية وقد افتتح الآية بقوله حرمت عليكم الميتة والميتة يعم جميع ذلك وان اختلف اسباب موته من خنق او تردّ او نطح او اهلال لغير الله به او اكيل سبع وانما يكون لذلك معنى على قول من يقول انها وان كانت فيها حياة اذا كانت غير مستقرة فلا يجوز اكلها قيل الفائدة في ذلك ان الذين خوطبوا بذلك لم يكونوا يعدون الميتة الا ما مات حتف انفه من دون شيء من هذه الاسباب فاعلمهم الله ان حكم الجميع واحد وان وجه الاستباحة هو التذكية المشروعة وقال السدي ان ناساً من العرب كانوا يأكلون جميع ذلك ولا يعدونه ميتاً انما يعدون الميتة الذي يموت من الوجع والتذكية هو فري الاوداج والحلقوم اذا كانت فيه حياة ولا يكون بحكم الميت واصل الذكاء في اللغة تمام الشيء فمن ذلك الذكاء في السن والفهم وهو تمام السن قال الخليل الذكاء ان تاتي في السن على قروحه وهو سن في ذات الحافر هي البزولة في ذات الخف وهي الصلوغة في ذات الظلف وذلك تمام استكمال القوة قال الشاعر يفضله اذا اجتهدا عليها تمام السن منه والذكاء وقيل جري المذكيات غلاب اي جري المسان التي قد اسنت ومعنى تمام السن النهاية في الشباب فاذا نقص عن ذلك او زاد فلا يقال له الذكاء والذكاء في الفهم ان يكون فهماً تاماً سريع القبول وذكيت النار انما هو من هذا تأويله اتممت اشعالها فالمعنى على هذا الا ما ذكيتم اي ما ادركتم ذبحه على التمام وقوله وما ذبح على النصب فالنصب الحجارة التي كانوا يعبدونها وهي الاوثان وواحدها نصاب ويجوز ان يكون واحداً وجمعه انصاب وما موضعه رفع عطفاً على ما تقدم وتقديره وحرم عليكم ما ذبح على النصب وبه قال مجاهد وابن جريج وقتادة وقال ابن جريج النصب ليست اصناماً الصنم مصور وينقش وهذه حجارة تنصب ثلاثمائة وستون حجراً ومنهم من يقول ثلاثمائة منها لخزاعة فكانوا اذا ذبحوا نضحوا الدم على ما اقبل من البيت وشرحوا اللحم وجعلوه على الحجارة فقال المسلمون كان اهل الجاهلية يعظمون البيت بالدم فنحن احق ان نعظمه فانزل الله لن ينال الله لحومها ولا دماؤها الآية وقوله وان تستقسموا بالازلام ذلكم فسق موضع ان رفع وتقديره وحرم عليكم الاستقسام بالازلام وواحد الازلام زلم وزلم قال الراجز بات يراعيها غلام كالزلم وهي سهام كانت للجاهلية مكتوب على بعضها امرني ربي وعلى بعضها نهاني ربي فاذا ارادوا سفراً او امراً يهتم به ضربوا تلك القداح فان خرج السهم الذي عليه امرني ربي مضى لحاجته وان خرج الذي عليه نهاني ربي لم يمض وان خرج ما ليس عليه شيء اعادوها فبين الله تعالى ان ذلك حرام العمل به والاستقسام الاستفعال من قسمت امري اي قلبته ودبرته قال الراعي وتركت قومي يقسمون امورهم اليك ام يتلبثون قليلاً وقيل معناه طلب قسم الارزاق بالقداح التي كانوا يتفاءلون بها في اسفارهم وابتداء امورهم قال الشاعر يفتخر بقوة عزيمته وانه لا يلتفت الى ذلك ولم اقسم فتربثني

القسي وبه قال ابن عباس وقتادة وسعيد بن جبير ومجاهد والسدي قال مجاهد هي سهام العرب وكعاب فارس والروم كانوا يتقامرون بها وقوله ذلكم فسق معنى هذه الاشياء التي ذكرها فسق يعني خروج من طاعة الله الى معصيته وهو قول ابن عباس واصله من فسقت الرطبة اذا خرجت من قشرها قال الزجاج ولو كان بعض هذه المرفوعات نصبا بتقدير وحرم الله الدم ولحم الخنزير لكان جائزا الا انه لم يقرأ به احد والقراءة متبعة لا يجوز خلاف ما قرئ به وقوله اليوم يئس الذين كفروا من دينكم نصب اليوم على الظرف والعامل فيه يئس ذو الفسق اليوم وليس براد به يوما بعينه ومعناه الان يئس الذين كفروا من دينكم كما يقول القائل انا اليوم قد كبرت وهذا الاصلح لي اليوم يريد الان ويئس على وزن فعل ييئس على وزن يفعل بفتح العين وروي بكسرها وقيل يئس على وزن لعب بكسر اللام والعين وذكر ابو بكر والمعنى ان الله قد حول الخوف الذي كان يلحقكم منكم اليهم ويئسوا من بطلان الاسلام وجاءكم ما كنتم توعدون به من قوله ليظهره على الدين كله والدين اسم لجميع ما تعبد الله به خلقه وامرهم بالقيام به ومعنى يئس انقطع طمعهم من دينكم ان تتركوه وترجعوا منه الى الشرك وبه قال ابن عباس والسدي وعطا وقيل ان اليوم الذي ذكر هو يوم عرفة من حجة الوداع بعد دخول العرب كلها في الاسلام ذهب اليه مجاهد وابن جريج وابن زيد وقيل يوم جمعة لما نظر النبي صلى الله عليه وآله فلم ير الا مسلما موحدا ولم ير مشركا وقوله فلا تخشوهم هذا خطاب للمؤمنين نهاهم الله ان يخشوا ويخافوا من الكفار ان يظهروا على دين الاسلام ويقهروا المسلمين ويردوهم عن دينهم ولكن اخشوني وخافوني ان خالفتم امري وارتكبتم معصيتي ان احل بكم عقابي وانزل عليكم عذابي وهو قول ابن جريج وغيره وقوله اليوم اكملت لكم دينكم في تأويله ثلاثة اقوال احدها قال ابن عباس والسدي واكثر المفسرين ان معناه اكملت لكم فرائضي وحدودي وامري ونهيي وحلالي وحرامي بتنزيلي ما انزلت وتبياني ما بينت لكم فلا زيادة في ذلك ولا نقصان منه بالنسخ بعد هذا اليوم وكان ذلك اليوم عام حجة الوداع قالوا ولم ينزل بعد هذا على النبي صلى الله عليه وآله شيء من الفرائض في تحليل شيء ولا تحريمه وانه عليه السلام مضى بعد ذلك باحدى وثمانين ليلة وهو اختيار الجبائي والبلخي فان قيل اكان دين الله ناقصا في حال حتى اتمه ذلك اليوم قيل لم يكن دين الله ناقصا في حال ولا كان الا كاملا لكن لما كان معرضا للنسخ والزيادة فيه ونزول الوحي لم يمتنع ان يوصف غيره بانه اكمل منه حين امن جميع ذلك فيه وذلك يجري مجرى وصف العشرة بانها كاملة العدد ولا يلزم ان توصف بانها ناقصة لما كان عدد المائة اكثر منها واكمل فكذلك ما قلناه وقال الحكم وسعيد بن جبير وقتادة معناه اكملت لكم حجكم وافردتكم بالبلد الحرام تحجون دون المشركين ولا يخالطكم مشرك وهو الذي اختاره الطبري قال لان الله قد انزل بعد ذلك قوله يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة وقال الفراء هي آخر آية نزلت وهذا الذي ذكره لو صح لكان مرجحا لكن فيه خلاف وقال الزجاج معنى اكملت لكم الدين كفيتكم خوف عدوكم واظهرتكم عليهم كما تقول الان كمل لنا الملك وكمل لنا ما نريد اي كفينا ما كنا نخافه وروي عن ابي جعفر وابي عبد الله عليهما السلام ان الاية نزلت بعد ان نصب النبي صلى الله عليه وآله عليا علما للامة يوم غدير خم منصرفه عن حجة الوداع فانزل الله يومئذ اليوم اكملت لكم دينكم وقوله واتممت عليكم نعمتي خاطب الله تعالى جميع المؤمنين بانه اتم نعمته عليهم باظهارهم على عدوهم المشركين ونفيهم اياهم عن بلادهم وقطعه طمعهم من رجوع المؤمنين وعودهم الى ملة الكفر وانفراد المؤمنين بالحج والبلد الحرام وبه قال ابن عباس وقتادة والشعبي وقوله ورضيت لكم الاسلام دينا معناه رضيت لكم الاستسلام لامري والانقياد لطاعتي على ما شرعت لكم من حدوده وفرائضه ومعالمه دينا يعني بذلك طاعة منكم لي فان قيل او ما كان الله راضيا الاسلام دينا لعباده الا يوم انزلت هذه الاية قيل لم يزل الله راضيا لخلقه الاسلام دينا لكنه لم يزل يصف نبيه محمدا صلى الله عليه وآله واصحابه في درجات الاسلام ومراتبه درجة بعد درجة ومرتبة بعد مرتبة وحالا بعد حال حتى اكمل لهم شرائعه وبلغ بهم اقصى درجاته ومراتبه ثم قال حين انزلت هذه الاية ورضيت لكم الاسلام دينا بالصفة التي بها اليوم والحال التي انتم عليها فالزموه ولا تفارقوه قال ابن عباس وعمرو وعامر الشعبي وقتادة كان ذلك يوم الجمعة وقال طاووس بن شهاب وشهر بن حوشب واكثر المفسرين نزلت هذه الاية يوم عرفة حجة الوداع وروى حنش عن ابن عباس قال ولد النبي يوم الاثنين وخرج من مكة يوم الاثنين ودخل المدينة يوم الاثنين وانزلت المائدة يوم الاثنين وانزلت اليوم اكملت

لكم دينكم يوم الاثنين ورفع الذكر يوم الاثنين وقال الربيع بن انس نزلت في المسير من حجة الوداع وقوله فمن اضطر في مخمصة غير متجانف لاثم معناه من دعته الضرورة في مجاعة لان المخمصة شدة ضمور البطن غير متجانف لاثم اي غير مائل الى اثم والمخمصة مفعلة مثل المجبنة والمبخلة من خمص البطن وهو طيه واضطماره من الجوع وشدة السغب ههنا دون ان يكون مخلوقا كذلك قال النابغة الذبياني في صفة امرأة بخمص البطن والبطن ذو عكن خميص لين والنحر ينفجه بثدي مقعد ولم يرد بذلك وصفها بالجوع لكن اراد وصفها بانطواء طي ما علا الاوراك والافخاذ من جسدها لان ذلك المحمود من النساء فاما الاضطمار من الضر فكقول اعشى ثعلبة تبيتون في المشتا ملاء بطونكم وجاراتكم غرثى يبتن خماصا يعني يبتن مضطمرات البطن من الجوع وقال بعض نحويي البصريين المخمصة المصدر من خمصه الجوع وغيره يقول هو اسم للمصدر وكذلك يقع المفعلة اسما في المصادر للتأنيث والتذكير والذي قلناه هو قول ابن عباس وقتادة والسدي وابن زيد وقوله غير متجانف لاثم نصب على الحال والمتجانف المتمايل للاثم المنحرف اليه ومعناه في هذا الموضع المتعمد له القاصد اليه من جنف القوم اذا مالوا وكل اعوج فهو اجنف والمعنى فمن اضطر الى اكل الميتة وما عدد الله تحريمه عند المجاعة الشديدة غير متعمد الى ذلك ولا مختار له ولا مستحل له على كل حال فان الله اباحه له تناول ذلك مقدار ما يمسك رمقه لا زيادة عليه وهو قول اهل العراق وقال اهل المدينة يجوز ان يشبع منه عند الضرورة وما قلناه قول ابن عباس ومجاهد وقتادة قال قتادة غير متجانف لاثم اي غير عاص بان يكون باغيا او محاربا او خارجا في معصية وقال ابن زيد لا ياكل ذلك ابتغاء الاثم ولا جرأة عليه وقوله فان الله غفور رحيم في الكلام متروك دل ما ذكر عليه لان المعنى فمن اضطر في مخمصة الى ما حرمت عليه مما ذكرت في هذه الاية غير متجانف لاثم فاكله فان الله غفور رحيم فترك ذكر فاكله لدلالة الكلام عليه ومعنى فان الله غفور رحيم ان الله لمن اكل ما حرمت عليه بهذه الاية اكله في مخمصة غير متجانف لاثم غفور لذنوبه اي ساتر عليه اكله ويعفو عن مؤاخذته به وليس يريد ان يغفر له عقابه في ذلك لانه اباحه له فلا يستحق عليه العقاب وهو رحيم اي رفيق بعباده لان من رحمته ورفقه انه اباح لهم اكل ما حرم عليهم في حال الخوف على النفس وروى المثنى قال قلنا يا رسول الله انا بارض يصيبنا فيها مخمصة فما يصلح لنا من الميتة قال اذا لم تصطبحوا او تغتبقوا او تحتفئوا بها بقلا فشانكم بها وقال الحسن ياكل منها مسكة وذكر في تحتفئوا خمس لغات تحتفئوا بالهمزة وتحتفوا بحذفها وتحتفيوا بقلبها ياء وتحتفوا او تحتفوا بالتخفيف والحفا اصل البردي كانوا يقشرونه وياكلونه في المجاعة فمع وجود ذلك لا يجوز اكل الميتة وقوله فان الله غفور رحيم عقيب قوله فمن اضطر في مخمصة غير متجانف لاثم لا يدل على ان له ان يعاقبهم على فعل المباح لان الوجه في ذلك انه اراد ان يصف نفسه بمغفرة الذنوب وسترها والصفح عنها ليدل بذلك على انه احرى الا يؤاخذ بفعل المباحات التي ليست بذنوب كما قال ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم فدل على ان ما يفعله من المغفرة او العقوبة صواب في حكمته ليكون اعم في الدلالة على استحقاقه الاوصاف المحمودة واجاز بعضهم ان يكون ذلك ثوابا لبعض المكلفين قدمه كما انه يجوز ان يكون المجرد عقابا لهم قدمه فلا شبهة في ذلك قوله تعالى يَسْئَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ آية بلا خلاف موضع ما رفع ويحتمل ان يكون وحدها اسما وخبرها قوله ذا واحل من صلة ذا وتقديره اي شيء الذي احل لهم ويحتمل ان يكون ما وذا اسما واحدا او رفع بالابتداء وتقديره اي شيء احل لهم واحل لهم خبر الابتداء فمعنى الاية يسئلك يا محمد اصحابك ما الذي احل لهم اكله من المطاعم فقل لهم احل لكم الطيبات منها وهي الحلال الذي اذن لكم ربكم في اكله من الذبائح على قول الطبري والجبائي وغيرهما وقال البلخي الطيبات هو ما يستلذ به قال قوم واحل لكم ايضا مع ذلك صيد ما علمتم من الجوارح وهي الكواسب من سباع الطير والبهائم ولا يجوز ان يستباح عندنا اكل شيء مما اصطاده الجوارح من السباع سوى الكلب الا ما ادرك ذكاته وسميت الطير جوارح لجرحها اربابها وكسبها اياهم اقواتهم من الصيد يقال منه جرح فلان اهله خيرا اذا كسبهم خيرا وفلان جارحة اهله يعني كاسبهم ولا جارحة لفلانة اي لا كاسب

لها قال اعشى بنى ثعلبة ذات خد منضج ميسمها تذكر الجارح ما كان اجترح يعنى اكتسب وقوله وما علمتم تقديره وصيد ما علمتم من الجوارح وحذف لدلالة الكلام عليه لان القوم على ما روى كانوا سئلوا رسول الله صلى الله عليه وآله حين امرهم بقتل الكلاب عما يحل لهم اتخاذه منها وصيده فانزل الله تعالى فيما سئلوا عنه هذه الآية فاستثنى عليه السلام مما كان حرم اتخاذه منها وامر بقتله كلاب الصيد وكلاب الماشية وكلاب الحرث واذن في اتخاذ ذلك ذكر ذلك سلمى ام رافع عن ابي رافع قال جاء جبرئيل الى النبي صلى الله عليه وآله يستأذن عليه فاذن له فقال قد اذنا لك يا رسول الله فقال اجل ولكنا لا ندخل بيتا فيه كلب قال ابو رافع فامرني رسول الله صلى الله عليه وآله ان اقتل كل كلب بالمدينة فقتلت حتى انتهيت الى امراة عندها كلب ينبح عليها فتركته رحمة لها وجئت الى رسول الله صلى الله عليه وآله فاخبرته فامرني فرجعت وقتلت الكلب فجاؤا فقالوا يا رسول الله ما يحل لنا من هذه الامة التي امرت بقتلها فسكت رسول الله صلى الله عليه وآله فانزل الله يسئلونك ماذا احل لهم قل احل لكم الطيبات وما علمتم من الجوارح مكلبين وبه قال عكرمة ومحمد بن كعب القرظي واختلفوا في الجوارح التي ذكر في الآية بقوله وما علمتم من الجوارح مكلبين فقال قوم هو كل ما علم الصيد فيتعلمه بهيمة كانت او طايرا ذهب اليه الحسن ومجاهد وخيثمة بن عبد الرحمن ورووه عن ابن عباس وطاوس وعلي بن الحسين وابي جعفر وقالوا الفهد والبازي من الجوارح وقال قوم عنى بذلك الكلاب خاصة دون غيرها من السباع ذهب اليه الضحاك والسدي وابن عمر وابن جريج وهو الذي رواه اصحابنا عن ابي جعفر وابي عبد الله فاما ما عدا الكلاب فما ادرك ذكاته فهو مباح والا فلا تحل اكله ويقوي قولنا قوله تعالى مكلبين وذلك مشتق من الكلب ومن صاد بالباز والصقر لا يكون مكلبا وقوله مكلبين نصب على الحال وتقديره واحل لكم صيد ما علمتم من الجوارح مكلبين اي في هذه الحال يقال رجل مكلب وكلاب اذا كان صاحب صيد بالكلاب وفي ذلك دليل على ان صيد الكلب الذي لم يعلم حرام اذا لم يدرك ذكاته وقوله تعلمونهن مما علمكم الله معناه تؤدبون الجوارح فتعلمونهن طلب الصيد لكم مما علمكم الله من التاديب الذي ادبكم به وقال بعضهم معناه كما علمكم الله ذهب اليه السدي وهذا ضعيف لان من بمعنى الكاف لا يعرف في اللغة ولا بينهما تقارب لان الكاف للتشبيه ومن للتبعيض واختلفوا في صفة التعليم للكلب فقال بعضهم هو ان يستشلي لطلب الصيد اذا ارسله صاحبه ويمسك عليه اذا اخذه فلا ياكل منه ويستجيب له اذا دعاه ولا يفر منه اذا دعاه فاذا توالى منه ذلك كان معلما ذهب اليه ابن عباس وعطا وابن عمر والشعبي وطاوس وابرهيم والسدي قال عطا اذا اكل منه فهو ميتة وقال ابن عباس اذا اكل الكلب من الصيد فلا تاكل منه فانما امسك على نفسه وهو الذي دلت عليه اخبارنا غير انهم اعتبروا ان يكون اكل الكلب للصيد دائما فاما اذا كان نادرا فلا باس باكل ما اكل منه وقال ابو يوسف ومحمد حد التعليم ان يفعل ذلك ثلاث مرات وقال قوم لا حد لتعليم الكلاب فاذا فعل ما قلناه فهو معلم وقد دل على ذلك رواية اصحابنا لانهم رووا انه اذا اخذ كلب مجوسي فعلمه في الحال فاصطاد به جاز اكل ما يقتله وقد بينا ان صيد غير الكلب لا يحل اكله الا ما ادرك ذكاته فلا يحتاج ان تراعي كيف تعلمه ولا اكله منه ومن اجاز ذلك اجاز اكل ما اكل منه البازي والصقر ذهب اليه عطا وابن عباس والشعبي وابرهيم وقالوا تعلم البازي هو ان يرجع الى صاحبه وقال قوم جوارح الطير والسباع سواء في ذلك ما اكل منه وما لا يؤكل روى ذلك عن النبي صلى الله عليه وآله والشعبي وعكرمة وابن جريج وقال قوم تعليم كل جارحة من البهائم والطير واحد هو ان يشلا على الصيد فيستشلي ويأخذ الصيد ويدعوه صاحبه فيجيب فاذا كان كذلك كان معلما اكل منه او لم ياكل روى ذلك عن سلمان رواه قتادة عن سعيد بن المسيب عن سلمان قال وان اكل ثلثه فكل وبه قال سعد بن ابي وقاص وقال لو لم يبق الا حذية جاز اكلها وبه قال ابو هريرة وابن عمر وقد بينا مذهبنا في ذلك وهو الذي رواه عدي بن حاتم عن النبي صلى الله عليه وآله وقوله فكلوا مما امسكن عليكم يقوي قول من قال ما اكل منه الكلب لا يجوز اكله لانه امسك على نفسه ومن شرط استباحة ما يقتله الكلب ان يكون صاحبه سمى عند ارساله فان لم يسم لم يجز له اكله الا اذا ادرك ذكاته وحده ان يجده يتحرك عينه او اذنه او ذنبه فيذكيه ح بفري الحلقوم والاوداج واختلفوا في من قوله مما امسكن عليكم فقال قوم هي زائدة لان جميع ما يمسكه فهو مباح وتقديره فكلوا ما امسكن عليكم وجري ذلك مجرى قوله يكفر عنكم من سيئاتكم وقوله وينزل من السماء من جبال فيها من برد وتقديره وينزل

من السماء جبالا فيها برد وقال بعضهم وينزل من السماء من جبال فيها من برد اي من السماء من برد يجعل الجبال من برد في السماء ويجعل الانزال منها وانكر قوم ذلك وقالوا من للتبعيض ويقوي قولهم قد كان من مطر وكان من حديث هل كان من مطر وهل كان من حديث عندكم ونكفر عنكم من سيئاتكم ما يشاؤه ويريده وقوله وينزل من السماء من جبال فيها من برد يجيز حذف من من برد ولا يجيز حذفها من الجبال ويقول المعنى وينزل من السماء من امثال جبال بردا ثم ادخلت في من البرد مفسر عنده عن امثال الجبال وقد اقيمت الجبال مقام الامثال والجبال هي جبال فلا يجيز حذف من من الجبال لانها دالة على ان في السماء الذي انزل منه البرد امثال جبال برد لا اجبال برد واجاز حذف من من برد لان البرد مفسر من الامثال كما يقال عندي رطلان زيتا ومن زيت وليس عندك الرطلان وانما عندك المقدار فمن تدخل في المفسر وتخرج منه وكذلك عند هذا القايل من السماء من امثال جبال وليس بجبال وقال فان كان انزل من جبال في السماء من برد جبالا ثم حذف الجبال الثانية فالجبال الاولى في السماء جاز كما يقال اكلت من الطعام يريد اكلت من الطعام طعاما ثم يحذف الطعام ولا يحذف من والاقوى ان يكون من في الآية للتبعيض لان ما تمسكه الكلب من الصيد لا يجوز اكل جميعه لان في جملته ما هو حرام من الدم والفرث والغدد وغير ذلك مما لا يجوز اكله فاذا قال فكلوا مما امسكن عليكم افاد ذلك بعضها امسكن وهو الذي اباح الله اكله من اللحم وغيره وقوله ونكفر عنكم من سيئاتكم قد بينا الوجه فيه وسنبين الوجه في قوله من السماء من جبال فيها من برد اذا انتهينا اليه ان شاء الله وقوله واذكروا اسم الله عليه صريح في وجوب التسمية عند الارسال وهو قول ابن عباس والسدي وغيرهما وقوله واتقوا الله معناه واجتنبوا ما نهاكم عنه فلا تقربوه واحذروا معاصيه في ارتكاب ما نهيكم عنه في ان تاكلوا من صيد الكلب غير المعلم او مما لم يمسكه عليكم او تاكلوا مما لم يسم الله عليه من الصيد والذبايح مما صاده اهل الاوثان والاصنام ان الله سريع الحساب معناه التخويف بانه سريع حسابه لمن حاسبه على نعمه لا يشغله حساب بعض عن بعض ومتى غاب الكلب والصيد عن العين ثم راه ميتا لا يجوز ان ياكله لانه يجوز ان يكون مات من غير قتل الصيد وفي الحديث كل ما اصميت ولا تاكل ما انميت فمعنى اصميت ان تصطاد بكلب او غيره فمات وانت تراه مات بصيدك واصل الصميان السرعة والخفة ومعناه ههنا ما اسرع فيه الموت وانت تراه ومعنى ما انميت ما غاب عنك فلا تدري مات بصيدك او بعارض آخر يقال انميت الرمية اذا مضت والسهم فيها وانمت الرمية اذا رميتها فمضت والسهم فيها قال امرؤ القيس فهو لا تنمي رميته ما له لا عد من نفره وقال الحارث بن حلزة الشيباني قالت سليمى قد غنيت فتى فالآن لا تصمي ولا تنمي اي عشت ومتى اخذ الكلب الصيد ومات في يده من غير ان يجرحه لم يجز اكله واجاز قوم ذلك والاول احوط وكل من لا تؤكل ذبيحته من اجناس الكفار لا تؤكل صيده ايضا فاما الاصطياد بكلاب المعلم فجائز اذا صاده المسلم قوله تعالى اليوم احل لكم الطيبات وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم اذا آتيتموهن اجورهن محصنين غير مسافحين ولا متخذي اخدان ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين آية بلا خلاف اخبر الله تعالى في هذه الآية انه احل المؤمنين الطيبات في الحلال على ما بينا القول فيه في الآية الاولى دون ما حرم في الآية المتقدمة وقيل معنى الطيبات ما يستلذ ويستطاب وظاهر الآية على هذا يقتضي تحليل كل مستطاب الا ما قام دليل على تحريمه وقوله وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم رفع بالابتداء وحل لكم خبره وذلك مختص عند اكثر اصحابنا بالحبوب لانها المباحة من اطعمة اهل الكتاب فاما ذبايحهم وكل مايع يباشرونه بايديهم فانه نجس ولا يحل استعماله وذبايحهم لا تصح لان من شرط صحتها التسمية لقوله ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وهؤلاء لا يذكرون اسم الله واذا ذكروه قصدوا بذلك اسم من ابد شرع موسى او عيسى او اتخذ عيسى ابنا وكذب محمدا صلى الله عليه وآله وذلك غير الله وقد حرم الله ذلك بقوله وما اهل لغير الله به على ما مضى القول فيه واكثر المفسرين على ان قوله وطعام الذين اوتوا الكتاب المراد به ذبايحهم وبه قال قوم من اصحابنا فممن ذهب اليه الطبري والبلخي والجبائي واكثر الفقهاء ثم اختلفوا فمنهم من قال اراد بذلك ذبائح كل كتابي ممن انزل عليه التورية والانجيل او ممن دخل في ملتهم

وذان بدينهم وحرم ما حرموا وحلل ما حللوا ذهب اليه ابن عباس والحسن وعكرمة وسعيد بن المسيب والشعبى و
ابن جريج وعطا والحكم وقتادة واجاز واذبايح نصارى بنى تغلب وقال اخرون انما عنى به الذين انزلت التورية و
الانجيل عليهم ومن كان من ابنائهم فاما من كان دخيلا فيهم من ساير الامم ودان بدينهم فلا تحل ذبايحهم
حكى ذلك الربيع عن الشافعى من الفقهاء وروى تحريم ذبايح نصارى تغلب عن على عليه السلام ورواه سعيد بن جبير عن
ابن عباس وقال مجاهد وابرهيم وابن عباس وقتادة والسدى والضحاك وابن زيد وابو الدرداء ان طعام الذين
اوتوا الكتاب ذبايحهم وغيرها من الاطعمة وبه قال الطبرى والجبائى والبلخى وغيرهم وقوله وطعامكم حل لهم فيه
بيان ان طعامنا ايضا حل لهم فان قيل فما معنى ذلك وهم لا يستحلون طعامنا بتحليلنا لهم ذلك قلنا عنه جوابان
احدهما ان الله بين بذلك انه حلال لهم ذلك سواء قبلوه او لم يقبلوه والثانى ان يكون حلال للمسلمين بذله
لهم ولو كان محرما عليهم لما جاز لمسلم بذله اياه وقوله والمحصنات من المؤمنات معناه واحل لكم العقد على المحصنات
يعنى العفايف من المؤمنات وقيل هن الحراير منهن ولا يدل ذلك على تحريم من ليس بعفيفة لان ذلك دليل خطاب
يترك لدليل يقوم على خلافه ولا خلاف انه لو عقد على من ليس بعفيفة ولا امة كان عقده صحيحا غير مفسوخ وان
كان الاولى تجنبه وكذلك لو عقد على امة بشرط جواز العقد على الامة على ما مضى القول فيه واختلف المفسرون
فى المحصنات التى عناهن ههنا فقال بعضهم عنى بذلك الحراير خاصة فاجرة كانت او عفيفة وحرموا اماء اهل الكتاب
بكل حال لقوله ومن لم يستطع منكم طولا ان ينكح المحصنات فمما ملكت ايمانكم من فتياتكم المؤمنات ذهب اليه مجاهد
وطارق بن شهاب وعامر الشعبى والحسن وقتادة وقال اخرون اراد بذلك العفايف من الفريقين حرايركن او اماء
واجازوا العقد على الامة الكتابية روى ذلك ايضا عن مجاهد وعامر الشعبى وسفين وابرهيم والحسن بن ابى الحسن
وقتادة فى رواية ثم اختلفوا فى المحصنات من الذين اوتوا الكتاب فقال قوم هو عام فى العفايف منهن حرة كانت
او امة حربية كانت او ذمية وهو قول من قال المراد بالمحصنات العفايف وقال اخرون اراد الحراير منهن
حربيات كن او ذميات وعلى قول الشافعى المراد بذلك من كان من نساء بنى اسرائيل دون من دخل فيهن من
ساير الملل وقال قوم اراد بذلك الذميات منهن ذهب اليه ابن عباس واختار الطبرى ان يكون المراد بذلك
الحراير من المسلمات والكتابيات وعندنا لا يجوز العقد على الكتابية نكاح الدوام لقوله تعالى ولا تنكحوا
المشركات حتى يؤمن ولقوله ولا تمسكوا بعصم الكوافر فاذا ثبت ذلك قلنا فى قوله والمحصنات من الذين اوتوا
الكتاب تاويلان احدهما ان يكون المراد بذلك اللاتى اسلمن منهن والمراد بقوله والمحصنات من المؤمنات
من كن فى الاصل مؤمنات ولدن على الاسلام من قيل ان قوما كانوا يتحرجون من العقد على الكافرة اذا اسلمت
فبين الله بذلك انه لا حرج فى ذلك فلذلك افردهن بالذكر حكى ذلك البلخى والثانى ان يخص ذلك بنكاح المتعة
او ملك اليمين لانه يجوز عندنا وطيهن بعقد المتعة وملك اليمين على انه روى ابو الجارود عن ابى جعفر ع ان ذلك
منسوخ بقوله ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن روى عن ابى عبد الله ع انه قال هو منسوخ بقوله ولا تمسكوا بعصم الكوافر
وقوله واذا اتيتموهن اجورهن يعنى مهورهن وهو عوض الاستمتاع بهن وهو قول ابن عباس وجميع المفسرين وقوله
محصنين غير مسافحين ولا متخذى اخدان نصب على الحال وتقديره احل لكم المحصنات من الفريقين وانتم محصنون
غير مسافحين ولا متخذى اخدان يعنى اعفاء غير مسافحين بكل فاجرة وهو الزنا ولا متخذى اخدان يعنى اعفاء غير
مسافحين ولا متخذى اخدان ولا منفردين ببغية واحدة خادنها وخادنته اتخذها لنفسه صديقة يفجر بها وقد بينا
معنى الاحصان ووجوهه ومعنى السفاح والخدن فى سورة النساء فلا وجه لاعادته وبذلك قال ابن عباس وقتادة و
الحسن وقوله ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله وهو فى الاخرة من الخاسرين يعنى من يجحد ما امر الله الاقرار به والتصديق
من توحيد الله ونبوة نبيه والاقرار بما جاء به فقد حبط عمله يعنى الاعمال التى يعملها ويعتقدها قربات الى الله فانها تنحبط
ولا يستحق عليها ثوابا بل يستحق عليها العقاب وهو فى الاخرة من الخاسرين يعنى الهالكين الذين غبنوا انفسهم حظها
من ثواب الله بكفرهم واستحقاقهم العقاب على جحدهم التوحيد والاسلام وقال قوم ان قوله ومن يكفر بالايمان عنى به
اهل الكتاب لان قوما تحرجوا من نكاح نساء اهل الكتاب واكل طعامهم فبين الله فى هذه الاية ذهب اليه قتادة وابن

جريج ومجاهد وابن عباس فان قيل ما معنى ومن يكفر بالايمان قيل الايمان هو الاقرار بتوحيد الله وصفاته وعدله والاقرار
بالنبى صلى الله عليه وآله وما جاء به من عند الله فمن جحد ذلك او شيئا منه كان كافرا بالايمان وقد حبط عمله الذى يرجوا
به الفوز والنجاة وهو فى الاخرة من الخاسرين وقال مجاهد معناه من يكفر بالله قال البلخى لا يعرف تاويل مجاهد فى اللغة
قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذا قمتم الى الصلوة فاغسلوا وجوهكم وايديكم الى المرافق وامسحوا برؤسكم
وارجلكم الى الكعبين وان كنتم جنبا فاطهروا وان كنتم مرضى او على سفر او جاء احد منكم من
الغائط او لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه ما يريد الله
ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون ‌ اية بلا خلاف قرا نافع
وابن عامر والكسائى وحفص ويعقوب والاعشى الا النقاد وارجلكم بالنصب الباقون بالجر وقرا لمستم بلا الف حمزة و
الكسائى وخلف الباقون لامستم بالف ههنا وفى النساء هذا خطاب للمؤمنين امرهم الله اذا ارادوا القيام الى الصلوة
وهم على غير طهر ان يغسلوا وجوههم ويفعلوا ما امرهم الله به فيها وحذف الارادة لان فى الكلام دلالة عليه ومثله فاذا
قرات القران فاستعذ بالله ومعناه واذا اردت قراءة القران فاستعذ واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلوة ومعناه
فاردت ان تقيم لهم الصلوة ثم اختلفوا هل يجب ذلك كلما اراد القيام الى الصلوة او بعضها او فى اى حال هى فقال
قوم المراد به اذا اراد القيام اليها وهو على غير طهر وهو الذى اختاره الطبرى والبلخى والجبائى والزجاج وغيرهم
وهو المروى عن ابن عباس وسعد بن ابى وقاص وابى موسى الاشعرى وابى العالية وسعيد بن المسيب وجابر بن عبد الله وابرهيم
والحسن والضحاك والاسود والسدى وغيرهم وقال اخرون معناه اذا قمتم من نومكم الى الصلوة ذهب اليه زيد بن اسلم
والسدى وقال اخرون المراد به كل حال قيام الانسان الى الصلوة فعليه ان يجدد طهر الصلوة ذهب اليه عكرمة
وقال كان على يتوضا عند كل صلوة ويقرا هذه الاية وقال ابن سيرين ان الخلفاء كانوا يتوضون لكل صلوة و
الاول هو الصحيح عندنا وما روى عن على عليه السلام فى تجديد الوضوء عند كل صلوة محمول على الندب وقال قوم كان الفرض
ان يتوضا لكل صلوة ثم نسخ ذلك بالتخفيف وهو المروى عن ابن عمر انه حدثته اسماء بنت زيد بن الخطاب ان عبد الله بن
حنظلة بن ابى عامر الغسيل حدثها ان النبى صلى الله عليه وآله امر بالوضوء عند كل صلوة فشق ذلك عليه فامر بالسواك
ورفع عنه الوضوء الا من حدث فكان عبد الله يرى ان فرضه عليه فكان يتوضا وروى سليمان بن بريدة عن ابيه قال
كان رسول الله صلى الله عليه وآله يتوضا لكل صلوة فلما كان عام الفتح صلى الصلوات بوضوء واحد فقال عمر
يا رسول الله صنعت شيئا ما كنت تصنعه قال عمدا فعلته يا عمر وقال الحسين بن على المغربى معنى اذا قمتم اذا عزمتم عليها
وهممتم بها قال الراجز للرشيد ما قايسم دون الفتى ابن امه وقد رضيناه فقم فسمه فقال يا اعرابى ما رضيت ان تدعونا الى
عقد الامر له قعودا حتى امرتنا بالقيام فقال قيام عزم لا قيام جسم وقال جريم الهمدانى فحدثت نفسى انها او خيالها اتانا
عشاء حين قمنا لنهجعا اى حين عزمنا للهجوع واقوى الاقوال ما حكيناه اولا من ان الفرض بالوضوء يتوجه الى من اراد
الصلوة وهو على غير طهر فاما من كان متطهرا فعليه ذلك استحبابا وما روى عن النبى ص والصحابة فى تجديد الوضوء
فهو محمول على الاستحباب فى جميع الاحوال لاجماع اهل العصر على ان الفرض فى الوضوء كان فى كل صلوة ثم نسخ
فعلمنا بذلك ان ما روى من تجديد الوضوء كان على وجه الاستحباب وقال قوم ان الله تع انزل هذه الاية اعلاما
للنبى صلى الله عليه وآله انه لا وضوء عليه الا اذا قام الى الصلوة دون غيرها من الاعمال لانه كان اذا احدث امتنع
من الاعمال حتى يتوضا فاباح الله له بهذه الاية ان يفعل ما بدا له من الاعمال بعد الحدث الا عمل الصلوة
توضا او لم يتوضا وامره بالوضوء للصلوة روى ذلك عبد الله بن ابى بكر بن عمرو بن حزم عن عبد الله بن علقمة عن
ابيه قال كان رسول الله صلى الله عليه وآله اذا بال لم يرد جواب السلام حتى يتطهر للصلوة ثم يجيب حتى نزلت
هذه الاية وقوله فاغسلوا وجوهكم امر من الله بغسل الوجه واختلفوا فى حد الوجه الذى يجب غسله فحده
عندنا من قصاص شعر الراس الى محاذى شعر الذقن طولا وما دخل بين الوسطى والابهام عرضا وما خرج
عن ذلك فلا يجب غسله وما نزل من الشعر عن المحادر فلا يجب غسله وقال بعضهم ما ظهر من بشرة الانسان
من قصاص شعر راسه منحدرا الى منقطع ذقنه طولا وما بين الاذنين عرضا فالوا والاذنان وما بطن من داخل الفم

والانف والعين فليس من الوجه ولا يجب غسل ذلك ولا غسل شيء منه واما ما غطاه الشعر كالذقن والصدغين فان امرار الماء على ما علا من الشعر عليه يجزي من غسل ما بطن منه من بشرة الوجه لان الوجه عندهم ما ظهر لبعض الناظر من ذلك يقابلها دون غيره وهذا بعينه مذهبنا الا ما خرج عن الابهام والوسطى الى الاذن فانه لا يجب غسله ذهب الى ما حكيناه ابرهيم ومغيرة والحسن وابن سيرين والشعبي والزهري وربيعة وقتادة والقسم بن محمد وابن عباس وابن عمر قال ابن عمر الاذنان من الراس وبه قال قتادة والحسن ورواه ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وقال آخرون الوجه كلما دون منابت شعر الراس الى منقطع الذقن طولا ومن الاذن الى الاذن الاخرى عرضا ما ظهر من ذلك لعين الناظر وما بطن منه من منابت شعر اللحية والعارضين وما كان منه داخل الفم والانف وما اقبل من الاذنين على الوجه وقالوا يجب غسل جميع ذلك ومن ترك شيئا منه لم يجزه الصلوة ذهب اليه ابن عمر في رواية نافع عنه وابو موسى الاشعري ومجاهد وعطا والحكم وسعيد بن جبير وطاوس وابن سيرين والضحاك وانس بن مالك وام سلمة وابو ايوب وابو امامة وعمار بن ياسر وقتادة كلهم قالوا بتخليل اللحية فاما غسل باطن الفم فذهب اليه مجاهد وحماد وقتادة واما من قال ما اقبل من الاذنين يجب غسله وما ادبر يجب مسحه فالشعبي وقد بينا مذهبنا في ذلك والذي يدل على صحة ذلك ان ما قلناه مجمع على انه من الوجه ومن ادعى الزيادة فعليه الادلة واستوفينا ذلك في مسائل الخلاف وفي تهذيب الاحكام وقوله وايديكم الى المرافق منصوب بالعطف على الوجوه الواجب غسلها ويجب عندنا غسل الايدي من المرافق وغسل المرافق معها الى رؤس الاصابع ولا يجوز غسلها من الاصابع الى المرافق والى في الآية بمعنى مع كقوله ولا تأكلوا اموالهم الى اموالكم وقوله من انصاري الى الله واراد بذلك مع قال امرؤ القيس له كفل كالدعص لبده الندى الى حارك مثل الرتاج المضبب وقال النابغة الجعدي ولوح ذراعين في بركة الى جؤجؤ رهل المنكب اراد مع حارك ومع رهل وطعن الزجاج على ذلك فقال لو كان المراد بالى مع لوجب غسل اليد الى الكتف لتناول الاسم له وانما المراد بالى الغاية والانتهاء لكن المرافق يجب غسلها مع اليدين وهذا الذي ذكره ليس بصحيح لانا لو خلينا وذلك لقلنا بما قاله لكن اخرجنا بدليل ودليلنا على صحة ما قلناه اجماع الامة على انه متى بدأ من المرافق كان وضوؤه صحيحا واذا جعلت غاية ففيه الخلاف واختلف اهل التأويل في ذلك فقال مالك بن انس يجب غسل اليدين الى المرفقين ولا يجب غسل المرفقين وهو قول زفر وقال الشافعي لا اعلم خلافا في ان المرافق يجب غسلها وقال الطبري غسل المرفقين وما فوقهما مندوب اليه غير واجب وانما اعتبرنا غسل المرافق لاجماع الامة على ان من غسلهما صحت صلوته ومن لم يغسلهما ففيه الخلاف والمرافق جمع مرفق وهو المكان الذي يرتفق به اي يتكأ عليه على المرفقة وغيرها وقوله وامسحوا برؤسكم اختلفوا في صفة المسح فقال قوم يمسح منه ما يقع عليه اسم المسح وهو مذهبنا وبه قال ابن عمر والقاسم بن محمد وعبد الرحمن بن ابي ليلى وابرهيم والشعبي وسفيان واختاره الشافعي واصحابه والطبري وذهب قوم الى انه يجب مسح جميع الراس ذهب اليه مالك وقال ابو حنيفة وابو يوسف ومحمد لا يجوز مسح الراس باقل من ثلث اصابع وعنه روايتان فيها خلاف ذكرناها في الخلاف وعندنا لا يجوز المسح الا على مقدم الراس وهو المروي عن ابن عمر والقاسم بن محمد واختاره الطبري ولم يعتبر احد من الفقهاء ذلك وقالوا اي موضع مسح اجزأه وانما اعتبرنا المسح ببعض الراس لدخول الباء الموجبة للتبعيض لان دخولها في الموضع الذي يتعدى الفعل فيه بنفسه لا وجه له غير التبعيض والا كان لغوا وحملها على الزيادة لا يجوز مع امكان حملها على فائدة مجددة فان قيل يلزم على ذلك المسح ببعض الوجه في التيمم قلنا كذلك نقول لانا نقول بمسح الوجه من قصاص الشعر الى طرف الانف ومن غسل الراس فانه لا يجزيه عن المسح عندنا وخالف جميع الفقهاء في ذلك وقالوا يجزيه لانه يشتمل عليه وهذا غير صحيح لان حد المسح هو امرار العضو الذي فيه نداوة على العضو الممسوح من غير ان يجري عليه الماء والغسل لا يكون الا بجريان الماء عليه فمعناهما مختلف وليس اذا دخل المسح في الغسل يسمى الغسل مسحا كما ان العمامة لا يسمى خرقة وان كان يشتمل على خرق كثيرة وقوله وارجلكم الى الكعبين عطف على الرؤس فمن قرأ بالجر ذهب الى انه يجب مسحهما كما وجب مسح الراس ومن نصبهما ذهب الى انه معطوف على موضع الرؤس لان موضعهما نصب لوقوع المسح عليها وانما جر الرؤس لدخول الباء الموجبة للتبعيض على ما بيناه

فالقرأتان جميعا يفيدان المسح على ما نذهب اليه وممن قال بالمسح ابن عباس والحسن البصري وابو علي الجبائي ومحمد بن جرير الطبري وغيرهم ممن ذكرناهم في الخلاف غير انهم اوجبوا الجمع بين المسح والغسل المسح بالكتاب والغسل بالسنة وخيره الطبري في ذلك واوجبوا كلهم استيعاب جميع الرجل ظاهرا وباطنا وعندنا ان المسح على ظاهرهما من رؤس الاصابع الى الكعبين وهما الناتيان في وسط القدم على ما نستدل عليه وقال عكرمة عن ابن عباس الوضوء غسلتان ومسحتان وبه قال انس بن مالك وقال عكرمة ليس على الرجلين غسل انما فيهما المسح وبه قال الشعبي وقال الا ترى ان في التيمم يمسح ما كان غسلا ويلغى ما كان مسحا وقال قتادة افترض الله مسحتين وغسلتين وروى اوس بن ابي اوس قال رايت النبي صلى الله عليه وآله توضأ ومسح على نعليه ثم قام فصلى وروى حذيفة قال اتى رسول الله صلى الله عليه وآله سباطة قوم فبال عليها قائما ثم دعا بماء فتوضأ ومسح على نعليه وروى حبة العرني قال رايت علي بن ابي طالب عليه السلام شرب في الرحبة قائما ثم توضأ ومسح على نعليه وروي عن ابن عباس انه وصف وضوء رسول الله صلى الله عليه وآله فمسح على رجليه وعنه انه قال ان كتاب الله المسح ويأبى الناس الا الغسل وعن امير المؤمنين علي عليه السلام انه قال ما نزل القرآن الا بالمسح فان قيل القراءة بالجر ليست على العطف على الرؤس في المعنى وانما عطف عليها على طريق المجاورة كما قالوا جحر ضب خرب وخرب من صفات الجحر لا الضب وكما قال الشاعر كأن ثبيرا في عرانين وبله كبير اناس في بجاد مزمل والمزمل من صفة الكبير لا البجاد وقال الاعشى لقد كان في حول ثواء ثويته تقضى لبانات ويسأم سائم قلنا هذا لا يجوز من وجوه احدها ما قال الزجاج ان الاعراب بالمجاورة لا يجوز في القرآن وانما يجوز ذلك في ضرورة الكلام والشعر والثاني ان الاعراب بالمجاورة لا يكون مع حرف العطف وفي الآية حرف العطف الذي يوجب ان يكون حكم المعطوف حكم المعطوف عليه وكلما ذكروه ليس فيه حروف العطف فاما قول الشاعر فهل انت ان ماتت اتانك راحل الى آل بسطام بن قيس فخاطب قالوا جر مع حرف العطف الذي هو الفاء فانه يمكن ان يكون اراد الرفع وانما جر الراوي وهما ويكون عطفا على راحل يكون قد اقوى لان القصيدة مجرورة وقال قوم اراد بذلك الامر وانما جر لاطلاق الشعر والثالث ان الاعراب بالمجاورة انما يجوز مع ارتفاع اللبس فاما مع حصول اللبس فلا يجوز ولا يشتبه على احد ان خرب من صفة جحر لا الضب وكذلك قوله مزمل من صفة الكبير لا البجاد وليس كذلك في الآية لان الارجل يمكن ان يكون ممسوحة ومغسولة فالاشتباه حاصل فاما قول الشاعر ثواء ثويته فانما جره بالبدل لفظ الحول والمعنى لقد كان في ثواء ثويته تقضى لبانات وهو من بدل الاشتمال كقوله قتل اصحاب الاخدود النار وقول الشاعر لم يبق الا اسير غير منفلت وموثق في عقال الاسر مكبول فليس خفض موثق على المجاورة لان معنى البيت لم يبق غير اسير فالا بمعنى غير وهي تعاقبها في الاستثناء فقوله غير موثق عطف على المعنى على موضع اسير وتقديره لم يبق غير اسير وغير منفلت واما قوله وحور عين في قراءة من جرهما فليس بمجرور على المجاورة بل يحتمل امرين احدهما ان يكون عطفا على قوله يطوف عليهم ولدان مخلدون باكواب واباريق وكأس من معين الى قوله وحور عين عطف على اكواب وقولهم انه لا يطاف الا بالكاس غير مسلم بل لا يمتنع ان يطاف بالحور العين كما يطاف بالكاس وقد ذكر في جملة ما يطاف به الفاكهة واللحم والثاني انه لما قال اولئك المقربون في جنات النعيم عطف بحور عين على جنات النعيم فكانه قال هم في جنات النعيم وفي مقاربة او معاشرة حور عين ذكره ابو علي الفارسي فاما من قال الرجلان ممسوحتان ويراد بالمسح الغسل فقوله يبطل بما قلناه من ان المسح غير الغسل واستشهادهم بقولهم تمسحت للصلوة وانهم سموا الغسل مسحا وقوله فطفق مسحا بالسوق والاعناق وانه اراد غسلها باطل بما قدمناه ولانه لو كان ذلك محتملا لغة لما احتمل شرعا لان الشرع فرق بين الغسل والمسح ولذلك قالوا بعض اعضاء الطهارة مغسولة وبعضها ممسوحة وفلان يرى غسل الرجلين وفلان يرى مسحهما ولانه لا خلاف ان الراس ممسوح مسحا ليس بغسل فلا بد ان يكون حكم الرجلين حكمه لكونهما معطوفين عليه وقولهم تمسحت للصلوة فلانهم لما ارادوا ان يخبروا بلفظ مختصر عن جميع افعال الصلوة لم يجز ان يقولوا اغتسلت للصلوة لان في الطهارة ما ليس بغسل واستطالوا ان يقولوا اغتسلت وتمسحت للصلوة قالوا بدلا من ذلك تمسحت توسعا ومجازا وقوله فطفق مسحا بالسوق فاكثر

المفسرين على ان المراد به فطفق ضربا ذهب اليه الفراء وابو عبيدة وقال اخرون اراد المسح في الحقيقة وانه كان مسح اعرافها وسوقها وانما حمل على الغسل شاذ منهم ومن قال القراءة بالجر يقتضي المسح غير انه المسح على الخفين فقوله باطل لان الخف لا يسمى رجلا في لغة ولا شرع والله تعالى امر بايقاع الفرض على ما يسمى رجلا في الحقيقة واما القراءة بالنصب فقد بينا انها معطوفة على موضع الرؤوس لان موضعها النصب والحكم فيهما المسح والعطف على الموضع جائز لانهم يقولون لست بقائم ولا قاعدا ويقولون حسبت بصدره وصدر زيد وان زيدا في الدار وعمرو فيرفع عمرو بالعطف على الموضع وقال الشاعر معاوي اننا بشر فاسجح فلسنا بالجبال ولا الحديدا وقال اخر هل انت باعث دينار لحاجتنا او عبد رب اخا عون بن مخراق وانما نصب عبد رب لان التقدير باعث دينارا فحمله على الموضع وقد سوغوا العطف على المعنى وان كان اللفظ لا يقتضيه قال الشاعر جئني بمثل بني عمرو لقومهم او مثل اسرة منظور بن سيار لما كان معنى جئني هات مثلهم او اعطني مثلهم قال او مثل بالنصب عطفا على المعنى وعطف الارجل على الايدي لا يجوز لان الكلام متى حصل فيه عاملان قريب وبعيد لا يجوز اعمال البعيد دون القريب مع صحة حمله عليه لا يجوز ان يقول القائل ضربت زيدا وعمرا واكرمت خالدا وبكرا ويريد بنصب بكر العطف على زيد وعمرو المضروبين لان ذلك خروج عن فصاحة الكلام ودخول في معنى اللغو وبمثل ما قلناه ورد القرآن واكثر الشعر قال الله تعالى وانهم ظنوا كما ظننتم ان لن يبعث الله احدا ولو اعمل الاول لقال كما ظننتموه وقال اتوني افرغ عليه قطرا ولو اعمل الاول لقال افرغه وقال هاؤم اقرؤا كتابيه ولو اعمل الاول لقال هاؤم اقرؤه وقال الشاعر قضى كل ذي دين فوفى غريمه وعزة ممطول معنى غريمها ولو اعمل الاول لقال فوفاه غريمه فاما قول امرئ القيس فلو ان ما اسعى لادنى معيشة كفاني ولم اطلب قليل من المال فانما اعمل الاول للضرورة لانه لم يجعل القليل مطلوبا وانما كان المطلوب عنده الملك وجعل القليل كافيا ولو لم يرد هذا او نصب لفسد المعنى فاما من نصب بتقدير واغسلوا ارجلكم كما قالوا متقلدا سيفا ورمحا وعلفتها تبنا وماء باردا فقد اخطا لان ذلك انما يجوز اذا استحال حمله على اللفظ فاما اذا جاز حمله على ما في اللفظ فلا يجوز هذا التقدير ومن قال يجب غسل الرجلين لانهما محدودتان كاليدين فقوله ليس بصحيح لانا لا نسلم ان العلة في كون اليدين مغسولتين كونهما محدودتين وانما وجب غسلهما لانهما عطفا على عضو مغسول وهو الوجه فكذلك اذا عطف الرجلان على ممسوح هو الراس وجب ان يكونا ممسوحين والكعبان عندنا هما الناتيان في وسط القدم وبه قال محمد بن الحسن وان اوجب الغسل وقال اكثر المفسرين والفقهاء الكعبان هما عظما الساقين يدل على ما قلناه انه لو اراد ما قالوا لقال الى الكعاب لان في الرجلين منهما اربعة وايضا فكل من قال يجب مسح الرجلين ولا يجوز الغسل قال الكعب هو ما قلناه لان من خالف في ان الكعب ما قلناه على قولين قائل يقول بوجوب الغسل واخر يقول بالتخيير قال الزجاج كل مفصل للعظام فهو كعب وفي الاية دلالة على وجوب الترتيب في الوضوء من وجهين احدهما ان الواو توجب الترتيب لغة على قول الفراء وابي عبيدة وشرعا على قول كثير من الفقهاء ولقوله عليه السلام ابدأوا بما بدأ الله به والثاني ان الله اوجب على من يريد القيام الى الصلوة اذا كان محدثا ان يغسل وجهه اولا لقوله اذا قمتم الى الصلوة فاغسلوا والفاء توجب التعقيب والترتيب بلا خلاف فاذا ثبت ان البداءة بالوجه هو الواجب ثبت في باقي الاعضاء لان احدا لا يفرق ويقويه قوله عليه السلام للاعرابي حين علمه الوضوء فقال هذا وضوء لا يقبل الله الصلوة الا به فان كان رتب فقد بين انه الواجب الذي لا يقبل الله الصلوة الا به وان لم يرتب لزم ان يكون من رتب لا يجزيه وقد اجمعت الامة على خلافه وفي الاية دلالة على ان من مسح على العمامة او الخفين لا يجزيه لان العمامة لا تسمى راسا والخف لا يسمى رجلا كما لا يسمى البرقع وما يستر اليدين وجها ولا يدا وما روي من المسح على الخفين اخبار احاد لا يترك لها ظاهر القرآن على انه روي عن علي عليه السلام انه قال نسخ ذلك بهذه الاية وكذلك قال لمن قال اقبل المائدة او بعدها وفي الاية دلالة على وجوب النية في الوضوء لانه قال اذا قمتم الى الصلوة فاغسلوا وتقديره فاغسلوا للصلوة كما يقول القائل اذا اردت لقاء عدوك فخذ سلاحك بمعنى فخذ سلاحك للقائه ولا يمكن ان يكون غاسلا هذه الاعضاء للصلوة الا بنية وقوله وان كنتم جنبا فاطهروا معناه وان اصابتكم جنابة واردتم القيام الى الصلوة فاطهروا ومعناه فتطهروا بالاغتسال والجنابة

تكون بشيئين احدهما بانزال الماء الدافق في النوم واليقظة وعلى كل حال بشهوة كان او بغير شهوة والاخر بالتقاء الختانين وحده غيبوبة الحشفة انزل او لم ينزل والجنب يقع على الواحد والجماعة والاثنين والمذكر والمؤنث مثل رجل عدل وقوم عدل ورجل زور وقوم زور ونحو ذلك وهو بمنزلة المصدر قال الزجاج تقديره ذو جنب ويقال اجنب الرجل وجنب واجتنب والفعل الجنابة وقد حكي في جمعه اجناب والاول اظهر واصل الجنابة البعد قال علقمة فلا تحرمني نائلا عن جنابة فاني امرؤ وسط القباب غريب وقوله وان كنتم مرضى او على سفر او جاء احد منكم من الغائط او لمستم النساء معناه وان كنتم مرضى يعني ان كنتم جرحى او مجدرين ومرضى يضر بكم استعمال الماء وكنتم جنبا او على غير وضوء وقد بينا ذلك في سورة النساء وقوله او على سفر معناه وان كنتم مسافرين وانتم جنبا وجاء احد منكم من الغائط معناه او جاء احد منكم من الغائط قد قضى حاجته فيه وهو مسافر او لمستم النساء معناه او جامعتم النساء وانتم مسافرون وقد بينا اختلاف الفقهاء في اللمس وبينا اصح الاقوال في ذلك فلا وجه لاعادته فان قيل ما معنى تكرير قوله او لمستم النساء ان كان معنى اللمس الجماع مع انه قد تقدم ذكر الواجب عليه لقوله وان كنتم جنبا فاطهروا قلنا وجه ذلك ان المعنى في قوله وان كنتم جنبا غير المعنى الذي الزمه الله بقوله او لمستم النساء لانه تعالى بين الحكم بقوله وان كنتم جنبا فاطهروا ومعناه اذا كنتم واجدين للماء ممكنين لاستعماله ثم بين حكمه اذا عدم الماء او لا يتمكن من استعماله او هو مسافر او مريض مقيم فاعلمه ان التيمم هو فرضه وهو طهارته وقد بينا حكم التيمم ومعناه وكيفيته فيما مضى وقوله فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه قد بينا جميع ذلك فيما مضى وجملته انه يقول ايها المؤمنون اذا قمتم الى الصلوة وانتم على غير طهر ولم تجدوا ماء ولا تتمكنون من استعماله فاقصدوا وجه الارض طاهرا نظيفا غير نجس ولا قذر فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه يعني مما يعلق بايديكم منه يعني من الصعيد وقد بينا كيفية التيمم وانه من قصاص الشعر الى طرف الانف ومن الزند الى اطراف الاصابع في اليدين وقد بينا اختلاف المفسرين والفقهاء في ذلك فلا معنى لاعادته وقوله ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج معناه ما يريد الله مما فرض عليكم من الوضوء اذا قمتم الى الصلوة والغسل من الجنابة والتيمم صعيدا طيبا عند عدم الماء او تعذر استعماله ليلزمكم في دينكم من ضيق ولا ليعنتكم فيه وهو قول علي عليه السلام ومجاهد وجميع المفسرين وقوله ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون معناه لكن يريد الله ليطهركم بما فرض عليكم من الوضوء والغسل من الاحداث والجنابة ان ينظف بذلك اجسامكم من الذنوب واللام في قوله ليطهركم دخلت لتبيين الارادة والمعنى ارادته لتطهيركم كما قال الشاعر اريد لانسى ذكرها فكانما تمثل لي ليلى بكل سبيل روى ما قلناه عن قتادة عن شهر بن حوشب عن ابي امامة ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال ان الوضوء يكفر ما قبله وقوله وليتم نعمته عليكم معناه ويريد الله مع تطهيركم من ذنوبكم بطاعتكم اياه فيما فرض عليكم من الوضوء والغسل اذا قمتم الى الصلوة مع وجود الماء والتيمم مع عدمه ان يتم نعمته باباحته لكم التيمم وتصييره لكم الصعيد الطيب طهورا رخصة منه لكم في ذلك مع سوابغ نعمه التي انعم بها عليكم لعلكم تشكرون معناه ولتشكروا الله على نعمه التي انعم بها عليكم بطاعتكم اياه فيما امركم به ونهيكم عنه قوله تعالى واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذي واثقكم به اذ قلتم سمعنا واطعنا واتقوا الله ان الله عليم بذات الصدور اية بلا خلاف في هذه الاية اذكار من الله تعالى عليهم برسوله صلى الله عليه وآله وميثاقه الذي واثقهم به عندما ضمنوا لرسول الله صلى الله عليه وآله السمع والطاعة ثم حذرهم ان ينقضوا ذلك بقلوبهم واعلمهم انه عليم بذات الصدور والميثاق الذي واثقهم به قال البلخي والجبائي هو ما اخذ عليهم رسول الله صلى الله عليه وآله عند اسلامهم وبيعتهم بان يطيعوا الله في كل ما يفرضه عليهم مما ساءهم او سرهم قال الجبائي هو ما بايعهم له ليلة العقبة وبيعة الرضوان وهو قول ابن عباس وقال اخرون هو ما اخذه عليهم حين اخرجهم من صلب آدم واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى ذهب اليه مجاهد والصحيح قول ابن عباس لامرين احدهما ان الخبر مروي في اخذ الميثاق على من استخرج من صلب آدم ضعيف تحيله العقول والثاني ان الله تعالى ذكر بعقب تذكيره المؤمنين ميثاقه الذي واثق به اهل التورية بعدما انزل كتابه على نبيه موسى ع فيما امرهم به ونهاهم عنه فقال ولقد اخذنا ميثاق بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا الايات بعدها

منبّهًا بذلك اصحاب رسول الله محمد صلى الله عليه واله على مواضع حظوظهم من الوفاء لله بما عاهدهم عليه
وما ضيّعوا من ميثاقه الذي واثقهم به في امره ونهيه زاجرًا لهم عن نكث عهده لئلا يحلّ بهم ما حلّ بمن
تقدم من الناكثين عهده من اهل الكتاب وقال ابو الجارود عن ابي جعفر ع الميثاق هو ما بيّن لهم في حجة الوداع
من تحريم كل مسكر وكيفية الوضوء على ما ذكره الله وغير ذلك ونصب امير المؤمنين عليه السلام اماما للخلق وهذا
داخل فيما حكيناه عن ابن عباس اذ هو بعض ما امر الله به قوله تعالى يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ
شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ
إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ آية بلا خلاف هذا خطاب للمؤمنين امرهم الله تعالى ان يكونوا قوّامين
بالقسط اي قائمين بالعدل يقومون به ويأمرون به ويدومون عليه شهداء لله اي مبيّنون عن دين الله لان الشاهد
يبيّن ما شهد عليه وقوّامين نصب بانه خبر كان وشهداء نصب على الحال وقوله ولا يجرمنكم قد فسرناه فيما مضى قال الكسائي
وابو عبيدة معناه لا يحملنكم بغض قوم الا تعدلوا يقال جرمني فلان على ان فعلت كذا اي حملني عليه وقال الفراء يجرمنكم
يكسبنكم يقال جرمت على اهلي اي كسبتهم وفلان جريمة اهله اي كاسبهم قال الكسائي وفيه لغتان جرمت اجرم جرمًا
واجرمت اجرم اجرامًا وشنآن قال الكسائي معناه البغض وفيه لغتان فتح النون الاولى وجزمها وقد بيّنا اختلاف
القراء فيه قال الزجاج من حرّك النون اراد بغض قوم ومن سكن اراد بغيض قوم وحكى ايضا جرم واجرم لغتين وقيل
اجرمته اذ خلته في الجرم كما قيل اثمته ومعناه ادخلته في الاثم والمعنى لا يحملنكم شنآن قوم اي بغض قوم الا تعدلوا
في حكمكم فيهم وسيرتكم بينهم فتجوروا عليهم وقال عبد الله بن كثير نزلت هذه الآية في يهود حين مضى النبي ص الى
حصن بني قريظة يستعينهم في دية فهمّوا ان يقتلوه فنزلت هذه الآية ثم امرهم بعد النهي عن الجور ان يفعلوا العدل
مع كل احد وليًّا كان او عدوًّا فان فعل العدل اقرب لكم ايها المؤمنون الى التقوى ثم حذّرهم تعالى فقال واتقوا
الله اي خافوا عقابه باجتناب معاصيه وفعل طاعاته فان الله خبير اي عالم بما عملكم والكناية في قوله هو اقرب للتقوى
كناية عن العدل اي العدل اقرب للتقوى ولو لم يكن هو في الكلام لكان اقرب نصبا كما قال انتهوا خيرا لكم وكنى
عن الفعل في هذا الموضع بهو قوله تعالى وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ
آية بلا خلاف وعد الله تعالى في هذه الآية الذين صدقوا بوحدانية الله واقروا بنبوة نبيه محمد صلى الله عليه
واله وعملوا الصالحات ان لهم مغفرة او وعدهم مغفرة ووقعت الجملة موقع المفرد كما قال الشاعر وجدنا الصالحين
لهم جزاء وجنات وعينا سلسبيلا وتكون الجملة التي هي لهم مغفرة في موضع النصب لذلك عطف في البيت وعينا
فنصب على الموضع ويحتمل ان يكون موضع لهم مغفرة في موضع الرفع ويكون الموعود به محذوفا ويكون التقدير
لهم مغفرة واجر عظيم فيما وعدهم او لهم مغفرة واجر عظيم هو الجنة وهو معنى قول الحسن والجبائي والوعد هو الخبر
الذي يتضمن النفع من المخبر والوعيد هو الخبر الذي يتضمن الضرر من المخبر وتقول وعدته خيرا ووعدته شرّا والايعاد
مطلقا يكون في الشر والوعد مطلقا في الخير فاذا قيّدته بذكر الخير او الشر قلت فيهما معا وعدته واوعدته معًا
فيما حكاه الزجاج والمغفرة اصلها التغطية ومعناها تكفير السيئة والتكفير ايضا التغطية ومنه تكفّر في
السلاح اذا تغطّى به قال لبيد في ليلة كفر النجوم غمامها والاجر المذكور في الآية هو الثواب الذي وعد الله المؤمنين
به على فعلهم الطاعات والفرق بين الثواب والاجر في العرف ان الثواب هو الجزاء على الطاعات والاجر قد يكون
مثل ذلك وقد يكون في المعنى المعاوضة على المنافع بمعنى الاجرة قوله تعالى وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ
أَصْحَابُ الْجَحِيمِ آية قوله والذين كفروا معناه جحدوا توحيد الله وصفاته وعدله وانكروا نبوة نبيه والاعتراف
بما جاء به من عند الله وكذبوا بآيات الله اخبر الله عنهم انهم اصحاب الجحيم وجحيم اسم من اسماء جهنم فعلى هذا قوله
والذين في موضع رفع على الابتداء وكفروا في صلة الذين وكذبوا بآياتنا عطف على ما في الصلة وقوله اولئك
اصحاب الجحيم جملة في موضع خبر الذين وحدّ الكفر عندنا كل معصية يستحق بها عقاب دائم لان ما ليس بكفر من
المعاصي لا يستحق عليه الا عقاب منقطع ثم ينقسم قسمين فان كان كفر ردة تعلقت عليه احكام من منع الموارثة من
المسلم والصلوة عليه والدفن في مقابر المسلمين وغير ذلك وان كان كافر ملة بان يكون مظهرا للشهادتين لم يجز

(في الحاشية:) ودبغيرهم سورة عما قيمة اهل الكتاب في تضييعهم من الوفاء بما عاهدهم عليه ع

عليه شئ من هذه الاحكام وقال قوم ان الكفر اعظم الاجرام لانه جحد نعم الله ونعمته اعظم النعم ويستحق عليها اعظم
الشكر فيجب ان يكون كفرها وجحدها اعظم الاجرام والمكذّب بآيات الله وان يعلمها آيات فهو كافر اذا كان له سبيل
الى معرفتها ومعنى اصحاب الجحيم انهم يخلدون في النار لان المصاحبة يقتضي الملازمة كما يقال اصحاب الصحراء
بمعنى الملازمين لها قوله تعالى يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ
أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ آية بلا خلاف هذا خطاب للمؤمنين
ذكّرهم الله نعمته عليهم حين همّ قوم ان يبسطوا اليهم ايديهم واختلفوا في الباسطين ايديهم على خمسة اقوال فقال
مجاهد وقتادة وابو مالك هم اليهود همّوا بان يفتكوا بالنبي ص لما مضى الى بني قريظة يستعين بهم على دية مقتولين
من بني كلاب بعد بئر معونة كانا وفدا على النبي صلى الله عليه واله فلقيهما عمرو بن امية الضمري فقال انهما مسلمين فقال
بل وافدين فقتلهما فقال له النبي ص قتلت قتيلين قبل ان يبلغا المأمن والله لأديّنهما ومضى الى يهود بني قريظة
يستعين بهم وقيل كان يستقرض لاجل الدية لانه كان يحملها فهمّت بنو قريظة بالفتك به وبقتله فاعلم الله تعالى
النبي ص ذلك فانصرف عنهم وقال الحسن انما بعثت قريش رجلا ليقتل النبي صلى الله عليه واله فاطلع الله نبيه على امره
ومنعه الله منه لانه دخل على النبي ص وفي يد النبي ص سيف مسلول فقال له ارنيه فاعطاه اياه فلما حصل في يده قال
ما الذي يمنعني من قتلك فقال النبي صلى الله عليه واله الله يمنعك فرمى بالسيف واسلم واسم الرجل عمرو بن وهب
الجمحي بعثه صفوان بن امية ليغتال النبي صلى الله عليه واله بعد بدر فاعلم الله ذلك وكان ذلك سبب اسلام عمرو بن وهب
وقال الواقدي غزا رسول الله ص جمعًا من بني ذبيان ومحارب بذي امر فتحصّنوا برؤس الجبال ونزل رسول الله ص
بحيث يراهم فذهب لحاجته فاصابه مطر فبلّ ثوبه فنشره على شجرة واضطجع تحته بعيدا من اصحابه والاعراب ينظرون
اليه فاخبروا سيّدهم دعثور بن الحارث المحاربي فجاء حتى وقف على راسه بالسيف مشهورا فقال يا محمد ص من يمنعك
مني اليوم فقال الله ودفع جبرئيل في صدره ووقع السيف من يده فاخذه رسول الله ص وقام على راسه وقال
من يمنعك مني اليوم فقال لا احد وانا اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله ص فنزلت الآية وقال ابو على
الجبائي المعني بذلك ما لطف الله تعالى المسلمين من كفّ اعدائهم عنهم حين همّوا باستيصالهم باشياء شغلهم بها
من الامراض والقحط وموت الاكابر وهلاك المواشي وغير ذلك من الاسباب التي انصرفوا عندها عن قتل المؤمنين
وقال ابن عباس كانت اليهود دعوا رسول الله ص الى طعام لهم وعزموا على الفتك به فاعلم الله ذلك نبيه ص فلم
يحضر وقال آخرون نزلت الآية فيما عزم المشركون على الايقاع بالنبي ص واصحابه يوم بطن النخلة اذا دخلوا في الصلوة
فاعلمه الله ذلك فصلّى بهم صلوة الخوف وانما جعل الله تخليص النبي مما همّوا به نعمة على المؤمنين من حيث كان
امامهم وسيدهم وكان مبعوثا اليهم بما فيه مصالحهم فمقامه بينهم نعمة على المؤمنين فلذلك اعتدّ به عليهم وقال
قوم هو مردود على قوله اليوم يئس الذين كفروا من دينكم ومعناه جملة الظفر والذكر هو حضور المعنى للنفس يقال ذكر
يذكر ذكرا واذكره اذكارا وتذاكروا تذاكرا وذاكره مذاكرة وذكّره تذكيرا واستذكر استذكارا وادّكر ادّكارا
وقد يستعمل الذكر بمعنى القول لانه من شأنه ان تذكر به المعنى والتذكر هو طلب المعنى لا طلب القول والفرق بين
الذكر والعلم ان الذكر ضده السهو والعلم ضده الجهل وقد يجتمع الذكر للشيء والجهل به من وجه واحد ومحال
ان يجتمع العلم به والجهل به من وجه واحد والفرق بين الذكر والخاطر ان الخاطر مرور المعنى على القلب والذكر حصول المعنى
في النفس وايضا الذكر يجري على نقيض النسيان لانه يستعمل بعد ما نسيه وليس كذلك الخاطر والهم بالامر هو حديث
النفس بفعله يقال همّ بالامر يهمّ همّا ومنه الهمّ وهو الفكر الذي يغمّ وجمعه هموم واهتمّ اهتماما واهمّه الامر اذا اغمّه به حدّث
نفسه به والفرق بين الهمّ بالشيء والقصد اليه انه قد يهمّ بالشيء قبل ان يريده ويقصده بان يحدّث نفسه به وهو مع ذلك
مميل في فعله ثم يعزم اليه ويقصد اليه قوله وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ
إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ
سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ آية بلا خلاف
الميثاق اليمين المؤكدة لانه يستوثق بها من الامر فاخذ الله ميثاقهم باخلاص العبادة له والايمان برسله وما

يأتون به من شرائع دينه وقوله بعثنا منهم اثنى عشر نقيبا فالنقيب فيه اربعة اقوال قال الحسن هو الضمين وقال الربيع هو الامين وقال قتادة هو الشهيد على قومه وقال قوم هو الرئيس من العرفاء واصل النقيب في اللغة النقب وهو الثقب الواسع وقال ابو مسلم هو فعيل بمعنى مفعول كانه اختير ونقر عليه فقيل نقيب لانه ينقب عن احوال القوم كما ينقب عن الاسرار ومنه نقاب المراة ومنه المناقب وهي الفضائل والنقب الطريق في الجبل ويقال نقب الرجل على القوم ينقب نقبا اذا صار نقيبا ونكب عليهم ينكب نكابة اذا صار منكبا وهو عون العريف وقد نقب نقابة والنقبة سراويل بغير رجلين لا تساع نقبة تلبسه المراة واول الجرب النقبة وجمعها النقب والنقب قال الشاعر متبذل لا تبدو محاسنه يضع الهناء مواضع النقب ويقال كلب نقيب اذا نقبت حنجرته لئلا يرتفع صوته في نباحه يفعل ذلك البخلاء لئلا يطرقهم ضيف بسماع نباح الكلاب ومنه نقبت الحائط اذا بلغت في النقب آخره وفي معنى قوله اثنى عشر نقيبا قولان احدهما قال الحسن والجبائي انه اخذ من كل سبط منهم ضمينا بما عقد عليهم بالميثاق من امر دينهم الثاني قال مجاهد والسدي انهم بعثوا الى الجبارين ليقفوا على آثارهم ويرجعوا بذلك الى موسى فرجعوا ينهون قومهم عن قتالهم لما راوا من شدة بأسهم وعظم خلقهم الا اثنين منهم وقال البلخي يجوز ان يكون النقباء رسلا ويجوز ان يكونوا قادة وقوله بعثنا لا يدل على انهم رسل كما اذا قال القائل بعث الخليفة الامراء والقضاة لا يفيد انهم رسل بل يفيد انه ولاهم وقلدهم والغرض بذلك اعلام النبي صلى الله عليه وسلم ان هؤلاء الذين هموا بقتل النبي صلى الله عليه وسلم صفاتهم واخلاقهم اخلاق اسلافهم بالغدر ونقض العهد وقوله وقال الله اني معكم معناه ناصركم على عدوكم وعدوي الذي امرتكم بقتالهم ان قاتلتموهم ووفيتم بعهدي وميثاقي الذي اخذته عليكم وفي الكلام حذف تقديره وقال الله اني معكم وانما حذف استغناء بقوله ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل ثم ابتدأ تعالى قسما لئن اقمتم الصلوة معشر بني اسرائيل وآتيتم الزكوة اي اعطيتموها وآمنتم برسلي معناه وصدقتم بما اتاكم به رسلي من شرائع ديني وقال الربيع بن انس هذا الخطاب من الله للنقباء وقال غيره هو خطاب لبني اسرائيل والتقدير ان موسى عليه السلام قال لهم عن الله تعالى ان الله ناصركم على عدوكم ما اقمتم الصلوة وآتيتم الزكوة وآمنتم برسلي وعزرتموهم قيل في معناه قولان احدهما قال مجاهد والسدي معناه نصرتموهم وهو اختيار الزجاج الثاني قال عبد الرحمن بن زيد معناه ونصرتموهم واطعتموهم وبه قال ابو عبيدة والعزر في اللغة الرد والمنع في قول الفراء يقول عزرت فلانا اذا ادبته وفعلت به ما يردعه عن القبيح وقال تعالى وتعزروه وتوقروه ومعناه تنصروه والا كان تكرارا وهو اختيار الطبري وانشد ابو عبيدة في التعزير بمعنى التوقير قول الشاعر وكم من ماجد لهم كريم ومن ليث يعزر في الندى اي يعظم وهو قول ابي علي وقوله واقرضتم الله قرضا حسنا معناه وانفقتم في سبيل الله وجهاد عدوه وعدوكم قرضا حسنا وقيل معناه بطيبة نفس وقيل معناه الا يتبعه من ولا اذى وقيل من الحلال دون الحرام وانما قال قرضا ولم يقل اقراضا لانه رده الى قرض قرضا كما قال انبتكم من الارض نباتا ولم يقل انباتا ويقال اعطيته عطاء وقال امرؤ القيس ورضت فذلت صعبة اي اذلال لان فيه معنى اذللته وقوله لاكفرن عنكم سيئاتكم اللام جواب القسم وهو قوله لئن اقمتم الصلوة فالاولى لام القسم والثانية جوابه وقال قوم كل واحد منهما قسم والصحيح الاول لان الكلام لم يتم في قوله لئن اقمتم الصلوة وآتيتم الزكوة ومعنى لاكفرن لاغطين بعفوي وصفحي عن عقوبتكم على ما مضى من اجرامكم ولادخلنكم مع ذلك جنات تجري من تحتها الانهار والجنات البساتين والكفر معناه الجحود والتغطية والستر قال لبيد في ليلة كفر النجوم غمامها وقوله تجري من تحتها يعني من تحت اشجار هذه الجنات الانهار وقوله فمن كفر بعد ذلك منكم يعني من جحد منكم يا معشر بني اسرائيل ما امرته به فتركه او ركب ما نهيته عنه بعد اخذي الميثاق عليه فقد ضل يعني اخطأ قصد الطريق الواضح وزال عن منهاج السبيل القاصد والضلال هو الركوب على غير هدى وسواء السبيل يعني وسطه قوله تعالى فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به ولا تزال تطلع على خائنة منهم الا قليلا منهم فاعف عنهم واصفح ان الله يحب المحسنين آية بلا خلاف

قرا حمزة والكسائي قسية بلا الف وقرا الباقون قاسية بالف المعنى بالآية تسلية النبي صلى الله عليه وسلم فقال الله له لا تعجبن من هؤلاء اليهود الذين هموا ان يبسطوا ايديهم اليك والى اصحابك ونكثوا العهد الذي بينك وبينهم وغدروا بك فان ذلك من عادتهم وعادات اسلافهم لاني اخذت ميثاق سلفهم على عهد موسى على طاعتي وبعثت منهم اثنى عشر نقيبا فنقضوا ميثاقي ونكثوا عهدي فلعنتهم بنقضهم ميثاقهم وفي الكلام محذوف اكتفى بدلالة الظاهر عليه والمعنى فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضل سواء السبيل فنقضوه فلعنتهم فبما نقضهم ذلك لعناهم فاكتفى بقوله فبما نقضهم من ذكر فنقضوا وما زائدة والتقدير فبنقضهم وما مؤكدة وهو قول قتادة وجميع المفسرين ومثله قول الشاعر لشيء ما يسود من يسود والهاء والميم كنايتان عن بني اسرائيل واللعن هو الطرد للسخط على العبد وهو الابعاد من رحمة الله على جهة العقوبة وقال الحسن هو المسخ الذي كان فيهم حين صاروا قردة وخنازير ومعنى جعلنا ههنا قال البلخي سميناها بذلك عقوبة على كفرهم ونقض ميثاقهم قال ويجوز ان يكون المراد ان الله بكفرهم لم يفعل بهم اللطف الذي ينشرح به صدورهم كما يفعل بالمؤمن وذلك مثل قولهم افسدت سيفك اذا تركت تعاهده حتى صدى ويقولون جعلت اظفارك سلاحك اذا لم تقصها ويشهد للاول قوله تعالى وجعلوا لله شركاء الجن واراد بذلك انهم سموا لله شركاء وقال ابو علي هو البيان عن حالهم وجفا قلوبهم عن الايمان بالله ورسوله كما يقال جعلته فاسقا مهتوكا اذا ابان عن حاله للناس ومعنى قاسية اي يابسة صلبة يقال للرحيم لين القلب ولغير الرحيم قاسي القلب والقاسي والقاسح بالحاء الشديد الصلابة ويقال قسا يقسو قسوة ومنه فهي كالحجارة او اشد قسوة وقسية اشد مبالغة وقاسية اعرف واكثر في الاستعمال وقال ابو عبيد قاسية معناه فاسدة من قولهم درهم قسي اي زائف قال ابو زبيد لها صواهل في صم السلام كما صاح القسيات في ايدي الصياريف يصف وقع المساحي في الحجارة وقال ابو العباس الدرهم انما سمي قسيا اذا كان فاسدا لشدة صوته بالغش الذي فيه فهو راجع الى الاول وقال الراجز وقد قسوت وقسا لداتي وقوله يحرفون الكلم فالتحريف يكون بامرين بسوء التاويل وبالتغيير والتبديل كما قال تعالى ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله بعد قوله وان منهم لفريقا يلوون السنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب والكلم جمع كلمة وقوله ونسوا حظا مما ذكروا به معناه تركوا نصيبا مما ذكروا به يعني مما انزل على موسى وهو قول الحسن والسدي وابن عباس وقوله ولا تزال تطلع على خائنة منهم معناه على خيانة منهم وفاعلة في اسماء المصادر كثير نحو عافاه الله عافية والمؤتفكات بالخاطئة واهلكوا بالطاغية ويقال قائلة بمعنى القيلولة كل ذلك بمعنى المصدر وراغية الابل وثاغية الشاء ويقال رجل خائنة قال الشاعر حدثت نفسك بالوفاء ولم تكن للغدر خائنة مغل الاصبع فخائنة على هذا للمبالغة كما قالوا رجل نسابة لانه يخاطب رجلا ومعناه لا تخن فتغلل اصبعك في المتاع اي تدخلها الخيانة ومغل بدل من خائنة ويجوز ان يكون على خائنة معناه على فرقة خائنة وقوله الا قليلا منهم نصب على الاستثناء من الهاء والميم في قوله على خائنة منهم وقوله فاعف عنهم واصفح ان الله يحب المحسنين قال قتادة هو منسوخ بقوله قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر وقال ابو علي بقوله واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء وقال البلخي يجوز ان يكون امرا بالعفو والصفح بشرط التوبة او بذل الجزية لانهم اذا بذلوا الجزية لا يؤاخذون بشيء من كفرهم وهو قول الحسن وجعفر بن مبشر واختار الطبري هذا فعلى هذا لا يكون منسوخا وقوله يحرفون الكلم لا يدل على انه جعل قلوبهم قاسية ليحرفوا بل يحتمل امرين احدهما ان يكون كلاما مستانفا ويكون التمام عند قوله قاسية ثم اخبر عنهم بانهم يحرفون الكلم عن مواضعه الثاني ان يكون ذلك حالا لقوله فبما نقضهم ميثاقهم يحرفون اي يحرفون الكلم ناسين لحظوظهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية قوله تعالى ومن الذين قالوا انا نصارى اخذنا ميثاقهم فنسوا حظا مما ذكروا به فاغرينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيمة وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون آية بلا خلاف قوله ومن الذين قالوا انا نصارى انما لم يقل ومن النصارى لما قاله الحسن من انه اراد تعالى بذلك ان يدل على انهم ابتدعوا النصرانية التي هم عليها اليوم وتسموا بها وقوله اخذنا ميثاقهم يعني بتوحيد الله عز وجل والاقرار بنبوة المسيح وجميع انبياء الله

وانهم كلهم عبيد الله لا يذكرو قال ابو علي معناه تركوا العمل به فكان كالذي لا يذكر وقوله مما ذكروا به يعني فيما انزل الله على موسى وعيسى في التوريٰة والانجيل والكتب المتقدمة وقوله فاغرينا بينهم قال مجاهد وقتادة وابن زيد والسدي والجبائي معناه بين اليهود والنصارى وقال الربيع والزجاج والطبري معناه بين النصارى وهو ما دفع بينهم من الخلاف نحو الملكية وهم الروم والنسطورية واليعقوبية من العداوة واصل الاغراء تسليط بعضهم على بعض وقيل معناه التحريش واصله اللصوق يقال غريت بالرجل غرى مقصور وممدود ومعناه لصقت به قال كثير اذا قيل مهلاً قالت العين بالبكاء غراء ومدتها حوافل نهل واغريته بدا بكذا حتى غري به ومنه الغراء الذي يغرى به للصوقه والاغراء بالشيء معناه الالصاق من جهة التسليط وانما اغرى بينهم بالاهواء المختلفة في الدين في قول ابرهيم وقيل بالقاء البغضاء بينهم عن الحسن وقتادة وقيل بامر بعضهم ان يعادي بعضا في قول ابي علي فكانه يذهب الى ما تقدم من الامر لهم بمعاداة الكفار والذي يقوله ان الوجه في اغراء الله فيما بينهم انه امر النصارى بمعاداة اليهود فيما يفعله اليهود من القبيح في التكذيب بالمسيح وشتم امه والقذف لها والفرية عليها واضافتها الى الله تعالى ووصفها بما لا يليق وامر اليهود بمعاداة النصارى في اعتقادهم التثليث وان المسيح ابن الله وغير ذلك من اعتقاداتهم الفاسدة فكان في ذلك امر كل واحد منهما بالطاعة فان قيل يمنع من ذلك قوله فنسوا حظا مما ذكروا به فاغرينا بينهم العداوة والبغضاء فجعل اغراءهم بالعداوة جوابا لقوله فنسوا حظا مما ذكروا به لان الفاء تدل على الجواب اذا كانت جوابا وجب ان يكون تعالى انما اغرى بينهم لاجل نسيانهم الحظ الذي ذكروا به وانه عاقبهم بهذا الاغراء وليس في الامر والنهي والعبادات عقوبات بلا خلاف فدل جواب الفاء في قوله فاغرينا عقيب قوله فنسوا حظا على انه عاقب بالاغراء لا على ما قلتموه قيل قوله فنسوا حظا مما ذكروا به جواب وانه فعل هذا الاغراء لاجل نسيانهم غير انه ليس بعقوبة وان كان جوابا فكان الاغراء انما وقع بينهم من اجل نسيانهم لحظهم من قبل انهم نسوا ما ذكروا به من معرفة التوحيد والدين وصاروا الى القول بالاتحاد والشرك والفرية عليه تعالى فلاجل ذلك امر الله اضدادهم بمعاداتهم واغراءهم بهم فان قيل فان الله تعالى ذكر النصارى في هذه الاية بنسيان حظهم ثم اجاب بالفاء في قوله فاغرينا بينهم وليس يصح على هذا ان يكون اغرى بينهم من اجل ما فعله النصارى من الكفر لانه اذا امر اليهود بمعاداة النصارى لاجل نسيان النصارى وكفرهم فانما هذا عن امر الله اليهود بهم وليس باغراء بعضهم ببعض وقوله فاغرينا بينهم يدل على ان الله بعث كل واحد من الفريقين على صاحبه وهذا يوجب خلاف قولكم قيل الامر على ما قلتم من ان امر اليهود بمعاداة النصارى هو اغراء لهم بهم وليس باغراء بين النصارى لكنه تعالى قد ذكر اليهود فيما تقدم من هذه السورة وتكذيبهم وفريتهم على الله ثم ذكر النصارى فلما جمع بين الفريقين في الذكر في هذه السورة وان لم يجمعهم في هذه الاية جاز ان يذكر انه اغرى بينهم العداوة بان امر كل واحد منهما بمعاداة عدوه فيما عصى فيه وصح الاغراء بينهم والقاء العداوة والتباعد والمنافرة وصح ان يجعل ذلك جوابا وقد قال البلخي جوابا آخر وهو ان يكون الاغراء بين النصارى خاصة بعضهم لبعض على ظاهر الاية وهو ان الله تعالى نصب الادلة على ابطال قول كل فرقة من فرق النصارى فاذا عرفت طائفة منها فساد مذهب الاخرى فيما نصب الله لها من الادلة وان جهلت فساد مقالة نفسها لتفريطها في النظر وسوء اختيارها فيجاز على هذا ان يضاف الاغراء في ذلك الى الله من حيث انه امر كل فرقة منها بمعاداة الاخرى على ما يعتقده وان امرها ايضا بان تترك ما هي متمسكة به لفساده وهذا واضح بحمد الله فان قيل ايجوز على هذا ان يقال ان الله اغرى بين المؤمنين والكفار العداوة قلنا اما اغراء المؤمن بالكافر فصحيح واما اغراء الكافر بالمؤمن فليس بصحيح لان ما عليه المؤمنون حق وما عليه الكفار باطل وانما يقال ان الله اغرى بين قوم وقوم اذا كان على بطلان قول كل طائفة منها دليل يدل على فساد قول من يخالفها فعلى هذا لا يصح اطلاق القول بما قالوه ومتى قيد القول على ما بيناه جاز وان لم يجز مع الاطلاق وقوله وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون لما قال تعالى لنبيه فاعف عنهم واصفح بين انه من وراء الانتقام منهم وانه سيجازيهم عند ورودهم عليه بما كانوا يصنعون في الدنيا من نقض الميثاق ونكث العهد ويعاقبهم على ذلك

مقصود اهل الكتاب فاعرضوا عنه حتى صار وغيرها المنسى اللتى ع

بحسب استحقاقهم قوله تعالى يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم ايتان كوفي وثلث بصري ومدني هذا خطاب لاهل الكتاب من اليهود والنصارى الذين عصوا الرسول فيما امرهم به ودعاهم اليه فقال لهم قد جاءكم رسولنا محمد صلى الله عليه وآله يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب اي يبين للناس ما كنتم تخفونه وقال ابن عباس وقتادة ان مما بينه رجم الزانيين واشياء كانوا يحرفونها بسوء التاويل وانما لم يقل يا اهل الكتابين لان الكتاب اسم جنس فيه معنى العهد وهو اوجز واحسن في اللفظ من حيث كانوا كانهم اهل كتاب واحد والوجه في تبيين بعضه وترك بعضه انه يبين ما فيه دلالة على نبوة النبي صلى الله عليه وآله من صفاته ونعته وبشارته به وما يحتاج الى علمه من غير ذلك مما يتفق له الاسباب التي يحتاج معها الى استعلام ذلك كما اتفق في الرجم وما عدا هذين مما ليس في تفصيله فائدة يكفي ذكره في الجملة وقوله ويعفو عن كثير معناه يترك كثيرا لا ياخذكم به ولا يذكره لانه لم يؤمر به على قول ابي علي وقال الحسن ويصفح عن كثير بالتوبة منه ومعنى النور في الاية يحتمل امرين احدهما انه النبي صلى الله عليه وآله في قول الزجاج والاخر هو القرآن على قول ابي علي وانما سمي نورا لانه يهتدي به كما يهتدي بالنور ويجب ان يتبع لانه نور مبين عن الحق في الباطل في الدين والاولى ان يكون كناية عن النبي لان قوله وكتاب مبين المراد به القرآن وقوله يهدي به الله يعني بفعل اللطف المؤدي الى سلوك طريق الحق يعني بالنبي صلى الله عليه وآله او الكتاب من اتبع رضوانه يعني رضا الله والرضوان والرضا من الله ضد السخط وهو ارادة الثواب لمستحقه وقال قوم هو المدح على الطاعة والثناء وقال الرماني هو جنس من الفعل يقتضي وقوع الطاعة الخالصة مما يبطلها ويضاد الغضب قال لان الرضا بما كان يصح وارادة ما كان لا يصح اذ قد يصح ان يرضى بما كان ولا يصح ان يريد ما كان وهذا الذي ذكره ليس بصحيح لان الرضا عبارة عن ارادة حدوث الشيء من الغير غير انها لا تسمى بذلك الا اذا وقع مرادها ولم يتخللها كراهة فتسميتها بالرضا موقوف على وقوع المراد الا ان بعد وقوع المراد بفعل ارادة هي رضا لما كان فسقط ما قاله وقوله سبل السلام السبل جمع سبيل وفي السلام قولان احدهما هو الله في قول الحسن والسدي والمعنى دين الله وقال هو الله الذي لا اله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن الثاني قال الزجاج انه السلامة من كل مخافة ومضرة الا ما لا يعتد به لانه يؤل الى نفع في العاقبة وقوله يخرجهم من الظلمات الى النور باذنه معناه من الكفر الى الايمان لان الكفر يتحير فيه صاحبه كما يتحير في الظلام ويهتدي بالايمان الى النجاة كما يهتدي بالنور وقوله باذنه معناه بلطفه وقوله ويهديهم الى صراط مستقيم معناه يرشدهم الى طريق الحق وهو دين الحق وقال الحسن هو الذي ياخذ بصاحبه حتى يؤديه الى الجنة وبه قال ابو علي ومعنى صراط مستقيم طريق مستقيم وهو دين الله القويم الذي لا اعوجاج فيه قوله تعالى لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم قل فمن يملك من الله شيئا ان اراد ان يهلك المسيح ابن مريم وامه ومن في الارض جميعا ولله ملك السموات والارض وما بينهما يخلق ما يشاء والله على كل شيء قدير اية بلا خلاف اللام في قوله لقد كفر جواب للقسم وتقديره اقسم لقد كفر الذين قالوا وانما كفروا بقولهم ان الله هو المسيح ابن مريم على وجه التدين به لانهم لو قالوه على وجه الحكاية منكرين لذلك لم يكفروا به وانما كانوا بذلك كافرين من وجهين احدهما انهم كفروا بالنعمة من حيث اضافوها الى غير الله ممن ادعوا الهيته والثاني كفر صفة لانهم وصفوا المسيح وهو محدث بصفات الله تعالى فقالوا هو اله واحد فكل جاهل بالله كافر لانه لما ضيع حق نعمة الله كان بمنزلة من اضافها الى غيره ومعنى من يملك من الله شيئا من يقدر ان يدفع من امر الله شيئا من قولهم ملكت على فلان امره اذا اقتدرت عليه حتى لا يمكنه انفاذ شيء من امره الا بك وتقديره من يملك من امره شيئا ووجه الاحتجاج بذلك انه لو كان المسيح الها لقدر على دفع امر الله اذا اتى باهلاكه واهلاك غيره وليس بقادر عليه لاستحالة القدرة على مغالبة القديم تعالى اذ ذلك من صفات المحتاج الذليل وقوله ولله ملك السموات والارض

وما بينهما انها لم يقل وما بينهن مع ذكر السموات على الجمع لانه اراد بذلك النوعين او الصنفين كما قال الشاعر طرقا فتلك هما هجي اقريهما قلصا لواقح كالقسي وحولا فقال طرقا ثم قال فتلك هما هي فان قيل كيف حكى عنهم ان الله هو المسيح بن مريم وعندهم هو ابن الله قلنا لانهم زعموا انه اله وهذا الاسم انما هو لله لا بمنزلة ذلك كما لو قال الدهري ان الجسم قديم لم يزل وان لم يذكره بهذا الذكر قوله تعالى ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ آية بلا خلاف روى عن ابن عباس ان جماعة من اليهود قالوا للنبي حين حذرهم بنقمات الله وعقوبته فقالوا لا تخوفنا فانا ابناء الله واحباؤه وقال السدي ان اليهود تزعم ان الله عز وجل اوحى الى بني اسرائيل ان ولدك بكر من الولد وقال الحسن انما قالوا ذلك على معنى قرب الولد من الوالد واما قول النصارى فقيل فيه انهم تأولوا ما في الانجيل من قول عيسى اذهب الى ابي وابيكم وقال قوم لما قالوا المسيح ابن الله اجرى ذلك على جميعهم كما يقولون هذيل شعراء اي منهم شعراء وكما قالوا في رهط مسيلمة قالوا نحن انبياء اي قال قائلهم وكما قال جرير ندسنا ابا مندوسة القين بالقنى فقال ندسنا وانما النادس رجل من قوم جرير وقوله واحباؤه جمع حبيب فقال الله لنبيه محمد صلى الله عليه وآله قل لهؤلاء المفترين على ربهم فلم يعذبكم بذنوبكم فلاي شيء يعذبكم بذنوبكم ان كان الامر على ما زعمتم فان الاب يشفق على ولده والحبيب على حبيبه لا يعذبه وهم لا يقرون بانهم معذبون لانهم لو لم يقولوا به كذبوا بكتبهم واباحوا الناس ارتكاب فواحشهم واليهود تقر انهم يعذبون اربعين يوما وهي عدد الايام التي عبدوا فيها العجل وقوله بل انتم بشر معناه قل لهم ليس الامر على ما زعمتم انكم ابناء الله واحباؤه بل انتم بشر ممن خلق يعني خلق من بني آدم ان احسنتم جوزيتم على احسانكم مثلهم وان اسأتم جوزيتم على اساءتكم كما يجازى غيركم وليس لكم عند الله الا ما لغيركم من خلقه وقوله يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء فانه وان علق العذاب بالمشيئة فالمراد به المعصية لانه تعالى لا يشاء العقوبة الا لمن كان عاصيا فكان ذكرها اوجز وابلغ لما في ذلك من رد الامر الى الله الذي يجريها على وجه الحكمة وانما هذا وعيد من الله لهؤلاء اليهود والنصارى المتكلين على منازل اسلافهم من الجنان عندهم فقال الله تعالى لا تغتروا بذلك فانهم نالوا ما نالوا بطاعته وايثار رضاه لا بالاماني وقال السدي معنى يغفر لمن يشاء يعني يهدي من يشاء في الدنيا فيغفر له ويميت من يشاء على كفره فيعذبه وقوله تعالى ولله ملك السموات والارض معناه انه يملك ذلك وحده لا شريك له يعارضه فقد وجب لياس مما قدروا من كل جهة وانه لا منجا لهم الا بالعمل بطاعة الله واجتناب معاصيه وقال ابو علي ذلك بانه يملك السموات والارض وما بينهما على انه لا ولد له لان المالك لذلك لا شبيه له ولان المالك لا يملك ولده لخلقه له وقوله واليه المصير معناه انه يؤول اليه امر العباد في انه لا يملك ضرهم ولا نفعهم غيره عز وجل لانه يبطل تمليكه لغيره ذلك اليوم كما ملكهم في دار الدنيا كما يقال صار امرنا الى القاضي لا على معنى قرب المكان وانما يراد بذلك انه المتصرف فينا والامر لنا دون غيره قوله تعالى ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ أَن تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ آية بلا خلاف هذا خطاب لليهود والنصارى ناداهم الله خصوصا لينبههم على ما يذكرهم وقوله قد جاءكم رسولنا يبين لكم يدل على انه اختصر من العلم بما لبس مع غيره على فترة من الرسل يعني على انقطاع من الرسل وفيه دلالة على ان زمان الفترة لم يكن فيه نبي والفترة انقطاع ما بين النبيين عند جميع المفسرين والاصل فيها الانقطاع عما كان عليه من الجد فيه من العمل يقال فتر عن عمله وفتره عنه وفتر الماء اذا انقطع عما كان عليه من البرد الى السخونة وامرأة فاترة الطرف اي منقطعة عن حدة النظر وفتور البدن كفتور الماء والفتر ما بين السبابة والابهام اذا فتحا وقال الحسن كانت هذه الفترة بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وآله ستمائة سنة وقال قتادة خمسمائة وخمسين سنة وقال الضحاك اربعمائة سنة وبضعا وستين سنة وقوله ان تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير يدل على بطلان مذهب المجبرة في القدرة لان العجز بمنع القدرة اوكد من العجز بمنع اللطف ويكون العجز في ذلك لمن علم الله ان بعثة الانبياء مصلحة لهم فاذا

لم يبعث تكون لهم الحجة فاما من لا يعلم ذلك فيهم فلا حجة لهم وان لم يبعث اليهم الرسل ومعنى ان تقولوا الا تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير على قول الفراء وغيره من الكوفيين كقوله تعالى يبين الله لكم ان تضلوا ومعناه الا تضلوا وقال البصريون معناه كراهة ان تضلوا وكراهة ان تقولوا وحذفت كراهة كما قال واسأل القرية وانما اراد اهلها وان يقولوا في موضع نصب عند اكثر البصريين وقال الخليل والكسائي موضعه الجر وتقديره لئلا يقولوا والبيان الذي اتاهم به النبي صلى الله عليه وآله هو دين الاسلام الذي ارتضاه الله وهو بيان نفس الحق من الباطل وما يجب العمل به مما لا يجب والبشير هو المبشر لكل مطيع بالثواب والنذير هو المنذر المخوف كل عاص لله بالعقاب ليتمسك المطيع بطاعته ويجتنب العاصي لمعصيته والجملة التي ذكرناها قول ابن عباس وقتادة وجميع المفسرين قوله تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنبِيَاءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَآتَاكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾ آية بلا خلاف في هذه الآية اعلام من الله للنبي صلى الله عليه وآله قديم تمادي هؤلاء اليهود في الغي وبعدهم من الحق وسوء اختيارهم لانفسهم وشدة خلافهم لانبيائهم مع خلافهم لانبيائهم مع كثرة نعم الله عليهم وتتابع اياديه والائه عليهم مسليا بذلك نبيه صلى الله عليه وآله من مقاساتهم في ذات الله فقال فاذكر يا محمد صلى الله عليه وآله اذ قال موسى لهم يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم واياديه لديكم والاءه عليكم وهو قول ابن عباس وابن عيينة وقوله اذ جعل فيكم انبياء يعني ان موسى ذكر قومه بنعمه عليهم وبلائه لديهم فقال لهم اذكروا نعمة الله عليكم اذ فضلكم بان جعل فيكم انبياء يخبرونكم بانباء الغيب لم يعط ذلك غيركم في زمانكم هذا وقيل ان الانبياء الذين ذكرهم الله انه جعلوا فيهم هم الذين اختارهم موسى الى الجبل وهم السبعون الذين ذكرهم الله تعالى فقال واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا وقال قوم هم الانبياء الذين كانوا بعد موسى عليه السلام وقوله وجعلكم ملوكا معناه سخر لكم من غيركم خدما يخدمونكم وقال قتادة لانهم اول من سخر لهم الخدم من بني اسرائيل وملكوا وقال قوم كل من ملك بيتا او خادما وامرأة ولا يدخل عليه الا باذنه فهو ملك كائنا من كان ذهب اليه عبد الله عمرو بن العاص وزيد بن اسلم والحسن والفراء قالوا هؤلاء انما خاطبهم موسى بذلك لانهم كانوا يملكون الدور والخدم ولهم نساء وازواج وبه قال الحسن وابن عباس ومجاهد وروى ذلك عن النبي عليه السلام وقال السدي جعلهم ملوكا بملك الرجل منهم نفسه واهله وماله وقال الزجاج جعلكم الله تملكون امركم ولا يغلبكم عليه غالب وقال البلخي ليس ينكر ان يكون الله جعل لهم الملك والسلطان ووسع عليهم التوسعة التي يكون الانسان بها ملكا وقال المؤرج معناه بلغة كنانة وهذيل جعلكم احرارا وقال ابو علي الملك هو الذي له ما يستغني به عن تكلف الاعمال وتحمل المشاق والتكسع في المعاش وقال ابن عباس ومجاهد جعلوا ملوكا بالمن والسلوى والحجر والغمام وزاد الجبائي وبغير ذلك من الاموال وقال قوم ملكوا انفسهم بالتخلص من القبط وقوله وآتيكم ما لم يؤت احدا من العالمين يعني اعطاكم ما لم يعط احدا من عالمي زمانهم وهو قول الحسن والبلخي وقال ابو علي اعطاكم ما لم يعط احدا من العالمين اي من اجتماع هذه الامور وكثرة الانبياء فيهم والآيات التي جاءتهم وانزال المن والسلوى عليهم وهو قول الفراء والزجاج وقال ابن عباس ومجاهد والحسن هذا خطاب موسى لامته وهو الاظهر وقال سعيد بن جبير وابو مالك هو خطاب من الله لامة النبي صلى الله عليه وآله وانما قلنا ان الاول اولى لان الله اخبر حاكيا عن موسى انه قال لهم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء وجعلكم ملوكا ثم عطف على ذلك بقوله وآتاكم ما لم يؤت احدا من العالمين فالعدول عن ذلك من غير ضرورة لا يجوز وقوله انبياء لا ينصرف في معرفة ولا نكرة لان علامة التأنيث فيها لازمة مثل حمراء تأنيث احمر ويخالف ذلك علامة التأنيث في طلحة وقائمة تأنيث قائم فلذلك انصرف هذا في النكرة دون المعرفة قوله تعالى ﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾ آية بلا خلاف هذه حكاية عن موسى عليه السلام انه خاطب قومه وامرهم بالدخول الى الارض المقدسة وهي بيت المقدس على قول ابن عباس وابن زيد والسدي وابي علي وقال الزجاج والفراء هي دمشق وفلسطين وبعض الاردن قال الفراء بتشديد النون وقال قتادة هي الشام وقال مجاهد هي ارض الطور والمقدسة في اللغة المطهرة وقيل انها طهرت من كثير من الشرك وجعلت مسكنا وقرارا للانبياء والمؤمنين

والاصل التقديس وهو التطهير ومنه قيل للسطل الذي يتطهر منه القدس وقيل في بيت المقدس لانه يتطهر من الذنوب فيه ومنه تسبيح الله وتقديسه وسبوح قدوس وهو تنزيهه عما لا يجوز عليه من نحو الصاحبة والولد والظلم والكذب وقوله كتب الله لكم يعني في اللوح المحفوظ فان قيل كيف كتب الله لهم مع قوله فانها محرمة عليهم قلنا عنه جوابان احدهما قال ابن اسحق انها كانت هبة من الله لهم ثم حرمها اياهم والثاني ان ظاهر ذلك يقتضي العموم بان الله كتبها لهم فلما قال انها محرمة عليهم اربعين سنة استثنى ذلك من جملته ويحتمل ان يكون المراد انه يدخلها قوم منهم وقيل ان القوم الذين كتب لهم دخولها غير الذين حرم عليهم والذين كتب لهم دخولها مع يوشع بن نون بعد موت موسى بشهرين وقوله ولا ترتدوا على ادباركم فيه قولان احدهما لا ترجعوا عن طاعة الله الى معصيته في قول ابي علي الثاني لا ترجعوا عن الارض التي امرتم بدخولها وقوله فتنقلبوا خاسرين قيل في معناه قولان احدهما انه كان فرض عليهم دخولها كما فرضت الصلوة والصوم والزكوة والحج فلما لم يفعلوا فقد خسروا الثواب هذا قول قتادة والسدي والثاني انه اراد بذلك خسران حظهم كالخسران في البيع بذهاب راس المال وخاسرين نصب على الحال والعامل فيه فينقلبوا دون قوله ولا ترتدوا قوله تعالى قالوا يا موسى ان فيها قوما جبارين وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا داخلون آية بلا خلاف هذا حكاية من الله عن قوم موسى لما امرهم بدخول الارض المقدسة انهم قالوا ان في الارض قوما جبارين ونصب جبارين بان وفيها خبر ان قدم على الاسم والجبار هو الذي لا ينال بالقهر واصله في النخل ما فات اليد طولا والجبار من الناس هو الذي يجبرهم على ما يريد وقال ابن عباس بلغ من جبرية هؤلاء القوم انه لما بعث موسى من قومه اثنى عشر نقيبا ليخبروه خبرهم رآهم رجل من الجبارين يقال له عاج فاخذهم في كمه مع فاكهة كان حملها من بستانه واتى بهم الملك فنثرهم بين يديه وقال متعجبا للملك منهم هؤلاء يريدون قتالنا فقال الملك ارجعوا الى صاحبكم فاخبروه خبرنا وقال قتادة ومجاهد مثله قال مجاهد كانت فاكهتهم لا يقدر على حمل عنقود لهم خمسة رجال بالخشب ويدخل في قشر نصف رمانة خمسة رجال وان موسى كان طوله عشرة اذرع وله عصا طولها مثل ذلك ونزا من الارض مثل ذلك فبلغ كعب عوج بن عناق فقتله وقيل كان طول سريره ثمان مائة ذراع واصل الجبار الاجبار على الامر وهو الاكراه عليه والجبر جبر العظم وهو كالاكراه على الصلاح قال العجاج قد جبر الدين الاله فجبر وعور الرحمن من ولى العور اي اصلحه ولامه كجبر العظم كرها والجبار هدر الارش لان فيه معنى الكره والجبار في صفات الله صفة التعظيم لانه يفيد الاقتدار ونقول لم يزل الله جبارا بمعنى ان ذاته تدعو العارف بها الى تعظيمها والفرق بين الجبار والقهار ان القهار هو الغالب لمن ناواه او كان في حكم المناوي بمعصيته اياه ولا يوصف فيما لم يزل بانه قهار والجبار في صفة المخلوقين صفة ذم لانه يتعظم بما ليس له من العظمة فان العظمة لله تعالى وقوله وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها يعني هؤلاء الجبارين فان يخرجوا منها فانا داخلون تمام الحكاية عن قوم موسى قوله تع قال رجلان من الذين يخافون انعم الله عليهما ادخلوا عليهم الباب فاذا دخلتموه فانكم غالبون وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين آيتان في البصري وآية عند الباقين هذا اخبار من الله تع عن رجلين من جملة النقباء الذين بعثهم موسى ليتعرف خبر القوم وقيل هما يوشع بن نون وكالب وقيل كلاب بن يوفنا في قول ابن عباس ومجاهد والسدي وقتادة والربيع وقال الضحاك هما رجلان كانا في مدينة الجبارين وكانا على دين موسى ع وقوله من الذين يخافون قال قتادة يخافون الله عز وجل وقال ابو علي يخافون الجبارين اي لم يمنعهم الخوف من الجبارين ان قالوا الحق انعم الله عليهما بالتوفيق للطاعة وقال الحسن انعم الله عليهما بالاسلام وكان سعيد بن جبير يقرأ يخافون بضم الياء وروى تاويل ذلك عن ابن عباس انهما كانا من الجبارين انعم الله عليهما بالاسلام وقوله ادخلوا عليهم الباب فاذا دخلتموه فانكم غالبون اخبار عن قول الرجلين انهما قالا ذلك وانما صارا الظفر بدخول باب لمدينة الجبارين لما رأوا من رعبهم وما القى الله في قلوبهم من حكمه بانه كتبها لهم وما تقدم من وعد موسى ع اياهم فكانا عالمين بانهم ان دخلوا

الباب

الباب غلبوا وقوله وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين معناه فتوكلوا في نصره اياكم على الجبارين ان كنتم مؤمنين بالله وبما اتاكم به رسوله من عنده قوله تعالى قالوا يا موسى انا لن ندخلها ابدا ما داموا فيها فاذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون آية بلا خلاف هذا اخبار عن قوم موسى انهم قالوا لا ندخل هذه المدينة ما دام الجبارون فيها لانهم جبنوا وخافوا من قتال الجبارين لعظم اجسامهم وشدة بطشهم ولم يثقوا بوعد نبيهم بالنصر لهم عليهم والغلبة لهم وقوله فاذهب انت وربك انما ابرز الضمير ليصح العطف عليه لانه لا يجوز العطف على علامة الضمير قبل ان يؤكد وانما جاز في قوله فاجمعوا امركم وشركاءكم ذلك لان ذكر المعقول صار عوضا من المنفصل كما يكون لا في نحو لو شاء الله ما اشركنا ولا آباؤنا وانما لم ينكر قوله اذهب انت وربك فقاتلا بالنكير اذ الذهاب لا يجوز عليه تع لامرين احدهما ان الكلام كله يدل على الانكار عليهم والتعجب من جهلهم في تلقيهم امر نبيهم بالرد له والمخالفة عليه الثاني لانهم قالوا ذلك على المجاز بمعنى وربك معين لك على ما ذكره البلخي والاول اقوى انه اظهر من اولئك الجهال وانما يتأول على ما قاله البلخي لو كانوا ممن لا يجوز عليهم مثل ذلك وقال الحسن هذا القول منهم يدل على انهم كانوا مشبهة وانهم كفروا بذلك بالله وقال ابو علي ان كانوا قالوه على وجه الذهاب من مكان الى مكان فهو كفر لان ذلك جهل بالله تع وان قالوه على وجه الخلاف فهو فسق فان قيل هل يجوز وصفه تعالى بالقتال كما قال قاتلهم الله انى يؤفكون قلنا هذا مجاز والمعنى ان عداوته لهم عداوة المقاتل وانه يحل بهم ما يحله بالمقاتل المستعلي بالاقتدار وعظم السلطان وليس كذلك قول هؤلاء الجهال قوله تعالى قال رب اني لا املك الا نفسي واخي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين آية بلا خلاف في هذه الآية اخبار من الله تعالى عما قاله موسى ع عقيب ما كان من قومه من الخلاف وقلة القبول عن نبيهم وخرج ذلك عن مخرج الغضب منه على قومه لما كان من عصيانهم اياه ومثل ذلك لا يخرج الا على غضب وقوله لا املك الا نفسي واخي مجاز لان الانسان لا يصح ان يملك نفسه لان الاصل في الملك القدرة والمالك هو القادر ومحال ان يقدر الانسان على نفسه ثم من حق المملوك ان يكون مقدورا عليه او في حكم المقدور عليه في ان له ان يصرفه تصريف المقدور عليه كملك الانسان للمال والعبد ونحوه فلا يجوز على هذا ان يملك نفسه ومعنى الآية انه لما ملك تصريف نفسه في طاعة الله جاز ان يصف نفسه بانه يملكها لانه مما يجوز ان يملكه وقوله واخي لانه كان ايضا طايعا له فيما يامره به فكان كالقادر عليه ويحتمل موضعه اربعة اوجه احدها الرفع على موضع ان وتقديره اني لا املك الا نفسي واخي لا يملك الا نفسه الثاني الرفع ايضا بالعطف على الضمير على املك كانه قال اني لا املك انا الا نفسي واخي مثل ذلك الثالث النصب بالعطف على الياء في اني الرابع النصب على نفسي وقوله فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين قيل في الوجه الذي سال الفرق بينه وبينهم قولان احدهما ان يحكم ويقضي بما يدل على بعدهم عن الحق وذهابهم عن الصواب فيما ارتكبوا من العصيان ولذلك القوا في التيه هذا قول ابن عباس والضحاك الثاني قال ابو علي انما دعاهم بان يفرق بينه وبينهم في الآخرة بان يكون هؤلاء في النار وان يكون هو في الجنة ولو دعا بالهلاك في الدعاء لاهلكهم الله وقال قوم انما سئل ان ينصره الله عليهم حتى يرجعوا الى الحق وقال البلخي معناه باعد وافصل وحكى عن المؤرج انه فرق معناه افض بلغة مذحج والفرق الذي يدل على المباعدة مثل قول الراجز يا رب فافرق بينه وبيني اشد ما فرقت بين اثنين وقوله الفاسقين في الآية لا يدل على ان ما وقع منهم كان فسقا لا كفرا لان الكفر قد يوصف بالفسق لان الفسق هو الخروج من الطاعة الى المعصية على وجه التمرد ويكون ذلك في الكفر قال الله تعالى الا ابليس كان من الجن ففسق عن امر ربه وكان بذلك كافرا بلا خلاف قوله تعالى قال فانها محرمة عليهم اربعين سنة يتيهون في الارض فلا تأس على القوم الفاسقين آية في هذه الآية اخبار من الله وخطاب لموسى ع ان قومه قد حرم عليهم دخول بلد الجبارين اربعين سنة وفي كيفية التحريم قولان احدهما قول اكثر المفسرين انه تحريم منع كما قال الشاعر جالت لتصرعني فقلت لها اقصري اني امرؤ صرعي عليك حرام يعني دابته التي هو راكبها ويريد بذلك اني فارس لا يمكنك ان تصرعني وقال ابو علي يجوز ان يكون المراد به تحريم تعبد والاول هو الاظهر وقال البلخي يجوز ان يكونوا

امروا

امروا بان يطوفوا فيها اربعين سنة يتيهون في الارض يعني في المسافة التي بينهم وبينها وقال الربيع وكان مقداره ستة فراسخ وقال مجاهد والحسن كانوا يصبحون حيث امسوا ويمسون حيث اصبحوا وقال الحسن لم يمت موسى في التيه وروي عن ابن عباس انه مات في التيه على خلاف منه فيه وان هارون مات فيه قبل موسى في التيه وكان اكبر من موسى واستخلف موسى يوشع بعده وقال ان الله بعثه نبيا وفي دخوله ايضا مدينة الجبارين خلاف واصل التيه التحير الذي لا يهتدى لاجله للخروج عن الطريق الى الغرض المقصود واصله الحيرة يقال تاه يتيه تيها اذا تحير وتيهته وتوهته والياء اكثر والتيهاء من الارض هي التي لا يهتدى فيها يقال ارض تيه وتيهاء قال الشاعر تيه اتاويه على السقاط فان قيل يجوز على جماعة عقلاء كثيرين ان يسيروا في فراسخ يسيرة فلا يهتدوا للخروج منها قلنا عن ذلك جوابان احدهما قال ابو علي يكون ذلك بان تحول الارض التي هم عليها اذا ناموا فيردهم الى المكان الذي ابتدؤوا منه الثاني ان يكون بالاشتباه والاسباب المانعة من الخروج عنها اما بان يمحو العلامات التي يستدل بها او بان يلقي شبه بعضها على بعض ويكون ذلك معجزة خارقة للعادة وقيل ان التيه كان عقوبة لهم بعدد الايام التي عبدوا فيها العجل عن كل يوم سنة ومن قال هذا قال لم يكن موسى وهرون فيها او كانا فيها غير معذبين كما كان ابرهيم في نار نمرود غير متالم بها وقوله اربعين سنة نصبه يحتمل امرين احدهما على قول الربيع بمحرمة فكانه حرمها عليهم اربعين سنة والثاني يتيهون على قول الحسن وقتادة لانهما قالا انه ما دخلها احد منهم وقيل انه دخلها يوشع بن نون وكالب بن يوفنا بعد موت موسى بشهرين قالوا لانه لا خلاف بين المفسرين ان دخولها كانت محرمة عليهم على طريق التابيد وانما دخلها اولادهم مع يوشع وكالب بن يوفنا وقوله فلا تاس على القوم الفاسقين خطاب لموسى امره الله ان لا يحزن على هلاكهم لفسقهم والاسى الحزن يقال اسي ياسى اسا اي حزن قال امرؤ القيس وقوفا بها صحبي على مطيهم يقولون لا تهلك اسا وتجمل وقال الزجاج هو خطاب للنبي صلى الله عليه وآله قوله تعالى واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق اذ قربا قربانا فتقبل من احدهما ولم يتقبل من الآخر قال لاقتلنك قال انما يتقبل الله من المتقين آية بلا خلاف وجه اتصال هذه الآية بما قبلها ان الله تع اراد ان يبين ان حال اليهود في الظلم ونقض العهود وارتكاب الفواحش من الامور كحال ابن آدم قابيل في قتله اخاه هابيل وما عاد عليه من الوبال بتعديه فامر نبيه ان يتلوا عليهم اخبارهما وفيه تسلية للنبي صلعم لما ناله من جهلهم بالتكذيب في جحوده وتبكيت لليهود وقوله اذ قربا قربانا متعلق بنبا وتقديره اقرا عليهم خبر ابني آدم وما جرى فيهما اذ قربا قربانا والقربان ما يقصد به القرب من رحمة الله من اعمال البر وهو على وزن فعلان من القرب كالفرقان من الفرق والعدوان من العدو والشكران من الشكر والكفران من الكفر وقال ابن عباس وعبد الله ابن عمر ومجاهد وقتادة واكثر المفسرين ان المتقربين كانا ولدي آدم لصلبه قابيل وهابيل وقال الحسن وابو مسلم محمد بن بحر والزجاج هما من بني اسرائيل لان علامة تقبل القربان لم يكن قبل ذلك وكان سبب قبول قربان احدهما ورد الآخر احد امرين احدهما انه رد قربان احدهما لانه كان فاجرا فاسقا وقبل قربان هابيل لانه كان متقيا مطيعا ولذلك قال الله انما يتقبل الله من المتقين الثاني انه قرب بشر ما له واخسه وقرب الآخر بخير ما له واشرفه فتقبل الاشرف ورد الاخس وقال قوم ان سبب القربان انه لم يكن هناك فقير فمن اراد القربان اخرج من ماله ما احب ففعلا ذلك فاكلت النار قربان احدهما دون الآخر ولم يكن ذلك عن امر من الله وقال اكثر المفسرين ورواه ابو جعفر ع وغيره من المفسرين انه ولد لكل واحد من قابيل وهابيل اخت توام له فامر آدم كل واحد بتزويج اخت الآخر وكانت اخت قابيل احسن من الاخرى فارادها وحسد اخاه عليها فقال آدم قربا قربانا فايكما قبل قربانه فهي له وكان قابيل صاحب زرع فعمد الى اخس طعام وعمد هابيل الى شاة سمينة ولبن وزبد فصعدا به الجبل فاتت النار فاكلت قربان هابيل ولم تعرض لقربان قابيل وكان آدم غايبا عنهما بمكة فقال قابيل لا عشت يا هابيل في الدنيا وقد تقبل قربانك ولم يتقبل قرباني وتريد ان تاخذ اختي الحسناء واخذ اختك القبيحة فقال له هابيل ما حكاه الله تع فشدخه بحجر فقتله ثم حمله على عاتقه وكان يضعه على الارض ساعة ويبكي ويعود يحمله كذلك ثلثة ايام الى ان راى الغرابين وقوله لاقتلنك معناه قال الذي لم يتقبل قربانه وقال انما يتقبل الله يعني الذي تقبل قربانه وانما حذف لدلالة الكلام عليه وقيل

في علامة القبول قولان قال مجاهد كانت النار تاكل المردود وقال غيره بل كانت العلامة في ذلك نارا تاتي فتاكل المتقبل ولا تاكل المردود وقال قوم في الآية دلالة على ان طاعة الفاسق غير متقبلة لكنها تسقط عقاب تركها واما النافلة فيصل اليه ضرب من النفع بها وتقبل الطاعة ايجاب الثواب عليها وهذا الذي ذكروه غير صحيح لان قوله انما يتقبل الله من المتقين معناه انما يستحق الثواب على الطاعات من يوقعها لكونها طاعة فاما اذا فعلها لغير ذلك فانه لا يستحق عليها ثوابا فاذا ثبت ذلك فلا يمتنع ان يقع من الفاسق يوقعها على الوجه الذي يستحق عليها الثواب فيستحق الثواب ولا تحابط عندنا بين ثوابه وما يستحق عليه العقاب والاتقاء يكون لكل شيء يمنع منه غيره انه لا يطلق اسم المتقين الا على المتقين للمعاصي خاصة بضرب من العرف لانه احق ما يجب ان يخاف منه كما لا يطلق خالق الا على الله عز وجل لانه احق بهذه الصفة من كل فاعل لان جميع افعاله يقع على تقديره وترتيبه وقوله انما يتقبل الله من المتقين يعني القرابين انما يتقبلها الله من الذين يتقون معاصي الله خوف عقابه دون من لا يتقيها قوله تعالى لئن بسطت الي يدك لتقتلني ما انا بباسط يدي اليك لاقتلك اني اخاف الله رب العالمين آية في هذه الآية اخبار عن ولد آدم المقتول وهو هابيل انه قال لاخيه حين هدده بالقتل لما تقبل قربانه ولم يتقبل قربان اخيه فقال لئن بسطت الي يدك ومعناه لئن مددت الي يدك والبسط هو المد وهو ضد القبض لتقتلني معناه لان تقتلني ما انا باسط يدي اليك لان اقتلك فان قيل لم قال ذلك وقد وجب بحكم العقل الدفع عن النفس وان ادى الى قتل المدفوع قلنا عنه جوابان احدهما ان معناه لان بدأتني بقتل لم ابدأك لا على اني لا ادفع عن نفسي اذا قصدت قتلي هذا قول ابن عباس وجماعة وقيل انه قتله غيلة بان القى عليه وهو نائم صخرة شدخه بها الثاني قال الحسن ومجاهد والجبائي انه كان كتب عليهم اذا اراد الرجل قتل رجل تركه ولم يمتنع منه وكان عمرو بن عبيد يجيز الوجهين وهو الاقوى لان كلا الامرين جائز فان قيل كيف يجوز الوجه الاخير وفيه اطماع في النفس قلنا ليس فيه شيء من ذلك لانه يجري مجرى قول القائل لغيره لئن ظلمتني لم اظلمك ولئن قبحت في امري لم اقبح في امرك بل في ذلك غاية الزجر والردع عن القبيح لان القبيح منفر عن نفسه صارف عن فعله وقوله اني اخاف الله رب العالمين يعني اخاف الله في ابتداء مدي اليك يدي لقتلك رب العالمين يعني رب الخلائق واللام في قوله لئن لام القسم وتقديره اقسم لئن بسطت الي يدك وجوابه ما انا بباسط ولا يقع ما جوابا للشرط ولا الفرق بينهما ان لما صدر الكلام والقسم لا يخرجها عن ذلك كما جاز ان يكون جواب القسم بان ولام الابتداء ولم يجز بالفاء لان المقسم عليه ليس يجب بوجوب القسم وانما القسم يؤكده وجواب الشرط يجب بوجوبه واذا اجتمع القسم والجزاء كان جواب القسم اولى من جواب الجزاء لانه لما تقدم وصار الجزاء في حشو الكلام غلب على الجواب فصار له واكتفي به من جواب الجزاء لدلالته عليه وروى غياث بن ابرهيم عن ابي اسحق الهمداني عن علي عليه السلم انه قال لما قتل ابن آدم اخاه بكاه آدم وقال تغيرت البلاد ومن عليها فوجه الارض مغبر قبيح تغير كل ذي لون وطعم وقل بشاشة الوجه المليح فاجيب آدم ابا هابيل قد قتلا جميعا وصار الحي بالموت الذبيح وجاء بشرة قد كان منه على خوف فجاء بها يصيح قوله تعالى اني اريد ان تبوء باثمي واثمك فتكون من اصحاب النار وذلك جزاء الظالمين في هذه الآية اخبار عن ابن آدم المقتول انه قال لا ابدأك بالقتل لاني اريد ان تبوء باثمي ومعناه ان ترجع واصله الرجوع الى المنزل يقال باء اذا رجع الى المباءة وهي المنزل وباؤوا بغضب من الله اي رجعوا والبواء الرجوع بالقود وهم في هذا الامر بواء اي سواء لانهم يرجعون فيه الى معنى واحد وقال الشاعر الا تنتهي عنا ملوك وتتقي محارمنا لا يبوء الدم بالدم اي لا يرجع الدم بالدم وقوله باثمي واثمك معناه اثم قتلي ان قتلتني واثمك الذي كان منك قبل قتلي هذا قول ابن عباس وابن مسعود والحسن وقتادة والضحاك ومجاهد قال مجاهد معناه خطيئتي ودمي فذهب الى ان المعنى مثل اثمي وقال الجبائي والزجاج واثمك الذي من اجله لم يتقبل قربانك ويجوز ان يريد باثمي الاول اثم قتلي ان قتلتني واثمك الذي قتلتني فاضافه تارة الى المفعول واخرى الى الفاعل لانه مصدر يصح ذلك فيه كما تقول ضرب زيد عمرا وضرب زيد عمرو تضيفه تارة الى الفاعل واخرى الى المفعول فان قيل كيف جاز ان يريد منه الاثم وهو قبيح قلنا المراد بذلك عقاب الاثم لان الرجوع بالاثم رجوع بعقابه لانه لا يجوز لاحد ان يريد معصية الله من غيره كما لا يجوز ان

يريدها من نفسه وهو قول ابي علي وغيره وقال قوم التقدير اني اريد ان لا تبوء باثمي كما قال يبين الله لكم ان تضلوا
ومعناه الا تضلوا وهذا وجه يحتمله الكلام لكن الظاهر خلافه وانما يحمل على ذلك اذا دل الدليل على انه لا يجوز
ان يريد من غيره الاثم وليس ههنا ما يدل عليه والكلام يدل على انه اراد العقاب لا محالة لوازه الاثم وقوله
فتكون من اصحاب النار وذلك جزاء الظالمين لا يدل على فساد القول بالارجاء لان ظاهره يقتضي انه يستحق
بذلك النار والعذاب وان ذلك جزاؤه وليس في ذلك ما يمنع من جواز اسقاطه بغير توبة فينبغي ان لا يمنع منه
وفي الاية دلالة على ان الوعيد بالنار قد كان في زمن ادم بخلاف ما يدعيه جماعة من اليهود والنصارى قوله
تعالى فطوعت له نفسه قتل اخيه فقتله فاصبح من الخاسرين اية بلا خلاف قيل في معنى طوعت له نفسه
ثلثة اقوال احدها شجعته نفسه على قتل اخيه في قول مجاهد وقال قتادة زينت له نفسه قتل اخيه وقال قوم معناه
ساعدته نفسه على قتل اخيه فلما حذف حرف الجر نصب قوله قتل اخيه ومن قال معناه زينت نصبه كانه مفعول به
يقال طاع لهذه الظبية اصول الشجرة وطاع لفلان كذا اي اتاه طوعا ويقال ايضا انطاع ولا يقال طاعته نفسه
لان اطاع يدل على قصد لموافقة معنى الامر وليس كذلك طوع لانه بمنزلة انطاع له اصول الشجرة وفي الفعل ما يتعدى
الى نفس الفاعل نحو حرك نفسه وقتل نفسه وفيه ما لا يتعدى نحو امر ونهى لان الامر والنهي لا يكون الا ممن هو على
من هو دونه وقال ابن عباس وابن مسعود وابو ملك وابو جعفر عليه السلام انه قتله بصخرة شدخ راسه بها وقال مجاهد
لم يدر كيف يقتله حتى ظهر له ابليس فعلمه ذلك ظهر في صورة طير فاخذ طيرا اخر وترك راسه بين حجرين فشدخه و
قابيل ينظر اليه ففعل مثله وقيل هو اول قتل كان في الناس وقوله فاصبح من الخاسرين لا يدل على انه قتله ليلا لان
معناه صار من الخاسرين بقتله ليلا قتله او نهارا لانه يحسن في هذا ان يقال اصبح لانه بمنزلة الامر الذي يبيت
ليلا فكانت ثمرته الوبال والخسران والمعنى ههنا ذهاب راس المال بهلاك نفسه وذلك اعظم الخسران كما قال
تعالى خسروا انفسهم واهليهم يوم القيامة فمعنى الاية اصبح من الذين باعوا الاخرة بالدنيا فخسروا في ذلك وخابت
صفقتهم قوله تعالى فبعث الله غرابا يبحث في الارض ليريه كيف يواري سوءة اخيه قال يا ويلتي اعجزت
ان اكون مثل هذا الغراب فاواري سوءة اخي فاصبح من النادمين اية بلا خلاف قرأ الحسن يا ويلتي
مضاف وهما لغتان يقال يا ويلتا ويا ويلتي ذكره الازهري قيل انه كان اول ميت من الناس فلذلك لم يدر
كيف يواريه وكيف يدفنه حتى بعث الله غرابين احدهما حي والاخر ميت وقيل كانا حيين فقتل احدهما صاحبه ثم
بحث الحي الارض فدفن فيه الغراب الميت ففعل به مثل ذلك قابيل وهو قول ابن عباس وابن مسعود وابن مالك و
مجاهد والضحاك وقتادة وفي ذلك دلالة على فساد ما قال الحسن وابو علي وابو مسلم انهما كانا من بني اسرائيل لانه لم
يكن الناس الى زمان بني اسرائيل لا يدرون كيف يدفنون موتاهم قال الرماني ولا يجوز ان يكون الغراب مكلفا
لان المعلوم من دعوة الرسول ان المكلفين هم الملائكة والانس والجن والمعلوم ضرورة انه لا مطيع لله الا
من هذه الثلثة اصناف وايضا فقد بعث الله النبي صلى الله عليه وآله الى كل مكلف سوى الملئكة ولا يقول احد انه مبعوث الى الغربان
ومعنى فبعث الله غرابا الهمها ذلك وقال الزجاج اكرم الله المقتول بان بعث غرابا حثا عليه التراب ليريه كيف يواري
سوءة اخيه وقال قوم كان ملكا في صورة الغراب وقال ابو علي يجوز ان يكون الغراب قد زاد الله في عقله ما عقل امر
الله لا على وجه التكليف كما نامر صبياننا واولادنا فيفهمون عنا ومعنى سوءة اخيه قيل فيه قولان احدهما قال ابو علي
انه جيفة اخيه لانه كان تركه حتى انتن فقيل لجيفته سوءة وقال غيره معناه عورة اخيه والظاهر يحتمل الامرين واصل
السوء التكره يقول ساءه يسوءه سوءا اذا اتاه بما يكرهه وروى الحسن عن النبي صلى الله عليه وآله ان الله ضرب لكم مثلا ابني ادم
فخذوا من خيرهما ودعوا شرهما وقوله قال يا ويلتا فيه حذف لان تقديره ليريه كيف يواري سوءة اخيه فواراه قال
القائل اخاه يا ويلتاه وقال الزجاج الوقف في غير القران عليها يا ويلتاه والنداء لغير الادميين نحو يا حسرتا على العباد
ويا ويلتا االد وانا عجوز وقال يا ويلتا وانما وقع في كلام العرب على تنبيه المخاطب وان الوقت الذي يدعي هذه الاشيا
هو وقتها والمعنى يا ويلتا تعالي فانه من ابانك اي تولد مني الويل وكذلك يا عجبا المعنى يا ايها العجب هذا وقتك و
قال سيبويه الويل كلمة يقال عند الهلكة وقيل الويل واد في جهنم وقوله اعجزت يقال عجزت عن الامر اعجز عجزا ومعجزة

ومعجزة وقوله فاصبح من النادمين قيل كانت توبته غير صحيحة لانها لو كانت صحيحة لاستحق عليها الثواب وقال
ابو علي ندم على قتله على غير الوجه الذي يكون الندم توبة لانه ندم لانه لم ينتفع بقتله وناله ضرر بسببه من ابيه واخوته
ولو كان على الوجه الصحيح لقبل الله توبته وعلى مذهبنا كان يستحق الثواب لو كانت صحيحة وان لم يسقط العقاب
قوله تعالى من اجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل انه من قتل نفسا بغير نفس او فساد في الارض فكانما
قتل الناس جميعا ومن احياها فكانما احيا الناس جميعا ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ثم ان كثيرا
منهم بعد ذلك في الارض لمسرفون اية عند الجميع قرأ ابو جعفر وزيد من اجل ذلك بفتح النون واسكان
الهمزة ومثله قد افلح وما اشبهه الباقون يقطعون الهمزة فتح النون نقل الحركة من الهمزة الى ما قبلها ومن
اسكنها تركها على اصلها ومعنى من اجل من جر ذلك وجريرته وقال الزجاج معناه من جنايته ذلك يقال
اجلت الشيء اجله اجلا اذا اجنيته قال الخولاني واهل خباء صالح ذات بينهم قد احتربوا في عاجل انا اجله اي جانيه وقيل
جاره عليهم قال عدي بن زيد اجل ان الله قد فضلكم فوق من احكا صلبا بازار واصله الجر ومنه الاجل الوقت
الذي يجر اليه العقد الاول ومنه الاجل نقيض العاجل ومنه اجل بمعنى نعم لانه انقياد الى ما يجر اليه ومنه الاجل
القطيع من بقر الوحش لان بعضها يجر الى بعض وذلك اشارة الى قتل احد ابني ادم اخاه ظلما حكمنا الى بني اسرائيل
انه من قتل منهم نفسا بغير فساد كان منها في الارض فاستحقت بذلك قتلها وفسادها في الارض انما يكون
بالحرب لله ولرسوله واخافة السبيل على ما سنبينه فيما بعد وهو قول الضحاك وجميع المفسرين واختلفوا في تاويل
قوله من قتل نفسا بغير نفس او فساد في الارض فكانما قتل الناس جميعا ومن احياها فكانما احيا الناس جميعا
في انهم خصومه من قبل ذلك الانسان والثاني قال ابو علي ان عليه مثل ماثم كل قاتل من الناس لانه سن القتل
وسهله لغيره فكان بمنزلة المشارك فيه ومثله قوله عليه السلام من سن سنة حسنة كان له اجرها واجر من عمل بها الى يوم القيمة
ومن سن سنة سيئة كان له وزرها ووزر من عمل بها الثالث قال الحسن وقتادة ومجاهد ان معناه تعظيم الوزر
والماثم وتقديره يا ابن ادم انك لو قتلت الناس جميعا كان لك من عملك ما تفوز به وتنجو من النار كذبتك نفسك
نفسك لقي الله والشيطان فكذلك قتلك ظلما الانسان اي كنت تستحق الخلود كما كنت تستحق بقتل الناس جميعا
الرابع قال ابن عباس معناه من شد على عضد نبي او امام عدل فكانما احيا الناس جميعا ومن قتل نبيا او اماما
عدل فكانما قتل الناس جميعا الخامس قال ابن مسعود وغيره من الصحابة معناه من قتل نفسا بغير نفس او فساد
في الارض فكانما قتل الناس جميعا عند المقتول ومن احياها فكانما احيا الناس جميعا عند المستنقذ والسادس
قال ابن زيد معناه انه يجب من القود والقتل مثل ما يجب عليه لو قتل الناس جميعا وقوله ومن احياها فكانما
احيا الناس جميعا قال مجاهد معناه من نجاها من الهلاك مثل الغرق والحرق قال الحسن وابن زيد معناه
من عفا عن دمها وقد وجب القود عليها وقال ابو علي معناه من زجر عن قتلها بما فيه حياتها على وجه يقتدى
به فيها بان يعظم تحريم قتلها كما حرمه الله على نفسه فلم يقدم عليه فقد حيي الناس به لامنهم
منه وذلك احياؤه اياها وهو اختيار الطبري والله تعالى هو المحيي للخلق لا يقدر على ذلك غيره تعالى وانما
قال احياها على وجه المجاز بمعنى نجاها من الهلاك كما حكى عن نمرود ابرهيم انا احيي واميت فاستبقى واحدا وقتل
الاخر قوله ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات قسم من الله تعالى ان رسله اتت بني اسرائيل الذين ذكر قصصهم و
اخبارهم بالايات الواضحة والحجج الدالة على صدق رسله وصحة ما اتوا به ثم اخبر ان كثيرا منهم يعني من بني
اسرائيل لمسرفون بعد مجيء رسل الله اليهم ومعنى لمسرفون لعاملون بمعاصي الله ومخالفون امره ونهيه باتباعهم
غير رسل الله والاسراف الخروج عن التقصير والاقتصاد وضده التقصير والاقتصاد هو التعديل بلا اسراف
ولا اقتار وقد يمدح بالاقتصاد وقال ابو جعفر المسرفون هم الذين يستحلون المحارم ويسفكون الدماء قوله
تعالى انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا ان يقتلوا او يصلبوا او تقطع
ايديهم وارجلهم من خلاف او ينفوا من الارض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الاخرة عذاب
عظيم اية المحارب عندنا هو الذي شهر السلاح واخاف السبيل سواء كان في المصر او خارج المصر فان

٢ على ستة اقوال احدها ما قال الزجاج معناه انه يجب من قتل الناس جميعا

اللص المحارب في المصر وغير المصر سواء وبه قال الاوزاعي ومالك والليث بن سعد وابن لهيعة والشافعي
والطبري وقال قوم هو قاطع الطريق في غير المصر ذهب اليه ابو حنيفة واصحابه وهو المروي عن عطاء
الخراساني ومعنى يحاربون الله يحاربون اولياء الله ويحاربون رسوله ويسعون في الارض فسادا و
هو ما ذكرناه من اشهار السيف واخافة السبيل وجزاؤهم على قدر الاستحقاق ان قتل قتل وان اخذ
المال وقتل قتل وصلب وان اخذ المال ولم يقتل قطعت يده ورجله من خلاف وان اخاف السبيل فقط
فانما عليه النفي لا غير هذا مذهبنا وهو المروي عن ابي جعفر وابي عبد الله ع وهو قول ابن عباس وابي مجلز
وسعيد بن جبير والسدي وقتادة والربيع وابرهيم على خلاف عنه وبه قال ابو علي الجبائي والطبري وحكي
عن الشافعي انه ان اخذ المال جهرا كان للامام صلبه حيا وان لم يقتل وان يقتلوا في موضع رفع وتقديره
انما جزاؤهم القتل والصلب او القطع من موضع الخلاف في معنى انما ليس جزاؤهم الا هذا قال الزجاج اذا قال
جزاؤك عندي درهم جاز ان يكون معه غيره فاذا قال انما جزاؤك درهم كان معناه ما جزاؤك الا درهم واختلفوا
في سبب نزول هذه الاية فقال ابن عباس والضحاك نزلت في قوم كان بينهم وبين النبي ص موادعة فنقضوا
العهد وافسدوا في الارض فخير الله نبيه فيما ذكر في الاية وقال الحسن وعكرمة نزلت في اهل الشرك
وقال قتادة وانس وسعيد بن جبير والسدي انها نزلت في العرنيين والعكليين حين ارتدوا وافسدوا
في الارض فاخذهم النبي صلى الله عليه واله وقطع ايديهم وارجلهم من خلاف وسمل اعينهم وفي بعض
الاخبار انه احرقهم بالنار ثم اختلفوا في نسخ هذا الحكم الذي فعله بالعرنيين فقال البلخي وغيره نسخ ذلك
نهيه عن المثلة ومنهم من قال حكمه ثابت في نظرائهم لم ينسخ وقال اخرون لم يسمل النبي ص اعينهم وانما اراد
ان يسمل فانزل الله اية المحاربة والذي نقوله ان عندنا ان كان فيهم طليعة لهم حتى يقتلوا قوما سملت
عين الطليعة واجري على الباقين ما ذكرناه وقال قوم الامام مخير فيه ذهب اليه ابن عباس في رواية ومجاهد
والحسن وسعيد بن المسيب وعطا وابرهيم في رواية عنه فمن قال بالاول ذهب الى ان او في الاية يقتضي التفصيل
ومن قال بالثاني ذهب الى انها للتخيير ومعنى قوله وارجلهم من خلاف معناه ان يقطع اليد اليمنى والرجل
اليسرى ولو كان موضع من على او الباء لكان المعنى واحدا وقوله او ينفوا من الارض في معناه ثلثة اقوال
احدها انه يخرج من بلاد الاسلام ينفى من بلد الى بلد الا ان يتوب يرجع وهو الذي نذهب اليه وبه قال
ابن عباس وانس بن مالك ومالك بن انس والحسن والسدي والضحاك وقتادة وسعيد بن جبير والربيع بن
انس والزهري وقال اصحابنا لا يمكن ايضا من دخول بلد الشرك ويقاتل المشركون على تمكينهم من ذلك حتى يتوبوا
ويرجعوا الى الحق وقال الفراء النفي ان يقال من قتله فدمه هدر والثاني انه ينفى من بلد الى بلد غيره ذهب
اليه سعيد بن جبير في رواية اخرى وعمر بن عبد العزيز الثالث ان النفي هو الحبس ذهب اليه ابو حنيفة واصحابه و
اصل النفي الاهلاك ومنه النفي والاعدام فالنفي الاهلاك بالاعدام ومنه النفاية لردي المتاع ومنه النفي وهو
ما تطاير من الماء عن الدلو قال الراجز كان متنيه من النفي مواقع الطير على الصفي والنفي الطرد قال اوس بن حجر
ينفون عن طرق الكرام كما ينفي المطارق ما يلي القرد وقوله ذلك لهم خزي في الدنيا معناه ان فعل ما ذكرناه من
الاحكام خزي في الدنيا والخزي الفضيحة يقال خزي يخزى خزيا اذا افتضح وخزي يخزى خزاية اذا استحيا وخزوته
اخزوه خزوا اذا سسته ومنه قول لبيد واخزها بالبر لله الاجل ولهم في الاخرة عذاب عظيم معناه زيادة على
ذلك وهذا يبطل قول من قال اقامة الحدود تكفير للمعاصي لانه يقال مع اقامة الحدود عليهم تبين ان لهم
في الاخرة عذابا عظيما ومعنى ان لهم في الاخرة عذابا عظيما انهم يستحقون ذلك ولا يدل على انه يفعل بهم
ذلك لا محالة لانه يجوز ان يعفو الله عنهم ويتفضل عليهم باسقاط عقابهم قوله تعالى الا الذين تابوا
من قبل ان تقدروا عليهم فاعلموا ان الله غفور رحيم اية قال الزجاج يحتمل الذين ان يكون في موضع
الرفع بالابتداء وخبره فاعلموا ان الله غفور رحيم والمعنى غفور رحيم لهم والمعنى لكن التائبون من قبل القدرة
عليهم فالله غفور رحيم ويجوز ان يكون في موضع نصب بالاستثناء من قوله فاعلموا ان الله غفور رحيم لما

بين الله حكم المحارب على ما فصلناه استثنى من جملتهم من يتوب مما ارتكبه قبل ان يؤخذ ويقدر عليه
لان توبته بعد حصوله في قبضة الامام وقيام البينة عليه بذلك لا ينفعه ووجب اقامة الحد عليه واختلفوا
فيمن يدرء عنه التوبة الحدود هل هو المشرك او من كان مسلما من اهل الصلوة فقال الحسن وقتادة و
مجاهد والضحاك هو المشرك دون من كان مسلما فاما من اسلم فانه لم يؤاخذ بما جناه الا ان يكون معه
عين مال قائمة فانه يجب عليه ردها وما عداه يسقط واما علي عليه السلام فانه حكم بذلك فيمن كان مسلما
وهو حارثة بن بدر لانه كان خرج محاربا ثم تاب فقبل علي عليه السلام توبته وجعل له امانا على يد سعيد بن قيس
وحكم به ابو موسى الاشعري في فلان المرادي جاءه تائبا بعد كونه محاربا فقبل توبته وابو هريرة في علي الاسدي
وبه قال السدي ومالك بن انس الا ان مالكا قال يؤخذ بالدم اذا طالبه به وليه وقال الليث بن سعد لا يؤخذ
به وقال الشافعي تضع توبته عنه حد الله الذي وجب لمحاربته ولا يسقط عنه حقوق بني ادم وهو مذهبنا فعلى
هذا انما يسقط الادمي حق نفسه ويكون ظهرت منه التوبة قبل ذلك ولا يقاص عليه الحد وان لم يكن ظهرت منه
التوبة اقيم الحد لانه محارب فيتحتم عليه الحد وهو قول ابي علي ولا خلاف انه اذا اصيب المال بعينه في يده انه يرد الى
اهله فاما المشرك المحارب فمتى اسلم وتاب سقطت عنه الحدود سواء كان ذلك منه قبل القدرة عليه او بعدها
بلا خلاف فاما السارق اذا قدر عليه بعد التوبة وتكون التوبة منه بعد قيام البينة فانها لا يسقط عنه الحد
وان كان قبل قيام البينة اسقطت عنه وقال قوم لا تسقط التوبة الحد عن السارق ولم يفصل وادعى في ذلك
الاجماع قال لان الله جعل هذا الحكم للمحارب بالاستثناء بقوله فاعلموا ان الله غفور رحيم ولم يكن غير المحارب
في معناه فيقاس عليه لان ظاهر هذا التفرد وليس كذلك هو في المحارب الممتنع بفئة وفي الاية حجة على من قال لا تصح
التوبة مع الاقامة على معصية اخرى يعلم صاحبها انها معصية لانه تعالى علق بالتوبة حكما لا يحل به الاقامة على
معصية هي السكر او شرب نبيذ التمر على غير التاويل باجماع المسلمين قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله
وابتغوا اليه الوسيلة وجاهدوا في سبيله لعلكم تفلحون اية بلا خلاف خاطب الله في هذه الاية
المؤمنين وامرهم ان يتقوه ومعناه ان يتقوا معاصيه ويجتنبوها ويبتغوا اليه معناه يطلبوا اليه الوسيلة وهي القربة
في قول الحسن ومجاهد وقتادة وعطا والسدي وابن زيد وعبد الله بن كثير وابي وائل وهي على وزن فعيلة من
قولهم توسلت اليك اي تقربت قال عنترة بن شداد ان الرجال لهم اليك وسيلة ان ياخذوك تكحلي وتخضبي
وقال الاخر اذا غفل الواشون عدنا لوصلنا وعاد التصافي بيننا والوسائل يقال منه سلت اسال اي طلبت
وهما يتساولان اي يطلب كل واحد منهما من صاحبه والاصل الطلب والوسيلة التي ينبغي ان يطلب مثلها فان قيل كيف
قال اتقوا الله وهو غاية التحذير مع انه تعالى رغب في الدعاء اليه وهما كالمتنافرين قيل انما قال ذلك لئلا يكون المكلف
على غرور من امره مكثرة نعم الله عليه فيظن انها موجبة للرضا عنه فحقيقة الدعاء اليه باتقائه من جهة اجتناب معاصيه
والعمل بطاعته فان قيل هل يجوز ان يتقي المعاقب من اجل عقابه كما يحمد المحسن من اجل احسانه قلنا لا لان اصل الاتقاء
الحجز بين الشيئين لئلا يصل احدهما الى الاخر من قولهم اتقاه بالترس ومنه اتقاه بحقه فالطاعة له تعالى حاجزة بين العقاب
وبين العبد ان يصل اليه واما حمد الانسان فمجاز لان المحمود في الحقيقة يستحق الولاية والكرامة وقوله وجاهدوا
في سبيله امر منه تعالى بالجهاد في دين الله لانه وصلة وطريق الى ثوابه ويقال لكل شيء الى غيره هو طريق اليه فمن
ذلك طاعة الله فهو طريق الى ثوابه والدليل على الشيء طريق الى العلم به والتعرض للشيء طريق الى الوقوع فيه واللطف
طريق الى طاعة الله والجهاد في سبيل الله قد يكون باللسان واليد والقلب والسيف والقول والكتاب وقوله لعلكم
تفلحون يحتمل امرين احدهما اعملوا لتفلحوا ومعناه ويكون غرضكم الصلاح فهذا يصح مع اليقين الثاني اعملوه على
رجاء الصلاح به فهذا مع الشك في خلوصه مما يحبطه وهذا الوجه لا يصح الا على مذهب من قال بالاحباط فاما من لا يقول
به فلا يصح ذلك فيه غير انه يمكن ان يقال الشك فيه يجوز ان يكون في هل اوقعه على الوجه المامور به ام لا لانه لا حال الا
وهو يجوز ان يكون فرط فيما امر به والمفلحون هم الفائزون بما فيه غاية صلاح احوالهم قوله تعالى ان الذين كفروا
لو ان لهم ما في الارض جميعا ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيمة ما تقبل منهم ولهم عذاب اليم يريدون ان

يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم﴾ آيتان بلا خلاف اخبر الله تعالى في هذه الآية ان الذين كفروا لو ان لهم ما في الارض جميعا ومثله معه وافتدوا بجميع ذلك من العذاب الذي يستحقونه على كفرهم ما تقبل منهم والذين في موضع نصب بأن وخبر ان الجملة في لو وجوابها وقوله ولهم عذاب اليم يحتمل امرين احدهما ان يكون في موضع الحال والثاني ان يكون عطفا على الخبر ولا يجوز ان يكون خبرا من يريدون ان يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولو في موضع الحال كما تقول مررت بزيد لو رآه عدوه لرحمه لانه في موضع معتمد الفائدة مع ان الثاني في استيناف انه ولا يحكم بقطع الخبر وانما اجيبت لو بما ولم يجز ان يجاب بما لان ما لها صدر الكلام وجواب لو لا يخرجها من هذا المعنى كما لا يخرجها جواب القسم لانه غير عامل وان عامله فلذلك صلح ان يجاب بلا ولم يصلح بما كقولك ان تأتي لا يلحقك سوء ولا يجوز ما لان لا تنفي عما بعدها ما وجب لما قبلها في اصل موضوعها كقولك قام زيد لا عمرو وما تنفي عما بعدها ما لم يجب لغيرها فلذلك كان لها صدر الكلام وانما نفى الله ان يقبل منهم فدية من غير تقييد بالتوبة لامرين احدهما لانهم لا يستحقون هذه الصفة لو وقعت منهم التوبة مع البيان عن ان الآخرة لا تقبل فيها توبة الثاني ان ذلك مقيد بدليل العقل والسمع الذي دل على وجوب اسقاط العقاب عند التوبة كقوله غافر الذنب وقابل التوب وعندنا انه لم يقيده بالتوبة لان التوبة لا يجب اسقاط العقاب عندها عندنا وانما هو يتفضل الله بذلك عند التوبة فاراد الله ان يبين ان الخلاص من عقابه الذي استحق على الكفر به ومعاصيه لا يستحق على وجه وانما يكون ذلك تفضلا على كل حال واللام في قوله ولهم عذاب اليم لام الملك لان حقيقتها الاضافة على معنى الاختصاص غير انها اذا اضيفت تصح ان يكون فعلا الى ما يصح ان يكون فاعلا فالاضافة بمعنى اضافة الفعل الى الفاعل نحو ان قام زيد ويجوز ان يكون على معنى المفعول بقرينة في كلام زيد ونحوه وقوله ان لهم ما في الارض جميعا يدل على انه ليس لهم ما في الارض جميعا لانه لو كان لهم لكان الابلغ ان يقال يسلبون النعمة بمن غير فدية يسقط عنهم شيئا من العقوبة وقوله يريدون ان يخرجوا من النار في معناه ثلثة اقوال احدها قال ابو علي معناه يتمنون ان يخرجوا منها فجعل الارادة هيهنا تمنيا وقال الحسن معناه الارادة على الحقيقة لانه قال كلما رفعتهم النار بلهبها رجوا ان يخرجوا منها وهو قوله كلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها وقال بعضهم معناه يكادون ان يخرجوا منها اذا رفعتهم بلهبها كما قال جل وعز جدارا يريد ان ينقض اي يكاد ويقارب فان قيل كيف يجوز ان يريدوا الخروج من النار مع علمهم بانهم لا يخرجون قلنا لان العلم بان الشيء لا يكون لا يصرف عن ارادته كما ان العلم بانه يكون لا يصرف عن ارادته وانما يدعوا الى الارادة حسنها او الحاجة اليها كما ان المراد بهذه المنزلة فان قيل هل يجوز ان يطمعوا في الخروج من النار كما قال الحسن قلنا الخروج منها الى غير عذاب يجري مجرى عذابها فلا يجوز لعلمهم بان العذاب دائم لا يفتر عنهم فان كان معه العلم بانهم لا يخرجون منها لم يجز ان يطمعوا في الخروج لان العلم ينافي الطمع ولا ينافي الارادة كما لا يطمع العاقل في ان يعود في الدنيا شابا كما كان وقال ابو علي انما يتمنون الخلاص منها قبل دخولها كما في التمني من التروح والتبرد لك من صفة اهلها ولا يجوز ان يقال في الكلام يريدون ان يستخرجون من النار كما جاز علم ان سيكون منكم مرضى لان ان المخففة من الشديدة لتحقيق كاين في الحال او الماضي او المستقبل وليس في الارادة تحقيق وقوع المراد لا محالة كما ليس في الامر تحقيق وقوع المأمور به فلذلك لم يجز امرته ان سيقوم وجاز امرته ان يقوم قوله وما هم بخارجين منها يعني من جهنم ولهم عذاب مقيم اي دائم ثابت لا يزول ولا يحول كما قال الشاعر فان لكم بيوم الشعب مني عذابا دائما لكم مقيما وروي ان نافع بن الازرق قال لابن عباس يا اعمى القلب اعمى البصر تزعم ان قوما يخرجون من النار وقد قال الله تعالى وما هم بخارجين منها فقال ابن عباس ويحك اقرأ ما فوقها هذه للكفار قوله تعالى ﴿والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم﴾ آية وقوله والسارق والسارقة قال سيبويه الاجود فيه النصب ومثله الزانية والزاني وبالنصب قرأ عيسى بن عمر وهو بخلاف ما عليه القراء لا يجوز ان يقرأ به و الوجه الرفع ومثله واللذان يأتيانها منكم فآذوهما ويحتمل رفعهما شيئين احدهما قال سيبويه انه على تفسير فرض فيما

يتلى عليكم حكم السارق والسارقة ومثله واللذان يأتيانها منكم الثاني قال المبرد والفراء لان معناه الجزاء وتقديره من سرق فاقطعوه وله صدر الكلام قال الفراء ولو اردت سارقا بعينه لكان النصب الوجه ويفارق ذلك قولهم زيدا فاضربه لانه ليس فيه معنى الجزاء وظاهر قوله والسارق والسارقة يقتضي عموم وجوب القطع على كل من يكون سارقا او سارقة لان الالف واللام اذا دخلا على الاسماء المشتقة افادا الاستغراق اذا لم يكونا للعهد دون تعريف الجنس على ما ذهب اليه قوم وقد دللنا على ذلك في اصول الفقه فاما من قال القطع لا يجب الا على من كان سارقا مخصوصا من مكان مخصوص مقدارا مخصوصا وظاهر الآية لا ينبئ عن تلك الشروط فيجب ان يكون الآية مجملة مفتقرة الى بيان فقوله فاسد لان ظاهر الآية يقتضي وجوب القطع على كل من يسمى سارقا وانما يحتاج الى معرفة الشروط ليخرج من جملتهم من لا يجب قطعه فاما من يقطعه فانا نقطعه بالظاهر فالآية مجملة فيمن لا يجب قطعه دون من يجب قطعه فسقط ما قالوه وقوله فاقطعوا ايديهما امر من الله بقطع ايدي السارق والسارقة والمعنى ايمانهما وانما جمعت الايدي لان كل شيء من شيئين فتثنيته بلفظ الجمع كما قال عز وجل فقد صغت قلوبكما وقال الفراء كلما كان في البدن منه واحدا فتثنيته بلفظ الجمع لان اكثر اعضائه فيه منه اثنان فحمل ما كان فيه الواحد على مثل ذلك فقيل قلوبهما وظهورهما كما قيل عيونهما وايديهما وقال الفراء انما فعلوا ذلك للفصل بين ما في البدن منه واحدا وبين ما في البدن اثنان فجعل ما في البدن منه واحد تثنيته وجمعه بلفظ واحد ولم يثن اصلا لان الاضافة يدل عليه ولان التثنية جمع لانه ضم شيء الى شيء وان ثني جاز قال الشاعر ظهراهما مثل ظهور الترسين فجمع بين الامرين وانما اعتبرنا قطع الايمان لاجماع المفسرين على ذلك كالحسن والسدي والشعبي وغيرهم وفي قراءة ابن مسعود والسارقون والسارقات فاقطعوا ايمانهما والنصاب الذي يتعلق القطع به قيل فيه ستة اقوال اولها مذهبنا وهو ربع دينار وبه قال الاوزاعي والشافعي لما روي عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال القطع في ربع دينار الثاني ثلثة دراهم وهو قيمة المجن ذهب اليه مالك بن انس الثالث خمسة دراهم وروي ذلك عن علي عليه السلام وعن عمر انهما قالا لا يقطع الخمس الا في خمسة دراهم وهو اختيار ابي علي قال لانه بمنزلة من منع خمسة دراهم من الزكوة في انه فاسق الرابع قال الحسن يقطع في درهم لان ما دونه تافه الخامس عشرة دراهم ذهب اليه ابو حنيفة واصحابه لما رووا انه كان قيمة المجن عشرة دراهم السادس قال اصحاب الظاهر وابن الزبير يقطع في القليل والكثير ولا يقطع الا من سرق من حرز والحرز يختلف فلكل شيء حرز يعتبر فيه حرز مثله في العادة وحده اصحابنا بانه كل موضع لم يكن لغيره الدخول اليه والتصرف فيه الا باذنه فهو حرز وقال ابو علي الجبائي الحرز ان يكون في بيت او دار مغلق عليه وله من يراعيه ويحفظه ومن سرق من غير حرز لا يجب عليه القطع قال الرماني لانه لا يسمى سارقا حقيقة وانما يقال ذلك مجازا كما يقال سرق كلمة او معنى في شعر لانه لا يطلق على هذا اسم سارق على كل حال وقال داود يقطع اذا سرق من غير حرز وكيفية القطع عندنا يجب من اصول الاصابع الاربعة ويترك الابهام والكف وهو المشهور عن علي صلوات الله عليه وقال اكثر الفقهاء انه يقطع من الرسغ وهو المفصل بين الكف والساعد وقالت الخوارج يقطع من الكتف واما الرجل فعندنا يقطع الاصابع الاربعة من مشط القدم ويترك الابهام والعقب دليلنا ان ما قلناه مجمع على وجوب قطعه وما قالوه ليس عليه دليل واليد يقع على جميع اليد الى الكتف ولا يجب قطعه بلا خلاف الا ما حكيناه عمن لا يعتد به وقد استدل قوم من اصحابنا على صحة ما قلناه بقوله فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم وانما يكتبونه بالاصابع والمعتمد ما قلناه وعليه اجماع الفرقة المحقة ومتى تاب السارق قبل ان يرفع الى الامام وظهر ذلك منه ثم قامت عليه البينة فانه لا يقطع غير انه يطالب بالسرقة وان تاب بعد قيام البينة عليه وجب قطعه على كل حال وقال الفقهاء يجب قطعه على كل حال فان كان تاب كان قطعه امتحانا وان لم يكن تاب كان عقوبة وجزاء ومتى قطع فانه لا يسقط عنه رد السرقة سواء كانت باقية او هالكة فان كانت باقية ردها بلا خلاف وان كانت هالكة رد عندنا قيمتها وقال ابو جعفر واصحابه لا يجمع عليه القطع والغرامة معا فان قطع سقطت الغرامة وان

غرم سقط القطع وقد دللنا على صحة ما قلناه في مسائل الخلاف ومتى سرق بعد قطع اليد مرة ثانية قطعت رجله اليسرى حتى يكون من خلاف فان سرق ثالثة حبس عندنا وبه قال الحسن وقال ابو علي يقطع اليد الاخرى فان سرق في الحبس قتل عندنا ولا يعتبر ذلك احد من الفقهاء وظاهر الاية يقتضي وجوب قطع العبد والامة اذا سرقا لتناول اسم السارق والسارقة لهما وقوله جزاء بما كسبا معناه استحقا على فعلهما نكالا من الله اي عقوبة على ما فعلاه قال زهير ولولا ان ينال ابا طريف عذاب من خزيمة او نكال اي عقوبة ونصبه يحتمل امرين احدهما مفعول له وتقديره لجزاء فعلهما والثاني نصب على المصدر الذي دل عليه فاقطعوا لان معنى فاقطعوا جازوهم ونكلوا بهم وقال الازهري معناه لينكل غيره نكالا عن مثل فعله يقال نكل ينكل اذا جبن فهو ناكل والله عزيز حكيم اي مقتدر لا يغالب حكيم فيما يأمر به من قطع السارق والسارقة وفي غيره من الافعال قوله تعالى ﴿فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ اية بلا خلاف اخبر الله تعالى ان من تاب واقلع وندم على ما كان منه من فعل الظلم بالسرقة وغيرها وفعل الفعل الجميل الصالح فان الله يتوب عليه ومعناه يقبل توبته باسقاط العقاب بها عن المعصية التي تاب منها ووصف الله تعالى بانه يتوب على التائب فيه فائدة عظيمة لان في ذلك ترغيبا للعاصي في فعل التوبة ولذلك قال تعالى واصفا نفسه بانه تواب رحيم ووصف العبد بانه تواب معناه اواب وهي صفة مدح من اجل المدح والتوبة التي يسقط العقاب عندها ولا خلاف في سقوطه عندها هي الندم على ما مضى من القبيح او الاخلال بالواجب والعزم على ترك الرجوع الى مثله في القبح وفي الناس من قال يكفي الندم مع العزم على ترك المعاودة والذي ذكرناه اولى لان سقوط العقاب عنده مجمع عليه وان اختلفوا هل هو واجب او تفضل وما قالوه فيه خلاف ويمكن التوبة من الحسن الا ان حسنه لا يدعو الى التوبة منه كما يدعو قبح القبيح الى التوبة منه لكن قد يتوب الانسان منه لقبح فيما يتوهم او لمضرة لحقته به ولا يجوز التوبة من الحسن كيف تصرفت الحال لانه تحريم لما ليس بحرام وتقبيح لما ليس بقبيح ويمكن ان يكون التوبة من القبيح معصية لله كالذي يتوب من الالحاد ويدخل في النصرانية وقال مجاهد ان الحد كفارة وهذا غير صحيح لان الله تعالى دل على معنى الامر بالتوبة وانما يتوب المذنب من ذنبه والحد من فعل غيره وايضا فمتى كان مصرا كان اقامة الحد عليه عقوبة والعقوبة لا تكفر الخطيئة كما لا يستحق بها الثواب وقوله ان الله غفور رحيم يدل على ما نذهب اليه من ان قبول التوبة واسقاط العقاب عندنا تفضل من الله فلذلك صح وصفه بانه غفور رحيم ولو كان الغفران واجبا عند التوبة لم يليق به غفور رحيم قوله تعالى ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ اية بلا خلاف قيل فيمن يتوجه هذا الخطاب اليه قولان احدهما انه متوجه الى النبي صلى الله عليه وآله والمراد به امته كما قال يا ايها النبي اذا طلقتم النساء والثاني انه متوجه الى كل مكلف من الناس وتقديره الم تعلم يا انسان واتصال هذا الخطاب بما قبله اتصال الحجاج والبيان عن صحة ما تقدم من الوعد والوعيد وما ذكره من الاحكام والمعنى الم تعلم يا انسان ان الله له ملك السموات والارض يعني له التصرف فيهما من غير دافع ولا منازع يعذب من يشاء اذا كان مستحقا للعقاب ويغفر لمن يشاء اذا عصاه ولم يتب لانه اذا تاب فقد وعد بانه لا يؤاخذه بعد التوبة وعند المخالفة يقبح مؤاخذته بعدها فعلى الوجهين معا لا يعلق ذلك بالمشية وفي ذلك دلالة على انه قادر على ان يعاقب على وجه الجزاء لانه لو لم يكن قادرا عليه لما كان فيه وجه مدح والله على كل شيء قدير معناه ههنا ان من ملك السموات والارض وقدر على هذه الاجسام والاعراض التي يتصرف فيها ويدبرها فهو لا يعجز شيء لقدرته على كل جنس من اجناس المعاني وقوله على كل شيء قدير عام في كل ما يصح ان يكون مقدورا له تعالى ولا يحتاج الى ان يقيد بذكر ما لا تصح القدرة عليه لامرين احدهما ظهور الدلالة عليه فجاز الا يذكر في اللفظ والاخر ان ذلك خارج مخرج المبالغة كما يقول القائل اتاني اهل الدنيا ولعله لم يجئ الا خمسة فاستكثرهم قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا

بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ اية بلا خلاف هذا خطاب للنبي صلى الله عليه وآله نهاه الله ان يحزنه الذين يسارعون في الكفر اي يبادرون فيه ويحزنك بفتح الياء وضمها لغتان وقد قرئ بهما وقد قدمنا ذكره مستوفى من المنافقين الذين قالوا امنا يعني صدقنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم يعني لم تصدق قلوبهم ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم اخرين لم ياتوك وقف ههنا وسماعون فيه مبالغة من سامع مثل خابز وخباز وقيل في رفع سماعون قولان احدهما قال سيبويه رفع على الابتداء والخبر من الذين هادوا كما تقول من قومك عقلاء الثاني قال الزجاج على انه خبر الابتداء وتقديره المنافقون هم واليهود سماعون للكذب وقيل في معنى ذلك قولان احدهما سماعون كلامك للكذب عليك عليكم سماعون كلامك لقوم اخرين لم ياتوك ليكذبوا عليك وقيل انهم كانوا رسل اهل خيبر واهل خيبر لم يحضروا فلهذا جاسوك هذا قول الحسن والزجاج وابي علي والثاني قال اهل التفسير سماعون للكذب قابلون له كما يقال لا تسمع من فلان اي لا تقبل منه ومنه سمع الله لمن حمده سماعون لقوم اخرين ارسلوا بهم في قضية زان محصن فقالوا لهم ان افتاكم محمد بالجلد فخذوه وان افتاكم بالرجم فلا تقبلوه لانهم قد كانوا حرفوا حكم الجلد الذي في التورية الى جلد اربعين وتسويد الوجه والاشهار على حمار وهذا قول ابن عباس وجابر وسعيد بن المسيب والسدي وابن زيد وقال قتادة انما كان ذلك في قتيل منهم قالوا ان افتاكم بالدية فاقبلوه وان افتاكم بالقود فاحذروه وقال ابو جعفر عليه السلام نزلت الاية في اقربه النضير وبني قريضة وقوله يحرفون الكلم قيل في معنى تحريفهم قولان احدهما تحريف كلام النبي صلى الله عليه وآله بعد سماعه للكذب يقولون ان اوتيتم هذا اي دين اليهود فاقبلوه وان لم تؤتوه فاحذروا ان تقبلوا احلاله في قول الحسن وابي علي الثاني جعلهم بدل رجم المحصن جلد اربعين تغييرا لحكم الله في قول المفسرين وقوله من بعد مواضعه لان المعنى من بعد استقراره في مواضعه ومضي الايام عليه وقال الزجاج من بعد ان فرض فروضه واحل حلاله وحرم حرامه ولو قال مكان بعد عن مواضعه لجاز لان معناهما متقارب هنا كما يقول القائل بينك عن فراغي من الشغل وبعد فراغي منه ولا يجوز قياسا على ذلك ان تقول بدل فعلك رميت عن القوس رميت بعد القوس ولا في قولك جاء زيد بعد عمرو ان تقول عن عمرو لان المعنى يختلف في ذلك لان عن لما عدا الشيء الذي هو كالسبب له وبعد انما هي لما تاخر عن كون الشيء فما صح معنى السبب فيه ومعنى التاخر جاز فيه الامران وما لم يصح الا احد المعنيين لم يجز الا احد الحرفين وقوله ومن يرد الله فتنته قيل في الفتنة ثلاثة اقوال احدها قال الزجاج معناه من يرد الله فضيحته باظهار ما ينطوي عليه الثاني قال السدي من يرد الله اهلاكه الثالث قال الحسن وابو علي والبلخي من يرد الله عذابه من قوله يوم هم على النار يفتنون اي يعذبون وقوله ذوقوا فتنتكم اي عذابكم وقوله ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات يعني الذين عذبوا واصل الفتنة التخليص من قولهم فتنت الذهب في النار اي خلصته من الغش والفتنة الاختبار وسمي بذلك لما فيها من تخليص الحال لمن اراد الاضلال وانما اراد الحكم عليه بذلك بايراد الحجج فغيره تمييز وتخليص لحالهم من حال غيرهم من المؤمنين ومن فسره على العذاب فلانهم يحرقون كما يحرق خبث الذهب فهم خبث كلهم ومن فسره على الفضيحة فلما فيها من الدلالة عليهم التي يتميزون بها من غيرهم وقوله اولئك لم يرد الله ان يطهر قلوبهم فيه قولان احدهما قال ابو علي وغيره لم يرد الله ان يطهرها من الحرج والضيق الدال على دنس الكفر عقوبة لهم الثاني قال البلخي وغيره لم يرد ان يطهرها من الكفر بالحكم بانها بريئة منه ممدوحة بضده كما يطهر قلوب المؤمنين بذلك ولا يجوز ان يكون المراد بذلك الذين لم يرد الله منهم الايمان لانه لو لم يكن مريدا منهم الايمان لم يكن مكلفا لهم لان التكليف هو ارادة ما فيه المشقة والكلفة ولان الله امرهم بالايمان بلا خلاف والامر لا يكون امرا الا بارادة المأمور به على ما بين في غير

اذا رجعوا اليهم اي هم عيون عليك مع

موضع وقوله لهم في الدنيا خزي يعني لهؤلاء الكفار والمنافقين الذين ذكرهم في الآية فبين ان لهم خزيا من عند
الله في الدنيا وهو ما كان يفعله بهم من الذل والهوان والبغض والزام الجزية على وجه الصغار ولهم
في الآخرة عذاب عظيم مضافا الى عذاب الدنيا وخزيها وقال ابو جعفر عليه السلام وجماعة من المفسرين
ذكرنا اسماءهم ان امرأة من خيبر في شرف منهم زنت وهي محصنة فكرهوا رجمها فارسلوا الى يهود المدينة
يسئلون النبي صلى الله عليه وآله طمعا ان يكون اتى برخصة فسألوا فقال هل ترضون بقضائي قالوا نعم
فانزل الله عليه الرجم فابوه فقال جبرئيل سلهم عن ابن صوريا ثم اجعله بينك وبينهم فقال تعرفون شابا
ابيض اعور امرد يسكن فدكا يقال له ابن صوريا قالوا نعم هو اعلم يهودي على ظهر الارض بما انزل الله على موسى
قال فارسلوا اليه فارسلوا فاتى فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله انت عبد الله بن صوريا قال نعم
قال انت اعلم يهود قال كذلك يقولون قال رسول الله صلى الله عليه وآله فاني انشدك الله الذي لا اله الا هو القوي اله
بني اسرائيل الذي اخرجكم من ارض مصر وفلق لكم البحر فانجاكم واغرق آل فرعون وظلل عليكم الغمام وانزل
عليكم المن والسلوى وانزل عليكم كتابه فيه حلاله وحرامه هل تجدون في كتابكم الذي جاء به موسى الرجم
على من احصن قال عبد الله بن صوريا نعم والذي ذكرتني لولا مخافتي من رب التورية ان يهلكني ان كتمت ما اعترفت
لك به فانزل الله فيه يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفوا عن
كثير فقام ابن صوريا فوضع يديه على ركبتي رسول الله صلى الله عليه وآله ثم قال هذا مقام العائذ بالله وبك ان تذكر لنا
الكثير الذي امرت ان تعفو عنه فاعرض النبي صلى الله عليه وآله عن ذلك ثم سئله ابن صوريا عن نومه وعن شبه الولد بابيه
امه وما حظ الاب من اعضاء المولود وما حظ الام فقال تنام عيناي ولا ينام قلبي والشبه يغلب ايّ الماءين علا
وللاب العظم والعصب والعروق وللام اللحم والدم والشعر فقال اشهد ان امرك امر نبي واسلم فشتمه اليهود فقال
المنافقون لليهود ان امركم محمد بالجلد فاجلدوا وان امركم بالرجم فلا تقبلوا وهو قوله يقولون ان اوتيتم هذا فخذوه
يعني الجلد وان لم تؤتوه فاحذروا وسلاه عن ذلك بقوله لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر فلما ارادوا الافتراق
تعلقت قريظة بالنضير فقالوا يا ابا القسم وكانوا يكرهون ان يقولوا يا محمد لئلا يوافق ذلك ما في كتابهم من
ذكره هؤلاء اخواننا بنوا النضير اذا قتلوا منا قتيلا لا يعطونا القود واعطونا سبعين وسقا من تمر وان قتلنا
منهم قتيلا اخذوا القود ومعه سبعون وسقا من تمر وان اخذوا الدية اخذوا منا مائة واربعين وسقا وكذلك
جراحاتنا على انصاف جراحاتهم فانزل الله تعالى وان تعرض عنهم فلن يضروك شيئا وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط
فحكم بينهم بالسواء فقالوا لا نرضى بقضائك فانزل الله افحكم الجاهلية يبغون ومن احسن من الله حكما لقوم يوقنون
ثم قال وكيف يحكمونك وعندهم التورية فيها حكم الله شاهدا لك بما يخالفونك ثم فسر ما فيها من حكم الله وكتبنا
عليهم فيها ان النفس بالنفس الآية فان تولوا يعني بني النضير لما قالوا لا نقبل حكمك يصيبهم ببعض ذنوبهم
اجلاؤهم من ديارهم واختلفوا فيمن نزلت هذه الآية وقال السدي نزلت في ابي لبابة الانصاري لقوله لبني قريظة
حين حاصرهم النبي صلى الله عليه وآله انما هو الذبح فلا تنزلوا على حكم سعد وقال عكرمة وعامر الشعبي نزلت في رجل من اليهود
قتل رجلا من اهل دينه فقال القاتل لحلفائهم من المسلمين سلوا لي محمدا فان بعث بالدية اختصمنا اليه وان
كان يأمرنا بالقتل لم نأته وقال ابو هريرة نزلت في عبد الله بن صوريا وذلك انه ارتد بعد اسلامه على ما وصفنا
عن ابي جعفر عليه السلام وقال ابن جريج ومجاهد نزلت في المنافقين وهم السماعون لقوم آخرين والاصح من هذه
الاقوال انها نزلت في ابن صوريا على ما قدمناه عن ابي جعفر عليه السلام وهو اختيار الطبري لانه رواه ابو هريرة والبراء
عازب وهما صحابيان قوله تعالى سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ
عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ
الْمُقْسِطِينَ آية قرأ السحت بضم السين والحاء ابن كثير واهل البصرة والكسائي وابو جعفر والباقون
باسكان الحاء قوله سماعون للكذب في صفة هؤلاء اليهود الذين تقدم وصفهم ورفعه كما رفع سماعون الاول
سواء لانه صفة بعد صفة وقد يجوز النصب في الموضعين على القطع لكن لم تقرأ به وقد فسرنا معنى الكذب

وقوله اكالون للسحت معناه انه يكثر اكلهم للسحت وهو الحرام وروي عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال
السحت الرشوة في الحكم وفي السحت لغتان ضم الحاء واسكانها وقد قرئ بهما على ما بيناه فالسحت اسم للشيء
المسحوت وليس بمصدر والمصدر بفتح السين وقال الحسن سمعوا الكذب واكلوا رشوته وقال ابن مسعود وقتادة و
ابرهيم ومجاهد والضحاك والسدي السحت الرشى وروي عن علي عليه السلام انه قال السحت الرشوة في الحكم ومهر
البغي وعسب الفحل وكسب الحجام وثمن الكلب وثمن الخمر وثمن الميتة وحلوان الكاهن والاستجعال في المعصية
وروي عن ابي هريرة مثله وقال مسروق سئلت عبد الله عن الجور في الحكم قال ذلك الكفر وعن السحت فقال
الرجل يقضي لغيره الحاجة فيهدي له الهدية واصل السحت الاستيصال اسحت الرجل اسحاتا وهو ان يستاصل
كل شيء يقال سحته واسحته اذا استاصله واذهبه قال الفرزدق وعض زمان يا ابن مروان لم يدع
من المال الا مسحتا او مجلف ويقال للحالق اسحت اي استاصل ومنه قوله فيسحتكم بعذاب اي يستاصلكم
به وفلان مسحوت المعدة اذا كان اكولا شرها وقد اسحت ماله اذا افسده واذهبه وفي اشتقاق السحت
اقوال قال الزجاج لانه يعقب عذاب الاستيصال والبوار وقال ابو علي هو حرام لا بركة فيه لاهله لانه
يهلك هلاك الاستيصال وقال الخليل هو القبيح الذي فيه العار نحو ثمن الكلب والخمر فعلى هذا السحت
مروة الانسان وقال بعضهم حرام يحمل عليه الشره فهو كشره المسحوت المعدة وقوله فان جاؤك فاحكم
بينهم او اعرض عنهم قال ابن عباس والحسن ومجاهد وابن شهاب خيره الله تعالى في الحكم بين اليهود في زنا
المحصن وفي رواية اخرى عن ابن عباس وقتادة وابن زيد انه خيره في الحكم بينهم في قتيل قتل من يهود وكلا القولين
قد رواه اصحابنا على ما قدمناه وروي ان عليا عليه السلام دخل في بيت المال فافرط فيه ثم قال لا امسي وفيك درهم
ثم امر رجلا فقسمه بين الناس فقيل له لو عوضته شيئا فقال ان شاء لكنه سحت وفي اختيار الحكام والائمة
الحكم بين اهل الذمة اذا احتكموا اليهم قولان احدهما قال ابرهيم والشعبي وقتادة وعطاء والزجاج و
الطبري وهو المروي عن علي عليه السلام والظاهر في رواياتنا انه حكم ثابت والتخيير حاصل وقال الحسن وعكرمة
ومجاهد والسدي والحكم وجعفر بن مبشر واختاره الجبائي انه منسوخ بقوله وان احكم بينهم بما انزل الله
فنسخ الاختيار واوجب الحكم بينهم بالقسط وهو العدل يقال اقسط اقساطا اذا عدل ان الله يحب المقسطين
يعني العادلين وقسط يقسط قسوطا اذا جار ومنه قوله واما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا اي الجائرون
وقوله وان تعرض عنهم فلن يضروك شيئا اي لا يقدرون لك على ضرر في دين ولا دنيا فدع النظر ان شئت
وان حكمت فاحكم بما انزل الله وقوله وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ
وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ آية بلا خلاف المعنى كيف يحكمك هؤلاء اليهود يا محمد بينهم فيرضوا بك حكما وعندهم
فيها حكم الله الذي انزلها على موسى التي يقرون بها انها كتابي الذي انزلته على نبيي وانه حق وان ما فيه حكم
من حكمي لا يتناكرونه ويعلمونه وهم مع ذلك يتولون اي يتركون الحكم به جرأة علي وعصيانا لي وهذا التعجيب
للنبي صلى الله عليه وآله وفيه تقريع لليهود الذين نزلت فيهم فكانه قال كيف تقرون ايها اليهود بحكم نبيي
محمد مع جحدكم نبوته وتكذيبكم اياه وانتم تتركون حكمي الذي تقرون به انه واجب وانه حق من عند الله
وقوله فيها حكم الله قال ابو علي فيه دليل على انه لم ينسخ لانه لو نسخ لم يطلق عليه بعد النسخ انه حكم الله كما
لا يطلق ان حكم الله تحليل الخمر او تحريم السبت وقال الحسن فيها حكم الله بالرجم وقال قتادة فيها حكم
الله بالقود فان قيل كيف يقولون فيها حكم الله وعندكم انها محرفة مغيرة قلنا على ما قال الحسن وقتادة
لا يتوجه لانها وان كانت مغيرة محرفة لا يمتنع ان يكون فيها هذان الحكمان غير مبدلين وهو رجم
المحصن ووجوب القود ويحتمل ان يكون المراد بذلك فيها حكم الله عندهم لانهم لا يقرون بانها مغيرة
بل يدعون انها هي التي انزلت على موسى عليه السلام بعينها والحكم هو فصل الامر على وجه الحكمة فيما يفصل
به وقد يفصل بالبيان انه الحق وقد يفصل بالزام الحق والاخذ به كما يفصل الحكام بين الخصوم بما يقطع
الخصومة ويثبت القضية وقوله ثم يتولون فالتولي هو الانصراف عن الشيء والتولي عن الحق والترك

له وهو خلاف التولي اليه لانه الاقبال عليه والتولي له فهو ضرب النصرة والمعونة اليه ومنه تولى الله
المؤمنين وقوله من بعد ذلك قال عبد الله بن كثير اشارة الى حكم الله في التورية وقال قوم هو اشارة
الى تحكيمك لانهم ليسوا منه على ثقة وانما طلبوا به الرخصة وقوله وما اولئك بالمؤمنين قيل في معناه
قولان احدهما وما هم بالمؤمنين بحكمك انه من عند الله مع جحدهم نبوتك والعدول عما يعتقدونه حكما
لله فيه لا على من يقرون بنبوته فبين ان حالهم ينافي حال المؤمن به والثاني قال ابو علي ان من طلب
غير حكم الله من حيث لم يرض به فهو كافر بالله وهذه هؤلاء اليهود وقوله تعالى انا انزلنا التورية فيها
هدى ونور يحكم بها النبيون الذين اسلموا للذين هادوا والربانيون والاحبار بما استحفظوا
من كتاب الله وكانوا عليه شهداء فلا تخشوا الناس واخشون ولا تشتروا باياتي ثمنا قليلا ومن لم
يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون ۝ اية عند الجميع ثم اخشوني بالياء في الوصل اهل البصرة
وابو جعفر واسمعيل ويقف يعقوب بالياء اخبر الله تعالى انه الذي انزل التورية فيها هدى اي بيان ان امر النبي
حق وان ما سئلوك عنه في حكم الزانيين حق والقود حق ونور يعني فيها جلاء ما اظلم عليهم وضياء حق ونور
يعني فيها جلاء ما اظلم عليهم وضياء ما التبس عليهم يحكم بها النبيون الذين اسلموا يعني يحكم بالتورية النبيون
الذين اذعنوا بحكم الله واقروا به وقال الحسن وقتادة وعكرمة والزهري والسدي ان النبي صلى الله عليه
واله داخل في ذلك بل قال اكثرهم هو المعني بذلك لما حكم في رجم المحصن ولا يدل ذلك على انه كان متعبدا
بشرع موسى عليه السلام لان الله تعالى هو الذي اوجب عليه بوحي نزله عليه لا بالرجوع الى التورية فصار ذلك شرعا
له وان وافق ما في التورية وانما نبه اليهود بذلك على صحة نبوته من حيث علم ما هو من غامض علم التورية
ومما قد التبس على كثير منهم وهو قد عرف ذلك من غير قراءة كتبهم والرجوع الى علمائهم فلم يكن ذلك الا
باعلام الله له ذلك وذلك منه لا بل صدقه صلى الله عليه واله وقوله للذين هادوا العامل في الذين احد شيئين
احدهما يحكم في قول الزجاج وابي علي وجماعة من اهل التأويل والثاني قال قوم العامل انزلنا كانه قال انزلناها
للذين هادوا والربانيون قد فسرناه فيما مضى وهو جمع رباني وهم العلماء البصراء بسياسة الناس وتدبير امورهم
قال السدي عنى به ابن صوريا وقال الباقون وهو الاولى انه على الجمع والاحبار جمع حبر وهو العالم مشتق من
التحبير وهو التحسين فالعالم يحسن الحسن ويقبح القبيح وقال الفراء اكثر ما سمعت فيه حبر بالكسر وقوله بما استحفظوا
معناه بما استودعوا والعامل في الباء احد سببين احدهما الاحبار كانه قال العلماء بما استحفظوا والثاني
يحكمون بما استحفظوا وقوله وكانوا عليه شهداء قيل في معناه قولان احدهما قال ابن عباس شهداء على حكم النبي
في التورية الثاني شهداء على ذلك الحكم انه الحق من عند الله وقوله فلا تخشوا الناس واخشون قيل في معناه
قولان احدهما لا تخشوهم يا علماء اليهود في كتمان ما انزلت ذهب اليه السدي الثاني لا تخشوهم في الحكم بغير
ما انزلت بل اخشوني فان النفع والضر بيدي ولا تشتروا باياتي ثمنا قليلا معناه لا تاخذوا بترك الحكم الذي
انزلته على موسى ايها الاحبار خسيسا وهو الثمن القليل وانما نهاهم عن اكل السحت على تحريفهم كتاب الله
وتغييرهم حكمه وهو قول ابن زيد والسدي وقوله ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون معناه
من كتم حكم الله الذي انزله في كتابه وجعله حكما بين عباده فاخفاه وحكم بغيره من رجم المحصن والقود
فاولئك هم الكافرون واختلفوا هل الاية على عمومها ام لا فقال ابن مسعود والحسن وابرهيم هي على عمومها
وقال ابن عباس هي في الجاحد لحكم الله وقيل في اليهود خاصة في قول الجبائي لانه قال لا حجة للخوارج فيها
من حيث هي خاصة في اليهود وقال البلخي يجوز ان يكون من بمعنى الذي ويكون للعهد وهو من تقدم ذكره
من اليهود ويحتمل ان يكون خرج مخرج الشتم لا على وجه المجازاة كما يقول القائل من فعل كذا فهو الذي
لا حسب له ولا اصل ولا يريد انه استحق الدناءة بالفعل الذي ذكر وانه انما كان غير حسيب من اجل فعله
وانما يريدون الشتم وان كان قد يفعل ذلك لعارض لحسيب لعظيم الهمة واختار الرماني قول ابن مسعود
غير انه قال الحكم هو فصل الامر على وجه الحكمة عند الحاكم بخلاف ما انزل الله لانه بمنزلة من قال الحكمة

خلاف ما انزل الله والاولى ان تقول هي عامة فيمن حكم بغير ما انزل الله مستحلا لذلك فانه يكون كافرا بلا
بلا خلاف ومتى لم يكن كذلك فالاية خاصة على ما قاله ابن عباس في الجاحدين او ما قاله ابو علي في اليهود و
روى البراء بن عازب عن النبي صلى الله عليه واله ان هذه الايات الثلث ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك
هم الكافرون ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الظالمون ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الفاسقون
في الكفار خاصة وبه قال ابن مسعود وابو صالح وقال ليس في اهل الاسلام منها شيء وبه قال الضحاك وابو
مجلز وعكرمة وقتادة وقال الشعبي نزلت الكافرون في المسلمين والظالمون في اليهود والفاسقون في النصارى
وقال عطاء وطاوس اراد به كفرا دون كفر وظلما دون ظلم وفسقا دون فسق ورووه عن ابن عباس وقال
ابرهيم هي عامة في بني اسرائيل وغيرهم من المسلمين وبه قال الحسن وقد بينا الاقوى من هذه الاقاويل ۝
قوله تعالى وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس والعين بالعين والانف بالانف والاذن بالاذن
والسن بالسن والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم
الظالمون ۝ اية بلا خلاف قرأ الكسائي والعين بالعين والانف بالانف والاذن بالاذن والسن بالسن
بالرفع فيهن وروى ذلك عن النبي صلى الله عليه واله وانه كان يقرأ به وقرأ نافع الاذن والاذنيه بسكون الذال حيث وقع
وقرأ نافع وعاصم وحمزة وخلف ويعقوب والجروح قصاص بالنصب قوله وكتبنا اي فرضنا عليهم يعني اليهود
الذين تقدم ذكرهم فيها يعني في التورية ان النفس بالنفس ومعناه اذا قتلت نفس نفسا اخرى متعمدا انه يستحق
عليها القود اذا كان القاتل عاقلا مميزا وكان المقتول مكافيا للقاتل اما بان يكونا مسلمين حرين او كافرين
او مملوكين فاما ان يكون القاتل حرا مسلما والمقتول كافرا او مملوكا فان عندنا لا يقتل به وفيه خلاف بين الفقهاء و
ان كان القاتل مملوكا او كافرا والمقتول مثله او فوقه فانه يقتل به بلا خلاف وقوله والعين بالعين والانف بالانف
والاذن بالاذن والسن بالسن والجروح قصاص ومن نصب جميع ذلك عطفه على المنصوب بان والاشتراك ثم
استأنف فقال والجروح ومن نصب الجروح عطفها على ما قبلها من المنصوبات ومن لم ينصب غير النفس فعلى
ان ذلك هو المكتوب عليهم ثم ابتدأ ما بعده بيانا مبتدأ ويحتمل ان يكون الواو عاطفة جملة على جملة ولا
يكون الاشتراك فيمن نصبه ويحتمل ان يكون حمل على المعنى لان التقدير قلنا لهم ان النفس بالنفس فحمل العين
بالعين على المعنى دون اللفظ ويحتمل ان يكون عطف على الذكر المرفوع في الظرف الذي هو الخبر وان لم يؤكد
المعطوف عليه بضمير منفصل كما قال لو شاء الله ما اشركنا ولا اباؤنا فلم يؤكد كما اكد في قوله انه يراكم هو و
قبيله ذكر الوجوه الثلثة الزجاج وابو علي الفارسي ومن نصب الجميع جعل الكل فيما كتب عليهم وهذا وان كان
اخبارا من الله انه ما كتب عليهم في التورية فانه لا خلاف ان ذلك ثابت في هذا الشرع ويراعى في قصاص الاعضاء
ما يراعى في قصاص النفس من التكافؤ ومتى لم يكونا متكافئين فلا قصاص على الترتيب الذي رتبناه في النفس
سواء وفيه ايضا خلاف ويراعى في الاعضاء التساوي ايضا فلا تقلع العين اليمنى باليسرى ولا يقطع اليمين با
ليسار ولا تقطع الناقصة بالكاملة فمن قطع يمين غيره وكانت يمين القاطع شلاء قال ابو علي يقال له ان شئت قطعت
يمينه الشلاء او تأخذ دية يدك وقد ورد في اخبارنا ان يساره تقطع اذا لم يكن للقاطع يمين فاما عين الاعور فانها
تقلع بالعين التي قلعها سواء كانت المقلوعة عوراء او لم تكن وان قلعت العين العوراء كان فيها كمال الدية اذا
كانت خلقة او ذهبت بآفة من الله او يقلع احدى عيني القالع ويلزمه مع ذلك نصف الدية وفي ذلك خلاف
ذكرناه في الخلاف واما الجروح فانه يقتص منها اذا كان الجارح مكافيا للمجروح على ما بيناه في النفس ويقتص
بمثل جراحة الموضحة بالموضحة والهاشمة بالهاشمة والمنقلة بالمنقلة ولا قصاص في المأمومة وهي التي ام الرأس
ولا الجائفة وهي التي تبلغ الجوف لان في القصاص منهما تغريرا بالنفس ولا ينبغي ان يقتص من الجراح الا بعد
ان تندمل من المجروح فاذا اندمل اقتص من الجارح وان سرت الى النفس كان فيها القود وكسر العظم لا
قصاص فيه وانما فيه الدية وكل جارحة كانت ناقصة فاذا قطعت كان فيها حكومة ولا يقتص لها الجارحة
الكاملة كيد شلاء وعين لا تبصر وسن سوداء متاكلة فان جميع ذلك حكومة لا تبلغ دية تلك الجارحة وقد

روينا في هذه الاشياء مقدّرا وهو ثلث دية العضو الصحيح وتفصيل احكام الجنايات في الديات استوفيناه في النهاية والمبسوط في الفقه لا نطول بذكرها ههنا وقوله فمن تصدّق به فهو كفارة له الهاء في كفارة له يحتمل عودها الى احد امرين احدهما وهو الاقوى ما قاله عبد الله بن عمرو والحسن وقتادة وابن زيد وابراهيم على خلاف عنه والشعبي بخلاف عنه انها عائدة على المتصدّق من المجروح لو جبرا الله كفّر الله عنه بذلك عقوبة ما مضى من معاصيه الثاني على المتصدّق عليه لانه يقوم مقام اخذ الحق عنه ذهب اليه ابن عباس ومجاهد وانما رجّحنا الاول لان العائد يجب ان يرجع الى مذكور وهو من تصدّق والمتصدّق عليه لم يجر له ذكر ومعنى من تصدّق به عفا عن الحق واسقط فان قيل هل يكفّر الذنب الا التوبة او اجتناب الكبيرة قلنا على مذهبنا يجوز ان يكفر الذنب شيء من افعال الخير ويجوز ان يتفضل الله باسقاط عقابها وقال قوم يجوز ان يكفر الطاعة الصغيرة حتى يسقط بها وقوله ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الظالمون قد بيّنا ان في الناس من قال ذلك يختص باليهود الذين لم يحكموا بما انزل الله في التورية من القود والرجم ويمكن ان يحمل على عمومه في كل من لم يحكم بما انزل الله وحكم بخلافه بانه يكون ظالما لنفسه بارتكاب المعصية الموجبة للعقاب في هذا الوجه يوجب ان ما تقدّم ذكره من الاحكام يجب العمل به في هذا الشرع وان كان مكتوبا في التورية قوله تعالى وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ آية عند الجميع قوله وقفينا معناه اتبعنا يقال قفاه يقفوه قفوا ومنه قافية الشعر لانها تتبع الوزن ومنه القفا وتثنى قفوان واستقفاه اذا قفا اثره ليسلبه والقفي الضيف لانه يقفى بالبر واللطف وقوله على آثارهم فالآثار جمع اثر وهو العمل الذي يظهر للحس وآثار القوم ما ابقوا من اعمالهم ومنه المأثرة وهي المكرمة التي يأثرها الخلف عن السلف لانها عمل يظهر نصا للنفس والاثير الكريم على القوم لانهم يؤثرونه بالبر ومنه الايثار الاختيار لانه اظهار احد العملين على الآخر واستأثر فلان بالشيء اذا اختاره لنفسه والهاء والميم في قوله آثارهم قيل فيمن يرجع اليه قولان احدهما اختاره البلخي والرماني انهما يرجعان الى النبيين الذين اسلموا وقد تقدّم ذكرهم وقال ابو علي يعودان على الذين فرض عليهما الحكم الذي مضى ذكره لانه اقرب والاول احسن في المعنى وهذا اجود في العربية وقوله بعيسى بن مريم مصدّقا لما بين يديه من التورية نصب مصدّقا على الحال والمعنى انه يصدّق ما مضى من التورية التي انزلها الله على موسى ويؤمن بها وانما قال لما مضى قبله بين يديه لانه اذا كان ما يأتي بعده خلفه فالذي مضى قبله قدّامه وبين يديه وقوله وآتيناه الانجيل يعني عيسى انزلنا عليه الانجيل فيه يعني في الانجيل هدى يعني بيان وحجة ونور سمّاه نورا لما فيه من الاهتداء به كما يهتدى بالنور وهدى رفع بالابتداء وفيه خبره قدّم عليه ونور عطف عليه ومصدّقا لما بين يديه من التورية نصب على الحال وليس ذلك بتكرير لان الاول حال لعيسى وانه يدعو الى التصديق بالتورية والثاني ان في الانجيل ذكر التصديق بالتورية وهما مختلفان وهدى في موضع نصب بالعطف على مصدّقا وموعظة عطف على هدى للمتقين انما اضافه الى المتقين لانهم المنتفعون بها وقد مضى مثل ذلك فيما مضى والمتقون هم الذين يتقون معاصي الله وترك واجباته خوفا من عقابه والوعظ والموعظة هو الزجر عما كرهه الله الى ما يحبه والتنبيه عليه قوله تعالى وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ آية قرأ حمزة وليحكم بكسر اللام ونصب الميم الباقون بجزم الميم وسكون اللام على الامر حجة حمزة انه جعل اللام متعلقة بقوله وآتيناه الانجيل لان ايتائه الانجيل انزال ذلك عليه فصار كقوله انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس وحجة من جزم الميم انه جعله امرا مبتدأ له قوله وان احكم بينهم بما انزل الله فكما امر النبي عليه السلام بالحكم بما انزل عليه كذلك امر عيسى بالحكم بما انزل الله في الانجيل وفي معنى الامر قولان احدهما وقلنا ليحكم اهل الانجيل فيكون على حكاية ما فرض عليهم وحذف القول لدلالة ما قبله في قوله فعلنا وفعلنا كما قال والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم اي يقولون سلام عليكم الثاني انه استأنف الامر لاهل الانجيل على غير حكاية لان احكامه كانت

موافقة لاحكام القرآن ولم ينسخ بعده هذا قول ابي علي والاول اقوى وهو اختيار الرماني وقوله بما انزل الله فيه يعني الانجيل وهو يذكّر ويؤنّث والانجيل افعيل من النجل وهو الاصل والنجل النز من الماء والنجل الولد والنجل القطع ومنه سمّي المنجل وقرأ الحسن انجيل بفتح الهمزة وهو شاذ وهو ضعيف لانه ليس في كلام العرب شيء على وزن افعيل وانما جزمت لام الامر ونصبت لام كي لان لام الامر يوجب معنى لا يكون للاسم فاوجبت اعرابا لا يكون للاسم ولام كي يقدّر بعدها ان بمعنى الاسم وقوله ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الفاسقون قيل فيه قولان احدهما قال ابو علي ان من بمعنى الذي وهو خبر عن قوم معروفين وهم اليهود الذين تقدّم ذكرهم الثاني قال غيره ان ذلك خرج مخرج المجازاة والمعنى ان من لم يحكم بما انزل الله من المكلفين فهو فاسق لان الطلاق الصفة يدل على انه ذهب الى ان الحكمة في خلاف ما امر الله به فلهذا كان كافرا وقال ابن زيد الفاسقون ههنا وفي اكثر القرآن بمعنى الكاذبين كقوله ان جاءكم فاسق يعني كاذب قوله تعالى وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ آية بلا خلاف هذا خطاب للنبي صلى الله عليه وآله بانه تعالى انزل اليه الكتاب يعني القرآن بالحق مصدّقا نصب على الحال يصدّق ما بين يديه من الكتاب يعني التورية والانجيل وما فيهما من توحيد الله وعدله والدلالة على نبوّته والحكم بالرجم والقود على ما تقدّم ذكره وفيه دلالة على ان ما حكى الله انه كتبه عليهم في التورية حكم يلزمنا العمل به لانه جعل القرآن مصدّقا لذلك ومهيمنا عليه قيل في معنى المهيمن خمسة اقوال احدها قال ابن عباس والحسن وقتادة ومجاهد معناه امين عليه وشاهد وقال قوم مؤتمن وقال آخرون شاهد وقال آخرون حفيظ وقال بعضهم رقيب والاصل فيه مؤيمن فقلبت الهمزة هاء كما قيل في ارقت الماء هرقت هذا قول ابي العباس والزجاج وقد صرّف فقيل هيمن الرجل اذا ارتقب وحفظ وشهد يهيمن هيمنة فهو مهيمن وقال بعضهم مهيمنا بفتح الميم الثانية وهو شاذ وفي معنى المهيمن ههنا قولان قال ابن عباس والحسن واكثر المفسرين انه صفة الكتاب الثاني قال مجاهد هو صفة النبي صلى الله عليه وآله والاول اقوى لاجل حرف العطف لانه قال فانزلنا اليك الكتاب بالحق مصدّقا لما بين يديه من الكتاب ثم قال ومهيمنا ولا يجوز ان يعطف على حال لغير الاول لا تقول ضربت هندا قاعدا وقائمة ولو قلت قائمة بلا واو لكان جائزا ويجوز ان يكون عطفا على مصدّقا ويكون مصدّقا حالا للنبي والاول اظهر وقوله فاحكم بينهم بما انزل الله وقال ابن عباس والحسن ومسروق يدل على ان اهل الكتاب اذا ترافعوا الى الحكام يجب ان يحكموا بينهم بحكم القرآن وشريعة الاسلام لانه امر من الله تعالى بالحكم بينهم والامر يقتضي الايجاب قال ابو علي ذلك نسخ التخيير في الحكم بين اهل الكتاب والاعراض عنهم والترك وقوله ولا تتبع اهواءهم نهي له صلى الله عليه عن اتباع اهوائهم في الحكم ولا يدل ذلك على انه كان اتبع اهواءهم لانه مثل قوله لئن اشركت ليحبطن عملك ولا يدل ذلك على ان الشرك كان وقع منه وقوله عما جاءك من الحق اي لا تتبع اهواءهم عادلا عما جاءك من الحق وقوله لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا فالشرعة والشريعة واحد وهي الطريقة الظاهرة والشريعة هي الطريق الذي يوصل منه الى الماء الذي فيه الحياة فقيل الشريعة في الدين اي الطريق الذي يوصل منه الى الحياة في النعيم وهي الامور التي تعبّد الله عز وجل بها من جهة السمع قال الشاعر اتنسونني يوم الشريعة والقنا بصفين في لباتكم قد تكسّرا يريد شريعة الفرات والاصل فيه الظهور اشرعنا القنا اذا اظهرت وشرعت في الامر شروعا اذا دخلت فيه دخولا ظاهرا والقوم في الامر شرع سواء اي متساوون والمنهاج الطريق المستمر يقال طريق نهج ومنهج اي بيّن قال الراجز من يك ذا شك فهذا فلج ماء رواء وطريق نهج وقال المبرد الشرعة ابتداء الطريق والمنهاج الطريق المستمر قال وهذه الالفاظ اذا تكررت فلزيادة فائدة منه ومنه قول الحطيئة الا حبذا هند وارض هند وهند اتى من دونها النأي والبعد قال فالنأي لما قل بعده والبعد لما كثر بعده فالنأي المفارقة وقد جاء بمعنى واحد قال الشاعر حييت من طلل تقادم عهده اقوى واقفر بعد ام الهيثم

واقفر واقوى معناها خلا وقال ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة والضحاك شرعة ومنهاجا اى سنة وسبيلا
والشرعة التى جعلنا لكل قيل فيه قولان احدهما قال مجاهد شريعة القرآن لجميع الناس لو امنوا به الثانى قال قتادة
وغيره واختاره الجبائى انه شريعة التورية وشريعة الانجيل وشريعة القرآن وقوله منكم قيل فى المعنى به قولان
احدهما امة نبينا وامم الانبياء قبله على تغليب المخاطب على الغايب الثانى انه اراد امة نبينا وحده وهو قول مجاهد
والاول اقوى لانه تعالى بين انه جعل لكل شرعة ومنهاجا غير شرعة صاحبه ويقوى ذلك قوله ولو شاء الله
لجعلكم امة واحدة ولو كان الامر على ما قال مجاهد لما كان لذلك معنى لانه تعالى قد جعلهم امة واحدة بان
امرهم بالدخول فيها والانقياد لها وقوله ولو شاء الله لجعلهم امة واحدة قيل فى معناه اقوال احدها قال
الحسن والجبائى انه اخبار عن القدرة كما قال ولو شئنا لآتينا كل نفس هديها الثانى قال البلخى معناه لو
شاء الله لفعل بهم ما يختارون عنده الكفر لكنه لا يفعله لانه مناف للحكمة ولا يلزم على ذلك ان يكون فى مقدوره
ما يؤمنون عنده فلا يفعله لان ذلك لو كان مقدورا لوجب ان يفعله ما لم يناف التكليف الثالث قال قوم
لو شاء الله لجمعهم على ملة واحدة فى دعوة جميع الانبياء والاول اصح لان دعوة الانبياء تابعة للمصالح فلا
يمكن جمع الناس على شريعة واحدة مع اختلاف المصالح الرابع قال الحسين بن على المغربى معناه لو شاء الله لم
يبعث اليهم نبيا فيكونون متعبدين بما فى العقل ويكونون امة واحدة واقوى الوجوه اولها وقوله ولكن ليبلوكم
فيما آتاكم معناه ليختبركم بما كلفكم من العبادات وهو عالم بما يؤول اليه امركم لانه عالم لنفسه وقد فسرنا معنى البلوى
فيما مضى فاستبقوا الخيرات قيل فى معناه قولان احدهما بادروا فوت الحظ بالتقدم فى الخير الثانى بادروا الفوت
بالموت ذكره الجبائى وقوله الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون اى الى الله مرجعكم يعنى الى الموضع الذى
لا يملك احد فيه لكم ضرا ولا نفعا غيره فجعل رجوعهم الى هذا الحد بالموت رجوعا اليه تعـ وبين انه يعلمهم ما
كانوا يختلفون فيه فى الدنيا من امر دينهم وانه يحكم فى ذلك بينهم بالحق قوله تعالى وَاَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا
اَنْزَلَ اللّٰهُ وَلَا تَتَّبِعْ اَهْوَاۤءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ اَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا اَنْزَلَ اللّٰهُ اِلَيْكَ فَاِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ اَنَّمَا
يُرِيدُ اللّٰهُ اَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَاِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ آية بلا خلاف موضع ان احكم
نصب والعامل فيها وانزلنا والتقدير وانزلنا اليك ان احكم بينهم بما انزل الله ويجوز ان يكون موضعها
رفعا وتقديره ومن الواجب ان احكم بينهم بما انزل الله ووصلت ان بالامر ولا يجوز صلة الذى بالامر لان
الذى اسم ناقص عرف صلته فى البيان عنه فتجرى صفة النكرة ولذلك لا بد لها من عايد يعود اليها وليس كذلك
ان لانها حرف وهى مع ما بعدها بمنزلة شئ واحد فلما كان فى فعل الامر معنى المصدر جاز وصل الحرف به على
معنى مصدره وانما كرر الامر بالحكم بينهم لامرين احدهما انهما حكمان امر بهما جميعا لانهم احتكموا اليه فى زنا
المحصن ثم احتكموا اليه فى قتيل كان منهم ذكره ابو على وهو المروى عن ابى جعفر عليه السلام الثانى ان الامر الاول
مطلق والثانى دل على انه منزل فى قوله ولا تتبع اهواءهم نهى له عليه السلام ان يتبع اهواءهم فيحكم بما يهوونه
وقوله واحذرهم ان يفتنوك عن بعض ما انزل الله اليك فى معناه قولان احدهما قال ابن عباس احذرهم
ان يضلوك عن ذلك الى ما يهوون من الاحكام اطماعا منهم فى الاستجابة الى الاسلام الثانى قال ابن زيد احذرهم ان
يضلوك بالكذب على التورية بما ليس فيها فانى قد بينت لك حكمها وقال الشعبى الآية وان خرجت مخرج الكلام على اليهود
فان المجوس داخلون فيها وقوله فان تولوا معناه فان اعرضوا عن حكمك بما انزل الله فاعلم انما يريد الله ان
يصيبهم ببعض ذنوبهم قيل فى معناه اربعة اقوال احدها قال الجبائى انه وان ذكر لفظ الخصوص فان المراد
به العموم كما قد يذكر العموم ويراد به الخصوص الثانى انه على تغليظ العقاب اى يكفى ان يؤخذوا ببعض
ذنوبهم فى اهلاكهم والتدمير عليهم الثالث ان يعجل بعض العقاب بما كان من التمرد فى الاجرام لان
ذلك من حكم الله فى العباد الرابع قال الحسن ان المراد به اجلاء بنى النضير بنقض العهد وقتل بنى قريظة
وقوله وان كثيرا من الناس لفاسقون معناه تسلية للنبى صلى الله عليه وآله عن اتباع هؤلاء القوم الى
اجابته والاقرار بنبوته بان قليلا من الناس الذين يؤمنون وان الاكثر هم الفاسقون فلا ينبغى ان يعظم

ذلك عليك قوله تعالى اَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ اَحْسَنُ مِنَ اللّٰهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ آية بلا خلاف
قرا تبغون بالتاء ابن عامر وحده الباقون بالياء من قرا بالتاء فعلى معنى قل لهم ومن قرا بالياء فلان ما قبله
على لفظ الغيبة وهو قوله وان كثيرا من الناس لفاسقون فحملوا عليه والكناية فى قوله افحكم الجاهلية
يبغون قيل فيها قولان احدهما ان كناية عن اليهود فى قول مجاهد وابو على قال ابو على لانهم كانوا اذا
وجب الحكم على ضعفائهم الزموهم اياه واذا وجب على اقويائهم بالغنى والشرف فى الدنيا لم يأخذوهم
به فقيل لهم افحكم الجاهلية يعنى عبدة الاوثان تبغون وانتم اهل كتاب الثانى انها كناية عن كل من طلب
غير حكم الله اى انما خرج منه الى حكم الجاهلية وكفى بذلك خزيا ان يحكم بما يوجبه الجهل دون ما يوجبه العلم
ونصب افحكم بيبغون وهو مفعول به ومعنى يبغون يطلبون يقال بغى يبغى بغيا اذا طلبه والبغاة هم الذين يطلبون
التأمر على الناس والترأس بغير حق والبغى الفاجرة لانها تطلب الفاحشة ومنه قوله ومن بغى عليه لينصرنه الله
اى من طلب عليه الاستعلاء بالظلم وقوله ومن احسن من الله حكما نصب على التمييز اى فصلا بين الحق والباطل
من غير محاباة ولا مقاربة لانه لا يجوز للحاكم ان يحابى فى الحكم بان يعمل على ما يهواه بدلا مما يوجبه العدل
وقد يكون حكم احسن من حكم بان يكون اولى منه وافضل منه وكذلك لو حكم بحق يوافق هواه كان ما يخالف
هواه احسن مما يوافقه وقوله لقوم يوقنون معناه عند قوم يوقنون بالله وبحكمه فاقيمت اللام مقام عند هذا
قول ابى على وهذا جائز اذا تقاربت المعانى ولم يقع اللبس لان حروف الصفات تقوم بعضها مقام بعض بيناه
فى الجزء الرابع قوله تعـ يَا اَيُّهَا الَّذِينَ اٰمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارٰى اَوْلِيَاۤءَ بَعْضُهُمْ اَوْلِيَاۤءُ بَعْضٍ وَمَنْ
يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَاِنَّهُ مِنْهُمْ اِنَّ اللّٰهَ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ

يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء بعضهم اولياء بعض ومن يتولهم
منكم فانه منهم ان الله لا يهدي القوم الظالمين **اقول** قوله اولياء بعضهم اولياء بعض اخبار منه تعالى
ان الكفار يوالي بعضهم بعضا وقوله ومن يتولهم منكم يعني من استنصرهم واتخذهم انصارا فانه منهم اي يحكم
له بحكمهم في وجوب لعنه والبراءة منه ويحكم بانه من اهل النار وقوله ان الله لا يهدي القوم الظالمين معناه
لا يهديهم الى طريق الجنة لكفرهم واستحقاقهم العذاب الدائم بل يضلهم عنها الى طريق النار هذا قول ابي علي
وقال غيره معناه لا يحكم لهم بحكم المؤمنين في المدح والثناء والنصرة على الاعداء **قوله تعالى** فترى الذين
في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى ان تصيبنا دائرة فعسى الله ان ياتي
بالفتح او امر من عنده فيصبحوا على ما اسروا في انفسهم نادمين اية بلا خلاف هذا خطاب للنبي عليه
السلام اعلمه الله انه يرى الذين في قلوبهم مرض اي شك ونفاق يقولون في موضع الحال وتقديره قائلين نخشى
ان تصيبنا دائرة والذين يخشون ان تصيبهم دائرة قيل فيه قولان **احدهما قال** مجاهد وقتادة والسدي وابو
علي الجبائي انهم قوم من المنافقين وقال عطية بن سعد بن عبادة بن الوليد بن عبادة الصامت انه عبد الله بن ابي
سلول والدائرة الدولة ههنا التي تتحول الى من كانت له عمن هي في يده قال الشاعر وفيه بيت
يرد عنك القدر المقدورا ۝ ودائرات الدهر ان تدورا
يعني دول الدهر الدائرة من قوم الى قوم وقوله فعسى الله ان ياتي بالفتح عسى موضوعة في اللغة للشك وهي من الله
تعالى يفيد الوجوب لان الكريم اذا اطمع في خير يفعله فهو بمنزلة الوعد به في تعلق النفس به ورجائها له ولذلك حق
لا يضيع ومنزلة لا يخيب والفتح القضاء والفصل وهو قول قتادة ومنه قوله افتح بيننا وبين قومنا بالحق **وقال** ابو
علي هو فتح بلاد المشركين على المسلمين **وقال** السدي هو فتح مكة ويقال للحاكم الفتاح لانه يفتح الحكم ويفصل
الامر وقوله او امر من عنده قيل فيه ثلثة اقوال **قال** السدي هو تجديد امر فيه اذلال المشركين وعز للمؤمنين وقيل
هو الجزية وقيل هو اظهار نفاق المنافقين مع الامر بقتالهم في قول الحسن والزجاج **وقال** ابو علي هو امر دون الفتح
الاعظم او موت هذا المنافق لانه اذا اتى الله المؤمنين ذلك ندم المنافقون والكفار على تفويتهم بانفسهم ذلك
كذلك اذا ماتوا وتحققوا ما يصيرون اليه من العقاب ندموا على ما فعلوه في الدنيا من الكفر والنفاق **قوله تعالى**
ويقول الذين امنوا اهؤلاء الذين اقسموا بالله جهد ايمانهم انهم لمعكم حبطت اعمالهم
فاصبحوا خاسرين اية **اقول** قرا ابن كثير وعامر ونافع يقول بلا واو والباقون بالواو وكلهم قرا بضم اللام الا
ابا عمرو فانه فتحها من نصب اللام فالمعنى عسى ان يقول ومن رفعه فعلى الاستيناف فان قيل كيف يجوز النصب ولا
يجوز ان يقول عسى الله ان يقول الذين امنوا قيل **قال** ابو علي الفارسي يحتمل ذلك امرين غير هذا احدهما ان يحمله على المعنى
لانه اذا قال عسى الله ان ياتي بالفتح فكانه قال عسى ان ياتي الله بالفتح ويقول الذين امنوا كما قال فاصدق واكن كانه
قال اصدق واكن وقد جاء مثله نحو قوله وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم **وقال**
عسى الله ان يكف باس الذين كفروا ووجه اخر وهو ان يبدل ان ياتي من اسم الله كما ابدلت ان من الضمير الذي في قوله
وما انسانيه الا الشيطان ان اذكره فاذا ابدلته فكانك قلت عسى ان ياتي الله بالفتح ويقول الذين امنوا واما من رفع فلانه
عطف جملة على جملة ولم يجعلها عاطفة على مفرد ويقوي الرفع قراءة من قرا بلا واو واما اسقاط الواو واثباتها فجميعا
حسنان اما الحذف فلان في الجملة المعطوفة ذكرا من المعطوف عليها وذلك ان من وصف بقوله يسارعون فيهم يقولون
نخشى ان تصيبنا دائرة الى قوله نادمين هم الذين قال فيهم اهؤلاء الذين اقسموا بالله جهد ايمانهم انهم لمعكم حبطت
اعمالهم فلما صار في كل واحدة من الجملتين ذكر فيما تقدم من الاخرى حسن عطفها بالواو وبغير الواو كما ان قوله

انصارا

نتحول

يحمل

في سورة المنافقين والتقدير ان اخرتني اصدق اي تصدق بمالي واكن من الصالحين

سيقولون ثلثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم لما كان في كل واحدة من الجملتين ذكر مما تقدم
اكتفى بذلك عن الواو ويدل على حسن اثبات الواو قوله ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم وقوله ويقول الذين امنوا الذين
صدقوا بالله ورسوله ظاهرا وباطنا تعجبا من نفاق المنافقين اهؤلاء الذين اقسموا بالله جهد ايمانهم انهم لمعكم في معاونتكم
على اعدائكم ونصرتكم حبطت اعمالهم اي ضاعت اعمالهم التي عملوها لانهم اوقعوها على خلاف الوجه المامور به لان ما
فعلوه فعلوه على وجه النفاق دون التقرب به الى الله وقوله فاصبحوا خاسرين ليس المراد به معنى الصباح وانما معناه
صاروا خاسرين ومثل ذلك قولهم ظل فلان يفعل كذا وبات يفعل كذا وليس يراد وقت بعينه وانما وصفهم بالخسران
لانهم فوتوا انفسهم الثواب واستحقوا عوضا منه العقاب فاي خسران اعظم من ذلك **قوله تعالى** يا ايها الذين
امنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف ياتي الله بقوم يحبهم ويحبونه اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين يجاهدون
في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم اية بلا خلاف اقول
قرا نافع واهل المدينة يرتدد بدالين وبه قرا ابن عامر وكذلك هو في مصاحفهم الباقون بدال واحدة مشددة
وكذلك هي في مصاحفهم من اظهر ولم يدغم قال لان الحرف المدغم لا يكون الا ساكنا ولا يمكن الادغام في الحرف
الذي يدغم حتى يسكن لان اللسان يرتفع عن المدغم والمدغم فيه ارتفاعة واحدة فاذا لم يسكن لم يرتفع اللسان
ارتفاعة واحدة واذا لم يرتفع كذلك لم يمكن الادغام فاذا كان كذلك لم يسغ الادغام في الساكن لان المدغم
اذا كان ساكنا والمدغم فيه كذلك التقى ساكنان والتقاء الساكنين في الوصل في هذا النحو ليس من كلامهم
فاظهر الحرف الاول في حركته واسكن الثاني من المثلين وهذه لغة اهل الحجاز فلم يلتق الساكنان وحجة من ادغم
انه لما اسكن الحرف الاول من المثلين للادغام لم يمكنه ان يدغمه في الثاني والثاني ساكن ساكن فحركه المدغم
فيه لالتقاء الساكنين وهذه لغة بني تميم وفي القران نظيره قال الله تعالى ومن يشاقق الرسول وقال ومن
يشاق الله ورسوله واختلفوا فيمن نزلت هذه الاية على اربعة اقوال فقال الحسن وقتادة والضحاك وابن
جريج انها نزلت في ابي بكر الثاني قال السدي نزلت في الانصار الثالث قال مجاهد نزلت في اهل اليمن وروي
ذلك عن النبي صلى الله عليه واله واختاره الطبري لمكان الرواية وروي انهم قوم ابي موسى الاشعري وكانت
وفودهم قد اتت ايام عمر وكان لهم في نصرة الاسلام اثر وقال ابو جعفر وابو عبد الله وروي ذلك عن عمار وحذيفة
وابن عباس انها نزلت في اهل البصرة ومن قاتل عليا عليه السلام فروي عن امير المؤمنين عليه السلام انه قال
يوم البصرة والله ما قوتل اهل هذه الاية حتى اليوم وتلا هذه الاية ومثل ذلك روي حذيفة وعمار وغيرهما
والذي يقوي هذا التاويل ان الله تعالى وصف من عناه بالاية باوصاف وجدنا امير المؤمنين عليه السلام مستكملا
لها بالاجماع لانه قال يا ايها الذين امنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف ياتي الله بقوم يحبهم ويحبونه اذلة على
المؤمنين وقد شهد النبي عليه السلام لامير المؤمنين عليه السلام بما يوافق لفظ الاية في قوله وقد ندب لفتح خيبر بعد فرار
من فر عنها واحد بعد واحد لاعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله كرارا غير فرار
لا يرجع حتى يفتح الله على يده فدفعها الى امير المؤمنين فكان من ظفره ما وافق خبر الرسول عليه السلام ثم قال اذلة
على المؤمنين اعزة على الكافرين فوصف من عناه بالتواضع للمؤمنين والرفق بهم والعزة على الكافرين و
العزيز على الكافرين هو الممتنع من ان ينالوه مع شدة نكايته فيهم ووطاته عليهم وهذه اوصاف امير المؤمنين
التي لا يدانى فيها ولا يقارب ثم قال يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم فوصف جل اسمه من عناه
بهذا الجهاد ومعلوم بالتفضيل الغلبة فيه وقد علمنا ان اصحاب الرسول عليه السلام بين رجلين رجل لا غناء في الحرب له
جهاد واخر له جهاد وغناء ونحن نعلم قصور كل مجاهد عن منزلة امير المؤمنين عليه السلام في الجهاد فانهم مع علو منزلتهم
في الشجاعة وصدق الباس لا يلحقون منزلته ولا يقاربون رتبته لانه صلى الله عليه واله المعروف بتفريج الغمم و
كشف الكرب عن وجه الرسول عليه السلام وهو الذي لم يحجم قط عن قرن ولا نكص عن هول ولا ولى الدبر وهذه
حالة لم تسلم لاحد قبله ولا بعده فكان عليه السلام بالاختصاص بالاية اولى لمطابقة اوصافه لمعناها فاما من قال
انها نزلت في ابي بكر فقوله بعيد من الصواب لانه تعالى اذا كان وصف من اراده بالاية بالعزة على الكافرين بالجهاد

فى سبيله مع اطراح خوف اللوم كيف يجوز ان يظن عاقل توجه الاية الى من لم يكن له حظ فى ذلك الموقف لان المعلوم
ان ابا بكر لم يكن له نكاية فى المشركين ولا قتيل فى الاسلام ولا وقف فى شئ من حروب النبى عليه السلام موقف اهل
الباس والعنا بل كان الفرار شيمته والهرب ديدنه وقد انهزم عن النبى عليه السلام فى مقام بعد مقام فانهزم يوم
احد ويوم حنين وغير ذلك فكيف يوصف بالجهاد فى سبيل الله على ما يوصف فى الاية من لا جهاد له جملة و
هل العدول بالاية عن امير المؤمنين عليه السلام مع العلم الحاصل بموافقة اوصافه لها الى غيره الا عصبية ظاهرة
ولم نذكر هذا طعنا على ابى بكر رضى الله عنه ولا بحطه عن حقه لان اعتقادنا فيه اجل شئ بل البسر فى
الاية دلالة على ما قال ومعنى اذلة اى اهل لين ورقة على المؤمنين اعزة اى اهل جفاء وغلظة على الكافرين و
الذل بكسر الذال غير الذل بضمها لان الاول اللين والانقياد والثانى الهوان والاستخفاف وروى عن على
عليه السلام وابن عباس رحمة الله عليه ان معنى اذلة اهل رحمة ورقة ومعنى اعزة اهل غلظ وشدة وقال الاعمش
اذلة يعنى ضعفا ومحبة الله تعالى لخلقه هى ارادة ثوابهم واكرامهم واجلالهم ومحبتهم له ارادتهم لشكره و
طاعته وتعظيمه والتوبة عندنا على ضربين مرتد عن فطرة الاسلام فانه يجب القتل ولا يستتاب ويقسم ماله
بين ورثته وتعتد منه زوجته عدة الوفاة من يوم ارتد والاخر من كان اسلم عن كفر ثم ارتد فهذا يستتاب فان
تاب والا وجب عليه القتل فان لحق بدار الحرب اعتدت منه زوجته عدة الطلاق فان رجع الى الاسلام فى زمان
العدة كان املك بها وان لم يرجع وانقضت العدة فقد ملكت نفسها ولا سبيل له عليها وان رجع فيما بعد و
اما المرأة فانها تستتاب على كل حال فان تابت والا حبست حتى تموت وفى ذلك خلاف قد بيناه فى مسائل
الخلاف فاما من يعتقد الجبر والتشبيه وازلية صفات قديمة معه فهو كافر بلا خلاف بين اهل العدل واختلفوا فمنهم
من قال حكمه حكم المرتد يستتاب فان تاب والا قتل ومنهم من قال يستتاب ولا يقتل لانه لم يخرج عن الملة لاقراره
بالشهادتين وقوله يُجَاهِدُونَ فِى سَبِيلِ اللّٰهِ صفة للقوم الذين وعد الله ان ياتى بهم ان ارتد واو قوله وَلَا يَخَافُونَ
لَوْمَةَ لَائِمٍ اى لا يخشون لوم احد وعذله ولا يصدهم ذلك عن العمل بما امرهم الله به ذلك اشارة الى هذا النعت
الذى نعتهم به اى ذلك فضل من الله وتيسير منه ولطف منه ومنة من جهته وَاللّٰهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ يعنى جواد على من يجود
به عليه لا يخاف نفاد ما عنده عليم بموضع جوده وعطائه فلا يبذله الا لمن يقتضى الحكمة اعطاءه **قوله**
تعالى اِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللّٰهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِيْنَ اٰمَنُوا الَّذِيْنَ يُقِيْمُوْنَ الصَّلٰوةَ وَيُؤْتُوْنَ الزَّكٰوةَ وَهُمْ رٰكِعُوْنَ
اية بلا خلاف **اقول** اختلفوا فيمن نزلت هذه الاية فيه فروى ابو بكر الرازى فى كتاب احكام القران على
ما حكاه المغربى عنه والطبرى والرمانى ومجاهد والسدى انها نزلت فى على عليه السلام حين تصدق بخاتمه
وهو راكع وهو قول ابى جعفر وابى عبد الله عليهما السلام وجميع علماء اهل البيت وقال الحسن والجبائى انها نزلت
فى جميع المؤمنين وقال قوم نزلت فى عبادة بن الصامت فى تبريه من يهود بنى قينقاع وحلفهم الى رسول الله
والمؤمنين وقال الكلبى نزلت فى عبد الله بن سلام واصحابه لما اسلموا فقطعت اليهود موالاتهم فنزلت الاية
واعلم ان هذه الاية من الادلة الواضحة على امامة امير المؤمنين عليه السلام بعد النبى بلا فصل ووجه الدلالة
فيها انه قد ثبت ان الولى فى الاية بمعنى الاولى والاحق وثبت ايضا ان المعنى بقوله والذين امنوا امير المؤمنين
عليه السلام فاذا ثبت هذان الاصلان دل على امامته لان كل من قال ان معنى الولى فى الاية ما ذكرناه قال انها
خاصة فيه ومن قال باختصاصها به عليه السلام قال المراد بها الامامة فان قيل دلوا اولا على ان الولى يستعمل فى
اللغة بمعنى الاولى والاحق ثم على ان المراد به فى الاية ذلك ثم دلوا على توجهها الى امير المؤمنين عليه السلام قلنا
الذى يدل على ان الولى يفيد الاولى قول اهل اللغة للسلطان المالك للامر فلان ولى الامر قال الكميت

ونعم ولى الامر بعد وليه ‏ ‏ ومنتجع التقوى ونعم المؤدب

قال ويقولون فلان ولى عهد المسلمين اذا استخلف للامر لانه اولى بمقام من قبله من غيره وقال النبى عليه السلام ايما
امرأة نكحت بغير اذن وليها فنكاحها باطل يريد من هو اولى بالعقد عليها وقال تعالى فَهَبْ لِىْ مِنْ لَّدُنْكَ وَلِيًّا
يَّرِثُنِىْ وَيَرِثُ مِنْ اٰلِ يَعْقُوْبَ يعنى من يكون اولى بحيازة ميراثى من بنى العم وقال المبرد الولى والاولى والاحق
والمولى

والمولى بمعنى واحد والامر فيما ذكرناه ظاهر فاما الذى يدل على ان المراد به فى الاية ما ذكرناه هو ان
الله تعالى نفى ان يكون لنا ولى غير الله وغير رسوله والذين امنوا بلفظة انما ولو كان المراد به الموالاة
فى الدين لما خص بها المذكورين لان الموالاة فى الدين عامة فى المؤمنين كلهم قال الله تعالى وَالْمُؤْمِنُوْنَ
وَالْمُؤْمِنٰتُ بَعْضُهُمْ اَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وانما قلنا ان لفظة انما يفيد التخصيص لان القائل اذا قال انما لك
عندى درهم فهم منه نفى ما زاد عليه وقام مقام قوله ليس لك عندى الا درهم ولذلك يقولون انما
النحاة المدققون البصريون ويريدون نفى التدقيق عن غيرهم ومثله قولهم انما السخاء حاتم يريدون نفى
السخاء عن غيره قال الاعشى يمدح عامر بن علقمة ويذم علقمة

ولست بالاكثر منهم حصى ‏ ‏ وانما العزة للكاثر

اراد نفى العزة عمن ليس بكاثر واحتج الانصار بما روى عن النبى عليه السلام انه قال انما الماء من الماء
فى نفى الغسل من غير الانزال وادعى المهاجرون نسخ الخبر فلولا ان الفريقين فهموا التخصيص لما كان الا
كذلك ولقالوا انما لا يفيد الاختصاص بوجوب الماء من الماء ويدل ايضا على ان الولاية فى الاية
مختصة انه قال وليكم فخاطب به جميع المؤمنين ودخل فيه النبى عليه السلام وغيره ثم قال ورسوله فاخرج النبى
عليه السلام من جملتهم لكونهم مضافين الى ولايته فلما قال وَالَّذِيْنَ اٰمَنُوا وجب ايضا ان يكون الذى خوطب بالاية
غير الذى جعلت له الولاية والا ادى الى ان يكون المضاف هو المضاف اليه وادى الى ان يكون كل واحد
منهم ولى نفسه وذلك محال واذا ثبت ان المراد بها فى الاية ما ذكرناه فالذى يدل على ان امير المؤمنين
عليه السلام هو المخصوص بها اشياء منها ان كل من قال ان معنى الولى فى الاية معنى الاحق قال انه هو
المخصوص به ومن خالف فى اختصاص الاية يجعل الاية عامة فى المؤمنين وذلك قد ابطلناه ومنها ان
الطائفتين المختلفتين الشيعة واصحاب الحديث رووا ان الاية نزلت فيه عليه السلام خاصة ومنها ان الله تعالى وصف
الذين امنوا بصفات ليست حاصلة الا فيه لانه قال وَالَّذِيْنَ اٰمَنُوا الَّذِيْنَ يُقِيْمُوْنَ الصَّلٰوةَ وَيُؤْتُوْنَ الزَّكٰوةَ
وَهُمْ رٰكِعُوْنَ فبين ان المعنى بالاية هو الذى اتى الزكوة فى حال الركوع واجمعت الامة على انه لم يؤت الزكوة
فى حال الركوع غير امير المؤمنين ع وليس لاحد ان يقول ان قوله وَهُمْ رٰكِعُوْنَ ليس هو حالا لايتاء الزكوة
بل المراد به ان من صفتهم ايتاء الزكوة لان ذلك خلاف لاهل العربية لان القائل اذا قال لغيره لقيت
فلانا وهو راكب لم يفهم منه الا لقاءه له فى حال الركوب ولم يفهم منه ان من شانه الركوب واذا قال رايته
وهو جالس او جاءنى وهو ماش لم يفهم من ذلك كله الا موافقته رؤيته فى حال الجلوس او مجيئه ماشيا
واذا ثبت ذلك وجب ان يكون حكم الاية مثل ذلك فان قيل ما انكرتم ان يكون الركوع المذكور فى الاية
المراد به الخضوع كانه قال يؤتون الزكوة خاضعين متواضعين كما قال الشاعر **شعر**

لا تهين الكريم علك ان ‏ ‏ تركع يوما والدهر قد رفعه

والمراد علك ان تخضع قلنا الركوع هو التطاطؤ المخصوص وانما يقال للخضوع ركوع تشبيها ومجازا
لان فيه ضربا من الانخفاض يدل على ما قلناه نص اهل اللغة عليه قال صاحب العين كل شئ
ينكب لوجهه فتمس ركبته الارض او لا تمس بعد ان يطاطئ راسه فهو راكع قال لبيد

اخبر اخبار القرون التى مضت ‏ ‏ ادب كانى كلما قمت راكع

وقال ابن دريد الراكع الذى يكبو على وجهه ومنه الركوع فى الصلوة قال الشاعر **شعر**

وافلت حاجب فوق العوالى ‏ ‏ على شقاء تركع فى الظراب

اى تكبو على وجهها واذا كانت الحقيقة ما قلناه لم يجز حمل الاية على المجاز فان قيل قوله الَّذِيْنَ اٰمَنُوا
لفظ جمع كيف يحملون على الواحد قيل قد يعبر عن الواحد بلفظ الجمع اذا كان معظما عالى الذكر قال
الله تعالى اِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَاِنَّا لَهٗ لَحٰفِظُوْنَ وقال رَبِّ ارْجِعُوْنِ وقال وَلَوْ شِئْنَا لَاٰتَيْنَا كُلَّ
نَفْسٍ هُدٰىهَا ونظائر ذلك كثيرة وقال الَّذِيْنَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ اِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوْا لَكُمْ ولا خلاف فى ان
المراد به واحد وهو نعيم بن مسعود الاشجعى وقال اَفِيْضُوْا مِنْ حَيْثُ اَفَاضَ النَّاسُ المراد به رسول الله
صلى الله

اى تحقيرن الضعيف
اى تهين الفقير اراد لا تهينن
حذف النون الخفيفة
لما استقبلها ساكن
وهو اللام

صلى الله عليه واله وقال تعالى الذين قالوا لاخوانهم وقعدوا لو اطاعونا ما قتلوا انزلت في عبد الله بن ابي سلول فاذا ثبت استعمال ذلك كان قوله الذين يقيمون الصلوة محمولا على الواحد الذي قدمنا فان قيل لو كانت الاية تفيد الامامة لوجب ان يكون ذلك اماما في الحال ولجاز له ان يامر وينهي ويقوم بما يقوم به الائمة قلنا من اصحابنا من قال انه كان اماما في الحال ولكن لم يامر لوجود النبي عليه السلام وكان وجوده مانعا من تصرفه فلما مضى النبي عليه السلام قام بما كان له ومنهم من قال وهو الذي نعتمده ان الاية دلت على فرض طاعته واستحقاقه للامامة وهذا كان حاصلا له واما التصرف فموقوف على ما بعد الوفاة كما يثبت استحقاق الامر لولي العهد في حياة الامام الذي قبله وان لم يجز له التصرف في حياته وكذلك يثبت استحقاق الوصية للوصي وان منع من التصرف وجود الموصي وكذلك القول في الائمة وقد استوفينا الكلام على الاية في كتب الامامة بما لا يحتمل بسطه هاهنا فان قيل اليس قد روي انها نزلت في عبادة بن الصامت وعبد الله بن سلام واصحابه فما انكرتم ان يكون المراد بالذين امنوا هم دون من ذهبتم اليه قلنا اول ما نقوله انا دللنا على ان هذه الاية نزلت في امير المؤمنين عليه السلام بنقل الطائفتين ولما اعتبرناه من اعتبار الصفة المذكورة في الاية وانها ليست حاصلة في غيره بطل ما يروى في خلاف ذلك على ان الذي روي في الخبر من نزولها في عبادة بن الصامت لا ينافي ما قلناه لان عبادة لما تبرأ من حلفاء اليهود والاية من تضمنته الاية فاما ما روي من خبر عبد الله بن سلام فبخلاف ما ذهبوا اليه لانه روي ان عبد الله بن سلام لما اسلم قطعت اليهود حلفه وتبرؤا منه فاشتد ذلك عليه وعلى اصحابه فانزل الله تعالى الاية تسلية لعبد الله واصحابه وانه قد عوضهم من مخالفة اليهود ولاية الله وولاية رسوله وولاية الذين امنوا والذي يكشف عما قلناه انه قد روي انها لما نزلت خرج النبي عليه السلام من البيت فقال لبعض اصحابه هل اعطى احد سائلا شيئا فقالوا نعم يا رسول الله قد اعطى علي بن ابي طالب للسائل خاتمه وهو راكع فقال النبي عليه السلام الله اكبر قد انزل الله فيه قرانا ثم تلا الاية الى اخرها وفي ذلك بطلان ما قالوه وقد استوفينا ما يتعلق بالشبهات المذكورة في الاية في كتاب الاستيفاء وحللناها بغاية ما يمكن فمن اراده وقف عليه من هناك فاما الولي بمعنى الناصر فلسنا ندفعه في اللغة لكن لا يجوز ان يكون مرادا في الاية لما بيناه من نفي الاختصاص واقامة الصلوة اتمامها بجميع فروضها من قولهم فلان قائم بعمله الذي وليه اي يوفي العمل جميع حقوقه ومنه قوام الامر وفي الاية دلالة على ان العمل القليل لا يفسد الصلوة **قوله** تعالى ومن يتول الله ورسوله والذين امنوا فان حزب الله هم الغالبون اية

اقول قيل في معنى قوله ومن يتولى الله ورسوله قولان احدهما قال ابو علي من يتولى القيام بطاعة الله ورسوله ونصرة المؤمنين الثاني من يكون وليا لله ورسوله والمؤمنين بنصرة دين الله والاخلاص له ولا يدل ذلك على ان الولاية الاولى هي تولي النصرة من حيث كان في هذه الاية كذلك لانه لا تنافي بين ان يفيد الاية الاولى الطاعة وان افادت الثانية تولي النصرة وليس يجب ان يحمل الثانية على الاية الاولى من غير ضرورة على ان في اصحابنا من قال هذه الاية مطابقة للاولى وانما تفيد وجوب طاعة الله وطاعة رسوله وطاعة الذين امنوا وهم الذين ذكرهم الله في الاية فعلى هذا زالت الشبهة ومن رفع بالابتداء والجملة خبر عنه وفي يتولى ضمير يعود الى من والعائد الى من معنى الخبر كانه قال فهو غالب وصار هذا الكلام في موضعه هذا العائد في موضع الجواب ومعنى من في الجزاء ان فلهذا جزمت الفعل المضارع ولو لا يجزم لانها للماضي وليست بمعنى ان وانما يعرب الفعل المضارع دون الماضي والفرق بين من والذي من ثلثة اوجه احدها ان من لما يعقل والذي مشتركة ومن في الجزاء لما يستقبل وهي في معنى ان وليس كذلك الذي وثالثها ان من يجزم ولا يحتاج في الجزاء والاستفهام الى الصلة ولا يكون جوابها الا بالفعل والفاء وقوله فان حزب الله هم الغالبون قال الحسن حزب الله جند الله وقال غيره انصار الله قال الشاعر شعر

كيف اضوى وبلال حزبي

اي كيف استضام وبلال ناصري

واصله الطائفة من قولهم حزبه الامر يحزبه حزبا اذا نابه وكل قوم تشابهت قلوبهم واعمالهم فهم احزاب ومنه قوله اولئك الاحزاب وكل حزب بما لديهم فرحون وان

حزب الشيطان هم الخاسرون وتحزب القوم اذا اجتمعوا كالاجتماع على النائبة وارض حزبة غليظة وحمار حزابية مجتمع الخلق غليظ **قوله** تعالى يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم والكفار اولياء واتقوا الله ان كنتم مؤمنين اية **اقول** قرأ والكفار بالجر ابو عمرو ونافع والكسائي الباقون بالنصب فمن نصب عطف على الذين اتخذوا دينكم وحجتهم في ذلك قوله ولا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء ومن جر عطف على من الذين اوتوا الكتاب ومن الكفار اولياء وحجتهم في ذلك ان الحمل على اقرب العاطفين اجود لانها لغة القران وحسن الحمل على الجر لان فرق الكفار الثلث المشرك والمنافق والكتابي الذي لم يسلم قد كان منهم الهزء فساغ لذلك ان يكون الكفار مجرورا وتفسيرا للموصول وموضحا له وقد اخبر الله ان المشركين منهم استهزاء بقوله انا كفيناك المستهزئين وعن المنافقين في قوله واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزؤن واخبر عن الكتابي في هذه الاية فقال لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم والكفار وان وقع على جميع الاصناف فهو لمن ليس من اهل الكتاب اليق وعليه اغلب فلذلك افرد بالذكر وقال الحسن المعني بالكفار مشركوا العرب وانما دخل غيرهم في الحكم فاصحب الكلام من الدليل وقال غيره يدخل فيه جميع اصناف الكفار وانما وصفهم الله تعالى بما كانوا عليه من التلاعب بالدين لامرين احدهما الاغراء للمؤمنين بعداوتهم والبراءة منهم الثاني ذمهم والتحذير من مثل حالهم لانها حال السفهاء الذين لا خلاق لهم وقال ابن عباس كان رفاعة بن زيد بن التابوت وسويد بن الحرث قد اظهر الاسلام ثم نافقا وكان رجال من المسلمين يوادونهما فانزل الله هذه الاية ويجوز في هزوا اربعة اوجه هزؤا بضم الزاي وتخفيف الهمز الثاني هزوا بالواو من غير همز على التخفيف لان الهمزة مفتوح قبلها ضمة كجؤن الثالث هزأ بسكون الزاي والهمز الرابع هزا على وزن هدى بفتح الزاي واسقاط الهمزة والهزء السخرية وهو اظهار ما يلهى تعجبا مما يجري قال الله تعالى ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤن وقال الشاعر شعر

الا هزئت واعجبها المشيب

فلا نكراء بك ولا عجيب

ويقال هزئ به يهزأ هزأ واستهزأ به استهزاء واللعب الاخذ على غير طريق الحق ومثله العبث واصله من لعاب الصبي يقال لعب يلعب لعبا اذا سال لعابه لانه يخرج الى غير جهته وكذلك اللاعب يمر في غير جهة الصواب وقوله ان كنتم مؤمنين قيل في معناه قولان احدهما ان كنتم مؤمنين بوعده ووعيده الثاني ان من كان مؤمنا غضب لايمانه على من طعن فيه وكافاه بما يستحقه من المقت له **قوله** تعالى واذا ناديتم الى الصلوة اتخذوها هزوا ولعبا ذلك بانهم قوم لا يعقلون اية بلا خلاف **اقول** النداء الدعاء بمد الصوت على طريقة يا فلان واصله ندى الصوت وهو بعد مذهبه وصحة جرمه ومنه قولهم ما اناديك ولا اناجيك اي ما ابالي النداء ولا اسرك النجوى واصل الباب الندى وهو الاجتماع يقال ندى القوم ينتدون ندوا اذا اجتمعوا في النادي ومنه دار الندوة وندى الماء لانه يجتمع عليه قليلا قليلا وندي الصوت منه لانه عن جرم ندي اخبر الله تعالى عن صفة الكفار الذين نهى الله المؤمنين عن اتخاذهم اولياء بانهم اذا نادى المؤمنون الصلوة ودعوا اليها اتخذوها هزوا ولعبا وفي معنى ذلك قولان قال قوم انهم كانوا اذا اذن المؤذن للصلوة تضاحكوا فيما بينهم وتغامزوا على طريق السخف والمجون تجهيلا لاهلها وتنفيرا للناس عنها وعن الداعي اليها الثاني انهم كانوا يرون المنادي اليها بمنزلة اللاعب الهازي لفعلها جهلا منهم بمنزلتها وقال ابو ذهيل الجمحي شعر

وابرزتها من بطن مكة بعد ما

اصات المنادي بالصلوة فاعتما

وقوله تعالى ذلك بانهم قوم لا يعقلون قيل في معناه قولان احدهما انهم لا يعقلون ما لهم في اجابتهم لو اجابوا اليها من الثواب وما عليهم في استهزائهم بها من العقاب الثاني انهم بمنزلة من لا عقل له يمنعه من القبائح ويردعه عن الفواحش وقال السدي كان رجل من النصارى بالمدينة فسمع المؤذن ينادي

اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله قال حوف الكاذب فلما خلت خادمه له ليلة بنار و
هو نائم واهله فسقطت شرارة فاحرق البيت واحترق هو واهله **قوله** تعالى قُلْ يَا اَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقِمُونَ
مِنَّا اِلَّا اَنْ اٰمَنَّا بِاللّٰهِ وَمَا اُنْزِلَ اِلَيْنَا وَمَا اُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ وَاَنَّ اَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ اٰية **اقول** امر الله تعالى
نبيه عليه السلام ان يخاطب اهل الكتاب فيقول لهم هل تنقمون منا وقيل فى معناه ثلثة اقوال احدها هل
تسخطون الثانى هل تنكرون والثالث هل تكرهون والمعنى متقارب يقول نقم ينقم نقما ونقم ينقم و
الاول اكثر قال عبد الله بن قيس الرقيات **شعر** ما نقموا من بنى امية الا
انهم يحلمون ان غضبوا قال ابن عباس اتى رسول الله نفر من يهود فيهم ابو ياسر بن اخطب ورافع
بن ابى رافع وغيره فسالوه عمن يؤمن به من الرسل فقال اؤمن بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابرهيم
واسمعيل ويعقوب والاسباط وما اوتى موسى وعيسى وما اوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين احد
منهم ونحن له مسلمون فلما ذكر عيسى جحدوا نبوته وقالوا لا نؤمن بمن آمن به فانزل هذه الاية و
قوله وان اكثركم فاسقون فى موضع نصب لانه مصدر فى تقدير بان اكثركم ولو استانفه كان صوابا
لكن لم يقرا به وقيل فى معناه ثلثة اقوال قال الزجاج والفراء هل تكرهون منا الا ايماننا وفسقكم و
المعنى ليس هذا مما ينقم الثانى قال الحسن لفسقكم نقمتم ذلك علينا الثالث قال ابو على نقموا فسق
اكثرهم لانهم لم يتابعوهم عليه فان قيل كيف قال وان اكثركم فاسقون وهم جميعا فساق قلنا عنه ثلثة
اجوبة احدها انهم خارجون عن امر الله طلبا للرياسة وحسدا على منزلة النبوة الثانى فاسقون بركوب
الاهواء الثالث على التلطف للاستدعاء ومعنى الاية هل تكرهون الا ايماننا وفسقكم اى انما كرهتم
ايماننا وانتم تعلمون انا على حق لانكم فسقتم بان اقمتم على دينكم لمحبتكم الرياسة وتكسبكم بها الاموال
فان قيل كيف يعلم عاقل ان دينا من الاديان حق فيؤثر الباطل على الحق قلنا اكثر ما نشاهده كذلك من
ذلك ان الانسان يعلم ان القتل يورد النار فيقتل اما ايثارا لشفاء غيظ او لاخذ مال وكما فعل ابليس
مع علمه بان الله يدخله النار بمعصيته فاثر هواه على القربة من الله وعمل لما يدخله النار وهذا ظاهر
فى العادات **قوله** تعالى قُلْ هَلْ اُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذٰلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللّٰهِ مَنْ لَعَنَهُ اللّٰهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَ
جَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ اُولٰئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَاَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ اٰية
بلا خلاف **اقول** قرأ حمزة وعبد الطاغوت بضم الباء وخفض التاء يريد خدم الطاغوت فى
قول الاعمش ويحيى بن وثاب والباقون بفتح الباء والدال ونصب التاء قال ابو على حجة حمزة انه حمل
على ما عمل فيه جعل كانه قال وجعل منهم عبد الطاغوت ومعنى جعل خلق كما قال وجعل منها زوجها
وقال وجعل الظلمات والنور قال وليس عبد لفظ جمع لانه ليس فى ابنية الجمع شئ على هذا البناء لكنه
واحد فى موضع جمع كما قال وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وجاء على فعل لان هذا البناء يراد به الكثرة
نحو يقظ وندس وعبد فى الاصل صفة وان كان استعمل استعمال الاسماء ولا يزيل ذلك عنه كونه صفة
كما لم يزل فى الابرق والابطح حيث كسر تكسير الاسماء لم يزل عنهما معنى الصفة بدلالة انهم تركوا صرفهما
كما تركوا صرف احمر ولم يجعلوه كافكل واربع واما من فتح فانه عطفه على مثال الماضى الذى فى الصلة وهو قوله
لعنه الله وغضب عليه وافرد الضمير فى عبد وان كان المعنى فيه كثرة لان الكلام محمول على لفظ من دون
معناه ولو حمل الكلام او البعض على المعنى لكان صوابا قال الفراء وقرأ ابى وعبدوا الطاغوت وعبد الطاغوت الكل
على الجمع والمعنى والذين عبد الطاغوت بضم العين والباء مثل ثمار وثمر وعبيد وعبد على انه جمع
جمع ويكون المعنى وجعل منهم عبد الطاغوت كما يقول جعلت زيدا اخاك اى نسبته اليك ويجوز على
هذا رفع الدال على تقدير وهم عبد الطاغوت لكن لم يقرا به احد قال ولو قرا قارئ وعبد الطاغوت
كان صوابا يريد عبدة الطاغوت ويحذف الهاء للاضافة كما قال الشاعر **شعر**
قام ولاها فسقوه صرخدا يريد ولاتها وحكى فى الشواذ وعبد الطاغوت على

مالم

ما لم يسم فاعله ذكره الرمانى قال الطبرى هى قراءة ابى جعفر المدنى وحكى البلخى عبد الطاغوت مثل ساجد
وسجد وحكى ايضا عباد الطاغوت مثل كافر وكفار ولا يقرا بشئ من ذلك وقال الطبرى عن بريدة الاسلمى
انه قرا عابد الطاغوت فهذه ثمانية اوجه لكن لا يقرا الا بقرائتين او ثلثة لان القراءة متبوعة يؤخذ بالمجموع
عليه قال الفراء عبد على ما قرأ حمزة ان كانت لغة فهو مثل حذر وحذر وعجل وعجل فهو وجه والا فانه اراد قول الشاعر
أَبَنِي لُبَيْنَى اِنَّ اُمَّكُمُ اَمَةٌ وان اباكم عبد فخراك وهذا من قوم عبد
امر الله تعالى فى هذه الاية نبيه عليه السلام ان يخاطب الكفار ويقول لهم هل انبئكم اى هل اخبركم بشر من ذلك
اى من الذى طعنتم عليه من المسلمين ومما رغبتم عنه ونقمتم عليه وانما قال بشر من ذلك وان لم يكن من
المؤمن شر وكذلك قوله اولئك شر مكانا على الانصاف فى الخطاب والمظاهرة فى الحجاج لان الكفار يعتقدون
ان هؤلاء اشرار وان ما فيهم شر فخرج على ما يعتقدونه وقوله مثوبة معناها الثواب لانه هو الجزاء ووزنها
مفعولة مثل مقبولة ومجوزة ومضوفة على معنى المصدر وقال الشاعر **شعر**
وكنت اذا جارى دعا لمضوفة اشمر حتى ينصف الساق مئزرى
وقال ابو عبيدة هى مفعلة مثل مكرمة ومعقلة ومشغلة وموضع من يحتمل ثلثة اوجه من الاعراب احدها الجر و
التقدير بشر من ذلك من لعنه الله وقيل فى معنى الطاغوت قولان احدهما قال الحسن هو الشيطان لانهم ارايتكم بمن لعنه الله
اطاعوه طاعة المعبود الثانى كل من دعا الى عبادته من دون الله من الفراعنة فشبه بما عبد من الاصنام
ونحوها قال ابو على وهو هاهنا العجل الذى عبده اليهود لان الكلام كله فى صفتهم وقوله اولئك شر
مكانا يعنى هؤلاء الذين وصفهم بانه لعنهم وغضب عليهم وانهم عبدة الطاغوت شر مكانا يعنى فى عاجل
الدنيا واجل الاخرة وهو نصب على التمييز واضل عن سواء السبيل يعنى اجوز عن الطريق المستقيم وظن
بعضهم ان قوله وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت يفيد انه جعلهم يعبدون الطاغوت تعالى
الله عن ذلك لانه لو كان جعلهم كذلك لما كان عليهم لوم وانما المعنى ما قلناه من انه اخبر عمن هو شر مما
عابوه وهم الذين لعنهم وغضب عليهم ومن جعل منهم القردة والخنازير ومن عبد الطاغوت لانه تعالى
هو الخالق لهم وان كان لم يخلق عبادتهم للطاغوت وقال ابو على هو معطوف على قوله من لعنه الله وغضب
عليه ومن عبد الطاغوت ومن جعل منهم القردة والخنازير وليس بمعطوف على قوله وجعل منهم القردة و
الخنازير فعلى هذا سقطت الشبهة **قوله** تعالى وَاِذَا جَاؤُكُمْ قَالُوا اٰمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا
بِهِ وَاللّٰهُ اَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ اٰية بلا خلاف **اقول** اخبر الله تعالى عن هؤلاء المنافقين بانهم اذا جاؤا
المؤمنين قالوا امنا اى صدقنا وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به قيل فيه قولان احدهما قال الحسن وابن
عباس والسدى وقتادة وابو على دخلوا به يعنى بالكفر بخلاف ما اظهروه على النبى عليه السلام وخرجوا به من
عنده الثانى وقد دخلوا به فى احوالهم وخرجوا به الى احوال اخر كقولك هو يتقلب فى الكفر ويتصرف به قد
معناه تقريبا الماضى من الحال ولهذا دخلت فى هذا الموضع وقال الخليل ويكون لقوم ينتظرون الخبر
كقولك وقد ركب الامير لمن كان ينتظره وهو راجع الى ذلك الاصل لانه تقريب من الحال المنتظرة
واصل الدخول الانتقال الى محيط كالوعاء الا انه قد كثر حتى قيل دخل فى هذا الامر ولا يدخل فى المعنى
ما ليس منه ودخل فى الاسلام وخرج بالردة منه وكل ذلك مجاز وقوله جاؤكم لا يجوز ان يكون عاملا
فى اذا كما يعمل فى متى لو قيل متى جاؤكم قالوا امنا لان اذا مضافة الى ما بعدها والمضاف اليه لا يعمل
فى المضاف لانه من تمامه وليس كذلك متى لانها جزاء وقوله والله اعلم بما كانوا يكتمون معناه ما يكتمون
من نفاقهم اذا اظهروا بالسنتهم ما اضمروا خلافه فى قلوبهم فبين الله للناس امرهم **قوله** تعالى وَتَرٰى
كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِى الْاِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ اٰية بلا خلاف **اقول**
وصف الله تعالى المنافقين الذين تقدم وصفهم لنبيه عليه السلام بانه ترى كثيرا منهم يسارعون اى يبادرون
فى الاثم والعدوان قال السدى الاثم الكفر وقال غيره هو يقع على كل معصية وهو الاولى والفرق بين

الاثم

الاثم والعدوان ان الاثم الجرم كما بينا ما كان والعدوان في الظلم فهم يسارعون في ظلم الناس وفي الجرم
الذي يعود عليهم بالوبال والخسران وقيل العدوان من عدوهم على الناس بما لا يحل وقيل لمجاوزتهم
حدود الله وتعديهم اياها ويقال تاثم اذا تحرج من الاثم والاثم الفاعل للاثم والسحت الرشوة في الحكم
في قول الحسن واصله استيصال القطع فيكون من هذه الاية يقتضي عذاب الاستيصال ويتكرر لانه يقتضي
استيصال المال بالذهاب وانما قال يسارعون بدل قوله يعجلون وان كانت العجلة ادل على الذم لامرين
احدهما انهم يبادرون اليه كالمبادرة الى الحق فافاد يسارعون انهم يعملونه كانهم محقون فيه الاخر ان ذلك
ايهاما ان الذم من جهة الدخول والعدوان وقوله لبئس ما كانوا يعملون يدل على ان الحمد والذم يكونان
للافعال لانه بمنزلة بئس العمل عملهم وهذا ذم لذلك العمل الا انه جرى على طريقة الحقيقة او طريقة
المجاز بدليل اخر يعلم وقد كثر استعماله حتى قيل الاخلاق المحمودة والاخلاق المذمومة ونعم ما صنعت و
بئس ما صنعت واصل الذم واللوم واحد الا ان الذم كثر في نفس العمل دون اللوم لانه لا يقال لمت عمله
كما يقال ذممت عمله وما في قوله لبئس ما يحتمل امرين ان يكون كافة كما يكون في انما زيد منطلق وليتما
عمرو قائم فلا يكون لها على هذا موضع الثاني ان يكون نكرة موصوفة كانه قيل لبئس شيئا كانوا يعملون
قوله تعالى لَوْلا يَنْهاهُمُ الرَّبّانِيُّونَ وَالْاَحْبارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْاِثْمَ وَاَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ ما كانُوا يَصْنَعُونَ
اية **اقول** معنى لولا ها هنا هلا واصلها ان يمتنع الشيء لوجود غيره ولو معناها امتناع الشيء
لامتناع غيره وقال الرماني اصلها التقرير لوجوب الشيء عن الاول فنقلت الى التخصيص على فعل الثاني
من اجل الاول وان لم يذكر ولا بد معها من لا لانه دخلها معنى لم لا يفعل فان قيل كيف يدخل لولا
على الماضي وهي للتخصيص وفي التخصيص معنى الامر قيل لانها يدخل للتخصيص والتوبيخ فاذا كانت مع الماضي
فهي توبيخ كقوله تعالى لَوْلا جاؤُا عَلَيْهِ بِاَرْبَعَةِ شُهَداءَ وقوله وَلَوْلا اِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِناتُ
بِاَنْفُسِهِمْ خَيْراً والرباني العالم بالدين الذي من قبل الرب وهو منسوب الى الرب على وجه تغيير الاسم
كما قالوا روحاني في النسبة الى الروح وبحراني في النسبة الى البحر وقال الحسن الربانيون علماء اهل الانجيل
والاحبار وعلماء اهل التورية وقال غيره كله في اليهود لانه يتصل بذكرهم وقوله لبئس ما اللام فيه لام
القسم ولا يجوز ان يكون لام الابتداء لانها لا يدخل على الفعل الا في باب ان خاصة لانها زحلقت من
الاسم الى الخبر لئلا يجمع بين حرفين في موضع واحد بمعنى واحد والصنع والعمل واحد وقيل الفرق بينهما
ان الصنع مضمن بالجودة من قولهم ثوب صنيع وفلان صنيعة فلان اذا استخلصه عن غيره وصنع الله لفلان
اي احسن اليه وكل ذلك كالفعل الجيد **قوله** تعالى وَقالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللّٰهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ اَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا
بِما قالُوا بَلْ يَداهُ مَبْسُوطَتانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ ما اُنْزِلَ اِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْياناً
وَكُفْراً وَاَلْقَيْنا بَيْنَهُمُ الْعَداوَةَ وَالْبَغْضاءَ اِلى يَوْمِ الْقِيمَةِ كُلَّما اَوْقَدُوا ناراً لِلْحَرْبِ اَطْفَاَهَا اللّٰهُ وَ
يَسْعَوْنَ فِي الْاَرْضِ فَساداً وَاللّٰهُ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ اية **اقول** اخبر الله تعالى في هذه الاية عن اليهود
انهم قالت ان يد الله مغلولة وقيل في معنى مغلولة قولان احدهما قال ابن عباس وقتادة والضحاك ان
المراد بذلك انها مقبوضة من العطاء على وجه الصفة له بالبخل كما قال تعالى ولا تجعل يدك مغلولة
الى عنقك ولا تبسطها كل البسط وانما قالوا ذلك لما نزل قوله من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا
قالوا ان رب محمد فقير يستقرض منا فانزل الله هذه الاية الثاني قال الحسن معناه انها مقبوضة
عن عذابنا وقال البلخي يجوز ان يكون اليهود قالوا قولا واعتقدوا مذهبا معناه يؤدي الى ان الله
يبخل في حال ويجود في حال اخرى فحكى الله تعالى ذلك على وجه التعجب منهم والتكذيب لهم ويجوز ان
يكونوا قالوا ذلك على وجه التعجيب منهم والتكذيب لهم ويجوز ان يكونوا قالوا ذلك على وجه الهزء حيث
لم يوسع على النبي عليه السلام وعلى اصحابه وليس ينبغي ان يتعجب من قوم يقولون لموسى اجعل لنا الها كما
لهم الهة ومن اتخذ العجل الها ومن زعم ان ربه ابيض الراس واللحية جالس على كرسي كيف لا يقولون ان

الله يبخل

كيف يقولون

يقال سحته اذا استأصله ويكون الرشوة من هذا اي سحتا لانه يقتضي عذاب الاستيصال ويستعقب الهلاك والبوار اي فنا الله منه

الله يبخل مرة ويجود اخرى وقال الحسين بن علي المغربي حدثني بعض اليهود والثقات منهم بصرا ان
طائفة قديمة من اليهود قالت ذلك بهذا اللفظ واما اليد فانها يستعمل على خمسة اوجه احدها الجارحة
والثاني النعمة الثالث القوة الرابع الملك الخامس تحقيق اضافة الفعل قال الله تعالى اولي الايدي
والابصار معناه القوى ويقال لفلان على فلان يد اي نعمة وله علي يد اشكرها اي نعمة وقال
الشاعر شعر: له في ذوي الحاجات ايد كانها ... مواقع ماء المزن في البلد العقر (القفر)
ومثل ذلك يقولون له عليه اصبع حسنة وقوله الذي بيده عقدة النكاح معناه من يملك ذلك
وقوله لما خلقت بيدي اي توليت خلقه وقوله غلت ايديهم وقيل في معناه قولان احدهما قال
الزجاج وغيره معناه الزموا البخل على مطابقة الكلام الاول فهم ابخل الناس الثاني قال الحسن وابو
علي غلت ايديهم في جهنم وقوله ولعنوا بما قالوا اي ابعدوا من رحمة الله وثوابه وقوله بل يداه مبسوطتان
تكذيب منه تعالى لما قالوا واخبار ان يده مبسوطتان اي نعمة الدنيا ونعمة الدين او نعمة الدنيا ونعمة
الاخرة الثاني قال الحسن معناه قوتاه بالثواب والعقاب والغفران والعذاب بخلاف قول اليهود ان يده
مقبوضة عن عذابنا الثالث ان التثنية للمبالغة في صفة النعمة مثل قولهم لبيك وسعديك وكما يقول
القائل بسط يديه يعطي يمينه وشماله (يساره) ولا يريد الجارحة وانما يريدون كثرة العطية وقال الاعشى
يداك يدا مجد فكف مفيدة ... وكف اذا ما ضن بالزاد تنفق
وقوله تعالى ينفق كيف يشاء معناه يعطي كيف يشاء من يشاء من عباده ويمنع من يشاء منهم لانه متفضل
بذلك ويفعل (يفضل) حسب ما يقتضيه المصلحة وقوله وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا
وكفرا اي وسيزدادون عند ذلك طغيانا وكفرا لان القرآن لا يفعل شيئا من ذلك كما يقول القائل
وعظتك فكانت موعظتي وبالا عليك وما زادتك الا شرا اي انك ازددت عندها شرا وذلك مشهور
في الاستعمال والطغيان هنا هو الغلو في الكفر وقوله والقينا بينهم العداوة والبغضاء قيل فيه
قولان احدهما ان المراد بذلك بين اليهود والنصارى على ما قلناه في قوله فاغرينا بينهم العداوة و
البغضاء هذا قول الحسن ومجاهد وقد جرى ذكرهم في قوله لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء
الثاني ان الكناية راجعة على اليهود خاصة والمراد ما وقع بينهم من الخلف بين الاشمعنية والعنانية
وغيرهم من طوائف اليهود ذكره الرماني وبماذا القى بينهم العداوة قيل فيه قولان احدهما قال ابو علي
بتعريف اليهود قبح مذهب النصارى في عبادة المسيح وبتعريف النصارى قبح مذهب اليهود في الكفر بالمسيح
الثاني قال الرماني بوضع البغضاء عقابا على الاختلاف بالباطل وقوله الى يوم القيمة فيه دلالة على انهم
لا يجتمعون على مذهب واحد الى يوم القيمة ولا بد ان يكون ذلك مخصصا بمن يعلم الله من حالهم انهم لا
يؤمنون وقوله كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله قيل في معناه قولان احدهما قال الحسن ومجاهد
لحرب محمد صلى الله عليه واله وفي ذلك دلالة ومعجزة لان الله اخبر عن الغيب وكان كما اخبر لان اليهود كانت
اشد اهل الحجاز باسا وامنعهم دارا حتى ان قريشا كانت يعتضد بهم والاوس والخزرج تستبق الى محالفتهم
والتكثر بنصرتهم فاباد الله خضراءهم واقتلع اصلهم فاجلى النبي عليه السلام بني قينقاع وبني النضير وقتل بني
قريظة وشرد اهل خيبر وغلب على فدك ودان له اهل وادي القرى فمحى الله اثارهم صاغرين وحقق
بخبر نبيه عليه السلام وهذه كلمة مستعملة في اللغة في التشاغل بالحرب والاستعداد لها قال عوف بن عطية
اذا ما اجتنبنا جبا منهل ... سسا بحرب فعلتنا نارا
الثاني قال قتادة هو عام والمعنى ان الله اذلهم بذلك لا يعزون ابدا وانما يطفي الله نارهم بلطفه وما
يوفق نبيه عليه السلام له من نقض الامر الذي يبرمون وما يطلعه عليه من اسرارهم ويمن به عليه من النصر
والتاييد ثم اخبر تعالى ان هؤلاء اليهود يسعون في الارض فسادا يعني بمعصية الله وتكذيب رسله ومخالفتهم
امره ونهيه اجتهادهم في دفع الاسلام ومحو ذكر النبي عليه السلام من كتبهم وذلك هو سعيهم بالفساد ثم قال

والله

يمنة ويسرة كناية عن سعة جوده

الاختلاف ظ وتشتت الاهواء بالباطل

والله لا يحب المفسدين يعني لا يحب من كان عاملا بمعاصيه في ارضه **قوله** تعالى ولو انّ اهل الكتاب
امنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيّئاتهم ولادخلناهم جنّات النّعيم اية **اقول** قد بيّنا ان معنى لو
امتناع الشيء لامتناع غيره وقال الرماني معناه وجوب المعنى الثاني فالاول على جهة التقدير
بطريقه لو كان كذا لكان كذا فان قطع الاول بالايجاب قطع الثاني بطريقه كقولك وقد كان كذا
كذا او نحو كان كذا وما كان كذا فما كان كذا انحق وما كفرنا عنهم سيّئاتهم فما امنوا واتقوا والفرق
بين لو وان مع ان كل واحدة منهما تعلق المعنى الاول ان لو للماضي وان للمستقبل كقولك ان اتيتني
اكرمتك ولو اتيتني لاكرمتك فيفقد الاكرام بالاتيان في الماضي فان وعد وليس في لو ذلك
اخبر الله تعالى ان هؤلاء اليهود والكفار لو امنوا واتقوا معاصيه لكفر عنهم سيّئاتهم اي غطاها عليهم
وازال عقابها عنهم واثابهم على ايمانهم وتقواهم ولادخلناهم جنات النعيم اللام لام القسم واصل
التكفير التغطية ومنه يكفر في السلاح قال الشاعر   في ليلة كفر النجوم ظلامها
وقوله ولادخلناهم جنات النعيم وان كان على لفظ الماضي فالمراد به الاستقبال وانما كان كذلك
لانه قد تقدير الماضي كما قال ولو ردوا لعادوا وذلك يدل على ان لو اوسع من ان **قوله** تعالى
ولو انّهم اقاموا التورية والانجيل وما انزل اليهم لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم منهم امّة مقتصدة
وكثير منهم ساء ما يعملون اية **اقول** قد بيّنا معنى لو فيما مضى وانما فتحت انهم بعدها لان هذا
موضع قد خالف الابتداء بانه بالفعل اولى فصار بمنزلة العامل الذي يختص بالفعل دون الاسم
الاسم دون الفعل يبين ذلك امتناع اللام من الدخول على الخبر في لو وليس كذلك حتى والامعنى
اقاموا التورية والانجيل عملوا بما فيهما على ما فيهما دون ان يحرفوا شيئا منها او يغيروا او يبدلوا كما
كانوا يفعلونه ويحتمل ان يكون معناه عملوا بما فيهما علة بان اقاموها نصب اعينهم لئلا يزلوا في شيء من حدودها
وقيل قوله وما انزل اليهم من ربهم يحتمل امرين احدهما قال ابن عباس وابو علي وغيرهما المراد به الفرقان و
الثاني قال قوم كل ما دل الله عليه من امور الدين وقوله لاكلوا من فوقهم بارسال السماء عليهم مدرارا
ومن تحت ارجلهم باعطاء الارض خيرها وبركتها وقال قوم من فوقهم ثمار النخل والاشجار ومن تحت ارجلهم
الزرع والمعنى لو امنوا لاقاموا في اوطانهم واموالهم وزروعهم ولم يجلوا عن ملاذهم ففي ذلك التاسف بلاذم
لهم على ما فاتهم والاعتداد بسعة ما كانوا فيه من نعمة الله عليهم وهو جواب التجحيل في قولهم يد الله
مغلولة الثاني ان المعنى فيه التوسعة كما يقال هو في الخير من قرنه الى قدمه اي يأتيه الخير من كل جهة
يلتمسه منها واختار الطبري الوجه الاول وقد جعل الله التقى من اسباب الرزق فقال ومن يتق الله
يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب وقال ولو ان اهل القرى امنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات
من السماء والارض وقال استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم باموال
وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم انهارا وقال وان لو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقا
وقوله منهم امة مقتصدة يعني من هؤلاء الكفار قوم معتدلون في العمل من غير غلو ولا تقصير
قال ابو علي وهم الذين اسلموا منهم وتابعوا النبي عليه السلام وهو المروي في تفسير اهل البيت وقال
قوم نزلت في النجاشي واصحابه وحكى الزجاج عن قوم انهم قالوا انزلت في قوم لم يناصبوا النبي عليه
السلام مناصبة هؤلاء والاول اقوى لان الله تعالى لا يجوز ان يسمي الناصب مقتصدا بحال يحتمل ان
يكون اراد به من يقر منهم بان المسيح عبد الله ولا يدعي فيه الالهية والبنوة وقال مجاهد هم مسلموا
اهل الكتاب وبه قال ابن زيد والسدي واشتقاق المقتصد من القصد لان القاصد الى ما يعرف
فكانه خلاف الطالب المتحير في طلبه والاقتصاد الاستواء في العمل المؤدي الى الغرض وقوله وكثير
منهم ساء ما يعملون اخبار منه تعالى ان اكثر هؤلاء اليهود والنصارى يعملون الاعمال السيئة وهم
الذين يقيمون على الكفر والجحود بالنبي عليه السلام وقوله ساء معناه قبح وما يعملون يحتمل ان يكون ما مع

جهة التقدير تفسير اي تحقق التقدير وتقريره مضمون بطريق القياس الاستثنائي كقولنا لو كان هذا انسانا كان حيوانا فيستنتج من وضع المقدم وضع التالي والبد تشير بقوله فان قطع الاول بالايجاب الخ ومن رفع التالي رفع المقدم نحو هٰهنا وما كفرنا الخ واعلم ان لو ترد شرطية فتقتضي شرطا وجوابا و تفيد ثلثة امور احدها الشرطية اعني عقد السببية والمسببية بين الجملتين الثاني تقييد الشرطية بالماضي وبهذا الوجه والذي بعد فارقت ان الشرطية فان ان لعقد السببية والمسببية في المستقبل ولهذا قالوا الشرط بان سابق على الشرط بلو نحو ان جئتني غدا اكرمتك فاذا انقضى الغد ولم يجئ قلت لو جئتني امس اكرمتك الثالث الامتناع واختلفوا في افادتها الروح في كيفية افادتها له فقيل انها لا تفيده زعما منهم انها لا تدل الا على مجرد التعليق في الماضي من غير دلالة على ثبوت ولا امتناع كما ان ان لا تدل الا على مجرد التعليق في المستقبل من غير دلالة على امتناع ولا ثبوت وقيل انها حرف امتناع لامتناع وثالث وهو امتناع شرطها واستلزامه لجوابها من غير تعرض لامتناع الجواب لجواز ان يقوم مقام الشرط سبب اخر غيره فيثبت وما نقلناه عن الرماني هو القول الاول الذي اشرنا اليه

بعدها بمنزلة المصدر والتقدير بئس شيئا عملهم كما قال ساء مثلا القوم الذين كذبوا والثاني ان
يكون ما بمعنى الذي وما بعدها صلة لها والعائد محذوف **قوله** تعالى يا ايّها الرّسول بلّغ ما
انزل اليك من ربّك وان لم تفعل فما بلّغت رسالته والله يعصمك من النّاس انّ الله لا يهدي القوم
الكافرين اية بلا خلاف **اقول** قرا نافع وعاصم في رواية ابي بكر وابن عامر رسالاته على الجمع الباقون
رسالته على التوحيد من قرا على الجمع ذهب الى ان الانبياء يبعثون بضروب الرسائل واختلاف
العبادات الشرائع ومن وحد فلانه يدل على الكثرة قيل في سبب نزول هذه الاية اربعة اقوال احدها قال محمد بن
كعب القرظي وغيره ان اعرابيا هم بقتل النبي صلى الله عليه واله فسقط السيف من يده وجعل يضرب
براسه شجرة حتى انتثر دماغه الثاني ان النبي عليه السلام كان يهاب قريشا فازال الله عز وجل بالاية تلك
الهيبة وقيل كان للنبي عليه السلام حراس بين اصحابه فلما نزلت الاية قال الحقوا بملاحقكم فان الله عصمني من الناس
الثالث قالت عايشة ان المراد بذلك ازالة التوهم ان النبي عليه السلام كتم شيئا من الوحي للتقية الرابع قال
ابو جعفر وابو عبد الله عليهما السلام ان الله تعالى لما اوحى الى النبي عليه السلام ان يستخلف عليا كان يخاف
ان يشق ذلك على جماعة من اصحابه فانزل الله تعالى هذه الاية تشجيعا له على القيام بما امره باداءه و
الاية فيها خطاب للنبي عليه السلام وايجاب عليه تبليغ ما انزل اليه من ربه وتهديد له ان لم يفعل وانه يجري
مجرى ان لم يفعل ولم يبلغ رسالاته فان قيل كيف يجوز ذلك ولا يجوز ان يقول ان لم يبلغ رسالاته فما
بلغتها لان ذلك معلوم لا فائدة فيه قلنا قال ابن عباس معناه ان كتمت اية مما انزل اليك فما بلغت رسالته
والمعنى ان حرمته كحرمته لو لم يبلغ شيئا مما انزل اليه في انه يستحق به العقوبة من ربه وقوله والله يعصمك
من الناس معناه يمنعك ان ينالوك بسوء من قتل او اسر او قهر واصله عصام القربة وهو وكاؤها الذي
يشد به من سير او خيط قال الشاعر **شعر** وقلت عليكم مالكا ان مالكا   سيعصمكم ان كان في الناس عاصم
اي سيمنعكم وقوله تعالى ان الله لا يهدي القوم الكافرين في معناه قولان قال الجبائي ان الله لا يهديهم الى
الثواب والجنة الكافرين وقال الرماني معنى الهداية ههنا المعونة بالتوفيق والالطاف الى الكفر بل
انما يهديهم الى الايمان والثواب لان من هداه الى غرضه فقد اعانه على بلوغه ولا يجوز ان يكون المراد
به انه لا يهديهم الى الايمان لانه تعالى هداهم اليه بان دلهم عليه ورغبهم فيه وحذرهم من خلافه وفي
الاية دلالة على صحة نبوة النبي عليه السلام من وجهين احدهما انه لا يقدم على الاخبار بذلك محققا الا وهو يامن
ان يكون مخبره على ما هو به لانه لا داعي له الى ذلك غير الصدق والثاني انه لما وقع مخبره على ما اخبر به من غير
نظائره دل على انه من عند علام الغيوب وحكى البلخي ان بعد قوله تعالى والله يعصمك من الناس لم
يكن الكفار قادرين على قتل النبي ولا منهيون عن قتله لان مع المنع لا يصح النهي عنه قال وانما هم
منهيون عن اسباب القتل التي تفضي غالبا الا انهم كانوا قادرين عليها قال ووجه اخر انهم كانوا قادرين
لكن علم انهم لا يقتلونه وانه يحول بينهم وبين القتل والاول لا يصح لان القدرة على بعض الاجناس
قدرة على كل جنس يتعلق القدرة بها **قوله** تعالى قل يا اهل الكتاب لستم على شيء حتّى تقيموا
التورية والانجيل وما انزل اليكم من ربّكم وليزيدنّ كثيرا منهم ما انزل اليك من ربّك طغيانا
وكفرا فلا تأس على القوم الكافرين **اقول** سبب نزول هذه الاية ما روي عن ابن عباس انه جاء
جماعة من اليهود فقالوا يا محمد الست تقول ان التورية من عند الله قال بلى قالوا فانا نؤمن بها ولا
نؤمن بما عداها فنزلت الاية ومعناها انه تعالى امر نبيه عليه السلام ان يقول لاهل الكتاب لستم على شيء
حتى تقيموا التورية والانجيل وقيل في معناه قولان احدهما حتى تقيموهما بالتصديق بما فيهما من البشارة
بالنبي عليه السلام والعمل بما يوجبه ذلك فيهما الثاني قال ابو علي يجوز ان يكون الامر باقامة التورية والانجيل
وما فيهما انما كان قبل النسخ لهما وقوله وما انزل اليكم من ربكم يحتمل امرين احدهما ان يريد به القران
الذي انزله على جميع الخلق والثاني ان يريد جميع ما نصبه الله من الادلة الدالة على توحيده وصفاته وصدق

نبيه صلى الله عليه وآله وقوله وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا والمراد انهم
يزدادون عند نزوله طغيانا وكفرا لان القران المنزل لا يزيد شيئا طغيانا فان قيل هذا هو المفسدة
بعينه لانهم اذا فسدوا عنده ولولاه لما فسدوا كان ذلك مفسدة قيل ليس في الاية انه لو لم ينزل القران
لم يكونوا يفعلون الكفر بل لا يمتنع انه لو لم ينزل القران من الكفر ما هو اعظم فصار انزال القران
لطفا في استنقاص الكفر والمفسدة فائتة واللطف حاصل على انه لا يمتنع ان يكونوا يفعلون الكفر
بعينه لو لم ينزل القران فحقيقة المفسدة اذا ليست بحاصلة لان حد المفسدة ما وقع عنده الفساد
ولولاه لم يقع من غير ان يكون تمكينا والطغيان ههنا تجاوز الحد في الظاعة والغلو فيه واصله تجاوز
الحد ومنه قوله تعالى لما طغى الماء وقوله ان الانسان ليطغى اي يتجاوز الحد في الخروج عن الحق و
قوله فلا تاس على القوم الكافرين معناه لا تحزن تقول اسي يأسي اسا اذا حزن قال الشاعر شعر
وانحلبت عيناه من فرط الاسى
وهذا تسلية للنبي صلى الله عليه وآله وليس بنهي
عن الحزن لانه لا يقدر عليه لكنه تسلية ونهي عن التعرض للحزن قال البلخي ذلك يدل على بطلان
ما روي من ان النبي عليه السلام دعا للكفار بالهداية لانه نهاه عن الحزن وامره بلعنهم ولا يجتمع قول اللهم
العنهم واهدهم واغفر لهم **قوله** تعالى اِنَّ الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا وَالَّذِيْنَ هَادُوْا وَالصَّابِئُوْنَ وَالنَّصٰرٰى
مَنْ اٰمَنَ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْاٰخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُوْنَ **اقول** اخبر الله تعالى ان الذين
صدقوا الله واقروا بنبوة نبيه صلى الله عليه وآله والذين هادوا يعني الذين اعتقدوا اليهودية و
نبوة موسى وتابيد شرعه والصابئون وهو جمع صابئ وهو الخارج عن دين عليه امة عظيمة من الناس
الى ما عليه فرقة قليلة وهم عباد الكواكب وعندنا لا يؤخذ منهم الجزية وعند المخالفين يجرون مجرى
اهل الكتاب وصبأ ناب البعير وسن الصبي اذا خرج وضبأ بالضاد المعجمة معناه اختبأ في الارض ومنه
اشتق ضابئ البرجمي والنصارى وهم الذين يقرون بالمسيح عليه السلام وقوله من امن بالله قيل فيه قولان
احدهما يعني الذين امنوا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم وهم المنافقون ذكره الزجاج الثاني من دام
على الايمان والاخلاص ولم يرتد عن الاسلام وقيل في معنى رفع الصابئين ثلثة اقوال احدها قال سيبويه
انه على التقديم والتاخير ان الذين امنوا والذين هادوا والنصارى من امن بالله واليوم الاخر وعمل
صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والصابئون كذلك قال الشاعر **شعر**
والا فاعلموا انا وانتم
بغاة ما بقينا في شقاق
والمعنى فاعلموا انا بغاة ما بقينا
في شقاق وانتم كذلك
وقال ضابئ البرجمي
ومن يك امسى بالمدينة رحله
فاني وقيار بها لغريب
والثاني قال الكسائي هو عطف على الضمير في هادوا وكانه قال هادوا
هم والصابئون قال الرماني هذا غلط من وجهين احدهما ان الصابئ لا يشارك اليهودي في اليهودية
والاخر انه عطف على الضمير المتصل من غير تاكيد بالمنفصل والثالث قال الفراء انه عطف على ما لا
يتبين فيه الاعراب وهو الذي ويجوز النسق على مثل الذين وعلى المضمر يجوز اني وزيد قائمان فعطف على
موضع ان وقوله وعمل صالحا فالعمل والفعل واحد وقال الرماني فعل الشيء احداثه وايجاده بعد ان
لم يكن وعمله احداث ما يكون به متغيرا سواء كان احداث نفسه او احداث حادث فيه وقال تعالى فلا
خوف عليهم ولا هم يحزنون مع ما يمر بهم من اجل يوم القيمة لامرين احدهما ان ذلك لا يعتد به لانه
عارض ثم يصيرون الى النعيم الدائم ومنه قوله لا يحزنهم الفزع الاكبر وهو عذاب النار كما يقال
للمريض لا باس عليك الثاني ان اهوال يوم القيمة انما ينال الضالين دون المؤمنين والاول اقوى
لعموم قوله يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما ارضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى
وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد وروي عن النبي عليه السلام ان الناس يلجمهم العرق وانهم
يحشرون حفاة عراة غرلا فقالت عائشة لا يحتشمون من ذلك فقال صلى الله عليه وآله لكل امرئ

منهم يومئذ شان يغنيه فاما قوله من امن بالله وقد ذكر الذين امنوا فلان المعنى بالذين امنوا ههنا
في الزجاج المنافقون بدلالة قوله لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا امنا بافواههم
ولم تؤمن قلوبهم والتقدير من امن منهم وقال قوم من امن يرجع الى من عدا الذين امنوا وحمل الذين
امنوا على ظاهره من حقيقة الايمان ومنهم من قال يرجع الى الجميع ويكون المعنى في امن من ثبت على
الايمان ودام عليه وقد استوفينا ما يتعلق بذلك في سورة البقرة **قوله** تعالى وَلَقَدْ اَخَذْنَا
مِيْثَاقَ بَنِيْ اِسْرَاءِيْلَ وَاَرْسَلْنَا اِلَيْهِمْ رُسُلًا كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُوْلٌ بِمَا لَا تَهْوٰى اَنْفُسُهُمْ فَرِيْقًا كَذَّبُوْا
وَفَرِيْقًا يَقْتُلُوْنَ
اية عند الجميع
اللام في قوله لقد لام القسم اقسم الله تعالى انه اخذ الميثاق
وهو الايمان المؤكدة التي اخذها انبياؤهم على بني اسرائيل في قول ابي علي وغيره وقال غيره يجوز
ان يكون الميثاق هي الايات البينة التي قرر بها علم ذلك عندهم وانما اخذ ميثاقهم على الاخلاص
لتوحيد الله تعالى والعمل بما امر به والانتهاء عما نهى عنه والتصديق برسله والبشارة بالنبي الامي
والاقرار به حسب ما تقدمت صفته عندهم ووجه الاحتجاج على اهل الكتاب بما اخذ على ابائهم من الميثاق انهم
قد عرفوا ذلك في كتبهم واقروا بصحته فحجته لازمة لهم والعمل به وجب عليهم وعيب المخالفة يلحقهم كما
لحق اباءهم الذين نقضوا الميثاق الذي اخذ عليهم وقوله كلما جاءهم رسول بما لا تهوى انفسهم والهوى
هو لطف محل الشيء من النفس مع الميل اليه بما لا ينبغي فلذلك غلب على الهوى صفة الذم كما قال
تعالى ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي الماوى ويقال منه هوي يهوى ويقال هوي يهوي هويا اذا
انحط في الهواء واهوى بيده اذا انحط بها لياخذ شيئا وامه هاوية اي جهنم لانه يهوي فيها وهم يتهاوون
في الهواء اذا سقط بعضهم في اثر بعض والفرق بين الهوى والشهوة ان الشهوة تتعلق بالمدركات فيشتهي
الانسان الطعام ولا يهوى الطعام والهواء الجو ممدود والهوى النفس مقصور وقوله واشد تهم هواء قيل فيه
قولان احدهما انها متخرقة لا تعي شيئا كهواء الجو والاخر انه قد اطارها الخوف ومنه قوله كالذي استهوته
الشياطين في الارض حيران اي استهوته من هوى النفس وقوله فريقا كذبوا وفريقا تقتلون نصب فريقا
في الموضعين بانه مفعول به قدم وانما قال في الاول كذبوا بلفظ الماضي وفي الثاني تقتلون بلفظ المستقبل
لامرين احدهما ليدل بذلك على ان من شانهم ذلك وعادتهم ففيه معنى كذبوا وقتلوا ويكذبون و
يقتلون مع موافقته لرؤس الاي الثاني ان يكون على فريقا كذبوا ولم يقتلوا وفريقا كذبوا وقتلوا فيكون
تقتلون صفة الفريق **قوله** تعالى وحسبوا ان لا تكون فتنة فعموا وصموا ثم تاب الله عليهم ثم عموا و
صموا كثير منهم والله بصير بما يعملون
اية بلا خلاف **اقول** قرا ابو عمرو وحمزة والكسائي الا يكون
بالرفع الباقون بالنصب ولم يختلفوا في رفع فتنة فمن رفع فالمعنى حسبوا فعلهم غير فاتن لهم لانهم كانوا يعدون
عن ابناء الله واحباؤه فمن نصبه فلان ان ينصب الفعل المضارع وقال ابو علي الفارسي الافعال على ثلثة
اضرب فعل يدل على ثبات الشيء واستقراره نحو العلم وقع بعده ان الثقيلة ولم يقع بعده الخفيفة الناصبة
للفعل لان الثقيلة معناها اثبات الشيء واستقراره والعلم وبابه كذلك ايضا فاذا وقع عليه واستعمل معه
كان وفقه وملائما له ولو استعملت الناصبة للفعل بعد ما معناه العلم واستقرار الشيء له لتنافيا وتدافعا
فمن استعمال الثقيلة بعد العلم وايقاعه عليها قوله ويعلمون ان الله هو الحق المبين والم يعلم بان الله يرى
لان الباء زائدة وكذلك التبين والتيقن وما كان معناه العلم كقولهم ثم بدا لهم من بعد ما راوا الايات
فهذا ضرب من العلم لانه تبين لامر قد يات فلذلك كان فيما كما كان علمت فيما في نحو قوله **شعر**
ولقد علمت لتاتين منيتي
وكذلك ثم بدا لهم من بعد ما راوا الايات ليسجننه
حتى حين
فهو بمنزلة علموا ليسجننه
وعلى ذلك قول الشاعر **شعر**
بدا لي اني لست مدرك ما مضى
فوقع بعدها الشديدة كما يوقعها بعد علمت واما ما كان معناه ما لم يثبت ولم يستقر فنحو اطمع و
اخاف واشفق وارجو فهذا ونحوه لا يستعمل بعده الا الخفيفة الناصبة للفعل كقوله تعالى والذي

الطمع ان يغفر لى خطيئتى وقوله يخافون ان يتخطفكم الناس فاويكم وقوله الا ان يخافا الا يقيما حدود الله فان خفتم ان لا يقيما حدود الله وقوله فخشينا ان يرهقهما وقوله ءاشفقتم ان تقدموا وكذلك ارجو وعسى ولعل فاما ما يستعمل فى الامرين نحو حسبت وظننت وزعمت فهذا النحو يجعل مرة بمنزلة ارجو واطمع من حيث كان امرا غير مستقر ومرة يجعل بمنزلة العلم من حيث استعمل استعماله ومن حيث كان خلافه والشىء قد يجرى مجرى الخلاف نحو عطشان وريان فاما استعمالهم استعمال العلم فلانهم قد اجابوه بجواب القسم حكى سيبويه ظننت ليسبقنى وقيل فى قوله وظنوا ما لهم من محيص ان النفى جواب الظن كما كان جوابا لعلمت فى قوله علمت ما انزل هؤلاء الا رب السموات ويكلا الوجهين جاء القران بمثل قراءة من نصب قوله ام حسب الذين يعملون السيئات ان يسبقونا ام حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم الم احسب الناس ان يتركوا ومثل قراءة من رفع قوله ام يحسبون انا لا نسمع سرهم ايحسبون انما نمدهم به من مال وبنين ايحسب الانسان ان لن نجمع عظامه فهذه مخففة من الشديدة ومثل ذلك فى الظن قوله فظن ان يفعل بها فاقرة وقوله ان ظنا ان يقيما حدود الله ومن الرفع قوله وانا ظننا ان لن يقول الانس والجن وانهم ظنوا كما ظننتم ان لن يبعث الله احدا وان هاهنا الخفيفة من الثقيلة لان الناصبة للفعل لا يقع بعدها ان لاجتماع الحرفين فى الدلالة على الاستقبال كما لم يجتمع الناصبة مع السين ولم يجتمعا كما لم يجتمع الحرفان بمعنى واحد ولذلك كانت ان فى قوله علم ان سيكون المخففة من الشديدة ومن ذلك قوله وظنوا انهم احيط بهم فاما قوله الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم وقوله ظننت انى ملاق حسابيه فالظن ههنا بمعنى العلم وحسن وقوع الخفيفة من الشديدة فى قوله من رفع وان كان بعده فعل لدخول لا وكونها عوضا من حذف الضمير معه وايلائه ما لم يكن يليه ولو قلت علمت ان يقول لم يجز حتى يأتى بما يكون عوضا نحو قد ولا والسين وسوف كما قال علم ان سيكون ولا يدخل على ذلك قوله وان ليس للانسان الا ما سعى فلم يدخل بين ان وليس شىء لان ليس ليس بفعل على الحقيقة واما فتنة فلو نصب لكان صحيحا فى العربية على تقدير ان لا يكون قولهم فتنة ولكن لم يقرأ به احد قال الرمانى وحد الحسبان هو قوة احد النقيضين فى النفس على الاخر واصله الحساب فالنقيض القوى يحتسب به دون الاخر اى هو فيما يحتسب به لا يطرح ومنه الحسب ولانه مما يحتسب ولا يطرح لاجل الشرف ومنه قولهم حسبك اى يكفيك لانه بحساب الكفاية ومنه احتساب الاجر لانه فيما يحتسب ولا يلغى والفتنة هاهنا العقوبة وقيل البلية فى قول السدى وقتادة والحسن ومجاهد وقيل الشديدة وكل ذلك متقارب وقال ابن عباس الفتنة هاهنا الشرك واصل الفتنة الاختبار ومنه افتتن بفلانة اذا هويها لانه يظهر ما يطوى من خبره بها وفتنت الذهب فى النار اذا خلصته ليظهر خبره فى نفسه متميزا من شائب غيره وقوله يوم هم على النار يفتنون اى يحرقون فاذاهم خبث كلهم وفتناك فتونا اى اختبرناك اختبارا اى ليظهر خبرك على خلوص امرك فى طاعتك او غير ذلك من حالك وقوله فعموا وصموا معناه عن الحق على وجه التشبيه بالاعمى والاصم لانه لا يهتدى الى طريق الرشد فى الدين كما لا يهتدى هذا الى طريق الرشد فى الدنيا لاجل العمى والصمم فكذلك اولئك لاعراضهم عن النظر وقوله ثم تاب الله عليهم ثم عموا وصموا اخبار منه تعالى ان هؤلاء الكفار حسبوا ان لا يكون فتنة على ما فسرناها فعموا وصموا وقتلوا الانبياء وكذبوهم ثم ان فريقا منهم تابوا فتاب الله عليهم ثم عموا وصموا بعنى عادوا الى ما كانوا عليه وقيل قوله ثم عموا وصموا فى الاقرار بالنبى عليه السلام وقوله كثير منهم قال الزجاج يحتمل رفعه ثلثة اوجه احدها ان يكون بدلا من الفاء فكانه لما قال عموا وصموا ابدل الكثير منهم اى عمى وصم كثير منهم كما يقول جاءنى قومك اكثرهم والثانى ان يكون جمع الفعل متقدما على لغة من قال اكلونى البراغيث وذهبوا قومك قال ابو عمرو الهذلى شعر

يلوموننى فى اشتراء النخيل اهلى فكلهم الوم

وقال الاخر

ولكن ديافى ابوه وامه بحوران يعصرن السليط اقاربه

الثالث ان يكون كثير اخبر ابتداء محذوف والتقدير ذوو العمى والصمم كثير منهم ثم بين تعالى انه بصير اى عالم بما يعملون اى باعمالهم **قوله** تعالى لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا

إِنَّ اللّٰهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللّٰهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللّٰهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللّٰهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ اية بلا خلاف **اقول** اللام فى قوله لقد لام القسم اقسم الله تعالى بانه كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم والكفر هو الجحود لما يجب عليه الاقرار به والتصديق له وقال الرمانى هو تضييع حق النعمة بالجحد او ما جرى مجراه فى عظم الجرم ولذلك كان من قتل نبيا يدل على ان قائله جاحد لما يجب عليه الاقرار به والاعتقاد لتصديقه والذين يقولون من النصارى ان الله هو المسيح بن مريم هم اليعقوبية وهم مع ذلك مثلثة لانهم يقولون ان الاب والابن وروح القدس اله واحد وغيرهم يقولون ان المسيح ابن الله ولا يقولون هو الله واجمعوا على انه اله واحد وقوله وقال المسيح يا بنى اسرائيل اعبدوا الله ربى وربكم اخبار عن المسيح عليه السلام انه قال لبنى اسرائيل الذين كانوا فى زمانه اعبدوا الله ربى وربكم الذى يملكنى واياكم عبيده ومن خلقنى وخلقكم انه من يشرك بالله فالشرك هو الكفر وانما يطلق على من اشرك فى عبادة الله غيره وانما كان كافرا لانه جحد نعمة الله باضافته الى غيره وزعم ان غيره يستحق العبادة مع ما ثبت انه لا يقدر احد على ما يستحق به العبادة سوى الله تعالى والشرك اصله الاجتماع فى الملك فاذا كان الملك بين نفسين فهما شريكان وكذلك كل شىء يكون بين نفسين ولا يلزم على ذلك ما يضاف الى كل واحد منهما منفردا كالعبد يكون ملكا لله وهو ملك للانسان لانه لو بطل ملك الانسان لكان ملكا لله كما كان لم يزد فى ملكه شىء لم يكن وقوله فقد حرم الله عليه الجنة اخبار من المسيح لقومه ان من يشرك بالله فان الله يمنعه الجنة والتحريم ههنا هو تحريم منع لا تحريم عبادة وقوله وماويه النار وما للظالمين من انصار معناه انهم مع تحريمهم الجنة مستقرهم النار ولا ناصر لهم يدفع عنهم ويخلصهم مما هم فيه من انواع العذاب **قوله** تعالى لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللّٰهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلٰهٍ إِلَّا إِلٰهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ اية بلا خلاف **اقول** وهذا قسم اخر من الله بانه كفر من قال ان الله ثالث ثلاثة والقائلون بهذه المقالة هم جمهور النصارى من الملكية واليعقوبية والنسطورية لانهم يقولون اب وابن وروح القدس اله واحد ولا يقولون ثلثة الهة ويمنعون من العبارة وان كان يلزمهم ان يقولوا انهم ثلثة الهة وما كان هكذا صح ان يحكى بالعبارة اللازمة وانما قلنا يلزمهم لانهم يقولون الابن اله والاب اله وروح القدس اله والابن ليس هو الاب ومعنى ثالث ثلاثة احد ثلاثة وقال الزجاج لا يجوز نصب ثلاثة لكن للعرب فيه مذهب اخر وهو انهم يقولون رابع ثلاثة فعلى هذا يجوز الجر والنصب لان معناه الذى صير الثلاثة اربعة بكونه فيهم ثم اخبر تعالى فقال وما من اله الا اله واحد اى ليس له الا اله واحد ودخلت من للتوكيد وان لم ينتهوا عما يقولون اى ان لم يرجعوا ويتوبوا عما يقولون من القول بالتثليث اقسم ليمسن الذين كفروا منهم عذاب اليم يعنى الذين يستمرون على كفرهم والمس ههنا ما يكون معه احساس وهو حلوله فيه لان العذاب لا يمس الحيوان الا احس به ويكون المس بمعنى اللمس لان فى اللمس طلبا لاحساس الشىء فلهذا اختيرها هنا المس واللمس ملاصقة معها احساس وانما قال ليمسن الذين كفروا منهم لامرين احدهما ليعم الوعيد الفريقين الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم والذين قالوا هو ثالث ثلثة والضمير عائد الى اهل الكتاب الثانى انه من اقام منهم على الكفر لزمه هذا الوعيد فى قول ابى على والزجاج وليس فى الاية ما يدل على ان فى افعال الجوارح ما هو كفر لان الذى فيها هو الاخبار عن ان من قال ان الله ثالث ثلثة فهو كافر وهذا الخلاف فيه وليس فيها ان هذا القول بعينه هو كفر او دلالة على الكفر فمن يقول الكفر هو الجحود وان الايمان هو التصديق بالقلب يقول ان فى افعال الجوارح ما يدل على الكفر الذى هو الجحود فى القلب مثل القول الذى ذكره الله تعالى ومثل ذلك السجود للشمس وعبادة الاصنام وغير ذلك فلا دلالة فى الاية على ما قالوه **قوله** تعالى أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللّٰهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللّٰهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ اية **اقول** الالف فى قوله افلا الف انكار واصلها

١٧

الاستفهام لانه لا يصح للمسئول جواب عن مثل هذا فيكون حينئذ تقريعا لهم وانكارا عليهم ترك التوبة و
انما دخلت الى فى قوله يتوبون الى الله لان معنى التوبة الرجوع الى طاعة الله لان التائب بمنزلة من ذهب
عنها ثم عاد اليها وقد بينا فيما مضى ان التوبة طاعة يستحق بها الثواب فاما اسقاط العقاب عندها
فهو تفضل من الله غير واجب والفرق بين التوبة والاستغفار ان الاستغفار طلب المغفرة بالدعاء
او التوبة او غيرهما من الطاعة والتوبة الندم على القبيح مع العزم على ان لا يعود الى مثله فى القبح او
الاخلال بالواجب والاستغفار مع الاصرار على القبيح لا يصح ولا يجوز وفى الاية تحضيض على التوبة والاقلاع
من كل قبيح وانكار لتركهما وحث على الاستغفار والله غفور رحيم اخبار منه تعالى انه يستر الذنوب ويغفر
رحمة منه لعباده **قوله** تعالى مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ
كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ اية بلا خلاف **اقول** اخبر الله
تعالى فى هذه الاية انه ليس المسيح بن مريم الا رسول ارسله الله قد خلت من قبله الرسل اى انه رسول
ليس باله كما ان الانبياء قبله رسل ليسوا بالهة وانه اتى بالمعجزات من قبل الله كما اتى اقرانهما من
قبل ربهم فمن ادعى له الالهية لجميعهم لتساويهم فى المنزلة ومعنى خلت مضت وامه صديقة قيل فى — فهو كمن ادعى الألهية
معناه قولان احدهما انما كانت تصدق بايات ربها ومنزلة ولدها وتصديقها فيما اخبرها به بدلالة
قوله وصدقت بكلمات ربها ذكر ذلك الحسن والجبائى الثانى لكثرة صدقها وعظم منزلتها فيما
تصدق به من امرها وسميت صديقة على وجه المبالغة كما قيل رجل سكيت اى مبالغ فى السكوت وقوله
كانا ياكلان الطعام فيه احتجاج على النصارى لان من ولدته النساء وكان ياكل الطعام لا يكون الها
للعباد لان سبيله سبيلهم فى الحاجة الى الصانع المدبر لان من فيه علامة الحدث لا يكون قديما ومن
يحتاج الى غيره لا يكون قادرا لا يعجزه شئ وقيل ان ذلك كناية عن قضاء الحاجة لان من اكل الطعام
لا بد ان يحدث حدثا مخصوصا على مجرى العادة وقوله انظر كيف نبين لهم الايات امر للنبى وامته
بان يفكروا فيما بين الله من الايات والدلالات لهم على بطلان ما اعتقدوه من ربوبية المسيح وبنوته ثم
امره بان ينظر ثانيا اى كيف يؤفكون وقيل من اين يؤفكون معنى يؤفكون يصرفون وقيل يقلبون والمعنى متقارب
لان المعنى انظر كيف يصرفون عن الايات التى بيناها لهم ويقال لكل مصروف عن شئ مافوك عنه وقد افكت
فلانا عن كذا اى صرفته عنه صرفا افكه افكا فهو مافوك وقد افكت الارض اذا صرف عنها المطر والافك
الكذب لانه صرف الخبر عن وجهه والمؤتفكات المنقلبات من الرياح وغيرها لانها صرفت تقلبها عن وجهها
قوله تعالى قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ اية
اقول امر الله تعالى نبيه عليه السلام ان يقول لهؤلاء النصارى الذين قالوا ان الله ثالث ثلثة اتعبدون
من دون الله ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا اى توجهون عبادتكم الى من لا يقدر على الضر والنفع لان
القادر عليهما هو الله تعالى ومن يمكنه الله من ذلك ولو جاز توجيه العبادة الى المسيح الذى لا يملك
ذلك لجاز توجيهها الى الاصنام كما يقوله عباد الاصنام وقد علمنا خلاف ذلك والملك هو القدرة
على تصريف ما للقادر عليه ان يصرفه فملك الضر والنفع اخص من القدرة عليهما لان القادر قد يقدر
من ذلك على ما له ان يفعل وقد يقدر منه على ما ليس له ان يفعله والنفع هو فعل اللذة او السرور او
ما ادى اليهما او الى واحد منهما مثل الملاذ الذى يحصل فى الحيوان والصلة بالمال والوعد باللذة فان
جميع ذلك نفع لانه يؤدى الى اللذة والضر هو فعل الالم او الغم او ما ادى اليهما او الى واحد منهما
كالالام التى توجد فى الحيوان والقذف والسب لان جميع ذلك يؤدى الى الالام والغصب ضرر لانه
من الاشياء المؤدية الى الالام وقوله والله هو السميع العليم قيل فى معناه هاهنا قولان احدهما انه ذكر
للاستدعاء الى التوبة فهو يسمع قول العبد فيها وما يضمره منها والاخر التحذير من الجزاء بالسيئة لانه
يعلم الاعمال ويسمع الاسرار والاعلان وذلك دليل على ملك الجزاء بالثواب والعقاب **قوله** تعالى

١٨

قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَ
ضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ اية بلا خلاف **اقول** امر الله تعالى نبيه عليه السلام ان يخاطب اهل الكتاب وهم
النصارى ههنا وقال قوم المراد به اليهود والنصارى لان اليهود ايضا غلوا فى تكذيب عيسى و
محمد صلى الله عليه وآله ويقول لهم لا تغلوا فى دينكم ومعناه لا تجاوزوا الحد الذى حده الله لكم الى
الازدياد وضده التقصير وهو الخروج عن الحد الى النقصان والزيادة فى الحد والنقصان معا
فساد ودين الله الذى امر به هو بين الغلو والتقصير وهو الاقتصاد وقوله ولا تتبعوا اهواء قوم اى
وقل لهم لا تسلكوا سبيل الاوايل لان الاتباع هو سلوك الثانى طريقة الاول على وجه الاقتداء به
وقد يتبع الثانى الاول فى الحق وقد يتبعه فى الباطل وانما يعلم احدهما بدليل والمراد ههنا النهى
عن اتباع سبيلهم الباطل والاهواء ههنا المذاهب التى يدعو اليها الشهوة دون الحجة لان الانسان
قد يستثقل النظر لما فيه من المشقة ويميل طبعه الى بعض المذاهب فيعتقده وهو ضلال فيهلك به وقوله
قد ضلوا من قبل قيل فيه قولان قال الحسن ومجاهد هم اليهود وقال ابو على هم اسلافهم الذين هم رؤساء
ضلالتهم الذين ضلوا من قبل واضلوا ايضا كثيرا من الخلق ونسب الاضلال اليهم من حيث كان بدعائهم و
اغوائهم وقوله وضلوا عن سواء السبيل قيل فى معناه قولان احدهما ضلوا باضلالهم غيرهم فى قول الزجاج
الثانى وضلوا من قبل وضلوا من بعد فلذلك كرر وقيل وضلوا من قبل عن الهدى فى الدنيا واضلوا كثيرا
عن طريق الجنة وسواء السبيل معناه مستقيم الطريق والمعنى فيه الحق من الدين لانه يستقيم بصاحبه الى الجنة
والخلود فى النعيم وقيل له سواء لاستمراره على استواء **قوله** تعالى لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ
عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ اية بلا خلاف قيل فى معنى لعن الذين
كفروا من بنى اسرائيل الاية ثلثة اقوال احدها اياسهم من مغفرة الله مع الاقامة على الكفر والمعصية لله
عز وجل لدعاء الانبياء عليهم السلام عليهم بالعقوبة ودعوتهم مستجابة معما فى ذلك من الفضيحة وانطواء
اولياء الله لهم العداوة والمظاهرة عليهم فى اقامة الحجة الثانى قال الحسن ومجاهد وقتادة وابو مالك لعنوا
على لسان داود فصاروا قردة وعلى لسان عيسى فصاروا خنازير وانما ذكر عيسى وداود لانهما ابنه الانبياء
المبعوثين بعد موسى ولما ذكر داود اغنى عن ذكر سليمان لان قولهما واحد وقال ابو جعفر عليه السلام اما
داود فلعن اهل ايلة لما اعتدوا فى سبتهم وكان اعتداؤهم فى زمانه فقال اللهم البسهم اللعنة مثل الرداء
ومثل المنطقة على الحقوين فمسخهم الله قردة واما عيسى فلعن الذين انزلت عليهم المائدة ثم كفروا بعد ذلك
الثالث قال ابو على الجبائى انه انما اظهر ذلك لئلا يوهموا الناس ان لهم منزلة بولادة الانبياء تنجيهم
من عقوبة المعاصى واللعن هو الابعاد من رحمة الله فلعنه الله يعنى ابعده الله من رحمته الى عقوبته ولا يجوز
لعن من لا يستحق العقوبة من الاطفال والمجانين والبهائم لانه تعالى لا يبعد من رحمته من لا يستحق الابعاد
عنها وقوله ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون اشارة الى اللعن الذى تقدم ذكره بمعصيتهم واعتدائهم فذا
لما قرب وذاك لما بعد لانه اجزى فى دلالة الخطاب لما قرب بالاقبال عليه وفى القريب بالاشارة اليه فلما
بعد لم يصلح الاجزاء فيهما لما يصلح فيما قرب فاتى بالكاف للخطاب واكد ذلك باللام وكسرت لالتقاء — بالاثم
الساكنين والكاف فى ذلك حرف وفى غلامك اسم ولهذا لم يؤكد بما يؤكد فى غلامك لانك لا تقول
ذلك نفسك كما تقول فى غلامك نفسك وانما قال لما عصوا وكانوا يعتدون وان كان الكفر اعظم
الاجرام ليدل على ان من خلصت معصيته مما يكفرها او يفتقد وانهم مع كفرهم قد عصوا بغير الكفر
من الجرم الذى فسر فى الاية التى بعد **قوله** تعالى كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا
يَفْعَلُونَ اية بلا خلاف **اقول** اخبر الله تعالى ان هؤلاء الكفار الذين ذكرهم لم يكونوا ينتاهون عن
منكر اى لم يكن ينهى بعضهم بعضا مثل قولك لا يتضاربون ولا يتزاحمون ولا ينتهون معناه لا يكفون
عما نهوا عنه وقوله لبئس ما كانوا يفعلون وفتحت كما فتحت لام الابتداء لانها لما لم يكن عاملة كلام

١٩

الاضافة اختير لها اخف الحركات ولا يجوز ان يكون لام الابتداء لانها لا يدخل على الفعل الآتي بأن ولا يدخل على الماضي وما في قوله لبئس ما قيل فيه قولان احدهما ان يكون كافة لبئس كما يكف في انما وبعد ما وربما والاخر ان يكون اسما نكرة كانه قال بئس شيئا فعلوه كما يقول بئس رجلا كان عندك وفي الاية دلالة على وجوب انكار المنكر لان كل شيء ذم الله عليه فواجب تركه الا ان يفيد بوقت يخصه لان ظاهر ذلك يقتضي فجره والتحذير منه والمنكر وهو القبيح سمي بذلك لانه ينكره العقل من حيث ان العقل يتقبل الحسن ويعترف به ولا يأباه وينكر القبيح ويأباه والانكار ضد الاقرار فما يقر به العقل هو الحق وما ينكره فهو الباطل وقيل في معنى المنكر هاهنا ثلثة اقوال احدها صيد السمك في السبت والثاني اخذ الرشوة في الحكم الثالث اكل الربا واثمان الشحوم وقال رسول الله صلى الله عليه واله لا قدست امة لا تأخذ لضعيفها حقه غير مضيع **قوله** تعالى تَرَىٰ كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ اية بلا خلاف **اقول** هذا خطاب من الله للنبي عليه السلام يقول له ترى كثيرا منهم يعني من هؤلاء اليهود في قول الحسن وابي علي وقال غيرهما يعني اهل الكتاب اي يتولون الذين كفروا من عبدة الاوثان في قول الحسن وغيره وقال ابو جعفر يتولون الملوك الجبارين ويزينون لهم اهوائهم ليصيبوا من دنياهم فان قيل كيف يتولى اهل الكتاب عبدة الاوثان مع اكفارهم اياهم على تلك العبادة قلنا لانهم يعملون عمل المتولي بالنصرة والمعاونة والرضا بما يكون منهم من عداوة النبي عليه السلام ومحاربته ويجوز ان يكونوا تولوهم على ذلك في الحقيقة فيكون على جهة تقييد الصفة فان قيل ما الفائدة في اخباره عليه السلام لما يراه وهو عالم به قلنا عنه جوابان احدهما التوبيخ لصاحبه فيقرعون بما هو معلوم من حالهم والاخر التنبيه على باطن امرهم بما يدل عليه ظاهر حالهم المعلومة فينكشف باطنهم القبيح وقوله لبئس ما قدمت لهم انفسهم قيل في معناه قولان احدهما بئس شيئا قدموه من العمل لمعادهم في الاخرة في قول ابي علي واللام لام القسم على ما بيناه والثاني انه يجري مجرى سولت لهم انفسهم اي قدمت لهم انفسهم ما بعثتهم على تولي الذين كفروا مع مخالفتهم وقوله ان سخط الله عليهم وقيل في موضع ان سخط الله قولان احدهما رفع كقولك ما قدموه لانفسهم سخط الله اي هو سخط الله عليهم وخلودهم في النار بما كان من توليهم ورفعه كرفع زيد في قولك بئس رجل زيد الثاني انه جر على تقدير لان سخط الله عليهم وحصلوا على الخلود في النار وقال الزجاج يجوز ان يكون نصبا على تقدير بئس الشيء ذلك لان كسبهم السخطة عليهم **قوله** تعالى وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَاسِقُونَ اية بلا خلاف **اقول** قيل في معنى قوله ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي مع العلم بانهم لا يؤمنون بالنبي قولان احدهما قال الحسن ومجاهد انه في المنافقين من اليهود الثاني المراد بالنبي موسى عليه السلام ومعنى لو هاهنا انتفى بايمانهم وان لم يكن حرف نفي لكنه خرج مخرج الحجاج الذي يدل على نفي الايمان وانما معناها تعليق الثاني بالاول في انه يجب بوجوبه فاذا ظهر ان الثاني لم يجب دل على ان الاول لم يكن فقد دخله معنى النفي من هذه الجهة فان قيل اذا كان المؤمن بالله لا يطلق له اسم مؤمن الا وهو مؤمن بالنبي وبما انزل اليه فلم ذكر قلنا للدلالة على التفصيل لان تلك الصفة وان كانت دالة فانما يدل على طريق الجملة وقوله ما اتخذوهم اولياء يعني هؤلاء لو كانوا مؤمنين على الحقيقة لما اتخذوا المشركين اولياء وما يجوز ان يكون جواب لو لان حرف الجزاء يعمل فيما قبله وما لها صدر الكلام فلا يعمل فيهما وليس كذلك لم فلذلك لم يجز ان اتيتني ما ضربتك ويجوز ان اتيتني لم اضربك لانه يجوز ان يقول زيدا لم اضرب ولا يجوز ان يقول زيدا ما ضربت وقوله ولكن كثيرا منهم فاسقون انما وصفهم بالفسق وان كان الكفر اعظم في باب الذم لامرين احدهما ان معناه خارجون عن امر الله فهذا المعنى لا يظهر بصفة كافر والاخر ان الفاسق في كفره هو المتمرد فيه والكلام يدل على انهم فاسقون في كفرهم اي خارجون الى التمرد فيه **قوله** تعالى لَتَجِدَنَّ

اشد

يتقبل

نفي ايمانهم

الحجاج

لايجوز

لعل المراد في ... قيد العمل بقرائنه بلفظ الماضي وارجاع الضمير اليه المستفاد من يعمل

٢٠

أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ اية بلا خلاف **اقول** قيل في سبب نزول هذه الاية قولان احدهما قال ابن عباس وسعيد بن جبير وعطاء والسدي انها نزلت في النجاشي ملك الحبشة واصحابه لما اسلموا وقال قتادة نزلت في قوم من اهل الكتاب كانوا على الحق متمسكين بشريعة عيسى عليه السلام فلما جاء عيسى عليه السلام محمد صلى الله عليه واله امنوا به وقال مجاهد نزلت في الذين جاؤا مع جعفر بن ابي طالب رحمة الله عليه مسلمين اللام في قوله لتجدن لام القسم والنون دخلت لتفصل بين الحال والاستقبال هذا مذهب الخليل وسيبويه وغيرهما وقوله عداوة منصوب على التمييز وصف الله تعالى اليهود والمشركين بانهم اشد الناس عداوة للمؤمنين لان اليهود ظاهروا المشركين على المؤمنين مع ان المؤمنين يقرون بنبوة موسى والتورية التي اتى بها فكان ينبغي ان يكونوا الى من وافقهم في الايمان بنبيهم وكتابهم اقرب وظاهروا المشركين حسدا للنبي عليه السلام وقوله ولتجدن اقربهم مودة للذين امنوا الذين قالوا انا نصارى يعني الذين قدمنا ذكرهم عن المفسرين وقال الزجاج يجوز ان يكون اراد به النصارى لانهم كانوا اقل مظاهرة للمشركين وبه قال الجبائي وروي عن ابن عباس انه قال من زعم انها في النصارى فقد كذب وانما هم النصارى الاربعون الذين فاضت اعينهم حين قرأ النبي عليه السلام عليهم القران اثنان وثلثون من الحبشة وثمانية من اهل الشام وسارعوا الى الاسلام ما سارع اليهود والمودة هي المحبة اذا كان معها ميل الطباع يقال ود الرجل اوده ودا وودادا ومودة اذا احببته ووددته اذا تمنيته اوده ودا ومنه قوله ودوا لو تدهن فيدهنون وقوله ذلك بان منهم قسيسين فالقسيسون العباد في قول ابن زيد والقس والقسيس واحد الا انه قد صار كالعلم على رئيس من رؤساء النصارى في العبادة ويجمع قسوسا واصله في اللغة النميمة قس يقس قسا اذا نم الحديث قال رؤبة بن العجاج

يصبحن عن قس الاذى غوافلا ۔۔۔ لا جعبريات ولا طهاملا

الطهامل من النساء القباح ومصدره القسوسة والقسيسة فالقس الذي يتم حاله بالاجتهاد في العبادة والرهبان جمع راهب كراكب وركبان وفارس وفرسان قال الشاعر

رهبان مدين لو رأوك تنزلوا ۔۔۔ والعصم من شعف العقول الفادر

وقيل انه يكون واحدا ويجمع رهابين كقربان وقرابين ورهابنة ايضا قال الشاعر

لو عاينت رهبان دير في القلل ۔۔۔ لانحدر الرهبان يمشي ونزل

وكل ذلك من الرهبة التي هي المخافة ورهب يرهب رهبا اذا خاف والترهيب ضد الترغيب وقوله وانهم لا يستكبرون معناه ان هؤلاء النصارى الذين امنوا لا يستكبرون عن اتباع الحق والانقياد له كما استكبر اليهود وعباد الاوثان وانفوا من قبول الحق فاخبر الله تعالى في هذه الاية عن مجاوري النبي صلى الله عليه واله من اليهود ومودة النجاشي واصحابه الذين اسلموا معه من الحبشة لان الهجرة كانت الى المدينة وبها اليهود والى الحبشة وبها النجاشي واصحابه فاخبر عن عداوة هؤلاء ومودة اولئك **قوله** تعالى وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ اية بلا خلاف **اقول** هذا وصف للذين امنوا من هؤلاء النصارى الذين ذكرهم الله انهم اقرب مودة للمؤمنين بانهم اذا سمعوا ما انزل الله من القران يتلى ترى اعينهم تفيض من الدمع يعني من امن من هؤلاء النصارى قال الزجاج وابو علي تقديره ومنهم اذا سمعوا ولم يذكر منهم لدلالة الكلام عليه وما وصفهم به فيما بعده وفيض العين من الدمع امتلاؤها منه سيلا منه كفيض النهر من الماء وفيض الاناء وهو سيلانه عن شدة امتلاء ومنه قول الشاعر شعر

ففاضت دموعي فظل الشؤون ۔۔۔ اما وكيفا واما انحدادا

وخبر مفيض اي شايع وفاض صدر فلان بسره وافاض القوم من عرفات الى منى اذا دفعوا وافاض القوم

في الحديث

وكعه اشبه المطره العين بالدمع وكفا وكيفا قطره وسال قليلا

يؤمنون

يُقصعن يَستبين صحاح ... الجعبر القصير الغليظ والمرأة جعبرة

الجبال القادر جمع ... الشعفة بالتحريك رأس الجبل والجمع شعف

وتنزل

الجزء السابع

الشؤون مجاري الدمع الى العين واحدها الشأن

فى الحديث اذا اتد فهو اتيه والدمع الماء الجارى من العين ويشبه به الصافى فيقال دمعة والمدامع
مجارى الدمع د شجرة وامعة تسيل دما وقوله مما عرفوا من الحق اى مما علموه من صدق النبى وصحة ما
اتى به يقولون ربنا فى موضع الحال وتقديره قائلين ربنا صدقنا بما انزلت فاكتبنا مع الشاهدين
فيكون بمنزلة ما قد كتب ودون الثانى فاكتبنا معهم فى ام الكتاب وهو اللوح المحفوظ والشاهدين
قال ابن عباس وابن جريج مع امة محمد صلى الله عليه واله الذين يشهدون بالحق من قوله تعالى وكذلك
جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس وقال الحسن هم الذين يشهدون بالايمان وقال ابو على
الذين يشهدون بتصديق نبيك وكتابك **قوله** تعالى وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَ
نَطْمَعُ اَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ اية **اقول** هذا اخبار من هؤلاء الذين امنوا من النصارى
بانهم قالوا وما لنا قال الزجاج وهو جواب لمن قال لهم من قومهم معنفين لهم لم امنتم وقال غيره فيدا
فى انفسهم كان سائلا يسألهم عنه فاجابوا بذلك وقوله لا نؤمن فى موضع حال نصب على الحال وتقديره
اى شئ لنا تاركين للايمان اى فى حال تركنا للايمان والايمان هو التصديق عن ثقة لان المصدق راجع
الى طمانينة القلب بما صدق به والحق هو الشئ الذى من عمل عليه نجا ومن عمل على ضده من الباطل
هلك ومعنى من هاهنا قيل فى معناه قولان احدهما تبيين الاضافة التى يقوم مقام الصفة كانه قيل
والجائى لنا الذى هو حق وقال اخرون انها للتبعيض لانهم امنوا بالذى جاءهم على التفصيل ووصف
القران بانه جاء مجاز كما قيل نزول ومعناه نزل به الملك فكذلك جاء به الملك ويقال جاء بمعنى حدث
نحو جاءت سكرة الموت وجاء البرد والحر وقوله ونطمع فالطمع تعلق النفس بما يقوى ان يكون من معنى
المحبوب ونظيره الامل والرجاء فالطمع الى يكون معه الخوف ولا يكون ان يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين
معناه ان يدخلنا معهم الجنة والصالح هو الذى يعمل الصلاح فى نفسه واذا عمله فى غيره فهو مصلح
فلذلك لم يوصف الله تعالى بانه صالح ووصف بانه مصلح **قوله** تعالى فَاَثَابَهُمُ اللّٰهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ
تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْاَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ اية بلا خلاف **اقول** معنى اثابهم الله
جازاهم الله بالنعيم على العمل كما ان العقاب الجزاء بالعذاب على العمل واصل الثواب الرجوع ومنه قوله
هل ثوب الكفار اى هل رجع اليهم جزاء عملهم وقوله بما قالوا يعنى قولهم ربنا امنا وقوله جنات تجرى من
تحتها الانهار وانما ذكرها بلفظ الجمع وان كانت هى جنة الخلد لانها جنة فيها جنات اى بساتين وذكر
بالجمع لتبيين عن اختلاف صنوفها واحوال اشجارها وانهارها ووجوه الاستمتاع بها ووجه اخر هو ان يكون
جنتهما اضافة اليهم كما يقال لهم جنة الخلد الا انها مرة يذكر على طريق الجنس ومرة على غير طريق الجنس
وقوله وذلك جزاء المحسنين ذلك اشارة الى ثواب والاحسان هو ايصال النفع الحسن الى الغير وضده
الاساءة هو ايصال الضرر والقبيح اليه وليس كل من كان من جهته احسان فهو محسن مطلقا فالمحسن
فاعل الاحسان الخالى مما يبطله كما ان المؤمن هو فاعل الايمان الخالص مما يحبطه وعندنا لا يحتاج الى
شرط خلوه مما يبطله لان الاحباط عندنا باطل لكن يحتاج ان يشرط فيه ان يكون خاليا من وجوه القبح
وقوله وذلك جزاء المحسنين وان كان مطلقا فهو مقيد فى المعنى بالمحسنين الذين يجوز عليهم الوعد بالنفع
لانه قد علمنا الا ترى ان الله تعالى يفعل الاحسان وان كان لا يصح عليه الثواب وانه مضمن بجوز عليه
المنافع والمضار فجزاؤه هذه المنافع العظام دون المضار لانه خرج مخرج استدعاء العباد الى فعل الاحسان
قوله تعالى وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِاٰيَاتِنَا اُولٰئِكَ اَصْحَابُ الْجَحِيمِ اية بلا خلاف **اقول** لما كان
اهل الكتاب فريقين احدهما امنوا والثانى كفروا وذكر الواقدى الوعد للمؤمنين منهم اقتضى ان يذكر
الوعيد لمن كفر منهم واطلق اللفظ ليكون لهم ولكل من جرى مجراهم وانما شرط فى الوعيد على الكفر
التكذيب بالايات وان كان كل واحد منهما يستحق به العقاب لان صفة الكفار من اهل الكتاب انهم
يكذبون بالايات فلم يصلح ههنا الوكذبوا لانهم قد جمعوا الامرين ولان دعوة الرسول عليه السلم بوعيد

لان الذى جاءهم وانكارهم بنفى الحق

ان من

الكفار ظاهرة مع مجئ القران به فى نحو قوله ان الله لا يغفر ان يشرك به فلم يقع فيه اشكال لهذا وقوله اولئك
يعنى هؤلاء الكفار اصحاب الجحيم يعنى الملازمون له كقولك اصحاب الصحراء وليس كمثل اصحاب الاموال
لان معنى ذلك ملاك الاموال وليس من شرط المكذب ان يكون عالما انما كذب به صحيح قلنا بل اذا
اعتقد ان المخبر كذب سمى مكذبا وان لو يعلم انه كذب وانما يستحق الذم لانه جعل له طريق الى ان يعلم
صحة ما كذب به والجحيم النار الشديدة الايقاد وهو اسم من اسماء جهنم ويقال جحم فلان النار اذا اشتد
ايقادها ويقال ايضا لعين الاسد جحمة لشدة ايقادها ويقال ذلك للحرب ايضا قال الشاعر

والحرب لا يبقى لجاحمها   التخيل والمراح الا الفتى الصبار

فى الجدات والفرس الوقاح **قوله** تعالى يَا اَيُّهَا الَّذِينَ اٰمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا اَحَلَّ اللّٰهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا
اِنَّ اللّٰهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ اية **اقول** هذا خطاب للمؤمنين خاصة نهاهم الله ان يحرموا طيبات ما احل
الله لهم والتحريم هو العقد على ما لا يجوز فعله للعبد والتحليل حل ذلك العقد وذلك كتحريم السبت
بالعقد على اهله فلا يجوز لهم العمل فيه وتحليله تحليل ذلك العقد بانه يجوز لهم الان العمل فيه والطيبات
اللذيذات التى تشتهيها النفوس وتميل اليها القلوب ويقال طيب بمعنى حلال ويقول يطيب له كذا
اى يحل له ولا يليق ذلك بهذا الموضع لانه لا يقال لا تحرموا حلال ما احل الله لكم والذى اقتضى ذكر
النهى عن تحريم الطيبات على ما قال ابن عباس ومجاهد وابو مالك وقتادة وابرهيم حال الرهبان الذين
حرموا على انفسهم المطاعم الطيبة والمشارب اللذيذة وحبسوا انفسهم فى الصوامع وساحوا فى الارض وحرموا
النساء فهم قوم من الصحابة ان يفعلوا مثل ذلك فنهاهم الله عن ذلك وقال ابو على نهوا ان يحرموا الحلال
من الرزق لما يخلطه من الغصب واختار الرمانى الوجه الاول لان اكثر المفسرين عليه قال السدى نهاهم الله
عما هم به عثمان بن مظعون من جب نفسه وقال عكرمة هو ما همت به الجماعة من تحريم النساء والطعام والنوم
وقال الحسن لا تعتدوا الى ما حرم عليكم وهو اعم فائدة والاعتداء مجاوزة حد الحكمة الى ما نهى عنه الحكيم و
زجر عنه اما بالعقل والسمع وهو تجاوز المرء ما له الى ما ليس له وقوله ان الله لا يحب المعتدين معناه يبغضهم
ويريد الانتقام منهم وانما ذكره على وجه النفى لدلالة هذا النفى على معنى الاثبات اذا ذكر فى صفة المعتدين
وكانه قيل يكفيهم فى الهلاك الا يحبهم الله **قوله** تعالى وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللّٰهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللّٰهَ الَّذِي
اَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ اية اجماعا **اقول** سبب نزول الاية هذه الاية والتى قبلها على ما قال عكرمة وابو قلابة
وابو مالك وابرهيم وقتادة والسدى وابن عباس والضحاك ان جماعة من الصحابة منهم على عليه السلم وعثمان بن
مظعون وابن مسعود وعبد الله بن عمر هموا بصيام الدهر وقيام الليل واعتزال النساء وجب انفسهم وتحريم
الطيبات عليهم فروى ان عثمان بن مظعون قال اتيت النبى عليه السلم فقلت يا رسول الله ائذن لى فى الترهب
فقال لا انما رهبانية امتى الجلوس فى المسجد وانتظار الصلوة بعد الصلوة فقلت يا رسول الله اتاذن
لى فى السياحة قال سياحة امتى الجهاد فى سبيل الله فقلت يا رسول الله اتاذن لى فى الاختصاء فقال ليس
منا من خصى واختصى انما اختصاء امتى الصوم قوله وكلوا لفظه لفظ الامر والمراد به الاباحة اباح الله تعالى
للمؤمنين ان ياكلوا مما رزقهم حلالا طيبا فالرزق هو ما للحى الانتفاع به وليس لغيره منعه منه وقال
الرمانى الرزق هو العطاء الجارى فى الحكم من ذلك قيل رزق السلطان الجند اذا جعل لهم عطاء جاريا فى
حكمه فى كل شهر او فى كل سنة قال الرمانى وكل ما خلقه الله فى الارض مما يملك فهو رزق للعباد فى الجملة
بدلالة قوله هو الذى خلق لكم ما فى الارض جميعا ولولا ذلك لجوزنا ان يكون منه ما ليس للانس الا انه
وان كان رزقا لهم فى الجملة فتفصيل قسمته على ما يصح ويجوز من الاملاك ولا يجوز ان يكون الرزق حراما
لان الله منع منه بالنهى فاما البغاة فيرزقون حراما اذا حكموا بان المال للعبد وهو مغصوب لا يحل قال
ما افترسه السبع رزق له بشرط غلبته عليه كما ان غنيمة المشركين رزق لنا بشرط غلبتنا عليها لان المشرك
يملك ما فى يده فاذا غلبنا عليه بطل ملكه وصار رزقا لنا فى هذه الحال قال وقد امرنا بان نمنعه من الانسان

اى ... الالتزام بتركه ... وشبهه ... قدره مصدرية

٢٣

مع الامكان واذن لنا ان نمتنعه عن غيره من نحو الميتة والوحش ان شئنا و يسقط جميع ذلك في حال التعذر علينا وعندنا انه لا يجب ان يطلق ان ما يغلب عليه الشرع رزق له بل انما نقول ان رزقه ما ليس لنا منعه منه فاما ما لنا منعه منه امليان يكون ملكا لنا او اذن لنا فيه فلا يكون رزقا له بالاطلاق وقد يسلط الله السبع على بعض المشركين فيكون رزقا له دعفا بالمشرك والاصل فيه وما من دابة في الارض الا على الله رزقها فمفهوم هذا انه رزقه بشرط الغلبة عليه فان قيل اذا كان الرزق لا يكون الا حلالا فلم قال حلالا قيل ذكر ذلك على وجه التاكيد كما قال وكلم الله موسى تكليما وقد اطلق في موضع اخر على جهة المدح ومما رزقناهم ينفقون وقوله واتقوا الله الذي انتم به مؤمنون استدعاء الى التقوى بالطف الاستدعاء وتقديره ايها المؤمنون بالله لا تضيعوا ايمانكم بالتقصير في التقوى فيكون عليكم الحسرة العظمى واتقوا تحريم ما احله الله لكم في جميع معاصيه من به تؤمنون وهو الله تعالى واصل الصفة التعريف ثم يخرج الى غير ذلك من المعاني التي يحسن في مخرج الصفة فلذلك قال الذي انتم به مؤمنون وفي هاتين الايتين دلالة على كراهية التخلي والتفرد والتوحش والخروج عما عليه الجمهور في التاهل وطلب الولد وعمارة الارض **قوله** تعالى لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان فكفارته اطعام عشرة مساكين من اوسط ما تطعمون اهليكم او كسوتهم او تحرير رقبة فمن لم يجد فصيام ثلثة ايام ذلك كفارة ايمانكم اذا حلفتم واحفظوا ايمانكم كذلك يبين الله لكم اياته لعلكم تشكرون اية بلا خلاف **اقول** قرا عاقدتم بالالف ابن عامر وعقدتم بلا الف مع تخفيف القاف حمزة والكسائي وابو بكر عن عاصم الباقون بالتشديد ومنع من القراءة بالتشديد الطبري قال لانه لا يكون الا مع تكرير اليمين والمؤاخذة يلزم من غير تكرير بلا خلاف وهذا ليس بصحيح لان تشديد اليمين ان يعقدها بقلبه ولفظه ولو عقد عليها في احدهما دون الاخر لم يكن تعقيدا وهو كالتعظيم الذي يكون تارة بالمضاعفة وتارة بعظم المنزلة وقال ابو علي الفارسي من شدد احتمل امرين احدهما ان يكون لتكثير الفعل لقوله ولكن يؤاخذكم مخاطبا الكثرة فهو مثل وغلقت الابواب والاخر ان يكون عقد مثل ضعف لا يراد به التكثير كما ان ضاعف لا يراد به فعل من اثنين وقال الحسين بن علي المغربي في التشديد فايدة وهو انه اذا اكثر اليمين على محلوف واحد فاذا حنث لم يلزمه الا كفارة واحدة وفي ذلك خلاف بين الفقهاء والذي ذكره قوي ومن قرا بالتخفيف جاز ان يريد به الكثير من الفعل والقليل الا ان فعل يختص بالكثير كما ان الركبة يختص بالحال التي يكون عليها الركوب وقالوا عقدت الحبل والعهد واليمين عقدا الا ترى انها يتلقى بما يتلقى به القاسم قال الشاعر **شعر** قوم اذا عقدوا عقدا لجارهم
ويقال اعقدت العسل فهو معقد وعقيد وحكى ابو اسحق عقدت العسل والاول اكثر فاما قراءة ابن عامر فيحتمل امرين احدهما ان يكون عاقدتم يراد به عقدتم كما ان عافاه الله وعاقبت اللص وطارقت النعل بمنزلة فعلت ويحتمل ان يكون اراد فاعلت الذي يقتضي فاعلين فصاعدا كانه قال يؤاخذكم بما عاقدتم عاقدتم عليه اليمين ولما كان عاقد في المعنى قريبا من عاهد عداه بعلى كما يعدى عاهد بها قال الله تعالى ومن اوفى بما عاهد عليه الله والتقدير يؤاخذكم بالذي عاقدتم عليه ثم قال عاقدتموه الايمان فحذف الراجع ويجوز ان يجعل ما مع الفعل بمنزلة المصدر فيمن قرا عقدتم بالتخفيف والتشديد فلا يقتضي راجعا كما لا يقتضيه في قوله ولهم عذاب اليم بما كانوا يكذبون وقيل في سبب نزول هذه الاية قولان احدهما قال ابن عباس ان القوم لما حرموا الطيبات من الماكل والمناكح والملابس حلفوا على ذلك فنزلت الاية وقال ابن زيد نزلت في عبد الله بن رواحة كان عنده ضيف فاخرت زوجته عشاه فحلف لا ياكل من الطعام وحلفت المراة لا تاكل ان لم ياكل وحلف الضيف لا ياكل ان لم ياكلا فاكل عبد الله بن رواحة واكلا معه واخبر النبي عليه السلام بذلك فقال له احسنت ونزلت هذه الاية و اللغو في اللغة هو ما لا يعتد به قال الشاعر **شعر** او مائة تجعل اولادها

لغوا وعرض المائة الجلمد اي الذي يعارضها في قوة الجلمد يعني بالمائة نوقا اي لا يعتد به و لغو اليمين هو الحلف على وجه الغلط من غير قصد مثل قول القائل لا والله وبلى والله على سبق اللسان هذا هو المروي عن ابي جعفر وابي عبد الله وهو قول ابي علي الجبائي وقال الحسن وابو مالك هو اليمين على ما يرى صاحبها انه على ما حلف ولا كفارة في يمين اللغو عند اكثر المفسرين والفقهاء وروي عن ابرهيم ان فيها الكفارة بخلاف عنه بين الله تعالى بهذه الاية انه لا يؤاخذ على لغو الايمان وانه يؤاخذ لما عقد عليه قلبه ونواه وقوله فكفارته الها يحتمل رجوعها الى احد ثلثة اشياء احدها الى ما من قوله بما عقدتم الايمان الثاني على الكفر الثالث على حنث اليمين لانه مدلول عليه الاول هو الصحيح وبه قال الحسن والشعبي وابو مالك وعايشة وقوله فاطعام عشرة مساكين انما ذكر بلفظ التذكير تغليبا للتذكير في كلامهم لانه لا خلاف انه لو اطعم الاناث لاجزاه ويحتاج ان يعطي عشرة على ما يكفيهم فقدار
وقد حده اصحابنا ان يعطي كل واحد مدين او مدا وقدره رطلان وربع منفردا او يجمعهم على ما هذا قدره ليا كلوه ولا يجوز ان يعطي خمسة ما يكفي عشرة وهو قول ابي علي وفيه خلاف بين الفقهاء ذكرناه في الخلاف وهل يجوز اعطاء القيمة فيه خلاف والظاهر يقتضي انه لا يجزي والروايات تدل على اجزائه وهو قول ابي علي واهل العراق وانما ذكر الكفارة في الاية ولم يذكر التوبة لان المعنى فكفارته الشرعية كذا فاما العقاب فلانه يجوز ان يكون المعصية صغيرة او كبيرة فلاجل ذلك لم يبين وعندنا ان حكم التوبة معلوم من الشرع فلذلك لم يذكر وقوله من اوسط ما تطعمون قيل فيه قولان احدهما الخبز والادم دون اللحم لان افضله الخبز واللحم والتمر واوسطه الخبز والزيت او السمن وادونه الخبز والملح وبه قال ابن عمر والاسود وعبيدة و شريح الثاني قيل اوسطه في المقدار ان كنت تشبع اهلك او لا تشبعهم بحسب العسر واليسر فبقدر ذلك وهذا قول ابن عباس والضحاك وعندنا يلزمه ان يطعم كل مسكين فيقدر ذلك هذا قول ابن عباس والضحاك وعندنا يلزمه ان يطعم كل مسكين مدين وقال علي عليه السلام وعمر وابرهيم وسعيد بن جبير والشعبي ومجاهد قال قوم يكفيه مد ذهب اليه زيد بن ثابت والشافعي وغيرهما والطبري ولنا في ذلك في اخبارنا وقوله او كسوتهم فالذي رواه اصحابنا انه ثوبان لكل واحد مئزر وقميص وعند الضرورة قميص وقال الحسن ومجاهد وعطا وطاوس وابرهيم ثوب ثوب وقوله او تحرير رقبة فالرقبة التي تجزي في الكفارة كل رقبة كانت سليمة من العاهة صغيرة كانت او كبيرة مؤمنة كانت او كافرة والمؤمنة افضل لان الاية مطلقة مبهمة وفيه خلاف ذكرناه في الخلاف وما قلنا قول اكثر المفسرين من الحسن وغيره ومعنى فتحرير رقبة عتق رقبة وقيل تحرير من الحرية اي جعلها حرة قال الفرزدق

ابني غدانة انني حررتكم ... فوهبتكم لعطية بن جمال

اي اعتقتكم من ذل الهجاء ولزوم العار وهذه الثلاثة اشياء مخير فيها بلا خلاف وعندنا انها واجبة على التخيير وقال قوم ان الواجب منها واحد لا بعينه والكفارة قبل الحنث لا تجزي وفيه خلاف وقوله فمن لم يجد فصيام ثلثة ايام يحتمل رفعه ان يكون بالابتداء وخبره فكفارته ويجوز ان يكون رفعا بالخبر ويكون تقديره فكفارته صيام وحد من ليس بواجد هو من ليس عنده ما يفضل عن قوته وقوت عياله يومه وليلته وهو قول قتادة والشافعي وصوم الثلاثة ايام متتابعة وبه قال ابن كعب وابن عباس ومجاهد وابرهيم وقتادة وسفيان واكثر الفقهاء ويقويه انه في قراءة ابن مسعود وابي صيام ثلثة ايام متتابعات وقال مالك والحسن التتابع افضل والتفريق يجوز فاما اذا قال القائل ان فعلت كذا فلله علي ان اتصدق بمائة دينار فان هذا نذر عندنا وعند اكثر الفقهاء يلزمه به مائة دينار وقال ابو علي عليه كفارة يمين لقوله ذلك كفارة ايمانكم وهو عام في جميع الايمان وهذا ليس بيمين عندنا يكرهونه ويلزمونه الوفاء به لقوله اوفوا بالعقود واليمين على ثلثة اقسام احدها عقدها طاعة وحلها معصية فهذه يتعلق بحنثها الكفارة بلا خلاف كقوله والله لا شربت خمرا ولا قتلت نفسا الثاني عقدها معصية وحلها طاعة كقوله والله لا صليت ولا صمت فاذا حنث بالصلوة والصوم فلا كفارة عليه عندنا وخالف جميع الفقهاء في ذلك واوجبوا عليها

٢٥

الكفارة الثالث ان يكون عقدها مباحا كقوله والله لا لبست هذا الثوب فمتى حنث تعلق به الكفارة بلا خلاف
وقوله ذلك كفارة ايمانكم اذا حلفتم معناه واذا حنثتم وقوله واحفظوا ايمانكم قيل في معناه قولان احدهما
احفظوها ان تحلفوا بها ومعناه لا تحلفوا الثاني احفظوها من الحنث وهو الاقوى لان الحلف مباح الا في
معصية بلا خلاف وانما الواجب ترك الحنث وذلك يدل على ان اليمين في المعصية غير منعقدة لانها لو
انعقدت للزم حفظها اذا لم ينعقد لم يلزمه كفارة على ما بيناه وقوله كذلك يبين الله لكم اياته لعلكم
تشكرون معناه ان الله يبين لكم اياته وفرايضه كما بين لكم امر الكفارة لتشكروه على تبيينه لكم اموركم
ونعمه عليكم وتسهيله عليكم المخرج من الاثم بالكفارة فاما اقسام الايمان وما ينعقد منها وما لا ينعقد و
شرايطها فقد بيناها في كتب الفقه مشروحة لا نطول بذكرها الكتاب **قوله** تعالى يا ايها الذين امنوا
انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون اية بلا خلاف
اقول هذا خطاب للمؤمنين اخبرهم الله تعالى ان الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس فالخمر
عصير العنب التي تشتد وهو العصير التي يسكر كثيره وقليل الخمر حرام وسمي خمرا لانها بالسكر يغطي على العقل
والاصل في الباب التغطية من قول اهل اللغة خمرت الاناء اذا غطيته ومنه دخل في خمار الناس اذا خفي فيما بينهم
يسترهم له والخمير العجين التي يغطى حتى يختمر وخمار المراة لانها يغطي راسها وخامره الحزن اذا خالطه منتشرا
في قلبه واستخمرت فلانا اي استعبدته والاصل فيه امرته ان يتخذ الخمر ثم كثر حتى جرى في كل شيء امر به وعلى
هذا الاشتقاق يجب ان يسمى النبيذ وكل مسكر على اختلاف انواعه خمرا لاشتراكهما في المعنى وان يجري عليها
اجمع جميع احكام الخمر والميسر القمار كله ماخوذ من تيسير امر الجزور بالاجتماع على القمار فيه والذي يدخل
فيه ييسر والذي لا يدخل فيه برم قال ابو جعفر ويدخل فيه الشطرنج والنرد وغير ذلك حتى اللعب بالجوز
والاصل فيه اليسر خلاف العسر وسميت اليد اليسرى تفاؤلا بتيسير العمل بها وقيل بل لانها تعين اليمنى
فيكون العمل ايسر وذهب يسرة خلاف يمنة والانصاب الاصنام واحدها نصب وقيل لها انصاب لانها
كانت تنصب للعبادة لها واصل الانتصاب القيام نصب ينصب نصبا ومنه النصب التعب عن العمل
الذي ينصب له ونصاب السكين لانه ينصب فيه ومناصبته العداوة والانتصاب العداوة ومنه قال الاعشى

وذا النصب المنصوب لا تنسكنه ولا تعبد الشيطان والله فاعبدا

والازلام القداح وهي سهام كانوا يجيلونها ويجعلون عليها علامات افعل ولا تفعل ونحو ذلك على ما
يخرج من ذلك في سفر او اقامة او غير ذلك من الامور المهمة وكانوا يجيلونها للقمار واحدها زلم وزلم
وقال الاصمعي كان الجزور يقسمونه على ثمانية وعشرين جزء وقال ابو عمرو كان عددها على عشرة و
قال ابو عبيدة لا علم لي بمقدار تعدلتها وقد ذكرت اسماؤها مفصلا وهي عشرة ذوات الخطوط منها سبعة
واسماؤها الفذ والتوام والرقيب والحلس والنافس والمسبل والمعلى والاغفال التي لا خطوط لها
ثلثة اسماؤها السفيح والمنيح والوغد ذكر القتيبي ذلك وقوله رجس اي نجس والرجز العذاب ومنه قوله
لئن كشفت عنا الرجز اي العذاب وقوله والرجز فاهجر يعني الاوثان ومعناه الرجس فاهجر واصل
الرجز تتابع الحركات يقال ناقة رجزاء اذا كانت ترتعد قوائمها في ناحيته وقال الزجاج يقال رجس يرجس
اذا عمل عملا قبيحا والرجس بفتح الراء شدة الصوت وسحاب رجاس ورعد رجاس اذا كان شديد الصوت قال
الشاعر **شعر**

وكلهم جاس تسوق الرجسا

وقوله من عمل الشيطان انما نسبها
الى عمل الشيطان وهي اجسام لما يامر به من الفساد فيامر بالسكر ليزيل العقل ويامر بالقمار لاستعمال
الاخلاق الدنية ويامر بعبادة الاوثان لما فيها من الكفر بالله العظيم ويامر بالازلام لما فيها من ضعف
الراي والاتكال على الاتفاق وقوله فاجتنبوه امر بالاجتناب اي كونوا جانبا منه في ناحية لعلكم تفلحون
معناه لكي يفوزوا بالثواب وفي الاية دلالة على تحريم الخمر وهذه الاشياء الاربعة من اربعة وجوه احدها
احدها انه وصفها بانها رجس وهي النجس والنجس محرم بلا خلاف الثاني فيها نسبها الى عمل الشيطان وذلك

لايكون

٢٦

لا يكون الا محرما والثالث انه امرنا باجتنابه والامر يقتضي الايجاب الرابع انه جعل الفوز والصلاح
باجتنابه والهاء في قوله فاجتنبوه راجعة الى عمل الشيطان وتقديره اجتنبوا عمل الشيطان قال ابن عباس الرجس
هاهنا معناه السخط وقال ابن زيد هو الشر **قوله** تعالى انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة
والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلوة فهل انتم منتهون اية بلا خلاف **اقول**
قيل في سبب نزول هذه الاية قولان احدهما انه لاحى سعد بن ابي وقاص رجلا من الانصار وقد كانا شربا
الخمر فضربه بلحى جمل ففزر انف سعد بن ابي وقاص فنزلت هذه الاية الثاني انه لما نزل قوله يا ايها الذين
امنوا لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى قال عمر اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا فنزلت الاية والشيطان
انما يريد ايقاع العداوة والبغضاء بينهم بالاغواء المزين لهم ذلك حتى اذا سكروا زالت عقولهم واقدموا
من المكاره والمقابح على ما كانت يمنعه منه عقولهم وقال قتادة كان الرجل يقامر في ماله واهله فيقمر
ويبقى حزينا سليبا فيكسبه ذلك العداوة والبغضاء وقوله ويصدكم عن ذكر الله اي يمنعكم من الذكر
لله بالتعظيم والشكر على الائه لما في ذلك من الدعاء الى الصلاح واستقامة الحال في الدين والدنيا بالرغبة
فيما عنده والتوصل اليه بالاجتهاد في طاعته التي يجمع محاسن الافعال ومكارم الاخلاق وقوله فهل انتم
منتهون في صيغة الاستفهام ومعناه النهي وانما جاز ذلك لانه اذا ظهر قبح الفعل للمخاطب صار في منزلة
من نهي عنه واذا قيل له افعله بعد ما قد ظهر من امره صار في محل من عقد عليه باقراره فان قيل ما الفرق
بين انتهوا عن شرب الخمر وبين لا تشربوا الخمر قلنا لانه اذا قال انتهوا دل ذلك على انه مريد لامرنا في
شرب الخمر وصيغة النهي انما يدل على كراهة الشرب لانه قد ينصرف عن الشرب الى اخذ اشياء مباحة
وليس كذلك المامور به لانه لا ينصرف عنه الا الى محظور والمنهي عنه قد ينصرف عنه الى غير مفروض
قوله تعالى واطيعوا الله واطيعوا الرسول واحذروا فان توليتم فاعلموا انما على رسولنا البلاغ
المبين ٥ اية بلا خلاف **اقول** لما امر الله تعالى باجتناب الخمر والميسر والانصاب والازلام امر في
هذه الاية بطاعته في ذلك وغيره من اوامر الله تعالى والطاعة هي امتثال الامر والانتهاء عن المنهي عنه
ولذلك يصح ان يكون الطاعة طاعة لاثنين بان يوافق امرهما وارادتهما وقوله واحذروا امر منه تعالى
بالحذر وهو امتناع القادر من الشيء لما فيه من الضرر والخوف هو توقع الضرر الذي لا يؤمن كونه والجزع
مفاجاة الضرر الذي يزعج النفس مثله والفزع والرعب مثل الجزع وقوله فان توليتم فاعلموا انما
على رسولنا البلاغ المبين معناه الوعيد والتهديد كانه قال فاعلموا انكم قد استحققتم العقاب لتوليكم
عما ادى رسولنا من البلاغ المبين يعني الاداء الظاهر الواضح فوضع كلام موضع كلام للايجاز ولو كان
على صيغته من غير هذا التقدير لم يصح لان عليهم ان يعلموا ذلك تولوا او لم يتولوا وما في قوله انما
كافة لان عن عملها وذلك انها لما كانت من عوامل الاسماء خاصة ثم احتيج الى دخالها على غيرها زيد عليها
ما ليعلم تغيرها عن حالها فصارت كافة لها **قوله** تعالى ليس على الذين امنوا وعملوا الصالحات جناح
فيما طعموا اذا ما اتقوا وامنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وامنوا ثم اتقوا واحسنوا والله يحب المحسنين
اية **اقول** قال ابن عباس وانس ابن مالك والبراء ابن عازب ومجاهد وقتادة والضحاك انه لما نزل تحريم
الخمر قالت الصحابة كيف بمن مات من اخواننا وهو يشربها فانزل الله الاية وبين انه ليس عليهم في ذلك
شيء اذا كانوا مؤمنين عاملين للصالحات ثم يتقون المعاصي جميع ما حرم الله عليهم فان قيل لم كرر ذكر
الاتقاء ثلاث مرات في الاية قيل الاول المراد به اتقاء المعاصي الثاني الاستمرار على الاتقاء والثالث
اتقاء مظالم العباد او ضم الاحسان الى الاتقاء على وجه الندب اعتبر ابو علي في الثالث الامرين وقوله
والله يحب المحسنين اي يريد ثوابهم واجلالهم واكرامهم والاحسان النفع الحسن الواصل الى الغير ولا يقال
لكل حسن احسان لانه لا يقال في العذاب بالنار انه احسان وان كان حسنا والصلاح استقامة الحال وهو
مما يفعله العبد وقد يفعل الله تعالى له الصلاح في دينه بما للطف فيه والايمان هو الاطمينان الى الصواب

يفعله

بفعله مع التعدية وهو من افعال العباد وعلى هذا يحمل قوله وامنوا الاول على الايمان بالله الذي هو التصديق وروي ان قدامة بن مظعون شرب الخمر في ايام عمر فاراد عمر ان يقيم عليه الحد فقال ليس على الذين امنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا فاراد عمر ان يدرأ عنه الحد حين لم يعلم تحريمها فقال اية المؤمنين عليه السلام ادبروه على الصحابة فان لم يسمع احدا منهم قرأ عليه اية التحريم فادرؤا عنه وان كان قد سمع فاستتيبوه واقيموا عليه الحد فان لم يتب وجب عليه القتل **قوله** تعالى يا ايها الذين امنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد تناله ايديكم ورماحكم ليعلم الله من يخافه بالغيب فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم اية واحدة بلا خلاف **اقول** هذا خطاب من الله تعالى للمؤمنين وقسم منه انه يبلوهم بشيء من الصيد لان اللام في قوله ليبلونكم الله لام القسم والواو مفتوحة لالتقاء الساكنين في قول بعضهم مثل واو اغزون واما واو ليبلونكم قال سيبويه هي مبنية على الفتح وقال الزجاج فتحت واو ليبلونكم لانها حرف الاعراب الذي يتعاقب عليه الحركات وضمت واو ليبلون لانها واو الجمع فصح لالتقاء الساكنين نحو قوله فلا تخشوا الناس اخشوني ومعنى ليبلونكم ليختبرن طاعتكم من معصيتكم بشيء من الصيد واصله اظهار باطن الحال ومنه البلاء للنعمة لانه يظهر به باطن حال المنعم عليه في الشكر والكفر والبلاء النقمة لانه يظهر به ما يوجبه كفر النعمة والبلى الخلوقة لظهور تقادم العهد فيه وقوله بشيء من الصيد قيل في معنى من ثلثة اوجه احدها صيد البر دون البحر والاخر صيد الاحرام دون الاحلال الثالث للتجنيس نحو اجتنبوا الرجس من الاوثان في قول الزجاج وقوله تناله ايديكم ورماحكم ان صيد الحرم يقرب من الناس ولا ينفر منهم فيه كما ينفر في الحل وذلك اية من ايات الله وقال الحسن ومجاهد حرم الله بهذه الاية صيد البر كله وقال ابو علي صيد الحرم هو المحرم بهذه الاية وقال الزجاج يعني النبي عليه السلام بتحريم صيد الحرم على المحرم وغيره وهذا صحيح وصيد غير الحرم انما يحرم على المحرم دون المحل وقوله ليعلم الله من يخافه بالغيب معناه ليعاملكم معاملة من يطلب ان يعلم مظاهرة في العدل وقيل ليظهر المعلوم والاول احسن اختاره البلخي الوجه الثاني قال والله تعالى وان كان عالما بما يفعلونه فيما لم يزل فانه لا يجوز ان يثيبهم ولا يعاقبهم على ما يعلم منهم وانما يستحقون ذلك اذا علموا وفعلوا منهم على وجه كلفهم فاذا لا بد من التكليف والابتلاء وقوله من يخافه بالغيب يعني من يخشى عقابه اذا توارى بحيث لا يقع عليه الحس في قول الحسن يقول غاب يغيب غيبا فهو غائب عن الحس ومنه الغيبة وهي الذكر بظهر الغيب بالفتح وقال قوم معناه من يخاف صيد الحرم في السر كما يخاف في العلانية فلا يتعرضون له على حال وقوله فمن اعتدى بعد ذلك يعني من تجاوز حد الله لمخالفة امره وارتكاب نهيه بالصيد في الحرم وفي حال الاحرام فله عذاب اليم اي مولم قال البلخي يجوز ان يكون ذلك في النار ويجوز ان يكون غير ذلك من صنوف الالام والعقوبات قال سليمان لاعذبنه عذابا شديدا يعني الهدهد ولم يرد عذاب النار **قوله** تعالى يا ايها الذين امنوا لا تقتلوا الصيد وانتم حرم ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم هديا بالغ الكعبة او كفارة طعام مساكين او عدل ذلك صياما ليذوق وبال امره عفا الله عما سلف ومن عاد فينتقم الله منه والله عزيز ذو انتقام اية بلا خلاف **اقول** قرأ اهل الكوفة ويعقوب فجزاء منون مثل رفع الباقون بالاضافة وقرأ ابن عامر واهل المدينة او كفارة بغير تنوين طعام بالخفض الباقون بالتنوين واجمعوا على جمع مساكين وقرأ بعضهم او عدل ذلك بالكسر قال الاخفش وهو الوجه لان العدل هو المثل والعدل مصدر عدلت هذا بهذا عدلا حسنا والعدل ايضا المثل ولا تقبل منها عدل اي مثل قال الفراء العدل بفتح العين ما عادل الشيء من غير جنسه وبكسر العين المثل يقول عندي غلام عدل غلامك بالكسر لانه من جنسه وان اراد قيمته دراهم قال عندي عدل غلامك لانها من غير جنسه قال ابو علي الفارسي حجة من رفع المثل انه صفة للجزاء والمعنى فعليه جزاء من النعم مماثل المقتول والتقدير فعليه جزاء اي فاللازم له او فالواجب عليه جزاء اي فاللازم له

او فالواجب عليه جزاء اي فاللازم له او فالواجب عليه جزاء من النعم مماثل ما قتل من الصيد فقوله من النعم على هذه القراءة صفة للنكرة التي هي جزاء وفيه ذكر ويكون مثل صفة للجزاء لان المعنى عليه جزاء مماثل للمقتول من الصيد ومن النعم والمماثلة في القيمة والخلقة على اختلاف الفقهاء في ذلك ولا ينبغي اضافة الجزاء الى المثل الا ترى انه ليس عليه جزاء مثل ما قتل في الحقيقة انما عليه جزاء المقتول لا جزاء مثله ولا جزاء عليه بمثل المقتول الذي لم يقتله واذا كان كذلك علمت ان الجزاء لا ينبغي ان يضاف الى مثل ولا يجوز ان يكون قوله من النعم على هذه القراءة متعلقا بالمصدر كما جاز ان يكون الجار متعلقا به في قوله وجزاء سيئة سيئة بمثلها لانك قد وصفت الموصول واذا وصفته لم يجز ان تعلق به بعد الوصف شيئا كما انك اذا عطفت عليه او اكدته لم يجز ان تعلق به بعد التوطئة شيئا كما شيئا بعد العطف عليه التاكيد له فاما في قراءة من اضاف الجزاء الى المثل فان قوله من النعم يكون صفة للجزاء كما كان في قوله من نون ولم تصف صفة له ويجوز فيه وجه اخر لا يجوز في قول من نون ووصف وهو ان تعلقه متعلقا بالمصدر ولا يجوز على هذا القول ان يكون فيه ذكر كما تضمن الذكر لما كان صفة وانما جاز تعلقه بالمصدر على قول من اضاف لانك لم تصف الموصول كما وصفته في قول من نون فيمتنع تعلقه به اما من اضاف الجزاء الى مثل فانه وان كان جزاء المقتول لا جزاء مثله فانهم قد يقولون انا اكرم مثلك يريدون انا اكرمك وكذلك اذا قال فجزاء مثل قال المراد جزاء ما قتل فاذا كان كذلك كانت الاضافة في المعنى كغير الاضافة لان المعنى فعليه جزاء ما قتل ولو قدرت الجزاء تقدير المصدر فاضفته الى المثل كما تضيف المصدر الى المفعول به لكان في قول من جر مثلا على الاتساع الذي في وصفنا الا ترى ان المعنى فجزاء مثل اي يجازي مثل ما قتل والواجب عليه في الحقيقة جزاء المقتول لا جزاء مثل المقتول خاطب الله بهذه الاية المؤمنين ونهاهم عن قتل الصيد وهم حرم قيل فيه ثلاثة اوجه احدها وانتم محرمون لحج او عمرة الثاني وانتم في الحرم يقال احرمنا اي دخلنا في الحرم كما يقال انجدنا واتهمنا الثالث وانتم في الشهر الحرام يقال احرم اذا دخل في الشهر الحرام قال ابو علي الاية تدل على تحريم قتل الصيد في حال الاحرام بالحج والعمرة وفي الكون في الحرم وقال الرماني يدل على الاحرام بالحج او العمرة فقط والذي قاله ابو علي اعم فائدة واما القسم الثالث فلا خلاف انه غير مراد وقاتل الصيد اذا كان محرما لزمه الجزاء عامدا كان في القتل او خاطئا او ناسيا لاحرامه او ذاكرا وبه قال مجاهد والحسن بخلاف عنه وابن جريج وابراهيم وابن زيد واكثر الفقهاء واختاره البلخي والجبائي وقال ابن عباس وعطا والزهري واختاره الرماني انه يلزمه اذا كان متعمدا للقتل ذاكرا لاحرامه وهو اشبه بالظاهر والاول يشهد روايات اصحابنا واختلفوا في مثل المقتول فقال الحسن وابن عباس والسدي ومجاهد وعطا والضحاك هو اشبه الاشياء به من النعم ان قتل نعامة فعليه بدنة حكم النبي عليه السلام بذلك في البدنة وان قتل اروى فبقرة وان قتل غزالا او ارنبا فشاة وهذا هو الذي يدل عليه روايات اصحابنا وقال قوم يقوم الصيد بقيمة عادلة ثم يشتري بثمنه مثله من النعم ثم يهدي الى الكعبة فان لم يبلغ ثمن هدي كفر او صام وفيه خلاف بين الفقهاء ذكرناه في الخلاف واختلف من قال بذلك في المكان الذي يقوم فيه الصيد فقال ابراهيم والنخعي وحماد وابو حنيفة وابو يوسف ومحمد يقوم بالمكان الذي اصاب فيه ان كان بخراسان او غيره وقال عامر الشعبي يقوم بمكة او منى وقوله يحكم به ذوا عدل منكم يعني شاهدين عدلين فقيهين يحكمان بانه جزاء مثل ما يقتل قتل من الصيد وقوله هديا بالغ الكعبة فهو ما نصب على المصدر ويحتمل ان يكون نصبا على الحال وبالغ الكعبة صفة له وتقديره يهديه هديا يبلغ الكعبة وقوله بالغ الكعبة فهو وان كان مضافا الى المعرفة فالنية فيه الانفصال كما يقول هذا ضارب زيد فيمن حذف النون ولم يكن قد فعل فانه قد يكون نكرة والهدي يجب ان يكون صحيحا بالصفة التي يجزي في الاضحية وهو قول ابي علي وقال الشافعي يجوز في الهدي ما لا يجوز في الاضحية وان قتل طايرا او نحوه قال ابو علي عليه دم وعندنا فيه دم وقال قوم يجوز ان يهدي سخلة او جديا والنعم هي الابل

والبقر والغنم وقوله او كفارة طعام مساكين من رفع طعام مساكين جعله عطفا على الكفارة عطف بيان لان الطعام هو الكفارة ولم يضفها لكفارة الى الطعام لانها ليست للطعام انما هي لقتل الصيد فلذلك لم يضفها الكفارة الى الطعام ومن اضافها الى الطعام لانها ليست للطعام انما هي لقتل الصيد فلذلك لم يضفها الكفارة الى الطعام ومن اضافها الى الطعام فلانه لما خير بين ثلاثة اشياء الهدي والطعام والصيام اجاز الاضافة لذلك فكانه قال كفارة طعام لا كفارة هدي ولا كفارة صيام فاستقامت الاضافة لكون الكفارة من هذه الاشياء وقيل في معناه قولان احدهما يقوّم عدله من النعم ثم يجعل قيمته طعاما في قول عطا وهو مذهبنا وقال قتاده يقوّم نفس الصيد المقتول حيا ثم يجعل طعاما وقوله او عدل ذلك صياما نصب صياما على التميز وفي معناه قولان احدهما لكل مد يقوّم من الطعام يوم في قول عطا و قال غيره عن كل مدين يوم وهو مذهبنا وقال سعيد بن جبير يصوم ثلثة ايام الى عشرة ايام وقوله ليذوق وبال امره يعني عقوبة ما فعله ونكاله وقال المغربي الوبال من الطعام الوبيل الثقيل الذي لا يستمرأ ولا يوافق وهو قول الازهري قال كثير شعر

فقد اصبح الراضون اذ انتم بها
مسوم البلاد يشتكون وبالها

وقوله عفا الله عما سلف قيل في معناه قولان احدهما قال الحسن عفا الله عما سلف من امر الجاهلية وقال اخرون عما سلف من الدفعة الاولى في الاسلام وقوله ومن عاد فينتقم الله منه اختلفوا في لزوم الجزاء بالمعاودة على قولين احدهما قال عطا وابرهيم وسعيد بن جبير ومجاهد يلزمه الجزاء وهو قول بعض اصحابنا الثاني قال ابن عباس وشريح والحسن وابرهيم بخلاف عنه لا جزاء عليه وينتقم الله منه وهو الظاهر من مذاهب اصحابنا واختار الرماني الاول وبه قال اكثر الفقهاء قال لانه لا ينافي الانتقام منه واختلفوا ايضا في الاية هل هي على جهة التخيير ام لا على قولين احدهما قال ابن عباس والشعبي وابرهيم والسدي وهو الظاهر في رواياتنا انه ليس على التخيير لكن على الترتيب وانما دخلت او لانه لا يخرج حكمه عن احد الثلاثة على انه ان لم يجد الجزاء فالاطعام وان لم يجد الاطعام فالصيام وفي رواية اخرى عن ابن عباس وعطا والحسن وابرهيم على خلاف عنه واختيار الجبائي وهو قول بعض اصحابنا انه على التخيير وقوله والله عزيز ذو انتقام معناه قادر لا يغالب ذو انتقام معناه ينتقم ممن يتعدى امره ويرتكب نهيه وليس في الاية دليل على العمل بالقياس لان الرجوع الى ذوي عدل في تقويم الجزاء مثل الرجوع الى المقومين في قيم المتلفات ولا تعلق لذلك بالقياس **قوله** تعالى أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ اية قال ابن عباس وزيد بن ثابت وسعيد بن جبير وسعيد بن المسيب وقتادة والسدي ومجاهد الذي احل من هذه الاية من صيد البحر الطري منه واما العتيق فلا خلاف في كونه حلالا واذا احل صيد البحر حل صيد الانهار لان العرب يسمي النهر بحرا ومنه قوله ظهر الفساد في البر والبحر والاغلب على البحر هو الذي يكون ماؤه ملحا لكن اذا اطلق دخل فيه الانهار بلا خلاف وقوله وطعامه يعني طعام البحر وقيل في معناه قولان احدهما قال ابو بكر وعمر وابن عمر وابن عباس وقتاده هو ما قذف به ميتا الثاني في رواية اخرى عن ابن عباس وسعيد بن المسيب وسعيد بن جبير وقتادة ومجاهد وابرهيم بخلاف عنه انه المملوح واختار الرماني الاول وقال لانه بمنزلة ما صيد منه وما لم يصد منه فعلى هذا يصح الفائدة في الكلام والذي يقتضيه ويليق بمذهبنا القول الثاني فيكون قوله صيد البحر المراد به ما اخذ طريا وقوله وطعامه ما كان منه مملوحا لان ما يقذف به البحر ميتا لا يجوز عندنا اكله لغير المحرم ولا للمحرم وقال قوم معنى طعامه ما نبت بمائه من الزرع والثمار حكاه الزجاج وقوله متاعا لكم وللسيارة نصب متاعا على المصدر قال ابن عباس والحسن وقتادة معناه منفعة للمقيم والمسافر وقوله وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما يقتضي ظاهره تحريم الصيد في حال الاحرام واكل ما صاده غيره وبه قال علي وابن عباس وابن عمر وسعيد بن جبير وقال عمر وعثمان و الحسن لحم الصيد لا يحرم على المحرم اذا صاده غيره ومنهم من فرق بين ما صيد هو محرم وبين ما صيد

قبل احرامه وعندنا لا فرق بينهما والكل محرم والصيد يعبر به عن الاصطياد فيكون مصدرا ويعبر به عن المصيد فيكون اسما ويجب ان يحمل الاية على تحريم الجميع وقوله واتقوا الله الذي اليه تحشرون امر منه تعالى بان يتقي جميع معاصيه ويجتنب جميع محارمه من الصيد في الاحرام وغيره لان اليه المرجع في الوقت الذي لا يملك احد فيه الضر والنفع سواه وهو يوم القيمة فيجازي كلا بعمله المحسن على احسانه والمسيء على اسائته **قوله** تعالى جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ اية بلا خلاف **اقول** قرأ ابن عامر وحده قيما للناس بلا الف الباقون قياما بالالف قال ابو علي الفارسي قوله جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس تقديره جعل الله حج الكعبة او نصب الكعبة قياما لمعايش الناس او مكاسب الناس لانه مصدر قاموا كان المعنى قاموا بنصبه ذلك لهم فاستتبت بذلك معايشهم واستقامت احوالهم له فالقيام كالعياذ والقيال وعلى هذا لحقته تاء التانيث في هذه المصادر فجاءت فعالة كالزيارة والسياقة والحياكة فلما جاءت هذه المصادر على فعال او فعالة كذلك القيام ان يكون على حكم فعال وفي قراءة ابن عامر احد امرين اما ان يكون جعله مصدرا كالشبع او حذف الالف وهو يريدها كما يقصر الممدود وهذا الوجه انما يجوز في الشعر دون الكلام وانما اعلوا الواو فقلبوها ياء لاعتلال الفعل ولم يصححوها كما صحت في الحول والعوض الا ترى انهم قالوا ديمة وديم وحيلة وحيل فاعلوها في الجموع لاعتلال احادها فاعلال المصدر لاعتلال الفعل اولى والقوام هو العماد يقول هو قوام الامر وملاكه وهو ما يستقيم به امره وقلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها في مصدر فعل يفعل وهو قام بالامر قياما كقولك صام صياما فاما من صحح الواو في قاوم قواما مثل جاوره جوارا قال الراجز رجز

قوام دنيا وقوام دين

وتقدير الاية جعل الله حج الكعبة او نصب الكعبة قياما لمعايش الناس ومصالحهم وقوله والشهر الحرام معطوف على المفعول الاول لجعل كما يقول ظننت زيدا منطلقا وعمرا اي فعل ذلك ليعلموا ان الله يعلم مصالح ما في السموات والارض وما يجري عليه قيامهم من معاشهم وغير ذلك مما يصلحهم وان الله بكل شيء عليم يقيمهم ويصلحهم عليه وقيل في قوله قياما للناس ان معناه امنا لهم وقيل انه مما ينبغي ان يقيموا به والاول اقوى وقال قوم لما كان في المناسك زجرا عن القبيح ودعاء الى الحق كان بمنزلة الرئيس الذي يقوم به امر اتباعه وقال سعيد بن جبير قياما للناس صلاحا لهم وقيل يقوم به ابدانهم وقيل قياما يقومون به في متعبداتهم وقال مجاهد وعكرمة سميت كعبة لتربيعها وقال اهل اللغة وانما قيل كعبة البيت واضيف لان كعبة مربع اعلاه والكعوبة النتوء فقيل للتربيع كعبة لنتوء زوايا المربع ومنه كعب ثدي الجارية اذا نتأ ومنه كعب الانسان لنتوه وسميت الكعبة حراما لتحريم الله اياها ان يصاد صيدها او يختلى خلاها او يعضد شجرها وقوله والشهر الحرام قال الحسن هي الاشهر الحرم الاربعة فهذا على مخرج الواحد مذهب الجنس وهي واحد فرد وثلثة سرد فالفرد رجب والسرد ذو القعدة وذو الحجة والمحرم والقلائد قيل فيه ثلثة اقوال احدها ان الرجل من العرب كان ينتهي به الحال من الضر والجوع الى ان ياكل العصب فيلقى الهدي مقلدا فلا يعرض له الثاني ان من اراد الاحرام يقلد قلادة من شعر او لحى الشجر فيمنعه من الناس حتى ياتي اهله الثالث قال الحسن القلائد ان يقلد الابل والبقر النعال او الخفاف يقودونها على ذلك مضت السنة فهذا على صلاح التعبد بها وهذا هو المعتمد عليه عندنا فان قيل ما معنى قوله ذلك لتعلموا ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض بعد قوله جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس اي تعلق لها بذلك وما في ذلك مما يدل على انه بكل شيء عليم قيل عن ذلك اجوبة احدها انه تعالى لما اخبر بما في هذه السورة من قصة موسى وعيسى وقومهما وبالتورية والانجيل وما فيهما من الاحكام واخبار الامم وفصّله وذلك كله مما لم يشاهده محمد صلى الله عليه واله ولا قومه ولا احد في عصره ولا وقفوا على شيء من ذلك قال ذلك لتعلموا ان الله تعالى لولا انه بكل شيء عليم لما جاز ان يخبركم عنهم فاخباره بذلك يدل على انه بكل شيء عليم وايضا فان ما جعله الله من البلد الحرام والشهر

الحرام من الآيات والاعاجيب فهو دال على انه تعالى لا يخفى عليه شئ لانه جعل الحرم امنا يأمن فيه كل شئ ويسكن قلبه فالظبي يأنس بالسبع والذئب ما دام في الحرم فاذا خرج عن الحرم خاف وطلبه السبع وهرب منه الظبي حتى يرجع الى الحرم فاذا رجع اليه كف عنه السبع وهذا من عظيم ايات الله وعجيب دلائله وكذلك الطير الحمام يأنس بالانسان فاذا خرج من الحرم خافه ولم يدن من احد حتى يعود الى الحرم والطير يستشفي بالبيت الحرام اذا مرض يسقط على سطح البيت استشفاء به فاذا زال عنه المرض لم يمر على سطح البيت ولا محاذيه في الهواء اجلالا له وتعظيما مع امور كثيرة يطول ذكرها فيكون ما دبره الله من ذلك دالا على انه عالم بمصالح الخلق وبكل شئ وايضا فانه اخبرهم بانه قد علم قبل ان يخلقهم ما هم صائرون اليه من القتال والغارة والسبي والسلب فجعل من سنن ابرهيم واسمعيل ان من دخل الحرم لم يقتل وكذلك من عاذ بالبيت وان اشهر الحرم لا يجوز فيها قتال وان من اهدى او قلد امن على نفسه وكل ذلك يدل على ان من دبره عالم بالعواقب ولا يخفى عليه شئ من الاشياء على وجه من الوجوه **قوله** تعالى اِعْلَمُوا اَنَّ اللّٰهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَاَنَّ اللّٰهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ اية **اقول** امر الله تعالى ان يعلم المكلف انه شديد العقاب ثم العلم ما اقتضى سكون النفس وان شئت قلت هو اعتقاد الشئ على ما هو به وكذلك الرؤية والفرق بينهما ان العلم يتعلق بالمعلوم على وجوه والرؤية لا يتعلق الا على وجه واحد والعلم محله القلب والرؤية ليست معنى على الحقيقة وانما الذي تراه يكون ذاتها صفة ومن قال هو معنى قال محلها العين وفي الاية دلالة على ان المعرفة بالله وبصفاته ليست ضرورية لانها لو كانت ضرورية لما امرنا بها وليس لاحد ان يقول انما امر على جهة التذكرة والتنبيه لان ذلك ترك للظاهر والعقاب هو الضرر المستحق او الضرر الذي يقارنه استخفاف واهانة لكان كانها لان ما ليس بعقاب ليس بمستحق ولا يقارنه استخفاف واهانة وانما سمي عقابا لانه يستحق عقيب الذنب الواقع من صاحبه وقوله وان الله غفور رحيم منصوب باعلموا وتقديره واعلموا ان الله غفور رحيم والمغفرة هي ستر الخطيئة برفع عقابها واصلها الستر ومنه المغفر وضم ذكر الرحمة الى المغفرة لبيان شيوع نعم الله تعالى وانه اذا ازال العقوبة بالتوبة اوجب الرحمة التي هي المغفرة وذلك يدل على ان الغفران عند التوبة غير واجب وانه تفضل والا لم يكن كذلك **قوله** تعالى مَا عَلَى الرَّسُولِ اِلَّا الْبَلَاغُ وَاللّٰهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ اية بلا خلاف **اقول** لما انذر تعالى في الاية الاولى شدة العقاب وبشر بالعفو والغفران ذكر في هذه انه ليس على الرسول الا البلاغ واما القبول والامتثال فانه متعلق بالمكلفين المبعوث اليهم واصل الرسول الاطلاق من قولهم ارسل الطير ارسالا اذا اطلقه ومنه قولهم ترسل في القراءة ترسلا اذا تثبت واسترسل الشئ اذا انسلس وتطلق وراسله مراسلة وتراسلوا تراسلا والترسل اللين لاسترساله من الضرع وفي الحديث يتعاطى من رسلها وقوله والمرسلات عرفا قيل هي الخيل وقيل هي الرياح والفرق بين الرسول والنبي ان النبي لا يكون الا صاحب المعجز الذي ينبئ عن الله اي يخبر والرسول واذا كان رسول الله فهو بهذه الصفة وقد يكون الرسول رسولا لغير الله فلا يكون بهذه الصفة والانباء عن الشئ قد يكون من غير تحميل النبأ والارسال لا يكون الا بتحميل الرسالة والبلاغ وصول المعنى الى غيره وهو ههنا وصول الانذار الى نفس المكلفين واصل البلاغ البلوغ بلغ يبلغ بلوغا وابلغه ابلاغا وبلغ تبليغا وبالغ مبالغة وبلغه تبليغا ومنه البلاغة لانها ايصال المعنى الى النفس في حسن صورة من اللفظ وتبالغ الرجل اذا تعاطى البلاغة وليس ببليغ وفي هذا بلاغ اي كفاية لانه يبلغ مقدار الحاجة والله يعلم ما تبدون وما تكتمون معناه انه لا يخفى عليه شئ من احوالكم التي تظهرونها او تخفونها وتكتمونها وفي ذلك غاية التهديد والزجر **قوله** تعالى قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَاتَّقُوا اللّٰهَ يَا اُولِي الْاَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ اية **اقول** معنى قوله لا يستوي لا يتساوى والاستواء على اربعة اقسام استواء في المقدار واستواء في المكان واستواء في الذهاب واستواء في الانفاق والاستواء بمعنى الاستيلاء راجع الى الاستواء في المكان لانه تمكن واقتدار وقوله الخبيث والطيب قيل في معناهما قولان احدهما الحرام والحلال في

قول الحسن وابي علي الثاني قال السدي الكافر والمؤمن والخبيث الردي بالعاجلة والخسيس بالاجلة ومنه خبث الحديد وهو رديه بعد ما يخلص بالنار جيده فمن الخبيث امتزاج جيد بردي ولذلك قال ولو اعجبك كثرة الخبيث والاعجاب سرور بما يتعجب منه والعجب والاعجاب والتعجب من اصل واحد عجب يعجب عجبا والعجب مذموم لانه كبر يدخل النفس بحال يتعجب منها وعجب الذنب اصله وعجوب الرمل اواخره لانفراده عن جملته كانفراد ما يتعجب منه ومعنى الاية انه لا يتساوى الحرام والحلال وان اعجبك يا محمد كثرة ما تراه من الحرام والمراد به امته وقوله واتقوا الله معناه اجتنبوا ما حرمه عليكم يا اولي الالباب يعني يا اولي العقول لعلكم تفلحون معناه لتفلحوا وتفوزوا بالثواب العظيم الدائم **قوله** تعالى يَا اَيُّهَا الَّذِينَ اٰمَنُوا لَا تَسْئَلُوا عَنْ اَشْيَاءَ اِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَاِنْ تَسْئَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْاٰنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَى اللّٰهُ عَنْهَا وَاللّٰهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ قَدْ سَئَلَهَا قَوْمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ ثُمَّ اَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ ايتان بلا خلاف **اقول** قيل في سبب نزول هذه الاية قولان احدهما قال ابن عباس وانس وابو هريرة والحسن وقتادة وطاوس والسدي انه سال رسول الله صلى الله عليه واله رجل يقال له عبد الله وكان يطعن في نسبه فقال يا رسول الله من ابي فقال له حذافة فنزلت الاية وقال ابو هريرة ومجاهد نزلت حين سالوا عن امر الحج لما انزل ولله على الناس حج البيت فقالوا افي كل عام قال لا ولو قلت نعم لوجبت وقال قوم وقع السؤال الاول والثاني في مجلس واحد فخاطب الله تعالى بهذه الاية المؤمنين ونهاهم عن مسئلة الاشياء التي اذا ابديت واظهرت ساءت واحزنت من اظهرت له يقال بدا يبدو وابداه ابداء اذا اظهره وابداء وبدا اذا تغير رايه لانه ظهر له والبادية خلاف الحاضرة والبدو خلاف الحضر من الظهور وقيل في وزن اشياء ثلثة اقوال قال الكسائي هو افعال الا انه لم يصرف لانهم شبهوه بحمراء فالزمه الزجاج الا يصرف اسماء ولا ابناء الثاني قال الاخفش والفراء هي فعلاء كقولك هين واهوناء فالزمه المازني وقد ساله كيف يصغرها فقال الاخفش اشياء فقال يجب ان يصغرها شيئات كما تصغر اصدقاء في المؤنث صديقات وفي المذكر صديقون قال الزجاج انما قيل في هين اهوناء لان هينا اصله هيين على وزن فعيل فجمع على افعلاء كنصيب وانصباء الثالث قال الخليل وسيبويه لفعاء مقلوبة كما قلبوا اينق عن انوق وقسي عن قووس وقوله تسؤكم معناه تحزنكم وقوله عفا الله عنها والله غفور حليم قيل فيما يعود الضمير اليه في عنها قولان احدهما قال قوم على المسئلة لان قوله لا تسئلوا دليل عليها فيكون العفو عن مسئلتهم التي سلفت منهم الثاني على الاشياء التي سالوا عنها من امور الجاهلية وما جرى مجراها مما يسوءهم تشديد المحنة فيها وقوله قد سالها قوم من قبلكم قال ابن عباس سال قوم عيسى عليه السلام انزال المائدة ثم كفروا بها وقال غيره هم قوم صالح سالوا الناقة ثم عقروها وكفروا بها وقال السدي هذا حين سالوا ان يحول لهم الصفا ذهبا وقال ابو علي انما كانوا سالوا انبيائهم عن مثل هذه الاشياء يعني من ايات ونحوها فلما اخبرهم النبي عليه السلام قالوا ليس الامر كذلك فكفروا به وقال الرماني السؤال هو طلب الشئ اما باجاده واما باحضاره واما بالبيان عنه والذي يجوز السؤال عنه ما يجوز العمل عليه من امر دين او دنيا وما لا يجوز العمل عليه من امر دين او دنيا لا يجوز السؤال عنه ولا يجوز ان يسئل الله تعالى شيئا الا بشرط انتفاء وجود القبح عن الاجابة فعلى هذا لا يجوز ان يسئل الانسان من ابي لان المصلحة اقتضت ان من ولد على فراش انسان حكم بانه ولده وان لم يكن مخلوقا من مائه فالمسئلة بخلافه سفه لا يجوز **قوله** تعالى مَا جَعَلَ اللّٰهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلٰكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللّٰهِ الْكَذِبَ وَاَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ اية بلا خلاف **اقول** هذه الاية من الادلة الواضحة على بطلان مذهب المجبرة من قولهم من ان الله تعالى هو الخالق للكفر والمعاصي وعبادة الاصنام وغيرها من القبايح لانه تعالى نفى ان يكون هو الذي جعل البحيرة او السائبة او الوصيلة او الحام وعندهم ان الله تعالى هو الجاعل له والخالق تكذيبا وجرأة عليه ثم بين تعالى ان هؤلاء بهذا القول قد كفروا بالله وافتروا عليه بان اضافوا اليه ما ليس بفعل له وذلك واضح لا اشكال فيه ومعنى ما جعل

٣٣

الله من بحيرة اى ماحرمها على ما حرمها اهل الجاهلية ولا امر بها والبحيرة هى الناقة التى يشق اذنها يقال
بحرت الناقة ابحرها بحرا والناقة مبحورة وبحيرة اذا شققتها شقا واسعا ومنه البحر لسعته وكانت الجاهلية
اذا انتجت الناقة خمسة ابطن وكان اخرها ذكرا بحروا اذنها اى شقوها وامتنعوا من ركوبها وذبحها ولم
تطرد عن ماء ولم يمنع من رعى واذا لقيها المعيى لم يركبها والسائبة المخلاة وهى المسيبة وكانوا فى الجاهلية
اذا نذر انسان لقدوم من سفر او برء من مرض وما اشبه ذلك قال ناقتى سائبة فكانت كالبحيرة
فى التخلية وكان اذا اعتق الانسان عبدا فقال هو سائبة لم تكن بينهما عقل ولا ولاء ولا ميراث والوصيلة
الانثى من الغنم اذا ولدت مع الذكر قالوا وصلت اخاها فلم يذبحوه وقال اهل اللغة كانت الشاة اذا
ولدت انثى فهى لهم واذا ولدت ذكرا ذبحوه لالهتهم فى زعمهم واذا ولدت ذكرا وانثى قالوا وصلت اخاها
فلم يذبحوه لالهتهم والحام الفحل من الابل الذى قد حمى ظهره ان يركب بتتابع اولاد تكون من صلبه وكانت
العرب اذا انتجت من صلب الفحل عشرة ابطن قالوا حمى ظهره فلا يحمل عليه شئ ولا يمنع من ماء ولا مرعى
وقال محمد بن اسحق البحيرة بنت السائبة هى الناقة اذا تابعت بين عشر اناث ليس فيهن ذكر سيبت فلم يركبوها
ولم يجزوا وبرها ولم يشرب لبنها الا ضيف فما نتجت بعد ذلك من انثى شق اذنها ثم يخلى سبيلها مع
امها فلم يركب ظهرها ولم يجز وبرها ولم يشرب لبنها الا الضيف كما فعل بامها والوصيلة هى الشاة
اذا اتأمت عشر اناث متتابعات فى خمسة ابطن ليس فيهما ذكر جعلت وصيلة فقالوا قد وصلت وكان
ما ولدت بعد ذلك للذكور دون الاناث وقوله ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب اخبار
منه تعالى بان هؤلاء الذين كفروا يكذبون على الله بادعائهم ان هذه الاشياء من فعل الله وبامره
وقوله واكثرهم لا يعقلون ان ذلك كذب وافتراء كما يفعله الرؤسا فى قول قتادة والشعبى وقال ابو
على اكثرهم لا يعقلون ما احل لهم وما حرم عليهم يعنى ان المعاند هو الاقل منهم **قوله** تعالى وَإِذَا
قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ
لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ آية بلا خلاف **اقول** اخبر الله تعالى عن الكفار الذين اخبر عنهم انهم
لا يعقلون والذين جعلوا البحيرة والسائبة والوصيلة والحام والذين يفترون على الله الكذب من كفار
قريش وغيرهم من العرب بانه اذا قيل لهم تعالوا اى هلموا الى ما انزل الله من القران واتباع ما فيه
والاقرار بصحته والى الرسول وتصديقه والاقتداء به وبافعاله قالوا فى الجواب عن ذلك حسبنا اى
كفانا ما وجدنا عليه اباءنا يعنى مذاهب ابائنا ثم اخبر تعالى منكرا عليهم اولو كان اباؤهم لا يعلمون
شيئا ولا يهتدون اليه وقيل فى معنى لا يهتدون قولان احدهما الذم بانهم ضلال والثانى انهم لا
يهتدون طريق العلم بمنزلة العمى عن الطريق وفى الاية دلالة على فساد التقليد لان الله تعالى انكر
عليهم تقليد الاباء فدل ذلك على انه لا يجوز لاحد ان يعمل على شئ من امر الدين الا بحجة وفيها دلالة
على وجوب المعرفة وانها ليست ضرورية لان الله تعالى بين الحجاج عليهم فى هذه الاية ليعرفوا صحة ما
دعا الرسول اليه ولو كانوا يعرفون الحق ضرورة لم يكونوا مقلدين لابائهم فى اعتقاد خلافهم وكان
يجب ان يكون اباؤهم ايضا عارفين ضرورة ولو كانوا كذلك لما صح الاخبار عنهم بانهم لا يعلمون شيئا
ولا يهتدون وانما نفى عنهم الاهتداء والعلم معا لان ما بينهما فرقا وذلك ان الاهتداء لا يكون الا عن بيان
وحجة والعلم مطلق وقد يكون ابتداء ضرورة **قوله** تعالى يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ
مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ آية بلا خلاف **اقول** لما بين الله
تعالى حكم الكفار الذين قلدوا اباءهم واسلافهم وركنوا اليهم فى فسادهم ذكر فى هذه الاية ان المكلف
انما يلزمه حكم نفسه وانه لا يضره ضلال من ضل اذا كان هو مهتديا حتى يعلم بذلك انه لا يلزمهم
من ضلال ابائهم شئ من الذم والعقاب وانفسكم نصب على الاغراء كانه قال احفظوا انفسكم ان تزلوا كما
زل غيركم والعرب يغرى بعليك واليك ودونك وعندك فينصب الاسماء بها ولم يغروا بمنك كما
اغروا باليك لان اليك احق بالتنبيه من منك والاغراء تنبيه على ما يجب ان يحذر ولذلك لم يغروا

٣٤

بغيك ونحوها من حروف الاضافة وحكى المغربى انه سمع من يغرى بوراءك وقدامك وليس فى الاية ما
يدل على سقوط انكار المنكر وانما يجوز الاقتصار على الاهتداء باتباع امر الله فى حال التقية هذا
قول ابن مسعود على ان الانسان انما يكون مهتديا اذا اتبع امر الله فى نفسه وفى غيره بالانكار عليه و
روى عن النبى صلى الله عليه واله انه قال اذا راى الناس منكرا فلم يغيروه عمهم الله بالعقاب وفى الاية
دلالة على فساد مذهب المجبرة فى تعذيب الاطفال لانه لو كان الامر على ما قالوه لم يامن المؤمنون ان
يؤخذوا بذنوب ابائهم وقد بين ان الامر بخلافه مؤكدا لما فى العقل وقوله الى الله مرجعكم جميعا معناه
اليه تعالى مآلكم فى الوقت الذى لا يملك احد الضر والنفع سواه بخلاف دار الدنيا التى مكن الله
تعالى الخلق من الضر والنفع وقوله فينبئكم معناه يخبركم باعمالكم التى عملتموها فى الدنيا من الطاعات
والمعاصى ويجازيكم بحسبها وفى ذلك غاية الزجر والتهديد وقوله لا يضركم يحتمل ان يكون جزما لانه جواب
الامر وحرك الراء لانها ثقيلة واولها ساكن فلا يستقيم اسكان اخرها فيلتقى ساكنان قال الاخفش
والاجود ان يكون رفعا على الابتداء لانه ليس بعلة لقوله عليكم انفسكم وانما اخبر انه لا يضرهم **قوله**
تعالى يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ
أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْبِسُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ
فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنِ ارْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذًا لَمِنَ الْآثِمِينَ
آية بلا خلاف **اقول** ذكر الواقدى وابو جعفر عليه السلام ان سبب نزول هذه الاية ما قال اسامة بن زيد
عن ابيه قال كان تميم الدارى واخوه عدى نصرانيين وكان متجرهما الى مكة فلما هاجر رسول الله
صلى الله عليه واله الى المدينة قدم ابن ابى مارية مولى عمرو بن العاص المدينة وهو يريد الشام تاجرا
فخرج هو وتميم الدارى واخوه عدى حتى اذا كانوا ببعض الطريق مرض ابن ابى مارية فكتب وصية بيده
ودسها فى متاعه واوصى اليهما ودفع المال اليهما وقال ابلغا هذا اهلى فلما مات فتحا المتاع واخذا ما اعجبهما
منه ثم رجعا بالمال الى الورثة فلما فتش القوم المال فقدوا بعض ما كان خرج به صاحبهم نظروا الى الوصية
فوجدوا المال فيها تاما وكلموا تميما وصاحبه فقالا لا علم لنا به وما دفعه الينا ابلغناه كما هو فرفعوا
امرهم الى النبى عليه السلام فنزلت هذه الاية قوله يا ايها الذين امنوا شهادة بينكم قيل فى معنى الشهادة ههنا
ثلثة اقوال احدها الشهادة التى يقام بها الحقوق عند الحكام الثانى شهادة الحضور لوصيين الثالث
شهادة ايمان بالله اذا ارتاب بالوصيين من قول القايل اشهد بالله انى لمن الصادقين والاول
اقوى واليق بالقصد وفى كيفية الشهادة قيل قولان احدهما ان يقول صحيحا كان او مريضا اذا حضر
الموت فافعلوا كذا وكذا ذكره الزجاج الثانى اذا حضر اسباب الموت من المرض وقيل فى رفع شهادة
ثلثة اقوال احدها ان يكون رفعا بالابتداء وتقديره شهادة بينكم شهادة اثنين ويرتفع اثنان بانه
خبر الابتداء ثم حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه قال ابو على الفارسى واتسع فى بين واضيف
اليه المصدر وذلك يدل على قول من يقول ان الظرف الذى يستعمل اسما يجوز ان يستعمل اسما فى
غير الشعر كما قال تعالى لقد تقطع بينكم فيمن رفع وجاء فى الشعر **شعر** فلاقته ببلقعة براح
فصادف بين عينيه الجبوبا الثانى على تقدير محذوف وهو عليكم شهادة بينكم او فيما فرض
عليكم شهادة بينكم ويرتفع اثنان بالمصدر لانه خارج عن الصلة بكونه بعد الخبر لكن على تقدير يشهد اثنان
ولا يجوز ان يتعلق اذا حضر بالوصية لامرين احدهما ان المضاف اليه لا يعمل فيما قبل المضاف لانه لو عمل
فيما قبله للزم ان يقدر وقوعه فى موضعه فاذا قدر ذلك لزم تقديم المضاف اليه على المضاف ومن ثم
لم يجز القتال زيدا حين تأتى والاخر ان الوصية مصدر فلا يتعلق به ما يتقدم عليه وقوله اذا حضر احدكم
الموت يعنى قرب احدكم الموت كما قال اذا حضر احدهم الموت قال انى تبت الان وقال حتى اذا جاءهم الموت
توفته رسلنا وقال حتى اذا جاء احدهم الموت توفته رسلنا وقال حتى اذا جاء احدهم الموت قال رب ارجعون

٣٥

وكل يريد المقاربة ولولا ذلك لما اسند اليه القول بعد الموت وقوله حين الوصية فلا يجوز ان يحمل على الشهادة لانها اذا عملت في ظرف من الزمان لم يعمل في ظرف اخر منه ويمكن حمله على احد ثلثة اشياء احدها ان يعلقه بالموت كانه الموت في ذلك الحين بمعنى قرب منه الثاني على حضر اي اذا حضر هذا الحين الثالث ان يحمله على البدل من اذا لان ذلك الزمان في المعنى هو ذلك الزمان فيبدله منه ويكون بدل الشئ من الشئ اذا كان اياه وقوله اثنان ذوا عدل منكم خبر المبتدأ الذي هو شهادة وتقديره شهادة بينكم شهادة اثنين على ما بيناه لان الشهادة لا يكون الا من اثنين وقوله منكم صفة لقوله اثنان كما ان ذوى عدل صفة لهما وفي الظرف ضمير وفي معنى منكم قولان احدهما قال ابن عباس وسعيد بن المسيب وعبيدة في رواية اخرى وعكرمة انهما من حي الموصي والاول اظهر واصح وهو اختيار الرماني لانه لا حذف فيه وقوله او اخران من غيركم تقديره او شهادة اخرين من غيركم وحذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه ومن غيركم صفة للاخرين وقيل في معنى من غيركم قولان احدهما قال ابن عباس وابو موسى الاشعري وسعيد بن المسيب وسعيد بن جبير وشريح وابرهيم وابن سيرين و مجاهد وابن زيد واختاره ابو علي الجبائي وهو قول ابي جعفر وابي عبد الله انهما من غير اهل ملتكم الثاني قال عكرمة وعبيدة بخلاف عنه وابن شهاب والحسن يعني من غير عشيرتكم قال الحسن لان عشيرة الموصي اعلم باحواله من غيرهم وهو اختيار الزجاج قال لانه لا يجوز قبول شهادة الكفار مع كفرهم وفسقهم وكذبهم على الله ومعنى او ههنا للتفصيل لا للتخيير لان المعنى او اخران من غيركم ان لم يجدوا منكم وهو قول عبيدة وشريح ويحيى بن معمر وابن عباس وابرهيم وسعيد بن جبير والسدي وهو قول ابي جعفر وابي عبد الله وقال قوم هو بمعنى التخيير فيمن ائتمنه الموصي من مؤمن او كافر وقوله ان انتم ضربتم في الارض يعني ان انتم سافرتم كما قال واذا ضربتم في الارض فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلوة وقوله فاصابتكم مصيبة الموت تحبسونهما وقوله تحبسونهما خطاب للورثة الهاء فيه محذوف وتقديره وقد اسندتم الوصية اليهما فارتاب الورثة بهما تحبسونهما وقوله تحبسونهما خطاب للورثة الهاء في به تعود الى القسم بالله والصلوة المذكورة في هذه الاية قيل فيها ثلثة اقوال اولها قال شريح وسعيد بن جبير وابرهيم وقتادة وهو قول ابي جعفر انها صلوة العصر الثاني قال الحسن هي الظهر او العصر وكل هذا التعظيم حرمة وقت الصلوة على غيره من الاوقات وقيل لكثرة اجتماع الناس كان بعد صلوة العصر الثالث قال ابن عباس صلوة اهل دينهما يعني في الذميين لانهم لا يعظمون اوقات صلوتنا وقوله فيقسمان بالله الفاء دخلت لعطف جملة ان ارتبتم في قول الاخرين الذين ليسا من اهل ملتنا او من غير قبيلة الميت فغلب في ظنكم خيانتهم ولا خلاف ان الشاهد لا يلزمه اليمين الا ان يكونا شاهدين على وصية مستندة اليهما فيلزمهما اليمين لانهما مدعيان وقوله لا نشتري به ثمنا لا نشتري جواب ما يقتضيه قوله فيقسمان لان القسم ونحوه يتلقى بما يتلقى به الايمان ومعنى قوله لا نشتري به ثمنا لا نشتري بتحريف شهادتنا ثمنا فحذف المضاف وذكر الشهادة لان الشهادة قوله لما جاء واذا حضر القسمة اولوا القربى ثم قال فارزقوهم منه لما كان القسمة يراد بها المقسوم الا ترى ان القسمة التي هي افراز الانصباء لا يرزق منه وانما يرزق من التركة وتقديره لا نشتري به ثمنا ذا ثمن الا ترى ان الثمن لا يشترى وانما الذي يشترى المبيع دون ثمنه وكذلك قوله اشتروا بايات الله ثمنا قليلا اي ذا ثمن والمعنى انهم اشتروا الشئ القليل على الحق فاعرضوا عنه وتركوه ولا يكون اشتروا في الاية بمعنى باعوا لان بيع الشئ اخراج وانفاذ له من البايع وليس المعنى ههنا على الانفاذ وانما هو على التمسك به والايثار له على الحق وقوله ولو كان ذا قربى تقديره ولو كان المشهود له ذا قربى وخص ذا القربى بالذكر لميل الناس الى قراباتهم ومن يناسبونه وقوله ولا نكتم شهادة الله انا اذا لمن الاثمين وقال شهادة الله فاضاف الشهادة الى الله لامره بها وباقامتها والنهي عن كتمانها في قوله ومن يكتمها فانه اثم قلبه وقوله واقيموا الشهادة لله **قوله** تعالى فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰ أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ

٣٦

عَلَيْهِمُ الْأَوْلَيَانِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِنْ شَهَادَتِهِمَا وَمَا اعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ~ بلا خلاف

اقول قرا حفص والاعشى الا النقار والكسائي عن ابي بكر استحق بفتح التاء والحاء الباقون بضم التاء وكسر الحاء والابتداء على الاول بكسر الهمزة وقرا حمزة وابو بكر الا الاعشى في غير رواية النقار و يعقوب وخلف الاولين بتشديد الواو وكسر اللام وفتح النون على الجمع الباقون بسكون الواو وفتح اللام وكسر النون على التثنية قد ذكرنا سبب نزول الاية عمن رويناه عنه فذكروا انها نزلت في امر رسول الله صلى الله عليه واله ان يستحلفوهما والله ما قبضنا له غير هذا ولا كتمناه ثم ظهر على اناء من فضة منقوش مذهب معهما فقالوا هذا من متاعه فقالا اشتريناه منه فارتفعوا الى رسول الله فنزلت قوله فان عثر على انهما استحقا اثما فاخران يقومان مقامهما من الذين استحق فامر رسول الله رجلين من اهل البيت ان يحلفا على ما كتما وغشا فحلف عبد الله بن عمرو والمطلب بن ابي وداعة فاستحقا ثم ان تميما اسلم وتابع رسول الله وكان يقول صدق الله وبلغ رسول الله انا اخذت الاناء فمعنى عثر ظهر عليه يقول عثرت على خيانته اليه فاعثرت غيري على خيانته اي اطلعته ومنه قوله وكذلك اعثرنا عليهم اي اطلعنا عليهم واصله الوقوع بالشئ من قولهم عثر الرجل يعثر عثورا اذا وقعت اصبعه بشئ صدمته وعثر الفرس عثارا قال الشاعر

بذات لوث عفرناة اذا عثرت ... فالتعس اولى لها من ان اقول لعا

وعثر الرجل يعثر عثرا اذا اطلع على امر كان خفيا عنه لانه وقع عليه بعد خفائه والعثير الغبار الساطع لانه يقع على الوجه وغيره والعثير الاثر الخفي لانه يوقع عليه من خفاء وقوله على انهما يعني على اثر الوصيين المذكورين او لا في قوله اثنان في قول سعيد بن جبير وقال ابن عباس على الشاهدين استحقا اثما يعني خانا وظهر وعلم منهما ذلك فاخران يقومان مقامهما يعني من الورثة في قول سعيد بن جبير وابن زيد الاوليان بالميت الثاني قال ابن عباس وشريح الاوليان بالشهادة وهي شهادة الايمان الثالث قال الزجاج الاوليان ان يحلفا غيرهما وهما النصرانيان ويقال هو الاولى بفلان ثم يحذف بفلان فيقال هو الاولى وهذان الاوليان كما يقال هو الاكبر بمعنى الكبير وهذان الاكبران وفي رفع الاوليان ثلثة اقوال احدها بانه اسم ما لم يسم فاعله المعنى استحق عليهم اثم الاولين اي استحق منهم فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه الثاني بانه بدل من الضمير في يقومان على معنى فليقم الاوليان من الذين استحق عليهم الوصية وهو اختيار الزجاج الثالث بدل من قوله اخران وزعم بعض الكوفيين انه لا يجوز ابداله من اخرين لتاخر العطف في فيقسمان لانه يصير بمنزلة مررت برجل قام زيد وقعد قال الرماني يجوز على العطف بالفاء جملة على جملة وقال ابو علي الفارسي يجوز ان يكون رفعا بالابتداء وقد اخر وتقديره فالاوليان بامر الميت اخران من اهله او من اهل دينه يقومان مقام الخائنين الذين عثر عليهما كقولك تميمي انا ويجوز ان يكون خبر ابتداء محذوف وتقديره فاخران يقومان مقامهما هما الاوليان واختار ابو الحسن الاخفش ان يكون الاوليان صفة لقوله فاخران لانه لما وصف خص فوصف لاجل الاختصاص بما يوصف به المعارف واما الجمع فعلى اتباع الذين وموضعه الجر وتقديره من الاولين الذين استحق عليهم الايصاء او الاثم وانما قيل لهم الاولين من حيث كانوا اولين في الذكر الا ترى انه قد تقدم يا ايها الذين امنوا شهادة بينكم وكذلك اثنان ذوا عدل منكم ذكرا في اللفظ قبل قوله او اخران من غيركم وحجتهم في ذلك انهم قالوا ارايت ان كان الاوليان صغيرين اراد انهما اذا كانا صغيرين لم يقوما مقام الكبيرين في الشهادة ولم يكونا لصغرهما اولى بالميت وان كانا لو كانا كبيرين كانا اولى به واثما فالا استحقا اثما لان اخذه باخذه اثم فسمي اثما كما يسمى ما يوخذ منك بغير حق مظلمة قال سيبويه المظلمة اسم ما اخذ منك وكذلك سمي هذا الماخوذ باسم المصدر وقيل معناه استحقا عذاب اثم وحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه كما قال اني اريد ان تبوء باثمي واثمك بعقاب اثمي وعقاب اثمك وقيل في معنى عليهم ثلثة اقوال احدها ان يكون على بمعنى من كانه قال من الذين استحق منهم الاثم كما قيل اذا اكتالوا على الناس اي من الناس الثاني ان يكون المعنى كما يقول

استحق على زيد مال بالشهادة اى لزمه ووجب عليه الخروج منه لان الشاهدين لما عثر على خيانتهما
استحق عليهما ما ولياه من امر الشهادة والقيام بها ووجب عليهما الخروج منها وترك الولاية لها فصار
اخراجهما منها مستحقا عليهما كما يستحق على المحكوم عليه الخروج مما وجب عليه الثالث ان يكون على
بمنزلة فى كانه استحق فيهم وقام على مقام فى كما قام فى مقام على فى قوله ولاصلبنكم فى جذوع النخل و
المعنى من الذين استحق عليهم بشهادة الاخرين اللذين هما من غيرنا فان قيل هل يجوز ان يسند استحق
فيه الى الاوليان قلنا لا يجوز ذلك لان المستحق انما يكون الوصية او شئ منها ولا يجوز ان يستحق الاوليان
وهما الاوليان بالميت والاوليان بالميت لا يجوز ان يستحقا فيسند استحق اليهما وقوله فيقسمان بالله اى
يحلفان بالله وقوله شهادتنا احق من شهادتهما جواب القسم فى قوله فيقسمان بالله وقوله شهادتنا احق
من شهادتهما جواب القسم فى قوله فيقسمان بالله وقوله وما اعتدينا يعنى فيما قلنا من ان شهادتنا احق
من شهادتهما انا اذا لمن الظالمين تقديره انا ان اعتدينا لمن الظالمين لنفوسنا قال الزجاج هذه
الاية اصعب اية فى القران اعرابا فان قيل كيف يجوز ان يقف اولياء الميت على كذب الشاهدين
او خيانتهما حتى حل لهما ان يحلفا قيل يجوز ذلك بوجوه احدها ان يسمعا اقرارهما بالخيانة من حيث لا
يعلمان او يشهد عندهم شهود عدول بانهم سمعوهما يقران بانهما كذبا او خانا او يقوم البينة عندهما
على انه اوصى بغير ذلك او على ان هذين لم يحضرا الوصية وانما يعرفان بغير ذلك من الاسباب **قوله**
تعالى ذٰلِكَ اَدْنٰى اَنْ يَاْتُوْا بِالشَّهَادَةِ عَلٰى وَجْهِهَا اَوْ يَخَافُوْا اَنْ تُرَدَّ اَيْمَانٌ بَعْدَ اَيْمَانِهِمْ وَاتَّقُوا اللّٰهَ وَ
اسْمَعُوْا وَاللّٰهُ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الْفَاسِقِيْنَ اية بلا خلاف **اقول** قوله ذلك ادنى معناه ذلك الاحلاف
والاقسام او ذلك الحكم اقرب الى ان ياتوا بالشهادة على وجهها اى حقها وصدقها لان اليمين يردع
عن امور كثيرة لا يرتدع عنها مع عدم اليمين واختلفوا فى ان اليمين هل يجب على كل شاهد بامرلا
فقال ابن عباس انما هى على الكافر خاصة وهو الصحيح وقال غيره هى على كل شاهد بامر لا فقال ابن
عباس انما هى على الكافر خاصة وهو الصحيح وقال غيره هى على كل شاهدين وصيين اذا ارتيب بهما
واختلفوا فى نسخ حكم الاثنين المتقدمين مع هذه على قولين فقال ابن عباس وابرهيم وابو على الجبائى
هى منسوخة الحكم وقال البلخى اكثر اهل العلم على انه غير منسوخ ولانه لو نسخ من سورة المائدة شئ لانها اخر
ما نزلت ووجه قول من قال هى منسوخة ان اليمين لا يجب اليوم على الشاهدين بالحقوق وانما كان قبل
الامر باشهاد العدول فى قوله واشهدوا ذوى عدل منكم فنسخت هذه الاية ودلت على ان شهادة الذمى
لا يقبل على الذمى اذا ارتفعا الى حكام المسلمين لان الذمى ليس بعدل ولا ممن يرضى من الشهداء و
هو قول ابى على الجبائى ومن ذهب الى انها منسوخة جعلها بمعنى شهادة الايمان على الوصيين فاذا ظهر
على خيانة منهما مما وجد فى ايديهما صارا مدعيين وصار الورثة فى معنى المنكر فمن يوجب عليهما اليمين
من حيث صارا مدعيين وصار الورثة فى معنى المنكر فمن يوجب عليهما اليمين من حيث صارا مدعيين
وقوله ان يخافوا ان ترد ايمان بعد ايمانهم يعنى اهل الذمة يخافوا ان ترد ايمان على اولياء الميت فيحلفوا
على خيانتهم فيفتضحوا ويغرموا وينكشف بذلك للناس بطلان شهادتهم ويسترد منهم ما اخذوه بغير
حق فحينئذ ادوا الشهادة على وجهها ويحذروا من الكذب وقوله واتقوا الله واسمعوا يعنى اجتنبوا معاصيه
واحذروا ان يحلفوا ايمانا كاذبة او تخونوا امانة واسمعوا مواعظ الله والله لا يهدى القوم الفاسقين يعنى
لا يهدى الفاسقين الذين خرجوا من طاعة الله الى معصيته الى الجنة وقيل ان معنى لا يهدى لا يحكم للفاسقين
بانه مهتد ولا يجرى عليه مثل هذه الصفة لانها صفة مدح **قوله** تعالى يَوْمَ يَجْمَعُ اللّٰهُ الرُّسُلَ فَيَقُوْلُ
مَاذَا اُجِبْتُمْ قَالُوْا لَا عِلْمَ لَنَا اِنَّكَ اَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوْبِ اية **اقول** فيما ينتصب به قوله يوم قيل فيه ثلثة
اقوال احدها انه انتصب بمحذوف تقديره احذروا يوم يجمع الله الرسل الثانى اذكروا يوم يجمع الله
الثالث قال الزجاج ينتصب بقوله اتقوا الله وقال المغربى يتعلق بقوله لا يهدى القوم الفاسقين الى

الجنة

الجنة يوم يجمع الله ولا يجوز ان ينتصب على الظرف لهذا الفعل لانهم لم يؤمروا بالتقوى فى ذلك اليوم لكن
انتصب على انه مفعول به واليوم لا يتقى ولا يحذر وانما يتقى ما يكون فيه من العقاب والمحاسبة والمناقشة
كانه قال اتقوا عقاب يوم وحذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه وقوله ماذا اجبتم تقرير للرسل
فى صورة الاستفهام على وجه التوبيخ للمنافقين عند اظهار فضيحتهم وهتك استارهم على رؤس الاشهاد
وقول الرسل لا علم لنا قيل فيه ثلثة اقوال اولها قال الحسن والسدى ومجاهد انهم قالوا ذلك لانه ذهلوا
من هول ذلك المقام فان قيل كيف يجوز ذهولهم مع انهم امنون لا يخافون كما قال لا يحزنهم الفزع الاكبر
وقال لا خوف عليهم ولا هم يحزنون قيل ان الفزع الاكبر دخول جهنم وقوله ولا خوف عليهم هو كقول القائل
للمريض لا خوف عليك ولا باس عليك مما يدل على النجاة من تلك الحال وخالف ابو على فى هذا ولم
يجز الا ما نحكيه عنه الثانى قال ابن عباس ومجاهد فى رواية اخرى ان معناه لا علم لنا الا ما علمتنا فحذف
لدلالة الكلام عليه الثالث قال الحسن فى رواية اخرى وابو على الجبائى ان معناه لا علم لنا بباطن ما
اجاب به اممنا لان ذلك هو الذى يقع عليه الجزاء وقال بعضهم معناه لا علم لنا مع علمك او ليس عندنا
شئ مما نعلمه الا وانت عالم بكل ما غاب وحضر بدلالة قوله انك انت علام الغيوب وقيل فى معنى قوله
انك انت علام الغيوب قولان احدهما قال علام للمبالغة ههنا لا للتكثير الثانى انه لتكثير المعلوم
قوله تعالى اِذْ قَالَ اللّٰهُ يَا عِيْسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِىْ عَلَيْكَ وَعَلٰى وَالِدَتِكَ اِذْ اَيَّدْتُّكَ بِرُوْحِ
الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِى الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَاِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرٰىةَ وَالْاِنْجِيْلَ وَاِذْ تَخْلُقُ مِنَ
الطِّيْنِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِاِذْنِىْ وَتُبْرِئُ الْاَكْمَهَ وَالْاَبْرَصَ بِاِذْنِىْ وَاِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتٰى بِاِذْنِىْ وَاِذْ كَفَفْتُ
بَنِىْ اِسْرَآئِيْلَ عَنْكَ اِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنٰتِ فَقَالَ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا مِنْهُمْ اِنْ هٰذَا اِلَّا سِحْرٌ مُّبِيْنٌ اية بلا خلاف
اقول قرا حمزة والكسائى وخلف ساحر بالالف ههنا وفى اول سورة يونس وفى هود وفى الصف وافقهم
ابن كثير وعاصم فى يونس وجه اتصال هذه الاية بما قبلها انه من صفة يوم القيمة كما ان ما قبله من صفتها
ومن خطاب الرسل بالمسئلة والتذكير بالنعمة لتوبيخ من يستحق التوبيخ من اممهم وتبشير من يستحق البشارة
منهم العامل فى اذ يحتمل احد امرين احدهما الابتداء عطفا على قوله يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا
اجبتم ثم قال وذلك اذ قال فيكون موضعه رفعا كما يقول القائل كانك بنا قد وردنا بلد كذا فصنعنا
فيه وفعلنا اذ صاح بك صايح فاجبته وتركتنى الثانى اذكر اذ قال الله وقال بعضهم ان معناه قال اذ اجبتم
على عهد عيسى قال الرمانى وهذا غلط لانه من صفة يوم القيمة وعندى لا يمتنع ان يكون المراد بذلك
اخبار النبى عليه السلام اذ قال لعيسى بن مريم اذكر اى اخبر قومك ما انعمت به عليك وعلى امك وحسن قوله اذ
قال ولم يقل يقول لانه عطف على ما قبله لانه قدم ذكر الوقت وتاييد الله هو ما قواه به واعانه على امور دينه
وعلى دفع ظلم اليهود والكافرين عنه ووزن ايدتك فعلتك من الايد على وزن قربتك وقال الزجاج يجوز
ان يكون فاعلتك من الايد كقولك عاونتك وقرا مجاهد اايدتك على وزن افعلتك من الايد وروح
القدس جبرئيل قال الحسن والقدس هو الله وقوله تكلم الناس فى المهد اى انك تكلم الناس فى حال
ما كنت صبيا فى المهد والمهد حجر امه فى قول الحسن وفى حال ما كنت كهلا قال ابو على فكان كلم الناس
فى هذين الوقتين بتبليغه اياهم ما ارسله الله به الى عباده وما يدعوهم اليه من طاعة الله وتصديق
رسله لانه كان بين لهم عند كلامه فى المهد انى عبد الله اتانى الكتاب وجعلنى نبيا وجعلنى مباركا اينما
كنت واوصانى بالصلوة والزكوة ما دمت حيا وبرا بوالدتى ولم يجعلنى جبارا شقيا فبين لهم فى هذا
وفى وقت ما صار كهلا ان الله بعثه نبيا ولم يتكلم احد من الانبياء فى المهد سواه ولم يبعث احد عندها
ولد غيره فذكره هذه النعمة التى خصه بها ليشكره على ذلك ونصب قوله وكهلا يحتمل امرين احدهما ان
يكون عطفا على موضع تكلم اى ايدتك صغيرا وكهلا الثانى ان يكون عطفا على موضع فى المهد اى و
تكلمهم كهلا بالرسالة وقوله واذ علمتك الكتاب يعنى اذكر اذ وقيل فى معنى الكتاب قولان احدهما انه

اراد

٣٩

اراد الخط الثاني الكتب فيكون على طريق الجنس ثم فصله بذكر التورية والانجيل وقوله والحكمة يعني العلم بما في تلك الكتب وقوله واذ تخلق من الطين كهيئة الطير اي واذكر ذلك ايضا كل ذلك تذكير له بنعمه عليه والخلق هو الفعل المقدر ومن مقدار يعرفه الفاعل فعلى هذا جميع افعاله تعالى يوصف بانها مخلوقة لانه ليس فيها شيء على وجه السهو والغفلة ولا على سبيل المجازفة ومعنى ذلك انه تخلق من الطين كهيئة الطير اي تصور الطين بصورة الطير الذي تريد وسماه خلقا لانه كان يقدره وقوله باذني اي بفعل ذلك باذني وامري وقوله فتنفخ فيها فيكون طيرا باذني معناه انه نفخ فيها الروح لان الروح جسم ويجوز ان ينفخهما المسيح بامر الله والطير يونث ويذكر فمن انث اراد الجمع ومن ذكر فعلى اللفظ والطير واحده طاير مثل ضائن وضأن وراكب وركب وقد قالوا اطيار مثل صاحب واصحاب وشاهد واشهاد ويمكن ان يكون اطيار جمع طير مثل ثبت واثبات قال ابو علي وقد ينفخها في الجسم على ما اخبر الله به جبرئيل وعلى ما روي عن النبي عليه السلام انه يبعث اليه ملكا عند تمام مائة وعشرين يوما فينفخ فيه الروح ويكتب اجله ورزقه وشقي هو او سعيد وبين بقوله فيكون طيرا باذني انه اذا نفخ المسيح عليه السلام فيها الروح قلبها الله لحما ودما وخلق فيها الحياة فصارت طايرا باذن الله وارادته لا بفعل المسيح عليه السلام فلذلك قال فيكون طيرا باذني وقوله وتبرئ الاكمه والابرص باذني معناه انك تدعوني حتى ابرئ الاكمه وهو الذي خلق اعمى وقال الخليل قد يكون الذي يعمى بعد ان كان بصيرا والاصل الاول والابرص معروف ونسب ذلك الى المسيح لما كان بدعائه وسؤاله وقوله واذ تخرج الموتى باذني اي اذكر اذ تدعوني فاحيي الموتى عند دعائك واخرجهم من القبور حتى يشاهدهم الناس احياء وانما نسبه الى عيسى لما بينا من انه كان بدعائه وقوله واذ كففت بني اسرائيل عنك اذ جئتهم بالبينات اي اذكر اذ كففت هؤلاء عن قتلك واذيتك حين جئتهم بالبينات مع كفرهم وعتوهم مع قولهم ان ما جئت به من الايات سحر مبين ويجوز ان يكون كفهم بالطافه التي لا يقدر عليها غيره ويجوز ان يكون كفهم بالمنع والقهر كما منع من اراد قتل نبينا صلى الله عليه وآله وقيل لانه القى شبهه على غيره حتى قتلوه ونجاه ومن قرأ ساحر اراد ان عيسى ساحر مبين اي ظاهر بين والسحر هو الباطل المموه بالحق وقوله في اول الاية اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك اي اخبر بها قومك الذين كذبوا عليك ليكون حجة عليهم لانهم ادعوا عليه انه اله وانه لم يكن عبدا منعما عليه ثم عدد النعمة نعمة نعمة على ما بينا وقال الطبري انما عدد الله تعالى هذه النعم على عيسى حين رفعه اليه فلذلك قال اذ قال الله **قوله تعالى** وَاِذْ اَوْحَيْتُ اِلَى الْحَوَارِيّٖنَ اَنْ اٰمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا اٰمَنَّا وَاشْهَدْ بِاَنَّنَا مُسْلِمُونَ آية **اقول** التقدير واذكر اذ اوحيت الى الحواريين وفي معنى اوحيت قولان احدهما ان معناه الهمتهم كما قال واوحى ربك الى النحل اي الهمها وقيل امرتهم الثاني القيت اليهم بالآيات التي اريتهم اياها كما قال الشاعر

الحمد لله الذي استقلت باذنه السماء واطمأنت اوحى لها القرار فاستقرت

اي القى اليها ويروى وحى لها والفرق بين اوحى ووحى من وجهين احدهما ان اوحى بمعنى جعلها على صفة كقولك جعلها مستقرة ووحى جعل فيها معنى الصفة لان افعل اصله التعدية وقال قوم هما لغتان وقال البلخي اوحيت الى الحواريين اي اوحيت اليك ان تبلغهم او الى رسول متقدم وقوله اوحيت اليهم بمعنى اوحيت الى الرسول الذي جاءهم وفي معنى الاية قولان احدهما قال ابو علي اذكر نعمتي عليك اذ اوحيت الى الحواريين لانهم انصارك الثاني اذكر نعمتي على الحواريين لما في ذلك من العلم بنعم الله خاصة وعامة وانما حسن الحذف في التذكير بالنعمة للشهرة وعظم المنزلة بجلال النعمة ولذلك يحسن الحذف في الافتخار كقول الاعشى **شعر** ان محلا وان مرتحلا وان في السفر اذ مضوا مهلا

اي لنا محلا والحواريون قال الحسن هم انصار عيسى وقيل هم وزراؤه على امره وقيل هم خاصة الرجل وخلصاؤه ومنه قول النبي عليه السلام للزبير انه حواري ومعناه خالصتي من الناس والرفيق الحواري لانه اخلص لبه من كل ما يشوبه واصله الخلوص ومنه حار يحور اي رجع الى حال الخلوص ثم كثر حتى قيل لكل

راجع

٤٠

راجع وقيل انهم كانوا قصارين **قوله تعالى** اِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ اَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللهَ اِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ آية **اقول** قرأ الكسائي والاعشى الا النقار هل تستطيع بالتاء ربك بنصب الباء والباقون بالياء وضم الباء وادغم الكسائي اللام في التاء قيل في العامل في اذ قولان احدهما اوحيت الثاني اذكر اذ قال الحواريون وكلاهما يحتمل وقيل في معنى قوله هل يستطيع ربك ثلاثة اقوال احدها هل يقدر وكان هذا في ابتداء امرهم قبل ان يستحكم معرفتهم بالله تعالى وما يجوز عليه وما لا يجوز من الصفات ولذلك انكر عليهم نبيهم فقال اتقوا الله ان كنتم مؤمنين لانه لم يستكمل ايمانهم في ذلك الوقت الثاني هل يفعل ذلك قاله الحسن كما يقول القائل هل يستطيع ان ينهض اي هل يفعل لان المانع من جهة الحكمة او الشهوة قد يجعل بمنزلة المنافي للاستطاعة الثالث هل يستجيب لك ربك قال السدي هل يطيعك ربك ان سألته فهذا على معنى استطاع اطاع كقولهم استجاب بمعنى اجاب وانما حكى سيبويه استطاع بمعنى اطاع على زيادة السين ومعنى قراءة الكسائي هل تستطيع ان تستدعي اجابة ربك واصله هل تستدعي طاعته فيما تسأله من هذا هذا قول الزجاج وفيه وجه آخر هل تقدر ان تسأل ربك والفرق بين الاستطاعة والقدرة ان الاستطاعة انطباع الجوارح للفعل والقدرة هي ما اوجبت كون القادر قادرا ولذلك يوصف تعالى بانه قادر ولا يوصف بانه مستطيع والمائدة الخوان لانه يميد بما عليها اي يحركه قال ابو عبيدة هي مفعولة في المعنى ولفظها فاعلة كقوله عيشة راضية اي مرضية واصل المائدة الحركة من قولهم ماد يميد ميدا اذا تحرك عن الزجاج ومنه المائد للذي يدار به في البحر وماد يميد ميدا ومادة اذا اعطاه ومنه قول رؤبة **شعر** تهدى رؤوس المترفين الانداد

الى امير المؤمنين الممتاد اي المستعطى ومادهم يميدهم ميدا اذا اطعمهم على المائدة ثم كثر حتى قيل لكل مطعم وقوله قال اتقوا الله ان كنتم مؤمنين معناه اتقوا معاصيه وكثرة سؤال الآيات الا انكم ان كنتم مؤمنين بالله وبصحة نبوة عيسى فقد اغناكم ما عرفتموه عن الآيات واتقوا سؤال نزول المائدة فانكم لا تعلمون ما يفعل الله بكم عند هذا السؤال **قوله تعالى** قَالُوا نُرِيدُ اَنْ نَاْكُلَ مِنْهَا وَنَعْلَمَ اَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ **اقول** قيل في معنى الارادة ههنا قولان احدهما ان يكون بمعنى المحبة التي هي ميل الطباع الثاني ان يكون الارادة التي هي من افعال القلوب ويكون التقدير نريد بسؤالنا لنا هذا كانهم قالوا نريد السؤال من اجل هذا الذي ذكرنا وهذه الارادة وان تقدمت المراد باوقات لا توصف بانها عزم لانها متعلقة بفعل الغير وقوله تطمئن قلوبنا يجوز ان يكونوا قالوه وهم مستبصرون في دينهم مؤمنون كما قال ابراهيم عليه السلام ارني كيف تحيي الموتى قال اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي وتحقيقه لنزداد طمأنينة الى ما نحن عليه من المعرفة وان كانت المعرفة لا تكون الا مع الثقة التامة فان الدلائل كلما كثرت مكنت في النفس المعرفة وقوله ونعلم ان قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين يعني الشاهدين لله بتوحيده بالدليل الذي نراه في المائدة والشهادة له بالنبوة من جهة ذلك الدليل والصدق هو الاخبار بالشيء على ما هو به والكذب هو الاخبار بالشيء لا على ما هو به **قوله تعالى** قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللّٰهُمَّ رَبَّنَا اَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِاَوَّلِنَا وَاٰخِرِنَا وَاٰيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَاَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ آية بلا خلاف **اقول** اخبر الله تعالى عن عيسى عليه السلام انه سأل ربه ان ينزل عليه مائدة من السماء تكون عيدا لهم لاولهم وآخرهم على ما يقترحه قومه ورفع يكون لانه صفة للمائدة كما قال فهب لي من لدنك وليا يرثني في قراءة من رفعه لانه جعله صفة وفيه محذوف لان تقديره عيدا لنا لاولنا وآخرنا ليصح الفائدة في تكرير اللام في اولنا وآخرنا وقيل في معناه قولان احدهما نتخذ اليوم الذي تنزل فيه عيدا نعظمه نحن ومن يأتي بعدنا عن قول السدي وقتادة وابن جريج وهو قول ابي علي الثاني يكون ذلك عائدة فضل من الله ونعمة منه تعالى والاول هو وجه الكلام وقيل انها نزلت يوم الاحد وقوله وآية منك والاية هي الدلالة العظيمة الشأن في ازعاج قلوب العباد الى الاقرار بمدلولها والاعتراف بالحق الذي تشهد

به

٤١

به ظاهرها فهي دلالة على توحيدك وصحة نبوة نبيك وقيل في طعام المائدة ثلثة اقوال اولها قال ابن
عباس وابو عبد الرحمن هو خبز وسمك وهو المروي عن ابي جعفر وابي عبد الله قال عطية كانوا يجدون في
السمك طيب كل طعام الثاني قال عمار بن ياسر كان ثمرا من ثمار الجنة الثالث قال زاذان وابو ميسرة كان
عليها من كل طعام الا اللحم وقوله وارزقنا قيل في معناه ههنا قولان احدهما واجعل ذلك رزقا لنا الثاني
وارزقنا الشكر عليها ذكرهما الجبائي وانما يكون الشكر رزقا منه لنا لانه لطف فيه ووفق له واعانه
عليه كما يكون المال رزقا لنا اذا ملكنا اياه لا يخلقه لنا وفي الاية دلالة على ان العباد يرزق بعضهم
بعضا بدلالة قوله وانت خير الرازقين لانه لو لم يصح ذلك لم يجز خير الرازقين كما انه لما لم يجز ان يكون
الهة لم يصح ان يقول انت خير الالهة وصح ارحم الراحمين واحكم الحاكمين واسرع الحاسبين واحسن
الخالقين **قوله** تعالى قَالَ اللّٰهُ اِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَاِنِّي اُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا اُعَذِّبُهُ
اَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ آية بلا خلاف **اقول** قرا منزلها بالتشديد اهل المدينة وابن عامر وعاصم
الباقون بالتخفيف من خفف طابق بينه وبين قوله انزل علينا ومن ثقل فلان نزل وانزل بمعنى قال
تعالى تبارك الذي نزل الفرقان وقال الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب لما سئل الله عيسى
عليه السلم ان ينزل عليه المائدة تكون عيدا لاولهم واخرهم قال تعالى مجيبا له الى ما التمسه اني منزلها
عليكم يعني المائدة فمن يكفر بعد منكم يعني بعد انزالها عليكم فاني اعذبه عذابا لا اعذبه احدا من العالمين
وقيل في معناه ثلثة اقوال احدها قال قتادة مسخوا قردة وخنازير وهو المروي عن ابي عبد الله عليه السلم
ولم يمسخ احد خنازير سواهم الثاني انه اراد به من عالمي زمانهم الثالث انه اراد به جنسا من العذاب لا
يعذب به احد غيرهم وانما استحقوا هذا النوع من العذاب بعد نزول المائدة لانهم كفروا بعدما راوا الاية
التي هي من ازجر الايات عن الكفر لم يرها غيرهم بعد سؤالهم لها وادت الى سببهم بها فاقتضت الحكمة اختصاصهم
بضرب من العذاب عظيم الموقع كما اختص ايتهم بضرب من الزجر عظيم الموقع وقال الحسن ومجاهد ان المائدة
لم ينزل عليهم لانهم استعفوا من نزولها لما سمعوا الوعيد المقرون بها وقال قوم هذا غلط من قائله لانه
تعالى وعد بانزاله ولا خلاف لقوله واكثر اهل العلم على انها انزلت منهم ابن عباس وعمار بن ياسر وابو
عبد الرحمن السلمي وقتادة والسدي وهو ظاهر القران وايضا فلا يجوز ان ينال نبي على رؤوس الملأ اية لا يجاب
اليها لان ذلك ينفر عنه وقال الحسن انما كان الوعد من الله بانزال المائدة بشرط يكون بتقدير اني منزلها
عليكم ان تقبلتم الوعيد فيما فمن يكفر بعد منكم الاية وهذا الشرط الذي ذكره لا دليل عليه والمطلق لا يحمل
على المقيد الا بقرينة وقال قوم انما نزلت فكفروا فعذبوا وانزل ذلك في القران ولو لم يكفروا لكانت المائدة باقية
قائمة للمسلمين الى يوم القيمة وهذا ليس بصحيح لانه يجوز ان يكون عني بالعذاب ما يفعله في الاخرة ويجوز
ان يكون عني عذاب الدنيا ولم يذكر لانه ليس بواجب ان يكون كل من اختصه بضرب من العذاب لا بد
ان يخبرنا عنه في القران لانه يكون تجويز ذلك على منازل عظيمة في الجملة اهول واملأ للصدد من ذكره
بالتصريح على تفصيل امره واما بقاؤها الى يوم القيمة فلا يلزم لان وجه السؤال ان يكون يوم نزولها
عيدا لهم ولمن بعدهم ممن كان على شريعتهم **قوله** تعالى وَاِذْ قَالَ اللّٰهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَاَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ
اتَّخِذُونِي وَاُمِّيَ اِلٰهَيْنِ مِنْ دُونِ اللّٰهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي اَنْ اَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ اِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ
عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا اَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ اِنَّكَ اَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ آية بلا خلاف **اقول** قوله
اذ قال محققة اذ ان يكون لما مضى وهذا مستقبل ويحتمل ثلثة اوجه اولها ان يكون معطوفا على ما قبله
كانه قال يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم ثم قال وذلك اذ يقول يا عيسى اذكر نعمتي واذ يقول
له ءانت قلت للناس الثاني قال البلخي ان يكون لما رفع الله عيسى اليه قال له ذلك فيكون المقال ماضيا
والثالث ذكره ايضا البلخي ان اذ استعملت بمعنى اذا فيصح حينئذ ان يكون القول من الله يوم القيمة و
مثله ولو ترى اذ فزعوا فلا فوت كانه قال اذا يفزعون وقال ولو ترى اذ الظالمون موقوفون كانه قال اذا

وقفوا

٤٢

وقفوا الان صدا لمرتفع بعد وقال ابو النجم **شعر** ثم جزاه الله عنا اذ جزا جنات عدن
في العلالي العلى المعنى اذا جزا وقال الاسود فالان اذ هازلتهن فانما يقلن الا لم يذهب المرء
مذهبا وقال اوس الناس في الزمان اذا لم يسلوا بحث ما يد ربعا وهبت الشمال البليل
واذا مشى لمع ملتفعا يقال اذا واذ في معنى واحد وقال بعض اهل اليمن
شعر وندمان تزيد الكاس طيبا سقيت اذا تغورت النجوم فقال اذا والمعنى اذ لانه
انما يخبر عما مضى وقال ابو عبيدة اذ صلة والمعنى قال الله يا عيسى وقد بينا فساد هذا القول فيما
مضى فاما لفظ قال في معنى يقول فيستعمل كثيرا وان كان مجازا قال الله تعالى ونادى اصحاب
الجنة اصحاب النار والمراد ينادي وقد استعمل المستقبل بمعنى الماضي قال زياد الاعجم في المغيرة
بن المهلب يرثيه بعد موته **شعر** فاذا مررت بقبره فانحر به خوص الركاب وكل
طرف سابح وانضح جوانب قبره بدمائها فلقد يكون اخا دم وذبائح فقال يكون
معناه كان لدلالة الكلام عليه لانه في مرثية له وقوله يا عيسى بن مريم يحتمل عيسى ان يكون منصوبا
مثل ما تقول يا زيد بن عبد الله وهو الاكثر في كلام العرب وانما يجوز ذلك اذا وقع الابن بين
علمين فاما اذا قلت يا زيد ابن الرجل لم يجز في زيد الا الضم ويحتمل ان يكون عيسى في موضع الضم
ويكون نداء اثنين كانه قال يا عيسى يا ابن مريم وقوله ءانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من
دون الله تقريع في صورة الاستفهام والمراد بذلك تقريع وتهديد من ادعى ذلك لانه تعالى كان
عالما بذلك هل كان او لم يكن ويحتمل وجها اخر ذكره البلخي ان الله تعالى اراد ان يعلم عيسى ان قومه
اعتقدوا فيه وفي امه انهما الهان كما ان الواحد منا اذا ارسل رسولا الى قوم ان يفعلوا فعلا فاقه
الرسالة وانصرف فخالفوا ذلك وعلم المرسل ولم يعلم الرسول جاز ان يقول المرسل للرسول أ
انت امرتهم بذلك وغرضه ان يعلمه انهم خالفوه وانما قال الهين تغليبا للذكر على الانثى والغرض
بالكلام ان النصارى يعتقدون في المسيح انه صادق لا يكذب وانه الذي امرهم بان يتخذوه وامه الهين
فاذا كذبهم الصادق عندهم الذي ينسبون الامر به اليه كان ذلك اكد في الحجة عليهم وابلغ في التوبيخ
عليه والتوبيخ ضرب من العقوبة وقيل في قوله الهين ثلثة اوجه احدها انهم لما عظموهما تعظيم الالهة
اطلق ذلك عليهما كما قال اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله وانما اراد تقريعهم على معصيتهم
والثاني انهم جعلوه الها وجعلوا امه والدة له ميزوها من جميع البشر تمييزا شابهت الالهية واطلق ذلك
لانه مستخرج من قصدهم وان لم يكن صريح الفاظهم على طريقة الالزام لهم الثالث انهم لما سموه الها و
عظموها هي وكانا مجتمعين سماهما الهين على طريقة العرب كقولهم القمران للشمس والقمر والعمران لابي
بكر وعمر قال الشاعر **شعر** جزاني الزهدمان جزاء سوء وكنت المرء يجزى بالكرامة
يريد زهدما وقيسا ابني حزن العبسيين وهذا كثير وذكر لي بعض النصارى الذين قرا كتب النصارى
عن جاثليق لهم لم يكن في زمانه مثله انه سأله عن هذا فقال كنت شاكا في ذلك الى ان قرأت في كتاب
ذكر ان فيما مضى كان قوم يقال لهم المريمية كانوا يعتقدون في مريم انها الهة فعلى هذا القول قد
كما قلناه في الحكاية عن اليهود انهم قالوا عزير ابن الله وقد ذكرناه في سورة التوبة وقوله سبحانك
ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق معناه انزهك ان يكون معك اله وان يكون للاشياء اله غيرك و
اعترف بانه لم يكن له ان يقول هذا القول وقوله ان كنت قلته فقد علمته اي لم اقله لاني لو كنت قلته
لما خفي عليك اذ كنت علام الغيوب وقوله تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك اي تعلم غيبي ولا
اعلم غيبك لان ما في نفس عيسى وما في قلبه هو ما يغيبه عن الخلق وانما يعلمه الله وسمى ما يختص
الله بعلمه بانه في نفسه على طريق الازدواج في الكلام كما قال ومكروا ومكر الله والله يستهزئ بهم يخادعون
الله وهو خادعهم وجزاء سيئة سيئة بمثلها وان عاقبتم فعاقبوا وكل ذلك وجه ازدواج الكلام وتقوي

هذا

هذا التأويل قوله انك انت علام الغيوب لانه علل انه انما يعلم ما في نفس عيسى لانه علام الغيوب
وعيسى ليس كذلك فلذلك لم يعلم ما يختص الله بعلمه والنفس في اللغة على ضروب احدها نفس
الانسان التي بها حيوته يقولون خرجت نفسه اي روحه وفي نفسي ان افعل اي بين روعي وثانيها ان
نفس الشيء ذات الشيء يقولون قتل فلان نفسه اي ذاته وعلى هذا حمل قوله ويحذركم الله نفسه اي تحذيرا
وقيل عذابه والنفس الهمّ بالشيء كما يحكى ان سائلا سأل الحسن فقال ان لي نفسين احدهما يقول لي
حجّ والاخر تزوّج فقال الحسن النفس واحدة وانما لك همان هم بكذا وهم بكذا والنفس الانفة كقولهم ليس لفلان
نفس اي لا انفة له والنفس الارادة يقولون نفس فلان في كذا اي ارادته قال الشاعر **شعر**

فنفساي نفس قالت ائت ابن بجدل … تجد فرجا من كل غمى تهابها
ونفس تقول اجهد نجاءك ولا تكن … كخاضبة لم يغن عنها خضابها

والنفس ايضا العين التي تصيب الانسان يقال اصابت فلانا نفس اي عين ومنه قوله عليه السلام في رقيا
بسم الله ارقيك والله يشفيك من كل داء هو فيك من كل عين عاين ونفس نافس وحسد حاسد قال
عبيد الله ابن قيس الرقيات يتقي نفسها اهلها النفوس عليها فعلى نحرها الرقى والتميم وقال ابن الأعرابي النفوس
الذي يصيب الناس بالنفس والنفس ايضا من الدباغ مقدار الدبغة ———

قوله تعالى مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ
فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ اية **اقول** هذا اخبار عن
عيسى انه يقول لله تعالى في جواب ما قرره عليه اني لم اقل للناس الا ما امرتني به من الاقرار لك
بالعبودية فانك ربي وربهم والهي والههم وامرتهم بان يعبدوك وحدك ولا يشركوا معك في العبادة
وقال اني كنت شهيدا اي شاهدا عليهم ما دمت فيهم بما شاهدته منهم وعلمته وبما بلغتهم من
رسالاتك التي حملتنيها وامرتني بادائها اليهم ما دمت حيا بينهم فلما توفيتني اي قبضتني اليك و
امتني كنت انت الرقيب عليهم والرقيب هو الذي يشاهد القوم ويرقب ما يعملون ويعرف ذلك
ثم اعترف بانه تعالى على كل شيء شهيد لانه عالم بجميع الاشياء لا يخفى عليه خافية ولا يغيب عنه شيء
فهو يشهد على العباد بكل ما يعملونه وفي اخباره تعالى عن المسيح من انتفائه من القول الذي ادعوه
عليه تأكيد لتبكيت النصارى وتكذيب لهم وتوبيخ على ما ادعوه من ذلك عليه قال الجبائي وفي الاية
دلالة على انه تعالى اماث عيسى وتوفاه عند ما رفعه لانه بين انه كان شهيدا عليهم وتوفيه اياه بعد
ان كان بينهم انما كان عند رفعه اياه الى السماء عند ما اراد واقتله وعندي ان الذي ذكره لا يدل
على انه اماته لان التوفي هو القبض اليه ولا يستفاد منه الموت الا بقرينة الحال ولذلك قال تعالى الله
يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فبين انه يتوفى التي لم تمت فنفس التوفي لا تفيد الموت
بحال وقوله ان اعبدوا الله يجوز ان يكون ان بمعنى اي مفسرة في قول سيبويه كما قال وانطلق الملأ منهم
ان امشوا اي امشوا لانها مفسرة لما قبلها والمعنى ما قلت لهم الا ما امرتني به ان اعبدوا الله ويجوز ان
يكون ان في موضع خفض على البدل من الهاء ويكون ان موصولة باعبدوا الله ومعناه الا ما امرتني
به بان يعبدوا الله ويجوز ان يكون موضعها نصبا على البدل من ما والمعنى ما قلت لهم شيئا الا ان
اعبدوا الله اي ما ذكرت لهم الا عبادة الله وقوله ولقوله ان اعبدوا الله ربي وربكم شاهد بلفظ الانجيل
فانه ذكر في الفصل الرابع من انجيل لوقا قال المسيح مكتوب ان اسجد لله ربك واياه وحده فاعبد
وهذا لفظه وهو صريح التوحيد **قوله** تعالى إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ
الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ اية بلا خلاف **اقول** ظاهر هذه الاية تدل على ان عيسى لم يكن اعلمه الله ان
الشرك لا يغفر على كل حال فلذلك قال ان تعذبهم فانهم عبادك الذين كفروا بك وجحدوا الهيتك
وكذبوا رسلك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم وقال البلخي ان عيسى عليه السلام اخبر انه لا علم له بما

صنعوا بعده من الكفر به حتى قيل له ماذا اجبت قال لا علم لي ثم قال ان كانوا كفروا فعذبتهم فهم
عبادك وان كانوا ثبتوا على ما دعوتهم اليه او تابوا من كفرهم فغفرت لهم فانت العزيز الحكيم ومن ذهب
الى ان قول الله يا عيسى بن مريم ءانت قلت للناس اخبار عما مضى وان الله قال ذلك عند ما رفعه
اليه قال انما عنى عيسى ان تعذبهم بمقامهم على معصيتك فانهم عبادك وان تغفر لهم بتوبة يكون منهم
لان القوم كانوا في الدنيا لان عيسى لم يشك في الاخرة انهم مشركون وقد انقطعت التوبة وانما قال
ذلك في الدنيا وجعل قول الله تعالى هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم جوابا للرسل حين سألهم ماذا
اجبتم قالوا لا علم لنا فصدقهم الله في ذلك ومثل ذلك قال عمرو بن عبيد والجبائي والزجاج كلهم
شرط التوبة وهذا الذي ذكروه ترك للظاهر وزيادة شرط في ظاهرها ليس عليه دليل وقوله ان الله
لا يغفر ان يشرك به انه اراد بذلك تفويض الامر الى مالكه وتسليمه الى مدبره والتبري من ان يكون اليه
شيء من امر قومه كما يقول الواحد منا اذا تبرى من تدبير امر من الامور ويريد تفويضه الى غيره هذا
الامر لا مدخل لي فيه فان شئت ان تفعله وان شئت ان تتركه مع علمه ان احدهما لا يكون منه وقوله
فانك انت العزيز الحكيم معناه انك القادر الذي لا يغالب وانت حكيم في جميع افعالك فيما تفعله
بعبادك وقيل معناه انك انت القدير الذي لا يفوتك مذنب ولا يمتنع من سطوتك مجرم الحكيم فلا
يضع العقاب والعفو الا موضعهما ولو قال الغفور الرحيم كان فيه معنى الدعاء لهم والتذكير برحمته على
ان العذاب والعفو قد يكونان غير صواب ولا حكمة فالاطلاق لا يدل على الحكمة والحسن والوصف بالعزيز
الحكيم يشتمل على العذاب والرحمة اذا كانا صوابين قال الحسين بن علي المغربي رأيت على باب دار بمصر
في موضع يقال له بيطار بلال معروف لوحا قد يما من ساج عليه هذا العشر وفيه فانك انت الغفور الرحيم
وتاريخ الدار سنة سبعين من الهجرة او نحوها ولعلها باقية الى اليوم فان قيل قول عيسى ان تعذبهم
فانهم عبادك يدل على ان الله تعالى له ان يعاقب عبيده من غير جرم كان منهم لانه لا يملك حسن
ذلك بكونهم عبيدا الا بكونهم عصاة وذلك خلاف ما يذهبون اليه قلنا لا يجوز ان يريد عيسى عليه السلام
بكلامه ما يدل على الفعل على كونه غير جائز عليه تعالى ولا يحسن منه تعالى ايضا ان يترك انكار ذلك
فلما علمنا ان الله تعالى لا يجوز ان يعاقب خلقه من غير معصية سبقت منهم من حيث كان ذلك ظلما
محضا علمنا ان عيسى اراد بقوله ذلك ان تعذبهم فانهم عبادك الجاحدون لك المتخذون معك الها
غيرك لان ما تقدم من الكلام دل عليه فلم يحتج ان يذكره في اللفظ فبطل ما توهموه **قوله** تعالى
قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى
كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ايتان بلا خلاف **اقول** قرا يوم ينفع بفتح الميم نافع والباقون بضمها من رفع يوما
جعله خبر المبتداء الذي هو هذا واضاف يوما الى ينفع والجملة التي من المبتداء والخبر في موضع
نصب بانه مفعول القول كما يقول قال زيد عمرو اخوك ومن نصب احتمل امرين احدهما ان يكون
مفعول قال تقديره قال الله هذا القصص وهذا الكلام يوم ينفع الصادقين فيوم ظرف للقول
هذا اشارة الى ما تقدم ذكره من قوله اذ قال الله يا عيسى بن مريم وجاء على لفظ الماضي وان كان
المراد به المستقبل كما قال ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار ونحو ذلك على ما بيناه وليس ما بعد
قال حكاية في هذا الوجه كما كان اياها في الوجه الاخر ويجوز ان يكون المعنى على الحكاية وتقديره قال
الله تعالى هذا يوم ينفع اي هذا الذي اقتصصنا به يقع او يحدث يوم ينفع فيوم خبر المبتدا الذي هو
هذا الامر اشارة الى حدث وظروف الزمان يكون اخبارا عن الاحداث والجملة في موضع نصب بانها
في موضع مفعول قال الفراء يوم منصوب لانه مضاف الى الفعل وهو في موضع رفع بمنزلة يومئذ مبني على
الفتح في كل حال قال الشاعر **شعر** على حين عاتبت المشيب على الصبى

فقلت لما يصحُ والشيب وازع قال الزجاج هذا خطاء عند البصريين لانهم لا يجيزون هذا يوما تيك
لان اتيك فعل مضارع فالاضافة اليه لا يزيل الاعراب عن جهته ولكنهم يجيزون ذلك يوم نفع زيد اصدقه
لان فعل الماضى غير مضارع فهى اضافة الى غير متمكن والى غير مضارع المتمكن ويجوز هذا يوم منونا
ينفع الصادقين على اضمار هذا يوم ينفع فيه الصادقين صدقهم كقوله واتقوا يوما لا تجزى نفس عن
نفس شيئا والمعنى لا تجزى فيه وقال الشاعر **شعر** وما الدهر الا تارتان فمنهما
اموت واخرى ابتغى العيش اكدح والمعنى فمنهما تارة اموت فيها قوله قال الله هذا يوم
ينفع الصادقين يعنى يوم القيمة ودل على ان قول الله للمسيح ءانت قلت للناس اتخذونى وامى
الهين من دون الله يكون يوم القيمة ثم بين ان الصادقين ينفعهم صدقهم وهو ما صدقوا فيه فى دار
التكليف لان يوم القيمة لا تكليف فيه على احد ولا يخبر احد فيه الا بالصدق ولا ينفع الكفار صدقهم
الذى يقولونه يوم القيمة اذا اقروا على انفسهم بسوء اعمالهم ثم بين ان لهم جنات تجرى من تحتها الانهار
وانهم خالدون فيها ابدا فى نعيم مقيم لا يزول وان الله قد رضى عنهم ورضوا هم عن الله وبين ان ذلك
هو الفوز العظيم وهو ما يحصلون فيه من الثواب والنجاة من النار ثم قال تعالى لله ملك السموات
والارض وما فيهن يعنى ان ملك السموات والارض وما بينهما له بالقدرة على التصرف فيهما وفيما
بينهما على وجه ليس لاحد منعه منه ولا معارضة فيه خاصة ثم بين انه تعالى على كل شئ قدير مما كان
ويكون مما يصح ان يكون مقدورا له **سورة الانعام** قال ابن عباس ومجاهد وقتادة و
غيرهم ان سورة الانعام مكية وقال يزيد بن رومان بعضها مكى وبعضها مدنى وقال شهر بن
حوشب هى مكية الا اثنين منها قوله قل تعالوا اتل ما حرم والتى بعدها وروى عن ابن عباس انه قال
نزلت سورة الانعام جملة بمكة معها سبعون الف ملك يجدون حولها بالتسبيح والتهليل والتحميد
وهى مائة وخمس وستون اية كوفى وست فى البصرى وسبع فى المدنيين وروى عن ابن عباس انه قال هى
مكية غير ست ايات منها فانها مدنيات قل تعالوا اتل وايتان بعدها وقوله وما قدروا الله حق قدره
الى اخرها والاية التى بعدها ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا او قال اوحى الى اخرها وروى عن انس بن
مالك انه قال قال رسول الله صلى الله عليه واله ما نزل على سورة من القران جملة غير سورة الانعام
وما جمعت الشياطين لسورة من القران جمعها لها ولقد بعث بها الى مع جبرئيل مع خمسين ملكا
او قال خمسين الف ملك شك الواقدى يزفونها ويحفونها حتى اقروها فى صدرى كما اقر الماء فى الحوض
ولقد اعزنى الله واياكم بها عزا لا يذلنا بعده ابدا فيها دحض حجج المشركين ووعد من الله لا يخلفه وروى
عن كعب الاحبار انه قال افتتحت التورية بالحمد لله الذى لم يتخذ ولدا خلق السموات والارض وجعل الظلمات
والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون وختمت بالحمد لله الذى لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك
الى اخر الاية **قوله** تعالى ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ
ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ اية فى الكوفى والبصرى وايتان فى المدنيين قوله والنور اخر الاولى
اقول اخبر الله تعالى فى هذه الاية ان المستحق للحمد من خلق السموات والارض وجعل الظلمات
والنور اى خلقهما لما اشتملا عليه من عجائب الخلق ومتقن الصنع ثم عجب ممن جعل له شركاء مع ما يرى فى
السموات والارض من الدلالة على انه الواحد الذى لا شريك له وقد بينا فيما تقدم وجه دلالة ذلك
على انه واحد ليس باثنين وقوله بربهم يعدلون اى يجعلون له مثلا يستحق العبادة ماخوذ من قولك ما
اعدل بفلان احدا اى لا نظير له عندى ولا احد يستحق ما يستحقه قال الكسائى يقال عدلت الشئ
بالشئ اعدله عدولا اذا ساويته وعدل فى الحكم يعدل عدلا وقال الحسن ومجاهد معنى يعدلون
يشركون وانما ابتدء تعالى هذه السورة بالحمد احتجاجا على مشركى العرب وعلى من كذب بالبعث
النشور فابتدا فقال الحمد لله الذى خلق السموات والارض فذكر اعظم الاشياء المخلوقة لان السماء

بعير

٤٦

بغير عمد ترونها والارض غير مائدة بنا ثم ذكر الظلمات والنور وذكر امر الليل والنهار وهو مما به
قوام الخلق فاعلم الله تعالى ان هذه خلق له وان خالقها لا شئ مثله وروى عن ابى عبد الله انه قال
ان الانعام نزلت جملة وشيعها سبعون الف ملك حين انزلت على رسول الله فعظموها وبجلوها فان
اسم الله تعالى فيها فى سبعين موضعا ولو يعلم الناس ما فى قراءتها من الفضل ما تركوها **قوله**
تعالى هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا ۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ۖ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ اية بلا خلاف
اقول معنى قوله هو الذى خلقكم اى انشاكم واخترعكم من طين ومعناه خلق اباكم الذى هو
ادم وانتم من ورثته وهو بمنزلة الاصل لنا من طين فلما كان اصلنا من الطين جاز ان يقول خلقكم
من طين وقوله ثم قضى معناه حكم بذلك والقضا يكون حكما ويكون امرا ويكون الاتمام والاكمال
اجلا واجل مسمى عنده قيل فى معناه قولان احدهما قال ابو على كتب لكم اجلا فى الدنيا وحكم بانه
اجل لنا وهو الاجل الذى يحيى فيه اهل الدنيا الى ان يموتوا وهو اوقات حياتهم لان اجل الحياة
هو وقت الحياة واجل الموت واجل مسمى عنده يعنى اجالكم فى الاخرة وذلك اجل دائم ممتد لا اخر
له وانما قال له مسمى عنده لانه مكتوب فى اللوح المحفوظ فى السماء وهو الموضع الذى لا يملك فيه
الحكم على الخلق سواه وقال الزجاج احد الاجلين اجل الحيوة وهو الوقت الذى يحدث فيه الحيوة و
يحيون فيه واجل مسمى عنده يعنى امر الساعة والبعث وبه قال الحسن وسعيد بن جبير ومجاهد وعكرمة و
الضحاك وقال بعضهم قضى اجلا يعنى اجل من مضى من الخلق واجل مسمى عنده اجل الباقين والذى
نقوله ان الاجل هو الوقت الذى يحدث فيه الحيوة او الموت ولا يجوز ان يكون المقدر اجلا كما لا يجوز
ان يكون ملكا فان سمى ما يعلم الله تعالى انه لو لم يقتل فيه لعاش اليه اجلا كما لا يجوز ان يكون ملكا فان
سمى ما يعلم الله تعالى انه لو لم يقتل فيه لعاش اليه اجلا كان ذلك مجازا لان الحى لو يعش اليه ولا يمتنع
ان يعلم الله من حال المقتول انه لو لم يقتله القاتل لعاش الى وقت اخر وكذلك ما روى ان الصدقة
وصلة الرحم يزيدان فى الاجل وما روى فى قصة قوم يونس فان الله صرف عنهم العذاب وزاد فى اجالهم
لا يمتنع منه مانع وانما منع من التسمية لما قلنا وقوله ثم انتم تمترون خطاب للكفار الذين يشكون فى
البعث والنشور واحتج الله بهذه الاية على الذين عدلوا به غيره فاعلمهم الله انه خلقهم من طين ونقلهم
من حال الى حال وقضى عليهم الموت فهم يشاهدون ذلك ويقرون بانه لا محيص منه ثم عجبهم من
امترائهم اى من شكهم فى انه الواحد القادر على ما يشاء وفى انه لم يعبث بخلقهم وابقائهم واماتتهم بعد
ذلك وانه لا بد من جزاء المسيئ والمحسن مثله قوله يا ايها الناس ان كنتم فى ريب من البعث فانا خلقناكم
من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم انا الذى قدر على ذلك قادر
على ان يبعثكم بعد ان تكونوا ترابا وقوله واجل مسمى عنده رفع على الابتداء وتم الكلام عند قوله ثم
قضى اجلا **قوله** تعالى وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ ۖ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ
اية اجماعا **اقول** قوله وهو الله فى السموات وفى الارض يحتمل معنيين احدهما قال الزجاج والبلخى
وغيرهما انه المعبود فى السموات والارض والمتفرد بالتدبير فى السموات وفى الارض لان حلوله فيهما
او فى شئ منهما لا يجوز عليه ولا يجوز ان تقول هو زيد فى البيت والدار وانت تريد انه يدبرهما الا ان
يكون فى الكلام ما يدل على ان المراد به التدبير كقول القائل فلان الخليفة فى الشرق والغرب لان
المعنى فى ذلك انه المدبر فيهما ويجوز ان يكون خبرا بعد خبر كانه قال انه هو الله وهو فى السموات وفى الارض
ومثل ذلك قوله وهو الذى فى السماء اله وفى الارض اله والوجه الثانى قال ابو على ان قوله وهو الله قد
تم الكلام وقوله فى السموات وفى الارض لان الخلق اما ان يكونوا ملائكة فهم فى السماء او البشر والجن
فهم فى الارض فهو تعالى عالم بجميع ذلك لا يخفى عليه خافية ويقويه قوله ويعلم ما تكسبون اى يعلم جميع
ما تعملونه من الخير والشر فيجازيكم على حسب اعمالكم ولا يخفى عليه شئ منها وفى ذلك غاية الزجر و

التهديد

التهديد وفى الاية دلالة على فساد قول من قال انه تعالى فى مكان دون مكان تعالى الله عن ذلك

قوله تعالى وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ آية بلا خلاف **اقول** اخبار من الله تعالى انه لا ياتى هؤلاء الكفار المذكورين فى اول الاية اية من ايات ربهم وهى المعجزات التى يظهرها على رسوله وايات القرآن التى كان ينزلها على نبيه الا كانوا معرضين لا يقبلونها ولا يستدلون بها على ما دلهم الله عليه من توحيده وصدق رسوله محمد صلى الله عليه واله **قوله** تعالى فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ آية **اقول** فى هذه الاية اخبار منه تعالى ان الكفار قد كذبوا بالحق الذى اتاهم به محمد صلى الله عليه واله لما جاءهم بالقرآن وسائر امور الدين وانه سوف ياتيهم خبر العذاب الذى ينزله بهم عقوبة على كفرهم وهذا العذاب هو الذى كانوا به يستهزؤن باخبار رسول الله اياهم به وبنزوله بهم فبين ان ذلك سيحل بهم سيقفون على صحته ودل ذلك على انهم كانوا يستهزؤن وان كان لم يذكره هيهنا وذكره فى موضع اخر ومثل ذلك قول القائل للجانى عليه سيعلم عملك وانما يريد سيجازى على عملك وقال الزجاج معنى انباء ما كانوا اى تاويله والمعنى سيعلمون ما يؤل اليه استهزاؤهم **قوله** تعالى أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ آية بلا خلاف **اقول** قوله الم يروا خطاب للغايب وتقديره الم يروا هؤلاء الكفار اى الم يعلموا كم اهلكنا من قبلهم من قرن ثم قال ما لم نمكن لكم فخاطب خطاب المواجه فكانه اخبر النبى عليه السلم ثم خاطبه معهم كما قال حتى اذا كنتم فى الفلك وجرين بهم بريح طيبة فذكر لفظ الغايب خطاب المواجه ومعنى من قرن من امة قال الحسن القرن عشرون سنة وقال ابرهيم اربعون سنة وقال ابو ميسرة هو عشر سنين وحكى الزجاج والفراء انه ثمانون سنة وقال قوم هو سبعون سنة وقال الزجاج عندى ان القرن هو اهل كل مدة كان فيها نبى او كان فيها طبقة من اهل العلم قلت السنون او كثرت فيسمى ذلك قرنا بدلالة قوله عليه السلم خيركم قرنى يعنى اصحابى ثم الذين يلونهم يعنى التابعين ثم الذين يلونهم يعنى تابعى التابعين قال وجايز ان يكون القرن جملة الامة وهؤلاء قرون فيها واشتقاق القرن من الاقتران وكل طبقة مقترنين فى وقت قرن والذين ياتون بعدهم ذوو اقتران اخر وقوله مكناهم فى الارض معناه جعلناهم ملوكا واغنياء يقول مكنتك ومكنت لك واحد وقوله وارسلنا السماء عليهم مدرارا معناه ارسلنا عليهم مطرا كثيرا من السماء يقول القائل اصابتنا هذه وما زلنا نطأ السماء حتى اتيناكم يعنون المطر وقوله مدرارا يعنى غزيرا دائما كثيرا وهو قول ابن عباس وابى روق ومفعال من الفاظ المبالغة فقال ديمة مدرارا اذا كان مطرها غزيرا دارا كقولهم امراة مذكار اذا كانت كثيرا الولادة للذكور ومئناث فى الاناث ومفعال لا يؤنث يقال امراة معطار ومئناث بغيرها بين الله تعالى ان هؤلاء الذين اتاهم الله هذه المنافع واجرى من تحتهم الانهار ووسع عليهم ومكنهم فى الارض لما كفروا بنعم الله وارتكبوا معاصيه اهلكهم الله بذنوبهم وانه انشا قوما اخرين بعدهم يقال انشا فلان يفعل كذا اى ابتدا فيه وموضع كم نصب باهلكنا لان لفظ الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله فلذلك لا يجوز ان يكون منصوبا بيروا فان قيل كيف قال الم يروا والقوم كانوا غير مقرين بما اخبروا به من شان الامم قبلهم قيل كان الكثير منهم مقرا بذلك ما عرف غيره **قوله** تعالى وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ آية بلا خلاف **اقول** اخبر الله تعالى فى هذه الاية انه لو نزل على نبيه كتابا يعنى صحيفة مكتوبة فى قرطاس حتى يلمسوه بايديهم ويدركوه بحواسهم لانهم لو سالوا النبى عليه السلم ان ياتيهم بكتاب نقرؤه من الله الى فلان بن فلان ان امن بمحمد وانه لو اجابهم الى ذلك لما امنوا ونسبوه الى السحر لعظم عناد هم

وفساد قلوبهم وعزمهم على ان لا يؤمنوا على كل حال وعرف ان التماسهم هذه الايات ضرب من العنت ومتى فعلوا ذلك اصطلمهم واستاصلهم وليس يقتضى المصلحة ذلك لما علم فى بقائهم من المصلحة للمؤمنين وعلمه بمن يخرج من اصلابهم من المؤمنين وان فيهم من يؤمن فيما بعد فلا يجوز حرمانه من هذه صفته عند ابى على والبلخى وقوله ان هذا الا معناه ليس هذا الا واحتج ابو على بهذه الاية على انه شئ كان فى معلوم الله تعالى انه لو اتاهم الايات التى طلبوها اى آمنوا منعهم اياها لانهم كانوا لا يؤمنون ولو اتيتهم اياها وكانوا يقولون انها سحر مبين وبهذا تبين بطلان قول من قال اللطف ليس بواجب وانه يجوز ان يمنعهم الله ما طلبوا وان كانوا يؤمنون لو اتاهم ذلك ويكفرون لو منعهم اياه **قوله** تعالى وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ ايتان بلا خلاف **اقول** اخبر الله تعالى فى هذه الاية عن هؤلاء الكفار انهم قالوا لولا ومعناه هلا انزل عليه يعنون على محمد ملك يشاهدونه فيصدقه ثم اخبر عن عظم عنادهم انه لو انزل عليهم الملك على ما اقترحوه لما امنوا به واقتضت الحكمة استيصالهم ولا ينظرهم ولا يمهلهم وذلك بخلاف ما علم الله تعالى من المصلحة على ما بيناه ومعنى لقضى الامر اى لتم اهلاكهم قضى على ضروب كلها ترجع الى معنى تمام الشئ وانقطاعه فى قول الزجاج فمنه قضى اجلا واجل مسمى عنده معناه ثم ختم بذلك واتمه ومنه الامر نحو قوله وقضينا الى بنى اسرائيل اى اعلمناهم اعلاما قاطعا ومنه الفصل فى الحكم نحو قوله ولولا اجل مسمى لقضى بينهم اى لفصل الحكم بينهم ومنه قولهم قضى القاضى ومن ذلك قضى فلان دينه اى قطع ما لغريمه عليه واداه اليه وقطع ما بينه وبينه وكلما احكم فقد قضى يقول قضيت هذا الثوب وهذه الدار اى عملتها واحكمت عملها قال ابو ذويب **شعر**

داود او صنع السوابغ تبع — وعليهما مسرودتان قضاهما

وقال مجاهد معنى وقالوا لولا انزل عليه ملك يريدون فى صورته قال الله تعالى ولو انزلنا ملكا فى صورته لقضى الامر اى لقامت الساعة ووجب استيصالهم ثم قال ولو جعلناه ملكا لجعلناه فى صورة رجل لان ابصار البشر لا تقدر على النظر الى صورة ملك على هيئته للطف الملك وقلة شعاع ابصارنا وكذلك كان جبرئيل عليه السلم ياتى النبى صلى الله عليه واله فى صورة دحية الكلبى وكذلك الملائكة الذين دخلوا على ابرهيم فى صورة الاضياف حتى قدم اليهم عجلا جسدا لانه لم يعلم انهم ملائكة وكذلك لما تسوروا المحراب على داود الملكان كانا فى صورة رجلين يختصمان اليه وقال بعضهم المعنى لو جعلنا مع النبى ملكا يشهد بتصديقه لجعلناه رجلا والاول اصح وقوله وللبسنا عليهم ما يلبسون يقال لبست الامر على القوم البسه اذا شبهته عليه ولبست الثوب البسه وكان رؤساء الكفار يلبسون على ضعفائهم امر النبى عليه السلم فيقولون هو بشر مثلكم فقال الله تعالى ولو انزلنا ملكا فراوا الملك رجلا لم يعلمهم انه ملك لمكان يلحقهم من اللبس ما يلبس ضعفاؤهم منهم والملبوس ما يلبس من الثياب واللباس الذى قد لبس واستعمل فان قيل قوله انه لو جعل الملك رجلا للبس عليهم يدل على ان له ان يلبس بالاضلال والتلبيس قلنا ليس ذلك فى ظاهره لانه لم يخبر انه لبس عليهم وانما قال لو جعلنه ملكا للبست ولم يجعله ملكا فاذا اما لبس كما قال تعالى لو اراد الله ان يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء وليس يجوز عليه ايجاد الولد ولا الاصطفاء له بحال فسقط ما قالوه **قوله** تعالى وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ اية بلا خلاف **اقول** لما اخبر الله تعالى انه لو انزل الايات التى اقترحوها وامتنعوا عند ذلك من الاقرار به وتصديق نبيه اقتضت المصلحة استيصالهم كما اقتضت المصلحة استيصال من تقدم من الامم عند نزول الايات المقترحة كما فعل بقوم صالح وغيرهم من الانبياء قال تسلية لنبيه عليه السلم من استمرارهم على الكفر ومعنى الحيق ما يشتمل على الانسان من مكروه فعله كما قال ولا يحيق المكر السيئ الا باهله اى لا ترجع عاقبة مكروهه الا عليهم والمعنى فحاق

بالتاخرين منهم ما كانوا به يستهزئون من وعيد انبيائهم بعاجل العقاب فى الدنيا نحو ما نزل بقوم عاد
وثمود وغيرهم من الامم وقال ابو على حاق وحق بمعنى واحد والمعنى انه لما نزل بهم العذاب حق بذلك
عندهم الخبر الذى كان اخبرهم به النبى عليه واله السلام **قوله** تعالى قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا
كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ اية **اقول** امر الله تعالى فى هذه الاية نبيه عليه السلام ان يامر هؤلاء الكفار
ان يسيروا فى الارض لينظروا الى اثار تلك الامم فانها مشهورة متواتر خبرها معلوم مساكنها واراد
بذلك زجر هؤلاء الكفار عن تكذيب محمد والتحذير لهم من ان ينزل بهم من العذاب ما نزل بالمكذبين
للرسل قبلهم **قوله** تعالى قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ
إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ
السَّمِيعُ الْعَلِيمُ اثنان اجماعا **اقول** امر الله تعالى نبيه عليه السلام ان يقول لهؤلاء الكفار مقرعا لهم
وموبخا على كفرهم لمن ما فى السموات والارض ثم امره عليه السلام ان يقول لهم ان ذلك لله كتب على نفسه
الرحمة ليجمعنكم قسم وتقديره والله ليجمعنكم ولذلك نصب لام ليجمعنكم لان معنى كتب اليمين وقال
الزجاج يجوز ان يكون ليجمعنكم بدلا من الرحمة مفسرا لها لانه لما قال كتب على نفسه الرحمة فسر رحمته
بانه يمهلهم الى يوم القيمة وقال الفراء يجوز ان يكون قوله كتب على نفسه الرحمة غاية ثم استانف قوله
ليجمعنكم لا ريب فيه تمام ومعنى كتب على نفسه الرحمة اى كتب على نفسه الا يستاصلكم ولا يتعجل عقوبتكم
بل يعتذر وينذر ويجمع اخركم الى اولكم قرنا بعد قرن الى يوم القيمة وهو الذى لا ريب فيه وفى قوله
ليجمعنكم الى يوم القيمة احتجاج على من انكر البعث والنشور فقال ليجمعنكم الى اليوم الذى انكرتموه
كما يقول جمعت هؤلاء الى هؤلاء اى ضممت بينهم فى الجمع وقوله الذين خسروا انفسهم قال الاخفش
الذين بدل من الكاف والميم والمعنى ليجمعن هؤلاء المشركين الذين خسروا انفسهم الى هذا اليوم
الذى يجحدونه ويكفرون به وقال الزجاج هو فى موضع رفع على الابتداء وخبره فهم لا يؤمنون لان
ليجمعنكم مشتمل على ساير الخلق على الذين خسروا انفسهم وغيرهم وقوله وله ما سكن فى الليل والنهار
اى ما اشتمل عليه الليل والنهار فجعل الليل والنهار كالمسكن لما اشتملا عليه لانه ليس يخرج منهما
شئ فجمع كل الاشياء بهذا اللفظ القليل الحروف وهذا من افصح ما يكون من الكلام وقال النابغة

فانك كالليل الذى هو مدركى وان خلت ان المنتأى عنك واسع

فجعل الليل مدركا اذا كان مشتملا عليه وفى هذه الاية وفى التى قبلها احتجاج على الكفار الذين
عبدوا من دون الله تعالى فقال تعالى قل لمن ما فى السموات والارض وكانوا لا يشركون بالله فى خلق
السموات والارض وما بينهما احدا وانما كانوا يشركون فى العبادة ويقولون الهتهم تقربهم الى الله
زلفى لا انها تخلق شيئا ثم قال قل لله فانهم لا ينكرون ذلك وهو كقوله ولئن سالتهم من خلقهم
ليقولن الله وقوله ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله فذكرهم ما هم به مقرون
ليتنبهوا ويشهدوا بالحق ويتركوا ما هم فيه ومعنى خسروا انفسهم اهلكوا باستحقاق المصير الى العذاب الاليم
الدائم الذى لا ينتفعون معه بنفوسهم اذ كانوا لا يؤمنون ومن اهلك نفسه فقد خسرها وانما قال
وله ما سكن فى الليل والنهار لان فى الحيوان ما يسكن فى الليل وفيه ما يسكن بالنهار وخص السكون
بالذكر لان الساكن اكثر من المتحرك ولان الاية العجيبة فى قيام الساكن بلا عمد اعظم **قوله** تعالى
قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ
أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اية بلا خلاف **اقول** اجمع القراء على ضم الياء وفتح العين من قوله
ولا يطعم وقرئ فى الشواذ بفتح الياء والعين معا فمن ضم الياء اراد ان غيره لا يطعمه فى مقابلة
قوله وهو يطعم ومن فتح الياء اراد انه نفسه لا يطعم والمعنى هو يرزق الخلق ولا يرزقه احد والطعم
والطعم والاطعام الرزق قال امرؤ القيس شعر مطعم للصيد ليس له

غيرها كسب على كبره وقال علقمة بن عبدة ومطعم الغنم يوم الغنم مطعمه
انى توجه والمحروم محروم الا ترى انه وضع الحرمان فى مقابلة الاطعام كما يوضع املاق بدلا مقابلا
للرزق وقيل انه ذكر الاطعام لان حاجة العباد اليه اشد ولان نفيه عن الله ادل على نفى شبهه
بالمخلوقين لان الحاجة الى الطعام لا يجوز الا على الاجسام والاختيار فى فاطر الخفض لانه من صفة الله والرفع والنصب
جايزان على المدح فمن رفع فعلى اضمار هو وتقديره هو فاطر السموات والارض هو يطعم ولا يطعم ومن
من نصب فعلى معنى اذكر واعنى ومعنى فاطر السموات والارض خالقهما كما قال وما لى لا اعبد الذى
فطرنى اى خلقنى وقال ابن عباس ما كنت ادرى ما معنى فاطر حتى اختصم الى اعرابيان فى بئر
فقال احدهما انا فطرتها اى ابتدأتها واصل الفطر الشق ومنه قوله اذا السماء انفطرت اى انشقت
ومعنى فطر السموات والارض خلقهما خلقا قاطعا والانفطار والفطور يقع فى تشقق وفى الاية دلالة
على الكفار لان من خلق السموات والارض وانشاء ما فيهما واحكم تدبيرهما واطعم من فيهما فهو الذى
ليس كمثله شئ وان الخلق فقراء اليه وهو الغنى القادر فلا يجوز لمن عرف ذلك او جعل له السبيل الى معرفته
ان يعبد غيره وقوله امرت ان اكون اول من اسلم معناه ان اكون اول من خضع وامن وعرف الحق من
قومى ان اترك ما هم عليه من الشرك ومثله قل ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين بانه لم يكن
للرحمن ولد يعنى من هذه الامة لانه قد عبد الله النبيون والمؤمنون قبله ومثله قوله سبحانك تبت
اليك وانا اول المسلمين حين سألك ان تريه نفسك بانك لا ترى وقول السحرة انا نطمع ان يغفر
لنا ربنا خطايانا ان كنا اول المؤمنين بان هذا ليس بسحر وانه الحق اى اول المؤمنين من السحرة و
معنى الولى ههنا الاله الذى اعبده ليتولانى ويحفظنى وقوله امرت ان اكون اول من اسلم ولا تكونن
من المشركين اى امرت بالامرين معا ان اكون اول من اسلم من هذه الامة والا اكون من المشركين
والمعنى امرت بذلك ونهيت عن الشرك لان الامر لا يتناول الا ان يكون الشئ لانه لا يكون امرا الا
بارادة المامور والارادة لا يتعلق بالا يكون الشئ وانما المراد ما قلنا انه كره منى الشرك **قوله**
تعالى قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ اية بلا خلاف **اقول** امر الله نبيه بهذه
الاية ان يقول لهؤلاء الكفار انه يخاف ان عصاه عذابه وعقوبته فى يوم عظيم وهو يوم القيمة
ومعنى العظيم ههنا انه شديد على العباد وعظيم فى قلوبهم وفى هذه الاية دلالة على من زعم ان
من علم الله انه لا يعصى فلا يجوز ان يتوعده بالعذاب وعلى من زعم انه لا يجوز ان يقال فيما قد علم انه
لا يكون انه ان كان وجب فيه كيت وكيت لانه كان المعلوم لله تعالى ان النبى صلى الله عليه واله لا يعصى معصية
يستحق بها العقاب يوم القيمة ومع هذا فقد توعده به **قوله** تعالى مَنْ يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ
وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ اية بلا خلاف **اقول** قرا اهل الكوفة الا حفصا ويعقوب من يصرف بفتح الياء و
كسر الراء الباقون بضم الياء وفتح الراء فاعل يصرف هو الضمير العايد الى ربى من قوله انى عصيت ربى
ويكون حذف الضمير العايد الى العذاب والمعنى من يصرفه عنه وكذلك هو فى قراءة ابى قال ابو على
وليس حذف الضمير بالسهل لانه ليس بمنزلة الضمير الذى يحذف من الصلة لان من جزاء ولا يكون صلة
على ان الضمير انما يحذف من الصلة اذا عاد الى الموصول نحو اهذا الذى بعث الله رسولا وسلام على
عباده الذين اصطفى اى بعثه واصطفاهم ولا يعود الضمير المحذوف ههنا الى موصول ولا الى
من التى للجزاء وانما يرجع الى العذاب من قوله انى اخاف ان عصيت ربى عذاب يوم عظيم وليس هذا
بمنزلة قوله والحافظين فروجهم والحافظات لان هذا فعل واحد قد تكرر وعدى الاول منهما الى المفعول
فعلم بتعديه الاول ان الثانى بمنزلته والذى يحسن قراءة من قرا يصرف بفتح الياء ان ما بعده من قوله
فقد رحمه فعل مسند الى ضمير اسم الله فقد اتفق الفعلان فى الاسناد الى هذا الضمير فيمن قرا يصرف بفتح
الياء ويقوى به ايضا ان الهاء المحذوفة من يصرف بفتح الياء ويقوى به ايضا ان الهاء المحذوفة من يصرف لما

ما تقدمه بمنزلة ما في الصلة ... لا يجوز ان يتسلط

كان في حيز الجزاء كان ما في حيزه في انه لا يتسلط على الموصول حسن حذف الهاء منه كما حسن حذفها من الصلة ومن ضم الياء فالمسند اليه الفعل المبني للمفعول يومئذ ضمير العذاب وقال الزجاج التقدير من يصرف الله عنه العذاب بفتح الياء ومن ضم الياء تقديره ومن يصرف عنه العذاب **قوله** تعالى وَاِنْ يَمْسَسْكَ اللّٰهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ اِلَّا هُوَ وَاِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْرٌ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهٖ وَهُوَ الْحَكِيْمُ الْخَبِيْرُ اٰيتان بلا خلاف **اقول** معنى الاية الاولى انه لا يملك النفع والضر الا الله تعالى او من يملكه الله ذلك فبيّن تعالى انه ان نالك السوء من جهته فلا كاشف له الا هو ولا يملك كشفه سواه مما يعبده المشركون ولا احد سوى الله وانه ان انا لك بخير فهو على ذلك قادر وقوله يمسسك بسوء او بخير معناه يمسك ضره او خيره فجعل المس لله على وجه المجاز وهو في الحقيقة للخير والضر وهو مجاز في الخير والضر ايضا لانهما عرضان لا يصح عليهما المماسة واراد تعالى بذلك الترغيب في عبادته وحده وترك عبادة سواه لانه المالك للضر والنفع دون غيره وانه القادر عليهما والقاهر هو القادر على ان يقهر غيره فعلى هذا يصح فيما لم يزل بانه قاهر وفي الناس من قال لا يسمى قاهرا الا بعد ان يقهر غيره فعلى هذا يصح وصفه فيما لم يزل بانه قاهر وفي الناس من قال لا يسمى قاهرا الا بعد ان يقهر غيره فعلى هذا لا يوصف تعالى فيما لم يزل بذلك ومثل قوله فوق عباده قوله يد الله فوق ايديهم والمراد انه اقوى منهم وانه مقتدر عليهم لان الارتفاع في المكان لا يجوز عليه تعالى لانه من صفات الاجسام فاذا المراد بذلك ومثل قوله فوق عباده قوله يد الله فوق ايديهم والمراد انه اقوى منهم وانه مقتدر عليهم لان الارتفاع في المكان لا يجوز عليه تعالى لانه من صفات الاجسام فاذا المراد بذلك انه مستعل عليهم مقتدر عليهم وكل شيء قهر شيئا فهو مستعل عليه ولما كان العباد تحت تسخيره وتذليله وامره ونهيه وصف بانه فوقهم وقوله وهو الحكيم الخبير معناه انه مع قدرته عليهم لا يفعل الا ما يقتضيه الحكمة ولا يفعل ما فيه مفسدة او وجه قبح لكونه عالما بقبح الاشياء وبانه غني عنها **قوله** تعالى قُلْ اَيُّ شَيْءٍ اَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللّٰهُ شَهِيْدٌ بَيْنِيْ وَبَيْنَكُمْ وَاُوْحِيَ اِلَيَّ هٰذَا الْقُرْاٰنُ لِاُنْذِرَكُمْ بِهٖ وَمَنْ بَلَغَ اَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُوْنَ اَنَّ مَعَ اللّٰهِ اٰلِهَةً اُخْرٰى قُلْ لَّا اَشْهَدُ قُلْ اِنَّمَا هُوَ اِلٰهٌ وَّاحِدٌ وَّاِنَّنِيْ بَرِيْءٌ مِّمَّا تُشْرِكُوْنَ اٰية واحدة بلا خلاف **اقول** اختلفوا في الهمزتين اذا كانت الاولى مفتوحة والثانية مكسورة من كلمة واحدة نحو ائنك واذا واما فكان فقرا ابن عامر واهل الكوفة وروح بتحقيق الهمزتين حيث وقع الا في قوله أئنكم لتشهدون ههنا وفي الاعراف أئنكم لتاتون الرجال وان لنا لاجرا واما حيث وقع وائنك لانت يوسف واذا امتنا وفي العنكبوت ائنكم لتاتون الرجال وانا لمغرمون في الواقعة وفي الاستفهامين في الرعد وبني اسرائيل والمؤمن والنمل وسجدة ولقمان والصافات والواقعة والنازعات وسنذكر الخلاف فيهما في مواضعها الباقون بتحقيق الاولى وتليين الثانية وفصل بينهما بالف اهل المدينة الا ورشا وابو عمرو والحلواني عن هشام وافقهم الداجوني عن هشام على الفصل في قوله ائنا لتاركوا الهتنا واذا متنا في ق فاما قوله ائنكم ههنا فقراءة ابن عامر واهل الكوفة الا الكسائي عن ابي بكر وروح بتحقيق الهمزتين الا ان الحلواني عن هشام يفصل بينهما بالف الباقون بتحقيق الاولى وتليين الثانية وفصل بينهما بالف اهل المدينة الا ورشا وابو عمرو والكسائي عن ابي بكر وقد روي عن الكسائي عن ابي بكر انه لا يفصل امر الله تعالى نبيه عليه السلام ان يقول لهؤلاء الكفار اي شيء اكبر شهادة لانهم كانوا مقرين بانه لا شيء اكبر شهادة من الله واذا اقروا بانه الله حينئذ امره ان يقول لهم هو الشهيد بيني وبينكم على ما بلغتكم ونصحتكم وقررت عندكم من ان الحكم اله واحد وعلى براءتي من شرككم والوقف على قوله قل الله وقف تام وفي الاية دلالة على من قال لا يوصف تعالى بانه شيء لانه لو كان كما قال لما كان للاية معنى كما انه لا يجوز ان يقول القائل اي الناس اصدق فيجاب بجبريل لانه

لم يكن من جملة الناس بل كان من الملائكة فان قيل قوله اي شيء اكبر شهادة تام وقوله قل الله ابتداء وليس بجواب ولو كان جوابا كان ما بعده من قوله شهيد بيني وبينكم لا ابتداء له ولا معنى له قيل لسنا ننكر ذلك الا ان هذا وان كان هكذا لولا انه كان متقررا عند السائل والمسئول ان الله شهيد ما كان للكلام معنى ولكان قوله قل اي شيء اكبر شهادة لغوا وحشوا وذلك منزه عن كلامه تعالى وقوله لانذركم به ومن بلغ وقف تام اي من بلغه القران اي الذي انذركم به فقد انذرته كما انذرتكم وهو قول الحسن ورواه عن النبي عليه السلام انه قال من بلغه اني ادعو الى لا اله الا الله فقد بلغه يعني بلغته الحجة وقامت عليه وقال مجاهد لانذركم به يعني اهل مكة ومن بلغ من اسلم من العجم وغيرهم وقوله الهة اخرى ولم يقل أُخر لان الالهة جمع والجمع يقع عليه التانيث كما قال ولله الاسماء الحسنى وقال فما بال القرون الاولى ولم يقل الأول والشاهد هو المبين لدعوى المدعي وقال الحسن قال المشركون لرسول الله من يشهد لك فنزلت هذه الاية وقوله واوحي الي هذا القران لانذركم به اي اخوفكم به لان الانذار هو الاعلام على وجه التخويف ومن بلغ يعني القران ومن في موضع نصب بالانذار ثم قال موبخا لهم انكم لتشهدون ان مع الله الهة اخرى ثم قال لنبيه قل انت يا محمد لا اشهد بمثل ذلك بل اشهد انه اله واحد وانني بريء مما تشركون تعبدونه مع الله باتخاذه الها **قوله** تعالى اَلَّذِيْنَ اٰتَيْنٰهُمُ الْكِتٰبَ يَعْرِفُوْنَهٗ كَمَا يَعْرِفُوْنَ اَبْنَآءَهُمْ اَلَّذِيْنَ خَسِرُوْٓا اَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُوْنَ اٰية بلا خلاف **اقول** الذين اتيناهم الكتاب رفع بالابتداء وقوله يعرفونه خبره وقوله الذين خسروا انفسهم ايضا رفع ويحتمل رفعه وجهين احدهما ان يكون نعتا للذين الاولى ويحتمل ان يكون رفعا على الابتداء وخبره فهم لا يؤمنون فان حملته على النعت كان المعني به اهل الكتاب وان حملته على الابتداء يتناول جميع الكفار وقال بعض المفسرين ما من كافر الا وله منزلة في الجنة وازواج فان اسلم وسعد صار الى منزله وازواجه وان كفر صار منزله وازواجه الى من اسلم فذلك قوله الذين يرثون الفردوس قوله الذين خسروا انفسهم واهليهم يوم القيمة وهذه الاية لا بد ان يكون مخصوصة بجماعة من اهل الكتاب وهم الذين عرفوا التورية والانجيل فعرفوا صحة نبوة محمد صلى الله عليه واله بما كانوا عرفوه من صفاته المذكورة ودلائله الموجودة في هذين الكتابين كما عرفوا ابناءهم وشبه معرفتهم لمحمد بمعرفتهم ابناءهم في انها صحيحة لا مزيد فيها ولم يرد انهم عرفوا نبوته اضطرارا كما عرفوا ابناءهم ضرورة على ان احدا لا يعرف ان من ولد على فراشه ابنه على الحقيقة لانه يجوز ان يكون من غيره وان حكم بانه ولده لكونه مولودا على فراشه فصار معرفتهم بالنبي اكد من معرفتهم بابنائهم لهذا المعنى ولم يكن جميع اهل الكتاب يعرفه كذلك فلذلك خصصنا الاية فان قيل كيف يصح على مذهبكم في الموافاة ان يكونوا عارفين بالله وبنبيه ثم يموتون على الكفر قلنا عنه جوابان احدهما ان لا يكونوا عارفين بذلك بل يكونوا معتقدين اعتقادا تقليدا ويعتقدون مع ذلك انهم عالمون به فقال الله يعرفونه كما يعرفون ابناءهم في اعتقادهم لا انهم يعرفونه على الحقيقة كما قال ذق انك انت العزيز الكريم يعني عند نفسك وتوهمك الثاني ان يكونوا عرفوا ذلك على وجه لا يستحق به الثواب لانهم يكونون نظروا في الادلة لا لوجه وجوب ذلك عليهم فولد لهم المعرفة لكن لا يستحق بها الثواب وقد بيّنا مثل ذلك فيما مضى في عدة مواضع فسقط السؤال وقوله الذين خسروا انفسهم يعني بكفرهم بمحمد صلى الله عليه واله على وجه المعاندة فهم لا يؤمنون وخسرانهم انفسهم اهلاكهم لها بهذا الكفر ومصيرهم لها الى ان لا ينتفعوا بها ومن جعل نفسه بحيث لا ينتفع بها فقد خسر نفسه **قوله** تعالى وَمَنْ اَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرٰى عَلَى اللّٰهِ كَذِبًا اَوْ كَذَّبَ بِاٰيٰتِهٖ اِنَّهٗ لَا يُفْلِحُ الظّٰلِمُوْنَ اٰية **اقول** اخبر الله تعالى ان من افترى على الله الكذب فوصفه بخلاف صفاته واخبر عنه بخلاف ما اخبر به عن نفسه وعن افعاله انه لا احد اظلم لنفسه منه

اذ كان بهذا الفعل قد اهلك نفسه واوقعها فى العذاب الدائم فى النار ثم اخبر ان الظالم لا يفلح اى لا يفوز برحمة الله وثوابه ورضوانه ولا بالنجاة من النار لان الظلم ههنا هو الكفر بنبوة محمد صلى الله عليه واله وذلك لا يغفر بلا خلاف **قوله** تعالى وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ اية **اقول** قرا يعقوب ويوم يحشرهم ثم يقول بالياء فيهما الباقون بالنون فيهما من قرا بالياء ردّه الى الله فى قوله على الله كذبا وتقديره ويوم يحشرهم الله فيقول ومن قرا بالنون ابتدا وتقدير الاية اذكروا يوم نحشرهم جميعا يعنى يوم القيمة لانهم يحشرون فيه جميعا من قبورهم الى موضع الحساب وانه يقول للذين اشركوا بالله وعبدوا معه الها غيره فى هذا اليوم اين الذين كنتم تزعمون انهم شركائى واين شركائى فى زعمكم وانما يقول هذا توبيخا لهم وتبكيتا على ما كانوا يدعون انهم يعبدونه من الاصنام والاوثان ويعتقدون انها شركاء لله وانها تشفع لهم يوم القيمة فاذا لم يجد والما كانوا يدعونه صحة ولم ينتفعوا بهذه الاوثان ولا بعبادتهم فيعلمون انهم كانوا كاذبين فى اقوالهم **قوله** تعالى ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ انْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ اتيان عند الجميع **اقول** قرا حمزة والكسائى والعليمى ويعقوب ثم لم يكن بالياء الباقون بالتاء وقرا ابن كثير وابن عامر وحفص الا ابن شاهى فتنتهم بالرفع الباقون بالنصب قرأ حمزة والكسائى وخلف والله ربنا بنصب الباء الباقون بكسرها من قرا بالتاء ورفع الفتنة اثبت علامة التانيث ويكون ان فى موضع نصب وتقديره لم يكن فتنتهم الا قولهم وقد روى شبل عن ابن كثير لم تكن بالتاء فتنتهم نصبا مثل قراءة نافع وابى عمرو وابى بكر عن عاصم ووجهه انه انث ان قالوا لما كانت الفتنة فى المعنى كما قال فله عشر امثالها فانث لما كانت الامثال فى المعنى الحسنات ومثله كثير فى الشعر قال ابو على والاول اجود من حيث كان الكلام محمولا على اللفظ ويقوى قراءة من قرا فتنتهم بالنصب ان قوله ان قالوا ان يكون الاسم دون الخبر اولى لان ان اذا وصلت لم يوصف فاشبهت بامتناع وصفها المضمر فكما ان المضمر اذا كان مع المظهر كان ان يكون الاسم احسن كذلك اذا كانت ان مع اسم غيرها كانت ان يكون الاسم اولى ومن قرا والله ربنا بكسر الباء فعلى الاسم المضاف وصفا للمفرد لان قوله والله جرّ بواو القسم ولو اسقطت لقال الله بالنصب ومثله قولهم رايت زيدا صاحبنا وبكر جارك ويكون قوله ما كنا مشركين جواب القسم ومن نصب الباء يحتمل امرين احدهما ان ينصبه بفعل مقدر وتقديره اعنى ربنا والثانى على النداء ويكون قد فصل بالاسم المنادى بين القسم المقسم عليه بالنداء وذلك غير ممتنع لان النداء كثير فى الكلام وقد جاء الفصل بين الصلة والموصول وهو اشد قال الشاعر

ذاك الذى وابيك يعرف مالك والحق يدفع ترهات الباطل

قال ابو عبيده من قرا بالتاء المعجمة من فوقها ونصب فتنتهم اضمر فى تكن اسما مؤنثا ثم يجيء بالتاء لذلك الاسم وانما جعلوه مؤنثا لتانيث الضمير كما قال لبيد **شعر** فمضى وقدمها وكانت عادة

منه اذا هى عردت اقدامها فانث الاقدام لتانيث عادة

قوله ثم لم تكن فتنتهم اى لم يكن معذرتهم التى الزمتهم الحجة وزادتهم لائمة ومعنى الاية انه تعالى لما ذكر قصص هؤلاء المشركين الذين كانوا مفتتنين بشركهم اعلم النبى صلى الله عليه واله ان افتتانهم بشركهم واقامتهم عليه لم يكن الا ان تبرّؤا منه وانتفوا منه فحلفوا انهم ما كانوا مشركين كما يقول القائل اذا راى انسانا يحبّ غاويا فاذا وقع فى هلكة تبرا منه فيقول له ما كانت محبّتك لفلان الا ان انتفيت منه فان قيل كيف قالوا وحلفوا انهم ما كانوا مشركين وقد كانوا مشركين وهل هذا الا الكذب والكذب قبيح ولا يجوز من اهل الاخرة ان يفعلوا قبيحا لانهم ملجؤن الى ترك القبيح لانهم لو لم يكونوا ملجئين وكانوا مختارين وجب ان يكونوا مزجورين عن فعل القبيح والا ادى الى اغرائهم بالقبيح وذلك لا يجوز

ولو زجروا بالوعيد عن القبايح لكانوا مكلفين ولوجب ان يثبتوا ولهم الوعد والوعيد وذلك خلاف الاجماع وقد وصفهم الله تعالى ايضا بانهم كذبوا على انفسهم فلا يمكن جحد ان يكونوا كاذبين فكيف يمكن دفع ذلك وما الوجه فيه والجواب عن ذلك من وجوه احدها ما قاله البلخى ان القوم كذبوا على الحقيقة لانهم كانوا يعتقدون انهم على الحق ولا يرون انهم مشركون كالنصارى ومن اشبههم فقالوا فى الموقف وقبل ان يقع بهم العذاب فيعلموا بوقوعه انهم كانوا على باطل والله ما كنا مشركين وهم صادقون عند انفسهم وكذبهم الله فى ذلك لان الكذب هو الاخبار بالشئ لا على ما هو به علم المخبر بذلك او لم يعلم فلما كان قولهم والله ربنا ما كنا مشركين كذبا فى الحقيقة جاز ان يقال لهم انظر كيف كذبوا على انفسهم قال البلخى ويدل على ذلك قوله وضل عنهم ما كانوا يفترون اى ذهب عنهم واغفلوه لانهم لم يكونوا نظروا صحيحا ولم يجانبوا فى نظرهم الالف والعادة فيعلموا فى هذا الوقت ان قولهم شرك ولو صاروا الى العذاب لعلموا انهم كانوا مشركين واستغنوا بذلك لكن هذا القول يكون عند الحشر وقبل الجزاء بدلالة اول الاية وقال مجاهد قوله انظر كيف كذبوا على انفسهم تكذيب من الله اياهم وقال الجبائى قولهم والله ربنا ما كنا مشركين اخبار منهم انهم لم يكونوا مشركين عند انفسهم فى دار الدنيا لانهم كانوا يظنون انهم على الحق فقال الله تعالى مكذبا لهم انظر يا محمد كيف كذبوا على انفسهم فى دار الدنيا لا انهم كذبوا فى الاخرة لانهم كانوا مشركين على الحقيقة وان اعتقدوا انهم على الحق وقوله وضل عنهم ما كانوا يفترون اى ضلت عنهم اوثانهم التى كانوا يعبدونها ويفترون الكذب بقولهم انها شفعاؤنا عند الله غدا فذهب عنهم فى الاخرة فلم يجدوها ولم ينتفعوا بها وقال قوم انه يجوز ان يكونوا يكذبوا يوم القيمة للذهول والدهش لانهم يصيرون كالصبيان الذين لا تميز لهم ولا تحصيل معهم اختاره احمد بن على بن الاخشاد واجاز النجار ان يكفروا فى النار فضلا عن وقوعه قبل دخولهم فيها وهذا بعيد والوجهان الاولان اقرب وقيل فيه وجه اخر وهو انهم املوا املا فخاب املهم ولم يقع الامر على ما اراد والان من عادة الناس انهم اذا عوقبوا بعقوبة فتكلموا واستغاثوا وصاحوا فان العذاب يسهل عليهم بعض السهولة وظنوا ان عذاب الاخرة كذلك فقالوا والله ما كنا مشركين وقالوا ربنا ظلمنا انفسنا وقالوا ربنا غلبت شقوتنا وقالوا ربنا ارنا اللذين اضلانا من الجن والانس نجعلهما تحت اقدامنا فاملوا ان يخف عنهم العذاب بمثل هذا الكلام على عادة الدنيا فلم يخف ولم يكن لهم فيه راحة فقال الله انظر كيف كذبوا على انفسهم اى خابوا فيما املوا من سهولة العذاب وذلك مشهور فى كلام العرب قال الشاعر **شعر**

كذبتم وبيت الله لا تاخذونها مراغمة ما دام للسيف قائم

وقال اخر **شعر** كذبتم وبيت الله لا تنكحونها بنى شاب قرناها تصرّ وتحلب

اى كذبكم املكم وقال ابو داود الازدى قلت لما فصلا من قنة

كذب العير وان كان برح

والمعنى انه امل ان يتخلص بشئ فكذب به امله لانه ظن انه اذا مرّ بارحا وهو ان ياخذ فى ناحية الشمال الى ناحية اليمين لم يتهيا له طعنه فلما قلب رمحه وطعنه قال كذب العير اى كذب امله والفتنة فى الاية معناها المعذرة فى قول قتاده لانها اعتذار عن الفتنة فسميت باسم الفتنة وقال قوم هى المحنة وقال قوم تقديره عاقبة فتنتهم وفتنتهم يجوز ان يكون بمعنى اغترارهم اى اغتروا بهذا الكذب وظنوا انه سينجيهم وكذبوا على انفسهم لما رجعت مضرته اليهم وعادت عليهم وان قصدوا ان يكون لهم وفى الاية دلالة على بطلان قول من قال المعارف ضرورية لان الله تعالى اخبر عنهم انهم قالوا والله ما كنا مشركين فلا يخلو ان يكونوا صادقين او كاذبين فان كانوا صادقين لانهم كانوا عارفين فقد وقع منهم القبيح فى الاخرة فى دار الدنيا فقد كذبهم الله فى ذلك بقوله انظر كيف كذبوا وان كانوا كاذبين لانهم كانوا عارفين فقد وقع منهم القبيح فى الاخرة وذلك لا يجوز

ومعنى الآية على ما بيناه من انهم اخبروا انهم لم يكونوا مشركين عند انفسهم في دار الدنيا وان الله
كذبهم وانهم كانوا كاذبين على الحقيقة وان اعتقدوا خلافه في الدنيا فاما معارفهم في الدنيا
فضرورية عند البصريين وعند البلخي ومن وافقه حاصلة على وجه هم ملجؤن اليها فعلى الوجهين
معا لا يجوز ان يقع منهم القبيح لا محالة **قوله** تعالى وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ
أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ
يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ آية بلا خلاف **اقول** قال مجاهد قوله ومنهم
من يستمع اليك يعني قريشا وقال البلخي اي من اهل الكتاب والمشركين من يجالسك ويريد الاستماع
منك والاصغاء اليك وفي قلوبهم اكنة اي لا يفقهون لأن فيهم الكفر وشدة عداوتهم حتى اذا صار
الامر الى الجدال اظهروا الكذب وعاندوا وقالوا ان هذا الا اساطير الاولين فهو احاديث
الاولين وكل شيء في القران اساطير فهو احاديث والاكنة جمع كنان بكسر الكاف فهو كالغطاء
والاغطية وفي اذانهم وقرا اي ثقلا والوقر بكسر الواو الحمل يقال وقرت الاذن توقر قال الشاعر
وكلام سيئ قد وقرت اذني منه وما بي من صمم ونخلة موقرة وموقر ونخيل موقر
قال يونس سألت رؤبة فقال وقرت اذنه بضم الواو وكسر القاف توقر بفتح الياء والقاف اذا كان
فيها الوقر وقال ابو زيد سمعت العرب يقول اذن موقرة بضم الميم وفتح القاف ومن الحمل يقال
اوقرت الدابة فهي موقرة ومن السمع وقرت سمعه بتشديد القاف فهو موقر قال الشاعر

شعر ولي هامة قد وقر الصوت سمعها

واساطير واحدها اسطورة واسطارة ماخوذ من سطر الكتاب قال الراجز

اني واسطار سطرن سطرا لقائل يا نصر نصرا نصرا

واسطار جمع سطر ومن قال في واحده سطر قال في الجمع اسطر وجمع الجمع اساطير ومعناها
الترهات البسابس يعني ليس له نظام وقال الاخفش اساطير جمع لا واحد له نحو مذاكير وابابيل
وقال بعضهم واحد الابابيل ابيل بالتشديد وكسر الالف ومعنى قوله وجعلنا على قلوبهم اكنة
ان يفقهوه قد مضى نظائره في قوله وجعلنا قلوبهم قاسية اي منعناهم الالطاف التي تبسط المؤمنين
وتبعثهم على الازدياد من الطاعة لان الله تعالى لما ازاح علتهم بالدعاء والبيان والانذار والترغيب
والترهيب فابوا الا كفرا وعنادا وتمردا على الله واعراضا عنه وعنادا عما هم اليه منعهم الطافه
عقوبة لهم حيث علم انهم لا ينتفعون بذلك ولا ينتهون اليه والفوا الكفر واحبوه حتى صاروا
كالصم عن الحق وصارت قلوبهم كانها في اكنة فجاز ان يقال في اللغة جعل على قلوبهم اكنة وفي
اذانهم وقرا كما يقول القائل لغيره افسدت سيفك اذا ترك استعماله حتى تصدى وجعلت اظافيرك
سلاحا اذا لم يقلمها ويقال للرجل اذا ايس من عبده او ولده بعد الاجتهاد في تاديبه فخلاه وقصا
قد جعلته بحيث لا يفلح ابدا وتركته اعمى اصم وجعلته ثورا وحمارا وان كان لم يفعل به شيئا من ذلك
ولم يرده بل هو مهموم به محب لخلافه ولا يجوز ان يكون المراد بذلك لكان كلفهم ما لا يطيقونه
ذلك لا يليق بحكمته ولكانوا غير ملومين في ترك الايمان حيث لم يمكنوا منه وكانوا غير ملومين في
ترك الايمان حيث لم يمكنوا منه وكانوا غير ممنوعين منه وكانت تكون الحجة لهم على الله تعالى دون
ان يكون الحجة له وذلك باطل بل لله الحجة البالغة قوله وان يروا كل اية لا يؤمنوا بها اي كل علامة
ومعجزة تدلهم على نبوة النبي لا يؤمنون بها العنادهم قال الزجاج ان يفقهوه في موضع نصب لانه
مفعول له والمعنى جعلنا على قلوبهم اكنة لكراهية ان يفقهوه فلما حذفت اللام نصب الكراهية ولما
حذفت الكراهية انتقل نصبها الى ان قال ابو علي كانوا اذا سمعوا القران من النبي اذوه ورجموه
وشغلوه عن صلوته فحال الله بينهم وبين استماع ذلك في تلك الحال التي كانوا عازمين فيها على

ما ذكرناه بان القى عليهم النوم اذا قعدوا يرصدونه فكانوا نياما فلا يسمعون قراءته ولا
يفقهون انه قران ولا يعرفون مكانه ليسلم النبي عليه السلام من شرهم واذاهم فجعل منعه اياهم عن
استماع القران وعن التعرف لمكان النبي عليه السلام لئلا يرجموه ولا يؤذوه اكنة ان يفقهوا انه قران
وان محمدا هو الذي يقرأه وبين ان كل اية يردها عليهم النبي عليه السلام من قبل الله لا يؤمنون بها
فلهذا منعهم الله من استماع القران لانهم لم يكونوا يسمعونه ليسندلوا به على توحيد الله وصحة نبوة
محمد عليه السلام وانما كانوا يريدون بذلك تعرف مكانه ليؤذوه ويرجموه فلهذا منعهم الله من سماع القران
وفهمه ولو كانوا ممن يؤمن ويقبل ما يورد عليه من الايات من قبل الله ويستدلوا بها على نبوة محمد
صلى الله عليه واله ما كان الله يمنعهم من سماع ذلك وفهمه وقوله حتى اذا جاؤك يجادلونك يعني انهم
اذا دخلوا اليه بالنهار انما يجيئون مجيء مخاصمين مجادلين رادين مكذبين ولم يكونوا يجيئون مجيء
من يريد الرشاد والنظر في الدلالة الدالة على توحيد الله ونبوة نبيه عليه السلام وكانوا يريدون ذلك
ان يقولوا هذا اساطير الاولين يعنون انه من كلام الاولين وحوادثهم وفي معنى هذه الاية قوله
تعالى في بني اسرائيل واذا قرات القران جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالاخرة حجابا مستورا
وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا فمعنى الايتين واحد وسببهما واحد وانما
انزلت هذه الايات لئلا يمتنع النبي من قراءة القران خوفا من اذى الكفار فيفوت المؤمنين سماعه
فيغتمون لذلك ويفوتهم مصلحته بل حثه الله على قراءته وضمن له المنع من اذاه وقوله وان يروا كل
اية لا يؤمنوا بها كالتعليل لجعله قلوبهم في اكنة والوقر في اذانهم فقال انما فعلت هذا لعلمي بانهم لا
يؤمنون وانه ليس في سماعهم ذلك الا تطرق الاذية عليك منهم وقولهم ان هذا الا اساطير الاولين
ويحتمل الاية وجها اخر وهو انه يقال يعاقب هؤلاء الكفار الذين لا يؤمنون بعقوبات يجعلها في قلوبهم
من نحو الضيق الذي ذكر انه يخلقه فيها ويجعل هذه العقوبات دلالة لمن شاهد قلوبهم واسماعهم
من الملائكة وشاهد منها هذه العقوبات على انهم لا يؤمنون من غير ان يكون ذلك حائلا بينهم وبين
الايمان ثم اخبر انها بمنزلة الاكنة على قلوبهم عن فقه القران وبمنزلة الوقر في الاذان على وجه التمثيل
له بذلك تجوزا واستعارة ووجه الشبه بينهما ان من كانت في نفسه هذه العقوبات معلوم انه لا
يؤمن كما ان من على قلبه اكنة لا يؤمن وكما سمي الكفر عمى وسماه باسم العمى على وجه التشبيه ويحتمل
ايضا ان يكون الكفر الذي في قلوبهم من جحد توحيد الله وجحد نبوة نبيه سماه كنا تشبيها ومجازا
واعراضهم عن تفهم القران والاصغاء اليه على وجه الاستعارة وقرا توسعا لان مع الكفر و
الاعراض لا يحصل الايمان والفهم كما ان مع الكن والوقر لا يحصلان ونسب هذا الجعل الى نفسه
لانه الذي شبه احدهما بالاخر وذلك سائغ في اللغة كما يقول القائل لغيره اذا اثنى على انسان
وذكر فضائله ومناقبه جعلته فاضلا خيرا عدلا وان كان لم يفعل به ذلك وبالعكس من ذلك اذا
ذكر مقابحه ومخازيه وفسقه يحسن ان يقال له جعلته فاسقا شريرا وان لم يفعل في الحالين شيئا
من ذلك وكل ذلك مجاز ومنه قولهم جعل القاضي فلانا عدلا وجعله ثقة وجعله ساقطا فاسقا
كل ذلك يراد به الحكم عليه بذلك والابانة عن حاله كما قال الشاعر

شعر

جعلتني باخلا كلا ورب منى اني لاسمح كفا منك في اللزب

اي سميتني باخلا وقوله ومنهم من يستمع اليك فكنى عنهما بلفظ واحد حملا له على اللفظ فلما
قال وجعلنا على قلوبهم اكنة رده الى المعنى فعامله معاملة الجمع لان لفظة من يقع على الواحد
وعلى الجمع حقيقة **قوله** تعالى وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ
اية بلا خلاف **اقول** قوله وهم كناية عن الكفار الذين تقدم ذكرهم عند اكثر المفسرين الجبائي و
البلخي وغيرهم وقال قوم نزلت في ابي لهب لانه كان يتبعه في المواسم فينهى الناس عن اذاه وينأى

عن اتباعه والاول اشبه بسياق الآية وقيل نزلت في ابي طالب وهذا باطل عندنا لانه دل الدليل على ايمانه بما ثبت عنه من شعره المعروف واقاويله المشهورة الدالة على اعترافه بالنبي صلى الله عليه وآله و قال مجاهد نزلت في قريش بين الله تعالى ان هؤلاء الكفار الذين ذكرهم كانوا ينهون عن اتباع القرآن وقبوله والتصديق بنبيه ويبعدون عنه لان معنى ينأون يبعدون اي حيث لا يسمعوه خوفا من ان يسبق الى قلوبهم الايمان به والعلم بصحته وقوله وان يهلكون الا انفسهم معناه ليس يهلكون الا انفسهم وما يشعرون انهم ما يهلكون بنهيهم عن قبوله وبعدهم عنه الا انفسهم لانهم لا يعلمون اهلاكهم اعظم من ذلك والنأي البعد ينأون اي يتباعدون عنه يقول نأيت الشيء انأه نأيا اذا بعدت عنه والنؤي حاجز يجعل حول البيت من الخوف لان لا يدخله الماء من خارج يحفر حفرة حول البيت فيجعل ترابها على شفير الحفيرة فيمنع التراب الماء ان يدخل من خارج وهو ماخوذ من النأي اي تباعد الماء من البيت وفي الآية دلالة على بطلان من قال معرفة الله ضرورة وان من لا يعرف الله ولا يعرف نبيه لا حجة عليه لان الله بين ان هؤلاء الكفار قد اهلكوا انفسهم بنهيهم عن قبول القرآن و تباعدهم عنه وانهم لا يشعرون ولا يعلمون باهلاكهم انفسهم بذلك فلو كان من لا يعرف الله ولا نبيه ولا دينه لا حجة عليه لكانوا هؤلاء معذورين ولم يكونوا هالكين وذلك خلاف ما نطق به القرآن **قوله** تعالى وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ آية بلا خلاف **اقول** قرأ حمزة ويعقوب وحفص ولا نكذب ونكون بالنصب فيهما وافقهم ابن عامر في ونكون الباقون بالرفع فيهن من قرأ بالرفع احتمل قراءته امرين احدهما ان يكون معطوفا على نرد فيكون قوله نرد ولا نكذب ونكون داخلا في التمني ويكون قد تمنوا الرد والا نكذب و ان نكون من المؤمنين وهو اختيار البلخي والجبائي والزجاج والثاني ان يكون مقطوعا من الاول و يكون تقديره يا ليتنا نرد ونحن لا نكذب كما يقول القائل دعني ولا اعود اي فاني ممن لا اعود فانما يسئلك الترك وقد اوجب على نفسه الا يعود ترك او لم يترك ولم يقصد ان يسئل ان يجمع له الترك وان لا يعود هذا الوجه الذي اختاره ابو عمرو في قراءة جميع ذلك بالرفع فالاول الذي هو الرد داخل في التمني وما بعده على نحو دعني ولا اعود فيكونون قد اخبروا على البتات ان لا يكذبوا ويكونوا من المؤمنين واستدل ابو عمرو على خروجه من التمني بقوله وانهم لكاذبون فقال ذلك يدل على انهم اخبروا بذلك عن انفسهم ولم يتمنوا لان التمني لا يقع فيه الكذب وانما يقع في الخبر دون التمني و من نصب نكذب ونكون ادخلهما في التمني لان التمني غير موجب فهو كالاستفهام والامر والنهي والعرض في انتصاب ما بعد ذلك كله من الافعال اذا دخلت عليها الفاء او الواو على تقدير ذكر المصدر من الفعل الاول كانه قال يا ليتنا يكون لنا رد وانتفاء للتكذيب وكون من المؤمنين ومن نصب ونكون وحسب ورفع نرد ولا نكذب يحتمل ايضا وجهين احدهما ان يكون داخلا في التمني فيكون في المعنى كالنصب الثاني انه يخبر على البتات ان لا نكذب ردا ولم يرد ومن نصب ولا نكذب ونكون جعلهما جميعا داخلين في التمني كما ان من رفع وعطف على التمني كان كذلك فان قيل كيف يجوز ان يتمنوا الرد الى الدنيا وقد علموا عندكم انهم لا يردون قيل عن ذلك اجوبة احدها قال البلخي انا لا نعلم ان اهل الآخرة يعرفون جميع احكام الآخرة وانما نقول انهم يعرفون الله بصفاته معرفة لا يتخالجهم فيها الشك لما يشاهدون من الآيات والعلامات الملجئة لهم الى المعارف واما التوجع والتأوه والتمني للخلاص والدعاء بالفرج يجوز ان يقع منهم وان يدعوهم انفسهم اليه وقال ابو علي الجبائي والزجاج يجوز ان يقع منهم التمني للرد ولان يكونوا من المؤمنين ولا مانع منه وقال آخرون التمني قد يجوز لما يعلم انه لا يكون الا ترى ان المتمني يتمنى ان لا يكون فعل ما قد فعله ومضى وقته وهذا الاجود فيه فعلى هذا قوله في الآية الثانية وانهم لكاذبون يكون حكاية حال منهم في دار الدنيا كما قال وكلبهم باسط ذراعيه وكما قال وان ربك ليحكم بينهم يوم القيمة

وانما

نأيته وعنه كسعيته بعدت ق

وانما هو حكاية للحالة الآتية وقوله ولو ترى اذ وقفوا على النار امال الموضعين ابو عمرو وغيره وهي حسنة في امثال ذلك لان الراء بعد الالف مكسورة وهو حرف كانه مكرر في اللسان فصارت الكسرة فيه كالكسرتين فحسن لذلك الامالة وقوله اذ وقفوا يحتمل ثلثة اوجه احدها ان يكون عاينوها او وردوها قبل ان يدخلوها ويجوز ان يكونوا اقيموا عليها نفسها والثاني ان يكونوا عليها وهي تحتهم وثالثها ان يكون معناه ادخلوها فعرفوا مقدار عذابها كما يقول القائل قد وقفت على ما عند فلان اي فهمته وتبينته قال الكسائي يقال وقفت الدابة وغيرها اذا حبستها بغير الف وهي لغة القرآن وهو الافصح وكذلك وقفت الارض اذا جعلتها صدقة وقال ابو عمرو ما سمعت احدا من العرب يقول اوقفت الشيء بالالف الا اني لو رايت رجلا بمكان فقيل ما اوقفك هاهنا لرايته حسنا واستدل ابو علي بهذه الآية على ان القدرة قبل الفعل خلافا للمجبرة بان قالوا تمنوا الرد الى دار الدنيا الى مثل الحالة التي كانوا عليها ولا يجوز من عاقل ان يتمنى ان يرد الى الدنيا ويخلق فيه القدرة الموجبة للكفر لان ذلك لا يخلصه من العذاب بل يؤديه الى حالته التي كانت عليها وهذا ضعيف لان لقائل ان يقول انهم تمنوا الرد ورفع التكذيب وحصول الايمان بان يحصل لهم قدرة الايمان ولا يحصل لهم قدرة التكذيب وليس في الآية انهم سالوا الرد الى الحالة التي كانوا عليها فلا متعلق في ذلك واستدل ايضا على انه اذا كان المعلوم من حال الكافر انه يؤمن وجب تبقيته بان قال اخبر الله انه انما لم يردهم لانهم لو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وظاهر ذلك يقتضي انه لو علم انه لو ردهم لآمنوا لوجب ان يردهم واذا وجب ان يردهم اذا علم انهم يؤمنون فلأن يجب تبقيتهم اذا علم انهم يؤمنون اولى وهذا ايضا ضعيف لان الظاهر افاد انهم لو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وليس فيه انهم لو ردوا لآمنوا وما حكمهم بل هو موقوف على الدلالة لانه دليل الخطاب على ان غاية ما فيه ان يفيد انه لو علم من حالهم انه متى ردهم آمنوا ان يردهم فمن اين ان ذلك واجب عليه وهل هذا الا كقوله وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا في انه لا خلاف بين اهل العدل انه كان يجوز له ان يعذب وان لم يبعث رسولا بان لا يقتضي المصلحة بعثه ويقتصر بهم على التكليف العقلي فانهم متى عصوا كان له ان يعذبهم فلا شبهة في الآية **قوله** تعالى بَلْ بَدَا لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ آية **اقول** قوله بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل معناه من عقاب الله فعرفوه وعرفه من كانوا يسترونه عنه وقال قوم بدا لبعضهم من بعض ما كانوا علماؤهم يخفونه عن جهالهم وضعفائهم مما في كتبهم فبدا للضعفاء عنادهم وقيل معناه بل بدا من اعمالهم ما كانوا يخفونه فاظهره الله وشهدت به جوارحهم وقال الزجاج ظهر للذين اتبعوا الغواة ما كان الغواة يخفونه من امر البعث والنشور لان المتصل بهذا قوله وقالوا ان هي الا حيوتنا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين لتجريهم على المعاصي وقوله ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه قال بعضهم لو ردوا ولم يعاينوا العذاب لعادوا وكانه ذهب الى انهم لم يشاهدوا ما يضطرهم الى الارتداع وهذا ضعيف لان هذا القول يكون منهم بعد ان يبعثوا ويعلموا امر القيامة ويعاينوا النار بدلالة قوله ولو ترى اذ وقفوا على النار وهذه الآيات كلها في المعاندين لانه قال في اولها الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم ثم قال بعد ذلك وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها وقال ابو علي الجبائي الآية مخصوصة بالمنافقين وظهر لهم ما كانوا يخفونه من كفرهم الذي كانوا يضمرونه قال والآية الاولى وان كان ظاهرها يقتضي جميع الكفار والمنافقون داخلون فيهم فيجوز ان يخبر عنهم بهذا الحكم قال ويحتمل ان يكون اراد بها الكافرين الذين كان النبي يخوفهم بالعذاب على كفرهم فلم يؤمنوا بذلك لكن دخلهم الشك والخوف واخفوه عن ضعفائهم وعوامهم فاذا كان يوم القيمة ظهر ذلك وان اخفوه في الدنيا فيتمنون حينئذ الرد الى حال الدنيا وقيل بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل معنى يخفون يجحدونه خافيا ومعنى بل انه

ليس

لبس تمنيهم الرجعة واظهار الانابة حقا للايمان الصحيح بل لما شاهدوه من العذاب الاليم وقوله ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه معناه انهم لو ردوا الى حال التكليف والى مثل ما كانوا عليه في الدنيا من المهلة والتمكين من الايمان والتوبة والقدرة على ذلك لعادوا الى مثل ما كانوا عليه من الكفر الذي نهوا عنه وقوله تعالى وانهم لكاذبون قد بينا ان المراد به الحكاية عن حالهم في الدنيا وانهم كانوا فيها كاذبين في كفرهم وتكذيبهم رسول الله والقرآن وقال البلخي هذا الكذب وقع منهم في الحال وان لم يعلموه كذبا لانهم اخبروا عن عزمهم انهم لو ردوا لكانوا مؤمنين وقد علم الله انهم لو عادوا الى الدنيا لعادوا الى كفرهم وكان اخبارهم بذلك كذبا وان لم يعلموه كذلك لان مخبره على خلاف ما اخبروه وهذا الذي ذكروه ضعيف لانهم اذا اخبروا عن عزمهم على الايمان ان ردوا وكانوا عازمين عليه لا يكونون كاذبين لان مخبر خبرهم العزم وهو على ما اخبروا فكيف تكذبون فيه والاول اقوى فاما الكذب مع العلم بانه ليس كذلك فلا خلاف بين ابي علي وابي القسم انه لا يجوز ان يقع منهم في الاخرة لان اهل الاخرة ملجؤن الى ترك القبيح لانهم لو لم يكونوا ملجئين لوجب ان يكونوا مزجورين من القبيح لانهم لو لم يكونوا ملجئين لوجب ان يكونوا مزجورين من القبيح بالامر والنهي و الثواب والعقاب وذلك يوجب ان يكون ذلك التكليف ولا خلاف انه ليس هناك تكليف وانه لو لم يزجروا ولم يلجؤا الى تركه كانوا مغرين بالقبيح وذلك فاسد فاذا لا يجوز ان يقع منهم القبيح بحال و قال بعض المفسرين سئل النبي صلى الله عليه وآله فقيل له ما بال اهل النار عملوا في عمر قصير بعمل اهل النار فخلدوا في النار واهل الجنة عملوا في عمر قصير بعمل اهل الجنة فخلدوا في الجنة فقال ان الفريقين كان كل واحد منهما عازما على انه لو عاش ابدا عمل بذلك **قوله** تعالى وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ۝ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ آيتان بلا خلاف **اقول** اخبر الله تعالى في هذه الاية عن الكفار الذين ذكرهم في الاية الاولى وبين انهم قالوا لما دعاهم النبي صلى الله عليه وآله الى الايمان والاقرار بالبعث والنشور وخوفهم من العقاب في خلافه وحذرهم عذاب الاخرة والحشر والحساب على سبيل الانكار لقوله والتكذيب له ما هي الا حياتنا الدنيا وعنوا انه لا حياة لنا في الاخرة على ما ذكرت وانما هي هذه حياتنا بما في الدنيا وانا لسنا بمبعوثين الى الاخرة بعد الموت ثم خاطب نبيه صلى الله عليه وآله فقال ولو ترى اذ وقفوا على ربهم يعني ما وعدهم ربهم من العذاب الذي يفعله بالكفار في الاخرة والثواب الذي يفعله بالمؤمنين وعرفوا صحة ما كان اخبرهم به من الحشر والحساب وقال لهم ربهم عند مشاهدتهم ذلك ووقوفهم عليه اليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا مقرين بذلك مذعنين له وان كانوا قبل ذلك في الدنيا ينكرونه قال لهم حينئذ فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون بذلك ويحتمل ان يكون معنى اذ وقفوا على ربهم انهم يشاهدونه وهذا فاسد لان المشاهدة لا يجوز الا حبسوا ينتظر بهم ما يامر كقول القائل احبسه على وقد ظن قوم من المشبهة ان قوله اذ وقفوا على ربهم انهم يشاهدونه وهذا فاسد لان المشاهدة لا يجوز الا على الاجسام او على ما هو حال في الاجسام وقد ثبت حدوث ذلك اجمع فلا يجوز ان يكون تعالى بصفة ما هو محدث وقد بينا ان المراد بذلك وقوفهم على عذاب ربهم وثوابه وعلمهم بصدق ما اخبرهم به في دار الدنيا دون ان يكون المراد به رؤيته تعالى ومشاهدته فبطل ما ظنوه وايضا فلا خلاف ان الكفار لا يرون الله والاية مختصة بالكافرين فكيف يجوز ان يكون المراد بها الرؤية فلا بد للجميع من التاويل الذي بيناه ويجوز ان يكون المراد بذلك اذا عرفوا ربهم لانه سيعرفهم نفسه ضرورة في الاخرة ويسمى المعرفة بالشيء وقوفا عليه يقول القائل وقفت على معنى كلامك لمعنى علمته واذا كان الكفار لا يعرفون الله في الدنيا وينكرونه عرفهم الله نفسه ضرورة فلذلك يكون وقوفهم عليه فاذا عرفوه قال لهم اليس هذا بالحق يعني ما وعدهم به فيقولون بلى لانهم شاهدوا العقاب والثواب ولم يشكوا فيها

قوله تعالى قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ آية بلا خلاف **اقول** اخبر الله تعالى انه خسر هؤلاء الكفار الذين كذبوا بلقاء الله يعني الذين كذبوا ما وعد الله به من الثواب و العقاب وجعل لقاءهم لذلك لقاء له تعالى مجازا كما يقول المسلمون لمن مات منهم قد لقي الله و صار اليه وانما يعنون لقي ما يستحقه من الله وصار الى الموضع الذي لا يملك الامر فيه سواه كما قال ولقد كنتم تمنون الموت من قبل ان تلقوه فقد رايتموه وانتم تنظرون والموت لا يشاهد وانما اراد انكم كنتم تمنون الموت من قبل ان تلقوا اسبابه فقد رايتم اسبابه وانتم تنظرون فجعل لقاء اسبابه لقاءه وقوله حتى اذا جاءتهم الساعة بغتة كل شيء اتى فجأة فقد بغت يقال قد بغته الامر يبغته بغتا وبغتة اذا اتاه فجأة قال الشاعر شعر

ولكنهم بانوا ولم اخش بغتة ... وافظع شيء حين يفجأك البغت

وقوله قالوا يا حسرتنا على ما فرطنا فيها قد علم ان الحسرة لا يدعى ودعاؤها تنبيه للمخاطبين والحسرة شدة الندم حتى يحسر النادم كما يحسر الذي يقوم به دابته في السفر البعيد قال الزجاج العرب اذا اجتهدت في المبالغة في الاخبار عن امر عظيم يقع فيه جعلته نداء فلفظه لفظ ما ينبه والمنبه به غيره كقوله يا حسرة على العباد وقوله يا حسرتا على ما فرطت و يا ويلتا أألد وانا عجوز ويا ويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا فهذا ابلغ من ان يقول انا احسر على العباد وابلغ من ان يقول الحسرة علينا في تفريطنا قال سيبويه اذا قلت يا عجباه فكانك قلت احضر وتعال يا عجب فانه من ازمانك وتاويل يا حسرتنا انتبهوا على انا قد حسرنا وقوله على ما فرطنا فيها يعني قد منا العجز وقيل معناه ما ضيعنا فيها يعني في الساعة وانما يحسروا على تفريطهم في الايمان والتاهب لكونها بالاعمال الصالحة وقوله وهم يحملون اوزارهم يعني ثقل ذنوبهم وهذا مثل جايز ان يكون جعل ما ينالهم من العذاب بمنزلة اثقل ما يتحمل لان الثقل قد يستعمل في الوزن وفي الحال يقول في الحال قد ثقل على خطاب فلان ومعناه كرهت خطابه كراهة اشتدت علي ويحتمل ان يكون المراد بالاوزار العقوبات التي استحقوها بالذنوب والعقوبات قد تسمى اوزارا فبين انه لثقلها عليهم يحملونها على ظهورهم وذلك يدل على عظمها والوزر الثقل في اللغة واشتقاقه من الوزر وهو الجبل الذي يعتصم به ومنه قيل وزير كانه يعتصم الملك به ومنه قوله واجعل لي وزيرا من اهلي هرون اخي قال وجعلنا معه اخاه هرون وزيرا وقوله الا ساء ما يزرون يعني بئس الشيء شيئا يزرونه اي يحملونه وقد بينا عمل بئس ونعم فيما مضى ومثله ساء مثلا القوم ومعناه ساء مثلا مثل القوم وقال بعضهم معنى يحملون اوزارهم على ظهورهم وصف افتضاحهم في الموقف وبما يشاهدونه من حالهم وعجزهم عن عبور الصراط كما يعبره المخفون من المؤمنين ومعنى قوله ساء ما ينالهم جزاء لذنوبهم واعمالهم الردية اذ كان ذلك عذابا و نكالا وقوله يزرون من وزر يزر وزرا اذا اثم وقيل ايضا وزر فهو موزور اذا فعل به ذلك ومنه الحديث في النساء يتبعن جنازة قتيل لهن ارجعن موزورات غير ماجورات والعامة يقول مازورات **قوله** تعالى وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ آية بلا خلاف **اقول** قرا ابن عامر ولدار الاخرة بلام واحدة مع تخفيف الدال وخفض الاخرة على الاضافة الباقون بلامين وتشديد الدال وضم الاخرة وقرا اهل المدينة وابن عامر وحفص ويعقوب تعقلون بالتاء ههنا وفي الاعراف ويوسف وافقهم يحيى والعليمي في يوسف ومن قرا بلامين وشدد الدال جعل الاخرة صفة للدار واجراها في الاعراب مجراها واستدل على كونها صفة للدار بقوله وللدار الاخرة خير لك من الاولى فاقامتها مقامها يدل على انها هي وليس غيرها فيجوز ان يضيف اليها وقوى ذلك بقوله وان الدار الاخرة لهي الحيوان وقوله تلك الدار الاخرة ومن قرا بلام واحدة وخفف الدال فانه لم يجعل الاخرة صفة للدار لان الشيء لا يضاف الى نفسه لكنه جعلها صفة للساعة وكانه قال و

لدار الساعة الاخرة واجاز وصفا الساعة بالاخرة كما وصفا اليوم بالاخرة فى قوله وارجوا اليوم
الاخر وحسن اضافة الدار الى الاخرة ولم يقبح من حيث استقبح اقامة الصفة مقام الموصوف لان
الاخرة صارت كالابطح والابرق الا ترى انه قد جاء وللاخرة خير لك من الاولى واستعملت استعمال
الاسماء ولم يكن مثل الصفات التى لم تستعمل استعمال الاخرة ومثل الاخرة فى انها استعملت استعمال
الاسماء قولهم الدنيا لما استعملت استعمال الاسماء حسن ان لا يلحق لام التعريف فى نحو قال الشاعر
شعر فى سعى دنيا طال ما قد مدت — وقال الفراء جعلت الدار ههنا اسماء و
الاخرة صفتها واضيفت فى غير هذا الموضع ومثله مما يضاف الى مثله قوله حق اليقين والحق هو اليقين
ومثله قولهم بارحة الاولى ويوم الخميس فيضاف الشئ الى نفسه اذا اختلف اللفظ واذا اتفق لم يجز ذلك
لا يقولون حق الحق ولا يقين اليقين لانهم يتوهمون اذا اختلفا فى اللفظ انهما مختلفان فى المعنى بين
الله تعالى فى هذه الاية ان ما يتمتع به فى الدنيا بمنزلة اللعب واللهو اللذين لا عاقبة لهما فى المنفعة و
يقتضى زوالها عن اهلها فى ادنى مدة واسرع زمان لانه لا ثبات لهما ولا بقاء فاما الاعمال الصالحات
فهى من اعمال الاخرة وليس بلهو ولعب وبين ان الدار وما فيها من انواع النعيم والجنان خير للذين
يتقون معاصى الله لانها باقية دائمة لا يزول عنهم نعيمها ولا يذهب عنهم سرورها وقوله افلا تعقلون
ان ذلك كما وصفت لهم فيزهدوا فى شهوات الدنيا ويرغبوا فى نعيم الاخرة بفعل ما يؤديهم اليه
من الاعمال الصالحة ومن قرا بالياء فى يعقلون فلانه قد تقدم ذكر الغيبة فى قوله للذين يتقون
ان الدار الاخرة خير لهم من هذه الدار فيعلموا بما ينالون به من النعيم الدائم ومن قرا بالتاء قصد
خطاب جميع الخلق المواجهين به والعقل هو الامساك عن القبيح وقصر النفس وحبسها على الحسن و
الحجا ايضا احتباس وتمكث قال الشاعر شعر فهن يعكفن به اذا حجا — وانشد الاصمعى
شعر حيث يحجا مطرق بالفالق — بحجا اقام المكان الحجا مصدر كالشبع ومنه الحجيا
للغز لتمكث الذى يلقى عليه حتى يستخرجها قال ابو زيد حجيتك حجياك فحاجيت الحجيا مصغرة كالثريا والجد
والنهى يحتمل ان يكون جمعا بدلالة قوله لاولى النهى لانه اضافه الى الجمع ويجوز ان يكون مفردا فى موضع
الجمع وهو فى معنى ثبات وحسن ومنه النهى والنهى والتنهية للمكان الذى ينتهى اليه الماء فيستنقع
فيه لتسفله ويمنعه ارتفاع ما حوله من ان يسيح فيذهب على وجه الارض **قوله** تعالى قد نعلم انه
ليحزنك الذى يقولون فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بايات الله يجحدون — اية بلا خلاف **اقول**
قرا نافع والكسائى والاعشى الا البصار لا يكذبونك بسكون الكاف وتخفيف الذال وهو المروى عن
على عليه السلام وعن ابى عبد الله عليه السلام الباقون بفتح الكاف وتشديد الذال من التكذيب وقرا نافع انه
ليحزنك بضم الياء وكسر الزاى الباقون بفتحها وضم الزاى قال ابو على الفارسى فعل وفعلته جاء فى
حروف من الاستعمال فى حزنته اكثر من احزنته فالى كثرة الاستعمال ذهب عامة القراء وقال تعالى
انى ليحزننى ان تذهبوا به ويقال حزن يحزن حزنا وحزنا قال تعالى ولا تحزن عليهم ثم قال ولا خوف
عليهم ولا هم يحزنون قال سيبويه قالوا احزن الرجل وحزنته قال وزعم الخليل انك حيث قلت حزنته
لم ترد ان تقول جعلته حزينا كما انك حيث قلت ادخلته اردت جعلته داخلا ولكنك اردت ان تقول
جعلت فيه حزنا كما قلت كحلته اى جعلت فيه كحلا ودهنته جعلت فيه دهنا ولم ترد بفعلته هذا تغيير
قوله حزن ولو اردت ذلك لقلت احزنته ومثل ذلك شتر الرجل وشترت عينه فاذا اردت تغيير شتره
الرجل قلت اشترت كما يقول فزع وافزعته وحجة نافع انه اراد تغيير حزن فنقله بالهمزة وقال الخليل
اذا اردت تغيير حزن قلت احزنته فدل ذلك على ان احزن مستعمل وان كان حزنته اكثر وحكى ابو
زيد احزننى الامر احزانا وهو يحزننى ضموا الياء وقال سيبويه قال بعض العرب افتنت الرجل وحزنته
وارجعته واعورت عينه اى جعلته حزينا وفاتنا فغيروا ذلك كما فعلوا ذلك بالباب الاول — وقوله

قد يعلم انه انما كسرت الهمزة لان فى خبرها لاما للتاكيد لما علم الله تعالى ان النبى صلى الله عليه وآله يحزنه
تكذيب الكفار له وجحدهم نبوته سلاه عن ذلك بان قال انهم لا يكذبونك ولكن بايات الله يجحدون
ومن قرا بالتخفيف قال معناه لا يلفونك كاذبا كما يقولون سالته فما ابخلته وقاتلته فما اجبنته
اى ما وجدته بخيلا ولا جبانا وقال ابو عبد الله عليه السلام معنى لا يكذبونك لا ياتون بحق يبطلون
به حقك وقال الفراء معنى التخفيف لا يجعلونك كذابا وانما يريدون ان يجحدوا ما جئت به باطلا لانهم
لم يجربوا عليك كذبا فيكذبوه لعله صلى الله عليه وآله وانما قالوا ان ما جئت به باطل لا نعرفه من النبوة
فاما التكذيب فان يقال له كذبت وقال بعض اهل اللغة هذا المعنى لا يجوز لانه لا يجوز ان يصدقوه
ويكذبوا ما جاء به وهو ان الله ارسلنى اليكم وانزل على هذا الكتاب وهو كلام ربى ومن قرا
بالتشديد احتمل وجوها احدها انهم لا يكذبونك بحجة ياتون بها او برهان يدل على كذبك
لان النبى صلى الله عليه وآله اذا كان صادقا فمحال ان يقوم على كذبه حجة ولم يرد انهم لا يكذبونه سفها و
جهلا به والثانى انه اراد فانهم لا يكذبونك بل يكذبوننى لان من كذب النبى صلى الله عليه وآله فقد كذب الله
لان الله هو المصدق له كما يقول القائل لصاحبه فلان ليس يكذبك وانما يكذبنى دونك يريد ان
تكذيبه اياك راجع الى تكذيبى لانى انا المخبر لك وانت حاك عنى وثالثها ان يكون اراد انهم لا ينسبونك
الى الكذب لانك كنت معروفا عندهم بالامانة والصدق فانه صلى الله عليه وآله كان يدعى بينهم الامين قبل
الوحى وكان معروفا بينهم بذلك لكنهم لما اتيتهم من ايات جحدوها بقصدهم التكذيب بايات الله
وجحدها لا لتكذيبك قال ابو طالب شعر ان ابن امنة الامين محمدا — ورابعها
ان يكون الاية مخصوصة بقوم معاندين كانوا عارفين بصدقه ولكنهم يجحدونه عنادا وتمردا — وقال
الحسن معناه نعلم انه ليحزنك الذى يقولون انك ساحر وانك مجنون فانهم لا يكذبونك لان معرفة الله
فى قلوبهم بانه واحد ولكن الظالمين بايات الله يجحدون وخامسها قال الزجاج لا يكذبونك لا يقدرون
ان يقولوا لك فيما انبات به مما فى كتبهم كذبت قال ابو على يجوز ان يكون المعنى فيمن ثقل قلت له كذبت
مثل زنيته وفسقته اذا نسبته الى الزنا وفعلت جاء على وجوه نحو خطاته اى نسبته الى الخطا وسقيته
ورعيته اى قلت له سقاك الله ورعاك قال الشاعر شعر واسقيه حتى كاد مما ابثه
تكلمنى احجاره وملاعبه — فيجوز على هذا ان يكون معنى القراءتين واحدا وان اختلف اللفظان
كما يقول قللت وكثرت واقللت واكثرت بمعنى واحد حكاه سيبويه — وقال الكميت
فطائفة قد اكفرونى بحبكم — وطائفة قالوا مسئ ومذنب — وحكى الكسائى عن العرب
اكذبت الرجل اذا اخبرت انه جاء بكذب وكذبته اذا اخبرت انه كذاب فقوله اكذبته اذا اخبرت انه
جاء بكذب كقولهم اكفرته اذا نسبوه الى الكفر وكذبته اخبرت انه كذاب مثل فسقته اذا اخبرت انه فاسق
قوله ولكن الظالمين يعنى هؤلاء الكفار بايات الله يعنى القران والمعجزات يجحدون ذلك بغير حجة سفها
وجهلا وعنادا **قوله** تعالى ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا واوذوا حتى اتاهم
نصرنا ولا مبدل لكلمات الله ولقد جاءك من نبإ المرسلين — اية بلا خلاف **اقول** سلى الله
تعالى بهذه الاية نبيه صلى الله عليه وآله بان اخبره ان الكفار قد كذبوا رسلا من قبلك وصبر الرسل على تكذيبهم
وعلى ما نالهم من اذاهم وتكذيب الكفار لهم حتى جاء نصر الله اياهم على المكذبين فمنهم من نصره عليهم
بالحرب ومكنهم من الظفر بهم حتى قتلوهم ومنهم من نصرهم عليهم بان اهلكهم واستاصلهم كما
اهلك عادا وثمودا وقوم نوح ولوط وغيرهم فامر الله نبيه صلى الله عليه وآله بالصبر على كفار قومه واذاهم الى
ان ياتيه نصره كما صبرت الانبياء وقوله ولا مبدل لكلمات الله معناه لا احد يقدر على تكذيب خبر الله
على الحقيقة ولا على اخلاف وعده فان ما اخبر الله به ان يفعل بالكفار فلا بد من كونه لا محالة وما
وعدك به من نصره فلا بد من حصوله لانه لا يجوز الكذب فى اخباره ولا الخلف فى وعده وقيل معناه انه

واقدحنا فى هذا المعنى الفعلة قالوا اسقيته اى قلت له سقاك الله

لا مبطل لحججه وبراهينه ولا مفسد لادلّته وقوله ولقد جاءك من نبإ المرسلين معناه انه لا مبدّل
لخبر الله ولا خلف لذلك ولا تكذيب وان ما اخبر الله به ان ينزله بالكفار فانّه سيفعل بهم كما فعل
بامم من تقدّم من الانبياء الذين انزل الله عليهم العذاب واستأصلهم بتكذيبهم انبياءهم وغيّر ذلك
اخبارهم على صحتها **قوله** تعالى وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ
أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُم بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ آية
اقول خاطب الله تعالى بهذه الاية نبيّه عليه السلم فقال له ان كان اشتدّ عليك وعظم عندك اعراض
هؤلاء الكفّار عمّا اتيتهم به من القرآن والمعجزات وامتناعهم من اتّباعك والتصديق لك وكنت حريصا
لذلك وقدرت او تهيّأ لك ان تتّخذ في جوف الارض مسلكا وهو النفق في الارض اذا كان له منفذ وان
تصعد الى السماء بسلّم فتأتيهم باية يعني باية تلجئهم الى الايمان وتجمعهم عليه وعلى ترك الكفر فافعل ذلك
وحذف فافعل لدلالة الكلام عليه كما تقول ان رأيت ان تقوم ومعناه فقم وان اراد غير ذلك لم يجز ان
يسكت لا بعد ان يأتي بالجواب لانه ان اراد ان اردت ان تقوم نصب خيرا فلا بدّ من الجواب ولم يرد بذلك
آية يؤمنون عندها مختارين لانه تعالى فعل بهم الايات التي تنزاح علتهم بها وتمكنون معها من فعل
الايمان لانه لو علم تعالى انه اذا فعل بهم آية من الايات يؤمنون عندها مختارين وجب ان يفعلها بهم و
بيّن انّه لو فعل بهم جميع ما لا ينافي التكليف لا يؤمنون كما قال ولو انّنا نزّلنا اليهم الملائكة الاية وكما قال و
لئن اتيت الذين اوتوا الكتاب بكلّ آية ما تبعوا قبلتك وانّما لم يفعل ما يلجئهم الى الايمان لانّ ذلك ينافي
التكليف ويسقط استحقاق الثواب الذي هو الغرض بالتكليف وانما اراد الله تعالى ان يبيّن لنبيّه
عليه السلم انه لا يستطيع هذا ولا يقدر عليه فلا ينبغي ان يلزم نفسه الغم والجزع لكفرهم واعراضهم عن الايمان
والتصديق به وجعل ذلك عزاء لنبيه عليه السلم وتسلية له ثم اخبر انه لو شاء ان يجمعهم على الايمان على وجه
الالجاء لكان على ذلك قادرا لكنه ينافي ذلك الغرض بالتكليف وجرى ذلك مجرى قوله ان نشأ ننزّل
عليهم من السماء آية فظلّت اعناقهم لها خاضعين فانّه اراد بذلك الاخبار عن قدرته وانّه لو شاء الجاءهم
الى الايمان لكان عليه قادرا ولا يدلّ ذلك على انّه لم يشأ منهم الايمان على وجه الاختيار منهم او لم يشأ
ان يفعل ما يؤمنون عنده مختارين لان الله تعالى قد شاء منهم الايمان على هذا الوجه وانما افاد نفي
المشيّة لما يلجئهم الى الايمان لانه مع الجائهم اليه لم يكن ذلك ايمانا والغرض بالاية ان يبين تعالى ان
الكفار لم يغلبوا الله بكفرهم ولا قهروه بخلافه وانّه لو اراد ان يحول بينهم وبينه لفعل لكنّه يريد ان يكون
ايمانهم على وجه يستحقّون به الثّواب ولا ينافي التّكليف وقوله فلا تكوننّ من الجاهلين انّما هو نهي محض عن
الجهل ولا يدل ذلك على ان الجهل كان جائزا منه عليه السلم بل يفيد كونه قادرا عليه لانه تعالى لا يأمر ولا
ينهى الا بما قدر المكلف عليه ومثله قوله لئن اشركت ليحبطنّ عملك وان كان الشرك لا يجوز عليه لكنّ لما
كان قادرا عليه جاز ان ينهاه عنه والمراد هاهنا فلا تجزع ولا تتحسّر لكفرهم واعراضهم عن الايمان وانّهم
لم يجيبوا على التصديق بك فتكون في ذلك بمنزلة الجاهلين الذين لا يصبرون على المصائب ويأتمون
لشدّة الجزع والنفق الطريق النافذ في الارض والنافقاء ممدودا حجر اليربوع يخرقه من باطن الارض
الى جلدة الارض فاذا بلغ الجلدة ارقّها فاذا رابه ريب دفع برأسه هذا المكان وخرج منه ومنه سمّي
المنافق منافقا لانه ابطن غير ما اظهر والسلّم مشتقّ من السلامة لانه يسلمك الى مصعدك **قوله**
تعالى إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ آية بلا خلاف **اقول**
الوقف عند قوله الذين يسمعون ومعنى الاية انما يستجيب الى الايمان بالله وما انزل اليك من
يسمع كلامك ويصغي اليك والى ما يقرأ عليه من القرآن وما يتبيّن له من الحجج والايات ويتفكّر في ذلك
لانه لا يبين الحق من الباطل الا لمن تفكّر فيه واستدلّ عليه بما تفكّر في ذلك لانه لا يبين الحق من الباطل
الا لمن تفكّر فيه واستدلّ عليه بما يسمع او يعرف من الايات والادلّة على صحّته وجعل من لم يتفكّر ولم

ينتفع بالايات بمنزلة من لم يسمع كما قال الشاعر **شعر** لقد اسمعت لو ناديت حيا
ولكن لا حياة لمن تنادي وكما جعله الشاعر بمنزلة الاصم في قوله **شعر**
اصمّ عما ساءه سميع وقوله والموتى يبعثهم الله معناه ان الذين لا يصغون اليك من هؤلاء
الكفّار ولا يسمعون كلامك ان كلّمتهم ولا يسمعون ما تقرأه عليهم وتبيّنه لهم من حجج الله واياته و
ينفرون عنه اذا كلّمتهم بمنزلة الموتى فكما ان الموتى لا يستجيبون لمن يدعوهم الى الحق والايمان فكذلك
هؤلاء الكفار لا يستجيبون لك اذا دعوتهم الى الايمان فكما ايست ان يسمع الموتى كلامك الى ان
يبعثهم الله والى ان يرجعوا اليه فكذلك فايس من هؤلاء ان يسمعوا كلامك وان يستجيبوا لك وبيّن
ان الموتى اذا بعثهم الله بمعنى احياهم انهم يرجعون بعد الحشر والبعث الى الموضع الذي لا يملك الحكم
فيه عليهم غير الله تعالى ولا يملك محاسبتهم وضرهم ونفعهم غيره فجعل رجوعهم الى ذلك الموضع رجوعا
الى الله وذلك مستعمل في اللغة وقال مجاهد انما يستجيب الذين يسمعون يعني المؤمنين يسمعون الذكر
والموتى يبعثهم الله يعني المشركين الصم يبعثهم الله فيحييهم من شركهم حتى يؤمنوا ثم اليه يرجعون يوم
القيمة **قوله** تعالى وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَن يُنَزِّلَ آيَةً وَلَٰكِنَّ
أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ **اقول** قرأ ابن كثير ينزل بالتخفيف الباقون بالتشديد معنى وقالوا الاخبار
عما قاله الكفار من انهم قالوا لولا ومعناه هلّا انزل عليه آية يعني الاية التي سألوها واقترحوا ان
يأتيهم بها من جنس ما شاهدوا لما قالوا فليأتنا باية كما ارسل الاولون يعنون فلق البحر واحياء الموتى
وانما قالوا ذلك حين ايقنوا بالعجز عن معارضته فيما اتى به من القرآن فاستراحوا الى ان التمسوا مثل
آيات الاولين فقال الله تعالى اولم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب وقال هاهنا قل يا محمد ان الله
تعالى قادر على ان ينزل آية ولكن اكثرهم لا يعلمون ما في انزالها من وجوب الاستئصال لهم اذا لم يؤمنوا
عند نزولها وما في الاقتصار بهم على ما اوتوا من الايات من المصلحة لهم وبيّن في آية اخرى انه لو انزل
عليهم ما انزل لم يؤمنوا وهو قوله ولو انّنا نزّلنا اليهم الملائكة الى قوله ما كانوا ليؤمنوا الا ان يشاء
الله ان يكرههم وقال وما منعنا ان نرسل بالايات الا ان كذّب بها الاولون يعني الايات التي
اقترحوها انما لم نأتهم بها لانا لو اتيناهم بها ولم يؤمنوا وجب استئصالهم كما وجب استئصال من تقدّمهم
ممن كذّب بايات الله وقال في سورة العنكبوت وقالوا لولا انزل عليه آية من ربه قل انما الايات عند
الله وانما انا نذير مبين اولم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب الاية فبيّن ان الايات لا يقدر عليها
الا الله وقد اتاهم بما فيه كفاية وازاحة لعلتهم وهو القرآن وغيره مما شاهدوه من المعجزات والايات
ولا يلزم اظهار المعجزات بحسب اقتراح المقترحين لانه لو لزم ذلك لوجب اظهارها في كل حال ولكل
مكلف وذلك فاسد وقد طعن قوم من الملحدين فقالوا لو كان محمد قد اتى باية لما قالوا له لولا
انزل عليه آية ولما قال ان الله قادر على ان ينزل آية قيل قد بيّنا انهم التمسوا آية مخصوصة وتلك
لم يؤتوها وان كان الله تعالى قادرا عليها وانّما لم يؤتوها لان المصلحة منعت من انزالها وانما اتى
بالايات الاخر التي دلّت على نبوته من القرآن وغيره على ما اقتضته المصلحة ولذلك قال فيما تلونا
اولم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب فبيّن انّ في انزال الكتاب كفاية ودلالة على صدقه وانه لا
يحتاج معه الى امر اخر فسقط ما قالوه **قوله** تعالى وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ
إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ آية **اقول** الوقف عند قوله
امم امثالكم وقف تام ابتدأ الله تعالى بهذه الاية فاخبر بان سائر الخلق وبازاحة علة عباده
المكلفين في البيان ليعجب عباده في الاية التي بيّنها من الكفار وذهابهم عن الله تعالى فقال
ما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه فجمع جميع الخلق بهذين اللفظين لان جميع الحيوان لا يخلو
من ان يكون مما يطير بجناحيه او يدبّ الا امم امثالكم اي هم اجناس واصناف كل صنف يشتمل على

الهد د الكثير والانواع المختلفة وان الله خالقها ورازقها وانه يعدل عليها فيما يفعله كما خلقكم ورزقكم وعدل عليكم وان جميعها دالة وشاهدة على مدبرها وخالقها وانتم بعد ذلك تموتون الى ربهم تحشرون فبين بهذه العبارة انه لا ينبغى لهم ان يتعدوا فى ظلم شئ منها فان الله خالقها وهو الناهى عن ظلمها والمنتصف لها وفى قوله يطير بجناحيه اقوال احدها ان قوله بجناحيه تاكيد كما يقولون رايت بعينى وسمعت باذنى وربما قالوا رايت عينى وسمعت اذنى كل ذلك تاكيد وقال الفراء معنى ذلك انه اراد ما يطير بجناحين دون ما يطير بغير جناحين لانهم يقولون قدم الفرس يطير طيرا وسارت السفينة تطير طيرا فلو لم يقل بجناحيه لم يعلم انه قصد الى جنس ما يطير بجناحيه دون سائر ما يطير بغير جناحين وقال قوم انما قال بجناحيه لان السمك عند اهل الطبع طاير فى الماء ولا اجنحة لها وانما خرج السمك عن الطاير لانه من دواب البحر وانما اراد ما فى الارض وما فى الجو ولا حيوان موجود غيرهما وقال قوم انما قال ذلك ليدل على الفرق بين طيران الطيور باجنحتها وبين الطيران بالاسراع يقولون طرت فى حاجتى اذا اسرعت قال الشاعر شعر

فلو انها تجرى على الارض ادركت … ولكنها تهفو بتمثال طاير

وانشد سيبويه شعر

فطرت بمنصلى فى يعملات … دوامى الايد يخبطن السريحا

وقال المغربى اراد ان يفرق بين الطاير الذى هو الفايز الفالج فى القسم قال مزاحم العقيلى

وطيرى بمخراق اشم كانه … سليل جياد لم ينله المرغايب

اى فوزى واغنمى وقوله ما فرطنا فى الكتاب من شئ قيل ما فرطنا معناه ما تركنا وقيل ما قصرنا وفى الكتاب قولان احدهما انه اراد الكتاب المحفوظ عنده من اجال الحيوان وارزاقه واثاره ليعلم ابن ادم ان عمله اولى بالاحصاء والاستقصاء ذكره الحسن الثانى ما فرطنا فى القران من شئ يحتاج اليه فى امور الدين والدنيا الا وقد بيناه اما مجملا او مفصلا فما هو صريح يفيد لفظا وما هو مجمل بينه على لسان نبيه وامر باتباعه فى قوله وما اتيكم الرسول فخذوه وما نهيكم عنه فانتهوا ودل بالقران على صدق نبوته ووجوب اتباعه فاذا لا يبقى امر من امور الدين والدنيا الا وهو فى القران وهذا الوجه اختاره الجبائى وقال البلخى ما فرطنا فى الكتاب من شئ اى لم ندع الاحتجاج بما يوضح الحق ويدعوا الى الطاعة والمعرفة ويزجر عن الجهل والمعصية ويضرب الامثال وذكر احوال الملائكة وبنى ادم وساير الخلق من اصناف الحيوان وكل جنس من الحيوان امة لان الامة الجماعة وقد يقال للصبيان امة وان لم يجب عليهم التكليف وقوله تعالى ثم الى ربهم يحشرون معناه يحشرون الى الله بعد موتهم يوم القيمة كما يحشر العباد فيعوض الله تعالى ما يستحق العوض وينتصف لبعضها من بعض فاذا عوضها قال قوم انها تصير ترابا فحينئذ يتمنى الكافر فيقول يا ليتنى كنت ترابا وقال قوم يديم الله اعواضها ويخلقها على احسن ما يكون من الصور فيسر بها المثابون ويكون ذلك من جملة ما ينعمون به ذكره البلخى وقال قوم يحشرون معناه يموتون ويفنون وهذا بعيد لان الحشر فى اللغة هو بعث من مكان الى غيره وههنا لا معنى للحشر الذى هو الفناء وانما معناه انهم يصيرون الى ربهم ويبعثون اليه واستدل قوم من التناسخية بهذه الاية على ان البهائم والطيور مكلفة لانه قال امم امثالكم وهذا باطل لانا قد بينا من اى وجه قال انها امم امثالكم لها ولو وجب حملها على العموم لوجب ان يكون امثالنا فى كونها ناسا وفى مثل صورنا واخلاقنا فمتى قالوا لم يقل امثالنا فى كل شئ قلنا وكذلك الامتحان والتكليف على انهم مقرون بان الاطفال غير مكلفين ولا ممتحنين فما يحملون به امتحان الصبيان بعينه يحمل بمثله امتحان البهائم وكيف يصح تكليف البهائم والطيور وهى غير عاقلة والتكليف لا يصح الا لعاقل على ان الصبيان اعقل من البهائم ومع هذا فليسوا مكلفين فكيف يصح تكليف البهائم واما قوله وان من امة الا خلا فيها نذير فانه مخصوص بالمكلفين العقلاء من

البشر والجن والملئكة بدلالة ان الاطفال امم وليس فيهما نذير واستدل ابو القسم البلخى بهذه الاية على ان العوض دايم بان قال بين الله تعالى انه يحشر الحيوان كلها ويعوضها فلو كان العوض منقطعا لكان اذا اماتها استحقت اعواضا اخر على الموت وذلك يتسلسل فدل على انه دايم وهذا ليس بشئ لانه يجوز ان يميتها الله الحيوان على وجه لا يدخل عليهم الالم فلا يستحقون عوضا ثانيا فالاولى ان يقول ان دام دام تفضلا منه تعالى وقوله ولا طائر فانه جر عطفه على دابة وتقديره ولا من طاير وكان يجوز ان يقرا بالرفع حملا على المعنى كما يقول ما جاءنى من رجل ولا امراة وتقديره ما جاءنى رجل ولا امراة ومثله قوله ولا اصغر من ذلك ولا اكبر فى موضع النصب وفى موضع اخر بالرفع على ما قلناه قوله تعالى وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِاٰيٰاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمٰاتِ مَنْ يَشَاِ اللّٰهُ يُضْلِلْهُ وَمَنْ يَشَاْ يَجْعَلْهُ عَلٰى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ اية بلا خلاف اقول التمام عند قوله فى الظلمات قوله صم وبكم فى الظلمات يحتمل امرين احدهما ان يراد ان هؤلاء الكفار الذين كذبوا بايات الله صم وبكم فى الظلمات فى الاخرة على الحقيقة عقوبة لهم على كفرهم لانه ذكرهم عند ذكر الحشر والثانى ان يكون عنى انهم صم بكم فى الظلمات فى الدنيا فمتى اريد الاول كان ذلك حقيقة لانه تعالى لا يمتنع ان يجعلهم صما بكما فى الظلمات يضلهم بذلك عن الجنة وعن الصراط الذى يسلكه المؤمنون اليها ويصيرهم الى النار وان اريد به الوجه الثانى فانه يكون مجازا وتوسعا وانما شبههم بالصم والبكم الذين فى الظلمات لان المكذبين بايات الله لا يهتدون الى شئ مما قاله المؤمنون من منافع الدين ولا يصلون الى ذلك كما ان الصم البكم الذين فى الظلمات لا يهتدون الى شئ من منافع الدنيا ولا يصلون اليها فشبههم من هذا الوجه الصم البكم وقال البلخى صم وبكم فى الظلمات معناه فى الجهل والشرك والكفر وقوله من يشاء الله يضلله ومن يشاء يجعله على صراط مستقيم لا يجوز ان يكون على عمومه لانا قد علمنا ان الله تعالى لا يشاء ان يضل الانبياء والمؤمنين ولا يهدى الكافرين لكن قد بين تعالى فى موضع اخر من الذى يشاء ان يضله فقال وما يضل به الا الفاسقين وقال ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء وقال والذين اهتدوا زادهم هدى وقال يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام وقال والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقوله ومن يشاء الله يضلله ههنا يحتمل امرين احدهما من يشاء الله يضلله اى من يشاء يخذله بان يمنعه لطائفه وفوايده وذلك اذا واتر عليه الادلة واوضح له البراهين فاعرض عنها ولم ينعم النظر فيها فصار كالاصم الاعمى فحينئذ يشاء ان يضله بان يخذله والثانى من يشاء الله اضلاله عن طريق الجنة ونيل ثوابها يضلله على وجه العقوبة ومن يشاء يجعله على صراط مستقيم ومعناه من يشاء ان يرحمه ويهديه الى الجنة ونيل الثواب يجعله على الصراط الذى يسلكه المؤمنون الى الجنة ويعدل الكافرين عنه الى النار ولا يلحق الاضلال الا الكفار والفساق المستحقين للعقاب وكذلك لا يفعل الثواب والخلود فى الجنة الا بالمؤمنين لانه ثواب لا يستحقه سواهم قوله تعالى قُلْ اَرَاَيْتَكُمْ اِنْ اَتٰيكُمْ عَذَابُ اللّٰهِ اَوْ اَتَتْكُمُ السَّاعَةُ اَغَيْرَ اللّٰهِ تَدْعُونَ اِنْ كُنْتُمْ صٰادِقِينَ بَلْ اِيّٰاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مٰا تَدْعُونَ اِلَيْهِ اِنْ شٰاءَ وَتَنْسَوْنَ مٰا تُشْرِكُونَ اتيان بلا خلاف اقول قراء الكسائى وحده اريتكم وما جاء منه اذا كان استفهاما بحذف الهمزة التى بعد الراء والباقون بثباتها وتخفيفها الا اهل المدينة فانهم جعلوها بين بين فان كان غير استفهام اتفقوا على ثبات الهمزة وتخفيفها الا ما رواه ورش فى تخفيفها فى ستة مواضع ذكرت فى باب الهمزة فى القرات من حقق الهمزة فلانه فعلت من الرؤية فالهمزة عين الفعل ومن خفف فانه جعلها بين بين وهذا التخفيف على قياس التحقيق ومن حذف الهمزة فعلى غير مذهب التخفيف لان التخفيف القياس فيها ان يجعل بين بين كما فعل نافع وهذا حذف كما قالوا ويلمه وكما انشد احمد بن يحيى

شعر ان لم اقاتل فالبسونی برقعا وقال ابو الاسود شعر

یا ابا المغیرة رب امر معضل وذکران عیسی کذلک کان یقرأها ویقوی ذلک

قال الراجز ام هل رأیت ان جائت برا ملودا مرجلا ویلبس البرودا وقال

الفراء العرب لها فی ارایت لغتان احدهما ان یسئل الرجل ارایت زیدا بعینک فهذه مهموزة فاذا

اوقعتها علی الرجل منه قلت ارایتک علی غیر هذه الحال ترید هل رایت نفسک علی غیر هذا الحال

ثم یثنی ویجمع فتقول للرجلین ارایتماکما وللقوم ارایتموکم وللنسوة ارایتکن وللمراة ارایتک

بخفض التاء لایجوز الا ذلک والاخر ان تقول ارایتک ورایت ترید اخبرنی فتهمزها وتنصب التاء

منها وتترک الهمزان شئت وهو اکثر کلام العرب وتترک التاء مفتوحة للواحد والجمع مؤنثة ومذکرة

تقول للمراة ارایتک زیدا وللنساء ارایتکن زیدا ما فعل وانما ترکت العرب التاء واحدة لانهم

لم یریدوا ان یکون الفعل منها واقعا علی نفسها فاکتفوا بذکرها فی الکاف ووجهوا التاء الی المذکر

والتوحید اذ لم یکن الفعل واقعا علی نفسها واختلفوا فی هذه الکاف فقال الفراء موضعها

نصب وتاویلها رفع مثل قولک دونک زیدا فموضع الکاف خفض ومعناه الرفع لان المعنی خذ

زیدا قال الزجاج هذا خطاء ولم یقله احد قبله قال لان قولک ارایتک زیدا ما شانه تصیر ارایت

قد تعدت الی الکاف والی زید فتنصب ارایت اسمین فیصیر المعنی ارایت نفسک زیدا ما حاله

وهذا محال قال والصحیح الذی علیه النحویون ان الکاف لاموضع لها والمعنی ارایت زیدا ما حاله

والکاف زیادة فی بیان الخطاب وهو المعتمد علیه فی الخطاب ولذلک یکون التاء مفتوحة فی خطاب

المذکر والمؤنث والواحد والجمع فتقول للرجل ارایتک زیدا ما حاله بفتح التاء والکاف وللمراة

ارایتک بفتح التاء وکسر الکاف لانها صارت اخرما فی الکلمة وللاثنین ارایتکما وللجمع ارایتکم

فتوحد التاء فکما وجب ان توحدها فی التثنیة والجمع کذلک وجب ان تذکرها مع المؤنث فان عدت

الفاعل الی المفعول فی هذا الباب صارت الکاف مفعوله تقول رایتنی عالما بفلان فاذا سالت

علی هذا الشرط قلت للرجل ارایتک عالما وللاثنین ارایتماکما وللجمع ارایتموکم لان هذا فی تاویل

ارایتم انفسکم وللمراة ارایتک وللتثنیة ارایتماکما وللجماعة ارایتکن فعلی هذا قیاس هذین البابین

قال ابو علی الفارسی لایخلو ان یکون الکاف للخطاب مجردا ومعنی الاسم مخلوعا منه او یکون دالا علی

الاسم مع دلالته علی الخطاب والدلیل علی انه للخطاب مجردا من علامة الاسم انه لو کان اسما وجب ان

یکون الاسم الذی بعده فی نحو قوله ارایتک هذا الذی کرمت علی وقولهم ارایتک زیدا ما صنع هو

الکاف فی المعنی الا تری ان رایت یتعدی الی مفعولین یکون الاول منهما هو الثانی فی المعنی واذا

لم یکن المفعول الذی بعده هو الکاف فی المعنی وانما هو غیره وجب ان یدل ذلک علی انه لیس

باسم واذا لم یکن اسما کان حرفا للخطاب مجردا من معنی الاسمیة کما ان الکاف فی ذلک وهنالک للخطاب

ومثله التاء فی انت لانه للخطاب معری من معنی الاسم فاذا ثبت انه للخطاب معری من معنی الاسماء

ثبت ان التاء لایجوزان یکون بمعنی الخطاب الا تری انه لاینبغی ان یلحق الکلمة علامتان للخطاب کما لا

یلحقها علامتان للتانیث ولا علامتان للاستفهام فلما لم یجز ذلک افردت التاء فی جمیع الاحوال

لما کان الفعل لابد له من فاعل وجعل فی جمیع الاحوال علی لفظ واحد لان ما یلحق الکاف من معنی

الخطاب یبین الفاعلین فیخصص التانیث من التذکیر والتثنیة من الجمع فلو لحق علامة التانیث والجمع

التاء لاجتمع علامتان للخطاب لما کان یلحق التاء وما یلحق الکاف وذلک یؤدی الی ما لانظیر له

فرفض لذلک امر الله تعالی نبیه صلی الله علیه وآله بهذه الایة ان یقول لهؤلاء الکفار الذین یعبدون الاصنام

ارایتکم ان اتاکم عذاب الله کما اتی الکافرین من قبلکم کعاد وثمود وغیرهم او اتتکم الساعة وهی القیامة

قال الزجاج الساعة اسم للوقت الذی یصعق فیه العباد واسم للوقت الذی یبعث فیه العباد والمعنی او اتتکم

ارو اقعا منه علیه ارکان المراد صدور الفعل منه علی نفسه ١٢

الساعة التی وعدتم فیها بالبعث والفناء لان قبل البعث یموت الخلق کلهم اتدعون فیها لکشف

ذلک عنکم هذه الاوثان التی تعلمون انها لاتقدر ان تنفع انفسها ولا غیرها او تدعون لکشف ذلک

عنکم الله تعالی الذی هو خالقکم ومالککم ومن یملک ضرکم ونفعکم ودلهم بذلک علی انه لاینبغی لهم

ان یعبدوا ما لا یملک لهم نفعا ولا یقدر ان یدفع عنهم ضرا وان یعبدوا الله وحده الذی هو خالقهم

ومالکهم والقادر علی نفعهم وضرهم وقوله ان کنتم صادقین یعنی فی ان هذه الاوثان الهة لکم

فبین الله لهم بذلک انها لیست الهة وانهم فی هذا القول غیر صادقین وقوله بل ایاه تدعون

معنی بل استدراک وایجاب بعد نفی تقول ما جاء نی زید بل عمرو واعلمهم الله تعالی انهم لایدعون

فی حال الشدائد الا ایاه لانه اذا لحقتهم الشدائد والاهوال فی البحار والبراری والقفار التجؤا فیه

الیه وتضرعوا الیه کما قال وجاءهم الموج من کل مکان وظنوا انهم احیط بهم دعوا الله مخلصین فی

ذلک اعظم الحجج علیهم لانهم عبدوا الاصنام وقوله فیکشف ما تدعون الیه ان شاء معناه یکشف

الضر الذی من اجله دعوتم وهو مجاز کقوله واسئل القریة ومعناه واسئل اهل القریة وقوله وتنسون

ما تشرکون معنی تنسون یحتمل امرین احدهما ان یکون بمعنی تترکون ما تشرکون بالله الثانی انکم

فی ترککم دعائهم بمنزلة من نسیهم وهذا الذی احتج الله به علی الکفار دلالة علی صحة الاحتجاج فی الدین

علی کل من خالف الحق لانه لو کان الاحتجاج لایجوز ولا یفضی الی الحق لما احتج به علی عباده فی کتابه

وانما قال ان شاء لانه لیس کلما یدعون لکشفه یکشفه عنهم بل یکشف ما شاء من ذلک مما یقتضیه

المصلحة وصواب التدبیر وتوجبه الحکمة والاستثناء راجع الی العذاب دون الساعة لانها لاتکشف

ولا محیص عنها قوله تعالی وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ

يَتَضَرَّعُونَ فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ

ایتان **اقول** اعلم الله تعالی نبیه صلی الله علیه وآله بهذه الایة انه قد ارسل الرسل قبله الی اقوام بلغوا من

القسوة الی ان اخذوا بالشدة فی انفسهم واموالهم لیخضعوا ویذلوا لامر الله لان القلوب تخشع و

النفوس تضرع عند ما یکون من امر الله فی البأساء والضراء وقال قوم البأساء الجوع والضراء النقص

فی الاموال والانفس والباساء من البأس والخوف والضراء من الضر وقیل یکون البأساء من البؤس

فاعلمه الله انه ارسل الی امم واخذها بالبأساء والضراء فلم تخشع ولم تضرع وقال لعلهم یتضرعون

ومعناه لکی یتضرعوا وقیل معناها الترجی للعباد کما قال لعله یتذکر او یخشی قال سیبویه المعنی

اذهبا انتما علی رجائکما والله عالم بما یکون من وراء ذلک وقوله فلولا اذ جائهم باسنا تضرعوا معناه

هلا اذ جائهم باسنا تضرعوا ولکن قست قلوبهم ای اقاموا علی کفرهم قال الفراء کلما رایت فی الکلام

لولا ولم یر بعدها اسما فهی بمعنی هلا کقوله لولا اخرتنی الی اجل قریب ولولا ان کنتم غیر مدینین

واذا کان بعدها اسما فهی بمعنی التی یکون فی جوابها اللام ولوما فیهما ما فی لولا من الاستفهام والخبر

وقد اخبر الله فی هذه الایة ان الشیطان هو الذی یزین الکفر للکافر بخلاف ما یقول المجبرة من ان

الله هو المزین لهم ذلک وفیها حجة علی من قال ان الله لم یرد من الکافر الایمان وانه ارسل الرسل

بینة علیهم وعلی من زعم ان اخذه الکافرین بالباساء والضراء فی الدین لیس کما اراد من صلاحهم

لانه بین الله انما فعل بهم ذلک لیتضرعوا وهذه لام الغرض لان الشک لایجوز علیه تعالی ویتضرعون

معناه یتذللون یقال ضرع فلان لفلان اذا بخع له وساله ان یعطیه وفلان ضارع ای نحیف **قوله**

تعالی فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا

هُم مُّبْلِسُونَ فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ایتان **اقول** قرا ابن

عامر وابو جعفر وروش فتحنا وفی الاعراف لفتحنا وفی الانبیاء فتحت وفی القمر ففتحنا ابواب السماء

بالتشدید فیهن وافقهم روح فی الانبیاء والقمر الباقون بالتخفیف فیهن من ثقل اراد التکثیر ومن خفف

٦٩

اراد الفعل مرة واحدة بين الله تعالى بهذه الاية ان هؤلاء الكفار لما لم ينتفعوا بالباساء والضراء
على ما اقتضت مصلحتهم ونسوها اى تركوها فصارت فى حكم المنسى ابتليناهم بالتوسعة فى الرزق فلم يرغبوا
بذلك فى نعيم الاخرة ويتنبهوا عليه فيطيعوا ويرجعوا عما هم عليه فلما لم ينجع ذلك فيهم ولم يزيدوا على
الفرح بما اوتوا ولم يتعظوا ولم ينفعهم الزجر بالضراء والسراء ولا الترغيب بالتوسعة والرخاء احللنا
بهم العقوبة بغتة اى مفاجاة من حيث لا يشعرون فاذا هم مبلسون قال الزجاج المبلس الشديد
الحسرة واليائس الحزين وقال البلخى يعنى اذلة خاضعين وقال الجبائى معنى مبلسون آيسون و
قال الفرا المبلس المنقطع الحجة قال رؤبة **شعر** وحضرت يوم الخميس الاخماس
وفى الوجوه صفرة وابلاس وقال مجاهد الابلاس السكوت مع اكتئاب وقوله كل شئ
المراد به التكثير دون العموم وهو مثل قوله واوتيت من كل شئ وكقول القائل اكلنا عنده كل
شئ ورأينا منه كل خير وكما يقال هذا قول اهل العراق واهل الحجاز ويراد به قول اكثرهم وقال
تعالى ولقد اريناه اياتنا كلها وكل ذلك يراد به الخصوص موضوعا للتكثير والتفخيم واذا علمنا
فى الجملة بالعقل ان هذه الايات مخصوصة فلا ينبغى ان يعتقد فيها تخصيص شئ بعينه وليس علينا
اكثر من ان نعتقد انهم اوتوا خيرا كثيرا وفتح عليهم ابواب اشياء كثيرة كانت مغلقة عليهم وليس
يلزمنا اكثر من ذلك فان قيل الذى يسبق الى القلوب غير ما قاولتم عليه وهو ان الله انما فتح
عليهم ابواب كل شئ ليفرحوا ويمرحوا ليستحقوا العقاب قلنا الظاهر وان كان كذلك انصرفنا عنه
بدليل كما انصرفنا عن قوله الرحمن على العرش استوى وعن قوله وجاء ربك وعن قوله امنتم من
فى السماء فكما يجب ان نترك هذه الايات وان كان ظاهرها التشبيه فكذلك نترك ما ظاهره يوجب
اضافة القبح اليه تعالى وينافى عدله ونعدل الى ما يليق بحكمته وعدله وقوله فقطع دابر القوم
الذين ظلموا معناه اخذهم الذى يدبرهم ويدبرهم لغتان بضم الباء وكسرها وهو الذى يكون
فى اعقابهم وروى عن عبد الله انه قال من الناس من لا ياتى الصلوة الا دبريا بضم الدال يعنى فى اخر
الوقت هذا قول اصحاب الحديث وقال ابو زيد الا دبريا بفتح الدال والباء ثم حمد الله تعالى نفسه
بان استاصل شافتهم وقطع دابرهم بقوله والحمد لله رب العالمين لانه تعالى ارسل اليهم وانظرهم
بعد كفرهم واخذهم بالباساء والضراء والنعمة والرخا فبالغ فى الانذار والامهال فهو محمود على
كل حال **قوله** تعالى قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ
يَأْتِيكُمْ بِهِ انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ اية بلا خلاف **اقول** روى ورش والمسيبى
به انظر بضم الهاء الباقون بكسرها قال ابو على من كسر الهاء حذف الياء التى يلحق الهاء فى نحو بهى غيب
لالتقاء الساكنين والفا من انظر ومن قرا بضم الها فهو على قول من قال فخسفنا بهو وبدارهو
فحذف الواو لالتقاء الساكنين كما حذف الياء فى بهى لذلك فصار به انظر ومما يحسن هذا الوجه
ان الضمة فيه مثل الضمة فى ان اقتلوا وانقص ونحو ذلك وقوله ارايتم ان اخذ الله سمعكم وابصاركم
وختم على قلوبكم ثم قال ياتيكم به قال ابو الحسن هو على السمع او على ما اخذ منكم وقال الفرا الهاء
كناية عن الهدى امر الله تعالى نبيه عليه السلام ان يقول لهؤلاء الكفار ارايتم ان اخذ الله سمعكم
اى اصمكم وابصاركم اى اعماكم يقول العرب اخذ الله سمع فلان وبصره وختم على سمعه قلوبكم
بان سلب ما فيها من العقول التى بها يتهيأ لكم ان تؤمنوا بربكم وتتوبوا من ذنوبكم ووسمها بسمة
من يكون خاتمة امره بالمصير الى عذاب النار فلو فعل ذلك بكم هل من اله غير الله ياتيكم بهذا الذى
سلبكم الله اياه وهل يقدر على ذلك اله غير الله فكذلك يجب ان لا يعبدوا سواه القادر على جميع
ذلك وقوله انظر كيف نصرف الايات ثم هم يصدفون تنبيه للعباد على هذه الاية وعلى امثالها من
الايات التى بين فيها انه لا يستحق العبادة سواه تعالى ثم بين انهم مع ظهور هذه الايات يصدفون

اى يعرضون

٧٥

اى يعرضون عن بالطنها والفكر فيها يقال صدف عنه اذا ولى والاية دليل على ان الله قد مكنهم من
الاقبال على ما ورد عليهم من البيان وانه لم يخلق فيهم الاعراض عنه ولا حملهم عليه ولا اراده منهم
ولا زينه لهم لانه لو كان فعل شيئا من ذلك لم يكن لتعجيبه من ذلك معنى **قوله** تعالى قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ
أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ اية **اقول** امر الله تعالى نبيه
عليه السلام ان يخاطب كفار قومه ويقول لهم ارايتم ان اتاكم عذاب الله بغتة او جهرة والبغتة المفاجاة
وهو ان ياتيهم العذاب وهم غافلون غير متوقعين لذلك او جهرة اى وهم شاهدون له ومعاينون
نزوله وقال الحسن البغتة ان ياتيهم ليلا وجهرة نهارا ثم قال هل يهلك بهذا العذاب الا القوم
الظالمون الكافرون الذين يكفرون بالله ويفسدون فى الارض وهل ينجو منه الا المومنون العابدون
لربهم ومتى هلك فيهم اطفال او قوم مؤمنون فانما هلكوا امتحانا وليعوضهم الله على ذلك اعواضا
كثيرة يصغر ذلك فى جنبها فجعل ذلك تحذيرا من المقام على الكفر وترغيبا فى الايمان والنجاة من
العذاب **قوله** تعالى وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ
وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ايتان بلا خلاف
اقول بين الله تعالى فى هاتين الايتين انه لا يبعث الرسل اربابا يقدرون على كل شئ يسئلون
عنه من الايات او يخترعونه بل انما يرسلهم لما فى ذلك من المصلحة لهم ومبينين على ما فى عقولهم
من توحيد الله وعدله وحكمته مبشرين بثواب الله لمن امن به وعرفه ومخوفين لمن انكره وجحده
ثم اخبر ان المرسل اليهم ممكنون غير مجبرين ولا مضطرين ودل على انه غير محدث لشئ من افعالهم
فيهم وان الافعال لهم هم يكتسبونها بما خلق الله فيهم من القدرة وانه قد هداهم وبين لهم و
بشرهم وانذرهم فمن امن اثابه ومن عصاه عاقبه ولو كانوا مجبورين على المعاصى مخلوقا فيهم
الكفر ولم يجعل فيهم القدرة على الايمان لما كان للاية معنى **قوله** تعالى قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي
خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ
وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ اية بلا خلاف **اقول** امر الله تعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وآله
ان يقول لعباده لا اقول لكم عندى خزائن الله اغنيكم منها ولا اعلم الغيب الذى يختص بعلمه
الله تعالى فاعرفكم مصالح دنياكم وانما اعلم قدر ما يعلمنى الله من امر البعث والجنة والنار و
غير ذلك ولا ادعى انى ملك لانى انسان تعرفون نسبى لا اقدر على ما يقدر عليه الملك و
ما اتبع الا ما يوحى الله به الى وبين لهم ان الملك من عند الله والوحى هو البيان الذى ليس
بافصاح الاشارة والدلالة لان كلام الملك كان له على هذا الوجه وانما امره بان يقول ذلك لئلا
يدعو فيه ما ادعت النصارى فى المسيح ولئلا ينزلوه منزلة خلاف ما يستحقه ثم امره بان يقول لهم
هل يستوى الاعمى والبصير اى هل يستوى العارف بالله تعالى ويدينه العالم به مع الجاهل به
ويدينه فجعل الاعمى مثلا للجاهل والبصير مثلا للعارف بالله ونبيه هذا قول الحسن والجبائى و
قال البلخى معناه هل يستوى من صدق على نفسه واعترف بحاله التى هو عليها من الحاجة والعبودية
لخالقه ومن ذهب عن البيان وعمى عن الحق افلا تتفكرون فتنصفوا من انفسكم وتعملوا بالواجب عليكم
من الاقرار بوحدانيته تعالى ونفى الشركاء والتشبيه عنه وهذا وان كان لفظه لفظ الاستفهام
فالمراد الاخبار اى انهما لا يستويان وقال مجاهد الاعمى الضال والبصير المهتدى ثم قال افلا
تتفكرون تنبيها لهم على الفكر فيما يدعوهم الى معرفته ويدلهم عليه من اياته وامثاله التى بينها فى
كتابه للفرق بين الحق والباطل والكافر والمؤمن وقال الحسن لا اقول لكم عندى خزائن الله يعنى خزائن
الغيب الذى فيه العذاب لقولهم ائتنا بعذاب الله ولا اعلم الغيب متى ياتيكم العذاب ولا اقول لكم انى
ملك من ملائكة الله وانما انا بشر تعرفون نسبى ولكن رسول الله يوحى الى ولا اتبع الا ما يوحى الى

ولا

ولا اؤدى الاما يأمرنى بادائه واستدل الجبائى والبلخى وغيرهما بهذه الاية على ان الملئكة افضل
من الانبياء لانه قال ولا اقول لكم انى ملك فلولا ان الملئكة افضل واعلى منزلة ما جاز ذلك وهذا
ليس بشئ لان الفضل الذى هو كثرة الثواب لا معنى له ههنا وانما المراد ولا اقول انى ملك
فاشاهد من امر الله وغيبه عن العباد ما يشاهده الملئكة المقربون المخصوصون بملكوت السموات
وان لم يكن فى ذلك استحقاق ثواب زايد **قوله** تعالى وَاَنْذِرْ بِهِ الَّذِيْنَ يَخَافُوْنَ اَنْ يُحْشَرُوْا اِلٰى
رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُوْنِهٖ وَلِيٌّ وَّلَا شَفِيْعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُوْنَ اية بلا خلاف **اقول** امر الله تعالى نبيه
صلى الله عليه ان ينذر بهذه الايات اى يخوفهم بها من هو مقر بالبعث والنشور من المؤمنين ومن
يقر بذلك من الكفار ويعتقد وانه لا معونة عند الشركاء يومئذ لان الامر هناك له تعالى وحده
وقد كان خلق من مشركى العرب يعتقدون ذلك فامر الله ان يخص هؤلاء بالانذار لان الحجة
لهم الزم وان كانت لازمة للجميع وقوله يخافون ان يحشروا الى ربهم اى يعلمون ذلك فهم خائفون
منه اى عاملون بما يؤديهم الى السلام عنده وقال الفراء يخافون الحشر الى ربهم علما بانه سيكون
فلذلك فسر المفسرون يخافون بمعنى يعلمون وقال الجبائى امر الله ان يخوف بالعقاب من هو
خائف لانه صلى الله عليه لما اعلمهم ان الله يعذبهم بكفرهم اذا حشروا كانوا يخافون الحشر لكونهم شاكين
فيما اخبرهم به النبى صلى الله عليه من الحشر والعذاب وكانوا يخافون ذلك لشكهم فيه وان كانوا غير مؤمنين
والاول قول البلخى والزجاج وقوله ليس لهم من دونه ولى ومن يدفع عنهم ما يريد الله انزاله
بهم من عذابه وعقوبته ولا شفيع يدفع بشفاعته عنهم ما يريد الله انزاله بهم من ذلك على ما
قالت النصارى انهم ابناء الله واحباؤه وقوله لعلهم يتقون اى لكى يتقوا معاصيه الهاء فى قوله
به قال الزجاج راجعة الى القرآن وقال الجبائى راجعة الى العذاب وقال البلخى راجعة الى الذكر
قوله تعالى وَلَا تَطْرُدِ الَّذِيْنَ يَدْعُوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَدٰوةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيْدُوْنَ وَجْهَهٗ مَا عَلَيْكَ مِنْ
حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَّمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُوْنَ مِنَ الظّٰلِمِيْنَ اية بلا خلاف
اقول قرأ ابن عامر بالغدوة هنا وفى الكهف بضم الغين واسكان الدال واثبات واو بعدها
الباقون بفتح الغين والدال واثبات الف بعد الدال سبب نزول هذه الاية ما رواه ابن مسعود
وغيره ان ملأ من قريش وقال الفراء من الكفار منهم عيينة بن حصين قالوا يا رسول الله لو نحيت هؤلاء
عنك لاتاك اشراف قومك واسلموا وكان ذلك خديعة منهم له وكان الله تعالى عالما بنواطنهم
فامر الله تعالى نبيه ان لا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يعنى انه نهاه عن طردهم لانهم
يريدون باسلامهم ودعائهم وجه الله قال الضحاك يدعون ربهم بالغداة والعشى يعنى بذلك
الصلوة المفروضة فى هذين الوقتين وقال ابرهيم هم اهل الذكر وقال قوم الدعاء ههنا هو
التحميد والتسبيح وقوله يريدون وجهه شهادة للمتقين بالاية بالاخلاص وانهم يريدون بعبادتهم
الله خالصا وقال البلخى قراءة ابن عامر غلط لان العرب اذا دخلت الالف واللام قالت الغداة يقولون
رايتك بالغداة ولا يقولون بالغدوة فاذا نزعوا الالف واللام قالوا رايتك غدوة وانما كتبت
بالواو فى المصحف كما كتبوا الصلوة والزكوة والحيوة كذلك قال ابو على الفارسى الوجه الغداة
لانها تستعمل نكرة وتتعرف باللام فاما غدوة فمعرفة ابدا وهو علم صيغ له قال سيبويه غدوة
وبكرة جعل كل واحد منهما اسما للجنس كما جعلوا ام حبين اسما لدابة معروفة كذلك هذا ووجه قراءة
ابن عامر ان سيبويه قال زعم الخليل انه يجوز ان يقول اتيتك اليوم غدوة وبكرة فجعلها بمنزلة ضحوة
وقوله فتطردهم نصبا لدال لانه جواب النفى فى قوله ما عليك من حسابهم ونصب فتكون لانه جواب
لقوله ولا تطرد الذين فتكون من الظالمين ما عليك من حسابهم من شئ قال قوم يعنى من حساب
رزقهم فى الدنيا ليس رزقهم فى يديك ولا رزقك فى ايديهم بل الله رازق الجميع وقال الجبائى وهو

الاظهر ما عليك من اعمالهم ولا عليهم من اعمالك بل كل واحد يؤاخذ بعمله ويجازى على فعله لا على
فعل غيره وقوله فتطردهم فتكون من الظالمين اخبار منه تعالى انه لو طرد هؤلاء تقربا الى الكبراء منهم
كان بذلك ظالما والنبى عليه السلام وان لم يقدم على القبيح جاز ان ينهى عنه لانه قادر عليه لمكان
النهى والزجر يمتنع منه كما قال تعالى لئن اشركت ليحبطن عملك وان كان الشرك مأمونا منه
قوله تعالى وَكَذٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِّيَقُوْلُوْٓا اَهٰٓؤُلَآءِ مَنَّ اللّٰهُ عَلَيْهِمْ مِّنْۢ بَيْنِنَا اَلَيْسَ اللّٰهُ
بِاَعْلَمَ بِالشّٰكِرِيْنَ اية بلا خلاف **اقول** معنى الاية انه تعالى اخبر انه يمتحن الفقراء بالاغنياء
والاغنياء بالفقراء فيختبر صبر الفقراء على ما يرون من حال الاغنياء واعراضهم عنهم الى طاعة
الرسل ويختبر شكر الاغنياء واقرارهم لمن يسبقهم من الفقراء والموالى والعبيد الى الايمان بالرسل
فى الدين والتقدم فيه وقوله ليقولوا اهؤلاء من الله عليهم من بيننا فليس المراد باللام لام الغرض
لان الله لو قصد ذلك لكان قد قصد بما فعل ان يقولوا بهذا القول فيكفروا به ويعصوا وتعالى
الله عن ذلك فكيف يقصده وقد عابه ولا عابهم به لكن اللام لام العاقبة والمعنى انى فعلت ذلك بهم
ليصبروا ويشكروا فكان عاقبة امرهم ان قالوا اهؤلاء من الله عليهم من بيننا ومثله قوله فالتقطه آل
فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا وقال الشاعر شعر واما سماك فلا تجزعى
فللثكل ما تلد الوالدة والذى قال اهؤلاء من الله عليهم من بيننا هو عيينة بن حصين واصحابه وقال
الزجاج اى ليقول الكبراء اهؤلاء من الله عليهم من بيننا اى ليكون ذلك اية بينة انهم اتبعوا الرسول
وصبروا على الشدة فى حال شديدة وقال ابو على الجبائى معنى قوله فتنا بعضهم ببعض اى شددنا
التكليف على اشراف العرب وكبرائهم بان امرناهم بالايمان برسول الله وبتقديم هؤلاء الضعفاء
على نفوسهم لتقدمهم اياهم فى الايمان وكونهم افضل عند الله وهذا امر كان شاقا عليهم فلذلك
سماه الله فتنة وقوله ليقولوا اهؤلاء من الله عليهم من بيننا اى فعلنا هذا بهم ليقول بعضهم لبعض
على وجه الاستفهام منه لا على وجه الانكار اهؤلاء من الله عليهم من بيننا يعنى بالايمان اذا راوا
النبى صلى الله عليه يقدم هؤلاء عليهم ويفضلهم وليرضوا بذلك من فعل رسول الله ولم يجعل هذه
الفتنة والشدة فى التكليف ليقولوا ذلك على وجه الانكار لان انكارهم لذلك كفر بالله ومعصية
والله تعالى لا يريد ذلك ولا يرضاه لانه لو اراد ذلك منهم وفعلوه كانوا مطيعين له لا عاصين فقد ثبت
خلافه وقوله اليس الله باعلم بالشاكرين معناه ان الله تعالى اعلم بالشاكرين له ولنعمه من خلقه
فيجازيهم على ذلك بما يستحقونه من الثواب والتعظيم والاجلال والشاكرون المعنيون بالاية هم
هؤلاء الضعفاء ويدخل معهم فى ذلك ساير المؤمنين فان قيل فعلى هذا الوجه الذى ذكرتموه
قد وجد من الكفار القول على ما اراده فيجب ان يكونوا مطيعين قلنا ليس فى الاية ذلك وانهم على
اى وجه قالوه على وجه الانكار او على وجه الاستفهام وانما بين انه فعل بهم ليقولوا ذلك على وجه
الاستفهام لا على وجه الانكار فان كانوا قالوه على ما اراده الله فهم مطيعون وان قالوه منكرين
فهم عصاة فلما علمنا ان الله تعالى ذمهم بهذا القول علمنا انهم لم يقولوه على الوجه المراد منهم انما
قالوه على خلاف ما اريد منهم **قوله** تعالى وَاِذَا جَآءَكَ الَّذِيْنَ يُؤْمِنُوْنَ فَقُلْ سَلٰمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ
رَبُّكُمْ عَلٰى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ اَنَّهٗ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوْٓءًۢا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْۢ بَعْدِهٖ وَاَصْلَحَ فَاَنَّهٗ غَفُوْرٌ رَّحِيْمٌ
اية **اقول** قرأ ابن عامر وعاصم ويعقوب انه من عمل فانه غفور رحيم بفتح الهمزة فيهما وافقهم
اهل المدينة فى الاولى منهما الباقون بالكسر فيهما قال ابو على الفارسى من كسر انه الاول جعلها
تفسيرا للرحمة كما ان قوله لهم مغفرة واجر كريم تفسير للوعد واما كسر ان فى قوله فانه غفور
رحيم فلان ما بعد الفاء حكمه الابتداء ومن ثم حمل قوله ومن عاد فينتقم الله منه على ارادة المبتدا
بعد الفاء وحذفه ومن فتح ان من فى قوله انه فانه جعل ان الاولى بدلا من الرحمة كانه قال كتب ربكم

٧٣

على نفسه الرحمة انه من عمل منكم واما فتحها بعد الفاء فانه غفور رحيم فعلى انه اضمر له خبرا
فتقديره فله انه غفور رحيم اى فله غفرانه او اضمر مبتدا يكون ان خبره كانه قال فامره انه غفور
رحيم واما قراءة نافع كتب انّه فانّه فالقول فيهما انه ابدل من الرحمة واستانف ما بعد الفاء
قال سيبويه بلغنا ان الاعرج قرا انّه من عمل فانّه غفور رحيم ونظيره قول ابن مقبل شعر

وانّى اذا ملت ركابى مناخها
فانّى على حظى من الامر جامح

يريد ان قوله وانّى اذا ملت ركابى محمول على ما قبله كما ان قوله انّه من عمل محمول على ما قبله وقوله
فانّى على حظى مستانف مثل قوله فانه غفور رحيم مستانف به منقطع على عما قبله قال الفراء واختاره
الزجاج ويجوز ان يحمل فانه على التكرار قال لان الكتاب يحتاج الى انّ مرة واحدة ولكن الخبر هو
موضعها فلما دخلت فى ابتداء الكلام اعيدت الى موضعها كما قال ايعدكم انكم اذا متم وكنتم
ترابا وعظاما انكم مخرجون فلما كان موضع انّ ايعدكم انكم مخرجون اذا متم دخلت فى اول الكلام
واخره ومثله كتب عليه انّه من تولاه فانّه يضله بالفتح ومثله الم يعلموا انه من يحادد الله ورسوله
فانّ له قال للك ان تكسر انّ بعد الفاء فى هذه الاحرف قال ابو على هذا غير صحيح لانّ من لا يخلو
من ان يكون للجزاء الجازم الذى فى اللفظ عليه او يكون موصولة ولا يجوز ان يقدر التكرار مع
الموصولة لو كانت موصولة لبقاء المبتدأ بلا خبر ولا يجوز ذلك فى الجزاء الجازم لان الشرط يبقى بلا
جزاء على ان ثبات الفاء العاطفة ولا التى للجزاء فان قيل هى زايدة بقى الشرط بلا جزاء فاذا بطل دال على الجزاء لا
الامر ان ثبت ما قدمناه واما من كسرهما فعلى مذهب الحكاية كانه لما قال كتب ربكم على نفسه
الرحمة قال انه من عمل منكم سوء بجهالة ثم تاب من بعده واصلح فانه غفور رحيم بالكسر ودخلت
الفاء جوابا للجزاء هذه الاية متصلة بالاولى نهى الله تعالى النبى عليه السلام فى الاولى عن ان يطردهم
ثم امره فى هذه ان يقول لمن ورد عليه منهم اعنى المؤمنين المصدقين بايات الله وحججه وبراهينه
عربيا كان او عجميا ضعيفا كان او قويا سلام عليكم فيبدأهم بالتحية ويبشرهم بالرحمة ويقوى قلوبهم
ويعرفهم ان من اذنب منهم ثم تاب فتوبته مقبولة كل ذلك خلافا على الكافرين فيما ارادوه عليه من
طردهم والغلظة عليهم وقال محمد بن يزيد السلم فى اللغة اربعة اشياء احدها سلمت سلاما مصدر
وثانيها السلام جمع سلامة وثالثها السلام من اسماء الله ورابعها السلام شجر ومعنى السلام الذى
هو مصدر سلمت دعاء للانسان ان يسلم فى دينه ونفسه ومعناه التخليص والسلام الذى هو اسم
الله معناه ذو السلام اى الذى يملك السلام الذى هو تخليص من المكروه والسلام الذى هو
الشجر فهو شجر عظيم سمى بذلك لسلامته من الافات والسلام حجارة صلبة لسلامتها من الرخاوة
ويسمى الصلح السلام والسلم والسلم جدا لان معناه السلامة من الشر والسلام ركو لها
عروة واحدة نحو دلو السقائين والسلام السبب الى الشئ والسلم الذى يرتقى عليه انه سوء لا من عمل منكم
لو ان المسلم ما يجهل انه سوء لكان كمن لم يتعمد سوء ولم يوقع سوء ويحتمل الاية امرين احدهما انه عمله
وهو جاهل بالمكروه فيه اى لم يعرف ان فيه مكروها والاخر انه اقدم مع علمه ان عاقبته مكروهة
فاثر العاجل فجعل جاهلا بانه اثر القليل على الراحة الكثيرة والعاقبة الدائمة ويحتمل عندى ان يكون
اراد من عمل منكم سوء بجهالة بمعنى انه لا يعرف فيها سوء لكن لما كان له طريق الى معرفته وجب عليه التوبة
منه فاذا تاب قبل الله توبته فان قيل قوله واصلح هل فعل الصلاح شرط فى قبول التوبة او لا فان
لم يكن شرطا فلم علق الغفران بمجموعهما قيل لا خلاف ان التوبة متى حصلت على شرايطها التى قدمنا
ذكرها فى غير موضع فانه يقبل التوبة ويسقط العقاب وان لم يعمل بعدها عملا صالحا غير انه اذا
تاب وبقى بعد التوبة فان لم يعمل العمل الصالح عاد الى الاصرار لانه لا يخلو فى كل حال من واجب
عليه او ندب من تجديد معرفة الله ومعرفة نبيه وغير ذلك من المعارف وكثير من افعال الجوارح فما

ان قدرنا

٧٤

ان قدرنا احترامه عقيب التوبة من غير فعل صلاح فان الرحمة باسقاط العقاب يلحقه بلا خلاف
قوله تعالى وَكَذٰلِكَ نُفَصِّلُ الْاٰيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ اية بلا خلاف اقول قرا اهل
الكوفة الا حفصا وليستبين بالياء الباقون بالتاء وقرا اهل المدينة سبيل بالنصب الباقون بالرفع
من قرا بالتاء ورفع السبيل فلان السبيل يذكر ويؤنث فالتذكير لغة تميم والتانيث لغة اهل الحجاز
فانث ههنا كما قال قل هذه سبيلى ومن قرا بالياء فانه ذكر السبيل لانه الطريق وهو يذكر كما قال
وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا فذكر ومن قرا بالتاء ونصب السبيل اراد ان يكون خطابا
للنبى عليه السلام كانه قال ولتستبين انت يا محمد سبيل المجرمين فالنبى عليه السلام وان كان مستبينا الطريق
المجرمين عالما به فيجوز ان يكون ذلك على وجه التاكيد ولان يستديم ذلك ويحتمل ان يكون المراد
به الامة فكانه قال ليزداد استبانة ولم يحتج ان يقول ولتستبين سبيل المؤمنين لان سبيل المجرمين
اذا بانت فقد بان معها سبيل المؤمنين لانها خلافها ويجوز ان يكون المراد ولتستبين سبيل المجرمين
ولتستبين سبيل المؤمنين وحذف احدى الجملتين لدلالة الكلام عليه كما قال سرابيل تقيكم الحر
ولم يقل تقيكم البرد لان الساتر يستر من الحر والبرد لكن جرى ذكر الحر لانهم كانوا فى مكانهم اكثر
معاناة لهم من البرد وكذلك سبيل المجرمين خص بالذكر لان الكلام فى وصفهم وترك ذكر المؤمنين
لدلالة الكلام عليه وهذه الاية معطوفة على الايات التى احتج الله بها على مشركى العرب وغيرهم فلذلك
قال وكذلك اى كما قدمنا نفصل الايات اى نميزها ونبينها ونشرحها ليلزمهم الحجة ولتستبين
سبيل من عاند بعد البيان او ذهب عن فهم ذلك بالاعراض عنه لمن اراد التفهم منهم ومن المؤمنين
ليجانبوها ويسلكوا غيرها قوله تعالى قُلْ اِنِّى نُهِيتُ اَنْ اَعْبُدَ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللّٰهِ قُلْ
لَا اَتَّبِعُ اَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ اِذًا وَمَا اَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ اية بلا خلاف اقول روى عن يحيى بن
وثاب انه قرا ضللت بكسر اللام والقراء كلهم على فتحها وهما لغتان فمن كسر اللام فتح الضاد من وثاب
يضل ومن فتح اللام كسر الضاد يقال يضل وقال ابو عبيدة اللغة الغالبة بالفتح وروى ابو العالية
ان النبى عليه السلام قرا هذه الاية عند الكعبة واظهر لهم المفارقة وهذه الاية فيها خطاب للنبى
عليه السلام وامر له بان يقول للكافرين ان الله قد نهانى ان اعبد هذه الاوثان التى تعبدونها من دون
الله وتدعونها الهة وانها تقربكم الى الله زلفى وان يقول لهم انى لا اتبع اهواءكم فى عبادة الاوثان
وانى لو فعلت ذلك لكنت قد ضللت عن الصواب وبعدت عن الرشد ولم اكن من المهتدين الى
الخير والصلاح ومعناه معنى الشرط وتقديره قد ضللت ان عبدتها وقال الزجاج وما انا من
المهتدين وما انا من النبيين الذين سلكوا طريق الهدى قوله تعالى قُلْ اِنِّى عَلٰى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّى
وَكَذَّبْتُمْ بِهِ مَا عِنْدِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ اِنِ الْحُكْمُ اِلَّا لِلّٰهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ اية بلا
خلاف اقول قرا اهل الحجاز وعاصم يقص الحق وهو خير من القصص وهو المروى عن
ابن عباس ومجاهد الباقون بالضاد المعجمة من فوقها من القضاء وكان ابو عمرو يقوى القراءة
بالضاد بقوله وهو خير الفاصلين ويقول الفصل فى القضاء لا فى القصص وقوى ذلك بقوله
والله يقضى الحق وهو يهدى السبيل وحجة من قرا بالصاد قوله نقص عليك احسن القصص و
قوله ان هذا لهو القصص واما الفصل الذى قرابه ابو عمرو وقراءته فقد جاء الفصل فى القول
كما جاء فى الحكم والقضاء فى نحو قوله انه لقول فصل وقال احكمت اياته ثم فصلت وقال نفصل
الايات وقال لقد كان فى قصصهم عبرة لاولى الالباب ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق
الذى بين يديه وتفصيل كل شئ فذكر فى القصص انه تفصيل والحق فى قوله يقضى الحق
يحتمل امرين احدهما ان يكون صفة لمصدر محذوف وتقديره يقضى القضاء الحق او يقص
القصص الحق والثانى ان يكون مفعولا به مثل يفعل الحق كقول الهذلى شعر

وعليهما

وعليهما مسرو دتان قضاهما   داود او صنع السوابغ تبع

اى صنعهما داود   وفى هذه الاية امر من الله لنبيه ان يقول للكفار انه على بينة من ربه اى على
امر بين من معرفة الله وصحة نبوته لا متبع للهوى وقوله وكذبتم به الهاء راجعة الى البيان لان البينة
والبيان واحد وتقديره وكذبتم بالبيان الذى هو القران وقال قوم بينة من ربى من نبوتى و
كذبتم به يعنى بالله وعلى الاول يكون تقديره كذبتم بما اتيتكم لانه هو التبيان وقوله ما عندى ما
تستعجلون به ما بمعنى ليس والذى استعجلوا به يحتمل امرين احدهما العذاب كما قال ويستعجلونك
بالعذاب والثانى ان يكون استعجلوا الايات التى اقترحوها عليه فاعلمهم الله ان ذلك عند الله
وان الحكم له تعالى يقضى الحق وهو خير الفاصلين وكتبت يقضى بغير ياء لانها سقطت فى اللفظ
لالتقاء الساكنين كما كتبوا سندع الزبانية بغير واو ومن قرا بالصاد من القصص حمله على ان
جميع ما انبأ به وامر به فهو من اقاصيص الحق وقال الحسن البينة النبوة وكذبتم به بالنبوة التى جاء
من عند الله وما تستعجلون بالعذاب وفى قراءة ابن مسعود يقص بالحق ولم يقرأ به احد وقوله
يقضى بالحق يدل على بطلان قول من يقول ان الظلم والجور بقضاء الله لان ذلك كله ليس بحق
قوله تعالى قُلْ لَوْ اَنَّ عِنْدِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهٖ لَقُضِىَ الْاَمْرُ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَاللّٰهُ اَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ
اية   **اقول** امر الله تعالى نبيه ان يقول للكفار لو كان عندى ما تستعجلون به من كون العذاب
وانزاله بكم برائى وارادتى لفعلت ذلك بكم ولانزلته عليكم ولقضى الامر بينى وبينكم بذلك وانفصل
وانقطع ولكن ليس ذلك بيدى الى وانما هو الى الله والله اعلم بالظالمين ومن ينبغى امهاله منهم ومن يجب
معاجلته بالعقوبة فهو يدبر ذلك بحسب ما يعلم من وجه الحكم والصواب **قوله** تعالى وَعِنْدَهٗ
مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا اِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِى الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ اِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى
ظُلُمَاتِ الْاَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ اِلَّا فِى كِتَابٍ مُبِينٍ   اية بلا خلاف   وهى تمام السبع المثانى
اقول مفاتح الغيب معناه الامور التى بها يستدل على الغايب فيعلم حقيقته يقال فتحت
على الرجل اى عرفته اوّلا يستدل به على اخر وجملة تعرف بها التفصيل ومنه قولهم افتح علىّ اى
عرّفنى قال الزجاج معناه وعنده الوصلة الى علم الغيب وكل ما لا يعلم اذا استعلم وروى عن ابن
عمران رسول الله صلى الله عليه واله قال مفاتح الغيب خمس لا يعلمها الا الله ان الله عنده علم
الساعة وينزل الغيث ويعلم ما فى الارحام وما تدرى نفس ما ذا تكسب غدا وما تدرى نفس
باى ارض تموت ومعنى الاية ان الله تعالى عالم بكل شئ من مبتدآت الامور وعواقبها فهو يعجل
ما تعجيله اصلح واصوب ويؤخر ما تاخيره اصلح واصوب وانه الذى يفتح باب العلم لمن يريد
اعلامه شيئا من ذلك من انبيائه وعباده لانه لا يعلم الغيب سواه فلا يتهيأ لاحد ان يعلم العباد
ذلك ولا ان يفتح لهم باب العلم به الا الله وبين انه يعلم ما فى البر والبحر من الحيوان والجماد وبين
انه ما تسقط من ورقة من شجرة الا يعلمها ولا حبة فى جوف الارض وفى ظلماتها الا ويعلمها ولا
رطب ولا يابس جميع اصناف الاجسام لانها اجمع لا تخلو من احدى هاتين الصفتين وقوله وما
تسقط من ورقة الا يعلمها المعنى انه يعلمها ساقطة وثابتة كما يقول ما يجيئك احد الا وانا اعرفه
معناه الا وانا اعرفه فى حال مجيئه ولا حبة فى ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس جر على ويجوز
الرفع فيهما على معنى ولا تسقط ورقة ولا حبة ويجوز ان يرفعه على الابتداء ويقطعه عن الاول ويكون
خبره الا فى كتاب مبين وقوله فى كتاب مبين يحتمل امرين احدهما ان يكون معناه فى علم الله مبين
وثانيهما ان يكون فى كتاب مبين ان يكون الله تعالى اثبت ذلك فى كتاب قبل ان يخلق كما قال ما
اصاب من مصيبة فى الارض ولا فى انفسكم الا فى كتاب من قبل ان نبرأها ويكون الغرض بذلك
اعلام الملئكة انه علام الغيوب ليدل على انه عالم بالاشياء قبل كونها ويجوز ان يكون المراد بذلك

انه كتب جميع ما يكون ثم امتحن الملئكة بكتبه وتعبدهم باحصائه كما تعبد سائر خلقه بما يشاء مما فيه
صلاحهم وقال البلخى فى كتاب مبين اى هو محفوظ غير منسى ولا مغفول كما يقول القائل لصاحبه ما تصنعه
عندى مسطر مكتوب وانما يريد بذلك انه حافظ له يريد مكافاته عليه   قال الشاعر
ان لسلمى عندنا ديوانا   ويجوز ان يكون المراد بذكر الورقة والحبة والرطب واليابس
التوكيد فى الزجر عن المعاصى والحث على البر والتخويف لخلقه بانه اذا كانت هذه الاشياء
التى لا ثواب فيها ولا عقاب عليها محصاة عنده محفوظة مكتوبة فاعمالكم التى فيها الثواب والعقاب
اولى وهو قول الحسن وقال مجاهد البرّ القفار والبحر كل قرية فيها ماء وعن ابى عبد الله الورقة
السقط والحبة الولد   ظلمات الارض الارحام والرطب ما يبقى ويحيى واليابس ما تغيض
قوله تعالى وَهُوَ الَّذِى يَتَوَفّٰيكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضٰى اَجَلٌ
مُسَمًّى ثُمَّ اِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ   اية بلا خلاف   **اقول** قوله وهو كناية عن
الله تعالى والذى صفة له يتوفيكم بالليل قيل فى معناه قولان احدهما قال الجبائى يقبضكم و
قال الزجاج ينيمكم بالليل فيقبضكم الله اليه كما قال الله يتوفى الانفس حين موتها وقال البلخى
واختاره الحسين بن على المغربى يتوفيكم بمعنى يحصيكم عند منامكم واستقراركم قال الشاعر

ان بنى ادم ليسوا من احد   ليسوا الى قيس وليسوا من اسد
ولا توفاهم قريش فى العدد   معناه لا يحصيهم فى العدد

وقوله ويعلم ما جرحتم بالنهار اى كسبتم يقول فلان جارحة اهله اى كاسبهم ومنه قوله وما علمتم
من الجوارح مكلبين اى من الكواسب التى يكسب على اهلها وهو قول مجاهد وقوله ثم يبعثكم فيه
اى فى النهار فجعل انتباهم من النوم بعثا ليقضى اجل مسمى ليستوفى الاجل المسمى للحيوة الى حين
الموت ثم اليه مرجعكم يعنى يوم القيمة فيحشرهم الله الى حيث لا يملك فيه الامر سواه ثم ينبئكم يعنى
يخبركم ويعلمكم بما كنتم تعملون فى الدنيا فيجازيكم على اعمالكم وفيها دلالة على خزيهم واحتجاج
عليهم انه لا يستحق العبادة سواه اذ كان هو الفاعل لجميع ما يستحق به العبادة مما عدده والقادر
عليه دون من يعبد ونه من الاوثان والاصنام **قوله** تعالى وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهٖ وَيُرْسِلُ
عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتّٰى اِذَا جَاءَ اَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ   ثُمَّ رُدُّوا اِلَى اللّٰهِ مَوْلٰيهُمُ
الْحَقِّ اَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ اَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ   اثنان عند الجميع **اقول** كلهم قرا توفته رسلنا بالتاء
الا حمزة فانه قرا توفاه   حجة من قرا بالتاء قوله كذبت رسل من قبلك وقوله اذ جاءتهم الرسل من
بين ايديهم وجاءتهم رسلهم بالبينات وقالت رسلهم وحجة حمزة انه فعل متقدم مسند الى مؤنث
غير حقيقى وانما التانيث للجمع فهو مثل قوله وقال نسوة فى المدينة وما اشبه ذلك مما يانيثه تانيث
الجمع قال وليس ذلك خلافا للمصحف لان الالف الممالة تكتب ياء قوله وهو القاهر معناه والله المقتدر
المستعلى على عباده الذين هو فوقهم لا على انه فى مكان مرتفع فوقهم وفوق مكانهم لان ذلك لا
يجوز عليه لانه صفة للاجسام ومثله فى اللغة امر فلان فوق امر فلان يراد به انه اعلى امرا وانفذ قولا
ومثله قوله تعالى يد الله فوق ايديهم والمراد به انه اقوى واقدر منهم وانه القاهر لهم وقوله و
يرسل عليكم حفظة يعنى يرسل عليكم ملائكة يحفظون اعمالكم ويحصونها عليكم ويكتبونها ليعلموا
بذلك ان عليهم رقيبا من عند الله ومحصيا عليهم فينزجروا عن المعاصى وبين ان هؤلاء الحفظة
هم شهداء عليكم بهذه الاعمال يوم القيمة وقوله حتى اذا جاء احدكم الموت   يعنى وقت الموت
توفته رسلنا يعنى قبضت الملئكة روح المتوفى وهم رسل الله الذين عناهم الله بهذه الاية و
قال الحسن توفته رسلنا قال هو ملك الموت واعوانه وانهم لا يعلمون اجال العباد حتى ياتيهم
علم ذلك من قبل الله بقبض ارواح العباد وقوله توفته رسلنا اى تقبضه والتوفى هو القبض على

مابيناه ثم ان هؤلاء الرسل لا يفرطون اى لا يقصرون فى قول الزجاج ولا يغفلون ولا
يتوانون وقال الجبائى لا ياخذون روحه قبل اجله الى ما امروا به من غير تقصير ولا تفريط والمعنى
فى التوفى ان يعلم العباد انهم يحصون اذا ماتوا فلا يرون انهم يهملون اذا ماتوا وان احدا منهم لا
يثبت ذكره ليجازى بعمله ثم بين ان هؤلاء الذين توفاهم رسلنا يردون بعد الوفاة الى الله فيردهم
الى الموضع الذى لا يملك الحكم عليهم فيه الا الله ولا يملك نفعهم ولا ضرهم سواه فجعل ردهم
الى ذلك الموضع ردا الى الله وبين انه هو مولاهم الحق لانه خالقهم ومالكهم والقاهر عليهم القادر
على نفعهم وضرهم ولا يجوز ان يوصف بهذه الصفة سواه فلذلك كان مولاهم الحق وقال البلخى
الحق اسم من اسماء الله وهو خفض لانه نعت لله ويجوز الرفع على معنى الله مولاهم الحق ويجوز ان
ينصب على معنى يعنى مولاهم والقراءة بالخفض وقوله الا له الحكم معناه الا يعلمون او لا يقرون ان
الحكم يوم القيمة هو له وحده ولا يملك الحكم فى ذلك اليوم سواه كما قد يملك الحكم فى الدنيا غيره
بتمليك الله اياه وقوله وهو اسرع الحاسبين روى انه تعالى يحاسب عباده على مقدار حلب شاة
وذلك يدل على انه لا يحتاج ان يكلفهم مشقة والرد على ما يقوله المشبهة لانه لو كان كذلك لاحتاج
ان يتطاول زمان محاسبته او انه يشغله محاسبته عن محاسبة غيره وروى عن امير المؤمنين عليه السلام انه
قيل له كيف يحاسب الله الخلق وهم لا يرونه قال كما يرزقهم وهم لا يرونه والمعنى فى الاية انه تعالى احصى
الحاسبين لما احصى الملئكة وتوقوا من الانفس وتخفى عليه من ذلك خافية ولا يحتاج فى عدة الى فكر و
نظر **قوله** تعالى قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ
هٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ قُلِ اللّٰهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ اثنان بلا
خلاف **اقول** قرا يعقوب قل من ينجيكم مخففا الباقون بالتشديد وقرا ابو بكر وخفية بكسر
الخاء ههنا وفى الاعراف وقرا اهل الكوفة الا ابن شاهى انجانا على لفظ الاخبار عن الواحد
الغايب واماله حمزة والكسائى وخففه الباقون انجيتنا على وجه الخطاب وقرا اهل الكوفة الا
العبسى وهشام وابو جعفر قل الله ينجيكم بالتشديد الباقون بالتخفيف يقال نجا زيد ينجو قال
الشاعر نجا سالم والنفس منه لشدقه فاذا نقلت الفعل حسن ان تنقله بالهمزة
فتقول انجيته ويجوز ان تنقله بتضعيف العين فتقول نجيته ومثله فرحته وافرحته وغرمته واغرمته
قال الله تعالى فانجيه الله من النار فانجيناه والذين معه وقال ونجينا الذين فلما استوت اللغتان
وجاء التنزيل بهما تفاوت القراءتان ووجه قراءة من قرا لئن انجانا انه حمله على الغيبة كقوله
تدعونه لئن انجانا وكذلك ما بعده قل الله ينجيكم قل هو القادر فهذا كله اسماء غيبة فانجينا اولى
من انجيتنا لكونه على ما قبله وما بعده من لفظ الغيبة وموضع يدعونه نصب على الحال وتقديره
قل من ينجيكم داعين وقائلين لئن انجيتنا ومن قرا من الكوفيين لئن انجانا طلب المشاكلة ومن قرا
بالتاء وجهه بالخطاب ولم يراع المشاكلة ويقوى ذلك قوله فى اخرى لئن انجيتنا من هذه لنكونن
من الشاكرين قل الله ينجيكم فجاء انجيتنا على الخطاب وبعده اسم غيبة واما امالة حمزة والكسائى
فحسنة لان هذا النحو من الفعل اذا كان على اربعة احرف استمرت فيه الامالة لانقلاب الالف ياء فى
المضارع ومن قرا خفية بكسر الخاء فلان ابا عبيدة قال خفية تخفون فى انفسكم وخفى غيره خفية
خفية لغتان وحكى خفوة وخفوة بالواو كما قالوا حال احل حول وجيئة ولا يقرا بذلك فاما قوله تضرعا
وخيفة فعلة من الخوف وانقلبت الواو للكسرة والمعنى ادعوا خائفين وخفين قال الشاعر
فلا تقعدن على زخة وتضمر فى القلب وجدا وخيفا
يريد جمع خيفة امر الله تعالى نبيه ان يخاطب الخلق ويقول لهم على وجه التقريع لمن يعبد الاصنام
منهم من ينجيكم من ظلمات البر والبحر ومعناه شدائد البر والبحر يقول العرب لليوم الذى يلقى فيه

الشدة يوم مظلم حتى انهم يقولون يوم ذو كواكب اى قد اشتدت ظلمته حتى صار كالليل قال الشاعر
بنى اسد هل تعلمون بلاءنا اذا كان يوما ذو كواكب اشهبا
وقال اخر شعر فدى لبنى ذهل بن شيبان ناقتى اذا كان يوما ذو كواكب اشنعا
فمعنا ظلمات البر والبحر شدائدهما وقوله تدعونه تضرعا وخفية اى مظهرين الضراعة وهى شدة
الفقر الى الشئ والحاجة وتدعونه خفية اى تدعونه فى انفسكم بما تضمرون من حاجتكم اليه كما
تظهرون وقوله لئن انجيتنا من هذه اى فى شدة وقعتم فيها يقولون لئن انجيتنا من هذه لنشكرنك
فامر الله ان يسئلهم على وجه التوبيخ لهم والتقرير بانه ينجيهم وانه القادر على نفعهم وضرهم ثم اعلمهم
ان الله الذى اقروا بانه ينجيهم هو ينجيهم ثم هم يشركون معه الاصنام التى قد علموا انها من صنعتهم
وانها لا تضر ولا تنفع وانه تعالى على تعذيبهم قادر **قوله** تعالى قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ
عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ
الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ اية بلا خلاف **اقول** هذا امر من الله تعالى لنبيه عليه السلام ان يقول
لهؤلاء الكفار ان الله قادر على ان يبعث عذابا من فوقكم نحو الحجارة التى امطرها على قوم لوط و
الطوفان الذى غرق به قوم نوح او من تحت ارجلكم نحو الخسف الذى نال قارون ومن خسف به
او يلبسكم شيعا معنى يلبسكم يخلط امركم خلط اضطراب لا خلط اتفاق يقال لبست عليه الامر البسه
اذا لم تبينه وخلطت بعضه ببعض ومنه قوله وللبسنا عليهم ما يلبسون ويقال لبست الثوب البسه
ومعنى شيعا اى يجعلكم معنى قوله ويذيق بعضكم باس بعض وانما يلبسهم الله شيعا بان يكلهم
الى انفسهم ولا يلطف لهم اللطف الذى يؤمنون عنده ويخليهم من الطافه بذنوبهم السالفة فيلبس عند
ذلك عليهم امرهم فيختلفوا حتى يذوق بعضهم باس بعض ثم اكد الاحتجاج عليهم فقال انظر كيف
نصرف الايات ليفقهوا وقال الحسن الاية عامة ولا لاهل الكتابين فى التهديد بالخسف وانزال
العذاب او يلبسكم شيعا يتناول اهل الصلوة وقال قال رسول الله صلى الله عليه واله سالت ربى
ان لا يظهر على امتى اهل دين غيرهم فاعطانى وسالته ان لا يهلكهم جوعا فاعطانى وسالته ان لا يجمعهم
على ضلالة فاعطانى وسالته ان لا يلبسهم شيعا فمنعنى ذلك وفى الاية دلالة على انه تعالى اراد من
الكفار الايمان لانه قال فعلت هذا بهم لعلهم يفقهون ومعناه لكى يفقهوا لان معنى الشك لا يجوز
عليه تعالى واذا ثبت انها دخلت للغرض ثبت انه اراد ان يؤمنوا به ويوحدوه ويفقهوا ادلته ويعرفوها
وروى عن ابى عبد الله عليه السلام انه قال معنى عذابا من فوقكم السلطان الجابر ومن تحت ارجلكم
السفلة ومن لا خير فيه او يلبسكم شيعا قال العصبية ويذيق بعضكم باس بعض قال سوء الجوار و
يكون معنى البعث على هذا الوجه التمكين ورفع الحيلولة دون ان يفعل ذلك او يامر به تعالى الله
عن ذلك **قوله** تعالى وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ لِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ وَ
سَوْفَ تَعْلَمُونَ اية بلا خلاف فى المدنيين والبصرى واثنتان فى الكوفى فى اخر الاولى بوكيل **اقول** قوله
تعالى وكذب به قومك اى بما صرف من الايات التى ذكرها فى الاية الاولى فى قول البلخى والجبائى
وقال الازهرى الهاء راجعة الى القران ثم اخبر تعالى فقال وهو الحق وامره ان يقول لقومه لست
عليكم بوكيل اى لم اومر بمنعكم من التكذيب بايات الله وان احفظكم من ذلك وان احول بينكم وبينه
لان الوكيل على الشئ هو القائم بحفظه والذى يدفع الضرر عنه وقال البلخى هذه نزلت بمكة قبل ان
يؤمر بالقتال ثم امر فيما بعد بذلك وامره ان يخبرهم ان لكل نبأ يخبرهم به مستقر وهو وقته الذى
يعلمون فيه صحة ما وعدهم به وحقيقته وذلك عند كون مخبره اما فى الدنيا واما فى الاخرة وسوف
يعلمون فيه تهديد لهم بكون ما اخبرهم به من العذاب النازل بهم فى الدنيا والاخرة ووقت كون
هذا العذاب هو مستقر الخبر وقال بعضهم انباء الله بالوقت الذى يظفره فيه بهم وقال الزجاج

يجوز ان يكون اراد وقت الاذن فى محاربتهم حتى يدخلوا فى الاسلام او يقبلوا الجزية ان كانوا اهل كتاب وقوله وكذب به قومك المراد به الخصوص لان فى قومه جماعة صدقوا به وهو كما يقول القايل هؤلاء عشيرتى يشير الى جماعة وان لم يكونوا جميع عشيرته **قوله** تعالى وَاِذَا رَاَيْتَ الَّذِيْنَ يَخُوْضُوْنَ فِيْٓ اٰيٰتِنَا فَاَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتّٰى يَخُوْضُوْا فِيْ حَدِيْثٍ غَيْرِهٖ وَاِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرٰى مَعَ الْقَوْمِ الظّٰلِمِيْنَ اية بلا خلاف **اقول** قرا ابن عامر واما ينسينك بتشديد السين الباقون بالتخفيف خاطب الله تعالى نبيه بهذه الاية فقال له اذا رايت هؤلاء الكفار الذين يخوضون فى اياتنا قال الحسن وسعيد بن جبير معنى يخوضون يكذبون باياتنا ودينا والخوض التخليط فى المفاوضة على سبيل العبث واللعب وترك التفهم والتيقن ومثله قول القائل تركت القوم يخوضون اى ليسوا على سداد فهم يذهبون ويجيئون من غير تحقيق ولا قصد للواجب امره حينئذ ان يعرض عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره لان من حاج من هذه حاله واراد التبيين له فقد وضع الشئ فى غير موضعه وحط من قدر الدعاء والبيان والحجاج ثم قال له عليه السلم ان انساك الشيطان ذلك فلا تقعد بعد الذكرى والذكرى والذكر واحد مع القوم الظالمين يعنى هؤلاء الذين يخوضون فى ذكر الله واياته ثم رخص للمؤمنين بقوله وما على الذين يتقون من حسابهم بان يجالسوهم اذا كانوا مظهرين للنكير عليهم غير خائفين منهم ولكن ذكرى يذكرونهم اى ينبهونهم ان ذلك يسوءهم لعلهم يتقون ثم نسخ ذلك بقوله وقد نزل عليكم فى الكتاب ان اذا سمعتم ايات الله يكفر بها ويستهزئ بها الى قوله انكم اذا مثلهم وبهذا قال سعيد بن جبير والسدى وجعفر بن مبشر واختاره البلخى وقال فى اول الاسلام كان ذلك يخص النبى عليه السلم ورخص للمؤمنين فيه ثم لما عز الاسلام وكثر المؤمنون نهوا عن مجالستهم ونسخت الاية واستدل الجبائى بهذه الاية على انه لا يجوز على الائمة المعصومين على مذهبنا التقية[٢] فيما لا يعرف الا من جهته كالنبى وانما تجوز التقية عليه فيما يكون عليه دلالة قاطعة موصلة الى العلم لان المكلف علته مزاحة فى تكليفه وكذلك يجوز فى النبى عليه السلم ان لا يبين فى الحال لامته ما يقوم منه بيان منه او من الله او عليه دلالة عقلية ولذلك قال النبى عليه السلم لعمر حين سأله عن الكلالة فقال يكفيك اية الصيف واحال اخرى فى تعرف الوضوء على الاية[الاية الوضوء] فاما ما لا يعرف الا من جهته فهو والامام فيه سواء لا يجوز فيها التقية فى شئ من الاحكام واستدل الجبائى ايضا بالاية على ان الانبياء يجوز عليهم السهو والنسيان قال ما بخلاف ما يقوله الرافضة بزعمهم من انه لا يجوز عليهم شئ من ذلك وهذا ليس بصحيح ايضا لانا انما لا نجوز عليهم السهو والنسيان فيما يؤدونه عن الله فاما غير ذلك فانه يجوز ان ينسوه او يسهوا عنه مما لم يؤد ذلك الى الاخلال بكمال العقل وكيف لا يجوز عليهم ذلك وهم ينامون ويمرضون ويغشى عليهم والنوم سهو وينسون كثيرا من متصرفاتهم فلهم ايضا وما جرى لهم فيما مضى من الزمان والذى ظنه فاسد وقال ايضا فى الاية دلالة على وجوب انكار المنكر لانه تعالى امره بالاعراض عنهم على وجه الانكار والازراء لفعلهم وكل احد يجب عليه ذلك اقتداء بالنبى عليه السلم **قوله** تعالى وَمَا عَلَى الَّذِيْنَ يَتَّقُوْنَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِّنْ شَيْءٍ وَّلٰكِنْ ذِكْرٰى لَعَلَّهُمْ يَتَّقُوْنَ اية **اقول** لهذه الاية تاويلان احدهما قال الجبائى والزجاج واكثر المفسرين ان المراد ليس على المتقين من حساب الكافرين وما يخوض فيه المشركون ولا من مكروه عاقبته شئ ولكن ذكرى اى نهوا عن مجالستهم[مجالستهم] ليزدادوا تقى وامروا ان يذكروهم وينبهوهم على خطائهم لكى يتقى المشركون اذا راوا اعراض هؤلاء المؤمنين عنهم وتركهم مجالستهم فلا يعودون لذلك والثانى قال البلخى ليس على المتقين من الحساب يوم القيمة مكروه ولا تبعة ولكنه اعلمهم بانهم محاسبون وحكم بذلك عليهم لكى يعلموا ان الله يحاسبهم فيتقوا فعلى الاول الهاء والميم كناية عن الكفار وعلى الثانى

[٢] وهذا القول غير صحيح ولا مستقيم لان الامامية لا تجوز التقية على الامام

قال فى مجمع البيان فى سبب نزول اية الكلالة فى اخر سورة النساء بعد ذكر عدة اقوال ذكرها وقال ابن سيرين نزلت فى مسير كان فيه رسول الله واصحابه ثم قال وتسمى هذه الاية اية الصيف وذلك ان الله تعالى انزل فى الكلالة ايتين احديهما فى الشتاء وهى التى فى اول هذه السورة واخرى فى الصيف وهى هذه الاية وروى عن عمر بن الخطاب انه قال سئلت رسول الله صلى الله عليه وآله عن الكلالة فقال يكفيك او يجزيك اية الصيف

عن المؤمنين وذكرى يحتمل ان يكون فى موضع رفع ونصب فالنصب على تقدير ذكرهم ذكرى والرفع على وجهين احدهما ولكن عليكم ان يذكروهم كما قال ان عليك الا البلاغ والثانى على تقدير ولكن الذى يامرونهم به ذكرى ليتقوا عذاب الله وقال ابو جعفر عليه السلم لما نزلت فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين قال المسلمون كيف نصنع ان كان كلما استهزء المشركون بالقران قمنا وتركناهم فلا ندخل اذا المسجد الحرام ولا نطوف بالبيت الحرام فانزل الله تعالى وما على الذين يتقون من حسابهم من شئ وامرهم بتذكيرهم وتبصيرهم ما استطاعوا **قوله** تعالى وَذَرِ الَّذِيْنَ اتَّخَذُوْا دِيْنَهُمْ لَعِبًا وَّلَهْوًا وَّغَرَّتْهُمُ الْحَيٰوةُ الدُّنْيَا وَذَكِّرْ بِهٖٓ اَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُوْنِ اللّٰهِ وَلِيٌّ وَّلَا شَفِيْعٌ وَاِنْ تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَا اُولٰٓئِكَ الَّذِيْنَ اُبْسِلُوْا بِمَا كَسَبُوْا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيْمٍ وَّعَذَابٌ اَلِيْمٌۢ بِمَا كَانُوْا يَكْفُرُوْنَ اية عند الجميع **اقول** معنى قوله ذر دع يقال وذر يذر مثل ودع يدع فاذا امرت منه قلت ذر كما قال ذرهم ياكلوا الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا يعنى هؤلاء الكفار الذين وصفهم انهم اتخذوا دين الله لعبا ولهوا لانه لا معنى لحاجة من كانت هذه سبيله لانه لاعب عابث لا يصغى لما يقال له فالكلام له والمحتج عليه غير منتفع ولا نافع وقد قطع الله عذر هؤلاء الذين يذهبون مذهب اللعب[بما اورده] بعقولهم وما شاهدوه من اياته وغرتهم الحيوة الدنيا ثم امر نبيه عليه السلم ان يذكر به يعنى القران وقيل الحساب لكى لا تبسل نفس بما كسبت اى تدفع الى الهلكة على وجه الغفلة وتسلم لعملها غير قادرة على التخليص[التخلص] قال الشاعر فى العزيب المصيف

شعر

وابسالى بنى بغير جرم بعوناه ولا بدم مراق

اى اسلامى ايام بعوناه اجرمناه والبعو الجناية وقيل معنى تبسل ترهن وتسلم لعملها قال الاخفش معنى تبسل تجازى من ابسل ابسالا ومنه قوله اولئك الذين ابسلوا وقال الكسائى تبسل يجزى يعنى فى الكلام وقال الفراء معناه تسلم ويقال اعط الراقى بسلته اى اجرته على رقيته ويقال اسد باسل معناه ان معه من الاقدام ما يستبسل له قرنه ويقال هذا ابسل اى حرام وهو بسل اى حلال وهو من الاضداد شراب من حميم قال الضحاك الحميم هو الماء الذى احمى حتى انتهى غليانه وقوله وان تعدل كل عدل قال بعضهم ان يفد كل فدية يريد ان يجعلها عدلا لها من قوله لا يقبل منها عدل وقال غيره معناه وان تقسط كل قسط لا يقبل منها فى ذلك اليوم لان التوبة انما هى فى الحياة الدنيا ثم اخبر تعالى انه ليس لهؤلاء الكفار ولى ولا شفيع اى لا ناصر لهم ولا من يسأل فيهم واخبر ايضا ان هؤلاء فى قوله[له] اولئك الذين ابسلوا هم الذين يجازون بما كسبوا وان لهم شرابا من حميم وعقابا اليما بما كانوا يكفرون نعوذ بالله منها وقيل ما من امة الا ولهم عيد يلعبون فيه ويلهون الا امة محمد فان اعيادهم الصلوة والتكبير والدعاء والعبادة **قوله** تعالى قُلْ اَنَدْعُوْا مِنْ دُوْنِ اللّٰهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلٰٓى اَعْقَابِنَا بَعْدَ اِذْ هَدٰىنَا اللّٰهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيٰطِيْنُ فِي الْاَرْضِ حَيْرَانَ لَهٗٓ اَصْحٰبٌ يَّدْعُوْنَهٗٓ اِلَى الْهُدَى ائْتِنَا قُلْ اِنَّ هُدَى اللّٰهِ هُوَ الْهُدٰى وَاُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعٰلَمِيْنَ اية بلا خلاف **اقول** قرا حمزة استهواه الشياطين بالالف ممالة الباقون بالتاء المعجمة من فوق قال ابو عبيدة كالذى استهوته الشياطين اى استمالت به اى ذهبت به وبعقله فازالته الشيطان منها وكذلك هوى واهوى غيره قال تعالى والمؤتفكة اهوى يقال اهويته واستهويته كما قال فازلهما الشيطان وانما استزلهم الشيطان فكما ان ازله بمعنى استزله كذلك استهواه بمنزلة اهواه وكما ان معنى استجابة بمعنى اجابته فى قوله فلم يستجيبوا عند ذلك مجيب وقراءة حمزة ههنا مثل قراءته توفاه وكلا المذهبين حسن وقوله استهواه انما هو من قولهم هوى من حالق اذا تردى منه ويشبه به الذى زل عن الطريق المستقيم كما ان زل انما هو من الجبال والمكان

الله نبيه عليه السلم والمؤمنين ان يقولوا لهؤلاء الذين يدعونهم الى عبادة الاوثان والاصنام اندعو
من دون الله ما لا ينفعنا ان عبدناه ولا يضرنا ان تركنا عبادته ونرد على اعقابنا بعد الهدى و
الرشاد وبعد معرفتنا بالله وتصديق رسله فى الضلال وذلك مثل يقال فيمن رجع عن خير
الى شر رجع على عقبيه وكذلك اذا خاب من مطلبه يقال رد على عقبيه ويصير فى الحيرة كالذى استهوته
الشياطين فى الارض حيران لا يهتدى الى طريق ولا معرفة له اصحاب يدعونه الى الطريق الواضح
وهو الهدى ويقولون ائتنا ولا يقبل منهم ولا يصير اليهم غير انه لذهاب عقله من فعل الله فيستولى
الشيطان حينئذ عليه ولا يقبل من احد لحيرته شبه الله به الكافر الذى يرجع عن ايمانه وهداه
الى الضلال قال ولا يقدر احد من الشياطين على اذهاب عقل احد لانهم لو قدروا على ذلك
لسلبوا عقول العلماء من حيث انهم اعداؤهم فلما لم يقدروا على ذلك دل على انه لا يقدر على
ذلك الا الله ثم امره الله ان يقول لهؤلاء الكفار ان هدى الله هو الهدى اى دلالة الله لنا على
توحيده وامر دينه هو الهدى الذى يؤدى المستدل به الى الفلاح والرشاد فى دينه وهو الذى
يجب ان يعمل عليه ويستدل به دون ما يدل عليه غيره من سوى امور الدين وقوله وامرنا لنسلم
لرب العالمين معناه امرنا ان نسلم امورنا لله رب العالمين وان عليه لا على غيره مما يعبد المشركون نفوضها اليه ونتوكل
وحيران نصب على الحال وتقديره كالذى استهوته الشياطين فى حال حيرته وقوله له اصحاب يدعونه
الى الهدى قيل نزلت فى عبد الرحمن بن ابى بكر كان ابواه يدعوانه الى الايمان ويقولان له ائتنا
اى تابعنا فى ايماننا وامرنا لنسلم لرب العالمين يقول العرب امرتك ان تفعل وامرتك لتفعل و
امرتك بان تفعل فمن قال امرتك بان تفعل فالباء للالصاق والمعنى وقع الامر بهذا الفعل ومن
قال امرتك ان تفعل حذف الباء ومن قال امرتك لتفعل المعنى امرنا للاسلام قال الزجاج يكون اللام
لام التعليل والتقدير امرنا كى نسلم قال الشاعر شعر اريد لانسى ذكرها فكانما
تمثل لى ليلى بكل سبيل اى كى انسى وقال الطبرى معناه وامرنا لنخضع له بالذلة والطاعة
ونخلص ذلك له دون ما سواه من الانداد والالهة **قوله** تعالى وَاَقِيمُوا الصَّلٰوةَ وَاتَّقُوهُ وَ
هُوَ الَّذِىٓ اِلَيْهِ تُحْشَرُوْنَ اية بلا خلاف **اقول** يحتمل هذه الاية وجهين احدهما ان يكون
التقدير امرنا لان نسلم ولان نقيم الصلوة والثانى ان يكون محمولا على المعنى لان معناه امرنا بالاسلام
واقامته وموضع ان نصب لان الباء لما اسقطت افضى الفعل فنصب ويحتمل ان يكون محمولا على قوله
يدعونه الى الهدى ائتنا وان اقيموا الصلوة اى ويدعونه ان اقيموا الصلوة وهذه الاية موصولة
بالتى قبلها اى امرنا لنسلم لرب العالمين وقيل لنا اقيموا الصلوة واتقوه اى اتقوا رب العالمين
بان يجتنبوا معاصيه ويتقوا عقابه ثم بين انه هو الذى اليه تحشرون اى تجمعون اليه يوم القيمة
فيجازى كل عامل منكم بعمله وتوفى كل نفس بما كسبت **قوله** تعالى وَهُوَ الَّذِىْ خَلَقَ السَّمٰوٰتِ
وَالْاَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُوْلُ كُنْ فَيَكُوْنُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِى الصُّوْرِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَ
الشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيْمُ الْخَبِيْرُ اتيان فى البصرى والمدنيين واية فى الكوفى **اقول** امر الله
تعالى نبيه عليه السلم ان يقول لهؤلاء الكفار الذين يعبدون الاصنام ويدعون المؤمنين الى عبادتها
وامرنا لنسلم لرب العالمين الذى خلق السموات والارض بالحق وفى معنى بالحق قولان احدهما
قال الحسن والبلخى والجبائى والزجاج والطبرى ان معناه خلقهما للحق لا للباطل ومعناه خلقهما
حقا وصوابا لا باطلا وخطأ كما قال تعالى وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا وادخلت
الباء والالف واللام كما ادخلت فى نظايرها يقولون فلان يقول بالحق بمعنى انه يقول الحق لان
الحق معنى غير القول بل التقدير ان خلق الله السموات والارض حكمة وصواب من حكم الله وهو
موصوف بالحكمة فى خلقهما وخلق ما سواهما من جميع خلقه الا ان هناك حقا سوى خلقهما خلقهما

اما ان سقط من العبارة شئ ونحو ليس واما ان يقرأ من قبيل بالتنوين ويجعل الله تعالى عن ذلك خبرا لقوله الذى لعن [illegible] فكان الاولى ان يزاد فيه [illegible] [illegible] الامر على الناظر

به وذلك يدل على بطلان ما يقوله المجبرة ان كله باطل وسفه وما يخالف الحكمة من فعل الله تعالى
عن ذلك والثانى قال قوم معنى ذلك انه خلق السموات والارض بكلامه وهو قوله ائتيا
طوعا او كرها قالوا فالحق هو كلامه واستشهدوا على ذلك بقوله ويوم يقول كن فيكون قوله
الحق اى ان الحق هو قوله وكلامه قالوا والله خالق الاشياء بكلامه وذلك يوجب ان يكون كلامه
قديما غير مخلوق وقد بينا فساد هذا الوجه فيما تقدم والمعتمد الاول وقوله ويوم يقول كن
فيكون نصب يوم على وجوه احدها على معنى واتقوا يوم يقول كن فيكون نسقا على الهاء كما قال
واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيئا والثانى ان يكون على معنى واذكر يوم يقول كن فيكون
لان بعده واذ قال ابرهيم والمعنى واذكر يوم يقول كن فيكون واذكر اذ قال ابرهيم وهو الذى
اختاره الزجاج والثالث ان يكون معطوفا على السموات والارض بالحق وخلق يوم يقول كن فيكون
فان قيل ان يوم القيمة لم يخلق بعد قيل ما اخبر الله بكونه فحقيقته واقع لا محالة وقال قوم التمام
عند قوله كن وقوله فيكون قوله الحق ابتدأ اى ما وعد وابه من الثواب وحذروا به من العقاب كائن
حق قوله بذلك وقوله كن فيكون قال قوم هو خطاب للصور المعنى ويوم يقول للشئ كن فيكون وقد
بينا فيما مضى ان ذلك عبارة عن سرعة الفعل وتيسيره وانه لا يتعذر عليه شئ بمنزلة ان يقول كن
فيكون لا ان هناك امر على الحقيقة وكيف يكون هناك امر والامر لا يتوجه الا الى الحى القادر والمعدوم والمعدوما
والجمادات لا يحسن امرها ولا خطابها والغرض بالاية الدلالة على سرعة امر البعث والساعة كانه
قال ويوم يقول للخلق موتوا فيموتون وانتشروا فينتشرون اى لا يتعذر عليه ولا يتاخر عن وقت
ارادته وقيل يوم يقول كن فيكون قوله الحق اى يامر فيقع امره والحق من صفته قوله كما يقول القائل
قد قلت فكان قولك والمعنى ليس انك قلت فكان الكلام وانما المعنى انه كان ما دل عليه القول
الاول وعلى القول الاول يرفع قوله بالابتداء والحق خبر الابتداء وحكى عن قوم من السلف فيكون
بالنصب باضمار ان وتقديره كن فان يكون وهذا ضعيف وقوله وله الملك يوم ينفخ فى الصور
ويحتمل نصب يوم ينفخ ثلثة اوجه احدها ان يكون متعلقا بله الملك والتقدير الملك له يوم ينفخ
فى الصور وانما خص ذلك اليوم بان الملك له كما خصه فى قوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار
وقرأ بعضهم ينفخ بفتح الياء وعالم الغيب والشهادة فاعل ينفخ وهو شاذ وروى عن ابن عباس ذلك و
الوجه انه لا يبقى ملك من ملكه الله فى الدنيا او يغلب عليه بل ينفرد هو تعالى بالملك والثانى
ان يكون يوم ينفخ مبينا على قوله يوم يقول كن فيكون الثالث ان يكون منصوبا بقوله الحق والمعنى
وقوله الحق يوم ينفخ فى الصور والوجه فى اختصاص ذلك اليوم بالذكر ما بيناه فى الوجه الاول لان
قوله حق فى جميع الاوقات وفى معنى الصور قولان احدهما هو ما عليه اكثر المفسرين من انه اسم لقرن
ينفخ فيه الملك فيكون منه الصوت الذى يصعق له اهل السموات واهل الارض ثم ينفخ فيه نفخة اخرى
للنشور وهو الذى اختاره البلخى والجبائى والزجاج والطبرى واكثر المفسرين والثانى انه جمع صورة
مثل قولهم سودة وسود اختاره ابو عبيدة وقرأ بعضهم فى الشواذ فى الصور بفتح الواو وذلك
يقوى ما قاله ابو عبيدة ويكون تقديره يوم ينفخ فى الاموات ويقوى الاول قوله تعالى ونفخ فى الصور
فصعق من فى السموات ثم قال ثم نفخ فيه اخرى ولم يقل فيها اخرى او فيهن وذلك يدل على انه واحد
وروى ابو سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه واله كيف انعم وقد التقم صاحب القرن
القرن وحنا جبينه واصغا سمعه ينتظر ان يؤمر فينفخ قالوا فكيف نقول يا رسول الله قال قولوا حسبنا
الله ونعم الوكيل والعرب يقول نفخ الصور ونفخ فى الصور قال الشاعر **شعر**
لولا ابن جعدة لم يفتح قهندزكم ولا خراسان حتى ينفخ الصور
وروى عن ابن عباس ان الصور يعنى به النفخة الاولى ثم بين انه عالم الغيب والشهادة اى ما يشاهده

الخلق وما لا يشاهدونه وما لا يعلمونه ولا يخفى عليه شئ من ذلك وبين انه الحكيم فى افعاله الخبير العالم بعباده وبافعالهم ورفع عالم الغيب لانه نعت للذى فى قوله وهو الذى خلق السموات والارض بالحق عالم الغيب والشهادة ويحتمل ان يكون اسم ما لم يسم فاعله كما يقولون اكل طعامك عبد الله فيظهر اسم الآكل بعد ان قد جرى الخبر بما لم يسم فاعله والاول اجود فاما من فتح الياء الياء فى ينفخ فانه جعل عالم الغيب فاعله مرتفعا به **قوله** تعالى وَاِذْ قَالَ اِبْرٰهِيمُ لِاَبِيهِ اٰزَرَ اَتَتَّخِذُ اَصْنَامًا اٰلِهَةً اِنِّىٓ اَرٰىكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلٰلٍ مُّبِينٍ ايه بلا خلاف **اقول** قرا اكثر القراء ازر بنصب الراء وقرا ابو يزيد المدينى والحسن البصرى ويعقوب بالضم فمن قرا بالنصب جعل ازر فى موضع خفض بدلا من ابيه ومن قرا بالضم جعله منادى مفردا وتقديره يا ازر وقال الزجاج لا خلاف بين اهل النسب ان اسم ابى ابرهيم تارخ والذى فى القران يدل على ان اسمه ازر وقيل ازر عندهم ذم فى لغتهم كانه قال واذ قال ابرهيم لابيه يا مخطى اتتخذ اصناما فعلى هذا قال الزجاج الاختيار الرفع قال ويجوز ان يكون وصفا له كانه قال واذ قال ابرهيم لابيه المخطى قال الزجاج وقيل ازر اسم صنم فموضعه نصب على اضمار الفعل كانه قال واذ قال ابرهيم لابيه اتتخذ ازر وجعل اصناما بدلا من ازر واشباهه فقال بعد ان قال اتتخذ ازر الها اتتخذ اصناما الهة والذى قاله الزجاج يقوى ما قاله اصحابنا ان ازر كان جده لامه او كان عمه لان اباه كان مؤمنا من حيث ثبت عندهم ان اباء النبى عليه السلام الى ادم كلهم كانوا موحدين لم يكن فيهم كافر وحجتهم فى ذلك اجماع الفرقة المحقة وقد ثبت ان اجماعها حجة لدخول المعصوم فيها ولا خلاف بينهم فى هذه المسئلة ايضا روى عن النبى عليه السلام انه قال نقلنى الله من اصلاب الطاهرين الى ارحام الطاهرات لم يدنسنى بدنس الجاهلية وهذا خبر لا خلاف فى صحته فبين النبى عليه السلام ان الله نقله من اصلاب الطاهرين فلو كان فيهم كافر لما جاز وصفهم جميعهم بانهم طاهرون لان الله وصف المشركين بانهم انجاس فقال انما المشركون نجس ولهم فى ذلك ادلة لا نطول بذكرها الكتاب لئلا يخرج عن الغرض واختلفوا فى معنى ازر هل هو اسم او صفة فقال السدى ومحمد بن اسحق وسعيد بن عبد العزيز والجبائى والبلخى انه اسم ابى ابرهيم وهو تارخ كما قيل ليعقوب اسرائيل قالوا ويجوز ان يكون لقبا غلب عليه وقال مجاهد ليس ازر ابا ابرهيم وانما هو اسم صنم وقال قوم هو سب وعيب بكلامهم ومعناه معوج واذ فى الاية متعلقة بقوله واذكر اذ قال ابرهيم لابيه ازر اتتخذ اصناما الهة الالف الف انكار لا استفهام وان كان قد خرج مخرج الاستفهام وقوله انى اراك وقومك فى ضلال مبين يعنى فى ضلال مبين يعنى فى ضلال عن الصواب وقوله مبين يدل على انه قال ذلك منكرا والمبين هو البين الظاهر والغرض بالاية حث النبى عليه السلام على محاجة قومه الذين يدعونه الى عبادة الاصنام والازراء على فعلهم والاقتداء فى ذلك بابيه ابرهيم عليه السلام وصبره على محاجة قومه العابدين للاصنام ليتسلى بذلك ويقوى دواعيه الى ذلك والاصنام جمع صنم وهو مثال من حجر او خشب او من غير ذلك فى صورة انسان وهو الوثن وقد يقال للصورة المصورة على صورة الانسان فى الحائط وغيره صنم ووثن **قوله** تعالى وَكَذٰلِكَ نُرِىٓ اِبْرٰهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ايه بلا خلاف **اقول** معنى قوله وكذلك نرى ابرهيم اى مثل ما وصفنا من قصة ابرهيم من قوله لابيه ما قال نريه ملكوت السموات اى انا كما اريناه ان قومه فى عبادة الاصنام ضالون كذلك نريه ملكوت السموات والارض وقيل فى معنى الملكوت اقوال قال الزجاج والفرا والبلخى والجبائى والطبرى وهو قول عكرمة ان الملكوت بمنزلة الملك غير ان هذه اللفظة ابلغ من الملك لان الواو والتاء يزادان للمبالغة ومثل الملكوت الرغبوت والرهبوت ووزنه فعلوت وفى المثل رهبوتى خير من رغبوتى كقولهم او مره لان تخبر من بحب ومن روى رهبوتى خير

من رحموتى معناه ان يكون له هيبة كقولهم يرهب بما خير من يرحم وقال مجاهد ملكوت السموات والارض ملكهما بالنبطية وقال الضحاك يعنى خلقهما وبه قال ابن عباس وقتادة وروى عن مجاهد ايضا ان معناه ايات السموات والارض وروى عن مجاهد وابن عباس ايضا انه اراد بذلك ما اخبر الله عنه انه راه من النجوم والشمس والقمر حين خرج من المغارة وبه قال قتادة وقال الجبائى المعنى انا كما نرى ابرهيم ملكوت السموات والارض والحوادث الدالة على ان الله مالك لها ولكل شئ بنفسه لا يملكه سواه فاجرى الملكوت على المملوك الذى هو فى السموات والارض مجازا وقوله وليكون من الموقنين اى اريناه ملكوت السموات ليستدل به على الله وليكون من الموقنين ان الله هو خالق ذلك والمالك له والموقن هو العالم الذى يتيقن الشئ بعد ان لم يكن متيقنا ولهذا لا يوصف تعالى بانه متيقن كما يوصف بانه عالم لانه تعالى عالم بما فيما لم يزل وقال ابو جعفر عليه السلام كشط الله له الارض حتى راهن وما عليهن من الملائكة وحملة العرش وذلك قوله وكذلك نرى ملكوت السموات والارض فان قيل كيف يجوز ان يرى ما تحت الارضين والارض حجاب لما تحتها وكذلك السماء لما فوقها قلنا لا يمتنع ان يجعل الله تعالى منها خروقا ومنافذ ويقوى شعاعه حتى ينفذ فيها فيرى ما فوقها وما تحتها ولا يمنع من ذلك مانع ومثل هذا روى عن مجاهد والسدى وسعيد بن جبير وسلمان **قوله** تعالى فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ الَّيْلُ رَاٰ كَوْكَبًا قَالَ هٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ اَفَلَ قَالَ لَآ اُحِبُّ الْاٰفِلِينَ فَلَمَّا رَاَ الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ اَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَاَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّآلِّينَ فَلَمَّا رَاَ الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هٰذَا رَبِّى هٰذَآ اَكْبَرُ فَلَمَّآ اَفَلَتْ قَالَ يٰقَوْمِ اِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ اِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضَ حَنِيفًا وَّمَآ اَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ اربع ايات بلا خلاف **اقول** قرا ابن ذكوان وحمزة والكسائى وخلف ويحيى والكسائى عن ابى بكر بكسر الراء وامالة الهمزة منه ومن قوله راى ايديهم فى هود وراى قميصه وراى برهان ربه فى يوسف وراى نارا فى طه وما راى ولقد راى فى النجم سبعة مواضع وهو ما لم يلقه ساكن ولم يتصل بمكنى وافقهم العليمى فى راى كوكبا حسب وقرا ابو عمرو بفتح الراء وامالة الهمزة فيهن وقرا الباقون بفتح الراء والهمزة فان لقى راى ساكنا وهو ستة مواضع ههنا راى القمر وراى الشمس وفى النحل واذا راى الذين ظلموا واذا راى الذين اشركوا وفى الكهف وراى المجرمون وفى الاحزاب ولما راى المؤمنون بكسر الراء وفتح الهمزة فيهن حمزة وخلف ويحيى وابو بكر الا الاعشى والبرجمى الباقون بفتح الراء والهمزة فان اتصل راى بمكنى نحو راه وراك وراها فكسر الراء وامال الهمزة من حيث وقع حمزة والكسائى وخلف ويحيى والكسائى عن ابى بكر وقرا ابو عمرو والداجونى عن ابن ذكوان بفتح الراء وامالة الهمزة الباقون بفتحهما قال ابو على الفارسى وجه قراءة من لم يملهما انه ترك الامالة كما ترك الامالة فى قولهم دعا ورمى فلما لم يمل الالف لم يمل الالف التى قبلها كما امالها من يرى الامالة ليميل الالف نحو الياء ومن قرا بين الفتح والكسر كما قرا نافع فلا يخلو ان يريد الفتحتين اللتين على الراء والهمزة او الفتحة التى على الهمزة وحدها فان كان يريد فتحة الهمزة فانما امالها نحو الكسرة ليميل الالف التى فى راى نحو الياء كما امال الفتحة التى على الدال من هدى والميم من رمى وان كان يريد انه امال الفتحتين جميعا التى على الراء والتى على الهمزة فامالة فتحة الهمزة على ما تقدم ذكره واما امالة الفتحة التى على الراء فانما امالها لاتباعه اياها امالة فتحة الهمزة كانه امال الفتحة فى قولك من عامر لكسرة الراء كذلك املت فتحة الراء من راى لامالة الفتحة التى على الهمزة والتقديم والتاخير فى ذلك سواء ومن كسر الراء والهمزة فالوجه فيه انه كسر الراء من راى لان المضارع منه على يفعل واذا كان المضارع على يفعل وكان الماضى على فعل الا ترى ان المضارع فى الامر العام اذا كان على يفعل كان الماضى على

فعل وعلى هذا قالوا انت تسا فكسروا حروف المضارعة كما كسروه فى نحو تعلم وتفهم وكسروا الياء ايضا فى هذا الحرف فقالوا يسا ولم يكسروها فى يعلم واذا كان الماضى على فعل فيما بترك كسر الراء التى هى بها لان العين همزة وحروف الحلق اذا جاءت فى كلمة على زنة فعل كسرت فيها الفاء وكسرت العين فى الاسم والفعل نحو قولهم عير وتعر ورجل جير ونجل وفى الفعل نحو شهد ولعب ونعم فكسرة الياء على هذا كسرة مخلصة محضة وليست بفتحة ممالة واما كسرة الهمزة فانه يراد بها امالة فتحتها الى الكسرة ليميل الالف نحو الياء ومن ترك الامالة اذ الفها ساكن انهم يحلقوا يميلون الفتحة ليميل الالف نحو الياء فلما سقطت الالف التى كانت الفتحة الممالة يميلها نحو الياء فى مثل راى الشمس وراى القمر ونحوها فى جميع القران ومن وافق فى بعض ذلك دون بعض احب الاخذ باللبس ووجه قراءة ابى بكر وحمزة فى راى الشمس وراى القمر بكسر الراء وفتح الهمزة فى جميع القران ان كسر الراء انما هو للتنزيل الذى ذكرناه وهو معنى منفصل من امالة فتحة الهمزة الا ترى انه يجوز ان يعمل هذا المعنى من لا يرى الامالة كما يجوز ان يعمله من يراها واذا كان كذلك كان انفصال احدهما من الاخر سائغا غير ممتنع فاما رواية يحيى عن ابى بكر بكسر الراء والهمزة معا فانما يريد بكسرة الهمزة امالة فتحتها فوجه كسر الراء وذكروا امالة فتحتها مع زوال ما كان يوجب امالتها من حذف الالف فلان الالف تحذف لالتقاء الساكنين وما يحذف لالتقاء الساكنين نزل تنزيل المثبت الا ترى انهم انشدوا ولا ذاكر الله الا قليلا فنصب الاسم بعد ذاكر وان كانت النون محذوفة لما كان الحذف لالتقاء الساكنين والحذف لذلك فى تقدير الاثبات من حيث كان التقاؤهما غير لازم ولذلك لم يرد الالف فى نحو رمت المراة وشهد لذلك انهم قالوا شهد فكسروا الفاء لكسر العين ثم اسكنوا فقالوا شهد فبقوا الكسرة فى الفاء مع زوال ما كان اصلها وانشد قول الاخطل

اذا غاب عنا غاب عنا فراتنا وان شهد اجدى فضله وجداوله

وقالوا صعق ثم نسبوا اليه فقالوا صعقى فاقروا كسرة الفاء مع زوال كسرة العين التى لها كسرت الفاء وزعم ابو الحسن ان ذلك لغة مع ما فيه من وجوه التلبيس وانها قراءة يقال جن عليه الليل وجنه الليل واجنه وجن عليه ومع حذف على فاجنه بالالف افصح من جنه الليل وكل ذلك مسموع فلغة اسد جنه الليل ولغة تميم اجنه والمصدر من جن عليه جنا وجنونا وجنانا واجن اجنانا و يقال اتانا فلان فى جن الليل والجن مشتق من ذلك لانهم استجنوا من اعين الناس فلا يرون وكلما توارى عن ابصار الناس فان العرب يقول قد جن ومنه قول الهذلى **شعر**

ولما وردت قسل الكرى وقد جنه السدف الادهم

وقال عبيد شعر وخرق يصيح البوم فيه مع الصدى مخوف اذا ما جنه الليل مرهوب

ويقول اجننت الميت اذا واريته فى اللحد وجننته وهو مثل جنون الليل فى معنى غطيته ويسمى الترس مجنا لانه يجن اى يغطى وقال الشاعر شعر فلما اجن الليل بتنا كاننا

على كثرة الاعداء محترسان

قوله فلما جن عليه الليل اى اظلم وقوله فلما افل معناه غاب يقال افل يافل افولا ويقول اين افلت عنا اين غبت عنا قال ذو الرمة

مصابيح ليست باللواتى يقودها نجوم ولا بالافلات الدوالك

وقوله راى القمر بازغا اى طالعا يقال بزغت الشمس بزوغا اذا طلعت وكذلك القمر وقوله للشمس هذا ربى وهى مؤنثة معناه هذا الشئ الطالع ربى او على انه حين ظهرت الشمس وقد كانوا يذكرون الرب فى كلامهم فقال لهم هذا ربى وقيل فى معنى هذه الاية وجوه اربعة احدها ما قاله الجبائى ان ما حكى الله عن ابرهيم فى هذه الايات كان قبل بلوغه وقبل كمال عقله ولزوم التكليف له غير انه لمقاربته كمال العقل خطرت له الخواطر وحركته الشبهات والدواعى عن الفكر فيما يشاهده من هذه

الحوادث فلما راى الكوكب وقيل انه الزهرة بان نوره مع تنبهه بالخواطر على الفكر فيه ودعى غيره ظن انه ربه وانه هو المحدث لما شاهده من الاجسام وغيرها فلما افل قال لا احب الافلين لانه صار منتقلا من حال الى حال وذلك مناف لصفات القديم فلما راى القمر بازغا عند طلوعه راى كبره واشراقه وما انبسط من نوره فى الدنيا قال هذا ربى فلما راعاه وجده يزول وياقل فصار عنده بحكم الكوكب الذى لا يجوز ان يكون بصفة الاله لتغيره وانتقاله من حال الى حال فلما راى الشمس بازغة اى طالعة قد ملات الدنيا نورا وراى عظمها وكبرها قال هذا ربى هذا اكبر فلما افلت وزالت وغابت فكانت شبيهة بالكوكب والقمر قال حينئذ لقومه انى برئ مما تشركون فلما اكمل الله عقله ضبط بفكره النظر فى حدوث الاجسام بان وجدها غير منفكة من المعانى المحدثة وانه لا بد لها من محدث قال حينئذ لقومه انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض الى اخرها والثانى ما قاله البلخى وغيره من ان هذا القول كان من ابرهيم فى زمان مهلة النظر لان مهلة النظر مدة اثبتها الله العالم بمقدارها وهى اكثر من ساعة وقال البلخى واقل من شهر ولا يدرى ما بينهما الا الله فلما اكمل الله عقله وخطر بباله ما يوجب عليه النظر وحركته الدواعى على الفكر والتامل له قال ما حكاه الله لان ابرهيم عليه السلام لم يخلق عارفا بالله وانما اكتسب المعرفة لما اكمل الله عقله وخوفه من ترك النظر بالخواطر فلما راى الكوكب وقيل هى الزهرة راى عظمها واشراقها وما هى عليه من عجيب الخلق وكان قومه يعبدون الكواكب ويزعمون انها الهة قال هذا ربى على سبيل الفكر والتامل لذلك فلما غابت وافلت علم ان الافول لا يجوز على الله علم انها محدثة متغيرة لتنقلها وكذلك كانت حاله فى رؤية القمر والشمس وانه لما راى افولهما قطع على حدوثهما واستحالة الهيتهما وقال فى اخر كلامه انى برئ مما تشركون انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض حنيفا وما انا من المشركين وكان هذا القول منه عقيب معرفته بالله وعلمه بان صفات المحدثين لا يجوز عليه فان قيل كيف يجوز ان يقول هذا ربى مخبرا وهو يجوز ان يكون مخبره لا على ما اخبر لانه غير عالم بذلك وذلك قبيح فى العقول ومع كمال عقله لا بد ان يلزمه التحرز من الكذب قلنا عن ذلك جوابان احدهما انه قال ذلك فارضا مقدرا لا مخبرا بل على سبيل الفكر والتامل كما يقول الواحد منا لغيره اذا كان ناظرا فى شئ وممثلا بين كونه على احدى صفتيه انا نفرضه على احدهما لننظر فيما يؤدى ذلك الفرض اليه من صحة او فساد لا يكون بذلك مخبرا ولهذا يصح من احدنا اذا نظر فى حدوث الاجسام وقدمها ان يفرض كونها قديمة ليتبين ما يؤدى اليه ذلك الفرض من الفساد والثانى انه اخبر عن ظنه وقد يجوز ان يكون المفكر المتامل ظانا فى حال نظره وفكره ما لا اصل له ثم يرجع عنه بالادلة والعلم ولا يكون ذلك منه قبيحا فان قيل ظاهر هذه الايات يدل على ان ابرهيم ما كان راى هذه الكواكب قبل ذلك لان تعجبه منها تعجب من لم يكن راها فكيف يجوز ان يكون الى مدة كمال عقله لم يشاهد السماء وما فيها من النجوم قلنا لا يمتنع ان يكون ما راى السماء الا فى ذلك الوقت لانه روى ان امه ولدته فى مغارة لا يرى السماء فلما قارب البلوغ وبلغ حد التكليف خرج من المغارة وراى السماء وفكر فيها وقد يجوز ايضا ان يكون راها غير انه لم يفكر فيها ولا نظر فى دلائلها لان الفكر لم يكن واجبا عليه فلما كمل عقله وحركته الخواطر فكر فى الشئ الذى كان يراه قبل ذلك ولم يكن مفكرا فيه والثالث ان ابرهيم لم يقل ما تضمنته الايات على وجه الشك ولا فى زمان مهلة النظر بل كان فى تلك الحال عالما بالله وبما يجوز عليه فانه لا يجوز ان يكون بصفة الكواكب وانما قال ذلك على سبيل الانكار على قومه والتنبيه لهم على ان ما يغيب وينتقل من حال الى حال لا يجوز ان يكون الها معبودا لثبوت دلالة الحدث فيه ويكون قوله هذا ربى محمولا على احد وجهين احدهما اى هو كذلك عندكم وعلى مذهبكم كما يقول احدنا للمشبه على وجه

٨٧

الانكار عليه هذا ربى جسم يتحرك ويسكن وان كان عالما بفساد ذلك والثانى ان يكون ذلك مستفهما واسقط حرف الاستفهام للاستغناء عنه كما قال الاخطل شعر

كذبتك عينك ام رايت بواسط غلس الظلام من الرباب خيالا

وقال اخر شعر لعمرك ما ادرى وان كنت داريا بسبع رمين الجمر ام بثمان

وقال ابن ربيعة شعر ثم قالوا تحبها قلت بهرا عدد القطر والحصى والتراب

وقال اوس بن حجر شعر لعمرك ما ادرى وان كنت داريا شعيب بن سهم ام شعيب بن منقر

وانما اراد اشعيب بن منقر فان قيل حذف حرف الاستفهام انما يجوز اذا كان فى الكلام عوضا منه نحو ام الدالة عليه ولا يستعمل مع فقد العوض وفى الابيات عوض عن حرف الاستفهام وليس ذلك فى الاية قلنا قد يحذف حرف الاستفهام مع ثبوت العوض تارة واخرى مع فقده اذا زال اللبس وبيت ابن ابى ربيعة ليس فيه عوض ولا فيه حرف الاستفهام وانشد الطبرى شعر

رفونى وقالوا يا خويلد لم ترع فقلت وانكرت الوجوه هم هم

اى اهم هم وروى عن ابن عباس فى قوله فلا اقتحم العقبة ثم قال معناه افلا اقتحم العقبة وحذف حرف الاستفهام واذا جاز ان يحذف حرف الاستفهام لدلالة الخطاب فالا جاز ان يحذف لدلالة العقل لان دلالة العقل اقوى من غيرها والرابع ان ابرهيم قال ذلك على وجه المحاجة لقومه بالنظر كما يقول القائل اذا قلنا ان لله ولدا لزمنا ان نقول له زوجة وان يطأ النساء واشباه ذلك لبس هذا على وجه الاقرار والاخبار والاعتقاد لذلك بل على وجه المحاجة فيجعلها مذهبا لبرى خصمه المعتقد لها فسادها وكل هذه الايات فيها تنبيه لمشركى العرب وزجر لهم من عبادة الاصنام وحث على الاخذ بدين ابرهيم ابيهم وسلوك سبيله فى النظر والفكر والتدبر لانهم كانوا قوما يعظمون اسلافهم واباءهم فاعلمهم الله تعالى ان اتباع الحق من دين ابيهم الذى يقرون بفضله اوجب عليهم ان كان بهم تعظيم الاباء والكراهة لمخالفتهم وفى الاية دلالة على ان معرفة الله ليست ضرورية لانها لو كانت ضرورية لما احتاج ابرهيم الى الاستدلال على ذلك ولكان يقول لقومه كيف تعبدون الكواكب وانتم تعلمون حدوثها وحدوث الاجسام ضرورة وتعلمون ان لها محدثا على صفات مخصوصة ضرورة مما كان يحتاج الى تكلف الاستدلال والتنبيه على هذا وقوله لئن لم يهدنى ربى معناه لئن لم يلطف بى ويسددنى ويوفقنى لاصابة الحق فى توحيده لاكونن من القوم الضالين الذين ضلوا عن الحق واخطؤا طريقه فلم يصيبوا الهدى وليس الهداية ههنا الادلة لان الادلة كانت سبقت حال زمان النظر فان التكليف لا يحسن من دونها ولا يصح مع فقدها وقوله فى الشمس هذا اكبر يعنى من الكواكب وحذف لدلالة الكلام عليه وقوله انى وجهت وجهى معناه اخلصت عبادتى وقصدت بها الى الله الذى خلق السموات والارض وفيه اخبار عن ابرهيم واقرار منه واعتراف منه بانه عليه السلم خالف قومه اهل الشرك ولم ياخذه فى الله لومة لائم ولم يستوحش من قول الحق لقلة تابعيه وقال لهم انى برئ مما تشركون مع الله الذى خلقنى وخلقكم فى عبادته من الهتكم بل وجهت وجهى فى عبادتى الى الذى خلق السموات والارض الذى يبقى ولا يفنى الحى الذى لا يموت واخبر انه يوحد عبادته ويخلصها له تعالى والاستقامة فى ذلك لربه على ما يجب من التوحيد لا على الوجه الذى يوجه له من ليس بحنيف ومعنى الحنيف هو المايل الى الاستقامة على وجه الرجوع فيه وما انا من المشركين انى لست منكم ولا ممن يدين بدينكم ويتبع ملتكم ايها المشركون **قوله** تعالى وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ اية عند الجميع **اقول** قرا اهل المدينة وابن ذكوان اتحاجونى بتخفيف النون الباقون بتشديدها وقرا الكسائى والعبسى

وقد

٨٨

وقد هدانى بالامالة الباقون بالتفخيم قال ابو على من شدد فلانظر فى قوله ومن خفف فانه حذف النون الثانية لالتقاء النونين والتضعيف يكره فيتوصل الى ازالته تارة بالحذف نحو علما من بنى فلان وتارة بالابدال نحو لا املاه حتى تفارقا ونحو ديوان وقيراط فحذفوا الثانية منهما كراهية التضعيف ولا يجوز ان يكون المحذوفة الاولى لان الاستثقال يقع بالتكرير فى الامر الاعم وفى الاولى ايضا انها دلالة الاعراب ولذا حذفت الثانية كما حذف الشاعر فى قوله شعر

ليتى اصادفه وافقد بعض مالى

وقال بعضهم حذف هذه النون لغة غطفان وحكى سيبويه هذه القراءة مستشهدا بها فى حذف النونات كراهية التضعيف واما امالة هدانى فحسنة لانه من هدى يهدى فهو من اليا واذا كانوا اما لوا غزاء ووعاء لانه قد يصير الى اليا فى غزى ووعى فهذا لا اشكال فى حسنه قوله وحاجه قومه يعنى فى وجوب عبادة الله وترك عبادة الهتهم وخوفوه من تركها وان لا يامن ان يحيله الهتهم من الاصنام وغيرها فقال لهم ابرهيم عليه السلم اتحاجونى فى الله وقد هدانى بان وفقنى لمعرفته ولطف بى فى العلم بتوحيده وترك الشرك واخلاص العبادة له ولا اخاف ما تشركون به اى لا اخاف منه ضررا ان كفرت به ولا ارجو نفعا ان عبدته لانه بين صنم قد كسر فلم يدفع عن نفسه او نجم دل افوله على حدثه فكيف تحاجونى وتدعونى الى عبادة من لا يخاف ضرره ولا يرجا نفعه الا ان يشاء ربى شيئا فيه قولان احدهما الا ان يقلبها الله فيحييها ويقدرها فتضرنى وتنفع فيكون ضرره ونفعه اذ ذاك دليلا على حدثها ايضا وعلى توحيد الله وانه المستحق للعبادة دون غيره وانه لا شريك له فى ملكه ثم اثنى عليه تعالى فاخبر بانه عالم بكل شئ وامرهم بالتذكر والتدبر لما اورده عليهم مما لا يدفعونه ولا يقدرون على انكاره ان انصفوا الثانى قال الحسن قوله ولا اخاف ما تشركون به اى لا اخاف الاوثان الا ان يشاء ربى شيئا استوجبه على الله تعالى ويشاء الله ان يدخلنى فى ملككم بالكفر والاول هو الاجود اتحاجونى اصله اتحاجوننى بنونين احداهما للجمع والاخرى لاسمة فادغمت احديهما فى الاخرى فشددت ومثله تامرونى وقد تخفف مثل هذا فى بعض المواضع قال الشاعر شعر

ابا الموت الذى لابد انى ملاق لاابالك تخوفينى

فجاء بنون واحدة وخففها والاول اجود واكثر فى العربية **قوله** تعالى وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ اية بلا خلاف **اقول** فى هذه الاية احتجاج من ابرهيم عليه السلم على قومه وتاكيد لما قدم من الحجاج لانه قال لهم وكيف تلزمونى ان اخاف ما اشركتم به من الاوثان المخلوقة وقد تبين حالهم وانهم لا يضرون ولا ينفعون وانتم لا تخافون من هو القادر على الضر والنفع بل تجترؤن عليه وتتقدمون بين يديه بان تجعلوا له شركاء فى ملكه وتعبدونهم من دونه فاى الفريقين احق بالامن نحن المؤمنون الذين عرفنا الله بادلته ووجهنا العبادة نحوه ام انتم المشركون بعبادة غيره من الاصنام والاوثان ولو اطرحتم الميل والمحبة والعصبية لما وجدتم لهذا الحجاج مدفعا وقوله ما لم ينزل به سلطانا اى حجة لان السلطان هو الحجة فى اكثر القران وذلك يدل على ان كل من قال قولا واعتقد مذهبا بغير حجة مبطل وقوله ان كنتم تعلمون معناه ان كنتم تستعملون عقولكم وعلومكم وتحكمونها على ما تهوونه وتميل اليه انفسكم وفى الاية دلالة على فساد قول من يقول بالتقليد وتحريم النظر والحجاج لان الله تعالى مدح ابرهيم لمحاجته لقومه وامر نبيه بالاقتداء به فى ذلك فقال وتلك حجتنا اتيناها ابرهيم على قومه ثم قال بعد ذلك اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده اى بادلتهم اقتده **قوله** تعالى الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ اية عند الجميع **اقول** يحتمل هذه الاية ان يكون

اخبارا

اخبارا عن الله تعالى دون الحكاية عن ابرهيم بانه قال تعالى ان من عرف الله تعالى وصدق به وعمل
بما اوجب عليه ولم يخلط ذلك بظلم فان له الامن من الله بحصول الثواب والامان من العقاب وهو
هو المحكوم له بالاهتداء وهو قول ابن اسحق وابن زيد والطبرى والجبائى وابن جريج وقال البلخى
ان ذلك من قول ابرهيم لانه لما قطع خصمه والزمه الحجة اخبران الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم
بظلم فانهم الامنون المهتدون قال وكذلك يفعل من وضحت حجته وانقطع بعد البيان خصمه
والظلم المذكور فى الاية هو الشرك عند اكثر المفسرين ابن عباس وسعيد بن المسيب وقتادة
ومجاهد وحماد بن زيد وابى بن كعب وسلمان رحمة الله عليه قال الا ترى الم تسمع الى قوله ان الشرك
لظلم عظيم وهو قول حذيفة وروى عن عبد الله بن مسعود انه قال لما نزلت هذه الاية شق
على الناس وقالوا يا رسول الله واينا لا يظلم نفسه فقال انه ليس الذى تعنون الم تسمعوا الى ما
قال العبد الصالح يا بنى لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم وقال الجبائى والبلخى واكثر المعتزلة
انه يدخل فيه كل كبيرة تحبط ثواب الطاعة قال من هذه صورته لا يكون امنا ولا مهتديا قال
البلخى ولو كان الامر على ما قالوه انه يختص الشرك لوجب ان يكون مرتكب الكبيرة اذا كان مؤمنا
يكون امنا وذلك خلاف القول بالارجاء وهذا الذى ذكروه خلاف اقاويل المفسرين من الصحابة
والتابعين وما قاله البلخى لا يلزم لانه قول بدليل الخطاب لان المشرك غير امن بل هو مقطوع على
عقابه بظاهر الاية ومرتكب الكبيرة غير امن لانه يجوز العفو ويجوز المؤاخذة وان كان ذلك
معلوما بدليل وظاهر قوله ولم يلبسوا ايمانهم بظلم وان كان عاما فى كل ظلم قلنا ان نخصه
بدليل اقوال المفسرين وغير ذلك من الادلة الدالة على انه يجوز العفو من غير توبة وروى عن
على عليه السلام ان الاية مخصوصة بابرهيم وقال عكرمة مختصة بالمهاجرين واما الظلم فى اصل اللغة
فقد قال الاصمعى هو وضع الشئ فى غير موضعه قال الشاعر يمدح قوما **شعر**

هرت الشقاشق ظلامون للجزر فوصفهم انهم ظلامون للجزر لانهم عرقبوها فوضعوا

النحر فى غير موضعه وكذلك الارض المظلومة سميت بذلك لانه صرف عنها المطر ومنه قول
الشاعر **شعر** والنؤى كالحوض بالمظلومة الجلد (الارض الصلبة) سماها مظلومة لانهم كانوا
فى سفر فتحوضوا حوضا لم يحكموا صنعته (حفيرة حول الخباء للمطر) ولم يضعوه فى موضعه **قوله** تعالى وتلك حجتنا
اتيناها ابرهيم على قومه نرفع درجات من نشاء ان ربك حكيم عليم اية بلا خلاف **اقول**
قرا اهل الكوفة ويعقوب درجات من نشاء منونا اراد ان المرفوع صاحب الدرجات و
تقديره نرفع من نشاء درجات والدرجات معناها المراتب وفى اصل اللغة هى المراقى نشبه
علو المنازل بها اخبر الله تعالى ان الحجج التى ذكرها ابرهيم لقومه اياه اتاها واعطاها اياه بمعنى
انه هداه لها وانه احتج بها بامر الله ورضيها منه وصوبه فيها ولهذا جعلها حجة على الكفار وقوله
نرفع درجات من نشاء من المؤمنين الذين يؤمنون بالله ويطيعونه ويبلغون من الايمان والدعا
الى الله منزلة عظيمة اعلا درجة ممن لم يبلغ فى الايمان مثل منزلتهم وبين انه حكيم فيما يدبره من امور
عباده عليم بهم وباعمالهم وفى ذلك دلالة على صحة المحاجة والمناظرة فى الدين والدعا الى توحيد
الله والاحتجاج على الكافرين لانه تعالى مدح ذلك واستحسنه ومن حرم الحجاج فقد رد صريح القران
قوله تعالى وَوَهَبْنَا لَهُ اِسْحٰقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ
وَسُلَيْمَانَ وَاَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسٰى وَهٰرُونَ وَكَذٰلِكَ نَجْزِى الْمُحْسِنِينَ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيٰى وَعِيسٰى
وَاِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ وَاِسْمٰعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ وَمِنْ
اٰبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَاِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ اِلٰى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ذٰلِكَ هُدَى اللّٰهِ
يَهْدِى بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ اَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ اُولٰئِكَ الَّذِينَ اٰتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ

وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَاِنْ يَكْفُرْ بِهَا هٰؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ اُولٰئِكَ الَّذِينَ
هَدَى اللّٰهُ فَبِهُدٰيهُمُ اقْتَدِهْ قُلْ لَا اَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ اَجْرًا اِنْ هُوَ اِلَّا ذِكْرٰى لِلْعَالَمِينَ سبع ايات
اقول قرا حمزة والكسائى وخلف الليسع بتشديد اللام وفتحها وسكون الياء ههنا وفى ص
الباقون بسكون اللام وفتح الياء قال الزجاج التشديد والتخفيف لغتان وقال ابو على الالف
بسكون اللام وفتح الياء قال الزجاج التشديد والتخفيف لغتان وقال ابو على الالف واللام ليسا
للتعريف بل هما زائدتان وكان الكسائى يستصوب القراءة بلامين ويخطى من قرا بغيرهما كان
الاسم عنده ليسع ثم يدخل الالف واللام قال ولو كانت يسع لم يجز ان يدخل الالف واللام
كما لا يدخل فى يزيد ويحيى قال الاصمعى فقلت له فاليرمع من الحجارة واليعملة من الابل واليحمد
حى من اليمن فكانما القمته حجرا وبعدها فانا قد سمعناهم يسمون بيسع ولم نرهم يسمون بليسع
وقال الفراء القراءة بالتشديد اشبه بالاسماء العجمية من التخفيف قال لانهم لا يكادون يدخلون
الالف واللام فيما لا يجرى مثل يزيد ويعمر الا فى الشعر انشدنى بعضهم **شعر**

وجدنا الوليد بن اليزيد مباركا شديدا باعباء الخلافة كاهله

قال وانما ادخل الالف واللام فى يزيد لدخولهما فى الوليد فاذا فعلوا ذلك فقد امسوا الحرف
مدحا قوله ووهبنا له اسحق ويعقوب الهاء فى له كناية عن ابرهيم عليه السلام كلا هدينا نصب كلا
بهدينا ونوحا هدينا من قبل معناه هدينا قبل ابرهيم وقوله ومن ذريته داود وسليمان
تقديره وهدينا داود وسليمان نسقا على نوح ويحتمل ان يكون قوله ومن ذريته الهاء راجعة
الى نوح لان الانبياء المذكورين كلهم من ذريته قال الزجاج ويجوز ان يكون من ذرية ابرهيم
لان ذكرهما جميعا قد جرى واسماء الانبياء التى جاءت بعد قوله ونوحا هدينا من قبل نسق
على نوح نصب كلها ولو رفعت على الابتداء كان صوابا قال ابو على الجبائى الهاء لا يجوز ان يكون
كناية عن ابرهيم لان فيمن عدد من الانبياء لوطا وهو كان ابن اخته وقيل ابن اخيه ولم يكن من
ذريته وهذا الذى قال ليس بشئ لانه لا يمتنع ان يكون غلب الاكثر وجميع من ذكر من نسل ابرهيم
على انه قال فيما روى عن ابن مسعود ان الياس ادريس وهو جد نوح ولم يكن من ذريته ومع
هذا لم يطعن على قول من قال انها كناية عن نوح وقال ابن اسحق الياس هو ابن اخى موسى ويجوز
ان يكون الهاء كناية عن ابرهيم ويكون من سماهم الى قوله وكل من الصالحين من ذريته ثم قال
واسمعيل واليسع ويونس ولوطا فعطفهم على قوله ونوحا هدينا وفى الاية دلالة على ان الحسن
والحسين من ولد رسول الله صلى الله عليه واله لان عيسى جعله الله من ذرية ابرهيم او نوح
انما كانت امه من ذريتهما والوجه فى الايات ان الله تعالى اخبر انه رفع درجة ابرهيم بما جعل فى
ذريته من الانبياء وجزاه بما وصل اليه من السرور والابتهاج عند ما اعلمه من ذلك وربما ابهج
له من الذكر الرفيع فى الاعقاب والجزاء على الاحسان لذة وسرور ومن اعظم السرور واكثر
اللذات علم الانسان بانه يكون من عقبه وولده المنسوبين اليه انبياء يدعون الى الله ويجاهدون
فى سبيله ويكونون ملوكا وخلفاء يطيعون الله ويحكمون بالحق فى عباد الله ثم اخبر انه جزا نوحا بمثل
ذلك على مقاصيه الدعا اليه والجهاد فى سبيله والهداية فى الايات كلها هو الارشاد الى الثواب
دون الهداية التى هى نصب الادلة لانه تعالى قال فى اخر الايات وكذلك نجزى المحسنين فبين ان ذلك
جزاء ولا يليق الا بالثواب الذى يختص به المحسنون دون الهداية التى هى الدلالة ويشترك فيها المؤمن
والكافر وهو قول ابى على الجبائى والبلخى وقوله اولئك الذين اتيناهم الكتاب والحكم والنبوة
اشارة الى من تقدم ذكره من الانبياء وقوله فان يكفر بها هؤلاء يعنى الكفار الذين جحدوا نبوة
النبى عليه السلام فى ذلك الوقت فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين معنى وكلنا بها اى وكلنا

بمراعاة امر النبوة وتعظيمها والاخذ بهدى الانبياء قوما ليسوا بها بكافرين وانما اضاف ذلك
الى المؤمنين وان كان قد فعل بالكافرين ايضا ازاحة العلة فى التكليف من حيث ان المؤمنين هم
الذين قاموا بذلك وعملوا به فاضافه اليهم كما اضاف قوله هدى للمتقين وان كان هداية لغيرهم
وقيل فى المعنيين بقوله ليسوا بها بكافرين ثلثة اقوال احدها انه عنى بذلك الانبياء الذين
جرى ذكرهم امنوا بها الى به النبى عليه السلم فى وقت مبعثه وهو قول الحسن والزجاج والطبرى و
الجبائى قال الزجاج لقوله تعالى اولئك الذين هدى الله فبهديهم اقتده وذلك اشارة الى
الانبياء الذين ذكرهم ووصفهم وامر النبى عليه السلم بالاقتدا بهديهم والثانى انه عنى به الملئكة
ذهب اليه ابو رجا العطاردى وقال قوم عنى به من امن من اصحاب النبى عليه السلم فى وقت مبعثه وقال
الفرا والضحاك قوله فان يكفر بها هؤلاء يعنى اهل مكة فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين
يعنى اهل المدينة والاول اقوى وفى الاية دلالة على ان الله تعالى يتوعد من يعلم انه لا يشرك و
لا يفسق وان الوعد والوعيد قد يكونان بشرط وقوله اولئك الذين هدى الله معناه اولئك
الذين حكم الله لهم بالهدى والرشاد وزادهم هدى حين اهتدوا والمراد به الانبياء الذين تقدم
ذكرهم الثمانية عشر وامر النبى عليه السلم بان يسلك سبيلهم ويأخذ بهديهم فى تبليغ الرسالة والصبر
على المحن وان يقول لقومه لا اسئلكم عليه اجرا يعنى على الاداء والابلاغ ولكنه يذكر به العالمين و
ينبههم على ما يلزمهم من عبادة الله والقيام بشكره وقوله فبهديهم اقتده قرا حمزة والكسائى وخلف
ويعقوب والكسائى عن ابى بكر بحذف الهاء فى الوصل واثباتها فى الوقف الباقون بثباتها فى الوصل
والوقف وسكونها الا ابن ذكوان فانه كسرها ووصلها بياء فى اللفظة والا هشاما فانه كسرها
من غير صلة بياء ولا خلاف فى الوقف انها بالهاء ساكنة قال ابو على الفارسى الوجه الوقف بالهاء
لاجماع الكثرة والجمهور على اثباتها ولا ينبغى ان يوصل والهاء ثابتة لان هذه الهاء فى السكت بمنزلة
همزة الوصل فى الابتدا فى ان الهاء للوقف كما ان همزة الوصل للابتداء بالساكن فكما لا يثبت
الهمزة فى الصلة كذلك ينبغى ان لا يثبت الهاء قال ابو على وقراءة ابن عامر بكسر الهاء واشمام
الهاء الكسرة من غير بلوغ ياء ليس بغلط وجهها ان يجعل الهاء كناية عن المصدر ولا التى يلحق
للوقف وحسن اضماره لذكر الفعل الدال عليه ومثل ذلك قول الشاعر **شعر**

فجال على وحشيه وتخاله ... على ظهره سبا جديدا يمانيا

كانه قال تخاله تخيلا على ظهره سبا جديدا ومثل ذلك قول الشاعر **شعر**

هذا سراقة للقران يدرسه ... والمرء عند الرشا ان يلقها ذئب

فالهاء كناية عن المصدر ودل يدرسه على الدرس ولا يجوز ان يكون ضمير القران لان الفعل
قد تعدى اليه باللام فلا يجوز ان يتعدى اليه والى ضميره كما انك اذا قلت ازيدا ضربته لم ينصب
زيدا بضربت لتعديه الى الضمير وقياسه اذا وقف عليه ان يقول اقتده فيكسر هاء الضمير كما يقول
اشتره فى الوقف وفى الوصل اشتريها بهذا واستدل قوم بقوله فبهديهم اقتده على ان النبى
صلى الله عليه واله كان متعبدا بشريعة من قبله من الانبياء وهذا لا دلالة فيه لان قوله فبهديهم
اقتده والدلالة ما اوجبت العلم ويجب الاقتداء بها لكونها موجبة للعلم لا غير ولذلك قال تعالى
ذلك هدى الله يهدى به من يشاء من عباده فنسب الهدى الى نفسه فعلم بذلك انه اراد ما قلنا
وقوله ولو اشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون يدل على ان الهدى فى قوله واجتبيناهم وهديناهم
هداية الثواب على الاعمال الصالحة لان الثواب على الاعمال هو الذى يحبط تارة ويثبت اخرى دون
الهداية التى هى الادلة الحاصلة للمؤمن والكافر وقوله وكلا فضلنا على العالمين يعنى على عالمى
زمانهم الذين ليسوا انبياء وانما دخلت من فى قولهم ومن اباءهم وذرياتهم للتبعيض كانه قال

بعض

بعض اباءهم وبعض ذرياتهم وبعض اخوانهم وهديناهم ولو لم يدخل من لاقتضى انه هدى جميعهم
الهداية التى هى الثواب والامر بخلافه وقوله اجتبيناهم معناه اخترناهم وقوله ولو اشركوا لحبط عنهم ما
كانوا يعملون لا يدل على صحة ثواب طاعاتهم التى اشركوا فى توجيهها الى غير الله لانهم اوقعوها على
خلاف الوجه الذى يستحق به الثواب فاما ما تقدم من تلبيس فى الاية ما يقتضى بطلانه غير انا قد علمنا
انه اذا اشرك انه لا ثواب معه اصلا لاجماع الامة على ان المشرك لا يستحق الثواب فلو كان معه ثواب
وقد ثبت ان الاحباط باطل لكان يؤدى الى ان معه ثوابا وعقابا الا انا قد بينا بطلان القول
بالتحابط فى غير موضع وذلك خلاف الاجماع **قوله** تعالى مَا قَدَرُوا اللّٰهَ حَقَّ قَدْرِهِ اِذْ قَالُوا مَا
اَنْزَلَ اللّٰهُ عَلٰى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ اَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسٰى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ
قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا اَنْتُمْ وَلَا اٰبَاؤُكُمْ قُلِ اللّٰهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ
يَلْعَبُونَ اية بلا خلاف **اقول** قرا ابن كثير وابو عمرو يجعلونه قراطيس يبدونها ويخفون كثيرا
بالياء فيهن الباقون بالتاء فيهن ومن قرا بالياء حمله على انه غيبة بدلالة قوله وما قدروا الله حق
قدره اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شئ قل من انزل الكتاب الذى جاء به موسى يجعلونه فحمله
على الغيبة لان ما قبله غيبة ومن قرا بالتاء حمله على قوله وعلمتم ما لم تعلموا فجاء على الخطاب وكذلك ما
قبله ومعنى يجعلونه قراطيس يجعلونه ذوى قراطيس اى تودعونه اياها وتخفون اى تكتمونه وموضع
قوله تبدونها وتخفون كثيرا يحتمل امرين احدهما ان يكون صفة القراطيس لان النكرة توصف بالجمل
والاخر ان تجعله حالا من ضمير الكتاب من قوله تجعلونه قراطيس على ان تجعل القراطيس الكتاب فى
المعنى لانه مكتوب فيها روى ان سبب نزول هذه الاية ان النبى عليه السلم راى حبرا من احبار اليهود
سمينا يقال له مالك بن الصيف وقيل فنحاص فقال له اليس فى التورية ان الله يبغض الحبر السمين
فغضب وقال ما انزل الله على بشر من شئ فلعنته اليهود وتبرأت منه فنزلت هذه الاية ذكر ذلك
عكرمة وقتادة وقال محمد بن كعب القرظى نزلت فى جماعة من اليهود وروى مثل ذلك عن ابن
عباس وقال مجاهد نزلت فى مشركى قريش وروى ذلك عن ابن عباس ايضا وهو اشبه بسياق
الاية لانهم الذين انكروا ان يكون الله انزل كتابا على بشر دون اليهود والنصارى ومعنى قوله
وما قدروا الله حق قدره اى ما عرفوه حق معرفته وما وصفوه بما هو اهل ان يوصف به اذ
قالوا ما انزل الله على بشر من شئ اى ما ارسل الله رسولا ولم ينزل على بشر من شئ مع ان المصلحة
والحكمة يقتضيان ذلك ودلت المعجزات الباهرة على بعثة كثير منهم ثم امر الله نبيه ان يقول لهم من
انزل الكتاب الذى جاء به موسى نورا وهدى للناس فانهم يقرون بذلك وان الله انزله وبعث
موسى عليه السلم نبيا وان لم يقروا بذلك فقد خرجوا من اليهودية الى قول من ينكر النبوات والكلام
على من انكر ذلك اصلا مذكور فى النبوات مستوفى لا نطول بذكره هاهنا وعلى ما قلناه من
ان الاية متوجهة الى مشركى قريش من حيث ان الله تعالى من اول السورة الى هيهنا فى الاخبار
عن المشركين وعن احوالهم وكذلك اول الاية فى قوله وما قدروا الله حق قدره لانهم كانوا لا
يعتقدون التوحيد ويعبدون مع الله الاصنام واهل الكتاب كانوا بخلاف ذلك لانهم كانوا
يعتقدون التوحيد فلا يليق بهم ذلك وان كان اليهود عندنا ايضا غير عارفين بالله على وجه
يستحقون به الثواب والقول الاخر ايضا محتمل فعلى ما اخترنا يكون قوله قل من انزل الكتاب متوجها
الى اليهود والنصارى لانهم المقرون بذلك دون قريش ومشركى العرب ويجوز ان يكون متناولا
للمشركين ايضا ويكون على وجه الاحتجاج عليهم والتنبيه لهم بما ظهر من معجزات موسى وظهور
نبوته وهذا الذى اخترناه قول مجاهد واختاره الطبرى والجبائى وقوله يجعلونه قراطيس اى تقطعونه
فتجعلونه كتبا متفرقة وصحفا تبدون بعضها وتخفون بعضها يعنى ما فى الكتب من صفات النبى عليه السلم

والاشاره

والاشارة به ثم عطف على ما ابتدا به من وصف الكتاب الذى جاء به موسى وانه نور وهدى فقال وعلمتم ما لم تعلموا انتم ولا اباؤكم على لسان النبى عليه السلام والاشارة به ثم عطف على ما ابتدا به من وصف الكتاب الذى جاء به موسى وانه نور وهدى فقال وعلمتم ما لم تعلموا انتم ولا اباؤكم على لسان النبى عليه السلام ثم اجاب عن الكلام الاول فقال قل الله وهذا معروف فى كلام العرب لان الانسان اذا اراد البيان والاحتجاج بما يعلم ان الخصم مقر به ولا يستطيع دفعه ذكر ذلك ثم تولى الجواب عنه بما قد علم ان لا جواب له غيره وقوله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون فانه كما يقال لمن قامت عليه الحجة الواضحة التى لا يمكنه دفعها ليس على اباحة ترك الدعاء والانذار بل على ضرب من الوعيد والتهديد كانه قال دعهم فسيعلمون عاقبة امرهم ويجوز ان يكون اراد ردعهم فلا تقاتلهم ولا تحمل على قهرهم على قبول قولك الى ان يؤذن لك فى ذلك فيكون انما اباح ترك قتالهم لا ترك الدعاء والانذار على ضرب من الوعيد والتهديد كانه قال دعهم فسيعلمون عاقبة امرهم و يجوز ان يكون اراد ردعهم فلا تقاتلهم ولا تحمل على قهرهم على قبول قولك الى ان يؤذن لك فى ذلك فيكون انما اباح ترك قتالهم لا ترك الدعاء والتحذير وترك البيان والاحتجاج ويلعبون رفعه لانه لم يجعله جوابا بالجزم كما قال ذرهم ياكلوا ويتمتعوا وكان ذلك جوابا وموضع يلعبون نصب على الحال وتقديره ذرهم لاعبين فى خوضهم وقال قوم ان هذه الاية مدنية مع الايتين اللتين ذكرناهما فى اول السورة ويجوز ان يكون ذلك بمكة ايضا **قوله** تعالى وَهٰذَا كِتَابٌ اَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنْذِرَ اُمَّ الْقُرٰى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْاٰخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلٰى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ اية بلا خلاف **اقول** قرا ابو بكر وحده ولينذر بالياء والباقون بالتاء ومن قرا بالتاء فلقوله انما انت منذر من يخشيها وقوله وانذر به الذين يخافون ومن قرا بالياء جعل الكتاب هو المنذر لان فيه انذارا لانه قد خوف به فى قوله هذا بلاغ للناس ولينذروا به وقوله انما انذركم بالوحى فلا يمتنع اسناد الانذار اليه على حد التوسع قوله وهذا كتاب اشارة الى القران الذى انزله الله على نبيه محمد صلى الله عليه واله فعطف هذه الاية على ذكره الكتاب الذى جاء به موسى عليه السلام فلما وصفه قال تعالى وهذا كتاب انزلناه مبارك وصفه بانه مبارك وانه مصدق لما بين يديه يعنى ما مضى من كتب الانبياء كالتورية والانجيل وغيرهما وبين انه انما انزله لتنذر به اهل مكة وهى ام القرى ومن حولها قال ابن عباس وقتادة وغيرهما ام القرى مكة ومن حولها اهل الارض كلهم وانما خص اهل مكة بذلك لانها اعظم قدرا لان فيها الكعبة ولان الناس يقصدونها بالحج والعمرة من جميع الافاق وانذاره بالقران هو تخويفهم اياهم بعذاب الله وعقابه ان اقاموا على كفرهم بالله ولم يؤمنوا به وبرسوله وقوله والذين يؤمنون بالاخرة يؤمنون به يعنى بالقران ويحتمل ان يكون كناية عن محمد صلى الله عليه واله والدلالة لان الكلام عليه وهذا يقوى مذهبنا فى انه لا يجوز ان يكون مؤمنا ببعض ما اوجب الله عليه دون بعض وبين انهم على صلاتهم يعنى على اوقات صلواتهم يحافظون بمعنى يراعون اوقاتها ليؤدوها فى الاوقات ويقيموها باتمام ركوعها وسجودها وجميع فرائضها و قيل سميت مكة ام القرى لانها اول موضع سكن فى الارض وقيل ان الارض كلها دحيت من تحتها فكانت اما لها وقال الزجاج سميت بذلك لانها اعظم القرى شانا **قوله** تعالى وَمَنْ اَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرٰى عَلَى اللّٰهِ كَذِبًا اَوْ قَالَ اُوحِىَ اِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ اِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَنْ قَالَ سَاُنْزِلُ مِثْلَ مَا اَنْزَلَ اللّٰهُ وَلَوْ تَرٰى اِذِ الظَّالِمُونَ فِى غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلٰئِكَةُ بَاسِطُوا اَيْدِيهِمْ اَخْرِجُوا اَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللّٰهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ اٰيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ اية بلا خلاف **اقول** اختلفوا فيمن نزلت فيه هذه الاية فقال اكثر المفسرين ان قوله ومن اظلم ممن

افترى

افترى على الله كذبا نزلت فى مسيلمة حيث ادعى النبوة وقال انه يوحى اليه وان قوله ومن قال سانزل مثل ما انزل الله نزلت فى عبد الله بن سعد بن ابى سرح فانه كان يكتب الوحى للنبى عليه السلام وكان اذا قال له اكتب عليما حكيما كتب غفورا رحيما واذا قال اكتب غفورا رحيما كتب عليما حكيما وارتد ولحق بمكة وقال انى انزل مثل ما انزل الله ذهب اليه عكرمة وابن عباس ومجاهد والسدى والجبائى والفراء والزجاج وغيرهم وقال قوم نزلت فى مسيلمة خاصة وقال اخرون نزلت فى ابن ابى سرح خاصة والاول هو المروى عن ابى جعفر عليه السلام وقال البلخى قوله ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا او قال اوحى الى هم الذين ادعوا النبوة بغير برهان وكذبوا على الله ومن قال سانزل مثل ما انزل الله هم الذين قالوا لو نشاء لقلنا مثل هذا ان هذا الا اساطير الاولين فادعوا ثم لم يفعلوا واعرضوا وبذلوا الانفس والاموال واستعملوا فى اطفاء نوره من جاء بالكتاب سائر الحيل ثم اخبر تعالى عن حال من فعل ذلك فقال ولو ترى اذ الظالمون فى غمرات الموت لرايت عذابا عظيما وكل من كان فى شىء كبير يقال له غمر ذلك ويقال قد غمر فلانا ذلك اذا كثر عليه فصار بمنزلة ما يصيره قد غمر وغطى من كثرته وقوله اخرجوا انفسكم اليوم يحتمل امرين احدهما ان يكون تقديره يقولون اخرجوا انفسكم كما يقول للذى يعذبه لازهقن نفسك و لاخرجن نفسك فهم يقولون لهم اخرجوا انفسكم على معنى الوعيد والتهديد كما يدفع الرجل فى ظهر صاحبه ويكرهه على المضى بان يجره او بغير ذلك وهو فى ذلك يقول امض الان لترى ما يحل بك والغمرات جمع غمرة وغمرة كل شىء كثرته ومعظمه واصله الشىء يغمر الاشياء فيغطيها و قال ابن عباس غمرات الموت سكراته وبسط الملئكة ايديها بما توعدوها وقال ابن عباس البسط الضرب يضربون وجوههم وادبارهم وملك الموت يتوفاهم وقال الضحاك بسطها ايديها بالعذاب والثانى ان يكون معناه خلصوا انفسكم اى لستم تقدرون على الخلاص اليوم تجزون عذاب الهون اى العذاب الذى يقع به الهوان الشديد والهون بفتح الهاء وسكون الواو من الرفق والدعة كقوله وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا وقال الشاعر

هونا كما لا يرد الدهر ما فاتا ... لا تهلكن اسفا فى اثر من ماتا

وقد روى فتح الهاء فى معنى الهوان قال عامر بن جوين يهين النفوس وهون النفوس عند الكريهة اعلى لها والمعروف ضم الهاء اذا كان بمعنى الهوان قال ذو الاصبع العدوانى

شعر: اذهب اليك فما امى براعية ... ترعى المخاض ولا اغضى على الهون

يعنى على الهوان وعن ابى جعفر عليه السلام عذاب الهون يعنى العطش وقوله ومن قال سانزل مثل ما انزل فى موضع جر كانه قال ومن اظلم ممن قال ذلك **قوله** تعالى وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادٰى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ اَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرٰى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ اَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ اية **اقول** قرا اهل المدينة والكسائى وحفص بينكم بنصب النون الباقون برفعها البين مصدر بان يبين اذا فارق قال الشاعر

شعر: بان الخليط برامتين فودعوا ... او كلما ظعنوا للبين تجزع

وقال ابو زيد بان الحى بيونة بينا اذا ظعنوا وتباينوا بينا اذا كانوا جميعا فتفرقوا قال والبين ما ينتهى اليه بصرك من حائط او غيره واستعمل على هذا الاسم على ضربين احدهما ان يكون اسما منصرفا كالافتراق والاخر ان يكون ظرفا فمن رفع فما كان ظرفا استعمله اسما يدل على جواز كونه اسما قوله هذا فراق بينى وبينك وقوله ومن بيننا وبينك حجاب فلما استعمل اسما فى هذه المواضع جاز ان يسند اليه الفعل الذى هو تقطع فى قراءة من رفع ويدل على ان هذا المرفوع هو الذى استعمل ظرفا انه لا يخلو من ان يكون الذى هو ظرف اتسع فيه او يكون الذى هو مصدر

ولا يجوز

ولا يجوز ان يكون الذى هو مصدر لان التقدير يصير لقد تقطّع افتراقكم وهذا خلاف المعنى المراد
لان المراد لقد تقطع بينكم وصلكم وما كنتم تتألفون عليه فان قيل كيف جاز ان يكون بمعنى الوصل
واصله الافتراق والتباين وعلى هذا قالوا بان الخليط اذا فارق وفى الحديث ما بان من الحى فهو
ميتة قيل انه لما استعمل مع الشيئين المتلابسين نحو بينى وبينك شركة وبينى وبينه صداقة ورحم
صارت لذلك بمنزلة الوصلة وعلى خلاف الفرقة فلذلك لقد تقطع بينكم بمعنى لقد تقطع وصلكم
ومثل بين فى انه يجرى ظرفا ثم يستعمل اسما وسط ساكن العين الا ترى انهم يقولون جلست وسط
القوم فيجعلونه ظرفا لا يكون الا كذلك وقد استعملوه اسما كما قال الشاعر **شعر**

من وسط جمع بنى قريظة بعد ما … هتفت ربيعة يا بنى خوات

وحكى سيبويه هو احمر بين العينين واما من نصب بينكم ففيه وجهان احدهما انه اضمر الفاعل فى
الفعل ودل عليه ما تقدم من قوله وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم انهم فيكم شركاء لان
هذا الكلام فيه دلالة على التقاطع والتهاجر وذلك المضمر هو الاصل كانه قال لقد تقطع وصلكم
بينكم والثانى ان يكون على مذهب ابى الحسن ان يكون مستقله منصوبا معناه مرفوعا فلما جرى
فى كلامهم منصوبا ظرفا تركوه على ما يكون عليه فى اكثر الكلام وكذلك يقول فى قوله يوم القيمة
يفصل بينكم وكذلك قوله وانا منا الصالحون ومنا دون ذلك فدون فى موضع رفع عنده وان
كان منصوب اللفظ كما يقول منا الصالح ومنا الطالح فيرفع وقال الزجاج الرفع اجود وتقديره
لقد تقطع وصلكم والنصب جائز على تقديره لقد تقطع ما كنتم فيه من الشركة بينكم وقال الفراء
فى قراءة عبد الله لقد تقطع ما بينكم وهو وجه الكلام اذا جعل الفعل لبين ترك نصبا فى موضع
رفع لانه صفة فاذا قالوا هذا دون من الرجال فلم يضيفوه رفعوه فى موضع الرفع وكذلك يقول
بين الرجلين بين بعيد وبون بعيد اذا افردته اجريته فى العربية واعطيته الاعراب قال مهلهل **شعر**

كان رماحهم اشطان بئر … بعيد بين جاليها جزور

فرفع بين حيث كانت اسما وقال مجاهد معنى تقطع بينكم اى تواصلكم وبه قال قتادة وابن عباس
فمعنى الاية الحكاية عن خطاب الله تعالى يوم القيمة لهؤلاء الكفار الذين اتخذوا مع الله اندادا
وشركاء وانه يقول لهم عند ورودهم لقد جئتمونا فرادى وهو جمع فرد وفريد وفرد وفردان
قال الازهرى لا يجوز فرد على هذا المعنى والعرب يقول فرادى وفراد فلا يصرفونها يشبهونها
بثلاث ورباع قال الشاعر ابن مقبل **شعر**

ترى النعرات الزرق تحت لبانه … احاد ومثنى اضعفتها صواهله

فراد ومثنى اضعفتها صواهله **شعر** من وحش وجرة موشى اكارعه

طاوى المصير كسيف الصيقل الفرد … وكان يونس يقول فراد جمع فرد كما قيل توام
توأم ومثل الفرادى الردانى والقرابى ورجل افرد وامراة فرداء اذا لم يكن لهما اخ وقد فرد
الرجل فهو يفرد فرودا يراد به تفرّد فهو فارد فمعنى قوله جئتمونا فرادى اى وحدانا لا مال لكم
ولا اثاث ولا رفيق ولا شئ مما كان الله خولكم فى الدنيا كما خلقناكم اول مرة وروى عن النبى صلى
الله عليه واله انه قال يحشرون حفاة عراة عزلا والعزل هم القلف وروى ان عايشة قالت لرسول
الله حين سمعت ذلك واسوأتاه ينظر بعضهم الى سوءة بعض من الرجال والنساء فقال رسول
الله لكل امرئ منهم يومئذ شان يغنيه فيشغل بعضهم عن بعض وقال الزجاج يحتمل ان يكون
المعنى كما بدأكم اول مرة اى كان بعثكم كخلقكم من غير كلفة ولا مشقة وقال الجبائى معناه
جئتم فرادى واحدا واحدا كما خلقناكم اول مرة اى بلا ناصر ولا معين كما خلقكم فى بطون
امهاتكم ولا احد معكم وقوله وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم يعنى ما ملكناكم فى الدنيا مما كنتم
تتباهون به فيها خلفكم فى الدنيا وهذا تعيير من الله لهم لمباهاتهم التى كانوا يتباهون فى الدنيا

اعم من العينين

النعرة مثال الهمزة ذباب ضخم ازرق العين اخضر دابرة فى طرف ذنبه يلسع بها ذوات الحافر خاصة ح

باموالكم يقال خولته اى اعطيته ويقال خالى خال الرجل يخال اشد الخيال بكسر الخاء وهو
خائل ومنه قول ابى النجم **شعر** اعطى فلم يبخل ولم يبخل

كوم الذرى من خول المخول … وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم انهم فيكم
شركاء يقول تعالى لهؤلاء الكفار ما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم انهم فيكم شركاء يقول
تعالى لهؤلاء الكفار وما نرى معكم شركاءكم الذين كنتم تزعمون فى الدنيا انهم يشفعون لكم
عند ربكم يوم القيمة وقال عكرمة ان الاية نزلت فى النضر بن الحرث بن كلدة حين قال سوف يشفع
فى اللات والعزى فنزلت الاية وقوله لقد تقطع بينكم اى وصلكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون
اى جار عن طريقتكم ما كنتم تزعمون من الهتكم انه شريك لله تعالى وانه يشفع لكم عند ربكم فلا
شفيع لكم اليوم **قوله** تعالى اِنَّ اللّٰهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوٰى يُخْرِجُ الْحَىَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ
الْحَىِّ ذٰلِكُمُ اللّٰهُ فَاَنّٰى تُؤْفَكُوْنَ اية بلا خلاف **اقول** فى هذه الاية تنبيه لهؤلاء الكفار الذين
اتخذوا مع الله الهة عبدوها وحجة عليهم وتعريف منه لهم خطأ ما هم عليه من عبادة الاصنام بان
قال ان الذى له العبادة ومستحقها هو الله الذى فلق الحب يعنى شقه من كل ما ينبت من
النبات فاخرج منه الزرع على اختلافها والنوى من كل يغرس مما له نواة فاخرج منه الزرع على
اختلافها والنوى من كل ما يغرس مما له نواة فاخرج منه الشجر والحب جمع حبة والنوى جمع نواة
وذلك لا يقدر عليه الا الله تعالى القادر بنفسه لان القادر بقدرة لا يقدر على شق ذلك الا
بالة ولا يقدر على انبات شئ واخراج شئ منها فعلم ان من فعل ذلك هو الذى لا يشبه شيئا
من الاجسام ولا يشبهه القادر على اختراع الاعيان بلا معاناة ولا مزاولة ثم اخبر انه يخرج الحى من
الميت لان الله تعالى يخلق الحى من النطفة وهى موات ويخلق النطفة وهى موات من الحى وهو قول
الحسن وقتادة وابن زيد وغيرهم وقال الضحاك وابن عباس معنى فالق الحب والنوى خلقهما وقال
قال مجاهد وابو مالك هو الشق الذى فى الحبة والنوى والاول اقوى الاقوال وقال قوم اراد
باخراج الحى من الميت اخراج السنبل وهو حى من الحب وهو ميت ومخرج الحى الميت من السنبل الحى
الشجر الحى من النوى الميت والنوى الميت من الشجر الحى والعرب يسمى الشجر ما دام غضا قائما بانه
حى فاذا يبس او قطع من اصله او قلع سموه ميتا ذهب اليه السدى والطبرى والجبائى وما ذكرناه
اولا قول ابن عباس وهو الاقوى لانه الحقيقة وما ذكروه مجاز وان كان جائزا محتملا وقوله ذلكم الله
فانى تؤفكون معناه ان فاعل ذلك كله الله تعالى فانى وجوه الصد عن الحق ايها الجاهلون تصدون
وعن العذاب تصدفون افلا تتدبرون فتعلمون انه لا ينبغى ان يجعل لمن انعم عليكم ففلق الحبة
النوى واخرج من الحى الميت ومن الميت الحى ومن الحب الزرع ومن النوى الشجر شريك فى عبادته
ما لا يضر ولا ينفع ولا يسمع ولا يبصر وفى الاية دلالة على بطلان قول من قال ان الله تعالى يحول
بين العبد وبين ما دعاه اليه او يخلق فيه ما نهاه عنه لانه قال فانى تؤفكون ولو كان شيئا من ذلك
الكان هو المؤفك لهم والصارف تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ومعنى قوله فانى تؤفكون اى تصرفون
عقولكم وهو قول الحسن وغيره والافك هو الكذب **قوله سبحانه** فَالِقُ الْاِصْبَاحِ وَجَاعِلُ
اللَّيْلِ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ اية بلا خلاف **اقول** قرا
اهل الكوفة جعل الليل على الفعل الباقون جاعل على الفاعل من قرا جاعل على وزن فاعل فلان
قبله اسم فاعل وهو قوله فالق الحب والنوى وفالق الاصباح فقرا وجاعل الليل ليكون فاعل
المعطوف على فاعل المعطوف عليه فيكون متشاكلا لان من حكم الاسم ان يعطف على اسم مثله
لانه به اشبه من الفعل بالاسم وهذه المشاكلة مراعاة فى كلام العرب ومثله فريقا هدى وفريقا
حق عليهم الضلالة وقوله يدخل من يشاء فى رحمته والظالمين وقوله وكلا ضربنا له الامثال

كلا تبرنا تتبيرا نصبوا هذا كله ليكون القارى بنصبهما كالعاطف جملة من فعل وفاعل على جملة
من فعل وفاعل فكما ان الفعل بالفعل اشبه من المبتدأ بالفعل كذلك الاسم بالاسم اشبه
من الفعل بالاسم ويقوى ذلك قول الشاعر للبس عباءة وتقر عيني نصب تقر بتقدير ان لتكون من
احب الى من لبس الشفوف ومن قرا وجعل فلان اسم الفاعل الذى قبله بمعنى
الماضى فلما كان فاعل بمعنى فعل فى المعنى عطف عليه بالفعل لموافقته له فى المعنى ويدل ذلك
على انه بمنزلة فعل انه نزل منزلته فيما عطف عليه وهو قوله والشمس والقمر حسبانا الا ترى انه
لما كان المعنى فعل حمل المعطوف على ذلك فنصب الشمس والقمر على فعل لما كان فاعل كفعل و
يقوى ذلك قولهم هذا معطى زيد درهما امس فالدرهم محمول على اعطى لان اسم الفاعل اذا
كان لما مضى لم يعمل عمل الفعل وقد اجازه بعض الكوفيين معنى قوله فالق الاصباح اى شاق
عمود الصبح عن ظلمة الليل وذلك دال على القدرة العجيبة التى لا يقدر عليه غير الله ويحتمل
ان يكون معناه خالقه على ما حكيناه عن الضحاك وذكره الزجاج ورفع فالق الاصباح ويحتمل
ان يكون خبر ابتدا محذوف فكانه قال هو فالق الاصباح والاصباح مصدر اصبحنا اصباحا و
المراد اصبح كل يوم فهو فى معنى الاصباح وروى عن الحسن انه قرا فالق الاصباح بفتح الالف وهو
قول مجاهد والضحاك وقتادة وابن عباس واكثر المفسرين وروى عن ابن عباس ان معناه خالق
الليل والنهار وقوله والشمس والقمر حسبانا نصبهما عطفا على موضع الليل لان موضعه النصب
بانه مفعول جاعل واختلفوا فى معناه فقال ابن عباس والسدى والربيع وقتاده ومجاهد والجبائى
انهما تجريان فى افلاكهما بحساب تقطع الشمس الفلك فى سنة ويقطعه القمر فى شهر بتقدير قدره
الله تعالى به فهو كقوله والشمس والقمر بحسبان وقوله وكل فى فلك يسبحون وقال قتادة معناه انه
جعل الشمس والقمر ضياء والاول اجود لان الله تعالى ذكر تمثل ايادية عند خلقه وعظيم سلطانه
بفعله الاصباح لهم واخراج النبات والفراش من الحب والنوى وعقب ذلك بذكر خلق النجوم
للاهتداء بها فى البر والبحر وكان وصفه اجراء الشمس والقمر بمنافعهم اشبه وانهما تجرى بحسبان
ما يحتاج الخلق اليه فى معايشهم ومعاملاتهم اما الشمس فللزرع والحرث والقمر فللمواعيد واجال
الديون فى المعاملات وفيهما منافع لا يعرف تفصيلها الا الله تعالى ولانه قال فالق الاصباح ذكر الضياء
ولا معنى لتكريره دفعة ثانية والحسبان جمع حساب على وزن شهبان وشهاب وقيل فى هذا المواضع
انه مصدر حسبت الحساب احسبه حسابا وحسبانا وحكى عن بعض العرب على الله حسبان فلان و
حسبته اى حسابه والحسبان بكسر الحاء جمع حسبانة وهى وسادة صغيرة ونصب حسبانا على تقدير
بحسبان فلما حذف الباء نصبه وقال قوم هو نصب لقوله وجعل وقوله ذلك تقدير العزيز العليم
اى هذا الذى وصفه بانه فعله من فلقه الاصباح وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا تقدير
الذى عز سلطانه فلا يقدر احد ارادة بسوء او عقاب او انتقام على الامتناع منه العليم بمصالح
خلقه وتدبيرهم لا تقدير الاصنام والاوثان التى لا تسمع ولا تبصر ولا تفقه شيئا ولا تعقله
قوله تعالى وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ
لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ اية **اقول** هذه الاية موصولة بالتى قبلها ومعناهما متقارب وهو ان الله تعالى
عدد نعمه على خلقه وان من جملتها انه جعل لهم النجوم بمعنى خلقها ليهتدوا بها فى اسفارهم فى
ظلمات البر والبحر وانه قد فصل ايات لقوم يعلمون وانما اضاف الى الذين يعلمون وان كانت
ايات لغيرهم لانهم المنتفعون بها كما قال هدى للمتقين وليس فى قوله انه خلقها ليهتدوا بها فى
ظلمات البر والبحر ما يدل على انه لم يخلقها لغير ذلك قال البلخى بل يشهد انه خلقها لامور جليلة
عظيمة ومن فكر فى صغر الصغير منها وكبر الكبير واختلاف مواقعها ومجاريها وسيرها وظهور منافع

الشمس والقمر فى نشو الحيوان والنبات علم ان الامر كذلك ولو لم يخلقها الا للاهتداء لما كان
يخلقها صغارا وكبارا واختلاف مسيرتهما معنى قال الحسين بن على المغربى هذا من البلخى اشارة
منه الى دلالتها على الاحكام **قوله** تعالى وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ
قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ اية بلا خلاف **اقول** قرا ابن كثير وابو عمرو وروح فمستقر
بكسر القاف الباقون بنصبها قال ابو على النحوى قال سيبويه قالوا قر فى مكانه واستقر كما قالوا
جلب واجلب يراد بهما شئ واحد فكما بنى هذا على فعلت بنى هذا على استفعلت فمن كسر القاف
كان المستقر بمعنى القار والخبر مضمر وتقديره منكم مستقر كقولك بعضكم مستقر اى مستقر
فى الارحام وقال خلقكم فى بطون امهاتكم خلقا من بعد خلق كما قال وخلقكم اطوارا ومن فتح
فليس على انه مفعول به لان استقر لا يتعدى واذا لم يتعد لم يبن منه اسم مفعول فاذا لم يكن
مفعولا كان اسم الفاعل مكان فالمستقر بمنزلة المقر كما ان المستقر بمعنى القار وعلى هذا لا
يجوز ان يكون خبره المضمر منكم كما جاز فى قول من كسر القاف واذا لم يجز ذلك جعلت الخبر المضمر
لكم مقر ومستودع فان استودع فعل يتعدى الى مفعولين يقول استودعت زيدا الفا
فاستودع مثل اودع مثل استجاب واجاب فالمستودع يجوز ان يكون الانسان الذى استودع
ذلك المكان ويجوز ان يكون المكان نفسه فمن فتح القاف فى مستقر جعل المستودع مكانا ليكون
مثل المعطوف عليه اى فلكم مكان استقرار ومكان استيداع ومن كسر القاف فالمعنى منكم مستقر
فى الارحام ومنكم مستودع فى الاصلاب فالمستودع اسم المفعول به ليكون مثل المستقر فى انه
اسم لغير المكان وقال الزجاج ويحتمل ان يكون المعنى مستقرا فى الدنيا موجودا ومستودعا فى
الاصلاب لم يخلق بعد ويحتمل مستقر بكسر القاف فى الاحياء ومنكم مستودع وقال الفرا تقديره
ثم مستقر ومستودع واختلف المفسرون فى قوله فمستقر ومستودع فقال عبد الله بن مسعود
المستقر ما فى الرحم والمستودع حيث يموت وبه قال ابرهيم ومجاهد وقال سعيد بن جبير مستودعون
ما كان فى اصلاب الرجال فاذا قروا فى ارحام النساء وعلى ظهر الارض وفى بطونها فقد استقروا
به وقال ابن عباس وروى عن مجاهد فى رواية اخرى المستقر الارض والمستودع عند ربك
وروى عن ابن مسعود فى رواية ان مستقرها فى الاخرة ومستودعها فى الصلب وقال عكرمة مستقر
فى الاخرة ومستودع فى صلب لم يخلق سيخلق وبه قال قتاده والضحاك والسدى وابن زيد وقال
الحسن المستقر فى القبر والمستودع فى الدنيا وعلى تاويل من قال المستودع من كان فى الاصلاب
والمستقر من كان فى الارحام لان كل الخلائق داخلون فيه فالاولى حمل الاية على عمومها وهو اختيار
الطبرى وقوله قد فصلنا الايات لقوم يفقهون معناه قد بينا الحجج وميزنا الايات والادلة والاعلام
واحكمناها لقوم يفقهون مواقع الحجج ومواضع العبر ويعرفون الايات والذكر وهو قول قتادة
والمفسرين **قوله** تعالى وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا
مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ
وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ
يُؤْمِنُونَ اية **اقول** روى الاعشى والبرجمى وجنات بالرفع الباقون جنات على النصب
قرا حمزة والكسائى وخلف ثمره وكلوا من ثمره وفى يس ليأكلوا من ثمره بضم الثاء والميم فيهن
الباقون بنصبهما من كسر التاء فلانها تاء جمع المؤنث فى موضع النصب عطفا على قوله فاخرجنا به
نبات كل شئ فاخرجنا منه خضرا اى اخرجنا به جنات ومن رفع عطفها على القنوان فى الاعراب وان
لم يكن من جنسها كما قال الشاعر **شعر** ورايت زوجك فى الوغى
متقلدا سيفا ورمحا اى وحاملا رمحا ومن قرا ثمره بالفتح فيها فوجهه ان سيبويه يرى

يا ليت زوجك قد غدا متقلدا سيفا ورمحا

ان الثمر جمع ثمرة مثل بقرة وبقر وشجرة وشجر وخرزة وخرز ويقويه قوله ايضا ومن ثمرات النخيل
والاعناب وقد كسّر على فعال فعال فقالوا ثمار كما قالوا اكمة واكام وجذبة وجذاب ورقبة
ورقاب ومن ضمها احتمل امرين احدهما ان يكون جمع ثمرة على ثمر مثل خشبة وخشب فى قوله
كانهم خشب مسندة واكمة واكم فى قول الشاعر شعر ترى الاكم منه سجدا للحوافر
ومن المعتل ساحة وسوح وقارة وقور ولابة ولوب وناقة ونوق والثانى ان يكون جمع ثمار
على ثمر فيكون ثمر جمع الجمع وجمعوه على فعل كما جمعوه على فعائل فى قولهم جمال وجمائل ومعنى
الاية ان الذى يستحق العبادة خالصة لا شريك له فيها سواه هو الاله الذى انزل من السماء
ماء واصل الماء ماه الا ان الهمزة ابدلت من الهاء بدلالة قولهم امواه فى الجمع ومويه فى التصغير
وقوله فاخرجنا به نبات كل شئ معناه اخرج بالماء الذى انزله من السماء من غذاء الانعام والبهائم
والطير والوحش وارزاق بنى ادم واقواتهم ما يتغذون به وياكلونه فينبتون عليه وينمون ويكون
معنى قوله فاخرجنا به نبات كل شئ اخرجنا به ما ينبت به كل شئ وينمو عليه ويصلح ويحتمل ان يكون
المراد اخرجنا به نبات جميع انواع النبات فيكون كل شئ هو اصناف النبات والاول احسن و
قوله فاخرجنا منه يعنى من الماء خضرا يعنى اخضر رطبا من الزرع والخضر والاخضر واحد يقال
خضرت الارض خضرا وخضارة والخضرة رطب البقول يقال نخلة خضرة اذا كانت يرمى بسرها
اخضر قبل ان ينضج وقد اختضر الرجل واختضر اذا مات شابا مصححا ويقال هو لك خضرا مضرا
اى هنيئا مريئا وقوله يخرج منه حبا متراكبا يعنى يخرج من الخضر حبا يعنى ما فى السنبل من الحنطة
والشعير والارز وغيرها من السنابل لان حبها يركب بعضه بعضا وقوله ومن النخل من طلعها
اى انما خص الطلع بالذكر لما فيه من المنافع العجيبة والاغذية الشريفة التى ليست فى شئ من
الثمار وقوله قنوان دانية تقديره ومن النخل من طلعها ما قنوانه دانية ولذلك رفع القنوان
والقنوان جمع قنو كصنوان وصنو وهو العذق يقال لواحده قنو وقنو وقنى ويثنى قنوان على لفظ
الجمع وقنيان وانما يميز بينهما باعراب النون ويجمع قنوان وقنوان وفى الجمع القليل ثلثة اقناء
فالقنوان لغة اهل الحجاز والقنوان لغة قيس قال امرؤ القيس شعر

فاثت اعاليه وادت اصوله ومال بقنوان من البسر احمرا

وقنيان وقنيان لغة تميم وقوله دانية معناه قريبة متهدلة وهو قول ابن عباس وقتادة والسدى
والضحاك وقال الجبائى دانية اى متدانية فى حلوق النخل متكون بها وقوله وجنات يعنى واخرجنا
به ايضا جنات من اعناب يعنى بساتين من اعناب وقوله والزيتون والرمان عطف الزيتون
على الجنات على تقدير واخرجنا الزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه قال قتادة متشابه
ورقه مختلف ثمره ويحتمل ان يكون المراد مشتبها فى الخلق مختلفا فى الطعم وقال الجبائى مشتبها ما
كان من جنس واحد وغير متشابه اذا اختلف جنسه والمعنى وشجر الرمان والزيتون فاكتفى بذكر
ثمره عن ذكر شجره كما قال واسئل القرية فاكتفى بذكر القرية عن ذكر اهلها لدلالة الحال عليه و
قوله انظروا الى ثمره اذا اثمر وينعه الثمر جمع ثمرة وهو ما انعقد على الشجر يقال ثمر الثمر اذا نضج
والمراد اذا اطلع ثمره وقوله وينعه قال بعضهم اذا فتحت ياؤه فهو جمع يانع مثل صاحب وصحب
وتاجر وتجر وقال اخرون هو مصدر وقولهم ينع الثمر فهو ينع ينعا ويحكى فى مصدره ثلث لغات ينع
وينع وينوع وكذلك نضج ونضج ونضج قال الشاعر شعر

فى قباب حول دسكرة حولها الزيتون قد ينعا

وسمع ايضا ايْنَعت الثمرة يونع ايناعا فمعنى وينعه نضجه
وبلوغه حين يبلغ وفى ينعه لغتان فتح الياء وضمها فالفتح لغة اهل الحجاز والضم لغة نجد وقال
ابن عباس وقتادة والسدى والضحاك والطبرى والزجاج وغيره معنى وينعه ونضجه وقوله

والخضيرة النخلة التى ينتثر بسرها وهو اخضر واختضرت الكلأ اذا جززته وهو اخضر ومنه قيل للرجل اذا مات شابا غضا قد اختضر ع ويقال ذهب دمه خضرا مضرا اى هدرا ونظر ابتاع وحكى ابن الاعرابى بالمد ع وذق واخذه خضرا مضرا بكسرهما وكتفف اى بغير ثمن او غضا طريا

ان فى ذلكم لايات لقوم يؤمنون يعنى فى انزال الله الماء من السماء الذى اخرج به نبات كل شئ
والخضر الذى اخرج منه الحب المتراكب وسائر ما عدد فى الاية لايات اى دلالات ايها الناس
اذا انظرتم فيها ادّاكم الى التصديق بتوحيده وخلع الانداد دونه وانه لا يستحق العبادة سواه لان
فى ذلك بيانا وحججا وبرهانا لقوم يؤمنون فيصدقون بوحدانية الله وقدرته على ما يشاء و
انما خص المؤمنين بالذكر لانهم المنتفعون بذلك والمعتبرون به كما قال هدى للمتقين وفى
الاية دلالة على بطلان قول من يقول بالطبع لان من الماء الواحد والتربة الواحدة يخرج الله
ثمارا مختلفة واشجارا متباينة ولا يقدر على ذلك غير الله تعالى قوله تعالى وَجَعَلُوا لِلّٰهِ
شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ اية بلا خلاف
اقول قرا اهل المدينة خرّقوا بتشديد الراء الباقون بتخفيفها قال ابو عبيدة وخرقوا له
بنين وبنات اى جعلوا له واشركوه يقال خرق واخترق واختلق بمعنى اذا افتعل وافترا وكذب
قال احمد بن يحيى خرق واخترق وقال ابو الحسن الخفيفة اعجب الى لانها اكثر وقيل ان المعنى
ان المشركين ادّعوا الملئكة بنات الله والنصارى المسيح بن الله واليهود عزير بن الله ومن شدّد
كانه ذهب الى التكثير اخبر الله تعالى ان هؤلاء الكفار العادلين عن الحق المتخذين معه الهة
جعلوا له اندادا وشركاء الجن كما قال وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا وقال وجعلوا الملئكة الذين
هم عباد الرحمن اناثا وقال ويجعلون لله البنات ووصفهم بالجن لخفائهم عن الابصار وقوله و
جعلوا لله شركاء الجن اراد به الكفار الذين جعلوا الملئكة بنات الله والنصارى الذين جعلوا
المسيح بن الله واليهود الذين زعموا ان عزيرا ابن الله ولذلك قال وخرقوا له بنين وبنات فصل
اقوالهم وقيل ان معنى شركاء الجن فى استعاذتهم بهم وقيل ان المعنى ان المجوس ينسب الشر
الى ابليس ويجعله بذلك شريكا والهاء والميم فى قوله وخلقهم يحتمل ان يكون عائدة الى الكفار
الذين جعلوا الله الجن شركاء ويحتمل ان يكون عائدة على الجن ويكون المعنى وجعلوا لله شركاء
الجن والله خلق الجن فكيف يكونون شركاء له وفى نصب الجن وجهان احدهما ان يكون تفسيرا للشركاء
وبدلا منه والاخر ان يكون مفعولا به ومعناه وجعلوا لله الجن شركاء الجن وهو خالقهم وروى عن
يحيى بن يعمر انه قرا وخلقهم بسكون اللام بمعنى ان الجن شركاء لله فى خلقه ايانا والقراءة المعروفة
اجود لان المعنى وخلقهم بمعنى ان الله خلقهم منفردا بخلقه اياهم وقوله وخرقوا له بنين وبنات
معناه تخرّصوا وهو قول ابن عباس ومجاهد وقتاده والسدى وابن زيد وغيرهم فيتلخص الكلام
ان هؤلاء الكفار جعلوا الله الجن شركاء فى عبادتهم اياه مع انه المنفرد بخلقهم بغير شريك ولا
معين ولا ظهير وخرقوا له بنين وبنات معناه تخرّصوا وهو قول ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدى
وابن زيد وغيرهم فيتلخص الكلام ان هؤلاء الكفار جعلوا الله الجن شركاء فى عبادتهم اياه مع
انه المنفرد بخلقهم بغير شريك ولا معين ولا ظهير وخرقوا له بنين وبنات معناه تخرّصوا له كذبا
بنين وبنات بغير علم اى بغير حجة ويحتمل ان يكون معناه بغير علم منهم بما عليهم عاجلا واجلا و
يحتمل ان يكون معناه فى غير علم منهم بما قالوه على حقيقة ما يقولون لكن جهلا منهم بالله وبعظمته
لانه لا ينبغى لمن كان الها ان يكون له بنون وبنات ولا صاحبة ولا ان يشركه فى خلقه شريك ثم نزّه
نفسه تعالى وامرنا بتنزيهه عما اضافوه اليه وانه يجل عن ذلك ويتعالى عنه فقال سبحانه وتعالى
عما يصفون من ادعائهم له شركاء واختراقهم له بنين وبنات لان ذلك لا يليق بصفته ولا يوحد انيته
قوله تعالى بَدِيعُ السَّمٰوَاتِ وَالْاَرْضِ اَنّٰى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ
وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ اية بلا خلاف اقول البديع هو المبدع وهى صفة معدل ولذلك عن مفعل
الى فعيل ولذلك تعدى فعيل لانه يعمل عمل ما عدل عنه فاذا لم يكن معدولا للمبالغة لم يتعد

دعواء

نحو طويل وقصير وارتفع بديع لانه خبر ابتداء محذوف وتقديره هو بديع السموات والارض و
يجوز ان يكون رفعا بالابتداء وخبره انى يكون له ولد والفرق بين الابتداع والاختراع ان الابتداع
فعل ما لم يسبق الى مثله والاختراع فعل ما لم يوجد سبب له ولذلك يقال البدعة والسنة
فالبدعة احداث ما لم يسبق اليه مما خالف السنة ولا يوصف بالاختراع غير الله لانه احدث ما ابتدئ
فى غير محل القدرة عليه ولا يقدر على ذلك الا القادر للنفس لان القادر بقدرة اما ان يفعل
مباشرا وحده ما ابتدئ فى محل القدرة عليه او متولدا وحده ما ابتدى فى محل القدرة عليه
او متولدا وحده ما وقع بحسب غيره وهو على ضربين احدهما تولده فى محل القدرة عليه والاخر
انه يتعداه بسبب هو الاعتماد لا غير ولا يقدر على الاختراع اصلا فاما الابتداع فقد يقع منه لانه
قد يفعل فعلا لم يسبق اليه فاما بديع السموات والارض فلا يوصف به غير الله لانه خالقهما على غير
مثال سبق وقوله انى يكون له ولد معناه كيف يكون له ولد وقيل معناه من اين يكون له ولد ولم
تكن له صاحبة والولد هو الحيوان عداها من الاقسام فاما الادراك فى اللغة فقد يكون بمعنى اللحوق
كقولهم ادرك قتادة الحسن ويكون بمعنى النضج كقولهم ادركت الثمرة وادركت القدر وادرك
الغلام اذا بلغ حال الرجال وايضا فان الادراك اذا اضيف الى واحد من الحواس افاد ما تلك
الحاسة فيه الاترى انهم يقولون ادركت باذنى يريدون سمعته وادركت بانفى يريدون شممته
ويريدون بفمى يريدون ذقته وكذلك اذا قالوا ادركت ببصرى يريدون رايته واما قولهم ادركت
حرارة الميل ببصرى فغير معروف ولا مسموع ومع هذا ليس بمطلق بل هو مقيد لان قولهم حرارة الميل
مقيد لان الحرارة تدرك بكل محل فيه حيوة ولو قال ادركت الميل ببصرى لما استفيد به الا الرؤية
وقولهم ان الادراك هو الاحاطة باطل لانه لو كان كذلك لقالوا ادرك الجراب بالدقيق وادرك الحب
بالماء وادرك السور بالمدينة لاحاطة جميع ذلك بما فيه والامر بخلاف ذلك وقوله حتى اذا ادركه الغرق
فليس المراد به الاحاطة بل المعنى حتى اذا لحقه الغرق كما يقولون ادركت فلانا اذا لحقته ومثله فلما
تراء الجمعان قال اصحاب موسى انا لمدركون اى لملحقون والذى يدل على ان المدح اذا كان
متعلقا بنفى فاثباته لا يكون الا نقصا قوله لا تاخذه سنة ولا نوم وفى قوله ما اتخذ الله من ولد
ما كان معه من اله لما كان مدحا متعلقا بنفى فلو ثبت فى حال لكان نقصا فان قيل كيف يتمدح
بنفى الرؤية ومع هذا يشاركه فيها ما ليس بممدوح من المعدومات والضماير قلنا انما كان ذلك
مدحا بشرط كونه مدركا للابصار وبذلك يتميز من جميع الموجودات لانه ليس فى الموجودات ما
يدرك ولا يدرك غيره تعالى فان قيل ولم اذا كان يدرك ولا يدرك يجب ان يكون ممدوحا قلنا
قد ثبت ان الاية مدحة بما دللنا عليه ولا بد فيها من وجه مدحة فلا يخلو من احد وجهين اما ان
يكون وجه المدحة انه يستحيل رؤيته مع كونه رائيا او ما قالوه من انه يقدر على منع الابصار من
رؤيته بان لا يفعل فيها الادراك وما قالوه باطل لقيام الدلالة على ان الادراك ليس بمعنى فاذا
بطل ذلك لم يبق الا ما قلناه والا خرجت الاية من كونها مدحة وقد قيل ان وجه المدحة فى ذلك
ان من حق المرئى ان يكون مقابلا او فى حكم المقابل وذلك يدل على مدحه وهذا دليل من اصل
المسئلة لا يمكن ان يكون جوابا فى الاية فان قيل انه تعالى نفى ان يكون الابصار تدركه فمن اين ان
المبصرين لا يدركونه قلنا الابصار لا تدرك شيئا البتة فلا اختصاص لها به دون غيره وايضا فان
العادة ان يضاف الادراك الى الابصار ويراد به ذوو الابصار كما يقولون بطشت يدى وسمعت
اذنى وتكلم لسانى ويراد به اجمع ذوو الجارحة فان قيل انه تعالى نفى ان جميع المبصرين لا يدركونه
فمن اين ان البعض لا يدركونه وهم المؤمنون قلنا اذا كان تمدحه فى استحالة الرؤية عليه ما قدمنا
فلا اختصاص لذلك براء دون رائى وقد لك ان تستدل بان تقول هو تعالى نفى الادراك عن نفسه

انما يكون من النساء

نفيا عاما كما انه اثبت لنفسه ذلك عاما فلو جاز ان يخص ذلك بوقت دون وقت لجاز مثله فى
كونه مدركا واذا ثبت نفى ادراكه على كل حال تكلم من قال بذلك قال الرؤية مستحيلة عليه
ومن اجاز الرؤية لم ينفها نفيا عاما فالقول بنفيها عموما مع جواز الرؤية عليه قول من خارج عن
الاجماع فان عورضت هذه الاية بقوله وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة فانا نبين انه لا تعارض
فيهما وانه ليس فى هذه الاية ما يدل على جواز الرؤية اذا انتهينا اليها ان شاء الله وقوله وهو
اللطيف الخبير قيل فى معنى اللطيف قولان احدهما انه اللاطف لعباده بسبوغ الانعام غير انه
عدل من وزن فاعل الى فعيل للمبالغة الثانى انه لطيف التدبير وحذف الدلالة الكلام عليه
والخبير هو العالم بالاشياء المتبين لها وما ذكرناه من ان معنى الاية نفى الرؤية عن نفسه على كل
حال قول جماعة منهم عائشة روى مسروق عن عائشة انها قالت من حدثك ان رسول الله راى
ربه فقد كذب لا يدركه الابصار وهو يدرك الابصار وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او
من وراء حجاب ولكن راى جبرئيل فى صورته مرتين وفى رواية اخرى ان مسروقا لما قال لها
هل راى محمد ربه قالت سبحان الله لقد وقف شعرى مما قلت ثم قرأت الاية وقال الشعبى قالت
عائشة من قال ان احدا راى ربه فقد اعظم الفرية على الله وقرأت الاية وهو قول السدى وجماعة
اهل العدل من المفسرين كالحسن والبلخى والجبائى والرمانى وغيرهم وقال اهل الحشو والمجبرة
بجواز الرؤية على الله تعالى فى الاخرة وتاولوا الاية على الاحاطة وقد بينا فساد ذلك **قوله**
تعالى قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ
اية **اقول** البصائر جمع بصيرة وهى الدلالة التى توجب العلم الذى يبصر به النفس الشئ
على ما هو به والمراد ههنا قد جاءكم القران الذى فيه الحجج والبراهين قال الشاعر

شعر جاؤا بصائرهم على اكتافهم — وبصيرتى يعدو بها عتد وءى

بالبصيرة الحجة البينة الظاهرة واما الابصار فهو الادراك ولذلك يوصف تعالى بانه مبصر كما
يوصف بانه مدرك ويسمى بانه بصير لانه يجب ان يدرك المبصرات اذا وجدت وانما وصفت الدلالة
بانها جائية وان كان لا يجوز ان يقال جاءت الحركة ولا جاء السكون ولا الاعتماد وغير ذلك من
الاعراض لتفخيم شأن الدلالة حيث كانت بمنزلة الغائب المتوقع حضوره للنفس كما يقال جاءت المعافية
وانصرف المرض واقبل السعد وادبر النحس وقوله فمن ابصر فلنفسه يعنى من تبين بهذه الحجج بان
نظر فيها حتى اوجبت له العلم وتبين بها فمنفعة ذلك تعود عليه ولنفسه نظر ومن عمى فلم ينظر
فيها وصدف عنها حتى جهل فعلى نفسه لان عقاب تفريطه لازم له ووبال ذلك به فسمى العلم والتبيين ابصارا
مجازا وسمى الجهل عمى توسعا وفى ذلك دلالة على ان الخلق غير مجبرين بل هم مخيرون فى افعالهم ثم خاطب
الله تعالى نبيه وامره بان يقول لهم وما انا عليكم بحفيظ يعنى برقيب على اعمال العباد حتى يجازيهم بها
فى قول الحسن بل هو شهيد عليهم لانه يرجع الى الحال الظاهرة التى يقع عليها المشاهدة قال الزجاج
هذا قبل ان يؤمر بالقتال ثم امر ان يمنعهم بالسيف من عبادة الاوثان وهذه الاية فيها امر من الله
لنبيه ان يقول لهؤلاء الكفار قد جاءكم حجج من الله وهو ما ذكره فى قوله فالق الحب والنوى الى ههنا
وما يبصرون به الهدى من الضلال فمن نظر وعلم فلنفسه نفع ومن جهل وعمى فلنفسه ضر ولست امنعكم
منه ولا احول بينكم وما تختارون وهو قول قتادة وابن زيد **قوله** تعالى وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ
وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ اية بلا خلاف **اقول** قرأ ابن كثير وابو عمرو دارست بالف
وفتح التاء الباقون بلا الف درست بفتح التاء الا ابن عامر فانه قرأ درست بسكون التاء وفتح
السين بمعنى انمحت وذكر الاخفش درست وهو اشد مبالغة فى الامحاء وقيل درست على ما لم يسم
فاعله والمعانى متقاربة غير ان هذين لم يقرأ بهما احد من المعروفين وفى قراءة عبد الله ودرس

ليقولوا درس محمد قال ابو زيد درست درس دراسة وهي القراءة وانما يقال ذلك اذا قرأت على غيرك قال الاصمعي انشدني ابن ميادة **شعر** يكفيك من بعض ازديار الآفاق

سمراء مما درس ابن مخراق
قال درس يدرس مثل داس يدوس قال وقال بعضهم
سمراء بائنة ودرسها وياضها قال ودرس السورة من هذا اي يدرسها لتخف على لسانه والدرس الثوب الخلق واصل الدرس استمرار التلاوة وقال ابو علي النحوي من قرأ دارست اهل الكتاب وذاكرتهم قال وقد يحذف الالف في مثل هذا في المصحف قال ويقوي ذلك قوله وقالوا اساطير الاولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة واصيلا وقالوا ان هذا الا افك افتريه واعانه عليه قوم آخرون ومن قرأ درست قال لان ابيا وابن مسعود قرأ درس فاسند الفعل فيه الى الغيبة كما اسند الى الخطاب ومعناه درست فتعلمت من اهل الكتاب وقال المغربي درست معناه علمت كما قال ودرسوا ما فيه اي علموه فعلى هذا يكون اللام لام الغرض كانه قال فعلنا ذلك ليقولوا علمت ووجه قراءة ابن عامر انه ذهب الى الدرس الذي هو تعفية الاثر وامحاء الرسم واللام من قوله وليقولوا درست على ضربين من قال درست بلا الف فالمعنى لكراهة ان يقولوا اولئلا يقولوا درست كما قال يبين الله لكم ان تضلوا معناه لئلا تضلوا وكراهة ان يقولوا والمعنى اني فصلت الايات واحكمتها لئلا يقولوا انها اخبار قد تقدمت وطال العهد بها وباد من كان يعرفها كما قالوا اساطير الاولين لان تلك الاخبار لا تخلو من ذلك فاذا سلم الكتاب منه لم يكن للطاعن موضع طعن والثاني ليقولوا درست بحضرتنا اي ليقروا ويوردوا الاية عليهم فيقوم الحجة عليهم وقال الزجاج اللام لام العاقبة ومن قرأ دارست فاللام على قوله كالتي في قوله ليكون لهم عدوا وحزنا ولم يلتقطوه لذلك لكن كان عاقبته كذلك كما انه تعالى لم يفصل الايات ليقولوا دارست ودرست لكن لما قالوا ذلك اطلق ذلك عليه اتساعا وموضع الكاف في وكذلك نصب لان المعنى نصرف الايات في غير هذه السورة فهو في موضع صفة المصدر كانه قال تصريفا مثل هذا التصريف قال الرماني والتصريف اجراء المعنى الداير في المعاني المتعاقبة ليجتمع فيه وجوه الفائدة وقال الحسن ومجاهد والسدي وابن عباس وسعيد بن جبير دارست اي ذاكرت اهل الكتابين وقارأتهم وقوله ولنبينه لقوم يعلمون معناه لنبين الذي هذه الايات دالة عليه لقوم يعلمون ما نورده عليهم من هذه الايات ويعقلون ذلك وهم الذين يلزمهم الاستدلال بذلك على الله وعلى صحة دينه وقال قوم وليعقلوا درست معناه التهديد كما يقول القائل قل لفلان يوفينا حقنا وليصنع ما شاء وقل للناس ليقولوا الحق ليقولوا ما شاؤا اي ذلك لا يضركم لان ضرره يعود عليهم من العقاب والذم **قوله** تعالى اتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ **اقول** امر الله تعالى نبيه عليه السلم ان يتبع ما اوحي اليه من ربه والاتباع هو ان يتصرف الثاني بتصريف الاول والنبي عليه السلم كان يتصرف في الدين بتصريف الوحي فلذلك كان متبعا وكذلك كل متدبر بتدبير غيره فهو متبع له والايحاء هو القاء المعنى الى النفس من جهة تخفى وانما اعاد قوله لا اله الا هو لان المعنى ادعهم الى انه لا اله الا هو فعلى هذا ليس بتكرار هذا قول الحسن وقال الجبائي لانه بمعنى انزله وحده وقال غيره لان معناه اتبع ما اوحي اليك من انه لا اله الا هو وقوله واعرض عن المشركين امر للنبي عليه السلم بالاعراض عن المشركين ولا ينافي ذلك امره اياه بدعائهم الى الحق وقتالهم على مخالفته لامرين احدهما انه امره بالاعراض عنهم على وجه الاستجهال لهم فيما اعتقدوه من الاشراك بربهم الثاني قال ابن عباس نسخ ذلك بقوله اقتلوا المشركين واصل الاعراض هو الانصراف بالوجه الى جهة العرض والعرض خلاف الطول ومنه واعرضت اليمامة اي ظهرت كالظهور بالعرض ومنه المعارضة لظهور المساواة بها كالظهور بالعرض والاعتراض المنع من الشئ بحاجز عنه عرضا ومنه العرض الذي يظهر كالظهور بالعرض ثم لا يلبث وحد ايضا بانه ما يظهر في الوجود

ولا يكون له لبث كلبث الجواهر **قوله** تعالى وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ آية **اقول** ان قيل كيف قال تعالى لو شاء الله ما اشركوا والمشية لا يتعلق الا بفعل يصح حدوثه ولا يتعلق بان لا يكون الشئ قلنا التقدير لو شاء الله ان يكونوا على غير الشرك قسرا ما اشركوا فمتعلق المشية محذوف فمراد هذه المشية حالهم التي تنافي الشرك قسرا بالاقتطاع عن الشرك عجزا او منعا او الجاء وانما لا يشاء الله هذه الحال لانها تنافي التكليف وانما لم يمنع العاصي من المعصية لانه انما اتى من قبل نفسه والله تعالى فعل به جميع ما فعل بالمطيع من ازاحة العلة فاذا لم يطع وعصى كانت الحجة عليه وربما كان في بقائه لطف للمؤمن فيجب تبقيته وليس لاحد ان يقول الاية دالة على انه تعالى لم يرد هدايتهم لانه لو اراد ذلك لاهتدوا وذلك انه لو لم يرد ان يهتدوا لم يكونوا عصاة بمخالفة الاهتداء لان العاصي هو الذي خالف ما اريد منه ولما صح امرهم ايضا بالاهتداء والفرق بين الحفيظ والوكيل هو ان الحفيظ ان يحفظهم ان يزلوا بمنعه لهم والوكيل القيم بامورهم في مصالحهم لدينهم او دنياهم حتى يلطف لهم في تناول ما يجب عليهم فليس بحفيظ في ذلك ولا وكيل في هذا فلذلك قال تعالى انه لم يجعل نبيه حفيظا ولا جعله وكيلا عليهم بل الله تعالى هو الرقيب الحافظ عليهم والمتكفل بارزاقهم وانما النبي عليه السلم مبلغ منذر ومخوف وقيل ان ذلك كان بمكة قبل ان يؤمر بالقتال **قوله** تعالى وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ آية بلا خلاف **اقول** قرأ الحسن ويعقوب عُدُوًّا بضم العين والدال وتشديد الواو وسكون الدال واصل ذلك من العدوان وعدوا مخففا وعُدُوًّا لغتان يقال عدا علي عدوا وعدوانا وعداء اذا ظلم ضرب ضربا وعدا فلان على فلان اي ظلمه والاعتداء افتعال من هذا نهى الله تعالى المؤمنين ان يسبوا الذين يدعون من دون الله والسب الذكر بالقبيح ومثله الشتم والذم وهو الطعن فيه بمعنى قبيح كما يطعن فيه بالسنان واصله السبب فهو يتسبب الى ذكره بالعيب والمعنى في الاية لا تخرجوا في مجادلتهم ودعائهم الى الايمان ومحاجتهم الى ان يسبوا الله بجهلهم وحينهم وانتم في دارهم ولم يؤذن لكم في القتال وكان سبب نزول الاية في قول الحسن ان المسلمين كانوا يسبون الهة المشركين من الاوثان فاذا سبوها يسب المشركون الله تعالى فانزل الله تعالى الاية وقال ابو جهل والله يا محمد لتتركوا سب الهتنا او لنسبن الهك الذي بعثك فنزلت الاية وفي ذلك دلالة على ان المحق يلزمه الكف عن سب السفهاء الذين يتسرعون الى سبه مقابلة له لانه بمنزلة البعث على المعصية والمفسدة فيها وانما قال يدعون من دون الله بمعنى يعبدون لان معناه يدعونه الها فلما قال من دون الله وهو من صفة الكفار دل على هذا المعنى فحذف اختصارا وانما قال من دون الله وهو من صفة الكفار دل على هذا المعنى الا فحذف اختصارا وانما قال من دون الله مع انهم كانوا يشركون في العبادة بين الله وبين الاصنام لامرين احدهما ان ما وجهوه من العبادة الى الاوثان انما هو عبادة لها لا لله وليس كالتوجه الى القبلة عبادة لله والثاني ان ذلك غير معتد به لانهم اوقعوا العبادة على خلاف الوجه المامور به فما اطاعوا الله بحال وقوله كذلك زينا لكل امة عملهم قيل في معناه اربعة اقوال احدها قال الحسن والجبائي والطبري والرماني انا كما امرناكم بحسن الدعاء الى الله تعالى وتزيين الحق في قلوب المدعوين كذلك زينا للامم المتقدمين اعمالهم التي امرناهم بها ودعوناهم اليها بان رغبناهم في الثواب وحذرناهم من العقاب ويسمى ما يجب على الانسان ان يعمله بانه عمله كما يقول القائل لولده او غلامه اعمل عملك يريد به ما ينبغي له ان يفعله لان ما وجد وتقضى لا يصح الامر بان يفعله الثاني زينا الحجة الدالة عليها والشبهة التي من كمال العقل ان يكون المكلف عليها لانه متى لم يفعل معنى الشبهة لم يكن عاقلا الثالث ان التزيين المراد به ميل الطبع الى الشئ فهو الى الحسن ليفعل والى القبيح ليجتنب والرابع ذكره

البلخي ايضا وهو ان المعنى ان الله زين لكل امة عملهم من تعظيم من خلقهم ورزقهم وانعم عليهم المحاماة عنهم وعداوة من عاداه طاعة له فلما كان المشركون يظنون شركائهم هم الذين يفعلون ذلك او انهم يقربونهم الى الله زلفى حاموا عنهم وتعصبوا لهم وعارضوا من شتمهم بشتم من يعز عليهم فهم لم يعدوا فيما صنعوا ما زينه الله لهم في الجملة لكن غلطوا فقصدوا وابذلك من لم يجب ان يقصدوا فكفروا وضلوا وقوله عدوا نصب على المصدر وقرئ عدوّا ومعنى جماعة يعني اعداء وعلى هذا يكون نصبا على الحال **قوله** وَاَقْسَمُوا بِاللّٰهِ جَهْدَ اَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ اٰيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ اِنَّمَا الْاٰيَاتُ عِنْدَ اللّٰهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ اَنَّهَا اِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ آية بلا خلاف **اقول** قرا ابن كثير و ابو عمرو ويعقوب وابو بكر الا يحيى ونصير وخلف وما يشعركم انها بكسر الهمزة الباقون بفتحها وقرا ابن عامر وحمزة لا تؤمنون بالتاء الباقون بالياء ما في قوله وما يشعركم استفهام وفاعل يشعركم ضمير ما ولا يجوز ان يكون نفيا لان الفعل فيه يبقى بلا فاعل ولا يجوز ان يكون نفيا ويكون الفاعل ضمير اسم الله لان التقدير يصير وما يشعركم الله انتفاء ايمانهم وهذا ليس بصحيح لان الله قد علمنا انهم لا يؤمنون بقوله ولو اننا نزلنا اليهم الملئكة فالمعنى وما يدريكم ايمانهم اذا جاءت فحذف المفعول وتقديره وما يدريكم ايمانهم اذا جاءت اي هم لا يؤمنون مع مجيء الاية من كسر الالف قال انه استئناف على القطع بانهم لا يؤمنون ولو فتحت بيشعركم كان عذرا لهم ويجوز فتحها على وجهين الاول قال الخليل بمعنى لعلها اذا جاءت لا يؤمنون كما يقول القائل ائت السوق انك تشتري لنا شيئا معناه لعلك قال عدي بن زيد **شعر**

اعاذل ما يدريك ان منيتي
الى ساعة في اليوم او في ضحى الغد

وقال دريد بن الصمة **شعر**

ذريني اطوف في البلاد لانني
ارى ما ترين او بخيلا مخلدا

وقال اخر **شعر**

هل انتم عائجون بنا لانا
نرى العرصات او اثر الخيام

وقال الفراء يقولون لعلك ولعنك ورعنك وعلك وانك ولانك بمعنى واحد وقال ابو النجم **شعر**

قلت لشيبان ادن من لقائه
انا نغدي القوم من شوائه

الثاني قال الفراء لا ههنا صلة كقوله ما منعك ان لا تسجد اذ امرتك والتقدير وما يشعركم انها اذا جاءت يؤمنون والمعنى على هذا او جاءت لم يؤمنوا ومثل زيادة لا قول الشاعر **شعر**

ابى جوده لا البخل واستعجلت به
نعم من فتى لا يمنع الجود قاتله

بنصب البخل وجره فمن نصب جعلها زائدة وتقديره ابى جوده البخل ومن جره اضاف الى البخل ومثله قوله تعالى وحرام على قرية اهلكناها انهم لا يرجعون وهو يحتمل امرين احدهما ان يكون لا زائدة وان في موضع رفع بانه خبر المبتدأ الذي هو حرام وتقديره وحرام على قرية مهلكة رجوعهم كما قال فلا يستطيعون توصية ولا الى اهلهم يرجعون والثاني ان يكون لا غير زائدة بل يكون متصلة باهلكنا والتقدير بانهم لا يرجعون اي اهلكناهم بالاصطلام لانهم انما لا يرجعون الى اهلهم للاستيصال الواقع بهم وخبر الابتداء محذوف وتقديره وحرام على قرية اهلكناها بالاستيصال بقاؤهم او حياتهم ونحو ذلك ومن قرا يؤمنون بالياء قال لان قوله واقسموا انما يراد به قوم مخصوصون بدلالة قوله ولو اننا نزلنا اليهم الملئكة الاية وليس كل الناس بهذا الوصف فالمعنى وما يشعركم ايها المؤمنون لعلهم اذا جاءت الايات التي اقترحوها لم يؤمنوا ومن قرا بالتاء فانه انصرف من الغيبة الى الخطاب ويكون المراد بالمخاطبين في يؤمنون بهم القوم المقسمون الذين اخبر الله عنهم انهم لا يؤمنون ومثله قوله الحمد لله ثم قال اياك نعبد ونحو ذلك مما ينصرف فيه الى خطاب بعد الغيبة وقوله جهد ايمانهم اي اجتهدوا في اليمين وبالغوا فيه والاية التي سألوا النبي صلى الله عليه وآله اظهارها قيل فيها قولان احدهما ان سألوا تحول الصفا ذهبا الثاني ما ذكره في موضع اخر من قوله لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض

ينبوعا الى قوله كتابا نقرؤه والمعنى ان هؤلاء الكفار اقسموا متحكمين على النبي صلى الله عليه وآله وبالغوا في ايمانهم انهم اذا جاءتهم الاية التي اقترحوها ليؤمنن بها اي عندها فامر الله نبيه صلى الله عليه وآله ان يقول لهم انما الايات عند الله فان قيل كيف قال الايات عند الله وذلك معلوم قيل معناه ان من اجل ان الايات عند الله ليس لكم ان تتحكموا في طلبها لانه لا يجوز ان يتخلف عنكم ولا عن غيركم ما فيه المصلحة في الدين لانه تعالى لا يخل بذلك وقوله وما يشعركم فيه تنبيه على موضع الحجة عليهم من انه ليس لهم ان يدعوا ما لا سبيل لهم الى علمه وقال مجاهد وابن زيد الخطاب متوجه الى المشركين وقال الفراء وغيره هو متوجه الى المؤمنين لانهم قالوا لو ظننا منهم انهم لو اجيبوا الى الايات لامنوا **قوله** تعالى وَنُقَلِّبُ اَفْئِدَتَهُمْ وَاَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ اَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ آية بلا خلاف **اقول** اخبر الله تعالى انه يقلب الله افئدة هؤلاء الكفار وابصارهم عقوبة لهم وفي كيفية تقليبها قيل قولان قال ابو علي الجبائي انه يقلبها في جهنم على لهب النار وحر الجمر وجمع بين صفتهم في الدنيا وصفتهم في الاخرة كما قال هل اتيك حديث الغاشية وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة تصلى نارا حامية لان قوله وجوه يومئذ خاشعة يعني في الاخرة وعاملة ناصبة في الدنيا الثاني انه يقلبها بالحسرة التي تغم وتزعج النفس وقوله كما لم يؤمنوا به اول مرة قيل فيه قولان احدهما اول مرة انزلت الايات فهم لا يؤمنون ثاني مرة بما طلبوا من الايات كما لم يؤمنوا اول مرة بما انزل من الايات وهو قول ابن عباس وابن زيد ومجاهد الثاني روي ايضا عن ابن عباس يعني اول مرة في الدنيا وكذلك لو اعيدوا ثانية كما قال تعالى ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه والكاف في قوله كما لم يؤمنوا به اول مرة قيل فيه قولان احدهما انها دخلت على محذوف كانه قيل فلا يؤمنون به ثاني مرة كما لم يؤمنوا اول مرة والثاني انها دخلت على معنى الجزاء كما قال وجزاء سيئة سيئة مثلها والهاء في قوله به يحتمل ان يكون عائدة على القرآن وما انزل من الايات ويحتمل ان يكون عائدة على النبي صلى الله عليه وآله وقال بعضهم انها عائدة على التقليب لانه الحائل بينهم وبين الايمان وهذا خطأ لانه لو حيل بينهم وبين الايمان وهذا خطاء لانه لو حيل بينهم وبين الايمان لما كانوا مامورين ولان تقليب الابصار لا يمنع من الايمان كما لا يمنع الاعمى عماه من الايمان وقوله ونذرهم في طغيانهم يعمهون لا يدل على انه تركهم فيه ليطغوا لانه انما اراد انه خلى بينهم وبين اختيارهم وان لم يرد منهم الطغيان كما ان الائمة والصالحين اذا خلوا بين اليهود والنصارى ودخولهم كنائسهم لا يدل على انهم خلوهم ليكفروا وقال الحسين بن علي المغربي قوله ونقلب افئدتهم وابصارهم معناه انا نحيط علما بذات الصدور وخائنة الاعين وهو حشو بين الجملتين ان يختبر قلوبهم فيجد باطنها بخلاف الظاهر **قوله** تعالى وَلَوْ اَنَّنَا نَزَّلْنَا اِلَيْهِمُ الْمَلٰئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتٰى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا اِلَّا اَنْ يَشَاءَ اللّٰهُ وَلٰكِنَّ اَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ آية بلا خلاف **اقول** قرا ابن عامر ونافع وابو جعفر قبلا بكسر القاف وفتح الباء الباقون بضمها قال ابو زيد يقال لقيت فلانا قبلا وقبلا وقبلا وقبيلا ومقابلة كله بمعنى وهو المواجهة فعلى هذا المعنى واحد في اختلاف القراءات وقال ابو عبيدة قبلا اي معاينة فعلى هذا من كسر القاف وفتح الباء اراد معناه عيانا ومن قرا بالضم فيها قيل في معناه ثلاثة اقوال احدها قال ابن عباس وقتادة وابن زيد معناه مقابلة الثاني قال مجاهد وعبد الله بن زيد ان معناه قبيلا قبيلا اي جماعة جماعة فيكون جمع قبيل وقبيل جمع قبيلة نحو سفين وسفينة ويجمع ايضا سفنا الثالث قال الفراء انه جمع قبيل بمعنى كفيل نحو رغيف ورغف لقوله او تاتي بالله والملئكة قبيلا اي يضمنون ذلك قال ابو علي الفارسي وهذا الوجه ضعيف لانهم اذا لم يؤمنوا مع انزال الملئكة عليهم وكلام الموتى لهم مع ظهوره وبهوره ومشاهدته والضرورة اليه فالا يؤمنوا بالمقالة التي هو قول لا يبهر ولا يضطر اجدر اللهم الا ان يقال موضع الاية الباهرة انه جمع

القبيل الذى هو الكفيل هو حشر كل شئ وفى الاشياء المحشورة ما ينطق وما لا ينطق فاذا نطق بالكفالة من لا ينطق كان ذلك موضع بهر الاية كان ذلك قويا فاما اذا حملت قوله قبلا على جمع القبيل الذى هو الصنف فان موضع الاية هو حشر جميع الاشياء جنسا جنسا وليس فى العادة ان يحشر جميع الاشياء الى موضع واحد فاذا اجتمعت كذلك كان ذلك باهرا واذا حملت قبلا بمعنى مواجهة فانه يكون حالا من المفعول به والمعنى حشرناه معاينة ومواجهة فيكون فى معنى قراءة نافع قبلا اى معاينة فاما قوله العذاب قبلا فمعناه مواجهة او جمع قبيل والمعنى يأتيهم العذاب صنفا صنفا وقيل فيمن نزلت هذه الاية قولان احدهما قال ابن عباس نزلت فى الكفار اهل الشقاء الذين علم الله انهم لا يؤمنون على حال الثانى قال ابن جريج نزلت فى المستهزئين الذين سألوا الايات اخبر الله تعالى بهذه الاية عن هؤلاء الكفار الذين علم من حالهم انهم لا يؤمنون ولو فعل بهم ما فعل حتى لو انزل عليهم الملائكة وكلمهم الموتى بان يحييهم الله حتى يكلموهم وحشر عليهم كل شئ قبلا على المعنى الذى فسرناه مع ظهور خرق العادة فيه والمعجزة الباهرة فيه لم يؤمنوا لشدة عنادهم وعتوهم فى كفرهم ثم قال الا ان يشاء الله ومعناه احد امرين احدهما قال الحسن الا ان يشاء الله ان يجبرهم على الايمان بان يمنعهم من اضداد الايمان كلها فيقع منهم الايمان الثانى قال ابو على الجبائى الا ان يشاء الله ان يلجئهم بان يخلق فيهم العلم الضرورى بانهم ان راموا خلافه منعوا منه كما ان الانسان ملجأ الى ترك قتل بعض الملوك بمثل هذا العلم وانما قلنا ذلك لان الله تعالى قد شاء منهم الايمان على وجه الاختيار لانه امرهم به وكلفهم اياه وذلك لا يتم الا بان يشاء منهم الايمان ولو اراد الله من الكافر الكفر للزم ان يكونوا مطيعين اذا كفروا لان الطاعة هى فعل ما اريد من المكلف وللزم ايضا ان يصح ان يامرهم به ولجاز ان يامرنا بان نريد منهم الكفر كما اراده هو تعالى وفى الاية دلالة على ان ارادة الله محدثة لان الاستثناء يدل على ذلك لانها لو كانت قديمة لم يجز هذا الاستثناء كما لا يجوز ان يقول القائل لا يدخل زيد الدار الا ان يقدر الله او الا ان يعلم الله لحصول هذه الصفات فيما لم يزل وقوله ولكن اكثرهم يجهلون انما وصف اكثرهم بالجهل مع ان الجهل يعمهم لان المعنى يجهلون انه لو اوتوا بكل اية ما امنوا طوعا وفى الاية دلالة على انه لو علم الله انه لو فعل بهم من الايات ما اقترحوها لامنوا انه كان يفعل ذلك بهم وانه يجب فى حكمته ذلك لانه لو لم يجب ذلك لما كان لهذا الاحتجاج معنى وتعليله بانه انما لم يظهر هذه الايات لعلمه بانه لو فعلها لم يؤمنوا وذلك يبين ايضا فساد قول من يقول يجوز ان يكون فى معلوم الله ما اذا فعله بالكافر امن لانه لو كان ذلك معلوما لفعله ولامنوا والامر بخلافه **قوله** تعالى وَكَذٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ اية **اقول** التشبيه فى قوله وكذلك يحتمل ان يرجع الى احد امرين احدهما ان يكون تقديره جعلنا لك عدوا كما جعلنا لمن قبلك من الانبياء الثانى جعلنا تمكين من يعادى الى الانبياء وتخليتنا بينهم وبين اختيارهم كتمكين غيرهم من السفهاء وانما جعلهم اعداء على احد معنيين احدهما بان حكم بانهم اعداء وهو قول ابى على الثانى بان خلا بينهم وبين اختيارهم ولم يمنعهم من العداوة ويجوز ان يكون المراد بذلك ان الله تعالى لما انعم على انبيائه بضروب النعم وابتعثهم الى خلقه وشرفهم بذلك حسدهم على ذلك خلق وعادوهم عليه فجاز ان يقال على مجاز القول بان الله جعل لهم اعداء كما يقول القائل اذا انعم على غيره بنعم جزيلة فحسده عليها قوم وعادوه لاجلها جعلت لك اعداء وقيل امرنا الانبياء بمعاداتهم فكانا جعلناهم اعداء الانبياء وهذا القول من الله تعالى تسلية للنبى عليه السلام فى انه اجراه مجرى غيره من الانبياء ولا يجوز على قياس ذلك ان يقول جعلنا للكافر كفرا لان فيه ايهاما وقوله شياطين الانس والجن قيل فى معناه قولان احدهما انه اراد مردة الكفار من الفريقين

الانس والجن وهو قول الحسن وقتادة ومجاهد الثانى قال السدى وعكرمة شياطين الانس الذين يغوونهم وشياطين الجن الذين هم من ولد ابليس ويحتمل نصب عدوا وجهين احدهما على انه مفعول جعلنا وشياطين الانس بدل منه الثانى على انه خبر جعلنا فى الاصل ويكون هنا مفعول كانه قال جعلنا شياطين الانس والجن عدوا وقوله يوحى بعضهم الى بعض معناه يلقى اليه بكلام خفى وهو الدعاء والوسوسة وقوله زخرف القول معناه هو المزين يقال زخرفه زخرفة اذا زينه غرورا نصب على المصدر ثم اخبر تعالى انه لو شاء ربك ان يمنعهم من ذلك ويحول بينهم وبينه لقدر على ذلك لكن ذلك ينافى التكليف ولو حال بينهم وبينه لما فعلوه ثم امر نبيه عليه السلام ان يتركهم وما يفترون اى وما يكذبون بان يخلى بينهم وبين ما يختارونه ولا يمنعهم منه بالقهر فان الله تعالى سيجازيهم على ذلك وهو تهديد لهم كقولهم اعملوا ما شئتم دون ان يكون ذلك امرا واجبا او ندبا او اباحة كما يقول القائل لصاحبه دع عنى واياه ويريد بذلك التهديد لا غير وروى عن ابى جعفر عليه السلام فى معنى قوله يوحى بعضهم الى بعض ان الشياطين يلقى بعضهم بعضا فيلقى اليه ما يغوى به الخلق حتى يتعلم بعضهم من بعض **قوله** تعالى وَلِتَصْغَىٰ إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ اية بلا خلاف **اقول** العامل فى قوله ولتصغى قوله يوحى وهى لام الغرض وتقديره يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول ليغووهم ولتصغى اليه افئدة الذين لا يؤمنون بالاخرة ويكون الهاء فى قوله اليه عائدة الى القول المزخرف ولا يجوز ان يكون العامل فيها جعلنا لان الله تعالى لا يجوز ان يريد منهم ان يصغى قلوبهم الى الكفر ووحى الشياطين اللهم الا ان يجعلها لام العاقبة كما قال فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا غير ان هذا غير معلوم ان كل من اراد وامنه الصغو الصغى ولو يصح ذلك ايضا فى قوله وليرضوه وليقترفوا ما هم مقترفون لانه غير معلوم حصول جميع ذلك وعلى ما قلناه يكون جميع ذلك معطوفا بعضه على بعض ويكون مراد اكله للشياطين وقال الجبائى ان هذه لام الامر والمراد بها التهديد كما قال واستفزز وقال اعملوا ما شئتم قال لان علامة النصب والجزم يتفق من سقوط النون فى قوله وليرضوه وليقترفوا وهذا غير صحيح لانها لو كانت لام الامر لقال ولتصغ بحذف الالف وما قاله انما يمكن ان يقال فى قوله وليرضوه وليقترفوا فاما فى قوله ولتصغى فلا يمكن فبان بذلك انها لام كى وقال الزجاج والبلخى اللام فى ولتصغى لام العاقبة وما بعده لام الامر الذى يراد به التهديد وهذا جائز غير ان فيه تعسفا ومعنى صغا مال ولتصغى اى لتميل وهو قول ابن عباس وابن زيد يقول صغوت اليه اصغى صغوا وصغوا وصغيت اصغى بالياء ايضا واصغيت اليه اصغاء بمعنى قال الشاعر شعر

ترى السفيه به عن كل محكمة ... زيغ وفيه الى التشبيه اصغاء

ويقال اصغيت الاناء اذا املته ليجتمع ما فيه فاصله الميل لغرض من الاغراض وقوله وليقترفوا عطف على ولتصغى والاقتراف اكتساب الاثم ومعناه وليكتسبوا الاثم فى قول ابن عباس وابن زيد والسدى ويقال خرج يقترف اهله اى يكتسب لهم وقارف فلان هذا الامر اذا واقعه وعمله وقرفتنى بما ادعيت على اى رميتنى بالريبة وقرفت القرحة اى قشرتها واقترف كذبا قال رؤبة شعر

اعيا اقتراف الكذب المقروف ... يقوى البغى وعفة العفيف

واصله اقتطاع قطعة من الشئ ولام كى ينصب باضمار ان مثل حتى غير انها قد تظهر مع اللام ولا تظهر مع حتى لان حتى محمولة على التاويل ومعناها الى ان لما فى حتى من الاشتراك وليس فى اللام حمل على تاويل حرف اخر وقال البلخى الاقتراف الادعاء والتهمة يقول الرجل لغيره انت قرفتى اى تهمتى التى اتهم **قوله** تعالى أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ اية بلا خلاف **اقول** قرا ابن عامر وحفص منزل بتشديد الزاء الباقون بالتخفيف من شدد حمله على التكرير يدل لانه قوله تنزيل الكتاب

وقرفت القرحة اى قشرتها والقرف القشر

من الله العزيز الحكيم ومن خفف فلقوله انا انزلناه فى ليلة مباركة وما اشبههما امر الله تعالى نبيه ان
يقول لهؤلاء الكفار الذين مضى ذكرهم افغير الله ابتغى حكما اى اطلب سوى الله حاكما ونصب افغير
الله بفعل مقدر تفسيره ابتغى تقديره أغير الله ابتغى حكما والحكم والحاكم بمعنى واحد الا ان الحكم
هو من كان اهلا ان يحاكم اليه فهو امدح من الحاكم والحاكم جار على الفعل وقد يحكم الحاكم بغير الحق
والحكم لا يقضى الا بالحق لانها صفة مدح وتعظيم والمعنى هل يجوز لاحد ان يعدل عن حكم الله رغبة
عنه لانه لا يرضى به او هل يجوز مع حكم الله حكم يساويه فى حكمه وقوله وهو الذى يعنى الله الذى
انزل اليكم الكتاب مفصلا وانما مدح الكتاب بانه مفصل لان التفصيل تبيين المعانى بما ينفى
التخليط للمعنى وينفى ايضا التداخل الذى يوجب نقصان البيان عن المراد وانما فصل القران
بالايات التى تفصل المعانى بعضها من بعض وتخليص الدلائل فى كل فن وقيل معنى مفصلا اى بما
يفصل بين الصادق والكاذب من امور الدين وقيل فصل الحرام والحلال والكفر والايمان والهدى
والضلال فى قول الحسن وقوله والذين اتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق لا يجوز ان
يكون على عمومه لان كثيرا من اهل الكتاب بل اكثرهم جهال لا يعرفون وقوله اهل الكتاب قد يستعمل
تارة بمعنى العلم وبمعنى الاقرار اخرى كما يقال للعلماء بالقران اهل القران ويقال لجميع المسلمين اهل
القران بمعنى انهم مقرون به وقوله منزل من ربك بالحق قيل فى معناه قولان احدهما يعلمون ان كلما
فيه بيان عن الشئ على ما هو به فى ترغيبه وترهيبه ووعده ووعيده وقصصه وامثاله وغير ذلك
مما فيه كله بهذه الصفة والثانى ان معنى بالحق البرهان الذى تقدم لهم حتى علموه به فان قيل كيف
كيف يصح على اصلكم فى الموافاة ونفى الاحباط وصف الكفار بانهم يعلمون الحق وذلك مما يستحق
به الثواب ولا خلاف ان الكافر لا ثواب معه قلنا عنه جوابان احدهما ان يكون لاية مخصوصة بمن امن
منهم فى المستقبل فانا نجوز ان يكون فى الحال عالما بالله وبان القران حق ثم يظهرون الاسلام فيما
بعد فيتكامل الايمان لان الايمان لا يحصل دفعة واحدة بل يحصل جزء فجزء لان اول العلم بحدوث
الاجسام ثم ان لها محدثا ثم العلم بصفاته وما يجوز عليه وما لا يجوز ثم العلم بالثواب وما يتبعها وذلك
يحصل فى اوقات كثيرة والثانى ان يكونوا علموه على وجه لا يستحقون به الثواب لانهم يكونون نظروا
فى الادلة لا لوجه وجوب ذلك عليهم بل لغير ذلك فحصل لهم العلم وان لم يستحقوا به ثوابا ويحتمل ان
يكون المراد بذلك انهم يعلمون عند انفسهم لانهم اذا كانوا معتقدين بصحة التورية وانها من عند الله
وفيها دلالة على صحة نبوة النبى عليه السلم وهم يدعون ان اعتقادهم علم فهم اذا على قولهم عالمون بان القران
منزل من ربك بالحق ويحتمل ان يكون المراد بقوله الذين اتيناهم الكتاب المؤمنين المسلمين دون
اهل الكتاب ويكون المراد بالكتاب القران لانا قد بينا ان الله سماه كتابا بقوله الر كتاب احكمت وبقوله
هو الذى انزل عليك الكتاب فعلى هذا سقط السؤال لان هذه صفة المؤمنين المستحقين للثواب
وقوله فلا تكونن من الممترين معناه لا تكونن من الشاكين والامتراء الشك وكذلك المرية ويكون
الخطاب للنبى والمراد به الامة وقيل المراد بذلك فلا تكونن من الممترين فى انهم يعلمون ان ذلك من
ربك بالحق **قوله** تعالى وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ آية
بلا خلاف **اقول** قرأ اهل الكوفة ويعقوب كلمة على التوحيد الباقون كلمات جمع كلمة والكلمات
ما ذكره الله من وعده ووعيده وثوابه وعقابه فلا تبديل فيه ولا تغيير له كما قال ما يبدل القول
لدى وقال لا تبديل لكلمات الله وكان التقدير وتمت ذوات الكلمات ولا يجوز ان يعنى بالكلمات
الشرايع ههنا كما عنى بقوله واذ ابتلى ابرهيم ربه بكلمات فاتمهن وقوله وصدقت بكلمات ربها لانه
قال لا مبدل لكلماته والشرايع يدخلها النسخ وقوله صدقا وعدلا مصدران ينتصبان فى موضع الحال
من الكلمة وتقديره صادقة عادلة وقال قوم هما نصبا على التمييز فمن قرا كلمات فلانه لما كان جمعا فى

المعنى جمعه ومن افرد فلان الكلمة قد يعنى بها الكثرة كما قالوا قال زهير فى كلمته يعنى فى قصيدته
قال قس فى كلمته يعنى فى خطبته فالمفرد يقع على الكثرة فاغنى عن الجمع ومثله وتمت كلمة ربك الحسنى
على بنى اسرائيل وقيل انه اراد به قوله ونريد ان نمن على الذين استضعفوا الى اخر الاية فسمى هذا
القصص كلمة وقال مجاهد فى قوله كلمة التقوى قال لا اله الا الله ومعنى وتمت كلمات انها بتمامها
موافقة لما توجبه المصلحة من غير زيادة ولا نقصان والتمام والكمال والاستيفاء نظاير وان جميعه صدق
لا كذب فيه كما يقال كمل فلان اذا تمت محاسنه وفى الاية دلالة على ان كلام الله محدث لانه وصفه بالتمام
والعدل وذلك لا يكون الا حادثا والتبديل وضع شئ مكان شئ فلا احد يقدر ان يضع خبرا او
كان كلمة الله بما ينقضها به وقال قتادة لا مبدل لها فيما حكم به لانه وان امكن التغيير والتبديل فى اللفظ
كما بدل اهل الكتاب التورية والانجيل فانه لا يعتد بذلك لانه لا يقلبه بحق ينقضه ويجوز ان يكون
المراد بقوله وتمت كلمات ربك انها اتتك شيئا بعد شئ حتى كملت وقوله وهو السميع العليم معناه انه
على صفة يجب ان يسمع المسموعات اذا وجدت عالم بما يكون ظاهرا او باطنا فلا يظن ظان ان شيئا
من ذلك يخفى عليه تعالى **قوله** تعالى وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ
يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ آية بلا خلاف **اقول** هذا خطاب من الله لنبيه ولجميع المؤمنين
انه ان يطع اكثر من فى الارض من الكفار ويتبع ما يريد ونه يضلوه عن سبيل الله لانه كان فى ذلك
الوقت اكثر اهل الارض كفارا والطاعة هى امتثال الامر واجابة ما اريد منه اذا كان المريد فوقه
الفرق بينها وبين الاجابة عامة فى موافقة الارادة الواقعة موقع المسئلة ولا تكون اجابة الا بان
يفعل لموافقة الداعى بالامر ومن اجله ولا يراعى فيها الرتبة والفرق بين الاكثر والاعظم ان
الاعظم قد يوصف به واحد ولا يوصف بالاكثر واحد بحال ولهذا يقال فى الله تعالى انه عظيم
اعظم من كل شئ ولا يقال اكثر وانما يقال اكبر بمعنى اعظم وانما قال ان تطعهم يضلوك وان كان
البداءة بالاغواء منهم لامرين احدهما ان المطيع يبتدى باستيفاء الطاعة فاذا كان من الداعى
امر بشئ من الطاعة اطاعه حينئذ والثانى ان دعاءهم لا يوصف بانه اضلال لمن دعوه الا بعد الاجابة
فكانه قال ان يجيبهم تستحق الصفة بانهم قد اضلوك ثم اخبر تعالى عن هؤلاء الكفار انهم لا يتبعون الا
الظن الذى يخطى ويصيب وانهم الا يخرصون ومعناه وما هم الا كاذبين والخرص الكذب يقال
خرص يخرص خرصا وتخرص تخرصا واخترص اختراصا واصله القطع قال الشاعر **شعر**

ترى قصد المران فيهم كانه | تذرع خرصان بايدى الشواطب

يعنى جريدا يقطع طولا ويتخذ منه الحصر وهو جمع الخرص ومنه خرص النخل يخرص خرصا اذا حزره
الخريص الخليج ينقطع اليه الماء والخريص حبة القرط اذا كانت منفودة والخرص العود لانقطاعه
عن نظايره بطيب ريحه وقيل معنى وان تطع اكثر من فى الارض يضلوك عن سبيل الله يعنى فى اكل الميتة
لانهم قالوا للمسلمين اتاكلون ما قتلتم ولا تاكلون ما قتل ربكم فهذا اضلالهم وقال بعضهم قوله
ان يتبعون الا الظن وانهم الا يخرصون قيل قوله يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا ان مثل
يتبعون الا الظن وانهم الا يخرصون يعنى المتعمدين المتمردين وفى الاية دلالة على بطلان قول اصحاب
المعارف وبطلان قولهم ان الله تعالى لا يتوعد من لا يعلم الحق لان الله بين فى هذه الاية انهم
يتبعون الظن ولا يعرفونه ويتوعدهم على ذلك وذلك بخلاف مذهبهم **قوله** تعالى إِنَّ رَبَّكَ
هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ آية بلا خلاف **اقول** خاطب الله تعالى
بهذه الاية نبيه وان عنى به جميع الامة انه تعالى اعلم من يضل عن سبيله بمعنى اعرف والمعنى انه
اعلم ممن يعلمه لانه يعلمه من وجوه تخفى على غيره لانه تعالى يعلم ما كان وما يكون وما هو كائن الى
يوم القيمة وعلى جميع الوجوه التى يصح ان يعلم الاشياء عليها وليس كذلك غيره لان غيره يعلم

جميع الاشياء وما يعلمه لا يعلمه من جميع وجوههما واما من غير عالم اصلا فلا يقال الله اعلم منه لان
لفظة اعلم يقتضي الاشتراك في العلم وزيادة لمن وصف بانه اعلم وهذا لا يصلح فيمن ليس بعالم اصلا
الا مجازا ولا يصح ان يقال هو تعالى اعلم بان الجسم حادث من كل من يعلم كونه حادثا لان هذا قد ذكر
الوجه الذي يعلم منه وهو انه حادث فان اريد بذلك المبالغة في الصفة وان هذه الصفة فيه
اثبت من غيره فجاز ان يقال ذلك وفي موضع من وجهين من الاعراب قال بعضهم موضعه نصب
على حذف الباء وتقديره اعلم بمن يضل ليكون مقابلا لقوله وهو اعلم بالمهتدين وقال الفراء و
الزجاج موضعها الرفع لانها بمعنى اي كقوله لنعلم اي الحزبين وصفة افعل من كذا لا يتعدى لانها
غير جارية على الفعل ولا معدولة عن الجارية كقول ضروب عن ضارب ومنحار عن ناحر وقال قوم ان
اعلم ههنا بمعنى يعلم كما قال حاتم الطائي **شعر** تحالفت طي من دوننا حلفا
والله اعلم ما كنا لهم خذلا وقالت الخنساء **شعر** القوم اعلم ان جفنته
تغدو غداة الريح او تسري قال الرماني هذا لا يجوز لانه لا يطابق قوله وهو اعلم
بالمهتدين فمعنى الاية ان الله تعالى اعلم بمن يسلك سبيل الضلال المؤدي الى الهلاك والعقاب
ومن سلك سبيل الهدى المفضي به الى النجاة والثواب **قوله** تعالى فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ إِنْ
كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ آية بلا خلاف **اقول** قيل في دخول الفاء في قوله فكلوا قولان احدهما انه
جواب لقول المشركين لما قالوا للمسلمين اتأكلون ما قتلتم ولا تأكلون ما قتل ربكم فكانه قيل اعرضوا
عن جهلهم فكلوا والثاني ان يكون عطفا على ما دل عليه اول الكلام كانه قال كونوا على الهدى فكلوا
مما ذكر اسم الله عليه وقوله فكلوا وان كان لفظه لفظ الامر فالمراد به الاباحة لان الاكل ليس بواجب
ولا مندوب اللهم الا ان يكون في الاكل استعانة على طاعة الله فانه يكون الاكل مرغبا فيه وربما كان
واجبا فاما ما يمسك الرمق فخارج عن ذلك لانه عند ذلك يكون الانسان ملجأ الى تناوله ومثل
هذه الاية في لفظ الامر والمراد به الاباحة قوله واذا حللتم فاصطادوا وقوله فاذا قضيت الصلوة
فانتشروا في الارض والاصطياد والانتشار مباحان بلا خلاف وقوله مما ذكر اسم الله عليه فالذكر
المسنون هو قول بسم الله وقيل كل اسم يختص الله تعالى به او صفة مختصة كقول بسم الله الرحمن
الرحيم او بسم القديم او بسم القادر لنفسه او العالم لنفسه وما يجري مجرى ذلك والاول مجمع على
جوازه والظاهر يقتضي جواز غيره ولقوله قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن اياما تدعوا فله الاسماء
الحسنى وقوله فكلوا مما ذكر اسم الله عليه خطاب للمؤمنين وفيه دلالة على وجوب التسمية على
الذبيحة لان الظاهر يقتضي ان ما لا يسمى عليه لا يجوز اكله بدلالة قوله ان كنتم بآياته مؤمنين لان
هذا يقتضي مخالفة المشركين في اكلهم ما لم يذكر اسم الله عليه فاما ما لم يذكر اسم الله عليه سهوا
ونسيانا فانه يجوز اكله على كل حال والاية تدل على ان ذبائح الكفار لا يجوز اكلها لانهم لا يسمون
الله عليها ومن سمى منهم لا يعتقد وجوب ذلك بل يعتقد ان الذي يسميه هو الذي ابدى شرع موسى
او عيسى وكذب محمد بن عبد الله وذلك لا يكون المسمى مخصوصا بالقصد وذلك مفتقر الى معرفته
واعتقاده والكفار على مذهبنا لا يعرفون الله تعالى فكيف يصح منهم تسميته تعالى وفي ذلك دلالة
واضحة على ما قلناه ومعنى قوله ان كنتم بآياته مؤمنين ان كنتم عرفتم الله وعرفتم رسوله وصحة ما
اتاكم به من عند الله وهذا التحليل عام لجميع الخلق وان خص به المؤمنين بقوله ان كنتم بآياته مؤمنين
لان ما حلل الله للمؤمنين فهو حلال لجميع المكلفين وما حرم عليهم حرام على الجميع **قوله** تعالى وَمَا
لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا
لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ آية بلا خلاف **اقول** قرأ نافع وحفص عن
عاصم وقد فصل لكم ما حرم بفتح الفاء والصاد والحاء والراء وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر

فصل

فصل وحرم بضم الفاء والحاء وابو حمزة والكسائي وابو بكر فصل بفتح الفاء حرم بضم الحاء وقرأ اهل الكوفة
يضلون بضم الياء وكسر الضاد الباقون بفتح الياء من ضم الفاء والحاء فلقوله حرمت عليكم الميتة
والدم الاية فهذا تفصيل هذا العام المجمل بقوله حرم وكذلك فصل لان هذا المفصل هو ذلك المحرم
الذي اجمل في هذه الاية ومن فتحهما فلقوله اتل ما حرم ربكم وقوله فصلنا الايات وكذلك قوله الذين
يشهدون ان الله حرم هذا ولانه قال وما لكم الا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه وقد فصل فينبغي
ان يكون الفصل مبنيا للفاعل لتقدم ذكر اسم الله ومن فتح الفاء وضم الحاء فلقوله فصلنا الايات
وقوله حرمت عليكم الميتة والدم قوله وما لكم خطاب للمؤمنين الذين ذكرهم في الاية الاولى ومعناه
لم لا تأكلوا وهل بينهما فرق لان لم لا يفعل اعم من حيث انه قد يكون لحال يرجع اليه وقد يكون
لحال يرجع الى غيره فاما ما لك ان لا تفعل فلحال يرجع اليه وقيل في معنى لا في قوله ان لا تأكلوا قولان
احدهما انها للجحد وتقديره اي شيء لكم في ان لا تأكلوا اختاره الزجاج وغيره من البصريين والثاني
ان يكون صلة والمعنى ما منعكم ان لا تأكلوا الا ان ما لك ان تفعل وما لك لا تفعل بمعنى واحد قال
قوم معناه ليس لكم ان لا تأكلوا ولا يجوز حذف فيها من مما لكم في ترك الاكل لان ان يلزمها الصلة فهي
احق بالاستحقاق من المصدر لانه لا يلزمه الصلة كما حسن حذف الهاء من صلة الذي ولم يحسن من
الصفة وقوله وقد فصل لكم ما حرم عليكم يعني ما ذكره في مواضع من قوله حرمت عليكم الميتة الاية
وغيرها وقوله الا ما اضطررتم اليه معناه الا اذا خفتم على انفسكم الهلاك من الجوع وترك التناول
فحينئذ يجوز لكم تناول ما حرمه الله في قوله الميتة والدم ولحم الخنزير وما حرمه في هذه الاية واختلفوا
في مقدار ما يسوغ له حينئذ تناوله فعندنا لا يجوز له ان يتناول الا ما يمسك الرمق وفي الناس
من قال يجوز له ان يشبع منه اذا اضطر اليه وان يحمل منها معه حتى يجد ما يأكل وقال الجبائي في
الاية دلالة على ان ما يكره عليه من اكل هذه الاجناس انه يجوز له اكله لان المكره يخاف على نفسه
مثل المضطر ومن قرأ ليضلون بفتح الياء ذهب الى ان المعنى ليضلون باهوائهم اي يضلون
باتباع اهوائهم كما قال واتبع هواه اي يضلون في انفسهم من غير ان يضلوا غيرهم من اتباعهم
بامتناعهم من اكل ما ذكر اسم الله عليه وغير ذلك ومن قرأ بضم الياء اراد انهم يضلون اشياعهم
فحذف المفعول به وحذف المفعول كثير ويقوي ذلك قوله وما اضلنا الا المجرمون وقوله ربنا هؤلاء
اضلونا وقوله وان كثيرا اوقع ان على النكرة لان الكلام اذا طال احتمل ودل بعضه على بعض **قوله**
تعالى وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ آية بلا
خلاف **اقول** الواو في قوله وذروا واو العطف ولا يستعمل وذروا الماضي ولا واذر لاسم الفاعل
استغناء بترك وانما يستعمل منه يذر وذر وذروا وامثاله ومثله يدع لم يستعمل منه فعل ولا فاعل
استغنوا ايضا بترك وتارك واستثقلوا ذلك كراهية الواو في الابتداء حتى لم يزيدوها ههنا اصلا مع زيادة
اخواتها والظاهر هو الكائن على وجه يمكن ادراكه والباطن هو الكائن على وجه يتعذر ادراكه امر الله
تعالى في هذه الاية بترك الاثم مع قيام الدلالة على كونه اثما ونهى عن ارتكابه سرا وعلانية وهو
قول قتادة والربيع بن انس ومجاهد لان الجاهلية كانت ترى ان الزنا اذا ظهر واعلن كان فيه
اثم واذا استسر به صاحبه لم يكن اثما ذكره الضحاك وقال الجبائي الظاهر افعال الجوارح والباطن
افعال القلوب وقال غيره الظاهر الطواف بالبيت عريانا والباطن الزنا والاول اعم على ما قلناه
ذكره ابن زيد وقال قوم ظاهر الاثم الزنا وباطنه اتخاذ الاخدان ذكره السدي والضحاك و
قال سعيد بن جبير ظاهر الاثم امراة الاب وباطنه الزنا امر الله تعالى باجتناب الاثم على كل حال
ثم اخبر ان الذين يكسبون الاثم يعني المعاصي والقبائح ويرتكبونه سيجزيهم الله يوم القيمة
بما كانوا يرتكبونه وقد بينا ان معنى الاقتراف هو معنى الاكتساب والكسب هو فعل ما يجتلب به نفع

الى

الى نفسه ويدفع به ضرره ولذلك يوصف الواحد منا بانه مكتسب ولا يوصف الله تعالى به والكواسب الجوارح من الطير لانها تكسب ما تنتفع به **قوله** تعالى وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ آية بلا خلاف **اقول** نهى الله تعالى فى هذه الآية عن اكل ما لم يذكر اسم الله عليه وذلك صريح فى وجوب التسمية على الذبيحة لانها لو لم تكن واجبة لكان ترك التسمية غير محرم لها فاما من ترك التسمية ناسيا فمذهبنا انه يجوز ان يؤكل ذبيحته بعد ان يكون معتقدا لوجوبها وكان الحسن يقول يجوز لمن ان يأكل منها وقال ابن سيرين لا يجوز ان يأكل منها وبه قال الجبائى فاما اذا تركها متعمدا فعندنا لا يجوز اكله بحال وفيه خلاف بين الفقهاء فقال قوم اذا كان تارك التسمية متعمدا من المسلمين جاز اكل ذبيحته وقال آخرون لا يجوز اكلها كما قلناه وذلك يدل على ان ما يذبحه اهل الكتاب لا يجوز اكله لانهم لا يعتقدون وجوب التسمية لا يذكرونها ومن ذكر اسم الله فانما يقصد به اسم من ابتدع شرعهم ولم يبعث محمدا صلى الله عليه واله وكذبه وذلك ليس هو الله فلا يجوز اكل ذبيحتهم ولانهم لا يعرفون الله فلا يصح منهم القصد الى ذكر اسمه فاما من عدا اهل الكتابين فلا خلاف فى تحريم ما يذبحونه وليست الآية منسوخة ولا شئ منها ومن ادعى نسخ شئ منها فعليه الدلالة وقال الحسن وعكرمة نسخ منه ذبائح الذين اوتوا الكتاب بقوله وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم وعندنا ان ذلك مخصوص بالحبوب دون الذبائح وقال قوم ليس اهل الكتاب داخلين فى جملة من يذكر اسم الله على ذبيحته وليس واحد من هؤلاء معينا بالآية فلا يحتاج الى النسخ وقوله وانه لفسق يعنى ما لم يذكر اسم الله عليه اكله فسق وحذف لدلالة الكلام عليه وقوله وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم ليجادلوكم يعنى بالشياطين علماؤهم ورؤساؤهم المتمردين فى كفرهم يومئون ويشيرون الى اوليائهم الذين اتبعوهم من الكفار بان يجادلوا المسلمين فى استحلال الميتة قال الحسن يجادلونهم بقولهم ان ما قتل الله اولى بان يؤكل مما قتله الناس وقال عكرمة المراد بالشياطين مردة الكفار من مجوس فارس الى اوليائهم من مشركى قريش وقال ابن عباس المراد بالشياطين ههنا ابليس وجنوده بان يوسوسوا اليهم ذلك يوحون الى اهل الشرك بذلك وبه قال قتادة وقال قوم الذين جادلوا بذلك كانوا قوما من اليهود جادلوا رسول الله بان ما قتله الله اولى بالاكل مما قتله الناس ثم قال تعالى وان اطعتموهم ايها المؤمنون فيما يقولونه من استحلال اكل الميتة وغيره انكم اذا لمشركون لان من استحل الميتة كافر بالاجماع ومن اكلها محرما لها مختارا فهو فاسق وهو قول الحسن وجماعة المفسرين والتقدير فى قوله انكم فانكم لمشركون لان جواب الشرط لا يكون بلا فاء وانما يكون ذلك جواب القسم واختلفوا فيما عناه الله تعالى بقوله ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه فقال عطا ذلك يختص بذبائح كانت فى الجاهلية على الاوثان كانت العرب تذبحها وقريش وقال ابن عباس ذلك الميتة وقال قوم عنى بذلك كل ذبيحة لم يذكر اسم الله عليها وهذا الوجه اقوى على ما بيناه ومن حمل الآية على الميتة فقد ابعد لان احدا من العرب ما كان يستحل الميتة وانما ذلك من مذهب قوم من المجوس فالآية اما ان تكون مختصة بما كانت تذبح للاصنام على ما قاله عطا او عامة فى كل ما لم يذكر اسم الله عليه الا ما اخرجه الدليل وقد بينا ان ذلك اعم واولى بحمل الآية عليه **قوله** تعالى أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ آية بلا خلاف **اقول** قرأ اهل المدينة ويعقوب ميّتا بالتشديد الباقون بالتخفيف قال ابو عبيدة الميتة مخففة ومثقلة معناهما واحد وانما خففت استثقالا قال ابن الرعلاء الغسانى

شعر

ليس من مات فاستراح بميت … انما الميت ميت الاحياء

انما الميت من يعيش كئيبا … كاسفا باله قليل الرجاء

وقد وصف الله الكفار بانهم اموات بقوله اموات غير احياء وما يشعرون ايان يبعثون وكذلك اومن كان ميتا فاحييناه والمعنى من كان ميتا بالكفر فصار حيا بالاسلام بعد الكفر كالمصر على الكفر وقوله وجعلنا له نورا يمشى به فى الناس يحتمل امرين احدهما ان يراد به النور المذكور فى قوله يسعى نورهم بين ايديهم وقوله يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين امنوا انظرونا نقتبس من نوركم الثانى ان يراد بالنور الاحكام التى يؤتاها المسلم باسلامه لانه اذا جعل الكافر بكفره فى الظلمات فالمؤمن بخلافه ومن خفف حذف الياء الثانية المنقلبة من الواو واعلت بالحذف كما اعلت بالقلب اختلفوا فيمن نزلت هذه الآية فقال ابن عباس والحسن وغيرهما من المفسرين نزلت فى كل مؤمن وكافر وقال عكرمة نزلت فى عمار بن ياسر وابى جهل وهو قول ابى جعفر وقال الضحاك نزلت فى عمر بن الخطاب وقال الزجاج نزلت فى النبى وابى جهل والاول اعم فائدة لانه يدخل فيه جميع ما قالوه بين الله تعالى ان من كان ميتا يعنى كافرا فاحييناه يعنى وفقناه للايمان فامن او صادفناه مؤمنا بان امن لان الاحياء بعد الاماتة ههنا هو الاخراج من الكفر الى الايمان عند جميع اهل العلم ابن عباس والحسن ومجاهد والبلخى والجبائى وغيرهم وقوله وجعلنا له نورا يمشى به فى الناس يعنى جعلنا له علما فسمى العلم نورا وحياة والجهل ظلمة وموتا لان العلم يهتدى به الى الرشاد كما يهتدى بالنور فى الطرقات ويدرك به الامور كما يدرك بالحيوة والظلمة كالجهل لانه يؤدى الى الحيرة والهلكة والموت كالجهل فى انه لا يدرك به حقيقة وانما قال كمن مثله فى الظلمات ولم يقل كمن هو فى الظلمات لان التقدير كمن مثله مثل من فى الظلمات ويجوز ان يدل بان مثله فى الظلمات على انه فى الظلمات الا انه يزيد فائدة انه ممن يضرب به المثل فى ذلك وقيل فى المراد بالنور الذى يمشى به فى الناس قولان احدهما قال الحسن هو القرآن وقال غيره هو الايمان الذى لطف له به ووجه التشبيه فى قوله كذلك زين للكافرين اى زين لهؤلاء الكفر فعملوه كما زين لاولئك الايمان فعملوه فشبهت حال هؤلاء فى التزيين بحال اولئك فيه كما قال كل حزب بما لديهم فرحون وانما زين الله تعالى الايمان عند المؤمنين وزين الغواة من الشيطان وغيره الكفر عند الكافرين وهو قول الحسن وابى على والرمانى والبلخى وغيرهم وفى الآية دلالة على وجوب طلب العلم لانه تعالى رغب فيه بان جعله كالحيوة فى الادراك بها والنور فى الاهتداء به **قوله** تعالى وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ آية بلا خلاف **اقول** معنى قوله وكذلك جعلنا اى جعلنا ذا المكر من المجرمين كما جعلنا ذا النور من المؤمنين فكلما فعلنا بهؤلاء فعلنا باولئك الا ان اولئك اهتدوا بحسن اختيارهم وهؤلاء ضلوا بسوء اختيارهم لان كل واحد منهما جعل بمعنى صار به كذا الا ان الاول باللطف والثانى بالتمكين من المكر فصار كانه جعل كذا وموضع الكاف فى وكذلك نصب بالعطف على قوله كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون والمعنى مثل ذلك الذى قصصنا عليك زين للكافرين عملهم ومثل ذلك جعلنا فى كل قرية اكابر مجرميها وانما خص اكابر المجرمين بهذا المعنى دون الاصاغر لانه احسن فى الاقتدار على الجميع لان الاكابر اذا كانوا فى قبضة القادر فالاصاغر بذلك اجدر والاكابر جمع الاسماء والكبر جمع الصفات يقول كبير واكابر ويجوز ان يكون جمع اكبر على اكابر وقد قالوا الاكابرة والاصاغرة كما قالوا الاساورة والاحامرة قال الشاعر **شعر**

ان الاحامرة الثلاثة اهلكت … مالى وكنت بهن قدما مولعا

الخمر واللحم السمين احبه … والزعفران فقد ابيت مودعا

وقوله ليمكروا فيها اللام لام العاقبة وتسمى لام الصيرورة كما قال فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا وقال الشاعر **شعر**

فاقسم لو قتلوا مالكا … لكنت لهم حية راصده

وام سماك فلا تجزعى … فللموت ما تلد الوالده

وليس المراد بها لام الغرض لانه تعالى لا يريد ان يمكروا وقد قال وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون

وارادة القبيح قبيحة والتقدير وكذلك جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها ليطيعوني ويمتثلوا امري وكان عاقبتهم ان مكروا المؤمنين وخدعوهم فقال الله تعالى وما يمكرون الا بانفسهم لان عقاب ذلك يحل بهم والمكر هو فتل الشيء الى خلاف الرشد على وجه الحيلة في الامر والمكر والختل والغدر نظائر واصل المكر الفتل ومنه جارية ممكورة اي ملتفة البدن ووجه مكر الانسان بنفسه ان وبال مكره يعود عليه كانه قال وما يضرون بذلك المكر الا انفسهم وما يشعرون انهم يمكرون بها ولا يصح ان يمكر الانسان بنفسه على الحقيقة لانه لا يصح ان يخفي عن نفسه معنى ما يحتال به عليها ويصح ان يخفي ذلك عن غيره وفايدة الاية ان اكابر المجرمين لم يمكروا بالمؤمنين على وجه المغالبة لله اذ كانه جعلهم ليمكروا ومبالغة في انتفاء صفة المغالبة **قوله** تعالى وَاِذَا جَاءَتْهُمْ اٰيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتّٰى نُؤْتٰى مِثْلَ مَا اُوْتِيَ رُسُلُ اللّٰهِ اَللّٰهُ اَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهٗ سَيُصِيْبُ الَّذِيْنَ اَجْرَمُوْا صَغَارٌ عِنْدَ اللّٰهِ وَعَذَابٌ شَدِيْدٌ بِمَا كَانُوْا يَمْكُرُوْنَ اية بلا خلاف **اقول** قرا ابن كثير وحفص رسالته على التوحيد ونصب التاء الباقون على الجمع ومن وحد فلان الرسالة تدل على القلة والكثرة لكونها مصدرا ومن جمع فلما تكرر من رسل الله وتحميله اياهم رسالة بعد اخرى فاتى بلفظ الجمع اخبر الله تعالى عن هؤلاء الكفار انه اذا جاءتهم اية ودلالة من عند الله يدل على توحيد الله وصدق انبيائه ورسله قالوا لن نؤمن اي لا نصدق بها حتى نؤتى اي نعطى اية مثل ما اعطي رسل الله حسدا منهم للانبياء عليهم السلام ثم اخبر تعالى على وجه الانكار عليهم بانه تعالى اعلم منهم ومن جميع الخلق حيث يجعل رسالاته لان الرسالة تابعة للمصلحة ولا يبعث الله تعالى الا من يعلم ان مصلحة الخلق تتعلق ببعثه دون من لا يتعلق ذلك به ومن يعلم انه يقوم باعباء الرسالة دون من لا يقوم بها ثم توعدهم فقال سيصيب الذين اجرموا اي سينال الذين انقطعوا الى القبيح واقدموا عليه صغار عند الله والصغار الذل الذي عند الله ثلثة اقوال اولها صغار اي ذلة من عند الله ولا يجوز على هذا ان يقال جئت عمرو بمعنى من عنده لان حذف من تلبيس ههنا الثاني قال الفراء انهم من اتباع الحق صغار عند الله الثالث قال الزجاج يعني صغار في الاخرة وهو اقواها لقوله وعذاب شديد بما كانوا يمكرون في دار الدنيا وعند الله يتعلق بقوله سيصيب الذين اجرموا صغار ثابت لهم عند الله ومعنى الاية الانكار لما طلبوا والاحتجاج عليهم فيما جهلوا والوعيد على ما فعلوا وقوله رسل الله اللام مفخمة في الله ولا تفخم من قوله الله اعلم لان ما وقع بعد فتح وضم صح تفخيمه كقولك من الله لانه بمنزلة تفخيم الالف مع ما بين الحركتين في نحو كامل وعالم وترك التفخيم في الثاني كترك في الالف مع الكسرة في نحو عايد وانما فخمت اللام في تلك المواضع لتعظيم الاسم من غير اخلال بالخروج عن نظيره **قوله** تعالى فَمَنْ يُرِدِ اللّٰهُ اَنْ يَهْدِيَهٗ يَشْرَحْ صَدْرَهٗ لِلْاِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ اَنْ يُضِلَّهٗ يَجْعَلْ صَدْرَهٗ ضَيِّقًا حَرَجًا كَاَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذٰلِكَ يَجْعَلُ اللّٰهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِيْنَ لَا يُؤْمِنُوْنَ اية بلا خلاف **اقول** قرا ابن كثير ضيقا بتخفيف الياء وسكونها ههنا وفي الفرقان الباقون بتشديدها وكسرها وقرا اهل المدينة وابو بكر حرجا بكسر الراء الباقون بفتحها وقرا ابن كثير يصعد بتخفيف الصاد والعين وسكون الصاد من غير الف قال ابو علي النحوي الضيق والضيّق مثل الميت والميّت في ان معناهما واحد والياء والواو يشتركان في الحذف وان لم تعل الياء بالقلب كما اعلت الواو به فاتبعت الياء الواو في هذا كما اتبعتها في قولهم اتسر قالوا في ايتسار الجزور اتسروها فجعلت بمنزلة اتعد وقال غيره يجوز ان يكون من ضاق الامر يضيق ضيقا وقد قراءة من قرا ولا تك في ضيق ومن فتح الراء من حرج اجلها وصفا للمصدر لان المصادر قد يوصف بمثل ذلك كقولهم رجل دنف اي ذو دنف وفرق ولا يكون كبطل لان اسم الفاعل في الاكثر من فعل انما يجيء على فعل ومن كسر الراء فهو مثل دنف وفرق قال ابو زيد وحرج عليه السحور اذا اصبح قبل ان يتسحر وحرم عليه حرما وهما واحد وحرمت على المراة الصلوة تحرم حرما وحرمت عليها الصلوة

يحرج حرما بمعنى واحد ويقال حرج فلان يحرج اذا هاب ان يتقدم على الامر او قاتل فصبر وهو كاره وقال غيرهما بمعنى واحد كالدنف والدنف والوحد والوحد والفرد والفرد وقيل الحرج الاثم الحرج الضيق الشديد ومن قرا يصعد من الصعود فالمعنى انه في نفوره عن الاسلام وثقله عليه بمنزلة من تكلف ما لا يطيقه كما ان صعود السماء لا يستطاع ومن قرا يصّعّد بتشديد الصاد والعين بلا الف اراد يتصعد فادغم والمعنى انه كانه يتكلف ما يثقل عليه وكانه تكلفه شيئا بعد شيء ويصّاعد مثل يتصاعد مثل ضاعف وضعّف وناعم ونعّم والضمير في قوله يشرح صدره للاسلام يحتمل ان يكون راجعا الى من وتقديره ان المهتدي يشرح صدره نفسه وهو جيد ويكون تقديره من اراد الله ان يثيبه ويهديه الى طريق الجنة فليطعه ومن اراد ان يعاقبه فليعصه فالارادة واقعة على فعل العبد بقلبه بالاخراج والضيق ويقوي ذلك قوله من كفر بالله من بعد ايمانه الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان ولكن من شرح بالكفر صدرا فالطمأنينة الى الايمان فعلهم لا محالة لانه ايمان ثم نسب تعالى شرح صدورهم بالكفر اليهم والثاني ان يكون الضمير فيه عائدا الى اسم الله تعالى وهو الاقوى لقوله افمن شرح الله صدره للاسلام لاسم الله تعالى والمعنى ان الفعل مستند الى اسم الله في اللفظ وفي المعنى المشرح صدره وانما نسبه الى ضمير اسم الله لانه بقدرته كان توفيقه كما قال وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى ويدل على ان المعنى لفاعل الايمان اسناد هذا الفعل الى الكافر في قوله ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله فكما اسند الفعل الى فاعل الكفر كذلك يكون اسناده في المعنى الى فاعل الايمان ومعنى شرح الصدر اتساعه للايمان او الكفر وانقياده له وسهولته عليه بدلالة وصف خلاف المؤمن بخلاف الشرح الذي هو اتساع وقوله ومن يرد ان يضله يعني يعاقبه او يعدل به عن طريق الجنة يجعل صدره ضيقا حرجا كانما يفعل ما يعجز عنه ولا يستطيعه لثقله عليه وتكاده عليه وقوله يصعد ويصاعد من المشقة وصعوبة الشيء ومن ذلك قوله يسلكه عذابا صعدا وقوله ساهقه صعودا اي ساغشيه عذابا صعودا اي شاقا ومن ذلك قول عمر ما يصعد في شيء كما يصعد في خطبة النكاح اي ما يشق علي مشقتها فكان معنى يصعد يتكلف مشقة في ارتقاء صعدا وعلى هذا قالوا عقبة عنوت وعشوث وعقبة كؤود ولا يكون السماء في هذا الموضع هي المظلة للارض لكن كما قال سيبويه القيدود الطويل في غير سماء يريد في غير ارتفاع صعدا ومثله قد نرى تقلب وجهك في السماء واما قوله يجعل صدره ضيقا حرجا فانه يحتمل امرين احدهما التسمية كقوله يجعل صدره ضيقا حرجا فانه يحتمل امرين احدهما التسمية كقوله وجعلوا الملئكة الذين هم عباد الرحمن اناثا اي سموهم بذلك فكذلك يسمي القلب ضيقا لمحاولة الايمان وحرجا عنه والاخر الحكم كقولهم اجعل البصرة بغداد وجعلت حسني قبيحا اي حكمت بذلك ولا يكون هذا من الجعل الذي يراد به الخلق والذي يراد به الالقاء كقولك جعلت متاعك بعضه على بعض وقوله ويجعل الخبيث بعضه على بعض وقيل في معنى الهداية والاضلال في الاية قولان احدهما ان يريد بالهدى تسهيل السبيل الى الاسلام بالدلائل التي ينشرح بها الصدر والاضلال تصعيب السبيل اليه بالدلائل التي يضيق بها الصدر لان حاله اوجبت تغليظ المحنة عليه من غير ان يكون هناك مانع له ولا تدبير غيره اولى منه وانما هو حض على الاجتهاد في طلب الحق حتى ينشرح بالدلائل الصدر ولا يضيق بدعائها الى خلاف ما سبق من العقد بالهدى الى ما طلبه طالب الحق والاضلال عما طلبه طالب تاكيد الكفر والثاني ان يراد بالهداية الهداية الى الثواب وبالاضلال الاضلال عن الثواب والسلوك به الى العقاب ويكون التقدير من يرد الله ان يهديه للثواب في الاخرة فيشرح صدره للاسلام في الدنيا بان يفعل له اللطف الذي يختار عنده الاسلام ومن يرد ان يعاقبه ويعدل به عن الثواب الى النار فيجعل صدره ضيقا حرجا بما سبق منه من سوء اختياره للكفر جزاء على فعله ويخذيه ويخلي بينه وبين ما يريده من الكفر او يحكم على قلبه بالضيق والحرج او يسميه بذلك على ما فسرناه وهذا الاضلال لا يكون الا مستحقا كما

ان تلك الهداية لا تكون الا مستحقة وقد سمى الله تعالى الثواب هداية فى قوله الحمد لله الذى هدانا لهذا
وما كنا لنهتدى لولا ان هدينا الله وقال والذين قتلوا فى سبيل الله فلن يضل اعمالهم سيهديهم و
يصلح بالهم والهداية بعد القتل انما هى الثواب فى الجنة وقال تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى
وقال ومن يؤمن بالله يهد قلبه وقال يهدى به الله من اتبع رضوانه وقال والذين جاهدوا فينا لنهدينهم
سبلنا وكل ذلك يراد به الثواب وقد سمى العقاب ضلالا فى قوله ويضل الله الظالمين وقوله وما
يضل به الا الفاسقين هذه الجملة معنى قول ابى على الجبائى والبلخى والاول قول الرمانى وقيل
ايضا انما يشرح المؤمن بالايات والدلائل لكونه طالبا للحق ولم يفعل ذلك بالكافر لكونه طالبا للتاكيد
الكفر وفى هذا الوجه حض على طلب الحق والحرج الضيق الشديد وقال ابن عباس اصله الحرج وهى
الشجرة الملتفة بالشجر حولها فلا يصل اليها الراعى فكذلك قلب هذا لا يصل اليه خير فى قول عمرو
قال ابن عباس لا يصل اليه حكمة وقوله كانما يصعد فى السماء قيل فى معناه قولان احدهما كانما كلف
الصعود الى السماء بالدليل الذى يدعوه الى خلاف مذهبه وقال سعيد بن جبير كانه لا يجد مسلكا
الا صعدا والثانى كانما ينزع قلبه الى السماء نبوا عن الحق ان يتباعد فى الهرب وفى معنى الرجس قولان
احدهما قال مجاهد كلما لا خير فيه وقال ابن زيد وغيره من اهل اللغة هو العذاب ويقال الرجس
النجس وما كان رجسا ولقد رجس رجاسة ونجس نجاسة ووجه التشبيه فى قوله كذلك يجعل الله
الرجس على الذين لا يؤمنون انه يجعل الرجس على هؤلاء كما يجعل ضيق الصدر فى قلوب اولئك وان
كل ذلك على وجه الاستحقاق ولا يجوز ان يكون المراد بالاية ان الله تعالى يجعل سبب الايمان الذى
يكون به الايمان وسبب الكفر الذى يكون به الكفر وانهما جميعا من فعل الله على ما يقوله المجبرة وذلك ان
الله تعالى انزل القران حجة له على عباده لا حجة للعباد عليه فلو كان كما قالوه لكانت الحجة عليه دلالة على انه
لا يجوز ان يكون فى كلام الله تعالى مناقضة وقد ذكر الله تعالى فى مواضع انه هدى الكفار نحو قوله و
اما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى وقال وهديناه النجدين فلا اقتحم العقبة وقال وما
منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى وقال وقد جاءكم بصائر من ربكم فمن ابصر فلنفسه ومن
عمى فعليها فبين بجميع ذلك انه تعالى هدى الكفار كما هدى المؤمنين فكيف ينفى ذلك فى موضع
اخر وهل ذلك الا مناقضة وكلام الله منزه عنها ومتى حملنا الايات على ما قلناه ووفقنا بينها لم
يؤد الى المناقضة ولا التضاد ويقوى ذلك ان الله اخبر انه يجعل قلب الكافر ضيقا حرجا ونحن نجد
كثيرا من الكفار غير ضيقى الصدر بما هم فيه من الكفر بل هم فى غاية السرور والفرح بذلك فكيف
يقال ان الله تعالى ضيق صدورهم بالكفر ولا يلزمنا ذلك اذا قلنا ان الله يفعل ذلك بهم على وجه
العقوبة لانه تعالى اذا كان يفعل بهم ذلك عقوبة يجوز ان يفعل بهم ذلك اذا اراد عقابهم لا فى جميع
الاحوال ولا يلزم ان يجدوا نفوسهم على ذلك فى كل وقت وايضا فان سبب القبيح لا يكون الا قبيحا فعلى
هذا سبب الكفر يجب ان يكون قبيحا لانه موجب له لا يصلح لضده من الايمان لانه لو صلح لذلك لكان
سببا والله تعالى لا يفعل القبيح وانما ذكر ان الله ضيق صدر الكافر وهو مما يصح ان يدعا به الى الايمان
فى بعض الاحوال كما يصح ان يدعا بالانشراح فى غير تلك الحال ويقوى ما قلناه قوله كذلك يجعل الله
الرجس على الذين لا يؤمنون وانما اريد بذلك ما يفعله بهم من العقاب والبراءة واللعنة والشتم و
الاسماء القبيحة مما اعد لهم من العقاب وقال الحسن معناه انه يكون مقبول الايمان منشرح الصدر
ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا ومعناه انه يثقل عليه ما يدعا اليه من الايمان كانما
يصعد الى السماء فبذلك صار ضيق الصدر عن الايمان ويجعل الله الرجس يعنى نجاسة الكفر على الذين
لا يؤمنون ووجه اخر فى الاية وهو ان نحملها على التقديم والتاخير كانه قال من يشرح الله صدره للاسلام
يرد الله ان يهديه ومن يجعل صدره ضيقا حرجا يرد الله ان يضله ووجه اخر وهو ان يكون الله تعالى لما

دعاهم الى الايمان وامرهم فعلوه وانشرحت صدورهم فنسب شرح ذلك الى الله تعالى ولما ضاقت
صدور الكفار عند دعاء الله واقامة الحجج عليهم وامره اياهم بذلك فضلوا عند ذلك صح ان ينسب
اضلالهم اليه كما يقولون اضل فلان بعيره اذا ضل عنه وهو لم يرد ذلك واللام فى قوله للاسلام
يحتمل امرين احدهما ان يكون الله تعالى هداه بالالطاف التى ينشرح بها صدره للتمسك بالاسلام
والاستبصار فيه ولا يكون ذلك فعل بالكفار وان لم يحل بينهم وبين الايمان ولا منعهم منه لانه
تعالى قد اعطى الكافر الصحة والسلامة والقوة وجميع ما يتمكن به من فعل ما امره به وانما لم يفعل
بهم اللطف الذى يؤمنون عنده لانهم لما عدلوا عن النظر فى ايات الله وخرجوا من ان يكون لهم لطف
يختارون عنده الايمان وصاروا ممن لو خلى الله تعالى بينهم وبين اختيارهم فعبر عن ذلك بانه
جعل قلبه ضيقا حرجا والثانى ان يكون اللام بمعنى لاجل الشىء وبسببه فيكون المعنى انه شرح صدره
من اجل الاسلام ولانه فعل الاسلام استحق شرح الصدر قوله تعالى وهذا صراط ربك مستقيما
قد فصلنا الايات لقوم يذكرون لهم دار السلام عند ربهم وهو وليهم بما كانوا يعملون اية
بلا خلاف اقول الاشاره بقوله وهذا صراط ربك مستقيما يمكن ان يكون الى احد شيئين احدهما
ما قال ابن عباس انه راجع الى الاسلام والثانى ان يكون اشارة الى البيان الذى فى القران واضيف
الصراط الى الله فى قوله صراط ربك مستقيما لانه لما كانت الاضافة فيه انما هى على انه الذى يضيره
دل عليه تحسينا للاستعمال ولم يجز قياسا على ذلك ان يقال هذا طريق ربك لانه لم يجر العادة باستعماله
كما انهم استعملوا قولهم هذا فى سبيل الله ولم يجيزوا فى طريق الله لما قلناه وقوله مستقيما نصب على
الحال ومعناه الذى لا اعوجاج فيه فان قيل كيف يقال انه مستقيم مع اختلاف وجوه الادلة قلنا
لانها مع اختلافها تؤدى كل واحد منها الى الحق وكانها طريق واحد لسلامة جميعها من التناقض و
الفساد وكلها يؤدى من تمسك به الى الثواب وقوله قد فصلنا الايات اى بيناها لقوم يذكرون
وانما اعيد ذكر تفصيل الايات للاشعار بان هذا الذى تقدم من الايات التى فصلها الله عز وجل
للعباد وقوله يذكرون اصله يتذكرون فقلبت التاء ذالا وادغمت الاولى فى الثانية ولم يجز قلب الذال
الى التاء كما جاز فى هل من مدكر لانه لما تحرك والدغام الدال فى التاء لانها افضل منها بالجهر قلبت
الى الدال لتعديل الحروف وليس كذلك ادغام التاء فى الذال وانما خص الايات لقوم يتذكرون
لانهم المنتفعون بها وان كانت ايات لغيرهم كما قال هدى للمتقين وفى الاية دلالة على بطلان قول من قال
المعارف ضرورية لانها لو كانت ضرورية لم يكن لتفصيل الايات ليتذكر بها فائدة وقوله لهم دار السلام هذه لام الاضافة
وانما فتحت مع المضمر وكسرت مع الظاهر لامرين احدهما طلبا للتخفيف لان الاضمار موضع تخفيف
وفتحت فى الاستعانة فى بالكسر تشبيها بالكناية ولانه موضع تخفيف بالترخيم وحذفا النون الثانى ان
اصلها الفتح وانما كسرت مع الظاهر للفرق بينها وبين لام الابتداء وقيل فى معنى السلام هيهنا قولان
احدهما قال الحسن والسدى انه الله وداره الجنة والثانى قال الزجاج والجبائى انها دار السلامة الدائمة
من كل افة وبلية وقوله عند ربهم قيل فى معناه قولان احدهما مضمون عند ربهم حتى يوصله اليهم
الثانى فى الاخرة يعطيهم اياه وقوله وهو وليهم يعنى الله وفى معنى الولى قولان احدهما انه يتولى ايصال
المنافع اليهم ودفع المضار عنهم الثانى ناصرهم على اعدائهم وقوله بما كانوا يعملون يعنى جزاء باعمالهم فان
كان مطلقا فالمراد بما كانوا يعملونه من الطاعات لان من المعلوم ان ما لم يكن طاعة فلا ثواب عليه و
يجوز ايضا ان يكون مقيدا بالدلالة قوله يذكرون عليه والموعود بهذا الوعد المتذكر لايات الله بحقها وهو العامل بها
قوله تعالى ويوم يحشرهم جميعا يا معشر الجن قد استكثرتم من الانس وقال اولياؤهم من الانس
ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا اجلنا الذى اجلت لنا قال النار مثواكم خالدين فيها الا ما
شاء الله ان ربك حكيم عليم اية بلا خلاف اقول قرا حفص وروح ويوم يحشرهم بالياء الباقون

لانهما لولم تكن ضرورية

بالنون من قرأ بالياء فلقوله لهم دار السلام عند ربهم ويوم يحشرهم والنون كالياء في المعنى ويقوي النون قوله وحشرناهم فلم نغادر منهم احدا وقوله ونحشره يوم القيمة اعمى والذي يتعلق به اليوم هذا القول المضمر والمعنى ويوم نحشرهم جميعا يقال يا معشر الجن فيكون التقدير يقال يا معشر الجن يوم نحشرهم جميعا قد استكثرتم من الانس اي قد استكثرتم من اضللتموه من الانس بالاغواء والاضلال قال ابن عباس والحسن وقتادة ومجاهد معناه استكثرتم من اغوائهم واضلالهم وقال اولياؤهم من الانس ربنا استمتع بعضنا ببعض وقيل في وجه الاستمتاع من بعضهم ببعض قولان احدهما تزيين الامور التي يهوونها حتى سهل عليهم فعلها والثاني قال الحسن وابن جريج والزجاج والفراء وغيرهم انه اذا كان الرجل اراد ان يسافر فيخاف سلوك طريق من الجن فيقول اعوذ بسيد هذا الوادي ثم يسلك فلا يخاف كما قال تعالى وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا ووجه استمتاع الجن بالانس انهم اذا اعتقدوا ان الانس يتعوذون بهم ويعتقدون انهم ينفعونهم ويضرونهم او انهم يقبلون منهم اذا اغووهم كان في ذلك تعظيم لهم وسرور ونفع ذكر ذلك الزجاج والبلخي والرماني وقال البلخي ويحتمل ان يكون قوله استمتع بعضنا ببعض مقصورا على الانس فكان الانس استمتع بعضهم ببعض دون الجن وقوله وبلغنا اجلنا الذي اجلت لنا قيل في معناه قولان احدهما قال الحسن والسدي انه الموت الثاني الحشر لان كل واحد منهما اجل في الحكم فالموت اجل استند الى ما مضى والحشر اجل الجزاء وقال ابو علي في الاية دلالة على انه لا اجل الا واحد قال لانه لو كان له اجلان فكان اذا انقطع دونه بان قتل ظلما لم يكن بلغ اجله والاية تتضمن انهم اجمع يقولون بلغنا اجلنا الذي اجلت لنا وقال الرماني وغيره من البغداديين لا تدل على ذلك بل لا يمتنع ان يكون له اجلان احدهما ما يقع فيه الموت والاخر ما يقع فيه الحشر وما كان يجوز ان يعيش اليه وقوله قال النار مثواكم جواب من الله تعالى لهم بان النار مثواهم وهو المقام يقال ثوى يثوي ثواء قال الشاعر

لقد كان في حول ثواء ثويته ... تقضى لبانات ويسأم سائم

ومعنى الاية التقريع للغواة من الجن والانس مع اعترافهم بالخطيئة في وقت لا ينفعهم الندم على ما سلف وخاصة اذا كان الجواب لهم بان مثواهم النار خالدين فيها اي مؤبدين فيها وهو نصب على الحال وقوله الا ما شاء الله قيل في معنى هذا الاستثناء ثلثة اقوال احدها الا ما شاء الله من الفائت قبل ذلك من الاستحقاق من وقت الحشر الى زمان المعاقبة وتقديره خالدين فيها على مقادير الاستحقاق الا ما شاء من الفائت قبل ذلك لان ما فات يجوز اسقاطه بالعفو عنه والفائت من الثواب لا يجوز تركه لانه بخس لحقه ذكره الرماني والبلخي والطبري والزجاج والجبائي الثاني الا ما شاء الله من تجديد الخلود بعد احتراقها وتصريفهم في انواع العذاب منها والتقدير خالدين فيها على صفة واحدة الا ما شاء الله من هذه الامور الثالث ما حكي عن ابن عباس حكاه الرماني والطبري عنه انه قال هذه الاية توجب الوقف في جميع الكفار كانه ذهب الى ان وعيدهم بالقطع يدل عليه ما بعده وقال قوم معنى ما من وتقديره الا من شاء الله اخراجه من النار من المؤمنين الذين لهم ثواب بعد استيفاء عقابهم وقوله ان ربك حكيم عليم اي هو حكيم فيما يفعله من جزائهم وعالم بذلك وبغيره من المعلومات لا يخفى عليه شيء منها **قوله** تعالى وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ آية بلا خلاف **اقول** قيل في معنى قوله نولي بعض الظالمين بعضا قولان احدهما انا نكل بعضهم الى بعض في النصرة والمعونة في الحاجة ولا نحول بينهم الثاني نجعل بعضهم يتولى القيام بامر بعض وقيل في كيفية تولية الله الظالمين بعضهم بعضا اقوال احدها بان حكم ان بعضهم يتولى بعضا فيما يعود عليه بالوبال من الاعمال التي يتفقون عليها الثاني بان يخلي بينهم وبين ما يختارونه من غير نصرة لهم الثالث ما قال قتادة انه من الموالاة والتتابع في النار اي يدخل بعضهم عقيب بعض ووجه التشبيه في قوله وكذلك قال الرماني

اي كذلك المهل بتخلية بعضهم مع بعض للامتحان الذي معه يصح الجزاء على الاعمال توليتنا بجعل بعضهم يتولى امر بعض للعقاب الذي يجري على الاستحقاق وقال الجبائي المعنى انا كما وكلنا هؤلاء الظالمين من الجن والانس بعضهم الى بعض يوم القيمة وتبرأنا منهم وكذلك نكل الظالمين بعضهم الى بعض يوم القيمة ونكل الاتباع الى المتبوعين ونقول للاتباع قولوا للمتبوعين حتى يخلصوكم من العذاب والغرض بذلك اعلامهم انه ليس لهم يوم القيمة ولي يدفع عنهم شيئا من العذاب وقال غيره لما حكى الله تعالى ما يجري بين الجن والانس من الخصام والجدال في الاخرة قال الله لهم النار مثواكم ثم قال كذلك نولي بعض الظالمين بعضا اي كما فعلنا بهؤلاء من الجمع بينهم في النار وتولية بعضهم بعضا او جعل بعضهم اولى ببعض نفعل مثله بالظالمين جزاء على اعمالهم به والفرق بين ذلك وذاك ان زيادة اللام في ذلك قامت مقام هاء التنبيه التي يدخل في ذاك فيقول هاذاك ولا يقول هاذلك ولا يجوز امالة ذلك لان ذا بمنزلة الحرف والاصل في الحروف الاهمال لان التصريف انما هو للافعال والاسماء وقوله بما كانوا يكسبون معناه بما كانوا يكسبونه من المعاصي وان ما يفعله بهم من العقاب جزاء على اعمالهم القبيحة **قوله** تعالى يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ آية بلا خلاف **اقول** اخبر الله تعالى انه يخاطب الجن والانس يوم القيمة بان يقول يا معشر الجن والانس والمعشر الجماعة والفرق بينه وبين الجمع ان المعشر يقع عليهم هذا الاسم مجتمعين كانوا او مفترقين كالعشرة والعشرة وليس كذلك الجمع لانه ماخوذ من الجمع والجن مشتق من الاجتنان عن العيون وهو اسم علم لجنس مما يعقل متميز من جنس الانسان والملك والانس هم البشر وقوله الم يأتكم رسل منكم احتجاج عليهم بان الله بعث اليهم الرسل اعذارا وانذارا وتاكيدا للحجة عليهم ان يكون خطابا لمن بعث الله اليهم الرسل فاما اول الرسل فلا يمكن ان يكونوا خطابا لمن بعث الله اليهم الرسل فاما اول الرسل فلا يمكن ان يكونوا داخلين فيه لانه كان يؤدي الى ما لا نهاية لهم من الرسل وذلك محال وقوله منكم وان كان خطابا لجميعهم والرسل من الانس خاصة فانه يحتمل ان يكون لتغليب احدهما على الاخر كما يغلب المذكر على المؤنث وكما قال يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان بعد قوله مرج البحرين يلتقيان وانما يخرج اللؤلؤ من الملح دون العذب وكقولهم اكلت خبزا ولبنا وانما شرب اللبن وكما يقولون في هذه الدور وانما هو في بعضها وهذا قول اكثر المفسرين منهم ابن جريج والفراء والزجاج والرماني والبلخي والطبري وروي عن ابن عباس قال هم رسل الانس الى غيرهم من الجن كما قال تعالى ولوا الى قومهم منذرين وقال الضحاك ذلك يدل على انه تعالى ارسل رسلا من الجن وبه قال الطبري واختاره البلخي ايضا وهو الاقوى وقال الجبائي والحسين بن علي المغربي المعنى الم يأتكم يعني معشر المكلفين والمخلوقين رسل منكم يعني من المكلفين وهذا اخبار وحكاية عما يقال لهم في وقت حضورهم في الاخرة وليس بخطاب لهم في دار الدنيا وهم غير حضور فيكون قبيحا بل هو حكاية على ما قلناه وقوله يقصون عليكم آياتي مثل يتلون عليكم دلائلي وبيناتي وينذرونكم يعني يخوفونكم لقاء يومكم هذا يعني لقاء ما تستحقونه من العقاب في هذا اليوم وحصولكم فيه ثم اخبر تعالى عنهم انهم يشهدون على انفسهم بالاعتراف بذلك والاقرار بان الحيوة الدنيا غرتهم ويشهدون ايضا بانهم كانوا كافرين في دار الدنيا فلذلك كرر الشهادة ومعنى غرتهم الحيوة الدنيا اي غرتهم زينة الدنيا ولذتها وما يرون من زخرفها وبهجتها واستدل بهذه الاية قوم على ان الله لا يجوز ان يعاقب الا بعد ان يرسل الرسل وان التكليف لا يصح من دون ذلك وهذا ينتقض بما قلناه من اول الرسل وانه صح تكليفهم وان لم يكن لهم رسل فالظاهر مخصوص على ان ذلك مخصوص بمن علم الله ان الشرع مصلحة له فان الله لا يعاقبهم الا بعد ان يرسل اليهم الرسل ويقيم عليهم الحجة بتعريفهم مصالحهم فاذا خالفوا بعد

ذلك استحقوا العقاب **قوله** تعالى ذٰلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ
اية بلا خلاف **اقول** موضع ذلك من الاعراب يحتمل امرين احدهما ان يكون رفعا كانه قال الامر
ذلك لانه لم يكن وذلك اشارة الى ما تقدم ذكره من العقاب والجزاء والجواب وهذا اشارة الى قوله قال النار مثواكم اجرنا بهم في بان مثواهم النار والثاني
ان يكون نصبا وتقديره فعلنا ذلك لهذا وانما جازت الاشارة بذلك الى غير حاضر لان معنى ما صفته
حاضر للنفس فقام مقام حضوره ويجوز الاشارة الى هذا الذي تقدم ذكره وقوله ان لم يكن
فان هي المخففة من الثقيلة والمعنى لانه لم يكن ومثلها التي في قول الشاعر **شعر**

في فتية كسيوف الهند قد علموا ... ان هالك كل من يحفى وينتعل

فان المفتوحة لا بد فيها من اضمار الهاء لانه لا معنى لها في الابتداء وانما هو بمعنى المصدر والمبني على
غيره والمكسورة لا تحتاج الى ذلك لانها يصح ان يكون حرفا من حروف الابتداء فلا يحتاج الى اضمار و
قوله بظلم قيل في معناه قولان احدهما ما ذكره الفراء والجبائي انه بظلم منه على غفلة من غير تنبيه و
تذكير ومثله قوله وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون الثاني بظلم منهم حتى يبعث
اليهم رسلا يزجرونهم ويذكرونهم على وجه الاستظهار في الحجة دون ان يكون ذلك واجبا لانهم لما
فعلوه من الظلم فقد استحقوا العقاب ومن استدل بذلك على انه لا يحسن العقاب الا بعد انفاذ الرسل
فقد اجبنا عن قوله في الاية الاولى **قوله** تعالى وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا
يَعْمَلُونَ اية بلا خلاف **اقول** قرا ابن عامر عما تعملون بالتاء الباقون بالياء ومن قرا بالياء حمله
على الغيبة ومن قرا بالتاء حمله على الخطاب للمواجهة وفي الاية حذف وتقديرها ولكل عامل بطاعة
الله او معصيته منازل من عمله حتى يجازيه ان خيرا فخيرا وان شرا فشرا وما تقدم من ذكر العاملين
يدل على هذا المحذوف وقيل وبعد بنيا عند حذف المضاف في مثل قوله لله الامر من قبل ومن
بعد لانهما في حال الاعراب لم يكونا على التمكن التام لانه لا يدخلهما الرفع في تلك الحال فلما انضاف
الى هذا نقصان التمكن بحذف المضاف اليه اخرج الى البناء وليس كذلك كل فانه متمكن على كل حال
وكذلك لم يبن والدرجات يحتمل امرين احدهما الجزاء والثاني الاعمال فاذا وجهتا الى الجزاء كان تقديره
ولكل درجات جزاء من اجل ما عملوا واذا حمل على الاعمال كان تقديره ولكل درجات اعمال من اعمالهم
وانما مثلت الاعمال بالدرجات ليبين انه وان عم احد قسميها صفة الحسن وعم الاخر صفة القبح
ليست في المراتب سواء وانه بحسب ذلك يقع الجزاء فالاعظم من العقاب للاعظم من المعاصي والاعظم
من الثواب للاعظم من الطاعات وقوله وما ربك بغافل عما يعملون انما ذكره ليعلموا انه لا يفوته شئ
منهما ولا من مراتبهما حتى يجازي عليه بما يستحق من الجزاء وفيه تنبيه وتذكير للخلق في كل امورهم والغفلة
ذهاب المعنى عمن يصح ان يدركه والغفلة عن المعنى والسهو عنه والعزوب عنه نظائر وضد الغفلة
اليقظة وضد السهو الذكر وضد العزوب الحضور **قوله** تعالى وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَأْ
يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ اية بلا خلاف **اقول** اخبر
الله تعالى في هذه الاية بانه الغني والغني هو الحي الذي ليس بمحتاج والغني عن الشئ هو الذي يكون
وجود الشئ وعدمه وصحته وفساده عنده بمنزلة في انه لا يلحقه صفة نقص وذو الرحمة يعني صاحب الرحمة
وهو تعالى بهذه الصفة لرحمته بعباده ثم اخبر عن قدرته وانه لو شاء ان يذهب الخلق بان يميتهم و
يهلكهم ويستخلف من بعدهم ما يشاء بان ينشئ بعدهم كما انشاهم في الاول من ذرية من تقدمهم وكذلك
ينشئ قوما اخرين من نسلهم وذريتهم لفعل والجواب محذوف والكاف في كما في موضع نصب وتقديره
ويستخلف من بعدكم ما يشاء مثل ما وفي ذلك دلالة على انه يصح القدرة على ما علم انه لا يكون لانه
بين انه لو شاء لذهب بهم واتى بقوم اخرين ولم يفعل ذلك فدل ذلك على انه يقدر على ما يعلم انه
لا يفعله ومن في قوله ويستخلف من بعدكم البدل كقولك اعطيتك من دينارك ثوبا اي مكان دينارك و

بدله ومعنى من في قوله كما انشاكم من ذرية قوم اخرين ابتداء الغاية لان التقدير ان ابتداء انشائكم
من قوم اخرين وقيل في وزن ذرية ثلاثة اقوال اولها فعلية من الذر الثاني فعيلة على وزن مريقة خليقة
من ذرا الله الخلق يذرأهم الثالث فعولة من ذرورة الا ان الهمزة ابدلت واوا ثم قلبت ياء فيكون بمنزلة
عليه من علوت وقرئ في الشواذ ذرية بكسر الذال وهما لغتان وانشا الله الخلق اذا خلقهم وابتدأه
وكل من ابتدا شيئا فقد انشاه ومنه قولهم انشأ فلان قصيدة والنشاء الاحداث من الاولاد واحدها
ناشئ مثل خادم وخدم ويقال للجواري نشا وللذكور نشاء قال نصيب **شعر**

ولولا ان يقال صبا نصيب ... لقلت بنفسي النشاء الصغار

ويقال لهذا السحاب نشو حسن وهو اول ظهوره في السماء **قوله** تعالى إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَآتٍ وَ
مَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ اية بلا خلاف **اقول** اخبر الله تعالى في هذه الاية ان الذي اوعد الخلق به من
عقابه على معاصيه والكفر به واقع لان ما في قوله انما بمعنى الذي وليست كافة مثل قولك انما قام
زيد لان خبرها جاء بعدها وهو قوله لآت وهي في موضع النصب والجنس في موضع الرفع والكافة
لا خبر لها واللام في قوله لآت لام القسم لا يدخل على الاسماء ولا الافعال المضارعة الا ان يكون
معها النون الثقيلة ولا تعلق الفعل في قد علمت ان زيدا ليقومن ومعنى يوعدون من الايعاد
بالعقاب يقال اوعدته اوعده ايعادا وقال الحسن انما توعدون من مجئ الساعة لانهم كانوا
يكذبون بالبعث فعلى هذا يجوز ان يكون المصدر الوعد لاختلاط الخير والشر فيكون على التغليب اذ
مجئ الساعة خير للمؤمنين وشر على الكافرين وقال الجبائي ان معناه ان ما توعدون من الثواب و
العقاب فان الله ياتي به وقوله وما انتم بمعجزين اي لستم معجزين الله عن الاتيان بالبعث والعقاب وانما
قيل ذلك لان من يتعبد الوثن يتوهم انه ينفعه في صرف المكروه عنه جملة منه ووضعا للامر في غير موضعه
وايضا فانهم يعملون عمل من كان يفوته العقاب لتاخره عنه وطول السلامة والامهال فيه **قوله**
تعالى قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ
الظَّالِمُونَ اية بلا خلاف **اقول** قرا ابو بكر مكاناتكم على الجمع الباقون على التوحيد وقرا حمزة والكسائي
يكون بالياء الباقون بالتاء المعجمة من فوق ومن قرا بالتاء فلان المصدر المؤنث يجوز تانيثه على اللفظ
وتذكيره على المعنى ومن قرا بالتاء فعلى اللفظ فمما جاء منها على اللفظ قوله واخذتهم الصيحة وقوله
قد جاءتكم موعظة من ربكم وعلى المعنى قوله واخذ الذين ظلموا الصيحة وقوله فمن جاءه موعظة ومن
وحد مكانتكم فلانه مصدر والمصادر في الاكثر لا يجمع ومن جمع فلانها قد يجمع كقولهم الحلوم والاحلام
قال ابو عبيدة مكانتكم اي على حيالكم وقال ابو زيد رجل مكين عند السلطان من قوم مكناء وقد مكن
مكانة كانه قال اعملوا على قدر منزلتكم وتمكنكم من الدنيا فانكم لن تضرونا بذلك شيئا امر الله تعالى
نبيه عليه السلام ان يخاطب المكلفين من قومه ويامرهم بان يعملوا على مكانتهم والمكانة الطريقة يقال هو
يعمل على مكانته ومكينته اي طريقته وجهته وقال ابن عباس والحسن على ناحيتكم وقال الجبائي على
حالتكم وقال الزجاج يجوز ان يكون المراد على تمكنكم وهذا وان كان صيغته صيغة الامر فالمراد به التهديد
كما قال اعملوا ما شئتم وانما جاء للتهديد بصيغة الامر لشدة التحذير اي لو امر بهذا لكان يجوز قبول امره
ووجه اخر ان التقدير اعملوا على مكانتكم ان رضيتم بالعقاب اي انكم في منزلة من يؤمر به ان رضيتم
بالعقاب فهذا على التبعيد ان يقيموا كالتبعيد ان يرضوا ووجه ثالث هو ان الضرر يخص المقيم على المنكر
لان غيره بمنزلة الامر في انه لا ياتمر بما يضره وقوله اني عامل اخبار من الرسول انه عامل بما امر الله تعالى به
قوله فسوف تعلمون فيه تهديد ومعناه فسوف تعلمون جزاء اعمالكم وقوله من تكون يحتمل موضع من امرين
من الاعراب احدهما الرفع وتقديره ايّنا يكون له عاقبة الدار والثاني النصب بقوله تعلمون ويكون
ويكون بمعنى الذي وانما قال ان عاقبة الدار للمؤمنين دون الكافرين وان كان الكفار ايضا لهم

عاقبة الكفار عليهم من حيث يصيرون الى النعيم الدائم كما يقول العرب لهم الكرة ولهم الحملة لانه اذا
فصل قيل لهم وعلى اعدائهم وقوله انه لا يفلح الظالمون اى لا يفوز الظالمون بشئ من الثواب المنافع
وانما لم يقل الكافرون وان كان الكلام فى ذكرهم لانه اعم واكثر فايدة ولانه اذا لم يفلح الظالم
فالكافر بذلك اولى على ان الكافر يسمى ظالما فيجوز ان يكون عنى انه لا يفلح الظالمون الذين هم
الكافرون كما قال والكافرون هم الظالمون وقال ان الشرك لظلم عظيم **قوله** تعالى وَجَعَلُوا
لِلّٰهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْاَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هٰذَا لِلّٰهِ بِزَعْمِهِمْ وَهٰذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ
فَلَا يَصِلُ اِلَى اللّٰهِ وَمَا كَانَ لِلّٰهِ فَهُوَ يَصِلُ اِلٰى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ اية بلا خلاف **اقول** قرأ
الكسائى بزعمهم بضم الزاء فى الموضعين الباقون بفتحها فى الزعم ثلث لغات الفتح والضم والكسر
مثل قبل وقبل وقبل وودّ وودّ وودّ ولم يقرأ بالكسر احد فالفتح لغة اهل الحجاز والضم لغة تميم
الكسر لغة بعض بنى قيس اخبر الله تعالى عن الكفار الذين تقدم وصفهم انهم يجعلون شيئا من
اموالهم لله وشيئا لشركائهم تقربا اليهما من جملة ما خلقه الله واخترعه لان الذرء هو الخلق على وجه
الاختراع واصله الظهور ومنه ملح ذرآنى وذرآنى لظهور بياضه والذرأة ظهور الشيب قال الراجز

وقد علتنى ذرأة بادى بدى ورثية تنهض فى تشدّدى **رجز**

يقال ذرء بالتشديد
نقائها الخلق يذرأهم ذرأ وذروا ويقال ذرئت لحيته ذرءا اذا شابت منه وطعنه فذرأه غير مهموز
اذا القاه ونحو وذرت الريح التراب تذروه ذروا اذا اباده وذروة كل شئ اعلاه والحرث الزرع
والحرث الارض التى تثار للزرع ومنه حرثها يحرثها حرثا ومنه قوله نساؤكم حرث لكم لان المرأة للولد
كالارض للزرع والانعام المواشى من الابل والبقر والغنم ماخوذ من نعمة الوطئ ولا يقال لذوات
الحافر انعام وانما جعلوا الاوثان شركائهم لانهم جعلوا لها نصيبا من اموالهم ينفقونه عليها فشاركوها
فى نعمهم وقوله فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم قيل فى معناه ثلثة
اقوال احدها قال ابن عباس وقتادة انه اذا اختلط بشئ مما جعلوه لاوثانهم ما جعلوه لله ردّوه الى
ما للاوثانهم واذا اختلط بشئ مما جعلوه لله لم يردوه الى ما لله الثانى قال الحسن والسدى كان اذا
هلك الذى لاوثانهم اخذوا بدله مما لله ولا يفعلون مثل ذلك فيما لله عز وجل الثالث قال ابو على
انهم كانوا يصرفون بعض ما جعلوه لله فى النفقة على اوثانهم ولا يفعلون مثل ذلك فيما جعلوه للاوثان
وقوله ساء ما يحكمون فيه قولان احدهما قال الزجاج تقديره ساء الحكم حكمهم فيكون على هذا موضع
ما رفعا وقال الرمانى يجوز ان يكون موضع ما نصبا وتقديره ساء حكما حكمهم **قوله** تعالى وَكَذٰلِكَ
زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ اَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللّٰهُ مَا
فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ اية بلا خلاف **اقول** قرأ ابن عامر وحده زُيِّن لكثير من المشركين قتل
اولادهم شركائهم بضم الزاى ونصب الاولاد وخفض شركائهم الباقون بفتح الزاء قَتْلَ مفتوح اللام اولادِهم
بجر الدال شركاؤهم بالرفع بالتزيين فوجه قراءة ابن عامر انه فرق بين المضاف والمضاف اليه بالمفعول
والتقدير قتل شركائهم اولادهم ويجعل شركاؤهم فاعل القتل وانما جر بالاضافة من اضاف القتل الى
الاولاد فى القراءة الاخرى يكون الاولاد فى موضع النصب وهو مفعول به بالقتل وانشد وامثله بيتا
على الشذوذ انشده بعض الحجازيين ذكره ابو الحسن **شعر** فزججتها بمزجة زج القلوص ابى مزاده
وذلك لا يجوز عند اكثر النحويين لان القراءة لا يجوز حملها على الشاذ القبيح ولانه اذا ضعف الفصل
بالظرف حتى لم يجز الا فى ضرورة الشعر كقول الشاعر **شعر** كما خط الكتاب بكف يوما يهودى
فان لا يجوز فى المفعول به اجدر ولم يكن بعده الضعف الا الامتناع وقيل انما حمل ابن عامر على هذه
القراءة انه وجد فى مصاحف اهل الشام بالياء وهذا يجوز فيه قتل اولادهم شركائهم على ايقاع الشرك
للاولاد يعنى شركائهم فى النعم وفى النسب فى الاولاد ولو قيل ايضا زين لكثير من المشركين قتل اولادهم

شركاؤهم

تقول
افعل ذالك بادى بدى وبادى بدى اى اولا واصله الهمز ترك لكثرة الاستعمال وربما جعلوا اسما للداهية كما قال الراجز وقد علتنى ذرأة بادى بدى الى قوله وصار للفحل لسانى ويدى وهما اسمان جعلا واحدا فهو مبنى وقالو مكرر ع

شركاؤهم على ذكر الفاعل بعد ما ذكر الفعل على طريقة ما لم يسم فاعله جاز كما قال الشاعر **شعر**

ليبك يزيد ضارع لخصومة ومختبط مما تطيح الطوائح

اى ليبكه ضارع ومثله يسبح له فيها بالغدو والاصال رجال وتقديره كانه لما قال زين لكثير من المشركين
قتل اولادهم قال اولادهم قال قائل من زينه قيل زينه شركاؤهم وقال الفراء يكون شركائهم على
لغة من قال فى عشاء عشاى كما قال الشاعر **شعر** اذا الثريا طلعت عشايا
فبع لراعى غنم كسايا وابو العباس يابى هذا البيت ويقول الرواية الصحيحة بالهمزة ووجه
التشبيه فى قوله وكذلك زين انه كما جعل اولئك فى الاية الاولى ما ليس لهم كذلك زين هؤلاء ما
ليس لهم ان يزينوه والشركاء الذين زينوا قتل الاولاد قيل فيهم خمسة اقوال احدها قال الحسن ومجاهد
والسدى هم الشياطين زينوا لهم وأد البنات احياء خوف الفقر والعار وقال الفراء والزجاج هم
قوم كانوا يخدمون الاوثان والثالث انهم الغواة من الناس والرابع قيل شركاؤهم فى نعمهم والخامس
شركاؤهم فى الاشراك وقوله ليردوهم فالارداء الاهلاك يقول ارداه يرديه ارداء وردى يردى
ردى اذا هلك وتردى تردّيا ومنه قوله وما يغنى عنه ماله اذا تردى والمراد به الحجر يتردى من راس
جبل واللام فى قوله ليردوهم قال قوم هى لام العاقبة كما قال فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا و
حزنا لانهم لم يكونوا معاندين فيقصدوا ان يردوهم ويلبسوا عليهم دينهم هذا قول ابى على وقال غيره
يجوز ان يكون فيهم المعاند ويكون ذلك على التغليب وقوله ولو شاء الله ما فعلوه معناه لو شاء ان
يضطرهم الى تركه او لو شاء ان يمنعهم منه لفعل ولو فعل المنع والحيلولة لما فعلوه لكن ذلك ينافى التكليف
ثم امر نبيه عليه السلم ان يذرهم اى يتركهم ولا يمنعهم ويخلى بينهم وبين ما يكذبون وذلك غاية التهديد كما
يقول القائل دعنى واياه **قوله** تعالى وَقَالُوا هٰذِهِ اَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَا يَطْعَمُهَا اِلَّا مَنْ نَشَاءُ بِزَعْمِهِمْ
وَاَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَاَنْعَامٌ لَا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللّٰهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ
اية بلا خلاف **اقول** اخبر الله تعالى عن هؤلاء الكفار انهم قالوا هذه انعام وحرث يعنى الانعام
والزرع الذى جعلوهما لالهتهم واوثانهم وقوله بزعمهم يدل على انهم فعلوا ذلك بغير حجة بل بقولهم
العارى عن برهان وقيل فى الانعام الاولة قولان احدهما قال الجبائى الذى ذكرها اولا فهو ما جعلوه
لاوثانهم كما جعلوا الحرث للنفقة عليها فى خدامها وما ينوب من امرها وقيل قربانا للاوثان واما الانعام
التى ذكرت ثانيا فهى السائبة والبحيرة والحام وهو الفحل الذى يخلونه ويقولون حمى ظهره وهو قول الحسن
ومجاهد واما التى ذكرت ثالثا قيل فيه وجهان قولان احدهما التى اذا ولدوها او ذبحوها او ركبوها
لم يذكروا اسم الله عليها وهو قول السدى وغيره والثانى قال ابو وائل هى التى لا يحجون عليها وقوله
حجر معناه حرام يقول حجرت على فلان كذا اى منعته عنه بالتحريم ومنه قوله حجرا محجورا والحجر العقل لامتناعه بالعقل عن القبيح
والحجر العقل للامتناع به من القبيح قال المتلمس **شعر** حنت الى النخلة القصوى فقلت لها

حجر حرام الا تلك الدهاريس وقال رؤبة **شعر** وجارة البيت لها حجرى وقال الاخر

فبت مرتفقا والعين ساهرة كان نومى على الليل محجور

وقيل حجر وحرج مثل جذب وجبذ وبه قرأ ابن عباس وبضم الحاء قراءة الحسن وقتادة ويقال حجر وحجر
وحجر يعنى المنع بالتحريم وحجر الانسان وحجره بالكسر والفتح وانما عنوا بتحريم ظهور الانعام والواجب تحريمها
عقد الحى يردسع باباحته لانهم حرموا ذلك على وجه الكذب على الله وانما اوجب ذلك اذا كانت على
صفة مخصوصة وانما عيبوا باكلها بعد ذبحها وهى حينئذ تجرى مجرى الميتة وذلك لا يعلم تحريمه عقلا
لانهم ادعوا انه على وجه التذكية افتراء على الله فقصدوا به هذا القصد ولذلك عيبوا بتملكها وان
كانوا استبقوا اليها وانما وجب تحريم الانتفاع باستعمال الانعام لان الايلام لا يحسن الا مع تضمن العوض
الموافى عليه وذلك مفتقر الى السمع وقوله افتراء يعنى كذبا وفى نصبه قولان احدهما قالوا الافتراء على الله

الثانى

الثانى لا يذكرون اسم الله افتراء على الله كانه قيل افتروا بتركهم التسمية الذى اضافوه الى الله افتراء
عليه قوله تعالى وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰ أَزْوَاجِنَا وَإِن يَكُن
مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ آية بلا خلاف **اقول** قرا ابن كثير وان يكن بالياء
ميتة رفع وقرا ابن عامر الا الداجونى عن هشام وابو جعفر بالتاء ميتة رفع وقرا ابو بكر عن عاصم
الا الكسائى تكن بالتاء ميتة نصب الباقون بالياء ميتة نصب وجه قراءة الاكثر ان يحمل على ما
تقدم وان يكن ما فى بطون الانعام ميتة ووجه قراءة ابن عامر ان يضيف الفعل الى الميتة فرفع
الميتة به فلذلك التانيث الفعل ووجه قراءة ابن عامر ابى بكر ان ما فى بطون الانعام مؤنث لانها من
الانعام ويجوز ان يكون اراد ان يكون الاجنة ميتة ووجه قراءة ابن كثير ان يضيف الفعل الى الميتة
لكن لما لم يكن تانيث الميتة تانيث ذوات الفروج وتقدم الفعل جاز ان يذكر كما قال فمن جاءه موعظة
واخذ الذين ظلموا الصيحة ويكون كان تامة ومعناه وان وقع ميتة اخبر الله تعالى فى هذه الاية
عن هؤلاء الكفار الذين ذكرهم انهم قالوا ما فى بطون هذه الانعام التى تقدم ذكرها احياء فهو خالص
لذكورهم ومحرم على ازواجهم الاناث وبناتهم وقال بعضهم انه يختص الزوجات والاولى عموم النساء
تفضيلا للذكور على الاناث وقيل ان الذكور كانوا القوام بخدمة الاوثان والمراد بما فى بطون الانعام
قيل فيه ثلثة اقوال احدها قال قتادة المراد به الالبان وقال مجاهد والسدى انه الاجنة الثالث انه
المراد به الجميع وهو اعم وقوله خالصة لذكورنا معناه لا يشركهم فيها احد من الاناث وليس المراد به تخليص
تصفيته شئ عن شئ كالذهب الخالص والفضة الخالصة ومن ذلك اخلاص التوحيد واخلاص العمل لله و
الهاء فى قوله خالصة قيل فيها ثلثة اقوال احدها انها للمبالغة فى الصفة كالعلامة والراوية الثانى
على تانيث المصدر كالعاقبة والعافية ومنه قوله بخالصة ذكرى الدار الثالث لتانيث ما فى بطونها
من الانعام ويقال فلان خالصة فلان وخلصانه وحكى الزجاج والفراء انه قرا خالصه لذكورنا والمعنى
ما خلص منها وقيل اصل الذكر بذلك لانه انبه وانكر من الانثى وقوله وان يكن ميتة معناه ان كان
جنين الانعام ميتة فالذكور والاناث فيه سواء فقال الله تعالى سيجزيهم وصفهم يعنى سيجزيهم جزاء
وصفهم وحذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه وقوله انه حكيم عليم معناه انه تعالى حكيم فيما يفعل
بهم من العقاب اجلا وفى امهالهم عاجلا عليم بما يفعلون لا يخفى عليه شئ منها وقوله خالصة رفع بانه
خبر الابتداء والمبتدا قوله ما فى بطون ولا يجوز عند البصريين النصب لان العامل فيه لا يتصرف فلا
يتقدم عليه واجازه الفراء مع قوله انهم لا يكادون يتكلمون به لا يقولون عبدالله قائما فيها ولكنه قياس
وقد عاب الله على الكفار فى هذه الاية من اربعة اوجه اولها ذبحهم الانعام بغير اذن الله وثانيها اكلهم
على ادعاء التذكية افتراء على الله وثالثها تحليلهم للذكور وتحريمهم على الاناث تفرقة بين ما لا يفترق
الا بحكم من الله ورابعها تسويتهم بينهم فى الميتة من غير رجوع الى سمع موثوق **قوله** تعالى قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ
قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ آية
بلا خلاف **اقول** قرا ابن كثير وابن عامر قتلوا بتشديد التاء الباقون بالتخفيف من شدد حمله على
التكثير كقوله جنات عدن مفتحة ومن خفف فلانه يدل على الكثرة اخبر الله تعالى ان هؤلاء الكفار الذين
قتلوا اولادهم الاناث خوفا من الفقر وهربا من العار قد خسروا ومعناه هلكت نفوسهم باستحقاقهم على
ذلك عذاب الابد والخسران هلاك راس المال وقوله سفها بغير علم نصب على انه مفعول له ويجوز ان
يكون نصبا على المصدر وتقديره سفهوا بما فعلوه سفها خوفا من الفقر وهربا من العار والسفه خفة
الحلم بالعجلة الى ما ينبغى ان يعجل اليه واصله الخفة وضد السفه الحلم والفرق بين السفه والنزق ان
السفه عجلة يدعوا اليها الهوى والنزق عجلة من جهة حدة الطبع والغيظ وقوله وحرموا ما رزقهم الله
يعنى ما حرموه على نفوسهم من الحرث بزعمهم انه حجر وقال الحسن انه راجع الى الانعام وقال الرمانى

لا يجوز ذلك لانها محرمة عليهم بحجة العقل حتى يأتى سمع والقتل نقض البنية التى يحتاج الحياة اليها او
الموت عند من اثبته معنى ضد الحياة وقوله افتراء على الله يعنى كذبا ونصبه على المصدر والعامل
فيه قوله وحرموا لان ذلك قول منهم اضافوه الى الله ثم اخبر تعالى انهم قد ضلوا بما فعلوه وجاروا
عن طريق الحق وانهم لم يكونوا مهتدين الى طريق الرشاد والحق **قوله** تعالى وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ
جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَ
غَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ آية بلا خلاف
اقول قرا اهل البصرة وابن عامر وعاصم حصاده بفتح الحاء الباقون بكسرها هما لغتان كسر
الحاء وفتحها وقال سيبويه جاؤا بالمصادر حين ارادوا انتهاء الزمان على مثال فعال نحو الصرام
والجزاز والجداد والقطاع والحصاد وربما دخلت اللغتان فى بعض هذا وكان فيه فعال وفعال
لما اخبر الله تعالى عن هؤلاء الكفار وعن عظيم ما ابتدعوه وافتروا به على الله وشرعوا من الدين
ما لم ياذن به الله فيه فقال وهو الذى انشا جنات معروشات والانشاء هو احداث الافعال ابتداء
لا على مثال سبق وهو كالابتداع والاختراع هو احداث الافعال فى الغير من غير سبب والخلق هو التقدير
والترتيب والجنات جمع جنة وهى البساتين التى يجنها الشجر من النخل وغيره والروضة هى الخضرة
بالنبات والزهر المشرقة باختلاف الالوان الحسنة وقوله معروشات قيل فى معناه قولان احدهما
ما قال ابن عباس والسدى هو ما عرش الناس من الكروم ونحوها وهو رفع بعض اغصانها على بعض
وغير معروشات ما يكون من قبل نفسه فى البرارى والجبال الثانى قال ابو على بعرشه اى برفع له حظارا
كالحايط واصله الرفع ومنه قوله تعالى خاوية على عروشها يعنى على اعاليها وما ارتفع منها لم ينهدم
فيستوى بالارض ومنه العرش للسرير لارتفاعه ومعروشات فى موضع النصب لانها صفة لجنات والنخل
والزرع معناه وانشاء النخل والزرع مختلفا اكله يعنى طعمه ونصب مختلفا على الحال وانما نصبه على
الحال وهو يؤكل بعد ذلك بزمان لامرين احدهما ان معناه مقدر والاختلاف اكله كقولهم مررت برجل
معه صقر صايدا به غدا اى مقدرا الصيد به غدا الثانى ان يكون معنى اكله ثمره الذى يصلح ان يؤكل
منه والزيتون والرمان اى وانشاء الزيتون والرمان وانما قرن الزيتون الى الرمان لانهما لما ذكر
الكرم والنخل والزرع اقتضى ذكر ما خرج عن ذلك فقرنا لفضلهما بعد ما ذكر وقيل لانهما يشتبهان
باكتناف الاوراق فى اغصانهما متشابها وغير متشابه معناه متماثلا وغير متماثل وقيل متشابها فى النظر
وغير متشابه فى الطعم بل الطعم مختلف وقوله كلوا من ثمره اذا اثمر المراد به الاباحة لا الامر وقال الجبائى
وجماعة ان ذلك يدل على جواز الاكل من ثمره وان كان فيه حق للفقراء وقوله واتوا حقه يوم حصاده
امر ايجاب بايتاء الحق يوم الحصاد على طريق الجملة والحق الذى يجب اخراجه يوم الحصاد فيه قولان
احدهما قال ابن عباس ومحمد بن الحنفية وزيد بن اسلم والحسن وسعيد بن المسيب وطاوس وجابر بن عبد
الله بن زيد وقتادة والضحاك انه الزكوة العشر او نصف العشر الثانى روى عن جعفر عن ابيه وعطا ومجاهد وابن
عامر وسعيد بن جبير والربيع بن انس انه ما ينتثر مما يعطى المساكين وروى اصحابنا انه الضغث بعد الضغث
والحفنة بعد الحفنة وقال ابرهيم والسدى الاية منسوخة بفرض العشر ونصف العشر لو لا ان الزكوة
لا يخرج يوم الحصاد وقالوا لان هذه الاية مكية وفرض الزكوة نزل بالمدينة ولما روى بان الزكوة
نسخ كل صدقة قال الرمانى وهذا غلط لان يوم حصاده ظرف لحقه وليس بظرف للايتاء المامور به
قوله ولا تسرفوا قيل فى المخاطبين به ثلثة اقوال احدها قال ابو العالية وابن جريج انه متوجه الى ارباب
الاموال لانهم كانوا يعطون شيئا سوى الزكوة يسرفون فيه فروى عن ثابت بن شماس انه كان له خمس
مائة راس نخل فصرمها وتصدق بها ولم يترك لاهله منها شيئا فنهاه الله عن ذلك وبين انه مسرف
ولذلك قال النبى صلى الله عليه واله ابدأ بمن تعول الثانى قال ابن زيد انه خطاب للسلطان الثالث

تعب ذلك البيان بان الخالق لجميع الاشياء فلا يجوز اضافة شئ منها الى الاوثان ولا تحليلها ولا تحريمها الا باذنه

انه خطاب للجميع وهو اعم فائدة وقيل ان السرف يكون فى التقصير كما يكون فى الزيادة قال الشاعر

اعطوا هنيدة تحدوها ثمانية … ما فى عطائهم منّ ولا سرف

معناه ولا تقصير وقيل ولا افراط لانه لا يستكثر كثيرهم والاسراف هو مجاوزة حد الحق وهو افراط وغلو وضده تقصير واقتار ومسرف صفة ذم فى العادة وينبغى ان يؤدى الحق الذى فى الغلات الى امام المسلمين ليصرفه الى اهل الصدقات ولهم ان يخرجوه الى المساكين اذا لم ياخذهم الامام بذلك فاما مقدار ما يجب من الزكوة والنصاب الذى يتعلق به وصفة الارض الزكوية فقد بيناه فى كتب الفقه مستوفى لا نطول بذكره الكتاب **قوله** تعالى وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشًا كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ اية بلا خلاف **اقول** العامل فى قوله حمولة وفرشا قوله انشاء المتقدم كانه قال وانشاء لكم من الانعام حمولة وفرشا وقيل فى معناه حمولة وفرشا ثلثة اقوال احدها ما روى عن ابن مسعود وابن عباس فى احدى الروايتين والحسن فى رواية ومجاهد ان الحمولة كبار الابل والفرش الصغار الثانى ما روى عن الحسن فى رواية وقتادة والربيع والسدى والضحاك وابن زيد ان الحمولة ما حمل من الابل والبقر والفرش الغنم الثالث ما روى عن ابن عباس فى رواية ان الحمولة كلما حمل من الابل والبقر والخيل والبغال والحمير والفرش الغنم كانه ذهب الى انه يدخل فى الانعام الحافر على الاتباع والحمولة لا واحد لها من لفظها كالركوبة والجزورة والحمولة بضم الحاء هى الاحمال وهى المحمول وانما قيل للصغار فرش لامرين احدهما لاستواء اسنانها فى الصغر والانحطاط كاستواء ما يفرش الثانى من الفرش وهى الارض المستوية التى يتوطأها الناس وقال الجبائى فى التفسير وابو بكر الرازى فى احكام القرآن ان الفرش ما يفترش من البسط والزرابى وهذا غلط قبيح جدا فى اللغة وقوله خطوات يجوز فيه ثلثة اوجه بضم الخاء والطاء وضم الخاء وسكون الطاء وضم الخاء وفتح الطاء وفى معناه قولان احدهما ما يتخطى بكم الشيطان اليه من تحليل الى تحريم او تحريم الى تحليل الثانى طرق الشيطان فانه لا يسعى الا فى عصيان وقوله انه الهاء كناية عن الشيطان لكم عدو مبين فيه اخبار من الله ان الشيطان عدو للبشر مبين اى ظاهر وقيل فى معنى مبين قولان احدهما انه ابان عداوته لكم بما كان منه الى ابيكم ادم حين اخرجه من الجنة الثانى بيّن العداوة اى لاظهاره ذلك فى حزبه واوليائه من الشياطين هذا قول الحسن **قوله** تعالى ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ اية بلا خلاف **اقول** قرا ابن كثير الا ابن فليح وابن عامر الا الداجونى عن هشام واهل البصرة المعز بفتح العين الباقون بسكونها قال ابو على من قرا بالفتح اراد الجمع بدلالة قوله من الضان اثنين ولو كان واحدا لم يسغ فيه هذا ونصب اثنين على تقدير وانشا ثمانية ازواج انشا من الضان اثنين ومن المعز اثنين ونظير معز جمع ماعز خادم وخدم وطالب وطلب وحارس وحرس وقال ابو الحسن هو جمع على غير واحد وكذلك المعزى وحكى ابو زيد الامعوز وانشد

شعر … كالتيس فى امعوزه المربل … وقالوا المعيز كالكليب ومن سكن

العين فهو ايضا جمع ماعز كصاحب وصحب وتاجر وتجر وراكب وركب وابو الحسن يرى هذا الجمع مستمرا ويرده فى التصغير الى الواحد فيقول فى تحقير ركب رويكبون وفى تجر تويجرون وسيبويه يراه اسما من اسماء الجمع وانشد ابو عثمان حجة لقول سيبويه

… اخشى ركيبا اورجيلا عاديا

بالعين والغين عن غير ابى على فتحقيره له على لفظه من غير ان يرده الى الواحد الذى هو فاعل ويلحق الواو والنون او الياء والنون يدل على انه اسم للجمع وانشد ابو زيد وابن ركيب واضعون رحالهم الى اهل وقال ابو عثمن البقرة عند العرب نعجة والظبية عندهم ماعزة الدليل على ذلك قول ذى الرمة اذا ما علاها راكب الضيف لم يزل يرى نعجة فى مرتع وسربها مولعة خنساء ليست بنعجة تدمن اجواف

المياه وقيرها قوله لم يزل يرى نعجة يريد بقرة الا ترى انه قال مولعة خنساء والخنس والتوليع انما يكونان فى البقر دون الظباء وقوله ليست بنعجة معناه انها ليست بنعجة اهلية لانه لا يخلو من ان يريد انها ليست بنعجة اهلية او ليست بنعجة ولا يجوز ان يريد انها ليست بنعجة لانك ان حملته على هذا فقد نفيت ما اوجبه من قوله لم يزل يرى نعجة واذا لم يجز ذلك علمت انه اراد ليست بنعجة اهلية والدليل على ان الظبية ماعزة قول ابى ذويب

شعر … وعارية تلقى الثياب كانها … تيوس ظباء محصها وانشادها

فقوله تيوس ظباء كقوله … تيوس معز ولو كانت عندهم ضانية لقال كانها كباش ظباء والوبر الشاة يكون فيها كلب وحمار فى قول الاصمعى قوله ثمانية ازواج منصوب لانه بدل من حمولة وفرشا لدخوله فى الانشاء وتقديره وانشا حمولة وفرشا ثمانية ازواج من الضان اثنين نصب اثنين بتقدير انشا من الضان اثنين ولو رفع على تقدير منها ما غيره اثنان كما تقول رايت القوم منهم قائم وقاعد كان جائزا وانما اجمل ما فصله فى الاثنين للتقرير على شئ منه لا اشد فى التوبيخ من ان يكون دفعة واحدة وقوله ثمانية ازواج يريد ثمانية افراد لان كل واحد من ذلك يسمى زوجا والانثى زوج وانما سمى بذلك لانه لا يكون زوج الا ومعه اخر له مثل اسمه فلما دل على الانثى من اقرب الوجوه وقع على طريقة هو قول لبيد

من كل محفوف يظل عصيه … زوج عليه كلة وقرامها

ومثل ذلك قولهم خصم للواحد والاثنين وقوله من الضان اثنين يعنى ذكر وانثى فالضان الغنم ذوات الاصواف والاليات والمعز الغنم ذوات الاشعار والاذناب القصار واحد الضان ضائن كقولهم تاجر وتجر فى قول الزجاج والانثى ضائنة وقال غيره هو جمع لا واحد له ويجمع ضئين كقولهم عبد وعبيد ويقال فيه ضئين كما يقولون فى شعر شعير وكذلك ماعز ومعز الا انه يجوز فتحه لدخول حرف الحلق فيه ويجمع مواعز وروى عن ابى عبد الله ان المراد بقوله من الضان اثنين اهلى ووحشى وكذلك المعز والبقر ومن الابل اثنين العراب والبخاتى وانما خص هذه الثمانية ازواج لانها جميع الانعام التى كانوا يحرمون منها ما يحرمونه مما تقدم ذكره فان قيل اذا كان ما حرموه معلوما فلم عدل بهم فى السؤال الى غيره قيل على وجه المعارضة لهم على طريقة الحجاج اى انكم بمنزلة من قال هذا ولذلك وقع السؤال على اكذا ام كذا وان لم يتقدم دعوى ان احدهما كذا لانهم فى حكم هذا المدعى وقوله آلذكرين حرم ام منصوب بحرم والمعنى فى قوله الذكرين حرم ام الانثيين اجاءكم التحريم فيما حرمتم من السائبة والبحيرة والوصيلة والحام من الذكرين ام من الانثيين فالالف الف استفهام والمراد به التوبيخ فلو قالوا من قبل الذكر حرم عليهم كل ذكر ولو قالوا من قبل الانثى حرم عليهم كل انثى ثم قال اما اشتملت عليه ارحام الانثيين فلو قالوا ذلك حرم عليهم الذكر والانثى لان الرحم يشتمل عليهما قال الحسن معناه ما حملت الرحم وقوله نبؤنى بعلم ان كنتم صادقين فى ذلك وقوله آلذكرين دخلت الف الاستفهام على الف الوصل لئلا يلتبس بالخبر ولو اسقطت جاز لان ام يدل على الاستفهام وعلى هذا اجاز سيبويه قول الشاعر ان يكون استفهاما

فوالله ما ادرى وان كنت داريا … شعيب بن سهم ام شعيب بن منقر

اجاز تقديره اشعيب وما فى قوله اما اشتملت فى موضع نصب عطفا على الانثيين وانما قال الانثيين مثنى لانه اراد من الضان والمعز **قوله** تعالى وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهَذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ اية بلا خلاف **اقول** قوله ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين تفصيل لتمام الثمانية ازواج التى اجملها فى الاية الاولى وقد بينا معنى قوله الذكرين حرم ام الانثيين اما اشتملت عليه ارحام الانثيين واصل الاشتمال الشمول يقول شملهم الامر يشملهم شمولا فهو شامل ومنه الشمال لشمولها على ظاهر الشئ وباطنه بقوتها ولطفها

النخص اللحم المكتنز كلحم الغدة … سمن … بالفتح … الاحضار

والشمول الخمر لاشتمالها على العقل وقيل لان لها عصفة كعصفة الشمال وقوله ام كنتم شهداء اذ
وصيكم الله بهذا قام معادلا لقوله آلذكرين وانما قال ام كنتم شهداء اذ وصيكم الله بهذا لان طرق
العلم اما الدليل الذى يشترك العقلاء فى ادراك الحق بها او المشاهدة التى يختص بها بعضهم دون
بعض فاذا لم يكن واحد من الامرين سقط المذهب والمعنى اعلمتم ذلك بالسمع والكتب المنزلة فانتم
لا تقرون بذلك ام شافهكم الله به فعلمتموه فاذا لم يكن واحد منهما علم بطلان ما تذهبون اليه والوصية
عقد منه مؤكدة فيما يفعل او يترك يقال وصاه يوصيه توصية واوصاه يوصيه ايصاء والوصى
الموصى اليه وقوله فمن اظلم ممن افترى على الله يعنى من اظلم لنفسه ممن يكذب عليه فيضيف اليه تحريم
ما لم يحرمه وتحليل ما لم يحلله ليضل الناس بغير علم اى عمل عمل القاصد الى اضلالهم من اجل دعائه
الى ما لا يثق بصحته مما لا يؤمن ان يكون فيه هلاكهم وان لم يقصد اضلالهم فلذلك قال ليضل الناس
بغير علم ثم اخبر ان الله لا يهدى الى الثواب القوم الظالمين لانهم مستحقون للعقاب الدائم بكفرهم و
ضلالهم **قوله** تعالى قُلْ لَا أَجِدُ فِيمَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا
أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ اية
بلا خلاف **اقول** قرا ابن كثير وحمزة تكون بالتاء ميتة بالنصب وقرا ابن عامر بالتاء والرفع
الباقون بالياء والنصب من قرا بالتاء ونصب الميتة جعل فى يكون ضميرا ونصب الميتة بانه خبر كان
وتقديره الا ان يكون ذلك او الموجود ميتة ومن قرا بالتاء ورفع الميتة رفعها بيكون ويكون من
كان من التامة دون الناقصة التى يدخل على المبتداء والخبر وهذه القراءة ضعيفة لان ما بعده
او دما مسفوحا او لحم خنزير بالعطف عليه فلو كان مرفوعا لضعف ذلك ومن قرا بالتاء ونصب
الميتة جعل فى يكون ضمير العين او النفس وتقديره الا ان يكون النفس ميتة ونصب الميتة بانه
خبر كان امر الله تعالى نبيه عليه السلام ان يقول لهؤلاء الكفار انه لا يجد فيما اوحى اليه شيئا محرما الا
هذه الاشياء الثلاثة وقيل انه خص الثلاثة اشياء بذكر التحريم مع ان غيرها محرم نحو ما ذكره فى
المائدة كالمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة لان جميع ذلك يقع عليه اسم الميتة وفى حكمها فبين
هناك على التفصيل وههنا على الجملة واجود من ذلك ان يقال ان الله تعالى خص هذه الثلاثة
اشياء تعظيما لتحريمها وبين ما عداها فى موضع اخر وقيل انه خص هذه الاشياء تغليظا لتحريمها وبين
ماعداها بنص القران وما عداه بوحى غير القران وقيل ان ما عداه حرم فيما بعد بالمدينة والسورة
مكية والميتة عبارة عما كان فيه حياة فقدت من غير تذكية شرعية والدم المسفوح هو المصبوب يقال
سفحت الدمع وغيره اسفحه سفحا اذا صببته ومنه السفاح الزنا لصب الماء صبا ثما والسفح والصب
والاراقة بمعنى وانما خص المسفوح بالذكر لان ما يختلط بالدم منه مما لا يمكن تخليصه منه معفو مباح و
هو قول ابى مجلز وعكرمة وقتادة وقوله او لحم خنزير فانه وان خص لحم الخنزير بالذكر فان جميع ما يكون منه
من الجلد والشعر والشحم وغير ذلك محرم وقوله فانه رجس يعنى ما تقدم ذكره فلذلك كنا عنه بكناية
المذكر والرجس العذاب ايضا وقوله او فسقا عطفا على قوله او لحم خنزير فلذلك نصبه والمراد بالفسق
ما اهل لغير الله به يعنى ما لم يذكر اسم الله عليه وذكر عليه اسم الاصنام والاوثان وسمى ما ذكر عليه اسم الوثن
فسقا لخروجه عن امر الله واصل الاهلال رفع الصوت بالشئ ومنه اهل الصبى اذا صاح عند الولادة
وقوله فمن اضطر غير باغ ولا عاد قيل فيه قولان احدهما غير طالب باكله التلذذ والثانى غير واجد للتحليل
ما حرم الله وروى اصحابنا فى قوله غير باغ ان معناه الا ان يكون خارجا على امام عادل اى لا يتعدى
يتجاوز ذلك الى ما حرمه الله وروى اصحابنا ان المراد به قطاع الطريق فانهم غير مرخصين بذلك على
حال والضرورة التى تبيح اكل الميتة هى خوف التلف على النفس من الجوع وانما قال يبيح اكل الميتة خوف
التلف على النفس من الجوع وانما قال عند التحليل للمضطر ان ربك غفور رحيم لان هذه الرخصة لانه

غفور رحيم اى حكم بالرخصة كما حكم بالمغفرة وفى ذلك بيان عن عظم موقع النعمة وقد استدل قوم
بهذه الاية على اباحة ما عدا هذه الاشياء المذكورة وهذا ليس بصحيح لان ههنا محرمات كثيرة
غيرها كالسباع وكل ذى ناب وكل ذى مخلب وغير ذلك وكذلك اشياء كثيرة اختص اصحابنا
بتحريمه كالجرى والمارماهى وغير ذلك فلا يمكن التعلق بذلك ويمكن ان يستدل بهذه الاية على
تحريم الانتفاع بجلد الميتة فانه داخل تحت قوله ان يكون ميتة ويقويه قوله عليه السلام لا تنتفعوا من الميتة
باهاب ولا عصب فاما دلالته على ان الشعر والصوف والريش منها والناب والعظم محرم فلا يدل
عليه لان ما لم تحله الحياة لا تسمى ميتة على ما مضى القول فيه **قوله** تعالى وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا
حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا
اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ اية اجماعا **اقول** اخبر الله تعالى انه حرم على
اليهود فى ايام موسى كل ذى ظفر واختلفوا فى معنى كل ذى ظفر فقال ابن عباس وسعيد بن جبير
ومجاهد وقتاده والسدى انه كل ما ليس بمنفرج الاصابع كالابل والنعام والاوز والبط وقال ابو
على الجبائى يدخل فى ذلك جميع انواع السباع والكلاب والسنانير وساير ما يصطاد بظفره من
الطير وقال البلخى هو كل ذى مخلب من الطاير وكل ذى حافر من الدواب ويسمى الحافر ظفرا مجازا كما
قال الشاعر فما رقد الولدان حتى رايته على البكر يمريه بساق وحافر
فجعل الحافر موضع القدم واخبر تعالى انه كان حرم عليهم شحوم البقر والغنم من الثرب وشحم الكلى وغير
ذلك مما فى اجوافها واستثنى من ذلك بقوله الا ما حملت ظهورهما ما حملته ظهورها فانه لم يحرمه واستثنى
ايضا ما على الحوايا من الشحم فانه لم يحرمه واختلفوا فى معنى الحوايا فقال ابن عباس والحسن وسعيد بن
جبير وقتاده ومجاهد والسدى هى المباعر وقال ابن زيد هن بنات اللبن وقال الجبائى الحوايا
الامعاء التى عليها الشحم من داخلها وحوايا جمع حوية وحاوية وقيل فى واحده حاويا فى قول الزجاج
على وزن راضعات ورواضع وضاربة وضوارب ومن قال حوية قال وزنه فعائل مثل سفينة وسفائن
فى الصحيح وهى ما تحوى فى البطن فاجتمع واستدار ويسمى بنات اللبن والمباعر والمرابض وما
فيها الامعاء لذلك واستثنى ايضا من جملة ما حرم ما اختلط بعظم وهو شحم الجنب والالية لانه
على العصعص فى قول ابن جريج والسدى وقال الجبائى الالية تدخل فى ذلك لانها لم تستثن
ما اعتد بعظم العصعص وموضع الحوايا من الاعراب يحتمل امرين احدهما قول اكثر اهل العلم انه
رفع عطفا على الظهور على تقدير وما حملت الحوايا الثانى نصب عطفا على ما فى قوله الا ما حملت
فاما قوله او ما اختلط بعظم نسقا على ما حرم لا على الاستثناء والتقدير على هذا القول حرمنا عليهم
شحومهما او الحوايا او ما اختلط بعظم الا ما حملت الظهور فانه غير محرم واو دخلت على طريق الاباحة
كقوله ولا تطع منهم اثما او كفورا والمعنى اعص هذا واعص هذا فان جميعهم اهل ان يعصى ومثله جالس
الحسن او ابن سيرين اى جالس ايهما شئت وهذه الاشياء وان كان الله تعالى حرمها على اليهود فى
شرع موسى عم فقد نسخ تحريمها على لسان محمد صلى الله عليه واله واباحها وتدعى النصارى ان ذلك نسخ
فى شرع موسى عيسى عليه السلام ولسنا نعلم صحة ما يقولونه وقوله ذلك جزيناهم ببغيهم معناه انا حرمنا ذلك
عليهم عقوبة لهم على بغيهم فان قيل كيف يكون التكليف عقابا وهو تابع للمصلحة ومع ذلك فهو تعريض
للثواب قلنا انما سماه عقوبة لان عظيم ما اتوه من الاجرام والمعاصى اقتضى تحريم ذلك وتغير المصلحة و
حصول اللطف فيه فلذلك سماه عقوبة ولولا عظم جرمهم لما اقتضت المصلحة ذلك وقوله وانا لصادقون
يعنى فيما اخبرنا به من تحريم ذلك على اليهود فيما مضى وان ذلك عقوبة لاوائلهم ومصلحة لمن بعدهم الى
وقت النسخ وحكى من ابن علية انه كان يقول ان ما يذبحه اليهود لا يجوز اكل شحمه وان جاز اكل لحمه لان الشحوم
كانت حراما عليهم وعندنا ان ما يذبحه اليهود لا يجوز استباحة شئ منه وهو بمنزلة الميتة غير ان الذى

الرُّبض بالضم ... امعاء البطن واحد الارباض وهى حبال الرحل ع

ذكره غير صحيح لانه يلزم عليه انه لو نحر اليهودى جملا ان لا يجوز اكله لانه كان حراما عليهم وذلك
باطل عنده **قوله** تعالى فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ
اية بلا خلاف **اقول** المعنى بقوله فان كذبوك قيل فيه قولان احدهما قال مجاهد والسدى
انهم اليهود لانهم زعموا انهم حرموا الثروب لان اسرائيل حرمها على نفسه فحرموها اتباعا له
دون ان يكون الله حرم ذلك على لسان موسى الثانى انه يرجع الى جميع المشركين فى قول الجبائى
وغيره على ظاهر الاية فقال الله لنبيه فان كذبوك يا محمد فى انى حرمت ذلك على اليهود على لسان
موسى فقل لهم ربكم ذو رحمة واسعة واقتضى ذكر الرحمة احد امرين انه برحمته امهلهم مع تكذيبهم
بالمؤاخذة عاجلا فى قول ابى على الجبائى الثانى انه ذكر ذلك ترغيبا لهم فى ترك التكذيب وتزهيدا
فى فعله وانما قابل بين لفظ الماضى فى قوله كذبوك بالمستقبل فى قوله فقل لتاكيد وقوع القول
بعد التكذيب اذ كونه جوابا يدل على ذلك وذو معنى صاحب والفرق بينهما ان احدهما يصح ان يضاف
الى المضمر ولا يصح فى الاخر لان ذو وصلة الى الصفة بالجنس ولذلك جعل ناقصا لا يقوم بنفسه دون
المضاف اليه والمضمر ليس بجنس ولا يصح ان يوصف به وقوله لا يرد باسه معناه لا يمكن احدا ان
يرده عنهم وهو ابلغ من قوله باسه نازل بالمجرمين لانه دل على هذا المعنى على ان احدا لا يمكنه
رده وقوله عن القوم المجرمين معناه ان احدا لا يتمكن من رد عقاب الله عن العصاة المستحقين
للعقاب مع انه تعالى ذو رحمة واسعة **قوله** تعالى سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا
وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِندَكُم
مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ اية بلا خلاف **اقول** اخبر الله
تعالى نبيه عليه السلام بان هؤلاء المشركين سيحتجون فى اقامتهم على شركهم وعلى تحريمهم ما احله الله من
الانعام التى تقدم وصفها بان يقولوا لو شاء الله ان لا نفعل نحن ذلك ولا نعتقده ولا اباؤنا او اراد
منا خلاف ذلك ما اشركنا نحن ولا اباؤنا ولا حرمنا شيئا من ذلك فكذبهم الله تعالى بذلك فى
قوله كذلك كذب الذين من قبلهم ومعناه مثل هذا التكذيب الذى كان من هؤلاء فى انه منكر كذب
الذين من قبلهم وانما قال كذلك لينقضى الخبر ولو قال كذا هذا لجاز لانه قريب بعد الاول وكذلك احسن
لان ما فيه من تاكيد الاشارة يغنى عن الصفة وحكى انه قرئ كذب الذين بالتخفيف فمن خفف اراد
ان هؤلاء كاذبون كما كذب الذين من قبلهم على الله بمثله ومن قرا بالتشديد قال انهم بهذا القول
كذبوا رسول الله لانه لما قال لهم ان الله اراد منا ذلك وشاءه ولو اراد غيره لما فعلناه مكذبين
للرسول عليه السلام كما كذب من تقدم انبياءهم فيما اتوا به من قبل الله ثم بين بقوله قل هل عندكم من علم
فتخرجوه لنا ان ما قالوه باطل وكذب على الله لانه لو كان صحيحا لما رده عليهم ثم اكد تكذيبهم بقوله
ان يتبعون الا الظن اى ليس يتبعون الا ظنا من غير علم وان انتم الا تخرصون يعنى تكذبون والخرص
الكذب لقوله قتل الخراصون وفى هذه الاية دلالة على ان الله تعالى لا يشاء المعاصى
والكفر وتكذيب ظاهر لمن اضاف ذلك الى الله مع قيام ادلة العقل على انه تعالى لا يريد القبيح لان
ارادة القبيح قبيحة وهو لا يفعل القبيح ولان هذه صفة نقص تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وقوله
حتى ذاقوا باسنا معناه حتى ذاقوا عذابنا واراد به حلول العذاب بهم فجعل وجدانهم لذلك
ذوقا مجازا وجاز قوله ما اشركنا ولا اباؤنا ولم يجز ان يقال قمنا وزيد لان العطف على المضمر المتصل
لا يحسن الا بفصل فلما فصلت لا حسن كما حسن ما قمنا ولا زيد كان كذلك لان الضمير المتصل
يغيره الفعل فى فعلت فيصير كجزء منه فان قيل انما انكر الله تعالى عليهم هذا القول لانهم جعلوا
هذا القول حجة فى اقامتهم على شركهم فاعلم الله عز وجل ان كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا
باسنا ولم ينكر عليهم انهم قالوا الشرك بمشية الله ولو كان منكرا لذلك لقال كذلك كذب الذين

بتخفيف الذال قلنا لا يجوز ذلك لانه تعالى بين انهم كذبوا فى هذا القول بقوله وان انتم الا
تخرصون اى تكذبون فاما كذبوا فقد حكينا انه قرئ بالتخفيف ومن شدد الذال فلان تكذيب
الصادق كذب وهو يدل على الامرين فان قالوا انما عابهم لانهم كانوا مستهزئين بهذا القول لا
معتقدين ولا متدينين قلنا المعروف من مذهبهم خلافه لانهم كانوا يعتقدون ان جميع ما يفعلونه
قربة الى الله وان الله تعالى اراده واخبر عنه فكيف يكونون مستهزئين على ان الهازى بالشئ لا يسمى
كاذبا فكيف سماهم الله كاذبين على انه اذا كان كل ما يجرى بمشيته فلا يجب ان ينكر على احد ما يعتقده
لانه اعتقد ما شاء الله ومن فعل ما شاء كان مطيعا له لان الطاعة هى امتثال الامر والمراد منه
وهذا باطل بالاجماع فان قيل انما عاب الله المشركين بهذه الاية لانهم قالوا ذلك حدسا وظنا لا
عن علم وذلك لا يدل على انهم غير صادقين وقد يجوز ان يكون الانسان صادقا فيما يخبر به ويكون
قوله صادرا عن حدس وعن ظن قلنا لو كان الامر على ما قلتم لما كانوا كاذبين اذا كان مخبرهم اخبروا
به على ما اخبروا وقد كذبهم الله فى اخبارهم بقوله كذلك كذب الذين من قبلهم وبقوله ان انتم الا
تخرصون على ان من ظن شيئا فاخبر عنه لا يوصف بانه كاذب وان كان على خلاف ما ظنه فكيف
اذا كان على ما ظنه **قوله** تعالى قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ اية بلا خلاف
اقول امر الله تعالى نبيه عليه السلام ان يقول لهؤلاء الكفار الذين احتجوا بما قالوا ان الله لو شاء منهم
ذلك لما كان لله الحجة البالغة يعنى حجته التى احتج بها على الكافرين فى الاية الاولى وجميع ما احتج
به على عباده فى صحة دينه الذى كلفهم اياه ومعنى البالغة التى تبلغ قطع عذر المحجوج وتزيل كل لبس
وشبهة عمن نظر فيها واستدل ايضا بها وانما كانت حجة الله صحيحة بالغة لانه لا يحتج الا بالحق وما
يؤدى الى العلم وقوله فلو شاء لهديكم اجمعين يحتمل امرين احدهما لو شاء لالجأ الجميع الى الايمان
غير ان ذلك ينافى التكليف الثانى انه لو شاء لهديهم الى نيل الثواب ودخول الجنة وبين بذلك
قدرته على منافعهم ومضارهم وبين انه انما يفعل ذلك لانه يوجب زوال التكليف عنهم والله تعالى
اراد بالتكليف تعريضهم للثواب الذى لا يحسن الابتداء به ولو كان الامر على ما قالته المجبرة من
ان الله تعالى شاء منهم الكفر لكانت الحجة للكفار على الله من حيث فعلوا ما شاء الله وكان يجب ان
يكونوا بذلك مطيعين له ولا يكونوا الحجة عليهم من حيث انه خلق فيهم الكفر واراد منهم الكفر فاى حجة
مع ذلك **قوله** تعالى قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَا فَإِن شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ
مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ اية
بلا خلاف **اقول** معنى هذه الاية الحجاج بان الطريق الموصل الى صحة مذهبهم منسد اذ لم
يثبت من جهة حجة عقل ولا سمع وما لم يصح ان يثبت من احد هذين الوجهين باطل لا محالة لان ما
لا يصح ان يعلم فاسد لا محالة امر الله تعالى نبيه عليه السلام ان يقول لهؤلاء الكفار الذين تقدم
وصفهم هلموا ومعناها توا وهلم كلمة موضوعة للجماعة بنى مع ها ما فصار بمنزلة الصوت نحو صه قال
الاعشى

وكان دعا قومه دعوة ... هلم الى امركم قد صرم

ومن قال هلموا فانه لم يبنه معها بل قدره على الانفصال والاول افصح لانها لغة القرآن
هى لغة اهل الحجاز واهل الحجاز واهل نجد يقولون هلم وهلما وهلموا وهلمى وهلميا وهلممن
قال سيبويه اصله ها ضم اليه لم فبنى فقيل هلم وهات فصل لم يتصل بما يبنى معه فلذلك لا بد ان
يقال للجماعة هاتوا وهلم لفظ يتعدى تارة واخرى لا يتعدى فاذا كانت بمعنى هاتوا فانها تتعدى مثل
قوله هلم شهداءكم واذا كانت بمعنى تعالوا نحو هلم الينا فانها لا يتعدى ونظيره عليك زيدا يتعدى الى
واحد وعلى زيدا يتعدى الى اثنين بمعنى اولنى زيدا ومثله من الفعل رجع ورجعته ولا يجوز فى هلم الضم
والكسر كما يجوز فى ردّ ردِّ وردُّ قال الزجاج لانها لا تتصرف على طريقة فعل يفعل معما اتصلت بها من

هاء ومعنى الآية هاتوا شهداءكم الذين يشهدون بصحة ما تدّعون من ان الله حرم هذا الذي
ذكرتموه وقوله فان شهدوا فلا تشهد معهم فان قيل كيف دعاهم الى الشهادة مع انهم اذا شهدوا
لم تقبل شهادتهم قلنا عنه جوابان احدهما قال ابو علي لانهم لم يشهدوا وعلى الوجه ~~دعوا~~ ان يشهدوا
ببينة عادلة يقوم بها الحجة الثاني شهداء من غيرهم ولن يجدوا ذلك ولو وجدوه ما وجب قبول شهادتهم
لانها لا ترجع الا الى دعوى مجردة ولكن المذهب مع هذه الحال ابعد من الصحة الا انهم لا يجدون
من يشهد لهم وهو قول الحسن وقوله ولا تتبع اهواء الذين كذبوا بآياتنا نهي من الله لنبيه والمراد
به امته ان يعتقد وامذهب من اعتقد مذهبه هوى ويمكن اتخاذ المذهب هوى من وجوه احدها
هوى من سبق اليه فقلده فيه والثاني ان يدخل عليه شبهة فيتخيله بصورة الصحيح مع ان في عقله ما
يمنع منه ومنها ان يقطع النظر دون غايته للمشقة التي يلحقه فيعتقد المذهب الفاسد ومنها ان
يكون نشأ على شيء والفه واعتاده فيصعب عليه مفارقته وكل ذلك متميز مما استحسنه بعقله وانما
قال الذين كذبوا بآياتنا الذين لا يؤمنون بالآخرة وكلهم كفار ليفصل وجوه كفرهم لان منه ما يكون
مع الاقرار بالآخرة كحال اهل الكتاب ومنه ما يكون مع الانكار كحال عبدة الاوثان وقوله وهم
بربهم يعدلون معناه يعدلون به عن الحق لاتخاذهم مع الله شركاء واضافتهم اليه ما لم يفعله وافتراهم
عليه وفي الآية دلالة على فساد التقليد لانه لو كان التقليد جائزا لما طالب الله الكفار بالحجة على صحة
مذهبهم ولما كان عجزهم عن الاتيان بها دلالة على بطلان ما ذهبوا اليه **قوله** تعالى قُلْ تَعَالَوْا
أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَنْ لَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ
نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ
إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ آية بلا خلاف **اقول** لما حكى الله تعالى عن هؤلاء القوم
انهم حرّموا ما لم يحرّمه الله واحلوا ما حرّمه قال لنبيه قل لهم تعالوا احتى ابيّن لكم ما حرّمه الله وتعالوا
معناه ادنوا وهو مشتق من العلو وتقديره كأن الداعي في المكان العالي وان كانا في مستوٍ من
الارض كما يقال للانسان ارتفع الى صدر المجلس وقوله اتل مشتق والتلاوة مثل القراءة والمتلو
مثل المقروّ فالمتلو هو الاول والتلاوة هي الثاني منه على طريق الاعادة وهو مثل الحكاية والمحكي
وقوله اتل مجزوم بانه جواب الامر وعلامة الجزم فيه حذف الواو ومن شان الجازم ان ياخذ الحركة
اذا كانت على الحرف فان لم يكن هناك حركة اخذ نفس الحرف وقوله ما حرم ربكم ما في موضع نصب باتل
وهي بمعنى الذي وتقديره اتل الذي حرم ربكم عليكم ان لا تشركوا به شيئا ويجوز ان يكون نصبا
بحرّم وتقديره اي شيء حرّم ربكم لان اتلو بمنزلة اقول وقوله ان لا تشركوا به شيئا يحتمل موضع ان ثلثة
اوجه من الاعراب احدها الرفع على تقدير ذلك ان لا تشركوا به شيئا والثاني النصب على تقدير اوصى
ان لا تشركوا به شيئا وقيل فيه وجه رابع ان يكون نصبا بحرّم ويكون لا زائدة وتقديره حرم ربكم ان
تشركوا به شيئا كما قال ما منعك ان لا تسجد ونظائر ذلك قد قدمنا طرفا منها وموضع تشركوا
يحتمل امرين احدهما النصب بان الثاني الجزم بلا على النهي وقال ابو جعفر عليه السلام ادنى الشرك الرياء وقوله
وبالوالدين احسانا العامل فيه امر بالوالدين احسانا اي اوصى بالوالدين احسانا ودليله من وجهين
احدهما ان في حرم كذا معنى اوصى بتحريمه وامر بتجنبه الثاني ذلكم وصّاكم به وقوله ولا تقتلوا اولادكم
من املاق عطف بالنهي على الخبر لان قوله ولا تقتلوا انهي وقوله اوصى الا تشركوا به شيئا واوصى بالوالدين
احسانا خبر وجاز ذلك كما جاز في قوله قل اني امرت ان اكون اول من اسلم ولا تكونن من المشركين وقال الشاعر

ح واوصى سلمى الاعبدا … الا ترى ولا تكلم احدا
ولا تمشي بفضاء بعدا … ولا يزل شرابها مبردا

والاملاق الافلاس من المال والزاد يقال املق املاقا ومنه الملق لانه اجتهاد في تقرب المفلس للطمع

في العطية وقال ابن عباس وقتادة والسدي وابن جريج والضحاك الاملاق الفقر نهاهم الله ان
يقتلوا اولادهم خوفا من الفقر وقال نحن نرزقكم واياهم وقوله ولا تقربوا الفواحش نهي عن الفواحش
وهي القبائح وقيل الفاحش العظيم القبح والقبيح يقع على الصغير والكبير لانه يقال القرد قبيح الصورة
ولا يقال فاحش الصورة وضد القبيح الحسن وليس كذلك الفاحش قال الرماني ويدخل في الآية
النهي عن الصغير لان قرب الفاحش عمل الصغير من القبيح وقوله ما ظهر منها وما بطن قيل في معناه
قولان احدهما قال ابن عباس والضحاك والسدي كانوا لا يرون بالزنا باسا سرا ويمنعون منه
علانية فنهى الله عنه في الحالين الثاني لئلا يظن ويتوهم ان الاستبطان جائز وقال ابو جعفر عليه السلام
ما ظهر هو الزنا وما بطن المخالة وقيل معناه ما علن وما خفي من جميع انواع الفواحش وهو الاعم
فائدة وقوله ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق فالنفس المحرم قتلها هي نفس المسلم والمعاهد
دون الكافر الحربي والحق الذي يستباح به قتل النفس المحرمة ثلثة اشياء قود بالنفس الحرام والزنا
بعد احصان والكفر بعد الايمان وقوله ذلكم وصيكم به خطاب لجميع الخلق لعلكم تعقلون معناه لكي
تعقلوا عنه ما وصيكم به فتعملوا به **قوله** تعالى وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ
أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ
ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ آية بلا خلاف **اقول** قرا اهل الكوفة
الا ابا بكر تذكرون بتخفيف الذال حيث وقع الباقون بالتشديد قال سيبويه ذكرته ذكرا مثل شربا
قال ابو علي ذكر فعل يتعدى الى مفعول واحد كقوله فاذكروني اذكركم فاذا ضاعفت العين تعدى
الى مفعولين كقولك ذكرته اباه قال الشاعر **شعر** تذكرنيك حنين العجول
ونوح الحمامة تدعو هديلا … فان نقله بالهمزة كان كنقله بالتشديد ويقول ذكرته فتذكر
لان تذكر مطاوع فعل كما تفاعل مطاوع فاعل قال تعالى اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا
وقد تعدى تفعلت قال الشاعر **شعر** تذكرت ارضا بها اهلها
اخوالها فيها واعمامها وانشد ابو زيد **شعر** تذكرت ليلى لات حين اذكارها
وقد حنى الاصلاب ضلّا بتضلال … فقال اذكارها كما قال وتبتل اليه تبتيلا ونحو ذلك
مما لا يحصى مما لا يجيء المصدر على فعله وجاء المصدر على فعلى بالف التانيث فقالوا ذكرى وقالوا
في الجمع الذكر فجعلوه بمنزلة سدرة وسدر وقالوا الدكر بالدال غير المعجمة حكاه سيبويه والمشهور
بالذال فمن قرا بتشديد الدال اراد يتذكرون وياخذون به ولا يطرحونه وادغم التاء في الدال
والمعنى يتذكرون كما قال والنهار خلفة لمن اراد ان يذكر اي يتفكر وقال او لا يذكر الانسان معناه
او لا يتفكر وقال ولقد صرفناه بينهم ليذكروا اي ليتفكروا فيه ومن قرا بتخفيف الدال اراد لكي يذكروه
ولا ينسوه فيعملوا به والقراءتان متقاربتان غير ان هذا حذف التاء الاولى والاولون ادغموا
التاء في الذال والمعنى فيها لعلكم تتذكرون هذه الآية عطف على ما حرم الله في الآية الاولى واوصى
به فنهى في هذه الآية ان تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن والمراد به بالقرب التصرف فيه وانما
انما خص اليتيم بذلك وان كان واجبا في كل احد لان اليتيم لما كان لا يدفع عن نفسه ولا له
والد يدفع عنه فكان الطمع في ماله اقوى فاكد النهي في التصرف في ماله وقوله الا بالتي هي احسن
قيل في معناه ثلثة اقوال احدها حفظه عليه الى ان يكبر فيسلم اليه وقيل معناه تثميره بالتجارة
في قول مجاهد والضحاك والسدي والثالث ما قاله ابن زيد ان ياخذ القيم عليه بالمعروف دون الكسوة
وقوله حتى يبلغ اشده اختلفوا في حد الاشد فقال ربيعة وزيد بن اسلم ومالك وعامر الشعبي هو
الحلم وقال السدي ثلثون سنة وقال قوم ثمانية عشرة سنة لانه اكثر ما يقع عندهم البلوغ واستكمال
العقل وقال قوم انه لا حد له وانما المراد به حتى يكمل عقله ولا يكون سفيها يحجر عليه والمعنى حتى يبلغ

اشده فيسلم اليه ماله او باذن فى التصرف فى ماله وحذف له لدلالة الكلام عليه وهذا اقوى الوجوه
وواحد الاشد قيل فيه قولان احدهما شد مثل اضر جمع ضر واشد جمع شد والشد القوة وهو
استحكام قوة شبابه وسنه كما شد النهار ارتفاعه وحكى الحسين بن على المغربى عن ابى اسامة
ان واحدة شدة مثل نعمة وانعم وقال بعض البصريين الاشد واحد مثل الآنك ومن قال ان
واحدة شد استدل بقول عنترة شعر عهدى به شد النهار كانما
خضب البنان وراسه بالعظلم هكذا رواه المفضل الضبى وقال الآخر شعر
يطيف به شد النهار ظعينة طويلة انقاء اليدين سحوق

وقوله واوفوا الكيل والميزان بالقسط امر من الله بتوفية كيل ما يكال وتوفية وزن ما يوزن بالقسط يعنى بالعدل وفاء من غير بخس وقوله لا نكلف نفسا الا وسعها معناه هنا انه لما كان التعويل فى الوزن والكيل على التحديد من اقل القليل يتعذر بين انه لا يلزم فى ذلك الا الاجتهاد فى التحرز وقوله واذا قلتم فاعدلوا يعنى قولوا الحق ولو كان على ذى قرابة لكم وانما خص القول بالعدل دون الفعل لان من جعل عادته العدل فى القول دعاه ذلك الى العدل فى الفعل لان ذلك من آكد الدواعى اليه والبواعث عليه وقوله وبعهد الله اوفوا قيل فى معنى العهد هاهنا قولان احدهما كلما اوجبه على العبد فقد عهد اليه بايجابه عليه وتقدم القول فيه والدلالة عليه الثانى قال ابو على عهد الله الحلف بالله فاذا حلف فى غير معصية الله وجب عليه الوفاء وقوله ذلكم وصيكم به لعلكم تذكرون قيل فى معناه قولان احدهما لئلا تغفلوا عنه فتتركوا العمل به والقيام بما يلزم منه الثانى لتتذكروا كلما يلزمكم بتذكر هذا فتعملوا به **قوله** تعالى وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ آية بلا خلاف **اقول** قرأ الكسائى وحمزة وان هذا بكسر الهمزة الباقون بفتحها وكلهم شدد النون الا ابن عامر فانه خففها وكلهم سكن الياء من صراطى الا ابن عامر فانه فتحها وبه قرأ يعقوب وقرأ ابن كثير وابن عامر سراطى بالسين الباقون بالصاد الا حمزة فانه قرأ بين الصاد والزاى وروى ابن فليح والبزى الا النواس فتفرق بتشديد التاء ووجهه ان اصله فتتفرق فادغم احدهما فى الاخرى ومن فتح ان احتمل ذلك وجهين احدهما ان يكون عطفا على ان لا تشركوا والثانى ولان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ومن كسر ان احتمل ايضا وجهين احدهما عطفه على اتل ما حرم ربكم واتل ان هذا بمعنى اقول والثانى استئناف الكلام ومن خفف ان فان المخففة فى قوله يتعلق بما يتعلق به المشددة وموضع هذا رفع بالابتداء وخبره صراطى وفى ان ضمير القصة والشان وعلى هذه الشريطة يخفف ليست المفتوحة كالمكسورة اذا خففت والفاء فى قوله فاتبعوه على قول من كسر ان عاطفة جملة على جملة وعلى قول من فتح زائدة ونصب مستقيما على الحال والفايدة ان هذا صراطى وهو مستقيم فاجتمع له الامران ولو رفع مستقيم لما افاد ذلك وانما سمى الله تعالى ان ما بينه وذكره من الواجب والمحرم صراط وطريق لان امتثال ذلك على ما امر به يؤدى الى الثواب فى الجنة فهو طريق اليها والى النعيم فيها وقوله فاتبعوه امر من الله تعالى باتباع صراطه وما شرعه للخلق وطريق اتباع الشرع وفيه الحرام والحلال والمباح هو اعتقاد ذلك فيه والعمل على ما ورد الشرع به فيفعل الواجب والندب ويجتنب القبيح ويكون مخيرا فى المباح ولا يجب فعل جميعه لان ذلك خلاف الاتباع وانما قيل لاعتقاد صحة الشرع اتباع له لانه تعالى اذا حظر شيئا كان حكمه وجب اتباعه فانه واجب وكذلك الندب والمباح وقوله ولا تتبعوا السبل يعنى سبل الشيطان واتباع اهل البدع من اليهود والنصارى وغيرهم فنهى تعالى عن اتباع ذلك فان اتباع غير سبيله يصرف عن اتباع سبيله ولا يمكن ان يجتمعا ذلكم وصيكم به لعلكم تتقون معناه امركم به واوصاكم بامتثاله لكى تتقوا عقابه باجتناب معاصيه وانما اتى بلفظة لعل

لان المعنى انكم تعاملون فى التكليف والجزاء معاملة الشاك للمظاهرة فى العدل **قوله** تعالى ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ آية بلا خلاف **اقول** قيل فى معنى قوله ثم آتينا موسى الكتاب مع ان كتاب موسى قبل القرآن وثم يقتضى التراخى قولان احدهما ان فيه حذفا وتقديره ثم اتل آتينا موسى الكتاب وقال ابو مسلم عطفه على المنن التى عددها على ابراهيم عليه السلام من قوله ووهبنا له اسحق الى قوله الى صراط مستقيم واستحسنه المغربى وقوله تماما على الذى احسن قيل فيه خمسة اقوال احدها قال الربيع والفراء تماما على احسانه اى احسان موسى كانه قال لنكمل احسانه الذى يستحق به كمال ثوابه فى الآخرة الثانى قال مجاهد تماما على المحسنين وقيل فى قراءة عبد الله تماما على الذين احسنوا كانه قيل تماما للنعمة على المحسنين الذين هو احدهم الثالث قال ابن زيد تماما على احسان الله الى انبيائه الرابع قال الحسن وقتادة لتمام كرامته فى الجنة على احسانه فى الدنيا الخامس قال ابو على تماما على احسان الله الى موسى بالنبوة وغيرها من الكرامة وقال ابو مسلم تماما على الذى احسن ابراهيم فجعل ما اعطى موسى منة على ابراهيم واجابة لدعوته بما تقدم من احسانه وطاعته وذلك اذ يقول ابراهيم واجعل لى لسان صدق فى الآخرين وقوله تماما على الذى يقتضى مضاعفة عليه ولو قال تماما لدل على نقصانه قبل تكميله وقوله احسن فى موضع خفض عند الفراء زعم ان العرب يقول مررت بالذى خير منك وبالذى اخيك ولا يقولون بالذى قائم لانه نكرة وانشد عن الكسائى ان الزبيرى الذى مثل الحكم مشى باسلافك فى اهل العلم قال الزجاج اجمع البصريون على انه لا يجوز ذلك لان الذى يقتضى صلة ولا يصح ان يوصف الا بعد تمام صلتها وقوله وهدى ورحمة صفتان للكتاب الذى انزله على موسى ومعناه حجة ورحمة وتفصيلا لكل شئ مثل ذلك وقوله لعلهم بلقاء ربهم يؤمنون معناه لكى يؤمنوا بجزاء ربهم فسمى الجزاء لقاء الله تفخيما لشأنه وتعظيما له مع الاختصار والايجاز وتماما وتفصيلا انتصب على انه مفعول له وتقديره انا فعلنا للتمام والتفصيل لكل ما شرعنا له وروى فى الشواذ احسن رفعا وتقديره على الذى هو احسن **قوله** تعالى وَهَٰذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ آية بلا خلاف **اقول** قوله وهذا اشارة الى القرآن وصفه بانه كتاب انزله الله وانما وصفه بانه كتاب وان لم يكن قرآنا من اجل انه يكتب لانه لما كان التقييد بالكتاب من اكثر ما يحتاج اليه فى الدلائل والحكم وصف بهذا الوصف لبيان انه مما ينبغى ان يكتب لانه اجل الحكم وذكر فى هذا الموضع بهذا الذكر ليقابل ما تقدم من ذكر كتاب موسى عليه السلام وقوله مبارك فالبركة ثبوت الخير بزيادته ونموه واصله الثبوت ومنه تبارك اى تعالى بصفة اثبات لا اول له ولا آخر وهذا تعظيم لا يستحقه غير الله تعالى ورفعه بانه صفة للكتاب ولو نصب على الحال كان جائزا غير ان الرفع يدل على لزوم الصفة للكتاب والنصب يجوز ان يكون لحالة عارضة فى وقت الفعل وقوله فاتبعوه امر من الله باتباعه وتدبر ما فيه وامتثاله وقوله واتقوا امر منه تعالى باتقاء معاصيه ومخالفة كتابه وقوله لعلكم ترحمون اى لكى ترحموا وانما قال اتقوا لعلكم ترحمون مع انهم اذا اتقوا رحموا لا محالة لامرين احدهما اتقوا على رجاء الرحمة لانكم لا تدرون بما توافون فى الآخرة الثانى اتقوا لترحموا ومعناه ليكن الغرض بالتقوى منكم طلب ما عند الله من الرحمة والثواب **قوله** تعالى أَن تَقُولُوا إِنَّمَا أُنزِلَ الْكِتَابُ عَلَىٰ طَائِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ آية **اقول** العامل فى ان قوله انزلناه وتقديره لان لا يقولوا انما فالا لظهور المعنى فى انه انزله لئلا يكون لهم حجة بهذا وحذف لا فى قول الفراء وقال الزجاج تقديره كراهة ان تقولوا ولم يجز حذف لا هاهنا واذا كان يجوز حذف المضاف فى غير ان فهو مع ان اجدر لطولها بالصلة وان اذا كانت بمعنى المصادر تعمل ولا تعمل اذا كانت بمعنى اى لان هذه يختص الفعل بها والاخرى يدخل للتفسير فتارة يفسر جملة من ابتداء وخبر وتارة جملة

من فعل وفاعل وقوله انما انزل الكتاب على طائفتين من قبلنا معنى انما الاختصاص وانما كان كذلك
لان ان كانت تخفيفا بتخصيص المعنى مما خالفه فلما صحبتها ما مكنته لما ظهر هذا المعنى فيها والمعنى
بالطائفتين من قبلنا اليهود والنصارى فى قول ابن عباس والحسن ومجاهد وابن جريح وقتادة والسدى
وانما خصا بالذكر لشهرتهما ولظهور امرهما وقوله وان كنا عن دراستهم لغافلين اللام فى قوله لام
الابتداء ولا يجوز ان يعمل ما قبلها فيما بعدها الا فى باب ان خاصة لانها زحلفت معها عن الاسم الى
الخبر بين حرفين بمعنى وتقدير الاية انا انزلنا الكتاب الذى هو القران لئلا يقولوا وكراهة ان يقولوا
انما انزل الكتاب على اليهود والنصارى ولم ينزل علينا ولو اريد منا ما اريد ممن قبلنا لانزل الينا
كتاب كما انزل على من قبلنا وان كنا عن دراستهم غافلين وتقديره وان كنا غافلين عن تلاوة كتبهم
يعنى الطائفتين اللتين انزل عليهم الكتاب لانهم كانوا اهله دوننا قوله تعالى اَوْ تَقُولُوا لَوْ اَنَّا اُنْزِلَ
عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا اَهْدٰى مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ اَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَّبَ بِاٰيَاتِ
اللّٰهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِى الَّذِيْنَ يَصْدِفُوْنَ عَنْ اٰيَاتِنَا سُوْءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوْا يَصْدِفُوْنَ اية اجماعا
اقول هذه الاية عطف على ما قبلها والتقدير انا انزلنا القران المبارك لئلا يقولوا انما انزل
علينا الكتاب كما انزل على من قبلنا او يقولوا لو انزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم فى المبادرة
الى قبوله والتمسك به كما يقول القائل لو اتيت بدليل لقبلته منك ومثل هذا يستبق الى النفس
وقوله اهدى منهم فلا دلالة لهم بالاذهان والافهام وقد يكون العارف بالشئ اهدى اليه من عارف
اخر بان يعرفه من وجوه لا يعرفها وبان يكون ما يعرفه به اثبت مما يعرفه به الاخر قال الرمانى والفرق
بين الهداية والدلالة ان الهداية مضمنة بانها نصبت ليهتدى بها صاحبها وليس كذلك الدلالة
قال ولذلك كثر تصرفها فى القران كما كثر تصرف الرحمة لانها على المحتاج وهذا فرق غير صحيح لان
الدلالة ايضا لا يسمى دلالة الا اذا نصبت ليستدل بها ولذلك لا يقال اللص دل على نفسه
اذا فعل اثارا امكن ان تستدل بها على مكانه ولم يقصد ذلك وقوله لو انا فتحت ان بعد لو مع انه
لا يقع فيه المصدر لان الفعل مقدر بعد لو كانه قيل لو وقع الينا انا انزل هذا الكتاب علينا الا
ان هذا الفعل لا يظهر من اجل طول ان بالصلة ولا يحذف مع المصدر الا فى الشعر قال الشاعر

لو غيركم علق الزبير بحبله — ادى الجوار الى بنى العوام

فقال الله لهم فقد جاءكم بينة من ربكم يعنى حجة واضحة وهدى ورحمة وادلة مؤدية الى الحق ورحمة
منه تعالى وانعام فمن اظلم ممن كذب بايات الله يعنى فمن اظلم لنفسه ممن كذب بايات الله وصدف عنها
اى اعرض عنها غير مستدل بها ولا مفكر فيها وهو قول ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدى فان
قيل كيف قال فمن اظلم ممن كذب بايات الله بان يجحدها ولو فرضنا انه ضم الى ذلك قتل النفوس و
انتهاك المحارم كان اظلم قلنا عنه جوابان احدهما للمبالغة لجرى مجرى المنزلة الداعية الى كل ضرب
من الفاحشة والاخر انه لا خصلة من ظلم النفس اعظم من هذه الخصلة ثم قال تعالى سنجزى الذين
يصدفون اى يعرضون عن اياتنا سوء العذاب اى شديده بما كانوا يصدفون اى جزاء بما كانوا يعرضون
وهو ما اعد الله للكفار نعوذ بالله فان قيل فهل للذين ماتوا قبل من خوطب بهذه الاية ان يقولوا
هذا القول قيل لا ليس له ذلك لان عذره كان مقطوعا بعقله وبما تقدم من الاخبار والكتب و
هؤلاء ايضا لو لم يأتهم الكتاب والرسول لم يكن لهم حجة لكن فعل الله تعالى ما علم ان المصلحة تعلقت
به لهؤلاء ولو علم ذلك فيمن تقدم لانزل عليهم مثل ذلك لكن لما لم ينزل عليهم علمنا ان ذلك لم يكن
من مصلحتهم **قوله** تعالى هَلْ يَنْظُرُوْنَ اِلَّا اَنْ تَاْتِيَهُمُ الْمَلٰئِكَةُ اَوْ يَاْتِىَ رَبُّكَ اَوْ يَاْتِىَ بَعْضُ اٰيَاتِ رَبِّكَ
يَوْمَ يَاْتِىْ بَعْضُ اٰيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا اِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ اٰمَنَتْ مِنْ قَبْلُ اَوْ كَسَبَتْ فِىْ اِيْمَانِهَا خَيْرًا قُلِ
انْتَظِرُوْا اِنَّا مُنْتَظِرُوْنَ اية **اقول** قرا حمزة والكسائى يأتيهم الملئكة بالياء الباقون بالتاء وقد

مضى الكلام فى امثال ذلك فيما مضى فلا وجه للتطويل باعادته معنى قوله هل ينظرون ما ينتظرون
يعنى هؤلاء الكفار الذين تقدم ذكرهم وقال ابو على معناه هل ينتظر انت يا محمد واصحابك الا هذا
وهم وان انتظروا غيره فذلك لا يعتد به فى جنب ما ينتظرونه من الاشياء المذكورة لعظم شانها او
هو مثل قوله وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وتكلمت ولم تتكلم اذا تكلم بما لا يعتد به وقوله الا ان
يأتيهم الملئكة يعنى لقبض ارواحهم وقال مجاهد وقتاده والسدى يأتيهم الملئكة لقبض ارواحهم
او يأتى ربك اى يوم القيمة او يأتى بعض ايات ربك طلوع الشمس من مغربها وقوله او يأتى ربك قيل
فى معناه قولان احدهما قال او يأتى امر ربك بالعذاب وحذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه ومثله
وجاء ربك وقوله ان الذين يؤذون الله ورسوله يعنى يؤذون اولياء الله الثانى او يأتى ربك بعظيم اياته
فيكون يأتى به على معنى الفعل المتعدى مثل ذلك قول الناس اتانا الروم يريدون اتانا حكم الروم و
سيرتهم وقوله يوم يأتى بعض ايات ربك لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن امنت من قبل قيل فى الايات التى يحجب
من قبول التوبة ثلثة اقوال احدها قال الحسن روى عن النبى عليه السلام انه قال بادروا بالاعمال ستا طلوع
الشمس من مغربها والدابة والدجال والدخان وخويصة احدكم اى موته وامر القيامة يعنى القيامة
الثانى قال ابن مسعود طلوع الشمس من مغربها والدجال ودابة الارض وهو قول ابى هريرة الثالث طلوع
الشمس من مغربها رواها جماعة عن النبى عليه السلام وقوله او كسبت فى ايمانها خيرا قيل فى معناه ثلثة اقوال
احدها الابهام فى احد الامرين الثانى التغليب لان الاكثر ممن ينتفع بايمانه حينئذ من كان كسب فى ايمانها
خيرا قبل الثالث انه لا ينفعه ايمانه حينئذ وان اكتسب فيه خيرا الا ان يكون ممن امن قبل فى قول السدى
معنى كسب الخير فى الايمان عمل النوافل والاستكثار من عمل البر بعد اداء الفرايض والاول عندى اقواها
لان المعنى انه لا ينفع نفسا ايمانها الا اذا كانت امنت قبل فانها اذا امنت قبل نفعها ايمانها بانفراده
او اذا ضمت الى ايمانها افعال الخير فان ذلك ينفعها ايضا فانه زاد خيرا وقوله قل انتظروا خطاب
للنبى عليه السلام ان يقول لهؤلاء الكفار انتظروا اتيان الملئكه وهذه الايات فانا منتظرون حصولها ومعنى
الاية الحث على المبادرة الى الايمان قبل الحال التى لا تقبل فيها قبول التوبة وهى ظهور الايات التى
تقدم ذكرها وفى ذلك غاية التهديد قوله تعالى اِنَّ الَّذِيْنَ فَرَّقُوْا دِيْنَهُمْ وَكَانُوْا شِيَعًا لَسْتَ
مِنْهُمْ فِىْ شَىْءٍ اِنَّمَا اَمْرُهُمْ اِلَى اللّٰهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوْا يَفْعَلُوْنَ اية بلا خلاف **اقول** قرء حمزة والكسائى
فارقوا بالف وهو المروى عن على عليه السلام الباقون فرقوا بلا الف مع تشديد الراء والمعنيان متقاربان
لان القراءتين يؤلان الى شئ واحد لان جميع ذلك مخالف لما يوجبه دينهم فهم بتفريقه من جهة اكفار
بعضهم بعضا على جهة التفرقة مخالفون له وهم بخروجهم عنه الى غيره مفارقون له مخالفون وقيل فى المعنيين
بهذه الاية اربعة اقوال احدها قال مجاهد هم اليهود لانهم كانوا يمالؤن عبدة الاوثان على المسلمين
الثانى قال قتادة هم اليهود والنصارى لان بعض النصارى يكفر بعضا وكذلك اليهود الثالث قال
الحسن هم جميع المشركين لانهم جميعا بهذه الصفة الرابع قال ابو جعفر عليه السلام هم اهل الضلال والبدع
من هذه الامة وهو قول ابى هريرة والمروى عن عائشة حذرهم الله تعالى من تفرق الكلمة ودعاهم
الى الاجتماع على ما تقدم عليه الحجة والدين الذى فارقوه قيل فيه قولان قال ابو على وغيره هو الدين
الذى امر الله باتباعه وجعل دينا لهم الثانى الدين الذى هم عليه لانكار بعضهم بعضا بجهالة وفيه
معنى التشيع الفرق التى يمالئ بعضهم بعضا على امر واحد مع اختلافهم فى غيره قيل اصله الظهور من قولهم
شاع الخبر يشيع اذا ظهر وقال الزجاج اصله الاتباع من قولك شايعه على الامر اذا اتبعه وقوله لست
منهم فى شئ خطاب للنبى صلى الله عليه واله واعلام له انه ليس منهم فى شئ وانه على المباعدة التامة
من ان يجتمع معهم فى معنى من مذاهبهم الفاسدة وليس كذلك بعضهم مع بعض لانهم يجتمعون فى معنى
من الباطل وان افترقوا فى غيره فليس منهم فى شئ لانه برئ من جميعه وقال الفراء معناه النهى عن قتالهم

ثم نسخ بقوله اقتلوا المشركين وهو قول السدى اخبر الله تعالى ان الذين فرقوا دينهم وخالفوه بانهم
وصاروا فرقاً نمائلي بعضهم بعضا على امر واحد مع اختلافهم فى غيره ليس النبى عليه السلام منهم فى شئ
انه مباين لهم لفساد ما هم عليه ثم قال انما امرهم الى الله ثم ينبئهم بما كانوا يعملون يعنى ان الله تعالى
هو الذى يخبرهم بافعالهم ويجازيهم عليها دون غيره يعنى يوم القيمة **قوله** تعالى مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ
فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ اية بلا خلاف **اقول**
العشرة يجوز فى قوله فله عشر امثالها ثلثة اوجه احدها الاضافة وعليه جميع القراء الا يعقوب ورفع
امثالها مع التنوين على الصفة وبه قرء الحسن ويعقوب ونصبه على التمييز كما يقول عندى خمسة اثوابا
ذكر ذلك الزجاج والفراء ومعنى القراءة الاولى فله عشر حسنات امثالها ويجوز فى العربية فله عشر
مثلها فيكون المثل فى لفظ الواحد وفى معنى الجمع كما قال انكم اذا مثلهم ومن قال امثالها فهو كقوله
ثم لا يكونوا امثالكم وانما جاز فى مثل التوحيد فى معنى الجمع لانه على قدر ما يشتبه به يقول مررت بقوم
مثلكم وبقوم امثالكم وقال الرمانى كلما لم يتميز بالصورة فان جمعه يدل على الاختلاف كقولك رمال
ومياه فاما رجال فلا يدل على الاختلاف لانه يتميز بالصورة ويجوز ان يكون المثل فى موضع الجمع ولا يجوز
مثل ذلك فى العدل لان المثل لا يضاف الى الجماعة الا على معنى انه مثل لكل واحد منهم وليس كذلك
العدل لانه يكون لجماعتهم دون كل واحد منهم وقال اكثر اهل العدل ان الواحد من العشرة مستحق و
تسعة تفضل وقال بعضهم المعنى فله من الثواب ثواب عشر حسنات امثالها وهذا لا يجوز لانه يقبح ان يعطى
غير العامل مثل ثواب العامل كما يقبح ان يعطى الاطفال مثل ثواب الانبياء ومثل اجلالهم واكرامهم
وان يرفع منزلتهم عليهم وانما لم يوعد على السيئة الا مثلها لان الزائد على ذلك ظلم والله يتعالى عن
ذلك وزيادة الثواب على الجزاء تفضل واحسان فجاز ان يزيد عليه قال الرمانى ولا يجوز على قياس عشر
امثالها عشر صالحات بالاضافة لان المعنى ظاهر فى ان المراد عشر حسنات امثالها وقال غيره لان الصالحات
لا تعد لانها اسماء مشتقة وانما تعد الاسماء والمثل اسم فلذلك جاز العدد به وقال الرمانى دخول الهاء
فى قوله الحسنة يدل على ان تلك الحسنة ما هو مباح لا يستحق عليه المدح والثواب ولو قيل دخول الالف
واللام فيها يدل على ان الحسنة هى المامور بها ودخلا للعهد والله لا يامر بالمباح لكان اقوى مما قاله
ويجوز ان يكون التفضل مثل الثواب فى العدل والكثرة ويتميز منه الثواب بمقارنة التعظيم والتبجيل
الذين لولاهما لما حسن التكليف وانما قلنا بجواز ذلك لان وجه حسن ذلك الاحسان والتفضل و
ذلك حاصل فى كل قدر زايد وفى الناس من منع من ان يساوى التفضل الثواب فى باب الكثرة والصحيح
ما قلناه اولا فان قيل كيف يجمعون بين قوله فله عشر امثالها وبين قوله مثل الذين ينفقون اموالهم
فى سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مأة حبة وقوله من ذا الذى يقرض الله قرضا
حسنا فيضاعفه له اضعافا كثيرة ولان المجازاة بدخول الجنة ثوابا انها على وجه التأبيد لا نهاية له
فكيف يكون ذلك عشر امثالها وهل هذا الا ظاهر التناقض قلنا الجواب عن ذلك ما ذكره الزجاج
وغيره ان المعنى فى ذلك ان جزاء الله على الحسنات على التضعيف للمثل الواحد الذى هو النهاية فى التقدير
فى النفوس ويضاعف الله عز ذلك بما بين عشرة اضعاف الى سبعمأة ضعف الى اضعاف كثيرة ففائدة
ذلك انه لا ينقص من الحسنة عن عشر امثالها وفيما زاد على ذلك يزيد من يشاء من فضله واحسانا وقال
قوم المعنى من جاء بالحسنة فله عشر امثال المستحق عليها والمستحق مقداره لا يعلمه الا الله وليس يريد
بذلك عشر امثالها فى العدد كما يقول القايل للعامل الذى يعمل معه لك من الاجر مثل ما عملت اى
مثل ما تستحقه بعملك وقال آخرون المعنى فى ذلك ان الحسنة لها مقدار من الثواب معلوم لله تعالى
فاخبر الله تعالى انه لا يقتصر بعباده على ذلك بل يضاعف لهم الثواب حتى يبلغ ذلك ما اراد وعلم انه
اصلح لهم ولم يرد العشرة بعينها لكن اراد الاضعاف كما يقول القايل لئن اسديت الى معروفا لاكافئنك

بعشرة امثالها وعشرة اضعافه وفى الوعيد لئن كلمتنى واحدة لاكلمنك عشرة وليس يريد بذلك
العدد المعين لا اكثر منها وانما يريدون ما ذكرناه وقال قوم عنى بهذه الاية الاعراب اما المهاجرون
فحسناتهم سبع مائة ذهب اليه ابو سعيد الخدرى وعبد الله بن عمر وقال قوم معنى عشر امثالها
لانه كان يوخذ منهم العشر فى الزكوات وكانوا يصومون فى كل شهر ثلثة ايام والباقى لهم وقال قوم
من جاء بالحسنة يعنى الايمان فله يعنى للايمان عشر امثالها وهو ما ذكره فى قوله ان المسلمين والمسلمات
الى اخر الاية وهذان الوجهان قريبان والمعتمد ما قدمناه من الوجوه وقال اكثر المفسرين ان السيئة
المذكورة فى الاية هى الشرك والحسنة المذكورة فيها هو التوحيد اظهار الشهادتين فان قيل كيف يجوز
الزيادة فى نعم المثابين مع ان الثواب قد استغرق جميع مناهم وما يحتملونه قلنا عنه جوابان احدهما ان
ليس للمنية نهاية مما يحتمله من اللذات والثانى ان يراد فى البنية والقوة مثل ان يراد فى قوة البصر حتى
يرى الجزء الذى لا يتجزى وان لم يزد فى اخفاء الانسان **قوله** تعالى قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى
صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اية بلا خلاف **اقول** قرء ابن
عامر واهل الكوفة قيما بكسر القاف وتخفيف الياء وفتحها الباقون مع تشديد الياء من قرء بتشديد
الياء فحجته قوله وذلك دين القيمة كانه دين الملة القيمة ويكون وصفا للدين اذا كانت نكرة كما كان
وصفا للملة لان الملة هى الدين قال ابو الحسن قال اهل المدينة دينا قيما وهى حسنة ولم اسمعها
من العرب قال ابو الحسن وهى فى معنى المستقيم فاما من قرء بالتخفيف فانه اراد المصدر مثل الشبع ولم
يصحح كما صحح عوض وحول قال الزجاج لانه جاء على فعل معتل وهو قام والاصل قوم او قوم قوما قال
ابو على وكان القياس يقتضى ان يصحح لكنه شذ عن القياس كما شذ اشياء من نحوه عن القياس نحو ثيرة جمع ثور
ونحو جياد فى جمع جواد وكان القياس الواو كما قالوا طويل وطوال قال الاعشى **شعر**

جيادك فى الصيف فى نعمة | يصان الجلال وتعطى الشعيرا

وقوله دينا قيما يحتمل نصبه ثلثة اوجه احدها انه قال اننى هدانى ربى الى صراط مستقيم استغنى بجرى
ذكر الفعل عن ذكره فقال دينا قيما كما قال اهدنا الصراط المستقيم وان نصبه على تقدير اعرفوا لان
هدايتهم اليه تعريف لهم فحمله على اعرفوا دينا قيما وقال الزجاج معناه عرفنى دينا قيما وان شئت
حملته على الاتباع كانه قال اتبعوا دينا قيما والزموه كما قال اتبعوا ما انزل وقال الفراء هو نصب على
المصدر كانه قال هدانى اهتداء او وضع دينا موضعه امر الله تعالى نبيه عليه السلام ان يقول للخلق وخاصة
لهؤلاء الكفار اننى هدانى ربى وقيل فى معنى الهداية قولان احدهما قال ابو على اراد بالهداية الدلالة
واضافه الى نفسه دونهم وان كان قد هداهم ايضا لانه اهتداء دونهم وقال غيره اراد به لطف لى فى
فى الاهتداء الى صراط مستقيم والصراط المستقيم قد فسرناه فى غير موضع وانه الطريق الموصل الى ثواب
الله من غير اعوجاج وانما قال الى صراط مستقيم ههنا وقال فى موضع اخر ويهديك صراطا مستقيما
لانه اذا ضمن معنى النهاية دخلت الى واذا لم تضمن لم تدخل الى وصار بمعنى عرفنى والاول بمنزلة
ارشدنى وانما كرر مستقيم وقيم للمبالغة كانه قال هو مستقيم على نهاية الاستقامة وقوله ملة ابرهيم
فالملة الشريعة وهى ماخوذة من الاملاء كانه ما ياتى به السمع ويورده الرسول من الشرايع المتجددة
فيمله على امته ليكتب او يحفظ فاما التوحيد والعدل فواجبان بالعقل ولا يكون فيهما اختلاف والشرايع
تختلف ولهذا يجوز ان يقال دينى دين الملئكة ولا يقال ملتى ملة الملئكة فالملة دين وليس كل دين
ملة وانما وصف النبى عليه السلام بانه ملة ابرهيم ترغيبا فيه للعرب لجلالة ابرهيم فى نفوسهم وغيرهم من اهل
الاديان وقوله حنيفا معناه مخلصا العبادة لله فى قول الحسن واصله الميل من قولهم رجل احنف اذا كان
مايل القدم باقبال كل واحدة منهما على الاخرى من خلقة لا من عارض وقال الزجاج الحنيف هو المايل
الى الاسلام ميلا لازما لا رجوع معه وقال ابو على اصله الاستقامة وانما جاء احنف على التفاؤل لما

كان من المشركين يعنى ابرهيم عليه السلام وحنيفا نصب على الحال من ابرهيم وملة ابيكم نصب على المصدر فى قول الفراء وقال الزجاج هو بدل من قوله دينا قيما **قوله** تعالى قل ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لا شريك له وبذلك امرت وانا اول المسلمين آيتان بلا خلاف **اقول** اسكن الياء من محياى اهل المدينة قال ابو على الفارسى اسكان الياء من محياى شاذ خارج عن القياس و الاستعمال فشذوذه عن القياس ان فيه التقاء الساكنين لا يلتقيان على هذا الحد وشذوذه عن الاستعمال انك لا تجده فى نظم ولا نثر الا شاذا ووجهه ما حكى بعض البغداديين انه سمع او حكى له التقت حلقتا البطان باسكان الالف مع سكون لام المعرفة وحكى غيره له ثلثا المال وليس هذا مثل قوله حتى اذا اداركوا فيها لان هذا فى المنفصل مثل دابة فى المتصل ومثل ما اجاز يونس من قوله اضربان زيدا وسيبويه ينكر هذا من قول يونس قال الرمانى ولو وصله على نية الوقف جاز ان يقول لهؤلاء الكفار ان صلوتى ونسكى وقد فسرنا معنى الصلوة فيما مضى وقيل فى معنى ونسكى ثلثة اقوال احدها قال سعيد بن جبير ومجاهد وقتادة والسدى والضحاك ذبيحتى فى الحج والعمرة وقال الحسن نسكى دينى وقال الزجاج والجبائى ونسكى عبادتى قال الزجاج والاغلب عليه امر الذبح الذى يتقرب به الى الله ويقولون فلان ناسك بمعنى عابد وانما ضم الصلوة الى اصل الواجبات من التوحيد والعدل لان فيها التعظيم لله عند التكبير وفيها تلاوة القران التى تدعو الى كل بر وفيها الركوع والسجود وهما خضوع لله و فيها التسبيح وهو تنزيه لله وقوله ومحياى ومماتى يقولون حيى يحيى حياة ومحيا ومات يموت موتا ومماتا وانما جعل للفعل الواحد مصادر فى الثلاثى لقوته ولانه الاكثر الاغلب وانما جمع بين صلوته وحيوته واحدهما من فعله والاخر من فعل الله لانهما جميعا بتدبير الله تعالى وان كان احدهما من حيث ايجاده واعدامه لما فيه من الصلاح ووجه ضم الموت الى اصل الواجب الرغبة الى من يقدر على كشفه الى الحيوة فى النعيم الدائم بطاعته فى اداء الواجبات وقوله لا شريك له نفى لشركة هى تلك المساهمة فلما كان عبدة الاوثان جعلوا العبادة على هذه الصفة كانوا مشركين فى عبادة الله فامر الله ان ينفى عنه هذا الشرك ويقول لا شريك له والمعنى لا يستحق العبادة سواه ثم امره بان يقول انى امرت بذلك يعنى بنفى الاشراك مع الله وتوجيه العبادة اليه تعالى وحده وانا اول المسلمين قال الحسن معناه اول المسلمين من هذه الامة وبه قال قتادة وبين ذلك لوجوب اتباعه عليه السلام وليبان فضل الاسلام اذا كان اول مسارع اليه نبينا عليه السلام ومعنى الآية وجوب نفى الشرك عن الله ووجوب اعتقاد بطلانه واخلاص العبادة اليه تعالى **قوله** تعالى قل اغير الله ابغى ربا وهو رب كل شئ ولا تكسب كل نفس الا عليها ولا تزر وازرة وزر اخرى ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون آية عند الكل **اقول** امر الله تعالى نبيه ان يخاطب هؤلاء الكفار ويقول على وجه الانكار لفعلهم اغير الله اتخذ ربا معبودا فالكلام خرج مخرج الاستفهام والمراد به الانكار لانه لا جواب لصاحبه الا بما هو قبيح لان تقديره ايجوز ان اطلب الضر بعبادتى من مربوب مثلى عادلا بذلك عن رب كل شئ وليس بمربوب ام هذا قبيح فى العقول وهو لازم لكم على عبادة الاوثان والرب اذا اطلق افاد المالك لتصريف الشئ باتم التصريف واذا اضيف فقيل رب الدار ورب الضيعة فمعناه المالك لتصريفه باتم تصريف العباد و اصله التربية وهى تنشئة الشئ حالا بعد حال حتى يصير الى الكمال ثم صرف الى معنى المالك لهذه الاحوال من الشئ وما جرى مجراها والفرق بين الرب والسيد ان السيد المالك لتدبير السواد الاعظم والرب المالك لتدبير الشئ حتى يصير الى الكمال مع اجرائه على تلك الحال وقوله ولا تكسب كل نفس الا عليها معناه لا يكون جزاء عمل كل نفس الا عليها ووجه اتصاله بما قبله انه لا ينفعنى فى ابتغاء رب غيره ما انتم عليه من ذلك لانه ليس يعود على فى اكتساب غيرى له لانه لا تزر وازرة وزر اخرى وقيل ان الكفار قالوا للنبى عليه السلام اتبعنا وعلينا وزرك ان كان خطأ فانزل الله الآية وفيها دلالة على فساد قول المجبرة من جهتين احدهما

ان قوله ولا تزر وازرة وزر اخرى يدل على انه لا يعذب الطفل بكفر ابيه والثانى انه لا يعذب بغير ذنب كان منه لانهما سواء فى انهما كعذاب غير مستحق ويقول وزر يزر وزرا ووزر يوزر ووزر يوزر فهو موزور وكله بمعنى الاثم والوزر الملجأ ومنه قوله كلا لا وزر فحال الموزور كحال الملتجئ من غير ملجأ ومنه الوزير لان الملك يلتجئ اليه فى الامور وقيل اصله الثقل ومنه قوله ووضعنا عنك وزرك وكلاهما محتمل ثم الى ربكم مرجعكم يعنى مآلكم ومصيركم الى الله فى يوم لا يملك فيه الامر غيره تعالى وقوله فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون معناه انه يخبرهم بالحق فيما اختلفوا فيه من الباطل فيظهر المحسن من المسئ ما يزيل معه الشك والارتياب ويقع معه الندامة فى وقت قد فات فيه استدراك الخطيئة فمعنى الآية الحجة على ان كل شئ سوى الله فالله ربه من كل وجه فصح منه الربوبية وفيها دلالة على فساد قول المجبرة ان الله يعذب على غير ذنب **قوله** تعالى وهو الذى جعلكم خلائف الارض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم ان ربك سريع العقاب وانه لغفور رحيم آية بلا خلاف **اقول** اخبر الله تعالى انه الذى جعل الخلق خلائف الارض ومعناه ان كل اهل عصر يخلف اهل العصر الذى قبله كلما مضى واحد خلفه اخر على انتظام واتساق وذلك يدل على مدبر اجراه على هذه الصفة قال الشماخ شعر

نصيبهم وتخطئنى المنايا واخلف فى ربوع عن ربوع

وواحد الخلائف خليفة مثل صحيفة وصحائف وسفينة وسفائن ووصيفة ووصائف هذا قول الحسن والسدى وقال قوم معناه انه جعلهم خلفاء من الجان قبل ادم وقال اخرون معناه والمراد به امة نبينا عليه السلام لان الله جعلهم خلفاء ساير الامم وقوله ورفع بعضكم فوق بعض درجات وجه الحكمة فى ذلك مع انه يخلقهم كذلك ابتداء من غير استحقاق بعمل يوجب التفاضل بينهم ما فيه من الالطاف الداعية الى الواجبات والصادفة عن القبائح لان من كان غنيا فى ماله شريفا فى نسبه قويا فى جسمه يدعوه ذلك الى طاعة من يملكها رغبة فيها والحال فى اضدادها ربما كان دعته الى طاعته رهبته منها او من امثالها ورجاء ان ينقل عنها الى حال جليلة يغبط عليها وقال السدى رفع بعضهم فوق بعض فى الرزق وقوة الاجسام وحسن الصورة وشرف الانسان وغير ذلك بحسب ما علم من مصالحهم وقوله درجات يحتمل نصبه ثلثة اشياء احدها ان يقع موقع المصدر كانه قال رفعة فوق رفعة الثانى درجات فحذفت الى كما حذفت فى قولهم دخلت البيت وتقديره دخلت الى البيت الثالث ان يكون مفعولا لرفع اى رفع درجة ورفعه درجة مثل اكسى ثوبا وكسوته ثوبا وقوله ليبلوكم فيما آتاكم معناه فعلنا بكم ذلك فعل من يختبركم فيما اعطاكم والقديم تعالى لا يبتلى خلقه ليعلم ما لم يكن عالما به لانه تعالى عالم بالاشياء قبل كونها وانما قال ذلك لانه يعامل معاملة الذى يبلو مظاهرة فى العدل وانتفاء من الظلم وقوله ان ربك سريع العقاب انما وصف نفسه بانه سريع العقاب مع وصفه تعالى بالامهال ومع ان عقابه فى الآخرة من حيث كان كل آت قريبا فهو اذا سريع كما قال وما امر الساعة الا كلمح البصر او هو اقرب وقد يكون سريع العقاب لمن استحقه فى دار الدنيا فيكون تحذيرا لمواقع الخطيئة على هذه الجهة وقيل معناه انه قادر على تعجيل العقاب فاحذروا معاجلته وانما قابل بين العقاب والغفران ولم يقابل بالثواب لان ذلك ادعى الى الاقلاع عما يوجب العقاب لانه لو ذكر الثواب لجاز ان يتوهم انه لمن لم يكن فيه عصيان

سورة الاعراف

قال قتادة سورة الاعراف مكية وقال قوم هى مكية الا قوله واسئلهم عن القرية الى آخر السورة وقال قوم هى محكمة كلها وقال اخرون حرفان منها منسوخان احدهما قوله خذ العفو يريد من اموالهم وذلك قبل الزكوة والاخر قوله واعرض عن الجاهلين نسخ بآية السيف قال قوم ليس واحد منهما منسوخا بل لكل منهما موضع وللسيف موضع وهو الاقوى لان النسخ يحتاج الى دليل وهى مائتان وست آيات كوفى وخمس آيات مدنيات والبصرى **قوله** تعالى المص كتاب انزلناه اليك فلا يكن فى صدرك

حَرَجٌ مِنْهُ لِتُنْذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ اٰيتان فى الكوفى وآية فيما عداه **اقول** قد بينا فى اول سورة
البقرة اختلاف المفسرين فى اوايل السور بالحروف المقطعة وقلنا ان الاقوى من ذلك قول من قال
انها اسماء للسور وهو قول الحسن والبلخى والجبائى واكثر المحصلين وروى عن ابن عباس انه قال هى
اختصار من كلام لا يفهمه الا النبى عليه السلم قال الشاعر شعر نادوهم ان الجموا الا تا
قالوا جميعا كلهم الا فا
يريد الا تركبون قالوا فاركبوا وبنى قوله المص على السكون فى الوصل
مع ان قبله ساكنا لان حروف الهجا توصل على نية الوقف لانه يجرى على تفصيل الحروف للفرق بينها
وبين ما وصل للمعانى وكان مجموع الحروف يدل على معنى واحد ومتى سميت رجلا با المص وجبت
الحكاية فان سميته بصاد او قاف لم يجب ذلك لان صاد وقاف لهما نظير فى الاسماء المفردة مثل باب
ناب وناج وليس كذلك المص لانه بمنزلة الجملة وليس له نظير فى المفرد وانما عد الكوفيون المص اية ولم
يعدوا صاد لان المص بمنزلة الجملة مع ان اخره على ثلثة احرف بمنزلة المردف فلما اجتمع هذان السببان
وكل واحد منهما يقتضى عده عدوه ولم يعد والر لان اخره لا يشبه المردف ولم يعد صاد لانه بمنزلة
اسم مفرد وكذلك قاف ونون وانما سميت السورة بالحروف المعجمة ولم تسم بالاسماء المنقولة لتضمنها
معانى اخر مضافة الى التسمية وهو انها فاتحة لما هى فيها وانها فاصلة بينها وبين ما قبلها ولانه يأتى
من التاليف بعدها ما هو معجز مع انه تاليف كتاليفها فهذه المعانى من اسرارها وقيل فى موضع المص
من الاعراب قولان اولهما انه رفع بالابتداء وخبره كتاب او ان يكون على هذه المص فى قول الفراء الثانى
لا موضع له لانه فى موضع جملة على قول ابن عباس كانه قال انا الله اعلم وافصل اختاره الزجاج وقوله
كتاب انزل اليك قيل فى العامل فى قوله كتاب ثلثة اقوال احدها هذا كتاب فحذف لانها حال اشارة
وتنبيه الثانى المص كتاب على انه اسم للسورة وكتاب خبره وقال الفراء فيه بحروف الهجا لانها قبله كانت
قلت الالف واللام والميم والصاد من الحروف المقطعة كتاب انزل اليك مجموعا فنابت المص عن جميع حروف
المعجم كما تقول اب ت ث ثمانية وعشرون حرفا وكذلك تقول قرءت الحمد فصار اسما لفاتحة الكتاب وقوله
فلا يكن فى صدرك حرج يحتمل دخول الفاء وجهين احدهما ان يكون عطفا وتقديره اذا كان انزل اليك لتنذر
به فلا يكن فى صدرك حرج منه فيكون محمولا على معنى اذا وصيغة النهى وان كان متناولا للحرج فالمعنى
به المخاطب نهى عن التبرم للحرج وجاز ذلك لظهور المعنى ان الحرج لا ينتهى وكان مخرج له برده الى نهى المخاطب
ابلغ لما فيه من ان الحرج لو كان مما ينهى له لنهيناه عنك فانته انت عنه بترك التعرض له وقيل فى معنى الحرج
فى الاية ثلثة اقوال قال الحسن معنى الضيق اى لا يضيق صدرك لتشعب الفكر بك خوفا الا تقوم بحقه وانما
انزل اليك لتنذر به الثانى قال ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدى ان معناه الشك ههنا والمعنى لا تشك
فيما يلزمك له فانما انزل اليك لتنذر به الثالث قال الفراء لا يضيق صدرك بان يكذبوك كما قال عز وجل
لعلك باخع نفسك على اثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث اسفا وقوله لتنذر به يعنى لتخوف بالقران وقال الفراء
والزجاج واكثر اهل العلم هو على التقديم والتاخير وتقديره انزل اليك لتنذر به وذكرى للمؤمنين
قال الذكرى مصدر ذكر يذكر تذكيرا فالذكرى اسم للتذكير وفيه مبالغة ومثله الرجعى وقيل فى موضعه
ثلثة اقوال اولها النصب على انزل للانذار وذكرى كما يقول جئتك للاحسان وشوقا اليك الثانى الرفع
بتقدير وهو ذكرى الثالث قال الزجاج يجوز فيه الجر لان المعنى لانتذر وذكرى قال الرمانى عن غيره هذا
ضعيف لانه لا يجوز ان يحمل الجر على التاويل كما لا يجوز مررت بزيد وزيد **قوله** تعالى اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ
إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ اية **اقول** قرء حمزة والكسائى
حفص تذكرون بتخفيف الذال بتاء واحدة الباقون بالتشديد الا ابن عامر فانه قرء يتذكرون
بياء وتاء قال الزجاج التخفيف على حذف التاء الثانية كراهة اجتماع ثلثة احرف متقاربة كما قالوا اسطاع
يستطيع فحذفوا احدى الثلثة المتقاربة دون الاول لان الاول بمعنى الاستقبال لا يجوز حذفها والثانية

يدل عليها تشديد العين ومن قرء بتشديد الذال فاصله تتذكرون فادغم التاء فى الذال لقرب
مخرجهما لان التاء مهموسة والذال مجهورة والمجهورة ازيد صوتا واقوى من المهموس فحسن ادغام
الانقص فى الازيد ولا يسوغ ادغام الازيد فى الانقص الا ترى ان الصاد واختيها لم يدغمن فى مقاربهن
لما فيهن من زيادة الصفير ووجه قراءة ابن عامر بالياء والتاء لانه مخاطبة للنبى عليه السلام اى قليلا ما يتذكرون
هؤلاء الذين ذكروا بهذا الخطاب قوله اتبعوا خطاب من الله للمكلفين وامر منه بان يتبعوا ما انزل
عليهم من القران ويحتمل ان يكون المراد قل لهم يا محمد اتبعوا ما انزل اليكم لانه قال قبل ذلك لتنذر به
وكان الخطاب متوجها اليه والاتباع تصرف الثانى بتصريف الاول وتدبيره بتدبيره فالاول امام والثانى
مؤتم والفرق بين الاتباع والاتباع ان احدهما يتعدى الى مفعول والثانى يتعدى الى مفعولين يقول اتبعت
زيدا واتبعت زيدا عمروا ووجه الاتباع فيما انزل الله يدخل فيه الواجب والندب والمباح لانه يجب ان يعتقد
فى كل جنس ما امر الله به كما يجب ان يعتقد فى الحرام وجوب اجتنابه وقوله ولا تتبعوا من دونه اولياء نهى
من الله ان يتبع من دون الله ويتخذ اولياء واولياء جمع ولى وهو ضد العدو وهو يفيد الاولى ويفيد
الناصر وغير ذلك مما بيناه فيما مضى وقوله قليلا ما تذكرون معناه الا ستبطأ فى التذكر وخرج
مخرج الخبر وفيه معنى الامر ومعناه تذكروا كثيرا ما يلزمكم من امر دينكم وما اوجبه الله عليكم واخبارهم
قليلا ما يتذكرون وما زايدة وتذكر معناه اخذ فى التذكر شيئا بعد شئ مثل تفقه وتعلم ويقال
تقيس اذا انتمى الى قيس ولم يكن منهم لانه يدخل نفسه منهم شيئا بعد شئ **قوله** تعالى وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ
أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ اية بلا خلاف **اقول** كم لفظة موضوعة للتكثير ورب
للتقليل وانما كان كذلك لان رب حرف وكم اسم والتقليل ضرب من النفى وكم يدخل فى الخبر بمعنى
التكثير فاما فى الاستفهام فلا لان الاستفهام موكول الى بيان المجيب والخبر الى بيان المخبر وانما دخلها
التكثير لان استبهام العدد ان يظهر او يضبط انما يكون لكثرته غالب الامر فكم مبهمة قال الفرزدق
كم عمة لك يا جرير وخالة فدعاء قد حلبت على عشارى
فدل بكم على كثرة العمات وموضع كم فى الاية رفع بالابتداء وخبرها اهلكناها ولو جعلت فى موضع نصب
جاز كقوله انا كل شئ خلقناه بقدر والاول اجود اخبر الله تعالى على وجه الترهيب للكفار والايعاد
لهم انه اهلك كثيرا من القرى يعنى اهلها بما ارتكبوه من معاصيه والكفر به وانه انزل عليهم باسه يعنى عذابه
بياتا يعنى فى الليل او هم قائلون يعنى فى وقت القيلولة وهو نصف النهار واصله الراحة فمعنى اقلته البيع
اوحته منه باعفائى اياه من عقده وقلت اذا استرحت الى النوم فى وسط القائلة والاخذ بالشدة فى
وقت الراحة اعظم فى العقوبة فلذلك خص الوقتين بالذكر وقيل فى دخول الفاء فى قوله فجاءها باسنا
بياتا ثلثة اقوال احدها اهلكناها فى حكمنا فجاءها باسنا وقد قيل هو مثل زرنى واكرمنى فان نفس
الاكرام هى الزيارة قال الرمانى وليس هذا مثل ذلك لان هذا انما جاز لانه قصد الزيارة ثم الاكرام بها
وقال قوم اهلكناها معناه اهلكناها فجاءها باسنا اى فكان صفة اهلاكنا ان جاءهم باسنا الثالث
اهلكناها فصح انه جاءها باسنا وقال الفراء بمعنى الواو وقال الرمانى هذا لا يجوز لانه نقل للحرف عن معناه
بغير دليل وقال بعضهم ان المعنى اهلكناها بخذلاننا لهم عن الطاعة فجاءها باسنا عقوبة على المعصية
وهذا لا يجوز لانه ليس من صفة الحكيم ان يمنع من طاعته حتى يقع المعصية ثم يعاقب عليها وقوله او هم
قائلون قال الفراء او الحال مقدرة فيه وتقديره او وهم قائلون وانما حذفت استخفافا وقال الزجاج
وجميع البصريين ما يحتاج الى ذلك لانه يستغنى برجوع الذكر عن الواو كما قال جاء فى زيد راجلا او هو
فارس او جاء فى زيد هو فارس لم يحتج الى واو لان الذكر قد عاد على الاول فمعنى الاية ان الله اهلك
اهل قريات كثيرة بتمردهم فى المعاصى وحذر من ان يعمل مثل عملهم فينزل بالعامل مثل ما نزل بهم
قوله تعالى فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ اية بلا خلاف **اقول**

اخبر الله تعالى انه لم يكن دعاء هؤلاء الذين اهلكهم عقوبة على معاصيهم وكفرهم فى الوقت الذى جاءهم
بأسنا من الله وهو شدة عذابه ومنه البؤس شدة الكفر والبئس الشجاع لشدة باسه وبئس من شدة
الفساد الذى يوجب الذم الا قولهم انا كنا ظالمين يعنى اعترافهم بذلك على نفوسهم واقرارهم به
كان هذا القول منهم عند معاينة الباس والبقين بانه نازل بهم ويجوز ان يكون قالوه حين لا ايمانهم
طرف منه لم يملكوا منه ودعواهم خبر كان واسمه ان قالوا وهو بمعنى قولهم وهما معرفتان يجوز ان
يجعل كل واحد منهما اسما والاخر خبرا كما قال ما كان حجتهم الا ان قالوا بالرفع والنصب وانما قدم
الخبر على الاسم لان الثانى وقع موقع الايجاب والاول موقع النفى والنفى احق بالخبر والدعوى والدعاء
واحد وفرق قوم بينهما بان فى الدعوى اشتراكا بين الدعاء والادعاء كادعاء المال وغيره واصله الطلب
قال الشاعر شعر

ولا تجدوا عواها كثير ضجيجه ... اى دعاؤها ويجوز ان يقال

اللهم اشركنا فى دعوى المسلمين يريد دعاء المسلمين حكاه سيبويه قال الشاعر شعر

وان مذلت رجلى دعوتك اشتفى ... بدعواك من مذل بها فيهون

معنى مذلت اى خدرت **قوله** تعالى فَلَنَسْئَلَنَّ الَّذِينَ اُرْسِلَ اِلَيْهِمْ وَلَنَسْئَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ
فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ اٰيتان بلا خلاف **اقول** الفاء فى قوله فلنسئلن الذين فا
عطف بجملة على جملة وقد يكون لهذا وقد يكون لعطف مفرد على مفرد وقد يكون للجواب وانما دخلت
الفاء وهى موجبة للتعقيب مع تراخى ما بين الاول والثانى وذلك يليق بثم لتقريب ما بينهما كما قال
اقتربت الساعة وقال وما امر الساعة الا كلمح البصر او هو اقرب وقال اولم ير الانسان انا خلقناه
من نطفة فاذا هو خصيم وبينهما بعد والنون فى قوله فلنسئلن نون التاكيد يتلقى بها القسم وانما بنى
المضارع مع نون التاكيد لانه لما دخلت عليه طلبا للتصديق كما ان الامر طلب للفعل فادخلت عليه
نون التاكيد ويثبت مع الفعل لان هذه الزيادة التى لا يكون للاسم باعلته كما باعدته الالف واللام
ما لا ينصرف من الفعل فانصرف اقسم الله تعالى فى هذه الاية انه يسئل المكلفين الذين ارسل اليهم
رسله واقسم ايضا انه ليسئل الصادقين المرسلين الذين بعثهم فيسئل هؤلاء عن الابلاغ ويسئل اولئك عن
الامتثال وهو تعالى وان كان عالما بما كان منهم فانما اخرجه مخرج التهديد والزجر ليتاهب العباد بحسن
الاستعداد لذلك السؤال وحقيقة السؤال طلب الجواب باداته فى الكلام وحقيقة الاستخبار طلب
الخبر باداته فى الكلام وقوله فلنقصن عليهم بعلم قسم اخر واخبار منه تعالى انه نقص عليهم بما عملوه فانه
علم جميع ذلك وانما ذكره بنون الجمع لاحد امرين احدهما ان هذا على كلام العظماء من الملوك لان
افعالهم يضاف الى اوليائهم والثانى ان الملائكة تقص عليهم بامر الله وقال ابن عباس نقص عليه بما نجد
فى كتاب عمله وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله يسئل كل احد بكلامه له ليس بينه وبينه ترجمان والقص
ما يتلو بعضه بعضا ومنه المقص لان قطعه يتلو ابعضه بعضا ومنه القصة من الشعر والقصة من الكتاب
ومنه القصاص لانه يتلو الجناية فى الاستحقاق ومنه المقاصة فى الحق لانه يسقط ما له قصاصا بما
عليه وانما دخلت نون التاكيد مع لام القسم فى المضارع دون الماضى لانها تؤذن بطلب الفعل الذى
يدخل فيه نحو لاكرمن زيدا فان فيه طلب الاكرام بارادته فالتصديق بالقسم ولهذا لزمت النون اذا فى طلب
الفعل من جهتين وفتحت هذه النون ما قبلها فى جميع المتكلم ولم تفتحه فى الغائب لان الضمة يجب ان يبقى
ليدل على الواو المحذوفة فى ليقصن بالياء وليس كذلك المتكلم لانه لا واو فيه ومعنى قوله بعلم قيل فيه
وجهان احدهما بانا عالمون والاخر بمعلوم كما قال ولا يحيطون بشئ من علمه اى من معلومه ووجه المسئلة
له والقصص عليهم انه سؤال توبيخ وتقريع للضالين وسؤال تذكير وتنبيه للمؤمنين فيعتقد ما يتم
اولئك ويسر هؤلاء ثم يسئل الرسل لان من الامم من يجحد فيقول ما جاءنا من بشير ولا نذير ومنهم من يقول
والله ربنا ما كنا مشركين فان قيل كيف يجمع بين قوله ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون وقوله فلنسئلن

الذين ارسل اليهم قلنا فيه قولان احدهما انه نفى ان يسئلهم سؤال استرشاد واستعلام وانما يسئلهم
سؤال توبيخ وتبكيت الثانى ينقطع المسئلة عند حصولهم فى العقوبة كما قال فيومئذ لا يسئل عن ذنبه انس
ولا جان وقال فى موضع اخر وقفوهم انهم مسئولون والوجه ما قلناه انه يسئلهم سؤال توبيخ قبل دخولهم
فى النار فاذا دخلوها انقطع سؤالهم والسؤال فى اللغة على اربعة اقسام احدها سؤال استرشاد
استعلام كقولك اين زيد ومن عندك وهذا لا يجوز عليه تعالى الثانى سؤال توبيخ وتقريع وهو خبر
فى المعنى كقولك الم احسن اليك فكفرت نعمتى الم اعطك فجحدت عطيتى ومنه قوله تعالى الم اعهد اليكم
وقوله الم ياتكم رسل وقوله الم تكن اياتى تتلى عليكم وقال الشاعر شعر

الستم خير من ركب المطايا ... واندى العالمين بطون راح

ولو كان سائلا لما كان مادحا وقال العجاج شعر اطربا وانت قنسرى

معنى قنسرى كبير السن وهذا توبيخ لنفسه اى كيف اطرب مع الكبر والشيب الثالث سؤال التحضيض ومنه
معنى الا كقولك هلا تقوم والا تضرب زيدا اى قم واضرب زيدا والرابع سؤال تقرير بالعجز والجهل
كقولك للرجل هل تعلم الغيب وهل تعرف ما يكون غدا وهل تقدر ان تمشى على الماء وكما قال
الشاعر شعر

وهل يصلح العطار ما افسد الدهر ... والمعنى ليس يصلح العطار

ما افسد الدهر فاذا ثبت ذلك فقوله فيومئذ لا يسئل عن ذنبه انس ولا جان وقوله ولا يسئل عن
ذنوبهم المجرمون المراد به لا يسئلون سؤال استعلام واستخبار ليعلم ذلك من قولهم لانه تعالى عالم
باعمالهم قبل خلقهم واما قوله فلنسئلن الذين ارسل اليهم ولنسئلن المرسلين وقوله فوربك لنسئلنهم
اجمعين عما كانوا يعملون فهو مسئلة توبيخ وتقريع كقوله الم اعهد اليكم وسؤاله للمرسلين ليس بتوبيخ
ولا تقريع لكنه توبيخ للكفار وتقريع لهم ايضا واما قوله فلا انساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون فمعناه
سؤال تواصل وتعاطف واستخبار عن الحال التى جهلها بعضهم لتشاغلهم عن ذلك كما قال لكل امرئ منهم يومئذ
شان يغنيه وقوله واقبل بعضهم على بعض يتساءلون فهو سؤال توبيخ وتقريع وتلاوم كما قال واقبل
بعضهم على بعض يتساءلون وكقوله انحن صددناكم عن الهدى بعد اذ جاءكم وقوله ربنا من قدم لنا
هذا فزده عذابا ضعفا فى النار وهذا كثير فى القرآن وليس فى شئ من ذلك تضاد بين المسئلتين ولا
تناف بين الخبرين بل اثبات لسؤال عن شئ ونفى لسؤال عن شئ اخر ومثله قول الشاعر شعر

فاصبحت والليل لى ملبس ... واصبحت الارض بحرا طما

فقوله واصبحت والليل لى ملبس لم يرد به اصبح لانه لو اراد لنقضه بقوله والليل لى ملبس وانما اراد
اصبحت بمعنى اشعلت المصباح وهو السراج اى اسرجت فى ظلمة الليل فلم يكن خبراه متضادين
قوله وما كنا غائبين فالغائب البعيد عن حضرة الشئ ومعناه فى الاية انه لا يخفى عليه شئ وذلك يدل
على انه ليس بجسم لانه لو كان جسما على العرش على ما يذهب اليه المجسمة لكان غائبا عما فى الارضين
السفلى لان من كان دون هذا بكثير فهو غائب عنا **قوله** تعالى وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ
مَوَازِينُهُ فَاُولٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَاُولٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا اَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِاٰيَاتِنَا
يَظْلِمُونَ اٰية واحدة بلا خلاف **اقول** ارتفع قوله والوزن بالابتداء وخبره الحق وهو الوجه المختار وقال
الفراء يجوز ان يكون خبره يومئذ وينصب الحق على المصدر وتقديره والوزن يومئذ يعنى فى يوم القيمة
حقا فينصب الحق وان كان فيه الالف واللام كما قال فالحق والحق اقول والوزن فى اللغة هو مقابلة احد
الشيئين بالاخر حتى يظهر مقداره وقد استعمل فى غير ذلك تشبيها به منها وزن الشعر بالعروض ومنها
قولهم فلان يزن كلامه وزنا قال الاخطل شعر

واذا وضعت اباك فى ميزانهم ... رجحوا وشال ابوك فى الميزان

وقيل فى معنى الوزن فى الاية اربعة اقوال قال الحسن هو ميزان له
لها كفتان فالحسنات والسيئات توضعان فيهما وتوزنان ثم اختلفوا فقال بعضهم انما يوضع صحائف الاعمال

فوزن وهو قول عبد الله بن عمر وقال ابو علي انما تتفضل كفة الحسنات من كفة السيئات بعلامة يراها الناس يومئذ وذهب عبيد بن عمير الى انه يوزن الانسان فيؤتى بالرجل العظيم الجثة فلا يزن جناح بعوضة وقال مجاهد الوزن عبارة عن العدل في الاخرة وانه لا ظلم فيها على احد وهو قول البلخي وهو احسن الوجوه وبعده قول الجبائي ووجه حسن ذلك وان كان الله تعالى عالما بمقادير المستحقات فيما فيه من المصلحة في دار التكليف وحصول الترهيب والتخويف وقوله يومئذ يجوز في يومئذ الاعراب والبناء لان اضافته الى مبني اضافة غير محضة تقربه من الاسماء المركبة واضافته الى الجملة تقربه من الاضافة الحقيقية ونون يومئذ لانه قد قطع عن الاضافة اذ من شان التنوين ان يعاقبها وقد قطع اذ في هذا الموضع عنها والحق وضع الشئ موضعه على وجه يقتضيه الحكمة وقد استعمل مصدرا على هذا المعنى وصفة تجاري ذلك في العدل قال الله تعالى ذلك بان الله هو الحق فجرى على طريق الوصف وقوله فمن ثقلت موازينه فالثقل عبارة عن الاعتماد اللازم سفلا ونقيضه الخفة وهي اعتماد لازم علوا ومثلت الاعمال بما له مقدار المقارنة والمعنى ان من كانت طاعاته اكثر فهو من الفائزين بثواب الله ومن قلت طاعاته فاولئك الذين خسروا انفسهم بان استحقوا عذاب الابد جزاء على ما كانوا يظلمون انفسهم بجحود اياتنا وجحدنا وقوله الموازين جمع ميزان واصله الواو وقلبت ياء لسكونها وانكسار ما قبلها ولم يقلب في خوان لتحركها وانما المميز على فعل لها والخسران ذهاب راس المال ومن اعظم راس المال النفس فاذا اهلك نفسه بسوء عمله فقد خسر نفسه وظلمهم بايات الله مثل كفرهم بها وجحدهم اياها **قوله** تعالى وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ اية بلا خلاف **اقول** روى خارجة عن نافع همز معايش وروي ذلك عن الاعمش وعبد الرحمن الاعرج الباقون غير مهموز وعند جميع النحويين ان معايش لا يهمز ومتى همز كان لحنا لان الياء فيها اصلية لانه من عاش يعيش ولم يعرض فيها علة كما عرض في رسائل وهي في مدينة زائدة علة لا يدخلها الحركة كما لا تدخل الالف ومثله مسيلة ومسايل ومنارة ومناور ومقام ومقاوم قال الشاعر **شعر**

واني لقوام مقاوم لم يكن
جرير ولا مولى جرير يقومها

ووزنه مفعلة مثل مشورة ومشاور ومن همزها اعتقدها فعيلة على وزن صحيفة فجمعها على فعائل مثل صحائف وذلك غلط لان الياء اصلها لقولهم عاش يعيش عيشا ومعيشة قال ابو علي من همز مدائن لم يجعله مفعلة ولكنه فعيلة بدلالة قولهم مدن ولا يجوز ان يكون مفعلة من دان يدين ومن اخذه من ذلك قال في الجمع مداين بتصحيح الياء ولم تعتل معيشة لانه على وزن يعيش وزيادة التي تختص الاسم دون الفعل فلم يحتج الى الفصل بين الاسم والفعل كما احتيج اليه فيما كان زيادته مشتركة نحو الهمزة في اجاد وهو من اجود منك وموافقة الاسم لبناء الفعل توجب في الاسم الاعتلال الا ترى انهم اعلوا بابا ودارا لما كانا على وزن الفعل وصححوا نحو حول وغيبة ولو مثلها لم يكن على مثال الفعل فمعيشة موافقة للفعل في البناء مثل يعيش في الزنة وتكسيرها يزيل مشابهتها في البناء فقد علمت بذلك زوال المعنى الموجب للاعلال في الواحد في الجمع فلزم التصحيح في التكسير لزوال المشابهة في اللفظ لان التكسير معنى لا يكون في الفعل وانما يختص الاسم فاذا زالت مشابهة الفعل وجب تصحيحه ومن همز مصائب فانه غلط كما غلط من همز معائش ومثله جاء في جمع مسيل امسلة جاء ذلك في الشعر لبني هذيل فتوهموه فعيلة وانما هو مفعلة وحكى يعقوب مسيل ومسيل فالميم على هذا فاء ومسيل فعيل وعلى الاول مفعل من سال قال الزجاج من همز مصائب جعل الهمزة بدلا من الواو كما قالوا اقتت في وقتت وهذا ان فعلوا في اول الكلام فقد قالوا في ادوراد ادور فهمزوه فجاز على هذا ان يكونوا حملوا المكسورة على المضمومة ويقال عاش فلان بمعنى حيي وطيب العيش طيب الحياة فلهذا كانت المعيشة مضمنة بالحيوة وحدا المعيشة الرماني بانها وصلة من جهة مكسب المطعم والمشرب والملبس الى ما فيه الحيوة اخبر الله تعالى على وجه الامتنان على خلقه باصناف نعمه انه مكن عباده في الارض بمعنى مكنهم

من التصرف فيها والتمكين اعطاء ما يصح معه الفعل مع ارتفاع المنع لان الفعل كما يحتاج الى القدرة فقد يحتاج الى الة والى دلالة والى سبب كما يحتاج الى رفع المنع فالتمكين عبارة عن حصول جميع ذلك والارض هذه الارض المعروفة وهي في الاصل عبارة عن قرار يمكن ان يتصرف عليه الحيوان فعلى هذا لو خلق مثلها لكانت ارضا حقيقة وقوله وجعلنا لكم فيها معايش فالجعل وجود ما به يكون الشئ على خلاف ما كان مثل ان يقول جعلت الساكن متحركا لانك فعلت فيه الحركة ونظيره التصيير والعمل وجعل الشئ اعم من حدوثه لانه قد يكون بحدوث غيره مما يتغير به وقوله قليلا ما تشكرون نصب قليلا بتشكرون وتقديره تشكرون قليلا وما زائدة ويحتمل ان يكون معها بعدها بمنزلة المصدر وتقديره قليلا شكركم والشكر هو الاعتراف بالنعمة مع ضرب من التعظيم والحمد مثله وقيل الفرق بينهما ان كل شكر حمد وليس كل حمد شكرا لان الانسان يحمد على احسانه الى نفسه ولا يشكر عليه كما انه يذم على اساءته الى نفسه ولا يجوز ان يكفره من اجل اساءته الى نفسه **قوله** تعالى وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ اية بلا خلاف **اقول** هذا خطاب من الله تعالى لخلقه بانه خلقهم والخلق هو احداث الشئ على تقدير يقتضيه الحكمة لا زيادة على ما يقتضيه فيخرج الى الاسراف ولا ناقص عنه فيخرج الى الاقتار وقد استوفينا اختلاف القول والصورة بنية مقومة على هيئة ظاهرة وقوله ثم قلنا للملئكة اسجدوا لادم فالسجود هو وضع الجبهة على الارض واصله الانخفاض من قول الشاعر شعر ترى الاكم فيها سجدا للحوافر وقيل في معنى السجود لادم قولان احدهما انه كان تكرمة لادم عبادة لله لان عبادة غير الله قبيحة لا يامر الله بها وعند اصحابنا كان ذلك دلالة على تفضيل ادم على الملئكة على ما بيناه في سورة البقرة وقال ابو علي الجبائي امروا ان يجعلوه قبلة وانكر ذلك ابو بكر بن احمد بن علي الاخشيد بان قال هو تكرمة لان الله تعالى امتن به على عباده وذكرهم بالنعمة فيه فان قيل كيف قال ثم قلنا للملئكة مع ان القول للملئكة كان قبل خلقنا وتصويرنا قلنا من ذلك ثلثة اجوبة احدها قال الحسن وابو علي الجبائي المراد به خلقنا اباكم ثم صورنا اباكم ثم قلنا للملئكة وهذا كما يذكر المخاطب ويراد به اسلافه وذكرنا لذلك نظائر فيما مضى منها قوله واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور اي ميثاق اسلافكم قال الزجاج المعنى ابتدانا خلقكم بان خلقنا ادم ثم صورناه ثم قلنا الثاني قال ابن عباس ومجاهد والربيع وقتادة والضحاك والسدي ان المعنى خلقنا ادم ثم صورناكم في ظهره ثم قلنا للملئكة الثالث خلقناكم ثم صورناكم ثم انا نخبركم انا قلنا للملئكة كما تقول اني راحل ثم اني معجل وقال الاخفش ثم ههنا بمعنى الواو كما قال ثم الله شهيد على ما تعملون ومثله قوله ثم كان من الذين امنوا على قول بعض المتاخرين معناه وكان من الذين امنوا ومثله واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه على بعض الاقوال معناه وتوبوا اليه قال الزجاج هذا خطاء عند جميع النحويين وقول الشاعر **شعر** سألت ربيعة من خيرها

ابا ثم اما فقالوا لمه

معناه ابا وامال الى تجيب اولا عن الاب ثم الام وقال بعضهم معناه خلقناكم في ظهور ابائكم ثم صورناكم في بطون امهاتكم وقال قوم في الاية تقديم وتاخير وتقديره خلقناكم يعني خلقنا اباكم اي قدرناكم ثم قلنا للملئكة اسجدوا ثم صورناكم **قوله** تعالى قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ اية بلا خلاف **اقول** هذا حكاية لما كان من خطاب الله لابليس حين امتنع من السجود لادم انه قال له ما منعك بمعنى اي شئ منعك ان لا تسجد وفيه ثلثة اقوال احدها ان يكون لا صلة مؤكدة كما قال لئلا يعلم اهل الكتاب معناه ليعلم وكقوله لا اقسم بيوم القيمة وكقوله فلا اقسم بمواقع النجوم وكما قال الشاعر **شعر**

ابى جوده لا البخل واستعجلت به
نعم من فتى لا يمنع الجود قاتله

معناه ابى جوده البخل وروى ابو عمرو بن العلا ابى جوده لا البخل بالجر كانه قال ابى جوده كلمة البخل

ررواه كذا عن العرب وقال الزجاج فيه وجه ثالث لا الخل على النصب بدلا من لا كانه قال ابى جوده
ان يقول لا فقال نعم وهى حكاية فى كل هذا الثانى انه دخله معنى ما دعاك ان لا تسجد الثالث معنى
ما الحال ان لا تسجد واو ما احوجك وقال الفرأ لما تقدم الحجد فى اول الكلام اكد بهذا كما قال
الشاعر ما ان راينا مثلهن لمعشر سود
الرؤس فوالج وفيول فما
للنفى وان للنفى فجمع بينهما تاكيدا فان قيل كيف قال ما منعك ولم يكن ممنوعا قلنا لان الصارف
عن الشئ بمنزلة المانع منه كما ان الداعى اليه بمنزلة الحامل عليه وقوله انا خير منه خلقتنى من نار
وخلقته من طين حكاية لجواب ابليس حين ذمه تعالى على الامتناع من السجود فاجاب بما قال و
هذا الجواب غير مطابق لانه كان يجب ان يقول القائل كيف كنت فيقول انا صالح وكان يجب ان
يقول كنت صالحا جاز ذلك لانه افاد انه صالح فى الحال مع ما كان صالحا فيما مضى وجه دخول الشبهة
عليه فى انه خلقه من نار وخلق ادم من طين انه ظن ان النار اذا كانت اشرف لم يجز ان يسجد الاشرف
للادون وهذا خطاء لان ذلك تابع لما يعلم الله من مصالح العباد وما يتعلق به من اللطف لهم و
لم يكن ذلك تابع لما يعلم الله استخفافا بهم بالاعمال وقد قال الجبائى ان الطين خير من النار لانها
اكثر منافع للخلق من حيث ان الارض مستقر الخلق وفيها معاشهم ومنها يخرج انواع ارزاقهم لا الخيرية
فى الارض او النار انما يراد بهما كثرة المنافع دون كثرة الثواب لان الثواب لا يكون الا للمكلف المامور
وهذان جادان وعلى ما يذهب اليه اصحابنا ان ذلك يدل على تفضيل ادم على الملئكة كان ذلك
مستحقا فلذلك اسجد الله الملئكة له فان قيل لم اعترض ابليس على الله مع علمه انه لا يفعل الا الحكمة
قلنا عنه جوابان احدهما انه اعترض كما يعترض السفيه على الحليم فى تدبيره من غير فكر فى العاقبة و
الثانى ان يكون جهل هذا بشبهة دخلت عليه وعلى ما يذهب اليه من انه لم يكن عرف الله قط سقط
الشبهة واستدل ايضا بهذه الاية على ان الجواهر متماثلة بان قيل لا شئ ابعد الى الحيوان من الجماد
فاذا جاز ان ينقلب الطين حيوانا وانما جاز ان ينقلب الى كل حال من احوال الجواهر لانه لا فرق
بينهما فى العقل واستدل ايضا بهذه الاية على ان الامر من الله يقتضى الايجاب بان الله تعالى ذم ابليس
على امتناعه من السجود حين امره فلو كان الامر يقتضى الندب لما استحق العيب بالمخالفة وترك الامتثال
والامر بخلاف ذلك فى الاية **قوله** تعالى قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ اَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ اِنَّكَ مِنَ
الصَّاغِرِينَ اية **اقول** قوله قال فاهبط منها حكاية لقول الله تعالى لابليس وامره اياه ان يهبط منها
وما بعد القول وان كان استئنافا والفاء لا يستانف بهما انما يكون كذلك لان ما قيل له بعد جوابه
الذى اجاب به فهو حكاية ما كان من الكلام له الثانى بعد الاول والهبوط والنزول واحد وفرق بينهما
بان النزول يقتضى منزلة بعد منزلة وليس كذلك الهبوط لانه كالانحدار فى المرور الحجمة السفل وكانه
الانحدار دفعة واحدة كما قال الشاعر **شعر**

كل بنى حرة مصيرهم
قل وان اكثروا من العدد ان يغبطوا يهبطوا وان امروا يوما فهم للفناء والفند

وقيل فى الضمير الذى
فى قوله منها قولان احدهما قال الحسن انه كناية عن السماء لانه كان فى السماء فاهبط منها الثانى قال ابو
على كناية عن الجنة فان قيل من اين علم ابليس ان الله تعالى قال له هذا القول قلنا عنه جوابان احدهما
قال ابو على انه قال له على لسان بعض الملئكة الثانى انه راى معجزة تدل له على ذلك وقوله فما يكون لك
ان تتكبر فيها معناه ليس لك ان تتكبر فيها والتكبر اظهار كبر النفس على جميع الاشياء فهو فى صفة العباد
ذم وفى صفة الله مدح كما قال تعالى الجبار المتكبر فالجبار القاهر لجميع الاشياء والمتكبر الدال على انه
اكبر من جميع الاشياء وقوله فاخرج انك من الصاغرين امر من الله لابليس بالخروج لانه من الصاغرين و
الصاغر هو الذليل بصغر القدر وصغر يصغر صغرا وصغارا وتصاغرت اليه نفسه ذلا ومهانة واصل
الصغر **قوله** تعالى قَالَ اَنْظِرْنِى اِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ قَالَ اِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ايتان **اقول** فى الاية الاولى

منعى كذا
لان قوله انا خير منه
جواب لمن يقول ايكما
خير ولكن فيه معنى الجواب
ويجرى ذلك مجرى
ان يقول

حكاية عن ابليس انه سال الله تعالى ان ينظره والانظار الامهال الى مدة فيها النظر فى الامر طال
ام قصر والانظار والامهال والتاخير والتاجيل نظائر فى اللغة وبينها فرق وضد الامهال الاعجال
واصل الانظار المقابلة وهى المناظرة والجبلان يتناظران اى يتقابلان ونظر اليه بعينه اى قابله
لينظر اليه ونظر اليه بيده ليظهر له حاله فى اللين والخشونة والحرارة او البرودة وقوله الى يوم يبعثون
مدة للانظار الذى طلبه والبعث الاطلاق فى الامر والانبعاث الانطلاق والبعث والحشر والنشر
والجمع نظائر ويجوز فى يوم يبعثون ثلثة اوجه من العربية بالجر وترك التنوين على الاضافة وترك التنوين
على الصفة والفتح وترك التنوين على البناء وليس بالوجه لان الفعل معرب والوجه فى مسئلة ابليس
الانظار مع علمه انه مطرود ملعون مسخوط عليه علمه ان الله يتظاهر الى عباده بالاحسان ويعمهم بفضله
وانعامه فلم يصرف ارتكابه المعصية واصراره على الخطيئة عن المسئلة طامعا فى الاجابة وعن انس من بلوغ
المحبة وقيل فى قوله قال انك من المنظرين هل فيه اجابة الى ما التمسه ام لا فقال السدى طامعا فى الاجابة
وغيره انه لم يجبه الى يوم يبعثون لانه يوم القيمة وهو يوم بعث لا يوم موت ولكن انظر الى يوم الوقت المعلوم
كما ذكره فى سورة اخرى فى صورة ص ويقوى ذلك قوله انك من المنظرين وليس لاحد ينظر احد
الى يوم القيمة على هذا المعنى الثانى انه سال تاخير الجزاء بالعقوبة الى يوم يبعثون لما خاف من تعجيل
العقوبة فانظر على هذا وقال قوم انظر الى يوم القيمة والا قوى الوجه الثانى لانه لا يجوز ان يعلم الله
احدا من المكلفين الذين ليسوا بمعصومين انه يبقيهم الى وقت معين لان فى ذلك اغراء له بالقبيح
من حيث انه يعلم انه باق الى ذلك الوقت فيرتكب القبيح فاذا قارب الوقت جدد التوبة فتسقط عنه
العقاب وهل يجوز اجابة دعاء الكافر ام لا فيه خلاف فذهب ابو على الى انه لا يجوز لما فى ذلك من التعظيم و
التبجيل لمجاب الدعوة فى مجرى العادة الا ترى انه اذا قيل فلان مجاب الدعوة دل ذلك على انه صالح
المؤمنين واجاز ذلك ابو بكر بن الاخشيد على وجه الاستصلاح ويقول انه يتفضل بحسب الوجه الذى يقع
عليه وكسرت ان لانها حكاية بعد القول وهى تكسر فى هذا الموضع وفى الابتداء بها واذا كان فى خبرها
لام التاكيد وانما عملت ان لشبهها بالفعل الماضى من حيث كانت على ثلثة احرف مفتوحة الاخر فهى
بمنزلة كان الا انه خولف بعملها لانها حرف **قوله** تعالى قَالَ فَبِمَا اَغْوَيْتَنِى لَاَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ
الْمُسْتَقِيمَ ثُمَّ لَاٰتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ اَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ اَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ اَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ
ايتان بلا خلاف **اقول** قوله قال فبما حكاية عن قول ابليس لما لعنه الله وطرده وحكى سؤاله الانظار
واجابه الله تعالى الى شئ منه قال حينئذ فبما اغويتنى اى فبالذى اغويتنى وقيل فى معنى هذه الباء
ثلثة اقوال احدها انى مع اغوائك اياى كما تقول بقيامك تناول هذا اى مع قيامك الثانى ان معناها
اللام والتقدير فلاغوائك اياى الثالث انما بمعنى القسم كقولك بالله لافعلن وقيل فى معنى اغويتنى
ثلثة اقوال احدها قال ابو على والبلخى معناه بما خيبتنى من جنتك كما قال الشاعر **شعر**

فمن يلق خيرا يحمد الناس امره
ومن يغو لا يعدم على الغى لائما

اى من يخب وقال قوم يجوز ان يكون اراد انك امتحنتنى بالسجود لادم فغويت عنده فقال اغويتنى كما
قال فزادتهم رجسا الى رجسهم الثانى قال ابن عباس وابن زيد معناه حكمت بغوايتى كقولك اضللتنى
اى حكمت بضلالى الثالث اغويتنى بمعنى اهلكتنى بلعنك اياى كما قال الشاعر يصف فرسا **شعر**

معطفة الاثناء ليس فصيلها
برازئها درا ولا ميت غوى

اى ولا ميت هلاكا بالقعود عن شرب اللبن ومنه قوله فسوف يلقون غيا اى هلاكا ويقولون غوى
الفصيل اذا انفذ اللبن فمات والمصدر غوى مقصورا وقوله لاقعدن لهم جواب القسم والقسم محذوف
لان غرضه بالكلام التاكيد وهو ضد قوله ص والقران ذى الذكر فانه حذف الجواب وهى القسم
لان الغرض تعظيم المقسم به وقعوده على الصراط معناه انه يقعد على طريق الحق ليصد عنه بالاغواء

حتى يصرفه الى طريق الباطل اعداوةً له وكيدا وقوله صراطك المستقيم قيل فى نصب صراطك انه
نصب على الحذف دون الظرف وتقديره على صراطك كما قيل ضرب زيد الظهر والبطن اى على الظهر والبطن
قال الشاعر لدن بهزّ الكفّ يعسل متنه فيه كما عسل الطريق الثعلب
وقال اخر كانى اذا اسعى لاظفر طايرا مع النجم فى جو السماء يصوّب
اى لاظفر على طاير واغواء الله تعالى لابليس لم يكن سببا لضلاله لانه تعالى علم انه لو لم يغوه لوقع
منه مثل الضلال الذى وقع او اعظم فاما قول من قال انه لو كان ما يفعل به الايمان هو ما يفعل
به الكفر لكان قوله بما اغويتنى وبما اصلحتنى بمعنى واحد فكلام غير صحيح لان صفة الالة التى يقع
بها الايمان خلاف صفتها اذا وقع بها الكفر وان كانت واحدة كالسيف ولا يجب من ذلك ان يكون
صفتها واحدة من اجل انها واحدة بل لا يمتنع انه متى استعمل الة الايمان فى الضلال سمى اغواء وان
استعملها فى الايمان سمى هداية وان كان ما يصح به الايمان والكفر والضلال واحدا وقوله ثم
لاتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم قيل فى معناه ثلثة اقوال احدها
قال ابن عباس وقتاده وابرهيم بن الحكم والسدى وابن جريج من قبل دنياهم واخرتهم ومن جهة حسناتهم
وسيئاتهم الثانى قال مجاهد من حيث يبصرون ومن حيث لا يبصرون الثالث قال البلخى وابو على
من كل جهة يمكن الاحتيال عليهم بها وقال ابن عباس ولم يقل من فوقهم لان رحمة الله تنزل عليهم من
فوقهم ولم يقل من تحت ارجلهم لان الاتيان منه موحش وقال ابو جعفر عليه السلم ثم لاتينهم من بين ايديهم
معناه اهوّن عليهم امر الاخرة ومن خلفهم امرهم بجمع الاموال والبخل بها عن الحقوق لتبقى لورثتهم
وعن ايمانهم وافسد عليهم امر دينهم بتزيين الضلالة وتحسين الشبهة وعن شمائلهم بتحبيب اللذات
اليهم وتغليب الشهوات على قلوبهم وقال الزجاج من بين ايديهم معناه اغويهم حتى يكذّبوا بالبعث
والنشور ومن خلفهم حتى تجحد واما كان من اخبار الامم الماضية والانبياء السالفة وانما دخلت من فى
الخلف والقدام وعن فى اليمين والشمال لان فى القدام والخلف معنى طلب النهاية وفى اليمين والشمال الانحراف عن الجهة ودخول ثم فى اول الكلام لاحد امرين احدهما
بيان ان هذا المعنى يكون بعد القعود فى طريقهم وقوله ولا تجد اكثرهم شاكرين اخبار من ابليس
ان الله لا يجد اكثر خلقه شاكرين وقيل يمكن ان يكون علم ذلك من احد وجهين احدهما قال ابو على انه
علمه من جهة الملئكة باخبار الله تعالى اياهم الثانى قال الحسن يجوز ان يكون اخبر عن ظنه فلذلك كما قال
تعالى ولقد صدّق عليهم ابليس ظنه لانه لما اغوى ادم فاستزله قال ذريته هذا اضعف منه وظن انهم
سيجيبونه ويتابعونه قوله تعالى قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْؤُمًا مَدْحُورًا لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَاَمْلَاَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ
اَجْمَعِيْنَ اية بلا خلاف اقول حكى عن عاصم فى الشواذ لمن تبعك بكسر اللام ويكون خبره محذوفا وتقديره
لمن تبعك النار وليس بمعروف هذا خبر من الله تعالى انه اخرج منها يعنى من الجنة مذؤما قال ابن عباس
معناه معيبا وقال ابن زيد مذموما يقال ذأمه يذأمه ذأما وذامه يذيمه ذيما وذاما وقيل الذأم
والذيم اشد العيب ومثله اللوم قال الشاعر شعر صحبتك اذ عينى عليها غشاوة
فلما انجلت قطعت نفسى اذيمها واكثر الرواية الومها وقوله مدحورا فالدحر الدفع
على وجه الهوان والاذلال دحره يدحره دحرا ودحورا وقيل الدحر الطرد فى قول مجاهد والسدى
قوله لمن تبعك منهم جواب القسم وحذف جواب الجزاء فى لمن تبعك لان جواب القسم اولى بالذكر من حيث
انه فى صدر الكلام ولو كان فى حشو الكلام لكان كالجزاء احق منه كقولك ان تاتنى والله اكرمك ولا
يجوز ان يكون من ههنا بمعنى الذى لانها لا تقلب الماضى الى الاستقبال ويجوز ان يقول والله لمن
جاءك اضربه بمعنى لا اضربه ولم يجز بمعنى لاضربنه كما يجوز والله اضرب زيدا بمعنى لا اضرب ولا يجوز بمعنى
لاضربن لان الايجاب لابد فيه من نون التاكيد مع اللام على قول الزجاج وانما قال لاملان جهنم
منكم بلفظ الجمع وان كان المخاطب واحدا على التغليب للخطاب على الغيبة كما يغلب المذكر على المؤنث

وكما يغلب الاخف على الاثقل فى قولهم سنة العمرين لان المفرد اخف من المضاف لان المعنى لاملأن
جهنم منك وممن يتبعك منهم اجمعين كما ذكره فى موضع اخر وقوله اجمعين كما ذكره فى موضع اخر وقوله
اجمعين تاكيد لقوله منكم وهو وان كان بلفظ الغايب اكد به المخاطب لانه تابع للاول فان كان
غائبا فهو غائب وان كان مخاطبا فهو مخاطب وان كان متكلما فهو متكلم كقولك نحن منطلقون اجمعون
عامدون لان الاتباع قد دل على ذلك قوله تعالى وَيَا اٰدَمُ اسْكُنْ اَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا
مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُوْنَا مِنَ الظَّالِمِيْنَ اية بلا خلاف اقول فى هذه الاية
حكاية خطاب الله تعالى لادم وامره اياه ان يسكن هو وزوجه حواء الجنة واختلفوا فى الجنة التى اسكن
الله ادم فيها فقال قوم انها جنة الخلد لان الجنة اذا اطلقت معرفة بالالف واللام لا يعقل منها
فى العرف الا جنة الخلد كما ان السموات والارض اذا اطلق لم يعقل منه الا السموات المخصوصة دون
سقف البيت وقوله وزوجك انما جاء به على لفظ التذكير لان الاضافة اغنت عن ذلك وابانت عن
المعنى فكان الحذف احسن ويقال لصاحب المنزل ساكن فيه وان كان يتحرك فيه احيانا للتغليب لان سكونه
فيه اكثر بجلوسه ونومه فى ليله وغير ذلك من اوقاته واباح الله تعالى لهما ان ياكلا من حيث شاءا وان
شاء اما شاءا ونهاهما على وجه الندب الا تقربا شجرة وعندنا ان ذلك لم يكن محرما عليهما بل نهاهما
نهى تنزيه دون حظر وبالمخالفة فاتهما ثواب كثير وان لم يفعلا بذلك قبيحا ولا اخلا بواجب ومن خالفنا
قال اخطأ فى ذلك على خلاف بينهم لان ذلك صغيرة او كبيرة ومن قال كانت صغيرة منهم من قال وقع
ذلك منه سهوا او نسيانا ومنهم من قال وقع ذلك تاويلا من حيث نهى عن جنس الشجر فحمله على شجرة
بعينها فاخطأ فى التاويل وقد بينا فساد ذلك فيما مضى وقوله فتكونا من الظالمين يحتمل ان يكون نصبا
على جواب النهى والثانى ان يكون جزما عطفا على النهى فكانه قال لا تقربا هذه الشجرة ولا تكونا من
الظالمين ومعنى الظالمين على مذهبنا ههنا المراد به الباخسين نفوسهم ثوابا كثيرا والمفوتين نعيما
عظيما ومن قال انهما ارتكبا قبيحا قال ظلما انفسهما بارتكاب القبيح وعلى مذهب من يقول بان ذلك
كانت صغيرة وقعت مكفرة لابد ان يحمل الظلم ههنا على نقصان الثواب الذى انحبط بمقارنته للصغيرة
له فابو على ذهب الى ان ذلك وقع منه نسيانا وقال البلخى وقع منه تاويلا لانه نهى عن جنس الشجرة فتاوله
على شجرة بعينها وهذا خطاء لان ما يقع سهوا او نسيانا لا يحسن المؤاخذة به واما الخطأ فى التاويل فقد
زاد من قال ذلك قبيحا اخر احدهما ارتكاب المنهى والثانى الخطأ فى التاويل به قوله تعالى فَوَسْوَسَ
لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُرِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْاٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هٰذِهِ الشَّجَرَةِ اِلَّا اَنْ
تَكُوْنَا مَلَكَيْنِ اَوْ تَكُوْنَا مِنَ الْخَالِدِيْنَ اية بلا خلاف اقول قرء يحيى بن كثير ويعلى بن حكيم الا ان تكونا
ملكين بكسر اللام من قوله هل ادلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى الباقون بفتح اللام اخبر الله تعالى انه
لما نهى ادم وزوجته عن اكل الشجرة وسوس لهما الشيطان والوسوسة الدعاء الى امر بصوت خفى كالهينمة
والخشخشة قال رؤبة شعر وسوس يدعو مخلصا رب الفلق سرا وقد اوّن تاوين العقق جمع عقوق
وقال الاعشى شعر تسمع للحلى وسواسا اذا انصرفت كما استعان بريح عشرق زجل
وقوله ليبدى لهما فالابداء الاظهار وهو جعل الشئ على صفة ما يصح ان يدرك وضده الاخفاء وكل شئ
ازيل عنه الساتر فقد ابدى وقوله ما ورى فالمواراة جعل الشئ وراء ما يستره ومثله المساترة وضده
المكاشفة ولم يهمز وورى لان الثانية مدة ولولا ذلك لوجب الهمز وقيل للفرج سوءة لانه يسوء صاحبه
اظهاره وكلما قبح اظهاره سوءة من هذا المعنى واذا بالغوا قالوا السوءة السوءا ولم يقصد ادم وحوا
عليهما السلم بالتناول من الشجرة القبول من ابليس والطاعة له بل انما قصدا عند دعائه شهوة نفوسهما
ولو قصدا القبول منه لكان ذلك قبيحا لا محالة وقال الحسن لو قصدا ذلك لكانا كافرين وفرق بين
وسوس اليه ووسوس له لان معنى وسوس اليه مثل قولك القى اليه المعنى ووسوس له معناه اوهمه

بمقارنته

النصيحة له فان قيل كيف وصل ابليس الى ادم وحواحتى وسوس لهما وهو خارج الجنة وهما فى الجنة
فى السماء وهو فى الارض فوصلت وسوسته بالقوة التى خلقها الله له الثانى قال ابو على انهما كانا
يخرجان الى السماء فيلقاهما هناك الثالث قال ابو بكر بن الاخشاد انه خاطبهما من باب الجنة وهما
فيها وقوله ما نهيكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين فيه قولان احدهما ان فيه حذفا وتقديره
الا ان تكونا ملكين ومعناه لئلا تكونا ملكين الثانى الاكراهة ان تكونا ملكين فان قيل كيف يموه
عليهما ان الاكل من الشجرة يوجب الانقلاب من صورة البشرية الى صورة الملئكة او يوجب الخلود فى
الجنة قلنا عن ذلك جوابان احدهما انه اوهم ان ذلك فى حكم الله فى كل من اكل من تلك الشجرة الثانى
انه اراد الا ان تكونا بمنزلة الملئكة فى علو المنزلة واستدل جماعة من المعتزلة بهذه الاية على ان الملئكة
افضل من البشر والانبيا منهم وهذا ليس بشئ لانه لم يجرها هنا ذكر لكثرة الثواب وان الملئكة اكثر
ثوابا من البشر بل كان قصد ابليس ان يقول لادم ما نهاك الله عن اكل الشجرة الا ان تكونا ملكين فان
كنتما ملكين فقد نهاكما وحيث لستما من الملكين فما نهاكما الله عن اكلها وتلخيص الكلام ان المنهى من
اكل الشجرة هم الملئكة فقط ومن ليس منهم فليس بمنهى ولا تعلق لذلك بكثرة الثواب ولا بقلته وعلى
قول من كسر اللام لا متعلق فى الاية ولا شبهة والشجرة التى نهى عنها ادم قال قوم هى الكرمة وقال اخرون
هى السنبلة وقيل غيره اقوال غيرها ذكرناها فى سورة البقرة **قوله** تعالى وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ
النَّاصِحِينَ اية بلا خلاف **اقول** المقاسمة لا يكون الابين اثنين والقسم كان من ابليس لا دلالة من
ادم له وانما قال وقاسمهما كما يقال عاقبت اللص وطارقت النعل وناولت الرجل دعافاه الله
وكذلك قاسمته لان جميع ذلك معنى المقابلة كانه قابله فى المنازعة باليمين والمعاقبة مقابلة بالجزاء
وكذلك المعافاة وقال الهذلى
وقاسمها بالله جهد الانتم
الذ من السكرى اذا ما اشورها
وفى موضع اخر لو انقاسموا بالله لنبيتنه واهله
اى تحالفوا وسئل الحسن فقيل له اليس الله خلق ادم ليكون خليفة فى الارض قال بلى قال وكان
بد له من ان يهبط الارض قال لا والله ولكن لو هبط مطيعا لله كان خيرا له من ان يهبط عاصيا ولم
يعاتبه الله على الهبوط وانما عاتبه على مخالفة الامر واصل القسم القسمة قال اعشى بنى ثعلبة
رضيعى لبان ثدى ام تقاسما
باسحم داج عوض لا نتفرق
والقسم تاكيد الخبر بطريقة والله وتالله اخبر الله تعالى فى هذه الاية ان ابليس حلف لادم وحوا انه
لهما ناصح فى دعائهما الى التناول من الشجرة ولذلك تاكدت الشبهة عندهما وظنا ان احدا لا
يقدم على اليمين بالله الا صادقا فكان ذلك داعيا لهما الى تناول الشجرة ويجوز ان يقول انى لك
لناصح ولا يجوز ان يقول انا لك لناصح لان لام الابتدا موضعها الصدر الكلام لا يؤخر عنه الا فى باب
ان خاصة لئلا يجتمع حرفا تاكيد فى موضع واحد فيوهم اختلاف المعنى لان الاصل فى اجتماع الحرفين
فى موضع انه لا ينوب احدهما عن الاخر وتقدير الكلام وقاسمهما انى لكما ناصح ثم فسر ذلك بقوله من
الناصحين ليكون لكما متعلقا بقوله لمن الناصحين فتقدم الصلة على الموصول ومثله قوله وانا على ذلكم
من الشاهدين وتقديره وانا على ذلكم شاهد وبينه بقوله من الشاهدين **قوله** فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ
فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا
عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ اية بلا خلاف **اقول** معنى قوله فدليهما
حطهما الى الخطيئة بغرور ومنه قولهم فلان يتدلى الى الشر لان الشر سافل والخير عال وقيل دليهما
من الجنة الى الارض بغرور والغرور اظهار النصح مع ابطان الغش واصله الغر طى الثوب يقال اطوه
على غره اى على كسر طيه وقال الشاعر شعر
كان غرمتنه اذ تجنبه
سير صناع فى اديم تكلبه
فالغرور بمنزلة الغر لما فيه من اظهار حال واخفاء حال

قلنا فيه اقوال احدها قال الحسن كان يوسوس من الارض الى السماء والى الجنة

قبح بالدم فتغمس فيه اليد عند اليمين عند التحالف وبسواد حلمة الثدى وبرق مجمر

ومنه الغرر لخفاء ما لا يؤمن فيه والغر الذى لم يجرب الامور لانها يخفى عليه والغرة الاخذ على غفلة
والغرارة الوعاء لانها يخفى ما فيها والاغر الابيض لظهور الثوب فى غرة ومنه الغرة فى الجبهة وقوله
فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سواتهما اى ظهرت عورتاهما ولم يكن ذلك على وجه العقوبة لان
الانبياء لا يستحقون العقوبة وانما كان ذلك لتغير المصلحة لانهما لما تناولا من الشجرة اقتضت
المصلحة اخراجهما من الجنة ونزعهما لباسهما الذى كان عليهما واهباطهما الى الارض وتكليفهما
منه وقوله وطفقا قال ابن عباس معنى طفق جعل يفعل ومثله قولهم ظل يفعل واخذ يفعل وابتدا
يفعل فقد يكون ذلك تارك الفعل وقد يكون بالقصد الى الفعل ويقال طفق يطفق وطفق
يطفق طفقا وقوله يخصفان عليهما من ورق الجنة معناه يقطفان من ورق الجنة ليستترا به ويخرزان
الى بعضه الى بعض ومنه المخصف لثقب الذى يخصف به النعل والخصاف الذى يرقع النعل
قال الشاعر
واسعى للندى والثوب جرد
محاسره وفى نعلى خصاف
يعنى ترقيع
وقال الاعشى
قالت اراه رجلا فى كفه كتف
او يخصف النعل لهفى اية صنعا
ومنه قول النبى عليه السلم خاصف النعل فى الحجرة يعنى عليا عليه السلم والاخصاف سرعة العدو لانه يقطعه
بسرعة والخصف ثياب غلاظ جدا لانه يعسر قطعها لغلظها وكان يحيى يقرء يخصفان بمعنى يختصفان
وقوله من ورق الجنة قيل انه من ورق التين واصل الورق ورق الشجر ومنه الورق اسم الدراهم
والورقة سواد فى غبرة كانه كلون الورق الذى بهذه الصفة وحمامة ورقاء وفى ذلك دلالة على ان
ستر العورة كان واجبا فى ذلك الوقت وقوله وناداهما ربهما الم انهكما عن تلكما الشجرة حكاية عما
قال الله تعالى لادم وحوا بعد ان بدت سواتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الشجر اليس
كنت نهيتكما عن تلكما الشجرة وانما قال تلكما لانه خاطب اثنين واشار الى الشجرة فلذلك قال تلكما
واقل لكما عطف على انهكما فلذلك جزمه ان الشيطان لكما عدو مبين يعنى ظاهر العداوة وقد
بينا ان ادم لم يرتكب قبيحا وان ما توجه اليه مضمون النهى كان المراد به ضربا من الكراهة دون الحظر
وانما قلنا ذلك لقيام الدلالة على عصمتهما من ساير القبايح صغايرها وكبايرها فعلى هذا لا يحتاج
ان يقول انهما تاولا او اخطاء على ما قال البلخى والرمانى او وقع منهما سهوا على ما قاله الجبائى
قوله تعالى قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ اية بلا خلاف
اقول فى هذه الاية حكاية عما قال ادم وحوا عليهما السلم لما عاتبهما الله ووبخهما على ارتكابهما ما نهاهما
عنه واخبار عن اعترافهما على انفسهما بان قالا ربنا ظلمنا انفسنا ومعناه بخسناها الثواب بترك المندوب
اليه والظلم هو النقص وعلى مذهب من يقول انهما فعلا صغيرة لا بد ان يحمل قوله ظلمنا انفسنا على
تنقيص الثواب لان عندهم ان الصغيرة نقصت ثواب طاعاتهم فكان ذلك ظلما للنفس فاما من يقول
ان الصغيرة تقع مكفرة من غير ان ينقص من ثواب فاعلها شئ فلا يتصور معنى قوله ظلمنا انفسنا ولا
يثبت فيهما فايدة لانهما لم يستحقا عقابا بلا خلاف وصفة ظالم وصف ذم لقولنا ظلمنا لان الظالم اسم
ذم فى اكثر التعارف وظلم قد يستعمل فى غير المستحق للعقاب والذم كما ان اسم مؤمن اسم مدح المستحق
الثواب وامن يؤمن بخلاف ذلك عند القائلين بالوعيد وقوله وان لم تغفر لنا معناه ان لم تستر علينا
لان الغفر هو الستر على ما بيناه فيما مضى وفيما مضى وعلى مذهب من يقول ان معصيتهم كانت صغيرة
وقعت مكفرة لا معنى لقوله وان لم تغفر لنا لان الغفران لا محالة ولا يحسن المؤاخذة به وقوله لنكونن من
الخاسرين والمعنى ان لم تتفضل علينا بنعمك التى نتم بها ما فوتناه نفوسنا من الثواب بضروب تفضلك
لنكونن من جملة من خسر ولم يربح والانسان يصح ان يظلم نفسه بان يدخل عليها ضررا غير مستحق
لا يدفع عنها ضررا اعظم ولا يجتلب منفعة توفى عليه ولا يصح ان يكون معاقبا لنفسه ويجوز ان
يامر الله تعالى المكلف ان يضر بنفسه ولا يحسن ان يامره ان يعاقب نفسه لان امر الحكيم يدل على

الترغيب فی الشیٔ ولا یجوز ان یرغبه فی عقابه کما لا یجوز ان یرغبه فی ذمه ولعنه **قوله تعالی** قَالَ
اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ آیة بلا خلاف **اقول**
اختلفوا فی المعنی بهذه الآیة فقال السدی وابو علی الجبائی وابو بکر بن الاخشاد ان المراد بالخطاب
ادم وحواء وابلیس جمع بینهم فی الذکر وان کان الخطاب لهم وقع فی اوقات متفرقة لان ابلیس امر
بالهبوط حین امتنع من السجود وادم وحوا حین اکلا من الشجرة وانتزع لباسهما وقال ابو صالح
الخطاب متوجها الی ادم وحوا والحیة وقال الحسن قولا بعیدا من الصواب وهو ان المراد به ادم وحوا والحمیة
والوسوسة وهذا قول من عزب عنه لان الوسوسة لا یخاطب والهبوط هو النزول بسرعة والبعض
هو احد قسمی العدة واحد قسمی العشرة بعضها واحد قسمی الاثنین بعضها ولا بعض للواحد لانه
لا ینقسم وقوله بعضکم لبعض اضاف البعض الی جملة هو منها ولا یجوز ان یضاف غیر الی جملة هو منها
لان اضافة غیر الی الجملة والتفصیل لصحة ان یکون لکل واحد غیر ولیس کذلک بعض لانه لا یصح
ان یکون لکل واحد بعض فاضافته الی الجملة والتفصیل لصحة ان یکون لکل واحد غیر ولیس کذلک
لانه لا یصح ان یکون لکل واحد بعض فاضافته الی الجملة فقط والعدو ضد الولی ومن صفة العدو
انه مراصد بالمکاره ومن صفة الولی انه مراصد بالمحاب وقال الرمانی العدو هو النائی بنصرته
وقت الحاجة الی معونته والولی هو الدانی بنصرته فی وقت الحاجة الی معونته وقوله ولکم فی الارض
مستقر فالمستقر قیل فی معناه قولان احدهما قال ابو العالیة هو موضع استقرار الثانی انه الاستقرار
بعینه لان المصدر یجیٔ علی وزن المفعول نحو وبد خلکم مدخلا کریما ای ادخالا کریما قال الشاعر

اقاتل حتی لا اری لی مقاتلا ... وانجوا اذا غم الجبان من الکرب

وقوله ومتاع الی حین فالمتاع الانتفاع بما فیه عاجل استلذاذ لان المناظر الحسنة یستمتع بها لما
فیها من عاجل اللذة والحین الوقت قصیرا کان او طویلا الا انه قد استعمل علی طول الوقت ههنا
ولیس باصل فیه کقول القائل ما لقیته منذ حین قال الشاعر **شعر**

وما مزاحبك بعد الحلم والدین ... وقد علاك مشیب حین لا حین

ای وقت لا وقت وقال البلخی الی حین معناه الی القیمة **قوله تعالی** قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ
وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ آیة بلا خلاف **اقول** قرء ابن ذکوان وحمزة والکسائی وخلف ویعقوب تخرجون
بفتح التاء وضم الراء الباقون بضم التاء وفتح الراء من قرء بضم التاء فلقوله انکم مخرجون وقوله
کذلك تخرج الموتی ومن فتح التاء فلاجماع الکل فی قوله ثم اذا دعاکم دعوة من الارض اذا انتم تخرجون
بفتح التاء ولقوله الی ربهم ینسلون فاسند الفعل الیهم ولانه اشبه بما قبله من قوله فیها تحیون وفیها
تموتون وکما قال کما بداکم تعودون اضاف الفعل الیهم فی الآیة اخبار من الله تعالی وحکایة عما قاله
لادم انکم تحیون فی هذه الارض التی تهبطون الیها وفیها تموتون ومنها تخرجون للبعث یوم القیمة
قال الجبائی فی الآیة دلالة علی ان الله عز وجل یخرج العباد یوم القیمة من هذه الارض التی حیوا فیها
بعد موتهم وانه یفنیها بعد ان یخرج العباد منها فی یوم الحشر واذا اراد افنائها زجرهم عنها زجرة
فیصیرون الی ارض اخری ویفنی هذه وهذا معنی قوله فانما هی زجرة واحدة فاذا هم بالساهرة
قوله تعالی يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ
ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ آیة بلا خلاف **اقول** قرء اهل المدینة وابن عامر والکسائی
ولباس التقوی بالنصب الباقون بالرفع ومن نصب حمله علی انزل من قوله قد انزلنا علیکم لباسا
ولباس التقوی وانزلنا ههنا مثل قوله وانزلنا الحدید فیه باس شدید ومثل قوله وانزل لکم
من الانعام ثمانیة ازواج ای خلق وانما قال انزلنا لباسا ولباس التقوی وانزلنا ههنا مثل قوله
وانزلنا الحدید فیه باس شدید ومثل قوله وانزل لکم من الانعام ثمانیة ازواج ای خلق وانما قال

انزلنا لباسا ولباس التقوی وانزلنا ههنا مثل قوله وانزلنا الحدید فیه باس شدید ومثل قوله
وانزل لکم من الانعام ثمانیة ازواج ای خلق زائد وانما قال انزلنا لباسا لاحد امرین احدهما لانه ینبت
بالمطر الذی ینزل من السماء فی قول الحسن والجبائی الثانی لان البرکات تنسب الی انها تاتی من السما
کقوله وانزلنا الحدید فیه باس شدید وقوله ذلك علی هذا مبتداء وخبره خیر ومن رفع قطع اللباس
من الاول واستانف فجعله مبتدا وجعل قوله ذلك صفة له او بدلا او عطف بیان ومن قال ذلك
لغو فقد اخطأ لانه لا یجوز ان یکون علی احد ما قلناه وخیر خبر اللباس وتقدیره لباس التقوی خیر
لکم اذا اخذتم به واقرب لکم الی الله مما خلق لکم من اللباس والریاش الذی یتجمل به واضیف اللباس
الی التقوی کما اضیف فی قوله فاذاقها الله لباس الجوع والخوف الی الجوع وهذه الآیة خطاب من الله
تعالی لاهل کل زمان من المکلفین علی ما یصح ویجوز من وصول ذلك الیهم کما یوصی الانسان
لولده وولد ولده وان نزلوا بتقوی الله وایثار طاعته ویجوز خطاب المعدوم بمعنی ان یراد بالخطاب
اذا کان من المعلوم انه سیوجد ویتکامل فیه شروط التکلیف ولا یجوز ان یراد من لا یوجد لان ذلك
عبث لا فائدة فیه واللباس کلما یصلح للبس من ثوب او غیره من نحو الدرع وما یغشی البیت من نطع
او کسوة واصله المصدر یقول لبسه یلبسه لبسا ولباسا ولبسا بکسر اللام قال الشاعر **شعر**

فلما کشفن اللبس عنه مسحنه ... باطراف طفل زان غیلا موشما

ای عبد الرحمن بن الحکم

الفیل الساعد ووصفها بلطف الکف والریش ما فیه الجمال ومنه ریش الطائر وقیل المصدر الحمله
من راشه یریشه وقد تریش فلان ای صار له ما یعیش به قال الشاعر انشده سیبویه **شعر**

فریشی منکم وهوای معکم ... وان کانت زیارتکم لماما

ای ابن الاحبین

وقال سعید الجهنی الریاش المعاش وقال الزجاج الریش اللباس یقولون اعطیته رجلا بریشته برسنه
ای بکسوته وجمعه ریاش قال مجاهد وانما ذکر اللباس ههنا لان المشرکین کانوا یتعرون فی الطواف
حتی تبدو سوآتهم باغواء الشیاطین کما اغوی ابویهم قبل هذا الاغواء وقوله یواری سوآتکم
معناه یستر ما یسوءکم انکشافه من الجسد لان السوءة ما یسوء انکشافه من الجسد والعورة ترجع الی
النقیصة فی الجسد قال الشاعر **شعر**

خرقوا جیب فتاتهم لم یبالوا ... سوءة الرجلة ولباس التقوی

فیه خمسة اقوال احدها قال ابن عباس هو العمل الصالح
الثانی قال قتادة والسدی وابن جریج هو الایمان الثالث قال الحسن هو الحیاء الذی یکسبکم
التقوی الرابع قال الجبائی هو الذی یقتصر علیه من اراد التواضع والنسك فی العبادة من لبس الصوف
والخشن من الثیاب الخامس قال الرمانی هو العمل الذی یقی العقاب وفیه الجمال مثل جمال الناس
من الثیاب وقال الحسین بن علی المغربی لباس التقوی یعنی الذی کان علیکما فی الجنة خیر لکم بدلا
قوله ذلك وهی للبعید وقوله ذلك من آیات الله معناه ان الذی فعلناه بکم من حجج الله التی دلکم علی
توحیده من الله لعلهم یذکرون معناه لکی یتفکروا فیها ویؤمنوا بالله ویصیروا الی طاعته وتنتهوا عن
معاصیه **قوله تعالی** يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا
لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
آیة بلا خلاف **اقول** هذا خطاب من الله لاولاد ادم العقلاء منهم المکلفین فنهاهم ان یفتنوا
بفتنة الشیطان والفتنة هی الاختبار والابتلاء وافتتان الشیطان یکون بالدعاء الی المعاصی
من الجهة التی تمیل الیها النفوس وتشتهیه وانما جاز ان ینهی الانسان بصیغة النهی للشیطان
لانه ابلغ فی التحذیر من حیث یقتضی انه یطلبنا بالمکروه ویقصدنا بالعداوة فالنهی له یدخل فیه
النهی لنا عن ترك التحذیر منه وقوله کما اخرج ابویکم من الجنة یعنی اغوی ابویکم ادم وحوا حتی خرجا
من الجنة فنسب الاخراج الیه لما کان باغوائه وجری ذلك مجری ذم الله تعالی فرعون بانه یذبح ابنائهم

وانما امر بذلك وتحقيق الذم فيهما راجع الى فعل المذموم ولكنه يذكر بهذه الصفة ليبان منزلته فعله في عظم الفاحشة وقوله ينزع عنهما لباسهما في موضع الحال من الشيطان وتقديره نازعا عنهما لباسهما لكي ابتدأ واسوأتهما فيرياه والنزع قلع الشيء من موضعه الذي هو ملابس له و يقال نزع من الامر ينزع نزوعا تشبيها بهذا ونازعه منازعة اذا حاول كل واحد منهما ان يزيل صاحبه عما هو عليه وغرض الشيطان في ان يريا سوآتهما هو ان يغمهما ذلك ويسوءهما ان يبدو لغيرهما كما بدا لهما لان ذلك صفة كل من له مروة واللباس الذي ينزع عنهما قيل فيه ثلاثة اقوال احدها قال ابن عباس كان لباسهما الظفر وقال وهب بن منبه كان لباسهما نورا وقال قوم هي ثيابا من ثياب الجنة وقوله انه يعني الشيطان يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم وانما كانوا يروننا ولا نراهم لان ابصارهم احد من ابصارنا واكثر ضوءا من ابصارنا فان ابصارنا قليلة الشعاع ومع ذلك اجسامهم شفافة واجسامنا كثيفة فصح ان يرونا ولا يصح منا ان نراهم ولو تكثفوا لصح منا ايضا ان نراهم وقال ابو علي في الاية دلالة على بطلان قول من يقول انه يرى الجن من حيث ان الله عم ان لا نراهم قال وانما يجوز ان يروا في زمن الانبياء بان يكثف الله اجسامهم وقال ابو الهذيل وابو بكر بن الاخشاد يجوز ان يمكنهم الله ان يتكثفوا فيراهم حينئذ من يختص بخدعتهم وقبيل الشيطان قال الحسن وابن زيد هو نسله وقال ابو علي واستدل على ذلك بقوله افتتخذونه وذريته اولياء من دوني وهم لكم عدو وقوله انا جعلنا الشياطين اولياء للذين لا يؤمنون معناه انا حكمنا بذلك لانهم يتناصرون على الباطل ومثله قوله جعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا اي حكموا بذلك حكما باطلا وحيث في موضع خفض بحرف من غير انها بنيت على الضم واصلها ان يكون موقوفة لانها ليست لمكان بعينه وان ما بعدها صلة لها ليست بمضافة اليه ومنهم من يقول من حيث خرجت بفتح لالتقاء الساكنين ومنهم من يقول حوث و يقرأ بهما **قوله** تعالى وَاِذا فَعَلُوا فاحِشَةً قالُوا وَجَدْنا عَلَيْها آباءَنا وَاللّٰهُ اَمَرَنا بِها قُلْ اِنَّ اللّٰهَ لا يَأْمُرُ بِالْفَحْشاءِ اَتَقُولُونَ عَلَى اللّٰهِ ما لا تَعْلَمُونَ آية بلا خلاف **اقول** الكناية في قوله فعلوا فاحشة كناية عن المشركين الذين كانوا يبدون سوآتهم في طوافهم النساء والرجال الحمس خاصة وله خبر طويل في قول ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير والشعبي والسدي وقالت العامرية اليوم يبدو بعضه او كله وما بدا منه فلا احله قال الفراء كانوا يعملون شيئا من سيور مقطعة يشدون على حقوهم تسمى حوفا وان عمل من صوف سمي رهطا وقال الحسن وابو علي هي كناية عن عبدة الاوثان فواحشهم الشرك بالله والكفر بنعمه والفاحشة ما عظم قبحه في قول الزجاج يقال فحش يفحش فحشا ولا يقال في الصغيرة عند من قال بها فاحشة وان قيل فيها انها قبيحة كما لا يقال في القوم فاحش وان قيل قبيح اخبر الله تعالى عن هؤلاء الكفار انهم اذا فعلوا فاحشة وارتكبوا قبيحا اعتذروا لنفوسهم بان قالوا وجدنا اباءنا يفعلونها قال الحسن وانما دعاهم الى هذا القول لان اهل الجاهلية كانوا اهل اجبار وقالوا لو كره الله ما نحن عليه من هذا الدين لنقلنا عنه فهو قوله والله امرنا بها وقال غيره بانهم توهموا ان اباءهم لم يفعلوا ذلك الا وهو من قبل الله وانما قالوا اباءهم يتشبهه حينئذ رد الله عليهم قولهم بان قال ان الله لا يامر بالفحشاء ثم قال على وجه الانكار اتقولون على الله ما لا تعلمون لانهم ان قالوا لا نقضوا مذهبهم وان قالوا نعم افتضحوا في قولهم وقال الزجاج معنى اتقولون على الله اتكذبون عليه وفي الاية حجة على اصحاب المعارف واهل التقليد لانه ذم الفريقين ولو كان الامر على ما يقولون لما توجه عليهما الذم فان قيل انما انكر الله قولهم ان الله امرنا بها ولا بد مع ذلك ان يكون مريدا لها لان الامر منفصل من الارادة قلنا الامر لا يكون امرا الا بالارادة للمامور به فما اراده فقد رغب فيه ودعا اليه فاشتركا في المعنى **قوله** تعالى قُلْ اَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَاَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَما بَدَاَكُمْ تَعُودُونَ فَرِيقاً هَدىٰ وَفَرِيقاً حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلالَةُ

انهم

اِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّياطِينَ اَوْلِياءَ مِنْ دُونِ اللّٰهِ وَيَحْسَبُونَ اَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ آيتان تمام الاولى في الكوفي تعودون وفي البصري تمام الاولى مخلصين له الدين وتمام الاخرى عند الجميع مهتدون **اقول** لما اخبر الله تعالى عن هؤلاء الكفار انهم قالوا ان الله امرنا بما نفعله ونعتقده من الفواحش ورد عليهم بقوله ان الله لا يامر بالفحشاء امر نبيه عليه السلام ان يقول ان الله يامر بالقسط وهو العدل في قول مجاهد والسدي واكثر المفسرين واصله العدول فاذا كان الى جهة الحق فهو عدل ومنه قوله ان الله يحب المقسطين اذا كان الى جهة الباطل فهو جور ومنه قوله واما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا وامرهم ان يقيموا وجوههم عند كل مسجد في الصلوة على استقامة الثاني قال الربيع توجهوا بالاخلاص لله لا للوثن ولا غيره و قال الفراء معناه اذا دخل عليك وقت الصلوة في مسجد فصل فيه ولا تقل آتي مسجد قومي وهو اختيار المغربي وقوله وادعوه مخلصين له الدين امرهم بالدعاء والتضرع اليه تعالى على وجه الاخلاص واصل الاخلاص اخراج كل شائب من الجنس فمنه اخلاص الدين لله عز وجل وهو توجيه العبادة اليه خالصا دون غيره وقوله كما بدأكم تعودون قيل في معناه قولان احدهما قال ابن عباس والحسن وقتادة ومجاهد وابن زيد كما خلقكم اولا تعودون بعد الفناء وروي عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال يحشرون عراة حفاة غرلا كما بدانا اول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين الثاني قال ابن عباس وجابر في رواية انهم يبعثون على ما ماتوا عليه المؤمن على ايمانه والكافر على كفره وانما ذكر هذا القول لاحد امرين احدهما قال الزجاج على وجه الحجاج عليهم لانهم كانوا لا يقرون بالبعث الثاني على وجه الامر بالاقرار به كانه قيل واقروا انه كما بداكم تعودون والبدء فعل الشيء اول مرة والعود فعله ثاني مرة وقد يكون فعل اول خصلة منه بدا كبدء الصلوة وبدء القراءة بداهم وابداهم لغتان وقوله فريقا هدى فالفريق جماعة انفصلت من جماعة وذكر فريق ههنا احسن من ذكر نفر وقوم او نحوه لما فيه من الاشعار بالمباينة و نصب فريقا يهدي وقوله وفريقا حق عليهم الضلالة لتقابل فريقا هدى بعطف فعل وتقديره وفريقا اضل الا انه فسره ما بعده ونظيره قوله يدخل من يشاء في رحمته والظالمين اعد لهم عذابا اليما وقال الفراء نصب فريقا على الحال والعامل فيه تعودون فريقا والثاني عطف عليه ولو رفع على تقدير احدهما كذا والاخر كذا كان جائزا كما قال قد كان لكم اية في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله واخرى كافرة والهدى في الاضلال في الاية يحتمل اربعة اوجه احدها انه حكم بان هؤلاء مهتدون مدحا لهم وحكم بان اولئك ضالون ذما لهم الثاني الدلالة التي انشرح بها صدر هؤلاء للاهتداء وضاقت بها صدور اولئك لشدة محبتهم لما هم عليه من مذهبهم الثالث هدى بان لطف لهؤلاء بما اهتدوا عنده وصار كالسبب لضلال اولئك بتخييرهم لينتقلوا عن فاسد مذهبهم الرابع انه هدى هؤلاء الى طريق الثواب واولئك لعمى الاضلال عنه بالعقاب في النار وقوله انهم اتخذوا الشياطين اولياء من دون الله اخبار منه تعالى انه فعل بهم ما فعل من الضلال لانهم اتخذوا الشياطين اولياء من دون الله والاتخاذ الافتعال من الاخذ بمعنى اعداد الشيء لامر من الامور فلما اعدوا الشياطين لنصرتهم كانوا قد اتخذوهم اولياء باعدادهم وقوله ويحسبون انهم مهتدون يعني هؤلاء الكفار يظنون انهم مهتدون والحسبان و الظن واحد وهو ما قوي عند الظان كون المظنون على ما ظنه مع تجويزه ان يكون على غيره فبالقوة يتميز من اعتقاد التقليد والتخمين وبالتجويز يتميز من العلم لان مع العلم القطع **قوله** تعالى يا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا اِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ آية بلا خلاف **اقول** امر الله تعالى في هذه الاية اولاد آدم الذكور منهم لان بني جمع ابن وانما نصب لانه نداء مضاف والابن هو الولد الذكر والبنت الولد الانثى امرهم الله بان ياخذوا ومعناه ان يتناولوا زينتهم والزينة هي اللبسة الحسنة ويسمى ما يتزين به زينة كالثياب الجميلة والحلية ونحو ذلك وقوله عند كل مسجد روي عن ابي جعفر انه قال في الجمعات والاعياد وقال ابن عباس وعطاء وابراهيم والحسن وقتادة و

سعيد بن

[قيل فيه وجوه احدها قال مجاهد والسدي وابن زيد معناه توجهوا الى قبلة كل مسجد ظ]

[او لكونه مقابلا لقوله فريقا هدى يكون نصبه لعطف فعل]

[بتخييرهم]

[اقتضى الضلال ظ]

[والتنجية خ]

سعيد بن جبير كانوا يطوفون بالبيت عراة فنهاهم الله عن ذلك وقال مجاهد ما وارى العورة ولو
عباءة وقال الزجاج هو امر بالاستتار فى الصلوة قال ابو على ولهذا صار التزين للاعياد والجمع سنة
وقيل فى وجه شبهتهم فى تعريهم فى الطواف وابداء السوءة وجهان احدهما ان الثياب قد دنستها
المعاصى فيجرد وامنها الثانى تفألوا بالتعرى من الذنوب وقوله وكلوا واشربوا صورته صورة الامر
ومعناه اباحة الاكل والشرب وقوله ولا تسرفوا نهى لهم عن الاسراف وهو الخروج عن حد الاستواء
فى زيادة المقدار وقيل المراد الخروج عن الحلال الى الحرام وقيل الخروج مما ينفع الى ما يضر وقيل
الزيادة على الشبع فالاسراف والاقتار مذمومان وقوله انه لا يحب المسرفين معناه يبغض المسرفين
لانه ذم لهم ولو كان بمعنى لا يحبهم ولا يبغضهم لم يكن ذما لهم ولا مدحا وقال ابو على من لا يحبه الله
فهو يبغضه ويعاديه **قوله** تعالى قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللّٰهِ الَّتِىٓ اَخْرَجَ لِعِبَادِهٖ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ
قُلْ هِىَ لِلَّذِيْنَ اٰمَنُوْا فِى الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَّوْمَ الْقِيٰمَةِ كَذٰلِكَ نُفَصِّلُ الْاٰيٰتِ لِقَوْمٍ يَّعْلَمُوْنَ
اية بلا خلاف قرء نافع وحده خالصة يوم القيمة بالرفع الباقون بالنصب من رفعه جعله خبر المبتدأ
الذى هو هى ويكون للذين امنوا تبيينا للخلوص ولا شئ فيه على هذا ومن قال هذا حلو حامض
امكن ان يكون للذين امنوا خبرا وخالصة خبرا اخر ومن نصب خالصة كان حالا مما فى قوله للذين امنوا
الا ترى ان فيه ذكرا يعود الى المبتدأ الذى هو هى فخالصة حال عن ذلك الذكر والعامل فى الحال
ما فى اللام من معنى الفعل وهى متعلقة بمحذوف اليه يعود الذكر الذى كان يكون فى المحذوف ولو ذكر
لم يحذف وليس متعلقا بالخلوص كما تعلق به فى قول من رفع وتقديره هو للذين امنوا فى الحيوة
الدنيا لهم خالصة ذكره الفراء وحجة من رفع ان المعنى هى تخلص للذين امنوا يوم القيمة وان شركهم
فيها غيرهم من الكافرين فى الدنيا ومن نصب فالمعنى عنده هى ثابتة للذين امنوا فى حال خلوصها
يوم القيمة لهم وانتصابه على الحال اشبه بقوله ان المتقين فى جنات وعيون اخذين ونحو ذلك مما انتصب
الامر فيه على الابتداء وخبره وما يجرى مجراه اذا كان فيه معنى فعل لما اباح الله تعالى وحث على تناول
الزينة فى كل مسجد وندب اليه واباح الاكل والشرب ونهى عن الاسراف وهناك قوم يحرمون كثيرا
من الاشياء من هذا الجنس قال الله تعالى منكرا لذلك من حرم زينة الله التى اخرج لعباده والطيبات
من الرزق وقيل فى معنى الطيبات قولان احدهما المستلذ من الرزق الثانى الحلال من الرزق والاول
اشبه بخلوصه يوم القيمة وانما ذكر الطيبات من جملة ذلك فى قول ابن زيد والسدى لانهم كانوا يحرمون
البحائر والسوائب وظاهر الاية تدل على انه لا يجوز لاحد تجنب الزينة والملاذ الطيبة على وجه التحريم
واما من اجتنبها على ان غيرها افضل منها فلا مانع منه ثم اخبر تعالى فقال هى يعنى الطيبات للذين
امنوا فى الحيوة الدنيا خالصة يوم القيمة وقيل فى معنى خالصة يوم القيمة قولان احدهما قال ابن عباس
والحسن والضحاك وابن جريج وابن زيد هى خالصة للمؤمنين دون اعدائهم من المشركين وقال ابو على
هى خالصة لهم من شائب مضرة يلحقهم وقال ابو على الفارسى لا يخلو من قوله فى الحيوة الدنيا من
ان يتعلق بحرم او بزينة او باخرج او بالطيبات او بالرزق من قوله من الرزق او بقوله امنوا ولا يجوز
ان يتعلق بحرم فيكون التقدير قل من حرم فى الحيوة الدنيا ويكون المعنى قل من حرم فى وقت الحيوة الدنيا
ولا يجوز ان يتعلق بزينة لانه مصدر او جار مجراه وقد وصفها لم يجز ان يتعلق بها شئ بعد الوصف كما
لا يتعلق به العطف عليه ويجوز ان يتعلق باخرج لعباده فى الحيوة الدنيا فان قيل كيف يتعلق باخرج
وفيه فصل بين الصلة والموصول بقوله قل هى للذين امنوا وهو كلام مستانف ليس فى الصلة قيل
لا يمنع الفصل به لانه مما يسدد القصة وقد قال والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها وترهقهم
ذلة فقوله وترهقهم ذلة معطوف على كسبوا فكذلك قوله قل هى للذين امنوا ويجوز ان يتعلق بالرزق
ايضا ان كان موصولا ويجوز ان يتعلق بامنوا الذى هو صلة للذين اى امنوا فى الحيوة الدنيا وكلها

تثبيتا

ذكرناه من هذه الاشياء يجوز ان يتعلق به هذا الظرف وقوله كذلك نفصل الايات اى كما نميز لكم
الايات ونبين لكم بها على منافعكم وصلاح دينكم كذلك نفصل الايات لكل عاقل يعلم معناها والتنبيه
قوله تعالى قُلْ اِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْاِثْمَ وَالْبَغْىَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَاَنْ تُشْرِكُوْا
بِاللّٰهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهٖ سُلْطَانًا وَّاَنْ تَقُوْلُوْا عَلَى اللّٰهِ مَا لَا تَعْلَمُوْنَ اية بلا خلاف **اقول** لما انكر تعالى
على من حرم زينة الله التى اخرج لعباده والطيبات من الرزق وانه اباح ذلك للمؤمنين فى دار الدنيا
بين عقيب ذلك ما حرمه عليهم فقال قل يا محمد انما حرم ربى الفواحش ومعناه لم يحرم ربى الا
الفواحش لانا قد بينا ان انما يدل على تحقيق ما ذكر ونفى ما لم يذكر والتحريم هو المنع من الفعل
باقامة الدليل على وجوب تجنبه وضده التحليل وهو الاطلاق فى الفعل بالبيان عن جواز تناوله
واصل التحريم المنع من قولهم حرم فلان الرزق فهو محروم وحرمانا وحرم الرجل اذا لج فى الشئ
بالامتناع منه وحرمه تحريما واحرم بالحج احراما وتحرم بطعامه تحرما واستحرمت الشاة اذا طلبت
الفحل لانها تتبعه كما تتبع الحرمة البعل والحرم مكة وما حولها مما هو معروف واشهر الحرم ذو القعدة
والحرم من القرابة التى لا يحل تزوجها وحريم الدار ما كان من حقوقها والمحرم السوط الذى لم يلين لانه
حرام ان يضرب حتى يلين والفواحش جمع فاحشة وهى اقبح القبائح وهى الكبائر وقوله ما ظهر منها و
ما بطن يعنى ما علن وما خفى وقد قدمنا اختلاف المفسرين فى ذلك وانما ذكر مع الفواحش هذه ثم
القبائح وهى داخلة فيها لاحد امرين احدهما للبيان عن التفصيل كانه قيل الفواحش التى منها الاثم
ومنها البغى ومنها الاشراك بالله والثانى ان الفواحش ها هنا الزنا وهو الذى بطن والتعرى
فى الطواف هو الذى ظهر فى قول مجاهد وقال قوم الاثم هو الخمر وما ظهر الزنا وما بطن هو
نكاح امراة الاب والاثم يعم جميع المعاصى وانشد ابن الانبارى فى ان الاثم هو الخمر شعر

شربت الاثم حتى ضل عقلى ... كذاك الاثم يصنع بالرجال

وقال الفراء الاثم ما دون الحد والبغى هو الاستطالة على الناس وحده طلب الترأس بالقهر من غير
حق واصل البغى الطلب يقول هذه بغيتى اى طلبتى وابتغى كذا ابتغاء وما ينبغى اى ما يطلب ذ بنبغى
كذا اى هو الاولى ان يطلب وقوله ما لم ينزل به سلطانا السلطان الحجة فى قول الحسن وغيره ومثله
البرهان والبيان والفرقان وحدودها تختلف فالبيان اظهار المعنى للنفس كاظهار نقيضه والبرهان
اظهار صحة المعنى وفساد نقيضه والفرقان اظهار تميز المعنى مما التبس والسلطان تعلمون اى وحرم
عليكم ذلك وذلك يدل على بطلان التقليد لان المقلد لا يعلم صحة ما قلد فيه **قوله** تعالى وَلِكُلِّ
اُمَّةٍ اَجَلٌ فَاِذَا جَاۤءَ اَجَلُهُمْ لَا يَسْتَاْخِرُوْنَ سَاعَةً وَّلَا يَسْتَقْدِمُوْنَ اية بلا خلاف **اقول** قيل
الفرق بين ان يقول ولكل امة اجل وبين ولكل احد اجل من وجهين احدهما ان ذكر الامة يقتضى
تقارب اعمار اهل العصر والاخر انه يقتضى اهلاكهم فى الدنيا بعد اقامة الحجة عليهم باتيان الرسل
والامة الجماعة التى يعمها معنى واصله امه يؤمه اذا قصده فالامة الجماعة التى على مقصد واحد والاجل
الوقت المضروب لانقضاء المهل لان بين العقد الاول الذى يضرب لنفس الاجل وبين الوقت الاخر مهلا
مثل اجل الدين واجل الوعد واجل العمر وقال ابو على الجبائى فى الاية دلالة على ان الاجل واحد لا
يجوز ان يكون الظالم بقتله الانسان قد اقتطعه عن اجله وقال ابو بكر بن الاخشاد ليس الامر على ذلك
لانه قد دلت انه غير هذه على الاجلين وقوله فاذا جاء اجلهم لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون
معنى لا يستاخرون لا يتاخرون وانما قيل لا يستاخرون من اجل انهم لا يطلبون التاخر نفوا ابلغ فى المعنى
من لا يتاخرون لان الاستفعال طلب التاخر وقوله ولا يستقدمون معناه لا يتقدمون والمعنى اذا جاء
قرب اجلهم لا يطلبون التقدم ولا التاخر لان بعد حضور الاجل ونزول الاملاك يستحيل منهم طلب ذلك
كما يقال جاء الشتاء وجاء الصيف اذا قارب وقته لانه متوقع كوقعه **قوله** تعالى يٰبَنِىٓ اٰدَمَ اِمَّا يَاْتِيَنَّكُمْ

وذو الحجة

ورجب

اظهار ما يتسلط به على نقيض المعنى بالابطال
وان تقولوا ظ

ان المثال
وهو قتل الانسان
على غير هذه التى تضمنته
الاية وهو وقت وقوع
عذاب الاستيصال
فتحمل الاية عليه على القول
بالاجلين وعليه لا يدل ان لكل
ولكل امة وهم يقرون لكل
احد فلا دلالة فى الاية على
ان الاجل واحد كذا
يخطر بالبال
فى العبارة

رُسُلٌ مِنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنِ اتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ آية بلا خلاف أقول
هذا خطاب من الله تعالى لجميع بني آدم المكلفين منهم انه يبعث اليهم رسلا منهم يقصون عليهم آيات
الله وحججه وبراهينه وهو ما انزله عليهم من كتبه ونصب لهم من دلالته وقوله اما اصله ان حرف الشرط
دخلت عليه ما ولدخولها دخلت النون الثقيلة في يأتينكم ولو قال ان يأتيكم لم يجز وانما كان كذلك
لان ما جعلته في حكم غير الواجب لانه منزل منزلة ما هو غير كائن حتى احتيج معه الى القسم مع خفاء امره
من جهة المستقبل ولم يجز دخول النون على الواجب في مثل هو هو من لان هذه النون تؤذن بان ما
دخلت عليه قد احتاج الى التأكيد لخفاء امره من جهة المستقبل وانه غير واجب لخفاء امره من هاتين
الجهتين لاجله احتاج الى نون التأكيد وانما قال رسل منكم بلفظ الجمع وانما اتى هؤلاء رسل منهم لانه
على تقدير ما سبيل لكل امة فصار كانه خطاب لجميع المكلفين وجواب ان يحتمل ان يكون احد امرين احدهما
ان يكون قوله فمن اتقى منكم واصلح لان التفصيل يقتضي منكم الثاني ان يكون محذوفا وقد دل الكلام عليه
كانه قال فاطيعوهم وقوله يقصون فالقصص وصل الحديث بالحديث في وصل الحديث المتمم بحديث
مثله وقوله فمن اتقى واصلح معناه فمن اتقى منكم واصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون وظاهر الاية تدل
على ان من اتقى معاصي الله واجتنبها واصلح بان فعل الصالحات لا خوف عليهم في الاخرة وهو قول
الجبائي وقال ابو بكر بن الاخشيد لا يدل على ذلك لان الله تعالى قال في وصفه يوم القيمة يوم ترونها تذهل
كل مرضعة عما ارضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى وانما هو
كقول الطبيب للمريض لا باس عليك ولا خوف عليك ومعناه ان امره يؤل الى السلامة والعافية و
الاول اقوى لانه الظاهر غير ان ذلك يكون لمن اتقى جميع معاصي الله فاما من جمع بين الطاعات والمعاصي
فان خوفه من عقاب الله على معاصيه لا بد منه لانا لا نقطع على ان الله تعالى يغفر له لا محالة ولا نقول
بالاحباط فنقول ثواب ايمانه احبط عقاب معاصيه فاذا اجتمعا فلا بد من ان يخاف من وصول العقاب
اليه ومن قال لفظة اتقى لا يطلق الا للمؤمن من اهل الثواب لانها صفة مدح فلا بد من ان يكون مشروطا
بالخلوص مما يحبطه فما ذكروه اولا صحيح نحن نعتبره لان المتقي لا يكون الا مؤمنا مستحقا للثواب غير انه
ليس من شرطه الا يكون معه شيء من العقاب بل عندنا يجتمعان فلا يتم ما قالوه قوله تعالى وَالَّذِينَ
كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ آية أقول اخبر الله تعالى
ان الذين كذبوا بحججه وبراهينه ولم يصدقوه واستكبروا عنها انهم اصحاب النار الملازمون لها على
وجه الخلود والتأبيد والتكذيب هو تنزيل الخبر على انه كذب والتصديق تنزيل الخبر على انه صدق فالتكذيب
بآيات الله كفر والتكذيب بالطاغوت ايمان فلذلك توعد على التكذيب بآيات الله عقاب الابد و
الاستكبار طلب الترفع بالباطل ولفظة تستكبر صفة ذم في جميع الخلق والخلود هو لزوم الشيء ما هو
فيه ومعنى اخلد الى الارض لزوم الركون اليها والصاحب والقرين متقابلان غير ان القرين فيه معنى
النظير وليس ذلك في الصاحب فلذلك قيل اصحاب رسول الله ولم يقل قرناؤه ولفظة الذين مبنية
على هذه الصيغة في جميع الاحوال الرفع والنصب والجر وانما يثبت مع بعدها بالجمع من الحروف لان
العلة التي لها هي الذي موجودة فيه وهي نقصانه عن ساير الاسماء حتى تاتي صلته فيتم وليس
هذا كالشبه العارض الذي يزول على وجه فاما من قال اللذون والذين فانه اعتد بتنبيه الجمع
فجعله على طريقة المعرب ولان هذه الطريقة لما لم تكن اعرابا تاما لم يمنعوه لما وقع بعده من شبه
الحرف بالجمع قوله تعالى فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُولَٰئِكَ يَنَالُهُمْ
نَصِيبُهُم مِّنَ الْكِتَابِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ قَالُوا
ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ آية بلا خلاف أقول قوله فمن اظلم صورته
صورة الاستفهام والمراد به الاخبار عن عظم من يفتري على الله كذبا او يكذب بآيات الله وانه لا

هُوهُوَنَّ ظ

احد اظلم لنفسه منه وانما اورده هذا الخبر بلفظ الاستفهام لانه ابلغ برد المخاطب الى نفسه في جوابه
مع تحريك النفس له بطريق السؤال وقد بيناه فيما مضى من الكتاب حقيقة الظلم وان اجود ما حد
ان قيل هو الضرر المحض الذي لا نفع فيه يوفي عليه ولا دفع ضرر اعظم منه لا عاجلا ولا اجلا ولا
يكون مستحقا ولا واقعا على وجه المدافعة وقد حد الرماني الظلم بانه الضرر القبيح من جهة بخس
الحق به وهذا ينتقض بالالم الذي يدفع به الم مثله لما قلناه وقوله اولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب
فالنيل هو وصول النفع الى العبد اذا اطلق فان قيد وقع على الضرر لان اصله الوصول الى الشيء
من نلت النخلة انالها نيلا قال امرؤ القيس

سماحة ذا وبرّ ذا ووفاء ذا … ونائل ذا اذا صحا واذا سكر

والبخل منع النائل لمشقة الاعطاء وقيل في معنا ينالهم
نصيبهم من العذاب اقوال احدها قال الزجاج والفراء وهو ما ذكره الله تعالى من انواع العذاب للكفار مثل قوله
فانذرتكم نارا تلظى لا يصليها الا الاشقى الذي كذب وتولى وقوله يوم تبيض وجوه وتسود وجوه
فاما الذين اسودت وجوههم اكفرتم بعد ايمانكم وغير ذلك مما كتب الله في اللوح المحفوظ الثاني قال
الربيع وابن زيد من الرزق والعمر والعمل من الخير والشر في الدنيا الثالث قال مجاهد جميع ما
كتب لهم وعليهم وهو قول عطية وقال بعضهم معناه ينالهم نصيبهم من خير او شر في الدنيا لانه قال
حتى اذا جاءتهم رسلنا وهي الانتهاء والاجوبة الاولى اقوى لان الاظهر فيما يقتضيه عظم الظلم في
الفحش الوعيد والعذاب الابد وقال سيبويه والزجاج لا تجوز امالة حتى لانها حرف لا ينصرف والامالة
ضرب من التصرف وكذلك اما والا والا ولا وانما كتبت بالياء مع امتناع امالتها تشبيها بحبلى من جهة
ان الالف رابعة ولم يجز مثل ذلك في الا والا تشبيه الى ولا في اما التي للتخيير لانها بمنزلة ان ما التي
للجزاء وقوله حتى اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم يعني الملئكة التي تنزل عليهم لقبض ارواحهم وقيل في
معنى الوفاة ههنا قولان احدهما الحشر الى النار يوم القيمة بعد الحشر الثاني وفات الموت الذي يوبخهم
عنده الملئكة في قول ابي علي والوجه في مسئلة الملك لمن يتوفاه التبكيت لمن لم يقم بحجته والبشارة لمن
قام بحجته وفي الاخبار عن ذلك مصلحة السامع اذا تصور الحال فيه وقوله قالوا اينما كنتم تدعون من
دون الله حكاية سؤال الملئكة لهم وتوبيخهم ان الذين كانوا يدعونهم من دون الله من الاوثان والاصنام
لم ينفعوهم في هذه الحال بل ضروهم وقوله قالوا ضلوا عنا حكاية عن جواب الكفار للملئكة انهم يقولون
ضل من كنا ندعوه من دون الله عنا وشهدوا على انفسهم يعني الكفار اقروا على انفسهم انهم كانوا
جاحدين بالله وكافرين لنعمه بعبادتهم الانداد من دون الله قوله تعالى قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ
خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰ إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا
قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا
تَعْلَمُونَ آية واحدة بلا خلاف أقول هذا حكاية عن قول الله تعالى للكفار يوم القيمة وامره لهم
بالدخول في جملة الامم الذين مضوا من قبلهم من جملة الجن والانس وهم في النار ويجوز ان يكون ذلك
اخبارا عن جعله اياهم في جملة اولئك في النار من غير ان يكون هناك قول كما قال كونوا قردة خاسئين
والمراد انه جعلهم كذلك ومعنى الخلو انتفاء الشيء عن مكانه فكانما انتفى من مكانه فقد خلا منه كذلك
خلت بمعنى مضت لانها اذا مضت بالهلاك فقد خلا مكانها منها والجن جنس من الحيوان مستترون
عن اعين البشر لرقتهم يغلب عليهم التمرد في افعالهم لان الملك ايضا مستتر لكن غلب عليه افعال الخير وعند
قوم انهم اجمع رسل الله والانس جنس من الحيوان يتميز بالصورة الانسانية وقوله كلما دخلت امة لعنت
اختها يعني في دينها لا في نسبها فاما قوله والى مدين اخاهم شعيبا يعني انه منهم في النسب
وقوله حتى اذا اداركوا فيها جميعا فوزن اداركوا تفاعلوا فادغمت التاء في الدال واجتلبت الف الوصل
ليمكن النطق بالساكن الذي بعده ومعناه تلاحقوا وقوله قالت اخراهم لاولاهم يعني الفرقة المتاخرة

التابعة تقول للامة المتقدمة المتبوعة ويشير اليها هؤلاء اضلونا عن طريق الحق واغوونا فاتهم
عذابا ضعفا من النار دعاء منهم عليهم ان يجعل عذابهم ضعفا فقال الله تعالى لكل ضعف ولكن
لا تعلمون والضعف المثل الزايد على مثله فاذا قال القائل اضعف هذا الدرهم معناه اجعل معه
درهما اخر لا دينارا وكذلك اضعف الاثنين اى اجعلهما اربعة وحكى ان المضعف فى كلام العرب ما كان
ضعفين والمضاعف ما كان اكثر من ذلك وروى عن عبد الله بن مسعود ان الضعف افاعى وحيات
واستعمل الضعف بمعنى المثل ومنه قوله يضعف لها العذاب ضعفين يعنى مثلين وقرا ابو بكر عن عاصم
ولكن لا يعلمون بالياء الباقون بالتاء ومن قرء بالتاء فتقديره لا تعلمون ايها المخاطبون ما لكل
فريق منهم ومن قرء بالياء تقديره لكن لا يعلم كل فريق ما على الاخر من العقاب **قوله** تعالى وَقَالَتْ
أُولَاهُمْ لِأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ آية بلا خلاف **اقول**
هذا حكاية عن جواب قول الامة الاولى المتبوعة للاخرى التابعة حين سمعت دعاءها عليهم بان يؤتيهم
ضعفا من العذاب فما كان لكم علينا من فضل وقيل فى معناه قولان احدهما ما كان لكم علينا من فضل
فى ترك الضلال وهو قول ابى مخلد والسدى وقال الجبائى لما ساويتمونا فى الكفر الثانى من فضل التاويل
فبطل بونا بتضييع حقه ولفظة افعل على ثلثة اوجه احدها ما فيه معنى يزيد كذا على كذا فهذا لا يجوز فيه
التانيث والتذكير والتثنية والجمع مضافا كان او على طريقة افعل من كذا كقولك افضل من زيد افضل
القوم لتضمنه معنى الفعل والمصدر كقولك افضل القوم بمعنى يزيد فضله على فضلهم فهذا يجوز فيه كل
ذلك كقولك الاكبر والكبرى والاكابر الثالث افعل من الالوان والعيوب الظاهرة للحاسة فهذا يجئ
على افعل وفعلاء وجمعه فعل نحو احمر وحمراء وحمر واعرج وعرجاء وعرج واما افعل اذا كان اسم
جنس فانه يثنى ويجمع ولا يؤنث وكذلك اذا كان علما نحو افكل وافاكل واحمد واحامد فاما ابطح و
اباطح واجرع واجارع فاجرى هذا المجرى لانه استعمل على طريقة اسم الجنس واصله الوصف ولا يجوز
فى افعل العقول الا التعريف لابد من معنى الفعل عن معنى الفعل من كذا قال سيبويه لا يجوز نسوة صغر
ولا كبر حتى تعرفه فتقول النسوة الصغر والكبر **قوله** تعالى إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا
لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ
آية بلا خلاف **اقول** قرء حمزة والكسائى وخلف لا يفتح بالياء والتخفيف وقرء ابو بكر وابو عمرو بالتاء والتخفيف
الباقون بالتاء والتشديد من شدد ذهب الى التكثير والمعنى انهم ليسوا كحال المؤمن فى التفتيح مرة
بعد اخرى ومن قرا بالتاء فلان الابواب جماعة فانث تانيث الجماعة ومن قرء بالياء فلان التانيث غير
حقيقى وذهب الى معنى الجمع اخبر الله تعالى فى هذه الاية ان الذين كذبوا بايات الله وجحدوها واستكبروا
عنها بمعنى طلبوا التكبر والترفع عن الانقياد لها لا تفتح لهم ابواب السماء هوانا لهم واستخفافا بهم
فان فتحت عليهم بالعذاب وقال ابن عباس والسدى لانها تفتح لروح المؤمن ولا تفتح لروح الكافر وفى
رواية اخرى عن ابن عباس ومجاهد وابرهيم لا تفتح لدعائهم ولا اعمالهم وقال ابو جعفر عليه السلم اما
المؤمنون فيرفع اعمالهم وارواحهم الى السماء فتفتح لهم ابوابها واما الكافر فيصعد بعمله وروحه حتى
اذا بلغ الى السماء نادى مناد اهبطوا بعمله الى سجين وهو واد بحضرموت يقال له برهوت وقال الحسن لا تفتح
لدعائهم وقال ابن جريج لا تفتح لارواحهم ولا اعمالهم وقال ابو على لا تفتح لهم ابواب السماء لدخول الجنة
لان الجنة فى السماء ثم قال ولا يدخلون الجنة يعنى هؤلاء المكذبين بايات الله والمستكبرين عنها سواء
كانوا معاندين فى ذلك او غير عالمين بذلك وانما تساويا فى ذلك لان من ليس بعالم فقد ازيحت علته
باقامة الحجة ونصب الادلة على تصديق ايات الله وترك الاستكبار عنها وقوله حتى يلج الجمل فى سم الخياط
انما علق الجائز وهو دخولهم الجنة بمحال وهو دخول الجمل فى سم الخياط لا يكون كما قال الشاعر شعر

اذا شاب الغراب اتيت اهلى ... وصار القار كاللبن الحليب

والاخر انه مضمر بما لا يمكن من قلب الدليل والجمل هو البعير ههنا فى قول عبد الله والحسن ومجاهد
والسدى وعكرمة واكثر المفسرين ومنه قيل السم القاتل لانه ينفذ بلطفه فى مسام البدن حتى يصل الى
القلب فينتقض بنيته وكل ثقب فى البدن لطيف فهو سُم وسَم بضم السين وفتحها وجمعه سموم وقال
الفرزدق شعر ... فنفست عن سميه حتى تنفسا ... وقلت له لا تخش شيئا ورائيا
يعنى بسميه ثقبى انفه ويجمع السم القاتل سماما وقيل خياط ومخيط كما قيل لحاف وملحف وقناع ومقنع
وازار ومئزر وقرام ومقرم ذكره الفراء **قوله** تعالى لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَ
كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ آية بلا خلاف **اقول** اخبر الله تعالى ان لهؤلاء الكفار الذين كذبوا
بايات الله واستكبروا عنها من جهنم مهادا وجهنم فى موضع جر بمن لكن فتح لانها لا ينصرف للاجتماع
التانيث والتعريف فيها واشتقاقها من الجهومة وهى الغلظ رجل جهم الوجه غليظه فسميت بهذا لغلظ
امرها فى العذاب نعوذ بالله منها والمهاد الوطاء الذى يفترش ومنه مهد الصبى ومهدت هذا الامر اذا
وطاته له وانما قيل مهاد من جهنم اى موضع المهاد كما قال تعالى فبشرهم بعذاب اليم وقال الحسن مهاد
فراش من نار وغواش ظلل منها وقوله ومن فوقهم غواش فالغواش لباس مجلل ومنه غاشية السرج
وفلان يغشى فلانا اى ياتيه ويلابسه ومنه غشى المريض والغشاوة التى يكون على الولد وقال محمد بن
كعب الغواشى هى اللحف وهى ازر الليل محشوة كانت او غير محشوة ذكره الازهرى وروى الطبرى مثله
وقيل فى دخول التنوين على غواش مع انه على فواعل وهو لا ينصرف قولان احدهما قال سيبويه ان التنوين
عوض من الياء المحذوفة وليس بتنوين الصرف الثانى انه تنوين الصرف عند حذف الياء لالتقاء الساكنين
فى التقدير وقوله وكذلك نجزى الظالمين اى مثل ما نجزى هؤلاء المكذبين بايات الله المستكبرين عنها
نجزى كل ظالم وكل كافر والوصف بالظالم يقتضى لحوق الذم به فى العرف **قوله** تعالى وَالَّذِينَ آمَنُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ آية **اقول**
لما اخبر الله تعالى بصفة المكذبين المستكبرين عن اياته وما اعد لهم من انواع العذاب والخلود فى النيران
اخبر بعده بما اعده للمؤمنين العاملين بالاعمال الصالحات فقال والذين امنوا يعنى الذين صدقوا
بايات الله واعترفوا بها ولم يستكبروا عنها ثم اضافوا الى تلك الاعمال الصالحات وهو ما اوجبه الله
عليهم او ندبهم اليه وقوله لا نكلف نفسا الا وسعها فالتكليف من الله هو ارادة ما فيه المشقة وقال
بعضهم قوم هو اعلام وجوب ما فيه المشقة او ندب به والارادة شرط وقال قوم التكليف هو تحميل ما يشق
فى الامر والنهى ومنه الكلفة وهى المشقة وتكلف القول اى تحمل ما فيه المشقة حتى اتى على ما ينافى العقل
الفعل اخبر الله تعالى انه لا يلزم نفسا الا قدر طاقتها وما دونها لان الوسع دون الطاقة وفى ذلك دلالة
على بطلان قول المجبرة من ان الله تعالى كلف العبد ما لا قدرة له عليه ولا يطيقه وموضع لا يكلف نفسا
الا وسعها قيل فيه قولان احدهما ان يكون رفعا بانه الخبر على حذف العائد كانه قيل منهم ولا من غيرهم
وحذف لانه معلوم والاخر الا يكون له موضع من الاعراب لانه اعتراض والخبر الجملة فى اولئك لان قوله
والذين امنوا مبتدا وقوله اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون خبر بان هؤلاء الذين امنوا وعملوا
الصالحات ملازمون الجنة مخلدون لنعيمها **قوله** تعالى وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ تَجْرِي مِنْ
تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ
رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ آية بلا خلاف **اقول** نزع
الغل فى الجنة تصفية الطباع واسقاط الوساوس واعطا كل نفس مناها ولا يتمنى ما لغيرها قرا ابن
عامر ما كنا لنهتدى بلا واو وكذلك هى فى مصاحف اهل الشام الباقون باثباتها ووجه الاستغناء عن الواو
ان الجملة ملتبسة بما قبلها فاغنى التباسها بها عن حرف العطف ومثله سيقولون ثلثة رابعهم كلبهم فاستغنى
عن حرف العطف بالتباس احدى الجملتين بالاخرى من اثبت الواو فلعطف جملة على جملة فى هذا الا

اخبار عما يفعله بالمؤمنين فى الجنة بعد ان يخلدهم فيها بان ينزع ما فى صدورهم من غل فالنزع قلع الشئ
عن مكانه المتمكن فيه اما بتحويله واما باعدامه ومعنى نزع الغل ههنا ابطاله وقيل فيما ينزع الغل
من قلوبهم قولان احدهما قال ابو على بلطف الله لهم فى التوبة حتى يذهب صفة العداوة الثانى بخلوص المودة
حتى صار منافيا للغل الطباع والثانى اقوى لان قوله يجرى من تحتهم الانهار حال لنزع الغل وكانه قال
ونزعنا ما فى صدورهم من غل فى حال يجرى من تحتهم الانهار وعلى الاول يكون يجرى من تحتهم الانهار
مستانفا والغل الحقد الذى ينغل بلطفه الى صميم القلب ومنه الغلول وهو الوصول بالحيلة الى دقيق
الخيانة ومنه الغل الذى يجمع اليدين والعنق بانغلاله فيهما والصدر ما يصدر من جهة التدبير والراى
ومنه قيل للرئيس صدر وقيل صدر المجلس وقوله يجرى من تحتهم الانهار فالجريان انحدار المايع فالماء يجرى
والدم يجرى وكذلك كلما يصح ان يجرى نحو مايع وجرى الفرس فى عدوه تشبيها بجرى الماء فى انبثاثه وسرعته
وقوله يجرى من تحتهم الانهار فالنهر المجرى الواسع من مجارى الماء ومنه النهار لاتساع ضيائه وانها الدم
لاتساع مخرجه وقالوا الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا ان هدينا الله اخبار عن قول
اهل الجنة واعترافهم بالشكر لله تعالى هو الذى عرضهم له بتكليفه اياهم ما يستحقون به الثواب
قيل معنى هدانا لهذا يعنى لنزع الغل من صدورنا وقيل هدانا لثبات الايمان فى قلوبنا وقيل هدانا لجواز
الصراط وقوله لقد جاءت رسل ربنا بالحق اقرار من اهل الجنة واعتراف بان ما جاءت به الرسل اليهم
من جهة الله انه حق لا شبهة فيه ولا مرية فى صحته وقوله ونودوا ان تلكم الجنة اورثتموها بما كنتم تعملون
فالنداء الدعاء بطريقة يا فلان كانه قيل لهم ايها المؤمنون ان تلكم الجنة التى اورثتموها بما كنتم تعملون
جزاء لكم على ذلك على وجه التهنئة لهم بها وان مخففة من الثقيلة والهاء مضمرة والتقدير ونودوا انه
تلكم الجنة وقال الزجاج ان تلكم تفسير للنداء والمعنى قيل لكم تلكم الجنة وانما قال تلكم لانهم وعدوا
بها فى الدنيا وكانه قيل لهم هذه تلكم التى وعدتم بها ويجوز ان يكون عاينوها فقيل لهم قبل ان يدخلوها
اشارة اليها تلكم الجنة ومن ادغم فلان الثاء والتاء مهموستان متقاربتان فاستحسن الادغام من ادغم
ومن ترك الادغام فى اورثتموها وهو ابن كثير ونافع وعاصم وابن عامر فلتباين المخرجين وان الحرفين فى حكم
الانفصال وان كانا فى كلمة واحدة كما لم يدغموا ولو شاء الله ما اقتتلوا وان كانا مثلين لما لم يلزم ان
تاء افتعل قد يقع بعدها غير التاء فكذلك التاء فى اورثت قد يقع بعدها غير التاء فلا يجب الادغام واستدل
الجبائى بذلك على ان الثواب يستحق باعمال الطاعات ولا نحو من جهة الاصلح لان الله تعالى بين انهم
اورثوها جزاء بما عملوه من طاعته عز وجل قوله تعالى وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا
مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ اللَّهِ عَلَى
الظَّالِمِينَ آية **القراءة** قرء حمزة والكسائى وابن كثير فى رواية قنبل ان لعنة مشددة النون الباقون
خفيفة وكذلك ابن كثير فى رواية قنبل وقرء الكسائى وحده قالوا نعم بكسر العين وفى الشعراء قال نعم
وفى الصافات قل نعم لعنة الله بتخفيف النون وسكونها ورفع لعنة الله الباقون بتشديد النون ونصب لعنة الله
قال ابو الحسن الاخفش نعم ونعم لغتان بالكسر لغة كنانة وهذيل والفتح لغة باقى العرب فى القراءة الفتح
وقال سيبويه نعم عدة وتصديق فاذا استفهمت اجبت بنعم ولم يحك سيبويه الكسر ومعنى قوله عدة و
تصديق انه يستعمل عدة ويستعمل تصديقا ولا يريد ان العدة يجتمع مع التصديق الا ترى انه اذا قال
قائل اتعطينى فقال نعم كان عدة ولا تصديق فى ذلك واذا قال قد كان كذا وكذا فقلت نعم فقد
صدقته ولا عدة فى هذا اذن مؤذن بمنزلة اعلم معلم قال سيبويه اذنت اعلام بتصويت فالتى يقع بعد
العلم انما هى المشددة او المخففة عنها والتقدير اعلم معلم ان لعنة الله ومن خففها كان على اضمار
القصة والحديث فتقديره انه لعنة الله ومثل ذلك قوله واخر دعويهم ان الحمد لله رب العالمين و
التقدير انه ولا يخفف ان الا واضمار الحديث فالقصة يراد معها ومن ثقل نصب بان ما بعدها كما

ينصب بالمشددة المكسورة والمكسورة اذا خففت لا يكون ما بعدها على اضمار القصة والحديث كما يكون
المفتوحة كذلك والفرق بينهما ان المفتوحة موصولة والموصولة تقتضى صلتها فصارت لاقتضائها الصلة
اشد اتصالا بما بعدها من المكسورة فقدر بعدها الضمير الذى هو من جملة صلتها وليست المكسورة
كذلك لان ان المفتوحة بمعنى المصدر فلا بد لها من اسم وخبر لانها لا تلقى بان يكون دخلها كخبر وجمادى ليس
كذلك ان ومن المفتوحة قول الاعشى فى فتية كسيوف الهند قد علموا ان هالك كل من يحفى وينتعل
واما قراءتهم فى النور ان غضب الله فان ان فى موضع رفع بانه خبر المبتدا واما قراءة نافع ان لعنة الله
فحسن هو بمنزلة قوله واخر دعويهم ان الحمد لله وليس لاحد ان يقول هذا لا يستحسن لان المخففة
من الشديدة لا يقع بعدها الفعل حتى يقع عوض من حذف ان ومن انها تولا ما يليها من الفعل يدل
على ذلك علم ان سيكون منكم وقوله لئلا يعلم اهل الكتاب ان لا يقدرون على شئ وذلك انهم استجازوا
ذلك وان لم يدخل معه شئ من هذه الحروف لانه دعاء وليس شئ من هذه الحروف يحتمل الدخول
معه ونظير هذا فى انه لما كان دعاء لم يلزمه العوض قوله نودى ان بورك من فى النار ومن حولها فولى
قوله بورك ان وان لم يدخل معها عوض كما لم يدخل فى قراءة نافع ان غضب الله عليها والدعاء قد استجيز
معه ما لم يستجز مع غيره الا ترى انهم قالوا اما ان جزاك الله خيرا من جملة سيبويه على اضمار القصة فى ان المكسورة
ولم يضمر القصة مع المكسورة الا فى هذا الموضع قوله ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار معناه وقال اصحاب
الجنة يا اصحاب النار بعد دخولهم هؤلاء الجنة ودخول هؤلاء النار والصاحب هو المقارن للشئ على سنة
طول المدة والصحبة والمقاربة نظائر الا ان فى الصحبة الارادة ومنه قيل اصحاب الصحراء ان قد وجدنا
ما وعدنا ربنا حقا معناه وجدنا ما وعدنا الله على لسان رسله من الثواب على الايمان به والطاعات
فهل وجدتم ما وعدكم ربكم على السنتهم حقا جزاء على الكفر من العقاب وعلى معاصيه من اليم العذاب
فاجابهم اهل النار بان نعم والغرض بهذا النداء تبكيتا للكفار وتوبيخهم وان الله تعالى صدقهم فيما
وعد به على لسان نبيه لتعرف الكفار بذلك ويتحسروا عليه والوجدان على ضربين احدهما بمعنى العلم
فهو يتعدى الى مفعولين والاخر بمعنى الاحساس يتعدى الى مفعولين والاخر بمعنى الاحساس يتعدى
الى واحد وانما كان كذلك لان الذى بمعنى العلم فهو يتعلق بمعنى العلم فهو يتعلق بمعنى الجملة والذى
يتعلق بالاحساس يتعلق بمعنى المفرد من حيث ان الاحساس لا يتعلق بالشئ الا من وجه واحد وجواب
الايجاب يكون نعم وجواب النفى بلى لان نعم تحقق معنى الخبر المذكور فى الاستفهام وبلى تحققه باسقاط حرف
النفى وقوله فاذن مؤذن بينهم معناه نادى مناد نداء اسمع الفريقين ان لعنة الله على الظالمين
لعنة الله غضبه وسخطه وعقوبته على من كفر به فيسر بذلك اهل الجنة ويغتم اهل النار قال الاخفش و
الزجاج يجوز ان يكون ان بمعنى اى قد وجدنا ولا يجب ان يكون ان بمعنى اى قد وجدنا ولا يجب ان
يكون انه نادوهم مشرفين عليهم من السماء فى الجنة لان الجنة فى السماء والنار فى الارض وقوله وجدنا ما
وعدنا ربنا حقا انما اضافوا الوعد بالجنة الى نفوسهم لان الكفار ما وعدهم الله بالجنة والثواب الا
بشرط ان يؤمنوا فلما لم يؤمنوا فكانهم لم يوعدوا وكذلك قوله ما وعد ربكم يعنون من العقاب لان
المؤمنين لما كانوا مطيعين مستحقين للثواب فكانهم لم يوعدوا بالعقاب وانما خص الكفار قوله تعالى
الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ آية بلا خلاف **اقول** الذين
فى موضع جر لانه صفة للظالمين والتقدير الا لعنة الله على الظالمين الذين يصدون عن سبيل الله
ويبغونها عوجا وذلك يبين ان المراد بالظالمين الكفار لان ما ذكرهم به من اوصاف الكفار والصد
هو العدول عن الشئ عن قلى والصد والاعراض بمعنى الا ان الصد يجوز ان يتعدى يقول صده عن الحق
يصده صدا او صد هو عنه ايضا والاعراض لا يتعدى وقوله عن سبيل الله يعنى الحق الذى دعا الله اليه
ونصب عليه الادلة وبعث به رسله وقيل هو دين الله وقيل الطريق الذى دل الله على انه يؤدى الى

الجنة والمعنى متقارب وقوله يبغونها عوجا معنى تبغونها يطلبون لها العوج بالشبه التى تلبسون بها و
يوهمون انها تقدح فيها وانها معوجة عن الحق بتناقضها والعوج بالكسر يكون فى الطريق وفى الدين
وبالفتح يكون فى الخلقة كقولك فى ساقه عوج بفتح العين قال الشاعر **شعر**

تقا انسال منازل ال ليلى على عوج اليها وانثناء بكسر العين

ويحتمل نصب عوجا امرين احدهما ان يكون مفعولا به كقولك يبغون لها العوج الثانى ان يكون نصبا
على المصدر كانه قال يطلبونها هذا الضرب من الطلب كما يقول رجع القهقرى اى هذا الضرب من
الرجوع اى طلب الاعوجاج **قوله** تعالى وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ
وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ آية بلا خلاف **اقول** قوله يعنى بين
اصحاب الجنة واصحاب النار حجاب والحجاب هو الحاجز المانع من الادراك ومنه قيل للضرير محجوب وحاجب
الامير وحاجب العين وحجبه عنه اى منعه من الوصول اليه وقوله وعلى الاعراف رجال فالاعراف المكان
المرتفع اخذ من عرف الفرس ومنه عرف الديك وكل مرتفع من الارض يسمى عرفا لانه بظهوره اعرف مما
انخفض قال الشماخ شعر وظلت باعراف تعالى كانها رماح نحاها وجهة الريح راكز
وقال اخر كل كناز لحمه نياف كالعلم الموفى على الاعراف
يعنى بنشوز من الارض وقيل هو سور بين الجنة والنار كما قال تعالى فضرب بينهم بسور باب باطنه فيه الرحمة
وظاهره من قبله العذاب وهو قول مجاهد والسدى واختلفوا فى الذين هم على الاعراف على اربعة اقوال
احدها انهم فضلاء المؤمنين فى قول الحسن ومجاهد قال ابو على الجبائى هم الشهداء وهم عدول الاخرة
وقال ابو جعفر عليه السلام هم الائمة ومنهم النبى عليه السلام وقال ابو عبد الله الاعراف كثبان بين الجنة والنار
فيوقف عليها كل نبى وكل خليفة نبى مع المذنبين من اهل زمانه كما يوقف قايد الجيش مع الضعفاء
من جنده وقد سبق المحسنون الى الجنة فيقول ذلك الخليفة للمذنبين الواقفين معه انظروا الى اخوانكم
المحسنين قد سبقوا الى الجنة فيسلم المذنبون عليهم وذلك قوله ونادوا اصحاب الجنة ان سلام عليكم
ثم اخبر تعالى انهم لم يدخلوه وهم يطمعون يعنى هؤلاء المذنبين لم يدخلوا الجنة وهم يطمعون ان يدخلهم
الله اياها بشفاعة النبى والامام وينظر هؤلاء المذنبون الى اهل النار فيقولون ربنا لا تجعلنا
للقوم الظالمين ثم ينادى اصحاب الاعراف وهم الانبياء والخلفاء اهل النار مقرعين لهم ما اغنى عنكم
جمعكم اهؤلاء الذين اقسمتم يعنى اهؤلاء المستضعفين الذين كنتم تحقرونهم وتستطيلون بدنياكم عليهم
ثم يقولون لهؤلاء المستضعفين عن امر الله لهم بذلك ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون ويؤكد
ذلك ما رواه عمر بن شيبة وغيره ان عليا عليه السلام قسيم الجنة والنار فروى عمر بن شيبة باسناده عن النبى عليه
السلام انه قال يا على كانى بك يوم القيمة وبيدك عصا عوسج فتسوق قوما الى الجنة واخرين الى النار الثالث
قال ابو مجلز هم ملائكة يرون فى صورة الرجال الثالث قال حذيفة هم قوم يطاب بهم صغايرهم الى اخر
الناس الرابع قال الفراء والزجاج وغيرهما هم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم فادخلهم الله تعالى الجنة
متفضلا عليهم وطعن الرمانى والجبائى على هذا الوجه بان قالا الاجماع منعقد على انه لا يدخل الجنة
من المكلفين الا المطيع لله وهذا الذى ذكروه ليس بصحيح لان هذا الاجماع دعوى ليس على صحته دليل
بل من قال ما حكيناه لا يسلم ذلك واكثر المرجئة ايضا لا يسلمون ذلك وقوله يعرفون كلا بسيماهم يعنى
هؤلاء الرجال الذين هم على الاعراف يعرفون جميع الخلق بسيماهم يعرفون اهل الجنة بسيما المطيعين واهل
النار بسيما العصاة والسيما العلامة وهى فى اهل النار سواد الوجوه وزرقة العيون وفى اهل الجنة بياض
الوجوه وحسن العيون فى قول الحسن وغيره وقيل فى وزن سيما قولان احدهما انه فعلى من سام ابله يسومها
اذا ارسلها فى المرعى وهى السائمة الثانى ان وزنه عفلى وهو من وسمت فقلبت الواو الى موضع العين
كما قالوا له جاه فى الناس اى وجه وقالوا اضحل وامضحل وارض خامة اى وخيمة وفيها ثلث لغات القصر

والمد وسيمياء قال الشاعر **شعر** غلام رماه الله بالحسن يافعا له سيمياء لا تشق على البصر
على زنة الكبرياء وقوله ونادوا اصحاب الجنة يعنى هؤلاء الذين على الاعراف ينادون باصحاب الجنة لم
يدخلوها وهم يطمعون قيل فى الطامعين قولان احدهما قال ابن عباس وابن مسعود والحسن وقتادة
انهم اصحاب الاعراف وقال ابن مجلز هم اهل الجنة الذين ما دخلوها بعد والطمع ههنا هو يقين بلا
شك لانهم عالمون بذلك ضرورة وهو مثل قول ابرهيم والذى اطمع ان يغفر لى خطيئتى يوم الدين
ولم يكن ابرهيم عليه السلام شاكا فى ذلك بل كان عالما قاطعا وانما حسن ذلك لعظم شان المتوقع فى جلالة النعمة
به وهو قول الحسن وابى على الجبائى واكثر المفسرين **قوله** تعالى وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ
قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ آية بلا خلاف **اقول** هذا اخبار من الله تعالى عن احوال هؤلاء
الذين على الاعراف انه اذا صرفت ابصارهم والصرف هو العدول بالشئ من جهة الى جهة والتلقاء جهة اللقاء
وهى جهة المقابلة ولذلك كان ظرفا من ظروف المكان يقول هو تلقاءك كقولك هو حذاءك والابصار جمع
بصر وهو الحاسة التى يدرك بها المبصر وقد يستعمل بمعنى المصدر فيقال له بصر بالاشياء اى علم بها وهو بصير
بالامور اى عالم واصحاب النار هم اصحاب النار وانما يفيد اصحاب انهم ملازمون لها والاصل يقتضى
المناسبة فيهم لسبب لازم كالنسب كما يقال اهل البلد وحد الرمانى النار بان قال جسم لطيف فيه الحرارة
والضياء وزيد فيه ومن شانه الاحراق وقوله قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين اى لا تجمعنا واياهم فى النار
وانما حسنت المسئلة مع علمهم الضرورى بان الله لا يفعل بهم ذلك لما لهم من ذلك من السرور وتقف بهم الخاضع
لله فى دعائه الشاكر بخضوعه لربه وكما يجوز ان يريد وامن الله النعيم كذلك يجوز ان يسالوا السلامة من
العذاب مع العلم بها ونظير ذلك قوله تعالى يوم لا يخزى الله النبى والذين امنوا معه نورهم يسعى بين
ايديهم وبايمانهم يقولون ربنا اتمم لنا نورنا واغفر لنا وان كان النبى ومن معه من المؤمنين يعلمون
ذلك **قوله** تعالى وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَى عَنْكُمْ
جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ آية بلا خلاف **اقول** قوله ونادى اصحاب الاعراف معناه سينادى وانما
جاز ان يذكر الماضى بمعنى المستقبل لامرين احدهما لتحقيق المعنى كانه قد كان والثانى على وجه الحكاية
والحذف والتقدير اذا كان يوم القيمة نادى اصحاب الاعراف ونادى معناه دعا غير ان فى نادى معنى
امتداد الصوت ورفعه لانه مشتق من الندا يقال صوت ندى اى ممتد وينصرف خلافا للواقف وليس كذلك
دعاء لانه قد يكون بعلامة كالاشارة من غير صوت ولا كلام ولكن اشارة تنبئ عن معنى يقال فى هذه الاية
اخبار وحكاية من الله تعالى ان اصحاب الاعراف ينادون قوما يعرفونهم من الكفار بسيماهم من سواد
الوجوه وزرقة العين وضروب من تشويه الخلق يميزون به من اهل الجنة وغيرهم ما اغنى جمعكم عنكم معناه ما
نفعكم ذلك وقيل فى معنى الجمع قولان احدهما جماعتكم التى استندتم اليها الثانى جمعكم الاموال و
العدد فى الدنيا قوله وما كنتم تستكبرون معناه ولا نفعكم تكبركم وتجبركم فى دار الدنيا عن الانقياد
لانبياء الله واتباع امره **قوله** تعالى أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا
خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ آية بلا خلاف **اقول** قيل فى القايل لهذا القول الذى هو اهؤلاء
الذين اقسمتم قولان احدهما قال الحسن وابو مجلز والجبائى واكثر المفسرين انهم اصحاب الاعراف يقولون
للكفار مشيرين الى اهل الجنة اهؤلاء الذين اقسمتم لا ينالهم الله برحمة وهذا يدل على ان الواقفين على
الاعراف هم ذوو المنازل الرفيعة والمراتب السنية الثانى انه من قول الله تعالى فى اصحاب الاعراف
وقوله اهؤلاء مبتداء وخبره الذين اقسمتم ولا يجوز ان يكون الذين صفة لهؤلاء من وجهين احدهما
ان المبهم لا يوصف الا بالجنس والاخر انه يبقى المبتداء بلا خبر ويجوز نصب هؤلاء بالفعل فى اهؤلاء
الذين اقسمتم ولا يجوز مع الذين اقسمتم لان ما بعد الموصول لا يعمل فيما قبله لانه من تمام الاسم و
الاقسام تاكيد الخبر يقول والله وتالله للقطع عليه او ليدخل فى قسم ما يقطع به العمل عليه وقوله

لا ينالهم الله برحمة فالنيل هو لحوق البر واصله اللحوق يقال نال الحائط اناله نيلا اذا لحقته وقوله ادخلوا
الجنة امر بدخول الجنة للمؤمنين وقوله لا خوف عليكم فالخوف هو توقع المكروه وضده الامن وهو
الثقة بانتفاء المكروه ولا انتم تحزنون معناه ادخلوا الجنة لا خائفين ولا محزونين وفائدة الآية تقريع
الزارئين على ضعفاء المؤمنين حتى حلفوا انهم لا خير لهم عند الله فقيل لهم ادخلوا الجنة على اكمل
سرور واتم كرامة **قوله** تعالى وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ
أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ آية بلا خلاف **اقول** في هذه الآية حكاية
ان اصحاب النار يوم القيمة ينادون اصحاب الجنة واصحاب النار هم المخلدون في عذابها لا جميع من
فيها لان فيها زبانية الموكلون بعذاب اهلها وانما توعد الله بالعقاب بالنار دون اختراع الالام
او غيره من الاسباب لانه اهول في النفس واعظم في الزجر لما يتصور من الحال فيه وما تقدم من
ادراك البصر له وانهم يسئلونهم ان يفيضوا عليهم شيئا من الماء والافاضة اجراء المايع من علو
ومنه قولهم افاضوا في الحديث اي اخذوه بينهم من اوله لانه بمنزلة اعلاه وافاضوا من عرفات الى المزدلفة
معناه صاروا اليها قال الرماني حد الماء جسم سيال يروي العطشان من غير غذاء الحيوان وهو
جوهر عظيم الرطوبة يزيد على جميع المايعات في كثرة المنفعة وقوله او مما رزقكم الله قال ابن زيد و
السدي طلبوا مع الماء شيئا من الطعام وقال ابو علي طلبوا شيئا من نعيم الجنة فاجابهم اهل الجنة بتحريم
المنع لا تحريم العبادة فقالوا ان الله حرمهما على الكافرين وانما جاز ان يطلبوا شيئا من نعيم الجنة مع
اليأس منه لانهم لا يخلون من الكلام به او السكوت عنه وكلاهما لا فرج لهم فيه وانما لم يذكروا اهل
الجنة مع خيريتهم رقة على اهل النار لان من الخيرية القسوة على اعداء الله واعداء ائمتهم وذلك من تمييز
طباعهم كما يبغض المسئ ويحب المحسن وفي ذلك دلالة على ان الله تعالى بنى هذه الجملة بنية لا يستغنى عن
الغذاء لان اهل النار مع ماهم عليه من العذاب يطلبون الطعام والشراب **قوله** تعالى الَّذِينَ
اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا
بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ آية بلا خلاف **اقول** يحتمل قوله الذين اتخذوا دينهم ان يكون في موضع جر بان
يكون صفة للكافرين ويكون ذلك من قول اهل الجنة وتقديره ان الله حرمهما على الكافرين
الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا ويحتمل ان يكون رفعا بالابتداء ويكون اخبارا من الله تعالى على وجه
الذم لهم واتخذوا وزنه افتعلوا والاتخاذ الافتعال وهو اخذ الشئ باعداد الامر من الامور فهؤلاء
عدوا الدين اللهو واللعب ومعنى الدين ههنا ما امرهم الله تعالى به ودعاهم فيه مما يستحق به العذاب
واصل الدين الجزاء ومنه قوله ملك يوم الدين واللهو طلب صرف الهم بما لا يحسن ان يطلب به فهؤلاء
طلبوا صرف الهم بالتهزي بالدين وعيب المؤمنين واللعب طلب المرح بما لا يحسن ان يطلب به مثل
حال الصبي في اللعب واشتقاقه من اللعاب وهو المرور على غير استواء واصل اللهو الانصراف عن
الشئ ومنه قولهم اذا استأثر الله بشئ فاله عنه اي انصرف عنه وقوله وغرتهم الحيوة الدنيا فمعنى الغرور
تزيين الباطل للوقوع فيه غره يغره غرورا وانما اغتروا هم بالدنيا في الحقيقة فصارت كانها غرتهم
والدنيا هي النشأة الاولى والاخرة النشأة الاخرى وسميت الدنيا دنيا لدنوها من الحال وهما كرتان
فالكرة الاولى الدنيا والكرة الثانية هي الاخرة وقوله فاليوم ننساهم في معناه قولان احدهما نتركهم
من رحمتنا بان نجعلهم في النار في قول ابن عباس والحسن ومجاهد والسدي فسما الجزاء على تركهم
طاعة الله نسيانا كما قال وجزاء سيئة سيئة مثلها والجزاء ليس بسيئة الثاني انه يعاملهم معاملة
المنسيين في النار لانه لا يجاب لهم دعوة ولا يرحم لهم عبرة في قول الجبائي كما نسوا لقاء يومهم معناه
كما تركوا الاستعداد للقاء يومهم هذا على القول الاول والثاني كما نسوا في انهم لم يعملوا به مثل
الناسين لذلك لا يجيب لهم دعوة لانهم نسوا وقوله وما كانوا بآياتنا يجحدون فالجحد انكار معنى

الخبر واما انكار المنكر فبكلما يصرف عن فعله الى تركه وما في الموضعين مع ما بعدها بمنزلة المصدر
والتقدير كنسيانهم لقاء يومهم هذا وكونهم جاحدين لآياتنا **قوله** تعالى وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ
فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ آية بلا خلاف **اقول** هذا اخبار من الله تعالى
انه اتى هؤلاء الكفار بكتاب والمجئ نقل الشئ الى حضرة المذكور وجئته بكذا ضد ذهبت به عنه
لان ذلك نقل اليه وهذا نقل عنه والكتاب المراد به القران واصل الكتاب صحيفة فيها كتابة و
الكتابة حروف مسطورة تدل بتاليفها على معان مفهومة وقوله فصلناه معناه ميزنا معانيه على
وجه يزول معه اللبس والتفصيل والتبيين والتقسيم نظائر وقوله على علم معناه فصلناه ونحن عالمون
به لانه لما كانت صفة عالم ماخوذة من العلم جاز ان يذكر ليدل به على العالم كما ان الوجود في صفة
الموجود كذلك وقوله هدى ورحمة لقوم يؤمنون انما جعل القران نعمة على المؤمن دون غيره مع
انه نعمة على جميع المكلفين من حيث انهم عرضوا به للهداية غير ان المؤمن لما اهتدى به كانت النعمة بذلك
عليه اعظم فاضيف اليه وغير المؤمن لم يتعرض للهداية ولما اهتدى به او قال المؤمنون على صفة زايدة وقوله
هدى ورحمة يحتمل ثلثة اوجه من الاعراب النصب من وجهين الحال والمفعول له وبه القراءة والرفع
على الاستيناف والجر على البدل لا يوصف القران بانه هدى للكفار لئلا يتوهم انهم اهتدوا به وان

كان هداية لهم بمعنى انه دلالة لهم وحجة عليهم **قوله** تعالى هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي
تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ
نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ آية بلا خلاف **اقول**
قوله هل ينظرون معناه هل ينتظرون لان النظر قد يكون بمعنى الانتظار قال ابو علي معناه هل
ينتظر بهم او هل ينتظر المؤمنون بهم الا ذلك وانما اضاف اليهم مجازا لانهم كانوا جاحدين لذلك
غير متوقعين وانما كان ينتظر بهم المؤمنون لايمانهم بذلك واعترافهم به والانتظار هو الاقبال على
ما ياتي بالتوقع له واصله الاقبال على الشئ بوجه من الوجوه وانما قيل لهم ينتظرون وان كانوا
جاحدين لانهم في منزلة المنتظر اي كانهم ينتظرون ذلك لانه ياتيهم لا محالة اتيان المنتظر والتاويل
معناه ما يئول اليه حال الشئ يقول اوله تاويلا وتاوله تاولا وال اليه امره يئول اولا وقيل تاويله
عاقبته من الجزاء به في قول الحسن وقتادة ومجاهد وقال ابو علي تاويله ما وعد به من البعث والنشور
والحساب والعقاب وقوله يقول الذين نسوه من قبل قيل في معناه قولان احدهما قال مجاهد اعرضوا
عنه فصار كالمنسي الثاني قال الزجاج يقول الذين تركوا العمل به وقوله قد جاءت رسل ربنا بالحق
اخبار عن اعتراف الكفار الذين اعرضوا عن حجج الله وبيناته والاقرار بتوحيده ونبوة انبيائه واقرار
منهم بان ما جاءت به الرسل كان حقا والحق ما شهد بصحته العقل وضده الباطل وهو ما يشهد
بفساده العقل وقوله فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا تمنيهم والشفيع هو السائل لصاحبه اسقاط العقاب
عن المشفع فيه والعفو عن خطيئته فيتمنون ذلك مع ياسهم منه في قول ابي علي وقوله فيشفعوا في موضع
نصب لانه جواب التمني بالفاء او نرد عطف بالرفع على تاويل هل يشفع لنا شافع او نرد ولو نصب او
نرد كان جايزا ومعناه فيشفعوا لنا الى ان نرد وما قرئ به وقوله فنعمل غير الذي كنا نعمل اخبار
من الكفار وتمنيهم ان يردوا الى الدنيا حتى يعملوا غير ما عملوه من الكفر والضلال فاخبر الله تعالى
عند ذلك فقال قد خسروا انفسهم اي اهلكوها بالكفر والمعاصي وضل عنهم ما كانوا يفترون
وفي الآية دلالة على فساد مذهب المجبرة من وجهين احدهما انهم كانوا قادرين على الايمان في الدنيا
فلذلك طلبوا تلك الحال ولو لم يكونوا قادرين لما طلبوا الرد الى الدنيا والى مثل حالهم الاولى
والاخر بطلان مذهب المجبرة في تكليف اهل الاخرة قال ابو علي وهو مذهب الحسين النجار وهو
خلاف القران والاجماع ولو كانوا مكلفين لما طلبوا الرجوع الى الدنيا ليؤمنوا بل كانوا يؤمنون

وانما يوصف ظ

فى الحال ومعنى خسروا انفسهم اى منعوا من الانتفاع بها ومن منع الانتفاع بنفسه فقد خسرها و
ضل عنهم ما كانوا يفترون معناه ضل عنهم ما كانوا يدعون انهم شركاء لله والهة معه
وهذا كان افتراؤهم على الله **قوله** تعالى إِنَّ رَبَّكُمُ اللّٰهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمٰوٰاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ
أَيّٰامٍ ثُمَّ اسْتَوىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهٰارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثاً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرٰاتٍ
بِأَمْرِهِ أَلاٰ لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبٰارَكَ اللّٰهُ رَبُّ الْعٰالَمِينَ اية بلا خلاف **اقول** قرء اهل الكوفة الا
حفصا ويعقوب يغشى الليل بالتشديد وكذلك فى الرعد وقرء ابن عامر والشمس والقمر والنجوم
مسخرات بالرفع فيهن الباقون بالنصب هذا خطاب من الله تعالى لجميع الخلق واعلام لهم بان ربهم
الذى اخذهم وانشأهم هو الله تعالى الذى خلق بمعنى اخترع السموات فابتدعها واوجدها لا من
شئ ولا على مثال فى ستة ايام وقيل ان هذه الستة ايام هى الاحد والاثنين والثلثا والاربعا
والخميس والجمعة فاجتمع له الخلق فى يوم الجمعة فلذلك سميت جمعة فى قول مجاهد والسموات انما
جمعت بالواو لانه رد الى اصله لان اصله سماوه وليس مثل ذلك قراءة لان اصلها الهمزة ولذلك قيل
فى الجمع قراءات والوجه فى خلقه اياها فى ستة ايام مع انه قادر على انشائها دفعة واحدة قيل فيه
وجوه احدها ان تدبير الحوادث على انشاء شئ بعد شئ على ترتيب ادل على كون فاعله عالما قديرا
يصرفه على اختياره ويجريه على مشيئته وقال ابو على ذلك لاعتبار الملئكة بخلق شئ بعد شئ وقال
الرمانى يجوز ان يكون الاعتبار بتصور الحال فى الاخبار ومعناه اذا اخبر الله تعالى بانه خلق السموات
فى ستة ايام كان فيه لطف للمكلفين وكان ذلك وجه حسنة وقوله ثم استوى على العرش قيل
معناه قولان احدهما انه استولى كما قال البعيث شعر ثم استوى بشر على العراق
من غير سيف ودم مهراق . يريد بشر بن مروان الثانى قال الحسن استوى امره
وقيل فى معنى ثم استوى ثلثة اقوال احدها قال ابو على ثم رفع العرش بانه مستول عليه ثم لم يرفع
الثانى ثم بين انه مستو على العرش الثالث ثم صح الوصف بانه مستو على العرش لانه لم يكن عرشا
قبل وجوده وقوله يغشى الليل النهار معناه يجلل الليل النهار اى يدخل عليه والاغشاء هو الباس
الشئ مارق بما يجلله ومنه غاشية السرج والغشاوة التى تخرج على الولد وغشى على الرجل اذا غشيه
ما يزيل عقله من عارض علة ومن شدد العين فلانه يدل على الكثرة وغشى فعل يتعدى الى مفعول
واحد كقوله ويغشى وجوههم النار واذا نقلته بالهمزة او التضعيف تعدى الى مفعولين وقد ورد
القرآن بهما قال الله تعالى فاغشيناهم فهم لا يبصرون فالمفعول الثانى محذوف وتقديره فاغشيناهم
العمى او فقد الرؤية بالتضعيف نحو قوله فغشيها ما غشى فما فى موضع نصب بانه مفعول ثان وقال
الازهرى معناه اقبل عليه ومن خفف فلانه يحتمل القليل والكثير والليل هو الذى يلبس النهار فى هذا
الموضع لانه مفعول من غشى الليل النهار وقوله يطلبه حثيثا معناه انه يستمر على منهاج واحد وطريقة
واحدة من غير فتور يوجب الاضطراب كما يكون فى السوق الحثيث وقيل ان معنى الحثيث السريع بالسوق
وقوله والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره عطف على خلق السموات كانه قال وخلق الشمس والقمر
والنجوم مسخرات وهى نصب على الحال ومن رفع استانف واخبر عنها بانها مسخرة وقوله الا له الخلق
والامر انما فصل الخلق من الامر لان فايدتهما مختلف لان الخلق يفيد ان له الاختراع وله الامر معناه
له ان يامر فيه بما احب فافاد الثانى ما لم يفده الاول فمن استدل بذلك على ان كلام الله قديم فقد
تجاهل لما بينا ولو كان معناهما واحدا لجاز ايضا مع اختلاف اللفظين كما قال لواكذب ومين واشباهه
وقوله تبارك الله رب العالمين معناه تبارك تعالى بالوحدانية فيما لم يزل ولا يزال واصله الثبات من
قول الشاعر شعر ولا ينجى من الغمرات الا براكاء القتال او الفرار
فهو بمعنى تعالى بدوام الثبات ويحتمل تعالى بالبركة من هى فى ذكر اسمه وقيل فى معنى العرش قولان

احدهما

احدهما انه سرير تعبد الله تعالى الملئكة بحمله وقيل المراد به الملك **قوله** تعالى ادْعُوا رَبَّكُمْ
تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً إِنَّهُ لاٰ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ اية بلا خلاف **اقول** قرء ابو بكر خفية بكسر الخاء ههنا
وفى الانعام الباقون بضمها وهما لغتان امر الله تعالى عباده المكلفين ان يدعوه والدعا طلب
الفعل بطريقة اللهم افعل وقد يجئ بطريقة غفر الله له فهذه صيغة الخبر والاول صيغة الامر غير انه
انما يسمى امرا اذا كان المقول له دون القائل وان كان فوقه سمى دعاء وطلبا واما قول القائل
يا الله يا رحمن يا رحيم يا غفور يا قدير يا سميع وما اشبه ذلك من اسماء الله فانما هو على جهة النداء
ومعناه التعظيم وقوله تضرعا فالتضرع التذلل وهو اظهار الذل الذى فى النفس ومثله التخشع
ومنه التطلب لامر من الامور واصل التضرع الميل فى الجهات ذلا من قولهم ضرع الرجل يضرع ضرعا
اذا مال باصبعه يمينا وشمالا ذلا وخوفا ومنه ضرع الشاة لان اللبن يميل ومنه المضارعة للشبه
لانها تميل الى شبهه بمعنى المقاربة والضرع بنت لا يسمن ولا يغنى من جوع لانه يميل مع كل داء وقوله
خفية فالخفية خلاف العلانية وقال ابن عباس هى السر وبه قال الحسن وقال ابو على انما ذاك لئلا
يشوب الدعاء معنى الرياء وحد الاخفاء خلاف حد الاظهار والاظهار اخراج الشئ الى حيث يقع
عليه الادراك والاخفاء اغماضه بحيث لا يقع عليه الادراك وقوله انه لا يحب المعتدين فالمحبة من الله
تعالى للعبد ارادة الثواب ولذلك يحب المؤمن ولا يحب الكافر ويحب الصلاح ولا يحب الفساد والاعتداء
مجاوزة حد الحق اى لا يجاوز واحد الحق فى الدعاء فيطلبوا منازل الانبياء وما لا يجوز ان يعمل فى الدنيا
فى قول ابى مجلز وقال ابن جريج يكره الصياح فى الدعاء وتضرعا وخفية مصدران فى موضع الحال و
تقديره ادعوا الله متضرعين فى حال السر والعلانية والخفية والاخفاء والخيفة الخوف والرهبة
والهمزة فى الاخفاء منقلبة عن الياء بدلالة الخفية والاخفاء ضد الاعلان ويقال اخفيت الشئ اذا
اظهرته قال الشاعر شعر يخفى التراب باظلاف ثمانية **قوله** تعالى
وَلاٰ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاٰحِهٰا وَادْعُوهُ خَوْفاً وَطَمَعاً إِنَّ رَحْمَتَ اللّٰهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ
اية واحدة بلا خلاف **اقول** نهى الله تعالى فى هذه الاية عن الفساد فى الارض وهو الاضرار بما يمنع
الحكمة منه يقال افسد الحر التفاحة اذا اخرجها الى حال الضرر بالتغيير والاصلاح النفع بما تدعو
اليه الحكمة ولذلك لم يكن الالام فى النار اصلاحا لاهلها لانه لا يقع لهم فيها وقال الحسن افساد الارض
بالقتل للمؤمنين والاعتداء عليهم وقيل افساد الارض العمل فيها بمعاصى الله واصلاحها العمل فيها
بطاعة الله وقوله وادعوه خوفا وطمعا امر من الله تعالى لهم ان يدعوه خوفا وطمعا وهما منصوبان
على المصدر وهما فى موضع الحال وتقديره ادعوا ربكم خائفين من عقابه طامعين فى ثوابه والخوف هو
الانزعاج بما لا يؤمن والامن سكون النفس الى انتفاء المضار والخوف يكون بالعصيان والامن بالايمان
والطمع توقع المحبوب ونقيضه الياس وهو القطع بانتفاء المحبوب وقوله ان رحمة الله قريب من المحسنين
اخبار منه تعالى ان رحمته قريبة واصلة الى المحسن والاحسان هو النفع الذى يستحق به الحمد والاساءة
هى الضرر الذى يستحق به الذم وقيل المراد بالمحسنين من يكون افعاله كلها حسنة وهذا لا يقتضيه
الظاهر بل الذى يفيده ان رحمة الله قريب الى من فعل الاحسان وليس فيها انها لا تصل الى من جمع بين
الحسن والقبيح بل ذلك موقوف على الدليل وقال الفراء انما لم يؤنث قوله قريب وهو وصف لرحمة لانه
ذهب مذهب المكان وما يكون كذلك لا يثنى ولا يجمع ولا يؤنث ولو ذهب به مذهب النسب انث وثنى
وجمع قال عروة بن حزام شعر عشية لا عفراء منك قريبة
فتدنو ولا عفراء منك بعيد وقال الزجاج هذا غلط كلما قرب من مكان او نسب فهو
جائز عليه التانيث والتذكير وجعله الاخفش من باب الصيحة والصياح لان الرحمة والاحسان والانعام
من الله واحد وقال بعضهم المراد بالرحمة ههنا المطر فلذلك ذكر **قوله** تعالى وَهُوَ الَّذِي

يرسل

يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ آية بلا خلاف **اقول** قرء ابن كثير وحمزة والكسائي وخلف الريح على التوحيد ههنا وفي النمل والثاني من الروم وفي فاطر وقرء عاصم بشرا بالباء وضمها وسكون الشين وقرءه نافع بالنون وضمها وضم الشين وهم اهل الحجاز والبصرة وكذلك الخلاف في الفرقان والنمل قال ابو علي الريح اسم على وزن فعل والعين منه واو فانقلبت ياء في الواحد للكسرة وصحت في الجمع القليل لانه لا شيء يوجب الاعلال الا ترى ان الفتحة لا توجب اعلال هذه الواو في مثل يوم وقول وعون قال ذو الرمة **شعر**

اذا هبت الارواح من نحو جانب ... به آل مي هاج شوقي هبوبها

وليس ذلك كعيد واعياد لان هذا بدل لازم وليس المبدل في الريح كذلك فاما في الجمع الكثير فرياح انقلبت الواو بالكسرة التي قبلها كما انقلبت في نحو ديمة وديم وحيلة وحيل وفي رياح اجدر لوقوع الالف بعدها والالف تشبه الياء والياء اذا تاخرت عن الواو اوجب فيها الاعلال فكذلك الالف لشبهها بها والريح على لفظ الواحد يجوز ان يراد بها الكثرة لقولهم كثر الدرهم والدينار وقوله ان الانسان لفي خسر ثم قال الا الذين امنوا فكذلك من قرء الريح بشرا فافرد ووصفه بالجمع فانه حملها على المعنى وقد اجاز ابو الحسن ذلك وقال فيها اثنتان وابون حلوبة سودا او من نصبحا فقوله على المعنى لان المراد به الجمع وهذا وجه قراءة ابن كثير لانه افرد الريح ووصفه بالجمع فلا يكون الريح على هذا اسم جنس ومن جمع الريح اذا وصفها بالجمع احسن في الحمل على المعنى اقل من الحمل على اللفظ ويؤكد ذلك قوله الرياح مبشرات فلما وصفت بالجمع جمع الموصوف ايضا فاما ما جاء في الحديث عن ان النبي عليه السلام كان يقول اذا هبت ريح اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا فلان عامة ما جاء بلفظ الرياح السقيا والرحمة كقوله وارسلنا الرياح لواقح وقوله ومن اياته ان يرسل الرياح مبشرات وقوله الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه في السماء وما جاء بخلاف ذلك جاء على الافراد كقوله وفي عاد اذ ارسلنا عليهم الريح العقيم وقوله واما عاد فاهلكوا بريح صرصر وقوله بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب اليم قال ابو عبيدة نشرا اي متفرقة من كل جانب وقال ابو زيد انشر الله الموتى انشارا اذا بعثها وانشر الله الريح مثل احياها فنشرت هي الجنوب واحييت والدليل على ذلك قول المرار الفقعسي **شعر**

وهبت له ريح الجنوب واحييت ... له ريدة يحيي المياه نسيمها

والريدة والريدانة الريح قال الشاعر **شعر**

اني لارجو ان يموت الريح ... فاقعد اليوم واستريح

ومن قرء نشرا بضم النون والشين يحتمل ضربين جمع ريح نشور وريح ناشر ويكون على معنى النسب فاذا جعله جمع نشور احتمل امرين احدهما ان يكون النشور بمعنى المنشر كما ان الركوب بمنزلة المركوب كان المعنى ريح او رياح منشرة ويجوز ان يكون نشرا جمع نشور يريد الفاعل مثل طهور ونحوه من الصفات ويحتمل ان يكون نشر جمع ناشر كشاهد وشهد ونازل ونزل وقابل وقبل قال الاعشى انا لامثالكم يا قومنا قتل وقول ابن عامر بشرا يحتمل الوجهين ان يكون جمع فعول وفاعل فخفف العين كما خفف في كتب ورسل ويكون جمع فاعل كبازل وبزل وغائط وغيط ومن فتح النون وسكن الشين فانه يحتمل ضربين احدهما ان يكون المصدر حالا من الريح فاذا جعلته حالا منها احتمل امرين احدهما ان يكون النشر الذي هو خلاف الطي كانها كانت بانقطاعها كالمطوية ويجوز على تاويل ابي عبيدة ان يكون متفرقة في وجوهها والاخر ان يكون النشر الذي هو الحياة من قوله **شعر**

يا عجبا للميت الناشر

فاذا حملته على ذلك وهو الوجه كان المصدر يراد به الفاعل كما تقول اتانا ركضا اي راكضا ويجوز ان يكون المراد المصدر يراد به المفعول كانه يرسل الرياح انشارا اي محياة فحذف الزوائد من المصدر كما قال عمرك الله وكما قال فان يهلك فذلك كان قدري اي تقديري والضرب الاخر ان يكون نشرا

على هذه القراءة ينتصب انتصاب المصادر من باب صنع الله لانه اذا قال يرسل الرياح دل هذا الكلام على تنشر الريح نشرا وقراءة عاصم بشرا بالباء فهو جمع بشير وبشر من قوله يرسل الرياح مبشرات اي تبشر بالمطر والرحمة وجمع بشير على بشر ككتاب وكتب لما اخبر الله تعالى في الاية الاولى انه الذي خلق السموات والارض وخلق الشمس والقمر والنجوم مسخرات وانه الذي يجلل الليل النهار عطف على ذلك بان قال وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته تعدادا للنعم على خلقه والارسال هو الاطلاق بتحميل معنى كما يقول ارسلت فلانا اي حملته رسالة فلما اطلق الله الرياح بمنزلة المطوي في الامتناع من الادراك ثم صارت تدرك في الافاق كانت كنشر الثوب بعد طيه في الادراك قال امرؤ القيس

كان المدام وصوب الغمام ... وريح الخزامى ونشر القطر

وقال الفراء النشر من الرياح الطيبة اللينة التي تنشئ السحاب والسحاب الغيم الجاري في السماء مشتقا من الانسحاب يقال سحبه سحبا واسحب اسحابا وتسحب تسحبا وقوله بين يدي رحمته معناه قدام رحمته كما يقدم الشيء بين يدي الانسان كما قال لما خلفت بيدي اي توليت خلقه كما يقول الانسان اعمالي تعبه والرحمة يراد بها ههنا الغيث وقوله حتى اذا اقلت سحابا ثقالا فالاقلال حمل الشيء باسره حتى يقل في طاقة الحامل له بقوة جسمه يقال استقل بحمله استقلالا واقله اقلالا والثقال جمع ثقيل والثقيل ما فيه الاعتماد الكثير سفلا وقال قوم هو ما يجمع اجزاؤه كالذهب والحجر وقد يكون بكثرة ما حمل كالسحاب الذي يثقل بالماء وقوله سقناه لبلد ميت اي الى بلد فالسوق حث الشيء في السير حتى يقع الاسراع فيه ساقه يسوقه سوقا واستاقه استياقا وساوقه مساوقة وتساوقوا تساوقا وتسوق تسوقا وانساق انسياقا وسوقه تسويقا والبلد الميت هو الذي اندرست مشاربه وتعفت مزارعه وقوله فانزلنا به الماء الهاء في به راجعة الى البلد ويحتمل ان يكون راجعة الى السحاب وقوله فاخرجنا به من الثمرات فالهاء في به يحتمل ان تكون راجعة الى البلد ويكون التقدير اخرجنا بهذا البلد ويحتمل ان يكون راجعة الى الماء فكانه قال فاخرجنا بهذا الماء من كل الثمرات ويحتمل ان يكون من للتبعيض ويحتمل ان يكون لتبيين الجنس وقوله كذلك نخرج الموتى معناه كما اخرجنا الثمرات كذلك نخرج الموتى بعد موتها بان نحييها لعلكم تذكرون معناه لكي تتذكروا وتتفكروا وتعتبروا وان من قدر على انشاء الاشجار والثمار في البلد الذي لا ماء فيه ولا زرع فانه يقدر على ان يحيي الاموات بان يعيدها الى ما كانت عليه بان يخلق فيها الحيوة والقدرة واستدل البلخي بهذه الاية على ان كثيرا من الاشياء يكون بالطبع قال لان الله تعالى بين انه يخرج الثمرات بالماء الذي ينزله من السماء قال ولا ينبغي ان ينكر ذلك وانما ينكر قول من يقول بقدم الطبايع او قول من يقول ان الجمادات تفعل فاما من قال ان الله تعالى يفعل هذه الاشياء غير انه يفعلها تارة مخترعا بلا وسايط وتارة بوسايط فلا اكراهة في ذلك كما يقول في السبب والمسبب هذا الذي ذكره ليس بصحيح لانه ان اشار بالطبع الى رطوبات مخصوصة ويبوسات مخصوصة فلا خلاف في ذلك غير ان هذه الاشياء لا تتولد عنها ذوات اخر بل ما يحصل عندها الله تعالى يفعلها مبتدأ وليس كذلك السبب والمسبب لان السبب الذي يفعل الفعل بها هو الاعتماد والمجاورة يولد التاليف وما عدا ذلك فليس فيه شيء تولد اصلا وان اراد بالطبع غير هذا المعقول فليس في الاية دلالة على صحته بحال **قوله** تعالى وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ آية بلا خلاف **اقول** قرء ابو جعفر نكدا بفتح الكاف الباقون بكسرها والوجه في ذلك انهما لغتان وحكى الزجاج نكدا بضم النون وسكون الكاف ولا يقرء به وقال الفراء يقتضي القياس ايضا نكدا بضم الكاف وفتح النون غير اني لم اسمعه مثل دنف ودنف وحذر وحذر ويقظ ويقظ بالفتح والضم والكسر قوله والبلد الطيب فالبلد هو الارض التي تجمع الخلق الكثير وتنفصل بما لهم فيها من العمل والتاثير والبلدة خلاف الفلاة والصحراء واما البادية فكالبلد للاعراب ونحوهم من

الاكراد والانزال والطيب ما فيه اسباب التلذذ وضده الخبيث وهو ما فيه اسباب النكرة وقال ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة والسدي هذا مثل ضربه الله للمؤمن فشبه المؤمن وما يفعله من الطاعات والافعال والانتفاع بما امره الله ونهاه عنه بالارض العذبة التربة التي تخرج الثمرة الطيبة بما ينزله الله عليها من الماء العذب والكافر وما يفعله من الكفر والمعاصي بالارض السبخة الملحة التي لا ينتفع بنزول المطر عليها فينزع عنها البركة وقوله يخرج نباته باذن ربه فالاخراج نقل الشيء من محيط به الى غيره ومنه النبات كانه كان في باطن الارض فخرج منه والاذن هو الاطلاق في الفعل برفع التبعة فيه فكذلك منزلته هذا البلد كانه قد اطلق في اخراج النبت الكريم ووجه ضرب المثل بالارض الطيبة والارض الخبيثة مع انهما من فعل الله وكلاهما حكمة وصواب في الطاعات والمعاصي التي احدهما بامر الله والاخر بخلاف امره هو ان الله تعالى لما جعل المنفعة باحدهما والمضرة بالاخر مثل بهما الانتفاع بالعمل الصالح والاستضرار بالمعاصي القبائح وقوله والذي خبث لا يخرج الا نكدا فالنكد العسر بشدته الممتنع من اعطاء الخير على وجه البخل يقول نكد ينكد نكدا فهو نكد ونكد وقد نكد اذا سئل فبخل ونكده ينكده نكدا قال الشاعر **شعر**

لا تنجز الوعد ان وعدت وان … اعطيت اعطيت تافها نكدا

وقال الاخر **شعر**

واعط ما اعطيته طيبا … لا خير في المنكود والناكد

وقال السدي النكد القليل الذي لا ينتفع به وقوله كذلك نصرف الايات لقوم يشكرون فالتصريف توجيه الشيء في جهتين فصاعدا فلما كان معنى الاية توجيه الدلالات المختلفة كانت الاية مصرفة فالنشأة الثانية مصرفة بانها كاحياء الارض بالماء للنبات وبانها كالخارج من الارض في الاختلاف فمنه طيب ومنه خبيث وبانها في حال المؤمن والكافر كحال الارض في الطيب والخبث والمعنى انه تعالى يبين لهم اية بعد اية وحجة بعد اخرى ويضرب مثلا بعد مثل لقوم يشكرون الله على انعامه عليهم ومن انعامه عليهم هدايته اياهم لما فيه نجاتهم وتبصيرهم سبيل اهل الضلال وامره اياهم بتجنب ذلك والعدول عنه **قوله** تعالى لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ اية واحدة بلا خلاف **اقول** قرء ابو جعفر والكسائي من اله غيره بخفض الراء وكسر الهاء ووصلها بياء في اللفظ حيث وقع الباقون بضم الراء وضم الهاء واشباعها بالواو وقال الكسائي تقديره ما لكم غيره من اله في قراءة نافع قال ابو علي الفارسي من جر جعل غيرا صفة لاله على اللفظ وجعل لكم مستقرا او غير مستقر واضمر الخبر والخبر ما لكم في الوجود او في العالم ونحو ذلك لا بد من هذا الاضمار اذا لم يجعل لكم مستقرا لان الصفة والموصوف لا يستقل بهما الكلام ومن رفع جعله قوله وما من اله الا الله فكما ان قوله الا الله بدل من قوله من اله كذلك قوله غيره يكون بدلا من قوله من اله وغيره يكون بمنزلة الاسم الذي بعد الا وهذا الذي ذكرناه اولى ان يحمل عليه من ان يجعل غيره صفة لاله على الموضع فان قلت ما تنكر ان يكون الا الله صفة لاله قيل ان الا بكونها استثناء اعرف واكثر من كونها صفة وانما جعلت صفة على التشبيه بغير فاذا كان الاستثناء اولى حملنا هل من خالق غير الله على الاستثناء من النفي في المعنى لان قوله هل من خالق غير الله بمنزلة ما من خالق غير الله ولا بد من اضمار الخبر كانه قال ما من خالق للعالم غير الله ويؤكد ذلك قوله لا اله الا الله فهذا استثناء من منفي مثل لا احد في الدار الا زيد فاما حمزة والكسائي فانهما جعلا غير صفة لخالق واضمرا الخبر كما تقدم والباقون جعلوه استثناء بدلا من النفي وهو اولى لما تقدم من الاستشهاد عليه من قوله وما من اله الا الله اخبر الله تعالى واقسم على خبره لان اللام في قوله لقد لام القسم بانه ارسل نوحا عليه السلام الى قومه وارساله اياه هو تكليفه القيام بالرسالة وهي منزلة جليلة شريفة يستحق بها الرسول بتقبله اياها والقيام باعبائها ان يعظم اعلى تعظيم البشر واخبر ان نوحا قال لقومه يا قوم اعبدوا الله والعبادة هي الخضوع بالقلب في اعلى مراتب الخضوع يعظم به من له اعظم النعم فلذلك لا يستحق العبادة غير الله

واخبر انه امرهم بان يكون عبادتهم لله وحده لانه لا اله لهم غيره ولا معبود لهم سواه وقال لهم اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم يريد به يوم القيامة والعذاب هو الالم الجاري على استمرار وقد يكون عقاب غير انه الا ان المراد به ههنا العقاب والعقاب الالم على ما كان من المعاصي ولم يجعل خوفه عليهم على وجه الشك بل اخبرهم ان هذا العذاب يحل بهم ان لم يقبلوا ما اتاهم به لان الخوف قد يكون مع اليقين كما يكون مع الشك الا ترى ان الانسان يخاف من الموت ولا يشك في كونه **قوله** تعالى قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ اية بلا خلاف **اقول** قال اصله قول فانقلبت الواو الفا لتحركها وانفتاح ما قبلها اخبر الله تعالى عن الملأ من قوم نوح وقيل في معنى الملأ قولان احدهما انهم الجماعة من الرجال سموا بذلك لانهم يملؤن المحافل والثاني انهم الاشراف وقيل الرؤسا لانهم يملؤن الصدر بعظم شانهم ومنهم قوله عليه السلام اولئك الملأ من قريش والقوم يقال لمن يقوم بالامر ولا نسوة فيهم على قول الفراء وهو ماخوذ من القيام وانما سموا بالمصدر كما قال بعض العرب اذا اكلت طعاما احببت نوما وابغضت قوما اي قياما وقوله انا لنراك قيل في معناه ثلاثة اقوال احدها انه من رؤية القلب الذي هو العلم الثاني من رؤية العين كانهم قالوا نراك بابصارنا على هذه الحال الثالث انه من الراي الذي هو غالب الظن كانه قال انا لنظنك وقوله في ضلال مبين واراد بالضلال ههنا العدول عن الصواب الى الخطأ فيما زعموا انه الخطأ فيهم اياه فيما دعاهم اليه من اخلاص العبادة لله تعالى وقوله مبين اي بين ظاهر **قوله** تعالى قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ اية بلا خلاف **اقول** في هذه الاية اخبار عما اجابهم نوح عليه السلام وقال لهم ليس بي ضلالة اي ليس بي عدول عن الحق ويقال به ضلالة لان فيه معنى عرض به كما يقال به جنة ولا يجوز ان يقال به معرفة لانها ليست مما يعرض بصاحبها ولكن يصح ان يقال به جوع وبه عطش لانه عارض به وقوله يا قوم اصله يا قومي فحذفت ياء الاضافة لقوة النداء على التغيير حتى يحذف للترخيم فلما جاز ان يحذف في غيره للاجتزاء بالكسرة منها لزم ان يحذف فيه لاجتماع السببين فيها وقوله ولكني رسول من رب العالمين معنى لكن الخفيفة الاستدراك بها معنى المفرد والمشددة يستدرك بها معنى الجملة فلذلك صارت من اخوات ان ولكني اصله ولكنني وحذفت النون لاجتماع النونات ويجوز الاتمام لانه الاصل وكذلك اني وكاني فاما ليتني فلا يجوز فيه الا اثبات النون لانه لم يعرض فيه علة الحذف واما لعلي فيجوز فيه الوجهان لان اللام قريبة من النون ومعنى من ههنا لابتداء الغاية ومعناه ان الله تعالى هو الذي ابتداني بالرسالة وكل مبتدئ بفعل فذلك الفعل منه واصل من موضع ابتداء الغاية كقولك خرجت من بغداد الى الكوفة اي ابتداء خروجي من بغداد **قوله** تعالى أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ اية بلا خلاف **اقول** قرء ابو عمرو وحده أُبْلِغُكم مخففة اللام الباقون بتشديدها بلغ فعل يتعدى الى مفعول واحد تقول بلغني خبركم وبلغنا ارضكم فاذا نقلته تعدى الى مفعولين والنقل يكون تارة بالهمزة واخرى بتضعيف العين وقد وردا بهما التنزيل قال الله تعالى فان تولوا فقد ابلغتكم فنقل بالهمزة وقال يا ايها الرسول بلغ فنقل بتضعيف العين فعلى هذين الوجهين اختلفوا في القراءة وفي الاية حكاية عن قول نوح عليه السلام لقومه انه قال لهم بعدما انكر عليهم انه ليس ضلالة وانه رسول من عند الله وانه يبلغهم ما حمله الله من رسالاته والابلاغ ايصال ما فيه بيان وافهام ومنه البلاغة وهي ايصال المعنى الى النفس باحسن صورة من اللفظ والتبليغ الذي يشتمل البلاغ الا الذي ياتي بها على وجه الحكاية والفرق بين الابلاغ والاداء لما يسمع وحسن الاداء للقراءة والرسالات جمع الرسالة وهي جملة من البيان يحملها القائم بها ليؤديها الى غيره وانما جمع ههنا رسالات وفي موضع اخر رسالة على التوحيد لانه يشعر تارة بالجملة وتارة بالتفصيل فلما دعا الى عبادة الله وطاعته واجتناب محارمه والعمل بشريعته كان هذا تفصيل رسالات الله تعالى ورسالات الله حكم من ترغيب وتحذير ووعد ووعيد ومواعظ ومزاجر وحجج وبراهين واحكام يعمل بها وحدود ينتهى اليها وقوله وانصح لكم فالنصيحة اخلاص النية من شائب الفساد في المعاملة والنصح خلاف الغش في العمل ولا يكون الا بسوء النية وقوله

واعلم من الله ما لا تعلمون فيه حث لهم على طلب العلم من جهته وتحذير من مخالفته لما يعلم من العاقبة
فكانه قال انا اعلم من حلول العقاب بمخالفتكم وترك القبول منى ما لا تعلمونه انتم ويجوز ان يريد اعلم
من توحيد الله وصفاته وحكمته ما لا تعلمونه وفى ذلك بطلان مذهب القائلين بان معارف الله ضرورة
وان كونهم من ضرورة فليس بمكلف لان نوحا عليه السلم بين انه خاف عليهم مع انه يعلم ما يعلمونه **قوله تعالى**
اَوَعَجِبْتُمْ اَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلٰى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ اية **اقول** فى
هذه الاية تقريع من نوح عليه السلم لقومه على صورة الاستفهام بانهم عجبوا ان جائهم ذكر من ربهم وانما
دخل الاستفهام معنى التقريع لان المجيب لا ياتى الا بما يسوء من القبيح فهو انكار وتقريع وقد يدخل
معنى التمنى لانه بمنزلته فى انه طلب لان يكون امر وانما فتحت الواو فى قوله او عجبتم لانها واو العطف دخل
عليها الف الاستفهام فالكلام مستانف من وجه ومتصل من وجه كما ان المبتدأ فى خبر الاول بهذه الصفة
والتعجب تغير النفس بما خفى سببه وخرج عن العادة مثله لانه لا مثل له فى العادة والذكر حضور المعنى
للنفس والذكر على وجهين ذكر البيان وذكر البرهان احضار المعنى للنفس وذكر البرهان الشهادة بالمعنى
فى النفس وكلا الوجهين يحتمل فى الاية وقوله على رجل منكم فالرجل هو انسان خارج عن حد الصبى من
الذكران وكل رجل انسان وليس كل انسان رجلا لان المراة انسان وقيل فى دخول على فى قوله على
رجل منكم قولان احدهما انه بمعنى مع رجل منكم قولان احدهما انه بمعنى مع رجل منكم قال الفراء كما تقول
جاء فى الخبر على وجهك ومع وجهك الثانى لان فيه معنى منزل على رجل منكم وقوله لينذركم فالانذار
هو الاعلام بموضع المخافة والتحذير هو الزجر عن موضع المخافة وقوله ولتتقوا ولعلكم ترحمون معناه
ان الله تعالى ارسل هذا الرسول مع هذا الذكر واراد انذاركم وغرضه ان تتقوا معاصيه لكى يرحمكم
ويدخلكم الجنة ونعيم الابد وفى ذلك دلالة على بطلان مذهب المجبرة ان الله تعالى لم يرد منهم ان
يتقوا ولا ان يؤمنوا **قوله تعالى** فَكَذَّبُوهُ فَاَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِيْنَ مَعَهُ فِى الْفُلْكِ وَاَغْرَقْنَا الَّذِيْنَ كَذَّبُوا بِاٰيَاتِنَا
اِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِيْنَ اية بلا خلاف **اقول** هذا اخبار من الله تعالى عن قوم نوح انه لم ينفع فيهم ذلك
التخويف ولا الوعظ والزجر وانهم كذبوه يعنى نوحا ومعناه انهم نسبوا خبره الى الكذب لان التكذيب
نسبة الخبر الى الكذب والتصديق نسبة الخبر الى الصدق وهذا مما يختلف فيه معنى فعل وفعّل وقوله
فانجيناه اخبار من الله تعالى انه انجا نوحا والانجاء هو التخليص من الهلكة والاهلاك الايقاع فيما
هى المضرة الفادحة ومن معه يعنى وانجا من معه من المؤمنين به فى الفلك وهى السفن ويقع على الواحد
والجميع بلفظ واحد واصله الدور ومشتق من قولهم فلك ثدى الجارية اذا استدار ومنه الفلكة والفلك
من هذا لانه يدور على الماء كيف اداره صاحبه وقوله واغرقنا الذين كذبوا والاغراق هو الغوص المتلف
فى الماء واصله الغوص فى الشئ فمنه اغرق فى النزع ولا يغرق فى هذا الامر وقوله انهم كانوا قوما عمين
فيه بيان انه انما اغرقهم واهلكهم لانهم كانوا عمين والعمى الضلال عن طريق الهدى فهم كالعمى فى انهم
لا يبصرون طريق الرشد فهم عمى عن الحق **قوله تعالى** وَاِلٰى عَادٍ اَخَاهُمْ هُوْدًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللّٰهَ
مَا لَكُمْ مِنْ اِلٰهٍ غَيْرُهُ اَفَلَا تَتَّقُوْنَ اية بلا خلاف **اقول** انتصب قوله اخاهم هودا بقوله ارسلنا فى اول
الكلام وان تطاول ما بينهما لان تفصيل القصص يقتضى ذلك والتقدير وارسلنا الى عاد اخاهم
هودا ويجوز فى مثله الرفع وتقديره والى عاد اخوهم مرسل والاخ احد الولدين لواحد وانما قال
لهود عليه السلم انه اخوهم لانه كان من قبيلهم وجاز ذلك على غير الاخوة فى الدين لانه احتج عليهم ان يكون رجلا
منهم لانه عنه افهم واليه اسكن وصرف هود لخفته كما صرف نوح لخفتها وهو احق بالصرف لانه اكثر فى
الاستعمال ثم فى هذه الاية اخبار من الله تعالى انه ارسل الى قوم عاد هودا وانه قال لهم يا قوم اعبدوا
الله ما لكم من اله غيره وقد فسرنا معنى ذلك اجمع وبينا ايضا حقيقة العبادة وانه لا يستحقها غير الله
لانه اعلى اصول النعم والشكر قد يستحقه غير الله لانه يستحق بالنعم وان قلت وكذلك الطاعة قد

فذكر البيان

تجب لغير الله فعلى هذا يكون عبادة اثنين شركا ولا يكون طاعة اثنين شركا كما ان الشكر على النعمة
لاثنين لا يكون كذلك اذا لم يكن واقعا على وجه العبادة وقوله افلا تتقون معناه فهلا تتقون وهو تحضيض
لا استفهام والمراد به حضهم على تقوى الله واتقاء معاصيه **قوله تعالى** قَالَ الْمَلَاُ الَّذِيْنَ كَفَرُوا مِنْ
قَوْمِهٖ اِنَّا لَنَرٰىكَ فِىْ سَفَاهَةٍ وَاِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِيْنَ اية بلا خلاف **اقول** فى هذه الاية اخبار عما
قالت الجماعة الكافرة من قوم هود له انا لنريك فى سفاهة والسفاهة خفة الحلم كما قال الشاعر

مشين كما اهتزت رماح تسفهت ... اعاليها مر الرياح النواسم

اى سفيه وثوب سفيه اذا كان خفيفا وقال
المؤرج السفاهة الجنون بلغة حمير وقوله فى سفاهة معناه منغمس فى السفاهة فالسفاهة بمعنى انت
سفيه اقيم المصدر مقام اسم الفاعل ولا يجوز قياسا على ذلك ان يقال فى ارادة بمعنى مريد وكسرت
ان لانها وقعت بعد القول حكاية والحكاية يقتضى استيناف المحكى وان اذا اشددت عملت ولا تعمل
اذا خففت لانها مشددة تشبه كان فلما حذفت قل الشبه الا ان يحمل على كان مخففة وليس قوة حملها
محذوفة وحذفت الهمزة فى مضارع رايت دون ماضيه لاجتماع ثلثة اشياء الزيادة فى اوله وكثرة
الاستعمال لها ولان فيما بقى دليل عليها ولم يلزم ذلك فى تاويت ينأى مثل ذلك وقوله وانا لنظنك
ولم يقولوا نعلمك لامرين احدهما قال الحسن لان تكذيبهم كان على الظن دون اليقين وقال الرمانى
معناه انك تجرى مجرى من اخبر عن غائب لا يعلم ممن هو منهم الثانى انهم ارادوا بالظن العلم كما قال الشاعر

فقلت لهم ظنوا بالفى مدجج ... سراتهم فى الفارسى المسرد

معناه ايقنوا

فائدة الاية ان امة هود جرت على طريقة امة نوح فى الكفر بنبيها كانهم قد تواصوا بالتكذيب بالحق ومعاداة
اهله والرد لما اتوا به **قوله تعالى** قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِىْ سَفَاهَةٌ وَلٰكِنِّىْ رَسُوْلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِيْنَ اية واحدة
بلا خلاف **اقول** فيها اخبار عما قال هود عليه السلم لقومه مجيبا لهم حين قالوا له انا لنريك فى سفاهة
وانه قال ليس بى سفاهة وموضع قوم نصب لانه نداء مضاف ولو وصفته لما جاز فى صفته الا النصب
وانما حذفت بالاضافة لان النداء احق بالحذف الذى يكون فى غيره لقوة اليقين فيه وقوله ولكنى
رسول من رب العالمين استدراك بلكن لان فيه معنى ما دعانى الى امركم السفه ولكن دعانى اليه
انى رسول من رب العالمين وقد بينا ان من ههنا بمعنى ابتداء الغاية والتقدير المبتدئ بالرسالة
رب العالمين والمنتهى اليه الرسالة لامته لانه ارسل اليهم **قوله تعالى** اُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّىْ وَاَنَا
لَكُمْ نَاصِحٌ اَمِيْنٌ اية بلا خلاف **اقول** قد بينا معنى الابلاغ وهو احضار الشئ غيره على وجه الانتهاء
ومنه قوله ثم ابلغه مامنه وقد يكون احضار النفس البيان للافهام والابلاغ اشد اقتضاء للمنتهى
اليه من الايصال لانه يقتضى بلوغ فهمه وعقله كالبلاغة التى تصل الى سويداء قلبه ولا يجوز بدل
رسالات ربى بثواب ربى لان النبوة تكليف القيام بالرسالة فانما يبلغ الرسالة ولا يبلغ التكليف
وقوله وانا لكم ناصح امين معناه انى ناصح لكم فيما ادعوكم اليه من طاعة الله واخلاص عبادته
قيل ان معناه انى كنت فيكم امينا قبل النبوة والنصح اخلاص المعاملة من شائب الفساد فى النية
والامين الثقة ان يكون منه تغيير له او تبديل وفى الاية دلالة على انه يجوز للانسان ان يزكى نفسه عند
الحاجة اليه **قوله تعالى** اَوَعَجِبْتُمْ اَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلٰى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَاذْكُرُوا
اِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوْحٍ وَزَادَكُمْ فِى الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُوا اٰلَاءَ اللّٰهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُوْنَ اية
اقول قد بينا معنى قوله او عجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم فلا معنى
لاعادته وانما انكر العجب مع انه خفى سببه وخرج عن العادة لظهور الدلائل فيه وقيام البراهين
عليه من الارسال اليهم من تنبيههم على ما اغفلوه وتعريفهم على ما جهلوه والفرق بين العجب ان
العجب بضم العين عقد النفس على فضيلة لها ينبغى ان يعجب منها لسببها وليس كذلك العجب
بنصب العين والجيم لانه قد يكون حسنا وقد قيل فى المثل الاخر فمن لا يتعجب من العجب ارذل منه

المتعجب من غير عجب وقوله فاذكروا اذ جعلكم خلفاء فخلفاء جمع خليفة وهو الكاين ليقوم مقامه في تدبيره
وخلفاء جمعه على التذكير مثل ظريف وظرفاء ولو جمعه على اللفظ الاصلي لقال خلائف نحو كريمة وكرائم وورد ذلك
في القران قال الله تعالى وهو الذى جعلكم خلائف وقوله من بعد قوم نوح امتنان عليهم بما مكنهم في
الارض وجعلهم بدل قوم نوح حين اهلكهم الله وقوله وزادكم في الخلق بسطة قرئ بالسين والصاد
وقيل في معناه قولان احدهما قال ابن زيد زادهم قوة وقال غيره اراد به المرة من بسط اليدين اذا فتحت
على ابعد اقطارها وقال الزجاج والرمانى كان اقصرهم طوله سبعين ذراعا واطولهم مائة ذراع وقال
قوم كان اقصرهم اثنى عشر ذراعا وقال ابو جعفر عليه السلام كانوا كانهم النخل الطوال وكان الرجل منهم
ينحو الجبل بيده فيهدم منه قطعة وقوله فاذكروا آلاء الله قال الحسن وغيره الآلاء النعم في واحدها
لغات الا مثل معا والا مثل قفا والى مثل حِنى والى مثل ثدى قال الشاعر شعر ابيض لا يرهب الهزال
ولا يقطع رحما ولا يخون الا الاوالا روى جميعا وقوله لعلكم تفلحون معناه اذكروا نعم الله واشكروه
عليها لكى تفوزوا بثواب الجنة والنعيم الدائم الابد قوله تعالى قالوا اجئتنا لنعبد الله وحده و
نذر ما كان يعبد آباؤنا فاتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين آية بلا خلاف اقول قيل في الفرق
بين قالوا وتكلموا ان القول مضمر بالحكاية من حيث هو على صفة القول وليس كذلك من حيث هو على
صفة الكلام في الاية حكاية ما قال قوم هود وهم قبيلة عاد لهود عليه السلم اجئتنا ومعناه اتيتنا
لنعبد الله وحده وتريد منا ان نوجه عبادتنا الى الله وحده والمجئ والاتيان والاقبال واحد وقال
قوم المجئ اتيان من اى جهة كان والاتيان اقبال من قبل الوجه وقوله ونذر معناه ونترك ولم
تستعمل فيه وذرنا استغنا بتركنا ولا يلزم ان يستغنى بنترك عن نذر لان نذر خفيفة لان الواو
حذفت منه ما كان يعبد آباؤنا تمام الحكاية عن الكفار انهم قالوا كيف نترك ما كان يعبد اباؤنا
وانهم قالوا فاتنا بما تعدنا من العذاب ان كنت صادقا من جملة الصادقين وانما لم يجب اتباع
الاباء وان كانوا عقلاء ووجب اتباع العقلاء لانه انما يجب اتباع العقلاء فيما علموه بعقولهم ضرورة
فاما ما طريقه الدليل فانه يجوز ان يغلطوا فيه فلا يجوز حينئذ اتباعهم وان كانوا آباء
قوله تعالى قال قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب اتجادلونني في اسماء سميتموها انتم وآباؤكم
ما انزل الله بها من سلطان فانتظروا انى معكم من المنتظرين آية بلا خلاف اقول في هذه الاية
حكاية عما قال هود لقومه جوابا عما قالوه في الاية الاولى انه قد وقع عليكم رجس وغضب فالوقوع
والسقوط والنزول نظائر والوقوع وجود الشئ نازلا بالحدوث فقد يكون بحدوثه وقد يكون بحدوث
غيره كوقوع الحائط ونحوه والرجس العذاب وقيل الرجس والرجز واحد فقلبت الزاى سينا كما قلبت
السين تاء في قول الشاعر شعر الا لحى الله بنى السعلات عمرو بن يربوع لئام النات
يعنى الناس ليسوا باعفاف ولا اكيات يريد اكياس وقال روبه شعر كم قد راينا من عديد مبزى
حتى اقمنا كيده بالرجز حكى ذلك عن ابى عمرو بن العلا وقال ابن عباس الرجس السخط والغضب
معنى يدعو الى الانتقام دعاء انتقاص الطباع لشدة الانكار ونقيضه الرضا وهو معنى يدعو الى
الانعام دعاء ميل الطباع ومثل الغضب السخط هذا قول الرمانى وقال غيره الغضب هو ارادة العقاب
بمستحقيه ومثله السخط والرضا هو الارادة الا انها لا توصف بذلك الا اذا وقع مرادها ولم يتعقبها
كراهة ولهذا جاز اطلاق ذلك على الله ولو كان الامر على ما قاله لما جاز ان يقال ان الله غضب على
الكفار ولا انه سخط عليهم وقوله اتجادلونني في اسماء سميتموها انتم وآباؤكم ما انزل الله بها من سلطان
يعنى ما انزل الله بها من برهان ولا نصب عليه حجة والمعنى اتنازعونني في اسماء سميتموها يعنى تسميتهم
ما يعبدون من دون الله آلهة ما انزل الله عليكم بذلك حجة بما عبدتم فالبينة عليكم بما ادعيتم و
سميتم وليس على ان آتيكم بالبينة على ما تعبدون من دون الله بل ذلك عليكم وعلى ان آتيكم

بسلطان مبين ان الله تعالى هو المعبود وحده دون من سواه وانى رسوله وقوله فانتظروا انى
معكم من المنتظرين قال الحسن معناه انتظروا عذاب الله فانه نازل بكم فانى معكم من المنتظرين لنزوله
بكم وهو قول الجبائى وغيره من المفسرين قوله تعالى فانجيناه والذين معه برحمة منا وقطعنا دابر
الذين كذبوا بآياتنا وما كانوا مؤمنين آية بلا خلاف اقول في هذه الاية اخبار من الله تعالى
انه انجى هودا والذين امنوا معه برحمة منه والانجاء التخليص من الهلاك واصله من النجوة وهى
الارتفاع من الارض والنجاء السرعة في السير لانه ارتفاع فيه بالاسراع وانما جاز ان يقول برحمة
منا مع ان النجاة هى الرحمة لانه عقد معنى النجاة بالرحمة فصار كانه يعلل بالقدرة وقوله وقطعنا القطع
هو افراد الشئ عن غيره مما كان على تقدير الاتصال به فلما افردوا بالهلاك عما كان على تقدير التبع
لهم من نسلهم واثارهم من بعدهم كان قد قطع دابرهم وقال الحسن معناه قطعنا اصل الذين كذبوا
بآياتنا وما كانوا مؤمنين وقال ابن زيد قطعنا دابرهم معناه استاصلناهم عن آخرهم والدابر الكاين
خلف الشئ ونقيضه القابل ويكون القابل الآخذ للشئ من قبل وجهه وقوله وما كانوا مؤمنين
وانما اخبر بذلك عن حالهم مع انه معلوم منهم ذلك لبيان من ان هذه الصفة لا يجوز ان يلحق المكذب
بآيات الله الجاحد لها وان في نفيها عن المكلف ذما له قوله تعالى والى ثمود اخاهم صالحا فقال
يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم هذه ناقة الله لكم آية فذروها تاكل
في ارض الله ولا تمسوها بسوء فياخذكم عذاب اليم آية بلا خلاف اقول هذه الاية عطف على
ما تقدم والتقدير وارسلنا الى ثمود اخاهم صالحا وثمود اسم قبيلة وقد جاء مصروفا وغير مصروف
فمن صرفه فعلى انه اسم لحى مذكر ومن ترك صرفه فعلى انه اسم القبيلة كما قال تعالى الا ان ثمود كفروا ربهم
الا بعدا لثمود صرف الاول ولم يصرف الثانى واختير ترك الصرف في موضع الجر لانه اخف ويجوز في
قوله ما لكم من اله غيره ثلثة اوجه من العربية الجر على اللفظ والرفع على الموضع وقد قرئ بهما وقد بينا
فيما مضى والنصب على الاستثناء والحال ولم يقرء به ويجوز عند الفراء الفتح على البناء لانه اجاز
ما جاءنى غيرك ومنع منه الزجاج وقال انما يجوز ذلك اذا اضيف الى غير متمكن اضافة غير حقيقية كما
قال الشاعر لم يمنع الشرب منها غير ان نطقت حمامة في غصون ذات اوقال
قوله ان اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد بيناه فيما مضى وقوله قد جاءتكم بينة من ربكم فالبينة
العلامة التى يفصل الحق من الباطل من جهة شهادتها به والبيان هو اظهار المعنى للنفس الذى
يفصله من غيره حتى يدركه على ما يقوى به كما يظهر نقيضه فهذا فرق بين البينة والبيان وقوله
هذه ناقة الله لكم آية فالناقة الانثى من الجمال والاصل فيها التوطئة والتذليل من قولهم بعير
منوق اى موطأ مذلل وتنوق في العمل اى جوده كالموطأ المذلل والناق الحز بين البنة الابهام و
طرفها لانه وطاء لقبض الكف وبسطها وانما قال ناقة الله لانه لم يكن لها مالك سواه تعالى
ونصب آية على الحال والاية هى البينة العجيبة بظهور الشهادة ولطف المنزلة والاية والعبرة و
الدلالة والعلامة نظائر والاية التى كانت في الناقة خروجها من صخرة ملساء تمخضت بها كما تمخض المراة
ثم انفلقت عنها على الصفة التى طلبوها وكان لها شرب يوم تشرب فيه ماء الوادى كله وتسقيهم
اللبن بدله ولهم شرب يوم يخصهم لا يقرب فيه ماءهم في قول ابى الطفيل والسدى وابن اسحق و
قوله فذروها اى اتركوها تاكل في ارض الله ولا تمسوها بسوء يعنى بعقر او نحر فياخذكم عذاب اليم
اى ينالكم عذاب مولم قوله تعالى واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم في الارض تتخذون
من سهولها قصورا وتنحتون من الجبال بيوتا فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا في الارض مفسدين
آية بلا خلاف اقول في هذه الاية حكاية لقول صالح عليه السلم لقومه بعد ان امرهم بعبادة الله وحده
لا شريك له ونهيه اياهم ان يمسوا الناقة بسوء وحذرهم من المخالفة التى يستحق بها العذاب المولم

فقال عاطفا على ذلك واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد اى تفكروا فيما انعم الله عليكم حيث جعلكم
بدل قوم عاد بعد ان اهلكهم واورثكم ديارهم وبوأكم فى الارض اى مكنكم من منازل تاوون اليها يقال
بوأته منزلا اذا مكنته منه ليأوى اليه واصله من الرجوع من قوله فباؤا بغضب على غضب وقوله وباؤا بغضب
من الله اى رجعوا قال الشاعر وبوات فى صميم معشرها فتم فى قومها مبوأها اى انزلت ومكنت
من الكرم فى صميم النسب وقوله تتخذون من سهولها فالسهل ما ليس فيه مشقة على النفس من عمل وارض
يقال للسهل والجبل وارض سهلة وقوله قصورا جمع قصر وهو الدار الكبيرة بسور تكون به مقصورة واصله
القصر الذى هو الجعل على منزلة دون منزلة فمنه القصير لانه قصر به على مقدار دون ما هو اطول منه والقصر
الغاية يقال قصرك الموت لانه قصر عليه واقصر عن الامر اى كف عنه والقصر العشى ومنه القصار لانه يقصر الثوب
على النقاء دون ما هو عليه والقصرة اصل العنق وقوله وتنحتون من الجبال بيوتا فالجبل جسم عظيم بعيد الاقطار
عال فى السماء ويقال جبل الانسان على كذا اى طبع عليه لانه يثبت عليه لصوق الجبل والمعنى انهم كانوا ينحتون
فى الجبال سقوفا كالابنية فلا ينهدم ولا يخرب فاذكروا آلاء الله معناه تفكروا فى نعمه المختلفة كيف مكنكم من
الانتفاع بالسهل والجبل ولا تعثوا فى الارض مفسدين معناه لا تضطربوا فى الارض مفسدين يقال عاث
يعيث عيثا وعثى يعثى بمعنى واحد ومفسدين نصب على الحال ومعنى الاية التذكير بنعم الله من التمكين فى الارض
والتسخير حتى تبوأوا القصور وشيدوا المنازل والدور مع طول الامال وتبليغ الاجال قوله تعالى قال الملأ
الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم اتعلمون ان صالحا مرسل من ربه قالوا انا
بما ارسل به مؤمنون آية بلا خلاف اقول قرأ ابن عامر وقال الملأ بزيادة واو وكذلك فى مصاحف اهل الشام
الباقون بلا واو وفى هذه الاية حكاية عما قال الملأ من قوم صالح وهم جماعة اشراف قومه ورؤساء امته الذين
استكبروا اى طلبوا الكبر فوق القدر ولان الاستكبار هو طلب الكبر فوق القدر حتى يؤدى صاحبه الى انكار
ما دعى اليه من الحق انفة من اتباع الداعى الى الحق للذين استضعفوا فالاستضعاف طلب الضعف بالاحوال
التى يقعد صاحبها عما كان يمكن غيره من القيام بالامر والاصل فى باب استفعل الطلب منه قوله لمن آمن
منهم موضعه من الاعراب نصب على البدل من اللام الاولى وهو بدل البعض من الكل الا انه اعيد فيه حرف الجر
كقولك مررت باخوتك بعضهم وانما فعل ذلك لئلا يظن انهم كانوا مستضعفين غير مؤمنين لانه قد يكون
المستضعف مستضعفا فى دينه فلا يكون مؤمنا فازال هذه الشبهة وقوله اتعلمون ان صالحا مرسل من ربه
حقيقة ويقينا ام لا تعلمون ذلك وغرضهم بذلك الاستبعاد لان يكون صالح نبيا مرسلا من قبل الله وقوله انا بما
ارسل به مؤمنون جواب من هؤلاء المستضعفين لهم انهم مؤمنون بالذى ارسل به صالح مصدقون وقد بينا ان
حد العلم هو ما اقتضى سكون النفس وحد الرمانى ههنا العلم بانه اعتقاد للشئ على ما هو به عن ثقة من جهة
ضرورة او حجة قال والعالم هو المبين للشئ بعلم او ذات يغنى عن العلم قوله تعالى قال الذين استكبروا انا بالذى
آمنتم به كافرون آية بلا خلاف اقول هذه الاية حكاية عما قال المستكبرون للذين آمنوا منهم حين سمعوا منهم
الايمان به والاعتراف بنبوته والتصديق لقوله انا بالذى آمنتم به يعنى بما صدقتم به كافرون اى جاحدون والقول
هو الكلام ومنه المقول وهو اللسان لان صاحبه يقول به وتقول بمعنى تكذب وقال الكذب فى المقيال المخبر الى نفسه
بالقول امرا من خير او شر والقيل ملك دون الملك الاعظم بلغة حمير وجمعه اقيال لانه يقول عنه كالوزير
قوله تعالى فعقروا الناقة وعتوا عن امر ربهم وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا ان كنت من المرسلين
آية بلا خلاف اقول فى هذه الاية اخبار من الله تعالى عما فعل المستكبرون من قوم صالح وانهم عقروا الناقة
التى هى آية الله فى الارض والعقر الجرح الذى ياتى على اصل النفس وهو من عقر الحوض وهو اصله قال الشاعر
شعر بازاء الحوض او عقره ومنه العقار لانه اعتقار اصل مال لان ثبوته كثبوت الاصل ومنه العاقر لانه قد حدث
ما عقر الحال التى يجئ منها الولد فابطل الاصل والمعاقرة على الشراب منه لانه كالاصل فى الثبوت على تلك الحال
وقوله وعتوا عن امر ربهم اى تجاوزوا الحد فى الفساد وقيل العتو العلو فى الثبوت على تلك الحال وقوله

قوله

قوله وعتوا عن امر ربهم اى تجاوزوا الحد فى الفساد وقيل العتو العلو فى الباطل فى قول مجاهد ومنه جبار
عات والعاتى فى الكبر منه وقد بلغت من الكبر عتيا اى بلغت حال العاتى كبرا والعتو عن الامر هو المخالفة الا ان
فى العتو مخالفة على وجه التهاون به والاستكبار عن قبوله وقوله يا صالح ائتنا ان وصلته همزته وان ابتدأته
لم تهمز بل تقول ايتنا وانما كان كذلك لان اصله ائتنا بهمزتين فكره ذلك فقلبوا الثانية ياء على ما قبلها فاذا
وصل سقطت الف الوصل وظهرت همزة الاصل وقوله بما تعدنا فالوعد الخبر بخير او شر بقرينة فى الشر وقوله
ائتنا بما تعدنا اى من الشر لانا قد علمنا ما توعدنا عليه فات لان بالعذاب الذى خوفتنا منه ومتى تجرد عن قرينة
فهو بالخير احق للفصل بين الوعد والوعيد قوله تعالى فاخذتهم الرجفة فاصبحوا فى دارهم جاثمين فتولى
عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالة ربى ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين آيتان بلا خلاف اقول
اخبر الله تعالى فى هذه الاية بما حل بثمود من العذاب فقال فاخذتهم الرجفة وهى حركة القرار المزعج لشدة الزعزعة
يقول رجف بهم السقف يرجف رجوفا اذا اضطرب من تحتهم قال مجاهد والسدى الرجفة الصيحة وقال اخرون
هى زلزلة اهلكوا بها قال الاخطل شعر اما تريني حناى الشيب من كبر كالنسر ارجف والانسان مهدود
وقوله فاصبحوا فى دارهم جاثمين انما قال دارهم على التوحيد لامرين احدهما ان المعنى فى بلدهم وهو واحد والاخر
ان معناه فى دورهم وانما وحد كما توحد اسماء الاجناس كقوله ان الانسان لفى خسر والاخذ نقل الشئ عن حاله التى
الى جهة الناقل له وضده الترك كاخذ الدنيا وترك الدرهم ومعنى جاثمين باركين على ركبهم موتى جثم يجثم جثوما
اذا برك على ركبته وقيل صاروا رمادا كالرماد الجاثم لان الصاعقة احرقتهم وقال جرير شعر عرفت المنتأى وعرفت
منها مطايا القدر كالحدأ الجثوم وقوله فتولى عنهم يعنى ان صالحا تولى عن قومه والتولى الذهاب عن الشئ
وهو الاعراض عنه وانما تولى لانه اقبل عليهم بالدعاء الى توحيد الله وطاعته فلما خالفوا ونزل بهم العذاب
تولى عنهم لليأس منهم وتولاه بمعنى اولاه نصرته ومعونته ومنه قوله تولاك الله بحفظه وقوله ومن يتولى الله و
رسوله والذين آمنوا فهو مثل قوله ان تنصروا الله ينصركم اى ان تنصروا دين الله وتولى عنه بمعنى اعرض عنه وقوله
وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالة ربى انما جاز ان يناديهم مع كونهم جاثمين موتى لما فى تذكرها اصارهم الى تلك الحال
العظيمة التى صاروا اليها نكالا لكل من اعتبر بها وفكر فيها من الحكمة والموعظة الحسنة وقوله ونصحت لكم يقال نصحته
ونصحت له مثل شكرته وشكرت له ومعناه وكنت نصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين فمحبة الشئ ارادة الحال الجليلة
له عند المريد فهم احب الناصح لنهيه لهم عن ركوب اهوائهم واتباع شهواتهم وقد روى انه لم يعذب نبى قط ونبيها
فيها فلذلك خرج فاما اذا اهلك المؤمنون فيما بينهم فان الله سيعوضهم على ما يصيبهم من الالام والغمو
قوله تعالى ولوطا اذ قال لقومه اتاتون الفاحشة ما سبقكم بها من احد من العالمين آية اقول العامل
فى قوله ولوطا يحتمل ان يكون احد امرين احدهما ان يكون عطفا على ما مضى فيكون تقديره وارسلنا لوطا
والثانى ان يكون على تقدير واذكر لوطا اذ قال لقومه فى قول الاخفش ولا يجوز فى قصة عاد وثمود الا وارسلنا
لان فيها ذكر الى ولوط مصروف لخفته لانه على ثلثة احرف ساكن الاوسط ولا ينصرف يعقوب لانه اعجمى معرفة و
اختلفوا فى اشتقاق لوط فقال بعض اهل اللغة انه مشتق من لطت الحوض اذا ازلقت عليه الطين وملسته
به ويقال هذا الوط بقلبى اى الصق واللّيطة القشر للصوق فيما اتصل به وقال الزجاج هو اسم غير مشتق لان العجمى
لا يشتق من العربى وانما قال ذلك لانه لم يوجد علما الا فى اسماء الانبياء وقوله اتاتون الفاحشة فالفاحشة
هى السيئة العظيمة القبح وقوله ما سبقكم بها من احد فالسبق وجود الشئ قبل غيره وقيل ما ذكر على ذكر
قبل قوم لوط ذكره عمرو بن دينار فلذلك قال ما سبقكم بها من احد من العالمين وبه قال اكثر المفسرين قال
البلخى يحتمل ان يكون اراد ما سبقكم بها من احد من العالمين يريد عالمى زمانهم كما قال وانى فضلتكم على
العالمين قال ويحتمل ان يكون ما سبقكم الى ذلك احد على وجه القهر والمجاهرة به على ما كانوا يفعلونه وقال
بعضهم العقل كان يبيح ذلك وانما منع منه السمع قال البلخى هذا خطأ لانه يؤدى الى انقطاع النسل ولان
الطباع مبنية على الاستنكاف من ذلك وان يكون الانسان مفعولا به ولو كان الفاعل لذلك غير مقبح لما لحق المفعو

بذلك

به ذلك وصمة كما ان المرأة المنكوحة بالعقد الصحيح لا يلحقها بذلك وصمة ولا عيب بلا خلاف قال ومن حمل نفسه على استحسان ذلك فانه لا يجوز ان يكون مفعولا به كان ما اجاملوه ما عند جميع العقلاء قوله تعالى ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ﴾ آية قرأ اهل المدينة وحفص ههنا انكم على الخبر وكذلك مذهبه في قراءته ان يكتفي بالاستفهام الاول من الثاني في كل القرآن وهو مذهب الكسائي الا في قصة لوط الباقون بهمزتين الثانية مكسورة وخففها ابن عامر واهل الكوفة الا حفصا والحلواني عن هشام يفصل بينهما بالالف وابن كثير وابو عمرو وورش تحقق الاولى وتليّن الثانية وفصل بينهما بالالف ابو عمرو وقال ابو علي قوله اتأتون الفاحشة انكم لتأتون الرجال كل واحد من الاستفهامين كلام مستقل بنفسه لا حاجة بواحد منهما الى الآخر فاذا كان كذلك فمن قرأ انكم على الاستفهام جعل ذلك تفسيرا للفاحشة كما ان قوله للذكر مثل حظ الانثيين تفسير للوصية ومن قرأ على الخبر استأنف ومن اراد ان يلين همزة انكم فانه يجعلها بين بين لان الف الاستفهام بمنزلة المنفصل ولولا ذلك لوجب ان يقلب الثانية على ما قبله ثم يحذف لالتقاء الساكنين ومعنى قوله انكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء قال الحسن ان قوم لوط كانوا ينكحون الرجال في ادبارهم ولا ينكحون الا الغرباء ولا ينكح بعضهم بعضا وقوله شهوة من دون النساء فالشهوة مطالبة النفس بفعل ما فيه اللذة وليست كالارادة لانها قد تدعو الى الفعل من جهة الحكمة والشهوة من فعل الله ضرورة فينا والارادة من فعلنا تقول شهيت اشتهي شهوة قال الشاعر شعر واشعث يشتهي النوم قلت له ارتحل اذا ما النجوم عرضت واسبكرت فقام يجر البرد لو ان نفسه يقال له خذها بكفيك خرت وقوله بل انتم قوم مسرفون معناه الاضراب عن الاول الى جميع المعايب من عبادة الاوثان واتيان الذكران وترك ما اقام به البرهان وتقديره انكم مستوفون لجميع المعايب اتيان الذكران وغيره ويحتمل ان يكون بل لاسرافكم لا تفلحون والاسراف الخروج عن حد الحق الى الفساد قوله تعالى ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ آية بلا خلاف الوجه في قوله جواب قومه بالنصب لانه وقع الاسم بعد الا موقع الايجاب وذلك ان ما قبلها اذا كان ايجابا كان ما بعدها نفيا واذا كان ما قبلها نفيا كان ما بعدها ايجابا والجواب خبر يقتضيه اول الكلام والغالب عليه جواب النداء والسؤال ويكون على وجوه كجواب الجزاء وجواب القسم وجواب لو اخبر الله في هذه الآية بما اجاب به قوم لوط عليه السلم حين قال لهم انكم لتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من احد من العالمين كانهم قالوا لبعضهم لبعض اخرجوهم يعنون لوطا واهله الذين آمنوا به والاخراج نقل الشيء عن محيط الى غيره كما ان الادخال النقل الى محيط عن غيره وقال الزجاج والفراء ارادوا اخرجوا لوطا وابنتيه وقوله من قريتكم فالقرية هي المدينة كما قال ابو عمرو بن العلاء ما رأيت قرويين افصح من الحسن والحجاج يعني رجلين من اهل المدن الا انه صار بالعرف عبارة عن مجتمع الناس في منازل متجاورة بقرب ضيعة يأوي اليها الاكرة وقوله انهم اناس يتطهرون قيل فيه قولان احدهما قال ابن عباس ومجاهد وقتادة يعني يتطهرون عن اتيان الرجال في الادبار فعابوهم بما يجب ان يمدح به الثاني انه اراد يتطهرون يتنزهون عن افعالكم وطرائقكم قوله تعالى ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾ آيتان اقول اخبر الله تعالى انه انجا لوطا ومن معه بمعنى انه خلصه من الهلاك واهله يعني المختصين به والاهل هو المختص بالشيء اختصاص القرابة ولذلك قيل اهل البلد لانهم بلزومهم سكناه قد صاروا على مثل لزوم القرابة وقوله الا امرأته استثناء من جملة من انجاه مع لوط من اهله امرأته لان زوجته اراد به امرأته ولا يقال مرؤها بمعنى زوجها لانها صارت بمنزلة المالك لها وليست بمنزلة المالكة له وانما يجري هذه الاضافة التي بمعنى اللام على طريقة الملك وقوله كانت من الغابرين يعني من الباقين في عذاب الله في قول الحسن وقتادة فان قيل فعلى هذا يجب ان يكون امرأته ممن يجب لانه تعالى قال كانت من الغابرين اي الباقين قلنا المعنى انها من الباقين في عذاب الله على ما حكيناه عن الحسن وقتادة وقال قوم معناه انها من الباقين قبل الهلاك والمعمرين الذين قد اتى عليهم دهر وهو طويل حتى هرمت فيمن هرم من الناس وكانت ممن غبر الدهر عليه قبل هلاك القوم ثم هلكت فيمن هلك من قوم لوط وقيل اراد بذلك من

الباقين في عذاب الله ذكر ذلك قتادة وانما قلنا انها كانت من الهالكين لقوله في سورة هود انه مصيبها ما اصابهم ذكر ذلك البلخي والطبري فالغابر الباقي ويقال غبر يغبر غبورا وغبرا اذا بقي قال الاعشى شعر عض بما ابقى المواسي له من امه في الزمن الغابر وقال آخر شعر وابي الذي فتح البلاد بسيفه فاذلها لبني ابان الغابر وقال الزجاج من الغابرين عن النجاة ومنه الغبرة بقية اثر البياض بعد الامتزاج بغيره من الالوان وقال الرماني هذا استثناء متصل لانه يجوز ان يدخل الزوجة في الاهل على التغليب في الجملة دون التفصيل كما قال يا نوح انه ليس من اهلك ومن اجل التغليب قال من الغابرين ولم يقل من الغابرات و يقوى في نفسي انه استثناء منقطع لان الزوجة لا تدخل تحت قولنا الاهل حقيقة وقد بيّنا ذلك في سورة البقرة مستوفا وقوله وامطرنا عليهم مطرا وامطرها الله امطارا وقيل امطر عليهم حجارة من سجيل وهذا اخبار من الله تعالى عما انزله الله بقوم لوط من العذاب وقوله فانظر كيف كان عاقبة المجرمين امر للنبي عليه السلم والمراد به جميع المكلفين بان يتفكروا في ذلك ويعلموا كيف كان عاقبة المجرمين يعني الى ما صار اليه عاقبة هؤلاء العاصين وكيف سؤال عن حال الا انها تقع في التسوية لان فيها ادعاء واذا قال القائل كيف هو معناه قد علمت ما يطلبه الطالب كيف هو من حاله والعاقبة آخر يؤدي اليه النادية واصله كون الشيء في اثر الشيء ومنه العقاب لانه يستحق عقيب الذنب ومنه العُقاب لانه يعقب على صيده بشدته والعقب لانه عقب به بشدة شيئا بعد شيء والاجرام اقتراف السيئة اجرم اجراما اذا اذنب والجرم الذنب واصله القطع فالمجرم منقطع عن الحسنة الى السيئة وفائدة الآية الاخبار عن سوء عاقبة المجرمين بما انزل عليهم عاجلا من عذاب الاستيصال قبل عذاب الآخرة بالنيران قوله تعالى ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ آية بلا خلاف اقول هذه الآية عطف على ما تقدم والتقدير فيها فارسلنا الى مدين وهي قبيلة قال ابو اسحق اصله مديان وهو مديان بن ابرهيم وهؤلاء ولده ومدين لا ينصرف لانه معرب في حال تعريفه والعلة المانعة من الصرف هي العجمة والتعريف وقال الزجاج لانه اسم قبيلة وهو معرفة وجاز ان يكون اعجميا وقوله اخاهم شعيبا نسبه اليهم بالاخوة في النسب دون غيره وقال لهم قد جاءتكم بينة من ربكم يعني انكم حجة من الله تعالى ومعجزة دالة على صدق قوله وخبره انه امرهم بان يوفوا الكيل والميزان والايفاء اتمام الشيء الى حد الحق فيه ومنه ايفاء العهد وهو اتمامه بالعمل به والكيل تقدير الشيء بالمكيال حتى يظهر مقداره منه والوزن تقدير الشيء بالميزان والمساحة تقدير الشيء بالذراع او ما زاد عليه او نقص ولا تبخسوا الناس اشياءهم نهى عن شعيب اياهم عن بخس الحقوق وتنقيصها في الكيل والميزان وغيرهما والبخس النقص عن الحد الذي يوجبه الحق تقول بخس يبخس بخسا فهو باخس والبخص بالصاد فقأ العين وقال قتادة والسدي البخس الظلم ومنه المثل تحسبها حمقاء وهي باخسة وقوله ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها يعني بعد ان اصلحها الله بالامر والنهي وبعثة الانبياء وتعريف الخلق مصالحهم والافساد اخراج الشيء الى حد لا ينتفع به بدلا عن حال ينتفع بها وضده الاصلاح والمعنى لا تخرجوا الى العمل في الارض بالقبائح بعد ان اصلحها الله بالمحاسن وقوله ذلكم اشارة لقومه الى ما امرهم به ونهاهم عنه بان امتثاله والانتهاء اليه خير لهم واعود عليهم ان كانوا مؤمنين مصدقين بالله وانما خيرية بالايمان وان كان هو خيرا على كل حال من حيث ان من لا يكون مؤمنا بالله وعارفا بنبيه لم يمكنه ان يعلم ان ذلك خير له وكانه قال لهم كونوا مؤمنين لتعلموا ان ذلك خير لكم ويحتمل ان يكون المراد لا ينفعكم ايفاء الكيل والميزان الا بعد ان تكونوا مؤمنين قال الفراء لم يكن لشعيب آية الا النبوة قال الزجاج وغيره هذا غلط لانه قال قد جاءتكم بينة من ربكم فاوفوا فجاء بالفاء جوابا للجزاء فكيف يقول قد جاءتكم بينة ولم يكن له آية الا النبوة فان كان مع النبوة آية فقد جاءهم بها لانه لو ادعى النبوة من غير آية لم يقبل منه وآيات شعيب وان لم يذكرها الله في القرآن لا يجب ان يقال لا آية له لان نبينا عليه السلم لم يذكر الله آياته كلها في القرآن ولا اكثرها وان كانت له آيات كثيرة ولم يوجب ذلك نفيها قوله تعالى ﴿وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ﴾

امطارا

بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَاذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ وَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ آية بلا خلاف
اقول قيل في معنى قوله ولا تقعدوا بكل صراط توعدون قولان احدهما قال ابن عباس والحسن وقتادة ومجاهد
انهم كانوا يقعدون على طريق من قصد شعيبا للايمان به فيخوفونه بالقتل وقال ابو هريرة انما نهاهم عن
قطع الطريق وقوله بكل صراط توعدون يجوز فيه تعاقب حروف الاضافة بان يقول على كل صراط وفي كل صراط
لان معاني هذه الحروف اجتمعت فيه هٰهنا كما يقول قعد له بكل مكان وعلى كل مكان وفي كل مكان لان الباء
للالصاق وهو قد صار ملاصقا بالمكان وعلى للاستعلاء وهو قد علا المكان وفي للمحل وهو قد حل المكان ويقال قعد
عن الامر بمعنى ترك العمل به كائنا ما كان وقام به اذا عمل به كالقعود عن الواجب ونحوه ومعنى الايعاد الاخبار بالعذاب
على صفة من الصفات وهو الوعيد والتهديد فاذا ذكر المتعلق من الخير او الشر قلت وعدته كذا كما قال تعالى
النار وعدها الله الذين كفروا واذا لم يذكر قيل في الخير وعدته وفي الشر اوعدته وتقول وعدته خيرا بلا باء و
اوعدته بالشر باثبات الباء وقوله وتصدون عن سبيل الله فالصد هو الصرف عن الفعل بالاغواء فيه كما يصد
الشيطان عن ذكر الله وعن الصلوة يقول صده عن الامر يصده صدا وهو كالمنع وقوله من امن به من في موضع
نصب لانه مفعول به وتقديره وتصدون المؤمنين بالله عن اتباع دينه وهو سبيل الله وقوله وتبغونها
عوجا فالهاء راجعة الى السبيل ومعنى تبغون تطلبون والبغية الطلبة بغاه يبغيه بغية والمعنى هٰهنا وتبغون
السبيل عوجا عن الحق وهو ان يقولوا هذا كذب باطل وما اشبه ذلك وهو قول قتادة والعوج بكسر العين
في الدين وكلما لا يرى وبفتح العين في العود وكلما يرى كالحائط وغيره وقوله واذكروا اذ كنتم قليلا فكثركم قال
الزجاج يحتمل اشياء احدها اذكروا نعمة الله عليكم اذ كثر عددكم وثانيها انه كثركم بالغنى بعد الفقر وثالثها كثركم
بالقدرة بعد الضعف ووجهه انهم كانوا فقراء وضعفاء فهم بمنزلة القليل في قلة الغناء وقوله فانظروا كيف كان
عاقبة المفسدين معناه فكروا فيما مضى من اهلاك من تقدم بانواع العذاب وانزال العقوبات بهم واستيصالهم
وما فعل الله بالمفسدين وكيف كان عاقبتهم في ذلك وما حل بهم من البوار قوله تعالى وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ
آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ آية بلا خلاف
اقول الطائفة الجماعة من الناس وهو من الطوف صفة غالبة اقيمت مقام الموصوف ماخوذة من انها تجتمع على الطواف
وقد يكون جماعة الكتب الدور ونحو ذلك وقوله وطائفة لم يؤمنوا انما جاز ان يخبر عمن لم يؤمن بانهم طائفة
وان كانوا هم الاكثر لتقابل قوله طائفة منكم امنوا ولان من حق الضدان يأتي على حد ضده كما تقول ضربت زيدا
وما ضربت زيدا وانما ذكر طائفة لانه راجع الى الرجال وان كان اللفظ مؤنثا فغلب فيه المعنى في هذا الموضع
على معنى التذكير والمعنى ان شعيبا قال لقومه انكم ان انقسمتم فرقتين فرقة امنت وفرقة كفرت فاصبروا حتى يحكم الله
بيننا على وجه التهديد لهم والانكار على من خالفهم والصبر حبس النفس عما تنازع اليه من الجزع واصله الحبس
ومنه قوله عليه السلام اقتلوا القاتل واصبروا الصابر ومنه قيل للشيء صبر لانه يحبس النفس عن لفظه المواذية والحكم
المنع من الخروج عن الحق بدعا الحكمة اليه من جهة معروفة اوجهة واصله المنع قال الشاعر شعر ابني حنيفة احكموا
سفهاءكم اني اخاف عليكم ان اغضبا والله خير الحاكمين لانه لا يجوز عليه الجور ولا المحاباة في الحكم وانما علق
جواب الجزاء بالصبر وهو لازم على كل حال لان المعنى فسيقع جزاء كل فريق بما يستحقه من ثواب او عقاب كانه قال
فانتم مصبورون على حكم الله بذلك قال البلخي امرهم في هذه الاية بالكف عما كانوا يفعلون من الصد عن الدين و
التوعد عليه والكف عن ذلك خير ورشد ولم يامرهم بالمقام على كفرهم والصبر وفي ذلك دلالة على انه ليس كل افعال
الكافر كفرا ومعصية كما يذهب اليه بعض اهل النظر قوله تعالى قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ
يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ آية بلا خلاف اقول اخبر
الله تعالى في هذه الاية عن الملأ وهم الجماعة الاشراف والرؤساء من قوم شعيب الذين استكبروا ومعناه امتنعوا
من اتباع الحق انفة من الداعي اليه ان يتبعوه فيه وتكبروا عليه جهلا منهم بمنزلة الحق ومنزلة الداعي اليه انهم قالوا
لشعيب واقسموا لنخرجنك يا شعيب والذين امنوا معك من قريتنا او لتعودن في ملتنا وقيل في معنى لتعودن

قولان احدهما على توهمهم انه كان فيها على دين قومه الثاني ان الذين اتبعوا شعيبا قد كانوا فيها وقال
الزجاج وجائز ان يقال قد عاد علي من فلان مكروه وان لم يكن سبقه مكروه قبل ذلك اي لحقني منه مكروه
ووجه هذا انه كان قد كان قبل ذلك في قصده لي كانه قد اتى مرة بعد مرة وقال الشاعر شعر لئن كانت الايام
احسن مرة الي فقد عادت لهن ذنوب والعود هو الرجوع وهو مصير الشيء الى الحال التي كان عليها
قبل ومنه اعادة الخلق وقوله تعالى ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه ويستعمل لفظة الاعادة في الفعل مرة
ثانية حقيقة وفي فعل مثله مجازا وكلاهما يسمى اعادة لكن لما كان مثله كانه هو في انه يقوم مقامه جرت عليه
الصفة كقولك اعدت الكتابة والقراءة ومعناه فعلت مثله وقوله او لو كنا كارهين حكاية لما قال شعيب
لانه من انه لا يعود في ملتهم الا ان يكون على وجه الاكراه منهم لذلك وانهم يريدون ان يردوا المؤمنين
الى مثل ما هم عليه من المعاصي مع كراهتهم لذلك وتيقنهم لبطلانه فبين هذا انا مع كراهتنا لذلك معها
عرفناه من بطلانه لا نرجع وتقديره اتعيدوننا في ملتكم وان كرهناها فادخل الف الاستفهام على ولو
قوله تعالى قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ
اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ
آية بلا خلاف اقول في هذه الاية اخبار من الله عما قال شعيب لقومه من انه قد افترى هو ومن امن به
على الله كذبا ان عاد في ملتهم بان يحلوا ما يحلونه ويحرموا ما يحرمونه وينسبونه الى الله بعد اذ نجاهم الله
منها والافتراء الكذب ومنه الافتعال والاختلاق وهو القطع بخبر مخبره لا على ما هو به مشتقا من فري الاديم
يقول فريت الاديم افريه فريا والملة الديانة التي يجتمع على العمل بها فرقة عظيمة والاصل فيه تكرر الامر من
قولهم طريق مليل اذا تكرر سلوكه حتى توطأ ومنه الملل وهو تكرر الشيء على النفس حتى تضجر والملة الرماد الحار
يدفن فيه الخبز حتى ينضج لتكرر الحمى عليها ومنه المليلة من الحمى والملة لتكرر العمل فيها على ما يأتي به الشريعة
وقوله بعد اذ نجانا الله منها باقامة الدليل والحجج على بطلانها وعلمنا بذلك وانتهائنا عنها وقال ابن عباس ما
كنت ادري معنى قوله ربنا افتح حتى سمعت بنت سيف بن ذي يزن يقول تعال حتى افاتحك يعني اقاضيك وقوله وما
يكون لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله ربنا اخبار عن قول شعيب لهم انه ليس له ان يعود في ملتهم ويرجع فيها
الا بعد مشية الله ذلك وقيل في معنى هذه المشية مع حصول العلم بانه لا يشاء تعالى عبادة الاصنام والاوثان
ثلثة اقوال احدها ان في ملتهم اشياء كان يجوز ان يتعبد الله بها فلو شاءها منهم لوجب عليهم الرجوع فيها
الثاني انه اذا فعل ما شاء الله كان ذلك طاعة لله تعالى الثالث انه علق ما لا يكون بما علم انه لا يكون على وجه
التبعيد كما قال الشاعر شعر اذا شاب الغراب اتيت اهلي وصار القار كاللبن الحليب وكما قال تعالى حتى
يلج الجمل في سم الخياط ووجه ذلك هٰهنا انه كما لا يشاء الله عبادة الاصنام والقبائح لان ذلك لا يليق بحكمته فكذلك
لا اعود في ملتكم وقال قوم فيه وجه رابع وهو ان الهاء في قوله فيها راجعة الى القرية وكانه قال وما يكون لنا ان
نعود في قريتكم غانمين لكم ظاهرين عليكم بعد اذ نجانا الله منها بخروجنا منها سالمين الا ان يشاء الله ان ينصرنا
عليكم ويشاء منا الرجوع فيها وقوله وسع ربنا كل شيء علما نصب علما على التمييز وقيل في وجه اتصال ذلك بما
نزل قولان احدهما ان الملة انما يتعبد بها على حسب ما في معلومه من مصلحة العباد بها فهو تعالى لا يخفى عليه ذلك
والثاني انه عالم بما يكون منا من عود او ترك دوننا ثم حكى عن شعيب انه قال لهم على الله توكلنا ربنا افتح بيننا
وبين قومنا بالحق سؤال من شعيب ورغبة منه اليه تعالى ان يحكم بينه وبين قومه بالحق والفتح القضاء ومعنى احكم
اقض في قول ابن عباس والحسن وقتادة والسدي والحاكم الفاتح والفتاح وفاتحه في كذا قاضيته وانما قيل ذلك
لانه يفتح باب العلم الذي انغلق على غيره وقوله بالحق فيه وجهان احدهما سؤال الله ما يجوز عليه كما قال في موضع آخر
رب احكم بالحق والاخر ما ينكشف به لمخالفينا انا على الحق من انزال العذاب عليهم وقال الفراء اهل عمان يسمون الحاكم
الفتاح قال الشاعر شعر الا ابلغ بني عصم رسولا فاني عن فتاحتكم غني اي قضائكم وحكمكم وقال الجبائي معنى
احكم بيننا وبين قومنا انزل بهم ما يستحقون من العقوبة لكفرهم بالله وظلمهم المؤمنين وفي الاية دلالة على بطلان

مذهب المجبرة لانه قال وما يكون لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله فعلق ان لهم الرجوع فيها اذا شاء الله فاذا
لو يشاء لم يكن ذلك فيجب على هذا ان كان الله يريد الكفر ان يكون للكافر الرجوع فى الكفر وهذا لا يقوله احد فبطل
ما قالوه على ان الظاهر يعنى الملة هو ما يعلم بالشرع وذلك يجوز ان ينسخه الله فيريد منهم الرجوع فيه وليس لاحد
ان يقول ان قوله بعد اذ نجانا الله منها لا يليق بما قلتم وانما يليق بما قالوه وذلك ان قوله بعد اذ نجانا الله منها
معناه على هذا القول ازال عنا ونسخ عنا فان شاء ان يعيدنا ثانيا جاز لنا الرجوع فيها قوله تعالى وَقَالَ الْمَلَأُ
الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَخَاسِرُونَ اية بلا خلاف اقول فى هذه الاية حكاية ما قال الجماعة
الكافرة الجاحدة بايات الله لنبوة شعيب للباقين منهم و قسمهم عليهم لئن اتبعتم شعيبا وانقدتم له ورجعتم الى امره
وهديه لان الاتباع هو طلب الثانى موافقة الاول فيما دعا اليه يقول اتبعه اتباعا وتبعه تبعا وهو متبع وتابع انكم
اذا لخاسرون قوله انكم جواب القسم واللام فى الخاسرين لام التاكيد فى خبران والخسران ذهاب راس المال فكانهم قالوا
لئن تبعتموه كنتم بمنزلة من ذهب راس ماله او هى اعظم من حاله لانكم لا تنتفعون باتباعه فتخسرون فى اشتغالكم
بما لا تنتفعون به وبانقضاء عمركم اذا لم تكسبوا فيه نفعا لانفسكم وقيل معناه لهالكون وقيل لمغبونون واذا
من عوامل الافعال وانما دخلت ههنا على الاسم لانها ملغاة واذا الغيت من العمل صلح ذلك فيها لانها حينئذ
تجرى مجرى الف الاستفهام فى انها لا تختص لانها لا تعمل وقوله انكم اذا لخاسرون جواب القسم قد سد مسد جواب
الشرط من قوله لئن ولا يجوز قياسا على ذلك ان اتاك زيد انه لكريم لان جواب الشرط انما هو بالفعل او الفاء
لترتب الثانى بعد الاول بلا فصل قوله تعالى فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ اية بلا خلاف
اقول قد مضى تفسير مثل هذه الاية فلا معنى لاعادته والفاء فى فاخذتهم عطف على قوله قال الملاء وفيها معنى
الجواب كانه قيل كان جواب ما ارتكبوا من عظيم الفساد اخذ الرجفة لهم بالعذاب واخذ الرجفة لحاقها بهم مدمرة عليهم
ولا يقال اخذتهم الرحمة لان العذاب لما كان يذهب بهم اهلاكا صلح فيه الاخذ ولا يصلح فى النعيم والرجفة الزلزلة
وهى حركة تزلزل الاقدام وتوجب الهلاك لشدتها والاصباح الدخول فى الصباح والامساء الدخول فى المساء و
يستعمل على وجهين احدهما ما يحتاج الى خبر والاخر مكتفيا بالاسم بمنزلة سواء والجثوم البروك على الركبة جثم يجثم
جثوما وقد جثم هذا الامر على قلبى اى ثقل عليه لثبوته على تلك الحال قوله تعالى الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا
الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَى
عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ ايتان بلا خلاف اقول الذين الاولى فى موضع رفع بانه مبتدأ وخبره كان لم يغنوا فيها وهو اخبار
من الله تعالى عن حال هؤلاء الكفار الذين كذبوا شعيبا وشبههم بمن لم يغن فيها ومعنى لم يغنوا لم يقيموا اقامة
مستغن بها عن غيرها والمغانى المنازل وغنى بالمكان اذا اقام به يغنى غناء وغنيا ناو غنيا وقال النابغة شعر
غنيت بذلك اذهم لك جيرة منها بعطف رسالة وتودد وقال اخر شعر ولقد تغنى بها جيرانك الممسكوا منك
بعهد ووصال وقال رؤبة شعر وعهد مغنى دمنة ببلقعا وقال حاتم طى غنينا زمانا بالتصعلك والغنى
فكلا سقاناه بكاسيهما الدهر فما زادنا بغيا على ذى قرابة غنانا ولا ازرى باحسابنا الفقر ووجه التشبيه فى
قوله كان لم يغنوا فيها ان حال المكذبين يشبه حال من لم يكن قط من تلك الديار لما اخذتهم الرجفة بالاهلاك وهذا
ما يتحسر عليه الناس اعظم الحسرة كما قال الشاعر شعر كان لم يكن بين الحجون الى الصفا انيس ولم يسمر بمكة سامر
بلى نحن كنا اهلها فابادنا صروف الليالى والجدود العواثر وانما اعيد ذكر الذين دفعة ثانية من غير كناية للتغليظ
الامر فى تكذيبهم شعيبا مع البيان انهم الذين حصلوا على الخسران لا من نسبوه الى ذلك من اهل الايمان وهم فى قوله
هم الخاسرين فصل وتسميه الكوفيون عمادا وانما دخل الفصل مع ان المضمر لا يوصف لانه يحتاج فيه الى التوكيد
ليتمكن معناه فى النفس وان الذى بعده من المعرفة لا يخرجه ذلك من معنى الخبر وان كان الاصل فى الخبر النكرة وهذه
الاية جواب لقولهم لئن اتبعتم شعيبا انكم اذا لخاسرون فبين الله فى هذه الاية ان الخاسرين هم الذين كذبوه لا
الذين اتبعوه قوله تعالى فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَى عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ
اية اقول هذا اخبار من الله تعالى عما فعل شعيب عليه السلام مع قومه لما ابلغهم رسالات ربه تعالى فلما لم يقبلوها

واقاموا على تكذيبه وجحد ما اتى به انه تولى عنهم ومعناه اعرض ايس منهم نزل بهم العذاب لانه كان مقبلا عليهم
بالوعظ والدعاء الى الحق فلما تمادوا فى غيهم واخذهم الله بباسه تولى عنهم وانما قال لمن هلك لقد ابلغتكم
رسالات ربى لان معناه ان ما نزل بكم من البلاء وان كان عظيما فهو حق لانه بجناياتكم على انفسكم فلا ينبغى ان يحزن
عليهم للامور التى ذكرنا من شانهم قال ابن اسحق عزى نفسه عنهم بعد ان كان حزن عليهم وقوله رسالات ربى انما
اتى بلفظ الجمع ليدل على اختلاف معانى الرسالة اذا جمعت فهى تجرى مجرى جمع الاجناس كقولك تمور واما ضرب
فانما يدل على عدد المرات وقوله فكيف اسى احزن فى قول ابن عباس والحسن والسدى والاسى شدة الحزن يقال اسى
ياسى اسى قال الشاعر وانحلبت عيناه من فرط الاسى وقال امرؤ القيس شعر وقوفا بها صحبى على مطيهم
يقولون لا تهلك اسى وتحمل وقوله فكيف اسى لفظه لفظ الاستفهام والمراد به النفى وانما كان كذلك لان جوابه
فى هذا الموضع لا يصح الا بالنفى كما يدخله معنى الانكار لهذه العلة قال العجاج شعر اطربا وانت قنسرى
اى لا يكون ذلك مع كبر السن وهذا تسل من شعيب عليه السلام بما يذكر من حاله معهم فى مناصحته لهم وتاديته رسالة ربه
اليهم وانه لا ينبغى ان ياسى عليهم مع تمردهم فى كفرهم وشدة طغيانهم وانه لا حيلة فى فلاحهم قال البلخى وفى ذلك
دلالة على انه لا يجوز للمسلم ان يدعو للكافر بالخير كما يقول لعن الله فلانا واخزاه ثم يقول هداه الله وارشده ورحمه
وقال ابو عبد الله البجلى ابو جاد وهواز وحطى وكلمون وصعفص وقرشيات اسماء ملوك مدين وكان ملكهم يوم
الظلة فى زمان شعيب كلمون يبكيه كلمون هدركنى هلكه وسط المحلة سيد القوم اتاه الحتف نارا وسط ظلة
جعلت نار عليهم دارهم كالمضمحلة قوله تعالى وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ
لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ اية بلا خلاف اقول اخبر الله تعالى فى هذه الاية انه لم يرسل رسولا الى اهل قرية الا و
اخذ اهلها بالباساء والضراء تغليظا فى المحنة وتشديدا التكليف ليلين قلوبهم ولكى يتضرعوا الى ربهم فى
كشف ما نزل بهم فى ذلك وانما يفعل بهم ذلك لعلمه بما لهم فيه من الصلاح لكى يتضرعوا والقرية اصلها الجمع من
قولهم قريت الماء اقريه قريا اذا جمعته فالقرية مجمع الناس فى المنازل المتجاورة مما هو دون المدينة وكذلك يسمى
المدينة ايضا قرية والنبى هو الذى يؤدى عن الله تعالى بلا واسطة من البشر وقيل هو من كان ينبئ بالوحى
من الله تعالى بما انزله عليه وقيل فى معنى الباساء والضراء ثلثة اقوال احدها ان الباساء ما نالهم من الشدة
فى انفسهم والضراء ما نالهم فى اموالهم والثانى ما قال الحسن ان الباساء الجوع والضراء اللاواء من الامراض
والشدائد التى تصيبهم الثالث قال السدى ان الباساء الجوع والضراء الفقر وقيل فى معنى لعلهم قولان احدهما
انا عاملناهم معاملة الشاك فى ايراد اسباب التضرع مظاهرة عليهم فى الحجة الثانى ان يكون لعل بمعنى اللام
وتقديره ليتضرعوا واصل يضرعون يتضرعون فادغمت التاء فى الضاد ولا يدغم الضاد فى التاء لان فى
التاء استطالة وانما يدغم الناقص فى الزائد ولا يدغم الزائد فى الناقص لما فى ذلك من الاخلال قوله
تعالى ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَوْا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ
لَا يَشْعُرُونَ اية بلا خلاف اقول اخبر الله تعالى فى هذه الاية انه بدل مكان السيئة الحسنة وقالوا قد مس
اباءنا الضراء والسراء ومعناه انه تعالى بعد ان يفعل بهم الباساء والضراء ليتضرعوا يبدل مكان السيئة الحسنة
والتبديل وضع احد الشيئين مكان الاخر فلما رفعت السيئة عنهم ووضعت الحسنة كانت مبدلة بها وقال ابن عباس
والحسن وقتادة ومجاهد المراد بالسيئة والحسنة ههنا الشدة والرخاء وهو ما يسوء صاحبه ويحسن اثره عليه
وقال ابو على جرى فى هذا الموضع على سبيل المثل وقوله حتى عفوا قال ابن عباس ومجاهد والسدى وابن زيد معناه
حتى كثروا وقال الحسن حتى سمنوا واصله الترك من قوله فمن عفى له من اخيه شئ اى ترك له وعفوا تركوا حتى كثروا
وقال الشاعر شعر ولكنا نعض السيف منها باسوق عافيات الشحم كوم وقوله وقالوا قد مس اباءنا الضراء
والسراء معناه ان الكفار قال بعضهم لبعض ان هكذا عادة الدهر فكونوا على ما انتم عليه كما كان اباؤكم فلم
ينفكوا عن تلك الحال فتنتقلوا وقوله فاخذناهم بغتة وهم لا يشعرون اخبار من الله تعالى انه اخذ من ذكره ممن
لم يقبل مواعظ الله وخرج عن طاعته الى عداوته بغتة يعنى فجاءة وهى الاخذ على غرة من غير تقدمة تؤذن بالنازلة

تقول بغته يبغته وبغتة كما قال الشاعر شعر وانكاء شئ حين يفجاؤك البغت ومعنى الآية انه تعالى بين خلقه
الذين يعملون بمعاصيه ان ياخذهم تارة بالشدة واخرى بالرخاء فاذا افسدوا على الامرين جميعا اخذهم بغتة
ليكون ذلك اعظم فى الحسرة وابلغ فى باب العقوبة ومعنى قوله وهم لا يشعرون اى لم يشعروا بنزول العذاب الا
بعد حلوله قوله تعالى وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِنْ كَذَّبُوا
فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ آية بلا خلاف اقول قرا ابن عامر لفتّحنا بتشديد التاء الباقون بتخفيفها من
شدد ذهب الى التكثير ومن خفف فلانه يحتمل القلة والكثرة معنى لو امتناع الشئ لامتناع غيره ولولا
معناه امتناع الشئ لوجود غيره وقال الرمانى معنى لو تعليل الثانى بالاول الذى يجب بوجوبه وينتفى الثانى
بانتفائه على طريقة كان وان فيها هذا المعنى على طريقة يكون والفرق بين لو وان ان تعلّق الثانى بالاول الذى
يمكن ان يكون ويمكن ان لا يكون كقولك لو كان الجسم قديما لاستغنى عن صانع وفتحت ان بعد لولا انها مبنية
على شبه التعليل اللفظى لاختصاصه بالفعل الماضى فكانه قيل لو كان ان اهل القرى امنوا وصارت لو خلفا
منه واما لولا انه خارج لا ثبته فيشبه لو من جهة تعليق الثانى بالاول فاجريت مجراها يقول الله تعالى لو ان
اهل هذه القرى التى اهلكناها من قوم لوط وصالح وشعيب وغيرهم اقروا بوحدانيتى وصدقوا رسلى لفتحنا
عليهم بركات وهى الخيرات النامية له واصله الثبوت فنمو الخير يكون عن ثبوته بدوامه فبركات السماء بالقطر وبركات
الارض بالنبات اجابة الدعاء وبركات الارض تيسير الحوائج ولكن كذبوا يعنى رسلى فاخذناهم بما كانوا يكسبون
من المعاصى ومخالفتى والكسب العمل الذى يجتلب به نفع او يدفع به ضرر عن النفس وقد يكسب الطاعة ويكسب المعصية
اذا جلب لنفع من وجه يقبح قال البلخى وفى الآية دلالة على ان المقتول ظلما لو لم يقتل لم يجب اماتته لانه تعالى
قال لو ان اهل القرى امنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض وهذا انما يقول لقوم اهلكهم
دمّر عليهم وقد كان عالما بما ينزل بهم من الهلاك فاخبرهم لو امنوا لم يفعل بهم ذلك ولعاشوا حتى ينزل عليهم
بركات من السماء فيتمتعوا بذلك قوله تعالى أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ أَوَأَمِنَ أَهْلُ
الْقُرَىٰ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ آيتان بلا خلاف اقول قرا اهل المدينة وابن عامر او بسكون الواو الا
ان ورشا على اصله فى القاء حركة الهمزة على الساكن فتصير قراءته مثل قراءة الباقين الالف فى قوله افامن اهل
الف الانكار عليهم ان يامنوا وانما دخل حرف الاستفهام معنى الانكار ولظهور المعنى فيه وان الجواب عنه لا يكون
الا بالنفى والفاء فى قوله افامن فاء العطف دخل عليها حرف الاستفهام وانما جاز ذلك مع منافات العطف
للاستيناف لانهما انما يتنافيان فى المفرد لان الثانى اذا عمل فيه الاول كان من الكلام الاول والاستيناف قد
اخرجه عن ان يكون منه واما فى عطف جملة على جملة فيصح لانه على استيناف جملة بعد جملة والامن سكون النفس
الى الحال المنافية لانزعاجها والامن والثقة والطمانينة نظائر فى اللغة وضد الامن الخوف وضد الثقة الريبة
وضد الطمانينة الانزعاج والامن الثقة بالسلامة من الخوف والباس العذاب والبؤس الفقر والاصل الشدة ورجل
بئيس شديد فى القتال ومنه قولهم بئس الرجل زيد معناه شديد الفساد والنوم نقيض اليقظة والنوم سهو يغمر
القلب ويغشى العين ويضعف الحس وبنا فى العلم نام الرجل ينام نوما وهو حسن النيمة ورجل نومة بسكون الواو
اذا كان خسيسا لا يؤبه به ذكره الزجاج ورجل نومة بفتح الواو وكثير النوم والنيم النوم لانه يغشى كما يغشى النوم
اولانه من شانه ان ينام فيه ومعنى الآية الابانة عما يجب ان يكون عليه العبد من الحذر لباس الله وسطواته بالمسارعة
الى طاعته واتباع مرضاته والمعنى بقوله اهل القرى هم اهل القرى الظالم اهلها والمقيمين على معاصى الله فى كل
وقت وكل اوان قوله بسبب اهل القرى المركبة فى زمن النبى عليه السلم وقوله او امن اهل القرى انما قال ههنا بالواو
وفى الآية الاولى بالفاء لان الفاء تدل على ان الثانى ادّى اليه الاول كانه قيل افامنوا ان ياتيهم باس الله من
اجل ما هم عليه من تضييع امر الله لانه يشبه الجواب وليس كذلك الواو بل هى لمجرد العطف وانما دخلت الف
الاستفهام عليها للانكار على ما بيّناه والواو مفتوحة فى او امن لانها واو العطف دخل عليها حرف الاستفهام
وانما فتحت لانها اخف الحركات ولمثل ذلك فتحت الف الاستفهام وكسرت باء الاضافة ولامها لانهما حرفان

اما من هذا التافى استحق الثواب هذا معقد درو لنبس كك لولا نهما قد تدخل على ما لا يمكن ان يكون كقولك

والثمار كما وعد نوح بذلك امته فقال يرسل السماء عليكم مدرارا الآيات وقيل بركات السماء

اذا كان حسن هيئة النوم

وان نزلت

الظالم اهلها المشركين

لازمان لعمل الجر ومن قرا هذه القراءة قال لانها اشبه بما قبلها وما بعدها لانه قال قبلها افامن وقال
بعدها اولم يهد ومن سكن الواو اراد الاضراب عن الاول من غير ان ابطل الاول لكن كقوله الم تنزيل الكتاب
لا ريب فيه من رب العالمين ام يقولون افتريه فجاء هذا على معنى امنوا هذه الضروب من معاقبتهم والاخذ
لهم وان شئت جعلته او التى فى قولك ضربت زيدا او عمروا كانك اردت افامنوا احدى هذه العقوبات واو حرف
يستعمل على ضربين احدهما بمعنى احد الشيئين كقولك جاءنى زيد او عمرو وكما يقول جائنى احدهما ومن ذلك
قولهم جالس الحسن او ابن سيرين لانه مخير فى مجالسة ايهما شاء والثانى ان يكون بمعنى الاضراب بعد الخبر كقولك
انا اخرج ثم تقول او اقيم فتضرب عن الخروج وتثبت الاقامة كانك قلت لا بل اقيم ومن ثم قال سيبويه فى قوله
ولا تطع منهم اثما او كفورا لو قلت ولا تطع كفورا انقلب المعنى وانما كان ينقلب المعنى لانه لو كان للاضراب
لجاز ان تطيع الاثم وذلك خلاف المراد لان الغرض لا تطع هذا الضرب ولا تطع هؤلاء والضحى صدر النهار فى وقت
انبساط الشمس واصله من قولهم ضحا الشمس يضحو ضحوا اذا ظهر وفعل ذلك الامر ضاحية اذا فعله ظاهرا
والاضحية لانها تذبح عند الضحى يوم العيد قال رؤبة شعر الحمد لله العشى والضحى وقال عليه من نسج
الضحى الشعوف فشبه السراب بالسور البيض واللعب هو العمل للذة لا يراعى فيه الحكمة كعمل الصبى لانه لا يعرف
الحكم ولا الحكمة وانما يعمل للذة واصله الذهاب على غير استقامة كلعاب الصبى اذا سال على فيه وانما خص وقت
الضحى بهذا الذكر لانه بمنزلة لا يجوز لهم ان يامنوا البيات ولا نهارا فى قول الحسن ولانه ابتداء الدخول فى الاستمتاع
ومعنى الآية البيان عن وجوب الاخذ بالحزم فى كل ما لا يؤمن معه هلاك النفس لانكار الله عليهم ان يكونوا
على حال الامن وقد ضيعوا الواجب من الامر قوله تعالى أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ
آية بلا خلاف اقول انما دخلت الفاء فى افامنوا بعد الواو فى او امن لان فيها معنى بعد كانه قيل ابعد هذا كله
امنوا مكر الله ثم صارت الفاء فى فلا يامن مكر الله كانها جواب لمن قال قد امنوا والمكر اخذ العبد بالضر من
حيث لا يشعر الا انه قد كثر استعماله فى الحيلة عليه قال الخليل المكر الاحتيال باظهار خلاف الاضمار وانما جاز
اضافة المكر الى الله لما فى ذلك من المبالغة من جهة انه قد صار العذاب كالمكر على الحقيقة لانه اخذ للعبد بالضر
من حيث لا يشعر واصل المكر الالتفاف فمنه ساق ممكورة اى ملتفة حسنة قال ذو الرمة شعر عجزاء ممكورة
خمصانة قلق عنها الوشاح وتم الجسم والقصب والمكور شجر ملتف قال الراجز زجز يستن فى علقى وفى مكور
ورجل ممكور قصير ملتف الخليقة ذكره الخليل فى هذا الباب تقول مكر يمكر مكرا اذا التف تدبيره على مكر ولضاحبه
وقوله فلا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون انما ارتفع ما بعد الا لان الرافع مفرغ له فارتفع لانه فاعل وكلما
فرغ العمل لما بعد الا فهى فيه ملغاة وكلما شغل بغيره فهى فيه مسلطة لان الاسم لا يتصل على ذلك الوجه الا
بها وانما قال لا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون مع ان الانبياء المعصومين يامنون ذلك لامرين احدهما انهم
لا يامنون عقاب الله للعاصين ولذلك سلموا من مواقعة الذنوب الثانى فلا يامن مكر الله من المذنبين الا القوم
الخاسرون ومعنى الآية الابانة عما يجب ان يكون عليه المكلف من الخوف لعقاب الله ليسارع الى طاعته واجتناب
معاصيه ولا يستشعر الامن من ذلك فيكون قد خسر فى دنياه واخرته بالتهالك فى القبائح قوله تعالى أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ
يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ آية بلا
خلاف اقول قيل فى فاعل يهد فى حكم الاعراب قولان احدهما انه مضمر كانه قيل اولم يهد الله لهم وقوى ذلك بقراءة
من قرا بالنون على ما ذكره الزجاج الثانى يهد لهم مستثنى لان ان لو نشاء فى موضعه والتقدير اولم يكن هاديا
لهم اغلامنا لمن اهلكناه وقيل فى معنى الهداية ههنا قولان احدهما قال ابن عباس ومجاهد والسدى وابن زيد يهد
لهم يبين لهم الثانى ان الهداية الدلالة المؤدية الى البغية والمعنى اولم نبين للذين نتعتهم فى الارض بعد اهلاكنا
من كان قبلهم فيها وجعلنا اياهم المالكين لها بعدهم انا لو شئنا اصبناهم بعقاب ذنوبهم واهلكناهم بالعذاب
كما اهلكنا الامم الماضية قبلهم وقوله للذين يرثون الارض من بعد اهلها فالارث ترك الماضى للباقى ما يصير له
بعده وحقيقة ذلك فى الاعيان التى يصح فيها الانتقال وقد استعمل على وجه المجاز فى الاعراض فقيل العلماء ورثة

اصطلاءمنا

الانبياء لانهم تعلموا منهم وقاموا بما ادوه اليهم وقوله ان لو نشاء اصبناهم بذنوبهم من الاصابة وهي
ايقاع الشئ بالغرض المنصوب وضده الخطأ وهو ايقاع الشئ بخلاف الغرض المطلوب في قوله ونطبع على قلوبهم
قيل في معنى الطبع ههنا قولان احدهما الحكم بان المذموم كالممنوع من الايمان لا يفلح وهو ابلغ الذم الثاني
انه علامة وسمة في القلب من نكتة سوداء ان صاحبه لا يفلح تعرفه الملائكة وحكي عن البكرية في تاويل هذه الاية
ان معنى الاية لو نشاء طبعنا على قلوبهم وانكر ابو علي ذلك وقال هذا غلط لان قوله اني لو شئت اصبتهم
بعقاب ذنوبهم واهلكتهم كما اهلكت الامم قبلهم بعقوبة ذنوبهم فلا يجوز ان يعني اني لو شئت اهلكتهم فلا
يتهيأ لهم ان يسمعوا بعد اهلاكهم لان من المعلوم للعقلاء اجمع ان الموتى لا يسمعون ولا يقبلون الايمان
وقوله ونطبع على قلوبهم انما هو استيناف وخبر منه ان يفعل ذلك ولم يرد اني لو شئت لطبعت لانه بين في هذه
الاية وغيرها انه مطبع على قلوب الكافرين كقوله بل طبع الله عليها يعني على القلوب بكفرهم فلا يؤمنون الا قليلا
اي الا قليلا منهم لان اهل الطبع قد يؤمن بعضهم وهو خلاف قول الحسن فان تاويله عنده الا ايمانا قليلا
وقال الزجاج هو على الاستيناف لانه لو كان محمولا على اصبنا لكان وجه الكلام ولطبعنا وهو قول الفراء وقوله
فهم لا يسمعون اي لا يقبلون الايمان مع هدايتنا لهم وتخويفنا اياهم وفائدة الاية الانكار على الجهال قولهم تركهم
الاعتبار بمن مضى من الامم قبلهم وانه قد طبع على قلوب من لا يفلح منهم عيبا وذما لهم وقال البلخي شبه تعالى
الكفر بالصدى الذي يركب المراة والسيف لانه يذهب عن القلوب بجلاوة الايمان ونور الاسلام كما يذهب
الصدى بنور السيف وصفاء المراة ولما صاروا عند امر الله لهم بالايمان الى الكفر جاز ان يضيف الطبع الى نفسه
كما قال زادتهم رجسا الى رجسهم وان كان السورة لم يزدهم ذلك قوله تعالى تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَائِهَا
وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ
اية اقول اخبر الله تعالى عن اهل القرى التي ذكرها وقص خبرها واشار بتلك اليها لانه خاطب النبي عليه السلام
وقوله نقص عليك من انبائها يعني قصص انباء القرى مما فيه من الاعتبار بما كانوا عليه من الاغترار بطول الامهال
مع اسباغ النعم وتظاهر المنن حتى توهموا انهم على صواب فيما دعاهم اليه الشيطان من قبح الطغيان والقصص
اتباع الحديث ويقال فلان يقص الاثر اي يتبعه ومنه قالت لاخته قصيه اي اتبعي اثره ومنه المقص لانه يتبع في
القطع اثر القطع والنبأ هو الخبر الا ان النبأ خبر من امر عظيم الشان واخذ منه اسم نبي ويقال انبأ بكذا بمعنى اخبر
به وقوله ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات يعني اتتهم رسلهم بالايات الدلالات وانما اضاف الرسل اليهم مع
انهم رسل الله لان الاختصاص فيهما على طريقة الملك اذ المرسل مالك لرسالته وقد ملك العباد الانتفاع بها
والاهتداء بما فيها من البيان والبرهان وقوله فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل معناه قيل قولان احدهما انه بمنزلة
قوله ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه في قول مجاهد اي انا لو اهلكناهم الا وفي معلومنا انهم لا يؤمنون الثاني
ان عتوهم في كفرهم وتمردهم فيه يحملهم على ان لا يتركوه الى الايمان في قول الحسن والجبائي فالاية على هذا مخصوصة
بمن علم من حاله انه لا يؤمن وقال الاخفش بما كذبوا معناه بتكذيبهم فيجعل ما مصدرية والمعنى لم يكونوا ليؤمنوا
بالتكذيب وقوله كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين وجه التشبيه فيه ان دلالته على انهم لا يؤمنون ذما بانهم
لا يفلحون كالطبع على قلوب الكافرين الذين في مثل صفتهم في المعلوم قوله تعالى وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ
وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ اية بلا خلاف اقول معنى قوله وما وجدنا اي ما ادركنا لان الوجدان والالقاء
والادراك والمصادفة نظائر وقوله لاكثرهم من عهد فالعهد العقد الذي تقدم لتوطين النفس على اداء الحق و
اذا اخذ على الانسان العهد فنقضه قيل ليس عليه عهد اي كانه لم يعهد اليه فلما كان الله تعالى اخذ عليهم العهد
بما جعل في عقولهم من وجوب شكر المنعم والقيام بحق المنعم وطاعة المالك المحسن في اجتناب القبائح الى المحاسن في
العقول فلذلك لم يكن لهم عهد وكانه قال وما وجدنا لاكثرهم من طاعة لانبيائهم وقيل العهد ما عهد اليهم مع الانبياء
ان يعبدوه ولا يشركوا به شيئا وهو قول الحسن وابي علي والمعنى في النفي يؤل الى انه لم يكن لاكثرهم عهد فيوجد
وقوله من عهد قيل في دخول من ههنا قولان احدهما انها للتبعيض لانه اذا لم يوجد بعض العهد فلم يوجد الجميع

لانه لو وجد جميعه لكان قد وجد بعضه الثاني انها دخلت على ابتداء الجنس الى النهاية وقوله وان وجدنا
اكثرهم لفاسقين معنى ان هي المخففة جاز الغاؤها من العمل وان يليها الفعل لانها حينئذ قد صارت حرفا من
حروف الابتداء واللام في قوله لفاسقين لام الابتداء التي تكسر لها ان وانما جاز ان يعمل ما قبلها فيما بعدها
لانها مزحلقة عن موضعها اذ لها صدر الكلام ولكن كره الجمع بينها وبين ان واخرت وقال قوم المعنى وما وجدنا
اكثرهم الا فسقة فان قيل كيف قال اكثرهم فاسقين وهم كلهم فاسقون قيل يجوز ان يكون الرجل عدلا في دينه
غير منهمك لامر تكب لما يعتقد قبحه وتحريمه فيكون تاويل الاية وما جدنا اكثرهم مع كفره فاسقا في دينه غير لازم
لشريعته خائنا للعهد قليل الوفاء وان كانوا واجبين عليه في دينه وفيها دلالة على انه يكون في الكفار من يفي بعهده
ووعده ويبعده من الخلف وان كان كافرا وكذلك قد يكون منهم المتدين الذي لا يرى ان ياتي ما هو فسق في دينه
كالغصب والظلم فاخبر تعالى انهم مع كفرهم كانوا لا وفاء لهم ولا تدين بمذهبهم بل كانوا يفعلون ما هو فسق عندهم
وذلك يدل على صحة قول من يقول يجوز شهادة اهل الذمة في بعض المواضع قوله تعالى ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ
مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ اية بلا خلاف اقول اخبر الله
تعالى في هذه الاية انه بعد ارسال من ذكر قصته من الانبياء وكفرهم بهم وانزال العذاب بهم فالهاء والميم يجوز
ان يكون كناية عن الانبياء الذين جرى ذكرهم ويحتمل ان يكون كناية عن الامم التي قد تقدم ذكرهم واهلاكهم
بعثنا اليهم موسى وارسلناه اليهم والبعث والارسال وهو في الاصل النقل باعتماد يوجب الاسراع الى الشئ
فمنه قوله انظرني الى يوم يبعثون اي من القبور ومنه قوله ثم بعثناكم من بعد موتكم اي نقلناكم الى حال الحيوة
وكذلك نقلنا موسى عن حاله بالارسال الى فرعون وملائه باياتنا يعني بحججنا وبراهيننا وقوله فظلموا بها
معناه ظلموا انفسهم بجحدها لان الظلم بالشئ على وجوه منها السبب والالة والجهة نحو ظلم بالسيف الذي
قتل به الناس وظلم بدينه له وظلم بغصبه المال وظلم بجحده الحق وقيل ظلموا بها اي جعلوا بدل الايمان الكفر
بها لان الظلم وضع الشئ في غير موضعه الذي هو حقه وقوله فانظر كيف كان عاقبة المفسدين معنى النظر
هو محاولة التصور للشئ بالفكر فيه وهو طلب ادراك المعنى بالتاويل له وقيل هو تحديق القلب الى المعنى لادراكه
وكانه قيل فانظر يعني بالقلب كيف كان عاقبتهم وموضع كيف نصب لانه خبر كان وتقديره انظر اي شئ كان عاقبة
المفسدين قوله تعالى وَقَالَ مُوسَى يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ اية بلا خلاف اقول في هذه الاية
حكاية لما قال موسى عليه السلام لفرعون ونداؤه له اني رسول من قبل رب العالمين مبعوث اليه والى قومه ومن في قوله
من رب العالمين لابتداء الغاية لان المرسل المبتدئ بالرسالة وانتهاؤها المرسل اليه وموسى على وزن مفعل
الميم في موسى زائدة لكثرة زيادتها اولا كالهمزة حتى صارت اغلب من زيادة الالف اخيرا وافعى على وزن افعل لهذه
العلة وموسى لا ينصرف لانه اعجمي ومعرفة وموسى الحديد عربي ان سميت به رجلا لم يصرفه لانه مؤنث ومعرفة على
اكثر من ثلثة احرف كما لو سميته بعناق لم تصرفه ولو سميته بقدم صرفته وفرعون على وزن فعلون ومثله برذون
فالواو زائدة لانها جاءت مع سلامة الاصول الثلاثة والنون زائدة للزومها وفرعون لا ينصرف لانه اعجمي معرفة
وعرب في حال التعريف لانه نقل من الاسم العلم ولو عرب في حال التنكير لا ينصرف كما ينصرف باقرب اسم رجل قوله تعالى
حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ اية بلا خلاف اقول
قرأ نافع وحده حقيق عليّ بتشديد الياء الباقون بتخفيف الياء فمن قرأ بالتشديد قال تقديره واجب علي ان لا
اقول ومن خفف فعلى تقدير حريص على ان لا اقول قال ابو علي قوله حقيق يحتمل وجهين احدهما ان حق الذي هو
فعل قد تعدى بعلى قال الله فحق علينا قول ربنا وقال فحق عليها القول فحقيق يصل بعلى من هذا الوجه والثاني
ان حقيقا بمعنى واجب فلما ان وجب يتعدى بعلى كذلك تعدى حقيق به ومن لم يشدد اجاز تعديه بعلى من
الوجهين اللذين ذكرناهما وقد قالوا هو حقيق بكذا فيجوز على هذا ان يكون على بمعنى الباء فيوضع على موضع
الباء قال ابو الحسن كما قال ولا تقعدوا بكل صراط توعدون والمعنى على قال ابو علي والاول احسنها لان ابا الحسن
قال ان على بمعنى الباء ليس بمقيس الا ترى انك لو قلت ذهبت على زيد تريد بزيد لم يجز وقال وجاز في الاية

لان القراءة وردت به وتقديره حقيق على ان لا اقول حقيق بان لا اقول قال الفراء العرب يقول رميت على القوس وبالقوس وجئت على حال حسنة وبحال حسنة ومعناهما متقارب لانه مستقل على القول بالنظر حتى يؤديه على الحق فيه والحق ايضا منعقد بالقول فيه لا ينفك وقوله الا الحق نصب بانه مفعول القول على غير الحكاية بل على معنى الترجمة عن المعنى دون حكاية اللفظ وقوله قد جئتكم ببينة من ربكم خطاب من موسى لقومه انه قد جاء قومه بدلائل من ربه عز وجل وقوله فارسل معى بنى اسرائيل خطاب من موسى لفرعون وامره اياه ان يخلى على بنى اسرائيل من اعتقاله لانه كان قد اعتقلهم للاستخدام فى الاعمال الشاقة من نحو ضرب اللبن ونقل التراب وما اشبه ذلك ومعنى الاية البيان عن وجوب اتباع موسى عليه السلام لمكان الادلة التى تشهد بصدقه وبانه لا يقول على الله الا الحق ولا يدعو الا الى الرشد قوله تعالى قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ آية بلا خلاف اقول هذا حكاية عما قال فرعون لموسى عليه السلام من انه ان كان معك حجة ودلالة تشهد لك على ما تقول فات بها اى هات بها ان كنت صادقا من الصادقين على طريق اليأس منه بذلك وجهله بصحته وامكانه واختلف النحويون ههنا فى نقل ان الماضى الى الاستقبال فقال ابو عباس لم تنقله هنا من اجل قوة كان لانها ام الافعال ولم يجره من غيرها وقال ابن السراج المعنى ان تكن جئت باية اى ان يصح ذلك لانه اذا امكن ان يجرى الحرف على اصله لم يجز اخراجه وانما جاز نقل ان الماضى الى المستقبل للبيان عن قوتها فى النقل اذ كانت تنقل الفعل نقلين الى الشرط والاستقبال كما ان لم تنقله الى النفى والماضى وضمير المخاطب ترجع الى المكنى فى كنت ولا يجوز مثل ذلك فى الذى لان الذى غائبة فحقها ان يعود اليه ضمير الغائب وقد اجازوه اذا تقدمت كناية المتكلم فى قول الشاعر شعر وانا الذى قتلت بكرا بالقنا وتركت تغلب غير ذات سنام فعلى هذا يجوز انت الذى ضربت عمرو والوجه ضربه وانما جاز وقوع الامر فى جواب الشرط لان فيه معنى ان كنت جئت باية فاتى الزملك ان تاتى بها فقد عاد الى انه يجب الثانى بوجوب الاول ولا يجوز مثل ذلك فى الف الاستفهام لانه لم يقع معرفة غيره ولو اتسع فيه جاز مثل ان يقول ان كان عندك دليل فما هو ولا يجوز ان قدم زيد فاعمروا قدمه لان الالف لها صدر الكلام قوله تعالى فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ آيتان بلا خلاف هذا اخبار من الله تعالى عن القاء موسى عصاه والعصا عود كالقضيب يابس واصله الامتناع بيبسه يقال عصى يعصى اذا امتنع قال الشاعر شعر يصف السيوف وغيرهم يعصى بها يا ابن القيون وذاك فعل الصيقل وقيل عصى بالسيف اذا اخذه اخذ العصا ويقال لمن استقر بعد تنقل القى عصاه قال الشاعر شعر فالقت عصاها من بنات الواو والمعصية من بنات الياء قال الشاعر شعر فجائت بنسج العنكبوت كانه على عصو تها سابرى مسبرق ويقول عصى يعصى فهو عاص مثل رمى يرمى واصل القى من اللقاء الذى هو الاتصال فالقى عصاه اى ازال اتصالها عما كان ومنه القاء الحقين يعنى اتصالهما والملاقاة كالمماسة وزيدت الف القى ليدل على هذا المعنى وانما صارت الياء الفا فى القى لانها فى موضع حركة قبلها فتحة ولذلك رجعت الى اصلها فى القيت وانما وجب هذا لانه بمنزلة التضعيف فى موضع يقوى فيه التغيير مع نقل الحركة فى حروف العلة وقوله فاذا هى ثعبان فالثعبان هو الحية الضخمة الطويلة وقال الفراء الثعبان اعظم الحيات وهو الذكر وهو مشتق من ثعبت الماء اثعبه ثعبا اذا فجرته والمثعب موضع انفجار الماء فسمى الثعبان لانه يجرى كعنق الماء عند الانفجار قال الشاعر شعر على نهج كثعبان العرين وقيل ان ذلك الثعبان فتح فاه وجعل فيه فرعون بين نابيه فلو ناع فرعون واستغاث بموسى ان ياخذه ففعل فى قول ابن عباس والسدى وسفيان ومعنى مبين اى بين انه حية لا لبس فيه قوله ونزع يده فالنزع هو ازالة الشئ عن مكانه الملابس له المتمكن فيه كنزع الرداء على الانسان والنزع والقلع والجذب نظائر واليد معروفة وهى الجارحة المخصوصة واليد النعمة لانها بمنزلة ما اشتدت بالجارحة وقد يكون اليد بمعنى تحقيق الاضافة فى الفعل لانه بمنزلة ما عمل باليد التى هى جارحة وقوله فاذا هى بيضاء للناظرين معنى اذا هنا المفاجاة وهى بخلاف اذا التى للجزاء قال الزجاج هى من ظروف المكان ثم وهناك والمعنى بيضا للناظرين هناك والبياض البيضاء ضد السوداء وهو ان يكون به المحل ابيض وكان موسى عليه السلام اسمر شديد السمرة وقيل اخرج يده من جيبه فاذا هى بيضاء من غير سوء يعنى برص ثم اعادها الى كمه فعادت الى لونها الاول فى قول ابن عباس

ومجاهد والسدى وقال ابو على كان فيها من النور والشعاع ما لم يشاهد مثله فى يد احد والناظر هو الطالب لرؤية الشئ ببصره لان النظر هو تطلب لادراك للمعنى بحاسة من الحواس او وجه من الوجوه قوله تعالى قَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ آيتان بلا خلاف اقول هذا حكاية ما قال اشراف قوم فرعون ان موسى ساحر عليم بالسحر وانما قيل للاشراف الملاء لامرين احدهما قال الزجاج لانهم مليئون بما يحتاج اليه منهم الثانى لانه يملأ الصدر هيبتهم فالملاء جعل الوعاء على كل ما يحمل ما يلقى فيه كامتلاء المكيال ونحوه ويقال الخلأ والملأ على وجه التقابل وقوم فرعون هم الجماعة الذين كانوا يقومون بامره ومعاونته ونصرته والخلأ والملأ على وجه التقابل ولهذا لا يضاف القوم الى الله فلا يقال يا قوم الله كما يقال يا عباد الله والسحر لطف الحيلة فى اظهار اعجوبة توهم المعجزة وقال الازهرى السحر صرف الشئ عن حقيقته الى غيره والساحر انما يكفر بادعاء المعجزة لانه لا يمكن مع ذلك علم النبوة واصل السحر خفاء الامر ومنه خيط السحارة لخفاء الامر فيها ومنه قوله تعالى انما انت من المسحرين اى الذين يعللون لخفاء الامر فى الغداء والسحر الغذو والسحر آخر الليل لخفاء الشخص ببقية ظلمته والسحور طعام السحر والسحر الرئة وما تعلق بها لخفاء امرها فى انتفاخها تارة وضمورها اخرى قال ذو الرمة شعر وساحرة السراب من الموامى ترقص فى نواشرها الاروم ويقال سحر الارض المطر اذا جادها فقطع نباتها من اصوله بقلب الارض ظهر البطن يسحرها سحرا والارض مسحورة فشبه سحر الساحر بذلك بتخييله الى من سحره انه يرى الشئ بخلاف ما هو به ومعنى قوله تعالى يريد ان يخرجكم من ارضكم وازالة ملككم بتقوية اعدائه عليكم وقوله تعالى من ارضكم فالارض المستقر الذى يمكن الحيوان التصرف فيه عليه وجملة الارض جعلها الله قرارا للعباد فاذا اضيفت فقيل ارض بنى فلان فمعناه مستقرهم خاصة وقوله تعالى فماذا تامرون موضع ما يحتمل ان يكون رفعا ويكون المعنى فما الذى تامرون ويجوز ان يكون نصبا بمعنى فباى شئ تامرون ويجعل ما مع ذا بمنزلة اسم واحد وفى الجواب يتبين الاعراب ويحتمل ان يكون قوله فماذا تامرون من كلام الملأ بتقدير ان يكون قال بعضهم لبعض ماذا تامرون ويحتمل ان يكون قالوا ذلك لفرعون على خطاب الملوك ويحتمل ان يكون قالوا ذلك لفرعون على خطاب الملوك ويحتمل ان يكون من كلام فرعون والتقدير قال فرعون فماذا تامرون خطابا لقومه فعلى هذا تقول قلت لجاريتك قومى انا قائمة وتقديره قالت انا قائمة وهو قول الفراء وابى على الجبائى وانشد الفراء قول عنترة وزعم ان فيه معنى الحكاية الشاتمى عرضى ولم اشتمها والناذرين اذا لقيتهما دمى لان المعنى قالا اذا لقينا عنترة لنقتلنه قوله تعالى قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ آيتان بلا خلاف اقول قرا اهل الكوفة الا عاصما سحار بتشديد الحاء والف بعدها الباقون ساحر بالف قبل الحاء على وزن فاعل وقرا عاصم الا يحيى وحمزه ارجه بسكون الهاء من غير همزة وقرا اهل البصرة والداجونى عن هشام ويحيى بالهمزة وضم الهاء من غير اشباع وقرا ابن كثير والحلوانى عن هشام كذلك الا انهما وصلا الهاء بواو فى اللفظ وروى ابن ذكوان بالهمز وكسر الهاء من غير اشباع وقرا ابو جعفر من طريق ابن العلاف وقالون والمسيبى بكسر الهاء من غير اشباع وبغير همز الباقون وهم الكسائى وخلف واسمعيل وورش وابو جعفر من طريق النهروانى بكسر الهاء ووصلها بياء فى اللفظ من غير همز وكذلك اختلافهم فى الشعراء والهمزة لغة قيس وغيرهم وترك الهمزة لغة تميم واسد يقولون ارجيت الامر وقال ابو زيد ارجات الامر ارجاء اذا اخرته وقوله تعالى ارجه افعل من هذا ولا بد من ضم الهاء مع الهمزة لا يجوز غيره والا يبلغ الواو احسن لان الهاء خفية فلو بلغ بها الواو لكان كانه قد جمع بين ساكنين الا ترى ان من قال رد يا فتى بضم الدال اذا وصل بالهاء فى ضمير المؤنث قال ردها ففتح كما يقول رد لخفاء الهاء وكذلك ارجه لا ينبغى ان يبلغ بها الواو فيصير كانه جمع بين ساكنين ومن الحق الواو قال لان الهاء محركة ولم يلتق ساكنان لان الهاء فاصل قال ارجيهو كما يقال اضربهو فلو كان الياء حرف لين لكان وصلها بالواو اقبح نحو عليهو لاجتماع حروف متقاربة مع ان الهاء ليست بحاجز قوى فى الفصل واجتماع المتقاربة كاجتماع الامثال قال ابو على الفارسى من وصل الهاء بياء فلان هذه الهاء يوصل فى الادراج بواو او ياء نحو بهى او بهو وضربهو ولا يقول فى الوصل به ولا بهِ ولا ضربه حتى يشبع فيقول بهو فاعلم

ياء وبهو رآء الا في ضرورة الشعر كقوله شعر وما له من مجلد يلبد وقال ومن كسر الهاء مع الهمز فقد غلط وانما
إذا كان قبله ياء فقال ارجيه بكسر الهاء ولم يستقم لان هذه الياء في تقدير الهمزة فكما لم يدغم ويجوز ويا اذا خففت الهمزة
لان الواو في تقدير الهمزة كذلك لا يحسن تحريك الهاء بالضم مع الياء المنقلبة عن الهمزة وقياس من قال رويا فادغم
ان يحرك الياء ايضا بالضم وعلى هذا المسلك من قال عليهم اذا كسر الهاء مع قلب الهمزة ياء قال ومن قال ارجئه ارجه
وقال قتادة معناه احبسه يقال ارجأت الامر ارجاء ومنه قولهم المرجئة وهم الذين يجوزون الغفران لمرتكبي الكبائر
من غير توبة قال الرماني لا وجه لقراءة حمزة عند البصريين في القياس ولا الاستعمال على لغة من همز وقال الزجاج
اسكان هاء الضمير لا يجوز عند حذاق النحويين واجاز الفراء ذلك قال يقولون هذه طلحة اقبلت وانشد قول
الراجز دخر انحا على الدهر رجلا ويدا يقسم لا يصلح الا افسدا فيصلح اليوم ويفسده غدا وزعم ان اسكان
هاء التانيث جائز وانشد شعر لما راى ان لادعة ولا شبع مال الى ارطاة حقف فاضطجع وقال الاخر شعر لست
اذن ابن عبلة ان لم اغير بكلتي ان لم اساو بالطول بكلتي معناه طريقتي وطول جمع امراه طولى قال الزجاج كلمتي
هذا الشعر الذي انشده الفراء لا يعرف ولا وجه له وانما لم يلين ابو عمرو الهمزة الساكنة على اصله في تخفيف الهمزة
لان سكونه علامة للجزم فلا يترك همزة لان التسكين عارض وكذلك موصدة لا يترك همزة لانه يخرج من لغة الى
لغة والاخ هو المنسب بولادة الادنى من اب وام او منهما ويقال للاخ الشقيق ويسمى الصديق الاخ تشبيها
بالنسيب فاما الموافق في الدين فانه اخ بحكم الله في قوله انما المؤمنون اخوة ومعنى الاية ان قوم فرعون اشاروا
عليه بان يؤخر موسى واخاه الى ان يرسل في بلاد مملكته حاشرين وقال ابن عباس هم الشرط وقال مجاهد والسدي
يحشرون من يعلمونه من السحرة والعالمين بالسحر ليقابل بينهم وبين موسى جهلا منهم بان ذلك ليس بسحر ومثله في
عظم الاعجاز لا تتم فيه الحيلة لان السحر هو كل امر يموه على من يراه ولا حقيقة له وانما يشتبه ذلك على الجهال و
الاغبياء دون العقلاء المحصلين وقوله تعالى يأتوك بكل ساحر عليم يأتوك جزم لانه جواب الامر والمعنى ان يرسل
يأتوك وحجة من قال ساحر قوله ما جئتم به السحر والفاعل من السحر ساحر ويقويه قوله فالقى السحرة ساجدين والسحرة
جمع ساحر ولانه قال سحروا اعين الناس واسم الفاعل ساحر ومن قرا بسحار فلانه وصف بعليم ووصفه به يدل على سحّار
تناهيه فيه وحذقه فحسن لذلك ان يذكر بالاسم الدال على المبالغة والاتيان هو الانتقال الى مطلوب ومثله
المجيء اتى ياتي اتيانا واتى يؤتي ايتاء اذا اعطى وانما دخلت كل وهي للعموم على واحد لانه في معنى الجمع كانه قال
بكل السحرة اذا افردوا ساحرا ساحرا وبين كل السحرة انه اذا قيل بكل السحرة فالمعنى المطلوب للجميع واذا قيل بكل والفرق بينه ظ
ساحر فالمعنى المطلوب بكل واحد منهم ويبين ذلك قول القائل لكل ساحر درهم ولكل السحرة درهم فان الاول يفيد
ان لكل واحد درهما والثاني ان الجميع لهم درهم والباء في قوله بكل قيل فيه قولان احدهما انه للتعدية كما يعدى بالالف
ومنه ذهبت به واذهبته واتيت به واتيته الثاني انها بمعنى مع اي يأتون ومعهم كل ساحر عليم قوله تعالى وجاء
السحرة فرعون قالوا ان لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين قال نعم وانكم لمن المقربين آيتان بلا خلاف اقول قرء
اهل الحجاز وحفص ان لنا لاجرا بهمزة واحدة على الخبر وقرا بهمزتين مخففتين ابن عامر واهل الكوفة الا حفصا و
روح الا ان الحلواني عن هشام يفصل بينهما بالف وابو عمرو ورويس لا يفصل قال ابو علي الاستفهام في هذا
الموضع اشبه لانهم يستفهمون عن الاجر وليس يقطعون ان لهم الاجر ويقوي اجماعهم في الشعراء وربما حذف همزة
الاستفهام قال الحسن وتلك نعمة تمنها علي ان عبدت بني اسرائيل ان من الناس من يذهب الى انه على الاستفهام
وقد جاء ذلك في الشعر شعر افرح ان ارزأ الكرام وان اورث ذودا شصائصا نبلا وهذا اقبح من قوله شعر
واصبحت فيهم آمنا لا كمعشر اتوني فقالوا من ربيعة او مضر لان ام تدل على الهمزة وفي الكلام حذف لان
التقدير فارسل فرعون في المدائن حاشرين يحشرون السحرة فحشروهم فجاء السحرة فرعون قالوا ان لنا لاجرا اي
ان لنا ثوابا على غلبتنا موسى عندك ان كنا نحن يا فرعون الغالبين وهو قول ابن عباس والسدي ويقول جئته وجئت
اليه فاذا قلت جئت اليه ففيه معنى الغاية لدخول الى فيه وجئته معناه قصدته بمجيء واذا لم يعده لم يكن فيه دلالة
على القصد كما يقول جاء المطر وقوله وجاء السحرة فرعون قالوا انما لم يقل فقالوا حتى يتصل الثاني بالاول لان

معناه لما جاؤا قالوا فلم يصلح دخول الفاء على هذا الوجه وانما قالوا ان لنا لاجرا ولم يقولوا النا اجر لان
احدهما سؤال عن تحقيق الاجر وتاكيده كما لو قال ابا الله لنا اجر وليس كذلك الوجه الاخر وقوله ان كنا نحن موضع
نحن يحتمل وجهين احدهما ان يكون رفعا ويكون تاكيدا للضمير المتصل في كنا والثاني لا موضع له لانه فصل بين
الخبر والاسم والاجر الجزاء بالخير والجزاء قد يكون بالشر بحسب العمل وبحسب ما يقتضيه العدل والغلبة ابطال المقاومة
بالقوة ومن هذا قيل في صفة الله عز وجل القاهر الغالب لانه القادر الذي لا يعجزه شيء وقوله قال نعم حكاية عن قول
فرعون مجيبا لهم عما سالوه من ان لهم اجرا ولا بان نعم لكم الاجر ونعم حرف جواب مع انه يجوز الوقوف عليها لانها
في الوجوب نظيره لا في النفي وانما جاز الوقوف عليها لانها جواب لكلام يستغنى به لانه عما يتصل بها وقوله قال
اصله قول فانقلبت الواو الفا لتحركها وانفتاح ما قبلها وانما قلبوها مع خفة الفتحة ليجري على قلب في يقول في
الاعلال مع ان الالف الساكنة اخف من الواو المتحركة وان كانت بالفتحة والواو في قوله تعالى وانكم واو العطف
كانه قال نعم لكم ذاك وانكم لمن المقربين وهو في مخرج الكلام كانه معطوف على الحرف وكسرت الف انكم لانها في
موضع استيناف بالوعد ولم يكسر لدخول اللام في الخبر لانه لو لم يكن اللام لكانت مكسورة ومثل هذا قوله تعالى
وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام ومعنى من المقربين انكم من المقربين الى مراتب الجلالة
التي يكون فيها الخاصة ولا يتخطى فيها العامة وفي الاية دليل لعموم فرعون على حاجته وذلته لو استدلوا واحسنوا
النظر لنفوسهم لانه لم يحتج الى السحرة الا لذلته وعجزه وكذلك في طلب السحرة الاجر دليل على عجزهم عما كانوا يدعون
من القدرة على قلب الاعيان لانهم لو كانوا قادرين على ذلك لاستغنوا عن طلب الاجر من فرعون ولقلبوا الصخر
ذهبا ولقلبوا فرعون كلبا واستولوا على ملكه قال ابن اسحق وكان السحرة خمسة عشر الفا وقال ابن المكندر
كانوا ثمانين الفا وقال كعب الاحبار كانوا اثني عشر الفا وقال عكرمة كانوا سبعين الفا ذكره الطبري قوله تعالى و
قالوا يا موسى اما ان تلقي واما ان نكون نحن الملقين قال القوا فلما القوا سحروا اعين الناس واسترهبوهم
وجاؤا بسحر عظيم آيتان بلا خلاف اقول هذا حكاية قول السحرة انهم قالوا لموسى اختر احد شيئين اما ان تلقي
انت عصاك او نحن نلقي عصينا وانما دخلت ان في قوله اما ان تلقي ولم يدخل في اما يعذبهم واما يتوب عليهم لان
فيه معنى الامر كانه قال اختر اما ان تلقي اي اما القاؤك واما القاؤنا ومثله اما ان تعذب واما ان تتخذ فيهم حسنا
موضع ان نصب ويجوز ايضا ان يكون التقدير اما القاؤك مبتدأ به واما القاؤنا ويجوز ان يقول يا زيد اما ان
تقوم او تقعد ولا يجوز ان يقول يا زيد ان تقوم او تقعد لان اما يبتدأ بالمعنى فيها اي بمعنى التخيير فلذلك يدل
على معنى اختر وليس كذا او وقد يقع موقع اما وليس بجيد كما قال الشاعر شعر فقلت لهن امشين اما نلاقه كما قال
او يشتفي النفوس فيعذرا وقال ذو الرمة شعر فكيف بنفس كلما قلت اشرفت على البرء من دهماء هيض اندمالها
هاض بدارقد تقادم عهدها واما باموات الم خيالها موضع اما موضع او والا لقاء ارسال المعتمد الى جهة
السفل ومثله الطرح وضده الامساك وقول القائل الق على مسئلة اي هذا يرجع وانما قال واما ان نكون نحن
الملقين ولم يقل اما ان نلقي لانه ليس المعنى على ليكن الالقاء احدنا فقط فيجيء على التقابل وانما هو على ان يلقي احدنا
فيبطل ما اتى به الاخر وقوله تعالى قالوا حكاية عن قول موسى عليه السلام للسحرة القوا انتم فلما القوا سحروا اعين
الناس قال البلخي معناه غشوا اعين الناس وقال السحر هو الخفة والافراط فيها حتى تخيل بها الاشياء عن الحقيقة غيره
والاحتيال بما يخفى على كثير من الناس كتغييرهم الطرجهالة والحيلة فيها ان يجعل الطرجهالة طاقين ويرقق بغاية
الرقيق ويجعل بين الطبقتين زيبق فاذا وضعت في الشمس حمي الزيبق فساد بالطرجهالة لان من طبع الزيبق
اذا حمي ان يتحرك ويفارق مكانه وقال قوم معناه خيلوا الى اعين الناس بما فعلوه من التخييل والخدع انها
تسعى كانه قال تعالى يخيل اليه من سحرهم انها تسعى وقال الرماني معنى سحر الاعين قلبها عن صحة ادراكها بما يتخيل
من الامور المموهة بها بلطف الحيلة التي تجري مجرى الخفة والشعبذة مما لا يرجع الى حقيقته والمحدث لهذا التخييل
هو الله تعالى عندما اظهروا من تلك المخاريق وانما نسب اليهم لانهم لو عرضوا بما لم يعملوه لم يقع كما لو جعل
طفلا تحت البرد فهو القائل له في الحكم والله تعالى اماته وانما جاز من موسى عليه السلام ان يامرهم بالقاء السحر وهو

كفر لامرين احدهما ان كنتم محقين فالقوا الثاني القوا على ما يصح ويجوز لا على ما يفسد ويستحيل وقال الجبائي
هذا على وجه الزجر لهم والتهديد وليس بامر وقوله فلما القوا سحروا اعين الناس الفرق بين لو وان في ان

الفرق بين لما و اذا هو

احدهما للماضي والاخر للمستقبل وكل هذه الاربعة تعليق وليثبان الا ان لو على طريقة الشك ولما بيقين
وقوله واسترهبوهم معناه طلبوا منهم الرهبة وهو خلاف الارهاب لانه جعل الرهبة للذي يرهب والعظيم ما
يملأ الصدر بسهولة ووصف السحر بانه عظيم لبعد مرام الحيلة فيه وشدة التمويه به فهو لذلك عظيم الشان
عند من يراه من الناس ولانه على ما ذكرناه من الخلاف في عدة السحرة من سبعين الفا او ثمانين الفا كان مع كل
واحد حبل او عصا فلما القوه وخيل الى الناس انها تسعى استعظموا ذلك وخافوه فلذلك وصفه الله بانه سحر
عظيم واما اذا كانت للتخيير فاهل الحجاز ومن جاورهم من قيس وبعض تميم يكسرونها وينصبها قيس واسد واما
اذا كانت منصوبة فهي التي يقتضي ان يكون في جوابها الفاء قوله تعالى وَاَوحَينا اِلى موسى اَنْ اَلقِ عصاكَ فاِذا
هِيَ تَلقَفُ ما يافِكونَ فَوقَعَ الحَقُّ وَبَطَلَ ما كانوا يَعمَلونَ آيتان بلا خلاف اقول وقرأ حفص عن عاصم تلقف خفيفة
الباقون بتشديد القاف وابن كثير فاذا هي تلقف بتشديد التاء والقاف وفي رواية البزي عنه الا النقاش وابن
فليح الوحي هو القاء المعنى الى النفس من جهة تخفى ولذلك لم يشعر به الا موسى عليه السلام حتى امتثل ما امر به فاذا
العصا حية تسعى وفي هذه الاية اخبار من الله تعالى انه اوحى الى موسى عليه السلام حين القى السحرة سحرهم وسحروا
اعين الناس واسترهبوهم وجاؤا بسحر عظيم ان الق عصاك فان يحتمل امرين احدهما ان يكون مع ما بعدها من
الفعل بمنزلة المصدر وتقديره اوحينا الى موسى بالالقاء والثاني ان يكون ان بمعنى اي لانه تفسير ما اوحي اليه
فاذا هي تلقف ما يافكون معنى تلقف تبتلع تناولا بفيها بسرعة منها فهي تلتقمه استراطا حالا فحالا قال الشاعر
شعر انت عصى موسى التي لم تزل هناك تلقف ما يافكه الساحر الفاجر يقال لقفته القفه لقفا ولقفانا
ولقفته القفه وتلقفته تلقفا اذا اخذته في الهواء ومن قرأ بتشديد القاف قال اصله تتلقف فادغم احدى التائين
في الاخرى بعد ان سكن الثانية ومن خفف القاف اخذه من لقفته ومن شددها قال هو من تلقف وقوله ما يافكون
فالافك هو قلب الشيء عن وجهه ومنه المؤتفكات المنقلبات والافك الكذب لانه قلب المعنى عن جهة الصواب وقال
مجاهد ما يافكون اي يكذبون وفي الاية حذف وتقديره فالقى عصاه فصارت حية فاذا هي تلقف ما يافكون
والمعنى انها تلقف المافوك الذي حل فيه الافك على هذا يحمل قوله تعالى والله خلقكم وما تعملون فيه وقوله فوقع الحق

وما تعملون ومعناه

معناه ظهر الحق في قول الحسن ومجاهد واصل الوقوع السقوط كسقوط الحائط والطائر يقول وقع يقع وقعا ووقوعا
واوقعه ايقاعا ووقع توقيعا وتوقع توقعا وواقعه مواقعة والميقعة المطرقة والواقعة النازلة من السماء والوقايع
الحروب قال الرماني الوقوع ظهور الشيء بوجوده نازلا الى مستقره والحق كون الشيء في موضعه الذي اقتضته الحكمة
والحق موافق لداعي الحكمة ولذلك يقال وقع الشيء في حقه والباطل الكائن بحيث يؤدي الى الهلاك وهو نقيض الحق
فالحق كون الشيء بحيث يؤدي الى النجاة والعمل تصيير الشيء على خلاف ما كان اما بايجاده او بايجاد معنى فيه ومثله التغيير
وما في قوله ما كانوا يعملون يحتمل امرين احدهما ان يكون بمعنى المصدر والتقدير وبطل عملهم والثاني ان يكون بمعنى
الذي وتقديره وبطل الحبال والعصا التي عملوا به السحر وما اذا كانت بمعنى المصدر لا تعمل عمل ان اذا كانت
بمعنى المصدر لامرين احدهما ان ما اسم والاسم لا يعمل في الفعل والاخر ان تنقل الفعل نقلين الى المصدر و
الاستقبال تقول يعجبني ما يصنع ويعجبني ان يصنع الخير قوله تعالى فَغُلِبوا هُنالِكَ وَانقَلَبوا صاغِرينَ وَاُلقِيَ
السَّحَرَةُ ساجِدينَ قالوا آمَنّا بِرَبِّ العالَمينَ رَبِّ موسى وَهرونَ اربع آيات بلا خلاف اقول اخبر الله تعالى
انه لما القى موسى عصاه وصارت حية وتلقفت ما افكت السحرة ان السحرة غلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين
والغلبة الظفر بالبغية من العدو في حال المنازعة يقول غلب يغلب غلبة فهو غالب في ذلك مغلوب اي مقهور
وغالبه مغالبة وتغالبا تغالبا وغلب تغليبا ومعنى هنالك اي عند ذلك الجمع فهو ظرف مبهم كما ان ذا مبهم
وفيه معنى الاشارة وقيل هنا وهنالك وهناك مثل ذا وذاك وذلك وانما دخلت اللام في هنالك لتدل على
بعد المكان المشار اليه كما دخلت في ذلك لبعد المشار اليه فهنا لما بعد قليلا وهنالك لما كان اشد بعدا وانما دخلت

كاف المخاطبة مع بعد الاشارة ليشعر بتاكيد معنى الاشارة الى المخاطب ليتنبه على بعد المشار اليه من المكان
والبعيد احق بعلامة التنبيه من القريب وقوله وانقلبوا صاغرين اي رجعوا اذلاء والصاغر الذليل والصغر
والصغار الذلة يقال صغر الرجل يصغر صغرا وصغارا اذا ذل واصله صغر القدر وقوله تعالى والقي السحرة
ساجدين انما جاء على ما لم يسم فاعله لامرين احدهما انه بمعنى القاهم ما راوا من عظيم ايات الله بان دعاهم
الى السجود لله والخضوع له الثاني انهم لم يتمالكوا ان وقعوا ساجدين فكان ملقيا القاهم ولم يكن ذلك
على وجه الاضطرار الى الايمان لانه لو كان كذلك لما مدحوا عليه بل علموا ذلك بدليل وهو عجزهم من ذلك
مع تاتي سائر انواع السحر منهم والالقاء اطلاق الشيء الى جهة السفل ونقيضه الامساك ومثله الاسقاط و
الطرح ومعنى الاية البيان عن حال من تيقن البرهان فظهر منه الاذعان للحق والخضوع بالسجود لله تعالى ولم يكن
ممن تعامى عن الصواب وتعاشى عن طريق الرشاد وقوله تعالى قالوا امنا برب العالمين حكاية لما قالت السحرة

تبيّنهم

عند تبيّنهم الحق ووقوعهم للسجود لله تعالى واعترافهم بانهم امنوا برب العالمين الذي خلق السموات و
الارض وما بينهما وخلق موسى وهرون والقول كلام يدل على الحكاية ولو قيل تكلموا لم يقتض حكاية كلامهم
على صورته فاذا قيل قالوا اقتضى حكاية كلامهم والايمان هو التصديق الذي يؤمن من العقاب وهو التصديق
بما اوجب الله عليهم وقال الرماني يجوز ان يقال لله انه لم يزل ربا ولا مربوب كما جاز لم يزل سميعا ولا مسموع
لانه صفة غير جارية على الفعل كما يجري صفة مالك على مالك لملك فالمقدور هو المملوك واصل الصفة رب

يملك

التربية وهي تنشئة الشيء حالا بعد حال حتى يصير الى حال التمام والكمال ومنه ربّ النعمة يربها ربا اذا تممها وربّى
الطفل تربية والله تعالى رب العالمين المالك لهم ولتدبيرهم والعالم كل امة من الحيوان عالم وجمعه العالمون
على تغليب ما يعقل وهو ماخوذ من العلم لكنه كثر في استعمال اهل النظر على انه لجميع ما احاط به الفلك من الاجسام
المتصرفة في الاحوال وقال قوم عالم لا يقع الا لجماعة العقلاء وقد بينا ذلك في فاتحة الكتاب وقوله رب موسى و
هرون انما خصوا موسى وهرون بالذكر بعد دخولهما في الجملة من امنا برب العالمين لامرين احدهما ان فيه معنى
الذي دعا الى الايمان موسى وهرون الثاني خصا بالذكر لشرف ذكرهما على غيرهما على طريق المدحة لهما والتعظيم
والرب بالاطلاق لا يطلق الا على الله تعالى لانه يقتضي انه رب كل شيء يصح ملكه وفي الناس يقال رب الدار ورب
الفرس ومثله خالق لا يطلق الا فيه تعالى وفي غيره يقيد يقال خالق الاديم قال الرماني وانما جاز نبيان في وقت
ولم يجز امامان في وقت لان الامام لما كان يقام بالاجتهاد كان امامة الواحد ابعد من المنافسة واختلاف
الكلمة واقرب الى الالفة ورجوع التدبير الى رضا الجميع وهذا الذي ذكره غير صحيح لان العقل غير دال على
ان الامام يجب ان يكون واحدا كما انه غير دال على انه يجب ان يكون النبي واحدا وانما علم بالشرع انه لا يكون الا
الامام في العصر الا واحدا كما علمناه انه لم يكن في عصر النبي عليه السلام نبي اخر واستوى الامران في هذا الباب
قوله تعالى قالَ فِرعَونُ آمَنتُم بِهِ قَبلَ اَنْ آذَنَ لَكُم اِنَّ هذا لَمَكرٌ مَكَرتُموهُ فِي المَدينَةِ لِتُخرِجوا مِنها اَهلَها
فَسَوفَ تَعلَمونَ لَاُقَطِّعَنَّ اَيدِيَكُم وَاَرجُلَكُم مِن خِلافٍ ثُمَّ لَاُصَلِّبَنَّكُم اَجمَعينَ آيتان بلا خلاف اقول قرأ
حفص وورش ورويس امنتم على الخبر الباقون بهمزتين على الاستفهام وحقق الهمزتين اهل الكوفة الا حفصا

الشاعب

وروح الباقون بتحقيق الاولى وتليين الثانية الا ان قنبلا في غير رواية ابن الشايب يقلب همزة الاستفهام
واوا اذا اتصلت بنون فرعون ولم يفصل احد بين الهمزتين بالف قال ابو علي قياس قول ابي عمرو ومذهبه ان يفصل
بين الهمزتين بالف كما يفصل بين النونات في اخشينان الا انه يشبه ان يكون ترك قياس قوله هنا لما كان يلزم من
اجتماع المتشابهة فترك الالف التي يدخل بين الهمزتين وخفف الهمزة الثانية التي هي همزة افعل من امن فيما رواه
ابي الاخريط عن ابن كثير ابدال الهمزة واوا فانه ابدل من الف الاستفهام واوا لانضمام ما قبلها وهي النون

نؤده

المضمومة في فرعون وهذا في المنفصل مثل المتصل من نؤره فقوله نوا على وزن نود وفي رواية قنبل عن القواس
مثل رواية البزي عن ابي الاخريط غير انه همز بعد الواو قال ابو علي همز بعد الواو لان هذه الواو هي منقلبة عن
همزة الاستفهام وبعد همزة الاستفهام همزة افعلتم فخففها ولم يخففها كما خفف في القول الاول ووجه ان

الاولى لما زالت عن لفظ الهمزة فانقلابها واوا وحقق الهمزة بعدها لانه لم يجتمع همزتان ووجه القول الاول ان الواو لما كان انقلابها عن الهمزة فى تخفيف قياس كان فى حكم الهمزة فلم يحقق معها الثانية كما لا تحقق مع الهمزة نفسها لان الواو فى حكمها كما كانت فى حكمها فى رويا فى تخفيف رويا فلم يدغموها فى الياء كما لم يدغم الهمزة فيها ومن قرا على الخبر فوجهه انه يخبرهم بايمانهم على جهة التقريع لهم بايمانهم والانكار عليهم ووجه الاستفهام انه استفهام على وجه التوبيخ والتقريع والانكار عليهم وحمزة والكسائى قرا بهمزتين الثانية ممدودة لان الهمزة الثانية يتصل بها الالف المنقلبة عن الهمزة التى هى فاء فى امن فى هذه الاية حكاية لما قال فرعون للسحرة حين امنوا بموسى وصدقوه لظهور الحق فقال لهم امنتم به وانما قال لهم ذلك لانه وهم ان الاقدام على خلاف الملك بما عمل قبل الاذن فيه منكر يقتضى سطوة الملك بصاحبه والتنكيل به وعندنا ان فرعون لم يعرف الله قط معرفة يستحق بها الثواب وقال الرمانى لا يمتنع ان يكون عارفا بالله وانما قال لهذا القول تمويها على قومه والتحذير من مثل حال السحرة الذين اقدموا على المخالفة له فى الايمان بموسى عليه السلم وقوله تعالى ان هذا لمكر مكرتموه فى المدينة معناه تواطأتم على هذا الامر ليتسولوا على العباد والبلاد فتخرجوا من المدينة اهلها وتتغلبوا عليها والمكر قيل الاغترار وبالجملة الى خلاف جهة الاستقامة واصله الفتل والالتفاف كما قال ذو الرمة شعر عجزاء ممكورة خمصانة قلق عنها الوشاح وتم الجسم والعصب والمكر والخدع نظائر فى اللغة وقوله فسوف تعلمون تهديد من فرعون لهم وتخويف من مخالفته وانما هدد فرعون بسوف تعلم لان فيه معنى اقدمت بالجهل على سبب الشر فسوف تعلم حين يظهر مسببه الذى ادى اليه كيف كانت منزلته فهو ابلغ من الافصاح به وقوله لاقطعن ايديكم فالتقطيع تكثير القطع ونظيره التفصيل والتفريق ونقيضه التوصيل يقول قطع قطعا واقطع اقطاعا وقطع تقطيعا وتقطع تقطعا واقتطع اقتطاعا وتقاطع تقاطعا واستقطع استقطاعا وقاطع مقاطعة وانقطع انقطاعا والايدى جمع يد وهى الجارحة المخصوصة واليد النعمة لانها تسدى الى صاحبها باليد والارجل جمع رجل وهى الجارحة التى يمشى بها من يمين وشمال والراجل خلاف الراكب وترجل الانسان اذا نزل عن دابته واقفا على رجله ورجله غيره وارتجل القوم ارتجالا اذا كان فيه كالراجل الذى لم يستعن بركوب غيره ورجل الشعر اذا سرحه حاطا له عن ركوب بعضه بعضا والتقطيع من خلاف هو قطع اليد اليمنى مع الرجل اليسرى وهو قول الحسن وقال غيره وكذلك يكون قطع اليد اليسرى مع الرجل اليمنى وقوله ثم لاصلبنكم اجمعين القراء كلهم على ضم الهمزة وتشديد اللام من التصليب فى ذكر الفراء ولاصلبنكم بفتح الهمزة وكسر اللام من الصلب هو الشد على الخشبة او ما جرى مجراها من الاشخاص البارزة وهو مشتق من صلابة الشد يقال صلب صلابة وصلبه تصليبا وتصلب تصلبا وقال ابن عباس اول من صلب وقطع الايدى والارجل من خلاف فرعون قوله تعالى قالوا انا الى ربنا منقلبون اية اجماعا اقول وهذا اخبار عن جواب السحرة حين امنوا وتوعد فرعون اياهم بقطع الايدى والارجل والصلب بانهم قالوا انا الى ربنا منقلبون اى راجعون وغرضهم بهذا التسلى فى الصبر على الشدة لما عليه من المثوبة مع مقابلة وعيده بوعيد هو اشد عليه من عقاب الله واصل انا اننا وحذفت احدى النونين لكثرة النونات فاذا قيل اننا فلانه الاصل واذا قيل انا فللاستخفاف مع كراهة التضعيف والانقلاب الى الله هو الانقلاب الى جزائه والمصير اليه الا انه فخم بالاضافة الى الله العظيم شانه والانقلاب مصير الشئ على نقيض ما كان عليه مما يتغير به واذا صار الى الاخرة بعد الدنيا فانقلب اليها واذا كان على خلق فتركه الى ضده فقد انقلب اليه قوله تعالى وما تنقم منا الا ان امنا بايات ربنا لما جاءتنا ربنا افرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين اية بلا خلاف اقول فى هذه الاية اخبار عما قالت السحرة حين امنوا وتوعدهم فرعون بانواع العذاب بانهم قالوا انا راجعون الى الله وقالوا له ايضا ليس تنقم منا الا ايماننا بالله وتصديقنا باياته التى جاءتنا والنقمة الاخذ بالعقوبة نقم ينقم ونقم ينقم واللغة الاولى افصح وانتقم انتقاما ونقمة فالنقمة ضد النعمة والفرق بين النقمة والاساءة ان النقمة قد تكون بحق جزاء على كفر النعمة ولذلك يقال انتقم الله من فلان نقمة عاجلة والاساءة لا يكون الا قبيحة لانه ليس لاحد ان يسيئ فى فعله والمسيئ مذموم

على اسائته وقوله تعالى ربنا افرغ علينا صبرا حكاية عن قول هؤلاء السحرة الذين امنوا وانهم بعد ان قالوا لفرعون ما قالوه سالوا الله تعالى ان يفرغ عليهم صبرا ومعناه ان يفعل بهم من اللطف ما يصبرون معه على عذاب فرعون ويتشجعوا عليه ولا يفزعوا منه والافراغ صب ما فى الاناء اجمع حتى يخلو مشتقا من الفراغ والفراغ نقيض الشغل وقيل افرغ عليه الصبر تشبيها بافراغ الاناء كما يقال صب عليه العذاب صبا والصبر هو حبس النفس عن اظهار الجزع صبر يصبر صبرا والصبر على الحق عز كما ان الصبر على الباطل ذل والصبر فى الجملة محمود قال الله تعالى واصبر على ما اصابك ان ذلك من عزم الامور وقوله تعالى وتوفنا مسلمين رغبة منهم الى الله تعالى وسؤالهم اياه بان يقبضهم اليه ويميتهم فى حال السلامة قوله تعالى وقال الملأ من قوم فرعون اتذر موسى وقومه ليفسدوا فى الارض ويذرك والهتك قال سنقتل ابناءهم ونستحيى نساءهم وانا فوقهم قاهرون اية بلا خلاف اقول قرا اهل الحجاز سنقتل ابناءهم بالتخفيف الباقون بالتثقيل فمن ثقل ذهب الى التكثير ومن خفف فلاحتماله الكثير والقليل فى هذه الاية اخبار عن انكار قوم فرعون واشرافهم ورؤسائهم على فرعون تركه موسى وقومه ليفسدوا فى الارض على اعتقادهم وانما انكروا على فرعون ذلك مع عبادتهم له لانه جرى على خلاف عادة الملوك فى السطوة بمن خالف عليهم وشق العصا فى ملكهم وكان ذلك بلطف من الله تعالى وحسنه قاعد عن موسى وعتوا بالافساد فى الارض دعاء الخلق الى مخالفة فرعون فى عبادته وتجهيله اياه فى سياسته لما يتفق عليه من ذلك مما لا قبل له به مما فيه انتقاض امره وبطلان ملكه وقوله تعالى ويذرك والهتك معناه قال الحسن انه كان يعبد الاصنام فعلى هذا كان يعبد ويعبد كما حكى الله تعالى عنه من قوله انا ربكم الاعلى وقال السدى كان يعبد ما يستحسن من البقر وعلى ذلك اخرج السامرى عجلا جسدا له خوار فقال هذا الهكم واله موسى وقال الزجاج انما كانت له اصنام يعبدها قوم تقربا اليه وقرا ابن عباس ويذرك والهتك بمعنى وعبادتك وقال كان فرعون يعبد ولا يعبد وقال بعضهم الالهة انما هو بانيث اله وجمعه الهتك كما قال الشاعر وهو عتيبة بن شهاب اليربوعى شعر تروحنا من اللعناء قصرا فاعجلنا الالهة ان تؤوبا يعنى الشمس فادخل الثاء فى هذا كما ادخلوا فى قولهم ولدتى وكوكبتى ومالى وهو اهله ذاك كما قال الراجز رجز يا مضر الحمراء انت اسرتى وانت ملجائى وانت ظهرتى وقوله تعالى سنقتل ابناءهم انما هددهم بقتل ابناءهم مع ان موسى هو الذى دعاهم الى الله دونهم من حيث انه لم يطمع فيه لما راى من قوة امره وعلو شانه فعدل الى اضعاف بنى اسرائيل بقتل ابناءهم لانه تعالى لو هم انه يتم له ذلك فيهم وقوله تعالى ونستحيى نساءهم معناه نستبقى من تولد من بناتهم للمهنة والخدمة من غير ان يكون لهم نجدة ولا عندهم منعة ونصب قوله ويذرك لاحد الوجهين احدهما الصرف والاخر العطف والصرف على ان يكون تقديره ليفسدوا فى الارض الى ان يذرك والهتك والعطف على ليفسدوا ويذرك وقرا الحسن ويذرك بالرفع عطفا على اتذر ويجوز فيه الاستيناف وهو يذرك قوله تعالى قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين اية بلا خلاف اقول هذا حكاية من الله تعالى عما قال موسى لقومه حين هددهم فرعون بقتل ابنائهم واستحياء نسائهم وانه امرهم ان يستعينوا بالله والاستعانة طلب المعونة وقد يسئل السائل المعونة لغيره يقول اللهم اعنه على امره الا ان الغالب على الاستعانة طلب المعونة لنفس الطالب وقوله تعالى واصبروا امر من موسى اياهم بالصبر وهو حبس النفس عما يؤدى الى ترك الحق مع تجرع مرارة ذلك الحبس ونقيضه الجزع قال الشاعر فان تصبرا فالصبر خير مغبة وان تجزعا فالامر ما ترياني وقوله تعالى ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده اخبار عما قال موسى لقومه من ان الارض كلها ملك لله يورثها من يشاء من عباده والارث جعل الشئ للخلف بعد السلف والاغلب ان يكون ذلك فى الاموال وقد يستعمل فى غيرها مجازا كقولهم العلماء ورثة الانبياء وقولهم ما ورث والد ولدا اجل من ادب حسن ومعنى يورثها من يشاء من عباده قيل فى معناه قولان احدهما التسلية لهم بانها لا تبقى على احد لانها تنتقل من قوم الى قوم اما محنة او عقوبة الثانى الاطماع فى ان يورثهم الله ارض فرعون وقومه والمشية هى الارادة وهى ما اثرت فى وقوع

التكثير والتقليل

الالهة

الفعل على وجه دون وجه من حسن او قبح او غيرهما من الوجوه وقوله تعالى والعاقبة للمتقين فالعاقبة ما تؤدى
اليه التأدية من خير او شر الا انه اذا قيل العاقبة له فهو فى الخير فاذا قيل العاقبة عليه فهو فى الشر مثل الدايرة له وعليه وقال
ابن عباس لما امنت السحرة اتبع موسى ستمائة الف من بنى اسرائيل قوله تعالى قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا
وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ اية بلا خلاف
اقول هذا اخبار من الله تعالى انما قال قوم موسى لموسى بانا اوذينا من قبل ان تاتينا بالرسالة والاذى ضرر
لا يبلغ بصاحبه ان ياتى بصاحبه على نفسه يقول اذاه يؤذيه اذى وتاذى به تاذيا ومثله المه يولمه ايلاما وتألم
به تألما والاذى الذى كان بهم قيل هو استعباد فرعون اياهم وقتل ابنائهم واستحياء نسائهم للاستخدام
والذى كان بعد مجئ موسى الوعيد لهم بتجديد ذلك العذاب من فرعون والتوعد عليه وكان هذا على سبيل
الاستبطاء منهم لما وعدهم فجدد الوعد لهم وحققه وقال الحسن كان ياخذ منهم الجزية وقوله قال عسى ربكم قال
سيبويه لعل وعسى طمع واشتياق (اشفاق) وقال الحسن عسى من الله واجبة وبه قال الزجاج وقال ابو على الفارسى
عسى ههنا يقين وقوله ويستخلفكم فى الارض قال ابو على استخلفوا فى مصر بعد موت موسى عليه السلم فى التيه
ثم فتح الله لهم بيت المقدس مع يوشع بن نون ثم فتح الله لهم مصر وغيرها فى زمن داود وسليمان فملكوها فى
ذلك الزمان على ما وعدوا به من الاستخلاف وقوله تعالى فينظر كيف تعملون قيل ان معنى ينظر ههنا يعلم و
قيل يرى وكلاهما مجاز لان النظر هو الطلب لما يدرك وهذا لا يجوز عليه تعالى ولكنه جاء على قوله تعالى
ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين وفائدة الاية تسلية موسى عليه السلم لقومه بما وعدهم عن الله
واهلاك فرعون وقومه وجعل قومه بدلا منهم ليعملوا بطاعته قوله تعالى وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَ
نَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ اية بلا خلاف اقول اخبر الله تعالى فى هذه الاية واقسم عليه بانه اخذ آل
فرعون بالسنين وهى الاعوام المقحطة واللام فى قوله لقد لام القسم وقد معناه الاخبار عن متوقع وهى تقرب (الأعوام)
الماضى من الحال لانه اذا توقع كون امر فقيل قد كان دل على قربه من الحال والآل خاصة الرجل الذين يؤول
امرهم اليه ولذلك يقال اهل البلد ولا يقال آل البلد لان فى الاهل معنى القرب فى نسب او مكان وليس كذلك
الآل ومعنى اخذناهم بالسنين اخذناهم بالجدوب والعرب يقول اخذتهم السنة اذا كانت قحطة يقال اسنت
القوم اذا اجدبوا وانما قيل للمجدبة السنة ولم يقل للمخصبة لانها نادرة فى الانفراد بالجدب النادر احق بالافراد
بالذكر لانفراده بالمعنى الذى ندر به وقال الفراء معنى بالسنين بالجدوبة يقول العرب قد جدبنا البلاد سنين اى
جدوبا قال الشاعر شعر واموال اللئام بكل ارض . تجحفها الجوائح والسنون وقال آخر كان الناس اذ فقدوا
عليا نعام جال فى بلد سنينا اى فى بلد جدوب واهل الحجاز وعليا قيس يقولون هن السنون فيجعلونها بالواو
فى الرفع وبالياء فى الخفض والنصب على هجائين وبعض تميم يقول هى السنين فاذا القوا الالف واللام يجروها
فقالوا قد مضت له سنون كثيرة وكنت عندهم بضع سنين وبنو عامر فانهم يجرونها فى النصب والجر والرفع فيقولون
اقمت عنده سنينا كثيرة وقال الكسائى على هجائين هى اللغة الغالبة فى كلام العرب السنون والسنين فينصبون
النون على كل حال مثل نون الجمع فى الموضعين وعليه اجماع القراء قال وبعض العرب يجعلها على هجاء واحد
ويلزم النون الاعراب يجعلها كانها من نفس الكلمة وانشد شعر سنينى كلها واستحربا اقاسى مع الصلادمة
الذكور وانشد شعر ولقد ولدت بنين صدق سادة ولانت بعد الله كنت السيدا فاثبت النون فى بنين وهى
مضافة وقوله تعالى ونقص من الثمرات اى واخذناهم مع القحط وجدب الارض بنقصان من الثمار وقوله تعالى
لعلهم يذكرون معناه لكى يتفكروا فى ذلك ويرجعوا الى الحق وانما قال لعلهم وهى موضوعة للشك وهو لا يجوز
فى كلام الله لانهم عوملوا معاملة الشاك مظاهرة فى القول كما جاء الابتلاء والاختبار مثل ذلك والاية تدل
على بطلان مذهب المجبرة من ان الله تعالى يريد الكفر والمعاصى لانه بين انه فعل بهم لكى يذكروا ويرجعوا فقد اراد
منهم الاذكار فكانه قال من اجل ان يذكروا وليس كذلك اذا كلفهم من اجل الثواب لان ارادة المريد لما يكون من فعله
فى المستانف عزم وذلك لا يجوز عليه تعالى وليس كذلك اذا كلفهم من اجل الثواب لان ارادة المريد لما يكون

من فعله فى المستانف عزم وذلك لا يجوز عليه تعالى وليس كذلك ارادته لفعل غيره قال مجاهد السنين الجائحة
ونقص من الثمرات دون ذلك وقال قتادة كان السنين ببواديهم ونقص من الثمرات كان فى امصارهم وقراهم
وقال كعب ياتى على الناس زمان لا تحمل النخلة الا ثمرة قوله تعالى فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ
سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ اية بلا خلاف اقول
المراد بالحسنة ههنا النعمة من الخصب والسعة فى الرزق والعافية والسلامة والسيئة النقمة من الجدب و
ضيق الرزق والمرض والبلاء وفيه ضرب من المجاز لان حقيقة الحسنة ما حسن من الفعل فى العقل والسيئة ما قبح
من الفعل وانما شبه هذا بذلك لتقبل العقل لهذا كتقبل الطبع لذلك وقال قوم هو مشترك لظهور العلم
فى ذلك فى الناس جميعا على منزلة سواء اخبر الله تعالى عن قوم فرعون انه اذا جاءهم الخصب والسعة والنعمة
من الله قالوا لنا هذه والمعنى انا نستحق ذلك على العادة الجارية لنا من نعمنا وسعة ارزاقنا فى بلادنا ولم
يعلموا انه من الله فيشكروه عليه ويؤدوا حق النعمة لئلا يسلبهم الله اياه وقوله وان تصبهم سيئة يعنى جدب
وقحط وبلاء يطيروا بموسى ومن معه والمعنى انهم تشأموا بهم وهو قول الحسن ومجاهد وابن زيد لان العرب
كانت تزجر الطير فتتشأم بالبارح وهو الذى ياتى من جهة الشمال وتتبرك بالسانح وهو الذى ياتى من جهة
اليمين قال الشاعر شعر زجرت لها طير الشمال فان يكن هواك الذى تهوى يصبك اجتنابها وقال آخر شعر
فقلت غراب لاغتراب من النوى وبان لبين ذى العيافة والزجر واصل الطاير النصيب يقال طار له
من القسم كذا وكذا اى وانشد ابن الاعرابى شعر وانى لست منك ولست منى اذا ما طار من مالى الثمين
اى اخذت الزوجة ثمنها من ميراثه وقوله تعالى الا انما طائرهم عند الله معناه ان الله هو الذى ياتى بطائر البركة
وطائر الشوم من الخير والشر والنفع والضر فلو عقلوا طلبوا الخير من جهته والسلامة من الشر من قبله وموضع
اذا نصب بانها ظرف للقول ولا يجوز ان يعمل فيها الفعل الذى يليها لانها مضافة اليه ولو جوزيت بها جاز
عمله فيها وقال الازهرى والزجاج معنى الا انما طائرهم عند الله اى شومهم الذى وعدوا به من العقاب عند
الله يفعل بهم يوم القيمة وقال ابن عباس معناه ان مصائبهم عند الله قوله تعالى وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ
آيَةٍ لِتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ اية بلا خلاف اقول مهما اى شئ وقال الخليل اصلها ما الا انهم ادخلوا
عليها ما كما يدخلونها على حروف الجزاء فيقولون اما ما ومتى ما واذا ما غيروا الفها بان ابدلوها هاء لئلا يوهم (بتوهم)
التكرير وصار فيها مبالغة فى معنى العموم وقال غيره اصلها مه بمعنى اكفف دخلت على ما التى للجزاء والفرق
بين ما ومهما ان مهما خالصة للجزاء وفى ما اشتراك لانها قد يكون استفهاما تارة وبمعنى الذى اخرى وتارة
بمعنى الجزاء وان كان الاصل فى مهما ما لان ما يجازى به من الاسماء قد يستعمل فى الجزاء والتركيب ظاهر فيها
لفظا ومعنى وقوله تعالى تاتنا فى موضع جزم وعلامة الجزم فيه حذف الياء وانما حذف الحرف للجزم لانه من
حروف المد واللين وهى مجانسة لحركات الاعراب ومن شان الجازم ان يحذف ما يصادفه من الحركة فان لم
يصادف حركة عمل فى نفس الحرف لئلا يتعطل من العمل فى هذه الاية اخبار من الله تعالى وحكاية ما قال قوم
فرعون لموسى عليه السلم بانهم قالوا له اى شئ تاتينا به من المعجزات لتسحرنا بها فانا لا نصدقك عليه ولا
نؤمن بك والاية هى المعجزة الدالة على نبوته وهو كلما يعجز الخلق عن معارضته ومقاومته كما لا يمكن مقاومة
الشبهة للحجة وكما لا يمكن ان يقاوم الجهل للعلم والسراب للماء وان توهم ذلك قبل النظر والاعتبار وتخيل
قبل الاستدلال الذى يزول معه الالتباس وقد بينا حقيقة السحر فيما مضى وقد يسمى السحر ما لا يعرف سببه
وان لم يكن محظورا كما روى عنه عليه السلم انه قال ان من البيان لسحرا وكما قال الشاعر شعر وحديثها السحر
الحلال لو انه لم يجن قتل المسلم المتحرد وذلك مجاز وتشبيه دون ان يكون حقيقة قوله تعالى فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ
الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ اية بلا خلاف اقول
اخبر الله تعالى انه لما قال فرعون وقومه ما قالوا من انهم لا يؤمنون وان اتى بجميع الايات فانهم لا يصدقونه على
نبوته انه ارسل عليهم الطوفان وهو السيل الذى يعم بتغريقه الارض وهو ماخوذ من الطوف فيها وقيل هو

مصدر كالرجحان والنقصان وقال الأخفش واحده طوفانة واما المفسرون فانهم اختلفوا فى معناه فقال
ابن عباس فى بعض الروايات عنه انه الغرق وقال مجاهد هو الموت وفى رواية اخرى عن ابن عباس انه كان امرا
من الله تعالى طاف بهم وقال تعالى فى قصة نوح فاخذهم الطوفان وهم ظالمون وقال الحسن بن عرفطة شعر
غير الجدة من عرفانه خرق الريح بطوفان المطر وقال الراعى شعر يضحى اذا العيس ادركنا نكايبها خرقاء
يعتادها الطوفان والزؤد الزؤد الفزع وقال ابو النجم شعر ومد طوفان فبث مددا شهرا شآبيب
وشهرا بردا وقال ابو عبيدة الطوفان من السيل البعاق ومن الموت الذريع وقوله تعالى والقمل فاختلفوا فى
معناه فقال ابن عباس فى رواية عنه وقتادة ومجاهد انه بنات الجراد وهو الدبا صغار الجراد الذى لا اجنحة له و
فى رواية اخرى عن ابن عباس وسعيد انه السوس الذى يقع فى الحنطة وقال ابن زيد هو البراغيث وقال ابو عبيدة
هو الحمنان واحده حمنة وقيل حمنانة وهو كبار القردان وقال الحسن وسعيد بن جبير هو دواب صغار سود
واحده قملة قال الاعشى شعر قوما يعالج قملا ابناؤهم وسلاسلا احدا وبابا موصدا وقوله والضفادع
فهو جمع ضفدع فهو ضرب من الحيوان يكون فى الماء له نقيق واصطخاب وهو معروف وقيل انه كان يوجد فى
فرشهم وابنيتهم ويدخل فى ثيابهم فيشتد اذاهم له والدم معروف وقد حده الرمانى بانه جسم مايع احمر
مسترق عرض له الجمود كهذا الذى يجرى فى العروق وقيل ان مياههم كانت عذبة طيبة فانقلبت دما فكان
الاسرائيلى اذا اغترف صار ماء واذا اغترف القبطى كان دما حتى ان المراة القبطية تقول للمراة الاسرائيلية
مجى من فيك فى فمى فاذا فعلت ذلك تحول دما وقال زيد بن اسلم الذى سلط الله عليهم كان الرعاف وقوله
آيات مفصلات نصب على الحال قال مجاهد معجزات مبينات ظاهرات وادلة واضحات وقال غيره لانها
كانت تجئ شيئا بعد شئ وقيل انها كانت تمكث من السبت الى السبت ثم ترفع شهرا فى قول ابن جريج وقوله
فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين معناه انهم مع مشاهدتهم لهذه الايات العظيمة والمعجزات الظاهرة انفوا من
الحق وتكبروا عن الاذعان والانقياد له وكانوا قوما عصاة مرتكبين للاجرام والاثام قوله تعالى وَلَمَّا وَقَعَ
عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ
بَنِي إِسْرَائِيلَ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بَالِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ آية بلا خلاف اقول لما للماضى مثل
لو واذا للمستقبل مثل ان وان دخلت على الماضى اخبر الله تعالى عن هؤلاء القوم انه حين وقع عليهم الرجز وهو
العذاب فى قول الحسن ومجاهد وقتادة وابن زيد وفى قول سعيد بن جبير هو الطاعون وقال قوم هو الثلج و
لم يكن وقع قبل ذلك واصل الرجز الميل عن الحق منه قوله تعالى والرجز فاهجر يعنى عبادة الوثن والعذاب
رجز لانه عقوبة على الميل عن الحق ومنه الرجازة ما يعدل به الحمل اذا مال والرجازة ايضا صوف احمر يزين به
الهودج لانه كالرجازة التى هى تقويم له اذا مال والرجز رعدة فى رجل الناقة لداء يلحقها يعدل بها عن حق
سيرها والرجز ضرب من الشعر اخذ من رجز الناقة لانه متحرك وساكن ثم متحرك وساكن فى كل اجزائه فهو
كالرعدة فى رجل الناقة يتحرك بها ثم يسكن ثم يستمر على ذلك وقوله قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك
حكاية لمسئلة قوم فرعون لموسى ان يدعو الله لهم بما عهد عند موسى والعهد التقدم فى الامر فمنه العهد
الوصية والعهود الوثائق والشروط والعهاد مطر بعد مطر قد عهد قبله والمعاهد والمعاقد على الذمة و
التعاهد التقدم فى تفقد الشئ وكذلك التعهد وقيل فى معنى ما عهد عندك قولان احدهما بما تقدم اليك
به وعلمك ان تدعوه به فانه يجيبك كما اجابك فى اياتك الثانى بما عهد عندك على معنى القسم وقوله فلما
كشفنا عنهم الرجز الى اجل هم بالغوه فيه ايضا اخبار من الله تعالى انه كشف عنهم العذاب عند ذلك واخرهم الى
اجل هم بالغوه يعنى اجل الموت اذا هم ينكثون وانهم عند ذلك نكثوا ما قالوه ولم يفوا بشئ منه والعامل فى
اذا هم ينكثون وليست اذا هذه اذا مضافة الى جملة بل هى بمنزلة هنالك وهى المكتفية بالاسم ولو قال اذا النكث
صح الكلام كما يقول خرجت فاذا زيد ومعنى اذا المفاجاة وفيه وقوع خلاف المتوقع منهم لانه اتى منهم نقض
العهد بدلا من الوفاء فكانه فاجأ الرائى عجب من نكثهم والبلوغ منتهى المرور ومثله الوصول غير ان فى الوصول

معنى الاتصال وليس كذلك البلوغ والانتهاء نقيض الابتداء فى كل شئ وان لم يكن فيه معنى المرور والنكث نقض
العهد الذى يلزم الوفاء به ومثله الغدر الا ان الغدر فيما عقد من الايمان على النفس ولذلك جاء فى نقض الغزل
فى قوله تعالى كالتى نقضت غزلها من بعد قوة انكاثا واصله النكاثة وهى تشعيب الشئ من حبل وغيره وانتكث
الشئ اذا تشعب والنكيثة نقض العهد وجواب لما اذا ومثله قوله وان تصبهم سيئة بما قدمت ايديهم اذا هم ينكثون
ولا يجوز ان يجاب باذ لانها لوقت الماضى والجواب بعد الاول فهو يقتضى الاستقبال ولذلك صلحت فيه الفاء
ولم يصلح الواو وحرف الجزاء يقلب الفعل دون الوقت قوله تعالى فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ
كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ آية بلا خلاف اقول اخبر الله تعالى فى هذه الاية انه بعد ان اظهر الايات
التى مضى ذكرها وفزع قوم فرعون الى موسى ليسئل الله ان يرفع عنهم العذاب فانهم اذا رفع عنهم ذلك آمنوا
ففعل موسى ورفع الله عنهم ذلك ولم يؤمنوا ونكثوا ما عهدوا به من القول انه انتقم منهم ومعناه سلب نعمتهم
بانزال العذاب عليهم وحلول العقاب بهم وقوله فاغرقناهم فى اليم فالاغراق فى الامر والنزع فهو مشبه بالاغراق
فى الماء واليم البحر فى قول الحسن وجميع اهل العلم قال ذو الرمة شعر دوية ودجى ليل كانهما يم تواطن فى حافاته
الروم وقال الراجز رجز كباذخ اليم سقاه اليم وقوله تعالى بانهم كذبوا باياتنا معناه انا فعلنا بهم ذلك
جزاء بما كذبوا من آيات الله وحججه وبراهينه الدالة على نبوة موسى وصدقه وكانوا عنها غافلين معناه انهم
انزل عليهم العذاب وكانوا غافلين عن نزول ذلك بهم والغفلة حال يعترى النفس تنافى الفطنة واليقظة غفل
يغفل غفولا وغفلا وغفلة وتغافل تغافلا واغفل الامر اغفالا واستغفله استغفالا واغتفله اغتفالا و
تغفل تغفلا وغفله تغفيلا وهو مغفل فان قيل كيف جاء الوعيد على الغفلة وليست من فعل البشر قلنا عنه ثلاث
اجوبة احدها انهم تعرضوا لها حتى صاروا لا يفطنون بها الثانى ان الوعيد على الاعراض عن الايات حتى صاروا
كالغافلين عنها الثالث ان المعنى وكانوا عن النقمة غافلين ودل عليه انتقمنا قوله تعالى وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ
كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا
وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ آية فى الكوفى والبصرى وفى المدنيين آيتان آخر الاولى
بنى اسرائيل اقول قرا ابن عامر وابو بكر عن عاصم يعرشون بضم الراء الباقون بكسرها وهما لغتان فصيحتان الكسر
والضم والكسر افصح اخبر الله تعالى فى هذه الاية انه اورث الارض مشارقها ومغاربها الذين استضعفوا فى يد
فرعون وقومه وانما اورثهم بان اهلك من كان فيها ومكن هؤلاء وحكم بان لهم ان يتصرفوا فيها على ما اباح الله تعالى
لهم والاستضعاف طلب الضعف بالاستطالة والقهر وقد استعمل استضعفته بمعنى وجدته ضعيفا ما تعانى
اياه كانه قال طلبت حال الضعف بمحنته فوجدته ضعيفا وقوله باركنا فيها يعنى باخراج الزروع والثمار وسائر صنوف
النبات والاشجار الى غير ذلك من العيون والانهار وضروب المنافع للعباد وقيل باركنا فيها بالخصب الذى حصل
فيها ومشارق الارض ومغاربها يريد جهات المشرق بها والمغرب قال الحسن هى ارض الشام ومصر وقال قتادة
هى ارض الشام وقال ابو على هى ارض مصر وقال الزجاج كان من بنى اسرائيل داود وسليمان ملكوا جميع الارض قوله وتمت
كلمة ربك الحسنى على بنى اسرائيل يعنى صح كلامه بانجاز الوعد الذى تقدم باهلاك عدوهم واستخلافهم فى الارض
وانما كان الانجاز تماما للكلام لتمام النعمة به وقيل كلمته الحسنى هى قوله تعالى ونريد ان نمن على الذين استضعفوا
فى الارض ونجعلهم ائمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم فى الارض ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما
كانوا يحذرون وانما قيل الحسنى وان كانت كلمات الله كلها حسنة لانه وعد بما يحبون وانتصب قوله تعالى
مشارق الارض ومغاربها لاحد امرين احدهما بانه مفعول اورثنا كقوله اورثه المال الثانى بانه ظرف كانه قال
اورثهم الارض التى باركنا فيها فى مشارقها ومغاربها والاول اظهر وقوله ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه
معناه اهلكنا ما كان عمله فرعون وقومه ما كانوا يستعبدونهم ويسعون فى افساد امر موسى ويستعينون به فى
امرهم وما كانوا يعرشون معناه ما كانوا يبنونه من الابنية والقصور فى قول ابن عباس ومجاهد وقال الحسن هو
تعريش الكرم وقال ابو على تعريش والابنية واصل التعريش الرفع قال ابو عبيدة يعرشون معناه يبنون والعرش

فى هذا الموضع البناء يقال عروش مكة اى بناؤها وقال ابو الحسن هما لغتان ومثله يبطش ويبطش ويحشر ويحشر
فى امثال ذلك قوله تعالى وَجَاوَزْنَا بِبَنِى اِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَاَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى اَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى
اجْعَلْ لَنَا اِلٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ اِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ اية بلا خلاف اقول قرا حمزة والكسائى وخلف يعكفون
بكسر الكاف الباقون بضمها وهما لغتان ومثله يفسقون بكسر السين والضم فى امثال ذلك المجاوزة الاخراج عن
الحد جاوز الوادى جوازا اذا قطعه وخلفه وراءه يقول جاز يجوز جوازا واجازه اجازة وجاوزه مجاوزة وتجاوز
تجاوزا واجتاز اجتيازا وتجوز تجوزا وجوزه تجويزا واستجاز استجازة والبحر الواسع العظيم السعة من مستقر
الماء ما هو اعظم من كل نهر واصله السعة ومنه البحيرة التى يبحر اذنها اى توسع شقتها وتبحر فى العلم اذا اتسع
فيه وقوى تصرفه به اخبر الله تعالى فى هذه الاية انه حين اجاز قوم موسى وقطع بهم البحر وانجاهم من العدو و
اغرق عدوهم فرعون وقومه وانهم لما بلغوا الى قوم عاكفين على اصنام لهم ومعنى العكوف اللزوم للامر بالاقبال
عليه والمراعاة له يقول عكف عكوفا واعتكف اعتكافا ومنه الاعتكاف لزوم المسجد للعبادة فيه وعكف عليه
اى واظب عليه وانه لما رأى قوم موسى اولئك العاكفين على اصنامهم والملازمين لها دعاهم جهلهم الى التشبيه (التشبه)
بعبادة الاوثان لما فى طبع الانسان من الحكاية ان قالوا موسى اجعل لنا الها كما لهم الهة وفى طبع كل حيوان الحكاية بعبدة
واقوى الحيوان طبعا فى الحكاية القرد وله حكايات عجيبة وهذا الطلب منهم يدل على جهل عظيم من بنى اسرائيل
بعد ما رأوا الايات التى توالت على فرعون وقومه حتى غرقهم الله فى البحر بكفرهم بعدما نجا بنى اسرائيل فلم يردعهم
ذلك عن ان قالوا لموسى عليه السلم اجعل لنا الها كما لهم الهة وتوهمهم انه يجوز عبادة غير الله وان اعتقدوا انه
لا يشبه الاشياء ولا تشبهه ولا يدل طلبهم ذلك على انهم مشبهة لما قلناه وقوله تعالى انكم قوم تجهلون حكاية
عما اجابهم به موسى عليه السلم فقال لهم انكم قوم تجهلون من المستحق للعبادة وما الذى يجوز ان يتقرب به
الى الله تعالى ويحتمل ان يكون اراد تجهلون من صفات الله ما يجوز عليه وما لا يجوز قوله تعالى اِنَّ هٰؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ
مَا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ آية بلا خلاف اقول فى هذه الاية حكاية عما قال موسى عليه السلم لقومه حين
سألوه ان يجعل لهم الها بعد ان قال لهم انكم قوم تجهلون ما يجوز ان يعبد وما لا يجوز وانه اخبرهم ان هؤلاء متبر
ما هم فيه يشير فيه الى العابد والمعبود من الاصنام ومعناه مهلك فالمتبر المهلك المدمر عليه والتبار الهلاك
ومنه قوله تعالى ولا تزد الظالمين الا تبارا ومنه التبر للذهب سمى بذلك لامرين احدهما ان معدنه مهلكة
قال الزجاج يقال لكل اناء متكسر متبر وكسارته تبره وقوله تعالى وباطل ما كانوا يعملون فالبطلان انتفاء المعنى
بعدمه وبانه لا يصح فى عدم ولا وجود والمعنى فى بطلان عملهم انه لا يعود عليهم بنفع ولا بدفع ضرر فكانه بمنزلة ما
لم يكن من هذا الوجه والعمل احداث ما به يكون الشئ على نقيض ما كان وهو على ضربين احدهما احداث المعمول
والاخر احداث ما يتغير به وهؤلاء اصله اولاء ادخلت عليه هاء التنبيه وهو مبنى لتضمنه معنى الاشارة المعرفة
وهو مع ذلك مستبهم استبهام الحروف اذ هو مفتقر فى البيان عن معناه الى غيره قوله تعالى قَالَ اَغَيْرَ اللّٰهِ اَبْغِيكُمْ
اِلٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ اية بلا خلاف اقول فى هذه الاية اخبار ايضا عما قال موسى لقومه بعد انكاره
على الاصنام وعلى من كان يعبدها وان ما يفعلونه باطل مهلك اطلب غير الله لكم الها قاله على وجه الانكار عليهم
وان كان بلفظ الاستفهام فنصب غير الله على انه مفعول به ونصب الها على احد شيئين احدهما كانه قال اطلب
لكم غير الله تعالى معبودا والثانى ان يكون نصب الها على انه مفعول به ونصب غير على الحال التى لو تأخرت كانت
صفة وبغى يتعدى الى مفعولين وطلب يتعدى الى مفعول واحد لان معنى بغى بغاء الخير اعطاه الخير وليس كذلك
طلب لانه غير مضمن بالمطلوب فلا يجوز ان يكون بمعنى ابغى لكم وقوله وهو فضلكم على العالمين قيل فى معناه قولان
احدهما قال الحسن وابو على وغيرهما يريد على عالمى زمانهم الثانى معناه خصكم بفضائل من النعم بالايات التى
آتيكم وارسال موسى وهرون وهما رجلان منكم ومن اهلاك عدوكم بالتغريق فى البحر ونجاتكم وكل ذلك بمرئى و
مستمع منكم والفرق بين التعظيم والتفضيل ان التفضيل يدل على فضل فى النفس وهو زيادة على غيره وليس كذلك
التعظيم ولذلك جاز وصف الله تعالى بالتعظيم ولم يجز بالتفضيل قوله تعالى وَاِذْ اَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ

سُوءَ الْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ اَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِى ذٰلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ اية اقول قرا ابن عامر انجاكم نجاكم
على لفظ الخبر الماضى الباقون انجيناكم وقرأ نافع وحده يقتلون بالتخفيف الباقون بالتشديد من شدد اراد التكثير ومن
خفف فلانه يحتمل القلة والكثرة وقد مضى تفسير مثل هذه الاية فى سورة البقرة فلا وجه للتطويل بتفسيرها
وانما يذكر جملها فنقول هذا خطاب لبقية بنى اسرائيل الذين كانوا فى زمن النبى عليه السلم فقال لهم على وجه الامتنان
عليهم بما انعم على ابائهم واسلافهم واذكروا اذ نجيناكم من ال فرعون بمعنى خلصناكم لان النجاة الخلاص مما
يخاف الى رفعة من الحال واصله الارتفاع فمنه النجا اى الارتفاع فى السير ومنه قوله ننجيك ببدنك اى نلقيك
على نجوة من الارض والنجو كناية عن الحدث لانه كان يلقى بارتفاع من الارض للابعاد به وقد كان ايضا يطلب به
الانخفاض للابعاد به والفرق بين انجيناكم ونجيناكم ان الف انجيناكم للتعدية وتشديد نجيناكم يحتمل التعدية ويحتمل
التكثير وقوله تعالى يسومونكم معناه يولونكم اكراها ويحملونكم اذلالا سوء العذاب واصل السوم مجاوزة الحد
فمنه السوم فى البيع وهو تجاوز الحد فى السعر الى الزيادة ومنه السائمة من الابل الراعية لانها تجاوز حد النبات
للرعى ومنه فلان سيم الخسف اى الزم اكراها والسوء ماخوذ منه من انه يسوء النفس لنافرتها لها يقتلون ابناءكم
ويستحيون نساءكم معناه ان فرعون كان يقتل من تولد من بنى اسرائيل ذكرا ويستبقى الاناث للاستخدام
وقوله تعالى وفى ذلكم بلاء من ربكم عظيم فالمراد بالبلاء هٰهنا النعمة وقد يكون بمعنى النقمة واصل المحنة فاذا
يكون المحنة بالنعمة واخرى بالنقمة وبالخير تارة وبالشر اخرى قوله تعالى وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَاَتْمَمْنَاهَا
بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ اَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لِاَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَاَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ
اية بلا خلاف اقول قيل فى فائدة قوله وواعدنا موسى ثلثين ليلة واتممناها بعشر ولم يقل اربعين ليلة اقوال
احدها انه قال اراد شهرا وعشرة ايام متوالية وقيل انه ذو القعدة وعشر من ذى الحجة ولو قال اربعين ليلة
لم يعلم انه كان الابتداء اول الشهر ولا ان الايام كانت متوالية ولا ان الشهر شهر بعينه هذا قول الفراء وهو
معنى قول مجاهد وابن جريح ومسروق وابن عباس واكثر المفسرين الثانى ان المعنى وعدناه ثلثين ليلة يصوم
فيها ويتفرد للعبادة بها ثم اتمت بعشر الى وقت المناجاة وقيل فى العشر نزلت التورية فلذلك افردت بالذكر
الثالث قال ابو جعفر عليه السلم كان اول ما قال لهم انى اتاخر عنكم ثلثين يوما ليسهل عليهم ثم زاد عليهم
عشرا وليس فى ذلك كذب لانه اذا تاخر عنهم اربعين ليلة فقد تاخر ثلثين قبلها وقال الحسن كان الموعد اربعين
ليلة فى اصل الوعد فقال فى البقرة وعدنا موسى اربعين ليلة وبعضه هٰهنا على وجه التاكيد فقال ثلثين وفصله
ليلة واتممناها بعشر وقوله تعالى فتم ميقات ربه اربعين ليلة ومعناه فتم الميقات اربعين ليلة وانما قال ذلك مع
ان ما تقدم دل على هذا العدد لانه لو لم يورد الجملة بعد التفصيل وهو الذى يسميه الكتاب الفذلكة لظن قوله
واتممناها بعشر اى كملنا الثلثين بعشر حتى كملت ثلثين كما يقال تممت العشرة بدرهمين وسلمتها اليه وقيل فى معنى
قوله تعالى وعدناه ثلثين ليلة يتفرد فيها للعبادة فى المكان الذى وقته ثم اتم الاربعين والفرق بين الميقات
والوقت ان الميقات ما قدر ليعمل فيه عمل من الاعمال والوقت وقت الشئ قدره مقدرا ولم يقدره ولذلك قيل
مواقيت الحج وهى المواضع التى قدرت للاحرام به وقوله تعالى وقال موسى لاخيه هرون اخلفنى فى قومى واصلح
ولا تتبع سبيل المفسدين الذين يفسدون فى الارض وانما امره بذلك مع انه نبى مرسل لان الرياسة كانت لموسى
عليه السلم على هرون وجميع امته ولم يكن يجوز ان يقول هرون لموسى مثل ذلك وقال ابو على السبعون الذين
اختارهم موسى للميقات كانوا معه فى هذا الخروج وسمعوا كلام الله لموسى عليه السلم وكانوا اشهد والله بذلك
وقوله هرون فى موضع جر لانه بدل من الهاء فى قوله لاخيه وانما فتح لانه لا ينصرف ولو رفع على النداء كان جائزا
ولم يقرا به احد قوله تعالى وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ اَرِنِى اَنْظُرْ اِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِى وَلٰكِنِ
انْظُرْ اِلَى الْجَبَلِ فَاِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِى فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا اَفَاقَ قَالَ
سُبْحَانَكَ تُبْتُ اِلَيْكَ وَاَنَا اَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ اية بلا خلاف اقول قرا اهل الحجاز الا عاصما دكاء بالمد والهمزة من غير
تنوين هٰهنا وفى الكهف ووافقهم عاصم فى الكهف الباقون دكا منونة مقصورة فى الموضعين قال ابو زيد يقال

دككت على الميت التراب أدكه دكاً اذا دفنته وهلت عليه وهما بمعنى واحد ودككت الركية دكاً اذا دفنتها ودك الرجل
فهو مدكوك اذا مرض وقال ابو عبيدة جعله دكاً اى مندكاً والدك والدكة مصدره وناقة دكاء ذاهبة السنام في
الدك المستوى وانشد للاغلب شعر هل غير غاد دك غاراً فانهدم وقال ابو الحسن جعله دكاً دكاً لانه لما قال دكاً
جعله فكانه قال دكه دكاً اذا جعله ذا دك ويقال دكاء جعلوها مثل الناقة الدكاء التي لا سنام لها قال ابو علي الفارسي المضاف
محذوف على تقدير ابي الحسن وفي التنزيل وحملت الارض والجبال فدكتا دكة واحدة وقال كلا اذا دكت الارض دكاً
دكاً وقال الرماني معنى دكاً مستوياً بالارض يقال دكه يدكه دكاً اذا سحقه سحقاً ومنه الدكة واندك السنام اذا
لصق بالظهر وقال الزجاج دكاً يعني مدقوقاً مع الارض والدكاء والدكاوات الروابي التي مع الارض ناشزة
عنها لا تبلغ ان تكون جبلاً وقيل انه ساخ في الارض في قول الحسن وسفيان وابي بكر الهذلي وقال ابن عباس صار
تراباً وقال حميد شعر يدك اركان الجبال هزمه يخطر بالبيض الرقاق بهمه وقيل في معنى قراءة من قرأها
ممدودة قولان احدهما انه شبه الجبل بالناقة التي لا سنام لها فيقال لها دكاء فكانه قال فجعله مثل دكاء الثاني
فجعله ارضاً دكاء اخبر الله تعالى في هذه الآية ان موسى عليه السلم لما جاء الى ميقات ربه وهو الموضع الذي وقته
له وكلمه الله تعالى فيه سأل الله تعالى ان يريه لينظر اليه واختلف المفسرون في وجه مسألة موسى عليه السلم
ذلك مع ان الرؤية بالحاسة لا يجوز عليه تعالى على ثلثة اقوال احدها انه سأل الرؤية لقومه حين قالوا له
لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة بدلالة قوله أتهلكنا بما فعل السفهاء منا فان قيل على هذا ينبغي ان يجوزوا
ان يسأل الله تعالى هل هو جسم ام لا او يسأله الصعود والنزول وغير ذلك مما لا يجوز عليه قلنا عنه جوابان
احدهما انه يجوز ذلك اذا علم ان في ورود الجواب من جهة الله مصلحة وانه اقرب الى زوال الشبهة عن القوم
بان ذلك لا يجوز عليه تعالى كما جاز ذلك في مسألة الرؤية وقال الجبائي انهم سألوا الله تعالى قبل ذلك هل
يجوز عليه تعالى النوم ام لا وقال له سل الله ذلك ان يبين لنا فسأل الله تعالى ذلك فامره بان يأخذ قدحين يملأ
احدهما ماء والآخر دهناً ففعل والقى عليه النعاس فضرب احدهما على الآخر فانكسرا فاوحى الله تعالى اليه انه
لو جاز عليه تعالى النوم لاضطرب امر العالم كما اضطرب القدحان في يده حتى تكسرا والجواب الثاني عن هذا
السؤال انه انما يجوز ان يسأل الله ما يمكن ان يعلم صحته بالسمع وما يكون الشك فيه لا يمنع من العلم بصحة السمع
وانما يمنع من ذلك سؤال الرؤية التي تقتضي الجسمية والتشبيه لان الشك في الرؤية التي لا تقتضي التشبيه مثل الشك
في رؤية الضمائر والاعتقادات وما لا يجوز عليه الرؤية وليس كذلك الشك في كونه جسماً او ما يتبع كونه جسماً من
الصعود والنزول لان مع الشك في كونه جسماً لا يصح العلم بصحة السمع من حيث ان الجسم لا يجوز ان يكون غنياً
ولا عالماً بجميع المعلومات وكلاهما لا بد فيه من العلم بصحة السمع فلذلك جاز ان يسأل الرؤية التي لا توجب التشبيه
ولم يجز ان يسأل كونه جسماً وما اشبهه والجواب الثاني في اصل المسألة انه سأل العلم الضروري الذي يحصل في
الآخرة ولا يكون في الدنيا ليزول عنه الخواطر والشبهات والرؤية يكون بمعنى العلم كما يكون الادراك بالبصر
كما قال الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل وامثاله وللانبياء ان يسألوا ما يزول عنهم مع الوساوس والخطرات
كما سأل ابرهيم ربه فقال رب ارني كيف تحيي الموتى غير انه سأل ما يطمئن قلبه الى ذلك ويزول عنه الخواطر والوساوس
فبين الله تعالى له ان ذلك لا يكون في الدنيا الثالث انه سأل آية من آيات الساعة التي يعلم معها العلم الذي لا
يختلج فيه الشك كما يعلم في الآخرة وهذا قريب من الثاني وقال الحسن والربيع والسدي انه سأل الرؤية بالبصر على
غير وجه التشبيه وقوله لن تراني جواب من الله تعالى لموسى انه لا يراه على الوجه الذي سأله وذلك دليل على انه لا يرى
لا في الدنيا ولا في الآخرة لان لن ينفي على وجه التأبيد كما قال ولن يتمنوه ابداً وهذا انما يمكن ان يعتمده من قال
بالجواب الاول فاما من قال انه سأل العلم الضروري او علماً من اعلام الساعة لا يمكنه ان يعتمده لان ذلك يحصل في
الآخرة فيجري ذلك مجرى اختصاص الرؤية بالبصر على مذهب المخالف بحال الدنيا وقوله تعالى فان استقر مكانه فسوف
تراني معناه ان استقر الجبل في حال ما جعله دكاً منقطعاً فسوف تراني فلما كان ذلك محالاً لان الشيء لا يكون متحركاً
ساكناً في حال واحدة كانت الرؤية المتعلقة بذلك محالة لانه لا يعلق بالمحال الا المحال وقوله تعالى فلما تجلى ربه للجبل

معناه ظهر بآياته التي احدثها في الجبل لحاضري الجبل بان جعله دكاً وقيل ان الله تعالى ابرز من ملكوته ما تدكدك
به اذ في حكمه ان الدنيا لا تقوم لما يبرز من الملكوت الذي في السموات كما قيل انه ابرز الخنصر من العرش ويجوز ان
يكون المراد فلما تجلى ربه لاهل الجبل كما قال واسأل القرية والتجلي هو الظهور ويكون ذلك تارة بالرؤية واخرى
بالدلالة قال الشاعر شعر تجلى لنا بالمشرفية والقنا وقد كان عن وقع الاسنة نائياً وانما اراد الشاعر ان
تدبيره دل عليه حتى علم انه المدبر لذلك وان تدبيره صواب فقال تجلى اي علم ولم يرد بالابصار ولا ادراك بالحواس
لانه كان عن وقع الاسنة نائياً ولكن استدل عليه بحسن تدبيره وقال قوم معناه فلما تجلى الجبل لموسى قالوا و
حروف الصفات تتعاقب فيكون اللام بمعنى الباء وقال قوم لو اراد موسى الرؤية بالبصر لقال ارنيك او ارني
نفسك ولا يجوز غير ذلك في اللغة وقوله وخر موسى صعقاً قيل في معنى ذلك قولان احدهما قال ابن عباس و
الحسن وابن زيد وابو علي الجبائي انه وقع مغشياً عليه من غير ان مات بدلالة قوله فلما افاق ولا يقال للميت
اذا عاش افاق وانما يقال عاش او حيي وقال قتادة معناه مات وقوله قال سبحانك تبت اليك قيل في معنى توبته
ثلثة اقوال احدها انه تاب لانه سأل قبل ان يؤذن له في المسألة وليس للانبياء ذلك الثاني انه تاب من صغيرة
ذكرها الثالث انه قال ذلك على وجه الانقطاع اليه والرجوع الى طاعته وان كان لم يعص وهذا هو المعتمد
عندنا دون الاولين على انه يقال لمن جوز الرؤية على الله تعالى اذا كان موسى عليه السلم انما سأل ما يجوز عليه
فمن اي شيء تاب فلا بد لهم من مثل ما قلناه من الاجوبة فان قيل كيف يجوز ان يكون تجويز الرؤية صغيرة مع
انه جهل بالله على مذهب من قال انه كان ذلك صغيرة قيل لانه اذا لم يكن الرؤية المطلوبة على وجه التشبيه جرى
مجرى تجويزه ان يكون هذه الحركة من مقدورات الله في انه لا يخرجه من ان يكون عارفاً به تعالى وانما شك في
الرؤية والحركة وقوله وانا اول المؤمنين قيل في معناه قولان احدهما قال الجبائي انا اول المؤمنين بانه لا يراك ٢
شيء من خلقك قوله تعالى قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن
مِّنَ الشَّاكِرِينَ آية بلا خلاف اقول قرأ اهل الحجاز وروح برسالتي على التوحيد الباقون برسالاتي على الجمع و
الرسالة تجري مجرى المصدر فيفرد في موضع الجمع وان لم يكن المصدر من ارسل يدل لك على انه جار مجراه قول
الاعشى شعر عرانك بالخيل ارض العدو وجدعانها كلقيط العجم فاعملها اياها اعمال المصدر يدل ذلك على
انه يجري مجراه والمصدر قد يقع لفظ الواحد فيه والمراد به الكثرة وكان المعنى على الجمع لانه مرسل بضروب
من الرسالة والمصادر قد تجمع مثل الحلوم والالباب وقال تعالى ان انكر الاصوات لصوت الحمير فجمع الاصوات
لما اريد بها اجناس مختلفة صوت الحمار بعضها فافرد صوت الحمار وان كان المراد به الكثرة لانه صوت واحد
اخبر الله تعالى في هذه الآية انه نادى موسى عليه السلم وقال له يا موسى اني اصطفيتك ومعنى الاصطفاء استخلاص
الصفوة لما لها من الفضيلة والفضائل على وجوه كثيرة اجلها قبول الاخلاق الكريمة والافعال الجميلة ولهذا
المعنى اصطفى موسى عليه السلم حتى استحق الرسالة وان يكلم بتلقين الحكمة وقوله تعالى برسالاتي وبكلامي فيه
بيان ما به اصطفاه وهو ان جعله نبياً وخصه بكلامه بلا واسطة وهما نعمتان عظيمتان منه تعالى عليه فلذلك
امتن بهما عليه وانما صار في كلام الجليل نعمة على المكلم لانه كلمه بتعليم الحكمة من غير واسطة بينه وبين موسى ومن
اخذ العلم عن العالم المعظم كان اجل رتبة ولو كلم انسان بالانتهار والاستخفاف لكان نقمة عليه بالضد من
تلك الحال وقوله تعالى فخذ ما آتيتك معناه تناول ما اعطيتك وكن من الشاكرين يعني من المعترفين بنعمتي
والشكر هو الاعتراف بالنعمة مع القيام بحقها على حسب مرتبتها فاذا كانت من اعظم النعم وجب ان يقابل
باعظم الشكر وهو شكر العباد لله وحده على وجه الاخلاص له قوله تعالى وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ
مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ آية بلا خلاف
اقول اخبر الله تعالى في هذه الآية انه كتب لموسى عليه السلم في الالواح من كل شيء موعظة وتفصيلاً لكل شيء
وقال الجبائي المكتوب في الالواح التورية فيها اخبار الامم الماضية وفصل فيها الحرام والحلال والالواح جمع
لوح وقال الزجاج كانا لوحين فجمع قال ويجوز ان يكونا الواحاً جماعة واللوح صفحة مهيأة للكتاب فيها وقد

يقال لوح فضة تشبيهاً باللوح من الخشب و مثله لو عمل من حجر وقال الحسن وكانت الالواح من خشب نزلت من السماء ومعنى كتبنا له من كل شئ اليه في شرعه من حلال او حرام وحسن وقبيح وواجب وندب وغير ذلك مما يحتاجون الى معرفته وقيل كتب له التورية فيها من كل شئ من الحكم والعبر واصل اللوح اللمع يقال لاح الامر يلوح لوحاً ولووحاً اذا لمع وتلالا والتلويح التضمير لوحه السفر والعطش اذا غيره تغييراً تبين عليه اثره لان حاله يلوح بما نزل به واللوح الهواء لانه كاللامع في هبوبه واللوح ماخوذ من ان المعاني تلوح بالكتابة فيه و الموعظة التحذير بما يزجر عن القبيح ويبصر مواقع المخوف يقول وعظه يعظه وعظاً وموعظة واتعظ اتعاظاً اذا قبل الوعظ وقوله وتفصيلاً لكل شئ يعني تميزاً لكل ما يحتاجون اليه وقوله فخذها بقوة قيل معناه بجد واجتهاد وقيل بصحة عزيمة ولو اخذه بضعف نية لاداه الى فتور العمل به وقوله وامر قومك ياخذوا باحسنها معناه ياخذوا باحسن المحاسن وهي الفرايض والنوافل وادونها في الحسن المباح لانه لا يستحق عليه حمد ولا ثواب وقال الجبائي احسنها الناسخ دون المنسوخ المنهي عنه لان العمل بهذا المنسوخ قبيح قال الزجاج ياخذوا باحسنها معناه بما هو حسن دون ما هو قبيح وهذا تاويل بعيد لانه لا يقال في الحسن انه احسن من القبيح ويجوز ان يكون المراد باحسنها احسنها كما قال تعالى وهو اهون عليه ومعناه هين ويحتمل ان يكون اراد باحسنها الى ما دونه من الحسن الا ترى ان استيفاء الدين حسن وتركه احسن واما القصاص في الجنايات فحسن ح القواحش ويكون والعفو احسن
ذلك على وجه الندب وقوله عز وجل ساوريكم دار الفاسقين قال الحسن ومجاهد والجبائي يعني به جهنم والمراد به فليكن منكم على ذكر لتحذروا ان تكونوا منهم وقال قتادة هي منازلهم اي لتعتبروا بها وبما صاروا اليه من النكال فيها قوله تعالى سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ آية بلا خلاف اقول قرا حمزة والكسائي وخلف الرشد بفتح الراء والشين الباقون بضم الراء وسكون الشين وفرق بينهما ابو عمرو بن العلاء فقال الرشد بضم الراء الصلاح كقوله فان آنستم منهم رشداً اي صلاحاً لدفعه اليهم والرشد الاستقامة في الدين كقوله على ان تعلمني مما علمت رشداً وقال الكسائي هما لغتان بمعنى واحد مثل الحزن والحزن والسقم والسقم والرشد سلوك طريق الحق يقول رشد يرشد رشداً ورشد يرشد رشداً وارشده ارشاداً واسترشد استرشاداً وضده الغي غوى يغوي غياً و غواية واغواه اغواء واستغواه استغواء وقال الجبائي والرماني معناهما اصرف عن آياتي اي ساصرف عن آياتي من العز والكرامة بالدلالة التي كسبت الرفعة في الدنيا والاخرة ويجوز ان يكون معناه اي احكم عليهم بالانصراف واسمعهم بانهم منصرفون عنها لانهم قد انصرفوا عنها كما قال ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم ويحتمل ان يكون المراد اني ساصرفهم عن التورية والقرآن وما اوحى الله من كتبه بمعنى امنعهم من افساده وتغييره وابطاله لانه قال في اول الآية وكتبنا له في الالواح الى قوله تعالى ساصرف عن آياتي ويجوز ان يكون المراد سارديهم آياتي فينصرفون عنها وهم الذين يتكبرون في الارض بغير الحق كما يقول القائل ساحجر فلاناً اي اسأله عن شئ فيتحير عند مسئلتي وسابخل فلاناً اي اسأله ما يبخل عنده وكذلك يقال ساقطع فلاناً بكلامي والمراد انه سينقطع عند كلامي وكل ذلك واضح بحمد الله ويجوز ان يكون المراد انهم لما عاندوا وتمردوا بعد لزوم الحجة لهم وحضروا للتلبيس والشغب على ما حكاه الله عنهم انهم قالوا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه صرفهم الله بلطفه عن الحضور كما كانوا يحضرونه ويحتمل ان يكون المراد ساصرف عن جزاء آياتي ومن زعم انه بمعنى ساصرف عن الايمان باياتي فقد اخطأ لانه تعالى لا يامر بالايمان ثم يمنع منه لان حكمته يمنع من ذلك والصرف نقل الشئ الى خلاف جهته يقال صرفه يصرفه صرفاً وصرفه تصريفاً وتصرف تصرفاً وصارفه مصارفة وانصرف انصرافاً وقوله تعالى الذين يتكبرون في الارض والتكبر اظهار كبر النفس على غيرها وصفة متكبر صفة ذم في جميع البشر وهو مدح في صفات الله تعالى لانه يستحق اظهار الكبر على كل شئ سواه لان ذلك حق وهذا المعنى في صفة غيره باطل فمعنى الآية الاخبار من الله انه يصرف عن ثواب آياته الذين يتكبرون في الارض بغير الحق وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها يعني الذين اذا

شاهدوا الحجج والبراهين لا ينقادون لها ولا يصدقون بها وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلاً و معناه انهم متى راوا سبيل الصلاح عدلوا عنه ولم يتخذوه طريقاً لهم بمعنى انهم لا يعملون بذلك وان يروا سبيل الغي يعني وان يروا ضد الرشد من الكفر والضلال سلكوه وارتكبوا معصية الله في ذلك وقوله تعالى ذلك بانهم كذبوا بآياتنا يحتمل ذلك ان يكون في موضع رفع اي امرهم ذلك ويحتمل ان يكون نصباً اي فعلنا بهم ذلك لانهم تكبروا وكذبوا ومعناه افعل ذلك بهم يعني صرفهم عن ثواب الآيات الجزيل والمنزلة الجليلة ومن قال من المجبرة ان الله تعالى يصرفه عن الايمان فقوله باطل لانه تعالى لا يجوز ان يصرف احداً عن الايمان لانه لو صرفه عنه ثم امره به لكان كلفه ما لا يطيقه وذلك لا يجوز عليه تعالى وايضاً فان الله تعالى بين انه يصرفهم عن ذلك مستقبلاً جزاء لهم على كفرهم الذي كفروا فكيف يكون ذلك صرفاً عن الايمان وقيل ان معنى الآية اي ساصرف عن آياتي ولا اظهرها لهم كما اظهرتها للمؤمنين ويريد بذلك المعجزات الباهرات لعلمي بان اظهارها مفسدة لهم يزدادون عندها كفراً ابين ذلك في قوله تعالى وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلاً وان يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلاً وقيل معناه ساصرف عن ابطالها والطعن فيها بما اظهره من حججها كما يقال سامنعك من فلان اي من اذاه ذكره البلخي قوله تعالى وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ آية بلا خلاف اقول هذا اخبار من الله تعالى ان الذين كذبوا بآياته وجحدوا البعث والنشور في الآخرة وهي الكرة الثانية لانه حقيق على من عرف النشأة الاولى ان لا ينكر النشأة الاخرى لان الذي قدر على الاولى فهو على الثانية اقدر كما ان من بنى داراً ابتداء فهو على اعادتها اقدر واصل اللقاء التقاء الحدين ثم يحمل عليه الادراك فيقال لما ادركته لقيته فهؤلاء كذبوا بادراك الآخرة استبعاداً لكونها وقوله حبطت اعمالهم اخبار من الله تعالى ان من كذب بآياته وجحد البعث والنشور يحبط اعماله لانها تقع على خلاف الوجه الذي يستحق بها المدح والثواب فيصير وجودها وعدمها سواء والحبوط سقوط العمل حتى يصير بمنزلة ما لم يعمل واصل الاحباط الفساد مشتق من الحبط وهو داء ياخذ البعير في بطنه من فساد الكلأ عليه يقال حبطت الابل تحبط حبطاً اذا اصابها ذلك واذا عمل الانسان عملاً على خلاف الوجه الذي امر به يقال احبطه بمنزلة من يعمل شيئاً ثم يفسده وقوله هل يجزون الا ما كانوا به يعملون صورته صورة الاستفهام والمراد به الانكار والتوبيخ والمعنى ليس يجزون الا ما كانوا يعملون ان خيراً فخير وان شراً فشر قوله تعالى وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ آية بلا خلاف اقول قرا حمزة والكسائي من حليهم بكسر الحاء واللام الباقون بضم الحاء وكسر اللام وتشديد الياء وقرا يعقوب بفتح الحاء وسكون اللام وتخفيف الياء فوجه قراءة يعقوب ان الحلي اسم جنس يقع على القليل والكثير ومن قرا بضم الحاء فلانه جمع حلي نحو ثدي وثدي وانما جمعه لانه اضافه الى جمع ومن قرا بكسر الحاء اتبع الكسرة الكسرة وكره الخروج من الضم الى الكسرة واجراه مجرى قسي جمع قوس اخبر الله تعالى عن قوم موسى انهم اتخذوا من بعد مفارقة موسى لهم ومضيه الى ميقات ربه من حليهم ومعنى الاتخاذ الاعداد وهو افتعال من الاخذ واصله ائتخذ الا ان الياء يقلب في افتعل ويدغم لانها في موضع ثقيل في كلمة واحدة ولا يجوز في مثل احسن يوماً الادغام والاتخاذ اجتباء الشئ لامر من الامور فهؤلاء اتخذوا العجل للعبادة والحلي ما اتخذ للزينة من الذهب والفضة يقال حلي يحلى حلياً وحلا في فمي يحلو حلاوة وحليت الرجل تحلية اذا وصفته بما يرى منه و قد تحلى بكذا اي تحسن به والعجل ولد البقرة القريب العهد بالولادة وهو العجول ايضاً وانما اخذ من تعجيل امره لصغره وقيل انهم عملوا العجل من الذهب وقوله جسداً له خوار فالجسد جسم الحيوان مثل البدن وهو روح وجسد والروح ما لطف والجسد ما غلظ والجسم يقع على جسد الحيوان وغيره من الجمادات والخوار صوت الثور وهو صوت غليظ كالجوار وبناء فعال يدل على الآفة نحو الصراخ والعوار والسكات والعطاش و النباح وفي كيفية خوار العجل مع انه مصوغ من الذهب خلاف فقال الحسن قبض السامري قبضة من تراب من اثر فرس جبرئيل عليه السلام يوم قطع البحر فقذف ذلك التراب في فم العجل فتحول لحماً ودماً وكان ذلك معتاداً غير

خارق للعادة وجاز ان يفعل الله لمجرى العادة وقال الجبائى والبلخى انما احتال بادخال الريح فيه حتى سمع له
كالخوار كما قد يحتال قوم اليوم كذلك ثم اخبر تعالى فقال الم يروا انه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا على وجه
الانكار عليهم والتعجب من جهلهم وبعد تصورهم فقال كيف يعبدون هذا العجل وهم يشاهدونه ولا يكلمهم
ولا ياتى منه ذلك ولا يهديهم الى سبيل خير ثم قال اتخذوه الها وكانوا ظالمين فى اتخاذهم له الها واضعين
للعبادة فى غير موضعها والحلى الذى صاغ السامرى منه العجل كانوا اصابوه من حلى الفرعون قذفه البحر فقال
السامرى لهرون ان هذا حرام كله وينبغى ان نحرقه كله او نصرفه فى وجه المصلحة فامر هرون بجمع ذلك كله واخذه
السامرى لانه كان مطاعا فيهم فصاغه عجلا وكان صائغا وطرحه فى النار وطرح معه التراب الذى معه قوله تعالى
ولما سقط فى ايديهم وراوا انهم قد ضلوا قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين آية اقول قرا
اهل الكوفة الا عاصما لئن لم ترحمنا بالتاء ربنا بالنصب على النداء الباقون بالتاء ربنا بالرفع على الخبر معنى قوله
سقط فى ايديهم وقع البلاء فى ايديهم اى وجدوه وجدان من يده فيه يقال ذلك للنادم عندما يجده مما كان خفى
عليه ويقال ايضا سقط فى يديه اى صار الذى كان يضربه فى يديه ومعنى قوله وراوا اعلموا انهم قد ضلوا وتبينوا
بطلان ما كانوا عليه من عبادة العجل والكفر والضلال لان ما تعلق به الرؤية لا يجوز ان يكون مدركا بالبصر
وهو معنى الجملة وانما يصح ان يعلم وان تدخل على الجملة وهى فى تقدير المفرد ومتى ظهر فساد الاعتقاد فلا بد ان
يندم صاحبه عليه لانه لا معنى للاقامة عليه مع توفر الدواعى الى خلافه كما انه لا معنى ان يكذب لنفسه مع علمه
بكذبه غير انه مع ظهور الضلال لهم لم يكونوا ملجئين الى الندم لان الالجاء يقع اما بالعلم بالمنع او بتخوف
من المضرة العاجلة او النفع العظيم العاجل الذى مثله يلجئ ولم يكن القوم على واحد من الامرين لانهم كانوا
مكلفين للندم وفى الاية دلالة على بطلان قول من يقول لا محجوج الا عارف لان الله وصفهم بانهم سقط
فى ايديهم عندما راوا من ضلالهم فدل على انهم كانوا محجوجين فى ترك الضلال الذى لم يعرفوا هلكوا وقوله
لئن لم يغفر لنا ربنا ويرحمنا اخبار عما قال القوم حين تبينوا ضلالهم وسقط فى ايديهم والتجاؤهم الى الله واعترافهم
بانه ان لم يغفر لهم ربهم ويتغمدهم بمغفرته يكونوا من جملة الخاسرين الذين خسروا انفسهم بما يستحقونه من
العقاب الدائم وقال الحسن كلهم عبدوا العجل الا هرون بدلالة قول موسى رب اغفر لى ولاخى ولو كان هناك
مؤمن غيرهما لدعا له وقال الجبائى انما عبد بعضهم بدلالة ما ورد من الاخبار عن النبى عليه السلم فيما روى عنه
فى هذا المعنى قوله عز وجل ولما رجع موسى الى قومه غضبان اسفا قال بئسما خلفتمونى من بعدى اعجلتم امر
ربكم والقى الالواح واخذ براس اخيه يجره اليه قال ابن ام ان القوم استضعفونى وكادوا يقتلوننى فلا
تشمت بى الاعداء ولا تجعلنى مع القوم الظالمين آية بلا خلاف اقول قرا حمزة والكسائى وابو بكر وابن عامر
ابن ام بكسر الميم الباقون بالفتح والقراء كلهم على تشمت بضم التاء وقرا حميد الاعرج ومجاهد لا تشمت بفتح
التاء واللغة الفصيحة بضم التاء من اشمت وقد ذكر شمت يشمت واشمت يشمت اخبر الله تعالى فى هذه الاية ان
موسى حين رجع من مناجاة ربه رجع غضبان اسفا لما راى من عكوف قومه على عبادة العجل والغضب معنى يدعو
الى الانتقام على ما سلف يضاد الرضا يقال غضب غضبا واغضبه اغضابا وغاضبه مغاضبة وتغضب تغضبا
والاسف الغضب لكن فيه تاسف على فوت ما سلف وقال ابن عباس اسفا يعنى حزينا وقال ابو الدرداء معناه شديد
الغضب بدلالة قوله تعالى فلما آسفونا انتقمنا ومعناه اغضبونا كغضب المتحسر فى الشدة وهو مجاز فى الصفة و
قوله تعالى بئسما خلفتمونى من بعدى معناه بئس ما عملتم خلفى يقال خلفه بما يكره وخلفه بما يحب اذا عمل خلفه ذلك
العمل يقال خلف خلفا واخلف اخلافا وخالفه مخالفة واختلف اختلافا واستخلف استخلافا وتخلف تخلفا وخلف
تخليفا وتخالفا تخالفا وقوله اعجلتم امر ربكم قال الجبائى معناه اعجلتم عنه ما وعدكم من ثوابه ورحمته فلما لم تروه و
فعل بكم ذلك كفرتم واستبدلتم به عبادة العجل والعجلة التقدم بالشئ قبل وقته والسرعة عمله فى اول وقته ولذلك
صارت العجلة مذمومة ويقال عجلته اى سبقته واعجلته استحثثته وقوله واخذ براس اخيه يجره اليه قيل فى معناه
قولان احدهما قال الجبائى انما هو كقبض الرجل منا على لحيته وعضه على شفته او ابهامه فاجرى موسى هرون مجرى

قصورهم

نفسه فقبض على لحيته كما يقبض على لحية نفسه اختصاصا وقال ابو بكر بن الاخشاد ان هذا امر يتغير بالعادة
ويجوز ان يكون العادة فى ذلك الوقت انه اذا اراد الانسان يعاتب غيره لا على وجه الهوان اخذ بلحيته وجره
اليه ثم تغيرت العادة الان وقال انما اخذ براسه ليسر اليه شيئا اراده وقال يا ابن ام حكاية عما قال هرون لموسى
حين اخذ براسه خوفا من ان يدخل الشبهة على جهال قومه فيظنون ان موسى فعل ذلك على وجه الاستخفاف به
والانكار عليه يا ابن ام ان القوم استضعفونى وكادوا يقتلوننى ومن فتح ميم ام يحتمل قراءته امرين احدهما انه
بنى لكثرة اصطحاب هذين حتى صار بمنزلة اسم واحد مع قوة النداء على التغيير نحو خمسة عشر الثانى على حذف الالف
المبدلة من ياء الاضافة كما قال الشاعر شعر يا بنت عم لا تلومى واهجعى والقياس يا ابن امى ومن كسر الميم اضافه
الى نفسه بعد ان جعله اسما واحدا ومن العرب من يثبت الياء كما قال الشاعر شعر يا ابن امى ويا شقيق نفسى انت
خليتنى لدهر كنود وقال الاخر شعر يا ابن امى ولو شهدتك اذ تدعو بينما وانت غير مجاب وقال الحسن كان اخاه
لابيه وامه والعرب يقول ذلك على وجه الاستعطاف بالرحم وقوله فلا تشمت بى الاعداء فالشماتة سرور العدو
بسوء العاقبة يقول شمت به شماتة واشمته اشماتا اذا عرضته لتلك الحال والقى الالواح يعنى رماها وقال
مجاهد كانت من زمرد اخضر وقال سعيد بن جبير كانت من ياقوت احمر وقال ابو العالية كانت من برد و
قال الحسن كانت من خشب وقوله ولا تجعلنى مع القوم الظالمين سؤال من هرون لموسى الا يشمت به عدوه
ولا يجعله فى جملة القوم الظالمين لبرائة ساحته مما فعل قومه فلما ظهر لموسى برائة ساحة هرون بان له
عذره فى المقام بينهم من خوفه على نفسه قال عند ذلك رب اغفر لى ولاخى قوله عز وجل قال رب اغفر لى
ولاخى وادخلنا فى رحمتك وانت ارحم الراحمين آية بلا خلاف اقول فى هذه الاية حكاية عن دعاء موسى
عليه السلم ربه عز وجل حين تبين له ما نبهه عليه هرون من خوف التهمة ودخول الشبهة عليهم بجره راسه اليه
بان يغفر له ولاخيه وان يدخله فى رحمته والمقتضى لهذا الدعاء بالمغفرة قيل فيه قولان احدهما ما اظهره
من الموجدة على هرون وهو برئ مما يوجب العتب عليه لانه لم يكن منه تقصير فى الانكار على من عبد العجل لانه
بلغ معهم من الانكار الى ان هموا بقتله لشدة انكاره ولذلك قال ان القوم استضعفونى وكادوا يقتلوننى
والثانى قال ابو على انه قال بين بذلك لبنى اسرائيل انه لم ياخذ براسه على جهة الغضب عليه وانما فعل ذلك
كما يفعله الانسان بنفسه عند شدة غضبه على غيره لا لانه كان منه فى تلك الحال معصية وكان هذا الدعاء
من موسى انقطاعا منه الى الله تعالى وتقربا اليه لا انه كان وقع منه او من اخيه قبيح صغير او كبير يحتاج ان يستغفر
منه ومن قال انه استغفر من صغيرة كانت منه او من اخيه فقد اخطأ ويقال له الصغيرة على مذهبكم تقع مكفرة
محبطة فلا معنى لسؤال المغفرة لها وقد بينا فى غير موضع ان الانبياء لا يجوز عليهم شئ من القبائح لا كبيرها ولا
صغيرها لان ذلك يؤدى الى التنفير عن قبول قولهم والانبياء منزهون عما ينفر عنهم على كل حال وقوله وانت
ارحم الراحمين اعتراف من موسى بان الله تعالى ارحم الراحمين واعترافه بذلك دليل على قوة طمعه فى نجاح
طلبته لان من هو ارحم الراحمين يؤمل الرحمة من جهته ومن هو اجود الاجودين يؤمل الجود من قبله قوله عز وجل
ان الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة فى الحيوة الدنيا وكذلك نجزى المفترين آية بلا خلاف
اقول فى هذه الاية حذف وتقديره ان الذين اتخذوا العجل الها ومعبودا سينالهم غضب فحذف لدلالة الكلام
عليه وقوله فى موضع اخر فاخرج لهم عجلا جسدا له خوار فقالوا هذا الهكم واله موسى فنسى اخبر الله تعالى فى
هذه الاية ان الذين اتخذوا العجل الها وعبدوه من دون الله سينالهم غضب معناه فسيلحقهم والنول اللحوق
واصله مد اليد الى الشئ الذى يبلغه ومنه قولهم نولك ان تفعل كذا اى ينبغى ان تفعله فانه يلحقك خيره و
ناوله مناولة وتناول تناولا وانا له انالة غضب من ربهم يعنى عقاب من الله تعالى وانما ذكر الغضب مع الوعيد
بالنار لانه ابلغ فى الزجر عن القبيح كما ان ارادة الحسنة ابلغ فى الدعاء اليها والترغيب فيها من الاقتصاد على
الوعد بها وقوله وذلة فى الحيوة الدنيا بمعنى صغر النفس والاهانة يقال ذل يذل ذلة واذله اذلالا وتذلل
تذللا وذلله تذليلا واستذله استذلالا وقيل المراد به ما يوجد منهم فى الجزية على وجه الصغار وقوله وكذلك

بيتما ... اى يا ابن اما

زبرجد

وبان له عذره

بجزى المفترين اخبار منه تعالى انه مثل هذا الوعيد والعذاب والغضب يجزى الكاذبين والمتخرصين عليه
وانما كان عبادة غير الله كفرا لانه تضييع لحق نعمة الله كتضييعه بالجحد للنعمة فى عظم المنزلة وذلك لما
ينطوى عليه من تسويته من انعم باجل النعمة بمن لم ينعم وفى ذلك ابطال لحق النعمة قوله تعالى والذين عملوا
السيئات ثم تابوا من بعدها وآمنوا ان ربك من بعدها لغفور رحيم آية بلا خلاف اقول لما توعد
الله تعالى الذين عبدوا مع الله غيره وعطف على وعيدهم توعيد المفترين عليه والمتخرصين فى دينه ما لم
يامر الله به عطف على ذلك فقال والذين عملوا السيئات ثم تابوا من بعدها وآمنوا وهى جمع سيئة و
هى الخصلة التى تسوء صاحبها عاقبتها وهى نقيض الحسنة كما ان الاساءة نقيض الاحسان ثم تابوا من بعدها
وآمنوا يعنى رجعوا الى الله تعالى بعد فعلهم السيئة وندموا عليها وعزموا ان لا يعودوا الى مثلها فى
القبح وآمنوا بما اوجب الله عليهم اجمع ان ربك يا محمد من بعدها يعنى بعد السيئة لغفور رحيم يعنى يغفرها
لهم ويسترها عليهم لرحمته بعباده وقد بينا فيما مضى ان التوبة التى اجمعوا على سقوط العقاب عندها هى الندم
على القبيح والعزم على ان لا يعود الى مثله فى القبح وفى غيرها خلاف يقال تاب يتوب توبة وتاب الله عليه
بمعنى وفقه للتوبة على الدعاء له وتاب عليه ايضا بمعنى قبل توبته والتوبة طاعة يستحق بها الثواب بلا خلاف
ويسقط العقاب عندها بلا خلاف الا ان عندنا يسقط ذلك تفضلا من الله تعالى بورود السمع بذلك وعند
المعتزلة العقل يوجب ذلك فان قيل كيف قال تابوا من بعدها وآمنوا والتوبة هى ايمان قلنا عنه ثلثة اجوبة
احدها تابوا من بعد المعصية وآمنوا بتلك التوبة الثانى استانفوا عمل الايمان الثالث آمنوا بان الله قابل
التوبة وقيل ان الاية نزلت فيمن تاب من الذين كانوا عبدوا العجل فانهم تابوا وندموا واكثرهم فتعبدهم
الله بان يقتلوا انفسهم فقتل بعضهم بعضا واستسلموا لذلك فقتل فى يوم واحد سبعون الفا ثم رفع
عنهم ذلك وقبل توبتهم قوله عز وجل ولما سكت عن موسى الغضب اخذ الالواح وفى نسختها هدى و
رحمة للذين هم لربهم يرهبون آية اقول معنى قوله ولما سكت سكن وسمى ذلك سكوتا وان كان الغضب لا
يتكلم لانه لما كان بفورته دالا على ما فى النفس المغضوب عليه كان بمنزلة الناطق بذلك فاذا سكنت تلك
الفورة كان بمنزلة الساكت عما كان متكلما به والسكوت فى هذا الموضع احسن من السكون لتضمنه معنى سكوته
عن المعاتبة لاخيه مع سكون غضبه والسكون هو الامساك عن الكلام بهيئة منافية لسببه وهو تسكين آلة
الكلام وانما قيل سكت الغضب وسكت الحزن على طريق المجاز الا انه فى كل شئ يظهر اثره فيكون بمنزلة الناطق به
قال ابو النجم شعر وهمت الافعى بان تسيحا وسكت المكاء ان يصيحا فان قيل كيف جاز ان يستفزه غضب الحمية
عن غضب الحكمة قلنا ليس كذلك ولكن غضب الحكمة صحبه غضب الحمية لما يوجبه الحال وسكون الغضب عن موسى
عليه السلم لا يدل على ان قومه كانوا تابوا من عبادة العجل لانه يحتمل ان يكون زالت فورة الغضب ولم يزل الغضب
لانه لم يخلص توبتهم بعد ويحتمل ان يكون زال غضبه لتوبتهم من كفرهم واذا احتمل الامران لم يحكم باحدهما الا
بدليل وقوله تعالى اخذ الالواح وفى نسختها هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون معناه انه لما سكن غضبه
رجع فاخذ الالواح التى كان القاها وكان فى الالواح مكتوبا ما هو هدى وحجة وبيان ورحمة للذين هم
لربهم يرهبون بمعنى يخافون عقابه ويجوز ان يقال لربهم يرهبون ولا يجوز يرهبون لربهم لانه اذا تقدم المفعول
ضعف عمل الفعل فيه فصار بمنزلة ما لا يتعدى فى دخول اللام عليه تقدم او تاخر كما قال تعالى ردف لكم وفى
الاية دلالة على انه يجوز القاء التورية للغضب الذى يظهر بالقائها ثم اخذها للحكمة التى فيها من غير ان يكون
القاؤها رغبة عنها قوله عز وجل واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا فلما اخذتهم الرجفة قال
رب لو شئت اهلكتهم من قبل واياى اتهلكنا بما فعل السفهاء منا ان هى الا فتنتك تضل بها من فاغفر لنا
تشاء وتهدى من تشاء انت ولينا وارحمنا وانت خير الغافرين آية بلا خلاف اقول الاختيار هو ارادة
ما هو خير يقال اختاره بين امرين فاختار احدهما والاختيار والايثار بمعنى واحد اخبر الله تعالى ان موسى عليه
السلم اختار من قومه سبعين رجلا وحذف من لدلالة الفعل عليه مع ايجاز اللفظ قال الشاعر شعر ومنا

قوله وقولوا حطة معناه قولوا حط عنا ذنوبنا وهو بمنزلة الاستغفار والتوبة وقوله نغفر لكم خطاياكم
جواب الامر وفيه معنى الجزاء والتقدير انكم ان فعلتم ذلك غفرنا لكم خطاياكم وقوله سنزيد المحسنين معناه
سنزيد المحسنين منكم نعما وفضلا فى الدنيا والآخرة ولا نقتصر لهم على نعم هذه القرية ورفع حطة على تقدير
مسئلتنا حطة ومطلوبنا حطة وان نصب جاز بمعنى حط عنا وقوله سجدا نصب على الحال من دخول الباب و
قال ابو على ليس بحال لدخول الباب لانهم بدلوا فى حيوة موسى قوله عز وجل فبدل الذين ظلموا منهم قولا
غير الذى قيل لهم فارسلنا عليهم رجزا من السماء بما كانوا يظلمون آية بلا خلاف اقول اخبر الله تعالى عن
هؤلاء الذين امرهم بدخول القرية متواضعين وان يقولوا حطة لذنوبنا انهم بدلوا قولا غير الذى
قيل لهم والتبديل تغيير الشئ بوضعه الى بدل فقال الحسن قالوا حنطة بدل حطة وقال قوم قالوا قولا ينافى
الاستغفار ويخالف التوبة وقالوا ما يدل على الاصرار واخبر تعالى انه ارسل عليهم عند ذلك رجزا وهو
العذاب والعقوبة جزاء بما كانوا يفعلونه من معاصى الله تعالى ويظلمون بها انفسهم واصل الرجز الميل عن
الحق فمنه الرجازة وما يعدل به الحمل اذا مال عن خفة والرجز عبادة الوثن والناقة الرجزاء التى يميل فى احد
شقيها الداء يعرض لها فى عجزها قوله عز وجل واسئلهم عن القرية التى كانت حاضرة البحر اذ يعدون
فى السبت اذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تأتيهم كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون
آية بلا خلاف اقول القراء كلهم على فتح الياء فى قوله تعالى لا يسبتون وروى عن الحسن ضمها من قال
اسبتوا اراد دخلوا فى السبت ومن فتح الياء اراد يفعلون السبت اى يقومون بامره كما يفعل المسلمون
يوم الجمعة ومثله اجمعنا اى مرت بنا جمعة وجمعنا شهدنا الجمعة قال الفراء قال لى بعض العرب اترانا اشهرنا
منذ لم نلتق يريد مر بنا شهر امر الله نبيه عليه السلم ان يسئل بنى اسرائيل الذين كانوا فى وقته عن القرية التى
كانت حاضرة البحر وعن سبب هلاكها سؤال تقرير وتوبيخ لا سؤال استفهام كما يقول الرجل لغيره انا فعلت
كذا وانت تعلم انك لم تفعل وانما تساله لتقريره وتوبيخه فوجه امر النبى عليه السلم ان يسال اهل الكتاب عن اهل
هذه القرية مع ما اخبره الله تعالى بقصتها لتقريرهم بقديم كفرهم وتعليمهم ما لا يعلم الا بكتاب او وحى وهو
عليه السلم لم يكن ممن قرأ الكتب فيعلموا انه لا يعلم ذلك الا بوحى انزل عليه وقوله تعالى اذ يعدون فى السبت معناه
اذ يظلمون فى السبت يقال عدا فلان يعدو عدوا واعتداء وانا وعدا وعدوا اذا ظلم وقوله تعالى اذ تأتيهم حيتانهم
فى موضع نصب بيعدون والمعنى سلهم اذ عدوا فى وقت الاتيان شرعا اى ظاهرة والحيتان جمع حوت
واكثر ما يسمى العرب السمك الحيتان والنينان وكانت الحيتان تاتى ظاهرة فكانوا يحتالون بحبسها يوم السبت
ثم ياخذونها فى يوم الاحد وقال قوم جاهروا باخذها يوم السبت ثم ياخذونها فى يوم الاحد وقوله تعالى
كذلك نبلوهم اى مثل هذا الاختبار الشديد نختبرهم وموضع الكاف نصب بقوله نبلوهم بما كانوا يفسقون
اى شددت عليهم المحنة بفسقهم قال الزجاج ويحتمل ان يكون ويوم لا يسبتون لا تأتيهم كذلك اى لا تأتيهم
شرعا ويكون نبلوهم مستانفا والاول قول اكثر المفسرين والوجه تشديد المحنة التى هى التكليف ان الله تعالى
امر بنى اسرائيل بامساك السبت والتفريغ فيه للعبادة وان لا يتشاغلوا بشئ من امر الدنيا فيها وقوم ممن كان
يسكن هذه القرية وهى ايلة فى قول قوم من المفسرين وقال قوم هى مدين ورويا جميعا عن ابن عباس ولم يقم بما
وجب عليه فشدد الله من اخذه قال الحسن كانت تشرع على ابوابهم كانها الكباش البيض فيعدوا فياخذونها
وابعد عنهم فى باقى الايام مع اباهم ان لا يصطادوه يوم السبت فكان ذلك تشديدا للتكليف وتغليظا للمحنة
والبلوى وكان ذلك عقوبة على تهاونهم بما اوجب الله عليهم فخالفوا فارسلوا الشباك يوم السبت واخرجوها
يوم الاحد قوله عز وجل واذ قالت امة منهم لم تعظون قوما الله مهلكهم او معذبهم عذابا شديدا
قالوا معذرة الى ربكم ولعلهم يتقون آية بلا خلاف اقول قرأ حفص وحده عن عاصم المعذرة بالنصب الباقون
بالرفع من رفع فعلى تقدير موعظتنا معذرة الى ربكم ومن نصب فعلى المصدر كما يقول القائل لغيره معذرة الى
الله واليك من كذا على النصب والمعنى قالوا نعتذر معذرة واعتذارا قال ابو زيد عذرته اعذره عذرا ومعذرة

وعذری والتقدیر واذکر اذ قالت امة منهم لطائفة منهم لم تعظون قوما علمتم انهم هالکون فی الدنیا
ویعذبهم الله عذابا شدیدا فی الاخرة فقالوا فی جوابهم وعظناهم اعذارا الی الله ای نعظهم اعتذارا
الی ربکم لئلا یقول لنا لم لم تعظوهم ولعلهم ایضا بالوعظ یتقون ویرجعون وفی ذلک دلیل علی انه یجب
النهی عن القبیح وان علم الناهی ان المنهی لا ینزجر ولا یقبل وان ذلک هو محض الحکمة والصواب الذی
لا یجوز غیره واختلفوا فی هذه الفرقة التی قالت لم تعظون قوما الله مهلکهم هل کانت من الناجیة او من
الهالکة عن الاعتداء فی السبت ذهب الیه ابن عباس وقال نجت الطائفتان من الهلاک الناهیة والتی قالت
لها لم تعظون وبه قال السدی وقال قوم الفرقة التی قالت لم تعظون قوما الله مهلکهم کانت من الفرقة
الهالکة ذهب الیه ابن عباس فی روایة اخری عنه وقال قتادة عن ابن عباس هم ثلث فرق التی وعظت والموعوظة
فنجت الاولی وهلکت الثانیة والله اعلم ما فعلت الفرقة الثالثة وهم الذین قالوا لم تعظون واختاره الجبائی
وقال الکلبی هما فرقتان الواعظة والموعوظة وقال الجبائی لم یریدوا بذلک الا نهیهم ایاهم عن ذلک قبیح
وانما قالوا ذلک علی سبیل الایاس من قبولهم منهم وقوله لم اصله لما الا انه حذف الالف مع حرف الجر نحو عم
یتساءلون ولم یقولو ومم قوله عز وجل فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا
الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ اية بلا خلاف اقول قرا ابو بکر الا العلیمی بَیْئَس بفتح الباء
وبعدها یاء ساکنة وبعدها همزة مفتوحة علی وزن فیعل وروی عنه بکسر الهمزة وقرا اهل المدینة والداجونی
عن هشام بکسر الهاء وبعدها یاء ساکنة من غیر همز وقرا مثل ذلک ابن عامر الا الداجونی عن هشام الا انه
همز الباقون بفتح الباء وبعدها همزة مکسورة بعدها یاء ساکنة علی وزن فعیل وروی خارجة عن نافع بفتح
الباء بعدها بلا همز علی وزن فعل قال ابو زید قد بؤس الرجل یبؤس باسا اذا کان شدید الباس وفی البؤس
بئس یبئس یبأس بؤسا وبئیسا وباسا والباساء الاسم قال ابو علی من قرا علی وزن فعیل یحتمل امرین احدهما
ان یکون فعیلا من بؤس یبؤس اذا کان شدید الباس مثل من عذاب شدید قال ابو محمد الفقعسی شعر اشعث
غیر حسن اللبوس باق علی عیش له بئیس ای شدید والثانی ان یکون من عذاب بئیس فوصفه بالمصدر
والمصدر قد یجیء علی فعیل مثل نکیر ونذیر وشحیح وعذیر الحی والتقدیر من عذاب ذی بئیس ای عذاب ذی
بؤس ومن قرا بکسر الباء من غیر همز فانه جعلها اسما فوصفه به مثل قوله تعالی ان الله نهی عن قیل وقال ومثله
منذ شب الی دب ومثل شب الی دب منذ شب الی دب ونظیره من الصفة نقض وبصق ومن جعل الباء من غیر
همز فهو ایضا فعل فی الاصل وصف به وابدلت الهمزة یاء وحکی سیبویه انه سمع بعض العرب یقول بئس فلا
یحقق الهمزة ویدع الحرف علی الاصل الذی هو فعل کانه یسکن العین کما یسکن عن علم ویقلب الهمزة یاء
الا انه لما اسکنها لم یجز ان یجعلها بین بین فاخلصها یاء وقرائة ابن عامر مثل قرائة نافع الا ان ابن عامر حقق
الهمزة وقرائة ابی بکر علی وزن فیعل فانه جعله وصفا کضیغم وحیدر وهذا بناء کثیر فی الصفة ولا یجوز کسر
العین من بیئس لان فیعل بناء اختص به ما کان عینه یاء او واوا مثل سید وطیب ولم یجئ مثل صیغم وجاء فی
المعتل حکی سیبویه عیّن وانشد لرؤبة شعر ما بال عینی کالشعیب العین فینبغی ان یحمل بیئس علی الوهم ممن
رواه عن عاصم والاعمش بالکسر وقد انشد بعضهم شعر کلاهما کان رئیسا بیئسا یضرب فی یوم الهیاج القونسا
اعلی کل شیء وانشد بکسر العین فمن کسر العین حمله علی هذه اللغة اخبر الله تعالی انه لما ترک اهل هذه القریة
الرجوع عن ارتکاب المعصیة بصید السمک یوم السبت بعد ان ذکرهم الواعظون ذلک ولم ینتهوا عن
ذلک انه انجا الناهین عن ذلک واخذ الذین ظلموا انفسهم بعذاب شدید جزاء بما کانوا یفسقون و
یخرجون عن طاعة الله الی معصیته وروی عن عطا ان رجلا دخل علی ابن عباس وبین یدیه المصحف وهو
یبکی وقد اتی علی هذه الایة الی اخرها فقال ابن عباس قد علمت ان الله اهلک الذین اخذوا الحیتان
وانجی الذین نهوهم ولا ادری ما صنع بالذین لم ینهوهم ولم یواقعوا المعصیة وهی حالنا ونسوا فی الایة
معناه ترکوا ویحتمل ان یکون ترکهم القبول فی منزلة من نسی ولا یجوز ان یکون المراد النسیان الذی هو السهو

سقاء عین ای بر دوائر رقیقة وذلک عیب فیه والشعیب الراویة وجه

لانه

لانه لیس من فعلهم فلا یذمون علیه وقال الجبائی العذاب الشدید لحقهم قبل ان یمسخوا قردة خاسئین
قوله عز وجل فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ اية بلا خلاف اقول اخبر الله تعالی عن
هؤلاء العصاة الذین عصوا بصید السمک فی السبت ونهوا فلم ینتهوا ووعظوا فلم یتعظوا انزل علیهم
العذاب الشدید فلما عتوا عما نهی الله وتمردوا فی معصیته مسخهم الله قردة خاسئین والعاتی الشدید الدخول
فی الفساد المتمرد الذی لا یقبل موعظة والعتو الخروج الی الجرأة علی افحش الذنوب وقوله خاسئین معناه مبعدین
من قولهم خسأت الکلب اذا اقصیته خسأ ای بعد وقال الحسن معناه صاغرین وقال الحسن ان اهل المسخ تناسلوا
وقال ابن عباس لا یتناسلون واجاز الزجاج کلا الامرین وسئل ابو مالک اکانت القردة والخنازیر قبل ان
یمسخوا قال نعم وکانوا فیما خلق الله من الامم وقول ابن عباس اصح لان المعلوم ان القرد لیس من ولد آدم کما
ان الکلاب لیست من ولد آدم قال قتادة صاروا قردة لها اذناب تعاوی بعد ما کانوا نساء ورجالا وقوله تعالی
کونوا قردة صیغته صیغة الامر والمراد به الاخبار من انه جعلهم قردة علی وجه یسهل علیه ولم یتعب ولم ینصب
کما قال تعالی انما قولنا لشیء اذا اردناه ان نقول له کن فیکون وقال ائتیا طوعا او کرها قالتا اتینا طائعین
ولم یکن هناک امر لانه تعالی لا یامر المعدوم وانما هو اخبار عن تسهل الفعل واجاز الزجاج ان یکون قیل
لهم ذلک بکلام سمعوه فیکون ذلک ابلغ فی الایة النازلة بهم لما یدل علی وقوع الاول الذی تبعه الثانی
ولیس کذلک اذا قلت لما جاء المطر خرج النبات وقوله تعالی ولو ردوا لعادوا فلا یقع الرد اصلا قوله
عز وجل وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ
وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ اية بلا خلاف اقول التقدیر اذکر یا محمد اذ تاذن ربک ومعنی تاذن اعلم والعرب یقول
تعلم ان هذا کذا بمعنی اعلم قال زهیر شعر تعلم ان شر الناس حی ینادی فی شعارهم یسار اسم عبد وقال
زهیر ایضا شعر فقلت تعلم ان للصید غرة والا تضیعه فانک قاتله وقال الزجاج معنی تاذن تالی ربک
لیبعثن وقال قوم معناه امر من اذن یاذن وقوله لیبعثن علیهم الی یوم القیمة من یسومهم سوء العذاب
قسم من الله تعالی انه یبعث علیهم من یسومهم سوء العذاب ای من یولیهم سوء العذاب قال ابو جعفر علیه السلام
وابن عباس وقتادة وسعید بن جبیر والحسن اراد به امة محمد صلی الله علیه وآله یاخذون منهم الجزیة فان قیل
فقد جعلوا قردة کیف یبقون الی یوم القیمة قلنا ان الذکر للیهود فمنهم من مسخ فجعل منهم القردة والخنازیر
ومن بقی فمع ابدا لیس لهم من الله فهم اذلاء بالقتل او اذلاء باعطاء الجزیة فهم فی کل مکان اذل اهله لقوله تعالی
ضربت علیهم الذلة اینما ثقفوا الا بحبل من الله وحبل من الناس ای الا ان یعطوا الذمة والعهد وفی الایة
دلیل علی ان الیهود لا یکون لهم دولة الی یوم القیمة ولا عز لهم ایضا وقیل فی معنی البعث ههنا قولان احدهما
الامر والاطلاق والاخر التخلیة وان وقع علی وجه المعصیة کما قال تعالی انا ارسلنا الشیاطین علی الکافرین
تؤزهم ازا وقوله تعالی ان ربک لسریع العقاب معناه ان ربک یا محمد لسریع العقاب لمن یستوجبه علی کفره
ومعصیته وانه لغفور رحیم ای صفوح عن ذنوب من تاب الیه من معاصیه ورجع الی طاعته یستر علیهم بعفوه وبفضله
رحمة بهم فلا ینبغی لاحد ان یغتر ویاءمن عقابه بل ینبغی ان یجوز سرعة عقابه فیبادر التوبة والاستغفار
قوله عز وجل وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا مِنْهُمُ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ
لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ اية بلا خلاف اقول اخبر الله تعالی انه قطع بنی اسرائیل یعنی فرقهم فرقا فی الارض امما یعنی
جماعات شتی متفرقین فی البلاد وهو قول ابن عباس ومجاهد وعلی ای وجه فرقهم قیل فیه قولان احدهما فرقهم
حتی تشتت امرهم وذهب عزهم عقوبة لهم والثانی فرقهم علی ما علم انه اصلح لهم فی دینهم ثم اخبر عنهم حتی
قال من هؤلاء الصالحون یعنی من بنی اسرائیل الصالحین وهم الذین یؤمنون بالله ورسله ومنهم دون ذلک
یعنی دون الصالح وانما وصفهم بذلک بما کانوا علیه قبل ارتدادهم عن دینهم وقبل کفرهم بربهم وذلک قبل
ان یبعث قوم فیهم عیسی علیه السلام وقوله وبلوناهم بالحسنات والسیئات معناه اختبرناهم بالرخاء فی العیش
والخفض فی الدنیا والدعة والسعة فی الرزق وهی الحسنات ویعنی بالسیئات الشدائد فی العیش والمصائب

فی الارض

الذى اخبر الرجال سماحة وجودًا اذا هب الرياح الزعازع وقال غيلان شعر وانت الذى اخترت المذاهب
كلها بوهبين اذ ردت على الاباعر وقال اخر شعر فقلت له اخترها قلوصا سمينة ونابا علينا مثل نابك فى الحيا
يريد اخترمنها وقال العجاج يحب الذى اختار له الله السحر وانما اختار اخراجهم للميقات والميقات المذكور
ههنا هو الميقات المذكور اولا لانه فى سؤال الرؤية وقد ذكرت اولا ودل عليها ثانيا وقيل هو غيره لانه كان
فى التوبة من عبادة العجل وقوله فلما اخذتهم الرجفة قيل فى السبب الذى لاجله اخذتهم الرجفة قولان احدهما
لانهم سالوا الرؤية فى قول ابن اسحق الثانى قال ابن عباس لانهم لم ينهوا عن عبادة العجل وقد بينا معنى الرجفة فيما
مضى وانها الزلزلة العظيمة والحركة الشديدة وقوله قال رب لو شئت اهلكتهم من قبل واياى حكاية عما قال موسى
لله تعالى وانه قال ذاه وقال يارب لو شئت اهلكتنى واياهم من قبل هذا الموقف وقوله اتهلكنا بما فعل السفهاء
منا معناه النفى وان كان بصورة الانكار كما تقول انشتمنى واسكت عنك اى لا يكون ذلك والمعنى انك لا تهلكنا
بما فعل السفهاء منا فبهذا نسئلك رفع المحنة بالاهلاك عنا وقوله ان هى الا فتنتك ای تشدید التعبد علینا بالصبر على ما
انزلته بنا من هذه الرجفة والصاعقة اللتين جعلتهما عقابا لمن سال الرؤية وزجرا لهم ولغيرهم ومثله قوله اولا
يرون انهم يفتنون فى كل عام مرة او مرتين يعنى بذلك الامراض والاسقام التى شدد الله بها التعبد على عباده
فسمى ذلك فتنة من حيث يشدد الصبر عليها ومثله الم احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا امنا وهم لا يفتنون
ومعناه لا ينالهم شدائد الدنيا والامراض وغيرها ويحتمل ان يكون المراد بذلك ان هى الا عذابك وقد سمى
الله تعالى العذاب فتنة فى قوله يوم هم على النار يفتنون اى يعذبون فكانه قال ليس هذا الاهلاك الا عذابك
لهم بما فعلوه من الكفر وعبادة العجل وسؤالهم الرؤية وغير ذلك والسبعين الذين كانوا معه وان لم يعبدوا
العجل فقد كانوا سالوا موسى ان يسئل الله تعالى ان يريه نفسه ليخبروا بذلك امته ويشهد واله بان الله كلمه
فان بنى اسرائيل قالوا لموسى لا نصدقك على قولك ان الله كلمك من الشجرة فاختار السبعين حتى سمعوا
كلام الله وشهدوا له بذلك عند قومه فسالوا ان يسئل الله الرؤية ايضا ليشهدوا له فلذلك استحقوا الاهلاك
ولم يثبت ان السبعين كانوا معصومين ولا انهم كانوا انبياء فينتفى عنهم ذلك وقيل المراد بقوله اتهلكنا بما
فعل السفهاء منا اى اتميتنا بالرجفة التى تميتهم بها وان لم يكن ذلك عقوبة لنا والهلاك الموت لقوله ان امرؤ
هلك والفتنة الكشف والاختبار قال المسيب بن علس شعر اذ تستبيك باصلتى ناعم قامت لتفتنه بغير قناع
اى لتكشفه وتبرزه وقوله تضل بها من تشاء معناه تضل بترك الصبر على فتنتك وترك الرضا بها من تشاء عن
عن نيل ثوابك ودخول جنتك وتهدى بالرضا بها والصبر عليها من تشاء وانما نسب الضلال الى الله لانهم
ضلوا عند امره وامتحانه كما اضيفت زيادة الرجس الى السورة فى قوله فزادتهم رجسا الى رجسهم وان كانوا هم
الذين ازدادوا عندها والمعنى تختبر بالمحنة من تشاء ليتفضل صاحبه عن الضلالة وتهدى من تشاء معناه تنصر بهذه
المحنة ليثبت صاحبه على الهداية من تشاء وقوله انت ولينا معناه انت ناصرنا واولى بنا فاغفر لنا سؤال منه
المغفرة له ولقومه وقوله وارحمنا وانت خير الغافرين اخبار من موسى بان الله خير الساترين على عباده والمتجاوزين
لهم عن جرمهم قوله عز وجل واكتب لنا فى هذه الدنيا حسنة وفى الاخرة انا هدنا اليك قال عذابى اصيب
به من اشاء ورحمتى وسعت كل شىء فساكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكوة والذين هم باياتنا يؤمنون اية
بلا خلاف اقول هذا تمام الاخبار عما قال موسى وقومه الذين كانوا معه وانهم سالوا الله تعالى المغفرة وان يكتب
لهم فى هذه الدنيا حسنة وهى النعمة وانما سميت النعمة حسنة وان كانت الحسنة اسم الطاعة لله لامرين احدهما
ان النعمة يتقبلها النفس كما يتقبل الحسنة التى هى الطاعة العقل والاخر ان النعمة ثمرة الطاعة لله عز وجل وانما سالوا
ان يكتب لهم ولم يسالوا ان يجعل لهم لان ما كتب من النعمة اثبت لا سيما اذا كانت الكتابة خبرا بدوام النعمة ويقال
كتب له الرزق فيدل على ثبوته على مرور الازمان وفى الاخرة معناه واكتب لنا فى الاخرة ايضا النعمة التى هى
الثواب انا هدنا اليك قال ابن عباس معناه تبنا اليك وبه قال سعيد بن جبير وابرهيم وقتادة ومجاهد واصله
الرجوع من هاد يهود فهو هائد اذا رجع فمعناه رجعنا بتوبتنا اليك والتهويد الرفق فى السير والتفريح والتمكث

فى الانفس والاموال لعلهم يرجعون اى لكى يرجعوا الى طاعته ويثيبوا الى امتثال امره فان قيل كيف
قال لكى يرجعوا الى الحق وهم لم يكونوا عليه قط قلنا عنه جوابان احدهما انهم مارون على وجوههم
الى جهة الباطل فدعوا الى الرجوع الى جهة الحق لان الانصراف عن الباطل رجوع الى الحق والثانى انهم
ولدوا على الفطرة وهى دين الحق الذى يلزمهم الرجوع اليه قوله عز وجل فخلف من بعدهم خلف ورثوا
الكتاب ياخذون عرض هذا الادنى ويقولون سيغفر لنا وان ياتهم عرض مثله ياخذوه الم يؤخذ عليهم
ميثاق الكتاب ان لا يقولوا على الله الا الحق ودرسوا ما فيه والدار الاخرة خير للذين يتقون افلا يعقلون
اية بلا خلاف اقول معنى الاية ان الله تعالى اخبر انه خلف بعد القوم الذين كان فرقهم فى الارض خلف وهم
قوم نشؤا بعدهم من اولادهم ونسلهم يقال للقرن الذى يجىء فى اثر قرن خلف والخلف ما اخلف عليك بدلا
مما اخذ منك ويقال فى هذا خلف ايضا فاما ما اخلف عليك بدلا مما ذهب منك فهو بفتح اللام افصح قال الفراء
يقال اعطاك الله خلفا مما ذهب لك فانت خلف صدق وخلف سوء قال الله تعالى فخلف من بعدهم خلف
اضاعوا الصلوة واكثر ما يجىء فى المدح بفتح اللام وفى الذم بتسكينها وقد يحرك فى الذم ويسكن فى المدح فمن
ذلك فى تسكين اللام فى المدح قول حسان بن ثابت شعر لنا القدم الاولى اليك وخلفنا لاولنا فى طاعة الله تابع
ويقال الخلف اللبن اذا حمض من طول تركه فى السقاء حتى يفسد فالرجل الفاسق مشبه به ومنه خلوف فم الصائم وهو
تغيره واما بتسكين اللام فى الذم فقول لبيد شعر ذهب الذين يعاش فى اكنافهم وبقيت فى خلف كجلد الاجرب
وقيل ان الخلف الذين ذكرهم الله فى هذه الاية انهم خلفوا من قبلهم هم النصارى ذهب اليه مجاهد وهذا الذى
قاله جائز وجائز ايضا ان يكون المراد به قوم خلفوهم من اليهود وقوله تعالى ورثوا الكتاب ياخذون عرض هذا
الادنى قال قوم كانوا يرتشون على الاحكام ويحكمون بجور وقال اخرون كانوا يرتشون ويحكمون بحق وكل ذلك
عرض خسيس ومعنى هذا الادنى هذا العاجل ويقولون سيغفر لنا معناه انهم اذا فعلوا ذلك يقولون الله يغفر
لنا ذلك تمنيا منهم للاباطيل كما قال تعالى فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا
به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت ايديهم وويل لهم مما يكسبون وقوله تعالى وان ياتهم عرض مثله ياخذوه دليل
على اصرارهم وانه تمنوا ان يغفر لهم مع الاصرار لان المعنى وان جاءهم حرام من الرشوة بعد ذلك اخذوه و
استحلوه ولم يرتدعوا عنه وهو قول سعيد بن جبير ومجاهد وقتادة والسدى وابن عباس وقال الحسن معناه
لا يشبعهم شىء وقوله الم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب ان لا يقولوا على الله الا الحق ودرسوا ما فيه معناه
الم يؤخذ على هؤلاء المرتشين فى الاحكام القائلين سيغفر لنا الله هذا اعو بثوا على ذلك ميثاق الكتاب وهو ما
اخذ الله على بنى اسرائيل من العهود باقامة التورية والعمل بما فيها فقال تعالى لهؤلاء الذين قصهم توبيخا
لهم على خلافهم امره ونقضهم عهده وميثاقه الم ياخذ الله عليهم الميثاق فى كتابه ان لا يقولوا على الله الا
الحق ولا يضيفوا اليه الا ما انزله على رسوله موسى فى التورية ولا يكذبوا عليه وانما احتج عليهم بميثاق الكتاب
ولم يحتج عليهم بالعقل ليعلمنا ما لا نعلمه مما هو فى كتبهم من ادلة تؤكد ما فى العقل وقوله تعالى ودرسوا ما فيه
والمعنى قرؤا ما فيه ودرسوه فضيعوه وتركوا العمل به والدرس تكرر الشىء يقال درس الكتاب اذا كرر قراءته
ودرس المنزل اذا تكرر عليه مرور الامطار والرياح حتى يمحى اثره وقوله تعالى والدار الاخرة خير للذين
يتقون ما اعده الله تعالى لاوليائه فى دار الاخرة من النعيم والثواب ذخره للعاملين بطاعته الحافظين لحدوده
خير للذين يتقون يعنى يجتنبون معاصى الله ويحذرون عقابه وقوله افلا تعقلون فمن قرا بالياء معناه افلا
تعقل هذه الطائفة التى تقدم ذكرها وهم الذين ياخذون عرض هذا الادنى على احكامهم ويقولون سيغفر
لنا ومن قرا بالتاء قال معناه قل لهم افلا تعقلون ان الامر على ما اخبر الله به وحكى ان طيا يقول فى جمع ميثاق
مياثق وفى جمع ميزان ميازين وحكى غيرهم من اهل الحجاز ايضا ذلك وانشد بعض الطائيين شعر حمى لا
يحل الدهر الا باذننا ولا نسئل الاقوام عقد المياثق قوله عز وجل والذين يمسكون بالكتاب واقاموا الصلوة
انا لا نضيع اجر المصلحين اية بلا خلاف اقول قرا ابو بكر يمسكون بتسكين الميم الباقون بفتحها وتشديد

وقال ابو وجرة هذا بكسر الهاء من هاد يهيد وهو شاذ وثوب مهود اى مرقع ذكره الجبائى وليس اليهود
مشتقا منه بل انما قيل يهودى لانه نسب الى يهوذا لكن العرب غيرته فى النسب وقوله قال عذابى اصيب به
من اشاء حكاية عما اجابهم الله به من ان عذابه يصيب به من يشاؤه ممن استحقه بعصيانه وقيل انما علقه
بالمشية ولم يعلقه بالمعصية لامرين احدهما الاشعار بان وقوعه بالمشية له دون المعصية الثانى انه لا يشاء ذلك
الا على المعصية فايهما ذكر دل على الاخر وعندنا انه علقه بالمشية لانه كان يجوز الغفران عقلا بلا توبة و
قوله ورحمتى وسعت كل شئ معناه انى اقدر ان انعم على كل شئ يصح الانعام عليه وقيل المعنى انها تسع
كل شئ ان دخلوها فلو دخل الجميع فيها لوسعتهم الا ان فيهم من يمتنع منها من الضلال بان لا يدخل معه
فيها وقال ابن عباس وهى خاصة فى المؤمنين وقال الحسن وقتادة هى عامة البر والفاجر فى الدنيا خاصة و
فى الاخرة للبر وقوله فسأكتبها للذين يتقون معناه ان الرحمة فى الاخرة مكتوبة للذين يتقون معاصيه و
يحذرون عقابه ويؤتون الزكوة قيل فى معناه ههنا قولان احدهما يخرجون زكوة اموالهم فذكره لانه من
اشق فرائضهم الثانى يطيعون الله ورسوله فى قول ابن عباس والحسن ذهبا الى ما يزكى النفس و يطهرها
من الاعمال والذين هم باياتنا يؤمنون يعنى اكتبها للذين يصدقون بايات الله وحججه وبيناته وليس اذا
كتب الرحمة للذين يتقون منع ان يغفر للعصاة والفساق بلا توبة لان الذى يقتضيه الاية القطع على وصول
الرحمة الى المتقين والفساق فليس ذلك بمقطوع لهم وان كان مجوزا قوله عز وجل الذين يتبعون الرسول
النبى الامى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التورية والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل
لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال التى كانت عليهم فالذين امنوا به و
عزروه ونصروه واتبعوا النور الذى انزل معه اولئك هم المفلحون اية بلا خلاف اقول قرأ اصارهم ابن
عامر وحده على الجمع الباقون اصرهم على التوحيد ومن وحد فلان الاصر مصدر يقع على الكثير والقليل
بدلالة قوله تعالى اصرهم فاضافه الى الكثرة وقال لا تحمل علينا اصرا ومن جمع اراد ضروبا من المأثم مختلفة
فلذلك جمع قوله الذين فى موضع جر لانه صفة للذين فى الاية الاولى بعد صفة فى قوله فسأكتبها للذين
يتقون فذكر ان من تمام صفاتهم اتباعهم للرسول النبى الامى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التورية و
الانجيل يعنى محمدا صلى الله عليه واله والامى الذى لا يكتب وقيل انه منسوب الى الامة والمعنى انه على جبلة
امر الامة قبل استفادة الكتابة وقيل انه منسوب الى الام ومعناه انه على ما ولدته امه قبل تعلم الكتابة وعن
ابى جعفر الباقر عليه السلم انه منسوب الى مكة وهى ام القرى وقيل انه نسب الى العرب لانها لم تكن تحسن الكتابة
ومعنى يجدونه مكتوبا عندهم فى التورية والانجيل انهم يجدون نعته وصفته ولانه مكتوب فى التورية انا الله
من سينا واشرق من ساعير واستعلن من جبال فاران وفيه ساقيم لهم نبيا من اخوتهم مثلك واجعل كلامى
فى فمه فيقول لهم كلما اوصيه به وفيها واما ابن الامة فقد باركت عليه جدا جدا وسيلد اثنى عشر عظيما واوخره
لامة عظيمة وفى الانجيل بشارة بالفارقليط فى مواضع منها يعطيكم فارقليط اخر يكون معكم اخر الدهر كله
وفيها انه اذا جاء فند اهل العلم وفيها انه يزيد بركه بجميع الخلق ويخبركم بالامور المزمعة ويمدحنى ويشهد لى
وقوله تعالى يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر صفة للنبى عليه السلم الامى وهو فى موضع الحال وتقديره امرا
بالمعروف ناهيا عن المنكر وسمى الحق معروفا والباطل منكرا لان الحق يعرف صحته العقل اذ الاعتماد فى المعرفة
على الصحة وينكر الباطل بمعنى ينكر صحته ويحل لهم الطيبات معناه يبيح لهم المستلذات الحسنة التى كانت حراما
عليهم ويحرم عليهم الخبائث يعنى القبائح وما يعافه الانفس ويضع عنهم اصرهم يعنى الثقل بامور محرمة فى تكليفها
مشقة كتحريم العروق والغدد وتحريم السبت وكانت كالاغلال فى اعناقهم كما يقولون هذا طوق فى عنقك
وقيل ما امتحن به بنو اسرائيل من قتل نفوسهم وقرض ما يصيبه البول من اجسادهم والتزام المكاره فى كل
شئ يخالفون الله فيه قوله تعالى فالذين امنوا به يعنى صدقوا هذا النبى وعزروه يعنى عظموه بمنعهم كل
من اراد كيده واصله المنع ومنه تعزير الجانى وهو منعه بتاديبه من العود وقال قوم عزرته معناه رددته وقال

ارى اجبر الضلالة

حيلة الامة

فى تكليفها

اخرون معناه اعنته وقال بعضهم عزرته معناه لمته وقال بعضهم معناه نصرته وقال اخرون منعته ونصروه
واتبعوا النور الذى انزل معه يعنى القران سماه نورا لانه يهتدى به كما يهتدى بالنور واخبر عنهم بان من
فعل ما قلناه اولئك هم المفلحون الفائزون بثواب ربهم قوله عز وجل قل يا ايها الناس انى رسول الله
اليكم جميعا الذى له ملك السموات والارض لا اله الا هو يحيى ويميت فامنوا بالله ورسوله النبى الامى
الذى يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون اية بلا خلاف اقول امر الله تعالى نبيه عليه السلم ان
يخاطب الخلق ويقول لهم انى رسول الله ارسلنى اليكم يعنى الى الناس اجمع الذى له ملك السموات والارض يعنى
ارسلنى اليكم الذى له التصرف فى السموات والارض من غير دافع ولا منازع لا اله يعنى لا معبود الا هو يحيى ويميت فامنوا
بالله امر من النبى عليه السلم للخلق بان يصدقوا بتوحيد الله ويقروا بنبوة الامى الذى يؤمن يعنى يصدق بالله و
كلماته وامرهم بان يتبعوه ويرجعوا الى طاعته لكى يهتدوا الى الثواب فى الجنة وجميعا نصب على الحال من ضمير المخاطب
الذى عمل حرف الاضافة فيه والعامل فى الحال معنى الفعل فى رسول الا انه لا يتقدم على حرف الاضافة لانه قد
صار بمنزلة العامل وانما وصفه بانه يحيى ويميت لانه لا يقدر على الاحياء الا الله ولا على الاماتة ايضا سواه
لانه لو قدر احد على الاماتة لقدر على الاحياء لان من شان القادر على الشئ ان يكون قادرا على ضده وانما استعمل
بمعنى لتهتدوا على الرجاء والطمع فى الفوز من العذاب قوله عز وجل ومن قوم موسى امة يهدون بالحق
وبه يعدلون اية بلا خلاف اقول اخبر الله تعالى ان من قوم موسى امة يهدون بالحق وبه يعدلون قال ابن عباس
والسدى قوم وراء الصين وقال ابو جعفر عليه السلم هم قوم خلف الرمل لم يغيروا ولم يبدلوا وانكر الجبائى قول
ابن عباس وقال شرع موسى عليه السلم منسوخ بشرع عيسى عليه السلم وشرع محمد عليه السلم فلو كانوا باقين لكفروا
بجحد نبوة محمد وهذا ليس بشئ لانه لا يمتنع ان يكون قوم لم تبلغهم الدعوة من النبى عليه السلم فلا نحكم بكفرهم
وقال الجبائى يحتمل ذلك وجهين احدهما انهم كانوا قوما متمسكين بالحق فى وقت ضلالتهم بقتل انبيائهم
والاخر انهم الذين امنوا بالنبى عليه السلم مثل ابن سلام وابن صوريا وغيرهما وتقدير الكلام فى معنى الاية اذا كان
من قوم موسى امة يهدون بالحق وبه يعدلون قد مدحوا بذلك وعظموا فعلى كل امة ان يكونوا كهذه الامة
الكريمة فى هذا المعنى والامة الجماعة التى تؤم امرا بان تقصده وتطلبه وامة محمد صلى الله عليه واله قوم شريعته
وامة موسى وعيسى مثل ذلك وليس فى الاية ما يدل على ان فى كل عصر امة هادية من قوم موسى لان بعد
نبوة نبينا عليه السلم لم يبق احد يجب اتباعه فى شرع موسى عليه السلم وكذلك قوله تعالى وممن خلقنا امة يهدون
بالحق وبه يعدلون ولا دلالة على ان تلك الامة موجودة فى كل عصر بل لو لم يوجد هذه الامة الا فى وقت واحد
هادية بالحق عادلة به صح معنى الاية على ان عندنا فى كل عصر لا يخلون من قوم بهذا الوصف وهم حجج الله على
خلقه المعصومون الذين لا يجوز عليهم الخطاء والزلل فقد قلنا بموجب الاية وصريح الاية يدل على بطلان
قول من قال لا يهدى الى الحق الا الله تعالى لان الله تعالى بين ان فيمن خلقه امة يهدون بالحق وبه يعدلون
وظاهر ذلك الحقيقة وصريح الاية بخلاف ما يقوله المخالف ولا ينافى ذلك قوله تعالى من يهدى الله فهو المهتدى
لانه يصح اجتماعه معه فى ذلك المعنى لان المعنى من يهديه الله الى الجنة فهو المهتدى لانه يصح اجتماعه معنى ذلك
المعنى لان المعنى من يهديه الله الى الجنة فهو المهتدى اليها على ان قوله تعالى من يهدى الله فهو المهتدى
لا يمنع من ان يهديه ايضا غير الله ويهتدى لان المتعلق بذلك تعلق بدليل الخطاب وهو ليس بصحيح عند اكثر
العلماء على ان من هدى غيره الى الحق فانما يهديه بان ينبهه على الحجج التى نصبها الله على الحق فجاز ان يضاف ذلك
الى انه بهداية الله ومن حمل قوله تعالى يهدون على ان المعنى يهتدون فقد غلط لان ذلك لا يعرف فى اللغة
قوله عز وجل وقطعناهم اثنتى عشرة اسباطا امما واوحينا الى موسى اذ استسقاه قومه ان اضرب بعصاك
الحجر فانبجست منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل اناس مشربهم وظللنا عليهم الغمام وانزلنا عليهم المن و
السلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون اية بلا خلاف اقول قد مضى
تأويل معنى اكثر هذه الاية فى سورة البقرة فلا معنى للتطويل بذكرها مضى وانما نحن نذكر ما لم نذكره هناك انما انث

ارتفع وقت ضلالة قومهم

قوله اثنتى عشرة اسباطا لان النية التقديم والتاخير والتقدير وقطعناهم امما اثنتى عشرة اسباطا ولم
يقل سبطا لاحد ثلثة اشياء احدها انه بدل ليس بتميز والمعنى قطعناهم اسباطا ذكر ذلك الزجاج الثانى
على ان كل قسم اسباطا لان الواحد يقال له سبط فيجوز على هذا عندى عشرون دراهم على ان كل قسم منها
دراهم قال الكثير شعر على والثلثة من بنيه هم الاسباط ليس بهم خفاء فسبط سبط ايمان وبر وسبط
غيبته كربلاء الثالث ان يكون اقام الصفة مقام الموصوف وتقديره اثنتى عشرة فرقة اسباطا والسبط الجماعة
التى تجرى فى الامر بسهولة لاتفاقهم فى الكلمة على انه ماخوذ من السبوطة وقيل انه ماخوذ من السبط ضرب من
الشجر فجعل الاب الذى يجمعهم كالشجرة التى يتفرع عنها الاغصان الكثيرة وقال ابو على لانهم كانوا ابنى اثنى عشر
رجلا من ولد يعقوب وقيل انما فرقوا اسباطا لاختلاف رتبتهم والانبجاس خروج الماء الجارى بقلة والانفجار
خروجه بكثرة فكان يبتدى بقلة ثم يتسع حتى يصير الى الكثرة فلذلك ذكره ههنا بالانبجاس وفى البقرة بالانفجار
والظلة السترة التى تقى من الشمس والاغلب عليها العلو فجعل الله عز وجل لهم من الغمام ظلة تكنهم لما احتاجوا
الى ذلك فى التيه كما اعطاهم المن والسلوى والمن ضرب من الحلاوة يسقط على الشجر والسلوى طائر كالسمانى
وانما انث اثنتا عشرة اسباطا مع ان السبط ذكر لاحد ثلثة اشياء احدها اثنتى عشرة فرقة ثم حذف الثانى
وقطعناهم قطعا اثنتى عشرة فحذف على هذا التقدير الثالث ان السبط لما وقع على الامة انث كما قال الشاعر
وان كلابا هذه عشر ابطن وانت برئ من قبائلها العشر وقوله تعالى وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون
معناه ما نقصونا شيئا ولكن نقصوا انفسهم يقول العرب ظلمت سقاك اذا سقيته قبل ان يخرج زبده و
يقال ظلم الوادى اذا بلغ الماء منه موضعا لم يكن ناله فيما مضى قال الفراء وانشدنى بعضهم شعر يكاد يطلع
ظلما ثم يمنعه عن الشواهق فالوادى به شرق ويقال هو اظلم من حية لانها تاتى جحر الم يحفره فتسكنه ويقال
ما ظلمك ان تفعل كذا اى ما منعك والارض المظلومة التى لم ينلها المطر قوله عز وجل واذ قيل لهم اسكنوا
هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدا نغفر لكم خطاياكم وسنزيد
المحسنين اية بلا خلاف اقول قرا اهل المدينة وابن عامر ويعقوب يغفر بالياء وضمها وفتح الفاء الباقون
بالنون وكسر الفاء وقرا اهل المدينة ويعقوب خطيئاتكم على جمع السلامة ورفع التاء وقرا ابن عامر على التوحيد
ورفع التاء وقراءة ابو عمرو خطاياكم بغير همز على جمع التكسير الباقون وهم ابن كثير واهل الكوفة خطيئاتكم
على جمع السلامة وكسر التاء من قرا نغفر حمله على قوله تعالى واذ قيل لهم ادخلوا نغفر والتى فى البقرة نغفر بالنون
فالنون هناك احسن لقوله واذ قلنا ومن قرا ههنا بالنون كانه قيل لهم ادخلوا نغفر اى ان دخلتم غفرنا و
من قرا تغفر بالتاء المضمومة فلانه اسند اليها خطيئاتكم وهو مؤنث فانث وبنى الفعل للمفعول به لان بناء
المفعول اشبه بما قبله لان قبله واذ قيل ومن قرا بالنون فلقوله وسنزيد المحسنين وخطايا جمع خطيئة
جمع تكسير وخطيئاتكم مسكنا لانه يكثر فيه السكون وسميت القرية قرية لان الماء يقرى اليها يقال قريت الماء
فى الحوض اقريه قريا اذا جمعته ويجوز ان يكون مشتقا من اجتماع الناس اليها وقد مضى تفسير مثل هذه الاية
فى سورة البقرة فلا معنى لاعادته وانما يذكر جمل ذلك فنقول هذا خطاب من الله تعالى لنبيه محمد صلى الله
عليه واله يقول اذكر يا محمد اذ قيل لبنى اسرائيل اسكنوا هذه القرية وهى بيت المقدس على قول الجبائى
من المفسرين وقال الحسين هى ارض الشام وقال قوم غير ذلك وقد ذكرنا اختلافهم فى سورة البقرة لانه
كان امرهم بدخولها واخراج من فيها من الكفار وغيرهم ووعدهم ان يوسع عليهم فيها الرزق ويبيحهم ذلك
لياكلوا من حيث شاؤا ما يريدون من انواع الاغذية والرزق وقال لهم كلوا من حيث شئتم على كثرة الرزق
وقال لهم كلوا والغذاء فى هذه القرية وفى كل ناحية منها وقوله تعالى وادخلوا الباب سجدا يعنى متواضعين و
كانوا امروا ان يدخلوا بابا منه معينا فى هذا الموضع كانوا فيه فى قول الجبائى وقال ذلك قبل دخولهم الى بيت
المقدس قال ولم يرد ان يدخلوا الباب سجدا منحنين وقال ابن عباس كان هناك باب ضيق امروا ان يدخلوه
ركعا فدخلوه على استاههم وقيل لهم قولوا حطة اى مغفرة فقالوا حطة وقد ذكرنا اختلاف الناس فى ذلك و

السين من خفف السين فلقوله تعالى فامساك بمعروف وقوله امسك عليك زوجك وكلوا مما امسكن
عليكم ومن شدد اراد التكثير وهو اولى لقوله تعالى ويؤمنون بالكتاب كله اى لا يؤمنون ببعضه ويكفرون
ببعضه بل يؤمنون بجميعه ويقوى التشديد ما روى عن ابى انه قرا ومسكوا بالكتاب ومعنى يمسكون اى
ياخذون بما فيه من حلاله وحرامه اخبر الله تعالى ان الذين يعملون بما فى الكتاب ويقيمون الصلوة مع دخولها
فى التمسك بالكتاب لجلالة موقعها وشدة تاكدها انه لا يضيع جزاء عملهم ويثيبهم بما يستحقونه لانى لا اضيع
لاحد اصلح عمله فعمل بطاعتى اجر عمله وهو قول ابن زيد ومجاهد وجميع المفسرين والتقدير انا لا نضيع اجر
المصلحين منهم لان من كان غير مؤمن واصلح فاجره ساقط لانه يوقعه على خلاف الوجه الذى يستحق به
الثواب ويمسكون بالكتاب ويمسكون ويتمسكون ويستمسكون بمعنى واحد اى يعتصمون به ويعملون بما فيه
وخبر الذين قوله انا لا نضيع اجر المصلحين فاستغنى بذكر العلة عن ذكر المعلول قوله عز وجل واذ نتقنا
الجبل فوقهم كانه ظلة وظنوا انه واقع بهم خذوا ما اتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون اية بلا خلاف
اقول هذا خطاب لنبينا محمد صلى الله عليه واله يقول الله له اذكر يا محمد الوقت الذى نتقنا فيه الجبل اى رفعنا
فوقهم حتى صار كانه ظلة وقيل انه رفع الجبل على عسكرهم فرسخا فى فرسخ وامراة منتاق وناتق كثيرة الولد وقال
ابن الاعرابى الناتق الرافع والناتق الفاتق والناتق الباسط وقال العجاج ينتق اقتاد السليل نتقا يعنى
يرفعه عن ظهره وقال الاخر ونتقوا احلامنا الاثاقلا وقال النابغة شعر لم يحرموا حسن الغذاء وامهم
دحقت عليك بناتق مذكار ويروى طفحت عليك بناتق ويقال نتق السير اذا حركه ويقال ما ينتق برجله
ولا يركض والنتق نتق الدابة صاحبه يعنى بعد وابرها وسعه حتى تربوا قبل ذلك النتق وقال بعضهم معنى نتقنا
الجبل فوقهم فرفعناه ينتقه نتقا قال وسمعت من يقول اخذ الجراب فنتق ما فيه اذا نثر ما فيه قال ابو عبيدة
اصل النتوق كل شئ قلعته من موضعه فرميت به يقال منه نتقت نتقا وقوله عز وجل كانه ظلة يعنى به غمامة
من الظلال وقوله وظنوا انه واقع بهم قال الحسن معناه علموا وقال الجبائى والرمانى هو الظن بعينه
لانه قوى فى نفوسهم ذلك وقوله خذوا ما اتيناكم بقوة اى قلنا لهم خذوا ما اتيناكم بجد يعنى ما الزمناكم
من احكام كتابنا وفرايضه فاقبلوه باجتهاد منكم فى ادائه من غير تقصير ولا توان وقال الجبائى معناه خذوه
بالقدرة التى اتاكم الله واقدركم بها لانهم لو لم يكونوا قادرين لما كلفهم الله ذلك وذلك يفسد مذهب
من قال القدرة مع الفعل وقوله واذكروا ما فيه معناه ما فى كتابه من العهود والمواثيق التى اخذناها عليكم
بالعمل بما فيه لكى تتقوا ربكم فتخافوا عقابه بتركم العمل به اذا ذكرتم ما اخذ عليكم فيه من المواثيق وكان سبب رفع
الجبل عليهم ان موسى عليه السلم لما اتاهم بالتورية ووقفوا على ما فيها من الاحكام والحدود والتشديد فى
العبادة ابوا ان يقبلوا ذلك وان يتمسكوا به وان يعملوا بما فيه وقالوا ان ذلك يغلظ علينا فرفع الله الجبل
كالظلة عليهم وعرفهم موسى انهم ان لم يقبلوا التورية ولم يعملوا بما فيها سجدوا باخذ التورية وقبلوا قبول ما فيها و
صرف الله نزول الجبل عليهم قال ابن عباس فلذلك صارت اليهود تسجد على قرنها الايسر لانهم سجدوا كذلك
ينظرون الى الجبل وكان سجدة نصبها الله وانما اتخذت النصارى المشرق قبلة لان مريم عليها السلم اتخذت
مكانا شرقيا حين حملت بعيسى عليه السلم وقال مجاهد معناه ان اتخذ تموه بجد وحسن نية والا القى عليكم وقال
ابو مسلم ان رفع الجبل كان ليظلهم من الغمام وذلك خلاف اقوال المفسرين وما يقتضيه سياق الكلام قوله عز
وجل واذ اخذ ربك من بنى ادم من ظهورهم ذريتهم واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى شهدنا ان
تقولوا يوم القيمة انا كنا عن هذا غافلين او تقولوا انما اشرك اباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم افتهلكنا
بما فعل المبطلون ايتان بلا خلاف اقول قرا ابن كثير واهل الكوفة ذريتهم على التوحيد الباقون ذرياتهم على
الجمع وقرا ابو عمرو ان يقولوا وان يقولوا بالياء فيهما الباقون بالتاء الذرية قد يكون جمعا نحو قوله تعالى وكنا
ذرية من بعدهم وقوله تعالى ذرية من حملنا مع نوح وقد يكون واحدا كقوله هب لى من لدنك ذرية طيبة فنادته
الملائكة ان الله يبشرك بيحيى فهو مثل قوله فهب لى من لدنك وليا يرثنى فقال الله يا زكريا انا نبشرك بغلام

وسعها

وقع سجدهم
فلما نظروا الى الجبل فوقهم
خروا كلهم ساجدا على
حاجبه الايسر ناظرا الى
الجبل بعينه اليمنى خوفا
من سقوطه
اريد لانه
فمن اليهود
الكفار اليهود
يقولون هى السجدة التى
رفعت بها عنا
العقوبة

اسمه يجيء فمن افرد جعله اسما واستغنى عن جمعه بوقوعه على الجمع ومن جمع قال لانه ان كان واقعا على الواحد
فلا شك في جواز جمعه وان كان جمعا فجمعه ايضا حسن لانه قد ورد الجموع المكسرة وقد جمعت نحو الطرقات و
صواحبات يوسف وحجة من افرد قال لانه لا يقع على الواحد والجميع فاما وزن ذرية فانه يجوز ان يكون فعلولة
من الذر فابدلت من الراء التي هي لام الفعل الاخيرة ياء كما ابدلت من دهرية يدل لك على البدل عنه قولهم
دهروية ويحتمل ان يكون فعلية منه فابدلت من الراء الياء كما يبدل من هذه الحروف التضعيف وان وقع
منها الفصل ويحتمل ان يكون فعلية منه فابدلت من الراء نسبا الى الذر وابدلت الفتحة منها الضمة كما
ابدلوا في الاضافة الى الدهر دهري والى سهل سهلي ويجوز ان يكون فعلية من ذرأ الله الخلق اجمع على
تخفيفها كما اجمعوا على تخفيف البرية ويجوز ان يكون من قوله تذروه الرياح ابدلت من الواو الياء
لوقوع ياء قبلها وحجة ابي عمرو في قراءته بالياء ان ما تقدم ذكره من الغيبة وهو قوله عز وجل واذ اخذ ربك
من بني ادم من ظهورهم ذريتهم واشهدهم على انفسهم كراهية ان يقولوا او لئلا يقولوا ويؤكد ذلك
ما جاء بعد من الاخبار عن الغيبة وهو قوله قالوا بلى وحجة من قرا بالتاء انه قد جرى في الكلام خطاب هو
قوله الست بربكم قالوا بلى شهدنا وكلا الوجهين حسن لان الغيب هم المخاطبون في المعنى هذا خطاب للنبي
عليه السلام قال الله تعالى له واذكر ايضا الوقت الذي اخذ الله فيه من بني ادم من ظهورهم ذريتهم و
اشهدهم على انفسهم الست بربكم واختلفوا في معنى هذا الاخذ فيه وهذا الاشهاد فقال البلخي والرماني
اراد بذلك البالغين من بني ادم واخراجه اياهم ذرية قرنا بعد قرن وعصرا بعد عصر واشهاده اياهم على
انفسهم تبليغه اياهم واكماله عقولهم وما نصب فيها من الادلة الدالة بانهم مصنوعون وان المصنوع لا بد له من
صانع وبما اشهدهم مما يحدث فيهم من الزيادة والنقصان والآلام والامراض الدال بجميع ذلك على ان لهم
خالقا رازقا يجب معرفته والقيام بشكره وما اخطر بقلوبهم من تاكيد ذلك والحث على الفكر فيه ثم ارساله
الرسل وانزاله الكتب لئلا يقولوا اذا صاروا الى العذاب انا كنا عن هذا غافلين لم ينبه علينا ولم تقم لنا
حجة عليه ولم يكمل عقولنا فنفكر فيه او يقول قوم منهم انما اشرك اباؤنا حين بلغوا وعقلوا فاما نحن فكنا
اطفالا لا نعقل ولا نصلح للفكرة والنظر والتدبير وقال الجبائي اخذ ذرياتهم من ظهورهم انه خلقهم نطفا
من ظهور الاباء ثم خلقهم في ارحام الامهات ثم نقلهم من خلقة الى خلقة وصورة الى صورة ثم صاروا احياء
بان احياهم الله في الارحام واتم خلقهم ثم اخرجهم من الارحام بالولادة وقوله تعالى واشهدهم على انفسهم
يعني عند البلوغ وكمال العقل وعند ما عرفوا ربهم فقال لهم على لسان بعض انبيائه الست بربكم فقالوا بلى
شهدنا بذلك واقررنا به لانهم كانوا بالله عارفين انه ربهم وقوله تعالى ان يقولوا انا كنا عن هذا غافلين
لئلا يقولوا يوم القيمة انا كنا عن هذا غافلين فاراد بذلك اني انا قررتكم بهذا لتواظبوا على طاعتي وتذكروا
نعمتي ولا تقولوا يوم القيمة انا كنا عن هذا غافلين وقوله تعالى او تقولوا انما اشرك اباؤنا من قبل وكنا ذرية
من بعدهم فنشونا على شركهم فيحتجوا يوم القيمة بذلك فبين اني قد قطعت بذلك حجتكم هذه بما قررتكم به من
معرفتي واشهدتكم على انفسكم باقراركم وبمعرفتكم اياي وقوله افتهلكنا بما فعل المبطلون من ابائنا قال نزلت الاية
على انها مخصوصة في قوم من بني ادم وانها ليست في جميعهم لان جميع بني ادم لم يؤخذوا من ظهور بني ادم
لان ولد ادم لصلبه لا يجوز ان يقال انهم اخذوا من ظهور بني ادم فقد خرج ولد ادم لصلبه من ذلك وخرج
ايضا اولاد المؤمنين من ولد ادم الذين لم يكن اباؤهم مشركين لانه بين ان هؤلاء الذين اقروا بمعرفة الله
واخذ ميثاقهم بذلك كان قد سلفهم في الشرك اباء فصح بذلك انهم قوم مخصوصون من اولاد ادم فاما ما
روي ان الله تعالى اخرج ذرية ادم من ظهره واشهدهم على انفسهم وهم كالذر فان ذلك غير جائز لان الاطفال
فضلا عمن هو كالذر لا حجة عليهم ولا يحسن خطابهم بما يتعلق بالتكليف ثم ان الاية تدل على خلاف ما قالوه
لان الله تعالى قال واذ اخذ ربك من بني ادم وقال من ظهورهم ولم يقل من ظهره وقال ذريتهم ولم يقل
ذريته ثم قال او تقولوا انما اشرك اباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم افتهلكنا بما فعل المبطلون فاخبر ان هذه

والجمع

بانهم مصنوعون

الذرية قد كان قبلهم اباء مبطلون وكانوا هم بعدهم على ان راوي هذا الخبر سليمان بن بشار الجهني وقيل مسلم
بن بشار عن عمر بن الخطاب وقال يحيى بن معين سليمان هذا لا يدرى ابن هو وايضا فتعليل الاية يفسد
ما قالوه لانه قال فعلت هذا لئلا يقولوا يوم القيمة انا كنا عن هذا غافلين والعقلاء اليوم في دار الدنيا
عن ذلك غافلون فان قيل نسوا ذلك لطول العهد ولان الزمان كان قصيرا كما يعلم الواحد منا اشياء
كثيرة ضرورة ثم ينساها كما فعله في امسه وما مضى من عمره قلنا انما يجوز ان ينسى ما لا يتكرر العلم به ولا يشتد
الاهتمام به فاما الامور العظيمة الخارقة للعادة فلا يجوز ان ينساها العاقل الا ترى ان الواحد منا لو دخل
بلاد الزنج وراى الفيلة ولو يوما واحدا من الدهر لا يجوز ان ينسى ذلك حتى لا يذكره اصلا مع شدة اجتهاده واستذكاره
ولو جاز ان ينساه واحد لما جاز ان ينساه الخلق باجمعهم ولو جوزنا ذلك للزمنا مذهب التناسخ وان الله كان
قد كلف الخلق فيما مضى واعادهم اما لينعمهم او ليعاقبهم ونسوا ذلك وذلك يؤدي الى التجاهل على ان اهل
الاخرة يذكرون ما كان منهم من احوال الدنيا ولم يجب ان ينسوا ذلك لطول العهد ولا المدة التي مرت عليهم
وهم اموات وكذلك اصحاب الكهف لم ينسوا ما كانوا فيه قبل نومهم لما انتبهوا مع طول المدة في حال نومهم
فعلمنا ان هؤلاء العقلاء لو كانوا شاهدوا ذلك وحضروه وهم عقلاء لما جاز ان يذهب عنهم معرفة ذلك
لطول العهد ولوجب ان يكونوا كذلك عارفين وقال قوم وهو المروي في اخبارنا انه لا يمتنع ان يكون
ذلك مختصا بقوم خلقهم الله واشهدهم على انفسهم بعد ان اكمل عقولهم واجابوه ببلى وهم اليوم يذكرونه
ولا يغفلون عنه ولا يكون ذلك عاما في جميع العقلاء وهذا وجه ايضا قريب يحتمله الكلام وحكى ابو الهذيل
في كتابه الحجة ان الحسن البصري واصحابه كانوا يذهبون الى ان نعيم الاطفال في الجنة ثواب عن ايمانهم في الذر
وحكى الرماني عن ابن الاخشاد انه كان يجيز خبر الذر غير انه يقول ليس تاويل الاية على ذلك وانما فعل ليجروا
على الاعراق الكريمة في شكر النعمة والاقرار لله بالوحدانية كما روي انهم ولدوا على الفطرة ويدل على فساد
قولهم قوله تعالى والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا فهم لو كانوا اخرجوا من ظهر ادم على
صورة الذر كانوا ابعد من ان يعلموا او يعقلوا ومتى قالوا اكمل الله عقولهم فقد مضى الكلام عليهم و
ذكر الازهري وروي ذلك عن بعض من تقدم ان قوله واذ اخذ ربك من بني ادم من ظهورهم ذريتهم و
اشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى تمام الكلام وقوله شهدنا ان تقولوا يوم القيمة حكاية عن قول
الملائكة انهم يقولون شهدنا لئلا يقولوا وهذا خلاف الظاهر وخلاف ما عليه جميع المفسرين لان الكل
قالوا شهدنا من قول من قال بلى وان اختلفوا في كيفية الشهادة على ان الملائكة لم يجر لها ذكر فكيف يكون
ذلك اخبارا عنهم قوله عز وجل وكذلك نفصل الايات ولعلهم يرجعون اية بلا خلاف اقول المعنى
انا كما بينا لكم هذه الايات كذلك نفصلها للعباد ونبينها لهم وتفصيله الايات هو تمييز بعضها من بعض
ليتمكنوا من الاستدلال بكل واحدة منها على جهتها وبين انه فعل ذلك بهم ليتوبوا وليرجعوا عن معاصيه الى
طاعته وعن الكفر الى الايمان به قوله عز وجل واتل عليهم نبا الذي اتيناه اياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان
فكان من الغاوين اية اقول هذا خطاب من الله تعالى لنبيه امره بان يقرا على بني اسرائيل وغيرهم من امته
خبر الذي اتاه الله حججه وبيناته فانسلخ منها فاتبعه الشيطان وكان من جملة الغاوين الخائبين الخاسرين وقيل
معناه الضالين الهالكين واختلفوا في المعني بقوله اتيناه اياتنا فقال ابن عباس ومجاهد هو بلعام بن باعر
من بني اسرائيل وقال ومعنى فانسلخ منها ما نزع منه من العلم وروي عن عبد الله بن عمرو انها نزلت في امية بن
ابي الصلت وقال مسروق وعبد الله هي في رجل من بني اسرائيل يقال له بلعم بن ابر وقال قوم هو رجل من الكنعانيين
وقال الحسن هذا مثل ضربه الله للكافر اتاه الله ايات دينه فانسلخ منها يقول اعرض عنها وتركها فاتبعه الشيطان
خذله الله وخلى عنه وعن الشيطان وهو مثل قوله تعالى كتب عليه انه من تولاه فانه يضله اي كتب على الشيطان
انه من تولى الشيطان فان الشيطان يضله وقال الجبائي اراد به المرتد الذي كان الله اتاه العلم به وباياته
فكفر به وباياته وببينته من بعد ان كان به عارفا فانسلخ من العلم بذلك ومن الايمان وقوله فاتبعه الشيطان

وعن عبد الله بن عمرو

معناه ان الشيطان اتبعه كفار الانس وغواتهم حتى اتبعوه على ما صار اليه من الكفر بالله وباياته وقيل اتبعه
الشيطان بالتزيين والاغواء حتى تمسك بحبله وكان من الغاوين الخائبين من رحمة الله قال وهو رجل
من المتقدمين يقال له بلعام بن باعورا اتبعه الشيطان واتبعه لغتان وبالتخفيف معناه قفاه وبالتشديد
حذا حذوه واذا اردت اقتديت به فبالتشديد لا غير فاما ما روى ان الاية كانت النبوة فانها باطل فان الله
تعالى لا يؤتي نبوته من يجوز عليه مثل ذلك وقد دل دليل العقل والسمع على ذلك قال الله تعالى ولقد
اخترناهم على علم على العالمين وقال المصطفين الاخيار فكيف يختار من ينسلخ عن النبوة وقيل ان الاية كانت
الاسم الاعظم وهذا ايضا نظير الاول لا يجوز ان يكون مرادا والقول هو ما تقدم من اكثر المفسرين ان
المعنى به بلعم بن باعورا ومن قال امية بن ابي الصلت قال كان اوتي علم الكتاب فلم يعمل به والوجه الذي
قاله الحسن يليق بمذهبنا دون الذي قاله الجبائي لان عندنا لا يجوز ان يرتد المؤمن الذي عرف الله على
وجه يستحق به الثواب النبا الخبر عن الامر العظيم ومنه اشتقاق النبوة نباه الله جعله نبيا انما آتاه الله الايات
باللطف حتى يعلمها وفهم معانيها وقال ابو مسلم الاية في كل كافر بين الله له الحق فلم يتمسك به وقال ابو جعفر
عليه السلام في بلعم ثم ضرب مثلا لكل مؤثر هواه على هدى الله تعالى من اهل القبلة قوله عز وجل وَلَوْ شِئْنَا
لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّٰلِكَ
مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ اية بلا خلاف اقول الهاء في لرفعناه
كناية عن الذي تقدم ذكره وهو الذي آتاه الله اياته فانسلخ منها فاخبر الله تعالى انه لو شاء لرفعه بتلك الايات
واختلفوا في معنى هذه المشية فقال الجبائي المعنى لو شئنا لرفعناه بايمانه ومعرفته قبل ان يكفر لكن ابقيناه ليزداد
الايمان فكفر وقال البلخي هذا اخبار عن قدرته انه لو شاء لحال بينه وبين الكفر والارتداد وهو الذي نختاره
لانا قد بينا ان المؤمن لا يجوز ان يرتد وقال الزجاج معناه لو شئنا ان نحول بينه وبين المعصية لفعلنا وقوله
ولكنه اخلد الى الارض معناه سكن الى الدنيا وركن اليها ولم يسم الى الغرض الاعلى يقال اخلد فلان الى كذا
وكذا وخلد والالف اكثر في كلام العرب والمعنى انه سكن الى لذات الدنيا واتبع هواه اى لم نرفعه بالايات لاتباع
هواه وقيل معنى اخلد قعد ويقال فلان مخلد اذا ابطا عنه الشيب ومخلد اذا لم تسقط اسنانه هكذا ذكره
الفراء ومن الدواب الذي تبقى ثناياه حتى تخرج رباعيتاه واخلد بالمكان اذا اقام به قال زهير لمن الديار
غشيتها بالفدفد كالوحي في حجر المسيل المخلد وقال مالك بن نويرة شعر بابناء حي من قبائل مالك
وعمرو بن يربوع اقاموا فاخلدوا وقال ابو عبيدة هو اللزوم للشئ والتقاعس وقال سعيد بن جبير
معناه ركن الى الارض وقال مجاهد معناه سكن اليها وقوله فمثله كمثل الكلب ضرب الله مثل التارك لاياته
والعادل عنها باخس مثل في اخس احواله فشبهه بالكلب لان كل شئ يلهث فانما يلهث في حال الاعياء
والكلال الا الكلب فانه يلهث في حال الراحة والتعب وحال الصحة وحال المرض وحال الري وحال العطش وجميع الاحوال
فقال تعالى ان وعظته فهو ضال وان لم تعظه فهو ضال كالكلب ان طردته وزجرته فانه يلهث وان تركته يلهث
وهو مثل قوله وان تدعوهم الى الهدى لا يتبعوكم سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون وقوله تعالى ذلك
مثل القوم الذين كذبوا باياتنا يعني هذا المثل الذي ضربه بالكلب هو مثل الذين كذبوا بايات الله وقال الجبائي
انما شبهه بالكلب لانه لما كفر بعد ايمانه صار يعادي المؤمنين ويؤذيهم كما ان الكلب يؤذي الناس طردته او لم
تطرده فانه لا يسلم من اذاه وقوله تعالى فاقصص القصص معناه فاقصص على الناس ما بيناه لك لكي يتذكروا او
يتفكروا فيرجعوا الى طاعة الله وينزجروا عن معاصيه وقال ابن جريج مثله بالكلب لان الكلب لا فؤاد له فيقطعه
الفؤاد حملت عليه او تركته شبهه من ترك كانه لا فؤاد له واللهث النفس الشديد من شدة الاعياء وفي الكلب
طباع لهث يلهث لهثا فهو لاهث ولهثان قوله عز وجل سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنفُسَهُمْ
كَانُوا يَظْلِمُونَ اية بلا خلاف اقول التقدير ساء مثلا مثل القوم وحذف لدلالة الكلام عليه وانفسهم نصب
بيظلمون وصف الله تعالى هذا المثل الذي ضربه وذكره بانه ساء مثلا اى بئس مثلا مثل القوم الذين

كذبوا بايات الله وانهم بذلك ويظلمون انفسهم دون غيرهم لان عقاب ما يفعلونه من المعاصي يحل بهم
لان الله تعالى لا يضره كفرهم ولا معصيتهم كما لا ينفعه طاعتهم وايمانهم قوله عز وجل مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي
وَمَن يُضْلِلْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ اية بلا خلاف اقول فهو المهتدى كتب ههنا بالياء ليس في القران غيره
بالياء واثبات الياء في اللفظ ههنا جميع القراء وقال الجبائي معنى الاية من يهديه الله الى نيل الثواب كما يهدي
المؤمن الى ذلك والى دخول الجنة فهو المهتدى للايمان والخير لان المهتدى هو المؤمن فقد صار مهتديا الى الايمان
والى نيل الثواب ومن يضلله الله عن الجنة وعن نيل ثوابها عقوبة على كفره او فسقه فاولئك هم الخاسرون لانهم خسروا
الجنة ونعيمها خسروا انفسهم والانتفاع بها وقال البلخي المهتدي هو الذي هداه الله فقبل الهداية واجاب اليها
والذي اضله الله هو الضال الذي اختار الضلالة فاضله الله بمعنى خلى بينه وبين ما اختاره وترك منعه بالجبر على
انه اذا ضل عن امر الله عند امتحانه وتكليفه جاز ان يقال ان الله اضله وقيل معنى من هدى الله من حكم الله بهدايته
فهو المهتدى ومن حكم بضلالته فهو الخاسر الخائب قوله عز وجل وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ
قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ
هُمُ الْغَافِلُونَ اية بلا خلاف اقول معنى ذرأنا خلقنا يقال ذرأهم يذرؤهم واللام في لجهنم لام العاقبة والمعنى
انه لما كانوا يصيرون اليها بسوء اختيارهم وقبح اعمالهم جاز ان يقال انه ذرأهم والذي يدل على ان ذلك جزاء
على اعمالهم قوله لهم قلوب لا يفقهون بها واخبر عن ضلالهم الذي يصيرون به الى النار وهو مثل قوله تعالى
انما نملي لهم ليزدادوا اثما ومثل قوله ربنا انك آتيت فرعون وملاه زينة واموالا في الحيوة الدنيا ربنا
ليضلوا عن سبيلك ومثل قوله عز وجل فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا وانما التقطوه ليكون
قرة عين كما قالت امراة فرعون عند التقاطه قرة عين لي ولك لا تقتلوه عسى ان ينفعنا او نتخذه ولدا ومثله
قول القائل اعددت هذه الخشبة ليميل الحائط فاسنده بها وهو لا يريد ميل الحائط ومثله قول الشاعر شعر
وللموت تغذو الوالدات سخالها كما لخراب الدهر تبني المساكن وقال الاخر شعر اموالنا لذوي الميراث نجمعها
ودورنا لخراب الدهر نبنيها وقال الاخر شعر وام سماك فلا تجزعي فللموت ما تلد الوالدة وقال آخر شعر
لدوا للموت وابنوا للخراب فكلكم يصير الى ذهاب وقوله لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم اعين لا يبصرون بها
ولهم آذان لا يسمعون بها معناه انهم لما لم يفقهوا بقلوبهم ولم يسمعوا باذانهم ولم يبصروا بعيونهم ما كانوا
يؤمرون به ويدعون اليه سموا بكما عميا صما ولما لم ينتفعوا بجوارحهم اشبهوا العمي البكم الصم لان هؤلاء
لا ينتفعون بجوارحهم فاشبهوهم في زوال الانتفاع بالجوارح وسموا باسمائهم ومثله قول مسكين الدارمي
اعمى اذا ما جارتي خرجت حتى توارى جارتي الخدر واصم عما كان بينهما سمعي وما بالسمع من وقر فجعل
نفسه اصم واعمى لما لم ينظر ولم يسمع وقال اخر وكلام سئ قد وقرت لاذني عنه وما بي من صمم وقال اخر شعر
صم اذا سمعوا خيرا ذكرت به وان ذكرت بسوء عندهم اذنوا وهذا كثير ويجوز ان يكون قوله تعالى ذرأنا
لجهنم معناه ميزنا يقال ذريت الطعام والشعير اى ميزت ذلك من التبن والمدر فلما كان الله تعالى ميز
اهل النار من اهل الجنة في الدنيا بالتسمية والحكم والشهادة جاز ان يقول ذرأناهم اى ميزناهم ثم وصفهم
بصفة تخالف اوصاف اهل الجنة يعرفون بها فقال لهم قلوب لا يفقهون بها الى آخرها ويجوز ان يكون
قوله ذرأنا بمعنا سنذرأ كما قال ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار بمعنى سينادون فكانه قال سيخلقهم
خلقا ثانيا للنار باعمالهم التي تقدمت منهم في الدنيا اذ كانوا استحقوا النار بتلك الاعمال ولا يجوز ان
يكون معنى الاية ان الله خلقهم لجهنم واراد منهم ان يفعلوا الكفر والمعاصي فيدخلوا بها النار لان الله
تعالى لا يريد القبيح لان ارادة القبيح قبيحة ولان مريد القبيح منقوص عند العقلاء تعالى الله عن صفة النقص
ولانه قال وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون فبين انه خلق الخلق للعبادة والطاعة وقال وما ارسلنا
من رسول الا ليطاع وقال ولقد صرفناه بينهم ليذكروا وقال ولقد ارسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم
الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وقال انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا لتؤمنوا بالله ورسوله

ونظاير ذلك اكثر من ان يحصى فكيف يقول بعد ذلك ولقد ذرانا لجهنم وهل هذا الا تناقض تنزه كلام الله
عنه وقوله اولئك كالانعام يعنى هؤلاء الذين لا يتدبرون بايات الله ولا يستدلون بها على وحدانيته وصدق
رسله اشباه الانعام والبهائم التى لا تفقه ولا تعلم ثم قال بل هم اضل يعنى من البهائم لان فى البهائم ما اذا زجر
انزجرت واذا ارشدت الى طريق اهتدت وهؤلاء لعتوهم وكفرهم لا يهتدون الى شئ من الخيرات مع ما ركب الله
فيهم من العقول التى تدلهم على الرشاد وتصرفهم عن الضلال وليس ذلك فى البهائم ومع ذلك يهتدى الى
منافعها وتحرز عن مضارها والكافر لا يفعل ذلك ثم قال اولئك هم الغافلون يعنى هؤلاء هم الغافلون عن
اياتى وحججى والاستدلال بها والاعتبار بتدبرها على ما يدل عليه من توحيده لا البهائم التى هى مسخرة
مصرفة لا اختيار لها قوله عز وجل وَلِلّٰهِ الْاَسْمَآءُ الْحُسْنٰى فَادْعُوْهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِيْنَ يُلْحِدُوْنَ فِيْٓ اَسْمَآئِهٖ سَيُجْزَوْنَ
مَا كَانُوْا يَعْمَلُوْنَ اية اجماعًا اقول قرا حمزة يلحدون بفتح الحاء والتاء ههنا وفى النحل والمصابيح افقه الكسائى
وخلف فى النحل والباقون بضم الياء فلقوله ومن يرد فيه بالحاد والحد اكثر فى الكلام قال الشاعر شعر ليس
الامام بالشحيح الملحد ولا يكاد يسمع لاحد والالحاد العدول عن الاستقامة والانحراف عنها ومنه اللحد
الذى يحفر فى جانب القبر خلاف الضريح الذى يحفر فى وسطه فمعنى يلحدون فى اياتنا يجوزون عن الحق فيها وروى
ابو عبيدة عن الاحمر لحدت جرت وملت والحدت ماريت وجادلت قال وقال ابو عبيدة لحدت له والحدت
للميت بمعنى واحد قال ابن جريج اشتقوا العزى من العزيز واللات من الله فكان ذلك الحادا وقال ابن عباس
الحادهم تكذيبهم وقال قتادة هو شركهم وقال قوم هو تسميتهم الاصنام بانها الهة اخبر الله تعالى ان له الاسماء
الحسنى نحو قوله تعالى الله الرحمن الرحيم وغير ذلك من الاسماء التى يليق به وهى الاسماء الراجعة الى ذاته او
فعله نحو العالم العادل والسميع البصير المحسن المجمل وكل اسم لله فهو صفة مفيدة لان اللقب لا يجوز عليه وامر
تعالى ان يدعوه خلقه بها وان يتركوا اسماء اهل الجاهلية وتسميتهم اصنامهم الهة ولاتا وغير ذلك وقال الجبائى
يحتمل ان يكون اراد تسميتهم المسيح بانه ابن الله والعزير بانه ابن الله تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وقال قوم هذا
يدل على انه لا يجوز ان يسمى الله الا بما سمى به نفسه وقوله وذروا الذين يلحدون فيه تهديد للكفار وان الله
تعالى سيعاقبهم على عدولهم عن الحق فى تغيير اسمائه وقوله تعالى سيجزون ما كانوا يعملون معناه سيجزون
جزاء ما كانوا يعملون من المعاصى بانواع العذاب قال الرمانى الاسم كلمة تدل على المعنى دلالة الافادة والصفة
كلمة ماخوذة للمذكور من اصل من الاصول ليجرى عليه تابعة له قوله عز وجل وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ اُمَّةٌ يَّهْدُوْنَ بِالْحَقِّ وَ
بِهٖ يَعْدِلُوْنَ اية بلا خلاف اقول اخبر الله تعالى ان من جملة من خلقه جماعة يهدون بالحق وهداهم بالحق هو
دعاؤهم الناس الى توحيد الله والى دينه وتنبيههم اياهم على ذلك وقال قوم معنى يهدون يهتدون وبه يعدلون
معناه انهم يعملون بالعدل والانصاف فيما بينهم وبين الناس وهذا اخبار ان فيما خلق قوما هذه صفتهم ولا
يدل ذلك على ان فى كل عصر يوجد قوم هذه صفتهم ولو لم يوجدوا الا فى وقت واحد كانت الفائدة حاصلة
بالاية فلا يمكن الاستدلال بها على ان اجماع اهل الاعصار حجة على ان عندنا انه لا يخلو وقت من الاوقات
ممن يجب اتباعه ويثبت عصمته ويكون حجة الله على خلقه فيمكن ان يكون المراد بالاية من ذكرناه وقال ابو جعفر
وقتادة وابن جريج الاية فى امة محمد صلى الله عليه واله وهو مثل قوله تعالى وجعلناهم ائمة يهدون بامرنا
فكما انه لا يدل على وجود ائمة فى كل وقت فكذلك ما قالوه قوله عز وجل وَالَّذِيْنَ كَذَّبُوْا بِاٰيٰتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ
مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُوْنَ وَاُمْلِيْ لَهُمْ اِنَّ كَيْدِيْ مَتِيْنٌ ايتان بلا خلاف اقول المعنى ان الذين كذبوا بايات الله
التى تضمنها القران والمعجزات الدالة على صدق النبى عليه السلم وكفروا بها سنستدرجهم الله من حيث لا يعلمون
استدراجا لهم الى الهلكة حتى يقعوا فيه بغتة من حيث لا يعلمون كما قال تعالى بل تاتيهم بغتة فلا يستطيعون ردها
وقال فتاتيهم بغتة وهم لا يشعرون فيقولوا هل نحن منظرون ويجوز ان يكون من عذاب الاخرة فاما من قال
من المجبرة ان معنى الاية ان الله يستدرجهم الى الكفر والضلال فباطل لان الله تعالى لا يفعل ذلك لانه قبيح
ينافى الحكمة ثم ان الاية بخلاف ذلك لانه بين ان هؤلاء الذين يستدرجهم كفار بالله وبرسوله وباياته وانه

سيستدرجهم الى الكفر لانهم كفار قبل ذلك ولا يجب فى الكافر ان يبقى حتى يواقع كفرا اخر لانه يجوز ان يميته
الله تعالى فبان بذلك ان المراد انه سيستدرجهم الى العذاب العقوبات من حيث لا يعلمون فى مستقبل
امرهم بقوا او لم يبقوا على ان الاستدراج عقوبة من الله والله لا يعاقب احدا على فعل نفسه كما لا يعاقبهم
على طولهم او قصرهم ويحتمل ان يكون معنى الاية انا نعاقبهم على استدراجهم للناس واغوائهم اياهم و
نعاقبهم على كيدهم فجعل العقوبة على الاستدراج استدراجا والعقوبة على الكيد كيدا كما قال سخر الله
منهم وقال الله يستهزئ بهم وقال يخادعون الله وهو خادعهم وقال والله خير الماكرين وما اشبه ذلك
ويحتمل ان يكون المراد انى سافعل بهم ما يدرجون فى الفسوق والضلال عنده ويكون ذلك اخبارا عن نفاقهم
الكفر عند املائه لهم فسمى ذلك استدراجا لانهم عند البقاء كفروا وازدادوا كفرا ومعصية وان كان الله
لم يرد منهم ذلك ولا بعثهم عليه كما قال اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر كما يقول القائل ابطر فلان فلانا
بانعامه عليه ولقد ابطرته النعمة واكفرته السلامة وان كان المنعم لا يريد ذلك بل اراد ان يشكره عليها و
معنى قوله تعالى واملى لهم اؤخر هؤلاء الكفر فى الدنيا وابقيهم مع اصرارهم على الكفر ولا اعاجلهم بالعقوبة
على كفرهم لانهم لا يفوتونى ولا يعجزونى ولا يجدون مهربا ولا ملجا وقوله تعالى ان كيدى متين معناه ان عذابى
وسماه كيدا لنزوله بهم من حيث لا يشعرون وقيل انه اراد ان جزاء كيدهم وسماه كيدا للازدواج على ما بيناه
نظايره ومعنى متين شديد قوى قال الشاعر عدلنى عدول اليأس والشيخ يبتلى افاعين من الهوى بشد متين
يعنى شدا وشديدا باقيا لا ينقطع والمتن اصله اللحم الغليظ الذى عن جانب الصلب وهما متنان والكيد و
المكر واحد وهو الميل الى الشر فى خفى كاده يكيده كيدا ومكيدة وفلان يكيد بنفسه واصل الاستدراج اغترار
المستدرج من حيث يرى ان المستدرج محسن اليه حتى يورطه مكروها والاستدراج ان ياتيه من مامنه
من حيث لا يعلم واملى بمعنى اؤخر من الملى بقلة الياء يقال مضى عليه ملى من الدهر وملاوة من الدهر بفتح
الميم وضمها وكسرها اى قطعة منه ووجه الحكمة فى اخذهم من حيث لا يعلمون انه لو اعلمهم وقت ما ياخذهم
وعرفهم ذلك لامنوه قبل ذلك وكانوا مغترين بالقبيح قبله تعويلا على التوبة فيما بعد وذلك لا يجوز عليه
تعالى والاستدراج على ضربين احدهما ان يكون الرجل يعادى غيره فيطلب له المكايدة والحيل من وجه بغيره به
ويخدعه ويدس اليه من يوقعه فى ورطة حتى يشفى صدره ولا يبالى كيف كان ذلك فهذا سفيه غير حكيم والاخر
ان يحلم منه ويتانى ويترك العجلة فى عقوبته التى يستحقها على معاصيه كيدا ومكرا واستدراجا الا ترى لو ان
انسانا عادى غيره فجعل يشتمه ويعيبه وذاك يعرض عنه ولا يكافيه مع قدرته على مكافاته جاز ان يسمى ذلك كيدا
واستدراجا ومكرا وحيلة ولجاز ان يقال فلان متين الكيد شديد الاستدراج بعيد الغور محكم التدبير وقيل
فى معنى سنستدرجهم سناخذهم قليلا قليلا ولا نبغتهم يقال امتنع فلان على فلان وابى عليه حتى استدرجه اى خدعه
حتى حمله على ان درج اليه ورجا ناى اخذ فى الحركة نحوه كما يدرج الصبى اول ما يمشى وصبى دارج ويقال درج
قرن بعد قرن اى فنوا قليلا قليلا قوله عز وجل اَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوْا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِّنْ جِنَّةٍ اِنْ هُوَ اِلَّا نَذِيْرٌ مُّبِيْنٌ
اَوَلَمْ يَنْظُرُوْا فِيْ مَلَكُوْتِ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللّٰهُ مِنْ شَيْءٍ وَّاَنْ عَسٰٓى اَنْ يَّكُوْنَ قَدِ اقْتَرَبَ اَجَلُهُمْ فَبِاَيِّ
حَدِيْثٍ بَعْدَهٗ يُؤْمِنُوْنَ ايتان بلا خلاف اقول هذا خطاب من الله تعالى للكفار الذين ينسبون النبى صلى الله
عليه واله الى الجنون على وجه التوبيخ لهم والتقريع اولم يتفكروا ما بصاحبهم اى ليس بالنبى جنة وهى الجنون
فانه لا ياتى بمثل ما ياتى به المجنون وهم يرون الاصحاء منقطعين دونه ويرون صحة تدبيره واستقامة اعماله و
ذلك ينافى اعمال المجانين وبين انه ليس الا المخوف للعباد من عقاب الله لان الانذار هو الاعلام عن المخاوف فبين
لهم ما عليهم من اليم العذاب بمخالفته ثم قال اولم ينظروا ومعناه يفكروا فى ملكوت السموات والارض وعجيب صنعهما
فينظروا اما فيها نظر مستدل معتبر فيعرفون بما يرون من اقامة الله السموات والارض مع عظم اجسامهما وثقلهما
على غير عمد وتسكينها من غير آلة فيستدلوا بذلك على انه خالقها ومالكها وانه لا يشبهها ولا تشبهه وقوله
وما خلق الله من شئ يعنى وينظروا فيما خلق الله تعالى من اصناف خلقه فيستدلوا بذلك على انه تعالى خالق جميع

الاجسام وانه اولى بالالٰهية من الاجسام المحدثة وقوله تعالى وان عسى ان يكون قد اقترب اجلهم وهو اجل موتهم فيدعوهم ذلك الى ان يحتاطوا لدينهم ولانفسهم فيما يصيرون اليه بعد الموت من امور الاخرة ويزهدهم فى الدنيا وفيما يطلبونه من فخرها وعزها وشرفها فيدعوهم ذلك الى النظر فى الامور التى امرهم بالنظر فيها وقوله تعالى فباى حديث بعده يؤمنون معناه باى حديث بعد القران يؤمنون مع وضوح دلالته على انه كلام الله اذ كان معجزا لا يقدر احد من البشر ان ياتى بمثله وسماه حديثا لانه محدث غير قديم لان اثباته حديثا ينافى كونه قديما وفى الاية دلالة على وجوب النظر وفساد التقليد لان النظر المراد به الفكر دون نظر العين لان البهائم ايضا تنظر بالعين وكذلك الاطفال والمجانين والفكر موقوف على العقلاء وقال الحسن وقتادة سبب الاية ان النبى صلى الله عليه واله وقف على الصفا يدعوا قريشا فخذا فخذا فيقول يا بنى فلان يا بنى فلان يحذرهم باس الله وعقابه فقال قائلهم ان صاحبكم لمجنون بات يصوت على الصباح فانزل الله الاية والملكوت هو الملك الاعظم للمالك الذى ليس بمملك قوله عز وجل وَمَنْ يُضْلِلِ اللّٰهُ فَلَا هَادِىَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِى طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ اية بلا خلاف اقول قرا اهل العراق ويذرهم بالياء واسكن الراء منه حمزة والكسائى وخلف الباقون بالنون وضم الراء من قرا بالنون قال لان الشرط من الله فكانه قال من يضلل الله فانا نذرهم ومن قرا بالياء رده الى اسم الله تعالى وتقديره ونحن نذرهم فيكون فى موضع الخبر الله يذرهم ومن ضم الراء قطعه عن الاول ولم يجعله جوابا ويجوز ان يكون اضمر المبتدأ فكان تقديره ونحن نذرهم فيكون فى موضع الجزم ويجوز ان يكون استيناف الفعل فرفعه ومن جزمه فانه عطفه على موضع الفاء وما بعدها من قوله تعالى فلا هادى له لان من موضعه جزم فحمل ونذرهم على الموضع ومثله فى الحمل على الموضع قوله تعالى فاصدق واكن لانه لولم يلحق الفاء لقلت لولا اخرتنى اصدق لان معنى لولا اخرتنى اخرنى اصدق فحمل قوله تعالى واكن على الموضع معنى قوله من يضلل الله فلا هادى له اى من يمتحنه الله فيضل عند امتحانه وامره اياه بالطاعة والخير والرشاد فلا هادى له اى لا يقدر احد ان ياتيه من الهدى والبرهان بمثل الذى اتاه الله تعالى ولا بما يقاربه او يزيد عليه ويذره فى طغيانه بمعنى يخلى بينه وبين ذلك وترك اخراجه بالقسر والجبر ومنعه اياه لطفه الذى يؤتيه من امن واهتدى وقيل الوعظ والطغيان والغلو فى الكفر والعمه التحير والتردد فى الكفر ويحتمل ان يكون المراد من يضلل الله عن الجنة عقوبة على كفره فلا هادى له اليها وان الله لا يحول بين الكافر وكفره بل يتركه مع اختياره لان ما فعله من الزجر والوعيد كاف فى ازاحة علة المكلف وقيل معناه من حكم الله تعالى بضلالته وسماه ضالا بما فعله من الكفر والضلال فلا احد يقدر على ازالة هذا الاسم عنه ولا يوصف بالهداية وكل ذلك واضح بحمد الله تعالى قوله عز وجل يَسْئَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ اَيَّانَ مُرْسٰيهَا قُلْ اِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّى لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا اِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِى السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ لَا يَاْتِيكُمْ اِلَّا بَغْتَةً يَسْئَلُونَكَ كَاَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا قُلْ اِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللّٰهِ وَلٰكِنَّ اَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ اية بلا خلاف اقول ايان معناه متى وهى سؤال عن الزمان على وجه الظرف اخبر الله تعالى ان الكفار يسئلون النبى عليه السلام عن الساعة وهى القيمة ايان مرسيها اى وقت قيامها وثباتها ومعنى ايان متى قال الراجز شعر ايان نقضى حاجتى ايانا اما ترى لنجحها ايانا ومرسيها فى موضع رفع بالابتداء يقال رسى يرسو اذا ثبت فهو راس وجبال راسيات ثابتات وارساها الله اى ثبتها وقيل معنى مرسيها الوقت الذى يموت فيه جميع الخلق ومعنى سؤالهم عنها اى متى وقوعها وكونها فامر الله تعالى نبيه عليه السلم ان يجيبهم ويقول لهم علمها عند الله لم يطلع عليه احد كما قال ان الله عنده علم الساعة وقوله تعالى لا يجليها لوقتها الا هو اى لا يظهرها فى وقتها الا الله و قوله تعالى ثقلت فى السموات والارض قيل فى معناه قولان احدهما ثقل علمها على اهل السموات والارض ذهب اليه السدى وغيره الثانى ثقل وقوعها على اهل السموات والارض ذكره ابن جريج وغيره ثم اخبر تعالى نبيه عليه السلم بكيفية وقوعها فقال لا ياتيكم الا بغتة يعنى فجاة وقوله تعالى يسئلونك كانك حفى عنها قيل فى معناه ثلاثة اقوال احدها ان معناه وتقديره حفى بها يسئلونك عن الساعة وقتها كانك عالم بسؤالهم عنها يقال حفيت بفلان فى

المسالة اذا سالته سؤالا اظهرت فيه المحبة والبر قال الشاعر شعر سؤال حفى عن اخيه كانه بذكرته وسنان او مواسن وقيل معناه كانك اكثرت السؤال عنها ذكره مجاهد ثم امر الله نبيه ان يقول انما علمها عند الله اى لا يعلمها الا الله ويقال احفى فلان بفلان فى المسالة اذا اكثر عليه ويقال حفيت الدابة تحفى حفا مقصور اذا كثر عليها المشى والحفاء ممدود المشى بغير نعل وقوله تعالى ولكن اكثر الناس لا يعلمون معناه اكثر الناس لا يعلمون ان ذلك لا يعلمه الا الله ويظنون انه قد يعلمه الانبياء وغيرهم من خلقه وقال الجبائى معناه لكن اكثر الناس لا يعلمون لم اخفى الله تعالى علم ذلك على التعيين على الخلق والوجه فيه انه ازجرهم عن معاصيه لانهم اذا جوزوا فى كل وقت قيام الساعة وزوال التكليف كان ذلك صارفا لهم عن فعل القبيح خوفا من فوات وقت التوبة وقوله فى اول الاية قل انما علمها عند ربى يعنى علم وقت قيامها وقوله فى اخرها قل انما علمها عند الله معناه على كيفيتها وشرح هيئتها وتفصيل ما فيها لا يعلمه الا الله فلا يكون تكرارا لغير فائدة وقال قتادة الذين سالوا عن ذلك قريش وقال ابن عباس هم قوم من اليهود وقال الفراء فى الاية تقديم وتاخير وتقديرها يسئلونك عنها كانك حفى بهم قال الجبائى وفى الاية دليل على بطلان قول الرافضة من ان الائمة معصومون منصوص عليهم واحد بعد الاخر الى يوم القيمة لان على هذا لابد ان يعلم اخر الائمة ان القيمة تقوم بعده ويزول التكليف عن الخلق وذلك خلاف قوله قل انما علمها عند الله وهذا الذى ذكره باطل لانه لا يمتنع ان يكون اخر الائمة يعلم انه لا امام بعده وان لم يعلم متى تقوم الساعة لانه لا يعلم متى يموت فهو يجوز ان يكون موته عند قيام الساعة اذا اردنا بذلك انه وقت فناء الخلق وان قلنا ان الساعة عبارة عن وقت قيام الناس فى الحشر فقد زالت الشبهة لانه اذا علم انه يفنى الخلق بعده لا يعلم متى يحشر الخلق على انه قد روى ان بعد موت اخر الائمة يزول التكليف لظهور اشراط الساعة وتواتر اماراتها نحو طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة وغير ذلك ومع ذلك فلا يعلم وقت قيام الساعة ولهذا قال الحسن وجماعة من المفسرين بادروا بالتوبة قبل ظهور الست طلوع الشمس من مغربها والدجال والدابة وغير ذلك مما قدمناه فعلى هذا سقط السؤال قوله عز وجل قُلْ لَا اَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا اِلَّا مَا شَاۤءَ اللّٰهُ وَلَوْ كُنْتُ اَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ السُّوۤءُ اِنْ اَنَا اِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ اية بلا خلاف اقول امر الله تعالى نبيه عليه السلم ان يقول للمكلفين انى لا املك لنفسى نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله ان يملكنى اياه فمشيته تعم فى الاية واقعة تمليك النفع والضر لا على النفع والضر لانه لو كانت المشية انما وقعت على النفع والضر كان الانسان يملك ما شاء الله من النفع وكان يملك الامراض والاسقام وسائر ما يفعله الله فيه مما لا يجد له عن نفسه دفعا ومعنى الاية انى املك ما يملكنى الله من الاموال وما اشبهها ما يملكهم ويمكنهم من التصرف فيها على ما شاؤا وكيف شاؤا والضر الذى ملكهم الله اياه وهو ما مكنهم منه من الاضرار بانفسهم وغيرهم ومن لم يملكه الله شيئا منه لم يملكه وذلك يفسد تاويل المجبرة الذين قالوا معنى الاية ان الله يريد جميع ما ينال الناس من النفع والضر وان كان ظلما وجورا من افعال عباده وقوله عز وجل ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء معناه انى لو كنت اعلم الغيب لعلمت ما يربح من التجارات فى المستقبل وما يخسر من ذلك فكنت اشترى ما اربح واتجنب ما اخسر فيه فيكثر بذلك الاموال والخيرات عندى وكنت اعده فى زمان الخصب لزمان الجدب وما مسنى السوء يعنى الفقر اذا فعلت ذلك وقيل وما مسنى تعذيب وقيل وما مسنى جنون جوابا لهم حين نسبوه الى الجنون وقال ابن جريج لو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من العمل الصالح قبل حضور الاجل وهو قول مجاهد وابن زيد وقال البلخى لو كنت اعلم الغيب لكنت قديما والقديم لا يمسه السوء لان احدا لا يعلم الغيب الا الله وفى الاية دلالة على ان القدرة قبل الفعل لان قوله لو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير يفيد انه كان قادرا لانه لو لم يكن القدرة الا مع الفعل لو علم الغيب لما امكنه الاستكثار من الخير وذلك خلاف الاية وقوله تعالى ان انا الا نذير وبشير لقوم يؤمنون معناه لست الا مخوفا من العقاب محذرا من المعاصى ومبشرا بالجنة حاثا عليها غير عالم بالغيب لقوم يؤمنون فيصدقون بما اقول وخصهم بذلك لانهم الذين ينتفعون بانذاره وبشارته دون من لا يصدق به كما قال

هدى للمتقين قوله تعالى هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا
حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ فَلَمَّا
آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ايتان بلا خلاف اقول قرا اهل المدينة و
ابو بكر وعكرمة والاعرج شركا بكسر الشين منه الباقون بضم الشين على الجمع وقرا ابن يعمر فمرت بتخفيف
الراء وهو شاذ قال ابو علي الفارسي من قرا بكسر الشين منونا حذف المضاف كانه اراد جعلا له ذا شرك اي
ذا نصيب او ذوي شرك ويكون كقول من جمع فالقراءتان يؤولان الى معنى واحد والضمير في قوله له يعود الى
اسم الله كانه قال جعلا لله شركا وقال ابو الحسن كان ينبغي لمن قرا بكسر الشين ان يقول جعلا لغيره شركا وقول
من قرا جعلا له شركاء يجوز ان يريد جعلا لغيره فيه شركا فحذف المضاف فالضمير على هذا ايضا في له راجع الى الله
تعالى وقال ابو علي ويجوز ان يكون الكلام على ظاهره ولا يقدر حذف المضاف في قوله تعالى جعلا له وانما يريد
لغيره ولكن يقدر حذف المضاف الى شرك فيكون المعنى جعلا له ذوي شرك واذا جعلا له ذوي شرك كان في
المعنى مثل جعلا لغيره شركا فلا يحتاج الى تقدير جعلا لغيره شركا قال ابو علي ويجوز ان يكون قوله تعالى جعلا
له شركا جعل احدهما له شركا او ذوي شرك فحذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه كما حذف من قوله تعالى
لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم والمعنى على رجل واحد من احد رجلي القريتين وحكى الاخفش
ان الشرك والشريك واحد ويكون بمعنى النصيب قوله هو الذي كناية عن الله تعالى واخبار عن انه الذي
خلق البشر من نفس واحدة وهي ادم وخلق منها زوجها يعني حوا وقيل انه خلقها من ضلع من اضلاعه وبين
انه انما خلقها ليسكن اليها ادم ويانس بها وقوله فلما تغشاها معناه لما وطئها وجامعها وقيل تغشاها بدنو
لقضاء حاجة فقضى حاجته منها حملت ففي الكلام حذف حملت حملا خفيفا لان الحمل اول ما يكون خفيفا لانه الماء
الذي يحصل في رحمها والحمل بفتح الحاء ما كان في رحمها والحمل بفتح الحاء ما كان في الجوف وكذلك ما كان على
نخلة او شجرة فهو مفتوح وبكسر الحاء ما كان من الثقل على الظهر وقوله تعالى فمرت به معناه استمرت به وقامت
وقعدت وقيل شكت له والمها ثقلها ومن خفف الراء اراد شكت ومارت فلم تدر هي حامل ام لا وقال الحسن اغلاما
ام جارية وقوله تعالى فلما اثقلت اي صارت ذات ثقل كما يقال اثمر اي صار ذا ثمر وذلك قرب ولادها وقوله
تعالى دعوا الله ربهما يعني ادم وحوا دعوا الله اي سالاه لئن اتيتنا صالحا اي لو اعطيتنا ولدا صالحا قال الجبائي
صالحا معناه سليما من الافات صحيح الحواس والالات وقال غيره معنى صالحا مطيعا فاعلا للخير لنكونن من الشاكرين
اي نكون معترفين بنعمك علينا نعمة بعد نعمة تسديها الينا وقوله عز وجل فلما اتيهما صالحا يعني فلما اتى الله ادم
وحوا ولدا صالحا جعلا له شركاء واختلفوا في الكناية الى من ترجع في قوله جعلا فقال قوم هي راجعة الى الذكور و
الاناث من اولادهما والى جنسين ممن اشرك من نسلهما وان كانت الاولة تتعلق بهما ويكون تقدير الكلام فلما اتى الله
ادم وحوا الولد الصالح الذي تمنياه وطلباه جعل كفار اولادهما ذلك مضافا الى غير الله ويقوي ذلك
قوله تعالى فتعالى الله عما يشركون فلو كان الكناية عن ادم وحوا لقال عما يشركان وانما اراد تعالى الله عما يشرك
هذان النوعان او الجنسان وجمع على المعنى وقد ينتقل الفصيح من خطاب مخاطب الى خطاب غيره ومن كناية الى غيرها قال
الله تعالى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا لتؤمنوا بالله ورسوله فانصرف من مخاطبة الرسول الى مخاطبة
المرسل ثم قال وتعزروه وتوقروه يعني الرسول ثم قال وتسبحوه يعني الله تعالى قال الهذلي شعر يا لهف نفسي
كان جدة خالد وبياض وجهك للتراب الاعفر وقال كثير شعر اسيئي بنا او احسني لا ملومة لدينا ولا مقلية
ان تقلت فخاطبنا ثم ترك الخطاب وقال الاخر شعر فدى لك ناقتي وجميع اهلي ومالي انه منه اتاني ولم يقل
منك اتاني وليس لاحد ان يقول كيف يكنى عمن لم يجر له ذكر وذلك ان لنا عنه جوابين احدهما انه يجوز ذلك
اذا دل الدليل عليه كما قال حتى توارت بالحجاب ولم يتقدم للشمس ذكر وقال الشاعر شعر لعمرك ما يغني الثراء عن
الفتى اذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر ولم يتقدم للنفس ذكر والجواب الثاني انه تقدم ذكر ولد ادم في قوله
هو الذي خلقكم من نفس واحدة وانما اراد بذلك جميع ولد ادم وتقدم ايضا في قوله فلما اتاهما صالحا لان معنا

ولدا صالحا ويريد بذلك الجنس وان كان لفظه واحدا واذا تقدم مذكوران وعقبا بامر لا يليق باحدهما وجب
ان يضاف الى الاخر والشرك لا يليق بادم لانه نبي نزهه الله عن ذلك وعن جميع القبائح ويليق بكفار ولده ونسله
وجب ان يرده اليهم وقال الزجاج وابن الاخشاد جعل من كل نفس زوجها كانه قال وجعل من النفس زوجها
على طريق الجنس واضمر لتقدم الذكر وقال ابو مسلم محمد بن بحر الاصفهاني الكناية في جميع ذلك غير متعلقة
بادم وحوا وجعل الهاء في تغشاها والكناية في دعوا الله ربهما واتاهما صالحا راجعين الى من اشرك ولم يتعلق
بادم وحوا الا قوله خلقكم من نفس واحدة والاشارة بذلك الى جميع الخلق وكذلك قوله وجعل منها زوجها
ثم خص بها بعضهم كما قال هو الذي يسيركم في البر والبحر حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة
فخاطب الجماعة ثم خص راكب البحر فكذلك اخبر الله تعالى عن جملة امر البشر بانهم مخلوقون من نفس واحدة و
زوجها وهما ادم وحوا ثم عاد الذكر الى الذي سال الله تعالى ما سال فلما اعطاه اياه ادعا له الشركاء في
عطيته وقال قوم يجوز ان يكون عنى بقوله هو الذي خلقكم من نفس واحدة المشركين خصوصا اذ كان كل
بني ادم مخلوقون من نفس واحدة كانه قال خلق كل احد من نفس واحدة وخلق من النفس الواحدة زوجها
ومثله كثير نحو قوله عز وجل فاجلدوهم ثمانين جلدة والمعنى فاجلدوا كل واحد منهم وقال قوم ان الهاء في قوله
جعلا له شركاء راجعة الى الولد لا الى الله ويكون المعنى انهما طلبا من الله تعالى امثالا للولد الصالح فاشركا
بين الطلبتين كما يقول القائل طلبت مني درهما فلما اعطيتك شركته باخر اي طلبت اخر مضافا اليه فعلى هذا
يجوز ان يكون الكناية من اول الكلام الى اخره راجعة الى ادم وحوا فان قيل فعلى هذا فاي تعلق لقوله فتعالى
الله عما يشركون بذلك وكيف ينزه نفسه عن ان يطلب منه ولد اخر قلنا لم ينزه نفسه عن ذلك وانما نزهها
عن الاشراك به وليس يمتنع ان ينقطع هذا الكلام عن حكم الاول لانه قال بعد ذلك ايشركون ما لا يخلق
شيئا وهم يخلقون فنزه نفسه عن هذا الشرك دون ما تقدم فاما الخبر المدعى في هذا الباب فلا يلتفت اليه
لان الاخبار تبنى على ادلة العقول فاذا علمنا بدليل العقل ان الانبياء لا يجوز عليهم المعاصي تاولنا كل خبر
يتضمن خلافه او ابطلناه كما يفعل ذلك باخبار الجبر والتشبيه على ان هذا الخبر مطعون في سنده لانه
يرويه قتادة عن الحسن عن سمرة وهو مرسل لان الحسن لم يسمع من سمرة شيئا في قول البغداديين لان الحسن
قال بخلاف ذلك فيما روي عنه عمرو في قوله عز وجل فلما اتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما اتاهما قال هم
المشركون ويعارض ذلك ما روي عن سعيد بن جبير وعكرمة والحسن وغيرهم من ان الشرك غير منسوب الى
ادم وزوجته وان المراد به غيرهما على ان في الخبر انهما اشركا ابليس اللعين فيما ولدهما بان سمياه عبد الحرث
والاية تقتضي انهم اشركوا الاصنام التي لا تخلق وهي تخلق والتي لا تستطيع ضرا ولا نفعا وليس لابليس في الاية
ذكر ولو كان له ذكر لقال اتشركون من وقال في اخر القصة الهم ارجل يمشون بها وكذا لا يليق ذلك بابليس و
يقوي ان الاية مصروف عن ادم الى ولده انه قال فلما تغشاها ولو كان منسوقا على النفس الواحدة لقال
فلما تغشيها لان ذلك هو الاجود الافصح وان جاز خلافه وحكى البلخي عن قوم انهم قالوا لو صح الخبر لم يكن في
ذلك الا اشراكا في التسمية وليس ذلك بكفر ولا معصية كبيرة وذهب اليه كثير من المفسرين واختاره الطبري

قوله عز وجل أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ وَإِنْ
تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ ثلاث ايات بلا خلاف اقول قرا
نافع لا يتبعوكم وفي الشعراء يتبعهم بالتخفيف الباقون بالتشديد وهما لغتان وبالتشديد اكثر قال ابو زيد تقول
رايت القوم فاتبعتهم اتباعا اذا سبقوك فاسرعت نحوهم ومروا علي فاتبعتهم اتباعا اذا ذهبت معهم ولم يستبقوك
قال وتبعتهم اتبعهم تبعا مثل ذلك في الاية توبيخ من الله وتعنيف للمشركين وان خرج مخرج الاستفهام بانهم
يعبدون مع الله جمادا لا يخلق شيئا من الاجسام ولا ما يستحق به العبادة وهم مع ذلك مخلوقون محدثون
ولهم خالق خلقهم ونبههم بذلك على انه لا ينبغي ان يعبد الا من يقدر على انشاء الاجسام واختراعها وخلق
اصول النعم التي يستحق بها العبادة وان ذلك لا يقدر عليه الا الله تعالى الذي ليس بجسم القادر لنفسه ثم

بين ان هذه الاشياء التي يعبدونها ويتخذونها الهة واشركوها مع الله تعالى لا تقدر لمن عبدها واتخذها
الها على نفع ولا على ضر ولا ان ينصروهم ولا ان ينصروا انفسهم ان اراد بهم غيرهم سوء ومن هذه صورته فهو
على غاية العجز ولا يجوز ان يكون الها وانما يجب ان يكون كذلك من يقدر على الضر والنفع ونصرة اوليائه وقوله
تعالى وان تدعوهم الى الهدى لا يتبعوكم معناه ان الاصنام والاوثان التي كانوا يعبدونها ويتخذونها الهة
ان دعوها الى الهدى والرشد لم يسمعوا ذلك ولا تمكنوا من اتباعهم لانها جمادات لا تفقه ولا تعقل في قول
ابي علي وغيره وقال الحسن ان ذلك راجع الى قوم من المشركين قد عموا بالكفر فهم لا يعلمون ثم قال سواء عليكم
ادعوتموهم ام انتم صامتون يعني سواء عندها دعاؤها والسكوت عنها لكونها جمادا لا تعقل وانما قال ام
انتم صامتون ولم يقل ام صمتم ليكون في مقابلة ادعوتموهم فيفيد الماضي والحال لان المقابلة دلت على معنى
الماضي واللفظ يدل على معنى الحال وعليه اكثر الكلام يقولون سواء علي اقمت ام قعدت ولا يقولون اقمت
ام انت قاعد قال الشاعر شعر سواء اذا ما اصلح الله امرهم علينا ادثرما لهم ام اصارم وانشد الكسائي
سواء عليك القفر ام بت ليلة باهل القباب من عمير بن عامر وانشد بعضهم ام انت بائت قوله عز
وجل إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ آية
بلا خلاف اقول انما قال ان الذين وهو يريد الاصنام لانها لما كانت عندهم معبودة تنفع وتضر جاز ان
ان يكنى عنها بما يكنى عن الحي كما قال في موضع اخر بل فعله كبيرهم هذا فاسئلوهم ولم يقل فعله كبيرها فاسئلوها
وقال والشمس والقمر رايتهم لي ساجدين لما اضاف السجود اليهما جمعها بالواو والنون التي تختص العقلاء
ومعنى من دون الله غير الله لانه قال كل مدعو الها غير الله عباد امثالكم ومن لابتداء الغاية في الدعا دون دعا
الله الى حيث انتهى انما هو لعباد الله ثم قال عباد امثالكم فانما سماها كذلك لان التعبد التذلل فلما كانت
الاصنام تتصرف على مشية الله وهي غير ممتنعة عما يريد الله تعالى بها كانت بذلك في معنى العباد ويقال عبد
الطريق اذا وطئته حتى تفرده وتسهل سلوكه ومنه قوله عز وجل وتلك نعمة تمنها علي ان عبدت بني اسرائيل اي
ذللتهم واستخدمتهم ضروبا من الخدم وقال الجبائي وغيره معنى عباد اي املاك لربهم كما انتم عبيد له فان كنتم
صادقين في ادعاءكم انها الهة فادعوهم فليستجيبوا الدعاءكم وهذه لام الامر على معنى التعجيز كما قال هاتوا
برهانكم ان كنتم صادقين فاذا لم يستجيبوا لكم لانها لا تسمع دعاءكم فاعلموا انها لا تنفع ولا تضر ولا تستحق
العبادة فاما من قال ان الاصنام تعبد الله على الحقيقة كما تعبد العقلاء وان كنا لا نفقه ذلك فقد تجاهل
لان العبادة ضرب من الشكر والشكر هو الاعتراف بالنعمة مع ضرب من التعظيم والعبادة وان كانت شكرا
فانه يقارنه خضوع وتذلل وكل ذلك يستحيل من الجماد ويحتمل من حيث انهم توهموا انها تضر وتنفع فقيل لهم ليس
يخرج بذلك عن حكم الله تعالى وقال الحسن معناه انها مخلوقة امثالكم والعبد المملوك من جنس ما يعقل لان
الثوب مملوك ولا يسمى عبدا وقيل الدعا الاول في الاية تسميتهم الاصنام الهة فانه قال ان الذين تدعون
الهة من دون الله فاطلبوا منهم المنافع وكشف المضاد فاذا كان ذلك مايوسا منها فعبادتها جهل وسخف وقوله
ان كنتم صادقين قال الحسن معناه في انهم الهة قوله عز وجل أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا
أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنْظِرُونِ آية بلا
خلاف اقول قرا ابو جعفر يبطشون يبطش بضم الطاء حيث وقع الباقون بكسرها وهما لغتان والكسر افصح
واكثر وكيدون بياء في الحالين الوقف والوصل الحلواني عن هشام ويعقوب وافقهما في الوصل ابو عمرو وابو
جعفر واسمعيل والداجوني عن هشام الباقون بغير ياء في الحالين تنظروني بياء في الحالين يعقوب قال ابو علي
الفارسي الفواصل وما اشبهها من الكلام التام تجري مجرى القوافي لاجتماعهما في ان الفاصلة اخر الاية
كما ان القافية اخر البيت وقد الزموا الحذف في هذا الباب في القوافي كقوله شعر فهل يمنعني ارتيادي البلاد
من حذر الموت ان ياتين والياء التي هي لام كذلك نحو قوله شعر يلمس الاحلاس في منزله بيديه كاليهودي
المصل اكد الله تعالى في هذه الاية الحجة على المشركين في انه لا ينبغي لهم ان يعبدوا هذه الاصنام ولا

يتخذونها الهة فقال الهم ارجل يمشون بها لان لفظه وان كان لفظ الاستفهام فالمراد به الانكار ولا لهم
ايد يبطشون بها ولا اعين يبصرون بها ولا اذان يسمعون بها فعرفهم بذلك انهم دون منزلتهم وان الكفار
مفضلون عليهم بما انعم الله عليهم من هذه الحواس التي لم يؤت الاصنام واذا كنتم مفضلين عليها وكنتم اقدر
على الاشياء واعلم فكيف يجوز لكم ان تتخذوها مع ذلك الهة لانفسكم وقوله تعالى قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون
فلا تنظرون معناه ادعوا هذه الاوثان والاصنام التي تزعمون انها الهة وتشركونها في اموالكم فتجعلون لها
حظا من الاموال والمواشي وتوجهون عبادتكم اليها اشراكا بالله لها واسئلوهم ان يضروني وان يكيدوني
معكم ولا تؤخروا ذلك ان قدروا عليه ومتى لم يتمكنوا من ذلك فتبينوا انها لا تستحق العبادة لانها في غاية
الضعف والعجز قوله عز وجل إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ آية بلا خلاف اقول
روى ابن خنيس عن السوسي ان ولي الله بياء مشددة مفتوحة الباقون بثلاث ياءات الاولى ساكنة والثانية
مكسورة والثالثة مفتوحة على الاضافة ومن قرا مشددا احذف الوسطى وادغم الاولى في الثالثة ولا يجوز
ادغام الثانية في الثالثة لانها متحركة وقبلها ساكن لا يمكن الادغام امر الله تعالى نبيه عليه السلام ان يقول
للمشركين ان ولي الله الذي يحفظني وينصرني ويحوطني ويدفع شركم عني هو الله الذي خلقني واياكم جميعا
ويملكني ويملككم الذي نزل القران وهو ينصر الصالحين الذين يطيعونه ويجتنبون معاصيه تارة بالحجة و
اخرى بالدفع عنهم قوله عز وجل وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ
آية بلا خلاف اقول هنا عطف على الاية الاولى فكانه قال قل وليي الله القادر على نصرتي عليكم وعلى من اراد بي
ضرا والذين تتخذونهم انتم الهة لا يقدرون على ان ينصروكم ولا ان يدفعوا عنكم ضررا ولا يقدرون ان ينصروا
انفسهم ايضا لو ان انسانا اراد بهم سوء من كسر او غيره وانما كرر هذا المعنى لانه ذكره في الاية التي قبلها على
وجه التقريع وذكره ههنا على وجه الفرق بين صفة من يجوز له العبادة ممن لا يجوز كانه قال ان ناصري الله ولا
ناصر لكم ممن تعبدون وانما قال تدعون من دونه وهم يدعونه معه لان معنى من دونه من غيره ومع ذلك فانه
بمنزلة من افرد غيره بالعبادة في عظم الكفر والشرك قوله عز وجل وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ
يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ آية بلا خلاف اقول قال الفراء والزجاج المعنى ان دعوتم هؤلاء الذين تعبدونهم
من الاصنام الى صلاح ومنافع لا يسمعوا دعاءكم وتراهم فاتحة اعينهم نحوكم على ما صورتموهم عليه من الصور وهم
مع ذلك لا يبصرونكم قال الجبائي جعل الله انفتاح عيونهم في مقابلتهم نظرا منهم اليهم مجازا لان النظر حقيقة
تقليب الحدقة الصحيحة نحو المرئي طلبا لرؤيته وذلك لا يتاتى في الجماد ويقال في اللغة يتناظر الحائطان اذا تقابلا
وكل شئ قابل غيره يقال نظر اليه وقال الحسن المعنى وان تدع يا محمد المشركين فلم يجعل الكناية عن الاوثان وقال
الرماني الكناية عن الاوثان لانهم جعلوها تضر وتنفع كما يكون ذلك فيما يعقل وفي الاية دلالة على ان النظر
غير الرؤية لانه تعالى اثبت النظر ونفي الرؤية وقوله وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون وجه الخطاب الى
النبي صلى الله عليه واله ولو كان امره بخطاب المشركين بمعنى قل لهم لقال وترونهم وقال السدي ومجاهد
اراد به المشركين فعلى هذا يكون قوله وان تدعوهم خطابا للنبي عليه السلم انه ان دعا المشركين الى الهدى لا يسمعوا
بمعنى لا يقبلوا وهم يرونه ولا ينتفعون برؤيته قوله عز وجل خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ
آية بلا خلاف اقول امر الله تعالى نبيه ان ياخذ مع الناس بالعفو وهو التساهل فيما بينه وبينهم وقبول
اليسير منهم الذي سهله عليهم ويتيسر فعله لهم وان يترك الاستقصاء عليهم في ذلك وهذا يكون في مطالبة
الحقوق الواجبة لله تعالى وللناس وفي غيرها وهو في معنى الخبر عن النبي عليه السلم رحم الله سهل القضا سهل
الاقتضاء ولا ينافي ذلك ان لصاحب الحق والديون وغيرها استيفاء الحق وملازمة صاحبه حتى يستوفيه
لان ذلك مندوب اليه دون ان يكون واجبا وقد يكون العفو في قبول العذر من المعتذر وترك المؤاخذة
بالاساءة وقوله وامر بالعرف يعني بالمعروف وهو كل ما حسن في العقل فعله او في الشرع ولم يكن منكرا و
قبيحا عند العقلاء وقوله عز وجل واعرض عن الجاهلين امر بالاعراض عن الجاهل والسفيه الذي ان كلمه

سفه عليه واذاه بكلامه وامره اذا اقام عليهم الحجة وبين بطلان ما هم عليه من الكفر والمعاصى ان يعرض عنهم
ولا يجاوبهم فى مكروه بسمعه صيانة لنفسه عنهم وقال عطا العفو الفضل وقال مجاهد العفو من اخلاق
الناس وعفوا اموالهم من غير تجسس عليهم وقال ما عفا لك من اموالهم وذلك قبل فرض الزكوة وقال السدى
نسخ بقوله واغلظ عليهم وروى عن النبى صلى الله عليه وآله فى قوله وامر بالعرف ان جبرئيل قال له معناه تصل من
قطعك وتعطى من حرمك وتعفو عمن ظلمك قوله عز وجل وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللّٰهِ
إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ اية بلا خلاف اقول النزغ ادنى حركة تقول نزغته اذا حركته والمعنى ان نالك يا محمد من الشيطان
ادنى نزغ من نبذة وسوء عشرة فاستعذ بالله ان يعيذك ويحفظك عنه فانه سميع للمسموعات وعالم بالخفيات
يسمع دعاء من يدعوه ويعلم دعاه وما يستحق بذلك من الله والنزغ الفساد ايضا يقال نزغ فلان بيننا اى
افسد ومنه قوله تعالى نزغ الشيطان بينى وبين اخوتى يقال نزغ فلان بيننا ونزغ ينزغ ونغر ينغر اذا افسد
وموضع ينزغنك جزم بان التى للجزاء الا انه لا يبين فيه الاعراب لانه مبنى مع نون التاكيد على الفتح اذا كانت
مشددة ولا بد من تحريك ما قبلها فى الجزم لالتقاء الساكنين والنزغ الازعاج بالاغواء واكثر ما يكون ذلك
عند الغضب واصل الازعاج بالحركة نزغته انزغه نزغا قوله عز وجل إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ
الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ اية بلا خلاف اقول قرا ابن كثير واهل البصرة والكسائى طيف بغير الف
وبغير همز الباقون بالف بعدها همزة قال ابو الحسن الطيف فى كلام العرب اكثر من طائف وقال ابو زيد
طاف الرجل يطوف طوفا اذا اقبل وادبر واطاف يطيف طوفا اذا جعل يستدير بالقوم ويأتيهم من نواحيهم
وطاف الخيال طيفا اذا الم فى المنام وقال ابو عبيدة طيف من الشيطان بان يلم به لمّا يقال منه طفت اطيف
طيفا وقال قوم الطايف ما طاف بك من وسوسة الباطل والطيف اللمم والمس وقال ابو عمرو بن العلاء الطيف
الوسوسة وحكى الرمانى ان الطيف اصله طيف من الواو مثل سيد وميت فخفف وانشد ابو عبيدة للاعشى
فى الالمام شعر وتصبح عن غب السرى فكانما الم بها من طايف الجن اولق وكان معنى الاية اذا مسهم من
ينظرهم نظرة من الشيطان ويكون طايف مثل العاقبة والعافية مما جاء المصدر منه على فاعل وفاعلة فالطيف
اكثر لان المصدر على هذا الوزن اكثر منه على وزن فاعل والطايف كالخاطر وقال الحسن معناه يطوف عليهم
الشيطان بوساوسه فيقبل بعض وحيه من يعصى الله وقوله تذكروا اى تذكروا ما عندهم من المخرج والتوبة
فاذا هم مبصرون قد تابوا وقال مجاهد هم المؤمنون اذا مسهم طيف اى غضب وقال سعيد بن جبير هو الرجل
يهم بالذنب فيذكر الله تعالى فيتركه اخبر الله تعالى بان الذين يتقون الله باجتناب معاصيه اذا وسوس اليهم
الشيطان واغراهم بمعاصيه تذكروا فعرفوا ما عليهم من العقاب بذلك فيجتنبونه ويتركونه وقال مجاهد و
سعيد بن جبير الطيف الغضب وقال ابن عباس والسدى هى الزلة ان ارتكبها تاب منها واذا الاولى بمنزلة الجزاء
ولها جواب والثانية بمعنى المفاجات كقولك خرجت فاذا زيد وقال ابن عباس الطيف النزغ وقال ابو عمرو بن
العلاء الوسوسة وقال غيره هو اللمم قوله عز وجل وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ اية بلا خلاف
اقول قرا يُمِدُّونَهُمْ بضم الياء وكسر الميم نافع الباقون بفتح الياء وضم الميم معنى الاية ان اخوان الشياطين من
الكفار يمدهم الشياطين فى الغى ومعناه يزيدونهم فى الغواية والاضلال ويزينون لهم ما هم فيه ثم اخبر ان هؤلاء مع
مع ذلك لا يقصرون كما يقصر الذين اتقوا اذا مسهم طيف من الشيطان وهو قول ابن عباس والسدى وابن جريج
وابى على واكثر المفسرين وقال مجاهد واخوان الشياطين لا يقصرون عن استغوائهم ولا يرحمونهم وقصرت
واقصرت لغتان والقراءة على لغة اقصرت ومن ضم الياء فلقوله تعالى انما نمدهم به من مال وبنين وقوله عز وجل
وامددناهم بفاكهة وقوله اتمدوننى بمال ومن فتح الياء فلقوله تعالى ونمدهم فى طغيانهم يعمهون وامددت فيما
يستحب ومددت فيما يكره قال ابو زيد امددت القايد بالجند وامددت الدواة وامددت القوم بالمال والرجال
وقال ابو عبيدة يمدونهم فى الغى اى يزينون لهم يقال مد له فى غيه هكذا يتكلمون به ووجه قراءة نافع قوله تعالى
فبشرهم بعذاب اليم قوله عز وجل وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَى إِلَيَّ مِنْ رَبِّي هَٰذَا
وقال قتادة قوله ثم لا يقصرون يعنى

بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ اية بلا خلاف اقول معنى الاية انك يا محمد اذا لم تأتهم باية
يقترحونها قالوا لولا تطلبها من الله فيأتينا بها وقوله لولا معناه هلا اجتبيتها معناه اختلقتها وافتعلتها
من قبل نفسك فى قول الزجاج والفراء والحسن والضحاك وقتادة معناه هلا اخذتها من ربك و
تقبلتها منه ويكون الاجتباء بمعنى الاختيار وقال الفراء اجتبيت الكلام واختلقته وارتجلته اذا افتعلته
من قبل نفسك وقال ابو عبيدة اخترعته مثل ذلك وقال ابو زيد هذه الحروف تقولها العرب للكلام
يبتدئه الرجل لم يكن اعده قبل ذلك فى نفسه فامر الله تعالى نبيه عليه السلم ان يقول لهم انى لست اتى
بالايات من عندى وانما يفعلها الله ويظهرها على حسب ما يعلم من المصلحة فى ذلك لا بحسب اقتراح
الخلق وانما اتبع ما يوحى الى وقوله هذا بصائر من ربكم يعنى هذا القران حجج وبراهين وادلة من ربكم
والبصائر جمع بصيرة وهى البراهين الواضحة والحجج النيرة ويكون البصائر جمع بصيرة وهى طريقة الدم
والبصيرة الترس ايضا وجمعها بصائر ومعناها كلها ظهور الشئ وبيانه وانما قال هذا فوحد لان المراد
به القران وقوله تعالى وَهُدًى يعنى بيان وحجة ورحمة لقوم يؤمنون فاضافه اليهم لانهم المنتفعون
بها دون غيرهم من الكفار وان كان بيانا للكل وقال الجبائى قوله هذا بصائر اشارة الى الادلة الدالة على
التوحيد وصفاته وعدله وحكمته وصحة نبوة النبى وصحة ما اتى به النبى عليه السلام قوله عز وجل وَإِذَا
قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ اية بلا خلاف اقول امر الله تعالى المكلفين بانه
اذا قرئ القران ان يستمعوا له ويصغوا اليه ليفهموا معانيه ويعتبروا بمواعظه وان ينصتوا لتلاوته
وتدبروه ولا يلغوا فيه ليرحمهم بذلك ربهم وباعتبارهم به واتعاظهم بمواعظه واختلفوا فى الوقت
الذى امروا بالانصات والاستماع فقال قوم امروا حال كون المصلى فى الصلوة خلف الامام الذى
يأتم به وهو يسمع قراءة الامام فعليه ان ينصت ولا يقرأ ويستمع لقراءته ومنهم من قال لانهم كانوا
يتكلمون فى صلوتهم ويسلم بعضهم على بعض واذا دخل داخل وهم فى الصلوة قال لهم كم صليتم فيخبرونه
وكان مباحا فنسخ ذلك ذهب اليه عبد الله بن مسعود وابو هريرة والزهرى وعطا وعبيد بن ابى عمير
ومجاهد وقتادة وسعيد بن المسيب وسعيد بن جبير والضحاك وابرهيم وعامر الشعبى وابن عباس وابن
زيد واختاره الجبائى وقال قوم هو امر بالانصات للامام اذا قرأ القران فى خطبته روى ذلك عن مجاهد
وقال قوم هو امر بذلك فى الصلوة والخطبة روى ذلك عن مجاهد ايضا والحسن واقوى الاقوال الاول
لانه لا حال يجب فيها الانصات لقراءة القران الا حال قراءة الامام فى الصلوة فان على المأموم الانصات
لذلك والاستماع له فاما خارج الصلوة فلا خلاف انه لا يجب الانصات والاستماع وعن ابى عبد الله عليه
السلام انه فى حال الصلوة وغيرها وذلك على وجه الاستحباب قال الجبائى يحتمل ان يكون اراد بالاستماع
اذا قرأ النبى عليه السلم عليهم ذلك فانه كان فيهم من المنافقين من لا يستمع لذلك والاول اكثر فائدة
واعم وقال الزجاج يجوز ان يكون الامر بالاستماع للقران للعمل بما فيه وان لا يتجاوزه كما يقول سمع الله لمن
حمده بمعنى اجاب الله دعاه لان الله سميع عليم والانصات السكوت علته مع الاستماع قال الطرماح
يصف وحشا وحذرها الصيادين يخافتن من بعض المضغ من خشية الردى وينصتن للسمع انصات العاقر
عراف الماء قوله عز وجل وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ
وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ اية بلا خلاف اقول امر الله تعالى نبيه عليه السلم ان يذكره على حال التضرع والمراد
به الامة ونصب تضرعا على الحال وعلى وجه الخوف من عذابه والخيفة هو الخوف ويكون دعاؤه خالصا
لله ويفعل هذا الدعاء بالغدو وهو اول النهار والاصال وهو جمع اصل والاصل جمع الاصيل فالاصال
جمع الجمع وتصغيره اصيلان على بدل النون وقال قوم هو جمع اصل والاصل يقع على الواحد والجمع ومعناه
العشيات وهو ما بين العصر الى غروب الشمس وقال ابن زيد الخطاب متوجه الى المستمع للقران اذا تلى ثم
اكد توصية له فى الدعاء بقوله ولا تكن من الغافلين والمعنى لا تكن من الغافلين عما امرتك به من الدعاء له

والذكر لله وقال الجبائى فى الاية دليل على ان الذين يرفعون اصواتهم بالدعاء ويجهرون بها مخطؤن على خلاف الصواب من قرء وخفية اراد اخف الدعاء واترك الاجهاد وهو تاكيد لما امر به من الدعاء اخفاء وقوله ودون الجهر يعنى دعاء باللسان فى خفاء الاجهاد وقال قوم الاية متوجهة الى من امر بالاستماع للقرآن والانصات له الذين كانوا اذا سمعوا القران رفعوا اصواتهم بالدعاء عند ذكر الجنة او النار ذهب اليه ابن زيد ومجاهد وقتادة ابن جريج واختاره الطبرى والاولى ان يكون ذلك متوجها الى النبى والمراد به جميع الامة فانه اكثر فائدة وانما امر بالذكر فى النفس وان كان لا يعقد عليه العبد لامرين احدهما ان المراد به التعرض للذكر من جهة الفكر وهذا فى الذكر المضاد للسهو الثانى انه امر بالذكر الذى هو القول فيما يخفى كحديث النفس

قوله عز وجل إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ اية بلا خلاف اقول بين الله تعالى ان الذين عنده وهم الملائكة ومعناه انهم عنده بالمنزلة الجليلة لا بقرب المسافة لانه تعالى ليس فى مكان ولا جهة فيقرب غيره منه لان ذلك من صفات الاجسام وهذا حث منه على الطاعة والاستكانة والخضوع له لان الملئكة مع فضلها وارتفاع منزلتها اذا كانت لا تستكبر عن عبادته بل تسبحه دائما وتسجد مثل ذلك فبنوا ادم بذلك اولى واحق وهم اوجب والزم قال الجبائى معنى عند ربك انهم فى المكان الذى لا يملك فيه الحكم بين الخلق سواه لانه ملك عبادة الحكم فى الارض على وجه حسن قال ويجوز ان يكون المراد بذلك انهم رسله الذين يبعثهم فى امور الانس واذا كانوا رسله جاز ان ينسبهم الى نفسه فيقول انهم عنده كما يقال عند الخليفة جيش كثير ولا يراد به فى مكانه ولا بالقرب منه وانما يراد انهم اصحابه وان كانوا متفرقين فى البلاد وقال الزجاج من قرب منه رحمة الله وفضله فهو عند الله اى هو قريب من تفضله واحسانه وهذه اول سجدات القران وهى عندنا مستحبة غير واجبة وفى ذلك خلاف بين الفقهاء ذكرناه فى الخلاف وسبب نزول الاية ان قريشا لما قالت وما الرحمن انسجد لما تامرنا فنزلت هذه الاية

سورة الانفال

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ هذه السورة مدنية فى قول قتادة وابن عباس ومجاهد وعثمان وقال هى اول ما نزل على النبى عليه السلم بالمدينة وحكى عن ابن عباس انها مدنية الا سبع ايات اولها واذ يمكر بك الذين كفروا الى اخر سبع ايات بعدها وهى خمس وسبعون اية فى الكوفى وسبع وسبعون اية فى الشامى وست فى المدنيين والبصرى

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلّٰهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللّٰهَ وَاَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَاَطِيعُوا اللّٰهَ وَرَسُولَهُ اِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ اية بلا خلاف اقول اختلف المفسرون فى معنى الانفال هنهنا فقال بعضهم هى الغنائم التى غنمها النبى عليه السلام يوم بدر فسالوه لمن هى فامر الله تعالى نبيه ان يقول لهم هى لله ولرسوله ذهب اليه عكرمة ومجاهد والضحاك وابن عباس وقتادة وابن زيد وقال قوم هى انفال السرايا ذهب اليه على بن صالح بن يحيى وقال قوم هو ما شذ من المشركين الى المسلمين من عبد او جارية من غير قتال او ما اشبه ذلك عن عطا وقال هو للنبى عليه السلم خاصة يعمل به ما يشاء وروى عن ابن عباس فى رواية اخرى انه ما سقط من المتاع بعد قسمة الغنائم من الفرس والدرع والرمح وفى رواية اخرى انه سلب الرجل وفرسه ينفل النبى عليه السلم من شاء وقال قوم هو الخمس روى ذلك عن مجاهد قال قال المهاجرون لم يرفع منا هذا الخمس ويخرج منا فقال الله هو لله والرسول وروى عن ابى جعفر وابى عبد الله ان الانفال كلما اخذ من دار الحرب بغير قتال اذا انجلى عنها اهلها وتسميه الفقهاء فيئا وميراث من لا وارث له وقطايع الملوك اذا كانت فى ايديهم من غير غصب والاجام وبطون الاودية والموات وغير ذلك مما ذكرناه فى كتب الفقه وقالا هو لله وللرسول وبعده للقائم مقامه يصرفه حيث يشاء من مصالح نفسه ومن يلزمه مؤنته ليس لاحد فيه شئ وقالا ان غنائم بدر كانت للنبى عليه السلم خاصة فسالوه ان يعطيهم وفى قرائة اهل البيت يسئلونك الانفال فانزل الله تعالى قوله قل الانفال لله وللرسول ولذلك قال الله واصلحوا ذات بينكم ولو سالوه

عن موضع الاستحقاق لم يقل اتقوا الله والانفال جمع نفل والنفل هو الزيادة على الشئ يقال نفلتك كذا اذا زدته قال لبيد بن ربيعة شعر ان تقوى ربنا خير نفل وباذن الله ريثى والعجل والنفل هو ما اعطيه المرء على البلاء والغناء على الجيش على غير قسمة وكل شئ كان زيادة على الاصل فهو نفل ونافلة ومنه قيل لولد الولد نافلة ولما زاد على فرائض الصلوة نافلة قلت واختلفوا فى سبب نزول هذه الاية فقال قوم نزلت فى غنائم بدر لان النبى عليه السلم كان نفل اقواما على بلاء فابلى اقوام وتخلف آخرون مع النبى عليه السلم فلما انقضى الحرب اختلفوا فقال قوم نحن اخذ نا لانا قتلنا وقال اخرون نحن احطنا بالنبى عليه السلم ولو اردنا لاخذنا وقال اخرون نحن كنا وراءكم نحفظكم فانزل الله هذه السورة الاية يعلمهم ان ما فعل فيها رسول الله ماض جائز ذهب اليه ابن عباس وعكرمة وعبادة بن الصامت وقال قوم نزلت فى بعض اصحاب النبى عليه السلم سال من المغنم شيئا قبل قسمتها فلم يعطه اياها اذ كان شركا بين الجيش فجعل الله جميع ذلك للنبى عليه السلام روى ذلك عن سعد بن مالك وهو ابن ابى وقاص قال وكان سيف سعيد بن العاص لما قتله اخوته وكان يسمى ذا الكتيفة قال سعد اتيت النبى عليه السلم فسالته سيفا فقال ليس هذا لى ولا لك فوليت عنه قال فاذا رسول الله صلى الله عليه واله خلفى فقال ان السيف قد صار لى فاعطانيه ونزلت الاية وروى عن ابى اسيد مالك بن ربيعة قال اصبت سيف بن عابد وكان يسمى المرزبان فالقيته فى النفل فقام الارقم بن ابى الارقم المخزومى فسال رسول الله فاعطاه اياه وقال اخرون ان اصحاب النبى عليه السلم سالوه ان يقسم غنيمة بدر عليهم يوم بدر واعلمهم الله ان ذلك لله ولرسوله دونهم ليس لهم فيه شئ وقالوا معنى من وكان ابن مسعود يقرؤه يسئلونك الانفال على هذا التاويل وهذا مثل ما رويناه عن ابى جعفر وابى عبد الله روى ذلك عن الاعمش والضحاك عن ابن مسعود وروى ذلك عن ابن عباس وابن جريج وعمرو بن شعيب عن ابيه عن جده وعن الضحاك وعكرمة واختاره الطبرى وهو قول الحسن وقال الحسن هو قال رسول الله صلى الله عليه واله ايما سرية خرجت بغير اذن امامها فما اصابت من شئ فهو غلول وقال الزجاج كانت الغنائم قبل النبى عليه السلم حراما فسالوا النبى عن ذلك فنزلت الاية وهذا بعيد واختلفوا اهل هى منسوخة ام لا فقال قوم هى منسوخة بقوله واعلموا انما غنمتم من شئ الاية وروى ذلك عن مجاهد وعكرمة والسدى وعامر الشعبى واختاره الجبائى وقال اخرون ليست منسوخة ذهب اليه ابن زيد واختاره الطبرى وهو الصحيح لان النسخ محتاج الى دليل ولا تنافى بين هذه الاية وبين اية الخمس فيقال انها نسختها واختلفوا اهل لاحد بعد النبى عليه السلم ان ينفل احدا ذكرناه فى الخلاف فقال سعيد بن المسيب لا نفل بعد رسول الله وبه قال عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده وعندنا وعند جماعة من الفقهاء واختار الطبرى ان للائمة ان يتاسوا بالنبى عليه السلم فى ذلك وقوله فاتقوا الله واصلحوا ذات بينكم امر من الله للمكلفين ان يتقوا معاصيه ويفعلوا طاعاته وان يصلحوا ذات بينهم واختلفوا فى معناه فقال قوم هو ان النبى عليه السلم كان ينفل الرجل من المؤمنين سلب الرجل من الكفار اذا قتله فلما نزلت الاية امرهم ان يرد بعضهم على بعض ذهب اليه قتادة وابن جريج وقال قوم هذا نهى من الله للقوم عن الاختلاف فيما اختلفوا فيه من امر الغنيمة يوم بدر ذهب اليه مجاهد وابن عباس وسفيان والسدى واختلفوا لم قال ذات بينكم فانث والبين مذكر فقال قوم اراد ذات بينكم للحال التى للبين كما يقولون ذات العشاء يريدون الساعة التى فيها العشاء ولم يضيفوا مذكر الى مؤنث ولا مؤنثا الى مذكر قال الزجاج اراد الحال التى يصلح بها امر المسلمين وقال الاخفش جعله ذات لان بعض الاشياء يوضع عليه اسم المؤنث وبعضه يذكر مثل الدار والحائط انث الدار وذكر الحائط وقوله واطيعوا الله ورسوله ان كنتم مؤمنين امر من الله للخلق ان يطيعوه ولا يعصوه ويطيعوا رسوله فيما يامرهم به ان كانوا مصدقين لرسوله فيما ياتيهم به من قبل الله لانهم متى لم يطيعوه ولا يقبلوا منه لم يكونوا مؤمنين وروى ان رسول الله صلى الله عليه واله قسم غنائم بدر بينهم عن سواء يعنى سواء ولم يخمس وانما خمس بعد ذلك وقال الزجاج ذات بينكم معناه حقيقة وصلكم والبين الوصل لقوله تعالى لقد تقطع بينكم اى وصلكم قوله عز وجل اِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ

اِذَا ذُكِرَ اللّٰهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَاِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ اٰيَاتُهُ زَادَتْهُمْ اِيمَانًا وَعَلٰى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ اَلَّذِينَ يُقِيمُونَ
الصَّلٰوةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ اُولٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ
كَرِيمٌ ثلث ايات بلاخلاف اقول استدل من قال ان الايمان يزيد وينقص وان افعال الجوارح قد
يكون ايمانا بهذه الايات فقالوا نفى الله ان يكون المؤمن الامن اذا ذكر الله وجل قلبه واذا تليت عليه اى
قرئت زادتهم الاية ايمانا بمعنى انهم يزدادون عند تلاوتها ايمانا وانهم على الله يتوكلون فى جميع امورهم
الذين يقيمون الصلوة بمعنى ياتون بها على ما بينها النبى عليه السلم وينفقون مما رزقهم الله فى
ابواب البر واخراج الواجبات من الزكوات وغيرها ثم وصفهم بان هؤلاء الذين وصفهم بهذه الاوصاف
هم المؤمنون حقا يعنى الذين اخلصوا الايمان لا كمن كان له اسمه على الظاهر وان لهم الدرجات عند الله و
هى المنازل التى يتفاضل بها بعضهم على بعض وان لهم المغفرة والرزق الكريم فدل على ان من ليس كذلك
ليس له ذلك ومن خالف فى ذلك قال هذه اوصاف افاضل المؤمنين وخيارهم وليس يمتنع ان يتفاضل
المؤمنون فى الطاعات وان لم يتفاضلوا فى الايمان يبين ذلك انه قال فى اول الاية اذا ذكر الله وجلت قلوبهم
ووجل القلب ليس بواجب بلاخلاف وانما ذلك من المندوبات وقوله واذا تليت عليهم اياته زادتهم ايمانا وعلى
ربهم يتوكلون لانه اذا صدق باية اية انها من عند الله فلاشك ان معارفه يزداد وان لم يزد بفعل الجوارح
وقوله الذين يقيمون الصلوة يدخل فى ذلك الفرايض والنوافل ولاشك ان الاخلال بالنوافل لا يخرج
من الايمان ولا ينقص منه عند الاكثر والانفاق ايضا قد يكون بالواجب والنفل والاخلال بما ليس بواجب منه
لا يخرج من الايمان بلاخلاف وقوله اولئك هم المؤمنون حقا يبين ذلك انه اشار به الى خيارهم وافاضلهم لان
هذه اوصافهم من اين ان غيرهم وان كان دونهم فى المنزلة لا يكون مؤمنا وقال ابن عباس اذا دان المنافق لا
يدخل قلبه شئ من ذلك عند ذكر الله وان هذه الاوصاف منتفية عنه والوجل والخوف والفزع واحد يقال
وجل فلان يوجل وجلا ويقال ياجل وييجل وييجل وافصحها يوجل قال الله تعالى لا توجل اى لا تخف قال الشاعر
شعر لعمرك ما ادرى وانى لاوجل على اينا تغدو المنية اول وانما وصفهم بالوقار ههنا وبالاطمئنان القلوب
فى قوله الذين امنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله لان الوجل يكون بالخوف من عقابه وبارتكاب معاصيه والاطمئنان
بذكر الله معناه بنعمه وعدله ووصفهم بالوجل يكون فى دار الدنيا واما فى الاخرة فانه لا يحزنهم الفزع الاكبر
وقال الربيع معنى زادتهم ايمانا زادتهم حسنة والدرجات عند الله قال قوم معناها اعمال رفيعة وفضائل
استحقوها فى ايام حياتهم ذهب اليه مجاهد وقال غيره معناه لهم مراتب رفيعة والرزق الكريم قال قتادة هو
الجنة وقال غيره هو ما اعد الله لهم ووعدهم به فى الجنة من انواع النعيم ومغفرة يعنى لذنوبهم ومعاصيهم سترها
الله عليهم وقوله حقا منصوب بمعنى دلت عليه الجملة وهى قوله اولئك هم المؤمنون والمعنى احق ذلك حقا
والتوكل هو الثقة بالله فى كل امر يحتاج اليه يقول وكلت الامر الى فلان اذا جعلت اليه القيام به ومنه الوكيل
القائم بالامر لغيره والكريم القادر على النعيم من غير مانع ولم يزل الله كريما بهذا المعنى قوله تعالى كَمَا اَخْرَجَكَ
رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَاِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَاَنَّمَا يُسَاقُونَ
اِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ايتان بلاخلاف اقول من مد الف كما فلان المد يقع فى حروف اللين وهى الالف و
الواو والياء فاذا كان الحرف منها قبل همزة وكانت الواو والياء ساكنتين والالف لا يكون الا ساكنة مدوا
فالالف كالف هذه الكلمة وكقوله من السماء من ماء بمد الالف بمد الف السماء والف ماء والياء نحو قوله وما
ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى بمد الياء من الهوى والواو نحو قوله قالوا آانت فعلت هذا بمد الواو
واختلفوا فى الكاف من قوله كما اشارة الى ماذا فقال الزجاج وغيره قوله كما اخرجك معطوف على قوله قل الانفال
لله والرسول والمعنى فى ذلك ان رسول الله لما جعل النفل لمن جعله له وسلمه المؤمنون لذلك على كراهية
بعضهم له كراهية طباع فقال الانفال لله والرسول فامض لذلك وان كرهه قوم كما مضيت لما اخرجك
ربك من بيتك بالحق وهم كارهون ايضا لانهم كانوا كرهوا خروجه الكراهية التى ذكرناها وليس على المؤمن

فى هذه الكراهية حرج اذا سلموا الامر لله ورسوله وعملوا بما فيه طاعتهما وقال غيره ذلك معطوف على
قوله يسئلونك عن الانفال كانه قال يسئلونك عن الانفال كما جادلوك عندما اخرجك ربك من بيتك
فذلك قوله يجادلونك فى الحق بعدما تبين وقال قوم يجوز ان يكون الكاف على قوله اولئك هم المؤمنون
حقا كما اخرجك ربك من بيتك بالحق وقال بعضهم كما اخرجك ربك من بيتك فاتقوا الله واصلحوا ذات
بينكم وقال مجاهد كما اخرجك ربك من بيتك بالحق يجادلونك فى الحق من بعد ما تبين يعنى يجادلونك
فى القتال بعد ما امرت وقال الفراء قوله كما اخرجك ربك من بيتك بالحق جوابه قوله وان فريقا من
المؤمنين لكارهون فقال فامض لامرك فى الغنائم على ما شئت كما اخرجك ربك مجاز اليمين كانه قال و
الذى اخرجك ربك فيكون ما فى موضع الذى كقوله وما خلق الذكر والانثى وتقديره والذى خلق
الذكر وقال ابو عبيدة معمر بن المبنى ما فى قوله كما اخرجك كما فى قوله وما بناها اى وبانيها وقال عكرمة
المعنى اتقوا الله واصلحوا ذات بينكم فان ذلك خير لكم كما اخرجك ربك من بيتك بالحق وكان خيرا لكم
وقال بعضهم الكاف بمعنى على كانه قال امض على الذى اخرجك من بيتك والحق الذى جادلوا فيه هو القتال
فى قول مجاهد وبيتك يراد به المدينة اخرجه الله الى بدر فى قول ابن جريج وابن ابى نجيح واكثر المفسرين
ووجه كراهية القتال ما ذكره ابن عباس من ان اباسفيان لما اقبل بعير قريش من الشام فيها اموالهم ندب
النبى عليه السلم المسلمين الى الخروج اليها قال لعل الله ان ينفلكموها فانتدب اليهم فخف بعضهم وثقل
بعضهم ولم يظنوا ان رسول الله ملقى كيدا ولا حزنا وهو قول السدى والمفسرين واختلفوا فى المؤمنين
الذين كرهوا القتال وجادلوا النبى عليه السلم فقال قوم اراد به اهل الايمان يوم بدر ذكر ذلك عن
ابن عباس وابن اسحق وقال قوم عنى المشركين ذهب اليه ابن زيد وقال هؤلاء المشركون جادلوه فى الحق
كانما يساقون الى الموت حين يدعوهم الى الاسلام وهم ينظرون قال ويكون هذه صفة مبتداة لاهل
الكفر وقول ابن عباس هو الظاهر وعليه اكثر المفسرين وهو ان هذا صفة للمؤمنين لكن كرهوا ذلك
كراهية الطبع لكونهم غير مستعدين للقتال ولقلتهم وكثرة المشركين ويقوى ذلك قوله بعد هذه الاية
واذ يعدكم الله احدى الطائفتين انها لكم وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم فبين بذلك انهم كانوا
يؤدون العير دون الحرب وقوله بعد ما تبين انك يا محمد لا تصنع الا ما امرك الله به وقال ابن عباس معناه
يجادلونك فى القتال بعد ما امرت به والجدل لشدة الفتل ومنه قولهم جدلت الزمام اذا شددت فتله والاجدل
الصقر لشدته وقوله كانما يساقون الى الموت وهم ينظرون معناه كان هؤلاء الذين يجادلونك فى لقاء العدو
فى كراهتهم للقتال اذا دعوا اليه وصعوبته عليهم بمنزلة من يساق الى الموت وهم يرونه ويتوقعونه والسوق
الحث على السير عجلة والاخراج فى الاية معناه الدعا الى الخروج الذى يقع به يقول اخرجه فخرج اى دعاه فخرج
ومثله اضربت زيدا عمرا فضربه وسمى البيت بيتا لانه جامهيا للبيتوتة فيه وقوله من بيتك قال الحسن وابن
ابى بزه وابن جريج معناه من المدينة قوله عز وجل وَاِذْ يَعِدُكُمُ اللّٰهُ اِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ اَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ اَنَّ غَيْرَ
ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللّٰهُ اَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَ
لَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ايتان بلاخلاف اقول تقدير الاية واذكر يا محمد اذ يعدكم الله احدى الطائفتين اما العير
واما قريشا قال الحسن كان المسلمون يريدون العير ورسول الله يريد ذات الشوكة لما وعده الله وقوله احدى
الطائفتين يعنى عير قريش او قريشا وكان الله وعد نبيه حصول احدهما له وقوله احدى الطائفتين ومثله هل
فى موضع نصب بيعدكم الله وقوله انها لكم نصب بدل من قوله احدى الطائفتين ومثله هل ينظرون الا
الساعة ان ياتيهم بغتة فان فى موضع نصب بدلا من الساعة ومثله ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات
لم تعلموهم ان تطؤهم قال الزجاج تقديره لولا ان تطؤهم وقوله وتودون معناه وتحبون ان غير ذات الشوكة
يعنى القتال وانما قال ذات الشوكة ثلث لانه عنى الطائفة والشوكة الحد يقال ما اشد شوكة بنى فلان وفلان
شاك فى السلاح وشايك وشاك بتشديد الكاف من الشكة ومثله شاك قال الشاعر شعر فتوهمونى اننى ذاكم

شاك سلاحي في الحوادث معلم وقال الضحاك وغيره هو كرهوا القتال واعجبهم ان ياخذوا العير وقوله و
يريد الله ان يحق الحق معناه ان الله يريد ان يظهر محمدا ومن معه على الحق ويبطل الباطل اى يبطل ما جآء به
المشركون وقيل هذه الاية نزلت قبل قوله كما اخرجك ربك من بيتك بالحق وهي في القرائة بعدها ذكره
البلخي والحسن وفي الاية دلالة على ان الله لا يريد الباطل ولا يريد ابطال الحق كما يقول المجبرة من ان كلما في الارض
من باطل وسفه وفسق فان الله يريده لان ذلك خلاف الاية وقوله ويقطع دابر الكافرين معناه يريد ان
يجتث الجاحدين من اصلهم والدابر الماخر وقطعه الاتيان على جميعهم وهو قول ابن زيد وغيره وقال قوم
الحق في هذا الموضع القران والباطل ابليس وقيل الحق الاسلام والباطل الشرك وقال ابن عباس كان عدة
اهل بدر مع النبي عليه السلم ثلثمائة وثلثة عشر رجلا وروى ان النبي عليه السلم لما بلغه خروج قريش لحماية
العير شاور اصحابه فقال قوم خرجنا غير مستعدين للقتال وقال المقداد امض لما امرك الله به فوالله لو خضت بنا
البحر لتبعناك فجزاه خيرا واعاد الاستشارة فقال سعد بن معاذ رحمه الله يا رسول الله لعلك تريدنا قال نعم
فقال سعد انا امنا بك وصدقناك وشهدنا ان ما جئت به حق واعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا
على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما اردت فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته
لنخوضه معك فسر رسول الله صلى الله عليه واله بقول سعد ونشطه ذلك ثم قال سيروا على بركة الله و
ابشروا فان الله وعدني احدى الطائفتين والله لكاني الان انظر الى مصارع القوم والحق وقوع الشئ
في موضعه الذي هو له فاذا اعتقد شئ بضرورة او حجة فهو حق لانه وقع موقعه الذي هو له وعكسه الباطل
وروى ان احدا لم يشاهد الملئكة يوم بدر الا رسول الله صلى الله عليه واله ومعنى قوله ليحق الحق ليظهر تحقيق
الحق للمخلوقين ويبطل الباطل لا انهما لم يكونا كذلك عنده قوله تعالى اِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ
اَنِّي مُمِدُّكُمْ بِاَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ اية بلا خلاف اقول قرء اهل المدينة ويعقوب مردفين بفتح الدال
الباقون بكسرها قال ابو علي من قرء بكسر الدال احتمل شيئين احدهما ان يكونوا مردفين مثلهم كما تقول
اردفت زيدا دابتي فيكون المفعول الثاني محذوفا في الاية وذلك كثير الثاني ان يكون معنى مردفين جاؤا
بعدهم قال ابو الحسن يقول العرب بنو فلان يردفوننا اى هم يجيئون بعد وهو قول ابي عبيدة وردفني و
اردفني واحد قال الشاعر اذا الجوزاء اردفت الثريا ظننت بال فاطمة الظنونا وقال قوم ردفه صار له ردفا
واردفه جعله له ردفا ويكون اردفت الثريا نفسه ومعنى البيت ان الجوزاء اذا طلعت في شدة الحر لم يبق حينئذ
احد من البوادي في مناجعهم لان مياه الغدران يبست فيتفرق الحلل بعد اجتماعها فيتفرق ظنونه في
امر فاطمة انها اى ماء تاخذ لتعلق قلبه بها وهي فاطمة بنت حل بن عدى وقول ابي عبيدة ردفني واردفني
واحد اقوى لقوله اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم اني ممدكم بالف من الملئكة مردفين اى جاء من بعد استغاثتكم
ربكم فردفين على هذا صفة للالف الذين هم الملئكة ومن قرء بفتح الدال فمعناه اردفوا الناس اى انزلوا
بعدهم فيجوز على هذا ان يكون حالا من الضمير المنصوب في ممدكم مردفين بالف من الملئكة والعامل في اذ
يحتمل شيئين احدهما ويبطل الباطل اذ الثاني بتقدير اذكروا اذ فعلى الوجه الاول يكون متصلا بما قبله
وعلى الثاني يكون مستانفا والاستغاثة طلب المعونة وهو سد الخلة في وقت شدة الحاجة وقيل في معنى
تستغيثون ربكم تستجيرون به من عدوكم والاستجابة موافقة المسئلة بالعطية واصله طلب الموافقة
بالارادة وليس في الاجابة معنى الطلب من هذه الجهة وقيل في معنى مردفين ثلثة اقوال قال ابن عباس
مع كل ملك ملك ردف له وقال الجبائي هم الفان لان مع كل واحد واحد ردفا له والثاني قال السدي وقتادة
ان معناه متتابعين الثالث قال مجاهد ممدين بالارداف وامداد المسلمين بهم لهم ويقال هذه دابة لا ترادف
ولا يقال تردف ويقال اردف الرجل اذا جئت بعده وكان يجوز ان يقرء بتشديد الدال وفتح الراء وضمها
لان الاصل مرتدفين وقرئ في الشواذ بضمها من فتح الراء نقل فتحة التاء اليها ومن كسرها فلاجتماع
الساكنين ومن ضمها فللاتباع اخبر الله تعالى عن حال اهل بدر وانهم لقلة عددهم استغاثوا بالله والتجاوا

اليه فامدهم الله بالف من الملئكة مردفين رحمة عليهم ورافة بهم وهو قول ابن عباس وقال الداعي
كان رسول الله صلى الله عليه واله وهو قول ابي جعفر عليه السلم والسدي وابي صالح وهو المروي عن
عمر بن الخطاب وقيل انهم قتلوا يومئذ سبعين واسروا سبعين وقال الحسن جميع ما امد وابه من الملئكة
خمسة الف ما ذكر هنا وما ذكر في ال عمران وقال غيره جميعهم ثمانية الف قال الحسن اردف هؤلاء الالف الثلاثة
الاف الذين ذكرهم في ال عمران ثم اردفهم بالف اخر فصار واخمسة الف قوله عز وجل وَمَا جَعَلَهُ اللّٰهُ اِلَّا
بُشْرٰى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ اِلَّا مِنْ عِنْدِ اللّٰهِ اِنَّ اللّٰهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ اية بلا خلاف اقول الهاء في قوله
جعله الله يحتمل ان يكون عائدة الى الامداد لانه معتمد الكلام وقال الفراء هي راجعة الى الارداف ويحتمل ان
يكون عائدة على الخبر بالمدد لان تقديم ذلك اليهم بشارة في الحقيقة اخبر الله تعالى انه لم يجعل هذا الذي
اخبر به من امداد الملئكة الا بشرى وانما جعله بان اراده به فقلبه الى هذا المعنى وقيل جعله بشرى بان امر
الملئكة ان تبشر به والجعل على ضروب اولها ان يكون بمعنى القلب كقولك جعلت الطين خزفا وبمعنى الحكم
كقولك جعله الحاكم فاسقا وبمعنى الظن كقولك جعلته كريما بحسن ظني به وبمعنى الامر كقولك جعله
الله مسلما بمعنى امره بالاسلام وقوله وليطمئن به قلوبكم فالاطمينان الثقة ببلوغ المحبوب وهو خلاف
الانزعاج والطمانينة السكون والدعة وقوله وما النصر الا من عند الله معناه لا يكون النصر وقهر الاعداء
من الكفار الا بفضل من عند الله ونصر من جهته وليس ذلك لشدتكم وقوة باسكم وانما اضافه الى الله لئلا يظن
انه من قبل الملئكة من غير امره فاما الغلبة بكثرة العدد فقد يتفق للكافر والمبطل فعلى هذا المؤمن وان قتل
فهو منصور وغير مخذول والكافر وان غلب وقتل فهو مخذول وهل قاتلت الملئكة يوم بدر قيل فيه قولان قال
ابو علي الجبائي ما قاتلت وانما اراد الله بالامداد البشارة بالنصر والطمينان القلب ليزول عنهم الخوف الذي
كان بهم قال لان ملكا واحدا يقدر ان يدمر على جميع المشركين كما اهلك جبرئيل قريات لوط وروى عن ابن مسعود
انها قاتلت وقيل سال ابو جهل من اين كان ياتينا الضرب ولا نرى الشخص قال من قبل الملئكة فقال هم غلبونا لا انتم
وقوله ان الله عزيز يعني قادر لا يغالب وحكيم في افعاله ليشفوا ابو على قوله عز وجل اِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ اَمَنَةً
مِنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلٰى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ
بِهِ الْاَقْدَامَ اية قرء ابن كثير وابو عمرو يغشاكم بفتح الياء وسكون العين وبالف مخففة وقرأه اهل المدينة
بضم الياء وسكون الغين وكسر الشين مخففا من غير الف الباقون بضم الياء وفتح الغين وتشديد الشين
وكسرها من غير الف وكلهم نصب النعاس الا ابن كثير وابو عمرو فانهما رفعاه حجة من فتح الياء قوله امنة نعاسا
يغشى فكما اسند الفعل الى النعاس والامنة التي هي النعاس كذلك ههنا ومن قرء بضم الياء شدد الشين
او خففها فالمعنى واحد قال الله تعالى فاغشيناهم فهم لا يبصرون وقال فغشاها ما غشى وقال كانما غشيت
وجوههم وحجتهما انه اشبه بما بعده لانه قال وينزل عليكم من السماء ماء فكما ان ينزل مسند الى اسم الله
كذلك يغشى ويغشى الغشيان لباس الشئ ما يتصل به ومنه غشى الرجل امراته فكان النعاس قد لابسهم
بمخالطته اياهم والنعاس ابتداء حال النوم قبل الاستثقال فيه وهو السنة تقول نعس ينعس نعاسا فهو ناعس
وحكى الفراء انه سمع نعسان والامنة الدعة التي تنافي المخافة تقول امن امنا وامانا وامنة وانتصب امنة
بانه مفعول له والعامل فيه يغشى وقوله وينزل عليكم من السماء ماء يعني مطرا وغيثا وقوله ليطهركم به ويذهب
عنكم رجز الشيطان قال ابن عباس معناه يذهب عنكم وسوسة الشيطان بانه غلبكم على الماء المشركون حتى
تصلوا وانتم مجنبين لان المسلمين باتوا ليلة بدر على غير ماء فاصبحوا مجنبين فوسوس اليهم الشيطان
فيقول تزعمون انكم على دين الله وانتم على غير الماء وعدوكم على الماء تصلون مجنبين فارسل الله عليهم
السماء فشربوا واغتسلوا وذهب به وسوسة الشيطان وكانوا في رمل يغوص فيه الاقدام فشدده المطر
حتى يثبت عليه الرجال فهو قوله ويثبت به الاقدام والهاء في به راجعة الى الماء وقال ابن زيد يذهب بوسوسته
انه ليس لكم بهؤلاء طاقة وقال الجبائي لان الاحتلام بوسوسة الشيطان وقوله وليربط على قلوبكم معناه ليشد

عليها بما يسكنها وقوله ويثبت به الاقدام قيل فى معناه قولان احدهما قال ابن عباس ومجاهد والضحاك
واكثر المفسرين لتلبيد الرمل الذى لا يثبت عليه القدم والثانى الصبر الذى افرغه عليهم عند ذلك
حتى ثبتوا العدو وهم فى قول ابى عبيدة والزجاج واذ فى موضع نصب على معنى وما جعله الله الا بشرى
فى ذلك الوقت ويجوز على تقدير اذكروا اذ يغشاكم قوله عز وجل اذ يوحى ربك الى الملئكة انى معكم
فثبتوا الذين امنوا سالقى فى قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان
اية بلا خلاف اقول معنى الاية اذكروا اذ يوحى ربك الى الملئكة انى معكم يعنى بالمعونة والنصر كما يقال
فلان مع فلان بمعنى ان معونته معه وذكر الفراء قال كان الملك ياتى الرجل من اصحاب النبى عليه السلم
فيقول سمعت المشركين يقولون والله لئن حملوا علينا لنكشفن فيحدث المسلمون بعضهم بعضا فيقوى
انفسهم بذلك والايحاء القاء المعنى الى النفس من وجه يخفى وقد يكون ذلك بنصب دليل يخفى الا
على من القى اليه من الملئكة وقوله فثبتوا الذين امنوا قيل فى معناه قولان احدهما احضروا معهم الحرب و
الثانى قال الحسن قاتلوا معهم يوم بدر وقال قوم معنى ذلك الاخبار بانه لا باس عليهم من عدوهم وقوله
سالقى فى قلوب الذين كفروا الرعب اخبار من الله تعالى انه يلقى فى قلوب الكفار الرعب وهو الخوف يقول
رعبته ارعبه رعبا ورعبانا فانا راعب وذاك مرعوب والرعب انزعاج النفس بتوقع المكروه واصل الرعب
التقطيع من قولهم رعبت السنام ترعيبا اذا قطعته مستطيلا والرعب يقطع حال السرور بضده من
انزعاج النفس بتوقع المكروه وجارية رعبوبة اذا كانت شطبة مشبهة بقطعة من السنام ورعب السيل
فهو راعب اذا امتلاء منه الوادى لانه انقطع اليه من كل جهة والرعيب من الرجال القصير قال الراجز
شعر ولا احب الرعب ان رعبت وقوله فاضربوا فوق الاعناق قيل فى معناه ثلثة اقوال احدها اضربوا
الاعناق ذهب اليه عطية وقال غيره اضربوا على الاعناق وقال قوم اضربوا فوق جلدة الاعناق وقوله
واضربوا منهم كل بنان قال ابن جريج والضحاك والسدى اراد بنان الاطراف من اليدين والرجلين والواحد
بنانة ويقال للاصبع بنانة واصله اللزوم من قولهم ابنت السحابة ابنانا اذا لزمت وابن بالمكان اذا لزمه
فسمى البنان بنانا لانه يلزم به ما يقبض عليه قال الشاعر شعر الا ليتنى قطعت منه بنانة ولاقيته
فى البيت يقظان حادرا وقال الفراء علمهم مواضع الضرب فقال اضربوا الرؤس والايدى والارجل
وقال الزجاج اباح الله قتلهم بكل نوع يكون فى الحرب واذ فى موضع نصب على قوله وليربط اذ يوحى ويجوز
على تقدير واذكروا قوله عز وجل ذلك بانهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد
العقاب اية بلا خلاف اقول اخبر الله تعالى انه انما فعل بهؤلاء الكفار وامر بقتلهم وضرب اعناقهم وقطع
بنانهم جزاء بما شاقوا الله ورسوله قال الزجاج معناه جانبوا الله اى صاروا فى جانب غير جانب المؤمنين
ومثله حاربوا الله والشقاق اصله الانفصال من قولهم انشق انشقاقا وشقه شقا واشتق القوم اذا فرقهم
وشاقه شقاقا اذا صار فى شق عدوه عليه وتشقق تشققا وشققه تشقيقا ومنه اشتقاق الكلام لانه انفصال
الكلمة عما يحمله الاصل ومعنى شاقوا الله شاقوا اولياء الله كما قال ان الذين يؤذون الله ورسوله وقوله ومن
يشاقق الله يجوز فى العربية الاظهار والادغام لانه فى موضع جزم فاما ان ياتى على الاصل للحاجة الى حركة
الاول واما ان يحرك الثانى لالتقاء الساكنين بالكسر ويجوز الفتح والاول اجود مع الالف واللام لتاكد
سببه وقوله فان الله شديد العقاب عظمه بجنس فوق جنس ادنى منه لان العظم على ضربين احدهما بالتضاعف
فى المرتبة الواحدة والثانى بالترقى الى مرتبة بجنس يخالف الجنس الذى فى ادنى مرتبة قوله عز وجل ذلكم فذوقوه
وان للكافرين عذاب النار اقول العامل فى ذلكم يحتمل احد وجهين احدهما الابتداء على تقدير الامر ذلكم
قال الزجاج من قال انه يرفع ذلكم بما عاد عليه من الهاء او بالابتداء وجعل الخبر فذوقوه فقد اخطا لان ما بعد الفا لا يكون
خبر المبتدا لا يجوز زيد فمنطلق ولا زيد فاضربه الا ان يضمر هذا كقول الشاعر شعر وقائلة خولان فانكح فتاتهم
واكرومة الحيين خلو كما هيا اى هذه خولان الثانى ان يكون نصبا بذوقوا كما تقول زيدا فاضربه والكاف فى

قوله

قوله ذلكم لا موضع له من الاعراب لانه حرف خطاب ولو كان اسما لجاز ان يؤكد بالنفس وذلك غير جائز
اجماعا والاشارة بذلك الى ما تقدم من انواع العقوبات وانما ضم الى الكاف الميم لانه خطاب المشركين
وقوله فذوقوه طلب ادراك الطعم بتناول اليسير بالفم كما ان الشم طلب ادراك الرائحة بالانف وليس
بالادراك لانه يقال ذقته فلم اجد له طعما وشممته فلم اجد له رائحة وانما قال فذوقوه والذوق اليسير من
الطعام لان المعنى كونوا للعذاب كالذائق للطعام لان معظمه بعده وقيل لان الذائق اشد احساسا
بالطعم من المستمر عليه فكان حالهم ابدا حال الذائق فى شدة احساسه نعوذ بالله منه وقوله وان للكافرين
فموضع ان يحتمل النصب والرفع فالرفع بالعطف على ذلكم كانه قال ذلكم فذوقوه وذلكم ان للكافرين عذاب
النار مع ذا والنصب من وجهين احدهما وبان للكافرين والاخر واعلموا ان للكافرين كما انشده الفراء
شعر تسمع للاحشاء منه لغطا ولليدين جساة وبددا اى وترى لليدين وانما قدم الخبر فى قوله وان للكافرين
على الاسم للدلالة على الكفر الذى هو السبب للعذاب ومرتبة السبب قبل المسبب قوله عز وجل يا ايها
الذين امنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الادبار اية بلا خلاف اقول هذا خطاب للذين
امنوا من بين المكلفين ناداهم الله ليقبلوا الى امر الله بما يامرهم به وانتهائهم عما ينهاهم عنه بالتامل له و
التدبر لموجبه ليعملوا به ويكونوا على يقين منه وقوله اذا لقيتم الذين كفروا فاللقاء الاجتماع على وجه
المقاربة لان الاجتماع قد يكون على غير وجه المقاربة فلا يكون لقاء كاجتماع الاعراض فى المحل الواحد و
الذين كفروا هم الذين جحدوا نعم الله او من كان بمنزلة الجاحد فالمشرك كافر لانه فى حكم الجاحد لنعم الله اذ
عبد غيره وقوله زحفا نصب على المصدر فالزحف هو الدنو قليلا قليلا والتزاحف التدانى زحف يزحف
زحفا وازحفت القوم اذا دنوت لقتالهم وثبت لهم والمزحف من الشعر الذى قد تدانت حروفه على ما
ابطلت وزنه وقوله فلا تولوهم الادبار نهى لهم عن الفرار عند لقائهم الكفار وقتالهم اياهم قوله عز وجل
ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال او متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله وماويه جهنم وبئس
المصير اية بلا خلاف اقول اخبر الله تعالى ان من يولهم يعنى الكفار يوم القتال دبره والتولية جعل
الشئ يلى غيره وهو متعد الى مفعولين ولاه دبره اذا جعله يليه ومنه ولاه البلد من الولاية الامارة وتولى
هو اذا قبل الولاية واولاه نعمة لانه جعلها يليه وقوله يومئذ يجوز اعرابه وبناؤه فاعرابه لانه متمكن اضيف
على تقدير الاضافة الحقيقة فاشبه الاسماء المركبة وقوله الا متحرفا لقتال فالتحرف الزوال من جهة الاستواء
الى جهة الحرف تقول تحرف تحرفا وانحرف انحرافا وحرفه تحريفا واحترف احترافا لانه يقصد وجهة الحرف لطلب
الرزق مثل ابعد فى طلب الرزق والمحارف المحدود من جهة الرزق الى جهة الحرف ومنه حروف الهجاء لانها
اطراف الكلمة كحرف الجبل ونحوه وقوله او متحيزا الى فئة فالتحيز طلب حيز يتمكن فيه تحيز تحيزا وانحاز انحيازا
وحازه يحوزه حوزا والحيز المكان الذى فيه الجوهر والفئة القطعة من الناس وهى جماعة منقطعة عن
غيرها وذكر الفئة فى هذا الموضع حسن جدا وهو من فاوت راسه بالسيف اذا قطعته وفى تناول الوعيد
لكل فار من الزحف خلاف فقال الحسن وقتادة والضحاك انما كان ذلك يوم بدر خاصة وقال ابن عباس
هو عام وهو قول ابى جعفر وابى عبد الله ثم اخبر تعالى ان من ولى دبره على غير وجه التحرف للقتال او التحيز
الى الفئة انه باء بغضب من الله اى رجع بسخطه تعالى واستحقاق عقابه وان مستقره جهنم وبئس المصير
هى لمن صار اليها وقوله متحرفا لقتال نصب على الحال وتقديره الا ان يتحرف لان يقاتل وكذلك متحيزا نصب
على الحال الى فئة ويجوز النصب فيهما على الاستثناء وتقديره الا رجلا متحيزا او يكون متفردا فينحاز ليكون
مع المقاتلة واصل متحيز متحيوز فادغمت الياء فى الواو وقوله عز وجل فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت
اذ رميت ولكن الله رمى وليبلى المؤمنين منه بلاء حسنا ان الله سميع عليم اية بلا خلاف اقول قرء ابن
عامر وحمزة والكسائى وخلف ولكن الله قتلهم ولكن الله بالتخفيف فيهما ورفع اسم الله فيهما الباقون بتشديد
النون ونصب الله نفى الله تعالى ان يكون المؤمنون قتلوا المشركين يوم بدر فقال فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم

وانما

وانما نفى عمن هو فعله على الحقيقة ونسبه الى نفسه وليس بفعل له من حيث كانت افعاله تعالى كالسبب لهذا الفعل والمؤدى اليه من اقداره اياهم ومعونته لهم وتشجيع قلوبهم فيه والقاء الرعب فى قلوب اعدائهم المشركين حتى خذلوا وقتلوا على شركهم عقابا لهم وقوله وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى مثل الاول فى انه نفى الرمى عن النبى صلى الله عليه واله وان كان هو الرامى واضافه الى نفسه من حيث كان بلطفه واقداره وهذه الرمية ذكر جماعة من المفسرين كابن عباس وغيره ان النبى صلى الله عليه واله اخذ كفا من الحصباء فرماها فى وجوههم وقال شاهت الوجوه فقسمها الله تعالى على ابصارهم وشغلهم بانفسهم حتى غلبهم المسلمون وقتلوهم كل مقتل وقال بعضهم اراد بذلك رمى النبى صلى الله عليه واله ابى بن خلف الجمحى يوم احد فاصابه فقتله وقال اخرون اراد بذلك رميه سهمه يوم خيبر فاصاب ابن ابى الحقيق فى فراشه فقتله والاول اشهر الاقوال فاما تعلق من تعلق بذلك من الغلاة بان قال لما قال ولكن الله رمى وكان النبى هو الرامى ذلك دل على انه هو الله تعالى جهل وقلة معرفة بوجوه الكلام لانه لو كان على ما قالوه لكان الكلام متناقضا لانه خطاب للنبى صلى الله عليه واله بانه لو لم يرم فان كان هو الله تعالى فالى من توجه الخطاب وان توجه اليه الخطاب دل على ان الله غيره وايضا فاذا كان هو الله فقد نفى عنه الرمى فاذا اضافه بعد ذلك الى الله كان متناقضا على انه دلت الادلة العقلية على ان الله ليس بجسم ولا حال فى جسم فبطل قول من قال ان الله كان حل فى محمد صلى الله عليه واله وليس هذا موضع نقضه وقد ذكرنا فى الاصول واما من قال ان الفعل واحد وهو من الله تعالى بالايجاد ومن العبد بالاكتساب فباطل لانه خلاف المفهوم من الكلام ولو كان كذلك لم يجز ان ينفى عنه الا بتقييد كما لا ينفى عن الله الا بتقييد وقوله تعالى وليبلى المؤمنين منه بلاء حسنا معناه لينعم عليهم نعمة جميلة والمعنى ولينصرهم الله نصرا جميلا ويختبرهم بالتى هى احسن ومعنى يبليهم هٰهنا يسدى اليهم وقيل للنعمة بلاء وللمضرة ايضا مثل ذلك لان اصله ما يظهر به الامر من الشكر او الصبر ومنه يبتلى بمعنى يختبر ويمتحن وسميت النعمة بذلك لاظهار الشكر والضرر لاظهار الصبر الذى يجب به الاجر وقوله ان الله سميع عليم معناه انه يسمع دعاء من يدعوه ويعلم ما له فيه من المصلحة فيجيبه اليه قوله تعالى ذٰلِكُم وَاَنَّ اللّٰهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكٰافِرِينَ اية بلا خلاف اقول قرء ابن عامر وحمزة والكسائى وابو بكر عن عاصم موهن خفيفة منونة وقرء ابو عمرو وابن كثير ونافع شديدة وقرء حفص عن عاصم خفيفة مضافة وخفض كيد وقرء الباقون بنصب كيد يقول وهن الشئ واوهنته انا كما يقول فرح وافرحته وخرج واخرجته فمن قرء موهن مخففا فمن اوهن اى جعله واهنا ومن شدد فمن قولهم وهنته كما يقول خرج وخرجته وعرف وعرفته ومنه قوله فما وهنوا لما اصابهم وقوله وهن يهن مثل ومق يمق وولى يلى وهو ايضا يثقل بالهمزة وتثقيل العين ايضا والامران جميعا حسنان واختار الاخفش القرائة بالتخفيف والوهن الضعف ومنه قولهم توهن توهنا اى ضعف ومن قال قوله ذلكم فى موضع رفع وتقديره قال الزجاج الامر ذلكم وان الله والامر ان الله قوله ذلكم فى موضع رفع اشارة الى قتل المشركين ورميهم حتى انهزموا وابتلاء المؤمنين البلاء الحسن بالظفر لهم وامكانه من قتلهم واسرهم فعلنا الذى فعلنا ومعنى وان الله موهن كيد الكافرين يضعف مكرهم حتى يذلوا ويهلكوا وفى فتح ان من الوجوه ما فى قوله ذلكم فذوقوه وان للكافرين عذاب النار وقد بيناه والكيد يقع باشياء منها الاطلاع على عوراتهم ومنها ابطال حيلهم ومنها القاء الرعب فى قلوبهم ومنها تفريق كلمتهم ومنها نقض ما ابرموا باختلاف عزومهم قوله تعالى اِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جٰاءَكُمُ الْفَتْحُ وَاِنْ تَنْتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَاِنْ تَعُودُوا نَعُدْ وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَاَنَّ اللّٰهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ اية بلا خلاف اقول قرء نافع وابن عامر وحفص وان الله بفتح الالف الباقون بالكسر من فتح الهمزة فوجهه ولن تغنى عنكم فئتكم شيئا ومن كسر قطع عما قبله واستانفه وقوى ذلك لما روى ان فى قرائة ابن مسعود والله مع المؤمنين والكسر اختيار الفراء ومن نصب فعلى ان موضعه نصب بحذف حرف الجر ويجوز ان يكون عطفا على قوله وان الله موهن الاستفتاح

المؤمنين اى لذلك لا تغنى عنكم فئتكم شيئا

طلب النصرة التى بها يفتح بلاد العدو كانه قال ان تستنصروا على اعدائكم فقد جاءكم النصر بالنبى عليه السلام وقال الزجاج يجوز ان يكون المراد استحكموا الان الاستفتاح الاستقضاء ويقال للقاضى الفتاح فقد جاءكم الحكم من عند الله وهو قول الضحاك وعكرمة ومجاهد والزهرى والاول قول ابن عباس وغيره والمعنيان متقاربان وقيل فى معنى الاية قولان احدهما قال الحسن ومجاهد والزهرى والضحاك والسدى والفراء انه خطاب للمشركين لانهم استنصروا بان قالوا اللهم اقطعنا للرحم واظلمنا لصاحبه فانصر عليه روى ان اباجهل قال ذلك الثانى قال ابو على هو خطاب للمؤمنين والمعنى وان تعودوا لقتال محمد صلى الله عليه واله نعد عليكم بالقتل والاسر يا معشر قريش وجماعة الكفار وان تنتهوا عن الكفر بالله العظيم ورسوله وعن قتال نبيه فهو خير لكم وانفع لكم واقرب الى مرضات الله والانتهاء ترك الفعل لاجل النهى عنه تقول نهيته عن كذا فانتهى وامرته فائتمر على فعل المطاوع وقد تطاوع بان يقال كسرته فانكسر وقد يكون الانتهاء بمعنى بلوغ الغاية وقوله تعالى ولن تغنى عنكم فئتكم شيئا معناه انه لن يغنى عنكم جمعكم فى الدفاع عنكم والنصرة وان كانوا كثيرين وان الله مع المؤمنين بالنصرة لهم والمعونة قوله عز وجل يٰا اَيُّهَا الَّذِينَ اٰمَنُوا اَطِيعُوا اللّٰهَ وَرَسُولَهُ وَلٰا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَاَنْتُمْ تَسْمَعُونَ اية بلا خلاف اقول هذا خطاب من الله تعالى للمؤمنين وانما خصهم بالخطاب لان غيرهم بمنزلة من لا يعتد به فى العمل بما يجب عليه مع ما فى افراده اياهم بالخطاب اعظام لهم واجلال ورفع من اقدارهم وان دخل فى معناه غيرهم والايمان هو التصديق بما اوجب الله على المكلف او ندبه اليه وقال الرمانى هو التصديق بما يؤمن من العقاب مع العمل به امر الله تعالى المؤمنين ان يطيعوا الله ورسوله والطاعة هى امتثال امره وموافقة ارادته الجاذبة الى الفعل بطريق الرغبة او الرهبة والاجابة موافقة الارادة فيما يعمل من اجلها وقوله ولا تولوا عنه وانتم تسمعون دعاءه لكم فنهاهم عن التولى فى هذه الحال وقال الحسن معناه وانتم تسمعون الحجة قوله عز وجل وَلٰا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قٰالُوا سَمِعْنٰا وَهُمْ لٰا يَسْمَعُونَ اية بلا خلاف اقول ولا تكونوا فى موضع جزم وحذف النون دلالة على الجزم نهى الله تعالى المؤمنين الذين خصهم بالذكر فى الاية الاولى عن ان يكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون وفى الكلام حذف المنهى عنه لانه قد دل عليه من غير جهة الذكر له وفى ذلك غاية البلاغة والتقدير ولا تكونوا فى قولهم المنكر هذا كالذين والتشبيه على ثلثة اوجه اعلى وادنى واوسط فالاولى هو الذى حذف معه اداة التشبيه كقولهم للانسان هذا الاسد والاوسط يثبت معه مجردة كقوله والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة والادنى ياتى معه مقيدة كقولهم الجسم كالعرض فى الحدوث ومعنى قوله قالوا سمعنا وهم لا يسمعون معناه سمعنا سماع عالم قابل وليسوا كذلك وهو من صفة المنافقين فى قول ابن اسحق وابى على وقال الحسن يعنى به اهل الكتاب وقيل هو من صفة المشركين فجعلوا بمنزلة من لا يسمع فى انهم لم ينتفعوا بالمسموع وقال ابو على هى نفى القبول من قولك سمع الله لمن حمده وقال الزجاج يعنى الذين قالوا لو نشاء لقلنا مثل هذا فسماهم الله لا يسمعون لانهم استمعوا استماع عداوة وبغضاء فلم يتفهموا ولم يتفكروا فكانوا بمنزلة من لم يسمع وقال ابن اسحق اراد به الذين يظهرون الايمان ويسرون النفاق قوله عز وجل اِنَّ شَرَّ الدَّوٰابِّ عِنْدَ اللّٰهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لٰا يَعْقِلُونَ اية بلا خلاف اقول اخبر الله تعالى ان شر الدواب عند الله والشر اظهار السوء الذى يبلغ من صاحبه وهو نقيض الخير وقيل الشر الضر الشديد والخير النفع الكثير واصل الشر الاظهار من قول الشاعر شعر كما اشرت بالاكف المصاحف اى اظهرت وشر الرجل يشر شرا وشررت الثوب اذا بسطته فى الشمس وشررت النار ما تطاير منه لظهوره بانتشاره وتفرقه ومنه الشر وهو ما يظهر من الضرر كشرر النار والدواب جمع دابة وهى ما دب على وجه الارض الا انه تخصص فى العرف بالخيل ذب يدب دبيبا فبين ان هؤلاء الكفار شر ما دب على الارض من الحيوان ثم شبههم بالصم البكم الذين لا يعقلون من

حيث لم ينتفعوا انما كانوا يسمعون من وعظ الله ولا يتكلمون بكلمة الحق والصمم آفة في الاذن يمنع السمع صمّ يصمّ صمما وهو اصمّ وصمّم على الامر اذا حقق العزم عليه وتصامّ عن القول اذا تغافل عنه وعود اصمّ خلاف المجوّف واصله المطابقة من غير خلل والبكم الخرس الذي يولد به صاحبه لانه قد يكون لآفة عارضة وقد يكون لآفة لازمة وقال ابو جعفر عليه السلم نزلت الاية في بني عبد الدار لم يكن اسلم منهم غير مصعب بن عمير وحليف لهم يقال له سويبط وقيل نزلت الاية في النضر بن الحرث بن كلدة من بني عبد الدار بن قصيّ قوله عزّ وجل وَلَوْ عَلِمَ اللّٰهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ اية بلا خلاف اقول معنى الاية انّ الله تعالى اخبر انه لو علم فيهم يعني هؤلاء الكافرين انهم يصلحون بما يورده عليهم من حججه وآياته لاسمعهم اياها ولم يخلف عنهم شيئا منها وان كان قد ازاح عليهم في التكليف بما نصب لهم من الادلة الموصلة الى الحق ولكنهم لا يصلحون بل يتولون وهم معرضون وقال ابن جريج وابن زيد لاسمعهم كلام الموتى الذين طلبوا احياءهم من قصي بن كلاب وغيره وقال الزجاج لاسمعهم جواب كلما يسألون عنه والاعراض خلاف الاقبال وهو الانصراف بالوجه عن جهة الشئ والاقبال الانصراف بالوجه الى جهته والاسماع ايجاد السماع بايجاده والتعريض له فانّ الله تعالى يسمعهم بان يوجد السماع لهم والانسان يسمعهم بان يعرضهم للسماع الذي يوجد لهم هذا على مذهب من قال انّ الادراك معنى ومن قال انه ليس بمعنى فمعنى الاسماع هو ان يوجد من كلامه الدال على ما يجب ان يسمعوه لكونهم احياء لا آفة بهم في حواسهم وقال الزجاج المعنى ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم كلما يسألون عنه ولو اسمعهم كلما يخطر ببالهم لتولوا وهم معرضون وقال الحسن هو اخبار عن علمه كما قال ولو ردّوا لعادوا لما نهوا عنه وفي الاية دلالة على بطلان قول من يقول يجوز ان يكون في مقدوره لطف لو فعله بالكافر لآمن قوله عزّ وجل يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلّٰهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللّٰهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ آية بلا خلاف اقول امر الله تعالى المؤمنين ان يجيبوا الله والرسول اذا دعاهم وان يطلبوا موافقته والاستجابة طلب موافقة الداعي فيما دعا اليه على القطع به وقال ابو عبيدة والزجاج معنى استجيبوا اجيبوا وقال كعب بن سعد الغنوي شعر وداع دعا يا من يجيب الى الندا فلم يستجبه عند ذاك مجيب اي لم يجبه والفرق بين الدعاء الى الفعل وبين الامر به ان الامر فيه ترغيب في الفعل المامور به ويقتضي الرتبة وهي ان يكون متوجها الى من دونه وليس كذلك الدعاء لانه يصح من دونك لك وقوله اذا دعاكم لما يحييكم قيل في معناه ثلثة اقوال احدها دعاكم الى احياء امركم بجهاد عدوكم مع نصر الله اياكم وهو قول ابن اسحق والفراء والجبائي وقال البلخي معناه لما يبقيكم ويصلحكم ويهديكم ويحيي امركم الثاني معناه لما يورثكم الحياة الدائمة في نعيم الاخرة من اتباع القرآن والحق والاقتداء بما فيه وقوله واعلموا انّ الله يحول بين المرء وقلبه بالموت او الجنون وزوال العقل فلا يمكنه استدراك مافات والمعنى بادروا بالتوبة من المعاصي قبل هذه الحال الثاني انّ معناه بادروا بالتوبة لانه اقرب الى المرء من حبل الوريد لا يخفى عليه خافية من سره وعلانيته وفي ذلك غاية التحذير والثالث بتبديل قلبه من حال الخوف الى حال لانه مقلب القلوب من حال الامن الى حال الخوف ومن حال الخوف الى حال الامن على ما يشاء وروى عن ابي عبد الله عليه السلم في معنى قوله يحول بين المرء وقلبه قال لا يستيقن القلب ان الحق باطل ابدا ولا يستيقن ان الباطل حق ابدا فامّا من قال من المجبرة انّ المراد انّ الله يحول بين المرء والايمان بعد امره اياه فباطل لانه تعالى لا يجوز ان يامر احدا بما يمنعه منه ويحول بينه وبينه لانّ ذلك غاية السفه تعالى الله عن ذلك وايضا فلا احد من الامة يقول انّ الايمان مستحيل من الكافر فانهم وان قالوا انه لا يقدر على الايمان يقولون يجوز منه الايمان ويتوهم منه ذلك ومن ارتكب ذلك فقد خرج من الاجماع ويحتمل ان يكون المراد انّ امر الله بالموت يحول بين المرء وقلبه كما قال هل ينظرون الا ان ياتيهم الله اي امر الله وقال قوم يجوز ان يكون معناه يحول بينه وبين قلبه بان يسلبه قلبه فيبقى حيا بلا قلب وهذا قريب من معنى

احدها ان يفرق بين المرء وقلبه

من معنى زوال العقل قالوا ويجوز ان يكون المراد انه عالم بما ينطوون عليه وما يضمره العبد في نفسه من معصيته فهو في المعنى كانه حايل بينه وبينه لانّ العبد لا يقدر على اضمار شئ في قلبه الا والله عالم به وهذا وجه حسن وروي في التفسير انّ الله يحول بين المؤمن وبين الكفر والمعنى في ذلك انّ الله يحول بينه وبين الكفر بالوعد والوعيد والامر والنهي والترغيب في الثواب والعقاب فامّا ما روي عن سعيد بن جبير وغيره من انّ الله يحول بين الكافر والايمان فقد بيّنا انّ ذلك لا يجوز على الله والعقل مانع منه ولو صحّ ذلك لكان الوجه فيه ان الله يحول بين الكافر وبين الايمان في المستقبل بان يميته لانه لا يجب تبقيته حتى يؤمن بل لو بقاه لكان حسنا وان لم يبقه كان ايضا حسنا وقوله تعالى وانه اليه تحشرون معناه انكم تحشرون يوم القيمة للجزاء على اعمالكم ان خيرا فخير وان شرا فشر فلذلك يجب المبادرة بالطاعة والاقلاع عن المعصية بالتوبة وترك الاصرار على القبايح قوله عزّ وجل وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللّٰهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ آية بلا خلاف اقول امر الله تعالى المكلفين من خلقه ان يتقوا فتنة لا تصيب الذين ظلموا منهم خاصة والفتنة البلية التي يظهر بها باطن امر الانسان فيها والفتنة الهرج الذي يركب فيه الناس بالظلم قال ابن عباس امر الله المؤمنين ان لا يقروا المنكر بين اظهرهم فيعمهم الله بالعذاب وقال عبد الله هو من قوله تعالى انما اموالكم واولادكم فتنة وقال الحسن الفتنة البلية وقال ابن زيد هي الضلالة وقال الجبائي هي العذاب وقوله لا تصيبنّ الذين ظلموا منكم خاصة معناه لانها تعمّ لانّ الهرج اذا وقع دخل ضرره على كل احد ويجوز ان يقال يخص الظالم ولا يعتد بما وقع بغيره للعوض الذي يصل اليه ويحتمل ان يكون اراد انّ هذه العقوبة على فتنتكم ليس يختص بالظالمين منكم بل كل ظالم منكم كان او من غيركم فستصيبه عقوبة ظلمه وفتنته وتبقيه واراد بذلك تحذير الناس كلهم وانهم سواء في المعصية وما توجبه من العقوبة ليكون الزجر عاما وفي دخول النون الثقيلة في تصيبنّ قولان احدهما قال الفراء لانه نهي بعد امر وفيه معنى الجزاء كقوله يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده ومثله لا اريّنكم هٰهنا والثاني ان يكون خرج مخرج جواب القسم قال الزجاج ويحتمل ان يكون نهيا بعد امر وتقديره اتقوا فتنة ثم نهى فقال لا تصيبنّ الذين ظلموا اي لا يتعرض الذين ظلموا لما ينزل معه العذاب ومثله قال في قوله لا يحطمنكم فيكون لفظ النهي لسليمان ومعناه النمل كما يقول القايل لا ارينّك هٰهنا فلفظ النهي لنفسك والمراد لا تكوننّ هٰهنا فاني اراك والخاصّة للشئ ما كان له دون غيره ونقيضه العامة وقوله واعلموا انّ الله شديد العقاب معناه لمن لم يتق معاصيه ولم يتبع اوامره وقال الحسن والسدي ومجاهد ابن عباس نزلت هذه الاية في اهل الجمل وقال قتادة قال الزبير لقد نزلت وما نرى انّ احدا منا يقع فيها ثم اختلفنا حتى اصابتنا خاصة وروى ذلك عن الزبير من جهات قوله عزّ وجل وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ آية بلا خلاف اقول الذكر ضد السهو وهو احضار المعنى للنفس وانما امروا بالتعرض له لان احضار المعنى بقلوبهم ليس من فعلهم وقوله اذ انتم قليل فالقلة النقصان عن المقدار في العدد وكان اصحاب النبيّ عليه السلم قليلين في الاصل فلطف الله لهم حتى كثروا وعزّوا وقلّ اعداؤهم وذلّوا وكانوا مستضعفين فقووا والاستضعاف طلب ضعف الشئ بتهوين حاله والضعف خلاف القوة والاستضعاف استجلاب ضعفه بتحقير حاله فامتنّ الله عليهم بذلك وبيّن انهم كانوا قليلين فكثّرهم وكانوا مستضعفين فقوّاهم بلطفه وقوله تخافون ان يتخطفكم الناس فالتخطف الاخذ بسرعة انتزاع وقوله تخطف تخطفا وخطف خطفا واختطف اختطافا فبيّن انهم كانوا خائفين من ان ينال منهم العدو فآواكم اي جعل لكم ماوى حريزا ترجعون اليه وتسكنون فيه وقال السدي آواكم الى المدينة وقوله وايدكم بنصره يعني بالانصار في قول السدي وقيل في المعنى بقوله الناس قولان احدهما مشركوا قريش في قول عكرمة

وقتادة وقال وهب بن منبه يعني فارس والروم وقوله ورزقكم من الطيبات اى اطعمكم غنيمتكم حلالا
طيبا لعلكم تشكرون اى لكي تشكروه على هذه النعم المترادفة والالاء المتضاعفة قوله عز وجل يا ايها الذين
امنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا اماناتكم وانتم تعلمون اية بلا خلاف اقول هذا خطاب من الله تعالى
للمؤمنين ينهاهم ان تخونوا الله والرسول والخيانة منع الحق الذي قد ضمن التادية فيه وهي ضد الامانة واصل
الخيانة ان تنقص من ائتمنك امانته قال زهير بارزة الفقارة لم تخنها قطاف في الركاب ولا خلاء اى
لم تنقص من فراهتها والمعنى لا تخونوا مال الله الذي جعله لعباده فلا يخن بعضكم بعضا فيما ائتمنه عليه في قول
ابن عباس وقال الحسن والسدي لا تخونوه كما صنع المنافقون وقال الجبائي نهاهم ان يخونوا الغنائم وقال ابن
زيد الامانة ههنا الدين نزلت في بعض المنافقين والامانة ماخوذة من الامن بمنع الحق وهي حال يؤمن
معها منع الحق الذي يجب فيه التادية وقوله وانتم تعلمون قيل في معناه قولان احدهما انتم تعلمون انها
امانة من غير شبهة الثاني وانتم تعلمون ما في الخيانة من الذم والعقاب بخلاف الجهال بتلك المنزلة وقوله
وتخونوا موضعه الجزم بتقدير ولا تخونوا في قول ابن عباس وقال السدي هو نصب على الظرف اى انكم اذا خنتم
الرسول فقد خنتم اماناتكم قال الفراء ومثله قول الشاعر شعر لا تنه عن خلق وتاتي مثله عار عليك اذا
فعلت عظيم وحكى الفراء في بعض القراءات ولا تخونوا اماناتكم وقال جابر بن عبد الله نزلت الاية في بعض
المنافقين حين انذر ابا سفيان بخروج النبي لاخذ العير وقال الزهري نزلت في ابي لبابة في قصة بني قريظة
وهو المروي عن ابي جعفر وابي عبد الله عليهما السلم قوله عز وجل واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة
وان الله عنده اجر عظيم اية بلا خلاف اقول امر الله تعالى المكلفين ان يعلموا ويتحققوا ان اموالهم واولادهم
فتنة وانما يمكنهم معرفة ذلك بالنظر والفكر في الادلة المؤدية اليه وهو ما يدعوا اليه الهوى في الاموال و
الاولاد وما يصرف عنه فمن تفقد ذلك وتحرز منه نجا من مضرته والمراد بالفتنة ههنا المحنة التي يظهر
بها ما في النفس من اتباع الهوى او تجنبه فيخلص حاله للجزاء بالثواب والعقاب بحسب الاستحقاق والولد
حيوان يتكون من حيوان يخلق الله له فعلى هذا لم يكن ادم ولدا وكان عيسى ولد مريم والمال هو النصاب الذي يتعلق
به الزكوة من ذهب وفضة او ابل او بقر او غنم عند بعض المفسرين واصله الكثير من العين والورق والعظم
استحقاق الصفة بالغنى فالكثير عظيم المال لاستغنائه عن القليل من جنسه والقليل لا يستغنى عنه بين الله تعالى ان
الاموال والاولاد في هذه الدنيا محنة وبلاء وان الله تعالى عنده الثواب العظيم على الطاعات وترك المعاصي وروي
عن ابن مسعود انه قال ليس احد منكم الا وهو مشتمل على فتنة لقوله انما اموالكم واولادكم فتنة فاسئلوا الله تعالى
ان يعيذكم منها قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيئاتكم و
يغفر لكم والله ذو الفضل العظيم اية بلا خلاف اقول هذا خطاب للمؤمنين خاطبهم الله بانهم ان يتقوا
معاصيه ويمتثلوا طاعاته ويتقوا عقابه باجتناب معاصيه يجعل لهم اجرا على ذلك فرقانا وقيل في معنى الفرقان
اقوال احدها قال ابن زيد وابن اسحق يجعل هداية في قلوبكم يفرقون بها بين الحق والباطل وقال مجاهد معناه
يجعل لكم مخرجا في الدنيا والاخرة وقال السدي معناه يجعل لكم نجاة وقال الفراء يجعل لكم نصرا وعزا او ثوابا لكم
وعلى اعدائكم خذلانا وذلا وعقابا وكل ذلك يفرق بينكم وبينهم في الدنيا والاخرة وانما جاز الشرط في اخبار الله
مع اقتضائه شك المخبر منا من حيث ان الله تعالى يعامل عباده في الجزاء معاملة الشاك للظاهرة في العدل ولذلك
جازت صفة الابتلاء والاختبار لما في ذلك من البيان ان الجزاء على ما يظهر من الفعل دون ما في المعلوم مما لم
يقع منه ثم بين انه يضيف الى ذلك تكفير سيئاتهم وغفران ذنوبهم وسترها عليهم تفضلا منه تعالى وقوله و
الله ذو الفضل العظيم لانه كريم لنفسه لا يمنعكم ما استحققتموه بطاعاتكم له الثاني انه الذي يملك الفضل العظيم
فينبغي ان يطلب من جهته قوله عز وجل واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك ويمكرون
ويمكر الله والله خير الماكرين اية بلا خلاف اقول خاطب الله تعالى نبيه عليه السلم فقال واذكر اذ يمكر بك الذين
كفروا والمكر الفتل الى جهة الشر في خفي واصله الالتفاف من قول ذي الرمة شعر عجزاء ممكورة خمصانة قلق

وقال [illegible] يوم التقى الجمعان يوم الفرقان [illegible] ونصرا [illegible] الجبائي يجعل لكم

قيل في معناه قولان احدهما قال الجبائي ان من يبتدئكم بالفضل العظيم

عنها الوشاح وتم الجسم والقصب اى ملتفة والمكر والختل نظاير والفرق بين المكر والغدر ان الغدر
نقض العهد الذي يلزم الوفاء به والمكر قد يكون ابتداء من غير عقد ووصف الله تعالى بانه ماكر يحتمل
وجهين احدهما انه سمى الجزاء على المكر مكرا للازدواج كقوله الله يستهزئ بهم اى يجازيهم على الاستهزاء
فيكون التقدير والله خير المجازين على المكر ذكره الزجاج الثاني ان يكون على غير تضمن الحيلة لكن على
اصل اللغة قال ابو علي ومكره بهم حق وصواب وهو خير الماكرين مكرا وقوله ليثبتوك قيل في معناه
قولان احدهما ليثبتوك في الوثاق في قول ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة الثاني قال عطاء وعبد
الله بن كثير والسدي ليثبتوك في حبس وقال ابو علي الجبائي معناه ليجرحوك يقال اثبته في الحرب اذا
جرحه جراحة مثقلة وقوله او يخرجوك قال الفراء او يخرجوك على بعير يطرد به حتى يهلك او يكفيكموه بعض
العرب وهو قول ابي البختري بن هشام وكان سبب ذلك انهم تؤامروا في دار الندوة فقال عمرو بن هشام قيدوه
تتربصون به ريب المنون وقال ابو البختري اخرجوه عنكم تستريحوا من اذاه لكم وقال ابو جهل ما هذا براى
ولكن اقتلوه بان يجتمع عليه من كل بطن رجل فيضربونه باسيافهم ضربة رجل واحد فترضى حينئذ بنو هاشم
بالدية فصوب ابليس هذا الراى وخطأ الاولين وزيفهما فاوحى الله تعالى الى نبيه عليه السلم بذلك
فامره بالخروج فخرج الى الغار في قول ابن عباس ومجاهد وقتادة وهو قوله ويمكرون ويمكر الله والله
خير الماكرين ولا خلاف بين المفسرين انه بات على تلك الليلة وهي الليلة التي امر النبي صلى الله عليه واله
بالخروج علي عليه السلم على فراشه الى ان اصبح وكانوا يحرسونه الى الصباح فلما طلع الفجر ثاروا اليه فاذا
علي قالوا له اين صاحبك قال لا ادري فتركوه وخرجوا في اثره قوله عز وجل واذا تتلى عليهم اياتنا قالوا
قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا ان هذا الا اساطير الاولين اية بلا خلاف اقول اخبر الله تعالى عن
عناد هؤلاء الكفار ومباهتتهم للحق بانهم بلغوا في ذلك الى دفع الحق بما ليس فيه شبهة وهو انه اذا تتلى
عليهم اياته يعني القران قالوا لو نشاء لقلنا مثل هذا وقد بان التحدي كذبهم في ذلك وتخرصهم فيه
بما ظهر من عجزهم عن سورة مثله وانما قالوا لو نشاء لقلنا مثل هذا ولم يجز ان يقولوا لو نشاء لقلبنا
الجماد حيوانا لانه يتموه هذا على كثير من الناس ولا يتموه ذلك على ان قوم فرعون ظنوا ان السحرة يمكنهم
قلب الجماد حيوانا وقوله قد سمعنا معناه ادركناه باذننا والسماع ادراك الصوت بحاسة الاذن ولو لم يذكر الصوت
لانتقض بالحرارة والبرودة والالم واللذة والادراك اذا ادرك بها ولا يسمى سماعا وعلى هذا اذا قيل ما الرؤية
بالبصر ينبغي ان يقال هي ادراك المرئيات بها لانه قد يدرك الحرارة والبرودة بها فاذا قلنا المرئيات لم ينتقض
بذلك ثم اخبر تعالى عن قولهم بان قالوا ليس هذا الذي سمعناه الا اساطير الاولين والاساطير جمع واحده
اسطورة في قول الزجاج وقال غيره هو جمع اسطر واسطر جمع سطر وزيدت الياء للمد كما قالوا دراهم ودراهيم
ما هذا الا اسطر من الاحاديث يكتبه سطرا بعد سطر قوله عز وجل واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من
من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم اية بلا خلاف اقول تقديره واذكر يا محمد اذ
قال هؤلاء الكفار ان كان هذا القران هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب
اليم شديد مولم قال سعيد بن جبير ومجاهد كان الطالب لذلك النضر بن الحرث بن كلدة لانه كان سمع سجع اهل
الحيرة وكلام الرهبان فقتله النبي عليه السلم يوم بدر صبرا فقال يا رسول الله من للصبية قال النار وقيل
عقبة بن ابي معيط والمطعم بن عدي قتل هؤلاء الثلاثة صبرا من جملة من اسر وفي النضر نزل قوله سال سائل بعذاب
واقع للكافرين يعني ما ساله ههنا وهذا القول من قائله يجوز ان يكون عنادا فان كان العناد قد يحمله شدة
عداوته للحق على اظهار مثل هذا القول ليوهم انه على بصيرة في امره ويجوز ان يكون ذلك لشبهة تمكنت في نفوسهم
وقال الجبائي ذلك دليل على اعتقادهم خلاف الحق الذي اتى به النبي عليه السلم وهو حجة اهل المعارف لانهم
لو عرفوا بطلان ما هم عليه لما قالوا مثل هذا القول فان قالوا كيف طلبوا بالحق من الله العذاب وانما يطلب
به الخير والثواب قلنا لانهم قالوا ذلك على انه ليس بحق من الله عندهم واذا لم يكن حقا من الله لم يصبهم

البلاء الذى طلبوه فان قيل لم قال امطر علينا حجارة من السماء والامطار لا يكون الا من السماء قلنا عنه جوابان احدهما ان امطار الحجارة يمكن ان يكون من علو دون السماء والثانى ان يكون على جهة البيان من والحجارة واحد الاحجار وهو ما صلب من الاجسام يقال استحجر الطين اذا صلب فصار كالحجر واكثر ما يقال حجر للمدر ومع ذلك فالياقوت حجر ولذلك يقال الياقوت افضل الحجارة ولا يقال الياقوت افضل الزجاج لانه ليس من الزجاج وكل شئ من العذاب يقال امطرت ومن الرحمة يقال مطرت وقوله هو يجعل عمادا فى ظننت واخواتها ويسميه البصريون صلة زائدة وتوكيدا كزيادة ما ولا يزاد الا فى كل فعل لا يستغنى عن خبره وفى لغة تميم يرفع ذلك كله فيقولون ان كان هذا هو الحق وكذلك قوله ولكن كانوا هم الظالمين وتجدوه عند الله هو خيرا واعظم اجرا كل ذلك يرفعونه وعلى الاول ينصب ما بعدها وقوله ويرى الذين اوتوا العلم الى قوله هو الحق قوله عز وجل وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَاَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ اية بلا خلاف اقول اخبر الله تعالى نبيه عليه السلم على وجه الامتنان عليه من لدنه عنده انه لا يعذب احدا من هؤلاء الكفار بهذا العذاب الذى اقترحوه على وجه العناد للحق وانت يا محمد فيهم موجود والتعذيب تجديد الالام حالا بعد حال لان اصله الاستمرار فالعذب من استمرار الشئ لما فيه من الملاذ والعذاب استمراره لما فيه من الالام فى قوله ليعذبهم لام الجحد واصلها لام الاضافة وانما دخلت فى النفى ولم تدخل فى الايجاب لتعلق الخبر بحرف النفى كما دخلت الباء فى خبر ما ولم يدخل فى الايجاب انما لم يعاقب الله تعالى الخلق مع كون النبى عليه السلم فيهم على سلامته مما نزل بهم لانه تعالى ارسله رحمة للعالمين وذلك يقتضى الا يعذبهم وهو فيهم و قوله وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون قيل فى معناه اقوال احدها ان النبى عليه السلم لما خرج من مكة بقى فيها بقية من المؤمنين يستغفرون وهو قول ابن عباس وعطية وابى مالك والضحاك واختاره الجبائى وقال اخرون اراد بذلك لا يعذبهم بعذاب الاستيصال فى الدنيا وهم يقولون يا رب غفرانك ويعذبهم على شركهم فى الاخرة وذلك عن ابن عباس فى رواية اخرى وقول ابى موسى ويزيد بن رومان ومحمد بن مبشر الثالث انهم لو استغفروا لم يعذبوا وفى ذلك استدعاء الى الاستغفار روى ذلك عن ابن عباس فى رواية اخرى وبه قال مجاهد وقتادة والسدى وابن زيد وقال الزجاج معناه لا يعذب الله من يؤل الى الاسلام وقال الحسن وعكرمة هذه الاية منسوخة بالتى بعدها قال الرمانى هذا غلط لان الخبر لا ينسخ قوله عز وجل وَمَا لَهُمْ اَنْ لَا يُعَذِّبَهُمُ اللهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا اَوْلِيَاءَهُ اِنْ اَوْلِيَاؤُهُ اِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلٰكِنَّ اَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ اية بلا خلاف اقول ما فى قوله وما لهم ان لا يعذبهم الله خرجت مخرج الاستفهام ومعناه ايجاب العذاب وجاز ذلك لانه ابلغ فى معنى الايجاب من حيث انه لا جواب لمن سال عن مثل هذا يصح فى نفى العذاب والمعنى لم لا يعذبهم وهذا فعلهم وموضع ان نصب بمعنى اى شئ لهم فى ان لا يعذبهم لكن لما حذف الجار عمل معنى الفعل من الاستقرار وجاز الحذف مع ان ولم يجز مع المصدر لطول ان بالصلة اللازمة من الفعل والفاعل وليس كذلك المصدر وحكى عن الاخفش ان ان زائدة مع عملها وقوله وهم يصدون عن المسجد الحرام والصد الاعراض عن الشئ من غير حيلولة بينه وبين غيره والمراد ههنا المنع وقوله وما كانوا اولياءه جمع ولى وهو الذى يستحق القيام بامر الشئ و يكون احق به من غيره فعلى هذا الله تعالى ولى المتقين دون المشركين وقال ابو جعفر والحسن قال المشركون نحن اولياء المسجد الحرام فرد الله ذلك عليهم فقال وما كانوا اولياءه ثم اخبر تعالى ان اولياءه بمعنى ليس الا المتقون الذين يتركون معاصى الله ويجتنبونها وقال قوم المعنى ان اولياء الله الا المتقون والاول احسن لانه مما يقتضيه الانكار وقيل فى معنى لا قولان احدهما ان معناها الجحد اى ما لهم فى الامتناع من العذاب وقيل هى صلة لان المعنى ايجاب العذاب كما قال الشاعر شعر

لو لم يكن غطفان لا ذنوب لها اذا ٭ الى مت اخشابها عمرا

والاول احسن لان المعنى لم لا يعذبهم الله فان قيل كيف تجمعون بين الايتين على قول من لا ينسخ الاولى فان فى الاولى نفى ان يعذبهم الله وهم يستغفرون وفى الثانية اثبت ذلك قلنا عنه ثلثة اجوبة احدها ان يكون اراد وما لهم ان لا يعذبهم الله فى الاخرة والثانى ان يكون يعنى بالاولى عذاب الاصطلام

كما فعل بالامم الماضية وبالثانية اراد عذاب السيف والاسر وغير ذلك ويكون قوله وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون اى انه لا يعذبهم بعذاب الدنيا والاخرة اذا تابوا واستغفروا وقوله ولكن اكثرهم لا يعلمون دليل على بطلان قول من قال المعارف ضرورة قوله تعالى وَمَا كَانَ صَلٰوتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ اِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ اية بلا خلاف اقول روى الحسين الجعفى عن ابى بكر صلوتهم نصبا الا مكاء وتصدية رفع فيهما والصواب ما عليه القراء لان صلوتهم معرفة ومكاء وتصدية نكرة ولا يجوز ان يجعل اسم كان نكرة وخبره معرفة ومن قرا كذلك فلان الصلوة لما كانت مؤنثة ولم يكن فى كان علامة التانيث اضاف الفعل الى المذكر وهو المذكر مكاء وهذا ليس بصحيح لان صلوتهم لما كان مضافا الى المذكر جاز ان يذكر كما ان المذكر اذا اضيف الى المؤنث جاز ان يؤنث نحو قولهم ذهبت بعض اصابعه ومعنى الاية الاخبار من الله تعالى انه لم يكن صلوة هؤلاء الكفار الصادين عن المسجد الحرام الا مكاء لئلا يظن ظان ان مع كونهم مصلين ومستغفرين لا يعذبهم الله كما قال فى الاية الاولى فبين ان صلوتهم كانت مكاء وتصدية والمكاء صفير كصفير المكاء وهو طاير يكون بالحجاز وله صفير قال الشاعر شعر

ومكا بها فكانما يمكوا باعصم عاقل

واصل المكاء جمع الريح للصفير ويقال مكا يمكو مكاء اذا صفر بفيه ومنه يمكو است الدابة اذا انتفخت بالريح والاست المكوة والمكوان يجمع الرجل يديه ثم يدخلهما فى فيه ثم يصيح ومنه قول عنترة شعر

وخليل غانية تركت مجدلا ٭ يمكوا فريصته كشدق الاعلم

اى يصفر بالريح لما طعنه والتصدية التصفيق يقال صدى يصدى تصدية اذا صفق بيديه ومنه الصدى صوت الجبل ونحوه ومنه يتصدى للملك اذا تعرض له ليكلمه وقال ابن عباس وابن عمر والحسن وعطية ومجاهد و قتادة والسدى المكاء الصفير والتصدية التصفيق قال الراجز رجز

ضنت بخد وجلت عن خد ٭ فانا من غرو الهوى لى صد

اى اصفق بيدى تعجبا والغرو العجب وقال ابو على الجبائى كان بعضهم يتصدى لبعض ليراه بذلك الفعل وكان يصفر له وقال سعيد بن جبير وابن زيد التصدية صدهم عن البيت الحرام و قيل انهم كانوا يخلطون ويشوشون بذلك على النبى عليه السلم وانما سمى مكاءهم بانه صلوة لامرين احدهما انهم كانوا يقيمون فعلهم الصفير والتصفيق مقام الصلوة والدعاء والتسبيح والاخر انهم كانوا يعملون كعمل الصلوة مما فيه هذا وقوله فذوقوا العذاب قال الحسن والضحاك وابن جريج وابن اسحق ان معناه عذاب السيف وقال ابو على الجبائى يقال لهم فى الاخرة ذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون فى دار الدنيا وهو قول البلخى والمعنى باشروه وليس المراد به من ذوق الفم قوله تعالى اِنَّ الَّذِيْنَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ اَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيْلِ اللهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُوْنُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُوْنَ وَالَّذِيْنَ كَفَرُوا اِلٰى جَهَنَّمَ يُحْشَرُوْنَ اية فى الكوفى والمدنيين وايتان فى البصرى خاصة اقول اخبر الله تعالى عن هؤلاء الكفار بانهم ينفقون اموالهم ليصدوا عن سبيل الله وسبيل الله ههنا هو دين الله الذى اتى به محمد صلى الله عليه واله وسمى سبيل الله ههنا لان بسلوكه واتباعه يبلغ ما عند الله وان لم يعلموا انها سبيل الله لانهم قصدوا الى الصد عنها وهى سبيل الله على الحقيقة ويجوز ان يقال قصد الصد عن سبيل الله وان لم يعلم ولا يجوز قصد ان يصد من غير ان يعلم لان ان يفسر الوجه الذى منه قصد فلا يكون الا مع العلم بالوجه كقولك قصد ان يكذب وقصد الكذب من غير ان يعلم انه كذب وانما قال ينفقون ثم قال فسينفقونها لان الاول معناه ان من شانهم ان ينفقوا للصد والثانى معناه انه سيقع الانفاق الذى يكون حسرة بما يرونه من الغلبة والحسرة الغم بما انكشف من فوت استدراك الخطيئة والاصل الكشف من قولهم حسر عن ذراعه يحسر حسرا والحاسر خلاف الدارع وحسر حسرة وهو حسير قال المرار شعر

ما انا اليوم على شئ خلا ٭ يابنة القين تولى بحسر

وكان الانفاق المذكور فى الاية القيم به ابو سفيان صخر بن حرب استاجر يوم احد الفين من الاحابيش من كنانة فى قول سعيد وابن ابزى ومجاهد والحكم بن عيينة وفى ذلك قال كعب بن مالك شعر

وجئنا الى برج من البحر وسطه ٭ احابيش منهم حاسر ومقنع ٭ ثلاثة الاف ونحن نصية

ثلث ممّين ان كثرن فاربع وقال الضحاك انما عني بالاية الانفاق يوم بدر وفي الاية دلالة على نبوة النبي
عليه السّلم لانه اخبر بالشئ قبل كونه فكان على ما اخبر به قوله تعالى لِيَمِيزَ اللّٰهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ
الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ اُولٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ اية بلا خلاف اقول اخبر الله
تعالى انه يحشر الكفار الى جهنم ليميز الخبيث الذى هو الكافر من الطيب الذى هو المؤمن والتميز هو اخراج الشئ
عما خالفه مما ليس منه والحاقه بما هو منه يقول مازه يميزه وميزه تمييزا وامتاز امتيازا وانماز انميازا والخبيث
الردى من كل شئ وضده الطيب ومنه خبث الحديد وخبث الفضة وخبث الانسان خبثا وتخبث تخبثا و
تخابث تخابثا وخبثه تخبيثا والطيب المستلذ من الطعام والطيب الحلال من الرزق والطيب من الولد الذى
يفرح به والطيب نقيض الخبيث وهو الجيد من كل شئ وقيل المعنى ليميز الله ما انفقه المؤمنون فى طاعة الله
مما انفقه المشركون فى معاصيه وقوله ويجعل الخبيث بعضه على بعض معناه ان الكافر يكون على اسوء حال
كالمتاع والركام هوانا وتحقيرا واذلالا وقوله فيركمه جميعا معناه تراكب بعضه فوق بعض كالرمل الركام و
هو المتراكب ركمه يركمه ركما وتراكم تراكما وارتكم ارتكاما ومنه قوله تعالى فى صفة السحاب فيجعله ركاما وقال
الحسن يركمهم الله مع ما انفقوا في جهنم كما قال يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم
ثم اخبر انه اذا ركمه جميعا يجعله فى جهنم واخبر عنهم بانهم الخاسرون نفوسهم باهلاكهم اياها بارتكاب المعاصى
والكفر المؤدى الى عذاب الابد قوله تعالى قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا اِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَاِنْ يَعُودُوا
فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الْاَوَّلِينَ اية اقول امر الله تعالى نبيه عليه السّلم ان يقول للكفار ان ينتهوا يغفر
لهم ما قد سلف والمعنى ان انابوا عن الكفر والمعاصى وتابوا منها توبة خالصة لان الكف عن المعاصى
مع الاصرار لا يوجب الغفران وانما اطلق الوعد فى الاية بالانتهاء عن المعصية لان الانتهاء عنها لا
يكون مع الاصرار عليها لان الاصرار معصية وقوله وان يعودوا فقد مضت سنة الاولين معناه
وان يعودوا ويرجعوا الى المعصية فقد مضت سنة الاولين فى تعجيل العقاب لهم فى الدنيا بعذاب
الاستيصال وما جرى مجراه من الاسر والقتل يوم بدر وبالنصر من الله فى قول الحسن ومجاهد و
السلف المتقدم يقول سلف يسلف سلوفا واسلف اسلافا وتسلف تسلفا وسلفه تسليفا وسلفه
تسليفا واستسلف استسلافا والسالفة اعلى العنق والسلافة اخلص الخمر واجودها والسلفان
المتزوجان باختين والسنة الطريقة التى يجرى عليها الامر ومنه قولهم هذا مستمر على سنن واحد
قوله تعالى وَقَاتِلُوهُمْ حَتّٰى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلّٰهِ فَاِنِ انْتَهَوْا فَاِنَّ اللّٰهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ
وَاِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا اَنَّ اللّٰهَ مَوْلٰكُمْ نِعْمَ الْمَوْلٰى وَنِعْمَ النَّصِيرُ آيتان بلا خلاف اقول امر الله تعالى
نبيه والمؤمنين ان يقاتلوا الكفار حتى لا يكون فتنة وهى الكفر من غير اهل العهد وما جرى مجراه من البغى
لانهم يدعون الناس الى مثل حالهم بتعززهم على اهل الحق وتطاولهم فيفتنونهم فى دينهم وقال ابن
عباس والحسن معناه حتى لا يكون كفرا فى كفر الذليل والاسير والشديد لا يفتن الناس فى دينهم
لان الذل لا يدعو الى حال صاحبه كما يدعو العز ومنه قوله ويكون الدين كله لله معناه ان يجمع اهل
الباطل واهل الحق على الدين الحق فيما يعتقدونه ويعملون به فيكون الدين كله حينئذ لله بالاجماع على
طاعته وعبادته والدين ههنا الطاعة والعبادة وقوله فان انتهوا فان الله بما تعملون بصير معناه
فان رجعوا عن الكفر وانتهوا عنه فان الله يجازيهم مجازاة البصير بهم وباعمالهم باطنها وظاهرها لا
يخفى عليه شئ منها وقوله وان تولوا فاعلموا ان الله مولكم فى معناه قولان احدهما وان تولى هؤلاء الكفار
واعرضوا عن الدين الحق واتباعه فثقوا بالله وتذكروا ما وعدكم به ايها المؤمنون تسكينا لنفوسهم
وتمكينا للحق عندهم والثانى فاعلموا ان الله ينصركم عليهم على طريق الامر يعلم هذا ليكونوا على
بصيرة فى ان الغلبة لهم قوله وان تولوا شرط وقوله فاعلموا ان الله امر فى موضع الجواب وانما جاز
ذلك لان فيه معنى الخبر فلم يخرج من ان يجب الثانى بالاول كانه قال فواجب عليكم العلم بان الله مولكم

لا يكون فتنة وبين قوله حتى لا يكون

او فينبغى ان تعلموا فلم يخرج من ان يجب الثانى بالاول كانه قال فواجب عليكم العلم بان الله مولاكم او
ان الله مولاكم والمولى ههنا هو الناصر وهو الذى يوليكم عن الغلبة والمولى على اقسام بمعنى الناصر
وبمعنى الحليف وبمعنى المعتق والمعتق وبمعنى الاولى والاحق كما قال لبيد فغدت كلا الفرجين
يحسب انه مولى المخافة خلفها وامامها ومنه قول النبى عليه السّلم ايما امراة نكحت بغير اذن مولاها
فنكاحها باطل اى من هو اولى بالعقد عليها وقال الاخطل يمدح عبد الملك بن مروان فاصبح مولاها
من الناس كلهم واحرى قريش ان تهاب وتحمدا وقال ابو عبيدة ومنه قوله النار مولاهم معناه
الاولى بهم واستشهد ببيت لبيد المقدم ذكره وقد استوفينا اقسام مولى فى هذا الموضع فلا
نطول بذكره ههنا والتولى عن الدين هو الذهاب عنه الى خلافه وهو والاعراض بمعنى واحد
والتولى فى الدين هو الذهاب الى جهة الحق ومتابعة النبى عليه السّلم والنصرة له والمعونة قوله
تعالى وَاعْلَمُوا اَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَاَنَّ لِلّٰهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبٰى وَالْيَتَامٰى وَالْمَسَاكِينِ
وَابْنِ السَّبِيلِ اِنْ كُنْتُمْ اٰمَنْتُمْ بِاللّٰهِ وَمَا اَنْزَلْنَا عَلٰى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللّٰهُ عَلٰى
كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ اية بلا خلاف اقول الغنيمة ما اخذ من اموال اهل الحرب من الكفار بقتال وهى
هبة من الله تعالى للمسلمين والفئ ما اخذ بغير قتال فى قول عطا بن السايب وسفيان الثورى وهو قول
الشافعى وهو المروى فى اخبارنا وقال قوم الفئ والغنيمة واحد وقالوا ان هذه الاية ناسخة للتى
فى الحشر من قوله ما افاء الله على رسوله من اهل القرى فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى
والمساكين وابن السبيل لانه تبين فى هذه الاية ان الاربعة اخماس للمقاتلة وعلى القول الاول
لا يحتاج الى هذا وعند اصحابنا ان مال الفئ للامام خاصة يفرقه فيمن شاء يضعه فى مؤنة نفسه
وذوى قرابته واليتامى والمساكين وابن السبيل من اهل بيت رسول الله ليس لسائر الناس فيه
شئ واما خمس الغنيمة فانه يقسم عندنا ستة اقسام فسهم لله وسهم لرسوله للنبى وهذان السهمان
مع سهم ذى القربى للقائم مقام النبى صلى الله عليه واله ينفقها على نفسه واهل بيته من بنى هاشم
وسهم لليتامى وسهم للمساكين وسهم لابناء السبيل من اهل بيت الرسول لا يشركهم فيها باقى
الناس لان الله تعالى عوضهم ذلك عما اباح لفقراء المسلمين ومساكينهم وابناء سبيلهم من
الصدقات اذ كانت الصدقات محرمة على اهل بيت الرسول عليه السلام وهو قول على بن الحسين
بن على بن ابى طالب ومحمد بن على الباقر ابنه عليهم السلام رواه الطبرى باسناده عنهما وقال
الحسين بن على المغربى حاكيا عن الصابونى من اصحابنا ان هؤلاء الثلثة فرق لا يدخلون فى سهم
ذى القربى وان كان عموم اللفظ يقتضيه لان سهامهم مفردة وهو الظاهر من المذهب والذين
يستحقون الخمس عندنا من كان من ولد عبد المطلب لان هاشما لم يعقب الا منه من الطالبيين و
العباسيين والحارثيين واللهبيين فاما ولد عبد مناف من المطلبيين فلا شئ لهم فيه وعند اصحابنا
الخمس يجب فى كل فائدة تحصل للانسان من المكاسب وارباح التجارات والكنوز والمعادن والغوص
وغير ذلك مما ذكرناه فى كتب الفقه ويمكن الاستدلال على ذلك بهذه الاية لان جميع ذلك يسمى غنيمة
وقال ابن عباس وابرهيم وقتادة وعطاء الخمس يقسم خمسة اقسام فسهم الله وسهم الرسول واحد و
قال قوم يقسم اربعة اقسام سهم لبنى هاشم وثلثة للذين ذكروا بعد ذلك من سائر المسلمين ذهب
اليه الشافعى وقال اهل العراق يقسم الخمس ثلثة اقسام لان سهم الرسول صرف الائمة الاربعة الى الكراع
والسلاح وقال مالك يقسم على ما ذكره الله ويجوز للامام ان يخرج عنهم حسب ما يراه وانما جاء على
طريق الاولى فى بعض الاحوال وقال ابو العالية وهو رجل من صالحى التابعين يقسم ستة اقسام فسهم
الله للكعبة والباقى لمن ذكر بعد ذلك وقال ابن عباس ومجاهد ذوا القربى هم بنو هاشم وقد بينا نحن
ان المراد بذى القربى اهل بيت النبى عليه السّلم انهم بنو هاشم وبعد النبى هو القائم مقامه وبه قال

على بن الحسين وروى جبير بن مطعم عن النبى عليه السلم انهم بنو هاشم وبنو المطلب واختاره الشافعى وقال
الحسن وقتادة سهم الله وسهم رسوله وسهم ذى القربى لولى الامر من بعده وهو مثل مذهبنا وقال ابو
على الجبائى ان الائمة الاربعة جعلوا سهم الرسول وذى القربى فى الكراع والسلاح واجمعوا على ان سهم
اليتامى والمساكين وابن السبيل شايع فى الناس بخلاف ما قلناه واليتيم من مات ابوه وهو صغير قبل
البلوغ وكل حيوان يتيم من قبل امه الا ان ابن ادم فانه من قبل ابيه واما ابن السبيل فهو المنقطع به فى
سفره وانما قيل ابن السبيل بمعنى اخرجه الى هذا المستقر كما يخرجه ابوه الى مستقره لقى محتاجا والمسكين
المحتاج الذى من شانه ان يسكنه الحاجة عما ينهض به الغنى وقوله فان لله خمسه قيل فى فتح ان قولان
احدهما فعلى ان لله خمسه وحذف حرف الجر فنصب الثانى انه عطف على ان الاولى وحذف خبر الاولى
لدلالة الكلام عليه وتقديره اعلموا ان ما غنمتم من شئ يجب قسمته واعلموا ان لله خمسه قال الفراء
انه جزاء بمنزلة الم تعلموا انه من يحادد الله ورسوله فان له نار جهنم خالدا قال الرمانى هذا غلط لان
ان لا يدخل على الجزاء الا مع العماد كما لا يدخل ان الا على هذا الوجه وقوله ان كنتم امنتم بالله وما انزلنا
على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان معناه اعلموا انما غنمتم من شئ لهؤلاء الذين ذكرناهم ان
كنتم مؤمنين بالله مصدقين له فى اخباره وما انزله على عبده محمد صلى الله عليه واله من القران
وقال الزجاج يجوز ان يكون قوله ان كنتم امنتم بالله وما انزلنا على عبدنا يوم الفرقان اى فايقنوا
ان الله ناصركم اذ كنتم شاهدتم من نصره ما شاهدتم ومعنى يوم الفرقان يوم التقى الجمعان
يوم بدر وسمى يوم الفرقان لانه تميز اهل الحق مع قلة عددهم من المشركين مع كثرة عددهم بنصر
الله المؤمنين وقيل كان يوم السابع عشر من شهر رمضان وقيل التاسع عشر سنة اثنتين من
الهجرة وهو المروى عن ابى عبد الله عليه السلم ثم قال والله على كل شئ قدير اى هو قادر على
مجازاة من اطاعه بجزيل الثواب على عقاب من عصاه باليم العذاب قوله تعالى اذ انتم بالعدوة
الدنيا وهم بالعدوة القصوى والركب اسفل منكم ولو تواعدتم لاختلفتم فى الميعاد ولكن ليقضى الله امرا كان
مفعولا ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حى عن بينة وان الله لسميع عليم آيتان فى المدنيين
والبصرى وآية واحدة فى الكوفى القراءة قرء ابن كثير وابو عمرو بالعدوة بكسر العين الباقون بضمها
وهما لغتان قال الراعى فى الكسر وعينان حمر مآقيهما كما نظر العدوة الجؤذر وقال اوس بن حجر
فى الضم شعر وفارس لا يحل الحى عدوته ولوا سراعا وما هموا باقبال والعدوة شفير الوادى و
قال البصريون الكسر اكثر اللغات وقال احمد بن يحيى بالضم اكثر وقال قوم هما لغتان سواء وقرء نافع وابو بكر
عن عاصم وابن كثير فى رواية البزى وسهل حيى باظهار اليائين وقرء الباقون بالادغام وانما جاز الادغام
فى حيى للزوم الحركة فى الثانى يجرى مجرى رد واذا اخروا عن جماعة قالوا حيوا فخففوا وقد جاء مدغما فقالوا
حيوا ومن اختار الاظهار فلامتناع الادغام فى مضارعه من يحيى فجرى على شاكلته قال الزجاج لان الحرف
الثانى ينتقل عن لفظ الياء يقول حيى يحيى فاما احيا يحيى فلا يجوز فيه الادغام عند البصريين لان الثانى
اذا سكن فى المضاعف فى نحو لم يردد كان الاظهار اجود فالمعتل بذلك اولى لان سكونه الزم فكذلك
وجه الاظهار فى يحيى لانه احق من لم يردد ولان السكون له الزم وقد اجاز الفراء الادغام فى يحيى وانشد
بيتا لا يعرف شاعره شعر وكانها بين النساء سبيكة تمشى بسدة بابها فتحى تقدير معنى الاية واذكروا
ايها المؤمنون اذ انتم بالعدوة وهى الجهة التى هى نهاية الشئ من احد جانبيه ومنه قولهم عدوتا الوادى
وهما شفيراه وجانباه والدنيا بمعنى الادنى الى المدينة والقصوى بمعنى الاقصى منها الى جهة مكة وذلك
ان النبى صلى الله عليه واله واصحابه نزلوا بالجانب الادنى الى المدينة وقريش نزلت بالجانب الاقصى منها
الى مكة فرالوادى بهذه الصفة فقد اكتفا شفيره وقوله والركب اسفل منكم يعنى ابا سفيان واصحابه فى موضع
اسفل منكم الى ساحل البحر وانما نصب اسفل لان تقديره بمكان اسفل فهو فى موضع خفض ونصب لانه لا ينصرف

وكان يجوز الرفع على تقدير والركب اشد سفلا منكم ومن نصب يجوز ان يكون اراد والركب مكانا اسفل
منكم بجعله ظرفا والذى حكيناه هو قول الحسن وقتادة وابن اسحق ومجاهد والسدى واصل الدنيا
الدنوى بالواو وبدلا لانه قولهم دنوت الى الشئ ادنو دنوا فقلبت الواو ياء ولم تقلب مثل ذلك فى القصوى
لانه ذهب بالدنيا مذهب الاسم فى قولهم الدنيا والاخرة وان كان اصلها صفة فخففت لان الاسم
احق بالتخفيف ويقول ادناه ادنى واستدناه استدناء وتدانوا تدانيا وداناه مداناة والعلو قرار تحته قرار
والسفل قرار فوقه قرار يقول سفل يسفل سفلا وتسفل تسفلا وتسافل تسافلا وسفل تسفيلا وسافله
مسافلة وهو الاسفل وهى السفلى وقوله ولو تواعدتم لاختلفتم فى الميعاد والمواعدة وعد كل واحد من
الاثنين الاخر وتواعد تواعدا والاختلاف مذهب كل واحد من الشيئين فى نقيض الاخر ومنه الاختلاف
فى الميعاد لذهاب كل واحد من الفريقين فيما يناقض الميعاد من التقدم والتاخر والزيادة والنقصان
عما انعقد به الميعاد وقيل اختلافهم فى الميعاد بمعنى لو تواعدتم ايها المؤمنون الاجتماع فى الموضع الذى
اجتمعتم فيه ثم بلغكم كثرة عددهم مع قلة عددكم لتاخرتم فنقضتم الميعاد فى قول ابن اسحق ووجه اخر ولو
تواعدتم من غير لطف الله لكم لاختلفتم بالعوائق والقواطع تذكر الميعاد لتاكيد امره فى الاتفاق ولو لطف
الله مع ذلك لوقع على الاختلاف كما قال الشاعر شعر جرت الرياح على محل ديارهم فكانما كانوا على ميعاد
وقوله ليقضى الله امرا كان مفعولا معناه ليفصل الله امرا كان مفعولا من عز الاسلام وعلو اهله على
عبدة الاوثان وغيرهم من الكفار بحسن تدبيره ولطفه وقوله ليهلك من هلك عن بينة معناه ليهلك من
هلك عن قيام حجة عليه بما راى من المعجزات الباهرات للنبى عليه السلم فى حروب بدر وغيرها ويحيى من حى عن
بينة يعنى ليستبصر من استبصر عن قيام حجة فجعل الله المتبع للحق بمنزلة الحى وجعل الضال بمنزلة الهالك
وقوله وان الله لسميع عليم معناه سميع لما يقوله القائل فى ذلك عليم بما يضمره فهو يجازيه بحسب ما يكون
منه قوله تعالى واذ يريكهم الله فى منامك قليلا ولو اريكهم كثيرا لفشلتم ولتنازعتم فى الامر ولكن الله
سلم انه عليم بذات الصدور آية بلا خلاف المعنى التقدير واذكر يا محمد اذ يريكهم الله فى منامك قليلا
والهاء والميم كناية عن الكفار الذين قاتلوه يوم بدر ولو اريكهم كثيرا لفشلتم ولتنازعتم فى الامر وهذه
الرؤية كانت فى المنام عند اكثر المفسرين والرؤيا فى المنام تصور يتوهم معه الرؤية فى اليقظة والرؤيا
على اربعة اقسام رؤيا من الله عز وجل ولها تاويل ورؤيا من غلبة الاخلاط ورؤيا من الافكار وكلها
اضغاث احلام الا الرؤيا من قبل الله تعالى التى هى الهام فى المنام يتصور به الشئ كانه يرى فى اليقظة ورؤيا
النبى عليه السلم هذه بشارة له وللمؤمنين بالغلبة وقال الحسن معنى فى منامك فى عينك التى تنام بها
وليس من الرؤيا فى النوم وهو قول البلخى وهذا بعيد لانه خلاف الظاهر من مفهوم الكلام قال الرمانى
ويجوز ان يريد الله الشئ فى المنام على خلاف ما هو به لان الرؤيا فى المنام يخيل للمعنى من غير قطع وان
جاء معه قطع من الانسان على المعنى وانما ذلك على مثل تخييل السراب ماء من غير قطع على انه ماء
فهذا يجوز ان يفعله الله ولا يجوز ان يلهمه اعتقاد الشئ على خلاف ما هو به لان ذلك يكون جهلا
ولا يجوز ان يفعله الله تعالى والنوم ضرب من السهو يزول معه معظم الحس يقول نام ينام نوما ونومة
ونوما وانامه انامة وتناوم تناوما واستنام استناما والمنام موضع النوم والمضطجع موضع الاضطجاع
والقلة نقصان عن عدد كما ان الكثرة زيادة على عدد يقال قل يقل قلة وقلله تقليلا واستقل استقلالا
وتقلل تقللا والشئ يكون قليلا اما بالاضافة الى ما هو اكثر منه ويكون كثيرا بالاضافة الى ما هو اقل
منه واقله اقلالا اذا اطاقه فصادفه قليلا فى طاقته فهو مشتق من هذا واستقل من المرض اذا قوى
قوة يزول بها المرض اى وجده قليلا فى قوته لا يعتد به وقوله لفشلتم فالفشل ضعف الرجل لان الضعف
قد يكون لمرض من غير فزع وقد يكون من فزع فالفشل انما هو الضعف عن فزع فشل يفشل فشلا
فهو فشل وفشله تفشيلا اذا نسبه الى الفشل وتفاشلوا تفاشلا وقوله ولتنازعتم فالتنازع الاختلاف

الذى يحاول كل واحد منهم نزع صاحبه مما هو عليه تنازعا وتنازعه منازعة ونزع عن الامر ينزع نزوعا و
استنزعه اذا طلب نزوعه وانتزعه اذا اقتلعه عن مكانه وقوله ولكن الله سلم فالسلامة من جهة الدين و
سلمه تسليما اذا انجاه واستسلم استسلاما اذا اسلم نفسه للامر وتسلم تسلما اذا طلب السلامة واستلم الحجر
اذا طلب لمسه على السلامة وسالمه مسالمة وتسالما تسالما وقوله انه عليم بذات الصدور فالصدر الموضع
الاجل يكون القلب فيه وصدر المجلس اجله لانه موضع الرئيس وصدر الدار مشبه بصدر الانسان لانه
المستقبل منه كاستقباله من الانسان يقال صدر يصدر صدورا واصدره اصدارا وتصدر تصدرا وصدره تصديرا
وصادره مصادرة وتصادر وتصادرا تصادرا فائدة الاية ان الله لطف للمؤمنين بما لولم يكن لفشلوا واضطرب
امرهم واختلفت كلمتهم ولكن سلمهم الله من ذلك بلطفه لهم واحسانه بهم حتى بلغوا ما ارادوه من عدوهم
قوله عز وجل وَاِذْ يُرِيكُمُوهُمْ اِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي اَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي اَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللّٰهُ اَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا
وَاِلَى اللّٰهِ تُرْجَعُ الْاُمُورُ آية بلا خلاف اقول التقدير واذكروا ايها المؤمنون اذ يريكموهم فالهاء والميم كناية
عن المشركين والكاف والميم كناية عن المؤمنين ارى الله تعالى الكفار قليلين فى اعين المؤمنين ليشتد بذلك
طمعهم فيهم وجرئتهم عليهم وقلل المؤمنين فى اعين الكفار لئلا يتاهبوا ولا يستعدوا لقتالهم ولا يكترثوا
بهم يظفر بهم المؤمنون والمراد بالرؤية ههنا الرؤية بالبصر وهو الادراك بحاسة البصر والرائى هو المدرك
والعين حاسة يدرك بها البصر والعين مشتركة فمنها عين الماء وعين الميزان وعين الركبة وعين الذهب
والعين النفس والالتقاء اجتماع الاتصال لان الاجتماع على وجهين اجتماع الاتصال واجتماع فى معنى من
غير اتصال كاجتماع القوم فى الدار وان لم يكن هناك اتصال ويقال للعسكرين اذا تصافا التقيا لوقوع
العين على العين فان قيل كيف قللهم الله فى اعينهم مع رؤيتهم لهم قلنا بان يتخيلوهم باعينهم قليلا من غير
رؤية على الصحة لجميعهم وذلك بلطف من الطافه تعالى مما يصد به عن الرؤية من قتام يستر بعضهم ولا يستر
بعضا اخر وروى عن ابن مسعود انه قال رأيناهم قليلا حتى قلت لمن كان الى جانبى اتراهم سبعين رجلا فقال
اراهم نحو المائة فلما اسرنا رجلا منهم سألناه كم كانوا فقال الفا وقوله ليقضى الله امرا كان مفعولا انما كرره
فى هذه الاية مع ذكرها فى الاية الاولى لاختلاف الفائدة فمعناه فى الاية الاولى ولو تواعدتم لاختلفتم فى
الميعاد ولكن ليقضى الله امرا كان مفعولا من الالتقاء على الصفة التى حصلتم عليها ومعناه فى الثانى بتقليل
كل فريق فى عين صاحبه ليقضى الله امرا كان مفعولا من اعزاز الدين بجهادكم على ما دبره لكم وانما قال كان
مفعولا والمعنى يكون مفعولا فى المستقبل لتحقيق كونه لا محالة حتى صار بمنزلة ما قد كان اذ قد علم الله انه
كائن لا محالة وقوله تعالى والى الله ترجع الامور اى ترجع الامور الى ملكه وتدبيره خاصة ويزول ملك كل
من ملكه فى دار الدنيا قوله تعالى يَا اَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللّٰهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ
آية اقول هذا خطاب من الله تعالى للمؤمنين خاصة يامرهم بانهم اذا لقوا جماعة من الكفار لمحاربتهم
ان يثبتوا ويذكروا الله كثيرا ويستنصروه عليهم لكى يفلحوا ويفوزوا بالظفر بهم وبالثواب عند الله يوم
القيمة وقد بينا ان معنى الايمان هو التصديق بما اوجبه الله على المكلفين او ندبهم اليه والفئة الجماعة
المنقطعة من غيرها واصله من فاوت راسه بالسيف اذا قطعته والثبوت حصول الشئ فى المكان على
استمرار يقال لمن استمر على صفة قد ثبت كثبوت الطين والذكر ضد السهو وقد يكون الذكر القول من
غير سهو والفئة المذكورة فى الاية وان كانت مطلقة فالمراد بها المشركة او الباغية لان الله لا يامر
المؤمنين بالثبوت لقتال احد الا من هو بهذه الصفة ولا يامر بقتال المؤمنين قوله تعالى وَاَطِيعُوا اللّٰهَ
وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا اِنَّ اللّٰهَ مَعَ الصَّابِرِينَ آية اجماعا اقول امر الله
تعالى هؤلاء المؤمنين الذين ذكرهم بان يطيعوا الله ورسوله ولا يختلفوا فيضعوا عن الحرب والعامل
فى فتفشلوا الفاء التى هى بدل من ان على معنى جواب النهى كقولك لا تات زيدا فيهينك ولذلك عطف
بالنصب فى قوله وتذهب ريحكم عليه وقوله وتذهب ريحكم معناه كالمثل اى ان لكم ريحا تنصرون بها

يقال ذهب ريح فلان اى كان يجرى فى امره على السعادة بريح تحمله اليها فلما ذهبت وقف امره فهذه
بلاغة حسنة وقيل المعنى ريح النصرة التى يبعثها الله مع من ينصره على من يخذله فى قول قتادة وابن
زيد وقيل تذهب دولتكم فى قولهم ذهب ريحه اى ذهبت دولته فى قول ابى عبيدة وابى على وقال
عبيد بن الابرص شعر كما حميناك يوم النعف من شطب والفضل للقوم من ريح ومن عدد
اى من ريح عز ومن عدد وقال ابو جعفر عليه السلام هذه الاية نزلت حين اشار حباب بن المنذر
على النبى عليه السلام على قول حباب قوله تعالى وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ
وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللّٰهِ وَاللّٰهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ آية بلا خلاف اقول نهى الله تعالى المؤمنين فى هذه
الاية ان يكونوا مثل الذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس وهم قريش لما خرجت لتحمى العير فلما نجا ابو
سفيان ارسل اليهم ان ارجعوا فقد سلمت عيركم وهم بالجحفة فقال ابو جهل والله لا نرجع حتى نرد بدرا و
ننحر جزرا ونشرب خمرا وتعزف علينا القيان ويرانا من غشينا من اهل الحجاز ذكره ابن عباس ومجاهد
وعروة بن الزبير وابن اسحق والبطر الخروج عن موجب النعمة من شكرها والقيام بحقها الى خلافه واصله
الشق فمنه البيطار الذى يشق اللحم بالمبضع وبطر الانسان بطرا وابطره كثرة النعمة عليه ابطارا و
بطره تبطيرا والرياء اظهار الجميل مع ابطان القبيح يقول رائى يرائى مراءاة ورياء والمرائى رجل سوء
لما بينا والنفاق اظهار الايمان مع ابطان الكفر والصد المنع وقيل هو جعل ما يدعو الى الاعراض فهؤلاء
يصدون عن سبيل الله بما يدعون الناس الى الاعراض عنها عن معاداة اهلها وقتالهم عليها و
تكذيبهم بما جاء به الداعى اليها والفرق بين الصد والمنع ان المنع ما يتعذر معه الفعل والصد ما
يدعوا الى ترك الفعل وقوله والله بما تعملون محيط معناه يحتمل امرين احدهما انه يحيط علمه بما يعملونه
الثانى انه قادر على جزاء ما يعملونه من ثواب او عقاب قوله تعالى وَاِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ اَعْمَالَهُمْ
وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَاِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ اِنِّي
بَرِيءٌ مِنْكُمْ اِنِّي اَرَى مَا لَا تَرَوْنَ اِنِّي اَخَافُ اللّٰهَ وَاللّٰهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ آية بلا خلاف اقول التقدير
واذكر اذ زين لهم الشيطان يعنى المشركين زين لهم الشيطان اعمالهم بمعنى حسنها فى نفوسهم والتزيين
هو التحسين والمعنى ان ابليس حسن للمشركين اعمالهم وحرضهم على قتال محمد وخروجهم من مكة وقوى
نفوسهم وقال لهم لا غالب لكم اليوم من الناس يقول غلبه يغلبه غلبة فهو غالب وغالبه مغالبة و
تغالبا تغالبا وغلبه تغليبا والغلبة القهر للمنازع والملك لامره وقوله وانى جار لكم حكاية عما قال
ابليس للمشركين فانه قال لهم انى جار لكم لانهم خافوا بنى كنانة لما كان بينهم فاراد ابليس بان يسكن
خوفهم والجار هو الدافع عن صاحبه السوء اجاره يجيره جوارا ومنه قوله هو يجير ولا يجار عليه اى
يعقد لمن احب دفع الضرر عنه من كل احد ولا يعقد عليه فالجار المجير وقوله فلما تراءت الفئتان
معناه فلما التقتا ورأى بعضهم بعضا نكص يعنى ابليس على عقبيه والنكوص هو الرجوع قهقرى
خوفا مما يرى نكص ينكص نكوصا قال زهير هم يضربون حبيك البيض اذ لحقوا لا ينكصون اذا ما
استلحموا وحموا واختلفوا فى ظهور الشيطان لهم حتى رأوه فقال ابن عباس والسدى وقتادة
وابن اسحق ظهر لهم فى صورة سراقة بن مالك بن جشم الكنانى المدلجى فى جماعة من جنده وقال لهم هذه
كنانة قد اتتكم بجده فلما رأى الملائكة نكص على عقبيه فقال الحرث بن هشام الى اين يا سراق فقال
انى ارى ما لا ترون وهو قول ابى جعفر وابى عبد الله عليهما السلام وقيل انه رأى جبرئيل بين
يدى النبى عليه السلام وقال ابو على الجبائى حوله الله على صورة انسان علما للنبى عليه السلام
بما يخبر به عنه وقال الحسن والبلخى انما هو يوسوسه من غير ان يحول فى صورة انسان وقوله انى اخاف
الله والله شديد العقاب حكاية عن قول ابليس حين ولى فقال لقريش انى ارى من الملائكة ما لا ترون
انى اخاف الله والله شديد العقاب وانما خاف من ان ياخذه فى تلك الحال بعقوبته دون ان يكون خاف

معصيته فامتنع منها قال الحسن ابليس عدو الله لا يخاف الله لكن كلما استوصل جند من جنوده وقت
بذلك عليه مخافة وذلة وقال البلخي هو كقولك للرجل جعت بين الفريقين حتى اذا وقع الشر بينهم
خليتهم وانصرفت وقلت اعملوا ما شئتم وتريد بذلك انك خليت بينهم دون ان يكون هناك قول
والاول هو المشهور في التفاسير والواو دخلت في قوله واذ زين لهم الشيطان للعطف على
خروجهم بطرا ورئاء الناس فعطف حالهم في تزيين الشيطان اعمالهم على حالهم في خروجهم بطرا قوله
عز وجل اِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هٰؤُلَاءِ دِينُهُمْ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللّٰهِ فَاِنَّ اللّٰهَ
عَزِيزٌ حَكِيمٌ اية بلا خلاف اقول العامل في اذ يحتمل ان يكون احد شيئين احدهما الابتداء والتقدير
ذاك اذ يقول والاخر بتقدير اذكر اذ يقول المنافقون وهم الذين يبطنون الكفر ويظهرون الايمان
والذين في قلوبهم مرض الشاكين في الاسلام مع اظهارهم كلمة الايمان وهم بمكة جماعة خرجوا مع المشركين
يوم بدر فلما راوا قلة المسلمين قالوا هذا القول وهم قيس بن الوليد بن المغيرة والحرث بن زمعة وعلي بن
امية والعاص بن المنبه بن الحجاج هذا قول مجاهد والشعبي وقال الحسن المرض الشرك والذين في قلوبهم
مرض المشركون وقال ابو علي فصلوا في الذكر لان المنافقين كانوا يضمرون عداوة النبي عليه السلام و
المؤمنين وكانوا هؤلاء مرتابين وكلهم في معنى المنافقين لان الشك في الاسلام كفر وقوله غر هؤلاء
دينهم معناه انه يقول غره يغره غرورا واغتره اغترارا ومنه الغرر لانه عمل بما لا يؤمن معه الغرور وقوله
ومن يتوكل على الله معناه ومن يسلم لامر الله ويثق به يقول وكل امره الى الله يكل واتكل عليه يتكل
اتكالا وتوكل توكيلا وقوله فان الله عزيز حكيم معناه انه قادر لا يغالب واضع للاشياء مواضعها
قوله عز وجل وَلَوْ تَرَىٰ اِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَاَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا
عَذَابَ الْحَرِيقِ اية بلا خلاف اقول قرء ابن عامر اذ تتوفى بتائين فادغم احداهما في الاخرى هشام عنه
الباقون بالياء والتاء من قرء بالتاء اسند الفعل الى الملٰئكة ومن قرء بالياء فلان التانيث غير حقيقي
هذا خطاب للنبي عليه السلم يقول الله تعالى له ولو ترى الوقت الذي يتوفى الملٰئكة الذين كفروا
بمعنى انهم يقبضون ارواحهم على استيفائها لان الموت انما يكون باخراج الروح على تمامها وجواب لو
محذوف وتقديره لرايت منظرا عظيما او امرا عجيبا او عقابا شديدا وحذف الجواب في مثل هذا ابلغ لان
الكلام يدل عليه والمرئي ليس بمذكور في الكلام لكن فيه دلالة عليه لان تقديره لو رايت الملٰئكة يضربون
من الكفار الوجوه والادبار وحذفه ابلغ واوجز مع ان الكلام يدل عليه وقال مجاهد وسعيد بن جبير
معنى ادبارهم استاههم لكنه كنى عنه وقال الحسن معناه ظهورهم وقال ابو علي المعنى سيضربهم
الملٰئكة عند الملٰئكة عند الموت قال الرماني وهذا غلط لانه خلاف الظاهر وخلاف الاجماع المتقدم
انه يوم بدر وروى الحسن ان رجلا قال يا رسول الله اني رايت بظهر ابي جهل مثل الشراك فقال ذاك ضرب
الملٰئكة وروى عن مجاهد ان رجلا قال للنبي عليه السلم اني حملت على رجل من المشركين فذهبت لاضرب
فبدر راسه فقال سبقك اليه الملٰئكة وعن ابن عباس انه كان يوم بدر وقوله وذوقوا عذاب الحريق و
تقديره ويقولون يعني الملٰئكة للكفار يقولون لهم ذوقوا عذاب الحريق يوم القيمة وحذف لدلالة الكلام
عليه ومثله قوله ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم ربنا ابصرنا وسمعنا اي يقولون ربنا
ابصرنا ودل الكلام عليه والحريق تفريق الاجسام الكبيرة العظيمة بالنار العظيمة احرق احراقا واحرق
احرق احراقا وتحرق تحرقا وحرقه تحريقا وجواب لو محذوف وتقديره لرايت منظرا هائلا وانما حذف
جواب لولا ان ذكره يخص وجها مع الحذف يظن وجوه كثيرة فهو ابلغ قوله عز وجل ذٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ اَيْدِيكُمْ
وَاَنَّ اللّٰهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ اية بلا خلاف اقول قوله ذلك اشارة من الملٰئكة للكفار الى ما تقدم ذكره
من قولهم ذوقوا عذاب الحريق ثم قالوا ذلك العذاب بما قدمت ايديكم وموضع بما قدمت ايديكم يحتمل وجهين
من الاعراب احدهما الرفع بانه خبر ذلك والثاني النصب بانه متصل بمحذوف وتقديره ذلك جزاؤكم بما قدمت

توكلا وتواكل القوم تواكلا اذا اتكل بعضهم على بعض ووكل

كقوله اذ قالت الملٰئكة

قدمت ايديكم وانما قيل بما قدمت ايديكم مع ان اليد لا تعمل شيئا للتبيين انه بمنزلة ما يعمل باليد في الجناية
ولذلك لم يذكر القلوب وان كان بها معتمد العصيان لانه قصد اظهار ما يقع به الجنايات في غالب
الامر ويتعارفه الناس والتقديم ترتيب الشيء اولا قبل غيره قدمه تقديما وتقدم تقدما واستقدم
استقداما وتقادم عهده تقادما واقدم على الامر اقداما وقوله ان الله ليس بظلام للعبيد العامل
في ان يحتمل شيئين احدهما ان يكون موضعه نصبا بتقدير وبان الله او خفضا على الخلاف فيه الثاني
ان يكون رفعا بمعنى وذلك ان الله كما يقول ذلك هذا وانما نفى المبالغة في الظلم عنه تعالى دون نفي
الظلم راسا لانه جاء على جواب من اضاف اليه فعل جميع الظلم ولان ما نزل بالكفار لو لم يكن باستحقاق
لكان ظلما عظيما ولكان فاعله ظلاما قوله تعالى كَدَاْبِ اٰلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِاٰيَاتِ اللّٰهِ
فَاَخَذَهُمُ اللّٰهُ بِذُنُوبِهِمْ اِنَّ اللّٰهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ اية اقول العامل في كم قوله كداب ال فرعون لانه
وتقديره دابهم كداب ال فرعون فموضعه رفع لانه خبر المبتدا كما يقول زيد خلفك فموضع خلفك رفع
بانه خبر المبتداء ولفظه نصب بالاستقرار فكذلك الكاف في كداب والداب العادة والطريقة تقول ما زال ذلك
دابه ودينه وديدنه والمعنى انه جوزي هؤلاء بالقتل والاسر كما جوزي ال فرعون بالغرق وقال الزجاج
الداب ادامة الفعل داب يداب في كذا اذا دام عليه وداب يداب دابا ودؤبا فهو دائب يفعل كذا اي يجري
فيه على عادة وقال خداش بن زهير العامري شعر وما زال ذاك الداب حتى تخاذلت هوازن و
اي فضت سليم وعامر وال فرعون المراد به اتباعه فيما دعاهم اليه من ربوبيته سموا اله لان مرجع امرهم اليه
بسبب كيد والفرق بين الال والاصحاب ان الاصحاب ماخوذ من الصحبة لطلب علم او غيره كالاصحاب
في السفر وكثر في الموافقة على المذهب كما يقولون اصحاب مالك واصحاب الشافعي يراد به الموافقة في
المذهب ولا يوصفون بانهم ال الشافعي وابي حنيفة والال يرجعون اليه بالسبب الاوكد الاقرب وقوله
ان الله قوي معناه قادر وقد يكون القوي بمعنى الشديد وذلك لا يجوز اطلاقه على الله ولكن لك لا يوصف
بانه شديد العقاب انما وصف عقابه بانه شديد دون الله تعالى فمعنى الاية تشبيه حال المشركين في تكذيبهم
بايات الله التي اتى بها محمد صلى الله عليه واله بحال ال فرعون في التكذيب بايات الله التي اتى بها موسى عليه
السلم لان تعجيل العقاب لهؤلاء بالاهلاك كتعجيله لاولئك بعذاب الاستيصال قوله عز وجل ذٰلِكَ بِاَنَّ اللّٰهَ
لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً اَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتّٰى يُغَيِّرُوا مَا بِاَنْفُسِهِمْ وَاَنَّ اللّٰهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ اية بلا خلاف اقول الاشارة
بقوله ذلك الى ما تقدم ذكره من اخذ الله الكفار بالعقاب فكانه قال ذلك العقاب المدلول عليه بان الله لا
يغير النعمة الى النقمة الا بتغيير النفس الى الحال القبيحة فذلك ابتداء وخبر بان الله كما يقول القائل العقاب بذنوب
العباد والكاف في ذلك للخطاب وهو اشارة الى البعيد وذلك اشارة الى ما دونه وذا اشارة الى ما هو حاضر
وقوله لم يك اصله يكون فحذفت الواو وعلامة الجزم ثم حذفت النون استخفافا لكثرة الاستعمال مع انه
لا يقع بالحذف اخلال بالمعنى لان كان ويكون ام الافعال الا ترى ان كل فعل فيه معناها لانك اذا قلت ضرب
معناه كان ضرب ويضرب معناه يكون يضرب فلما قربت بانها ام الافعال وكثر استعمالها احتمل الحذف
ولم يحتمل نظائرها وذلك مثل لم يجز ولم يصن كما جاز فيها والتغيير تصيير الشيء على خلاف ما كان بما لو شوهد
لشوهد على خلاف ما كان وانما قيل بما لو شوهد لشوهد على خلاف ما كان للتفرق بينه وبين ما يصير على
خلاف ما كان بالحكم فيه بما لم يكن عليه الا ترى ان المعلوم بعد ان يكون معلوما لا يتغير هذا العلم لانه لو
شوهد لم يشاهد على خلاف ما كان والقدرة اذا شوهدت على خلاف ما يشاهد العجز وفي الاية دلالة
على بطلان مذهب المجبرة لانها تدل على انه لا يكون العقاب الا بتغيير النفس الى ما لا يجوز ان يغير اليه
وهذا يبين انه لا يحسن من الله العقاب الا لمن فعل قبيحا او اخل بواجب وذلك يبطل قول من قال
يجوز ان يعاقب الله البريء بجرم السقيم وجملة معنى الاية انا اخذنا هؤلاء الذين كفروا باياتنا من مشركي
قريش ببدر بذنوبهم وتغييرهم نعم الله عليهم من بعث رسوله وتكذيبهم اياه اخراجهم له من بين

اظهرهم ففعلنا بهم مثل ما فعلنا بالماضين من الكفار قوله تعالى كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ
كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا ظَالِمِينَ اية بلا خلاف اقول
انما اعاد قوله كداب آل فرعون والذين من قبلهم لا على وجه التكرار بلا فائدة بل لوجهين احدهما قال ابو
على لانه على نوعين مختلفين من العقاب وقال الرمانى فيه تصريف القول فى الذم بما كانوا عليه من قبح الفعل
وتقدير الكلام داب هؤلاء الكفار مثل داب آل فرعون ويحتمل ان يكون كناية عن هؤلاء الكفار كذبوا باياتنا
والتكذيب نسبة الخبر الى الكذب فالتكذيب بالحق مذموم والتكذيب بالباطل لانه باطل ظاهر امره محمود
وانما وجب فى التكذيب بايات الله تعجيل العقوبة ولم يجب ذلك فى غيره لما فى تعجيل عقوبتهم من الزجر
لغيرهم فيصلحون به مع علم الله بانه ليس فيهم من يفلح على مذهب من يقول لو علم الله ان فيهم من يؤمن
لبقاه وانما كان التكذيب بايات الله من اعظم الاجرام لما يتبعه من تضييع حقوق الله فيما يلزم من طاعاته
التى لا تصح الا بالتصديق باياته التى جائت بها رسله اخبر الله انه كما اهلك هؤلاء الكفار بتكذيبهم النبى
عليه السلام كذلك اهلك هؤلاء الكفار قوما اخرين بتكذيبهم بايات الله واغرق آل فرعون بمثل ذلك
ثم اخبر ان كل هؤلاء كانوا ظالمين لنفوسهم بارتكاب معاصى الله وبترك طاعاته قوله تعالى إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ
عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ اية بلا خلاف اقول الشر الرمى بالمكاره كشرر النار ومثله
الضرر وضد الشر الخير وضد الضرر النفع والدابة ما من شانه ان يدب على الارض لكن بالعرف لا يطلق
الا على الخيل ومن ذلك قوله وما من دابة فى الارض الا على الله رزقها وقوله عند الله معناه فى معلوم
الله وفى حكمه واصل عند ان يكون ظرفا من ظروف المكان الا انه قد يتصرف فيها على هذا المعنى و
الفاء فى قوله فهم لا يؤمنون معناه عطف جملة على جملة وهو فى معنى الصلة كانه قال كفروا مصممين على
الكفر فهم لا يؤمنون وانما حسن عطف جملة من ابتداء وخبره على جملة من فعل وفاعل لما فيها من التاذى
الى معنى الحال وذلك ان صيانتهم بالكفر ادى الى الحال فى انهم لا يؤمنون فاخبر الله تعالى فى هذه
الاية ان شر خصلة يكون الانسان عليها هو الكفر لما فى ذلك من تضييع نعيم الله التى يوجب اعظم
العقاب والاية مثنا ولة لمن علم الله منه انه لا يؤمن لان قوله فهم لا يؤمنون اخبار عن نفى ايمانهم فيما بعد
قوله تعالى الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ اية بلا خلاف اقول
قال مجاهد هذه الاية نزلت فى بنى قريظة لما نقضت عهد النبى صلى الله عليه واله فى الا يحاربوه ولا
يمالؤا عليه فنقضوا عهده وما لؤا عليه وعاونوا قريشا يوم الخندق فانتقم الله منهم المعاهدة المعاقدة
على امر يتقدم فيه للوثيقة به بالايمان المؤكدة على ما يعقد عليه ونقض العهد مثل نقض الوعد لانه
حق للمعاهد كما ان ذلك حق للموعود ونقض العزم هو الرجوع عما عزم عليه والنقض يكون بشيئين
احدهما فيما كان من بناء وشبهة الثانى فى عقد او امر يعزم عليه وقوله تعالى ثم ينقضون عطف
المستقبل على الماضى لان الغرض ان من شانهم نقض العهد مرة بعد اخرى فى مستقبل اوقاتهم بعد
العهد اليهم وقوله فهم لا يتقون معناه نقضوا عهدك من غير ان يتقوا عقاب الله عاجلا واجلا
قوله تعالى فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ اية بلا خلاف اقول معنى
تثقفن تصادفن وتلقين واصله الادراك بسرعة يقول ثقف الكلمة فهو ثقف وثقفه اذا قومه وثاقفه
مثاقفة اذا تدارك كل واحد منهما امر صاحبه بسرعة ودخلت نون التاكيد لما دخلت ما ولو لم يدخله
لما حسن دخول النون لان دخول ما كدخول القسم فى انه علامة تؤذن انه من مواضع التاكيد المطلوب
التصديق لان النون يدخل لتاكيد المطلوب فيما يدل على المطلب وهى فى ستة مواضع الامر والنهى والاستفهام
والعرض والقسم والجزاء مع ما وقوله فشرد بهم من خلفهم يحتمل معنيين احدهما اذا اسرتهم فنكل
تنكيلا يشرد غيرهم من ناقضى العهد خوفا منك وهو قول الحسن وقتادة وسعيد بن جبير والسدى وابن
زيد الثانى افعل بهم من القتل ما يفرق من خلفهم فى قول الزجاج والتشريد التفريق على اضطراب شرد

يشرد شرودا وشرده تشريدا وتشرد تشردا ودابة شرود والتشريد والتطريد والتبديد والتفريق نظاير
وقوله لعلهم يذكرون معناه لكى يفكروا فيتعظوا وينزجروا عن الكفر والمعاصى وروى فى الشواذ من
خلفهم والمعنى نكل انت يا محمد من ورائهم والاول اجود وعليه القراء قوله عز وجل وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ
قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ اية بلا خلاف اقول بنى المضارع مع نون
التاكيد لان النون لما ابطلت السكون اللازم للجزم الذى هو امكن فى الفعل كانت على ابطال غيره
من الاعراب اقوى وانما بنى على الفتح لسلامتها من الباس بالكسرة والضمة فى المؤنث والجمع فى قولهم
لا تحسبن يا امراة ولا تحسبن با امراة ولا تحسبن يا قوم وتثبت الالف مع الجازم فى اما تخافن ولم تثبت
مع الجازم فى قوله لا تخف القوم لان الحركة فى هذا عارضة لان التقاء الساكنين من كلمتين امر الله
تعالى نبيه انه متى خاف ممن بينه وبينه عهد خيانة ان ينبذ اليه عهده على سواء والخيانة نقض
العهد فيما اتمن عليه يقول خانه يخونه خيانة واختان المال اختيانا وتخونه تخونا وخونه تخوينا و
النبذ القاء الخبر الى من لا يعلمه بما يوجب انه حرب بنقض عهد او اقامة على بغى يقول نبذ ينبذ نبذا
وانتبذ انتباذا وتنابذوا القوم تنابذا ونابذه منابذة وقوله على سواء معناه قولان احدهما على
استواء فى العلم به انت وهم فى انكم حرب لئلا يتوهموا انك نقضت العهد بنصب الحرب والثانى
ان معناه على عدل من قول الراجز فاضرب وجوه الغدر الاعداء حتى يجيبوك الى سواء
اى على العدل ومنه قيل للوسط سواء لاعتداله الى الجهات كما قال حسان بن ثابت شعر يا ويح انصار النبى
ورهطه بعد المغيب فى سواء الملحد اى فى وسطه وقال الوليد بن مسلم معناه على مهل وهذا بعيد
لانه لا يعرف فى اللغة فان قيل كيف جاز نبذ العهد ونقضه بالخوف من الخيانة قيل انما فعل ذلك لظهور
امارات الخيانة التى دلت على نقض العهد ولم تشتهر ولو اشتهرت لم يجب النبذ كما حارب رسول الله
صلى الله عليه واله اهل مكة لما نقضوا العهد بقتل خزاعة وهم فى ذمة النبى عليه السلام فلما فعلوا
ذلك فعلا ظاهرا مشهورا اغنى ذلك عن نبذ العهد اليهم ولو نقضوه على خفى لم يكن بد من نبذ العهد
اليهم لئلا ينسب الى نقض العهد والغدر وقوله ان الله لا يحب الخائنين معناه انه يبغضهم وانما عبر
بحرف النفى لان صفة النفى يدل على الاثبات اذا كان هناك ما يدل عليه وهو ابلغ فى هذا الموضع
لان معناه انهم حرموا محبة الله بخيانتهم واوجب ذلك بغضه اياهم ومحبة الله للخلق ارادة منافعهم
وبغضه اياهم ارادة عقابهم والاية نزلت فى بنى قريضة قال الواقدى نزلت هذه الاية فى بنى
قينقاع وبهذه الاية سار النبى عليه السلام اليهم قوله تعالى وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا
يُعْجِزُونَ اية بلا خلاف اقول قرء ابن حمزة وحفص وابو جعفر ولا يحسبن بالياء والباقون بالتاء وقرء
ابن عامر انهم بفتح الهمزة الباقون بكسرها قال ابو على الفارسى من قرء بالتاء جعل الذين كفروا اول وهو قول
ابى الحسن الثانى ان يكون اضمر المفعول الاول وتقديره ولا يحسبن الذين كفروا انفسهم سبقوا
واياهم سبقوا الثالث ان يقدر على حذف ان كانه قال ولا يحسبن الذين كفروا ان سبقوا قال
الزجاج يقوى ذلك ان فى قراءة ابن مسعود انهم لا يعجزون فعلى هذا يكون ان سبقوا اسد مسد المفعولين
كما ان قوله احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا كذلك ومن فتح الهمزة جعل الجملة متعلقة بالجملة الاولى
والتقدير ولا تحسبنهم سبقوا لانهم لا يفوتون فهم يجازون على كفرهم ومن كسر استانف الكلام قال
ابو عبيدة سبقوا معناه فاتوا فانهم لا يعجزون اى لا يفوتون ومثله ام حسب الذين يعملون السيئات ان
يسبقونا ثم استانف فقال ساء ما يحكمون فكذلك ههنا استانف الكلام وانما امتنع الاقتصار على
احد المفعولين فى حسب لان المفعول الثانى خبر عن الاول والفعل متعلق بما دلت عليه الجملة فهو بمنزلة
اعطيت فى هذا والحسبان هو الظن وقال الرمانى هو شك يقوى فيه احد النقيضين لقوة المعنى
فى جزء القولين واصله الحساب لان المعنى فيه داخل فيما يحسب به ويعمل عليه والاحتساب قبول الحسنة

والاعتداد به وفي المضارع لغتان فتميم بفتح السين واهل الحجاز يكسرونها والسبق تقدم الشيء على
طالب اللحوق به سبق يسبق سبقا وتسابقا تسابقا وسابقه مسابقة واستبقوا استباقا وسبقه تسبيقا
اذا اعطاه السبق والسابق والمصلي في صفة الفرس والاعجاز ايجاد ما يعجز عنه اعجزه اعجازا وعجزه تعجيزا
وعاجزه معاجزة واستعجز استعجازا وقال ابو عبيدة معنى لا يعجزون لا يفوتون وقال الحسن معنى لا يعجزون
الله لا يفوتونه حتى لا يبعثهم يوم القيمة وقال الجبائي معناه لا يعجزونك حتى يظفرك الله بهم وقال الزجاج
يجوز ان يكون لا صلة على ضعف فيه والمعنى لا تحسبن الذين كفروا انهم يعجزون اي يفوتون قوله عز
وجل وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ
لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ آية بلا خلاف
اقول امر الله تعالى المؤمنين ان يعدوا ما قدروا عليه من السلاح وآلة الحرب في الخيل وغير ذلك والاعداد
اتخاذ الشيء لغيره مما يحتاج اليه في امره ولو اتخذه له في نفسه مجته لم يكن اعدادا وهو مما يعد فيما يحتاج
اليه من غيره والاستطاعة معنى يطاع بها الجوارح للفعل مع انتفاء المنع يقول استطاع استطاعة و
طاوع مطاوعة واطاع طاعة وتطوع تطوعا وانطاع انطياعا وقوله تعالى من قوة اي مما تقوون به على
عدوه وقيل معناه من الرمي ذكره الفراء ورواه عن النبي عليه السلم عقبة بن عامر على ما ذكره الطبري
وقال عكرمة اراد به الحصون وقوله تعالى ومن رباط الخيل فالرباط شد الشيء من العقد ربطه يربطه ربطا
ورباطا وارتبطه ارتباطا ورابطه مرابطة وقوله ترهبون به عدو الله وعدوكم فالهاء في به راجعة الى الرباط
وذكره لانه على لفظ الواحد وان كان في معنى الجمع لانه كالجراب في القراب والذراع والارهاب ازعاج
النفس بالخوف يقول ارهبه ارهابا ورهبه ترهيبا ورهب رهبة وترهب ترهبا واسترهبه استرهابا
وقال طفيل شعر ويل ام حي دفعتم في نحورهم بني كلاب غداة الرعب والرهب والعدو المراصد
بالمكاره لتعديتها الى صاحبها والعدو ضد الولي وقوله وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله تقديره
وترهبون آخرين فهو نصب بترهبون ويجوز ان يكون نصبا بقوله واعدوا لهم ولآخرين من دونهم وقيل
في المعنيين بذلك خمسة اقوال قال مجاهد هم بنو قريظة وقال السدي هم اهل فارس وقال الحسن وابن
زيد هم المنافقون الرابع الجن وهو اختيار الطبري قال لان الاعداد للاعداء دخل فيه جميع المتظاهرين
بالعداوة فلم يبق الامن لا يشاهد الخامس قال الجبائي كل من لا تعرفون عداوته داخل فيه ومعنى لا تعلمونهم
لا تعرفونهم فلذلك لم يكن معه المفعول الثاني وقوله الله يعلمهم معناه يعرفهم كما قال الشاعر شعر فان الله
يعلمني ووهبا وانا سوف نلقاه كلانا قوله تعالى وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف اليكم وانتم لا
تظلمون يعني ما من شيء تنفقونه في الجهاد الا والله يوفيهم ثوابه على ذلك باتم الجزاء ولا يبخسون فمعنى الاية
الامر باعداد السلاح والكراع لاخافة اعداء الله بما يملاء صدورهم من الاستعداد لقتالهم مع تضمن اخلاف ما
انفق في سبيل الله احوج ما يكون صاحبه اليه بما يربح فيه بتجارته قوله عز وجل وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ
عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ آية بلا خلاف اقول قرء ابو بكر عن عاصم السلم بكسر السين الباقون بفتحها و
في ذلك ثلث لغات الفتح والكسر مع سكون اللام وفتح السين واللام معا ومعناها المسالمة ولذلك انث
قال رجل من اليمن جاهلي انا بل انى سلم لاهلك فاقبلي سلمي قال ابو الحسن الصحيح فيها الكسر والفتح لغتان
وقال غيره السلم بفتح السين واللام على ثلثة اوجه يقول اخذت الاسير سلما اي على الاستسلام والسلم
السلف على السلامة والسلم شجر واحده سلمة تقول له بالسلامة وقوله وان جنحوا للسلم معناه ان مالوا الى
المسالمة تقول جنح يجنح جنوحا وجنحت السفينة اذا مالت الى الوقوف ومنه جناح الطائر لانه يميل به في احد
شقيه ولا جناح عليه في كذا اي لا ميل الى ماثم قال ابو زيد جنح يجنح جنوحا اذا اعطى بيده او عدل الى ما يحب
القوم وجنح العدو والخيل وجنحت الابل اذا خفضت في السير وليس في الاية ما يدل على ان الكفار اذا مالوا
الى الهدنة وجب اجابتهم اليها على كل حال لان الاحوال تختلف في ذلك فتارة تقتضي الاجابة وتارة

لا يقتضي وذلك اذا وثق المسلمين بامر يقتضي الغلظة مع حصول العدة والقوة فان قيل اذا جازت
الهدنة مع الكفار فهلا اجاز المكافة في امر الامامة حتى يجوز تسليمها الى من لا يستحقها قلنا تسليم
الامامة الى من لا يستحقها فساد في الدين كفساد تسليم النبوة الى مثله وقوله وتوكل على الله اي
فوض امرك اليه تعالى وثق بانه لا يدبره الا على الحكمة واختلفوا هل في الاية نسخ فقال الحسن و
قتادة وابن زيد نسخها قوله اقتلوا المشركين وقال قوم ليست منسوخة لانها في الموادعة لاهل
الكتاب والاخرى في عباد الاوثان والصحيح انها ليست منسوخة لان قوله اقتلوا المشركين نزلت
في سنة تسع وبعث بها رسول الله الى مكة ثم صالح اهل نجران بعد ذلك على الفي حلة الف في صفر
والف في رجب وقوله انه هو السميع العليم معناه انه يسمع دعاء من يدعوه عليم بما يقتضي المصلحة
من اجابته وحسن تدبيره قوله عز وجل وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ
بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ
اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ آيتان في الكوفي والمدني واية في البصري اقول هذا خطاب للنبي
صلى الله عليه واله يقول له ان يريدوا اعني الكفار وقيل هم بنو قريظة ومعناه ان قصدوا بالصلح خد
خديعتك والخديعة اظهار المحبوب في الامر للاستجابة له مع ابطان خلافه خدع خدعا وخديعة واختدع
اختداعا وتخادع له تخادعا وانخدع انخداعا وقوله فان حسبك الله معناه فان الله كافيك يقال
اعطاني ما احسبني اي كفاني واصله الحساب وانما اعطاه بحساب ما يكفيه وقوله هو الذي ايدك
بنصره وبالمؤمنين فالتاييد التمكين من الفعل على اتم ما يصح فيه يقول ايده تاييدا وتايد تايدا و
الايد القوة والمعنى ان الله قواه بالنصر من عنده بالمؤمنين الذين ينصرونه على اعدائه وقوله و
الف بين قلوبهم والتاليف الجمع على تشاكل فلما جمعت قلوبهم على تشاكل فيما يحبه وتنازع اليه
كانت قد الفت ولذلك قيل هذه الكلمة تاتلف مع هذه ولا تاتلف والمراد بالمؤمنين الانصار
وبتاليف قلوبهم ما كان بين الاوس والخزرج من المعاداة والقتال هذه قول ابي جعفر عليه السلم
والسدي وبشر بن ثابت الانصاري وابن اسحق وقال مجاهد هو في كل متحابين في الله وانما
كان الجمع على المحبة تاليفا بين القلوب لانه ماخوذ من الالفة وهي الاجتماع على الموافقة في المحبة ولا
يجوز في الجمع على البغضاء ان يسمى بذلك وقوله لو انفقت ما في الارض جميعا لتجمعهم على الالفة
ما تم لك ذاك ولكن الله الف بينهم بلطف من الطافه وحسن تدبيره وبالاسلام الذي هداهم الله
اليه ونصب جميعا على الحال وقوله انه عزيز حكيم معناه قادر لا يمتنع عليه شيء يريد فعله حكيم عليم لا يفعل
الا ما يقتضيه الحكمة فعلى ذلك جمع قلوبهم على الالفة قوله عز وجل يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَ
مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ آية بلا خلاف اقول هذا خطاب من الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه
واله يقول يكفيك ان يكون ناصرك على اعدائك الله تعالى والذين اتبعوك من المؤمنين من المهاجرين
والانصار وانما كرر قوله حسبك مع انه قد ذكر فيما قبل لان المعنى هناك ان ارادوا اخداعك كفاك
الله امرهم وههنا معناه عام في كل ما يحتاج فيه الى كفاية الله اياه وقوله ومن اتبعك يحتمل اعرابه
وجهين احدهما ان يكون نصبا والمعنى ويكفي من اتبعك على التاويل لان الكاف في موضع خفض
بالاضافة لكنه مفعول به في المعنى فعطف على المعنى وليس ذلك تكبير واجاز الفراء الهزاء الرفع
لقوله إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين ومثله قوله انا منجوك واهلك وقال الشاعر شعر
اذا كانت الهيجاء وانشقت العصا فحسبك والضحاك سيف مهند وهو معنى قول الشعبي وابن
زيد وقال الحسن هو عطف على اسم الله فيكون رفعا والكسائي والفراء والزجاج اجازوا الوجهين
وحمل عليهما معا ابو علي الجبائي والاتباع موافقة الداعي فيما يدعو اليه من اجل دعائه والمؤمنون
يوافقون النبي عليه السلم في كل ما دعا اليه وقال الواقدي نزلت هذه الاية في بني قريظة وبني النضير

لما قالوا له نحن نسلم ونتبعك قوله عز وجل يا ايها النبي حرض المؤمنين على القتال ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا الفا من الذين كفروا بانهم قوم لا يفقهون اية بلا خلاف اقول وهذا ايضا خطاب للنبي عليه السلام يامره الله بان يحرض المؤمنين على قتال المشركين والتحريض والحث نظاير وهو الدعاء الوكيد بتحريك النفس على امر من الامور وضده التفتير والمعنى حثهم على القتال والتحريض الحث على الشئ الذي يعلم معه انه حارض ان خالف وتاخر والحارض هو الذي قارب الهلاك ومنه قوله حتى تكون حرضا اى حتى تذوب غما على ذلك وتقارب الهلاك او تكون من الهالكين وحارض فلان على امره اذا واظب عليه والتحريض ترغيب في الفعل بما يبعث على المبادرة اليه مع الصبر عليه والقتال محاولة الصد والمنع بما فيه تعرض للقتل والمجاهدة ان يقصد الى قتل المشركين بقتاله ومن يدفع عن نفسه فليس كذلك والصبر هو حبس النفس عما تنازع اليه من ضد ما ينبغي ان يكون عليه وضده الجزع وقال الشاعر شعر فان تصبرا فالصبر خير مغبة وان تجزعا فالامر ما تريان والغلبة الظفر بالبغية في المحاربة قتلا او اسرا او هزيمة وقد يقال في الظفر بالبغية في المنازعة بالغلبة ومعنى لا يفقهون ههنا انهم على جهالة خلاف من يقاتل على بصيرة وهو يرجو به ثواب الاخرة وقال قوم معناه لا يعلمون ما لهم من استحقاق الثواب بالقتال وقوله ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان كان بلفظ الخبر فالمراد به الامر ويدل على ذلك قوله الآن خفف الله عنكم لان التخفيف لا يكون الا بعد المشقة قوله تعالى الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم الف يغلبوا الفين باذن الله والله مع الصابرين اية بلا خلاف اقول قرء اهل الكوفة ان يكن مائة وان يكن الف بالياء فيهما وافقهم اهل البصرة في الاولى وقرء اهل الكوفة الا الكسائي ضعفا بفتح الضاد الباقون بضمها ولكنهم سكنوا العين الا ابا جعفر فانه فتحها ومد وهمز على وزن فعلاء على الجمع من قرء ان يكن بالياء فلان المراد به المذكر بدلالة قوله يغلبوا وكذلك ما وصف به المائة بقوله صابرة لانهم رجال فحمل على المعنى كما حمل على المعنى في قوله فله عشر امثالها فانث لما كانت في المعنى حسنات ومن قرء بالتاء فلان اللفظ لفظ التانيث ومن قرء الاول بالتاء والثاني بالياء فلان القرائة بالتاء في الاولى اشد مشاكلة لقوله مائة صابرة وليس كذلك في الاخرى لانه اخبر عنهم بقوله يغلبوا وقال سيبويه يقال ضعف ضعفا فهو ضعيف قال وقالوا الفقر كما قالوا الضعف فعلى ذلك انهما لغتان وهذه الاية نسخت حكم ما تقدمها لان في الاولى كان وجوب ثبات الواحد للعشرة والعشرة للمائة فلما علم الله تعالى ان ذلك يشق عليهم وتغيرت المصلحة في ذلك نقلهم الى ثبات الواحد للاثنين والمائة للمائتين فخفف ذلك عنهم وهو قول ابن عباس والحسن وعكرمة وقتادة ومجاهد والسدي وعطا والبلخي والجبائي والرماني وجميع المفسرين والتخفيف رفع المشقة بالخفة والخفة نقيض الثقل والخفة والسهولة بمعنى واحد والضعف نقصان القوة وهو من الضعف لانه ذهاب ضعف القوة وقوله باذن الله فالاذن الاطلاق في الفعل لانه يسمع بالاذن ومنه الاذان والايذان والاستيذان وقوله الآن مبني مع الالف واللام لانه خرج عن التمكن يشبه الحرف لانه ينكر تارة ويعرف اخرى فاستبهم استبهام الحروف بانه للفصل بين الزمانين على انتقال معناه الى الذي يليه من الوقت كما ينتقل امس فالامس والغد والآن نظائر واحكامها مختلفة لعلل لزمتها وقوله تعالى والله مع الصابرين معناه انه معهم بالمعونة لهم والمعنى ان معونة الله مع الصابرين وحقيقته مع ان يكون للمصاحبة للجهة بالمعونة وذلك لا يجوز عليه تعالى وقيل هذه الاية نزلت بعد الاولى بمدة قوله تعالى ما كان لنبي ان يكون له اسرى حتى يثخن في الارض تريدون عرض الدنيا والله يريد الاخرة والله عزيز حكيم اية بلا خلاف اقول قرء اهل البصرة وابن شاهي ان تكون بالتاء الباقون بالياء وقرء ابو جعفر اسارى ومن الاسارى

بفتح الهمزة منهما وبالف بعد السين ووافقه ابو عمرو في الثاني الباقون بفتح الهمزة وسكون السين من غير الف فيهما من قرء بالتاء فلان لفظ الاسرى لفظ التانيث فحمله على اللفظ ومن قرء بالياء فلان الفعل مقدم والاسرى المراد به المذكورون وايضا فقد وقع الفصل بين الفعل والفاعل وكل واحد من ذلك اذا انفرد يذكر الفعل معه مثل جاء الرجل وحضر القاضي امراة فاذا اجتمعت هذه الاشياء كان التذكير اولى واختار الاخفش التذكير وقال ابو علي الفارسي الاسرى اقيس من الاسارى لان اسير فعيل بمعنى مفعول وما كان كذلك لا يجمع بالواو والنون ولا بالالف والتاء وانما يجمع على فعلى مثل جريح وجرحى وقتيل وقتلى وعقير وعقرى ولديغ ولدغى وكذلك كل من اصيب في بدنه مثل مريض ومرضى واحمق وحمقى وسكران وسكرى ومن قرء اسارى شبهه بكسالى وقالوا كسلى شبهوه باسرى واسارى في جمع اسير ليس على بابه وقال ابو الحسن الاسرى ما لم يكن موثقا والاسارى موثقون قال والعرب لا يعرف ذلك بل هما عندهم سواء وقال الازهري الاسارى جمع اسرى فهو جمع الجمع والاسر الشد على المحارب بما يصير به في قبضة الاخذ له واصله الشد يقال قتب ماسور اى مشدود وكانوا يشدون الاسير بالقد والمعنى ما كان لنبي ان يحبس كافرا للفداء والمن حتى يثخن في الارض والاثخان في الارض تغليظ الحال بكثرة القتل وقال مجاهد الاثخان القتل والثخن والغلظ والكثافة نظائر وقوله تريدون عرض الدنيا يعني تريدون الفداء والعرض متاع الدنيا وسماها عرضا لقلة لبثه لانه بمعنى العرض في اللغة وقوله والله يريد الاخرة معناه والله يريد عمل الاخرة من الطاعات التي تؤدي الى الثواب وارادة الله لنا خير من ارادتنا لانفسنا وقوله والله عزيز حكيم معناه اريدوا عمل الاخرة فانه يعزكم ويرشدكم الى صلاحكم لانه عزيز حكيم فلا تخافوا قهرا مع اعزازه اياكم وهذه الاية نزلت في اسارى بدر وقيل ان يكثر الاسلام فلما كثر المسلمون قال الله تعالى فاما منا بعد واما فداء وهو قول ابن عباس وقتادة وقال فادوهم باربعة الف اربعة الف وفي الاية دليل على بطلان قول المجبرة لانه تعالى فصل ارادة نفسه من ارادتهم ولو كان يريد ما ارادوه لم يصح هذا الفعل التفصيل فان قيل كيف يكون القتل فيهم كان اصلح وقد اسلم منهم جماعة ومن علم الله من حاله انه يؤمن يجب تبقيته قلنا في ذلك خلاف فمن قال لا يجب وذلك لا يلزمه السؤال ومن قال ذلك واجب قال ان الله اراد ان يامرهم باخذ الفدا وانما عابهم على ذلك لانهم بادروا اليه قبل ان يؤمروا به قوله تعالى لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم اية بلا خلاف اقول قيل في معنى قوله لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم قولان قال الحسن لولا ما كتبه الله في اللوح المحفوظ من انه لا يعذبهم على ذلك وقال غيره لولا ما كتب الله فيه انه يغفر لاهل بدر ما تقدم وما تاخر الثاني قال مجاهد يعني ما ذكره من قوله وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا فكانه قال لا اعذب الا بعد المظاهرة في البيان وتكرير الحجج به وقال قوم لولا ما كتبه الله من ان الفدية ستحل لهم فيما بعد ذهب اليه سعيد بن جبير ومعنى الاية لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم من فداء الاسرى والغنيمة عذاب عظيم لانهم اخذوه قبل ان يؤذن لهم وقد كان سبق ان الله سيحله لهم في قول ابن عباس والحسن وقال الجبائي المعنى لولا كتاب من الله سبق لمسكم وهو القران الذي آمنتم به واستحققتم لذلك غفران الصغاير لمسكم فيما اخذتم به من الفداء عذاب عظيم ولا يجوز ان يكون المراد به الا الصغاير لانهم قبل الغفران لم يكونوا فساقا اجماعا قال الجبائي وقد كان من النبي عليه السلم في هذا معصية اجماعا من غير تعيين ما هي واظن انها في ترك قتل الاسرى وهذا الذي ذكره غير صحيح لانه لا اجماع في ذلك بل عندنا لا يجوز على النبي صلى الله عليه وآله فعل شئ من القبايح صغيرا كان او كبيرا لما في ذلك من التنفير عنه على ما بيناه في غير موضع واكثر المفسرين على ان النبي عليه السلام لم يقع منه خلاف لامر الله وقد روى ان النبي عليه السلام كره اخذ الفداء حتى رائى سعد بن معاذ كراهية ذلك في وجهه فقال يا رسول الله

هذا اول حرب لقينا فيه المشركين اردت ان يثخن فيهم القتل حتى لا يعود احد بعد هذا الى خلافك
وقتالك فقال رسول الله قد كرهت ما كرهت ولكن رايت ما صنع القوم فالمعصية فى ذلك كانت
من قوم من الصحابة الذين مالوا الى الدنيا واخذ الفدا وقد قال البلخى ايضا ان اجلاء الصحابة
براء من ذلك وروى عن النبى عليه السلام انه قال ان الغنائم احلت لى ولم يحل لنبى قبلى ومعنى
لولا امتناع الثانى لوقوع الاول كقولك لولا زيد بالمكان الذى هو به لاتيتك فامتنع الاتيان
لمكان زيد والسبق يكون تقدما فى الزمان والمكان والرتبة بان يكون له وان لم يكن فيها والمس
ما سة يقع معها ادراك وهو كاللمس فى الحقيقة والعظيم ما يصغر فيه قدر غيره ويكون ذلك بعظم
الجثة تارة وبعظم الشان اخرى والعظيم هو المستحق للصفة بان قدر غيره صغير عنده وقال ابو جعفر
عليه السلام كان الفدا يوم بدر كل رجل من المشركين باربعين اوقية من فضة والاوقية اربعون
مثقالا الا العباس فان فداه كان مائة اوقية وكان اخذ منه حين اسر اثنين وعشرين اوقية ذهبا
فقال النبى عليه السلام ذاك غنيمة ففاد نفسك وابنى اخيك عقيل ونوفل بن الحرث فقال ليس معى
فقال اين الذهب الذى سلمته الى ام الفضل وقلت ان حدث بى حدث فهو لك وللفضل وعبد الله وقثم
فقال من اخبرك بهذا قال الله قال اشهد انك رسول الله والله ما اطلع على هذا احد الا الله تعالى
قوله تعالى فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ اية بلا خلاف اقول اباح تعالى
للمؤمنين بهذه الاية ان ياكلوا مما غنموه من اموال المشركين بالقهر من دار الحرب ولفظه وان كان
لفظ الامر فالمراد به الاباحة ورفع الحظر والغنيمة ما اخذ من دار الحرب بالقهر والفىء ما رجع الى
المسلمين وانتقل اليهم من المشركين والاكل تناول الطعام بالفم مع المضغ والبلع فمتى فعل الصائم
هذا فقد اكل فى الحقيقة والفرق بين الحلال والحرام المباح ان الحلال من حل العقد فى التحريم
والمباح من التوسعة فى الفعل وان اجتمعا فى الحل والطيب المستلذ وشبه الحلال به فسمى طيبا
واللذة نيل المشتهى قال الزجاج الفاء فى قوله فكلوا على تقدير قد احللت لكم الفدا فكلوه وقوله
واتقوا الله معناه اتقوا معاصيه فان الله غفور رحيم لمن اطاعه وترك معاصيه قوله عز وجل يَا أَيُّهَا
النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ
وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ اية بلا خلاف اقول قرء ابو عمرو وحده من السبعة وابو جعفر الاسارى والباقون
اسرى وابو عمرو جمع المذهبين فى الاول والثانى وحمله الباقون على النظير فى المعنى وقد فسرنا فيما
مضى والاسير من اخذ من دار الحرب من اهلها ولو اخذ مسلم لكان قد فك اسره خاطب الله بهذه الاية
نبيه عليه السلام وامره ان يقول لمن حصل فى يده من الاسرى يعنى من حصل فى وثاقه وسماه فى يده لانه بمنزلة
ما قبض على يده بالاستيلاء عليه ولذلك يقال فى الملك المتنازع فيه لمن اليد وقوله ان يعلم الله فى
قلوبكم خيرا يعنى اسلاما وقيل معناه ان يعلم منكم خيرا فى المستقبل بان يفعلوه فيعلمه موجودا الان ما لم
يفعل لا يعلمه موجودا والخير النفع العظيم وهو ههنا البصيرة فى دين الله وحسن النية فى امر الله وقوله
يؤتكم خيرا يعنى يعطيكم خيرا مما اخذ منكم من الفدا وقال الحسن اطلقهم بالفداء ولولا ليسلموا الرتهم
وقوله ويغفر لكم يعنى زيادة مما يؤتيهم يغفر لهم معاصيهم ويسترها عليهم لانه غفور رحيم وروى عن العباس
انه كان قال كان معى عشرون اوقية فاخذت منى فاعطانى مكانها عشرين عبدا ووعدنى بالمغفرة وقال
العباس فى نزلت وفى اصحابى هذه الاية وهو قول ابن عباس والضحاك وقتادة وغيرهم قوله عز
وجل وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ اية بلا خلاف
اقول معنى الاية ان هؤلاء الاسارى ان علم الله فى قلوبهم خيرا اخلف عليهم خيرا مما اخذ منهم وان عزموا
على الخيانة ونقض العهد وفعلوا خلاف ما وقع عليه العقد من تاديته فرض الله فقد خانوا الله من قبل
هذا والمعنى فقد خانوا اولياء الله لان الله لا يملك يمكن ان يخان لانه عالم بالاشياء كلها لا يخفى عليه

خافية والخيانة ههنا نقض عقد الطاعة لله ولرسوله التى شهدت بها الدلالة وقوله فقد فامكن
منهم والمعنى لما خافوا بان خرجوا الى بدر وقاتلوا مع المشركين فقد امكن الله منهم بان غلبوا واسروا فان
خانوا ثانيا فيمكن الله منهم مثل ذلك والامكان هو القدرة على الشئ مع ارتفاع المانع وما لو حرص
عليه صاحبه ثم الحرص لم يصح ان يقع منه فالامكان بنافى المنع والالجاكما ينافى العجز القدرة وقوله
والله عليم حكيم معناه عالم بما يقولونه وما فى نفوسكم وبجميع الاشياء حكيم فيما يفعله والحكيم هو العالم
بوجوه الحكمة فى الفعل مما يصرفه عن خلافها والاصل فى الحكمة المنع فهى يمنع الفعل من الخلل والفساد
قوله تعالى إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا
وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا
وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ اية
بلا خلاف اقول قرء حمزة ولايتهم بكسر الواو والباقون بفتحها قال الزجاج انما جاز الكسر لانه يشبه
الصناعة كالخياطة والقصارة والحياكة وقال الشاعر فى الفتح شعر دعيهم فهم الب على ولاية وحفرهم
ان يعلموا ذاك دائب قال ابو عبيدة بفتح الواو مصدر المولى يقول مولى بين الولاية واذا كسرت فهو
من وليت الشئ قال ابو الحسن بفتح الواو من الولاية فى السلطان بكسر الواو وكسر الواو فى الاخرى
لغة وقرء الاعمش بكسر الواو من الولاية فى الدين هنا قال ابو على الفارسى الولاية ههنا فى الدين
والفتح اجود قال ابو الحسن وهى قرائة الناس وعن الاعمش انه كسر الواو وهى لغة وليست بذلك قال
المبرد عن الاصمعى ان الاعمش لحن فى كسره لذلك قال ابو على اذا كان ذلك لغة لا يكون لحنا قال الفراء
والكسر احب الى لانها ولاية المواريث وقال الازهرى فى النصرة والنسب بفتح الواو وفى الامارة بكسرها
اخبر الله تعالى فى هذه الاية عن احوال المؤمنين الذين هاجروا من مكة الى المدينة بقوله ان الذين
امنوا وهاجروا وجاهدوا باموالهم وانفسهم فى سبيل الله وعن احوال الانصار بقوله والذين
اووا ونصروا يعنى النبى عليه السلام ثم قال اولئك يعنى المهاجرين والانصار بعضهم اولياء بعض
والهجرة فراق الوطن الى غيره من البلاد فرارا من المفتنين فى الدين لانهم هجروا دار الكفار الى دار
الاسلام والجهاد تحمل المشاق فى قتال اعداء الدين جاهد جهادا وجهده الامر جهدا واجتهد
اجتهادا وجاهد مجاهدة والايواء ضم الانسان صاحبه اليه بانزاله عنده وتقريبه له يقول اواه
يؤويه ايواء واوى ياوى اويا واويت معناه رجعت الى الماوى والولاية عقد النصرة للموافقة
فى الديانة ثم اخبر تعالى عن الذين امنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شئ وقيل فى معناه قولان
احدهما ولاية القرابة نفاها عنهم لانهم كانوا يتوارثون بالهجرة والنصرة دون الرحم فى قول ابن
عباس والحسن وقتادة والسدى وعن ابى جعفر عليه السلام انهم كانوا يتوارثون بالمواخاة الاولى
الثانى انه نفى الولاية التى يكونون بها يدا فى الحل والعقد فنفى عن هؤلاء ما اثبته للاولين حتى يهاجروا
ثم قال وان استنصروكم اى طلبوا نصركم فى الدين يعنى الذين امنوا ولم يهاجروا فعليكم نصرهم
بسبب الايمان والذى يجب عليكم ان تنصروهم على الكفار الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق يعنى عهد
ومهادنة تقتضيه من جهة ان عقدهم بخلاف عقدهم وقيل انه نسخ ذلك بقوله والمؤمنون والمؤمنات
بعضهم اولياء بعض وقوله والله بما تعملون بصير يعنى عالم بما يعملونه قوله تعالى وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ
أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ اية بلا خلاف اقول اخبر الله تعالى عن
الكافرين ان بعضهم اولياء بعض بمعنى النصرة لانه ينصر بعضهم بعضا وقوله الا تفعلوه الهاء عائد
الى معنى ما امروا به فى الاية الاولى والثانية ومخرجه مخرج الخبر والمراد به الامر الا تفعلوا ما امرتم
به من التناصر والتعاون والبرائة من الكفار تكن فتنة فى الارض وفساد كبير على المؤمنين الذين
لم يهاجروا فالفتنة ههنا المحنة بالميل الى الضلال لانه اذا لم يتوال المؤمن المؤمن على ظاهر حاله من

الايمان والفضل ولم يدعه الى التبرى من الضلال ادى ذلك الى الضلال والفساد ضد الصلاح وهو الانقلاب الى الضرر القبيح والصلاح جريان الشئ على استقامة والولى هو المختص بالعقد على النصرة فى وقت التخاجر وقد يعقد بالعزم وقد يعقد بالحكم وقيل فى معنى قوله والذين كفروا بعضهم اولياء بعض قولان احدهما فى الميراث فى قول ابن عباس وابى مالك والثانى قال قتادة وابن اسحق فى النصرة قوله تعالى وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَنَصَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ آية بلا خلاف اقول اخبر الله تعالى فى هذه الاية ان الذين امنوا بالله وصدقوا رسوله وهاجروا من ديارهم واوطانهم يعنى من مكة الى المدينة وجاهدوا مع ذلك فى سبيل الله وقتال اعدائه والذين آووا من الانصار ومعناه ضموهم اليهم ونصروا النبى عليه السلم بانهم المؤمنون حقا وقيل فى معناه قولان احدهما انهم المؤمنون الذين حققوا ايمانهم بما يقتضيه من الهجرة والنصرة بخلاف من اقام بدار الشرك الثانى قال ابو على الجبائى معناه انهم المؤمنون حقا لان الله حقق ايمانهم بالبشارة التى بشرهم بها ولو لم يكن لم يهاجروا ولم ينصر مثل هذا واختلفوا فى هل يصح الهجرة فى هذا الزمان او لا فقال قوم لا تصح لان النبى عليه السلم قال لا هجرة بعد الفتح ولان الهجرة انتقال من دار الكفر الى دار الاسلام على هجر الاوطان وليس يقع مثل هذا فى هذا الزمان لاتساع بلاد الاسلام الا ان يكون نادرا لا يعتد به وقال الحسن بقيت هجرة الاعراب الى الامصار الى يوم القيمة والاقوى ان يكون حكم الهجرة باقيا لان من اسلم فى دار الحرب ثم هاجر الى دار الاسلام كان مهاجرا وسمى الجهاد فى سبيل الله لانه طريق الى ثواب الله فى دار كرامته وقوله لهم مغفرة ورزق كريم اخبار منه تعالى ان لهؤلاء المغفرة لذنوبهم والرزق الكريم الذى يصح منه الكرم من غير مانع والكرم الجود العظيم الشرف قال الشاعر شعر تلك المكارم لا قعبان من لبن شيبا بماء فعادا بعد ابوالا وقيل الرزق الكريم هنا طعام الجنة لانه لا يستحيل الى اجوافهم نجوا بل يصير كالمسك ريحا قوله عز وجل وَالَّذِينَ آمَنُوا مِن بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَٰئِكَ مِنكُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ آية بلا خلاف اقول اخبر الله تعالى بان الذين هاجروا بعد هجرة من هاجر وقيل ان بعد الفتح وجاهدوا مع المؤمنين بان قال فاولئك منكم ومعناه حكمهم حكمكم فى وجوب موالاتهم وموارثتهم ونصرتهم وقوله واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض فى كتاب الله قيل فى معنى كتاب الله قولان احدها فى كتاب الله من اللوح المحفوظ كما قال ما اصاب من مصيبة فى الارض ولا فى انفسكم الا فى كتاب من قبل ان نبرأها والثانى قال الزجاج يعنى فى حكم الله ومعنى اولوا ذووا واحده ذو ولا واحد له من لفظه وفى الاية دلالة على ان من كان قرباه اقرب الى الميت كان اولى بالميراث سواء كان عصبة او لم يكن او له تسمية لان مع كونه اقرب تبطل التسمية ومن وافقنا فى توريث ذوى الارحام يستثنى العصبة وذوى السهام وهذه الاية تنسخ حكم التوارث بالنصرة والهجرة فانهم كانوا لا يورثون الاعراب من المهاجرين على ما ذكر فى الايات الاول ومن قال الولاية فى الايات الاولة ولاية النصرة دون الميراث يقول ليست هذه ناسخة لها بل هما محكمتان ودخلت الفاء فى قوله فاولئك كما يقول الذى يأتينى فله درهم لان فيه معنى المجازات وقال مجاهد فى هذه الايات الثلاثة ذكرها والاية رسول الله بين المهاجرين والانصار فى الميراث ثم نسخ ذلك باخرها من قوله واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض فى كتاب الله وقال عبد الله بن الزبير نزلت فى العصبات كان الرجل يعاقد الرجل يقول ترثنى وارثك فنزلت واولوا الارحام الى اخرها وقال الحسن والذين امنوا من بعد يعنى بعد فتح مكة وقوله منكم معناه مؤمنون مثلكم ولا هجرة بعد فتح مكة وقال الهجرة الى الامصار قائمة الى يوم القيمة وكان الحسن يمنع ان يتزوج المهاجر الى اعرابية وروى عن عمر انه قال لا تنكحوا اهل مكة فانهم اعراب واكثر هذه السورة فى قصة بدر وكانت فى صبيحة السابع عشر من شهر رمضان على رأس ثمانية عشر شهرا من الهجرة من شهد هذه الواقعة فله الفضل

سورة براءة مدنية وهى مائة وعشرون آية فى الكوفى وتسع وعشرون فى البصرى والمدنيين

قال مجاهد وقتادة وعثمان هى مدنية وهى اخر ما نزلت على النبى صلى الله عليه واله بالمدينة وروى عن حذيفة انه قال كيف تسمونها سورة التوبة وهى سورة العذاب وروى عن سعيد بن جبير قال قلت لابن عباس سورة التوبة قال تلك الفاضحة ما زال التنزيل وفيهم ومنهم حتى خشينا الا تدع احدا قال وسورة الانفال نزلت فى بدر وسورة الحشر فى بنى النضير قوله تعالى بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ آية قيل فى علة ترك افتتاح هذه السورة ببسم الله الرحمن الرحيم قولان احدهما ما روى عن ابى بن كعب انه ضمت هذه السورة الى الانفال بالمقاربة فكانت كسورة واحدة لان الاولى فى ذكر العهود والاخرى فى رفع العهود وقال عثمان لاشتباه قصتهما لان الاولى فى ذكر العهود والاخرى فى رفع العهود وقال المبرد لان بسم الله الرحمن الرحيم امان وبراءة نزلت برفع الامان ويحتمل رفع براءة وجهين احدهما ان يكون خبر المبتداء المحذوف وتقديره هذه الايات براءة والثانى ان يكون مبتدأ وخبره الظرف فى قوله الى الذين والاول اجود لانه يدل على حصول المدرك كما تقول لما تراه حاضرا حسن والله اى هذا حسن ومعنى البراءة انقطاع العصمة برئ براءة وابرأه ابراء وتبرأ تبرءا وبرئت من المرض وبرئت ابرأ وبرأه يبريا وروى اهل اللغة برأت ابرؤ برأ ولم يجئ من المهموز فعلت افعل الا فى هذا الحرف الواحد وبريت القلم ابريه بغير همز وبراه السير اذا هزله وبرئ له يبرى اذا تعرض له وباراه اذا عارضه وابرئت البعير اذا جعلت لانفه برة بالالف ومعنى الاية برئ الله من المشركين ورسوله الى الذين عاهدهم من المشركين من اعطائهم الامان والعهود والوفاء لهم بها اذا نكثوا لانهم كانوا ينكثون ما كان بينهم وبين النبى صلى الله عليه واله فامر الله تعالى النبى صلى الله عليه واله ان ينبذ ايضا اليهم عهدهم وقوله الى الذين عاهدتم من المشركين فالعهد العقد الذى يعقد به للتوثق لامر عهد عهدا وعاهد معاهدة وتعاهدا لامر تعاهدا وتعهده تعهدا وقوله عاهدتم انما جاء بلفظ الخطاب لان فيه دلالة على الامر بالنبذ الى المشركين برفع الامان ولولا ذلك لجاز عاقدنا لان معاقدة النبى صلى الله عليه واله انما هى عن الله عز وجل وانه يجوز رفع الامان والبراءة من غير نقض العهد اذا كان مشروطا الى ان يرفعه الله اليهم قوله تعالى فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ آية بلا خلاف السيح السير فى الارض على مهل تقول ساح يسيح سيحا وسياحة وسيوحا وسيحانا وانساح انسياحا وسيحه تسييحا امر الله تعالى فى هذه الاية ان يقال لهؤلاء المشركين ان يسيحوا فى الارض اربعة اشهر امنين وانما احلهم هذه الاشهر لانها الاشهر الحرم الى اخر المحرم من اول شوال فى قول ابن عباس والزهرى وقال الفراء كانت المدة الى اخر المحرم لانه كان منهم من كان مدته خمسين ليلة وهو من لم يكن له عهد من النبى صلى الله عليه واله فجعل الله ذلك له وقال ومعنى الاشهر الحرم المحرم وحده وانما جمعه لانه متصل بذى الحجة وذى القعدة فكانه قال فاذا انقضت الثلثة اشهر وقال ابو عبد الله صلى الله عليه اول الاربعة الاشهر يوم النحر واخرها العاشر من شهر ربيع الاخر وهو قول محمد بن كعب القرظى ومجاهد وقال الحسن انما جعل لهم هذه المدة لان منهم من كان عهده اكثر من اربعة اشهر فحط اليها ومنهم من كان اقل فرفع اليها وقال ابو على الجبائى كان يوم النحر لعشرين من ذى القعدة والعشرين من ربيع الاول لان الحج كان تلك السنة فى ذلك الوقت ثم صار فى السنة الثانية فى ذى الحجة وفيها حجة الوداع وكان سبب ذلك النسئ الذى كان فى الجاهلية وقرأ براءة على الناس يوم النحر بمكة على بن ابيطالب عليه السلم لان ابا بكر كان على الموسم فى تلك السنة فابتعه النبى صلى الله عليه واله بعلى عليه السلم وقال لا يبلغ عنى الا رجل منى فى قول الحسن وقتادة ومجاهد والجبائى وروى اصحابنا ان النبى صلى الله عليه واله كان ولاه ايضا الموسم وانه حين اخذ البراءة من ابى بكر رجع ابو بكر فقال يا رسول الله انزل فى قران فقال لا ولكن لا يؤدى الا انا او رجل منى وروى الشعبى عن محرز بن ابو هريرة قال قال ابو هريرة كنت انادى مع على عليه السلم حين اذن المشركين فكان اذا صحل صوته مما ينادى دعوت مكانه قال فقلت يا ابى اى شئ كنتم تقولون قال كنا نقول لا يحج بعد عامنا هذا مشرك قال وما حج بعد عامنا مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل الجنة الا مؤمن ومن كانت بينه وبين رسول الله صلى الله عليه واله مدة فان اجله الى اربعة اشهر فاذا انقضت اربعة اشهر فان الله برئ

من المشركين ورسوله وفتحت مكة سنة ثمان ونزلت براءة سنة تسع وحج رسول الله صلعم حجة الوداع سنة عشر
وقوله واعلموا انكم غير معجزي الله معناه انكم غير فائتين كما يفوت ما يعجز عنه لانكم حيث ما كنتم في سلطان
الله وملكه والاعجاز ايجاد العجز والعجز ضد القدرة عند من اثبته معنى وقوله وان الله مخزي الكافرين
فالاخزاء الاذلال بما فيه الفضيحة والعار والخزي النكال الفاضح قوله تعالى وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ
إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ
تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ اية اجماعا الاذان الاعلام
في قول ابن زيد والزجاج والجبائي يقول اذنني فلان كذا فاذنت اي اعلمني فعلمت وقال بعضهم
معناه النداء والذي يسمع بالاذن وقال الفراء والزجاج انما ارتفع لانه عطف على قوله براءة وقيل
معناه عليكم اذان لان فيه معنى الامر والحج القصد الى اعمال المناسك على ما امر الله به وقد بينا شرائط
الحج واركانه وفرايضه في كتب الفقه ولا نطول بذكره ههنا والحج الاكبر قال عطا ومجاهد وعامر وبشر
عباده هو ما فيه الوقوف بعرفة والاصغر العمرة وقال مجاهد الحج الاكبر هو القران والحج الاصغر الافراد وقيل في معنى
يوم الحج الاكبر ثلثة اقوال احدها ما روي عن النبي صلعم انه قال عرفة وهو المروي عن عمر وابن عباس بخلاف فيه وبه
قال عطا ومجاهد وابن الزبير وابو حنيفة والثاني في رواية اخرى عن النبي صلعم وعلي عم وابن عباس وسعيد بن جبير
وعبد الله بن ابي اوفى وابرهيم ومجاهد انه يوم النحر وهو المروي عن ابي عبد الله عم وسمي بالحج الاكبر لانه حج
فيه المشركون والمسلمون ولم يحج بعدها مشرك الثالث قال مجاهد وسفيان هو جميع ايام الحج والله اعلم الله تعالى في هذه
الاية المشركين انه ورسوله بريء من المشركين وانه ان تبتم ورجعتم الى الايمان وطاعة الرسول فهو خير لكم
وان اعرضتم وتوليتم فاعلموا انكم لا تفوتون الله وان الله يبشر الكافرين بعذاب اليم اي شديد مولم قال
الحسن الحج الاكبر ثلثة ايام الحج اجتمعت في تلك الايام الثلاثة اعياد المسلمين واعياد اليهود واعياد النصارى
فقال رسول الله صلعم لم يكن فيما خلا ولا يكون الى يوم القيمة قوله تعالى إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ
ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ
الْمُتَّقِينَ اية في الكوفي والمدنيين وايتان في البصري استثنى الله تعالى من براءة عز وجل وبراءة رسوله صلعم من
المشركين من كان لهم العهد في قول الزجاج وقال الفراء هذا استثناء في موضع نصب وهم قوم من بني كنانة
كان قد بقي من اجلهم تسعة اشهر فقال الله تعالى فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم لا تحطوهم الى الاربعة اشهر قال
مجاهد عني به للجماعة من خزاعة ومدلج وقال ابن عباس توجه ذلك الى كل من كان بينه وبينه عقد
هدنة الى قوم من المشركين لم يتعرضوا الدم بعداوة ولا ظاهروا عليه عدوه لان النبي صلعم صالح اهل هجر
واهل البحرين وايلة ودومة الجندل واذرح واهل معنا وهم ناس من اليهود في توجهه الى تبوك او في
مرجعه منها وله عهود الصلح والحرب غير هذه ولم ينبذ اليهم بنقض عهد ولا حاربهم بعد ان صاروا اهل
ذمة الى ان مضى لسبيله ووفى لهم بذلك من بعده فمن حمل ذلك على جميع العهود فقد اخطأ وقال الحسن
هذا استثناء من قوله تعالى اقتلوا المشركين الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام ثم نقلت الى ههنا وباقي الناس
على خلافه وقوله ثم لم ينقصوكم شيئا والنقصان حط العدة عن حد الزيادة والحاق الغدة بعدة والمعنى ثم
لم ينقصوكم من شروطكم العهد شيئا ولم يظاهروا عليكم احدا فالمظاهرة المعاونة على العدو للظهور عليه
فهولاء ان لم يعاونوا عليكم احدا من اعدائكم ولا نقصوكم شيئا من حقكم في عهدهم فاتموا اليهم عهدهم
الى مدتهم وهو امن من الله تعالى ان يبلغوا المدة التي وافقوهم عليها قال قتادة وهم مشركوا قريش كانوا
عاهدوه في الحديبية وبقي من مدتهم اربعة اشهر بعد يوم النحر والاتمام بلوغ الحد في العدة من غير زيادة
ولا نقصان فههنا معناه امضاء الامر على ما تقدم به العهد الى انقضاء اجل العقد والمدة زمان طويل
القصير واشتقاقه من مددت له في الاجل للمهلة والمعنى الى انقضاء مدتهم وقرأ عطاء ثم لم ينقضوكم بالضاد
المعجمة وهي شاذة وان بفتح الهمزة لان تقديره بان الله بريء من المشركين ولا يجوز ان يكون المراد نبذ

العهد الى مكة لان مكة فتحت سنة ثمان وصارت دار الاسلام ونبذ العهد كان في سنة تسع فعلم بذلك ان المراد
غيرهم قوله تعالى فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ
وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ
رَحِيمٌ اية بلا خلاف الانسلاخ اخراج الشيء مما لابسه وكذلك سلخ الشاة اذا نزع الجلد عنها وسلخنا شهر كذا
نسلخه سلخا وسلوخا وقيل في الاشهر الحرم قولان احدهما رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم ثلثة سرد
وواحد فرد الثاني الاشهر الاربعة التي جعل لهم ان يسيحوا فيها امنين وهي عشرون من ذي الحجة والمحرم و
صفر وشهر ربيع الاول وعشر من ربيع الاخر في قول الحسن والسدي وغيرهما امر الله تعالى نبيه صلعم والمؤمنين
انه اذا انقضى مدة هولاء المعاهدين وهي الاربعة اشهر ان يقتلوا المشركين حيث وجدوهم قال الفراء كان في
الاشهر الحرم او غيرها او في سوا الحل او في الحرم وان ياخذوهم ويحصروهم والحصر المنع من الخروج عن
محيط واحصر الرجل احصارا وحاصره العدو محاصرة وحصارا وحصر في كلامه حصرا وانحصر الشيء انحصارا
والحصر والحبس والاسر نظائر وقوله واقعدوا لهم كل مرصد يعني كل موضع يرقب فيه العدو والمرصد
الطريق ومثله المرقب والمرقاب يقال رصده يرصده رصدا ونصب كل مرصد على تقدير على كل مرصد في
قول الاخفش كما قال الشاعر
نغالي اللحم للاضياف نيا … ونرخصه اذا نضج القدور
اي نغالي باللحم وقال الزجاج هو ظرف كقولك ذهبت مذهبا وقال الشاعر
ان المنية للفتى بالمرصد
مجعله بمنزلة المحدود والمرصد مبهم والطريق محدود فهذا
فرق ما بينهما واستدل بهذه الاية على ان تارك الصلوة متعمدا يجب قتله لان الله تعالى اوجب الامتناع من قتل
المشركين بشرطين احدهما ان يتوبوا من الشرك والثاني ان يقيموا الصلوة فاذا لم يقيموا الصلوة وجب قتلهم
قوله تعالى وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ
قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ اية بلا خلاف قوله احد ليست التي يقع في النفي في مثل قولك ما جاءني احد لان الايجاب لا
يصح فيه اعم العام الذي هو هو على الجملة والتفصيل كقولك ليسوا مجتمعين ولا متفرقين ولا يصح مثل ذلك
في الايجاب ويصح في الاستفهام لان فيه معنى النفي ولولا ذلك لم يصح جوابه بلا والتقدير وان استجارك احد
من المشركين استجارك فاضمر الفعل ولم يجز في الجواب ان يقول ان يقوم احد زيد يذهب لقوة ان انها للفعل
خاصة ومثله انشد الاخفش
لا تجزعي ان منفسا اهلكته … واذا هلكت فعند ذلك فاجزعي
فاجزع ثم جزم على جواب الجزاء لانها شرط وليس كذلك الجواب لانه قد يكون بالفاء ولا يجوز اضمار الفعل
في شيء من حروف المجازاة الا في ان لانها ام الباب وهي الاصل الذي يلزمه قال الشاعر
فان انت تفعل فللفاعل … انت المجيرين تلك الغمارا
واما قول الشاعر فمتى واغل ينبهم يحيوه … ويعطف عليه كاس الساقي
فانما هو ضرورة لا يجوز مثله في الكلام قال الفرا استجارك في موضع جزم وان فرق بين الجازم والمجزوم
باحد وذلك جائز في ان خاصة وقد يفرق بينهما وبين المجزوم بالمنصوب والمرفوع فالمنصوب مثل قولك
ان اخاك ضربت تظلمت والمرفوع مثل قوله تعالى ان امرؤ هلك ليس له ولد امر الله تعالى نبيه صلعم انه متى استجاره
احد من المشركين الذين امر بقتالهم اي طلب منه الجار في دفع الاذى عن صاحبه وقيل المعنى ان استامنك
ملك احد فامنه حتى يسمع كلام الله والمشرك يصح ان يسمع كلام الله على الحقيقة لان حكاية كلام الله
يطلق عليه الاسم بانه كلام الله لظهور الامر فيه ولا يحتاج ان يقيد اصل له كما يقال كلام سيبويه
وغيره ومن ظن ان الحكاية تفارق المحكي لاجل هذا الظاهر فقد غلط لان المراد ما ذكرناه فيما يقال
في العرف انه كلام الله وقوله ثم ابلغه مأمنه فالابلاغ التصيير الى منتهى الحد والابلاغ والاداء
نظائر وفي الاية دلالة على بطلان قول من قال المعارف ضرورية لانها لو كانت كذلك لما كان لطلب ما هو
عالم به معنى ومعنى قوله لا يعلمون اخبار عن جهلهم في افعالهم لا انهم لا يعقلون وانما اراد لا ينتفعون

بمثله ولا يعرفون ما لهم وعليهم من الثواب والعقاب قوله تعالى كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ
رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ
الْمُتَّقِينَ اية بلا خلاف قال الفراء هذا على التعجب كما تقول كيف تستبقى مثلك اى لا ينبغى ان يستبقى وفى
قراءة عبد الله كيف يكون عهد عند الله ولا ذمة فادخل الكلام لام الواو ولان معنى الاول جحد و
قال غيره فى الكلام حذف لان الكلام خرج مخرج الانكار عليهم وتقديره كيف يكون للمشركين عهد عند
الله وعند رسوله مع اضمار الغدر فى عهدهم فجاء الانكار ان يكون لهم عهد مع ما يبينه من العهد على ان
وذلك يقتضى اضمار الغدر فيما وقع من العهد ثم استثنى من ذلك الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فكان
ذلك ايجابا فيهم لان ما قبله فى معنى النفى والتقدير ليس للمشركين عهد الا الذين وموضع الذين يحتمل الجر
والنصب وحكى الكسائى اين كنت لتنجو منى اى ما كنت والمسجد الموضع المهيأ للصلوة الجماعة والمراد ههنا
مسجد مكة خاصة واصله موضع السجود كالمجلس موضع الجلوس والحرام المحظور بعض احواله فالخمر حرام
لخطر شربها وساير انواع التصرف فيها والام حرام بحظر نكاحها والمسجد الحرام لحظر صيده وسفك الدم فيه و
ابتذاله ما يبتذل به غيره وقوله فما استقاموا لكم معناه ما استمروا لكم على العهد والاستقامة الاستمرار على
جهة الصواب وسمى كان الاستمرار على وجه الخطاء لا يسمى استقامة ومعنى فاستقيموا لهم استمروا لهم على
العهد مثلهم والمراد بالذين عوهدوا عند المسجد الحرام قيل فيهم ثلثة اقوال قال مجاهد هم خزاعة وقال
ابن اسحق هم قوم من بنى كنانة وقال ابن عباس هم قريش وقوله ان الله يحب المتقين اخبار منه تعالى انه يحب من يتقى
معاصيه ويعمل بطاعاته وانه يريد ثوابه ومنافعه وفى الاية دليل على ان تمكين الحربى من المقام فى دار الاسلام
بعد قضاء حاجته ليس بجائز قوله تعالى كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ
بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ اية بلا خلاف وتقديرها كيف لهم عهد وكيف لا تقتلوهم
وحذف لان قوله فى الاية الاولى كيف يكون للمشركين عهد دل على ذلك ومثله قول الشاعر

وخبرتمانى انما الموت فى القرى ... وكيف وهاتا قضبة وقليب

ويروى وهضبة اى كيف مات وليس فى قرية وقال الحطيئة فى حذف الفعل بعد كيف

فكيف ولم اعلمهم خذلوكم ... على معظم ولا اديمكم قدوا

اى كيف تلوموننى على مدح قوم تذمونهم والمعنى كيف لهم يعنى هؤلاء المشركين عهد وهم ان يظهروا
عليكم بمعنى يعلوا عليكم بالغلبة لان الظهور هو العلو بالغلبة واصله خروج الشئ الى حيث يصح ان يدرك
لا يرقبوا فيكم معناه لا يراعون فيكم والرقوب هو العمل فى الامر على ما تقدم به العمل والمراقبة والمراعاة
نظاير فى اللغة وقوله الا ولا ذمة قيل فى معنى الال ستة اقوال اولها قال مجاهد وابن زيد ان معناه العهد
والثانى فى رواية اخرى عن مجاهد انه اسم الله ومنه قول ابى بكر لما سمع كلام مسيلمة لم يخرج هذا من ال
فاين يذهب بكم الثالث قال ابن عباس هو القرابة الرابع قال الحسن هو الجوار الخامس قال قتادة هو الحلف
السادس قال ابو عبيدة هو اليمين والاصل فى جميع ذلك العهد وهو مأخوذ من الاليل وهو البريق يقال
ال يؤل اذا لمع والالة الحربة للمعانها واذن مؤللة مشبهة بالحربة فى تحديدها وقال الزجاج اصله التحديد
قال الشاعر

وجدناهم كاذبا الهم ... وذو الال والعهد لا يكذب

اى ذو العهد وقال ابن مقبل

افسد الناس خلوف خلفوا ... قطعوا الال واعراق الرحم

يعنى القرابة وقال حسان

لعمرك ان الك فى قريش ... كال السقب من رال النعام

وقوله يرضونكم بافواههم معناه يقولون قولا يرضيكم بذلك فى الظاهر وتابى قلوبهم ان يذعنوا لكم بتصديق
ما يبدونه لكم ثم اخبر تعالى عن حالهم بان اكثرهم فاسقون وقال ابن اخشاذ اراد بذلك انهم متمردون فى شركهم
لان الفاسق هو الخارج من الشئ من قولهم فسقت الرطبة وانما كان اكثرهم بهذه الصفة ولم يكن جميعهم وان
كانوا كلهم فاسقين قوله تعالى اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا

يَعْمَلُونَ اية قيل فى من نزلت هذه الاية بسببه قولان قال مجاهد نزلت فى ابى سفيان لما جمعهم على طعامه طعم
حلفاءه وترك حلفاء النبى صلى الله عليه وآله وقال ابو على الجبائى نزلت فى قوم من اليهود دخلوا فى العهد فيما دلت عليه
هذه الصفة ومعنى اشتروا بايات الله استبدلوا بحجج الله وبيناته العظيمة الشان ثمنا قليلا اى عوضا
قليلا واصل الاشتراء استبدال ما كان من المتاع بالثمن ونقيضه البيع وهو العقد على تسليم المتاع بالثمن
والثمن ما كان من العين والورق فى الاصل ثم قيل لما اخذوه بدل ايات الله ثمن لانه بمنزلته فى انه يستبدل
به وقوله فصدوا عن سبيله اى صدوا عن الاسلام ومعنى هذه الفاء كمعنى جواب الجزاء لان اشتراهم هذا
اداهم الى الصد عن سبيل الله والصد هو المنع ثم اخبر تعالى عنهم بئس ما كانوا يعملون من هذا الاستبدال
قوله تعالى لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ اية بلا خلاف قد بينا ان
المراقبة هى المراعاة لما تقدم من العهد الذى يلزم الديانة لئلا يقع اخلال بشئ منه والال العهد والذمة عقد
الجوار وهما متقاربان وفصل بينهما بان الذمة عقد يوم الذمام نقضه والال الذى هو العهد عقد يدعو الذمة
الى الوفاء والبيان الذى فيه لانه يلوح المعنى الذى يدعوا الى الوفاء فاذا صل كل واحد منهما يقتضى
هذا وانما اعيد ذكر لا يرقبون فى مؤمن الا ولا ذمة لانه فى صفة الذين اشتروا بايات الله ثمنا والاول فى
صفة جميع الناقضين للعهد وقال فى الثانى فان تابوا واقاموا الصلوة واتوا الزكوة فاخوانكم فى الدين
فلذلك كرر بوصفين مختلفين وقال الجبائى لانه فى صفة اليهود خاصة والاول فى صفة الناقضين عامة
وانما ذموا بترك المراقبة لان مع تركها الغالب ان يقع اخلال بما تقدم من العقد فلزمت المراقبة لهذه العلة
وترك المراقبة فى عهد المؤمن اعظم منها فى ترك عهد غيره لكثرة الزواجر عن الغدر بالمؤمن لانه ليس من
شانه الغدر اخبر الله تعالى عن هؤلاء المشركين انهم لا يراعون فى المؤمن عقد العهد ولا ذمة الجوار وانهم
مع ذلك معتدون والاعتداء الخروج من الحق واصله المجاوزة ومنه التعدى وهو تجاوز الحد ومعاداة
القوم مجاوزة الحد فى البغضة وكذلك العداوة والاستعداء طلب معاملة العدو فى الايقاع به والعدو مجاوزة
حد السعى والغرض بالاية حث المسلمين على قتالهم وان لا يبقوا عليهم كما انهم لو ظهروا على المسلمين لم يبقوا
عليهم قوله تعالى فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ
لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ اية شرط الله هؤلاء المشركين بانهم ان تابوا ورجعوا عما هم عليه من الشرك الى طاعة الله و
الاعتراف بوحدانيته والاقرار بالنبى صلى الله عليه وآله واقاموا الصلوة المفروضات على ما شرعها الله واعطوا الزكوة
الواجبة عليهم فانهم يكونون اخوان المؤمنين فى الدين والايمان وتقديره فهم اخوانكم والتوبة هى الندم
على القبيح لقبحه مع العزم على ترك العود الى مثله فى القبح وفى الناس من قال الى مثله فى صفته فمن قال ذلك
قال توبة المجبوب من الزنا هى الندم على الزنا مع العزم على ترك المعاودة الى مثله على ما يصح ويجوز من الامكان
وهو انه لو رد الله عز وجل عضوه ما زنى فاما من نسى الذنب فان توبته صحيحة لا يؤاخذ بالذنب لانه مكلف
قد ادى جميع ما عليه فى الحال فقد تخلص به للامن العقاب فان قيل لم شرط مع التوبة من الشرك وحصول
الايمان ايتاء الزكوة مع انه ليس كل مسلم عليه الزكوة قلنا انما يجب عليه بشرط الامكان فاذا اقر بحكم الزكوة
مع التعذر عليه دخل فى حكم الصفة التى يجب بها وقوله ونفصل الايات معناه نبينها ونميزها بخاصة لكل
واحد منها بما يتميز به من غيرها حتى يظهر مدلولها على اتم ما يكون من الظهور فيها لقوم يعلمون ذلك
ويتبينونه دون الجهال الذين لا يعقلون عن الله قوله تعالى وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَ
طَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ اية بلا خلاف قرا اهل
الكوفة وابن عامر ائمة بهمزتين الا هشاما عن ابن عامر فانه فصل بين الهمزتين بالف الباقون بهمزة واحدة
وياء بعدها وفصل بينهما بالف ابو جعفر والمرقى عن المسيبى والسوسنجردى عن يزيد بن اسمعيل وقرا ابن عامر
والحسن لا ايمان لهم بكسر الالف الباقون بفتحها الكسر يحتمل وجهين احدهما انهم ارتدوا ولا اسلام لهم ذكره الزجاج
قال ويجوز لا ايمان لهم على المصدر وتقديره لا تؤمنوهم بعد نكثهم العهد والاخر لانهم كفروا ان لا ايمان لهم

ويحتمل ان يكون المراد انهم امنوا ايمانا لا يفون به فلا ايمان لهم ومن فتح الهمزة فلقوله وان نكثوا ايمانهم ولقوله عهدهم واثبت لهم الايمان فان قيل كيف نفى فقال انهم لا ايمان لهم وقد اثبتها في الاول من الاية بقوله وان نكثوا ايمانهم قلنا اليمين التي اثبتها هي ما حلفوا بها وعقدوا عليها ولم يفوا بها والمراد به انهم لا ايمان لهم يفون بها ويتمسكون بموجبها وقال ابو علي النحوي ائمة على وزن افعلة جمع امام نحو مثال وامثلة فصار ائمة واجتمع همزتان الف افعلة والهمزة التي هي فاء الفعل والتي هي فاء الفعل ساكنة فنقل اليها حركة التي بعدها ليمكن النطق بها فمن خففها اتى بالهمزتين الاولى مفتوحة والثانية مكسورة ومن كره ذلك قلب الثانية ياء ولم يجعلها بين بين لان همزة بين بين في تقدير التحقيق وذلك مكروه عندهم وقال الزجاج انما جاز اجتماع الهمزتين في كلمة لئلا يجتمع على الكلمة تغيير الادغام والانقلاب مع خفة التحقيق لاجل ما بعده من السكون وهو مذهب ابن ابي اسحق من البصريين والباقون لا يجيزونه ذكره الزجاج قال لانه يلزم عليه ان يقول ااادم بهمزتين وذلك باطل بالاتفاق وعلى هذا القول هذا ام بهمزتين قال وانما قلبت الهمزة في ائمة على حركتها دون حركة ما قبلها لان الحركة انما نقلها الى الهمزة لبيان زنة الكلمة فلو ذهبت تقلبها على ما قبلها لكان مناقضا للغرض فيها واذا بنيت من الامامة هذا افعل من هذا قلت هذا اوم من هذا في قول المازني لان اصله كان اأم فلم يمكنه ان يبدل منها الفا لاجتماع الساكنين فجعلها واوا كما قالوا في جمع ادم اوادم قال الزجاج وهو القياس وهذا ايم من هذا في قول الاخفش قال لانها صارت الياء في ائمة بدلا لا ادغاما فهو له وان نكثوا ايمانهم فالنكث نقض العهد الذي جعل لتوثيق الامر وذلك بالخلاف لما تقدم من العزم والايمان جمع يمين وهو القسم والقسم هو قول عقد بالمعنى للتاكيد وتغليظ الامر فيه نحو والله ليكونن وتالله ما كان فيجوز ان يكون من اعطى صفقة يمينه ويجوز ان يكون من يمن للتيسير فعله وقوله وطعنوا في دينكم فالطعن هو الاعتماد بالعيب واصله الطعن بالرمح ونحوه في الشيء لنقض بنيته وقوله فقاتلوا ائمة الكفر امر من الله تعالى بقتال ائمة الكفر وهم رؤساء الضلال والكفار والامام هو المتقدم للاتباع فائمة الكفر رؤساء الكفر والامام في الخير مهتد هاد وفي الشر ضال مضل كما قال تعالى وجعلناهم ائمة يدعون الى النار والمعني بائمة الكفر رؤساء قريش في قول ابن عباس ومجاهد وقال قتادة هم ابو جهل بن هشام وامية بن خلف وعتبة بن ربيعة وابو سفيان بن حرب وسهيل بن عمرو وهم الذين هموا باخراجه وكان حذيفة يقول لم يات اهل هذه الاية وروي عن ابي جعفر ع انها نزلت في اهل الجمل وروي ذلك عن علي ع وعمار وغيرهما ويقول حذيفة قال زيد بن وهب وقوله انهم لا ايمان لهم معناه لا تؤمنوهم ومن كسر معناه لانهم كفروا لا ايمان لهم وقوله لعلهم ينتهون معناه لكي ينتهوا وفي الاية دلالة على ان الذمي اذا اظهر الطعن في الاسلام فانه يجب قتله لان عهده معقود على ان لا يطعن في الاسلام فاذا طعن فقد نكث عهده قوله تعالى أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ اية بلا خلاف قوله الا كلمة موضوعة للتحضيض على الفعل واصلها لا دخلت عليها الف الاستفهام فصار تحضيضا كما انها اذا دخلت على ليس صارت تقريرا ولا موافقة للتحضيض بالاستقبال وليس انما هي للحال فهو موافقة للحال بهذا المعنى واذا قال الا تقاتلون كان معناه التحضيض على قتالهم واذا قال الا قاتلتم كان ذلك تانيبا لانه ما يلزم انما ترك ذم على تركه ويحض على فعله قبل وقد حض الله تعالى المؤمنين على قتال الكفار الذين نكثوا ايمانهم وهموا باخراج الرسول من مكة اي قصدوه والهم مقاربة الفعل بالعزم من غير ايقاع له وقد فسروا بهذا الهم فقيل دليل على العزم وقد يستعمل الهم على مقارنة العزم وقوله وهم بدؤكم اول مرة فالبدء فعل ما لم يتكرر والمرة الفعلة من المر والمرة والكرة والدفعة نظاير ومعنى بدؤكم اول مرة بدؤا حلفاء النبي ص بالقتال من خزاعة في قول الزجاج وقال ابن اسحق والجبائي بدؤا بنقض العهد وقال الطبري بدؤهم بخروجهم الى بدر لقتالهم وقوله اتخشونهم معناه اتخافونهم ثم قال والله احق ان تخشوه اي تخافوه ان كنتم مؤمنين وفي ذلك غاية الفصاحة لانه جمع بين التقريع والتشجيع والمعنى اتخشون ان ينالكم منهم مكروه فالله احق ان تخشوا عقابه في ارتكاب معاصيه ان كنتم

مصدقين

مصدقين بعقابه وثوابه قوله تعالى قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ايتان بلا خلاف هذا امر من الله تعالى للمؤمنين بان يقاتلوا هؤلاء الناقضين للعهد البادئين بقتال حلفاء النبي ص من خزاعة فانهم اذا قاتلوهم يعذبهم الله الكفار بايديهم يعني بايدي المؤمنين الذين يقاتلونهم وينصركم ايها المؤمنون ينصركم الله عليهم ويشف بذلك صدور قوم مؤمنين وفي ذلك دليل على انه كان اشتد غضب جماعة المؤمنين لله فوعدهم الله النصر في قول قتادة والزجاج وفيها دلالة على نبوة النبي ص لانه وعده النصر فكان الامر على ما قال وقوله ويذهب غيظ قلوبهم قيل المراد بهم خزاعة الذين قاتلوهم في قول السدي وغيره لانهم كانوا حلفاء النبي ص والتعذيب ايقاع العذاب بصاحبه والعذاب الم يستمر به قال عبيد بن الابرص

والمرء ما عاش في تكذيب   طول الحياة له تعذيب

ومعنى يعذبهم الله بايديكم اي انكم اذا قاتلتموهم بالسلاح من السيوف والنبل والرماح انزل الله بهم العذاب وقال ابو علي ذلك مجاز والمعنى انه لما كان ذلك بامر الله اضافه الى نفسه وهو احسن من الاول وقوله ويخزهم معناه يذلهم والاخزاء الاذلال بما فيه الفضيحة على صاحبه خزي خزيا واخزاه الله اخزاء وقوله ويشف صدور قوم مؤمنين فالشفاء ملاءمة النفس بما يزيل عنها الاذى فكلما وافق النفس وازال عنها الهم فهو شفاء وقيل ويشف صدور قوم مؤمنين يعني خزاعة لانهم نقضوا العهد بقتالهم في قول مجاهد والسدي والصدور جمع الصدر وهو الموضع الاجل الذي يصدر عنه الامر ومنه الايراد والاصدار ويجوز في ويخزهم ثلاثة اوجه من الاعراب الجزم باللفظ وعليه القراء والنصب على الصرف والرفع على الاستيناف ولم يقرا بهما وقوله ويذهب غيظ قلوبهم ومعناه يبطل غيظهم ويبعده والاذهاب جعل الشيء يذهب والذهاب الانتقال عن الشيء والمجيء الانتقال الى الشيء والغيظ نقص الطبع بانزعاج النفس يقول غاظه يغيظه غيظا واغتاظ اغتياظا وغايظه مغايظة وقوله ويتوب الله على من يشاء معناه يقبل الله توبة من يشاء من عباده ووجه اتصال قوله ويتوب الله على من يشاء بما قبله من وجهين احدهما بشارتهم بان فيهم من يتوب ويرجع عن الكفر الى الايمان والاخر انه ليس في قتالهم انقطاع لاحد منهم عن التوبة ورفع ويتوب الله على من يشاء بخروجه عن موجب القتال فاستانفه وقوله والله عليم حكيم معناه عليم بتوبتهم اذا تابوا حكيم في امركم بقتالهم اذا نكثوا قبل ان يتوبوا ويرجعوا لان افعاله كلها صواب وحكمة قوله تعالى أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِن دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ اية بلا خلاف قوله ام حسبتم من الاستفهام الذي يتوسط الكلام فيجعل بام ليفرق بينه وبين الاستفهام المبتدا الذي لم يتصل بكلام ولو كان المراد الابتداء لكان اما بالالف او بهل كقوله هل اتى على الانسان والمعنى ظننتم ان تتركوا والظن والحسبان نظاير والحسبان قوة المعنى في النفس من غير قطع وهو مشتق من الحساب لدخوله فيما يحتسب به ان تتركوا معنى الترك هو ضد بنيا في الفعل المبتدا في محل القدرة عليه ويستعمل بمعنى لا يفعل كقوله وتركهم في ظلمات لا يبصرون وقوله ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم اذا قيل لما يفعل فهو نفي للفعل مع تقريب لوقوعه واذا قيل لم يفعل فهو نفي بعد الطماع في وقوعه والمعنى لما يجاهدوا ولم يمتنعوا ان يتخذوا وليجة ويعلم الله ذلك منكم فجاء مجيء نفي العلم لنفي المعلوم لانه متى كان علم الله انه كائن وكان ابلغ واوجز لانه اتى على طريقة نفي صفات الله تعالى وقوله ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة تقديره ولما يعلم الله الذين امنوا لم يتخذوا من دون الله ولا رسوله فالوليجة الدخيلة في القوم من غيرهم يقول ولج يلج ولوجا وولجا ايلاجا وتولج تولجا بمعنى الدخول والوليجة والدخيلة والبطانة نظاير وكل شيء ادخل في شيء وليس منه فهو وليجة قال طرفه

فان القوافي يتلجن موالجا   تضايق عنه ان تولجه الابر

وقال اخر

متخذا من عصوات تولجا   متخذا فيها اياد دولجا

يعني الكناس

وقال

وقال الفراء نهوا ان يتخذوا بطانة يفشون اليهم اسرارهم وقال الجبائي اتخاذ الوليجة من دون الله ودون رسوله هو النفاق نهوا ان يكونوا منافقين وهو قول الحسن فانه قال الوليجة هي الكفر والنفاق وفي الاية دلالة على انه لا يجوز ان يتخذ من الفساق وليجة لان في ذلك تأنيسا بالفسق يجري مجرى الدعاء اليه مع ان الواجب معاداة الفساق والبرائة منهم ومع ذلك فهو غير مأمون على الاسرار والاطلاع عليها قال الزجاج كانت برائة تسمى الحافرة لانها حفرت عن قلوب المنافقين لانه لما فرض القتال تميز المؤمنون من المنافقين ومن يوالي المؤمنين ممن يوالي اعداءهم قوله تع مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ اَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللّٰهِ شَاهِدِينَ عَلٰى اَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ اُولٰئِكَ حَبِطَتْ اَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ اية بلا خلاف قرا ابن كثير وابو عمرو مسجد الله على التوحيد الباقون على الجمع فمن قرا على التوحيد قال الحسن اراد به المسجد الحرام وبه قال الجبائي ويحتمل ان يكون اراد المساجد كلها لان لفظ الجنس يدل على القليل والكثير ومن قرا على الجمع يحتمل ان يكون اراد جميع المساجد ويحتمل ان يكون اراد المسجد الحرام وانما جمع لان كل موضع منه مسجد يسجد عليه والقراءتان متناسبتان والاصل في المسجد هو موضع السجود وفي العرف يعبر به عن البيت المهيأ لصلوة الجماعة فيه اخبر الله تع انه ليس لمشرك ان يعمر مسجد الله والعمارة ان يجدد منه ما استرم من الابنية ومنه قولهم اعتمر اذا زار لانه يجدد بالزيارة ما استرم من الحال وقوله شاهدين على انفسهم بالكفر نصب على الحال فالشهادة خبر عن علم مشاهد بان يشاهد المعنى او يظهر ظهور ما يشاهد كظهور المعنى في شهادة ان لا اله الا الله والمعنى في ذلك احد شيئين احدهما ان فيما يخبرون به دليلا على كفرهم لا انهم يقولون نحن كفار ولكن كما يقال للرجل ان كلامك ليشهد انك ظالم هذا قول الحسن والثاني قال السدي ان النصراني اذا سئل ما انت قال نصراني واليهودي يقول انا يهودي وعابد الوثن يقول مشرك فذلك شهادتهم على انفسهم بالكفر وقال الكلبي معناه شاهدين على النبي بالكفر وهو من انفسهم وقوله اولئك حبطت اعمالهم وفي النار هم خالدون اخبار منه تع ان اعمال هؤلاء الذين شهدوا على انفسهم بالكفر باطلة بمنزلة ما لم يعمل لانهم اوقعوها على وجه لا يستحق بها الثواب وانهم مع ذلك مخلدون في نار جهنم معذبون بانواع العذاب قوله تع اِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللّٰهِ مَنْ اٰمَنَ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْاٰخِرِ وَاَقَامَ الصَّلٰوةَ وَاٰتَى الزَّكٰوةَ وَلَمْ يَخْشَ اِلَّا اللّٰهَ فَعَسٰى اُولٰئِكَ اَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ اية اخبر الله تع في هذه الاية انه ينبغي الا يعمر مساجد الله الا من امن بالله واقر بوحدانيته واعترف باليوم الاخر يعني يوم القيمة ثم اقام بعد ذلك الصلوة بحدودها واعطى الزكوة الواجبة ان وجبت عليه مستحقيها ولم يخف سوى الله احدا من المخلوقين فاذا فعلوا ذلك فانهم يكونون من المهتدين الى الجنة ونيل ثوابها لان عسى من الله واجبة ليست على طريق الشك وهو قول ابن عباس والحسن وقال قوم انما قال عسى ليكونوا على طريق الحذر مما يحبط اعمالهم ويدخل في عمارة المساجد عمارتها بالصلوة فيها والذكر لله والعبادة له لان تجديد احوال الطاعة لله من اوكد الاسباب التي تكون بها عامرة كما ان اهمالها من اوكد الاسباب في اخرابها وذكر قوله واقام الصلوة واتى الزكوة ولم يخش الا الله بعد ذكر قوله من امن بالله واليوم الاخر يدل على ان الايمان لا يقع على افعال الجوارح لانه لو كان الايمان متناولا لذلك لما جاز عطف ما دخل فيه عليه ومن حمل ذلك على ان المراد به التفصيل وزيادة البيان فيما يشتمل على الايمان تارك للظاهر والخشية انزعاج النفس لتوقع ما لا يؤمن من الضرر تقول خشي يخشى خشية فهو خاش ومثله خاف يخاف خوفا ومخافة فهو خائف والخاشي نقيض الامن والاهتداء المذكور في الاية هو التمسك بطاعة الله التي تؤدي الى الجنة فاعلها يسمى مهتديا قوله تع اَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ اٰمَنَ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْاٰخِرِ وَاَقَامَ الصَّلٰوةَ وَاٰتَى الزَّكٰوةَ وَلَمْ يَخْشَ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللّٰهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللّٰهِ وَاللّٰهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ اية خاطب الله تع بهذه الاية قوما جعلوا القيام بسقي الحجيج وعمارة المسجد الحرام من الكفار مع مقامهم على الكفر مساويا او افضل من ايمان من امن بالله واليوم الاخر وجاهد في سبيل الله فاخبر تع انهما لا يستويان عند الله في الفضل لان الذي امن

بالله واليوم الاخر وجاهد في سبيل الله افضل ممن يسقي الحجيج ولم يفعل ذلك وفي الاية حذف احد امرين احدهما ان يكون تقديره كايمان من امن بالله واقام الاسم مقام المصدر لان اصل السقاية مصدر كما قال الشاعر

لعمرك ما الفتيان ان تنبت اللحى ولكنما الفتيان كل فتى ندى

اي فتيان نبات والسقاية الة تتخذ لسقي الماء وقيل كانوا يسقون الحجيج الماء والشراب وبيتا لبئر سقايتهم قال الرماني المشبه لا يجوز ان يكون مجاهدا في سبيل الله لانه لا يعرف الله فيتبع امره في ذلك والجهاد اذا عرف الله صح ان يكون مطيعا بالجهاد لاتباعه امر الله فيه وروي عن ابي جعفر وابي عبد الله ع ان الاية نزلت في امير المؤمنين ع والعباس ره وروى الطبري باسناده عن ابن عباس انها نزلت في العباس حين قال يوم بدر ان سبقتمونا الى الاسلام والهجرة لم تسبقونا الى سقاية الحاج وسدنة البيت فانزل الله الاية وروى الطبري باسناده عن الحسن انها نزلت في علي والعباس وعثمان وشيبة وقال الشعبي نزلت في علي والعباس وبه قال ابن وهب والسدي وقوله والله لا يهدي القوم الظالمين اخبار منه تع انه لا يهدي احدا ممن ظلم نفسه وكفر بايات الله وجحد وحدانيته الى الجنة كما انه هدى اليها من كان عارفا بذلك فاعلا لطاعته مجتنبا لمعصيته واختلفوا في سبب نزول الاية فقال قوم سئل المشركون اليهود فقالوا نحن سقاة الحجيج وعمار المسجد الحرام افنحن افضل ام محمد واصحابه فقالت اليهود لهم انتم افضل عنادا للنبي ص والمؤمنين وقال اخرون تفاخر المسلمون الذين جاهدوا والذين لم يجاهدوا فنزلت الاية ذكره الزجاج قوله تع اَلَّذِينَ اٰمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللّٰهِ بِاَمْوَالِهِمْ وَاَنْفُسِهِمْ اَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللّٰهِ وَاُولٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ اية بلا خلاف موضع الذين رفع بالابتداء وخبره اعظم درجة اخبر الله تع ان الذين امنوا يعني صدقوا بالله واعترفوا بوحدانيته واقروا بنبوة نبيه وهاجروا اوطانهم التي هي دار الكفر الى دار الاسلام وجاهدوا في سبيل الله باموالهم وانفسهم اعظم درجة عند الله ومعناه يضاعف فضلهم عند الله مع شرف الجنس ولو قال اعلى درجة افاد شرف الجنس فقط وقوله اولئك هم الفائزون اخبار منه تع ان من وصفهم هم الذين يظفرون بالبغية ويدركون الطلبة لان الفوز هو الظفر بالبغية وهو والفلاح والنجاح نظائر وقيل انه يلحق بمثل منزلة المجاهدين من لم يجاهد بان يجاهد في طلب العلم الديني فيتعلمه ويعلمه ويدعوا اليه والى الله وربما كانت هذه المنزلة فوق تلك فان قيل كيف قال اعظم درجة من الكفار بالسقاية والسدانة قلنا على ما رويناه عن ابي جعفر وابي عبد الله ع وابن عباس وغيرهم لا يتوجه السؤال عن ذلك لان المفاضلة جرت بينهم لان لجميعهم الفضل عند الله ومن لا يقول ذلك يجيب بجوابين احدهما انه على تقدير ان لهم بذلك منزلة كما قال تع اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا هذا قول الحسن وابي علي والثاني قال الزجاج المعنى اعظم من غيرهم درجة والذي يجوز وصفهما ولا يجوز وصف من اذا كانت بمعنى الذي لان من تكون تارة معرفة وتارة موصوفة فلذلك افترقا وقيل معنى الفائزين انهم الظافرون بثواب الله الذي استحقوه على طاعتهم قوله تع يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ اية بلا خلاف في الاية اخبار من الله تعالى بالبشارة واعلام للذين امنوا وهاجروا وجاهدوا برحمة من جهته تع والبشرى والبشارة الدلالة على ما يظهر به السرور في بشرة الوجه يقول بشرته ابشره بشرى وابشر ابشارا واستبشر استبشارا وتباشر تباشرا وبشره تبشيرا فاما باشره مباشرة فمعنى لاقاه ببشرته ورضوان وهو معنى يستحق بالاحسان يدعوا الى الحمد على ما كان ويضاده سخط الغضبان يقول رضي رضا ورضوانا وارضاه ارضاء وترضاه ترضيا وارتضاه ارتضاء واسترضاه استرضاء وتراضوا تراضيا وقوله وجنات يعني البساتين التي يجنها الشجر واما الرياض فهي الموطأة للخضر التي قد عنيت فيها بنات الزهر ومنه الرياضة لانها توطية لتقريب العمل وقوله لهم فيها نعيم مقيم فالنعيم لين العيش اللذيذ وهو مشتق من النعمة وهي اللين واما النعمة بكسر النون فهي منفعة يستحق بها الشكر لانها كنعم العيش والمقيم الدائم بخلاف الراحل فكانه قال المقيم ابدا قوله تع خَالِدِينَ فِيهَا اَبَدًا اِنَّ اللّٰهَ عِنْدَهُ اَجْرٌ عَظِيمٌ اية بلا خلاف خالدين نصب على الحال من الهاء والميم في قوله لهم والخلود في العرف الدوام في الشيء كالخلود في الجنة ماخوذ من قولهم خلد هذا الكتاب في الديوان على تقييد الدوام من غير انقطاع

والابد الزمان المستقبل من غير اخر كما ان قط للماضي يقول ما رايته قط ولا اراه ابدا وجمع الابد اباد وابود
يقول لا افعل ذلك ابد الابدين وابد الابيد وتابد المنزل اذا اقفر واتى عليه الابد والاوابد الوحش سميت بذلك لطول
اعمارها وبقائها وقيل لم يمت وحشي حتف انفه وانما يموت بافة وجاء فلان بابدة اي بداهية وانا ابد لا تسكن
القفر متابدة وقوله ان الله عنده اجر عظيم اخبار منه تعم ان عنده الجزاء اي في مقدوره الجزاء الذي يستحق
بالاعمال تقول اجره ياجره اجرا واجره اجارة واستاجره استيجارا ومنه الاجير وقوله عظيم يعني كبير متضاعف
لا تبلغه نعمة غيره من الخلق والابد قطعة من الدهر متتابعة في اللغة قال الحرث بن اليغيث

اهاج عليك الشوق اطلال دمنة ... بناصفة البرقين اوجانب الهجل
اتى ابد من دون حدثان عهدها ... وجرت عليها كل نافحة شمل

ومن الدليل على ان الابد قطعة من الدهر انه ورد مجموعا في كلامهم قالت صفية بنت عبد المطلب تخاطب ولدها الزبير

وخالجت اباد الدهور عليكم ... واسماء لم تشعر بذلك ايم
فلو كان زبر مشركا لعذرته ... ولكن زبرا يزعم الناس مسلم

ويقال ما ابدا لربع اذا مر عليه قطعة من الدهر وليس يعنون انه مر عليه ابد لا غاية له قال مزاحم العقيلي

اتعرف بالغرين دارا تابدت ... من الحي واستنت عليها العواصف

فاما الخلود فليس في كلام العرب ما يدل على انه بقاء لا غاية له وانما يخبرون به عن البقاء الى مدة كما قال المخبل السعدي

الا رماد اهامدا دفعت ... عنه الرياح خوالد سحم

اراد دفع الرياح عن النؤي الى هذا الوقت هذه الاثافي التي بقيت الى هذا الوقت قوله تعم يا ايها الذين امنوا
لا تتخذوا اباءكم واخوانكم اولياء ان استحبوا الكفر على الايمان ومن يتولهم منكم فاولئك هم
الظالمون اية بلا خلاف روي عن ابي جعفر وابي عبد الله تم ان هذه الاية نزلت في حاطب بن بلتعة حيث كتب الى قريش
بخبر النبي صم حين اراد فتح مكة هذا خطاب من الله تعم للمؤمنين ينهاهم فيه عن اتخاذ اباءهم واخوانهم اولياء متى
استحبوا الكفر واثروه على الايمان والاتخاد هو الافتعال من اخذ الشيء والاتخاذ اعداد الشيء لامر من الامور
واتخاذهم اولياء هو ان يعتقدوا موالاتهم ووجوب نصرتهم فيما ينوبهم وليس ذلك بمانع من صلتهم والاحسان اليهم
لانه تعم حث على ذلك فقال وان جاهداك على ان تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا
معروفا والاب والوالد نظاير والاخ الشقيق في النسب من قبل الاب والام وكل من رجع مع اخر الى واحد في
النسب من والد ووالدة فهو اخ والاوليا جمع ولي وهو من كان مختصا بايلاء التصرف في وقت الحاجة وقال
الحسن من تولى المشرك فهو مشرك وهذا اذا كان راضيا بشركه ويكون سبيله سبيل من تولى الفاسق ان يكون
فاسقا وقوله ان استحبوا الكفر على الايمان معناه ان طلبوا محبة الكفر على الايمان وقد يكون استحب بمعنى احب
كما ان استجاب بمعنى اجاب ثم اخبر تعم ان من استحب الكفار على المؤمنين فانهم ايضا ظالمون نفوسهم والباخسون
حظها من الثواب لانهم وضعوا الموالاة في غير موضعها قوله تعم قل ان كان اباؤكم وابناؤكم واخوانكم
وازواجكم وعشيرتكم واموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها احب اليكم
من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى ياتي الله بامره والله لا يهدي القوم الفاسقين اية
بلا خلاف قرا ابو بكر عن عاصم وعشيراتكم على الجمع الباقون على التوحيد من جمع فلان كل واحد من المخاطبين له عشيرة
فاذا جمع قال وعشيراتكم ومن افرد قال العشيرة تقع على الجمع وقال ابو الحسن العرب لا تجمع العشيرة عشيرات وانما
يقول عشائر امر الله تعم بهذه الاية نبيه عم ان يخاطب هؤلاء الذين تخلفوا عن الهجرة الى دار الاسلام واقاموا
بدار الكفر وقال الجبائي هو خطاب للمؤمنين اجمع وتحذير لهم من ترك الجهاد وحث عليه فامره ان يقول لهم
ان كان اباؤكم الذين ولدوكم وابناؤكم الذين ولدتموهم وهم الاولاد الذكور وازواجكم جمع زوجة و
هي المراة التي عقد عليها عقدة نكاح صحيح لان ملك اليمين والمعقود عليها عقد شبهة لا تسمى زوجة
وعشيرتكم وهي الجماعة التي ترجع الى عقد كعقد العشرة ومنه المعاشرة وهي الاجتماع على عقد يتم ومنه

العشار النوق التي اتى على حملها عشرة اشهر واموال جمع مال اقترفتموها اي اقتطعتموها واكتسبتموها
ومثله الاحتراف والاقتراف اقتطاع الشيء عن مكانه الى غيره وتجارة تخشون كسادها يعني ما اشتريتموه طلبا
للربح تخافون خسرانها ووقوفها ومساكن جمع مسكن وهي المواضع التي تسكنونها وترضونها احب اليكم من
الله ورسوله يعني اثر في نفوسكم واقرب الى قلوبكم والمحبة ارادة خاصة الشيء فمن احب الجهاد فقد اراد فعله
ومن احب الله اراد شكره وعبادته ومن احب النبي اراد اجلاله واعظامه والذي اقتضى نزول هذه الاية محبتهم
التي منعتهم الهجرة وقوله فتربصوا اي فتثبتوا والتربص التثبت في الشيء وحتى يجيء وقته والتربص والتنظر و
التوقف نظاير في اللغة ونقيضه التعجل بالامر وقال مجاهد قوله حتى ياتي الله بامره من عقوبة عاجلة او آجلة
وقوله والله لا يهدي القوم الفاسقين معناه انه لا يهديهم الى الثواب والجنة لانه تعم قد هداهم الى الايمان
فقال واما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى قوله تعم لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين
اذ اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين اية
بلا خلاف اقسم الله تعم في هذه الاية لان لام لقد لام القسم بانه نصر المؤمنين في مواطن كثيرة ومواطن في
موضع جر بفي انما نصب لانه لا ينصرف لانه جمع لا نظير له في الاحاد فلا ينصرف وجر كثيرة على الموضع وانثه على
اللفظ ومواطن جمع موطن ومعنى النصر الغلبة على العدو والمعونة قد يكون في حمل الثقيل وتكون في شراء
متاع وتكون في قضاء حاجة ولا يكون النصر الا المعونة على العدو خاصة والموطن هو الموضع الذي يقيم
فيه صاحبه وانما قد قاموا في هذه المواطن للقتال ومعنى كثيرة روي عن ابي عبد الله تم انها كانت ثمانين موطنا
والكثيرة علة زايدة على غيرها فهي كثيرة بالاضافة الى ما دونها قليلة بالاضافة الى ما فوقها وقوله ويوم
حنين وحنين اسم واد بين مكة والطايف في قول قتادة وقال عروة هو واد الى جانب ذي المجاز فلذلك انصرف
ويجوز ترك صرفه على انه اسم للبقعة قال الشاعر ... نصروا نبيهم وشدوا ازره ... بحنين يوم تواكل الابطال
وقوله اذ اعجبتكم كثرتكم فالاعجاب السرور بما يتعجب منه والعجب السرور بالنفس على الفخر بما يتعجب منه وقال
قتادة انه كان سبب انهزام المسلمين يوم حنين ان بعضهم قال حين راى كثرة المسلمين يوم حنين لانهم كانوا اثني
عشر الفا فقال لن نغلب اليوم عن قلة فانهزموا بعد ساعة وقيل انهم كانوا عشرة الف وقال بعضهم ثمانية الف
والاول اشهر ولما انهزموا لم يبق مع النبي صم الا تسعة نفر من بني هاشم وايمن ابن ام ايمن والعباس بن
عبد المطلب وابو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب وعلي بن ابي طالب عم في اخرين فاخذ النبي صم كفا من الحصباء
فرماهم به وقال شاهت الوجوه فانهزم المشركون وقوله فلم تغن عنكم شيئا معناه لم تغن كثرتكم شيئا الاغناء
اعطاء ما يرفع الحاجة ولذلك قيل في الدعاء اغناك الله وقوله فلم تغن عنكم شيئا معناه لم يعطكم ما يرفع
حاجتكم وقوله عليكم الارض بما رحبت معناه ليس فيها موضع يصلح لكم لفرادكم عن عدوكم والضيق مقدار
ناقص عن مقدار والرحب السعة في المكان وقد يكون في الرزق والسعة في النفقة وقوله ثم وليتم مدبرين فالادبار
الذهاب الى جهة الخلف والاقبال الى جهة القدام والمعنى وليتم عن عدوكم منهزمين وتقديره وليتموهم
الادبار وكانت غزوة حنين عقيب الفتح في شهر رمضان او في شوال سنة ثمان فان قيل كيف قال انه نصرهم
في مواطن كثيرة والمؤمنون منصورون في جميع الاحوال قلنا عنه جوابان احدهما ان ذلك اخبار بانه نصرهم
دفعات كثيرة ولا يدل على انه لم ينصرهم في موضع اخر وقلنا لانهم لما انهزموا لم يكونوا منصورين وكان ذلك
منهم خطأ وان وقع مكفرا قوله تعم ثم انزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وانزل جنودا لم تروها
وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين اية بلا خلاف اخبر الله تعم انه حين انهزم المسلمون وبقي النبي صم
في نفر من قومه انه انزل السكينة وهي الرحمة التي تسكن اليها النفس ويزول معها الخوف حتى رجعوا اليهم و
قاتلوهم وهزمهم الله تعالى بان انزل النصر وانزل السكينة وقيل السكينة هي الطمانينة والامنة وقال الحسن
هي الوقار قال الشاعر ... لله قبر غالها ماذا يجن ... لقد اجن سكينة ووقارا
وقوله وانزل جنودا لم تروها والجنود هي الجموع التي تصلح للحروب والمراد بها ههنا الملائكة جند واجناد

وجنوده فانزل الله الملئكة مددا للمؤمنين وقال الجبائى انما نزلنا الملئكة يوم حنين من جهة الخاطر الذى يشجع قلوبهم و يجبن عنهم اعداءهم ولم يقاتل الا يوم بدر خاصة وقوله وعذب الذين كفروا معناه ههنا القتل و الاسر وسلب الاموال مع الاذلال والصغار ثم قال وذلك يعنى ذلك العذاب جزاء من جحد نعم الله وانكر وحدانيته وجحد نبوة نبيه مما اعده لهم من عذاب النار قوله تعـ ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء والله غفور رحيم اية بلا خلاف معنى ثم ههنا العطف على الفعل الاول وقد ذكرت ثم فى ثلاثة مواضع منفادية فالاولى عطف على ما قبلها والثانية عطف على وليتم مدبرين ثم انزل الله سكينته والثالثة عطف على انزل ثم يتوب وانما حسن عطف المستقبل على الماضى لانه مشاكله فان الاول تذكير بنعمه والثانى وعد بنعمه والتوبة هى الندم على ما مضى من القبيح والعزم على ان لا يعود الى مثله اما فى الجنس او فى القبح على الخلاف فيه فشرط الندم بالعزم لان الندم انما هو على الماضى والعزم على ما يستقبل فلو لم يجتمعا لم تكن توبة ومعنى ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء انه يقبل التوبة من بعد هزيمة من انهزم و يجوز ان يكون المراد بعد كفر من كفر توبة من يتوب و يرجع الى طاعة الله والاسلام و يندم على ما فعل من القبيح لمن يشاء وانما علقه بالمشية لان قبول التوبة واسقاط العقاب عندها تفضل عندنا ولو كان ذلك واجبا لما جاز تعليق ذلك بالمشية كما لم يعلق الثواب على الطاعة والعوض على الالم فى موضع بالمشية ومن خالف فى ذلك قال انما علقها بالمشية لان منهم من له لطف يؤمن عنده فالله تعالى يشاء ان يلطف له مع صرف العمل فى ترك التوبة الى الله وقوله والله غفور رحيم معناه انه ستار للذنوب لا يفضح احدا على معاصيه بل يسترها عليه اذا تاب منها وهو رحيم بعباده قوله تعـ يا ايها الذين امنوا انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء ان الله عليم حكيم اية بلا خلاف هذا خطاب من الله تعـ للمؤمنين يخبرهم فيه ان المشركين انجاس و يامرهم ان يمنعوا المشركين من ان يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا اى الذى اشار اليه وهى سنة تسع من الهجرة التى نبذ فيها براءة المشركين وكانت بعده حجة الوداع وهو قول قتادة وغيره من المفسرين والمراد بالمسجد الحرام الحرم كله فى قول عطاء وغيره وكل شئ مستقذر فى اللغة يسمى نجسا فاذا استعمل مفردا قيل نجس بفتح النون والجيم معا ويقع على الذكر والانثى سواء وظاهر الاية يقتضى ان الكفار انجاس ولا يجوز مع ذلك ان يمكنوا من دخول شئ من المساجد لان شركهم اجرى مجرى القذر الذى يجب تجنبه وعلى هذا من باشر يد كافر وجب عليه ان يغسل يده اذا كانت يده او يد المشرك رطبة وان كانت ايديهما يابستين مسحها بالحائط وقال الحسن من صافح مشركا فليتوضأ ولم يفصل واختلفوا فى هل يجوز دخولهم المسجد الحرام بعد تلك السنة ام لا فروى عن جابر بن عبد الله وقتادة انه لا يدخله احد الا ان يكون عبدا او احدا من اهل الذمة وقال عمر بن عبد العزيز لا يجوز لهم دخول المسجد الحرام ولا يدخل احد من اليهود والنصارى شيئا من المساجد بحال وهذا هو الذى نذهب اليه وقال الطبرى وقتاده سموا انجاسا لانهم لا يغتسلون من جنابة وقوله فان خفتم عيلة فالعيلة الفقر يقول عال يعيل اذا افتقر قال الشاعر

وما يدرى الفقير متى غناه ... وما يدرى الغنى متى يعيل

وكانوا خافوا انقطاع المتاجر بمنع المشركين فقال الله تعـ وان خفتم عيلة يعنى فقرا بانقطاعهم فالله يغنيكم من فضله ان شاء فى قول قتادة ومجاهد وانما علقه بالمشية لاحد امرين احدهما لان فيهم من لا يبلغ هذا المعنى الموعود به لانه يجوز ان يموت قبله فى قول ابى على الثانى لتنقطع الامال الى الله تعـ كما قال لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله امنين وقوله ان الله عليم حكيم معناه عالم بمصالحكم حكيم فى منع المشركين من دخول المسجد الحرام قوله تعـ قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر ولا يحرمون ما حرم الله و رسوله ولا يدينون دين الحق من الذين اوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون اية بلا خلاف قوله تعـ قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر امر من الله تعـ لنبيه وللمؤمنين بان يقاتلوا الذين لا يعرفون بتوحيد الله ولا يقرون باليوم الاخر والبعث والنشور وذلك يدل على صحة مذهبنا فى اليهود والنصارى وامثالهم انه لا يجوز ان يكونوا عارفين بالله وان اقروا بذلك بلسانهم وانما يجوز

ان يكونوا معتقدين لذلك لاعتقاد ليس بعلم والاية صريحة بان هؤلاء الذين هم اهل الكتاب الذين يؤخذ منهم الجزية لا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر وانه يجب قتالهم حتى يعطوا الجزية عن يد ومن قال انهم يجوز ان يكونوا عارفين بالله تعـ قال الاية خرجت مخرج الذم لهم لانهم بمنزلة من لا يقر به فى عظم الجرم كما انهم بمنزلة المشركين فى عبادة الله بالكفر وقال الجبائى لانهم يضيفون اليه ما لا يليق به فكانهم لا يعرفونه وانما جمعت هذه الاوصاف لهم ولم يذكروا بالكفار من اهل الكتاب للتحريض على قتالهم بما هم عليه من صفات الذم التى يوجب البراءة منهم و العداوة لهم وقوله ولا يدينون دين الحق يدل على ان دين اليهودية والنصرانية غير دين الحق وذلك يقوى انهم غير عارفين بالله لانهم لو كانوا فى ذلك محقين فاما اعتقادهم لشريعة التورية فانما وصفنا انه غير حق لامرين احدهما انها نسخت فالعمل بها بعد النسخ باطل غير حق الثانى ان التورية التى هى معهم مغيرة مبدلة لقوله يحرفون الكلم عن مواضعه ويقلبونه عن معانيه وقوله ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله معناه انهم لا يعترفون بالاسلام الذى هو الدين الحق ولا يسلمون لامر الله الذى بعث به نبيه محمد صلى فى تحريم حرامه وتحليل حلاله والدين فى الاصل الطاعة قال زهير

لئن حللت بجو فى بنى اسد ... فى دين عمرو وحالت بيننا فدك

وقوله حتى يعطوا الجزية عن يد فالجزية عطية عقوبة جزاء على الكفر بالله على ما وضعه رسول الله صلى على اهل الذمة وهو على وزن جلسة وقعدة لنوع من الجزاء وانما قيل عن يد ليفارق حال الغصب على اقرار حد وقال ابو على معناه يعطونها من ايديهم يجيئون بها بنفوسهم لا يبعثون بها غيرهم اذا قدروا عليه فيكون اذل لهم وقال قوم معناه عن نقد كما يقال باع يدا بيد وقال اخرون معناه عن يد لكم عليهم ونعمة تسدونها اليهم بقبول الجزية منهم وقال الحسين بن على المغربى معناه عن قهر وهو قول الزجاج وقوله وهم صاغرون فالصغار الذل والنكال الذى يصغر قدره صاغر صغر يصغر صغارا فهو صاغر وقيل الصغار اعطاء الجزية قائما والاخذ جالس ذهب اليه عكرمة والجزية لا تؤخذ عندنا الا من اليهود والنصارى والمجوس واما غيرهم من الكفار على اختلاف مذاهبهم من عباد الاصنام والاوثان والصابئة وغيرهم فلا يقبل منهم غير الاسلام او السبى وانما كان كذلك لما علم الله تعـ من المصلحة فى اقرار هؤلاء على كفرهم ومنع ذلك فى غيرهم لان هؤلاء على كفرهم يقرون بالسنتهم بالتوحيد وبعض الانبياء وان لم يكونوا على الحقيقة عارفين واولئك يجحدون ذلك كله فلذلك فرق بينهما وان قيل اعطاء الجزية منهم لا يخلوا ان يكون طاعة او معصية فان كان معصية فكيف امر الله بها وان كان طاعة وجب ان يكونوا مطيعين لله قلنا اعطاؤهم ليس بمعصية واما كونها طاعة لله فليس كذلك لانهم انما يعطونها دفعا للقتل عن انفسهم لا لطاعة لله فان الكافر لا يقع منه طاعة عندنا بحال لانه لو فعل طاعة لله لاستحق الثواب والاحباط باطل فكان يجب ان يكون مستحقا للثواب وذلك خلاف الاجماع قوله تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بافواههم يضاهؤن قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله انى يؤفكون اية بلا خلاف قرا عزير بالتنوين عاصم والكسائى وعبد الوارث عن ابى عمرو والباقون بترك التنوين وقرا عاصم وحده يضاهؤن بالهمزة الباقون بغير همزة من ترك التنوين فى عزير ابن الله قيل فى وجه ذلك ثلاثة اقوال احدها انه اعجمى معرفة لا ينصرف الثانى لان ابن ههنا صفة بين علمين والخبر محذوف والتقدير معبودنا او نبينا عزير ابن الله الثالث انه حذف التنوين لالتقاء الساكنين تشبيها بحرف اللين كما قال الشاعر

فالفيته غير مستعتب ... ولا ذاكر الله الا قليلا

هذا الوجه قول الفراء وعند سيبويه هو ضرورة فى الشعر قال ابو على من نونه جعله مبتدأ وجعل ابنا خبره و لا بد مع ذلك من التنوين فى حال السعة والاختيار لان ابا عمرو وغيره يصرف عجميا كان او عربيا ومن حذف التنوين يحتمل وجهين احدهما انه جعل الموصوف والصفة بمنزلة اسم واحد كما قال لا رجل ظريف وحذف التنوين ولم يحرك لالتقاء الساكنين كما يحرك يا زيد العاقل لان الساكنين كانهما التقيا فى تضاعيف كلمة واحدة فحذف الاول منهما ولم يحرك لكثرة الاستعمال والوجه الاخر ان يجعل مبتدأ والخبر والاخر الخبر مثل من نون وحذف التنوين لالتقاء الساكنين وعلى هذا قراءة من قرأ قل هو الله احد فحذف التنوين لالتقاء الساكنين فان قيل كيف اخبر الله عن اليهود

بانهم يقولون عزير ابن الله واليهود تنكر هذا قلنا انما اخبر الله بذلك عنهم لان منهم من كان يذهب اليه والدليل
على ذلك ان اليهود فى وقت ما انزل الله القران سمعت هذه الاية فلم تنكره وهو كقول الخوارج تقول بتعذيب
الاطفال وانما يقول بذلك الازارقة منهم خاصة وقال ابن عباس القائل لذلك جماعة جاؤا الى النبى صم فقالوا
ذلك وهو سلام بن مشكم ونعمان بن اوفى وشاس بن قيس ومالك بن الصيف فانزل الله فيهم الاية وقوله ذلك
قولهم بافواههم معناه انه لا يرجع الى معنى صحيح فهو لا يجاوز افواههم لان المعنى الصحيح ما رجع الى ضرورة
العقل او حجة او برهان او دليل سمعى وقوله يضاهون قول الذين كفروا من قبل معناه يشابهون ومنه قولهم
امراة ضهياء التى لا تحيض ولا يخرج ثدياها اى اشبهت الرجال وقال ابو على الفارسى ليس يضاهون من قولهم
امراة ضهياء لان هذه الهمزة زائدة غير اصلية لانه ليس فى الكلام شئ على وزن فعيلاء ويشبه ان يكون ذلك
لغة كما قالوا ارجأت وارجيت واختار الزجاج ان يكون الهمزة اصلية كما جاء كثير من الاشياء على وزن لا يطرد نحو
كنهبل وهو الشجر العظام وكنهبل لا نظير له ووزنه فعنلل وقال ابن عباس الذين كفروا اراد به عبدة الاوثان
وقال الفراء يشابهونهم فى عبادة اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى وقال قوم فى قولهم الملائكة بنات الله
وقال الزجاج شابهوهم فى تقليدهم اسلافهم فى هذا القول وقوله قاتلهم الله قيل فى معناه ثلثة اقوال احدها
قال ابن عباس معناه لعنهم الله الثانى معناه قتلهم الله كقولهم عافاك الله من السوء الثالث كالمقاتل لغيره فى
عداوة الله وقوله انى يؤفكون معناه كيف يصرفون عن الحق الى الافك الذى هو الكذب ورجل مافوك عن
الخير وارض مافوكة صرف عنها المطر قال الشاعر انى الم بك الخيال تطيف
قوله تعالى اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما امروا الا ليعبدوا الها
واحدا لا اله الا هو سبحانه عما يشركون اية بلا خلاف اخبر الله تعالى عن هؤلاء اليهود والنصارى الذين
حكى حكايتهم انهم اتخذوا احبارهم وهو جمع حبر وهو العالم الذى صناعته تحبير المعانى بحسن البيان عنها
وقيل حبر وحبر بفتح الباء وكسرها حكاه الفراء والرهبان جمع راهب وهو الخاشى الذى يظهر عليه للناس
الخشية وقد كثر استعماله فى متنسكى النصارى وروى عنه ع ان معنى اتخاذهم اربابا انهم قبلوا منهم التحريم و
التحليل بخلاف ما امر الله تعالى وهو المروى عن ابى جعفر وابى عبد الله ع فسمى الله ذلك اتخاذهم اياهم اربابا من
حيث كان التحريم والتحليل لا يسوغ الا لله تعالى وهو قول اكثر المفسرين وقوله والمسيح ابن مريم عطف على
الارباب اى واتخذوا عيسى ربا وقوله وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا معناه ان الله تعالى لم يامر هؤلاء اليهود
والنصارى وغيرهم الا بعبادة الله وحده لا شريك له ثم اخبر فقال لا اله الا هو سبحانه يعنى تنزيها عما يشركون
ومعنى سبحانه براءة من الله من السوء كما قال الشاعر اقول لما جاءنى فخره سبحان من علقمة الفاخر
والاية تدل على ان المشرك مع الله فى التحليل والتحريم على مخالفة امر الله كالمشرك فى عبادة الله لان استحلال
ما حرم الله كفر باجماع وكل كافر مشرك ولا يلزم على ذلك ان يكون من قبل الشيطان باغوائه فارتكب المعاصى
ان يكون كافرا على ما استدل به بعض الخوارج لان اذا قبل من الشيطان ما يعتقد انه معصية ولا يقصد بذلك
طاعة الشيطان ولا تعظيمه يكون فاسقا ولا يكون كافرا وليس كذلك من ذكره الله تعالى فى الاية لانهم كانوا يقبلون
تحريم علمائهم واحبارهم ويقصدون بذلك تعظيمهم ولا يلزم على ذلك قبول المعاصى من العالم لان العامى يعتد
بالرجوع الى العالم فيقبل منه ما ادى اجتهاده اليه وعلمه فاذا قصد العالم وافتاه بغير ما علمه فهو المخطى دون
المستفتى وليس كذلك هؤلاء لانهم ما كانوا تعبدوا بالرجوع الى الاحبار والقبول منهم لانهم لو كانوا تعبدوا
بذلك لما ذمهم الله على ذلك قوله تعالى يريدون ان يطفؤا نور الله بافواههم ويابى الله الا ان يتم
نوره ولو كره الكافرون اية اجماعا اخبر الله تعالى عن هؤلاء الكفار من اليهود والنصارى انهم يريدون ان
يطفؤا نور الله بافواههم الاطفاء اذهاب نور النار ثم استعمل فى اذهاب كل نور ونور الله القران والاسلام
فى قول المفسرين السدى والحسن وقال الجبائى نور الله الدلالة والبرهان لانه يهتدى بها كما يهتدى بالانوار و
واحد الافواه فم من الاستعمال واصله فوه فحذفت الهاء وابدل من الواو ميم لانه حرف صحيح من مخرج الواو مشاكل

لها ولما سمى الله تعالى الحجج والبراهين نورا سمى معارضتهم له اطفاء واضاف ذلك الى الافواه لان الاطفاء
يكون بالافواه وهو النفخ وهذا من عجيب البيان مع ما فيه من تصغير شانهم وتضعيف كيدهم لان النفخ يؤثر فى
الانوار الضعيفة دون الاقباس العظيمة ذكره الحسين بن على المغربى قوله ويابى الله الا ان يتم نوره الاباء
الامتناع مما طلب من المعنى قال الشاعر وان ارادوا ظلمنا ابينا
اى منعنا من الظلم وليس الاباء من الكراهة فى شئ على ما يقول المجبرة لانهم يقولون فلان يابى الضيم
فيمدحونه ولا مدحة فى كراهة الضيم لتساوى الضعيف والقوى فى ذلك وانما المدح فى المنع خاصة ولذلك
مدح عروة بن الورد بانه ابى للضيم بمعنى انه ممتنع منه وقوله وان ارادوا ظلمنا ابينا يدل على ذلك لانه
لا مدحة فى ان يكره ظلم من يظلمهم وانما المدحة فى منع من اراد ظلمهم والمنع فى الاية يمنع الله الا اتمام
نوره وان كره الكافرون ولا يجوز على قياس ويابى الله الا ان يتم نوره ان يقول ضربت الا اخاك لان فى
الاباء معنى النفى فكانه قال لا يمكنهم الله الا ان يتم نوره واذا لم يكن فى اللفظ مستثنى منه لم يدخل الا فى
الا فى الايجاب ويدخل فى النفى على تقدير الحذف قال الشاعر
وهل لى ام غيرها ان تركتها ابى الله الا ان اكون لها ابنما
والتقدير فى الاية ويابى الله كل شئ الا اتمام نوره فى قول الزجاج وانكر ان يكون فى الاية معنى الجحد قوله تعالى هو
الذى ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون اية اخبر الله تعالى
انه هو الذى ارسل رسوله صم وحمله الرسالة التى يؤديها الى امته بالهدى يعنى بالحجج والبينات والبيان لما
يؤديهم العمل به الى ابواب الجنة ودين الحق هو الاسلام وما تضمنه من الشرائع لانه الذى يستحق عليه الجزاء
بالثواب وكل دين سواه باطل لانه يستحق به العقاب ومن شان الرسول ان يكون افضل من جميع امته من حيث
يجب عليهم طاعته وامتثال ما يامرهم به بما هو مصلحة لهم ولانه رئيس لهم فى الدين ويقبح تقديم المفضول على
الفاضل فيما كان افضل فيه وقوله ليظهره على الدين كله معناه ليعلى دين الاسلام على جميع الاديان بالحكم والغلبة
والقهر لهم وقال البلخى ظهوره على جميع الاديان بالحكم لان جميع الاديان نال المسلمون منهم وغزوا فيهم
واخذوا سبيهم وجزيتهم وفى الاية دلالة على صدق نبوته لانها تضمنت الوعد بظهور الاسلام على جميع الاديان
وقد صح ظهوره عليها وقال ابو جعفر ع ان ذلك يكون عند خروج القائم ع وقال ابن عباس معناه يا ايها
الذين امنوا ان عند لها حتى لا يبقى عليه شئ منها قوله تعالى يا ايها الذين امنوا ان كثيرا من الاحبار
والرهبان لياكلون اموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله والذين يكنزون الذهب
والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم اية بلا خلاف هذا خطاب من الله تعالى للمؤمنين
يعلمهم ان كثيرا من احبار اليهود وعلمائهم ورؤسائهم وكثيرا من رهبان النصارى لياكلون اموال الناس
بالباطل من حيث كانوا ياخذون الرشا فى الاحكام فى قول اسحق والجبائى واكل المال بالباطل تملكه من الجهات
التى يحرم منها اخذه وقيل فى معنى لياكلون اموال الناس بالباطل وجهان احدهما انهم يتملكون فوضع
ياكلون موضعه لان الاكل غرضهم ياكلون اموال الناس من الطعام فكانهم ياكلون الاموال لانها من الماكول
كما قال الشاعر ذر الاكلين الماء لوما فما ارى ينالون خيرا بعد اكلهم الماء
اى ثمن الماء وقوله ويصدون عن سبيل الله معناه يمنعون غيرهم من اتباع الاسلام الذى هو سبيل الله
التى دعاهم الى سلوكها والغرض بذلك التحذير من اتباعهم والتهوين على المسلمين مخالفتهم وقوله والذين
يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله معناه الذين يخبؤن اموالهم من غير ان يخرجوا زكاتها
لانهم لو اخرجوا زكاتها وكنزوا ما بقى لم يكونوا ملومين بلا خلاف وهو قول ابن عباس وجابر وابن عمر والحسن
والسدى والجبائى قال وهو اجماع واصل الكنز كبس الشئ بعضه على بعض ومنه قولهم كنزت التمر والطعام قال
الهذلى لا در درى ان اطعمت نازلكم قرف الحتى وعندى البر مكنوز
الحتى سويق المقل وقوله ولا ينفقونها فى سبيل الله اى تمام المقيل ولا ينفقونهما لاحد امرين احدهما ان يكون

الكناية عائدة الى المدلول عليه وتقديره ولا ينفقون الكنوز او الاموال او الاخر ان يكون اكتفى باحدهما عن
الاخر للايجاز ومثله واذا رأوا تجارة او لهواً انفضوا اليها وقال حسان

نحن بما عندنا وانت بما — عندك راض والرأي مختلف

وكان يجب ان يقول راضيان ومعنى البيت نحن بما عندنا راضون وانت بما عندك راض وحذف الخبر من الاول لدلالة
الثاني عليه كما حذف المفعول في الثاني لدلالة الاول عليه في قوله والذاكرين الله كثيرا والذاكرات والتقدير
والذاكرات الله ومثل ذلك الاية وتقديرها والذين يكنزون الذهب لا ينفقونه في سبيل الله ويكنزون الفضة
ولا ينفقونها في سبيل الله وموضع والذين يكنزون يحتمل وجهين من الاعراب احدهما ان يكون نصباً بالعطف
على اسم ان وتقديره ويأكلون الذين يكنزون الذهب الثاني ان يكون رفعاً على الاستيناف وقال ابن عمر كل
ما اخرجت زكاته فليس بكنز وبه قال عكرمة وقال الجبائي وغيره الذين يكنزون نزلت في مانعي الزكوة من
اهل الصلاة وقال قوم نزلت في المشركين والاولى ان يحمل الاية على العموم في الفريقين وقوله فبشرهم
بعذاب اليم قيل في معناه قولان احدهما ان اصل البشرى مما يظهر في بشرة الوجه من فرح او غم الا انه كثر استعماله
في الفرح كما قال الجعدي

وأراني طرباً في اثرهم — طرب الواله او كالمختبل

لان اصل الطرب ما يستخف من سرور او حزن والثاني انه وضع الوعيد بالعذاب الاليم موضع البشرى
بالنعيم وروي عن علي عم انه قال كلما زاد على اربعة آلاف فهو كنز اديت زكاته او لم تؤد وما دونها فهو نفقة
وقال ابو ذر من ترك بيضاء او صفراء كوي بها وسئل رسول الله صم عن نزول هذه الاية اي مال نتخذ فقال
لساناً ذاكراً وقلباً شاكراً وزوجة تعين احدكم على دينه قوله تعم يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى
بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ
اية بلا خلاف قوله يوم يحمى متعلق بقوله فبشرهم بعذاب اليم في يوم يحمى عليها ومعناه انه يدخل الذهب
والفضة الى النار فيوقد عليها يعني على الكنوز التي كنزوا فالهاء في قوله عليها عائدة على الكنوز او الفضة
والاحماء جعل الشيء حاراً في الاحساس وهو فوق الاسخان وضده التبريد يقول حمي حمياً واحماه احماء
اذا امتنع من حر الضاد وقوله فتكوى فالكي الصاق الشيء الحار بالعضو من البدن ومنه قولهم آخر الداء
الكي لغلظ امره كقطع العضو اذا عظم فساده تقول كواه يكويه كياً واكتوى اكتواء وقوله جباههم جمع جبهة
وهي صفحة اعلى الوجه فوق الحاجبين وجبهه بالمكروه يجبهه جبهاً اذا استقبله به وجنوبهم جمع جنب والجنب
الضلع والابط نظائر وظهورهم جمع ظهر وهو الصفحة العليا من خلف المقابلة للبطن يقال كتب في ظهر الدرج
وبطنه اذا كتب في جانبيه والمعنى ان الله يحمي هذه الكنوز بالنار ليكوي بها جباه من كنزها ولم يخرج حق الله
منها وجنوبهم فيكون ذلك اشد لعذابهم واعظم لخزيهم وقوله هذا ما كنزتم اي يقال لهم ما ذخرتموه لانفسكم
فذوقوا ما كنتم تكنزون ومعناه فاطعموا جزاء ما كنتم تدخرونه من منع الزكوات والحقوق الواجبة في اموالكم
قوله تعم إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا
أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَ
اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ اية بلا خلاف قرا ابو جعفر اثنا عشر واحد عشر وتسعة عشر بسكون الشين فيمن الا
النهرواني روي عنه حذف الالف التي قبل العين لما ذكر الله تعم وعيد الظالم لنفسه بكنز المال من غير اخراج الزكاة
وغيرها من الحقوق التي لله منه اقتضى ذلك ان يذكر النهي عن مثل حاله وهو الظلم في الاشهر الحرم التي تؤدي الى
مثل حاله او شر منها في سوء المنقلب فاخبر تعم ان عدة الشهور في السنة على ما يعتد المسلمون بان يجعلوه لسنتهم
دون ما يعتبره مخالفوا الاسلام اثنا عشر شهراً وانما قسمت السنة اثني عشر شهراً ليوافق امر الاهلة مع نزول الشمس
في اثني عشر برجاً تجري على حساب متفق كما قال والشمس والقمر بحسبان والشهر ماخوذ من شهرة امره لحاجة الناس
اليه في معاملاتهم ومحل ديونهم وحجهم وصومهم وغير ذلك من مصالحهم المتعلقة بالشريعة وقوله في كتاب
الله معناه فيما كتبه الله في اللوح المحفوظ وفي الكتب المنزلة على انبيائه وقوله يوم خلق السموات والارض

متصل بعند الله والعامل فيها الاستقرار ثم بين امر هذه الاثني عشر شهراً اربعة حرم وهي ذو القعدة وذو
الحجة والمحرم ورجب ثلثة سرد وواحد فرد كما يعتقده العرب ومعنى حرم انه يعظم انتهاك المحارم فيها اكثر مما يعظم
في غيرها وكانت العرب يعظمها حتى ان رجلاً لو لقي قاتل ابيه لم يهجه لحرمته وانما جعل الله تعم بعض الشهور
اعظم حرمة من بعض لما علم في ذلك من المصلحة في الكف عن الظلم فيها لعظم منزلتها وانه ربما ادى ذلك
الى ترك الظلم اصلاً لانطفاء النائرة تلك المدة وانكسار الحمية فان الاشياء تجر الى اشكالها وقوله
ذلك الدين القيم معناه التدين بذلك هو الدين المستقيم وقوله فلا تظلموا فيهن انفسكم نهي منه تعالى
للخلق عن ان يظلموا انفسهم لان من فعل قبيحاً يستحق عليه العقاب فقد ظلم نفسه بذلك بادخال الضرر عليها وقال
ابو مسلم معناه لا تعتدوا فتقاتلوا عدوكم في هذه الاشهر باجمعكم ولا تمنعوا من احد الامن دخل تحت الجزية و
الصغار وكان من اهلها بدلالة قوله وقاتلوا المشركين كافة وكافة مشتق من كفة الشيء وهي طرفه وانما اخذ من
ان الشيء اذا انتهى الى ذلك كف عن الزيادة ولا يثنى كافة ولا يجمع وقوله وقاتلوا المشركين كافة امر منه تعم بقتال
المشركين اجمع امر الله تعم المؤمنين بان يقاتلوهم كما ان المشركين يقاتلونهم كذلك والضمير في قوله فيهن يحتمل
ان يكون عائدة على الشهور كلها على ما قال ابن عباس ويحتمل ان يعود على اربعة الحرم على ما قال قتادة لعظم
امرها واختار الفراء رجوعها الى الاشهر الحرم قال لانه لو رجع الى الاثني عشر لقال فيها والصحيح ان الجميع جائز
وانما خص الاربعة اشهر بذلك في قول قتادة لتعاظم الظلم لا ان الظلم يجوز فعله على حال من الاحوال وقوله
ذلك الدين القيم معناه ذلك الحساب الصحيح هو الدين القيم لا ما كانت عليه العرب من النسيء وقيل معناه ذلك الذي
هو الدين القيم وقوله كافة نصب على المصدر ولا يدخلها الالف واللام لانه من المصادر التي لا تتصرف لوقوعه
موقع معاً وجميعاً بمعنى المصدر الذي هو في موضع الحال المذكورة فهو في لزوم النكرة نظير اجمعين في لزوم
المعرفة وقوله اعلموا ان الله مع المتقين لمعاصيه وما يؤدي الى عقابه ويكون معهم بالنصرة والولاية دون
الاجتماع في مكان او محل لان الله لا يجوز عليه ذلك لانه من امارات الحدث قوله تعم إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ
يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ
زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ اية بلا خلاف قرا ابو جعفر وابن فرج عن البزي انما
النسي من غير همز قلبا الهمزة ياء وادغم الياء الاولى فيها فلذلك شددا الباقون النسيء ممدود مهموز على وزن
فعيل وروي عن ابن مجاهد وابن مسعود عن عبيد بن عقيل عن شبل عن ابن كثير النسء على وزن النسع وقرا اهل
الكوفة الا ابا بكر يضل بضم الياء وفتح الضاد وقرا يعقوب بضم الياء وكسر الضاد الباقون بفتح الياء وكسر الضاد وقال
ابو علي وجه قراءة ابن كثير اذا قراءه على وزن النسع ان النسء التاخير قال ابو زيد نسأت الابل في ظمئها يوماً او
يومين او اكثر من ذلك والمصدر النسيء ونسأ الابل نسأتها على الحوض وانا انسأها انساء اذا اخرتها عنه قال
وما روي عن ابن كثير من قراءته بالياء فلعله على ابدال الياء من الهمزة ولا اعلمها لغة في التاخير كما ان رجيت
لغة في ارجأت وما روي فيه من التشديد فعلى تخفيف الهمز لان النسي بتشديد الياء على وزن فعيل بتخفيف فقياسه
وسيبويه لا يجيز نحو هذا القلب الذي في النسي الا في ضرورة الشعر وابو زيد يراه ويروي كثيراً من العرب ومن
قرا بالمد والهمز فلانه اكثر هذا في المعنى قال ابو زيد نسأته الدين انساء اذا اخرته واسم ذلك النسيئة والنسأ
وكان النسيء في الشهور تاخير حرمة شهر الى شهر ليست له تلك الحرمة فيحرمون بهذا التاخير ما احل الله ويحلون
ما حرم الله والنسيء مصدر كالنذير والنكير وعذير الحي ولا يجوز ان يكون فعيلاً بمعنى مفعول لانه لو حمل على
ذلك كان معناه انما المؤخر زيادة في الكفر والمؤخر الشهر وليس الشهر نفسه بزيادة في الكفر وانما الزيادة في
الكفر تاخير حرمة الشهر الى شهر اخر ليست له تلك الحرمة وقال ابو عبيدة فيما روي عن الثوري من قوله انما النسيء
زيادة في الكفر قال كانوا قد وكلوا قوماً من بني كنانة يقال لهم بنو فقيم وكانوا يؤخرون المحرم وذلك النسأ
الشهور لا يفعلون ذلك الا في ذي الحجة اذا اجتمعت العرب للموسم فينادي مناد ان افعلوا ذلك لحاجة او لحرب
وليس كل سنة يفعلون ذلك فان ارادوا ان يحلوا المحرم نادوا هذا صفر وان المحرم الاكبر صفر وربما جعلوا

صفر ويجعلها محرماً مع ذي القعدة حتى يذهب الناس الى منازلهم اذا نادى المنادى بذلك وكانوا يسمون المحرم صفراً ويقدمون صفراً سنة ويؤخرونه وقال الفراء والذي تقدم به رجل من بني كنانة يقال له نعيم بن ثعلبة وكان رئيس الموسم فيقول انا الذي لا اعاب ولا اجاب ولا يرد لي قضاء فيقولون نعم صدقت انسئنا شهراً او اخر عنا حرمة المحرم واجعلها في صفر واحل المحرم فيفعل ذلك والذي كان ينساها حين جاء الاسلام جنادة بن عوف بن امية وكان في بني مدلج قبل بني كنانة قال الشاعر

السنا الناسئين على معد شهور الحل نجعلها حراما

وقال ابن عباس كانوا يجعلونه المحرم صفراً وقال ابو علي كانوا يؤخرون الحج في كل سنة شهراً وكان الذين ينسئون بنو سليم وغطفان وهوازن ووافق حج المشركين في السنة التي حج فيها ابو بكر في ذي القعدة فلما حج النبي صلى الله عليه وآله في العام المقبل وافق ذلك في ذي الحجة فلذلك قال الا ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السموات والارض وقال مجاهد كان النسئ المنهي في الآية تاخير الاشهر الحرم عما رتبها الله وكانوا في الجاهلية يعملون ذلك وكان الحج يقع في غير وقته واعتقاد حرمة الشهر في غيره فبين ان ذلك زيادة في الكفر قال ابو علي من قرأ يضل بفتح الياء وكسر الضاد قال الذين كفروا لا يخلوا ان يكونوا مضلين لغيرهم او ضالين هم في انفسهم فاذا كان كذلك لم يكن في حسن اسناد الضلال في قوله يضل اشكال الا ترى ان المضل لغيره ضال بفعله اضلاله غيره كما ان الضال في نفسه الذي لم يضله غيره لا يمتنع اسناد الضلال اليه ومن ضم الياء وكسر الضاد فمعناه ان كبراءهم واتباعهم يضلونهم بامرهم اياهم وحملهم على هذا التاخير في الشهور وروي في التفسير ان رجلاً من كنانة يقال له ابو ثمامة كان يقول للناس في منصرفهم من الحج ان آلهتكم قد اقسمت لتحرمن ورثما قال لتحلن هذا الشهر يعني المحرم فيحلونه ويحرمون صفراً وان حرموه احلوا صفراً وكانوا يسمونها الصفرين فهذا اضلال من هذا المنادى ومن قرأ بضم الياء وفتح الضاد وقيل انها قراءة ابن مسعود يقوي ذلك قوله زين لهم سوء اعمالهم اي زين ذلك لهم حاملوهم عليه وداعوهم اليه وعلى هذه القراءة يكون الذين كفروا في موضع رفع بانهم فاعلون والمفعول به محذوف وتقديره يضل منسؤا الشهور الذين كفروا واتباعهم والآخذين لهم بذلك ومعنى قوله ليواطئوا فالمواطاة موافقة امر التوطئة والمعنى ليواطئوا العدة في الاربعة اشهر وقوله زين لهم سوء اعمالهم قال الحسن وابو علي المزين لهم انفسهم والشيطان وقيل زين بالشهوة وليجتنبوا المشتهى فكذلك للتصديق والاعتراف به والتزيين يكون بمعنى الفعل له ويكون بمعنى تقبل الطبع وانما سمى انساؤهم زيادة في الكفر من حيث انهم اعتقدوا ان ذلك صحيح وصواب فلذلك كان كفراً فلا حجة في ذلك ان يكون فعل الجوارح كفراً وقوله والله لا يهدي القوم الكافرين معناه انه لا يهديهم الى طريق الجنة اذ كانوا كفاراً مستحقين لعذاب الابد قوله تعالى يا ايها الذين امنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم الى الارض ارضيتم بالحيوة الدنيا من الاخرة فما متاع الحيوة الدنيا في الاخرة الا قليل اية بلا خلاف هذا خطاب من الله تعالى لجماعة من المؤمنين وعتبهم وتوبيخ بانهم اذا قيل لهم على لسان رسوله انفروا في سبيل الله ومعناه اخرجوا في سبيل الله يعني الجهاد وسماه سبيل الله لان القيام به موصل الى ثواب الجنة ورضا الله تعالى والنفر الخروج الى الشئ لامر هيج عليه وضده الهدو تقول نفر الى الثغر ينفر نفراً ونفيراً ولا يقال النفور الا في المنكرة كنفور الدابة عما يخاف وقوله اثاقلتم الى الارض اصله تثاقلتم وادغمت التاء في الثاء لمناسبتها لها وادخلت الف الوصل لتمكن الابتداء بها ومثله اداركوا قال الشاعر

تولي الضجيع اذا ما استافها خصرا عذب المذاق اذا ما اتابع القبل

والتثاقل تعاطي اظهار ثقل النفس ومثله التباطي وضده التسرع ومعنى قوله اثاقلتم الى الارض قيل فيه قولان احدهما الى المقام بارضكم ووطنكم الثاني لما اخرج من الارض من الثمر والزرع قال الحسن ومجاهد دعوا الى الخروج الى غزوة تبوك بعد فتح مكة وغزوة الطائف وكان ايام ادراك الثمرة ومحبة القعود في الظل فعاتبهم الله على ذلك والاية مخصوصة بقوم من المؤمنين دون جميعهم لان من المعلوم ان جميعهم لم يكن

بهذه

بهذه الصفة من التثاقل في الجهاد وهو قول الجبائي وغيره فقال الله تعالى لهم على جهة التوبيخ والتعنيف ارضيتم بالحيوة الدنيا على الاخرة اثرتم الحيوة الدنيا الفانية على الحيوة الاخرة الباقية وهو استفهام والمراد به الانكار والرضا هو الارادة غير انها لا توصف بذلك الا اذا تعلقت بما مضى من الفعل والارادة توصف بما لم يوجد بعد قال تعالى مخبراً فما متاع الحيوة الدنيا في الاخرة الا قليل اي ليس الانتفاع بما يظهر للحواس ومنه قولهم تمتع بالرياض والمناظر الحسان ويقال للاشياء التي لها اثمان متاع تشبيها بالانتفاع به قوله تعالى الا تنفروا يعذبكم عذاباً اليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيئا والله على كل شئ قدير اية بلا خلاف هذا تحذير من الله تعالى لهؤلاء الذين استبطاهم ووصفهم بالتثاقل عن سبيل الله بقوله الا تنفروا اي ان لم تخرجوا الى سبيل الله التي دعيتم اليها من الجهاد يعذبكم عذاباً اليماً ويستبدل قوما غيركم يقومون بنصرة نبيه ولا يتثاقلون فيه والاستبدال جعل احد الشيئين بدل الاخر مع الطلب له والتعذيب بطول وقت العذاب لانه من الاستمرار وقد يكون عقابا وغير عقاب وقوله ولا تضروه شيئا قيل فيمن يرجع اليه قولان احدهما انه يعود على اسم الله في قول الحسن قال لانه غني بنفسه عن جميع الاشياء والاخر قال الزجاج انها تعود الى النبي صلى الله عليه وآله لان الله عصمه من جميع الناس وقوله والله على كل شئ قدير معناه قادر على الاستبدال بكم على غيره من الاشياء وفيه مبالغة قوله تعالى الا تنصروه فقد نصره الله اذ اخرجه الذين كفروا ثاني اثنين اذ هما في الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا فانزل الله سكينته عليه وايده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم اية بلا خلاف قرأ يعقوب وحده وكلمة الله هي العليا على تقدير وجعل كلمة الله هي العليا ومن رفع استانف وهو ابلغ لانه يفيد ان كلمة الله العليا على كل حال وهذا ايضاً زجر اخر وتهديد لمن خاطبه في الاية الاولى بانهم لم ينصروا النبي صلى الله عليه وآله ولم يقاتلوا معه ولم يجاهدوا عدوه فقد نصره الله اي قد فعل الله به النصر حين اخرجه الكفار من مكة ثاني اثنين وهو نصب على الحال اي هو ومعه اخر وهو ابو بكر في وقت كونهما في الغار من حيث قال لصاحبه يعني ابا بكر لا تحزن اي لا تخف ولا تجزع ان الله معنا اي ينصرنا والنصرة على ضربين احدهما يكون نعمة على من ينصره والاخر لا يكون كذلك فنصرة المؤمنين تكون احساناً من الناصر الى نفسه لان ذلك طاعة لله ولم تكن نعمة على النبي صلى الله عليه وآله الثاني من ينصر غيره لينتفع بما تدعو اليه الحكمة كان ذلك نعمة عليه مثل نصرة الله لنبيه صلى الله عليه وآله ومعنى ثاني اثنين احد اثنين يقولون هذا ثاني اثنين ثالث ثلاثة ورابع اربعة وخامس خمسة لانه مشتق من المضاف اليه وقد يقولون خامس اربعة اي خمس الاربعة بمصيره فيهم بعد ان لم يكن والغار ثقب عظيم في الجبل قيل وهو جبل بمكة يقال له ثور في قول قتادة وقال مجاهد مكث النبي صلى الله عليه وآله في الغار مع ابي بكر ثلثا وقال الحسن انبت الله على باب الغار ثمامة وهي شجرة صغيرة وقال غيره الهم العنكبوت فنسجت على باب الغار واصل الغار الدخول الى عمق الشئ ومنه قوله ان اصبح ماؤكم غوراً وغارت عينه تغور غوراً اذا دخلت في راسه ومنه اغار على القوم اذا اخرجهم من اخبيتهم بهجومه عليهم وقوله فانزل الله سكينته عليه قيل فيمن تعود الهاء اليه قولان احدهما قال الزجاج انها تعود الى النبي صلى الله عليه وآله والثاني قال الجبائي تعود على ابي بكر لانه كان الخائف واحتاج الى الامن لان من وعد بالنصر فهو ساكن القلب والاول اصح لان جميع الكنايات قبل هذا وبعده راجعة الى النبي صلى الله عليه وآله الا ترى ان قوله الا تنصروه الهاء راجعة الى النبي صلى الله عليه وآله بلا خلاف وقوله فقد نصره الله فالهاء ايضاً راجعة الى النبي صلى الله عليه وآله وقوله اذ اخرجه يعني النبي صلى الله عليه وآله اذ يقول لصاحبه يعني صاحب النبي صلى الله عليه وآله ثم قال فانزل الله سكينته عليه وقال بعده وايده بجنود يعني النبي صلى الله عليه وآله فلا يليق ان يتخلل ذلك كله عن غيره وتاييد الله اياه بالجنود ما كان من تقوية الملئكة لقلبه بالبشارة بالنصر من ربه ومن القاء الياس في قلوب المشركين حتى انصرفوا خائبين وقوله وجعل كلمة الذين كفروا السفلى اي جعلها نازلة دنية دارة بذلك ان سفل وعيدهم النبي صلى الله عليه وآله وتخويفهم اياه وابطله ونصر رسول الله صلى الله عليه وآله والمؤمنين عليهم فعبر عن ذلك بانه جعل كلمتهم كذلك لا انه خلق كلمتهم كما قال وجعلوا الملئكة الذين هم عباد الرحمن اناثا وقيل ان كلمة الذين كفروا الشرك وكلمة الله التوحيد وهي قول لا اله الا الله وقيل كلمتهم هو ما تغامروا عليه

من قبله

من قتله وكلمة الله ما وعد به من النصر والنجاة ثم اخبر ان كلمة الله هي المرتفعة اي هي المنصورة بغير جعل جاعل لانها
لا يجوز ان تدعوا الى خلاف الحكمة وقوله والله عزيز معناه قادر لا يقهر حكيم واضع الاشياء مواضعها ليس فيها وجه
من وجوه القبح وليس في الاية ما يدل على تفضيل ابي بكر لان قوله ثاني اثنين مجرد الاخبار ان النبي صلعم خرج ومعه
غيره وكذلك قوله اذ هما في الغار خبر عن كونهما فيه وقوله اذ يقول لصاحبه لا مدح فيه ايضا لان تسمية الصاحب
لا يفيد فضله الا ترى ان الله تعالى قال في صفة المؤمن والكافر قال له صاحبه وهو يحاوره اكفرت بالذي خلقك
وقد يسمون البهيمة بانها صاحب الانسان كقول الشاعر وصاحبي بازل شمول
وقد يقول الرجل المسلم لغيره ارسل اليك صاحبي اليهودي ولا يدل ذلك على الفضل وقوله لا تحزن ان لم
يكن ذما فليس بمدح بل هو نهي محض عن الخوف وقوله ان الله معنا قيل ان المراد به النبي صلعم ولو اريد به ابو بكر
معه لم يكن فيه فضيلة لانه يحتمل ان يكون ذلك على وجه التهديد كما يقول القائل لغيره اذا راه يفعل القبيح لا
تفعل ان الله معنا يريد انه مطلع علينا عالم بحالنا والسكينة قد بينا انها نزلت على النبي صلعم بما بيناه من ان
التأييد بجنود الملئكة كان يختص النبي صلعم فاين موضع الفضيلة للرجل لولا العناد ولم نذكر هذا للطعن على ابي
بكر بل بينا ان الاستدلال بالاية على الفضل غير صحيح قوله تعالى انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا باموالكم و
انفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون اية بلا خلاف هذا امر من الله تعالى للمؤمنين ان ينفروا الى جهاد
المشركين خفافا وثقالا وقيل في معنى خفافا وثقالا ثمانية اقوال احدها قال الحسن ومجاهد والضحاك والجبائي ان
معناه شبانا وشيوخا وثانيها قال صالح معناه اغنياء وفقراء وثالثها قال ابن عباس وقتادة نشاطا وغير نشاط
ورابعها قال ابو عمرو ركبانا ومشاة وخامسها قال ابن زيد ذا صنعة وغير ذي صنعة وسادسها قال الحكم مشاغيل
وغير مشاغيل وسابعها قال الفراء ذو العيال والميسرة هم الثقال وذو العسرة وقلة العيال هم الخفاف وثامنها
قال ان يحمل على عمومه فيدخل فيه جميع ذلك وهو الاولى والاليق بالظاهر وهو اختيار الطبري والرماني ويكون
ذلك على حال خفة النفير وثقله لان هذا الذي ذكر يجري مجرى التمثيل لما يعمل هذا العمل به وقوله وجاهدوا
باموالكم وانفسكم امر من الله لهم بان يجاهدوا في قتال اعدائه باموالهم وانفسهم والجهاد بالمال واجب كالجهاد
بالانفس وهو الانفاق في سبيل الله وظاهر الاية يدل على وجوب ذلك بحسب الامكان فمن لم يطق الجهاد الا
بالمال فعليه ذلك بعين به من ليس له مال وظاهر الاية يقتضي وجوب مجاهدة البغاة كما يجب مجاهدة الكفار
لانه جهاد في سبيل الله ولقوله فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى امر الله فاوجب قتال البغاة الى حين يرجعوا الى
الحق وقوله ذلكم خير لكم اشارة الى الجهاد وتقديره ذلك الجهاد خير لكم وانما قال خير لكم وان لم تكن في ترك
الجهاد خير لاحد امرين احدهما خير من تركه الى المباح والثاني ان فيه الخير لكم لا في تركه فلا يكون خير بمعنى افعل
من كذا وقوله ان كنتم تعلمون معناه ان كنتم تعلمون الخير في الجملة فاعلموا ان هذه خير وقال ابو علي معناه
ان كنتم تعلمون صدق الله فيما وعد به من الثواب الدائم وقال ابو الضحى اول ما نزل من سورة براءة انفروا
وقال مجاهد اول ما نزل قوله لقد نصركم الله وقال ابن عباس نسخ هذه الاية قوله وما كان المؤمنون لينفروا
كافة وقال جعفر بن قيس هذا ليس بمنسوخ لان المنسوخ ما لا يجوز فعله وهذا ليس بصحيح لانه يجوز ان يكون
وجوبه زال الى الندب والاباحة قوله تعالى لو كان عرضا قريبا وسفرا قاصدا لاتبعوك ولكن بعدت
عليهم الشقة وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون انفسهم والله يعلم انهم لكاذبون
اية بلا خلاف هذه الاية في قوم تخلفوا عن النبي صلعم ولم يخرجوا معه الى غزوة تبوك وحسن الكناية عنهم وان لم
يجر لهم ذكر لكونهم داخلين في جملة الذين امروا بالخروج مع النبي صلعم الى الجهاد وان ينفروا معه والمعنى لو كان
المدعو اليه عرضا قريبا من الغنيمة وما يطمع فيه من المال وقوله وسفرا قاصدا معناه سفرا سهلا باقتصاده
من غير طول في اخره وسمي العدل قصدا لانه مما ينبغي ان يقصد لاتبعوك يعني خرجوا معك وبادروا الى اتباعك
ولكن بعدت عليهم الشقة اي بعدت عليهم المسافة لانهم دعوا الى الخروج الى تبوك ناحية الشام فالشقة القطعة
من الارض التي يشق ركوبها على صاحبها لبعدها ويحتمل ان يكون من الشق ويحتمل ان يكون من المشقة والشقة

السفر والمشاقة وقريش يضمون الشين وقيس يكسرونها وقريش يضمون العين من بعدت وقوله سيحلفون بالله
لو استطعنا لخرجنا معكم اخبار منه تعالى ان هؤلاء الذين ذكرهم يحلفون ويقيمون على وجه الاعتذار اليك
ويقولون فيما بعد لو استطعنا لخرجنا معكم اي لو قدرنا وتمكنا من الخروج لخرجنا معكم ثم اخبر تعالى انهم
يهلكون انفسهم بذلك واخبر تعالى انه يعلم انهم يكذبون في هذا الخبر الذي اقسموا عليه وفي الاية دلالة
على ان الاستطاعة قبل الفعل لانهم لا يخلون من احد امرين اما ان يكونوا مستطيعين من الخروج وقادرين
عليه ولم يخرجوا او لم يكونوا قادرين عليه وانما حلفوا انهم لو قدروا في المستقبل لخرجوا فان كان الاول
فقد ثبت ان القدرة قبل الفعل وان كان المراد الثاني فقد اكذبهم الله في ذلك وبين انه لو فعل لهم الاستطاعة
لما خرجوا وفي ذلك ايضا تقدم القدرة على المقدور وليس لهم ان يحملوا الاستطاعة على الة السفر وعدة
الجهاد لان ذلك ترك الظاهر من غير ضرورة فان حقيقة الاستطاعة القدرة وانما يشبه غيرها بها على ضرب
من المجاز على انه اذا كان عدم الالة والعدة تعذر صاحبه في التاخر ممن ليس فيه قدرة اولى بان يكون معذورا
وفي الاية دلالة على النبوة لانه اخبر انهم سيحلفون في المستقبل على ذلك بالله لو استطعنا لخرجنا معكم
فجاؤا فيما بعد وحلفوا على ما اخبر به قوله تعالى عفا الله عنك لم اذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا
وتعلم الكاذبين اية بلا خلاف هذا خطاب فيه بعض العتاب للنبي صلعم في اذنه من استاذنه في التاخر فاذن له
فاخبر الله بانه كان الاولى ان لا تاذن لهم ويلزمهم الخروج معك حتى اذا لم يخرجوا ظهر نفاقهم لانه متى اذن
لهم ثم تاخروا لم يعلم بالنفاق كان تاخره ام بغيره وكان الذين استاذنوه منافقين وحقيقة العفو الصفح عن
الذنب ومثله الغفران وهو ترك المؤاخذة على الاجرام وقد كان يجوز ان يعفو الله عن جميع المعاصي كفرا
كان او غيره غير انه اخبر انه لا يعفو عن عقاب الكفر لاجماع الامة على ذلك وما عداه من الفسق باق على ما كان
عليه من الجواز وانما قال عفا الله عنك على غير لفظ المتكلم لانه افخم من الكناية لان هذا الاسم من اسماء التعظيم
كما ان قولك ان راى الامير افخم من ان رايت قال ابو علي الجبائي في الاية دلالة على ان النبي صلعم كان وقع منه ذنب
في هذا الاذن قال لانه لا يجوز ان يقال لم فعلت وما جعلك فعله كما لا يجوز ان يقول لم فعلت ما امرتك بفعله
وهذا الذي ذكره غير صحيح لان قوله عفا الله عنك انما هي كلمة عتب له صلعم لم فعل ما كان الاولى به ان لا يفعله
لانه وان كان له فعله من حيث لم يكن محظورا فان الاولى ان لا يفعله كما يقول القائل لغيره اذا راه يعاتب اخا له لم
عاتبته وكلمته بما يشق عليه وان كان له معاتبته وكلامه بما لا يثقل عليه وكيف يكون ذلك معصية وقد قال الله
في موضع اخر فاذا استاذنوك لبعض شانهم فاذن لمن شئت منهم وانما اراد الله انه كان ينبغي ان ينتظر تاكيد الوحي فيه
ومن قال هذا ناسخ لذلك فعليه الدلالة وقوله لم اذنت فالاذن رفع التبعة عاتب الله تعالى نبيه لم اذن لقوم
من المتاخرين عن الخروج معه الى تبوك وان كان له اذنهم لكن كان الاولى ان لا ياذن حتى يتبين المحق ليظهر لك
الذين صدقوا في قولهم لو استطعنا لخرجنا معكم لانه كان فيهم من اعتل بالمرض والعجز وعدم الحمولة وتعلم
الكاذبين منهم في هذا القول قوله تعالى لا يستاذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الاخر ان يجاهدوا باموالهم
وانفسهم والله عليم بالمتقين اية بلا خلاف اخبر الله تعالى نبيه بعلامة المنافقين والكاذبين بان بين انه
لا يستاذن احد النبي صلعم في التاخر عنه والخروج معه الى جهاد اعدائه ولا يسئله الاذن في التاخر القوم الذين
يؤمنون بالله ويصدقون به ويقرون بوحدانيته ويعترفون باليوم الاخر والاستيذان طلب الاذن من الاذن
ومعنى قوله ان يجاهدوا فيه حذف وتقديره لان لا يجاهدوا بحذف لا لان ذمهم قد دل عليه هذا قول ابي علي
الجبائي وقال الحسن تقديره كراهية ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم وقال الزجاج هو موضع نصب لان تقديره
في ان يجاهدوا فلما حذف حرف الجر انتصب وعند سيبويه وغيره هو في موضع الجر وقوله والله عليم بالمتقين
اخبار منه تعالى بانه يعلم من يتقي معصية الله ويخاف عقابه ومن لا يتقيه قال ابن عباس هذا تعيير للمنافقين حين
استاذنوه في القعود عن الجهاد وعذر للمؤمنين فقال لم يذهبوا حتى يستاذنوه والمعنى انه لم يخرجهم من صفة
المتقين الا انه علم انهم ليسوا منهم فان قيل ايما الجهاد افضل جهاد السيف ام جهاد العلم قيل هذا بحسب الحاجة اليه

والمصلح فيه وكذلك الجهاد بالمال والجهاد بالنفس وانما يقع التفاضل مع استواء الاحوال الا بمقدار
الخصلة الزائدة من خصال الفضل واجاز الرماني الجهاد مع الفساق اذا عاونوا على حق في قتال الكفار لانهم
يطيعون في ذلك الفعل كما هم مطيعون في الصلوة والصيام وغير ذلك من شريعة الاسلام والظاهر من مذهب
اصحابنا انه لا يجوز ذلك الا ما كان على وجه الدفع عن النفس وعن بيضة الاسلام قوله تعالى اِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ
الَّذِيْنَ لَا يُؤْمِنُوْنَ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْاٰخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوْبُهُمْ فَهُمْ فِيْ رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُوْنَ اية بلا خلاف اخبر الله
تعالى في هذه الاية بانه انما يستاذن النبي ص في التاخر عن الجهاد والقعود عن القتال معه القوم الذين لا يؤمنون
بالله اي لا يصدقون بالله ولا يعترفون به واليوم الاخر يعني بالبعث والنشور وارتابت قلوبهم يعني اضطر
وشكت والارتياب هو الاضطراب في الاعتقاد بالتقدم مرة والتاخر اخرى والريبة شك معه تهمة رابني ريبا
وريبة وارتاب ارتيابا واسترابه استرابة وقوله فهم في ريبهم يترددون معناه فهم في شكهم يذهبون ويرجعون
والتردد هو التصرف بالذهاب والرجوع مرات متقابلة مثل المتحير رده ردا وردده ترديدا وتردد ترددا
وارتد ارتدادا وراده مرادة وترادد القوم ترادادا وتردده استردادا وقوله في ريبهم يترددون يدل على
بطلان قول من يقول ان المعارف ضرورة لانه تعالى اخبر انهم في شكهم يترددون صفة الشاك المتحير في دينه
الذي ليس على بصيرة من امره وقيل في معنى اليوم الاخر قولان احدهما ان اخر يوم من ايام الدنيا والثاني
بالكرة الاخيرة الثاني وهو الاقوى انه يوم الجزاء والحساب وهو يوم القيمة وهو الاظهر من مفهوم هذه
اللفظة قوله تعالى وَلَوْ اَرَادُوا الْخُرُوْجَ لَاَعَدُّوْا لَهٗ عُدَّةً وَّلٰكِنْ كَرِهَ اللّٰهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيْلَ
اقْعُدُوْا مَعَ الْقٰعِدِيْنَ اية بلا خلاف اخبر الله تعالى ان هؤلاء المنافقين لو ارادوا الخروج مع النبي ص نصرة
له ورغبة في جهاد الكفار كما اراد المؤمنون ذلك لاعدوا للخروج عدة وهو ما يتهيأ لهم معها الخروج ولكن
لم يكن لهم في ذلك نية وكان عزمهم على ان النبي ص ان لم ياذن لهم في الاقامة فخرجوا وافسدوا عليك وضربوا
بين اصحابك وافسدوا قلوبهم فكره الله خروجهم على هذا الوجه لان ذلك كفر ومعصية والله يكره الخروج
الذي امرهم به وهو ان يخرجوا لنصرة نبيه وقتال عدوه والجهاد في سبيله كما خرج المؤمنون كذلك فثبطهم
الله عن الخروج الذي عزموا عليه ولم يثبطهم عن الخروج الذي امرهم به لان الاول كفر والثاني طاعة و
قوله وقيل اقعدوا مع القاعدين يحتمل شيئين احدهما ان يكون القائلون لهم ذلك اصحابهم الذين نهوهم
عن الخروج مع النبي نصرة له ورغبة في الجهاد الثاني ان يكون ذلك من قول النبي ص لهم على وجه التهديد لا
على وجه الاذن ويجوز ان يكون اذنه لهم في القعود الذي عاتبه الله عليه وانه كان الاولى ان لا ياذن لهم
فيه ولا يجوز ان يكون ذلك من قول الله لانه لو كان كذلك لكان مباحا لهم والتاخر اللهم الا ان يكون ذلك
على وجه التهديد ويجوز ان يكون ذلك من قول الله والعدة والاهبة والالة نظائر والانبعاث الانطلاق بسرعة
في الامر ولذلك يقال فلان لا ينبعث في الحاجة اي ليس له نفاذ فيها والتثبيط التوقف عن الامر بالتزهيد فيه
ومثله التعقيل وقوله مع القاعدين يعني مع النساء والصبيان والمرضى والزمنى ومن ليس به حراك قال ابن
اسحق كان الذين استاذنوه اشرافا ورؤساء كعبد الله بن ابي بن سلول والجد بن قيس وزاد مجاهد فاعة
ابن التابوت واوس بن قيظي قوله تعالى لَوْ خَرَجُوْا فِيْكُمْ مَّا زَادُوْكُمْ اِلَّا خَبَالًا وَّلَاَوْضَعُوْا خِلٰلَكُمْ يَبْغُوْنَكُمُ
الْفِتْنَةَ وَفِيْكُمْ سَمّٰعُوْنَ لَهُمْ وَاللّٰهُ عَلِيْمٌ بِالظّٰلِمِيْنَ اية بلا خلاف بين الله تعالى في هذه الاية الوجوه في
كراهته انبعاثهم ووجه الحكمة في تثبيطهم عن ذلك وهو ما علم ان في خروجهم مفسدة للمؤمنين لانه قال لو
خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا قال الفراء لو قال ما زادوكم يريد خروجهم لكان جائزا وهذا من سعة العربية
والخبال الفساد والخبال الموت والخبال الاضطراب في الرأى بتزيين امر لقوم وتقبيحه لاخرين ليختلفوا و
تفرق كلمتهم وقوله ولاوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة والايضاع في السير بطرح العلو قال الشاعر
(والاسراع)

ارانا موضعين لامر غيب ونسحر بالطعام وبالشراب

وقال اخر

يا ليتني فيها جذع اخب فيها واضع

وربما قالوا للراكب وضع بغير الف ومنه وضعت الناقة تضع وضعا واوضعتها ايضاعا ومعنى الايضاع
ههنا اسراعهم في الدخول بينهم للتضريب بنقل الكلام على وجه التخويف قال الحسن معناه مشوا بينكم
بالنميمة لافساد ذات بينكم وقوله وفيكم سماعون لهم قيل في معناه قولان احدهما قال قتادة وابن اسحق
فيكم القائلون منهم عند سماع قولهم وقوله الا خبالا الاستثناء منقطع وتقديره ما زادوكم قوة ولكن
طلبوا لكم الخبال ويحتمل ان يكونوا لمعنى انهم على خبال في الرأى فيعقده حتى يصير خبالا فعلى هذا يكون
الاستثناء متصلا الثاني قال مجاهد وابن زيد لهم عيون منهم ينقلون اخباركم الى المشركين وقوله يبغونكم
الفتنة معناه يطلبون لكم المحنة باختلاف الكلمة والفرقة قال الحسن يبغونكم ان تكونوا مشركين واصل الفتنة
اخراج خبث الذهب بالنار ويقول بغيتك كذا بمعنى بغيت لك ومثله جلبتك وجلبت لك وخلالكم اي بينكم
مشتق من التخلل وهي الفرج تكون بين القوم في الصفوف وغيرها ومنه قول النبي ص تراصوا في الصفوف
لا يتخللكم اولاد الحذف وقوله والله عليم بالظالمين معناه ههنا عالم بمن يستاذن النبي ص في التاخر شكا في
الاسلام ونفاقا وعالما بمن سمع حديث المؤمن وينقله الى المنافقين فان هؤلاء ظالمون انفسهم وباخسون
لها حظها من الثواب قوله تعالى لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوْا لَكَ الْاُمُوْرَ حَتّٰى جَآءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ اَمْرُ
اللّٰهِ وَهُمْ كٰرِهُوْنَ اية اقسم الله تعالى ان هؤلاء المنافقين ابتغوا اي طلبوا افساد ذات بينكم وافتراق
كلمتكم في يوم احد حتى انصرف عبد الله بن ابي باصحابه وخذل النبي ص وكان هو وجماعة من المنافقين يبغون
للاسلام الغوائل قبل هذا فسلم الله المؤمنين من فتنتهم وصرفها عنهم وقوله وقلبوا لك الامور قال التقليب
هو تصريف الشئ بجعل اسفله اعلاه مرة بعد اخرى فهؤلاء صرفوا القول في المعنى للحيلة والمكيدة و
قوله حتى جاء الحق اي حتى اتى الحق وظهر امر الله وهم كارهون اي في حال كراهتهم لذلك فهي جملة في
موضع الحال والظهور خروج الشئ الى حيث يقع عليه الادراك وقد يظهر المعنى للنفس اذا حصل العلم به
قوله تعالى وَمِنْهُمْ مَّنْ يَّقُوْلُ ائْذَنْ لِّيْ وَلَا تَفْتِنِّيْ اَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوْا وَاِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيْطَةٌ بِالْكٰفِرِيْنَ اية
قال ابن عباس ومجاهد وابن زيد نزلت هذه الاية في الجد بن قيس وذلك ان النبي ص لما دعا الناس الى الخروج
الى غزوة تبوك لقتال الروم جاءه الجد بن قيس فقال يا رسول الله اني رجل مستهتر بالنساء فلا تفتني ببنات
الاصفر قال الفراء سمى الروم اصفر لان حبشيا غلب على ناحية الروم وكان له بنات قد اخذن من بياض الروم
وسواد الحبشة فكن صفرا لعسا فنزلت هذه الاية فيه وقال الحسن وقتادة وابو عبيدة وابو علي والزجاج معنى
ولا تفتني ولا تؤثمني بالعصيان في المخالفة التي توجب الفرقة فتضمنت الاية ان من جملة المنافقين من استاذن النبي ص
في التاخر عن الخروج والاذن رفع التبعة في الفعل وهو والاباحة بمعنى وقال له لا تفتني اي لا تؤثمني بان
تكلفني المشقة في ذلك فاهم بالعصيان او لا تفتني ببنات الاصفر على ما حكيناه فقال الله تعالى الا في الفتنة سقطوا
اي وقعوا في الكفر والمعصية وبهذا القول وبهذا الفعل والسقوط الوقوع الى جهة السفل ووقوع الفعل
حدوثه وسقوطه ايضا وقوله وان جهنم لمحيطة بالكافرين اخبار منه تعالى ان جهنم مطيفة بما فيها من جميع جهاتها
بالكافرين الاحاطة والاطافة والاحداق نظائر في اللغة ولا يدل ذلك على انها لا تحيط بغير الكفار من الفساق
الا ترى انها تحيط بالزبانية والمتولين للعقاب فلا تعلق للخوارج بذلك قوله تعالى اِنْ تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ
وَاِنْ تُصِبْكَ مُصِيْبَةٌ يَّقُوْلُوْا قَدْ اَخَذْنَا اَمْرَنَا مِنْ قَبْلُ وَيَتَوَلَّوْا وَّهُمْ فَرِحُوْنَ اية بلا خلاف هذا خطاب من
الله تعالى لنبيه ص بان هؤلاء المنافقين الذين ذكرهم متى نال النبي ص والمؤمنين حسنة اي نعمة من الله وظفر
باعدائهم وغنيمة ينالونها ساءهم ذلك واحزنهم وان تصبهم مصيبة اي امر في النفس او الاهل او المال واصلها
الصوب وهو الجري الى الشئ يقال صاب يصوب صوبا ومنه صوب الاناء اذا ميله للجري والصواب اصابة الحق
يقولوا يعني هؤلاء المنافقين قد اخذنا امرنا من قبل ومعناه قد حذرنا واحترزنا في قول مجاهد وغيره ومعناه اخذنا
امرنا من مواضع الهلكة فسلمنا مما وقعوا فيه ويتولوا اي يعرضوا وهم فرحون اي فرحين بتاخرهم وسلامتهم مما
نال المؤمنين من المصيبة والاصابة وقوع الشئ بما قصد به قوله تعالى قُلْ لَّنْ يُّصِيْبَنَآ اِلَّا مَا كَتَبَ اللّٰهُ لَنَا هُوَ مَوْلٰىنَا

وَعَلَى اللّٰهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ اية بلا خلاف امر الله تع نبيه ص ان يقول لهؤلاء المنافقين الذين يفرحون بمصيبات المؤمنين وسلامتهم منها لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا وقيل في معناه قولان احدهما ان كل ما يصيبنا من خير او شر فهو مما كتبه الله في اللوح المحفوظ من امرنا وليس على ما تظنون وتتوهمون من اهمالنا من غير ان يرجع في امرنا الى تدبير ربنا هذا قول الحسن الثاني قال الجبائي والزجاج يحتمل ان يكون معناه لن يصيبنا في عاقبة امرنا الا ما كتب الله لنا في القران من النصر الذي وعدنا وقال البلخي يجوز ان يكون كتب بمعنى علم ويجوز ان يكون بمعنى حكم والاول اقوى فان قيل ما الفايدة في كتبه ما يكون من افعال العباد قبل كونها قلنا في ذلك مصلحة للملئكة ما يقابلون به فيجدونه متفقا في الصحة مع ان تصوره كتبه اهول في النفس واملاء للصدور وقوله هو مولنا يحتمل معنيين احدهما انه مالكنا ونحن عبيده والثاني فان الله يتولى حياطتنا ودفع الضرر عنا وقوله وعلى الله فليتوكل المؤمنون امر منه تع للمؤمنين ان يتوكلوا عليه تعالى دون غيره والتوكل تفويض الامر الى الله والرضا بتدبيره والثقة بحسن اختياره كما قال ومن يتوكل على الله فهو حسبه وحرف الجر الذي في معنى الظرف متعلق بالامر في قوله فليتوكل وتقديره فليتوكل على الله المؤمنون وانما جاز تقديمه لانه لا يلبس ولا يجوز تقديمه على حرف الجزاء لانه يلبس بالجزاء في الجواب قوله تع قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللّٰهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ اية بلا خلاف روى ابن فليح والبزي الا النقاش هل تربصون بتشديد التاء ووجهه انه اراد تتربصون فادغم احد التائين في الاخرى امر الله تع نبيه ص ان يقول لهؤلاء المنافقين هل تربصون بنا والتربص التمسك بما ينتظر به مجيء حينه ولذلك قيل تربص بالطعام اذا تمسك به الى حين زيادة سعره وقوله الا احدى الحسنيين واحدى التثنيتين واحدة منهما واحد العشرة واحد منها واحدى النساء معناه واحدة منهن والحسنيان تعظيمان في الحسن من النعم ومعانيهما ههنا اما الغلبة بنصر الله عز وجل والشهادة المودية الى الجنة في قول ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة وغيرهم وهل حرف من حروف الاستفهام والمراد ههنا التقريع بالتربص المودي صاحبه الى كل ما يكرهه من خيبة وفوز خصمه وقوله ونحن نتربص بكم اي قل لهؤلاء ونحن ايض نتوقع بكم ان يوقع بكم عذابا من عنده يهلككم به او بايدينا بان ينصرنا عليكم فيقتلكم بايدينا وقوله فتربصوا صورته صورة الامر والمراد به التهديد كما قال اعملوا ما شئتم واستفزز من استطعت وانما قلنا ذلك لان تربص المنافقين بالمؤمنين تمسك بما يؤدي الى الهلاك وذلك قبيح لا يريده الله ولا يامر به وقال الفراء العرب تدغم لام هل وبل في التاء خاصة وهو كثير في كلامهم قوله تع قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَّلَ مِنْكُمْ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ اية امر الله تع نبيه ص ان يقول لهؤلاء المنافقين انفقوا وصورته صورة الامر وفيه ضرب من التهديد وهو مثل قوله فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر وانما هو بيان عن توسعة التمكين من الطاعة والمعصية وقال قوم معناه الخبر الذي يدخل ان فيه للجزاء كما قال كثير

اسيئي بنا او احسني لا ملومة ... لدينا ولا مقلية ان تقلت

كانه قال ان احسنت او اسأت لم تلامي وانما حسن ان ياتي بصيغة الامر على معنى الخبر بتوسعة التمكين لانه بمنزلة الامر في طلب فعل ما يتمكن الذي قد عرفه المخاطب كانه قيل اعمل بحسبها يوجبه الحق فيما مكنت من الامرين ووجه اخر ان كل واحد من الضربين كالمامور به في انه لا يعود وبال الغايد الا على المامور وقوله طوعا فالطوع الانقياد بارادة لمن عمل عليها والكره فعل الشيء بكراهة حمل عليها وقوله لن يتقبل منكم معناه لا يجب لكم به الثواب على ذلك مثل تقبل الهدية ووجوب المكافاة وتقبل التوبة وايجاب الثواب عليها ومثله في كل طاعة وقوله انكم كنتم قوما فاسقين اخبار منه تع وخطاب لهؤلاء المنافقين بانهم كانوا فاسقين متمردين عن طاعة الله فلذلك لم يتقبل نفقاتهم وانما كانوا ينفقون اموالهم في سبيل الله للرياء ودفعا عن انفسهم قوله تع وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللّٰهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلٰوةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ اية بلا خلاف قرا اهل الكوفة الا عاصما ان يقبل بالياء الباقون بالتاء وجه قراءة من قرا بالياء ان

التانيث ليس بحقيقي فجاز ان يذكر كقوله فمن جاءه موعظة ومن قرا بالتاء فعلى ظاهر التانيث المنع امر يضاد الفعل وبنافيه والمعنى ههنا ان هؤلاء المنافقين منعوا انفسهم ان يفعل بهم قبول نفقاتهم كما يقول القائل منعته بري وعطائي وقوله ان تقبل في موضع نصب وتقديره وما منعهم من ان تقبل فحذف من وقوله الا انهم كفروا بالله ورسوله انهم في موضع رفع والعامل في اعرابانهم يحتمل احد امرين احدهما ما منعهم من ذلك الا كفرهم والثاني ان يكون تقديره ما منعهم الله منه الا لانهم كفروا بالله وعندنا ان الكافر لا يقع منه الانفاق على وجه يكون طاعة لانه لو وقعها على ذلك لوجب لاستحق الثواب والاحباط باطل فكان يؤدي الى ان يكون مستحقا للثواب وذلك خلاف الاجماع وعند من خالفنا من المعتزلة وغيرهم يصح ذلك غير انه يحبط بكفره فاما الصلوة فلا يصح ان يقع منهم على وجه يكون طاعة بلا خلاف لان الصلوة طريقها الشرع فمن لا يعترف بالشرع لا يصح ان يوقعها طاعة وليس كذلك الانفاق لان العقل دال على حسنه غير انهم وان علموا ذلك لا يقع منهم كذلك على ما بينا وقوله ولا ياتون الصلوة الا وهم كسالى اي يقومون اليها على وجه الكسل وذلك ذم لهم بانهم يصلون الصلوة على غير الوجه الذي امروا به من النفاق الذي يبعث على الكسل عنها دون الايمان الذي يبعث على النشاط لها وقوله ولا ينفقون الا وهم كارهون اخبار منه تع بانهم لا ينفقون ما ينفقونه لكونه طاعة بل ينفقونه كارهين لذلك وذلك يقوي ما قلناه قوله تع فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللّٰهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ اية بلا خلاف هذا نهي للنبي ص والمراد به المؤمنون والمعنى لا يروق ناظر كم ايها المؤمنون ظاهر حسنها يعني اموال المنافقين والكفار واولادهم تستحسنونه بالطبع البشري وانما قلنا ذلك لان النبي ص مع زهده لا يجوز ان يعجب بها اعجاب مشتهيها وقوله انما يريد الله ليعذبهم بها في الحيوة الدنيا وقيل في معنى ذلك وجوه احدها قال ابن عباس وقتادة والفراء ان فيه التقديم والتاخير والتقدير فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم في الحيوة الدنيا انما يريد الله ليعذبهم بها في الاخرة فيكون الظرف على هذا متعلقا باموالهم واولادهم ومثله قوله تع فالقه اليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون ثم تول عنهم الثاني قال ابن زيد معناه انما يريد الله ليعذبهم بحفظها والمصايب فيها مع حرمان المنفعة بها والثالث قال الجبائي تقديره انما يريد الله ليعذبهم في الحيوة الدنيا عند تمكن المؤمنين من اخذها وغنمها فيتحسرون عليها ويكون ذلك الجزاء على كفرهم نعم الله تع بها والرابع قال البلخي والزجاج ان معناه فلا تعجبك اموالهم فانها وبال عليهم لان الله يعذبهم بها اي بما يكلفهم من انفاقها في الوجوه التي امرهم بها فتزهق انفسهم لشدة ذلك عليهم لانفاقهم وهم مع هذا كله كافرون وعاقبتهم النار فيكون قوله وهم كافرون اخبارا عن سوء احوالهم وقلة نفع المال والولد لهم ولا يكون عطفا على ما مضى والخامس ان يكون المعنى ان مفارقتها وتركها والخروج عنها بالموت صعب عليهم شديد لانهم يفارقون النعم ولا يدرون الى ماذا يصيرون بعد الموت فيكون حينئذ عذابا عليهم بمعنى ان مفارقتها غم وعذاب ومعنى وتزهق انفسهم اي تهلك وتذهب بالموت يقال زهق بضاعة فلان اي ذهبت اجمع السادس قال الحسن اخبر الله تع عن عاقبتهم انهم يموتون على النفاق وقال ليعذبهم بزكاتها وانفاقها في سبيل الله وهو قول البلخي ايض والزجاج مع اعتقادهم ان ذلك ليس بقربة فيكون ذلك عذابا اليما واللام في قوله ليعذبهم يحتمل ان يكون بمعنى ان والتقدير انما يريد الله ان يعذبهم والزهوق الخروج بصعوبة واصله الهلاك ومنه قوله قل جاء الحق وزهق الباطل وكل هالك ذاهق زهق يزهق زهوقا والزاهق من الدواب السمين الشديد السمن لانه هالك بثقل بدنه في السير والكر والفر وزهق فلان بين ايدي القوم اذا زهق سابقا لهم حتى يهلك منهم والاعجاب السرور بما يعجب منه يقول اعجبني حديثه اي سرني بطرف حديثه وليس في الاية ما يدل على ان الله تع اراد الكفر على ما يقوله المجبرة لان قوله وهم كافرون في موضع الحال كقولك اريدان تضربه وهو عاص وانت لا تريد كفره ولا عصيانه بل تريد ضربه في حال كفره وعصيانه وتقدير الاية انما يريد الله عذابهم وازهاق انفسهم اي اهلاكها في حال كونهم كافرين كما يقول القائل للطبيب اختلف الى كل يوم وانا مريض وهو لا يريد

(حاشية في الهامش): ونقل عن نسخة [illegible] فانظر ماذا يرجعون

المرض ويقول لغلامه اخلفا لى وانا مجوس ولا يريد حبس نفسه قوله تعـ وَيَحْلِفُونَ بِاللّٰهِ اِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ وَ
مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ اية اخبر الله تعـ عن هؤلاء المنافقين انهم يقسمون بالله انهم
لمنكم يعنى من المؤمنين وعلى دينهم الذى يدينون به ثم قال الله تعـ مكذبا لهم وما هم منكم اى ليسوا مؤمنين
مثلكم ولا مطيعين لله فى اتباع دينه كما انتم كذلك ولكنهم قوم يفرقون اخبار منه تعـ ان هؤلاء المنافقين
يفرقون من اظهار الكفر لئلا يقتلوا والفرق انزعاج النفس بتوقع الضرر واصله من مفارقة الامن الى حال
الانزعاج قوله تعـ لَوْ يَجِدُوْنَ مَلْجَاً اَوْ مَغَارَاتٍ اَوْ مُدَّخَلاً لَوَلَّوْا اِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُوْنَ اية بلا خلاف قرا
يعقوب او مدخلا بفتح الميم وتخفيف الدال وسكونها وقرا شاذ مدخلا بضم الميم وسكون الدال اخبر الله
تعالى عن هؤلاء المنافقين انهم لو وجدوا ملجأ ومعناه لو ادركوا مطلوبهم يقال وجدت الضالة وجدانا
ووجدت على الرجل وجدا وموجدة والملجأ الموضع الذى يتحصن فيه ومثله المعقل والموئل والمعتصم و
المنتصر وقال ابن عباس معناه ههنا حرزا وقال مجاهد اى حصنا ومثله يستعمل فى الناصر والمساعد وقوله
او مغارات اى لو وجدوا مغارات وهى جمع مغارة وهى المدخل الساتر من دخل فيه وقال ابن عباس معناه
الغارات والغيران والغار النقب الواسع فى الجبل ومنه غارت العين من الماء اذا غابت فى الارض وغارت
عينه اذا دخلت فى راسه والمدخل المسلك الذى يتدسس بالدخول فيه وهو مفتعل من الدخول كالمتلج من الولوج
واصله متدخل وقال ابن عباس وابو جعفر عـ والفراء المدخل الاسراب فى الارض وقوله لولوا اليه معناه لتولوا
اليه وقوله وهم يجمحون فالجماح مضى المار مسرعا على وجهه لا يرده شئ عنه وقال الزجاج فرس جموح وهو
الذى اذا حمل لم يرده اللجام وقيل هو المشى بين المشيين لقد جمحت جماحا فى دمائهم حتى رايت ذوى اجسامهم

جمدوا وقال الزجاج معنى مدخلا اى لو وجدوا قوما يدخلون فى جملتهم او قوما يدخلونهم فى جملتهم يعصمونهم
لفعلوا قوله تعـ وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَاِنْ اُعْطُوْا مِنْهَا رَضُوْا وَاِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا اِذَا هُمْ
يَسْخَطُوْنَ اية قرا يعقوب يلمزك بضم الميم الباقون بكسرها وهما لغتان وهذه الاية فيها اخبار ان من جملة
المنافقين الذين ذكرهم من يلمزك يا محمد صـ فى الصدقات اى يعيبك فى قول الحسن واللمز العيب على وجه المساترة
والهمز العيب بكسر العين وهمزها فى قول الزجاج يقول لمزه يلمزه ويلمزه بالكسر والضم وهى صفتهم

قال الشاعر — اذا لقيتك تبدى لى مكاشرة وان تغيبت كنت الهامز الهمزه
وقال رؤبة — فاربت بين عنقى وجمزى فى ظل عصرى باطلى ولمزى

وقال ابو عبيدة يلمزك معناه يعيبك وقال قتادة معناه يطعن عليك والهمز الغيبة ومنه قوله همّاز مشّاء
بنميم وقيل لاعرابى اتهمز الفارة قال الهرة يهمزها فاوقع الهمز على الاكل والهمز كاللمز ومنه قوله ايحب احدكم
ان ياكل لحم اخيه ميتا والصدقات جمع صدقة وهى العطية للفقير على وجه البر والصلة والصدقة الواجبة فى
الاموال الحرام على رسول الله صـ واله كانهم جعلوا فى تقدير الاغنياء فاما البر على وجه التطوع فهو مباح لهم و
قوله فان اعطوا منها رضوا يعنى من الصدقات رضوا بذلك وحمدوك عليه وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون
يعنى اذا لم يعطوا ما طلبوه من الصدقات سخطوا وغضبوا والصدقة محرمة على من كان غنيا واختلفوا فى
حد الغنى فقال قوم هو من ملك نصابا من المال وقال اخرون هو من كانت له مادة تكفيه ملك النصاب
او لم يملك والذى كان يلمز النبى صـ فى الصدقات بلتعة بن حاطب وكان يقول انما يعطى محمد الصدقات من يشاء
فربما اعطاه النبى فيرضى وربما منعه فسخط فتكلم فيه فنزلت الاية فيه قوله تعـ وَلَوْ اَنَّهُمْ رَضُوْا مَا اٰتٰهُمُ اللّٰهُ وَ
رَسُوْلُهٗ وَقَالُوْا حَسْبُنَا اللّٰهُ سَيُؤْتِيْنَا اللّٰهُ مِنْ فَضْلِهٖ وَرَسُوْلُهٗ اِنَّا اِلَى اللّٰهِ رَاغِبُوْنَ اية بلا خلاف اخبر
الله تعـ فى هذه الاية ان هؤلاء المنافقين الذين طلبوا منك الصدقات وعابوك بها لو رضوا بما اعطاهم الله
ورسوله وقالوا مع ذلك حسبنا الله اى كفانا الله وانه سيعطينا الله من فضله وانعامه ويعطينا رسوله مثل
ذلك وقالوا انا الى الله راغبون والجواب محذوف والتقدير لكان خيرا لهم واعود عليهم وحذف الجواب فى
مثل هذا ابلغ لانه لتاكيد الخبر به استغنى عن ذكره قوله تعـ اِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَآءِ وَالْمَسَاكِيْنِ وَالْعَامِلِيْنَ عَلَيْهَا

وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوْبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِيْنَ وَفِيْ سَبِيْلِ اللّٰهِ وَابْنِ السَّبِيْلِ فَرِيْضَةً مِّنَ اللّٰهِ وَاللّٰهُ عَلِيْمٌ
حَكِيْمٌ اية بلا خلاف اخبر الله تعـ فى هذه الاية انه ليست الصدقات التى هى زكوة الاموال الا للفقراء والمساكين و
من ذكرهم فى الاية واختلفوا فى الفرق بين الفقير والمسكين فقال ابن عباس والحسن وجابر بن زيد والزهرى ومجاهد
الفقير المتعفف الذى لا يسئل والمسكين الذى يسئل ذهبوا الى انه مشتق من المسكنة بالمسئلة وروى ابو هريرة عن
النبى صـ انه قال ليس المسكين الذى ترده الاكلة والاكلتان والتمرة والتمرتان ولكن المسكين الذى لا يجد غنى
فيغنيه ولا يسئل الناس الحافا وقال قتادة الفقير ذو الزمانة من اهل الحاجة والمسكين من كان صحيحا محتاجا و
قال قوم هما بمعنى واحد الا انه ذكرهما بالصفتين لتاكيد امره قال الشاعر

انا الفقير الذى كانت حلوبته — وفق العيال فلم يترك له سبد

ويسمى المحتاج فقيرا تشبيها بان الحاجة كانها قد كسرت فقار ظهره يقال فقر الرجل فقرا وافقره الله افقارا
وافتقر افتقارا وتفاقر تفاقرا ويسمى المسكين بذلك تشبيها بان الحاجة كانها سكنته عن حال اهل السعة و
الثروة قال الله تعـ اما السفينة فكانت لمساكين يعملون فى البحر فمن قال المسكين احسن حالا احتج بهذه الاية
ومن قال هما سواء قال السفينة كانت مشتركة بين جماعة لكل واحد منهم الشئ اليسير وقوله والعاملين
عليها يعنى سعاة الزكوة وجباتها وهو قول الزهرى وابن زيد وغيرهم وقوله والمؤلفة قلوبهم معناه
اقوام اشراف كانوا فى زمن النبى صـ فكان يتالفهم على الاسلام ويستعين بهم على قتال غيرهم ويعطيهم سهما
من الزكوة وهل هو ثابت فى جميع الاحوال ام فى وقت دون وقت فقال الحسن والشعبى ان هذا كان خاصا على
عهد رسول الله صـ وروى جابر عن ابى جعفر محمد بن على عـ ذلك واختار الجبائى انه ثابت فى كل عصر الا ان
من شرطه ان يكون هناك امام عدل يتالفهم على ذلك وقوله وفى الرقاب يعنى المكاتبين واجاز اصحابنا ان
يشترى به عبد مؤمن اذا كان فى شدة ويعتق من مال الزكوة ويكون ولاؤه لارباب الزكوة وهو قول ابن عباس
وجعفر بن مبشر وقوله والغارمين قال مجاهد وقتادة والزهرى وجميع المفسرين وهو قول ابى جعفر عـ انهم
الذين ركبتهم الديون فى غير معصية ولا اسراف فيقضى عنهم ديونهم وفى سبيل الله يعنى الجهاد بلا خلاف
ويدخل فيه عند اصحابنا جميع مصالح المسلمين وهو قول ابن عمر وعطاء وبه قال البلخى فانه قال تبنى به المساجد
والقناطر وغير ذلك وهو قول جعفر بن مبشر وابن السبيل وهو المسافر المنقطع به فانه يعطى من الزكوة وان
كان غنيا فى بلده من غير ان يكون دينا عليه وهو قول مجاهد وقتادة قال الشاعر

انا ابن الحرب ربتنى وليدا — الى ان شبت واكتهلت لداتى

وقال بعضهم جعل الله الزكوة لامرين احدهما سد خلة والاخر تقوية ومعونة لعز الاسلام واستدل بذلك
على ان المؤلفة قلوبهم فى كل زمان واختلفوا فى مقدار ما يعطى الجابى للصدقة فقال مجاهد والضحاك يعطى
الثمن بلا زيادة وقال عبد الله بن عمرو بن العاص والحسن وابن زيد وهو على قدر عمالته وهو المروى فى
اخبارنا وقال ابن عباس وحذيفة وعمر بن الخطاب وعطاء وابرهيم وسعيد بن جبير وهو قول ابى جعفر وابى
عبد الله عـ ان لقاسم الزكوة ان يضعها فى اى الاصناف شاء وكان بعض المتاخرين لا يضعها الا فى سبعة
اصناف لان المؤلفة قد انقرضوا وان قسمها الانسان عن نفسه ففى ستة لانه بطل سهم العامل وزعم انه لا يجزى
فى كل صنف اقل من ثلاثة وعندنا ان سهم المؤلفة والسعاة وسهم الجهاد قد سقط اليوم ويقسم فى الخمسة الباقية
كما يشاء رب المال وان وضعها فى فرقة منهم جاز وقوله فريضة من الله نصب على المصدر اى فرض ذلك فريضة
وكان يجوز الرفع على الابتداء ولم يقرا به ومعناه ان ما فرضه الله وقدره واجب عليكم وقوله والله عليم حكيم
معناه عالم بمصالحكم حكيم فيما يوجبه عليكم من اخراج الصدقات وغير ذلك قوله تعـ وَمِنْهُمُ الَّذِيْنَ يُؤْذُوْنَ
النَّبِيَّ وَيَقُوْلُوْنَ هُوَ اُذُنٌ قُلْ اُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللّٰهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِيْنَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِيْنَ اٰمَنُوْا
مِنْكُمْ وَالَّذِيْنَ يُؤْذُوْنَ رَسُوْلَ اللّٰهِ لَهُمْ عَذَابٌ اَلِيْمٌ اية بلا خلاف قرا نافع اذن خير الباقون بالتثقيل و
كلهم اضاف ورفع ورحمة الا ابا عمرو فانه جر ورحمة وكان يجوز النصب على ورحمة يفعل ذلك ولم يقرا به احد

قال ابو علي تخفيف اذن من اذن قياس مطرد نحو طُنُب وطُنْب وعنق وعنق وظفر وظفر لان ذلك تخفيف وشغل
لاتفاقهما في الوزن وفي جمع التكسير يقول اذان واطناب واعناق واظفار فاما الاذن في الاية فانه يجوز ان يطلق
على الجملة وان كان عبارة عن جارحة فيها كما قال الخليل في الناب من الابل سميت به لمكان الناب البازل فسميت
الجملة كلها به ويجوز ان يكون فعلا من اذن ياذن اذا استمع ومعناه انه كثير الاستماع مثل شلل وانف وشح قال
ابو زيد رجل اذن ويقن اذا كان يصدق بكل ما يسمع كما ان يقن صفة كبطل لكن للاذن كشلل ويقولون اذن
ياذن اذا استمع ومنه قوله واذنت لربها اي استمعت وقوله ائذن لي اي استمع وفي الحديث ما اذن الله لشيء
كاذنه لنبي يتغنى بالقران قال الشاعر

في سماع ياذن الشيخ له ... وحديث مثل ماذي مشار

والمعنى في الاضافة مستمع خير لكم وصلاح ومصغ اليه لا مستمع شر وفساد ومن رفع رحمة فالمعنى فيه اذن خير
ورحمة اي مستمع خير ورحمة فجعله الرحمة لكثرة هذا المعنى فيه كما قال وما ارسلناك الا رحمة للعالمين ويجوز
ان يقدر حذف المضاف من المصدر واما من جر فعطفه على خير كانه قال اذن خير ورحمة وتقديره مستمع خير
ورحمة وجاز هذا كما جاز مستمع خير لان الرحمة من الخير وانما خص تشريفا كما قال اقرأ باسم ربك الذي خلق
ثم قال خلق الانسان من علق وان كان قوله تع خلق عم الانسان وغيره والبعد بين الجار وما عطف عليه
لا يمنع من العطف الا ترى ان من قرأ وقيله يا رب انما جعله عطفا على وعنده علم الساعة وعلم قيله وروي ان
الاعمش قرأ قل اذن خير ورحمة وهي قراءة ابن مسعود اخبر الله تع في هذه الاية ان من جملة هؤلاء المنافقين
الذين وصفهم وذكرهم من يؤذي النبي ص والاذى هو ضرر ربما تنفر منه النفس في عاجل الامر وانهم يقولون
هو اذن يعنون النبي ص ومعنى اذن انه يصغي الى كل احد فيقبل ما يقوله في قول ابن عباس وقتادة ومجاهد
والضحاك وقيل اصله من اذن اذا استمع على ما بيناه قال عدي بن زيد

ايها القلب تعلل بددن ... ان همي في سماع واذن

وقيل السبب في ذلك ان قوما من المنافقين تكلموا بما ارادوه وقالوا ان بلغه اعتذرنا اليه فانه اذن يسمع ما
يقال له فقال الله تع قل يا محمد اذن خير لكم لا اذن شر وليس بمعنى افعل وانما معناه اذن صلاح ولو رفع
خير لكان معناه اصلح وهي قراءة الحسن والاعشى والبرجمي وانما قال يؤمن للمؤمنين يؤمن بالله لان معناه انه لا
لايمانه بالله يعمل بالحق فيما يسمع من غيره وقيل يصغي الى الوحي من قبل الله وقوله ويؤمن للمؤمنين قال ابن
عباس معناه ويصدق للمؤمنين وقيل دخلت اللام كما دخلت في قوله ردف لكم وتقديره ردفكم واللام
مقحمة ومثله لربهم يرهبون ومعناه يرهبون ربهم واللام مقحمة وقال قوم دخلت اللام للفرق بين ايمان
التصديق وايمان الامان وقوله ورحمة للذين امنوا منكم يعني ان النبي ص رحمة للمؤمنين منكم وانما خص
المؤمنين بالذكر وان كان رحمة للكفار ايضا من حيث انتفع المؤمنون به دون غيرهم من الكفار ثم قال و
الذين يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم اي مؤلم موجع جزاء لهم على اذاهم للنبي ص وقال ابن اسحق نزلت
الاية في نبتل بن الحرث كان يقول اني لانال من محمد ما شئت ثم اتيه اعتذر اليه واحلف له فيقبل فجاء
جبرئيل الى رسول الله ص فقال انه يجلس اليك رجل اذلم ثائر شعر الراس سفع الخدين احمر العينين كانهما
قدران من صفر كبده اغلظ من كبد الجمل ينقل حديثك الى المنافقين فاحذره وكان ذلك صفة نبتل بن الحرث
من منافقي الانصار فقال رسول الله ص من اراد ينظر الى الشيطان فلينظر الى نبتل بن الحرث ذكره ابن اسحق قوله
تع يحلفون بالله لكم ليرضوكم والله ورسوله احق ان يرضوه ان كانوا مؤمنين اية اخبر الله تعالى
ان هؤلاء المنافقين يقسمون بالله انهم على دينكم وان الذي بلغكم عنهم باطل ليرضوكم ومعناه يريدون
بذلك رضاكم لتحمدوهم عليه ثم قال تع والله ورسوله احق ان يرضوه اي الله ورسوله اولى بان يطلبوا
مرضاتهما ان كانوا مؤمنين مصدقين بالله مقرين بنبوة نبيه والفرق بين الاحق والاصلح ان الاحق
قد يكون موضعه غير الفعل كقولك زيد احق بالمال والاصلح لا يقع هذا الموقع لانه من صفات الفعل
ويقول الله احق ان يطاع ولا يقول اصلح وقيل في رد ضمير الواحد في قوله والله ورسوله احق ان

ان يرضوه قولان احدهما انه لما كان رضا رسول الله رضا الله ترك ذكره لانه دال عليه والتقدير و
الله احق ان يرضوه ورسوله احق ان يرضوه كما قال الشاعر

نحن بما عندنا وانت بما ... عندك راض والراي مختلف

والثاني انه لا يذكر على طريق الجمع مع غيره تعظيما له بافراد الذكر المعظم بما لا يجوز لاحد ولذلك قال النبي ص
لمن سمعه يقول من اطاع الله ورسوله هدى ومن يعصهما فقد غوى وانما اراد ما قلناه قوله تعالى
الم يعلموا انه من يحادد الله ورسوله فان له نار جهنم خالدا فيها ذلك الخزي العظيم اية بلا خلاف
يقول الله تع على وجه التهديد والتقريع والتوبيخ لهؤلاء المنافقين لم اي اما علموا انه من يحادد الله
اي يجاوز حدود الله التي امر المكلفين ان لا يتجاوزوها فالمحادة مجاوزة الحد بالمشاقة ومثله المباعدة
والمعنى مصيرهم في حد غير حد اولياء الله فالمخالفة والمحادة والمجانبة والمعاداة نظاير في اللغة وانما قال
لمن لا يعلم الم تعلموا الاحد امرين احدهما على وجه الاستبطاء لهم والتخلف عن علمه والاخر انه يجب ان تعلموا
الان بهذه الاخبار وقال الجبائي معناه الم يخبرهم النبي ص بذلك وقوله فان له نار جهنم يحتمل ان يكون على
التكرير لان الاولى للتاكيد مع طول الكلام وتقديره فله نار جهنم او فبان له نار جهنم قال الزجاج ولو
قرئ فان بكسر الهمزة على وجه الاستيناف كان جايزا غير انه لم يقرأ به احد وقوله ذلك الخزي العظيم معناه
ذلك الذي ذكرناه من ان له نار جهنم هو الخزي يعني الهوان بما يستحيا من مثله يقول خزي خزيا اذا انقمع
للهوان فاخزاه اخزاء وخزيا قوله تع يحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم
قل استهزءوا ان الله مخرج ما تحذرون اية بلا خلاف قيل في معنى يحذر المنافقون قولان احدهما قال
الحسن ومجاهد واختاره الجبائي ان معناه الخبر عنهم بانهم كانوا يحذرون ان تنزل فيهم اية يفتضحون بها
لانهم كانوا شاكين حتى قال بعضهم لوددت ان اضرب كل واحد منكم مائة ولا ينزل فيكم قران ذكره ابو
جعفر وقال نزلت في رجل يقال له مخشي بن الحمير الاشجعي الثاني قال الزجاج انه تهديد ومعناه ليحذروا
وحسن ذلك لان موضوع الكلام على التهديد والحذر اعداد ما يتقي الضرر ومثله الفرق والفزع تقول
حذرت حذرا وتحذرت تحذرا وحاذرته محاذرة وحذارا وحذرته تحذيرا والمنافق الذي يظهر من الايمان
خلاف ما يبطنه من الكفر واشتق ذلك من نافقاء اليربوع لانه يخفي بابا ويظهر بابا ليكون اذا اتي من احدهما خرج
من الاخر وقوله تنبئهم بما في قلوبهم اي يخبرهم غير ان تنبئهم يتعدى الى ثلاثة مفعولين بمنزلة اعلمته في قوله
قل استهزءوا امر النبي ص ان يقول لهؤلاء المنافقين استهزءوا اي اطلبوا الهزء والهزء اظهار شيء وابطان خلافه
للتهزي به وهو بصورة الامر والمراد به التهديد وقوله ان الله مخرج ما تحذرون اخبار من الله تع ان
الذي تخافون من ظهوره فان الله يظهره بان يبين لنبيه ص باطن حالهم ونفاقهم قوله تع ولئن سألتهم
ليقولن انما كنا نخوض ونلعب قل ابالله واياته ورسوله كنتم تستهزءون اية خاطب الله تع نبيه ص
فاقسم لان اللام لام القسم بانك يا محمد ص ان سألت هؤلاء المنافقين عما تكلموا به ليقولن انما كنا نخوض
ونلعب قال الحسن وقتادة هؤلاء قالوا في غزاة تبوك ايرجو هذا الرجل ان يفتح قصور الشام وحصونها
هيهات هيهات فاطلع الله نبيه على ما قالوه فلما سألهم النبي عن ذلك على وجه التانيب لهم والتقبيح لفعلهم
لم طعنتم في الدين بالباطل والزور فاجابوا بما لا عذر فيه بل هو وبال عليهم بانا كنا نخوض ونلعب والخوض
دخول القدم فيما كان مايعا من الماء او الطين هذا في الاصل ثم كثر حتى صار في كل دخول فيه اذى وتلويث
اللعب فعل ما فيه سقوط المنزلة ليحصل اللذة من غير مراعاة الحكمة كفعل الصبي وقالوا ملاعب الاسنة اي انه
لشجاعته يقدم على الاسنة كفعل الصبي الذي لا يفكر في عاقبة امره فقال الله تع لنبيه ص قل لهم ابالله واياته
ورسوله كنتم تستهزءون قال ابو علي ذكر الاستهزاء ههنا مجاز لانه جعل الهزء بالمؤمنين وباياته الله هزءا
بالله والهزء ايهام امر على خلاف ما هو به استصغار الصاحبه قوله تع لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم
ان نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة بانهم كانوا مجرمين اية بلا خلاف قرأ عاصم ان نعف

بنون مفتوحة وضم الفاء نعذب بالنون وكسر الذال الطائفة بالنصب الباقون بضم الياء في يعف تعذب
طائفة بضم التاء ورفع طائفة من قرأ بالنون فلقوله تعـ ثم عفونا عنكم ومن قرأ بالتاء فالمعنى ذلك بعينه
واما تعذب فمن قرأ بالتاء فلان الفعل في اللفظ مسند الى مؤنث قوله تعـ لا تعتذروا صورته صورة النهي
والمراد به التهديد والمراد ان الله تعـ امر نبيه صـ ان يقول لهؤلاء المنافقين الذين يحلفون بانهم ما قالوا
ما قالوه الا لعبا وخوضا على وجه التهزي بايات الله لا تعتذروا بالمعاذير الكاذبة فانكم بما فعلتموه
قد كفرتم بعد ان كنتم مظهرين لايمان الذي يحكم لمن اظهره بانه مؤمن ولا يجوز ان يكونوا مؤمنين
على الحقيقة مستحقين للثواب ثم يرتدون لما قلناه في غير موضع ان المؤمن لا يجوز عندنا ان يكفر لانه كان
يؤدي الى اجتماع استحقاق الثواب الدائم والعقاب الدائم وبينا بطلان التحابط والاجماع يمنع من ذلك
والاعتذار اظهار ما يقتضي العذر والعذر ما يسقط الذم عن الجناية وقوله ان نعف عن طائفة منكم نعذب
طائفة اخبار منه تعـ انه ان عفا عن قوم منهم اذا تابوا نعذب طائفة اخرى لم يتوبوا والعفو رفع التبعة
عما وقع من المعصية وترك العقوبة عليها ومثله الصفح والغفران وقوله بانهم كانوا مجرمين معناه انه
انما يعذب الطائفة التي يعذبها لكونه مجرمة مذنبة مرتكبة لما يستحق به العقاب والاجرام الانقطاع عن
الحق الى الباطل واصله الصرم يقول جرم التمر يجرمه جرما وجراما اذا صرمه والجرم صرم الحق بالباطل وجرمت
السنة اذا تصرمت قال لبيد دمن تجرم بعد عهد انيسها ـ حجج خلون حلالها وحرامها
قال الزجاج والفراء نزلت الاية في ثلثة نفر فهزي اثنان وضحك واحد قال بن اسحق كان الذي عفا عنه مخشي بن
حمير الاشجعي حليف بني سلمة لانه انكر منهم بعض ما سمع فجعلت طائفة للواحد ويراد بها نفس طائفة
واما في الاية فيقال للجماعة طائفة لانهم يطيفون بالشيء وقوله تعـ وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين
يجوز ان يراد به واحد على ما فسرناه قوله تعـ اَلْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ
وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ اَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللهَ فَنَسِيَهُمْ اِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ اية
بلا خلاف اخبر الله تعـ بان المنافقين الذين يظهرون الايمان ويسرون الكفر بعضهم من بعض والمعنى
ان بعضهم يضاف الى بعض بالاجتماع على النفاق كما يقول القائل لغيره انت مني وانا منك والمعنى ان
امرنا واحد لا ينفصل وقيل بعضهم من بعض فيما يلحقهم من مقت الله وعذابه اي منازلهم متساوية في ذلك
ثم اخبر ان هؤلاء المنافقين يامرون غيرهم بالمنكر الذي نهى الله عنه وتوعد عليه من الكفر بالله و
نبيه وجحد اياته وينهون عن المعروف يعني الافعال الحسنة التي امر الله بها وحث عليها وانهم يقبضون
ايديهم اي يمسكون اموالهم عن انفاقها في طاعة الله ومرضاته وهو قول قتادة وقال الحسن ومجاهد ادام امساكها
عن الانفاق في سبيل الله وقال الجبائي اراد به امساك الايدي عن الجهاد في سبيل الله وقوله نسوا الله فنسيهم
معناه تركوا امر الله يعني صاروا بمنزلة المنسي بالسهو عنه فجازاهم الله بان صيرهم بمنزلة المنسي من ثوابه و
رحمته وذكر ذلك لازدواج الكلام وقال قتادة نسوا اي نسوا من الخير ولم ينسوا من الشر ثم اخبر تعـ فقال ان
المنافقين الذين يخادعون المؤمنين باظهار الايمان مع ابطانهم الكفر هم الخارجون عن الايمان بالله وبرسوله
وعن طاعته قوله تعـ وَعَدَ اللهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَ
لَعَنَهُمُ اللهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ اية اخبر الله تعـ بانه وعد المنافقين والمنافقات الذين يظهرون الاسلام
ويبطنون الكفر نار جهنم يبقون فيها ابد الابدين وكذلك الكفار الذين يتولونهم وهم على ظاهر الكفر
فلذلك افردهم بالذكر ليعلم ان الفريقين معا ينالهم الوعيد ويقول وعدته بالشر وعيدا ووعدته
بالخير وعدا واوعدته ايعادا وتوعدته توعدا في الشر لا بخير وواعدته مواعدة وتواعد وتواعدا و
قوله هي حسبهم يعني نار جهنم والعقاب فيها كافيهم ولعنهم الله يعني ابعدهم الله من جنته وخيره ولهم مع
ذلك عذاب مقيم ومعناه دائم لا يزول وقيل معنى هي حسبهم اي هي كفاية ذنوبهم ووفاء لجزاء عملهم و
اللعن الابعاد من الرحمة عقابا على المعصية ولذلك لا يقال لعن البهيمة كما لا يجاحلها بالعفو قوله تعالى

كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا اَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَاَكْثَرَ اَمْوَالًا وَاَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلَاقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ
بِخَلَاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلَاقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا اُولٰئِكَ حَبِطَتْ اَعْمَالُهُمْ فِي
الدُّنْيَا وَالْاٰخِرَةِ وَاُولٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ اية بلا خلاف الكاف في قوله كالذين في موضع نصب التقدير
احذروا ان يحل بكم من العذاب والعقوبة كالذين ويحتمل ان يكون المراد وعدكم الله على الكفر كما وعد
الذين من قبلكم فشبه المنافقين في عدولهم عن امر الله لاستمتاع بلذات الدنيا بمن قبلكم مع ان عاقبة
امر الفريقين يؤول الى العقاب مع ان الاولين كانوا اشد من هؤلاء قوة في ابدانهم واطول اعمارا و
اكثر اموالا واشد تمكينا فلم يقدروا ان يدفعوا عن نفوسهم ما حل بهم من عقاب الله وقوله فاستمتعوا
بخلاقهم فالاستمتاع هو طلب المتعة وهي فعل ما فيه اللذة من المأكل والمشارب والمناكح ومعناه انهم
تمتعوا بنصيبهم من الخير العاجل وباعوا بذلك الخير الاجل فهلكوا بئس استبدال كما تمتعتم ايها المنافقون
بخلاقكم اي بنصيبكم والخلاق النصيب سواء كان عاجلا او اجلا وقوله وخضتم كالذي خاضوا خطاب
للمنافقين بان قيل لهم خضتم في الباطل والكذب على الله كالذين تابعوهم على ذلك من المنافقين وغيرهم
من الكفار حبطت اعمالهم لانهم كانوا اوقعوها على خلاف ما امرهم الله به فلم يستحقوا عليها ثوابا بل
استحقوا عليها العقاب فلذلك كانوا خاسرين انفسهم ومهلكين لها بفعل المعاصي المؤدي الى الهلاك
وروى عن ابن عباس انه قال في هذه الاية ما اشبه الليلة بالبارحة كذلك من قبلكم هؤلاء بنو اسرائيل
شبهنا بهم لا اعلم الا انه قال والذي نفسي بيده لتتبعنهم حتى لو دخل الرجل منهم جحر ضب لدخلتموه ومثله
روي عن ابي هريرة عن النبي صـ وعن ابي سعيد الخدري مثله قوله تعالى اَلَمْ يَاْتِهِمْ نَبَاُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ
قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ اِبْرٰهِيمَ وَاَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ اَتَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ
فَمَا كَانَ اللهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلٰكِنْ كَانُوا اَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ اية في الكوفي والبصري واتيان في المدنيين اخر
الاولى وثمود قوله الم صورته صورة الاستفهام والمراد به التقرير والتحذير وانما حسن في الاستفهام ان
يخرج الى معنى التقرير لان الاحتجاج بما يلزمه الاقرار به فقال الله تعـ مخاطبا لنبيه الم يات هؤلاء المنافقين
الذين وصفهم خبر من كان قبلهم من قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابرهيم واصحاب مدين على وجه
الاحتجاج عليهم فيتعظوا الا ان الامم الماضية والقرون السالفة اذ كان الله تعـ انما اهلكها ودمرها لتكذيبها
رسلها كان ذلك واجبا في كل امة ساووهم في هذه العلة فاقل احواله الا يامنوا ان ينزل بهم مثل ما نزل
باولئك قال الرماني والحكمة تقتضي اذا تساوى جماعة في استحقاق العقاب ان لا يجوز العفو عن بعضهم دون
بعض مع تساويهم في الاحوال وانما يجوز العدول من قوم الى قوم في الواحد منا للحاجة وهذا يتم على قول
من يقول بالاصلح ومن لا يقول بذلك يقول هو متفضل بذلك وله ان يتفضل على من يشاء ولا يلزم ان
يفعل ذلك بكل ما مكلف وقوله والمؤتفكات قال الحسن وقتادة هي ثلث قريات لقوم لوط ولذلك جمعها
بالالف والتاء وقال في موضع اخر والمؤتفكة اهوى فجاء به على طريق الجنس قال الزجاج معنا ائتفكت
باهلها انقلبت ومدين ابن ابرهيم اسم له وقوله اتتهم رسلهم بالبينات معناه جائت هؤلاء المذكورين الرسل
من عند الله معها حجج ودلالات على صدقها فكذبوا بها فاهلكهم الله وحذفت لدلالة الكلام عليه ثم قال
فما كان الله اي لم يكن الله ظالما لهم بهذا الاهلاك ولكن كانوا انفسهم يظلمون بان فعلوا من الكفر والمعاصي
ما استحقوا به الهلاك وقيل ان الله تعـ اهلك قوم نوح بالغرق واهلك عادا بالريح الصرصر العاتية و
اهلك ثمود بالرجفة والصاعقة واهلك قوم ابرهيم بالتشتيت وسلب الملك والنعمة واهلك اصحاب مدين
بعذاب يوم الظلة واهلك قوم لوط بانقلاب الارض كل ذلك علامة على من ظلم نفسه وعصى الله و
استحق عقابه قوله تعـ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ اَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَاْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ
الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلٰوةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكٰوةَ وَيُطِيعُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ اُولٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللهُ اِنَّ
اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ اية بلا خلاف لما ذكر الله تعـ المنافقين ووصفهم بان بعضهم من بعض بالاتفاق والتعاضد

اقتضى ان يذكر المؤمنين ويصفهم بضد اوصافهم فقال تعالى والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض
اى يلزم كل واحد منهم نصرة صاحبه وان يواليه وقال الرمانى العقل يدل على وجوب موالاة المؤمنين بعضهم
بعضا لانها يجرى مجرى استحقاق الحمد على طاعة الله والذم على معصيته ولا يجوز ان يرد الشرع بخلاف ذلك
واذا قلنا المؤمن ولى الله معناه انه ينصر اولياء الله وينصر دينه والله وليه بمعنى ولى تدبيره بتعريفه
وفرض طاعته عليه ثم قال يأمرون بالمعروف يعنى المؤمنين يأمرون بما اوجب الله فعله او رغب فيه عقلا
او شرعا وهو المعروف وينهون عن المنكر وهو ما نهى الله تعالى عنه وزهد فيه اما عقلا او شرعا و
يضيفون الى ذلك اقامة الصلوة اى اتيانها بكمالها والمداومة عليها ويخرجون زكوة اموالهم حسبما
اوجبها الله عليهم ويضعونها حيث امر الله بوضعها فيه ويطيعون الله ورسوله اى يمتثلون امرهما و
يتبعون ارادتهما ورضاهما ثم قال اولئك سيرحمهم الله يعنى المؤمنين الذين وصفهم ان سينالهم في القيامة
رحمته ثم اخبر عن نفسه فقال ان الله عزيز حكيم فالعزيز معناه قادر لا يغلبه احد من الكفار والمنافقين
حكيم فى عقاب المنافقين واثابة المؤمنين وغير ذلك من الافعال وانكار المنكر يجب بلا خلاف سمعا وعليه الاجماع
وكذلك الامر بالمعروف واجب فاما العقل فلا يدل على وجوبهما اصلا لانه لو اوجب ذلك لوجب ان يمنع الله من
المنكر لكن يجب على المكلف اظهار كراهة المنكر الذى يقوم مقام النهى عنه وفى الاية دلالة على ان الامر بالمعروف
والنهى عن المنكر من فروض الاعيان لان الله تعالى جعل ذلك من صفات المؤمنين ولم يخص قوما دون قوم قوله
تعالى وَعَدَ اللّٰهُ الْمُؤْمِنِيْنَ وَالْمُؤْمِنٰتِ جَنّٰتٍ تَجْرِيْ مِنْ تَحْتِهَا الْاَنْهٰرُ خٰلِدِيْنَ فِيْهَا وَمَسٰكِنَ طَيِّبَةً
فِيْ جَنّٰتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللّٰهِ اَكْبَرُ ذٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيْمُ اية بلا خلاف اخبر الله تعالى بانه كما وعد المنافقين
بنار جهنم والخلود فيها وكذلك وعد المؤمنين المعترفين بوحدانيته وصدق رسله وكذلك المؤمنات جنات
يعنى بساتين يجنها الشجر تجرى من تحتها الانهار وتقديره تجرى من تحت اشجارها الانهار وقيل انها الجنة
اخاديد فى الارض فلذلك قال من تحتها وانهم فيها خالدون اى دائمون ومساكن طيبة معناه وعدهم مساكن
طيبة والمسكن الموضع الذى يسكن وروى الحسن انها قصور من اللؤلؤ والياقوت الاحمر والزبرجد الاخضر
مبنية بهذه الجواهر وقوله فى جنات عدن فالعدن الاقامة والخلود ومنه المعدن قال الاعشى

وان يستضيفوا الى حلمه ... يضافوا الى راجح قد عدن

وروى انها جنة لا يسكنها الا النبيون والشهداء والصالحون وقوله ورضوان من الله اكبر قال الرمانى
الرضوان معنى يدعو الى الحمد بالاجابة يستحق مثله بالطاعة فيما تقتضيه الحكمة وانما رفع رضوان لانه
استئناف للتعظيم كما يقول القائل اعطيتك ووصلتك ثم يقول وحسن رأيى فيك ورضاى عنك خير من جميع
ذلك وقوله ذلك هو الفوز العظيم معناه هذا النعيم الذى وصفه هو النجاح العظيم الذى لا شئ فوقه
ولا اعظم منه قوله تعالى يٰاَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنٰفِقِيْنَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَاْوٰىهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ
الْمَصِيْرُ اية بلا خلاف امر الله تعالى فى هذه الاية نبيه صلعم ان يجاهد الكفار والمنافقين والجهاد هو ممارسة الامر
الشاق والجهاد يجب باليد واللسان والقلب فمن امكنه الجميع وجب عليه جميعه ومن لم يقدر باليد فباللسان
فان لم يقدر فبالقلب واختلفوا فى كيفية جهاد الكفار والمنافقين فقال ابن عباس جهاد الكفار بالسيف وجهاد
المنافقين باللسان والوعظ والتخويف وهو قول الجبائى وقال الحسن وقتادة جهاد الكفار بالسيف وجهاد
المنافقين باقامة الحدود عليهم وكانوا اكثر من يصيب الحدود وقال ابن مسعود هو بالانواع الثلاثة حسب الامكان
فان لم يقدر فليكفهر فى وجوههم وهو الاعم وروى فى قراءة اهل البيت جاهد الكفار بالمنافقين وقوله و
اغلظ عليهم امر منه تعالى لنبيه ان يقوى قلبه على احلال الالم بهم واسماعهم الكلام الغليظ الشديد ولا يرق
عليهم ثم قال ومأواهم جهنم اى منزلهم جهنم ومقامهم والمأوى منزل مقام لا منزل ارتحال ومثله المثوى
والمسكن وقوله وبئس المصير اخبار منه تعالى ان مرجع هؤلاء ومآلهم بئس المرجع والمآل قوله تعالى يَحْلِفُوْنَ بِاللّٰهِ
مَا قَالُوْا وَلَقَدْ قَالُوْا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوْا بَعْدَ اِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوْا بِمَا لَمْ يَنَالُوْا وَمَا نَقَمُوْا اِلَّا اَنْ اَغْنٰهُمُ اللّٰهُ

وَرَسُوْلُهٗ مِنْ فَضْلِهٖ فَاِنْ يَّتُوْبُوْا يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ وَاِنْ يَّتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللّٰهُ عَذَابًا اَلِيْمًا فِي الدُّنْيَا وَالْاٰخِرَةِ
وَمَا لَهُمْ فِي الْاَرْضِ مِنْ وَّلِيٍّ وَّلَا نَصِيْرٍ اية بلا خلاف اختلفوا فيمن نزلت فيه هذه الاية فقال عروة وابن
اسحق ومجاهد انها نزلت فى الجلاس بن سويد بن الصامت انه قال ان كان ما جاء به محمد حقا لنحن شر من
الحمير ثم حلف بالله انه ما قال وقال قتادة نزلت فى عبد الله بن ابى سلول حين قال لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن
الاعز منها الاذل وقال الحسن كان ذلك فى جماعة من المنافقين وقال الواقدى والزجاج نزلت فى اهل العقبة
فانهم ائتمروا ان يغتالوا رسول الله فى عقبة فى الطريق مرجعهم من تبوك وارادوا ان يقطعوا انساع راحلته
واطلعه الله على ذلك وكان ذلك من معجزاته صلعم لانه لا يمكن معرفة مثل ذلك الا بوحى من الله تعالى فسار رسول الله
فى العقبة وحده وامر الناس كلهم بسلوك بطن الوادى وكانوا اثنى عشر رجلا او خمسة عشر رجلا على الخلاف
فيه وعرفهم واحدا واحدا عمار بن ياسر وحذيفة وكان احدهما يقود ناقة رسول الله والاخر يسوقها والحديث
مشروح فى كتاب الواقدى وقال ابو جعفر صلعم كانوا ثمانية من قريش واربعة من العرب وفى قوله وهموا بما لم ينالوا
قيل فيه ثلثة اقوال احدها قال مجاهد هم المنافقون بما لم يبلغوه من التنفير برسول الله الثانى قال قتادة هموا
بما ذكر فى قوله ليخرجن الاعز منها الاذل فلم يبلغوا ذلك والثالث عن مجاهد انهم هموا بقتل من انكر عليهم
ذلك وقال بعضهم كان المنافقون قالوا لو رجعنا وضعنا التاج على رأس عبد الله بن ابى فلما وقفوا على
ذلك حلفوا بانهم ما قالوا ذلك ولا هموا به فاخبر الله تعالى عن حالهم انهم يحلفون بالله ما قالوا ثم اقسم تعالى
بانهم قالوا ذلك لان اللام لقد لام القسم وانهم قالوا كلمة الكفر وهى كل كلمة فيها جحد لنعم الله او بلغت منها
فى العظم وكانوا يطعنون فى الاسلام والنبوة واخبر انهم هموا بما لم يبلغوه والهم مقاربة الفعل بتغليبه فى النفس
تقول هم بالشئ يهم هما ومنه قوله ولقد همت به وهم بها وليس الهم من العزم فى شئ الا ان يبلغ نهاية العزم فى
النفس والنيل لحوق الامر ومنه قوله نال السيف نال ما اشتهى او قدر او تمنى فهؤلاء قدروا فى انفسهم من
كيد الاسلام لم يبلغوه وقوله وما نقموا الا ان اغناهم الله ورسوله من فضله يعنى ما فتح الله عليهم من
الفتوح واخذ الغنائم واستغنوا بعد ان كانوا محتاجين وقيل فى معناه قولان احدهما انهم عملوا بضد
الواجب فجعلوا موضع شكر الغنى ان نقموه قال الشاعر ما نقموا من بنى امية الا ... انهم يحلمون ان غضبوا
والاخر انهم بطروا النعمة بالغنى فنقموا بطرا واشرافهم لا يفلحون بهذه الحال ولا بعدها والفضل الزيادة
فى الخير على مقدار ما والتفضل هو الزيادة من الخير الذى كان للقادر عليه ان يفعله وان لا يفعله ثم قال
تعالى فان يتوبوا هؤلاء المنافقين ويرجعوا الى الحق يك خيرا لهم فى دينهم ودنياهم فانهم ينالون بذلك
رضا الله ورسوله والجنة وان يتولوا اى يعرضوا عن الرجوع الى الحق وسلوك الطريق الصحيح يعذبهم
الله عذابا اليما اى مولما فى الدنيا بما ينالهم من الحسرة والغم وسوء الذكر وانواع المصائب وفى الاخرة بعذاب
النار وما لهم فى الارض اى ليس لهم فى الارض ولى اى محب ولا نصير يعنى من ينصرهم ويدفع عنهم عذاب الله
وقيل ان جلاسا تاب بعد ذلك وقال استثنى الله تعالى لى التوبة فقبل الله توبته قوله تعالى وَمِنْهُمْ مَّنْ
عٰهَدَ اللّٰهَ لَئِنْ اٰتٰنَا مِنْ فَضْلِهٖ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُوْنَنَّ مِنَ الصّٰلِحِيْنَ اية بلا خلاف اخبر الله تعالى ان من
جملة المنافقين الذين تقدم ذكرهم من عاهد الله لئن اتانا من فضله لنصدقن اى منه ولنكونن من الصالحين
بانفاقه فى طاعة الله وصلة الرحم والمواساة وان يعمل الصالحات التى يكون بها صالحا وقيل نزلت الاية فى
ثعلبة بن حاطب كان محتاجا فقال لئن استغنى لنصدقن فاصاب اثنى عشر الف درهم فلم يتصدق ولم يكن من
الصالحين هكذا قال الواقدى وقال ابن اسحق هما بلتعة ومعتب بن قشير وقيل سبب ذلك انه قتل مولى له
فاخذ ديته اثنى عشر الف درهم اعطاه النبى صلعم فان قيل كيف يصح ان يعاهد الله من لا يعرفه قلنا اذا وصفه
باخص صفاته جاز منه ان يعرف عهده اليه وان جاز ان يكون غير عارف وقال الجبائى كانوا عارفين وانما
كفروا بالنبى صلعم والمعاهدة هى ان يقول على عهد الله لافعلن كذا فانه يكون قد عقد على نفسه وجوب
ما ذكره لان الله تعالى حكم بذلك وقد ورد وجوبه عليه فى الشرع والاية دالة على وجوب الوفاء بالعهد لان الله

الاولى من قوله لئن اتينا من فضله والثانية من قوله لنصدّقن جميعها لام القسم غير انّ الاولى وقعت موقع
الجواب والتقدير علينا عهد الله لنصدّقن ان اتينا من فضله ولا يجوز ان يكون اللّام الاولى لام الابتداء لانّ
لام الابتداء لا يدخل الّا على الاسم المبتداء لانّها تقطع ما قبلها ان يعمل فيما بعدها الّا فى باب انّ فانّها زحلقت
الى الخبر لئلّا يجتمع تاكيدان ويجوز ان يقول ان رزقنى الله ما لاصلحت بفعل الصّلوة والصّوم لانّ ذلك واجب
عليه اتاه مالا اولم يؤته قوله تعم فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ اية بلا خلاف
اخبر الله تعم عن هؤلاء المنافقين الّذين عاهدوا الله وقالوا امتى اتانا الله من فضله لنصدّقن ولنكوننّ من الصّالحين
انّه اتاهم ما اقترحوه ورزقهم ما تمنّوه من الاموال وانّهم لمّا اتاهم ذلك شحّت نفوسهم عن الوفاء بالعهد ومعنى
لمّا معنى اذا الّا انّ لمّا الغالب عليها الجزاء وهى اسم لانّها تقع فى جواب متى على تقدير الوقت كقولك متى كان هذا
فيقول السّامع لمّا كان ذلك ولمّا ولو لا يكونان الّا لما مضى بخلاف ان واذا فانّهما لما يستقبل الّا ان لو على
تقدير نفى وجوب الثّانى لانتفاء الاوّل ولمّا يدلّ على وقوع الثّانى لوقوع الاوّل والبخل منع النّائل لشدّة
الاعطاء ثمّ صار فى اسماء الّذى منع الواجب لانّ من منع الزكوة فهو بخيل قال الرّمّانى ولا يجوز ان يكون البخل
منع الواجب بمشقّة الاعطاء قال زهير　　انّ البخيل ملوم حيث كان　　ولكنّ الجواد على علّاته هرم
قال لانّه يلزم على ذلك ان يكون الجود هو بذل الواجب من غير مشقّة وانّما قال زهير ما قاله لانّ البخل صفة نقص
قال الرّمّانى ومن منع ما لا يضرّه بذله ولا ينفعه منعه ممّا تدعوا اليه الحكمة فهو بخيل لانّه لا يقع المنع على
هذه الصّفة الّا لشدّة فى النّفس وان لم يرجع الى ضرر اذ الشّدّة من غير ضرر معقوله كما يصفون الجوزة بانّها
لئيمة لاجل الشّدّة وقال عبد الله بن عمر والحسن ومحمّد بن كعب القرظى يعرف المنافق بثلاث خصال اذا حدّث كذب
واذا وعد اخلف واذا ائتمن خان وخالفهم عطاء ابن ابى رباح فى ذلك وقال انّ النّبىّ صم انّما قال ذلك فى قوم
من المنافقين وروى انّ الحسن رجع الى قول عطاء وقوله وتولّوا اى اعرضوا عمّا عاهدوا الله عليه وقوله
وهم معرضون اخبار منه بانّهم معرضون عن الحقّ بالكلّية قوله تعم فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى
يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ اية بلا خلاف بيّن الله تعم انّه اعقب
هؤلاء المنافقين ومعناه اورثهم واداهم الى نفاق فى قلوبهم بخلهم بما اتاهم الله من فضله مع الاعراض
عن امر الله وهو قول الحسن وقال مجاهد معناه اعقبهم ذلك بحرمانا لتّوبة كما حرّم ابليس وجعل ذلك امارة
ودلالة على انّهم لا يتوبون ابدا الى احد شيئين احدهما من قال اعقبهم بخلهم ردّ الضّمير اليه والمعنى يلقون جزاء
بخلهم ومن ذهب الى انّ الله اعقبهم ردّ الضّمير الى اسم الله وقوله بما اخلفوا ما وعدوه فالاخلاف نقض ما
تقدّم به العقد من وعد او عزم واصله الخلاف لانّه فعل خلاف ما تقدّم به العقد والوعد متى كان بامر
واجب او ندب وامر حسن قبح الاخلاف وان كان الوعد وعدا بقبيح كان اخلافه حسنا وقوله وبما كانوا يكذبون
يقوّى قول من قال انّ الضّمير عايد الى الله لانّه بيّن انّه انّما فعل ذلك للجزاء على اخلافهم وعده وجزاء على ما كانوا
يكذبون فى اخبارهم عليه قوله تعم أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ الالف
اية بلا خلاف الالف فى قوله الم يعلموا الف استفهام والمراد به الانكار يقول الله تعم لنبيّه صم الم يعلم هؤلاء
المنافقون انّ الله يعلم سرّهم يعنى ما يخفون فى انفسهم وما يتناجون بينهم والمعنى انّه يجب عليهم ان يعلموا ذلك
يقول اسرّه اسرارا واستسرّ استسرارا وسارّه مسارّة وسرارا وتسارّا سرارا والاسرار اخفاء المعنى فى النّفس
والنّجوى رفع الحديث باظهار المعنى لمن يسلم عنده من اخراجه الى عدوّه وفيه لانّه من النّجاة يقول ناجاه مناجاة
وتناجوا تناجيا فكان هؤلاء المنافقون يسرّون فى انفسهم الكفر ويتناجون به بينهم وقيل السّرّ والنّجوى واحد
مكرّر باختلاف اللّفظين كما يقول القائل امرك بالوفاء وانهاك عن الغدر والمعنى واحد مكرّر باختلاف
اللّفظين وقوله انّ الله علّام الغيوب معناه يعلم كلّ ما غاب عن العباد ممّا غاب عن احساسهم او ادراكهم من موجود
او معدوم من كلّ وجه يصحّ ان يعلم منه لانّها صفة مبالغة واقتضى ذكر العلم ههنا حال المنافقين فى كفرهم
سرّا واظهارهم الايمان جهرا فقيل لهم انّ المجازى لكم يعلم سرّكم ونجويكم كما قال ذو الرّمّة فى معنى واحد بلفظين

مخلفين　　لمياء فى شفتيها حوّة لعس　　وفى اللّثات وفى انيابها شنب
فاللّعس حوّة وكرّر لاختلاف اللّفظين ويمكن ان يكون لمّا ذكر الحوّة خشى ان يتوهّم السّامع سوادا قبيحا فبيّن
انّه لعس لانّه يستحسن ذلك قوله تعم الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ
إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ اية بلا خلاف قيل نزلت هذه الاية فى
عليّة بن زيد الحارثى وزيد بن اسلم العجلانى فجاء عليه بصاع من تمر فنثره فى الصّدقة وقال يا رسول
الله عملت فى النّخل بصاعين فصاعا تركته لاهلى وصاعا اقرضته ربّى وجاء زيد بن اسلم بصدقة فقال معتب
ابن قشير وعبد الله بن　　انّما اراد الرّياء وقال قتادة وغيره من المفسّرين انّ هذه الاية نزلت فى حباب بن
عثمان لانّه اتى النّبىّ صم بصاع من تمر وقال يا رسول الله انّى عملت فى النّخل بصاعين من تمر فتركت للعيال
صاعا واهديت لله صاعا وجاء عبد الرّحمن بن عوف باربعة الف دينار وهى شطر ماله للصّدقة فقال
المنافقون انّ عبد الرّحمن لعظيم الرّياء وقالوا فى الاخر انّ الله الغنىّ عمّا اتى به فانزل الله تعالى الاية
فقال الّذين يلمزون المطّوّعين اى يعيبونهم الى النّقص فى النّفس يقولون لمزه يلمزه لمزا اذا انتقصه وعابه
والمطّوّعين على وزن المتفعّلين وتقديره المتطوّعين فادغمت التّاء فى الطّاء ومعناه المتنفّلين من طاعة الله
بما ليس بواجب عليهم لانّ الخير قد يكون واجبا وقد يكون ندبا وقد يكون مباحا ولا يستحقّ المدح الّا على الواجب
والنّدب دون المباح وقوله والّذين لا يجدون الّا جهدهم والجهد هو الحمل على النّفس بما يشقّ يقول جهد
يجهده جهدا وجهدا بالضّمّ والفتح كالوجد والوجد والضّعف والضّعف وقال الشّعبى الجهد فى العمل
والجهد فى القوت وقوله فيسخرون منهم يعنى المنافقين يهزؤن بالمطّوّعين سخر الله منهم اى يجازيهم على
سخريّتهم بانواع العذاب ولهم عذاب اليم اى مؤلم موجع ولمّا كان ضرر سخريّتهم عايدا عليهم جاز ان يقال
سخر الله منهم انّه يفعل السّخريّة قوله تعم اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً
فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ اية بلا
خلاف قوله استغفر لهم صيغته صيغة الامر والمراد به المبالغة فى الاياس من المغفرة انّه لو طلبها طلبة
المأمور بها او تركها ترك المنهىّ عنها لكان ذلك سواء فى انّ الله لا يفعلها كما قال فى موضع اخر سواء
عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم والاستغفار طلب المغفرة من الله تعم بالدّعاء بها والمغفرة
ستر المعصية برفع العقوبة عليها وتعليق الاستغفار بالسّبعين مرّة والمراد به المبالغة لا العدد المخصوص
ويجرى ذلك مجرى قول القائل لو قلت لى الف مرّة ما قبلت والمراد بذلك انّى لا اقبل منك وكذلك الاية المراد
بها نفى الغفران جملة وما روى عن النّبىّ صم انّه قال والله لازيدنّ على السّبعين خبر واحد لا يلتفت اليه ولانّ
فى ذلك انّ النّبىّ صم استغفر للكفّار وذلك لا يجوز بالاجماع وقد روى انّه قال لو علمت انّى لو زدت على السّبعين
مرّة لغفر لفعلت وكان سبب نزول هذه الاية انّ النّبىّ صم كان اذا مات ميّت صلّى عليه واستغفر له ولم يكن
بمنزلة المنافقين بعد فاعلمه الله تعم انّ فى جملة من تصلّى عليه من هو منافق وانّ استغفاره له لا ينفع فلذلك
امره ثمّ نهى الله نبيّه ان يصلّى على احد منهم وان يستغفر لهم عرّفهم اياهم بقوله ولا تصلّ على احد منهم مات
ابدا ولا تقم على قبره الاية وقوله ذلك بانّهم كفروا بالله ورسوله اشارة منه تعم الى انّ ارتفاع الغفران
انّما كان لانّهم كفروا بالله وجحدوا نعمه وكفروا برسوله فجحدوا نبوّته والله لا يهدى القوم الفاسقين
فمعناه انّه لا يهديهم الى طريق الجنّة والثّواب فامّا الهداية الى الايمان فالاقرار بالتّوحيد لله والاعتراف
بنبوّة النّبىّ صم فقد هدى الله اليه كلّ مكلّف متمكّن من النّظر والاستدلال بان نصب له على ذلك الدّلالة
واوضحها له قوله تعم فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ
وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ اية بلا
خلاف اخبر الله تعم بانّ جماعة من المنافقين الّذين خلّفهم النّبىّ صم ولم يخرجهم معه الى تبوك لمّا استأذنوه
فى التّاخّر فاذن لهم فرحوا بقعودهم خلاف رسول الله والمخلّف المتروك خلف من مضى ومثله المؤخّر عمّن مضى

يقول خلف تخليفا وتخلف تخلفا والفرح ضد الغم والغم ضيق الصدر بفوت المشتهى وعند البصريين من المعتزلة
هو اعتقاد وصول الضرر اليه فى المستقبل او دفع الضرر المظنون والمعلوم عنه ومعنى خلاف رسول الله قال
ابو عبيدة بعد رسول الله وانشد عقب الربيع خلافهم فكانما بسط الشواطب بينهن حصيرا
وقال غيره معناه المصدر من قولك خالفه خلافا فهو نصب على المصدر وقوله وكرهوا ان يجاهدوا باموالهم
وانفسهم فى سبيل الله اخبار منه تعالى ان هؤلاء المخلفين فرحوا بالتاخر وكرهوا انفاق اموالهم والجهاد بنفوسهم
فى سبيل الله فالجهاد بالمال هو تحمل المشقة لانفاقه فى وجوه البر والجهاد بالنفس هو تعريضها لما يشق عليها
اتباعا لامر الله وقوله لا تنفروا فى الحر معناه انهم قالوا انظرنا لهم ومن يقبل منهم لا تخرجوا فى الوقت الحار
فقال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله قل لهم نار جهنم اشد حرا لو كانوا يفقهون لانهم توقوا بالقعود عن الخروج حر
الشمس فى الفوا بذلك امر الله وامر رسوله واستحقوا حر نار جهنم وكفى بهذا الاختيار جهلا ممن اختاره وقوله لو
كانوا يفقهون معناه لو كانوا يفقهون وعظ الله وتحذيره وترهيبه فى معاصيه قوله تعالى فَلْيَضْحَكُوا
قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ آية بلا خلاف قوله فليضحكوا صيغته صيغة الامر والمراد به التهديد
وانما قلنا انه بصورة الامر لان اللام ساكنة ولو كانت لام الاضافة لكانت مكسورة لانها تؤذن بعملها الجر
المناسب لها فلذلك لزمت الحركة والمراد بالاية الاخبار عن حال هؤلاء المنافقين وانها فى وجه الضحك كحال المامور
منه فيما يؤل اليه من خير او شر على صاحبه فلذلك دخله معنى التهديد والضحك حال التفتح والانبساط يظهر فى وجه
الانسان عن تعجب مع فرح والضحاك هو الانسان خاصة والبكاء حال يظهر عن غم فى الوجه مع جرى الدموع
على الخد وهو ضد الضحك يقول بكا بكاء وابكاه الله ابكاء وبكاه تبكية وتباكى تباكيا واستبكى استبكاء
ومعنى الاية ان يقال لهؤلاء المنافقين اضحكوا بقليل تمتعكم فى الدنيا فانكم ستبكون كثيرا يوم القيمة اذا حصلتم
فى العقاب الدائم جزاء بما كانوا يكسبون نصب جزاء على المصدر اى تجزون على معاصيكم ذلك الجزاء على افعالكم
التى كسبتموها قوله تعالى فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا
مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ آية
بلا خلاف قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله ان رجعك الله يعنى ان ردك الله الى طائفة منهم يعنى جماعة فالرجوع هو تصيير
الشىء الى المكان الذى كان فيه يقول رجعته رجعا كقولك رددته ردا وقد يكون التصيير الى الحال التى كان
عليها كرجوع الماء الى حال البرودة والطائفة الجماعة التى من شانها ان تطوف ولهذا لا يقال فى جماعة الحجارة
طائفة وقد يسمى الواحد بانه طائفة بمعنى نفس طايفة والاول اظهر وقوله فاستاذنوك للخروج اى طلبوا
منك الاذن فى الخروج فى غزاة اخرى والاذن رفع التبعة فى الفعل واصله ان يكون بقول يسمع بالاذن و
الخروج الانتقال عن محيط فقال الله لنبيه صلى الله عليه وآله قل لهم حينئذ لن تخرجوا معى ابدا اى لا يقع منكم الخروج ابدا
فالابد الزمان المستقبل من غير انتهاء الى حد ونظيره للماضى قط الا انه مبنى كما بنى امس لتضمنه حروف التعريف
واعرب الابد كما اعرب غد لان المستقبل احق بالتنكير وقوله ولن تقاتلوا معى عدوا اخبار بانهم لا يفعلون ذلك
ابدا ولا يختارونه وقوله انكم رضيتم بالقعود اول مرة فاقعدوا مع الخالفين معناه اخبار منه تعالى انهم رضوا
بالقعود اول مرة فينبغى ان يقعدوا مع الخالفين وقيل فى معناه ثلثة اقوال احدها قال الحسن وقتادة هم النساء
والصبيان وقال ابن عباس هم من تاخر من المنافقين وقال الجبائى هم كل من تاخر لمرض او نقص وقيل معناه مع
اهل الفساد مشتقا من قولهم خلف خلوفا اى تغير الى الفساد وقيل الخالف كل من تاخر عن الشاخص قوله تعالى
وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ
آية بلا خلاف هذا نهى من الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله ان يصلى على احد من المنافقين او يقوم على قبره ومعناه ان يتولى دفنه
او ينزل فى قبره كما يقال قام فلان بامر فلان وقال ابن عباس وابن عمر وقتادة وجابر صلى رسول الله صلى الله عليه وآله على
عبد الله بن ابى بن سلول والبسه قميصه قبل ان ينهى عن الصلوة على المنافقين وقال انس اراد ان يصلى عليه
فاخذ جبرئيل بثوبه وقال له لا تصل على احد منهم مات ابدا ولا تقم على قبره والصلوة على الاموات فرض على

الكفايات اذا قام به قوم سقط عن الباقين واقل من يسقط به الفرض واحد وهى دعاء ليس فيها قراءة ولا تسبيح
وفيه خلاف وفيها خمس تكبيرات عندنا وعند الفقهاء اربع تكبيرات فالتكبيرة الاولى يشهد بعدها الشهادتين
ويكبر الثانية ويصلى بعدها على النبى صلى الله عليه وآله ويكبر الثالثة ويدعوا للمؤمنين والمؤمنات ويكبر الرابعة ويدعوا
للميت ان كان مؤمنا وعليه ان كان منافقا ويكبر الخامسة ويقف يومى الى يمينه حتى ترفع الجنازة وليس فيها تسليم
وسمعت ابا الطيب الطبرى وكان امام اصحاب الشافعى يقول الخلاف بيننا وبينكم فى عبارة لان عندكم ينصرف
بالخامسة وعندنا بالتسليم فجعلتم مكان التسليم التكبير وذلك خلاف فى عبارة وقوله مات موضع مات جر لانه
صفة لاحد لان تقديره على احد ميت منهم وابدا منصوب بتصل واحد هذه هى التى تكون فى النفى دون الايجاب
لانه يصح النهى عن الصلوة عليهم مجتمعين ومتفرقين كما يصح فى النفى ولا يمكن فى الايجاب لانه كنفى الضدين
فى حال واحدة فانه لا يصح اثباتها فى حال اصلا والقبر حفرة يدفن فيها الميت يقول قبرته اقبره قبرا فانا قابر
وهو مقبور واقبرت فلانا اقبارا اذا جعلته يقبره وقوله انهم كفروا بالله وبرسوله المعنى انما نهيتك عن الصلوة
عليهم لانهم كفروا بالله ورسوله فهى للتعليل وانما كسرت لتحقيق الاخبار بانهم على الصفة التى ذكرها وانهم
ماتوا وهم فاسقون اى خارجون عن طاعة الله الى معصيته قوله تعالى وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ
إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ آية بلا خلاف قد مضى تفسير مثل هذه
الاية فلا وجه لاعادته وبينا انه خطاب للنبى صلى الله عليه وآله والمراد به الامة نهاهم الله ان يعجبوا بما اعطى الله الكفار من
الاموال والاولاد فى الدنيا حتى يدعوهم ذلك الى الصلوة عليهم ولا ينبغى ان يغتروا بذلك فانما يريد الله ان
يعذبهم بها فى الدنيا لانهم لا ينفقونها فى طاعة الله ولا يخرجون حق الله منها ويجوز ان يعذبهم بها فى الدنيا
بما يلحقهم فيها من المصائب فى الغنم وبما ياخذها المسلمون على وجه الغنيمة وبما يشق عليهم من اخراجها فى الزكوة
والانفاق فى سبيل الله مع اعتقادهم بطلان الاسلام وتشدد ذلك عليهم ويكون عذابا لهم وان نفوسهم تزهق
اى تهلك بالموت وهم كافرون اى فى حال كفرهم فلذلك يعذبهم الله فى الاخرة والاعجاب هو ايجاب السرور بما
يتعجب منه من عظيم الاحسان يقول اعجبنى امره اعجابا اذا سرّه بموضع التعجب منه والزهوق خروج النفس بمشقة شديدة
ومنه قوله فاذا هو زاهق اى هالك وقيل فى وجه حسن تكرر هذه الاية دفعتين قولان احدهما قال ابو على
يجوز ان يكون الاية فى فريقين من المنافقين كما يقول القائل لا يعجبك حال زيد ولا يعجبك حال عمرو
الثانى ان يكون الغرض البيان عن قوة هذا المعنى فيما ينبغى ان يحذر منه مع انه للتذكير فى موطنين بعد
احدهما عن الاخر فيجب العناية به وليس ذلك بقبيح لان الواحد منا يحسن به ان يقوم فى مقام بعد مقام يكرر
الوعظ والزجر والتخويف ولا يكون ذلك قبيحا قوله تعالى وَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمِنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا
مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُو الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ آية بلا خلاف بين الله تعالى
فى هذه الاية انه اذا انزل سورة من القران على النبى صلى الله عليه وآله ان امنوا ومعناه بان امنوا فحذف الباء وجعل ان
امنوا فى موضع نصب والتقدير بالايمان على وجه الامر ولا يجوز الحذف مع صريح المصدر وانما جاز مع
ان للزوم الصلة والحمل على التاويل فى اللفظ كما حمل على المعنى وهذا خطاب للمؤمنين وامر لهم بان يدوموا
على الايمان ويتمسكوا به فى مستقبل الاوقات ويدخل فيه المنافق ويتناوله الامر بان يستانف الايمان ويترك
النفاق ثم يجاهد وابعد ذلك بنفوسهم واموالهم لانه لا ينفعهم الجهاد مع النفاق وقوله استاذنك اولوا
الطول ومعناه ان ذوى الغنى من المنافقين اذا انزلت السورة يامرهم فيها بالايمان والجهاد يستاذنون النبى
فى القعود والتاخر عنه مع اعتقادهم بطلان الاسلام فيشتد ذلك عليهم ويكون عذابا لهم وهو قول الحسن
وابن عباس فانهما قالا انما لحق هؤلاء الذم لانهم اقوى على الجهاد وقوله وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين
اخبار منه تعالى ان هؤلاء المنافقين من ذوى الغنى يقولون للنبى صلى الله عليه وآله اتركنا نكن مع القاعدين من الصبيان و
الزمنى والمرضى الذين لا يقدرون على الخروج قال الرمانى والسورة جملة من القران يشتمل على ايات قد
احاطت بها كما يحيط سور القصر بما فيه وسور الهر بقية من الماء والجهاد بالقتال دفعا عن النفس معلوم

حسنه عقلا لانه مركوز فى العقل وجوب التحرز من المضار وليس فى العقل ما يدل على انه يجب على الانسان ان يمنع غيره من الظلم وانما يعلم ذلك سمعا قوله تعالى رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ اية بلا خلاف اخبر الله تعالى بان هؤلاء الذين قالوا ذرنا نكن مع القاعدين من المنافقين رضوا لنفوسهم ان يكونوا مع الخوالف وهم النساء والصبيان والمرضى والمقعدون قال الزجاج الخوالف النساء لتخلفهن عن الجهاد ويجوز ان يكون جمع خالفة فى الرجال والخالفة الذى هو غير نجيب ولم يأت فى فاعل فواعل صفة الاحرفين قولهم فارس وفوارس وهالك وهوالك وقوله وطبع على قلوبهم قيل فى معناه قولان احدهما انه تعالى يجعل نكتة سوداء فى قلب المنافق والكافر لتكون علامة للملئكة يعرفون بها انه ممن لا يفلح ابدا الثانى ان يكون المراد بذلك الذم لها بانها كالمطبوع عليها فلا يدخلها صبر ولا ينتفى عنها شر لان حال الذم لها يقتضى صفات الذم كما ان حال المدح يقتضى صفات المدح كما قال جرير فى قصيدة اولها

اتصحو ام فؤادك غير صاح	عشية هم صحبك بالرواح
الستم خير من ركب المطايا	واندى العالمين بطون راح

ولا يحمل الا على المدح دون الاستفهام والطبع فى اللغة هو الختم يقول طبعه وختمه بمعنى واحد قوله تعالى لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ اية بلا خلاف لما اخبر الله تعالى عن حال المتأخرين عن النبى صلعم والقاعدين عن الجهاد معه وانهم منافقون قد طبع على قلوبهم فهم لا يفقهون اخبر عن الرسول ومن معه من المؤمنين المطيعين لله ورسوله بانهم يجاهدون فى سبيل الله باموالهم وانفسهم بالاموال التى ينفقونها فى مرضاة الله وعدة الجهاد ويقاتلون الكفار بنفوسهم ثم اخبر بما اعد لهم من الجزاء على افعالهم تلك وانقيادهم لله ورسوله فقال اولئك يعنى النبى والذين معه لهم الخيرات فى الجنة ونعيمها وخيراتها وانهم المفلحون ايضا الفائزون بكرامة الله والخيرات هى المنافع التى تسكن النفس اليها وترتاح بها من النساء الحسان وغيره من نعيم الجنان واحدة خيرة هذا قول ابى عبيدة وقال رجل من بنى عدى

ولقد طعنت مجامع الربلات	ربلات هند خيرة الملكات

والفلاح النجاح بالوصول الى البغية من نجح الحاجة وهو قضاؤها قوله تعالى أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ اية بلا خلاف بين الله تعالى انه اعد لهؤلاء المؤمنين والرسول جنات يعنى بساتين تجرى من تحتها ومعناه من تحت اشجارها الانهار والاعداد جعل الشئ مهيأ لغيره تقول اعده اعدادا واستعده له استعدادا وهو من العدد لانه قد عدا لله جميع ما يحتاج الى تقديمه له من الامور و مثله الاتخاذ والوجه فى اعداد ذلك قبل مجئ وقت الجزاء ان تصوره لذلك ادعى الى الطاعة واكد فى الحرص عليها ويحتمل ان يكون المراد انه سيجعل لهم جنات تجرى من تحتها الانهار غير انه ترك الظاهر وقوله ذلك الفوز العظيم اشارة الى ما اعده لهم واخبار منه بانه الفوز العظيم والفوز النجاة من الهلكة الى حال النعمة وسميت المهلكة مفازة تفاؤلا بالنجاة وانما وصفه بالعظيم لانه حاصل على جهة الدوام قوله تعالى وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ اية بلا خلاف قرأ يعقوب وقتيبة المعذرون بسكون العين وتخفيف الذال الباقون بفتح العين وتشديد الذال وجه قراءة من قرأ بالتخفيف انه اراد جاؤا بعذر ومن قرأ بالتشديد احتمل امرين احدهما انه اراد المعتذرون كان لهم عذر او لم يكن وانما ادغم التاء فى الذال لقرب مخرجهما مثل قوله يذكرون ويذكروا وغير ذلك واصله يتذكرون الثانى انه اراد المقصرون والمعذر المقصر والمعذر المبالغ الذى له عذر واما المعتذر فانه يقال لمن له عذر ولمن لا عذر له قال لبيد الى الحول ثم اسم السلام عليكما ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر معناه جاء بعذر وقال الزجاج يجوز ان يكون المعذرون الذين يعتذرون فيوهمون ان لهم عذرا ولا عذر لهم وروى عن ابن عباس انه قرأ بالتخفيف وقال لعن الله المعذرين اراد من يعتذر بغير عذر وبالتخفيف من بلغ اقصى العذر واصل التعذير التقصير مع طلب اقامة العذر عذر فى الامر تعذيرا اذا لم يبالغ فيه والفرق بين

الاعتذار والتعذير ان الاعتذار قد يكون بعذر ومن غير تصحيح الامر والتعذير تقصير بطلب معه اقامة العذر وفيه واختلفوا فى معنى وجاء المعذرون على قولين احدهما قال قتادة واختاره الجبائى انه من عذر فى الامر تعذيرا اذا قصر والثانى قال مجاهد جاء اهل العذر جملة على معنى المعتذرين وقال الحسن اعتذروا بالكذب وقال قوم انما جاؤا بنو غفار خفاف بن ايماء بن رحضة وقومه ومعنى الاية ان قوما من الاعراب جاؤا الى النبى صلعم يظهرون انهم مؤمنون ولم يكن لهم فى الايمان والجهاد نية فيعرضون نفوسهم عليه و غرضهم ان يأذن النبى صلعم لهم فى التخلف فجعلوا عرضهم انفسهم عليه عذرا فى التخلف عن الجهاد وقوله وقعد الذين كذبوا الله ورسوله يعنى المنافقين لانهم الذين كذبوا الله ورسوله فيما كانوا يظهرون من الايمان فقال الله سيصيب الذين كفروا منهم عذاب اليم اى ينالهم عذاب مؤلم موجع فى الاخرة قوله تعالى لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ عد والله تعالى فى هذه الاية من ذكره ووصفه فقال ليس على الضعفاء و هو جمع ضعيف وهو الذى قوته ناقصة بالزمانة وغيرها ولا على المرضى وهو جمع مريض وهم الاعلاء و لا على الذين لا يجدون ما ينفقون يعنى من ليست معه نفقة الخروج والة السفر حرج يعنى ضيق وجناح واصل الضيق الذى يتعذر معه الامر وقوله اذا نصحوا الله ورسوله شرط تعالى فى رفع الجناح والاثم عن المذكورين ان ينصحوا الله ورسوله بان يخلصوا العمل من الغش يقال نصح فى عمله نصحا وناصح نفسه مناصحة ومنه التوبة النصوح ثم قال ما على المحسنين من سبيل اى ليس على من فعل الحسن الجميل طريق والاحسان هو ايصال النفع الى الغير لينتفع به مع تعريه من وجوه القبح ويصح ان يحسن الانسان الى نفسه ويحمل على ذلك وهو اذا فعل الافعال الجميلة التى يستحق بها المدح والثواب وقوله والله غفور رحيم معناه ساتر على ذوى الاعذار بقبول العذر منهم رحيم بهم لا يلزمهم فوق طاقتهم وقال قتادة نزلت هذه الاية فى عائذ بن عمرو المزنى و غيره وقال ابن عباس نزلت فى عبد الله بن معقل المزنى فانه وجماعة معه جاؤا الى رسول الله صلعم فقالوا له احملنا فقال رسول الله صلعم ما اجد ما احملكم قوله تعالى وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ اية بلا خلاف هذا عطف على الاولى والتقدير ليس على الذين جاؤك وسألوك حملهم حيث لم يكن لهم حملان فقلت لهم يا محمد لا اجد ما احملكم عليه اى ليس لى حملان ثم تولوا واعينهم تفيض من الدمع يبكون حزنا ان لا يجدوا ما ينفقون فى هذا الطريق ويتابعونك حرج واثم ولا ضيق وانما حذف لدلالة الكلام عليه والحمل اعطاء المركوب من فرس او بعير او غير ذلك تقول حمله يحمله حملا اذا اعطاه ما يحمل عليه وحمل على ظهره حملا وحمله الامر تحميلا وتحمل تحملا واحمله احمالا وتحامل تحاملا واللام فى قوله لتحملهم لام الغرض والمعنى جاؤك واراد وا منك حملهم ويقول وجدت فى المال وجدا وجدة ووجدت الضالة وجدانا ووجدت عليه من الموجدة وجدا او الفيض الجرى عن امتلاء من حزن قلوبهم والحزن الم فى القلب لفوت امر ماخوذ من حزن الارض وهى الغليظة المسلك وقال مجاهد نزلت هذه الاية فى نفر من مزينة وقال محمد بن كعب القرظى وابن اسحق نزلت فى سبعة نفر من قبايل شتى وقال الحسن نزلت فى ابى موسى واصحابه وقال الواقدى البكاؤن سبعة من فقراء الانصار فلما بكوا حمل عثمان منهم رجلين والعباس بن عبد المطلب رجلين ويامين بن كعب بن نسيل النضرى من بنى النضير ثلاثة ومن جملة البكائين عبد الله بن معقل وقال الواقدى كان الناس بتبوك ثلثين الفا وعشرة الف فارس قوله تعالى إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ اية بلا خلاف بين الله تعالى فى هذه الاية ان السبيل والطريق بالعقاب والحرج انما هو للذين يطلبون الاذن من رسول الله فى المقام وهم مع ذلك اغنياء يتمكنون من الجهاد فى سبيل الله الراضين بكونهم مع الخوالف من النساء والصبيان ومن لا حراك به ثم قال وطبع الله على قلوبهم بمعنى وسم قلوبهم بسمة تعرفها الملئكة فيميزون بينهم وبين غيرهم من المؤمنين ويحتمل ان يكون

المراد انه بمنزلة المطبوع في ان لا يدخلها الايمان كما لو طبعوا على الكفر ومثله قوله صم بكم عمي معناه لزالت تلفظهم بالحق وصدولهم عن سماع الحق وانصرافهم عن النظر الى الصحيح كانهم صم بكم عمي وهم لا يعلمون ذلك ولا بد دون الجهاد يصير امرهم من عقاب الابد ولا يعرفون ما يلزمهم من احكام الشرع ما يعرفه المؤمنون وقال البلخي معناه لا الفهم للخلاف والمعصية كانهم لا يعلمون والتقدير ان حكم هؤلاء المذكورين بهذه الاوصاف بخلاف من قد تحصن من العقاب بالايمان لانهم قد فتحوا على انفسهم ابواب العذاب قوله تعالى يَعْتَذِرُونَ اِلَيْكُمْ اِذَا رَجَعْتُمْ اِلَيْهِمْ قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّاَنَا اللّٰهُ مِنْ اَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللّٰهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ اِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ اية بلا خلاف اخبر الله تع ان هؤلاء القوم الذين تاخروا عن الخروج مع النبي صلعم من غير عذر كان يبيحهم ذلك اذا عاد النبي صلعم والمؤمنون انهم كانوا يجيئون اليهم ويعتذرون اليهم من تاخرهم بالاباطيل والكذب فقال الله تع لنبيه قل يا محمد لهم لا تعتذروا فلسنا نصدقكم على ما تقولون فان الله تع قد اخبرنا من اخباركم واعلمنا من امركم ما قد علمنا به كذبكم وسيرى الله عملكم ورسوله اي سيعلم الله فيما بعد عملكم هل تتوبون من نفاقكم ام تقيمون عليه ويحتمل ان يكون المراد انه يحل في الظهور محل ما يرى ثم تردون اي ترجعون الى من يعلم الغيب والشهادة يعني السر والعلانية الذي لا يخفى عليه بواطن اموركم فينبئكم بما كنتم تعملون اي فيخبركم باعمالكم كلها حسنها وقبيحها فيجازيكم عليها اجمع والاعتذار اظهار ما يقتضي العذر ويمكن ان يكون صحيحا ويمكن ان يكون فاسدا كاعتذار هؤلاء المنافقين والفرق بين الاعتذار والتوبة ان التوبة اقلاع عن سيئة قد وقعت والاعتذار اظهار ما يقتضي انها لم تقع ولذلك يجوز ان يتوب الى الله ولا يجوز ان يتعذر اليه والاعتذار الذي يقوله هو ما كان صاحبه محقا فاما الاعتذار بالباطل فهو اسوء لحال صاحبه قال الشاعر

اذا اعتذر الجاني محا العذر ذنبه ... وكل امرئ لا يقبل العذر مذنب

قوله تع سَيَحْلِفُونَ بِاللّٰهِ لَكُمْ اِذَا انْقَلَبْتُمْ اِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَاَعْرِضُوا عَنْهُمْ اِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَاْوٰيهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ اية بلا خلاف اخبر الله تع عن هؤلاء الذين يعتذرون بالباطل الى النبي والمؤمنين في تاخرهم عن الخروج معهم انهم سيقسمون ايضا على ذلك للمؤمنين اذا انقلبتم اليهم يعني اذا رجعتم اليهم لتعرضوا عنهم اي لتصفحوا عنهم ولا توبخوهم ولا تعنفوهم ثم امر الله تعالى المؤمنين والنبي صلعم ان يعرضوا عنهم اعراض المقت وبين انهم رجس اي هم كالنتن في تجردهم انجاس نجسها رجس نجس على الاتباع وان ماويهم يعني مصيرهم وما لهم ومستقرهم جهنم جزاء اي مكافاة على ما كانوا يكسبونه من المعاصي والجزاء مقابلة العمل بما يقتضيه من خير او شر قال احمد بن يحيى ثعلب اللام في قوله لتعرضوا عنهم ليست لام غرض وانما معناه لاعراضكم انما علق ههنا بذلك لئلا يتوهم انه اذا رضي المؤمنون فقد رضي الله عنهم ايضا فذكر ذلك ليزول هذا الالباس لان المنافقين لم يحلفوا لهم لكي تعرضوا ولكنهم حلفوا تبريا من النفاق ولاعراض المسلمين عنهم وانشد

سموت ولم تكن اهلا لتسموا ... ولكن المضيع قد يصاب

اراد ما كنت اهلا للسمو قوله تع يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَاِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَاِنَّ اللّٰهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ اية بلا خلاف بين الله تع ان هؤلاء المنافقين يقسمون بالله طلبا لمرضاتكم عنهم ايها المؤمنون فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين الخارجين من طاعته الى معصيته والمعنى انه لا ينفعهم رضاكم مع سخط الله عليهم وارتفاع رضاه عنهم وليس حصول رضا المؤمنين عنهم او لم يرضوا انما علق ههنا بذلك لئلا يتوهم انه اذا رضي المؤمنون فقد رضي الله عنهم ايضا فذكر ذلك ليزول هذا الالباس ولان المراد بذلك انه اذا كان الله لا يرضى عنهم فينبغي لكم ايضا ان لا ترضوا عنهم قوله تع اَلْاَعْرَابُ اَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَاَجْدَرُ اَنْ لَا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا اَنْزَلَ اللّٰهُ عَلَى رَسُولِهِ وَاللّٰهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ اية بلا خلاف اخبر الله تع في هذه الاية ان الاعراب الجفاة الذين لا يعرفون الله ورسوله حق معرفتهما اشد كفرا ونفاقا وجحودا لنعم الله واعظم نفاقا من غيرهم وقيل انها نزلت في اعراب كانوا حول المدينة من اسد وغطفان فكفرهم اشد لانهم اقسى واجفى من اهل المدن ولانهم ابعد من سماع التنزيل ومخالطة اهل العلم والفضل

ويقول

ويقول رجل عربي اذا كان من العرب وان سكن البلاد واعرابي اذا كان ساكنا في البادية وروي ان زيد بن صوحان كانت يده اليسرى قطعت يوم اليمامة وكان قاعدا يوما يروي الحديث والى جانبه اعرابي فقال له ان حديثك يعجبني وان يدك تريبني فقال زيد انها الشمال فقال والله ما ادري اليمين يقطعون او الشمال فقال زيد صدق الله وقرأ الاعراب اشد كفرا الاية وقوله واجدر معناه اخلق واولى واقرب الى ان لا يعلموا حدود ما انزل الله على رسوله من الشرايع والاحكام وموضع ان نصب لان تقديره اجدر بان فحذف الباء فانتصب وتقديره اجدر بترك العلم غير ان الباء لا تحذف مع المصدر الصريح وانما تحذف مع ان للزوم العلم بها وحملها على التاويل واجدر ماخوذ من جدر الحايط وقوله والله عليم حكيم معناه عالم باحوالهم وبواطنهم حكيم فيما يحكم به عليهم من الكفر وغيره للمثل افعاله قوله تع وَمِنَ الْاَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَاللّٰهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ اية بلا خلاف قرأ ابن كثير وابو عمرو دائرة السوء بضم السين الباقون بفتح السين من نصب اراد المصدر وانما اضاف الدايرة الى السوء تاكيدا كما قال عيني راسه وشمس النهار تقول سوته اسوءه سوءا ومساءة ومسائية وقوله ما كان ابوك امرأ سوء لا يجوز فيه غير فتح السين وكذلك في قوله وظننتم ظن السوء لان الضم بمعنى الاسم وتقديره عليهم دائرة العذاب والبلاء اخبر الله تع ان من جملة هؤلاء المنافقين من الاعراب من يتخذ ما ينفقه في الجهاد وغيره من طرق الخير مغرما اي غرما من قولهم غرمته غرما وغرامة والغرم لزوم نايبة في المال من غير جناية ومنه قوله من مغرم مثقلون واصل المغرم لزوم الامر ومنه قوله ان عذابها كان غراما اي لازما وحب غرام اي لازم والغريم كل واحد من المتداينين وغرمته كذا الزمته اياه في ماله وقوله ويتربص بكم الدوائر فالتربص التمسك بالشيء لعاقبته ومنه التربص بالطعام لزيادة السعر فهؤلاء يتربصون بالمؤمنين لعاقبة من الدوائر والدايرة جمعها دواير وهي العواقب المذمومة وقال الفراء والزجاج كانوا يتربصون بهم الموت والقتل وانما خص دفع النعمة بالدوائر دون دفع النقمة لان النعمة اغلب واعم لان كل واحد لا يخلو من نعم الله وليس كذلك النقمة لانها خاصة والنعمة عامة وقد قيل دارت لهم الدنيا بخلاف دارت عليهم ثم قال تع عليهم دائرة السوء يعني على هؤلاء المنافقين دائرة العذاب والبلاء في قراءة من قرأ بالضم وقوله والله سميع عليم معناه ههنا انه يسمع ما يقوله هؤلاء المنافقون ويعلم بواطن امورهم ولا يخفى عليه شيء من حالهم وحال غيرهم قوله تع وَمِنَ الْاَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْاٰخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرُبَاتٍ عِنْدَ اللّٰهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ اَلَا اِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللّٰهُ فِي رَحْمَتِهِ اِنَّ اللّٰهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ اية بلا خلاف قرأ ورش واسمعيل قربة بضم الراء اتبع الضمة التي قبلها وقال ابو علي لا يجوز ان يكون اتباعا لما قبله لان ذلك انما يجوز في الوقف اخر الكلم وانما الضمة فيها الاصل وانما خففت في قوله رسل وطنب فقالوا رسل وطنب فاذا جمع فلا يجوز فيه غير ضم الراء لان الحركة الاصلية لا بد من ردها في الجمع لما ذكر الله تع ان من جملة الاعراب من يتخذ نفقته في سبيل الله مغرما ذكر ان من جملتهم ايضا من يؤمن بالله اي يصدق به وباليوم الاخر يعني يوم القيمة وانه يتخذ ما ينفقه في سبيل الله قربانا عند الله قال الزجاج يجوز في قربات ثلثة اوجه ضم الراء واسكانها وفتحها وما قرئ الا بالضم والقربة هي طلب الثواب والكرامة من الله تع بحسن الطاعة وهي تدني من رحمة الله والتقدير انه يتخذ نفقته وصلوات الرسول اي دعاءه له قربة الى الله وقال ابن عباس والحسن معنى صلوات الرسول استغفاره لهم وقال قتادة معناه دعاؤه بالخير والبركة قال الاعشى

تقول بنتي وقد قربت مرتحلا ... يا رب جنب ابي الاوصاب والوجعا

عليك مثل الذي صليت فاغتمضي ... نوما فان لجنب المرء مضطجعا

ثم قال الا انها قربة يعني صلوات الرسول قربة لهم اي تقربهم الى ثواب الله ويحتمل ان يكون المراد ان نفقتهم قربة الى الله وقوله سيدخلهم الله في رحمته وعدلهم بان يرحمهم ويدخلهم فيها وفيه مبالغة فان الرحمة وسعتهم وغمرتهم ولو قال فيهم رحمة الله لا فاد انهم استحقوا الرحمة من الله تع وقوله ان الله غفور رحيم معناه

انه

انه يستر كثيرا على العصاة ذنوبهم ولا يفضحهم بها والرحمة بخلقه وغفور رحيم جميعا من الفاظ المبالغة فيما وصف به نفسه من المغفرة والرحمة قوله تعالى وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ اية بلا خلاف قرأ ابن كثير وحده جنات تجري من تحتها باثبات من وكذلك هو في مصاحف اهل مكة الباقون بحذف من ونصبوا تحتها على الظرف وقرأ يعقوب والانصار والذين بضم الراء الباقون بجرها من رفع عطف على قوله والسابقون والسابقون رفع على الابتداء والخبر قوله رضي الله عنهم ومن جر عطفه على المهاجرين كأنه قال من المهاجرين ومن الانصار ومن اثبت من فلان في القرآن مواضع لا تحصى جنات تجري من تحتها ومن اسقطها تبع مصحف غير اهل مكة والمعنى واحد اخبر الله تعالى ان الذين سبقوا اولا الى الايمان بالله ورسوله والاقرار بهما من الذين هاجروا من مكة الى المدينة والى الحبشة ومن الانصار الذين سبقوا ولا غيرهم الى الاسلام من نظرائهم من اهل المدينة والذين تبعوا هؤلاء بافعال الخير والدخول في الاسلام بعدهم وسلوكهم منهاجهم وقال الفراء يدخل في ذلك من يجيء بعدهم الى يوم القيمة وقال الزجاج مثله ثم اخبر ان الله رضي عنهم ورضي افعالهم ورضوا هم ايضا عن الله لما اجزل لهم من الثواب على طاعاتهم وايمانهم به وبنبيه والسبق كون الشيء قبل غيره ومنه قيل في الخيل السابق والمصلي هو الذي يجيء في اثر السابق يتبع صلاه وانما كان السابق الى الخير افضل لانه داع اليه بسبقه والثاني تابع فهو امام فيه وكذلك من سبق الى الشر كان اسوء حالا لهذه العلة والاتباع طلب الثاني لحال الاول ان يكون على مثلها على ما يصح ويجوز ومثله الاقتداء والاحسان هو النفع الواصل الى الغير مع تعريه من وجوه القبح فاما قولهم احسن فمن فعله فقد يكون بفعل النفع وبفعل الضرر لانه تعالى اذا فعل في الاخرة العقاب يقال انه احسن لكن لا يقال احسن اليه وقوله واعد لهم جنات تجري من تحتها الانهار اخبار منه تعالى انه مع رضاه عنهم ورضاهم عنه اعد لهم الجنات يعني البساتين التي تجري تحت اشجارها الانهار وقيل ان انهارها اخاديد في الارض فلذلك قال تحتها خالدين فيها ابدا اي يبقون فيها ببقاء الله لا يفنون منعمين وقوله ذلك الفوز العظيم معناه ان ذلك النعيم الذي ذكره هو الفلاح العظيم الذي يصغر في جنبه كل نعمة واختلفوا فيمن نزلت فيه هذه الاية فقال ابو موسى وسعيد بن المسيب وابن سيرين وقتادة نزلت فيمن صلى القبلتين وقال الشعبي نزلت فيمن بايع بيعة الرضوان وهي بيعة الحديبية وقال من اسلم بعد ذلك وهاجر فليس من المهاجرين الاولين وقال ابو علي الجبائي نزلت في الذين اسلموا قبل الهجرة وروي ان عمر قرأ والانصار بالرفع الذين اتبعوهم باسقاط الواو فقال ابي والذين اتبعوهم يا امير المؤمنين فرجعوا الى قوله قوله تعالى وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ اية بلا خلاف معنى قوله وممن حولكم من جملة من حولكم يعني حول مدينتكم وحول الشيء المحيط به وهو ماخوذ من حال يحول اذا دار بالانقلاب ومنه المحالة لانها تدور في المحول وقوله من الاعراب والاعراب هم الذين يسكنون البادية اذا كانوا مطبوعين على العربية وليس واحدهم عربا لان العرب قد يكون حاضرة والاعراب بادية وقوله منافقون معناه من يظهر الايمان ويبطن الكفر ومن اهل المدينة ايضا منافقون وانما حذف لدلالة الاول عليه مردوا على النفاق يقال مرد على الشيء يمرد مرودا فهو مارد ومريد اذا عتا وطغى واعيا خبثا ومنه شيطان مارد ومريد وقال ابن زيد معناه اقاموا عليه لم يتوبوا كما تاب غيرهم وقال ابن اسحق معناه لجوا فيه وابوا غيره وقال الفراء معناه مرنوا عليه وتجرؤا عليه وقال الزجاج فيه تقديم وتاخير والتقدير وممن حولكم من الاعراب منافقون مردوا على النفاق ومن اهل المدينة ايضا مثل ذلك واصل المرود الملاسة ومنه قوله صرح ممرد من قوارير اي مملس ومنه الامرد الذي لا شعر على وجهه والمرودة والمرداء الرملة التي لا تنبت شيئا والتمراد بيت صغير يتخذ للحمام مملس بالطين والمرداء الصخرة الملساء لا تعلمهم معناه لا تعرفهم يا محمد نحن نعلمهم اي نعرفهم وقوله سنعذبهم مرتين قيل في معناه اقوال احدها قال الحسن وقتادة والجبائي يعني في الدنيا وفي القبر وقال ابن عباس نعذبهم في الدنيا

بالفضيحة لان النبي ص ذكر رجالا منهم واخرجهم من المسجد يوم الجمعة في خطبته قال اخرجوا فانكم منافقون والاخرى في القبر وقال مجاهد يعني في الدنيا بالقتل والسبي والجوع وفي رواية اخرى عن ابن عباس ان احدهما اقامة الحدود عليهم والاخرى عذاب القبر وقال الحسن احداهما اخذ الزكوة منهم والاخرى عذاب القبر وقال ابن اسحق احدهما غيظهم من اهل الاسلام والاخرى عذاب القبر كل ذلك محتمل غير انا نعلم ان المرتين معا قبل ان يردوا الى عذاب النار يوم القيمة وقوله ثم يردون الى عذاب عظيم معناه ثم يرجعون يوم القيمة الى عذاب عظيم مؤبد في النار وروي ان الاية نزلت في عيينة بن حصين واصحابه قوله تعالى وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ اية بلا خلاف روي عن ابن عباس انه قال نزلت هذه الاية في عشرة انفس تخلفوا عن غزوة تبوك فيهم ابو لبابة فربط سبعة منهم انفسهم الى سواري المسجد الى ان نزلت توبتهم وقيل كانوا سبعة منهم ابو لبابة وقال ابو جعفر نزلت في ابي لبابة ولم يذكر غيره وكان سبب نزولها فيه ما جرى منه في غزاة بني قريظة وبه قال مجاهد وقال الزهري نزلت في ابي لبابة خاصة حين تاخر عن تبوك واكثر المفسرين ذكروا ان ابا لبابة كان من جملة المتاخرين عن تبوك وروي عن ابن عباس انها نزلت في قوم من الاعراب وقيل نزلت في خمسة عشر نفسا ممن تاخر عن تبوك هذه الاية عطف على قوله ومن اهل المدينة اي ومنهم اخرون اعترفوا بذنوبهم اي اقروا بها مع معرفتهم بها فان الاعتراف هو الاقرار بالشيء عن معرفة والاقرار مشتق من قر الشيء اذا ثبت والاعتراف من المعرفة وقوله خلطوا عملا صالحا واخر سيئا معناه انهم يفعلون افعالا جميلة ويفعلون افعالا سيئة قبيحة فيجتمعان وذلك يدل على بطلان القول بالاحباط لانه لو كان صحيحا لكان احدهما اذا طرى على الاخر ابطله فلا يجتمعان فكيف يكون خلطا وقوله عسى الله ان يتوب عليهم قال الحسن وكثير من المفسرين ان عسى من الله واجبة وقال قوم انما قال عسى حتى يكونوا على طمع واشفاق فيكون ذلك ابعد من الاتكال على العفو واهمال التوبة والتقدير في قوله خلطوا عملا صالحا واخر سيئا اي باخر سيء ومثله قوله خلطت الماء واللبن اي باللبن وقد يستعمل ذلك في الجمع من غير امتزاج كقولهم خلطت الدراهم والدنانير وقال قوم هو يجري مجرى قولهم استوى الماء والخشبة اي مع الخشبة وقال اهل اللغة خلط في الخير مخففا وخلط في الشر مشددا وقوله ان الله غفور رحيم تعليل لقبول التوبة من العصاة لانه غفور رحيم قوله تعالى خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ اية بلا خلاف قرأ اهل الكوفة الا ابا بكر ان صلاتك على التوحيد ونصب التاء الباقون على الجمع وكسر التاء لانه جمع السلامة فمن قرأ على التوحيد فلانه مصدر يقع على القليل والكثير فلا يحتاج الى جمعه ومثله لصوت الحمير ومما ورد في القرآن بلفظ التوحيد والمراد به الجمع قوله وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وقوله اقيموا الصلوة واتوا الزكوة ومن جمع فلاختلاف الصلوة كما ان قوله ان انكر الاصوات جمع لاختلاف ضروبه والصلوة في اللغة الدعاء قال الاعشى في الخمر

وقابلها الريح في دنها وصلى على دنها وارتسم

معنى صل عليهم ادع لهم فان دعاءك سكن لهم بمعنى تسكن اليه نفوسهم وتطيب به ولفظ التوحيد هٰهنا احسن لان المراد دعاء النبي ص لهم لا اداء الصلوات والجمع على ضروب دعائه وقولهم صلى الله على رسول الله وعلى ملئكته ولا يقال انه دعاء لهم من الله كما لا يقال في نحو ويل للمكذبين انه دعاء عليهم لكن المعنى ان هؤلاء ممن يستحق عندكم ان يقال فيهم هذا النوع من الكلام ومثله قوله بل عجبت ويسخرون فيمن ضم التاء هذا مذهب سيبويه وذكر الفراء وغيره ان هؤلاء الذين تابوا واقلعوا قالوا للرسول خذ من اموالنا ما تريد فقال رسول الله لا افعل حتى يؤذن لي فيه فانزل الله خذ من اموالهم صدقة فاخذ منهم بعضا وترك الباقي وروي ذلك عن ابن عباس وزيد بن اسلم وسعيد بن جبير وقتادة والضحاك وهي في ابي لبابة وجد بن قيس واوس وحذام وقوله خذ من اموالهم صدقة امر من الله تعالى ان ياخذ من المالكين النصاب للزكوة الورق اذا بلغ مائتين والذهب اذا بلغ عشرين مثقالا والابل اذا بلغت خمسا والبقر اذا بلغت ثلثين والغنم اذا بلغت اربعين والغلات اذا بلغت خمسة اوسق وقوله خذ من اموالهم يدل على ان الاخذ من اختلاف الاموال لانه جمعه ولو قال خذ من مالهم افاد وجوب

الاخذ من جنس واحد متفق ومن دخلت للتبعيض فكانه قال خذ بعض مختلف الاموال وظاهر الاية لايدل على انه يجب ان ياخذ من كل صنف لانه لواخذ من صنف واحد لكان قد اخذ بعض الاموال وانما يعلم ذلك بدليل اخر والصدقة عطية مالها قيمة للفقر والحاجة والبر عطية لاجتلاب المودة ومثله الصلة وقوله تطهرهم وتزكيهم بها انما ارتفع تطهرهم لاحد امرين احدهما ان تكون صفة للصدقة وتكون التاء للتانيث وقوله بها تبيين له والتقدير صدقة مطهرة والثاني ان تكون التاء خطابا للنبي ع والتقدير فانك تطهرهم بها وهو صفة للصدقة ايضا الا انه اجتزأ بذكرها في الثاني عن الاول وقيل انه يجوز ان يكون على الاستيناف وحمله على الاتصال اولى ولا يجوز ان يكون جوابا للامر لانه لو كان كذلك لكان مجزوما وقوله وتزكيهم تقديره وانت تزكيهم على الاستيناف وقيل في هذه الصدقة قولان احدهما قال الحسن انها هي كفارة الذنوب التي اصابوها وقال ابو علي هي الزكوة الواجبة واصل التطهير ازالة النجس والمراد ههنا ازالة النجس الذنوب بما يكفرها من الطاعة وقوله وصل عليهم امر من الله تع للنبي ان يدعو لمن ياخذ منه الصدقة وقال الجبائي يجب ذلك على كل ساع يجمع الزكوات ان يدعو لصاحبها بالخير والبركة كما فعل رسول الله ص وقوله والله سميع عليم معناه انه تع يسمع دعاءك لهم بنياتهم في الصدقة التي يخرجونها قوله تعالى اَلَمْ يَعْلَمُوا اَنَّ اللّٰهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهٖ وَيَاْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَاَنَّ اللّٰهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيْمُ اية بلا خلاف الالف في قوله الم يعلموا الف استفهام والمراد بها التنبيه على ما يجب ان يعلم المخاطب اذا رجع الى نفسه وفكر فيما نبه عليه علم وجوب وانما وجب ان يعلم ان الله يقبل التوبة لانه اذا علم ذلك كان ذلك داعيا له الى فعل التوبة والتمسك بها والمسارعة اليها وما هذه صورته وجب عليه ان يعلمه ليتخلص به من العقاب ويحصل له الثواب وسبب ذلك انهم لما سئلوا النبي ع ان ياخذ من مالهم ما يكون كفارة لذنوبهم فامتنع النبي من ذلك وقال حتى يؤذن لي فيه فبين الله تع انه ليس الى النبي قبول توبتكم وان ذلك الى الله تع دونه فانه الذي يقبل التوبة ويقبل الصدقات وفعل التوبة يستحق به الثواب لانها طاعة فاما اسقاط عقاب المعاصي المتقدمة عندها فالعقل لا يوجب ذلك وانما علم ذلك سمعا لان السمع قطع العذر بان الله يسقط العقاب عند التوبة الصحيحة وقد بينا في غير موضع فيما تقدم ان التوبة التي يسقط العقاب عندها قطعا هي الندم على القبيح والعزم على ان لا يعود الى مثله في القبح لان الامة مجمعة على سقوط العقاب عند هذه التوبة خلاف وقوله وياخذ الصدقات معناه انه ياخذها بتضمن الجزاء عليها كما توخذ الهدية كذلك قال ابو علي الجبائي جعل الله اخذ النبي ع والمؤمنين للصدقة اخذا من الله على وجه التشبيه والمجاز من حيث كان بامره وقد روي عن النبي ع ان الصدقة تقع في يد الله قبل ان تصل الى يد السائل والمراد بذلك انها تنزل هذه المنزلة ترغيبا للعباد في فعلها وذلك يرجع الى تضمن الجزاء عليها وقوله وان الله هو التواب الرحيم عطف على قوله الم يعلموا ولذلك فتح ان لانها مفعول بها والتواب في صفة الله معناه انه يقبل التوبة كثيرا وفي صفة العبد انه يفعل التوبة كثيرا وقيل في معنى تاب الله عليكم صفح عنكم ولم يكونوا اذنبوا فيتوبوا ليتوب الله عليهم وكذلك قوله علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم فتاب عليكم بمعنى صفح لانهم لم يتوبوا قوله تع وَقُلِ اعْمَلُوْا فَسَيَرَى اللّٰهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُوْلُهٗ وَالْمُؤْمِنُوْنَ وَسَتُرَدُّوْنَ اِلٰى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُوْنَ اية بلا خلاف هذا امر من الله تع لنبيه ع ان يقول للمكلفين اعملوا ما امركم الله به من الطاعة واجتنبوا معاصيه فان الله سيرى عملكم ورسوله والمؤمنون وفي ذلك ضرب من التهديد كما قال مجاهد المراد بالرؤية ههنا العلم الذي هو المعرفة ولذلك عداه الى مفعول واحد ولو كان بمعنى العلم الذي ليس بمعرفة لتعدى الى مفعولين وليس لاحد ان يقول ان اعمال العباد من الحركات يصح رؤيتها لمكان هذه الاية لانه لو كان المراد بها العلم لعداه الى الجملة وذلك ان العلم الذي يتعدى الى مفعولين ما كان بمعنى الظن وذلك لا يجوز على الله وانما يجوز عليه ما كان بمعنى المعرفة وروي في الخبر ان اعمال العباد تعرض على النبي ع في كل اثنين وخميس فيعلمها وكذلك تعرض على الائمة ع فيعرفونها وهم المعنيون بقوله والمؤمنون

وانما قال سيرى الله على وجه الاستقبال وهو عالم بالاشياء قبل وجودها لان المراد بذلك انه سيعلمها موجودة بعد ان علمها معدومة وكونه عالما بانها ستوجد هو كونه عالما بوجودها اذا وجدت لا يتجدد حال له بذلك وقوله وستردون الى عالم الغيب والشهادة معناه سترجعون الى الله الذي يعلم السر والعلانية فينبئكم اي يخبركم بما كنتم تعملون ويجازيكم عليه قوله تع وَاٰخَرُوْنَ مُرْجَوْنَ لِاَمْرِ اللّٰهِ اِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَاِمَّا يَتُوْبُ عَلَيْهِمْ وَاللّٰهُ عَلِيْمٌ حَكِيْمٌ اية بلا خلاف قرا اهل المدينة عن ابي بكر مرجون بغير همزة الباقون بالهمزة والوجه فيهما انهما لغتان ويقال ارجات وارجيت بمعنى واحد وهذه الاية عطف على قوله ومن اهل المدينة مردوا على النفاق واخرون اعترفوا بذنوبهم واخرون مرجون لامر الله والارجاء تاخير الامر الى وقت يقال ارجات الامر ارجاء وارجيته بالهمزة وتركها لغتان وقوله اما يعذبهم واما يتوب عليهم فلفظة اما لوقوع احد الشيئين والله اعلم بما يصير اليه امرهم الا ان هذا للعباد خوطبوا بما يعلمون والمعنى وليكن امرهم عندكم على هذا اي على الخوف والرجاء والاية تدل على صحة قولنا في جواز العفو عن العصاة لانه تع بين ان قوما من هؤلاء العصاة امرهم مرجا الى الله ان شاء عذبهم وان شاء قبل توبتهم فعفا عنهم فلو كان سقوط العقاب عند التوبة واجبا لما جاز تعليق ذلك بالمشية على وجه التخيير لانهم ان تابوا وجب قبول توبتهم عند الخصم واسقاط العقاب عنهم وان اصروا ولم يتوبوا فلا يعفى عنهم فلا معنى للتخيير على قولهم وانما يصح ذلك على ما نقوله من ان مع حصول التوبة يحسن المؤاخذة فان عفا فبفضله وان عاقب فبعدله وقوله يتوب عليهم معناه واما يقبل توبتهم وقوله والله عليم حكيم معناه عالم بما يؤول اليه حالهم حكيم فيما يفعله بهم والفرق بين الاخر والاخر ان الاخر يفيد انه بعد الاول والاخر مقابل للاحد في تفصيل ذكر اثنين احدهما كذا والاخر كذا وقال مجاهد وقتادة الاية نزلت في هلال بن امية الرافعي ومرارة بن ربيع وكعب بن مالك من الاوس والخزرج وكان كعب بن مالك رجل صدق غير مطعون عليه وانما تخلف توانيا عن الاستعداد حتى فاته المسير وانصرف رسول الله ولم يعتذر اليه بالكذب وقال والله ما لي من عذر فقال ع صدقت فقم حتى يقضي الله فيك فجاء الرجلان الاخران فقالا مثل ذلك وصدقا فنهى رسول الله ص عن كلامهم بعد ما عذر المنافقين وجميع المتخلفين وكانوا ثنيفا وثمانين رجلا فاقام هؤلاء الثلثة على ذلك خمسين ليلة حتى هجرهم ولدانهم ونساؤهم ظاهر الرسول الله ع بامره وبني كعب خيمة على سلع يكون فيها وحده وقال في ذلك

ابعد دور بني القين الكرام وما شادوا علي بنيت البيت من سعف

ثم نزلت التوبة عليهم في الليل فاصبح المسلمون يبتدرونهم يبشرونهم قال كعب فجئت الى رسول الله في المسجد وكان اذا سر تستبشر كان وجهه فلقة قمر فقال لي ووجهه يبرق من السرور ابشر بخير يوم طلع عليك شرقه منذ ولدتك امك قال كعب فقلت له امن عند الله او من عندك يا رسول الله قال لي فقال من عند الله وتصدق كعب بثلث ماله شكرا لله على توبته قوله تعالى وَالَّذِيْنَ اتَّخَذُوْا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَّكُفْرًا وَّتَفْرِيْقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِيْنَ وَاِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللّٰهَ وَرَسُوْلَهٗ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ اِنْ اَرَدْنَا اِلَّا الْحُسْنٰى وَاللّٰهُ يَشْهَدُ اِنَّهُمْ لَكٰذِبُوْنَ اية بلا خلاف قرا ابن عامر واهل المدينة الذين اتخذوا باسقاط الواو والباقون باثبات الواو فمن اثبت الواو عطفه على ما تقدم من الايات وتقديره ومنهم الذين اتخذوا مسجدا ضرارا ومن حذفها ابتدا الكلام وحذف الخبر لطول الكلام قال الزهري ويزيد بن رومان وعبد الله بن ابي بكر وعاصم بن عمر بن قتادة نزلت هذه الاية في اثنى عشر رجلا من المنافقين قال الفرا كانوا من بني عمرو بن عوف من الانصار وقال غيره كانوا من بني غنم ابن عوف من الانصار الذين بنوا مسجد الضرار وقيل انهم كانوا خمسة عشر رجلا منهم عبد الله بن نفيل في قول الواقدي وقال ابن اسحق هو نفيل بن الحرث ولم يذكر عبد الله وهذا المختلف في اسمه هو الذي كان ينقل حديث النبي الى المنافقين فاعلم الله نبيه ذلك فاخبر الله عنهم انهم بنوا المسجد الذي بنوه ضرارا اي مضارة ونصب على انه مفعول له اي بنوه للمضارة والضرار هو طلب الضرر ومحاولته كما ان الشقاق محاولة ما يشق يقول ضاره مضارة وضرارا والاية تدل على ان الفعل يقع

بالارادة على وجه القبح دون الحسن والحسن دون القبح لانهم لو بنوا المسجد للصلوة فيه لكان حسنا لكن لما قصدوا المضادة كان ذلك قبيحا ومعصية وقوله وتفريقا بين المؤمنين اى بنوه للمضادة والكفر و التفريق بين المؤمنين وانما يكون تفريقا بين المؤمنين بان يتحزبوا فحزب يصلى فيه وحزب يصلى فى غيره فتختلف الكلمة وتبطل الالفة واتخذوه ايضا ليكفروا فيه بالطعن على النبى صلعم والاسلام والمسلمين وقوله وارصادا لمن حارب الله ورسوله معناه اتخذوه له ليكون متى راد الاجتماع معهم حضره وانس به وهو رجل يقال له ابو عامر الراهب لحق بقيصر فتنصر وبعث اليهم سياتيكم بجند فاخرج به محمدا واصحابه فبنوه يترقبونه وهو الذى حزب الاحزاب وحارب مع المشركين فلما فتحت مكة هرب الى الطائف فلما اسلم اهل الطائف لحق بالشام وخرج الى الروم وتنصر وابنه عبدالله قتل يوم احد وهو غسيل الملئكة ذهب اليه اكثر المفسرين كابن عباس ومجاهد وقتادة واصل الارصاد الارتقاب يقول رصده يرصده رصدا وارصد له وراصده مراصدة وتراصد تراصدا وارتصده ارتصادا وقوله وليحلفن ان اردنا الا الحسنى معناه ان هؤلاء يحلفون على انهم ما ارادوا ببناء هذا المسجد الا الحسنى يعنى الا الفعلة الحسنى فقال الله تعالى تكذيبا لهم والله يشهد انهم لكاذبون وكفى بمن يشهد الله بكذبه خزيا ووجه رسول الله صلعم قبل قدومه من تبوك عاصم بن عوف العجلانى ومالك بن الدخشم وكان مالك من بنى عوف فقال لهما انطلقا الى هذا المسجد الظالم اهله فاهدماه ثم حرقاه فخرجا يشتدان سريعين على اقدامهما ففعلا ما امرهما به فثبت قوم من جملتهم زيد بن حارثة بن عامر حتى احترق البتة قوله تعالى لا تقم فيه ابدا لمسجد اسس على التقوى من اول يوم احق ان تقوم فيه فيه رجال يحبون ان يتطهروا والله يحب المطهرين اية بلا خلاف نهى الله نبيه وعنى معه جميع المؤمنين ان يقوموا فى المسجد الذى بنى ضرارا ابدا او يصلوا فيه واقسم ان المسجد الذى اسس على التقوى من اول يوم احق ان تقوم فيه وقيل فى المسجد الذى اسس على التقوى قولان احدهما قال ابن عباس والحسن وعطية انه مسجد قباء وقال ابن عمر وابن المسيب هو مسجد المدينة وقال عمر بن شبة المسجد الذى اسس على التقوى مسجد رسول الله صلعم والذى اسس على تقوى ورضوان مسجد قبا كذلك فصل بينهما ورواه عن اشياخه والتقوى خصلة من الطاعة يحترز بها من العقوبة والمتقى صفة مدح لا تطلق الا على مستحق الثواب وواو تقوى بدل من الياء لانه من تقيت وانما ابدلت للفرق بين الاسم والصفة فى الابنية ومثله شروى من شريت فاما الصفة فنحو خزيا ولو قيل كيف يبنى فعلى من قصيت قلت قصوى فى الاسم وقصيا فى الصفة وقوله من اول يوم معنا اول الايام اذا ميزت يوما يوما لان افعل بعض ما اضيف اليه ومثله اعطيت كل رجل فى الدار اى كل الرجال اذا ميزو رجلا رجلا والفرق بين من اول يوم ومنذ اول يوم ان منذ اذا كانت حرفا فهى للوقت الخاص كقولك منذ اليوم ومنذ الشهر ومنذ السنة وليس كذلك من واذا كانت اسما وقع على ما بعدها على تقدير كلامين ومن على النهاية لانها نقيض الى قال زهير

لمن الديار بقنة الحجر اقوين من حجج ومن شهر

وقوله احق ان تقوم فيه مع ان القيام فى الاخر قبيح منهى عنه وانما قال ذلك على وجه المظاهرة بالحجة بانه لو كان من الحق الذى يجوز لكان هذا احق ويجوز على هذا ان يقول عمل الواجب اصلح من تركه وقيل المراد به القيام فيه حق ظاهرا وباطنا اذا كانت الصلوة فى المسجد على ظاهرها حق وقوله فيه رجال والاول ظرف للقيام والثانى ظرف لكون الرجال وقوله يحبون ان يتطهروا قال الحسن معناه يريدون ان يتطهروا من الذنوب وقيل يتطهرون بالماء عن الغائط والبول وهو المروى عن ابى جعفر وابى عبدالله صلعم ثم قال والله يحب المطهرين اى يريد منافع المتطهرين من الذنوب وكذلك المتطهرين من النجاسة بالماء وروى عن النبى صلعم انه قال لاهل قبا ماذا تفعلون فى طهركم فان الله احسن عليكم الثناء قالوا نغسل اثر الغائط فقال انزل الله فيكم والله يحب المطهرين وقيل ان سبب نزول هذه الاية ان اهل مسجد ضرار جاؤا اليه فقالوا يا رسول الله بنينا مسجدا للضعيف ووقت المطر نسئلك ان تصلى فيه وكان متوجها الى تبوك فوعدهم ان يفعل اذا عاد فنهاه الله عن ذلك وقوله والذين اتخذوا مسجدا ابتداء و خبره فى قوله لا تقم فيه ابدا كما يقول والذى يدعوك الى الغى فلا تسمع دعاه والتقدير فى الاية لا تقم فى مسجدهم

ابدا واسقط ذلك اختصارا قوله تعالى افمن اسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير ام من اسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به فى نار جهنم والله لا يهدى القوم الظالمين اية بلا خلاف قرأ نافع وابن عباس اسس بنيانه بضم الهمزة وكسر السين ورفع النون من بنيانه فى الموضعين جميعا الباقون بفتح الهمزة ونصب النون من بنيانه وقرا ابن عامر الا الداجونى عن هشام وحمزة وخلف وابو بكر الا الاعشى والبرجمى جرف بسكون الراء الباقون بضمها وقرا ابو عمرو والكسائى والداجونى عن ابى ذكوان وهبة الله عن حفص من طريق النهروانى والدورى عن سليم من طريق ابن فرج وابو بكر الا الاعشى والبرجمى هار بالامالة وافقهم على الوقف على بن مسلم وابن غالب ومحمد فى الوقف من طريق السوسى من طريق ابن جبيش قال ابو على الفارسى البنيان مصدر وهو جمع كشعير وشعيرة لانهم قالوا فى الواحد بنيانة قال اوس

كبنيانة القرى موضع رحلها وآثار نسعيها من الدف ابلق

وجاء بناء المصادر على هذا المثال فى غير هذا الحرف نحو الغفران وليس بنيان جمع بناء لان فعلانا اذا كان جمعا نحو كثبان وقضبان لم تلحقه تاء التانيث وقد يكون ذلك فى المصادر نحو اكل واكلة وضرب وضربة من ذلك وقال ابو زيد يقال بنيت ابنى بنيا وبناء وبنية وجمعها البنى وانشد

بنى السماء فسواها ببنيتها ولم تمد باطناب ولا عمد

فالبناء والبنية مصدران ومن ثم قوبل به الفراش فى قوله الذى جعل لكم الارض فراشا والسماء بناء فالبناء لما كان رفعا للمبنى قوبل به الفراش الذى هو خلاف البناء ومن ثم وقع على ما كان فيه ارتفاع فى نصبته وان لم يكن مبنيا فاما من فتح الهمزة وبنى الفعل للفاعل فلانه البانى والمؤسس فاسند الفعل اليه وبناه له كما اضاف البنيان اليه فى قوله بنيانه فكما ان المصدر مضاف الى الفاعل كذلك يكون الفعل مبنيا له ومن بنى الفعل المفعول لم يبعد ان يكون فى المعنى كالاول لانه اذا اسس بنيانه فتولى ذلك غيره بامره كان كانه بناه هو والاول اقوى لما قلناه وقال ابو على والجرف بضم العين هو الاصل والاسكان تخفيف فى مثله الشغل والشغل ومثله الطنب والطنب والعنق والعنق يجوز فى جميعه التثقيل والتخفيف وكلاهما حسن وقال ابو عبيدة على شفا جرف هار مثل فقال لان ما يبنى على التقوى فهو اثبت اساسا من بناء يبنى على شفا جرف ويجوز ان يكون المعادلة وقعت بين البنائين ويجوز ان يكون بين البانيين فاذا عادلت بين البنائين كان المعنى المؤسس بنيانه متقيا خير ام المؤسس بنيانه غير متق لان قوله على شفا جرف يدل على ان بانيه غير متق لله ويجوز ان يكون على تقدير حذف المضاف كانه قال ابناء من اسس بنيانه خير ام بناء من اسس على شفا جرف والبنيان مصدر يراد به المبنى كما ان الخلق يراد به المخلوق اذا اردت ذلك وضرب الامير اذا اردت به المضروب وكذلك نسج اليمن يراد به المنسوج فانما قلنا ذلك لانه لا يجوز ان يراد به الحدث لانه انما يؤسس المبنى الذى هو عين يبين ذلك قوله على شفا جرف والحدث لا يكون على شفا جرف والجار فى قوله على تقوى وفى قوله على شفا جرف فى موضع نصب والتقدير افمن اسس بنيانه متقيا خير ام من اسس بنيانه معاقبا على بنيانه وفاعل انهار البنيان وتقديره انهار البنيان بالبانى فى نار جهنم لانه معصية وفعل لما كرهه الله من الضرار والكفر والتفريق بين المؤمنين ومن امال هار فقد احسن لما فى الراء من التكرير فكانك لفظت براءين مكسورتين وبحسب كثرة الكسرات تحسن الامالة ومن لم يمل فلان كثيرا من العرب لا يميلون هذه الالفات وترك الامالة هو الاصل واما الف هار فمنقلبة عن الواو لانهم قالوا تهور البناء اذا تساقط وتداعى و الانهيار والانهيال متقاربان فى المعنى والالف فى قوله افمن الف استفهام يراد بها ههنا الانكار ومعنى خبر وهذا شر ولا يراد به افعل قال الشاعر والخير والشر مقرونان فى قرن فالخير متبع والشر محذور واما قوله وافعل الخير معناه افعلوا الافضل والشفا جرف الشئ وشفيره وجرف نهايته فى المساحة و يثنى شفوان والجرف جرف الوادى وهو جانبه الذى يحفر بالماء اصله فيبقى واهيا وهو من الجرف والاجتراف وهو اقتلاع الشئ من اصله ومعنى انهار انصدع بالتهدم هار الجرف يهور هورا فهو هاير و تهور تهورا

قوله انه افضل وفيه ان الشر الذى يعولون هذا خير

وانهار انهيارا ويقال ايضا هار يهار واصل هار هاير الا انه قلب كما قال الشاعر

لاث به الاشاء والعبرى ... اى لايث بمعنى داير ومثله شاك فى السلاح وشايك والاشاء النخل

والعبرى السدر والذى على شاطئ الانهار ومعنى لاث اى مطيف به شبه الله تعالى بنيان هؤلاء المنافقين مسجد الضرار ببناء يبنى على شفير جهنم فانهار ذلك البناء باهله فى نار جهنم ووقع فيه وروى عن جابر بن عبد الله انه قال رايت المسجد الذى بنى ضرارا يخرج منه الدخان وهو قول ابن جريج قوله تعالى لا يزال بنيانهم الذى بنوا ريبة فى قلوبهم الا ان تقطع قلوبهم والله عليم حكيم اية بلا خلاف قرا ابن عامر وحمزة وحفص وابو جعفر ويعقوب تقطع بفتح التاء الباقون بضمها وقرا يعقوب وحده الى ان على انه حرف جر قوله لا يزال من اخوات كان يرفع الاسم وتنصب الخبر وانما عملت فى الاسم والخبر لانه انما يتعلق معنى الجملة فيدل على انه يدوم اذ المعنى فيه ان يكون الشئ على الصفة ابدا قال ابو على البنيان مصدر واقع على المبنى وتقديره لا يزال بناء المبنى الذى بنوه ريبة اى شكا فى قلوبهم فيما كان من اظهار اسلامهم وثباتهم على النفاق الى ان تقطع قلوبهم بالموت والبلى لا يخلص لهم ايمان ولا ينزعون عن النفاق الى ان تقطع قلوبهم بالموت والبلى ومن قرا الى ان تقطع فانه يريد حتى تبلى وتقطع بالبلى اى لا تثلج قلوبهم بالايمان ابدا ولا ينزعون عن الخطيئة فى بناء المسجد ولا يتوبون ومن ضم الياء اضاف الفعل الى المقطع المبلى للقلوب بالموت ومن فتحها اسند الفعل الى القلوب لما كانت هى البالية كما قالوا مات زيد ومرض عمرو ووقع الحائط وفى قراءة ابى حتى الممات ومعنى قوله الذى بنوا مع قوله بنيانهم انما هو ليعلم ان البناء ماض دون المستقبل اذ قد يجوز الاضافة على جهة الاستقبال كقولك للغير اقبل على عملك وقيل فى معنى الريبة فى الاية ثلثة اقوال احدها ان هذا البنيان الذى بنوه لا يزال شكا فى قلوبهم وقيل معناه حزازة فى قلوبهم وقيل حسرة فى قلوبهم يترددون فيها قوله الا ان تقطع قلوبهم موضع ان تقطع نصب والتقدير الا على تقطع قلوبهم غير ان حرف الاضافة تحذف مع ان ولا يحذف مع المصدر ومعنى الا ههنا حتى لانه استثناء من الزمان المستقبل والاستثناء منه منتهى اليه فاجتمع مع حتى فى هذا الموضع على هذا المعنى قال الزجاج يحتمل ان يكون المراد الا ان يتوبوا توبة يتقطع بها قلوبهم ندما واسفا على تفريطهم وقوله والله عليم حكيم اى عالم بنياتهم فى بناء مسجد الضرار حكيم فى امره بنقضه والمنع من الصلوة فيه قوله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التورية والانجيل والقران ومن اوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم اية بلا خلاف قرا حمزة والكسائى فيقتلون ويقتلون على مفعول وفاعل الباقون على فاعل ومفعول من قدم الفعل المسند الى الفاعل فلانهم يقتلون اولا فى سبيل الله ويقتلون ولا يقتلون اذا قتلوا ومن قدم الفعل المسند الى المفعول جاز ان يكون اراد ذلك المعنى ايضا لان المعطوف بالواو يجوز ان يراد به التقديم وان لم يقدر ذلك كان المعنى يقتل بعضهم ويقتل من بقى منهم بعد قتل من قتل منهم كما ان قوله فما وهنوا لما اصابهم فى سبيل الله ومعناه ما وهن من بقى منهم لقتل من قتل من المؤمنين حقيقة الاشتراء لا يجوز على الله تعالى لان المشترى انما يشترى ما لا يملك والله تعالى مالك الاشياء كلها وانما هو كقوله من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فى انه اجرى بحسن المعاملة والتلطف فى الدعاء الى الطاعة مجرى ما لا يملكه المعامل فيه ولما كان الله تعالى رغب فى الجهاد وقتال الاعداء وضمن على ذلك الثواب عبر عن ذلك بالاشتراء فجعل الثواب ثمنا والطاعات مثمنا على ضرب من المجاز وكما ان فى مقابلة الطاعة الثواب فكذلك فى مقابلة الالم العوض غير ان الثواب مقترن بالاجلال والاكرام والعوض خال منهما والمثاب محسن مستحق على احسانه المدح وليس كذلك المعوض اخبر الله تعالى انه اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بما ضمن لهم على بذلها من الثواب فقوله بان لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله اعداء الله واعداء نبيه فيقتلون اعداء الله ويقتلهم اعداء الله فيصبرون على ذلك ومن قدم المفعول اراد يقتل بعضهم فيقتل الباقون اعداء الله وقوله وعدا عليه حقا نصب وعدا على المصدر بما دل عليه اشترى اذ دل

على انه وعد ومثله صنع الله الذى اتقن كل شئ وفطرة الله التى فطر الناس عليها والوعد خبر بما يفعله المخبر من الخير بغيره والوعيد خبر بما يفعله المخبر من الشر بغيره وقوله حقا معناه يتبين الوعد بالحق الواجب من الوعد مما لم يكن واجبا فالوعد بالثواب دل على وجوبه من وجهين احدهما من حيث انه جزاء على الطاعة والثانى انه ايجاز الوعد وقوله فى التورية والانجيل والقران معناه ان هذا الوعد للمجاهدين مذكور فى هذه الكتب قال الزجاج وذلك يدل على ان الجهاد كان واجبا على اهل كل ملة وقوله ومن اوفى بعهده من الله معناه لا احد احق بالوفاء بالعهد من الله فاستبشروا ايها المؤمنون ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم يعنى ذلك الشراء والبيع هو الفلاح العظيم الذى لا يفاد منه شئ قوله تعالى التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الامرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين اية بلا خلاف قيل فى ارتفاع قوله التائبون ثلثة اقوال احدها انه ارتفع بالمدح والتقدير هم التائبون الثانى بالابتداء وخبره محذوف بعد قوله والحافظون لحدود الله لهم الجنة الثالث على ان يكون بدلا من الضمير فى يقاتلون اى انما يقاتل فى سبيل الله من هذه صفته وقيل هو كقوله لكن الرسول والذين امنوا معه التائبون وقرا ابى كل ذلك بالنصب على انه صفة للمؤمنين وصف الله تعالى المؤمنين الذين اشترى منهم انفسهم واموالهم بانهم التائبون ومعناه الراجعون الى طاعة الله والمنقطعون اليه والنادمون على ما فعلوه من قبيح العابدون اى يعبدون الله وحده لا شريك له الحامدون يعنى الشاكرون لنعم الله عليهم على وجه الاخلاص له وقال الحسن هم الذين يحمدون الله على كل حال فى سراء كانوا او ضراء وبه قال قتادة السائحون قيل معناه الصائمون وقال المورج السائحون الصائمون بلغة هذيل وروى عن النبى ص انه قال سياحة امتى الصوم وهو قول ابن مسعود وابن عباس وسعيد بن جبير والحسن ومجاهد وقال الحسن هم الذين يصومون ما افترض الله عليهم وقال غيره هم الذين يصومون دائما وكذلك قال فى قوله الراكعون الساجدون انهم الذين يؤدون ما افترض الله عليهم من الصلوة والركوع والسجود واصل السيح الاستمرار بالذهاب فى الارض كما يسيح الماء فالصائم مستمر على الطاعة فى ترك المشتهى من المأكل والمشارب والمنكح وقوله الراكعون الساجدون معناه الذين يقيمون الصلوة التى فيها الركوع والسجود والامرون بالمعروف والناهون عن المنكر معناه الذين يامرون بما امر الله به من الواجبات والمندوبات وينهون عما نهى الله عنه وزهد فيه من القبائح وانما عطف الناهون بالواو دون غيره من الصفات لانه لا يكاد يذكر على الافراد بل يقال الامر بالمعروف والنهى عن المنكر فجاءت الصفة مصاحبة للاولى فاما قوله والحافظون فلانه جاء وهو اقرب الى المعطوف ومعنى الحافظون لحدود الله انهم يحفظون ما امر الله به ونهى عنه فلا يتجاوزونه الى غيره وقوله وبشر المؤمنين امر للنبى ص ان يبشر المؤمنين المصدقين بالله المعترفين بنبوته بالثواب الجزيل والمنزلة الرفيعة وخاصة اذا اجمعوا هذه الاوصاف على كمالها وتمامها دون غيرهم قوله تعالى ما كان للنبى والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولى قربى من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم اية بلا خلاف اخبر الله تعالى انه لم يكن للنبى والذين امنوا ان يستغفروا ومعناه ان يطلبوا المغفرة للمشركين الذين يعبدون مع الله الها اخر والذين لا يوحدونه ولا يقرون بالالهية وان كان الذى يطلب لهم المغفرة اقرب الناس اليهم بعد ان يعلموا انهم كفار مستحقون للخلود فى النار والقربى معناه القرب فى النسب بالرجوع الى اب او ام باضافة قريبة ومعنى قوله ولو كانوا اولى قربى اى القرابة وان دعت الى الحنو والرقة فانه لا يلتفت الى دعائها فى الخصلة التى نهى الله عنها قوله تعالى وما كان استغفار ابرهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه فلما تبين له انه عدو لله تبرا منه ان ابرهيم لاواه حليم اية بلا خلاف لما ذكر الله تعالى انه ليس للنبى والذين امنوا ان يطلبوا المغفرة للمشركين بين الوجه فى استغفار ابرهيم لابيه مع انه كان كافرا سواء كان اباه الذى ولده او جده لامه او عمه على ما يقوله اصحابنا وهو ان قال وجه حسن ذلك انه كان تقدم ذلك

موعدة فلاجلها وجب عليه الوفاء به وقيل في معنى الموعدة التي كانت عليه في حسن الاستغفار قولان احدهما ان
الموعدة كانت من ابي ابرهيم لابرهيم انه يؤمن ان استغفر له فاستغفر له لذلك وطلب له الغفران بشرط ان يؤمن فلما
تبين بعد ذلك انه عدو لله تبرء منه والثاني ان الوعد كان من ابرهيم بالاستغفار ما دام يطمع في الايمان كما قال الا
قول ابرهيم لابيه لاستغفرن لك وما املك لك من الله من شيء فاستغفر له على ما يصح ويجوز من شرايط الحكمة فلما تبين
انه عدو لله وايس من ايمانه تبرأ منه والذي عندي وهو الاقوى ان اباه اظهر له الايمان وصار اليه وكان وعد
ان يستغفر له ان امن فلما اظهر الايمان استغفر له فاعلم الله ان ما ظهر منه بخلاف ما يبطنه فتبرأ منه ويقوي ذلك
قوله واغفر لابي انه كان من الضالين اي فيما مضى ويجوز ان يكون اظهر الكفر بعد ذلك فلما تبين ذلك تبرأ منه فاما
من قال ان الوعد كان من ابرهيم فالسؤال باق لان لقائل ان يقول ولم وعد كافرا ان يستغفر له فان قلنا وعده
بان يستغفر له ان امن كان الرجوع الى الجواب الاخر والعداوة هي الابعاد من النصرة الى اعداد العقوبة والولاية التقريب
من النصرة من غير فاصلة بالحباء والكرامة وقوله ان ابرهيم لاواه حليم قيل في معنى اواه ثمانية اقوال فقال ابن عباس
في معنى اواه تواب وقال ابن مسعود معناه دعاء وقال الحسن وقتادة معناه رحيم وقال مجاهد معناه موقن وقال كعب
معناه اذا ذكر النار قال آوه وقال الضحاك معناه المؤمن الموقن بالخشية الرحيم وقال اخرون معناه فقيه وقال ابو
عبيدة معناه المتوجع المتضرع الى الله خوفا واشفاقا واصل الاواه من التاوه وهو التوجع والتحزن يقول تأوه
تأوها واوه تأويها قال المثقب العبدي   اذا ما قمت ارحلها بليل   تأوه آهة الرجل الحزين
والعرب يقول اوه من كذا بكسر الواو وتسكين الهاء قال الشاعر

فاوه لذكراها اذا ما ذكرتها   ومن بعد ارض دونها وسماء

والعامة تقول اوه يقال ايضا اوه بسكون الواو وكسر الهاء وينشد البيت المقدم ذكره كذلك وقال الجعدي

ضروح مروح يتبع الورق بعدما   يعرسن شكوى آهة وتنمر

وقال الراجز   فاوه الداعي وضوضا اكلبه   ولو جاء منه فعل يفعل لكان آه يؤوه اوها على
وزن قال يقول قولا والحليم هو المهمل على وجه حسن والحلم الامهال على ما تقتضيه الحكمة وهي صفة مدح و
والله حليم عن العصاة بامهاله لهم مع قدرته على تعجيل عقوبتهم وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة انما تبين عداوته
لما مات على كفره وقال ابو علي الجبائي لما ايس من فلاحه عند تصميمه على بعد الوعد في الايمان بالله الذي كان وعد
باظهاره في وقت بعينه قوله تعالى وما كان الله ليضل قوما بعد اذ هديهم حتى يبين لهم ما يتقون ان الله
بكل شيء عليم اية بلا خلاف قال مجاهد وجه اتصال هذه الاية بما قبلها هو انه لما حرم الله تعالى على المؤمنين
استغفار المشركين بين انه لم يكن الله ليأخذكم بما لا تعلمون بدلالة على تحريمه وانه يجب عليكم ان تتقوه وقوله
ليضل قوما معناه ههنا لم يكن الله ليحكم بضلال من عدل عن طريق الحق على وجه الذم له الا بعد ان ينصب له على ذلك
الدليل والهدى هو الحكم بالاهتداء الى الحق على وجه الحمد له والبيان والبرهان والحجة والدلالة بمعنى واحد وفرق
الرماني بين البيان والبرهان فقال البيان اظهار المعنى في نفسه بمثل اظهار نقيضه والبرهان اظهار صحته بما يستحيل
في نقيضه كالبيان عن معنى قدم الاجسام ومعنى حدوثها فالبرهان يشهد بصحة حدوثها وفساد قدمها وقال
مجاهد معناه حتى يبين لهم ما يتقون من ترك الاستغفار للمشركين لانهم كانوا يستغفرون لهم فلما نهوا عنه انتهوا
وقوله ان الله بكل شيء عليم معناه انه يعلم جميع المعلومات حتى لا يشذ شيء منها عنه لكونه عالما لنفسه وقال الحسن
مات قوم من المسلمين على الاسلام قبل فرض الصلوة والزكوة وغيرهما وفرايض الدين فقال المسلمون يا رسول الله
اخواننا الذين ماتوا قبل الفرايض ما منزلتهم فقال الله تعالى وما كان الله ليضل قوما وهم مؤمنون ولم يبين لهم الفرائض
قوله تعالى ان الله له ملك السموات والارض يحيي ويميت وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير اية بلا
خلاف وجه اتصال هذه الاية بما قبلها الحض على ما تقدم ذكره من جهاد المشركين ملوكهم وغير ملوكهم لانهم عبيد
من له ملك السموات والارض يأمر فيهم ما يشاء ويدبرهم على ما يشاء فاخبر الله ان له ملك السموات والارض ومعناه
انه قادر على التصرف فيهما وليس لاحد منعه منهما والملك اتساع المقدور لمن له السياسة والتدبير وخزائن الله

لا تفنى وملكه لا يبيد ولا يبلى وكل ذلك يرجع الى مقدوراته في جميع اجناس المعاني وقوله يحيي ويميت معناه
انه يحيي الجماد ويميت الحيوان والحياة معنى يوجب كون الحيوان حيا والحي المختص بصفة لا يستحيل معها كونه
عالما قادرا والموت عند من اثبته معنى هو ما يضاد الحياة ومن لا يثبته معنى يقول هو عبارة عن فساد بنية
الحي وقوله وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير الولي هو المقرب بالنصرة من غير فاصلة والانسان ولي
الله لانه يقربه بالنصرة من غير فاصلة والله وليه بهذا المعنى والنصير والاستنصار طلب النصرة والانتصار
والانتصاف بالنصرة قوله تعالى لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه في ساعة
العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم انه بهم رؤف رحيم اية بلا خلاف قرأ
حمزة وحفص يزيغ بالياء الباقون بالتاء قال ابو علي النحوي يجوز ان يكون فاعل كاد احد ثلثة اشياء
احدها ان يضمر فيه القصة او الحديث ويكون يزيغ الخبر وجاز ذلك للزوم الخبر لها فاشبه العوامل الداخلة
على الابتداء للزوم الخبر لها ولا يجوز ذلك في عسى لان عسى تكون فاعله المفرد في الاكثر ولا يلزمه الخبر
نحو قوله وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم فاذا كان فاعله المفرد في كثير من
الامر لم يحمل الضمير الذي احتمله كاد كما لم تحتمله ساير الافعال التي تسند الى فاعلها مما لا يدخل على المبتداء وما
يجيء في الشعر من كاد ان يفعل وعسى يفعل فلا يعتد به لانه من ضرورة الشعر الثاني من فاعل كاد ان يضمنه ذكرا
مما تقدم لما كان النبي ص والمهاجرون والانصار قبيلا واحدا وفريقا جاز ان يضمر في كاد ما يدل عليه ما تقدم
ذكره من القبيل والحزب والفريق وقال منهم من حمله على المعنى كما قال من امن بالله واليوم الاخر ثم قال فلا خوف
عليهم فكذلك فاعل كاد والثالث من فاعل كاد ان يكون فاعلها القلوب كانه من بعد ما كاد قلوب فريق منهم
تزيغ وانما قدم يزيغ كما قدم خبر كان في قوله وكان حقا علينا نصر المؤمنين وجاز تقديمه وان كان فيه ضمير من
القلوب ولم يكن ذلك من الاضمار قبل الذكر لان النية به التاخير ومن قرأ بالياء يجوز ان يكون جعل في كاد ضمير
الحديث فاذا اشتغل كاد بهذا الضمير ارتفع القلوب بيزيغ فذكر وان كان فاعله مؤنثا لتقدم الفعل ومن قرأ
بالتاء جاز ان يكون ذهب الى ان القلوب مرتفعة بكاد فلا يكون يرفع فعلا مقدما فاذا لم يكن مقدما قبح التذكير
لتقدم ذكر الفاعل كما قبح في قول الشاعر   ولا ارض ابقل ابقالها   ولم تصح ابقل ارض ويجوز
ان يكون الفعل المسند على القصة والحديث يؤنث اذا كان في الجملة التي تفسيرها مؤنث كقوله فاذا هي شاخصة
ابصار الذين كفروا ويجوز الحاق التاء في كاد من وجه اخر وهو ان يرفع تزيغ قلوب بكاد فيلحقه علامة التانيث من
حيث كان مسندا الى مؤنث كقوله قالت الاعراب فعلى هذا يكون في تزيغ ضمير القلوب لان النية في تزيغ التاخير
اقسم الله تعالى في هذه الاية لان لام لقد لام القسم بانه تعالى تاب على النبي والمهاجرين والانصار بمعنى انه رجع
اليهم وقبل توبتهم الذين اتبعوه في ساعة العسرة يعني في الخروج معه الى تبوك والعسرة صعوبة الامر وكان ذلك
في غزاة تبوك لانه لحقهم فيها مشقة شديدة من قلة الماء حتى نحروا الابل وعصروا اكروشها ومصوا النوى وقل
زادهم وظهرهم في قول مجاهد وجابر وقتادة وروي عن عمر انه قال اصابنا عطش شديد فامطر الله السماء
بدعاء النبي ص فعشنا بذلك وعن بعد ما كاد تزيغ قلوب فريق منهم والزيغ ميل القلب عن الحق ومنه قوله فلما
زاغوا ازاغ الله قلوبهم ومنه قوله لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وكان ابو خيثمة عبد الله بن خيثمة تخلف الى
ان مضى من مسير رسول الله عشرة ايام ثم دخل يوما على امرأتين له في يوم حار عريشين لهما قد رشتاهما و
بردتا الماء وهيأتا له الطعام فقام على العريشين فقال سبحان الله رسول الله قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما
تأخر في الضح والريح والحر والقر يحمل سلاحه على عاتقه وابو خيثمة في ظلال باردة وطعام مهيأ وامرأتين حسناوين
ما هذا بالنصف ثم قال والله لا اكلم واحدة منكما كلمة ولا ادخل عريشا حتى الحق بالنبي ص فاناخ ناضحه واشتد
عليه وتزود وارتحل وامرأتاه تكلمانه ولا يكلمهما ثم سار حتى اذا دنا من تبوك قال الناس هذا راكب على الطريق
فقال النبي ص كن ابا خيثمة فلما دنا قال الناس هذا ابو خيثمة يا رسول الله فاناخ راحلته وسلم على رسول الله
فقال له النبي ص اولى لك فحدثه الحديث فقال له خيرا ودعا له فهو الذي زاغ قلبه للمقام ثم ثبته الله وقيل ان

من شدة ما لحقهم هم كثير منهم بالرجوع فتاب الله عليهم وقبل من بعد ما كان شك جماعة منهم في دينهم ثم تابوا
فتاب الله عليهم وقوله ثم تاب عليهم اي رجع عليهم بقبول توبتهم انه بهم رؤف رحيم اخبار منه تعالى انه بهم رؤف
فالرأفة اعظم الرحمة قال كعب بن مالك الانصاري نطيع نبينا ونطيع ربا هو الرحمن كان بنا رؤفا
وقال اخر ترى للمسلمين عليك حقا كفعل الوالد الرؤف الرحيم
قوله تعالى وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ
أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ اية بلا
خلاف تقدير الكلام وتاب الله على الثلاثة الذين خلفوا وقيل نزلت هذه الاية بسبب الثلاثة الذين تخلفوا عن
غزاة تبوك ولم يخرجوا مع النبي صلى الله عليه وآله لا عن نفاق لكن عن توان ثم ندموا فلما ورد النبي صلى الله عليه وآله جاؤا اعتذروا فلم يكلمهم
النبي صلى الله عليه وآله وتقدم الى المسلمين بان لا يكلمهم احد منهم فهجرهم الناس حتى الصبيان واهاليهم وجاءت نساؤهم الى
رسول الله صلى الله عليه وآله تعتزلهم فقال لا ولكن لا يقربونكن فضاقت عليهم المدينة فخرجوا الى رؤس الجبال فكان اهاليهم
يجيؤن لهم بالطعام ويتركونه لهم ولا يكلمونهم فقال بعضهم لبعض قد هجرنا الناس ولا يكلمنا احد فهلا نتهاجر نحن
ايضا فتفرقوا ولم يجتمع منهم اثنان وثبتوا على ذلك نيفا واربعين يوما وقيل سنة يتضرعون الى الله تعالى ويتوبون
اليه فقبل الله تعالى حينئذ توبتهم وانزل فيهم هذه الاية والثلاثة هم كعب بن مالك وهلال بن امية ومرارة بن
ربيعة وكلهم من الانصار في قول ابن عباس ومجاهد وقتادة وجابر والتخليف تاخير الشيء عمن مضى فاما
تاخير الشيء عنك في المكان فليس بتخليف وهو من الخلف الذي هو مقابل لجهة الوجه وقال مجاهد خلفوا عن
قبول التوبة بعد قبول توبة من قبل توبته من المنافقين كما قال تعالى فيما مضى واخرون مرجون لامر الله اما يعذبهم
واما يتوب عليهم وقال قتادة خلفوا عن غزوة تبوك كما تخلفوا هم وبه قال الحسن وفي قراءة اهل البيت عليهم السلام
خالفوا قالوا لانهم لو خلفوا لما توجه عليهم العتب وقوله حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت فالضيق
ضد السعة ومنه ضيق الصدر خلاف انشراحه بالهم الذي يحدث فيه فيشغله عن غيره وليس كذلك السرور
لانه لا يشغل عن ادراك الامور ومعنى بما رحبت اي بما اتسعت يقول رحبت رحبا ومنه مرحبا واهلا اي
رحبت بلادك واهلت وضيق انفسهم ههنا بمعنى ضيق صدورهم بالهم الذي حصل فيها وقوله وظنوا ان لا
ملجأ من الله الا اليه معناه وعلموا انه لا يعصمهم منه موضع اذا اعتصموا به والتجؤا اليه كانه قال لا معتصم
من الله الا به لجأ يلجأ لجاء والجاه الى كذا الجاء اذا صيره اليه بالمنع من خلافه والتجأ اليه التجاء وتلاجؤا تلاجؤا
وقوله ثم تاب عليهم ليتوبوا قيل في معناه ثلاثة اقوال احدها لطف لهم في التوبة كما يقال في الدعاء تاب الله
عليه الثاني قبل توبتهم ليتمسكوا بها في المستقبل الثالث قبل توبتهم ليرجعوا الى حال الرضا عنهم وقال الحسن
جعل لهم التوبة ليتوبوا بها والمخرج ليخرجوا به وقوله ان الله هو التواب الرحيم اخبار منه تعالى بانه جل وعز يقبل
توبة عباده كثيرا ويغفر ذنوبهم اذا رجعوا اليه لرحمته عليهم ورأفته بهم وكان ابو عمرو يحكي عن عكرمة بن خالد
وعلى الذين خلفوا بفتح الخاء والتخفيف وكان لا ياخذ بها فان قيل ما معنى التوبة عليهم واللائمة لهم وهم
قد خلفوا فهلا عذروا قيل ليس المعنى انهم امروا بالتخلف ورضي منهم به بل كقولك لصاحبك اين خلفت فلانا
فيقول بموضع كذا ليس يريد انه امره بالتخلف هناك بل لعله ان يكون نهاه وانما يريد انه تخلف هناك قوله
تعالى يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ اية بلا خلاف هذا امر من الله تعالى للمؤمنين
المصدقين بالله والمقرين بنبوة نبيه بان يتقوا معاصي الله ويجتنبوها وان يكونوا مع الصادقين الذين
يصدقون في اخبارهم ولا يكذبون قال ابن مسعود لا يصلح من الكذب جد ولا هزل ولا ان يعد احدكم ولده
شيئا ثم لا ينجزه ثم قرأ يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله الاية وقال هل ترون في هذه رخصة وقال نافع والضحاك
امروا بان يكونوا مع النبيين والصديقين في الجنة بالعمل الصالح وقيل ان المراد بالصادقين هم الذين ذكرهم الله
في قوله رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه وهم حمزة وجعفر ومنهم من ينتظر يعني عليا عليه السلام فامر
الله تعالى بالاقتداء بهم والاهتداء بهديهم وهم الذين وصفوا في قوله ليس البر ان تولوا وجوهكم الاية الى قوله

أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا فامر بالاقتداء بهؤلاء وقال بعضهم ان مع بمعنى من وكانه امر بان يكونوا في جملة
الصادقين وفي قراءة ابن مسعود وكونوا من الصادقين وقيل اراد كونوا مع كعب بن مالك واصحابه الذين
صدقوا في اقوالهم ولم يكذبوا في الاعتذار والصادق هو القائل بالحق العامل به لانها صفة مدح لا يطلق
الا على من يستحق المدح على صدقه فاما من فسق بارتكاب الكباير فلا يطلق عليه اسم صادق ولذلك مدح
الله الصديقين وجعلهم تالين للنبيين في قوله فاولئك الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين و
الشهداء والصالحين قوله تعالى مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ الْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا عَن رَّسُولِ
اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ
أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ اية لما قص الله تعالى قصة الذين تاخروا عن النبي والخروج معه الى تبوك ثم اعتذارهم عن ذلك
وتوبتهم منه وانه قبل توبة من ندم على ما كان منه لرأفته بهم ورحمته عليهم ذكر عقيب ذلك على وجه التوبيخ
لهم والانذار على ما كانوا فعلوه فقال لم يكن لاهل المدينة ولا من يكون حول المدينة من الاعراب والبوادي
ان يتخلفوا بمعنى ان يتاخروا عن رسول الله ولا يرغبوا بانفسهم عن نفسه ومعناه ولا ان يطلبوا نفع نفوسهم
لان الرغبة طلب المنفعة ونقيضها الرهبة ويقال رغب فيه اذا طلب المنفعة به ورغب عنه طلب المنفعة بتركه
والترغيب ضد الترهيب ومعنى يرغبوا بانفسهم عن نفسه اي يطلبون المنفعة بترفيه انفسهم دون نفسه و
هذه فريضة الزمهم الله اياها لحقه فيما دعاهم من الهدى الذي اهتدوا به وخرجوا من ظلمة الكفر الى نور
الايمان وقوله ذلك بانهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب اشارة الى ما الزمهم الله اياه من تحمل هذه المشقة لانهم
لا يصيبهم ظمأ وهو شدة العطش يقول ظمئ يظمأ ظمأ وهو ظمئ وظمآن واظمأه الله اظماء ومنه قيل انا
ظمآن الى رؤيته فلان ومعنى ولا نصب اي تعب يقول نصب ينصب نصبا فهو نصب مثل الوصب قال النابغة
كليني لهم يا اميمة ناصب وليل اقاسيه بطيء الكواكب
وقوله ولا مخمصة يعني مجاعة واصله ضمور البطن للمجاعة ومنه رجل خميص البطن وامراة خمصانة وقوله في
سبيل الله يعني من قتال اعداء المشركين وقوله ولا يطؤن موطئا يغيظ الكفار اي لا يخطون خطوة الا كتب لهم
اجرها والموطئ الارض والغيظ انتقاض الطبع بما يرى مما يشق والغضب هو ما يدعو الى الانتقام على ما سلف
من المعصية مما هي متعلقة به وهو مستحقها ولذلك جاز ان يطلق الغضب على الله ولم يجز اطلاق الغيظ عليه
وقوله ولا ينالون من عدو نيلا الا كتب لهم به عمل صالح والنيل لحوق الشيء يقول نلته انا له نيلا اذا نلته
بيدك وهو منيل وليس من التناول لان هذا من الواو ويقول نلته بخير انوله نولا ونوالا وانا النيء خيرا انا له
المعنى ان هؤلاء المؤمنين لا يصيبون من المشركين امرا من قتل او جراح او مال او امر يغمهم ويغيظهم الا ويكتب
الله للمؤمنين به عملا صالحا ان الله لا يضيع اجر المحسنين اخبار منه تعالى انه لا يضيع اجر من فعل الافعال الحسنة
التي يستحق بها المدح وقد يكون فاعل الحسن لا يستحق المدح مثل فاعل المباح وقال قتادة حكم هذه الاية مختص
بالنبي فانه اذا غزا النبي صلى الله عليه وآله لم يكن لاحد ان يتخلف عنه فاما من بعده من الخلفاء فانه جايز وقال الاوزاعي
وعبد الله بن المبارك والفزاري والسبيعي وابو جابر وسعيد بن عبد العزيز ان هذه الاية لاول الامة واخرها
من المجاهدين في سبيل الله وقال ابن زيد هذا حين كان من المسلمين قليلين فلما كثروا نسخ بقوله وما كان
المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة وهذا هو الاقوى لانه لا خلاف ان الجهاد من فروض
الكفايات فلو لزم كل احد النفر لصار من فروض الاعيان قوله تعالى وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً
وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ اية بلا خلاف هذه الاية عطف على
ما تقدم ذكره في الاية الاولى من قوله ولا يطؤن موطئا يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلا ولا ينفقون نفقة
صغيرة ولا كبيرة اي لا ينفق هؤلاء المؤمنون في سبيل الله وجهاد اعدائه نفقة صغيرة ولا كبيرة يريدون بها اعزاز
دين الله ونفع المسلمين والتقرب الى الله بها لان الانفاق متى كان للشهوة او ليذكر بالجود كان ذلك مباحا

وان كان للرياء والسمعة وللمعاونة على فساد كانت معصية والصغير ما نقص ثوابه عن ثواب ما هو اكبر منه والكبير ما زاد ثوابه على ثواب ما هو دونه وقوله ولا يقطعون واديا معناه ولا يتجاوزون واديا وقوله الا كتب لهم ثواب ذلك ليجزيهم الله احسن ما كانوا يعملون معناه انه يكتب طاعاتهم ليجزيهم عليها احسن مما فعلوه وقال الرماني ذلك يدل على انه يكون حسن احسن من حسن قال لان لفظة افعل تقتضي التفاضل فيما شارك فى الحسن وهذا ليس بشيء لان المعنى ان الله تعالى يجزيهم احسن ما كانوا يعملون يعنى ما له مدخل فى استحقاق المدح والثواب من الواجبات والمندوبات دون المباحات التى لا مدخل لها فى ذلك وان كانت حسنة قوله تعالى وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ قوله فلولا نفر معناه هلا نفر وهى للتحضيض اذا دخلت على الفعل فاذا دخلت على الاسم فهى بمعنى امتناع الشيء لاجل وجود غيره وقيل فى معناه ثلثة اقوال احدها قال الحسن حث الله تعالى الطائفة النافرة على التفقه لترجع الى المتخلفة فتحذرها وقال قتادة ان المعنى انه لم يكن لهم ان ينفروا باجمعهم فى السرايا ويتركوا النبى صلى الله عليه وآله بالمدينة وحده ولكن تبقى بقية لتتفقه البقية ثم تنذر النافرة وبه قال الضحاك وابن عباس و قال ابو على الجبائى تنفر الطائفة من كل ناحية الى النبى صلى الله عليه وآله لتسمع كلامه وتتفقه عنه ثم يبينوا ذلك لقومهم اذا رجعوا اليهم وقال مجاهد نزلت الاية فى قوم خرجوا الى البادية ليفقهوهم ولينالوا منهم خيرا فلما عاتب الله من تاخر عن النبى عند خروجه الى تبوك وذم آخرين خافوا ان يكونوا منهم فنفروا باجمعهم فقال الله هلا نفر بعضهم ليفقه عن النبى صلى الله عليه وآله ما يجب عليهم وما لا يجب ويرجعون فيخبرون اصحابهم بذلك ليحذروا والنفور عن الشيء هو الذهاب عنه لنكوه النفس له والنفور اليه الذهاب اليه لتكره النفس لغيره والتفقه تعلم الفقه والفقه فهم موجبات المعنى المضمنة بها من غير تصريح بالدلالة عليها وصار بالعرف مختصا بمعرفة الحلال والحرام وما طريقه الشرع و قوله لعلهم يحذرون معناه لكى يحذروا لان الشك لا يجوز على الله والحذر تجنب الشيء لما فيه من المضرة يقال حذر حذرا وحذره تحذيرا وحاذره محاذرة وتحذر تحذرا واستدل جماعة بهذه الاية على وجوب العمل بخبر الواحد بان قالوا حث الله تعالى الطائفة على النفور والتفقه حتى اذا رجعوا الى غيرهم لينذروهم ليحذروا فلولا انه يجب عليهم القبول منهم لما وجب عليهم الانذار والتخويف والطائفة تقع على جماعة لا يقع بخبرهم العلم بل تقع على واحد لان المفسرين قالوا فى قوله وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين انه يكفى ان يحضر واحد وهذا الذى ذكره ليس بصحيح لان الذى يقتضيه ظاهر الاية وجوب النفور على الطائفة من كل فرقة ووجوب التفقه والانذار اذا رجعوا ويحتمل ان يكون المراد بالطائفة الجماعة التى يوجب خبرهم العلم ولو سلمنا انه يتناول الواحد او جماعة قليلة فلم اذا وجب عليهم الانذار وجب على من يسمع القبول والله تعالى انما اوجب على من يسمع القبول و تعالى المنذرين الحذر والحذر ليس من القبول فى شيء بل الحذر يقتضى وجوب البحث عن ذلك حتى يعرف صحته من فساده بالرجوع الى الادلة الا ترى ان الحاضر اذا ورد على المكلف وخوفه من ترك النظر فانه يجب عليه النظر ولا يجب عليه القبول منه قبل ان يعلم صحته من فساده وكذلك اذا ادعى مدع النبوة وان معه شرعا وجب عليه ان ينظر فى معجزه ولا يجب عليه القبول منه وتصديقه قبل ان يعلم صحة نبوته فكذلك لا يمتنع ان يجب على الطائفة الانذار ويجب على المنذرين البحث والتفتيش حتى يعلموا صحة ما قالوه فيعملوا به وقد استوفينا الكلام فى ذلك فى كتاب اصول الفقه لا نطول بذكره ههنا وقيل ان اعرابا سدعتموا على النبى صلى الله عليه وآله المدينة فغلت الاسعار وملؤا الطرق بالعذرة فانزل الله تعالى الاية يقول فهلا جاء منهم طوائف ثم رجعوا الى قومهم فاخبروهم بما تعلموا وروى الواقدى ان قوما من خيار المسلمين خرجوا الى البدو يفقهون قومهم فاخبر المنافقون فى تاخرهم عن تبوك باولئك فنزلت وما كان المؤمنون لينفروا كافة قال وفيهم نزلت والذين يحاجون فى الله من بعد ما استجيب له حجتهم داحضة يعنى ان احتجوا بتاخر هؤلاء فى البادية فانهم مستجيبون مؤمنون فكيف يكون لهم بهم اسوة او حجة فى تاخرهم وهم منافقون مدهنون وقال ابو جعفر عليه السلام كان هذا حين كثر الناس فامرهم الله ان ينفر منهم طائفة و يقيم طائفة للتفقه وان يكون الغزو نوبا قوله تعالى يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ

وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ اية بلا خلاف روى المفضل عن عاصم غلظة بفتح الغين الباقون بكسرها قال ابو الحسن قراء الناس بالكسر وهى العربية قال وبه اقرأ ولا اعلم الفتح لغة وقال غيره هى لغة وذكر الزجاج ان فيه ثلث لغات الفتح والضم والكسر والكسر افصحها والكسر لغة اهل الحجاز والضم لغة تميم امر الله تعالى المؤمنين ان يقاتلوا الكفار الذين يلونهم يعنى الاقرب فالاقرب وذلك يدل على انه يجب على اهل كل ثغر عن انفسهم اذا خافوا على بيضة الاسلام اذا لم يكن هناك امام عادل وانما جاز من الله تعالى ان يامر بالقتال ليدعوهم الى الحق ولم يجز ان يمنعهم من الكفر لان المنع ينافى التكليف ومن قاتل الابعد من الكفار وترك الاقرب فالاقرب فان كان باذن الامام كان مصيبا وان كان بغير امره كان مخطئا ولو قال قاتلوا الاقرب فالاقرب لصح لانه يمكن ذلك ولو قال قاتلوا الابعد فالابعد لم يصح لانه لا حد للابعد يبتدأ منه كما للاقرب وقوله وليجدوا فيكم غلظة معناه وليحسوا منكم بالغلظة وضد اللين وخلاف الرقة وهى الشدة فى احلال النقمة وخرج الكلام على الامر بالوجود وانما معناه يجدون ذلك ويجوز ان يكون المراد وليعلموا منكم الغلظة و قوله واعلموا ان الله مع المتقين امر من الله للمؤمنين ان يتيقنوا ان الله مع الذين يتقون معصيته بالنصرة لهم ومن كان الله ناصره فى الحرب لم يغلبه احد فاما اذا نصره بالحجة فى غير الحرب فانه يجوز ان يغلب بالحرب لضرب من المحنة وشدة التكليف قوله تعالى وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ اية بلا خلاف ما فى قوله واذا ما يحتمل امرين احدهما ان يكون دخلت لتسلط اذا على الجزاء والثانى ان يكون صلة مؤكدة وقوله فمنهم من يقول الضمير عائد على المنافقين فى قول الحسن والزجاج والتقدير فمن المنافقين من يقول بعضهم لبعض على وجه الانكار ايكم زادته هذه ايمانا وقال الجبائى يقوله المنافقون لضعفاء المؤمنين على وجه الاستهزاء فاخبر الله تعالى انه متى نزلت سورة من القران قال المنافقون على وجه الاستهزاء والانكار ايكم زادته هذه ايمانا ثم قال تعالى فاما الذين امنوا فزادتهم ايمانا المعنى ازدادوا عندها ايمانا وانما اضافه الى السورة لان عندها ازدادوا فوجه زيادة الايمان انهم يصدقون بانها من عند الله ويعترفون بذلك ويعتقدونه وذلك زيادة اعتقاد على ما كانوا معتقدين له وقوله وهم يستبشرون جملة فى موضع الحال وتقديره انهم يزدادون الايمان عندها مستبشرين بذلك فرحين بما لهم فى ذلك من السرور والثواب والزيادة ضم الشيء الى جنسه لانك لو ضممت حجرا الى ذهب لم تكن زدت ولو ضممت ذهبا الى ذهب او حجرا الى حجر لكنت زدته قوله تعالى وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ اية لما بين الله تعالى ان المؤمنين يزدادون الايمان عند نزول السورة بين ان الذين فى قلوبهم مرض يعنى شك ونفاق من الاسلام يزدادون عند ذلك رجسا الى رجسهم اى نفاقا وكفرا الى كفرهم لانهم يشكون فى هذه السورة كما يشكون فى الذين تقدم فكان ذلك هو الزيادة وسمى الشك فى الدين مرضا لانه فساد يحتاج الى علاج كالفساد فى البدن الذى يحتاج الى المداواة ومرض القلب اعضل وعلاجه اعسر ودواؤه اعز واطباؤه اقل والرجس والنجس واحد وسمى الكفر رجسا على وجه الذم وانه يجب تجنبه كما يجب تجنب الانجاس وانما اضافها الزيادة الى السورة لانهم يزدادون عندها ومثله كفى بالسلامة داء كما قال الشاعر اذى بصرى قد رابنى بعد صحة وحسبك داء ان تصح وتسلما وقوله وماتوا وهم كافرون فيه بيان ان المرض فى القلب داهم الى ان ماتوا على شر حال لانها تسوق الى النار نعوذ بالله منها وانما قال وماتوا على لفظ الماضى لانه عطف على قوله زادهم رجسا الى رجسهم والمعنى انهم يموتون وهم كافرون قوله تعالى أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ اية بلا خلاف قرأ حمزة ويعقوب اولا ترون بالتاء والباقون بالياء قوله اولا يرون تنبيه وتقريع لمن مضى بالخطاب فمن قرأ بالتاء فوجهه ان المؤمنين نبهوا على اعراض المنافقين عن النظر والتدبر لما ينبغى ان ينظروا فيه ويتدبروا لانهم يمتحنون بالامراض والاسباب التى لا يؤمن معها الموت فلا يرتدعون عن كفرهم ولا ينزجرون عما هم عليه من النفاق فلا يقدمون

عليه اذا ما توافقت المسلمين على قلة اعتبارهم واغاظهم وضرا بالياء وجه التقريع
ان لا يرضوا عنه من التوبة والاقلاع عما هم عليه من النفاق الى المنافقين دون المسلمين بالاعراض عما
قد عرفوا ذلك من امرهم وكان الاولى ان يلحق التنبيه من يراد تنبيهه وتقريعه بتركه ما ينبغى ان يأخذ لان المسلم
ويحتمل الرؤية فى الآية على القولين ان يكون متعدية الى مفعولين وان يكون من رؤية العين فاذا
متعدية الى مفعولين سدّ مسدّهما وان جعلت من رؤية العين كان ادلّ لانهم مبتلون فى الاعراض
على ترك الاعتبار به وهذا ابلغ من المتعدية الى مفعولين الا ترى انّ ما دلّ الاستدلال اعذر ممن يكـ
المشاهدات ولو قرئ بضم الياء وبنى الفعل للمفعول به كان ان فى موضع نصب بانه مفعول الفعل
يتعدى الى مفعول وفتحت الواو فى قوله او لا لانها واو العطف دخلت عليها الف الاستفهام
متصل بذكر المنافقين ومتصل بذكر آخرين ذكرهم بدليل العلامتين الواو والالف والفتنة المحنة
بالقتل والسبى ونصر الله لنبيه حتى يشتمل على كل من ناواه فى قول الحسن وقتادة وقال مجاهد هى
بالقحط والجوع وقال الجبائى هى بالمرض الذى ينزل بهم وقيل هتك استارهم بما يظهره الله من
نياتهم وخبث سرائرهم وقال الزجاج معناه انهم يختبرون بالدعاء الى الجهاد وهو قول الحسن وقتادة
واجاز الرمانى ان يفعل التوبة خوفا من العقاب كما يجوز ان تفعل لقبح المعصية قال لان كل واحد
الامرين يدعوا اليه الفعل ومن جحد احد الامرين كمن جحد الآخر والذى عليه اكثر اهل العدل ا
لا يجوز ان يفعل التوبة الا لوجه قبح المعصية ومتى فعلت لخوف العقاب لم تكن مقبولة وقوله ثم لا يتو
ولا هم يذكّرون اخبار منه تعالى انه مع ما يمتحنهم فى كل سنة دفعة او دفعتين فانهم لا يقلعون عن المـ
ولا يتوبون منها ولا يتفكرون فيها والتذكر طلب الذكر بالفكر فيه قوله تعالى وَاِذا ما اُنْزِلَتْ سُورَةٌ
نَظَرَ بَعْضُهُمْ اِلى بَعْضٍ هَلْ يَريكُمْ مِنْ اَحَدٍ ثُمَّ انْصَرَفُوا صَرَفَ اللهُ قُلُوبَهُمْ بِاَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ
آية بلا خلاف اخبر الله تعالى فى هذه الآية انه متى انزل سورة من القرآن نظر بعضهم الى بعض نظر
يومون به هل يريكم من احد وانما يفعلون ذلك لانهم منافقون يحذرون ان يعلم بهم فكانهم يقو
بعضهم لبعض هل يراكم من احد ثم يقومون فينصرفون ويحتمل ان يكون انصرافهم عن العمل بشئ
مما يستمعون فقال الله ثم صرف الله قلوبهم يعنى من رحمته عقوبة لهم بانهم قوم لا يفقهون مواعظ الله
لا امره ونهيه وانما صرف قلوبهم عن السرور بالفائدة التى تحصل للمؤمنين بسماع الوحى فيحرمون
ما للمؤمنين من الاستبشار بتلك الحال والفقه فهم موجب المعنى المضمن به وقد صار علما على
علم الفتيا فى الشريعة لان المعتمد على المعنى وكان القوم عقلاء يفقهون الاشياء وانما نفى الله
عنهم ذلك لانهم لم ينظروا فيه ولم يعملوا بموجبه فكانهم لم يفقهوه كما قال صمّ بكم عمى لما لم
ينتفعوا بما سمعوه ورأوه قوله تعالى لَقَدْ جاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ اَنْفُسِكُمْ عَزيزٌ عَلَيْهِ ما عَنِتُّمْ حَريصٌ
عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنينَ رَؤُفٌ رَحيمٌ آية بلا خلاف اقسم الله تعالى فى هذه الآية بانه قد جاءكم رسول من
انفسكم لان لام لقد هى اللام التى يتلقى بها القسم والخطاب متوجه الى جميع الخلق ومعنى من انفسكم
اى انكم ترجعون الى نفس واحدة كما قال قل انما انا بشر مثلكم ويحتمل ان يكون المراد به من العرب كما
انكم كذلك ويكون على هذا الخطاب متوجها الى العرب خاصة فانتم تخبرونه ويقيم على مذهبه وقيل انه
لم يبق بطن من العرب الا ولد النبى عليه السلام وانما ذكر ذلك لانه اقرب الى الالفة ابعد من المحل واللجاج
واسرع الى فهم الحجة فهو من انفسكم فى اشرف نسبه منكم ومن انفسكم فى العرب منكم ومن انفسكم باختصاص
بكم وقوله عزيز عليه اى شديد عليه لانه لا يقدر على ازالته والعزيز فى صفات الله فمعناه المنيع القادر
الذى لا يتعذر عليه فعل ما يريده والعزة امتناع الشئ بما يتعذر معه ما يحاول منه وهو على ثلثة
اوجه امتناع الشئ بالقدرة او بالقلة او بالصعوبة وقوله ما عنتم يعنى ما يلحقكم من الاذى الذى
يضيق الصدر به ولا يهتدى للخروج منه ومنه قيل فلان يعنت فى السؤال ومنه قوله تعالى ولو شاء

الله لاعنتكم اى ضيق عليكم حتى لا تهتدوا للخروج منه والعنت لقاء الشدة وقوله حريص عليكم
فالحرص شدة الطلب للشئ على الاجتهاد فيه والمعنى حريص عليكم ان تؤمنوا فى قول الحسن ثم
استأنف فقال بالمؤمنين رؤف رحيم اى رفيق بهم رحيم عليهم قوله تعالى فَاِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِىَ
اللهُ لا اِلهَ اِلّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظيمِ آية بلا خلاف معنى فان تولوا ان ذهبوا
عن الحق واتباع الرسول وما يأمرهم به واعرضوا عن قوله ونقيض التولى عنه التوجه اليه و
مثل التولى الاعراض وقال الحسن المعنى فان تولوا عن طاعة الله وقيل فان تولوا عنك وقوله
حسبى الله معناه ان ذهبوا هؤلاء الكفار عنك ولم يقروا بنبوتك فقل يا محمد حسبى الله ومعناه
كافى الله وهو من الحساب لانه تعالى يعطى بحسب الكفاية التى تغنى عن غيره ويزيد من نعمه مما لا
يبلغ الى حد ونهاية اذ نعمه دائمة ومننه متظاهرة وقوله لا اله الا هو جملة فى موضع الحال و
تقديره حسبى الله مستحقا لاخلاص العبادة والاقرار بان لا اله الا هو وقوله عليه توكلت فالتوكل
تفويض الامر الى الله على الثقة بحسن تدبيره وكفايته باخلاص النية فى كل شئ يحذر منه ومنه
قوله حسبنا الله ونعم الوكيل اى المتولى للقيام بمصالح عباده وفى هذه الصفة تلطف وقوله و
هو رب العرش العظيم قيل فى تخصيصه الذكر بانه رب العرش العظيم ثلاثة اقوال احدها انه لما
ذكر الاعظم دخل فيه الاصغر الثانى انه خص بالذكر تشريفا له وتفخيما لشأنه الثالث ليدل به على
انه مالك الملوك لانه رب السرير الاعظم وجر القراء كلهم العظيم على انه صفة للعرش وقال الزجاج
يجوز رفعه يجعله صفة لرب العرش وما فى قوله ما عنتم بمعنى الذى وهو فى موضع رفع بالابتداء
وخبره عزيز قدم عليه وقال الفراء هو رفع بعزيز وقال ابى بن كعب وسعيد بن جبير والحسن و
قتادة هذه آخر آية نزلت من القرآن ولم ينزل بعدها شئ

تم المجلد الاول من تفسير التبيان ويليه المجلد الثانى

سنة ١٣٤٢ قمرى

بسم الله الرحمن الرحيم

ستايش وسپاس خداوندى را سزاست كه به بعثت پيغمبر آخر الزمان ونور قرآن وامامت
امير مؤمنان وائمه وپيشوايان از فرزندانش خلق جهان را از تيه ضلالت بشاه راه هدايت
دلالت فرمود وبعد باعث بر اقدام جناب موفق بصواب فخامت نصاب آقاى حاجى سيد
عبد الرسول روغنى معروف برحيم زاده بر اقدام بطبع تفسير تبيان آن شد كه شخصى در اصفهان
بايشان گفته بود كه ختمى چهل روزه گرفتم بقصد زيارت امير مؤمنان عليه السلام در رؤيا
چهل روز سر آمد وحاجت بر نيامد تجديد نمودم در شب آخر بزيارت آنحضرت عليه السلام
رسيدم پس از عرض حاجت آنحضرت بمن فرمودند بسيد عبد الرسول روغنى بگو طبع آقاى
شيخ شيرازى تفسير تبيان را بطبع برساند شيخ شيرازى را بحقير تطبيق نموده امر فرمودند در مقام
برآمده بتوفيق مسبب الاسباب اين امر خطير بانجام رسيد والحمد لله الذى هدانا لهذا وما
كنا لنهتدى لولا ان هدانا الله حرره وانا الاقل

الحاج على آقا شيرازى

فى شهر جمادى الآخرة

١٣٤٥ در شهر ...